المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

٣ قروش

المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يناير سنة ١٩٤٤

مائة ألف ١٠٠,٠٠٠ نسخة*

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العدد الخامس من الطبعة العربية . وقد وُزّع منه مائة ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

* الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
السنة الاولى | يناير ١٩٤٤ | المجلد ١ العدد ٥

حصاد التعاون الصحي

بول دى كروف

« كان الدكتور شديد رائداً في هذا الباب — باب التعاون الصحي وتيسير العلاج على الفقراء — بأصدق معاني الكلمة ، فما كان في أمريكا كلها مثال يحتذيه ويقيس عليه في تجربته » .

أقام أهل « إلك سيتي » بولاية أوكلاهوما ، وهي بلدة صغيرة عدة سكانها خمسة آلاف من الزراع الرقيقي الحال ، مستشفى تعاونياً فيه ٨٥ سريراً ، كان الأول من نوعه في الولايات المتحدة . وقد بدأوا به في أيام الكساد الشديد ، ولم يتلقوا قط في أي وقت من الحكومة معونة ما ، وهو الآن ملك خالص لهم بلا دين . وقد أثبت هؤلاء الأوكلاهوميون الذين يعيشون على حافة الفلاة التي تسمى « طاس التراب » ، أن تكاليف العلاج الحسن ، وهو عسير المنال في معظم الريف ، يمكن أن تصبح ميسرة للأسرة الأمريكية الريفية العادية .

وكان المصدر الصغير لشرارة هذا المشروع الصحي التعاوني هو الدكتور ميخائيل شديد ، وهو سوري المولد ، هاجر إلى أمريكا في العقد الثاني من عمره ، وجعل يطوف بالحلى ليبيعها ، ثم درس الطب في جامعة وشنطن بسانت لويس . فلما تخرج اتخذ جواداً ومركبة وجعل يطوف بها في أوكلاهوما في العواصف الرملية ، ويقوم بالجراحة على ضوء الشموع . ثم صارت له سيارة من طراز قديم لفورد يدلف بها في الطرق السبخة ، ويكافح ما يقذف في وجهه من الثلج ، للتيسير على الحوامل الفقيرات من سكان الأكواخ عند الوضع . وأجنه

الأهالى وأكبروه فى منطقة واسعة ، حتى صار فى سـنة ١٩٢٩ من كبار الأطباء ، وبلغ دخله السنوى عشرين ألف ريال .

وكان هذا الطبيب الصغير الجسم قد ظل سنوات يدور فى نفسه ويكربها ، أن مئات من الأسر الريفية المبعثرة فى بلدان هـذه السهول العظيمة ، لا تجـد العناية الطبيـة الوافية . ورأى بعينى رأسه المآسى التى تقع بين هؤلاء الريفيين الذين حرموا معونة الطبيب ، فمن فلاحـين يموتون من جراء انفجـار الزائدة الدودية ، إلى زوجات وأطفال تفتك بهم الالتهابات الرئوية والبول السكرى والتدرن . ورأى الدكتور شديد أن الحل الوحيد لهـذه المعضلة الأليمـة هو التطبيب الجماعى الذى يؤدَّى أجره سلفاً ، وبذلك يتاح لهؤلاء الفلاحين الذين لا يعدّون ذوى يسار ، العلاج الطبى الذى يهيئه المستشفى بتكاليف يستطاع احتمالها . وكان شـديد رائداً فى هذا الباب بأصدق معانى الكلمة ، فما كان فى أمريكا كلها مثال يحتذيه ويقيس عليه فى تجربته .

وقد بدأ شـديد مشروعه للتطبيب الجماعى المؤدى أجره سلفاً ، بأن طلب من خيرة الأطباء المحليين أن ينضموا إليـه ويعاونوه ، ولكنهم خذلوه وأبوا ، لأنه لم يكن يعدّ فى العرف الأدبى ، فى أوليات العقد الثالث فى هذا القرن ، أن يقوم أطباء ذوو مرتبات بالتطبيب المؤدى أجره سلفاً . فتولى شـديد الأمر بمفرده ، وولى وجهه شطر الريفيين الذين سيظفرون بأكبر مغنم من مشروعه ، ودعا إلى اجتماع عام . فأقبل على « إلك سيتى » ريفيون من عشر ولايات ليستمعوا إلى هذا الطبيب المجاهد ، وهو يقول لهم إنهم إذا تعاونوا جميعاً — (كما فعلوا من قبل إذ أقاموا ملجأ تعاونياً للقطن جربوا نفعه لهم) — فإنهم يستطيعون أن يكفلوا لأنفسهم ولذريتهم نعمة العناية الطبية الحسنة النادرة .

وكان مشروع شديد يقضى بأن تساهم ألفا أسرة تـكتتب كل منها بخمسين ريالا لبناء المستشفى الجـديد . وفى سنة ١٩٣٠ انهالت طلبات الاشتراك ، ولم تلبث جمعية المستشفى أن صار لها فى البنك ١٠٫٠٠٠ ريال . ثم جاءت الأزمة التى جر إليها الذعر المالى ومعارضة الأطباء المحليين ، فكان لهذا وذاك أثره ، وأعلن الأطباء أنهم لن يبعثوا بمرضاهم إلى مستشفى الجماعة . فلم ير شديد بداً ، لإنفاذ المشروع ، من أن يضيف عشرة آلاف ريال من ماله الخـاص إلى الرصـيد ، وبذل اتحاد زراع أوكلاهوما معونته لجمعية المستشفى ليتسنى لهـا اقتراض ١٥٫٠٠٠ ريال . وأخـيراً فتح مستشفى

جماعة إلك سيتى بحفل شهده ٣٠٠٠ من أهالى أوكلاهوما المزهوين .

ولكن العلاج ليس لبنات وملاطا فحسب ، فقد كانت الحاجة ماسة إلى المال لدفع مرتبات الأطباء الضروريين والممرضات والإخصائيين . فاتجه شديد إلى الفلاحين مرة أخرى وراح يطوّف فى الأقاليم المجاورة ، ويشرح فى أناة مزايا المشروع التعاونى . وكانت رسالته هى هذه : إن الرجل بمفرده يمكن بسهولة أن يذهب ماله من جراء تكاليف العلاج ، ولكن إذا دفع عدد من الناس مبالغ صغيرة سلفاً فإن تكاليف التطبيب تكون قسمة موزّعة عليهم . وقد استطاعت حجج شديد أن تقنع ثلاثمائة فلاح بأن يساهم كل منهم بخمسة وعشرين ريالا ، وبذلك بدأ عهد جديد فى سهول أوكلاهوما .

ويكفل هذا المبلغ — وهو ٢٥ ريالا — ولا يزال يكفل طائفة كبيرة من الحقوق للمكتتب به ولأسرته . فكل الوعكات تعالج مجاناً فى العيادة الخارجية للمستشفى ، ومن حق المكتتب أن يقصد إلى المستشفى طلباً للعلاج مجاناً مما يصيبه من البرد وأمراض الحلق والمعدة ، ومن الجروح والحروق ، وغير ذلك من الأمراض التى لا تستدعى الإقامة فى المستشفى . وإذا أظهر فحص الطبيب أن الحالة تستوجب العلاج بإجراء جراحة ، فلا أجر على ذلك، فتزال وتستأصل المرارة ، والزائدة الدودية ، واللوزتان . وللمكتتب الحق أيضاً فى العناية بزوجته أثناء الحمل ، وعند الوضع ، وفى الفحص العملى وفى الفحص بأشعة إكس ، والانتفاع بالراديوم ، والعلاج بالأشعة والحرارة .

وتخفض نفقات المستشفى بمقدار النصف ، وقدر أقصى مبلغ يطالب به المريض ، فى مقابلة الغرفة والغذاء والتمريض بثلاثة ريالات فى اليوم ، أما تكاليف غرفة الجراحة والبنج فعشرة ريالات للجراحات الصغرى ، وعشرون للجراحات الكبرى . وتقدم الأدوية للأعضاء المساهمين بخصم ٢٥ فى المائة ، أما العيادة فى المنزل فيؤدى المريض عنها ريالا يضاف إليه ربع ريال عن كل ميل ، فالمشترك الذى يعيش على مسافة عشرة أميال يؤدى ٣ ريالات ونصف ريال لعيادته فى منزله .

وخفضت نفقات علاج الأسنان تخفيضاً كبيراً ، فحشو الضرس يكلف ريالا ، ويمكن الحصول على غطاء للضرس بربع ريال ، وتفحص العيون بالمجان . فالأعضاء يستطيعون من أجل هذا أن يحضروا إلى المستشفى ليفحص الإخصائيون عيونهم فى المراحل الأولى من تعبها أو مرضها .

ويبلغ متوسط ما يؤديه العضو المشترك عن أسرته للتداوى والعلاج فى المستشفى ، مضافاً إلى ذلك القسط السنوى الذى يدفع سلفاً ومقداره خمســة وعشرون ريالا ، أربعــة وخمسين ريالا . يقابل هــذا أن متوسط تكاليف العلاج السنوية للأسرة فى الولايات المتحدة يبلغ سبعين ريالا .

وقد أدرك الدكتور شــديد من أول الأمر أن نجاح مشروعــه رهن بمهارة الأطباء الذين يختارهم وكفايتهم ، ويعمل فى المستشفى ســتة من الأطباء المدربين على العلاج الحديث والجراحة . ويعد الإخصائى فى علم أمراض البول فى هــذا المستشفى ، الإخصائى الوحيــد فى هذا العــلم فى ولاية أوكلاهوما الغربية . أما طبيب الأشعة فقد درسهــا على مكتشفها روينتجن ، وينتفع المرضى ببراعته الخاصة فى تشخيص الدرن وخراجات المعدة فى المراحل الأولى ، وينتفع المرضى بالسرطان بتجربته الطويلة وخبرته بأشــعة إكس وبالراديوم . وفى المستشفى غير هؤلاء إخصائيون فى أمراض العيون والأذن والأنف والحنجرة ، وفى طب الأسنان والجراحة ، وفى الأمراض الباطنية. والدكتور شديد هو المدير وكبير الجراحين. ويتناول هؤلاء الأطباء مرتبات تتراوح بين ٤٠٠٠ ريال وعشرة آلاف ريال ، وهم يعملون متعاونين متضامنين على خير وجه ووفق تقاليد هذه المهنة .

وعلى الرغم من المزايا الاقتصادية الثابتة لهــذه الطريقة التى يؤدى بها أجر العلاج ســلفاً ، فإن أكثر من نصف الأسر فى المنطقة التى يخدمها الدكتور شديد يتمسكون بالقاعدة العتيقة ، أى ، انتظر حتى تمرض . على أن هؤلاء حين يمرضون يقبــلون فى مستشفى الجمــاعة ، ولكنهم يطالبون بدفع التكاليف كاملة للجراحات ، والإقامة فى المستشفى ، والأدوية ، والتمريض . ومؤدّى هذا أن الكسر المركب مثلا ، وهو يحتاج إلى أربعة أسابيع فى المستشفى ، يكلف غير العضو ٢٥٠ ريالا على حــين أنه لا يكلف العضــو سوى ثمــانين ريالا . فــلا عجب إذا كانت مزايا العضوية تجتذب تدريجاً عــدداً متزايداً من الأسر فى منطقــة « إلك ستى » . وقد بدأ المشروع بثلاثمــائة أسرة مشتركة فى سنة ١٩٣١ ، وبلغ عددها لليوم ١٦٠٠ أسرة .

ولم يكن طريق الدكتور شديد مفروشاً بالورود ، فقد حاول بعض الأطباء المتعصبين الذين لم يستطيعوا أن يقبلوا طريقة العلاج الجماعى ، أن يسعوا لإلغاء رخصة الدكتور شديد . ولما عرض الأمر أخيراً على المحاكم فى سنة ١٩٤١ غصت قاعة المحكمة بالأسر

من أوكلاهوما ، وكانت قد وقعت جميعها عريضة أعلنت فيها أن اشتراكها فى مستشفى الجماعة قد أتاح لها ولأهل إلك سيتى علاجاً حسناً ، ووفر عليها مبالغ تتراوح من خمسين ريالا إلى ألفى ريال لكل منها . (حاشية — ولا يزال الدكتور شديد محتفظاً برخصته التى تخوّل له العمل كطبيب) .

وقد أصبح مستشفى الجماعة فى إلك سيتى اليوم قائماً على قواعد مالية متينة ، وبلغت جملة دخله فى العام الماضى ١٢٧٫٠٠٠ ريال وفى العام السابق أنفق مبلغ ٣٠٫٠٠٠ ريال على التجهيزات الحديثة ، وبلغ الفائض بعد ذلك ٧١٫٠٠٠ ريال . وتؤدى التكاليف أو معظمها نقداً ، ولكنه يحدث أن يحضر إلى المستشفى فلاح محتاج إلى العلاج ، وليس معه مال ، فيسمح له بإرجاء الدفع ، ولا يطرد أحد أبداً . وتبلغ نسبة الأعمال الخيرية للمستشفى عشرة فى المائة ، وجماعة المستشفى تعاونية وليس مطلبها الربح .

وقد أدّى قيام هذا المستشفى التعاونى فى إلك سيتى إلى احتذاء مثاله فى منطقة السهول الكبيرة . من ذلك أن الفلاحين فى أمهرست بولاية تكساس — وعدد سكانها ٧٥٠ — أقاموا مستشفى على هذا الطراز يديره بنجاح الدكتور ماك دانيل الذى تدرب على العلاج الجماعى على يد الدكتور شديد . وفى هاردتنر أيضاً — بولاية كنساس — بنى الفلاحون مستشفى على مثال مستشفى إلك سيتى .

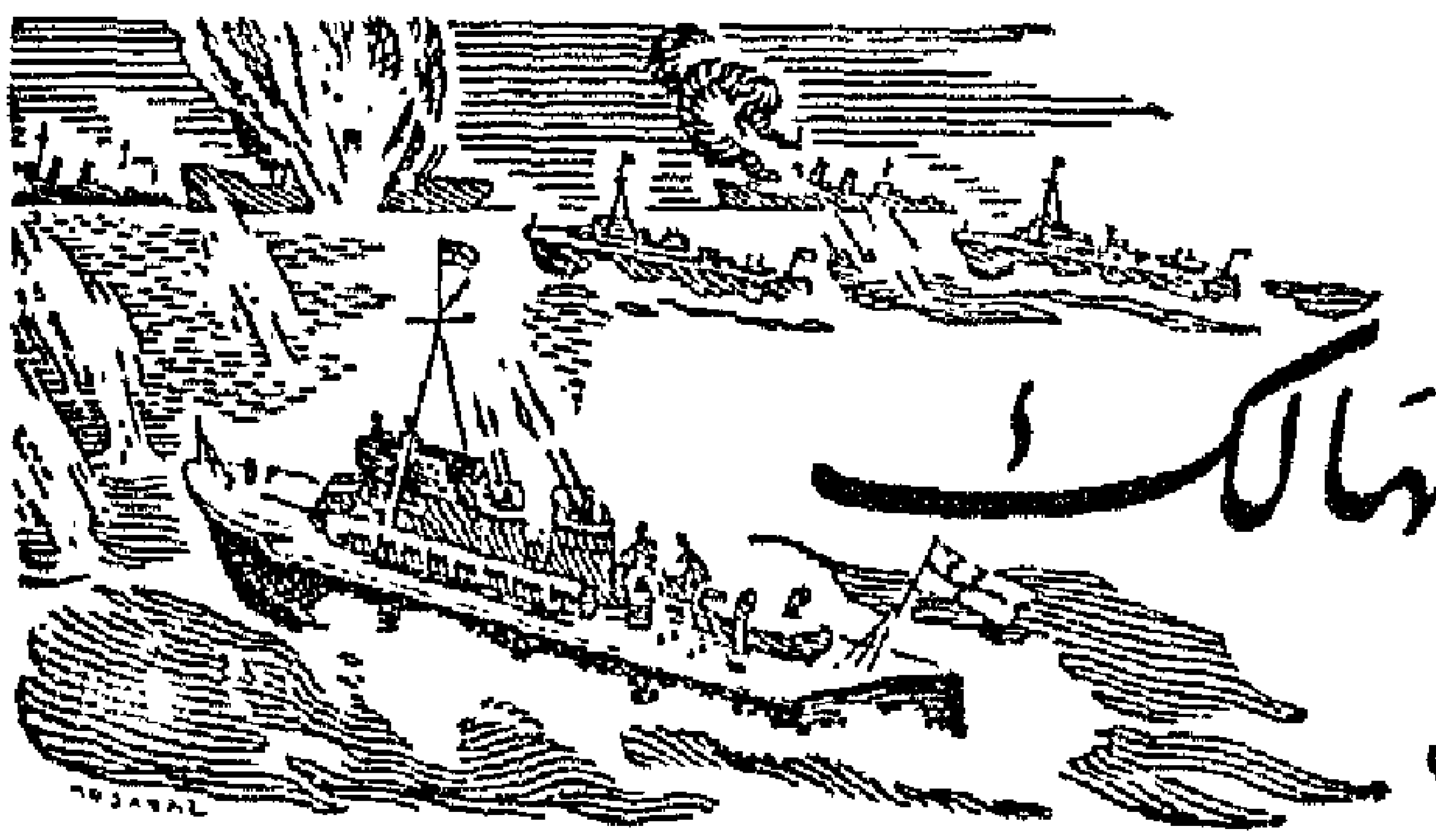
وهكذا أصبح أهل أوكلاهوما بإقدامهم وسعة حيلتهم ، روّاداً فى هذا الطريق لمكافحة الحاجة إلى الأطباء فى الأقاليم . وقد أثبتوا أن فى وسع جماعة ريفية فقيرة أن تقيم مستشفاها وتموله ، وتظفر له بالأطباء والجراحين الأكفاء . وقد شق الدكتور شديد وفلاحو أوكلاهوما طريقاً جديداً لإفادة الصحة والقوة ، بفضل مساهمة الجماعة فى أداء التكاليف سلفاً ، وسيصبح ذلك هو الأسلوب المقرر للعلاج فى الأقاليم .

● إننا نميل إلى تقدير أنفسنا على قدر مثلنا العليا ، وإلى تقدير الآخرين على قدر أعمالهم .

[هارولد نيكلسون]

● المنح خير من الإقراض . فالعاقبة واحدة فى الحالين .

[فيليب جبز]



قصة تحرك النفس عن غارة شنتها ثلاثة زوارق طربيد بريطانية يندر ما عـائلها إقداما وبسالة فى تاريخ الحرب البحرية

رجال يخوضون المهالك

جورج پالمر وفردريك سوندرن

ملخصة عن مجلة « ستردى نايت »

فى ذات مساء من شهر أبريل الماضى ، حين كانت معركة تونس سائرة بين قصف المدافع وهدير الطائرات ، إلى مرحلتها الأخيرة ، وردت إشارة إلى القيادة البحرية البريطانية فى سوسة من السير أندرو كننجهام ، القائد العام للقوات البحرية فى البحر المتوسط . وكان فحوى هذه الإشارة أمراً « بأن تخرج ثلاثة زوارق طربيد للقيام ، بدورية فى النهار ، حذاء ساحل

جورج بالمر كاتب بحرى مجرب . عينته شركة « يونيتد برس » للتوفر على أخبار الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط ، فسافر فى قوافل كثيرة متجهة إلى مالطة ، وواتاه الحظ فلم تقذف سفينته بالطربيد إلا مرة واحدة . واشترك فى حملة « كوماندو » على طبرق ، حين كانت فى أيدى الألمان ، فتعرض الزورق الذى كان فيه للمنقضات الألمانية مدى اثنتى عشرة ساعة . وقد شهد كذلك قذف قنابل الأسطول على المنشآت الايطالية الساحلية .

أما فردريك سوندرن فراسل « ريدرز دايجست » الجوال فى الشرق الأوسط

شبه جزيرة رأس بون » و « أن تفتح مسالك البحار فى تلك المنطقة » .

كلام لا يستقيم ! فزوارق الطربيد تعمل فى الليل ، ولا ينتظر منها أن تقدم على الانتحار فى النهار ، على مرمى من بطاريات النازى الساحليـة ، وأسراب مطاردات مسر شمدت .

ولـكن الباعث على الأمر كان باعثا معقولا ، فجيوش الحلفاء كانت متأهبة لافتتاح المرحلة الأخيرة فى هجومهم التونسى ، وكان يهم الجنرال أيزنهاور كثيراً أن يعلم هل ينوى الفيلق الأفريقى أن يجلو عن تونس ، وتعذر على الطائرات المستكشفة أن تظفر بمعلومات دقيقة عن الأرصفة المخفاة أدق إخفاء ، التى تصلح لحماية القوات الجالية . فلم يكن بد من إرسال السفن الصغيرة إلى حتف يكاد يكون محققاً .

جهد رجال الزوارق ٦٣٩ و٦٣٣ و٦٣٧ طوال الليل وهم يعالجون قطعاً من القماش ، وألواناً من الدهان الأحمر والأبيض

والأسود ، لكى يصنعوا منها علامات القتال النازية . فالاعتماد على راية مزيفة ، — وهى حيلة بحرية أضفى الزمان عليها جلاله — كانت معقد أملهم الوحيد . ومع ذلك كان أملا ضعيفاً فى رأى قائد هذه الحملة ، الملازم ستيوارت جولد ، البالغ من العمر ستة وعشرين عاما . وقد أوجز رأيه ، وهو يحدث معاونيه الملازمين هنرى بتلر وجورج رسل بقوله : « ليست مهمة ميسرة » ، إذ كان يخشى أن يتبين المراقبون النازيون قوام زوارق الطربيد البريطانية ولا يخطئوها .

وتسللت السفن الثلاث الصغيرة من المرفأ وبلغت مكاناً مناوحاً للساحل التونسى الألمانى عند الفجر . وقد رأى الرقيب فى إحداها على بعد نصف ميل ، بطارية قوية من بطاريات خفر السواحل ، ولكن الألمان على الشاطىء لوّحوا بأيديهم. وكانت الأعلام البريطانية فى السفن الثلاث مطوية ، ولكنها معدة للنشر فى الدقيقة التى تخوض فيها السفن غمار القتال . وكانت تخفق فوقها أعلام تقش عليها الصليب المعقوف .

ومضت السفن فى طريقها متهادية فاجتازت الحمامات ثم نابل ، وهى تفحص كل خليج وكل جون ، ومضى النازيون الذين على الشاطىء يلوحون لرجالها بأيديهم بينا قوادها يرسمون على خرائطهم موقع كل مدفع مخفى وكل خيمة مخبوءة بين الشجر .

وأخذوا يدنون من رأس كليبية ، وهو الموقع الذى يحتمل أن يستعمله النازيون فى جلائهم ، وكان قد طلب إلى جولد أن يستطلع الأرصفة التى كانت تبنى حينئذ . وكانت المدافع الكبيرة القوية تعبس فى وجهه ، وكان كل مدفع منها كافياً لنسف سفينته بقنبلة واحدة . ولكن السفن الثلاث قضت نصف ساعة تمخر البحر على مهل ، بينما كان ضباطها يملأون دفاترهم بالمذكرات ، والجنود النازيون ، على بضع مئات من الأقدام ، مكبون على عملهم فى إنجاز بناء الأرصفة .

وكان المرسى الرئيسى ، لسفن الحرب وسفن التموين الألمانية ، على الجهة الأخرى من الرأس ، فقرر جولد أن يلقى نظرة عليه . وكان يحمى المرفأ بطاريات قوية من مدافع عيارها ست بوصات — وهو ما لم يكن يعرفه جولد ولا الأميرال كننجهام حينئذ . ولكن المدافع لم تطلق طلقة واحدة إذ مخرت الزوارق الثلاثة الماء إلى المرسى وألقت مراسيها. وقضى جولد وضباطه نصف ساعة يعاينون ويدونون : مواقع المدافع ، وأجهزة رادار ، والمخازن ، والسفن وأكوام الذخيرة ، ومحتشدات الجند .

وعلى مئات من الأذرع كان الضباط الألمان والطليان ينظرون إليهم بمناظير الميدان . ومرت بهم دقيقة حرجة حين بدأت المدافع الكبيرة فى بطارية قريبة منهم تتجه نحوهم ، ولكن المدفعيين النازيين كانوا يمتحنون أجهزتهم وحسب . فتخطت أفواه المدافع الكالحة السفن البريطانية ، إلى الجهة الأخرى . وقد كشف الأسرى الألمان فيما بعد ، أن كل أحد على الساحل ظن زوارق الطربيد البريطانية ، زوارق طربيد ألمانية ، وأنها كانت قد تنكرت خاصة لتشبه السفن البريطانية .

وما أنجز جولد إعداد خريطته حتى رفع مرساته وأوغل فى منطقة العدو . وكانت طائرة من طائرات الألمان تمرق فوقه كل هنيهة ، ولكن مطاردات مسر شمدت لم يخطر لقوادها ، أن سفن الحلفاء تتسلل إلى مرافئ المحور فى رائعة النهار ، فلم يهتموا حتى بإلقاء نظرة فاحصة عليها .

وفى الساعة التاسعة والنصف كان جولد قد اجتاز ما طوله ستون ميلا من ساحل العدو ، وكان قد استطلع كل ما أراد الأميرال كننجهام أن يعرفه . ولكن لا يزال أمامه تحقيق ذلك الشطر الثانى من الأمر وهو : « فتح مسالك البحر » . وكان لا يزال يفكر فى كيف يبدأ التنفيذ ، حين استبان كاسحتى ألغام إيطاليتين فى جون صغير ، وكانت قربهما سفينة ألمانية من سفن حراسة القوافل . وكان يبدو وراءها مباشرة على الساحل ، مبنى يلوح أنه مصنع ذو شأن .

فأصدر جولد الإشارة بالتأهب للقتال ، وإذا الأعلام النازية المنشورة على ثلاثة صوار قصيرة تطوى ، وتنشر مكانها ثلاثة أعلام بريطانية . وقضت الزوارق عشرين دقيقة وهى تمطر الكاسحتين وسفينة الحراسة وابلا من قنابل زنة القنبلة منها رطلان ، ورصاصاً من المدافع الرشاشة ومدافع « بوم بوم » . أما القذائف التى لم تصب السفن فقد أصابت المصنع . وأذهلت المفاجأة رجال سفن المحور ففروا منها بغير مقاومة .

وغرقت الكاسحتان بسرعة . وما كادت النار تشب فى السفينة الكبيرة ، حتى كان الطيارون النازيون فى مطار قريب ينفرون سراعاً إلى طائراتهم ، ولكن جولد كان قد أقلع قبل أن يلحقوا .

وعاد من حيث أتى وهو يطلق قذائفه على كل ما رآه جديراً بعنايته . حقاً إن قنابله الصغيرة لم تؤثر فى المطارات الساحلية تأثيراً يذكر ، ولكن تأثيرها المعنوى كان عظيما ، فقد ظنت القيادة الألمانية أن غارة كبيرة توشك أن تبدأ ، فأمرت لساعتها الجنود

بالذهاب إلى الشاطئ ، والطائرات بالتحليق في الهواء .

وبعد أن أسقط جولد طائرة مستكشفة كان يحتمل أن تضايقه ، صادف شيئاً خطير الشأن . فقد شاهد عدداً وافراً من طائرات النقل الألمانية الكبيرة منثوراً على الساحل وكانت هذه الطائرات بقايا القافلة الجوية الألمانية التي مزقتها المطاردات الأمريكية من طراز « وورهوك » ، وأسقطتها فيما يعرف الآن « بجزيرة أحد الشعانين » ، وكان بعضها قد سقط على الساحل ، وقليل منها لا يزال سالما لم ينله أذى . فدمرت مدافع جولد كل واحدة من هذه الطائرات السليمة.

وكان في وسع جولد أن يعود ، وقد أنجز المهمة التي عهد إليه فيها على أوفى وجه ، ولكنه حين أصبح أمام رأس كليبية أرسل هذه الإشارة : « أنوي أن أدنو وأطلق قنابل » ، فجحظت عيون بتلر في الزورق ٦٣٣ ، وسميث في الزورق ٦٣٧ ، إذ شاهدا زورق قائدهما يدور . وقال أحد البحارة القائمين على الدفة بلهجة تخالطها الخشية : «يارب! سنكون أبطالا ملاعين».

وكان على صواب !

فعلى نحو ميل من الشاطئ كانت سفينة تجارية للعدو تحرسها مدمرتان ، ومظلة من المطاردات ، وبطاريات ساحلية مدافعها من عيار ست بوصات .

فأصدر جولد هذه الإشارة : « بأقصى سرعة إلى الأمام » ، وبدأ هجوماً ندر في التاريخ البحري ما يماثله في جرأته وإقدامه . وكان في الليلة السابقة قد وضع خطة لهجوم كهذا مع بتلر وسميث .

فاتجه جولد في الزورق ٦٣٩ إلى المدمرتين لكي يستهدف لنيرانهما ، بينما يتحول الزورقان ٦٣٣ و ٦٣٧ إلى موقف يستطيعان منه أن يقذفا السفينة التجارية بالطرابيد . وقد استغرقت هذه المناورة اثنتي عشرة دقيقة ، انطلق الجحيم في خلالها.

فلم تكد تمضي ثانية على شروع جولد في إطلاق نار مدافعه الصغيرة على المدمرة الأولى ، حتى بدأت السفينتان الحربيتان النازيتان تطلقان قنابل مدافعهما التي قطر فوهاتها أربع بوصات . وشرعت مدافع البطاريات الساحلية كذلك في إطلاق قنابلها من فوهات قطرها ست بوصات . وبعد لحظة خفضت المدافع المضادة للطائرات ، حتى صارت فوهاتها محاذية للأفق ، وأخذت هي تطلق قذائفها على الزوارق . وجاءت المطاردات تنقض اثنتين اثنتين ، أو ثلاثاً ثلاثاً ، قاذفة قنابل مدافعها أو رصاص رشاشاتها على هذه السفن الصغيرة الجريئة الوقحة في جرأتها .

وحدث ما لا يكاد يصدق إذ صاح جولد برجال مدافعه : « دمروا مرقب هـذه المدمرة » ، فجاءهم صياحه يعلو على رنين الرصاص والشظايا الواقعة على درع برجه الصغير . ولم تكد تنقضى دقائق حتى أخذت المدمرة فى الانسحاب وقد أعطبت عطباً خطيراً. وشرع الزورق ٦٣٩ ، وهو يحاول أن يتجنب نوافير الماء التى تكاد تتلقفه ، فى مدّ ستار من الدخان الكثيف بين المدمرة الثانية وبين الزورقين ٦٣٣و٦٣٧ بينما هما يتأهبان لقذف طرابيدها . وكانت السفينة التجارية النازية على بعد ألف ذراع فأرسل بتلر طربيدين إلى جوفها ، وبعد هنيهة قذفت طربيدات سميث ، وإذا انفجار يصم الآذان ، وإذا السفينة النازية تتناثر مقذوفة فى الهواء قطعاً قطعا .

وجاءت الإشارة من الزورق ٦٣٩ : « انسحبوا » . ولكن بتلر وسميث ترددا لأن الزورق ٦٣٩ كان مشتعلاً . وكان جولد ملقى على مرقبه ، وقد اخترقت جانبه الأيمن من الوجه إلى الركبة قذائف الرشاشات ، وعلى أقدام منه كان الضابط الذى يليه قد قتل لساعته على أثر انفجار قنبلة قريباً منه . وكان الملازم الأول هايدن يدير السفينة وفى ظهره رصاصة .

كانت قنابل المدفع ذوات الست بوصات تخضخض ماء البحر حين اقترب بتلر وسميث من سفينة قائدهم المصابة ، لكى ينقلا منها جولد ورجاله . فصاح أحد الملاحين : « دقيقة واحدة ، فى باطن السفينة شاب مصاب » ، وبينما كان الزورقان ينتظران فى هذا الجحيم ، شق الملاح طريقه فى اللهيب والدخان ، وعاد وهو يقول ورنين الظفر فى قوله : « ها هو ذا » . أما الشاب فكانت يده اليسرى قد نسفت ، وفكه قد هشمه الرصاص ، ومع ذلك فقد تمكن من أن يبتسم من خلال الدم . وقال : «ما قولكم يا أصحاب فى قليل من المورفيا ؟ » .

وأخيراً نقل الأحياء من الزورق ٦٣٩ إلى الزورقين الآخرين ، وعندئذ هجمت أربعون مطاردة محورية ، ولكنها خابت فيما أرادت . وقد استطاع بتلر وسميث ، وقد تكدس الموتى والجرحى على متنى سفينتيهما ، من أن يروغا ويدورا متخذين طريقهما إلى سوسة ، وقد هتفوا ، حتى الجرحى منهم ، حين تمكن أحد المدفعين من أن يسقط فى البحر طائرة فوك وولف وهى تشتعل . ثم أقبل سرب من طائرات وورهوك الأمريكية فطهرت الجو من طائرات الأعداء .

« عمل لا بأس به ! » كذلك قال جولد قبل أن يدركه أجله بساعة واحدة .

« إن التنويم المغناطيسي الذي كان من قبل احتكاراً للدجالين والمشعوذين ، يسمو الآن ليصبح أداة مشرقة من أدوات الطب النفساني الحديث » .

التنويم المغناطيسي يبلغ سن الرشد

لويس ماركس ميلر

ملخصة عن مجلة « ليبرتي »

لما صار الاستهواء « أو التنويم المغناطيسي العلمي » يضيء نواحي جديدة في طوايا العقل أصبح يساعد الأطباء على أن يتبينوا الأسباب الخفية لكثير من الأمراض العقلية والجسمانيـة ، وعلى أن يزيحوا العوائق التي تقف في سبيل السعادة والنجاح .

فبالنوم المغناطيسي ينقلب مدمن السكر وهو لا يزال يعـاف الخمر ، ما عاش . أما ضحايا الوَهل (فقدان الذاكرة) فقد استنقذوا وانقشع الضباب عن عقولهم . وأما المصابون بالخفقـة (وهي المشي أو الكلام في النوم) الذين كانوا يخاطرون بأرواحهم في كل ليلة تقريباً ، فقد استقروا في أسرّتهم آمنين .

وفي كثير من الحالات، أصبح الرسامون الذين كانوا يحملقون يائسين في لوحات لم تتم بعـد ، والملحنون الذين تتبلد عقولهم كلما جلسوا إلى البيانو ، والمؤلفون الذين كان عليهم أن يدفعوا أنفسهم إلى الآلة الكاتبة دفعاً — كل هؤلاء يضطلع الآن بأعماله بهمة جديدة مبدعة .

ومنـذ أدهش أنطون مزمر العـالم « بالمغناطيسية الحيوانية » في القرن الثامن عشر ، ظل الدجالون والمشعوذون يستغلون التنويم المغناطيسي ، إلا أن الأبحاث الجليلة التي تمت خلال الأعوام القليـلة الماضية ، لم تزل تميط عنـه الترهات والأباطيل حتى بلغ رشده واستوى .

وليس ثمة شـك في أذهان الأطبـاء النفسيين البارزين أن التنويم المغناطيسي عون فعـال في عـلاج الجسم . وقد قال الدكتور « نولان د . س لويس » أحد أطباء معهـد الأمراض العصبيـة التـابع لمركز كولومبيـا البريزبتيري الطبي بنيويورك : « في كثير من المعاهد الكبيرة حيث يدرس الطب النفسـاني ويستخدم كما ينبغي ، تبين أن التنـويم المغناطيسي يفيـد في تشخيص الأمراض وفي عـلاج بعض الاضـطرابات النفسية » .

وفى معهد سبراج التذكارى فى قسم علم الأمراض فى جامعة شيكاجو قضى الدكتور « جوليان هـ . لويس» و «الدكتور ثيودور سارين » أكثر من خمسة أعوام فى دراسة « ارتداد العمر بالتنويم المغناطيسى » . وقد وجدا أن الشخص المنوم يستطيع أن يتذكر لساعته ، وقائع ومواقف من حياته الماضية فقدتها الذاكرة الواعية فقداناً تاماً .

وقد أثبتا ذلك فى معمل أبحاثهما ، تعينهما طالبة متطوعة فى التاسعة عشرة من عمرها . فشرح لها الدكتور « لويس » الغرض من إجراء هـذه التجربة ثم طلب إليها أن تضطجع على أريكة ، وتحصر ذهنها كله فى مصباح يتدلى فوق رأسها .

« والآن ، ياماری ، لقد أخذت تنامين نوماً عميقاً .. وستعملين كل ما آمرك به .. ستسمعين صوتى وحسب ، ولا شىء سواه ، فى داخل هذه الغرفة أو فى خارجها . . . استرخى ، أرخى جسمك كله . . . أنت وسنانة نعسانة . . . » وبينما جعل الدكتور يكرر هذه الجمل مرة بعـد أخرى انطبقت عينا الفتاة .

بدأ الدكتورلويس يقول : « إننا سنردك إلى عيد ميلادك الثانى عشرياماری . والآن ، اذكرى لنا ما حدث اليوم » . وظلت تستعيد جميع التفاصيل الدقيقة ، فوصفت وليمة عيد ميلادها ، وسمت من كان فيها من الأطفال ، وذكرت بكل دقة ما أكلوه .

ثم عاد بها إلى عيد ميلادها الرابع ثم الثانى ، ورجع بها إلى الثالث ، فانقلبت طفلة فى حديثها وفى ملامح وجهها . وفى روايتها عن عيد ميلادها الثالث لم تذكر أباها مع أنها ذكرته فى روايتها عن عيد ميلادها الثانى.

فسألها الدكتورلويس : «أليس بابا هنا؟»

فترددت مارى ، وانطبقت شفتاها .

« كلا. ذهب بابا. لقد صدمته سيارة قديمة»

وانتقل بها الدكتور إلى التاسعة من عمرها وبدا له أن يختبرها فى الهجاء . فأخطأت فى تهجية « معمل » و « تصريح » بيد أنها تهجتهما هجاء صحيحاً فيما بعد ، حين أدخلها الدكتور فى سن الثالثة عشرة وما بعدها .

وأخيراً أعادها الدكتور إلى عمرها الحاضر ، ثم قال لها : « حين تخرجين من غيبوبتك فلن تتذكرى شيئاً مما حدث أو قيل ، وستكونين جد جائعة ، وستشعرين بأن ثمة شيئاً فى حذائك الأيسر » .

أفاقت مارى من غيبوبتها فرحة مبتهجة . لم يكن فى وسعها أن تذكر شيئاً من الوقائع التى كانت قد وصفتها بكل وضوح . ولكن سرعان ما قالت : « إنى جائعة . لابد أن يكون موعد الغداء قد مضى منذ طويل » .

ولم يكن الأمر كذلك .

ومشت بضع خطوات ثم توقفت، وبدأت تخلع حذاءها . فضحك الدكتور وأخبرها أن هذه الفكرة إيحاء ، فزال الألم المتخيل من فوره .

وفى وسعنا أن ندرك كيف كان يتسنى للطبيب أن يتعمق فى ذكرياتها يسبرها، وينقب ببطء وعناية فى ماضيها ، لو أن الفتاة كانت مريضة لاسليمة. إن أكثر من نصف المجهود الذى يبذل فى علاج أى داء بالأساليب النفسية هو كشف العلة . والتحليل النفسى طريقة فعالة لكشف الغطاء عن الحالات الخفية ، ولكن قد يكون من الضرورى أن يستمر تقصيها البطىء عدة أشهر أو أعواماً . أما التنويم فكثيراً ما يتيسر له أن يكشف الحقائق الصادقة فى بضع ساعات .

مثال ذلك أن الدكتور لويس والدكتور سارين قد استطاعا ، منذ عهد قريب ، أن يحلا ، فى جلسة واحدة ، « عقدة » امرأة شابة كانت شراسة أخلاقها تدفعها فى طريق الطلاق . فبينا هى ترد إلى الماضى ، عاماً بعد عام ، خلال طفولتها جعل الدكتور يسألها: أكنت فتاة حلوة الأخلاق؟ فلم تزل تجيب غاضبة : « كلا ! » ، حتى رجعت إلى عامها الثالث وعندئذ قالت : « أجل ، إنى فتاة حلوة الأخلاق » . فتبين من متابعة سؤالها أنه قد ولدت لها أخت ، وهى فى الثالثة من عمرها. ومن يومئذ شعرت أنها قد أهملت ، فاستبدلت بهذا الشعور شراسة أخذت تزداد سوءاً على مر الزمن . فلما ظهرت الحقيقة سافرة تأملتها المرأة وأعانها الأطباء ، فتبدلت بأجمعها وجهة نظرها وشخصيتها .

وكان أحد العلماء الشبان الأذكياء لايكاد يشرب ماء أو يستحم حتى يأخذه تقلص خانق فى حلقه . وقد أظهر التنويم المغناطيسى أن أمه نهته ، وهو صغير ، عن أن يلعب على مقربة من حافة النهر ، ولكنه عصاها بحمقه فسقط فى الماء وكاد يغرق .

وقد أوحى إليه الطبيب أنه سيتذكر القصة كاملة بعد ما يفيق من الغيبة . وقد فعل ، فلما أدركها عقله الرشيد انقطع تقلص الحلق .

ويعرف الأطباء أن ما نسميه « عضة الجوع أو سعار الجوع » إنما ينشأ عن انقباض عضلات المعدة وانبساطها ، ولكن ما مقدار ما ينشأ من هذا عن حاجة الجسم إلى الطعام ، وما مقدار ما ينشأ عن الشهية الفكرية ؟

وقد اختبر الدكتور لويس والدكتور سارين بعد ظهر أحد الأيام بعض الطالبات اللائى لم يأكلن شيئا منذ أفطرن،

فابتلعت كل واحدة منهن كرة صغيرة موصولة بأنبوب دقيق من المطاط ، ثم نوّمت .

ونفخ الدكتور سارين فى الأنبوبة برفق حتى انتفخت الكرة داخل معدة الطالبة ، ووصل الطرف الثانى للأنبوبة بجهاز سجل انقباضات المعدة وانبساطاتها .

قال الدكتور سارين : « والآن سأطعم هيلين وجبة وهمية » .

فسئلت ، وهى منومة ، عما تشتهى أن تأكل . فوضع الدكتور سارين بين شفتيها قاماً فبدأت تجرشه . فقال لها : « أجيدى مضغه » ، فأخذت تطحنه بفكيها طحناً شديداً ، وطلبت من الحلواء فطيرة محشوة بالتفاح ، فأخذت الانبساطات والانقباضات المنتظمة تتناقص على الرسم البيانى حتى رسم القلم المسجل خطاً أفقياً . وهكذا سكنت « عضة الجوع » التى كانت تشعر بها « هيلين » ، وإن كانت لم تصب من الطعام شيئاً .

فلما أدخل الدكتوران لويس وسارين بعض التعديل على هذه التجربة ، استطاعا أن يثبتا بالبرهان بعض الأسباب العاطفية التى ينشأ عنها اضطراب المعدة . فيطعم الشخص المنوم طعاماً وهمياً ، ثم يوحى إليه ببعض كلمات « كحماة » مثلا ، ثم يأخذ الطبيب نموذجاً مما فى المعدة ، فيجد أن الحموضة فيها شديدة شدة خارقة للعادة . ثم تكرر التجربة مع إغفال كل إشارة إلى « الحماة » (أو كيفما كانت الكلمة) فيتضح بالاختبار أن الحموضة قد عادت طبيعية .

وتظهر آخر الاختبارات التى أجراها الدكتوران لويس وسارين ، وهى تجربة « السكر فى الدم » ، ما قد يكون للإيحاء التنويمى من التأثير فى الأفعال الكيميائية التى تجرى فى الجسم بغير سيطرة الإرادة عليها . إذ يقال لشخص منوم إنك تأكل سكراً ، فلو أنه أكل سكراً حقاً لامتصه الدم وبذلك يزداد مؤقتاً ما فى الدم من السكر ، ومجرد الإيحاء بأكل السكر يكفى مع ذلك لدفع أنسولين الجسم — وهو المادة التى تحول السكر إلى طاقة — إلى التأثير فى السكر الموجود . وتكون النتيجة أن يقل ما فى الدم من السكر .

وليس معنى هذا أن التنويم المغناطيسى سيحل محل الأنسولين فى علاج السكر ، بيد أنه يشير إلى بعض ما يرجى من التنويم المغناطيسى ، مما لم يكن معروفاً حتى الآن .

لقد صار النوم المغناطيسى علاجاً ناجعاً لإدمان الخمر بعد أن فشلت طرق العلاج الأخرى . وذلك أن تبين للمريض المنوم سوء مغبة الإدمان ، ثم يوحى إليه بأنه فقد شهوة الخمر . ثم تصور له صورة حياة سعيدة

حافلة بكل متعة جديدة . وقد يحتاج المريض إلى أن يستمر علاجه بالتنويم سنة كاملة مرة فى كل شهر ، حتى يزول خطر النكسة .

ويعرف الأطباء الذين يزاولون التنويم المغناطيسى العلمى أن كثيرين من الأطباء الآخرين يقرنونه بالشعوذة ، وأن عامة الناس ترتاب فى أمره . ولكن يمكن تصحيح معظم آرائهم فيه وأوهامهم عنه فى كلمات قليلة :

لا يمكن أن تنوم إذا لم ترد أنت ذلك .

فإن التعاون التام لابد منه . وإذا داخلتك الريبة فى المنوم ظللت يقظاً كل اليقظة .

تستطيع أن تستيقظ دائماً من تلقاء نفسك

حتى ولو أدخلك المنوم فى غيبة ثم اختفى إلى الأبد .

لن تجد له عواقب مكروهة فى جسمك

أو عقلك . وقد يعجز النوم المغناطيسى عن إحداث النتائج المرجوة فيك ، ولكن حالتك لن تزداد سوءا بعد التجربة .

حين تكون فى الغيبة فلن تفعل شيئاً

تعتقد أنه معيب أو مضر .

وقد أراد طبيب مشهور متخصص فى الأمراض العصبية والنفسية من أطباء مركز كبير من مراكز نيويورك الطبية ، أن يثبت ذلك لفريق من طلبة الطب المتشككين ، فأعطى مسدساً لشخص نوّم تنويماً مغناطيسياً ، وطلب إليه أن يطلق النار عليه . فما هو إلا أن قذف بالمسدس بعيداً ، واستيقظ .

وقد برهن هذا الطبيب نفسه على مبلغ قوة خلق الحياء فى الفطرة ، إذ أمر سيدة منومة بأن تتجرّد من ملابسها أمام تلاميذه ، فاستوت واقفة وفركت عينها وأفاقت من الغيبة حانقة ساخطة — هذا على أنها لم تتذكر ما قيل لها أو لماذا غضبت .

ومن المؤكد أن للتنويم المغناطيسى حدوداً كثيرة يقف عندها . وقد كتب الدكتور « ميلتون ه . أريكسون » فصلا فى عدد حديث من مجلة طبية قال فيه : « ليس للتنويم المغناطيسى أن يأتى بالمعجزات ، حتى إن بدت نتائجه فى بعض الأحايين كالمعجزات »

وقد لا يبلغ التنويم مبلغاً واحداً من شدة التأثير فى جميع الحالات ، ويبدو أن الشىء الكثير من آثاره موقوف على المريض . وقد أمكن الوصول إلى نتائج مرضية ، حين مارس التنويم المغناطيسى ذوو الدربة من الأطباء الجسمانيين أو النفسيين .

ومع ذلك فقد بلغ التنويم المغناطيسى من النجاح مبلغاً يخول لنا أن نقول إنه خرج من ظلمات الخزى والريبة ، أداةً مشرقة من أدوات الطب النفسانى الحديث .

من مآسى الحياة

ادوين پالمر

فى العهد الذى شاعت فيه موسيقى الجازبند فى مستهل العقد الثالث من هذا القرن، يوم انحلت الأخلاق وأصبح الظرف أن يكون المرء خليع العذار، سكن بجوارنا على شاطئ بحيرة متشجان شمال شيكاجو زوجان شابان متحابان يجذبان النظر، من أولئك الذين كانوا يتهافتون فى الزواج بلا روية أثناء الحرب الماضية.

وكانت الحياة الزوجية التى ينعم بها، إلى يومئذ، « فريد وكلارا » — كما سأدعوهما — إن هى إلا أشهر طويلة من فراق يبلغ منهما الجهد والإعياء، تتخللها فترات قصيرة، لا تزيد على أسبوع أو أسبوعين، تزخر بالعواطف المشبوبة فتنقضى وهما فى نشوة. وكان عليهما فى نهاية الأمر — كمعظم أبناء جيلهما — أن يستقرا ليقضيا معاً عيشهما الرتيب الممل، وأن يربطا فيما بينهما عرى التعاون خلال حياة فاترة.

ثم حدث أن تشاجرا مساء الثلاثاء بعد الاحتفال بعيد العمال فى أوائل سبتمبر من سنة ١٩١٩، وكان الخصام قد دب بينهما قبل ذلك بأشهر. ومع أن الحب كان لا يزال يربطهما، إلا أن زواجهما كان قد أشرف على الخطر، فوجدا أنه من الحماقة أن يخرجا دائماً معاً كما كان يفعل أسلافهما القدماء. فاتفقا فيما بينهما على أن يأتى، هذه الليلة، « شارل » وهو أحد الأصدقاء، ليخرج مع كلارا، وأن يخرج فريد مع فتاة تدعى « إلين ».

وقد احتسى الشابان إبريقاً كاملاً من الكوكتيل، وهما جالسان ينتظران زيارة شارل لكلارا. وشاء فريد أن يسخر من شارل فروى لزوجه نكتة تندر بها الناس عليه يومئذ، فثار النزاع بينهما مرة ثانية. ولم يكن النزاع بينهما قد بلغ هذه الليلة مبلغ الانفصام، ولكن كان يبدو أنهما مسرعان فى طريقهما إلى مدينة رينو التى يتيسر فيها الطلاق.

لم يكن صفير القطار الذى صرفهما عن نزاعهما صفيراً عادياً، فقد انطلق فجأة فى صوت وحشى، وسكت فجأة سكوتاً يثير الرعب. فما الذى حدث على شريط السكة الحديد على بعد ميل من دارهما؟ لم يكن فى وسع كلارا أو فريد أن يعلم شيئاً.

فى تلك الليــلة خرج للنزهة زوجان آخران فى مقتبل العمر هما « ولبم ومارى »، وذلك اسم كل منهما على الحقيقة، أما لقبهما فهو « تانر » .

كانا قد تزوجا قبل فريد وكلارا بزمن . ومهما يكن من أمر الخلاف الذى ينشب بينهما فإنه قد سوى وزالت آثاره منذ زمن طويل، وكان كل منهما يحب الآخر حباً جما .

وبعد أن تناول ولبم ومارى طعام العشاء اتخذا سبيلهما إلى السينما ، وفى أثناء اجتيازهما شريط سكة حديد فى مفترق الطريق ، زلت قدم مارى اليمنى فى تجويف الشريط ، وأصبحت فى مأزق لا تستطيع معه أن تخلص قدمها منه ، ولا أن تنزع قدمها من حذائها ، وفى هــذه اللحظة كان قطار سريع يقترب .

لقد كان أمام الزوجين متسع من الوقت لاجتيــاز الطريق ، أما الآن — وهى تجاهد لخلع حذائها — فلم يعد أمامهما إلا ثوان معدودات .

ولم يكن فى وسع سائق القطار أن يراهما إلا حين ظهرا فجأة أمامــه على الشريط ، فجذب حبل الصفارة ، وأوصد صمام البخار وأمسك « بالفرامل » . وكان بصره قد وقع أولا على شخصين ثم على ثلاثة ، فقد اندفع عامل الإشارة فى مفرق الطرق ليأخذ بيد مارى . وكان ولبم جاثياً على الأرض وهو يحاول فى جنون أن يفك رباط حذاء زوجه ، ولــكنه لم يتمكن لضيق الوقت . فأخذ هو وحامل الإشارة يجــذبان مارى لينقذاها ، فى اللحظة التى أقبل فيها القطار عليهم فى ضجة وصخب .

حينئذ صاح حامل الإشارة : « لا أمل ! لن تستطيع أن تنقذها » . ولقد استيقنت ذلك مارى أيضاً ، فصــاحت بزوجها : « دعنى ، ياوليم ، دعنى ! » وحاولت أن تدفعه بعيداً عنها .

كان أمام ولبم ثانية واحدة يختار فيها بين الحياة والموت، فقد أصبح من المستحيل عليه أن ينقذ مارى ، ولــكنه لم يزل يستطيع أن ينجو بنفسه . وبين ضجيج القطار المقبل ، سمع حامل الإشــارة صوته وهو يقول : « سأبقى معك يا مارى ! » .

***

وإنه لــكذب صرف أن نقول إن صفير القطار هو الذى صرف فريد وكلارا عن نزاعهما ، بل إن الحادث حال بين الناس الذين أقبلوا بعد وقوعه وبين اجتياز شريط السكة الحديد ، فكان شارلى بينهم ، غير أنه لم يحاول أن يسعى إلى منزل كلارا من طريق آخر ، بل عاد أدراجه إلى بيته واتصل بها تليفونياً .

رد عليه فريد فقال له : « أظن أنك تريد أن تحادث كلارا » فأجابه شارل بلهجة غريبة وصوت حزين : « كلا ! إننى لن أحضر يا فريد لمقابلتها. أخبرها أنت ». فلما سأله فريد عن السبب ، بدا على شارلى العجز عن إجابته ولكنه قال له : « أنت تعرف تانر وزوجته ؟ » « تانر ؟ تانر ؟ » أخذ فريد يتذكر : « آه . بلى ! أهما الزوجان الهادئان ؟ أليس كذلك ؟ » قال شارلى : « نعم .... زوجان هادئان » ! ثم أقفل التليفون .

وبعد ذلك بقليل أقبل الجيران على منزل فريد ونقلوا إليه خبر المأساة التى وقعت .

قالوا : ..... « وكان فى إمكان الزوج أن يفلت ، ولكنه أبى ذلك ، وتعمد أن يطوق زوجه بذراعيه ، ثم ضمها إلى صدره ، وقد سمعه حامل الإشارة يقول لها : « سأبقى معك يا مارى ! . فتعانقا حيث كانا . وكان القطار يلقى نوره على محياها . لقد أبى أن يتركها ! » .

إن العمل العظيم فى الميزان يرجح الأعمال التى هى أقل شأناً منه ، وإنه ليكشف الستر دون رحمة عما فيها من نقص . وقد ضرب وليم تانر بتضحيته مثلا كان ينكره بعض الناس ، كما وجه إلى المستهترين والضالين تحدياً لا يمكنهم أن يتجاهلوه . ولعل هذه القصة قد جعلت كل فتاة سمعتها تسأل نفسها : « هل جعلت أى رجل يحرص علىّ كل هذا الحرص ؟ » . وإنها لخليقة أن توجه إلى كل رجل هذا السؤال : « ما الذى تعرفه عن الحب إذا أنت لم تجد فى نفسك هذا الإحساس الذى جعل وليم يقدم على هذه التضحية » ؟

وإنى لعلى يقين من أن التغير الذى طرأ على حياة كلارا وفريد قد قام على أساس ما حدث فى تلك الليلة ، وقد تبدّلت كذلك أحوال غيرهما من المتزوجين ، حينما جعلوا يتأملون فيما أقدم عليه وليم تانر ، فأدركوا أن فى الحب الزوجى أسراراً عميقة عليهم أن يبحثوا عنها ويسبروا غورها .

لست تستطيع أن تبدى رأياً منزهاً عن الهوى إلا فى المسائل التى لا تهمك ، وهذا هو السبب فى أن الرأى المنزه عن الهوى لا قيمة له ، فالرجل الذى يرى وجهى المسألة لا يرى شيئاً .

[أوسكار وايلد]

سِيرُ العالم



إذا منح أحد المجندين الأمريكيين ، فى الجيش أو الأسطول أو فيلق البحَّارة ، وسام الشرف ، أو وسام الخدمة الممتازة ، أو صليب الخدمة الممتازة ، أو صليب البحرية ، زاد مرتبه الشهرى ريالان . أما ضباط الجيش فيزاد مرتب أحدهم عشرة دولارات كل شهر إذا منح وسام الشرف ، ولكن الزيادة تضاف إلى المعاش .

يملك سلاح الإشارة فى الجيش الأمريكى جهازاً فى حجم حقيبة السفر ، وهو جامع بين محطة لرصد ظواهر الجو ومحطة لإرسال إشارات الراديو . فإذا دفن فى مكان على ساحل العدو ، ظل ثلاثة أشهر يرسل ، مرة كل بضع ساعات ، تقارير لاسلكية عن درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوى .

صنع جهاز جديد ، يستطيع أن يذيع من تلقاء نفسه ، حالة سبعين جزءاً من أجزاء الطائرة فى أثناء الطيران . فيوضع فى طائرة جديدة قبل الطيران بها لامتحانها ، ويوضع على الأرض الجهاز المكمل للجهاز الذى فى الطائرة ، فيسجل الإشارات المنطلقة من الأول ، على أفلام وأسطوانات ، ثم يحول الإشارات الصوتية إلى مرئيات ، فى ثوان ، فيتمكن الرجال الذين على الأرض ، من تحذير الطيارين فى الفضاء ، بما قد تبديه الإشارات من خطر يحتمل أن يبدو فى أحد أجزاء الطائرة . ثم إنها تكمل ملاحظات الطيار ، ولا تضيع إذا حدث حادث ما للطائرة .

ليس بين ٨٠٠٠ صحيفة تصدر فى روسيا صحيفة ما تنشر أخبار الجرائم ، أو أعمدة القيل والقال ، أو الرسوم المضحكة .

إذا أدين أحد فى إنجلترا بتهمة بالقسوة على كلب ، حرمه القانون مدداً تتفاوت من سنة إلى مدى الحياة ، حق سلك كلب أو ترك كلب فى رعايته .

تسعون فى المائة أو أكثر ، من أنواع الأزهار فى الأرض لها رائحة كريهة ، أوليس لها رائحة على الإطلاق .

فى إحدى ضواحى لندن مصنع كبير للأدوات الكهربائية ، سعته أربعون قدماً وطوله سبعة أميال ، ذلك بأنه أنشئ فى نفق قطار من القطارات التى تسير تحت الأرض .

"ألن" سلك أطول السبل

اندريه موروا

كان أميل شارتييه مدرساً وفيلسوفاً وكاتباً
وكان علاوة على كل شىء صائغا للعقول .

كنت فى السادسة عشرة حين قابلت الرجل ، وقد مضى على ذلك أربعون عاماً تقريباً ، ولكن إعجابى بعبقريته وأخلاقه ظل باقياً لم يتغير . لقد عرفت سياسيين عظاماً ، وقوّاداً ، وكتاباً عالميين ، ولكن الرجل الذى لا يمكن أن أنساه حقاً من بين من عرفتهم جميعاً هو « ألن » .

لقد كنا نحن طلبة مدرسة روان ، متوقدين متشوقين ، يوم اجتمعنا لنبدأ الدرس معه فى ذلك الصباح من أكتوبر سنة ١٩٠١ . وكان الطلبة القدماء يقصون علينا قصصاً عن هذا الشاب أستاذ الفلسفة ، الذى كان خياله الحى يضفى على فصوله ما يميزها عن غيرها . وهو رجل ضخم عليه سيمياء الظرف والنشاط ، فدخل من الباب يخطو خطوة سريعة ثابتة ، وأخذ يرمينا بنظره لحظة دون أن يتكلم . ثم تناول قطعة من الطباشير وكتب على السبورة عبارتين مقتبستين من أفلاطون : « على المرء أن يبحث عن الحقيقة بكل ما فى وسعه » و « على المرء أن يسلك أطول السبل » .

كان ذلك بدء سنة ملأُها حركة وتوقدا ، اتصالنا بإميل شارتييه، ذلك الفيلسوف الذى كان يوقع ما يكتب باسم « ألن » . لم يكن أحدنا يدرى قط ماذا ينوى أن يفعل . كان تارة يجلس بيننا فى مقاعدنا ، ويأمر أحد الطلبة أن يقف إلى السبورة ليضع بالتفصيل مشروع مقالة . وكان تارة يهوى بيده إلى شىء فيأخذه — محبرة مثلا — ، ثم يبنى حوله فلسفة كاملة . وكان تارة

أندريه موروا كاتب فرنسى ذائع الصيت وهو مؤلف كتب « أريل : حياة شيلى » ، و « دزرائيلى » و « معجزة إنجلترا » و « الملك إدوارد وعصره » وغيرها .

أخرى يأمر أحدنا أن يقرأ من مونتين أو هوميروس ثم يقضى ما بقى من ساعتى الدرس فى تفسير النص . وكنا نجد « ديكارت » أو « كنت » صعبين مملين حينما نقرؤهما وحدنا ، فإذا هما رجلان من البشر جديدان خالدان حينما يشرحهما .

وهو لم يناقض أبداً كبار الكتاب الذين كان يعجب بهم ، إذ كان يشق عليه أن يفند آراءهم ، ولكنه علمنا أن ندرك ما احتوت عليه مؤلفاتهم من حقيقة ، وجعلنا نرى فيها أشياء لم نكن قط نراها من قبل .

لم يلق إلينا قط بعقيدة ، ليقول : « هذا هو ما ينبغى أن تعتقده » . وقد بين لنا ما لمناقضة النظريات من عظيم الخطر ، وما يعترضنا من المشقات فى كل تفكير . وكثيراً ما كان يبرهن على صحة بعض المتناقضات ببرهان لا يكاد يرد فيما يبدو ، ثم يفرض علينا أن نكشف بأنفسنا الأخطاء التى فى البرهان .

كانت له آراء خاصة ثابتة فى تعليم الشباب : فكان يعتقد أن العمل يجب أن يكون عملا لا لهواً ، وأن المشكلة التى نظفر لها بحل هى أحسن درس ، وأن الأعمال العظيمة هى وحدها التى تستطيع أن تنشىء نفوساً عظيمة ، وأنه أجدى على المرء أن يعرف أشياء قليلة معرفة تامة ، من أن يعرف أشياء كثيرة معرفة ظاهرة .

كان يعتقد أن ما ينال من العلم بسهولة ينسى بسهولة ، وأن الطالب فى فصل تسير أموره كما ينبغى يعمل أكثر من الأستاذ . فكان يقول : « ينبغى أن نسمع أصوات الصغار لا حديث المدرس » .

كان يستعمل السبورة لأن الجملة المكتوبة والعبارة المكتوبة تثبت الفكرة وتعين الذاكرة . وكان يقول : « إنهم فى الجيش لا يحاضرون أبداً عن البندقية ، بل يفرض على الجندى أن يحل أجزاءها ثم يركبها مردداً ألفاظ المدرس بعينها ، فبعد عشرين مرة يعرف الجندى ما هى البندقية ، ويصبح لديه من الألفاظ ما يعبر به عما يعرف . وكذلك أحدنا لا يمكن أن يتعلم التفكير بالإصغاء إلى رجل يحسن التفكير ، بل يجب أن يستنبط المرء حجته ثم يبرهن عليها ، ثم يصوغها ، ثم يعيد صياغتها حتى يصبح الموضوع وألفاظه جزءاً من العقل » .

قلت لألن إنى أريد أن أصير كاتباً ، فكان أول ما أمرنى به وأرشدنى إليه أن أنسخ قصة « شارتروز دى پارم » لستندهال وهى تقع فى ثمانمائة صفحة ! !

قال لى : « إن التعلم إنما يكتسب بالتقليد زمناً طويلا ، والنسخ زمناً طويلا ، كما يعلم ذلك كل موسيقى » . وقد علمنى

ألا أزدرى الأقوال السائرة . قال : « إن الحمق وحدهم هم الذين يظنون أنهم يصبحون مبتكرين إذا ما أهملوا آراء الأجيال التى سبقتهم ، فالابتكار هو أن تحسن صياغة الأقوال السائرة » .

كان يحثنا على أن نوضح أبحاثنا الفلسفية بأمثلة مشتقة من الحياة نفسها فيقول : « يجب أن تكون أقوالكم مليئة بالأحجار والمعادن والمقاعد والمناضد والحيوانات والرجال والنساء . إن الأسلوب المجرد ساقط دائماً ، والأمثلة المحكمة هى وحدها الخليقة بأن تنشىء الأسلوب » . وكان يقول : « يجب أن نعرف أيضاً كيف نجعل لما نكتب حداً ينتهى إليه ، فمن السهل دائماً أن تكون مسهباً ، ولكنك تحتاج إلى زمن حتى تكون موجزاً » . وكان أحياناً يكافئنى أن أكتب فى موضوع صعب خمسين سطراً معدودة ، فيكتب على هامش كتابتى : « أوجز وركز وانته برأى قاطع » .

كانت مواهبه الفلسفية حافزة لنا حفزاً مدهشاً ، فلم يكن يطلب منا أن نفكر فى موضوع مجرد ، بل كان يأتينا بمثل هذه المشكلة : « مومس صغيرة السن تهم أن تقفز من الجسر إلى السين ، فيراها فيلسوف كان يعبر الجسر فيمنعها . اكتب ما يجرى بينهما من حديث » ، أو « اكتب محاورة بين خادم كنيسة وبين رئيس فرقة للمطافىء عن وجود الله » .

كنا نعلم أنه ذو جرأة عقلية ، فكان يقول : ينبغى ألا يؤذن لأية قوة على الأرض فى أن تهدم الحرية الشخصية الذاتية التى هى حق مكتسب لكل فرد منذ ولد . وقد أعطانا يوماً ما دليلا ساطعاً عن استقلاله : ذلك أن الأساتذة الفرنسيين هم خدام للدولة ، يفاجئهم المفتشون بين وقت وآخر ليقرروا أهم أهل للترقية أم ليسوا لها بأهل؟ وقام ألن يخبرنا يوماً ما ، لِمَ استهجن الرتب والنياشين فقال : « إن هذه اللعب تجعل للدولة سلطاناً شديداً على الفرد ، وإن عليها لوصمة من الرشوة . وكيف يستطيع الرجل الذى يتلهف إلى وسام أو نيشان لا يمنحهما إلا الوزير وحده ، أن يعيش حراً غير مقيد فى فعله أو تفكيره ؟ » .

وفى هذه اللحظة فتح الباب ودخل مفتش ، رجل عليه أبهة وبهاء ، وعليه زينة حافلة من الأوسمة . فنظر بعضنا إلى بعض ، أيتابع ألن حديثه فى هذا الموضوع الخطير أم تراه سيختار السلام ، إذ قد يصبح مستقبله مهدداً بالخطر ؟ وحيى ألن المفتش بأدب ثم قال فى هدوء : « كنت أبين لهم لماذا أستهجن الأوسمة » . فسرّى عنا ، فإن ألن لم يزل هو ألن . ويجب أن نذكر

المفتش بالخير ، فإن شجاعة ألن لم تحرمه إعادة تعيينه فى العام التالى .

ولما أتممت دراستى فى مدرسة روان أردت الذهاب إلى باريس لأبدأ عملى فى الكتابة ، ولكن والدى كان يخشى على الذهاب إلى مصنعه فى نورمانديا . وقد أدهشنى أن وافق ألن على ذلك . قال لى : « إذا بدأت حياتك كاتباً فلن تعرف شيئاً عن الناس وعن الحياة . سوف تنغمس فى هذه الحياة التى زيفتها هذه الفئة القليلة من المفكرين فى أندية باريس وصالوناتها ، وهذا ما لم يفعله أحسن كتاب القصص . كان بلزاك مسجل عقود ، وكان ديكنز وكبلنج مخبرين للصحف، وكان ستندهال وتولستوى ضابطين ، وكان كونراد بحاراً ، فإذا ماذهبت إلى مصنع فستعرف موظفين وعمالا وستجرب العمل الشاق . وبالاختصار ، فإنك ستحيي ، وما يحق لك أن تصور الحياة حتى تحيي » . وقد اتبعت نصيحته ولم أندم على ما فعلت أبداً .

أخذ يدرس ألن بعد ذلك فى مدرسة هنرى الرابع ، وهى تكاد تكون أحسن مدرسة فى باريس ، فكنت أزوره فى مسكنه الصغير كلما ذهبت إلى باريس . وكان البيانو أهم شىء فى بيته ، إذ كان موسيقاراً بارعاً ، ولم يكن عنده غير قليل من الكتب .

وظل احتقاره للأوسمة شديداً كما كان ، فقد كانت أقدميته ترشحه لنيل وسام من الأوسمة . ولكنه ظل وفياً لمبادئه فرفض وسام الصليب . وكان سهلا عليه أن يصير أستاذاً فى السوربون ، ولكنه لم يحاول مطلقاً أن يخطو ما ينبغى من الخطوات فى ذلك السبيل .

وأعلنت الحرب فجأة فى عام ١٩١٤ ، وألن يومئذ فى نحو السابعة والأربعين من عمره ، فلا شىء عليه إن لم يذهب إلى القتال ، ولكنه تطوع جندياً فى المدفعية ، فكان جندياً بارعاً شجاعاً مطيعاً كل الطاعة ، ولكنه لم يتخل لحظة قط عن روحه التى لا تقهر . وربما كان هو الرجل الوحيد من بين من هم فى مثل سنه ومنزلته ، الذى تطوع ليكون جندياً من الجنود فى القتال . وقد رفض كل رجاء فى أن يقبل أن يتولى عملا ما ، لاعتقاده الراسخ أن السلطان يضر من يتولى تنفيذه . وكان يشعر أنه يستطيع أن يسدى إلى بلده خدمة جليلة ببقائه فى صفوف الجنود كأنه مراقب صارم على السلطان . وقد استمر يقاتل ، فى الوقت الذى كانت فيه السيادة المطلقة للقوة ، لكى يحافظ على الشرف الإنسانى وحرية الفكر الفردى .

وقد جعلته الأعوام الأربعة التى قضاها

فى الخنادق رجلا مسناً ، فخرج من الحرب مصاباً بروماتزم وعرج ، ولـكن عقله وروحه ظلا نشيطين دائماً ، فدرس الفلسفة خمسة عشر عاماً أخرى فى الليسيه ، وذاع صيته وصيت دروسه .

وكنت مقيماً فى باريس ، فكلما ذهبت لأرى ألن جلنا معاً خلال حـدائق اللوكسمبورج ، وكلما نشرت كتاباً قدمته إليه على استحياء مترقباً حكمه كما كنت أفعل أيام دراستى ، فكنت أجده يسر أحياناً . فلما قدمت إليـه حياة دزرائيلى ثم حياة شاتوبريان قال : « لقد أتقنته غاية الإتقان » ذلك هو كل ما قاله ولـكنه ملأنى سعادة وفخراً . وكنت أجده عنيفاً أحياناً أخرى وقـد قال لى : « لم تحسن ما كتبت » ، وكنت على ثقة بأنه كان على حق .

وأخيراً اعتزل ألن الخدمة ، إذ كان مريضاً لا طاقة له على المشى . فلما وقع أسيراً فى مقعده كان كأنه شجرة ضخمة من البلوط قد اقتلعتها العاصـفة ، ولـكنه ظل يتحمل آلام بدنه بأسـلوب فلسفى ، فقد استمر يكتب ، على ما كان يعانى من ألم شديد ، فأعـد منذ بدأت الحرب عشرين كتاباً فى الفلسفة والأدب ، وعنوان آخرها « مع بلزاك » . وقليل منا يؤمن بأن مؤلفات ألن ستنال بعـد مائة عام تقديراً عظيماً أكثر مما نالته المؤلفات التى تعـد اليوم من روائع الأدب .

لقد كنت سعيداً حينما قال لى أسـتاذ أمريكى للفلسفة ، منذ زمن غير بعيد : « هل تعلم أن فرنسا وطن رجل عظيم ، يكاد يكون غير معروف ، هو كاتب يوقع ما يكتب باسم ألن » .

قلت : « إنه ليس مجهولا . إنه معروف بين هؤلاء الذين هم أهل لأن يعرفوه ! » .

ولما انتخبت فى العام الماضى للأكاديمية الفرنسـية ، سألنى الصحفيون عن رأيى فى الذى نلته من شرف جديد ، فقلت لهم : « لشد ما يدهشنى أن أنال شرفاً حرم أن يناله غيرى ممن هم أحق به منى » ، وكنت ساعتئذ أفـكر فى ألن ، ولـكنى أعلم أنه لو عرض على أسـتاذى القديم مثل هـذا التشريف لرفضه كما رفض كل تشريف آخر .

● الجمال للمرأة — كالمال للرجل — قوة وسلطان ! [دوروثى ماى]

● القاعدة الأولى فى الجدال : — الامتناع عن الرد خير من التأخر فيه .

أسئلة خاصة بالولادة

جستنا بالمسر

مختارة من مجلة « فـوج »

كم تعلم من أحدث المكتشفات العلمية فى مسائل الولادة ؟ لعلك تسخر من زعم الأمهات العجائز : أن وضع سكين ماضية تحت فراش المرأة يسهل ولادتها ، ومع ذلك فقد تصدق عدة خرافات أخرى عن الحمل لا تقل عن تلك الخرافة سخافة .

ترى هل تستطيع أن تميز الحقائق من الخرافات فى الأقوال التالية ؟ إن استطعت فأنت ، ولا ريب ، واسع الاطلاع .

١ — المواليد من الذكور فى زمن الحرب أكثر منهم فى زمن السلم .

هذا صحيح . فإن نسبة المواليد من الذكور إلى المواليد من الإناث تزيد فتصبح ١١٥ إلى ١٠٠ فى زمن الحروب .

٢ — إذا كانت الأم هى أقوى الزوجين خلقاً فالأرجح أن يجيء المولود ذكراً .

هذا وهم . فإن أخلاق الوالدين ليس لها تأثير ظاهر فى جنس المولود .

٣ — إن هناك وسيلة مضمونة تعرف بها المرأة ، أهى حامل أم لا ، فى خلال العشرة الأيام الأولى .

هذا صحيح . فإن الاختبار المعروف باختبار « اشهايم زونديك » لا يكاد يخطئ أبداً . وهذا الاختبار يستند إلى حقيقة معروفة ، هى أن بعض أنوار « هورمونات » الغدة النخامية توجد منها مقادير كبيرة زمن الحمل فى السوائل التى يفرزها الجسم . فإذا أخذ بعضها وحقنت بها فأرة أنضجت خلايا بيضها بسرعة ، وبعد الحقنة ببضعة أيام يشق جسم الفأرة ويفحص المبيض . ويمكن الاعتماد على هذا الاختبار لمعرفة الحمل فى نهاية الأسبوع الأول من بدئه .

٤ — إن المرأة التى قد جاوزت الخامسة والعشرين تكون معرضة للخطر حين تضع طفلها الأول .

هذا وهم . فإن نسبة الوفيات بين المواليد والأمهات ، أعلى حين تكون الأمهات دون

العشرين وفوق الخامسة والثلاثين . وفيما بين هذين العمرين يولد الطفل ولادة سهلة مأمونة .

٥ — إن الطبيب يستطيع ، فى أشهر الحمل الأخيرة ، أن يعرف جنس الجنين ولا يخطئ ، بالاستماع إلى نبضات قلبه .

هـذا وهم . فما من أحـد يستطيع أن يتكهن بجنس الجنين على وجه التحقيق .

٦ — المولود الذكر هو عادة أرق وأضعف من الأنثى بعد الولادة ، واحتمال اجتيازه الأشهر الأولى من حياته ، أقل .

هذا صحيح . فإن الأطفال الذكور الذين يموتون فى السنة الأولى من حياتهم يزيدون عشرين فى المائة على الأطفال الإناث .

٧ — إن من الممكن جعل جسم الجنين أصغر ، بتقرير غذاء خاص للأم فى أثناء الحمل ومراقبته .

هـذا وهم . فإن أحدث الآراء هو أن غذاء الأم لا أثر له فى حجم الطفل عند الولادة .

٨ — إن شرب الأم الخمر فى زمن الحمل أشد خطراً على الطفل من شربها فى زمن الرضاعة .

هـذا وهم . فإن شرب الخمر فى زمن الرضاعة مضر بالصحة . والأطباء لم يجمعوا بعد على أن شرب المقادير الخفيفة منها فى زمن الحمل يؤثر فى الجنين أى تأثير .

٩ — الأمل فى حياة الطفل إذا ولد لسبعة أشهر ، أعظم من الأمل فى حياته إذا ما ولد لثمانية أشهر .

هذا وهم . فكلما دنا الجنين من مدة نموه التامة الطبيعية كان الأمل فى بقائه أعظم .

١٠ — الطفل الأول أقرب إلى أن يولد قبل تمامه ، ممن يأتى بعده .

هـذا وهم . لا فرق بين الطفل الأول والأطفال الذين يلونه فى هذا الأمر .

١١ — آلام المخاض التى تعانيها الأم فى ولادة الذكر أشد مما تعانيه فى الأنثى .

هـذا صحيح . لأن جسم الطفل الذكر أكبر عادة من جسم الأنثى فولادته أعسر ، فسبب العسر هو حجم المولود لا جنسه .

١٢ — ينبغى للحامل أن تأكل نصيب اثنين .

هـذا وهم . فإن الإفراط فى الأكل قد يزيد فى وزنها ، وزيادة الوزن قد تؤدى إلى التسمم .

١٣ — إذا بلغت المرأة سن اليأس كانت أقرب إلى أن تحمل ، مما كانت فى أى سن من عمرها السابق .

هذا وهم ، إذ لا تعرف على وجه التحقيق إلا حالات قليلة جداً حملت فيها بعض النساء اللواتى لم يحملن من قبل ، حين بلغن أواخر سن اليأس عند انقطاع الحيض .

١٤ — إن نحو نصف حالات العقم بين المتزوجين قابلة للشفاء .

هذا صحيح . فقد تقدم العلم كثيراً جداً في هذا السبيل ولا سيما في السنين الأخيرة .

١٥ — الأغلب في مسائل العقم أن تكون المرأة هي العقيم لا الرجل .

هذا صحيح . فإن عقم الرجال هو سبب انقطاع النسل في ٣٠ إلى ٥٠ في المائة من مجموع الحالات التي يعلم بها الأطباء .

١٦ — أصبحت الولادة بلا ألم في وسع كل أم الآن ، وذلك بفضل تقدم علم الطب في الأشهر الأخيرة .

هـذا وهم . فإن الوسائل الحديثة التي تساعد على الوضع بلا ألم لا تتوافر إلا في أحـدث المستشفيات ، حيث يتولاها أقدر الأطباء المولدين الذين مرنوا عليها .

١٧ — إذا استبد الوحم بامرأة حامل فاشتهت طعاماً ما ، فيجب أن يبذل كل جهد لإنالتها ما تشتهيه ، لأن الوحم دليل على حاجة طبيعية شديدة .

هذا وهم . إذ قلما تتوحم المرأة وتشتهي مادة لا تكون موجودة في غذائها . وكثيراً ما تكون شهوتها هستيرية . وليس من الضروري بأية حال أن تأتيها بالمادة المشتهاة في الحال ، فلن يضرها تأخيرها إلى غد .

١٨ — الإجهاض ، وإن لم يكن قانونياً ، أقل خطراً على المرأة من الوضع .

هـذا وهم . فإن عـدد الذين ماتوا في الإجهاض يزيد على عشرة أضعاف عدد من مات في الولادة .

١٩ — المتقدمات في السن أقرب من الفتيات إلى أن يحملن التوائم .

هـذا صحيح . فإن ولادة التوائم تأتي — لسبب ما — حين تكون المرأة قد جاوزت الخامسة والثلاثين . والشقراوات أكثر حملا للتوائم من السمراوات .

٢٠ — جنس الجنين يتقرر في اللحظة التي يتم فيها الحمل .

هـذا صحيح . فالنطفة نوعان : أحـدهما ينشئ الذكور والآخر ينشئ الإناث . والاتفاق المحض هو الذي يجعل أحد ذينك النوعين يتحد بالبيضة ساعة الحمل .

٢١ — الأم لا تحمل في زمن الرضاع .

هـذا وهم . فإن هنالك حوادث كثيرة تم فيها الحمل في زمن الرضاع .

٢٢ — قد يفضي التمادي في استعمال موانع الحمل إلى أن يستحيل على المرأة أن تحمل ما عاشت .

هذا وهم . فإذا لم تستعمل المرأة موانع حمل كيميائية شديدة التأثير ، أو وسائل ميكانيكية تمزق الأنسجة ، فلن يحيق بقدرتها على التناسل ضرر .

٢٣ — من المحتمل أن يعيش الأطفال الذين يولدون ، وبين كل منهم وبين الذى يليه ، فترة سنة ، كما لو كان بين كل منهم وبين الذى يليه ، فترة سنوات .

هذا وهم . فإذا كانت الفترة بين ولادة طفلين أقل من سنتين كانت نسبة الوفيات أعلى مرة ونصف مرة مما لو كان بين الطفلين فترة أطول .

٢٤ — أطفال الآباء الناضجين فى السن هم أذكى من أطفال الآباء الأحداث الصغار .

هـذا وهم . فإن كل فائدة يستفيدها الطفل من والديه الناضجين فى السن إنما يستفيدها بعد الولادة لا قبلها .

٢٥ — إذا أصابت الحامل صـدمة شديدة فقد تترك أثراً فى مولودها .

هـــذا وهم . فقد أثبت الأطباء فساد النظرية القـائلة بأن ما يؤثر فى الوالدة فى زمن الحمل يؤثر فى جسم الجنين .

٢٦ — لبن الأم ليس أفضـل للطفل من تغذيته طبقاً لوصفة طبيب .

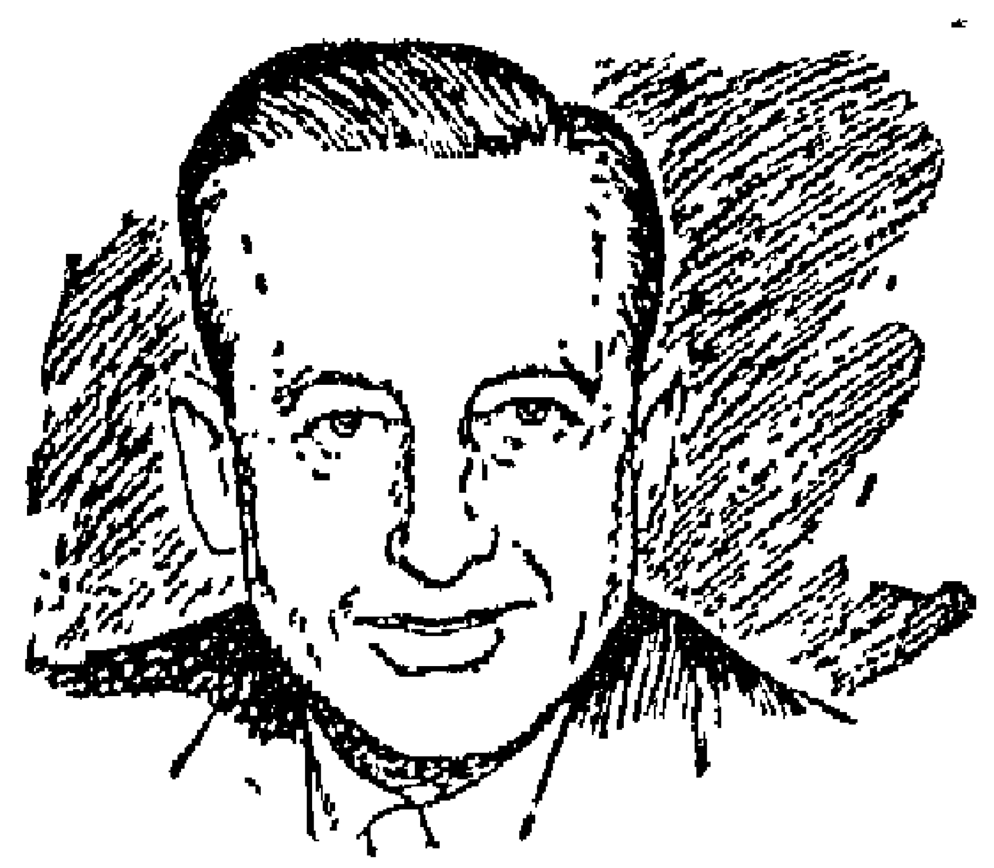
هـذا وهم . فإن الاطبـاء يعتقدون أن الطفـل الذى يرضع ثدى أمه أحرى أن يكون أسلم بدناً وصحـة من الطفـل الذى يرضع « الزجاجة » .

٢٧ — إن مدة تهيؤ المرأة للحمـل لا تزيد على ثمان وأربعين ساعة فى الشهر .

هذا صحيـح . وبعض الأطبـاء يقول إن تلك المدة لا تزيد على اثنتى عشرة ساعة .

فرصة العمر

هجم كلب على سيدة فعضها ، فذهبت إلى طبيبها ففحصها وأشار عليها بكتابة وصيتها لأن الكلب مصاب بالسعار (الكلب) وقد تموت سريعاً بهذا الداء ، فقضت فترة طويلة والقلم بيدها تدون به على الورق ما تشاء ، فسألها الطبيب : ألم تسهب فى كتابة وصيتها ؟ فردت متعجبة : « وصيتى ! ! إننى أكتب أسماء الأشخاص الذين أود أن أعضهم » .



السلم في عالم سعيد

كلمة إلى البريطانيين

إريك . ا . جونستون

أمريكي يتحدث عن أمريكا والأمة الأمريكية، وعما تريد بذله من معاونة في تنظيم العالم بعد الحرب .

أول شيء يجب أن نذكره حينما نفكر في الولايات المتحدة ، وعلاقاتها بدول العالم ، هو تلك النعرة الإقليمية المدهشة ، السائدة فيها . فنحن وإن كنا أمة واحدة ، غير أننا أمة تتألف من أقاليم تغلي غيرة وحماسة، وأقسام قد انطوت في وطنية خاصة .

لقد جئت من بلدة سبوكين بولاية وشنطن في أقصى الشمال الغربي من الولايات المتحدة . وما أبعد سبوكين عن لندن ! بل ما أبعد لندن عن سبوكين ! كما يقول الأمريكيون . ومن أهل بلدتي سبوكين من لا يكتفي بأن يسمي إقليمه مجرد إقليم ، بل يسميه إمبراطورية ! فحقول القمح الواسعة ، والبساتين الناضرة ، والجبال الشاهقة ، والشلالات الضخمة الرائعة ، والغابات الكثيفة ، تنطق ألسنتهم بالمبالغة في وصفه والثناء عليه .

غير أن هذه المزايا التي يوصف بها القطر الشمالي الغربي ، لا تلقى غير السخرية والاستهزاء من سكان « فورت ورث » في ولاية تكساس . و « فورت ورث » هي عند أهلها إمبراطورية : إمبراطورية غرب تكساس العظمى ! وربما كانت فورت ورث هي وطن ذلك الرجل الخالد، الذي تحدث قبل وقوع كارثة بيرل هاربور. فقال : « لئن خاضت الولايات المتحدة هذه الحرب ، فإن تكساس ستخوض غمارها أيضاً ! » . وهذه العاطفة الإقليمية ، التي لا يخلو منها مكان في الولايات المتحدة ، قد ثبتت ، بفضل نظامنا الاقتصادي والسياسي ، الذي يختلف عن نظامكم من عدة وجوه .

فنظامكم المالي يجعل مملكتكم أدنى إلى أن تكون وحدة . فمصارفكم الكبيرة لها

إريك جونستون أحد كبار رجال المال والأعمال في أمريكا ورئيس الغرف التجارية الأمريكية . وهذا لباب خطبة ألقاها في لندن في جمعية غرف التجارة البريطانية ، وفيها تتجلى صراحته وجرأته

فروع فى جميع أنحاء بريطانيا . أما نحن فإن لنا فى كل مكان مصارف مستقلة قوية. وجرائد لنـدن منتشرة يطالعها الناس فى جميع نواحى المملـكة ، أما الأمريكيون الذين لا يسكنون وشنطن فقلما تجد بينهم من يتابع قراءة الصـحف التى تطبع فى عاصمة بلاده . ومحطات الإذاعة عندكم تملكها وتديرها جميعاً هيئة أهلية واحدة ، وهى شركة الإذاعة البريطانية،أما محطاتنا فيملكها الأفراد ، ولدينا منها مئات ، يدير كلا منها مالك مستقل .

وحكومتكم القومية تتمتع بالسيادة التامة والنفوذ المطلق . وفى وسـعها أن تفعـل ما تشاء ، أما حكومتنا فلا ، إذ ليس لهـا من السلطان إلا ما منحه الناس إياها . وإن أعرق مادة فى دسـتورنا هى أن « سـائر السلطات تظل ملكا للولايات أو للأمة » .

فالسلطة التى «تمنح» السلطة للحكومة ، والسلطة التى «تمنع» السلطات عن الحكومة، وأكبر من هذا كله : السلطة التى «تسترد» السلطة من الحـكومة — هذه هى دعامة الحياة السياسية فى أمريكا . أضـيفوا إلى هذا ما ذكرته من قبل عن النعرة الإقليمية، وتوزع القوى المالية ، وتشتت قوى الإذاعة والصحافة . فما الذى يخرج لنا من هذا كله؟

يخرج لنا رجل أمريكى شديد الريبة فى سلطة مركزة فى أى ميدان من الميادين ، فنراه أبداً يشن الحرب على كل احتكار يقوم به الأفراد وعلى تحكم السلطات العامة.

وهذا الأمريكى سيكون شأنه فى الأمور الدولية كشأنه فى أمريكا. إنكم لن تستطيعوا أن تغيروا «النقط» التى فى جلد النمر ، بأن تضعوه فى إحدى حدائق الحيوان . ومن المغالطات البالغة الضرر — التى ينادى بها رجل يدعى لنفسه العمل على إصلاح العالم — زعمه أننا إذا أسكنا عدداً من الأسود والنمور والظباء والفيـلة فى قفص دولى واحد ، فلن تلبث قليلا حتى تتوالد فتلد حيواناً دولياً من نوع واحد .

أريد الآن أن أوجه نظركم إلى ثلاث من تلك « النقط » ، التى يمتـاز بهـا الأمريكيون ، فإن لهـا فى الشئون الدولية خطراً عظيما .

أولهـا : أن كل أمريكى يؤمن إيمـاناً لا يتزعزع ، بأن بلادنا قد استطاعت أن تؤلف من أجناس متعـددة جنساً واحداً جديداً . ومعنى هذا أنه يجب علينا وعليكم أن نقضى على كل تلك العبارات الجوفاء ، التى تنادى بأننا جميعاً من دم واحد ، وأن قرابة الدم فوق كل قرابة ، وأن «شكسبير» قد كتب «هملت» باللغة الإنجليزية . فنحن نعلم أن القانون الذى سنه برلمانكم فدفع

المستعمرات الأمريكية إلى الثورة كان أيضاً مكتوباً باللغة الإنجليزية ، ونعلم أيضاً أننا معشر الأمريكيين قد قضينا زمناً طويلا ، لم نشن فيه حرباً ذات شأن إلا عليكم ، ولم يكن لنا في الميدان الدولي خصم غيركم .

ولأذكر لكم حادثة متصلة بالإقليم الذي أنتمي إليه ، والذي كان يدعى فيما مضى بإقليم أوريجون ، فإنكم ادعيتم ملكيته ، لأن سر فرانسس دريك قد ألقى عليه نظرة في إحدى رحلاته . ونحن ادعينا ملكيته لأن الأميرال جراي دخل بسفينته أحد أنهاره . وبعد لأى اتفقتم وإيانا على احتلال مشترك ، وحكومة مشتركة لهذا الإقليم . فانظروا ماذا حدث بعد ذلك !.

كنا نحن وأنتم في ذلك الوقت أقرب منا اليوم إلى أن نكون أبناء جنس واحد ، ومع ذلك عجزنا عن أن نشترك في احتلال إقليم أوريجون وحكمه ، فكانت محاولة خائبة كل الخيبة ، بل زادت في أسباب الخصومة بيننا . وحين نهض جيمس بولك ، ورشح نفسه رئيساً للولايات المتحدة ، على أساس أن يطرد البريطانيين من إقليم أوريجون بقوة السلاح ، كان نداؤه إلى حربكم أحب إلى الناس من بيان شكسبير ، وقد اختارته الأمة رئيساً . وكان من الجائز أن تشتعل بيننا نار الحرب لولا أن المقادير لم تلبث أن قذفت به في قتال المكسيك ، فقرر ألا يحارب بريطانيا وبلاد المكسيك في وقت واحد ، ولذلك صالحكم .

هذه الحادثة تكشف عن شيئين : أولهما أن الإحتلال المشترك والحكم المشترك في أي أرض شيء غير عملي . والأمر الثاني أن من الممكن أن يقوم النزاع والخصام بين شعوب تجمعها قرابة الدم ، كما يقوم بينها وبين شعوب أخرى .

والآن اسمحوا لي أن أتكلم بمنتهى الوضوح : أنا من الأمريكيين الذين يريدون أن يكون بينهم وبين بريطانيا صداقة متينة وتعاون وثيق ، فإذا افترقنا فمن الجائز أن نصبح أعداء ألداء ، وإذا تكاتفنا أمكننا بفضل مالنا جميعاً من الصناعات والصادرات ورءوس الأموال أن نغدو أكبر قوة في العالم تستطيع أن ترفع جميع الأقطار إلى مستوى أعلى في أمور ثقافتها ورفاهيتها .

ولكنا لن نقدر أن نتعاون على أساس عاطفة الجنس والسلالة . ولئن كنا نبغض الشعوبية عند الألمان ، فما أجدرنا أن نبغضها من أنفسنا أيضاً . غير أننا نريد — ونستطيع — أن نتعاون ، إذا جعلنا هدف هذا التعاون رقى العالم كله .

والآن انتقل إلى النقطة الثانية في جلد هذا النمر الأمريكي . فالأمريكي — كما قلت

من قبل — يعارض بكل عنف أى احتكار مصطنع ، أما حيث يكون التنافس أمراً طبيعياً ممكناً فالأمريكى يسعى إليه ويجاهد فى سبيل تأييده بكل قواه .

ولا ريب فى أن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة بين جميع دول العالم التى سنت القوانين الصارمة مراراً لمحاربة الاحتكار والأساليب التجارية المصطنعة . وشرائعنا تحرم أشد التحريم تلك الأساليب الشائعة عندنا ، مثل تقسيم الأسواق ، وتخصيص المنتجات ، وتحديد الأسعار على يد الهيئات التجارية . ولهذا كان من المستحيل على أى أمريكى أن يعدكم بصدق وإخلاص أن يتعاون معكم فى أى نظام احتكارى عالمى ، فإن شرائعنا تنفر منه ، وطبائعنا تمقته . والأمريكى يسميه «الاستعمار الاقتصادى » ، ويعارضه أشد المعارضة .

وهو أيضاً يعارض الاستعمار السياسى أشد المعارضة . وكل ما أعلنه الرئيس روزفلت من سياسة « حسن الجوار » نحو أمريكا اللاتينية ، لم يكن مجرد نزعة شخصية . فمن قبل هذا بدأ الرئيس كوليج سياسة حسن الجوار بأن سحب قواتنا البحرية من سانتو دومنجو ، ثم سحبت أيضاً من هايتى ومن نيكاراجوا . كذلك قد تنازلنا لحكومة كوبا عن حقنا ، بمقتضى المعاهدة بيننا ، فى أن نتدخل فى شئونها . ولقد تعهدنا للفيليبين بأن تنال استقلالها التام فى تاريخ محدد . وليس هنالك أدنى شك فى أننا الآن فى حالة تقهقر تام عن تلك السياسة الاستعمارية ، التى أوقعتنا فيها الحرب الإسبانية ، والرئيس ماكنلى . وليس بين الأمريكيين من يريد العودة إلى تلك السياسة مهما يكن من شىء .

ليس معنى هذا أن الأمريكيين يريدون أن يملوا عليكم ما يجب أن تعملوه فى الإمبراطورية البريطانية ، ولا أن يبدلوا أساليبكم الاقتصادية أو السياسية فى الميدان الدولى . ولكنهم أيضاً لا يريدون أن يبدلوا من أساليبهم ، ولا أن يمارسوا أو يشجعوا سيطرة شعب على شعب ، سيطرة سياسية أو اقتصادية . ولكن ليس فى الولايات المتحدة من يريد أن ينشىء فى العالم فجأة سماء جديدة وأرضاً جديدة ، اللهم إلا عدداً من المتطرفين النظريين ، الذين لا يعبرون إلا عن رأيهم . أما سائر الأمريكيين ، فيريدون أن يبدأوا والأمور كما هى الآن ، ثم يبحثوا عن وجوه التعاون الممكنة بين البريطانيين والأمريكيين . ومن الممكن أن يتم هذا التعاون ، دون أن يمس أحد الفريقين أذى ، وفى هذا نفع للطرفين كليهما ، بل لسائر الشعوب أيضاً .

ويخيل إلى أنى أرى فرصة خليقة بقيام التعاون بيننا على هذا النمط حينما أفكر فى النقطة الثالثة التى تمثل خصائصنا . فالأمريكى بطبعه مولع بالمشروعات الواسعة الضخمة والدعاية لها بمنتهى الجد والعزيمة . ومن الممكن أن يوجه هذا الولع وجهة دولية ، والواقع أن فى أمريكا اليوم اهتماماً كبيراً بالتفكير فيما يمكن عمله لتنمية القدرة على الكسب — ومعها القدرة على الشراء — فى جميع أقطار العالم التى لا تزال مقدرتها الشرائية ضئيلة .

فإنكم لن تستطيعوا أن تبيعوا كثيراً من ماكينات الخياطة لمزارعى بوليفيا مثلا، مالم يكن فى بوليفيا نهضة اقتصادية قوية ناجحة. لهذا نرى كثيرين من رجال الأعمال فى أمريكا اليوم لا يفكرون فيما يستطيعون بيعه إلى بوليفيا فقط ، بل يفكرون أيضاً فيما يجب عمله لكى تنهض بوليفيا نهضة اقتصادية قائمة على أكتاف أبنائها .

ومن الممكن أن نستبدل باسم بوليفيا ، اسم ثلاثين دولة أخرى على الأقل ، يعوزها مثل تلك النهضة . ورجائى أن تتذكروا أننى لا أعنى بكلامى هذا القيام بمشروعات للاحسان أو عمل المعروف نقدمها للشعوب التى يسمونها الشعوب المتأخرة . لست أريد أن أجعل هذه الشعوب بمنزلة القصر تحت وصاية الشعوب الكبيرة . ومع استنكارى أن تستبد بهم قوة اقتصادية لتستغلهم ، فإنى أستنكر أن أرى قوة اقتصادية تداجيهم وتتلطف لهم لكى تورثهم الفقر .

إن أقاليم العالم التى لم تتم نهضتها فى حاجة إلى أموالنا الأمريكية والبريطانية ولكنها تريد أن تشترك معنا بمالها ورجالها . وفى أثناء رحلتى الأخيرة إلى أمريكا الجنوبية ، قابلت من رجال الأعمال رجالا بعد رجال فى بلد بعد بلد ، وكلهم أدلى باقتراح لا يكاد يختلف وهو :

« إننا فى حاجة إلى النصيحة الفنية ، وإلى المساعدة ، وإلى مال يدخل علينا من الخارج . ولكن لدينا نحن أيضاً أموال ، ونريد أن نشترك أموالنا وأموالكم ، لكى ترتفع بلادنا من مرتبة المستعمرات الاقتصادية، إلى بلاد لها كيانها الاقتصادى المستقل »

أنا لا أرهب مثل هذا الكلام ، بل أرحب به ، فكل قطر من الأقطار تزداد مقدرته على الشراء كلما ارتقى فى سلم التطور الاقتصادى . وأنتم فى بريطانيا خير برهان على هذا . وها أنتم أولاء من أعظم أقطار العالم تقدماً فى الصناعة ، ومع ذلك فأنتم فى طليعة المشترين منا .

إن لدينا اليوم من رءوس الأموال ما يربى على ما عندكم ، ولكنكم أكثر منا خبرة بإدارة الأموال ، وبالأسواق المالية

الدولية ، وباختلاف العملة وأسعارها . أنتم أكثر منا مهارة ، ونحن أوفر ثروة ، فهلم نجمع بين الميزتين ، ونستخدم القوتين ، وذلك بالشروط الآتية :

إن رأس المال المستخدم يجب أن يكون ملكا للأفراد ، وأن يكون حراً ، وأن يكون قابلا للمنافسة . ومع أنه خليط أموال أمريكية وبريطانية ، فإنه يجب أن يفسح فيه المجال لاشتراك جميع الأموال المحلية ، التي تريد المساهمة في الاستثمار . وفي النهاية يجب على هذا النشاط المالي ألا ينفر ، بل يجب على أصحابه أن يبتهجوا، يوم يصبح ذلك البلد قادراً على أن يقف وحده في الميدان .

إنني واثق بأن في هـذه المبادئ مجالا تتحد فيه جهودنا وجهودكم ، ومن المؤكد أن هـذه الخطة تنطبق على سـنة النمو والتطور المغروسة في نفس كل رجل من رجال الأعمال في أمريكا ، فهو يؤمن بأنه ينبغي أن يكون لـكل إنسان وطن صالح راق . وليس من الغريب في نظره أن تصير مدينة مثل تشنكنج أو طهران أو أي بلد آخر أعظم وأجمل مما هي اليوم ، وأن يكثر بين سكانها من يمتلك منزلا ، ويشتري ثلاجة كهربائية وآلات زراعية . فهو يدرك هذا كله في طرفة عين .

وبعد ، فهل لهـذا كله علاقة بالسلم ؟

أجل ، إن لهذا أكبر صلة بالسلم فإن فكرة البـلد الذي يعظم ويرتقي ، مرتبطة أشـد الارتباط بفكرة الأمة السعيدة ، وستفضي في النهاية إلى عالم سعيد .

لهذا ترون أني لست أخجل من النعرة الإقليمية الأمريكية ، بل أنا فخور بهـا ، وسعيد بوجودها . لأنها تشتمل على الجرثومة الطيبة ، التي سيتولد منها الأمل في مستقبل العـالم ، فهي عاطفة قوية الصلة بحيـاة كل رجل وامرأة . إننـا كثيراً ما نتحدث عن « النـاس » جملة واحدة ، ولـكننا قلمـا نتحدث عن « الناس » الذين يتألف منهم البـلد الواحد . ولن تستطيعوا أن تنشئوا عالماً سعيداً ، إلا أن يكون فيه أمم سعيدة ، ولن تستطيعوا أن تنشئوا أمماً سعيدة ، إلا أن يكون فيها قوم سعداء ، ولن تظفروا بالسلم إلا في عالم سعيد .

إن الذي ننشده هو خلق عالم سعيد تنشئه أمم سعيدة ، عالم متدفق صحة وقوة ورخاء ، لأنه يتألف من أمم قد امتلأت صحـة وقوة ورخاء . ولعل في هذا ما يكشف لأعين المرتابين والمتهوكين عن تلك الحقيقـة الأساسـية التي يجب أن يبنى عليها السلم في العالم ، وهي : حقيقة التشابه الأبدي بين آمال البشر وأمانيهم ، وهي ، بعـد كل شيء ، حقيقة الأخوة التي تربط بين البشر جميعاً .

لعبة الكم

ستيفن ليكوك

من كتاب « مفارقات أدبية »

قال الحاوى : « والآن سيداتى سادتى وقد رأيتم أن قطعة القماش فارغة لا شىء فيها ، سأخرج لكم منها وعاء يسبح فيه سمك المرجان الأحمر . جلا ! جلا ! »

وتصايح الناس الذين يملأون القاعة : « ياللعجب ! كيف يتسنى له ذلك » ، سوى رجل « شيطان » لا تنطلى عليه حيلة ، كان فى الصف الأول ، فهمس إلى الذين فى جواره ، همسة عالية : « إنه — يخفيه — فى — كمه »

فهز الناس رءوسهم هز الواثق بذكائه ، وقالوا : « لا شك فى ذلك » ، وتهامس كل من فى القاعة : « إنه — يخفيه — فى — كمه » .

قال الحاوى : « لعبتى التالية ، هى لعبة الأجراس الهندية الشهيرة . سترون أن الأجراس منفصلة فى الظاهر ، غير أنها بدقة واحدة سيتصل بعضها ببعض (كلانج كلانج كلانج) جلا ! جلا ! . »

فترددت فى القاعة غمغمة من ذهول المتفرجين إلى أن علا همس الرجل « الشيطان » وهو يقول : « لا بد أنه يخفى شيئاً آخر — فى كمه » .

فهز كل امرىء منهم رأسه مرة أخرى وصاح « كانت الأجراس — فى كمه » .

فظللت جبين المشعوذ سحابة من القطوب ، واستمر يقول : « سأريكم الآن لعبة مسلية جداً ، سأخرج لكم من أية قبعة كانت ، أى عدد من البيض شئتم . فهل يتكرم أحد السادة بأن يعيرنى قبعته . لك الشكر ياسيدى . جلا ! جلا ! » .

ثم استخرج ١٧ بيضة ، فظن المتفرجون مدة ٣٥ ثانية أنه رجل مدهش ، حتى همس لهم الرجل «الشيطان» من مقعده الأمامى : « إنه يخفى دجاجة — فى كمه » .

وهكذا باءت لعبة البيض بالخيبة التامة .

وقد جعلت همسات الرجل «الشيطان» توحى لهم أن الحاوى يخفى فى كمه فضلا عن السمك والأجراس والدجاج ، رغيفاً من الخبز ، وأرجوحة عروس صغيرة ، وأرنباً رومياً حياً ، ومقعداً هزازاً .

وكذلك سقطت مكانة الحاوى من أعين الناس سريعاً ، غير أنه فى نهاية الحفلة استجمع كل قواه ليبذل آخر ما فى وسعه .

قال : « سيداتى سادتى سأعرض عليكم ، فى ختام الحفلة ، تلك اللعبة اليابانية الشهيرة التى ابتكرها منذ قليل أهالى تبيرارى » . ثم التفت إلى الرجل « الشيطان » وهو يقول : « هل تتكرم فتتقدم إلى ساعتك الذهبية ؟ »

تناولها المشعوذ وقال له بشدة : « أتأذن لى أن أضعها فى هذا الهاوُن وأسحقها سحقاً ؟ »

فهز الرجل « الشيطان » رأسه وابتسم .

فما كان من الحاوى إلا أن ألقى الساعة فى الهاون ، ثم تناول مطرقة كبيرة كانت على المنضدة ، وتلا ذلك دق عنيف . وهمس الرجل الشيطان : « لقد دسها فى كمه » واستمر الحاوى يقول له : « والآن ياسيدى ، هل تتكرم فتتقدم إلى قبعتك ، وتسمح لى أن أرقص عليها ؟ . . . أشكرك » . ثم ما لبث أن أسرع يدوسها بقدميه ، ثم عرضها مرضوضة رضاً شديداً يصعب معه تمييز شكلها .

فأشرق وجه الرجل الشيطان ، فقد فتنته الحيلة وسرها الخفى فى هذه المرة .

ثم قال الحاوى : « وهل تسمح الآن بأن تفك رباط رقبتك وتدعنى أحرقه بلهب الشمعة ؟ . . . أشكرك ياسيدى . وهل تسمح لى بأن أهشم نظارتك بمطرقتى ؟ . . . لك الشكر » .

وفى هذه اللحظة نمت أسارير الرجل « الشيطان » عن الارتباك والحيرة فتمتم قائلا : « لقد حيرنى هذا الأمر ، ولم يعد فى طاقتى أن أدرك منه شيئا » .

وخيم الصمت على رؤوس المتفرجين . فاختتم الحاوى الحفلة قائلا وهو ينظر بفتور إلى الرجل « الشيطان » : « سيداتى سادتى لقد لاحظتم أننى ، بإذن من هذا الرجل الكريم ، قد حطمت ساعته ، وحرقت رباط رقبته ، ورقصت على قبعته ، وهشمت نظارته . وإذا أذن لى أيضاً أن أنقش على معطفه خيوطاً خضراء اللون فسأفعل مغتبطاً لأرفه عن نفوسكم ، وإذا لم يسمح فإن الحفلة تكون قد انتهت بذلك » .

وبين أنغام الموسيقى التى صدحت فى القاعة نزل الستار ، وانصرف المتفرجون وهم يعلمون علم اليقين بأن هناك بعض الألعاب التى ليست لها صلة مطلقاً بكم الحاوى .

● لست إلا رجلا متوسطاً ، ولكننى والله أبذل فى عملى أكثر مما يبذله المتوسط من الناس فى عمله .

[ثيودور روزفلت]

“سيرك” ونجت

قصة غارة عجيبة على بورما



ملخصة عن مجلة « اتلانتيك » الشهرية

« قصة ضابط بريطانى عبقرى شاذ يثير أهالى بورما ، ويخرب طرق مواصلات اليابانيين ، ويضع النمط الذى سيسير عليه استرداد بورما »

تحركت حديثاً ثمانية طوابير بريطانية يقودها البريجادير (الأميرالاى) أورد شارلز وينجت ــ البالغ من العمر ٣٩ سنة ــ وعبرت حدود الهند إلى بورما مخترقة خطوط اليابانيين خفية ، ونشرت الاضطراب والذعر بينهم مدة ثلاثة أشهر . وقد تطاير اليابانيون حولهم ، لهم دوى كدوى النحل ينطلق من خليته إذا قلبت رأساً على عقب . ولكنهم لم يتمكنوا من الالتحام بالمغيرين التحاماً يعوقهم عن أداء مهمتهم ، فقامت الحملة بإبادة المخافر اليابانية ، ونسف مستودعات الذخيرة ، وتخريب المطارات ، وإتلاف الطرق ، ونسف الجسور ، وإلغام السكك الحديدية .

تغلغل المغيرون ــ وقد لقبهم وينجت « بالشنادوة » ، وهو نسبة إلى اسم التنين الذى يحرس معابد بورما ــ ٣٠٠ ميل داخل الأراضى التى يحتلها اليابانيون ، ثم عادوا أدراجهم إلى الهند عوداً موفقاً يتسم بالبطولة ، وكانت الخسارة أقل مما توقعه أجرأ المتفائلين . وهذه الإغارة هى فى الواقع قصة من أعظم القصص العجيبة فى الحرب الحالية .

تمكنت الحملة من تحقيق أغراض هامة ، إذ خففت الضغط عن الصينيين ، وجمعت معلومات مكنت السلاح الجوى البريطانى من القيام بغارات مخربة واسعة النطاق ، وضيقت الخناق على اليابانيين ، وأغلب الظن أنها صدتهم عن غزو الهند . وأكبر من ذلك كله أنها وضعت نمطاً للتدريب وحركات الميدان اللازمة لاسترداد بورما . فهؤلاء الرجال : رجال قبائل الغوركا ، وأهالى

بورما ، وكتيبة من الإنجليز ربيبي المدن ، قد عاموا اليابانى أنه لم يعد سيد الغاب .

وكان « شنادوة » وينجت البريطانيون من جنود المؤخرة ، وأغلبهم رجال متزوجون أصلهم من شمال إنجلترا ، وتتفاوت أعمارهم بين ٢٨ و ٣٥ سـنة . قال لهم وينجت : « علينا أن نقلد طرزانا » . وتحقيقاً لذلك قام بتدريبهم فى غابات الهند مدة ستة أشهر بلغت فيها الحرارة والرطوبة أشـدها ، فدربهم على عبور الأنهار ، وحركات التغلغل ، والسير الطويل المضنى وهم يحملون الأثقال ، حتى أصـبحوا أصلب فرق الصدام عوداً وأشـدها مراساً . وقد قال أحد الجنود بعد العودة من الإغارة : « إن الحملة بأجمعها لتبدو كلعب الأطفال إذا قورنت بفترة التدريب » .

ونال الضباط أيضاً قسطهم من التدريب الطويل المتواصل على حركات الميدان ، لا على النماذج الرملية المألوفة ، بل فى العراء . وقد وجد هؤلاء الضباط فى بورما فيما بعد أنهم قد دربوا على كل موقف واجهوه فى حملتهم.

وحين أزف ميعاد مغادرة « الشنادوة » للهند قام المريشال ويفل باسـتعراضهم ، وسـبقهم هو بالتحية قبل أن يهموا برفع أيديهم بتحيته ، إعراباً لهم عن تقديره واحترامه . فهو يعلم ، كما يعلم الجميع ، أن كل من جرح منهم أو أقعده المرض سيترك — على الأغلب — لليابانيين .

كانت أول مرحلة محرجة فى تقدمهم هى عبور نهر شندوين البالغ عرضه نصف ميل ، والذى تفصل مياهه بين المنطقتين اليابانية والإنجليزية . ولما أبلغت جماعات الاسـتطلاع أن لا أثر لدوريات العدو فى مدى بضـعة أميال ، بادروا بنقل المعدات الثقيلة فى زوارق خفيفة وقوارب من المطاط ، أما الضباط والجنود فخلعوا ملابسهم واجتازوا النهر السريع التيار سباحة ، واستمر العبور طول الليل وخلال الغـد ، ومعظم الليل الذى يليه . وألقى وينجت خوذته فى آخر زورق ، ثم تجرد من ثيابه ، وقذف بنفسه فى ماء النهر الصاخب .

وشق « الشنادوة » طريقهم خلال غابات كثيفة ، وصعدوا فى جبال ذات شـعاب حادة ، ثم كانوا يخترقون طرقاً ضيقة تحفها مهاوٍ سحيقة ، ثم يهبطون فى أودية تنمو فيها حشائش تعلو على قامة الرجل . وكانت الهياكل البشرية تعلم الطريق الذى تقهقر منه الحلفاء فى الصيف السابق .

وتجنب وينجت السـبل المطروقة شاقاً طريقه خلال الغابات ، وكان يوفد « جماعات الخداع » لوضع آثار كاذبة تضليلا لليابانيين ، ولـكنه جعل جلّ اعتماده على سرعة التنقل .

وكثيراً ما اقتربت الدوريات اليابانية منهم حتى ليكاد كشافة الفريقين أن يتصادما فى هذه الغابات الكثيفة . ولم تنقطع المناوشات طول الوقت ، وقد قتل « الشنادوة » أكثر من ألف يابانى ، ولكن العدو لم يتمكن قط من اللحاق بهم بقوات كافية .

وكثيراً ما قطع الشنادوة فى اليوم الواحد ثلاثين ميلا ، وقد بلغت الحرارة فى الظل ٤٠ درجة مئوية ، وقد حرص وينجت على ألا تضيع لحظة واحدة سدى ، فحرم على رجاله حلق لحاهم ، لأن فى ذلك ضياع عشر دقائق من وقت نومهم . ومن نظرياته التى يؤمن بها : أن السير الطويل المتواصل يقهر المرض — والحقيقة التى لا ريب فيها أن إصابات الملاريا كانت نادرة فيما بينهم .

وكانت تجرى على رأس كل طابور بضعة من الكلاب الكشافة التى دربت على تمييز رائحة اليابانيين ، ولم ينقطع الاتصال بين شعب الحملة الثمانى بالراديو ، وكلاب البريد ، والحمام الزاجل ، وبتبادل صيحات غريبة يخيل لسامعها أنها صيحات طيور . وتقدمت القافلة أفيال تجاهد فى السير ، يركبها رجال صغار الأجسام من أهالى بورما ، تحمل البنادق السريعة ، ومدافع برن ، وقوارب مطوية ، وأجهزة اللاسلكى ، يسير فى أثرها الخيول والرجال ثم البغال . وفى المؤخرة ثيران تجر عربات محملة بالمدافع الرشاشة ، والبنادق السريعة ، والقنابل اليدوية ، والبنادق العادية ، وذخيرة من الطلقات . وبلغ طول كل طابور ميلا كاملا . وقد قال أحد الجنود الإنجليز حين أخذت هذه الجماعة الغريبة من أشتات الحيوان تتسلق جانب أحد الأنهار : « ما أشبه هذا بسفينة نوح ! » ومن الغريب أن هذه الطوابير لم يكن يسمع لها صوت على بعد ٢٠٠ ياردة ، فإن الغابة تميت الأصوات .

وزود « الشنادوة » بأحذية نعالها من المطاط ، وقبعات عريضة من الطراز الأسترالى ، وقناعات تقى الوجه من البعوض ، وخناجر عريضة حادة ، ودخل كل رجل أراضى بورما وهو يحمل على ظهره من مئونة الجند ما يكفيه ستة أيام يبدأ بعدها تموينه من الجو . وقد بلغ جملة ما تلقته الحملة من المؤونة الهابطة من الجو ما زنته ٥٠٠ر٠٠٠ رطل .

ورافق كل طابور ضابط من سلاح الطيران البريطانى لاختيار المواقع التى تلقى فيها المؤونة كحقول الأرز ، وقيعان الأنهار الجافة ، والمناطق المنبسطة الحشائش ، وكانت تخطر المحطة الجوية فى آسام برسالات رمزية عن المكان المعين والزمان المحدد لوصول الشحنة التالية . واستعين على إرشاد

الطائرات بإطلاق الدخان نهاراً وبالقناديل المشعلة بالليل . فإذا جاءت الطائرات الضخمة حوّمت على ارتفاع ١٥٠ قدماً فقط لتلقى حمولتها من الأسلحة والذخائر والديناميت وعلب المؤنة المحتـــوية على لحم البقر ، والبسكويت ، والبلح ، والزبيب ، والشاى ، والسكر ، والملح ، وأقراص فيتامين (ج) ، ولم ينكسر منها جميعاً سوى زجاجة واحدة من الخمر .

وبذل ســلاح الجو البريطانى مجهودات رائعة لتزويد الطوابير بطلباتهم الخاصــة . فمن ذلك كتاب عن تاريخ حياة برناردشو ، وزجاجة من الويسكى الإرلندى للاحتفال بعيد القديس باتريك ، ومونوكلات ، وطقم من أسنان صناعية ، وإزار من زى أهل إسكتلندة . وجاء إليهم بطريق الجو عاملان من عمـال اللاسلكى تطوعا ليحلا محـــل زميلين مريضين . وطلب ضابط فى طابور حاصره اليابانيون أن تلقى إليه وثيقة بنص وصية شرعية ليوقعها — فأجيب إلى طلبه . وواصـــل مطعم من أكبر مطاعم كلكوتا العمل طول الليل لإعداد ٤٠٠ رطل من الشكولاته طلبها الجنود ، وفى صباح اليوم التالى حملتهـا طائرة قطعت بهـا ٧٠٠ ميل داخل أرض بورما .

وكان ضابط الأساس المكلف شؤون التموين يدعى الكابتن « لورد » — وهو اسم الرب بالإنجليزية — ففى ذات يوم أرسل إليه وينجت بالراديو يقول « يارب ! أعطنا خبزنا كفافنا ! » فما لبث أن تلقى الرد : « لقد استجاب الرب لدعائكم » . وبعــد ساعات قلائل ألقى عليهم — كأنه منٌّ من السماء — ستون رغيفاً .

وخرجت جمـاعة من الغزاة الشنادوة ذات يوم فوقعت فى ســيرها على مقر قيادة وحدة يابانية ، ووجدته مقفراً إلا من خدم منهمكين فى إعداد العشاء ، فتطوع من فى المقرّ من أبناء بورما بتقـديم الطعام إلى رجال وينجت ، فما لبث هؤلاء أن أتوا على كل ما فى المعسكر من مأكل .

توغلت الحمـلة ١٢٠ ميلا فى طريق بورما ، فلمـا ارتدت إلى نهر إراوادى ، كانت ليلة بردها قارس وقمرها باهر ، وإذا اليابانيون ينهالون عليهم برصاص مدافعهم الرشاشـة وبنادقهم السريعة . ولم يكن وينجت عاجزاً عن عبور النهر برجاله رغم أنف العدو ، إلا أنه رأى أن هذه المحاولة قـد تكبدهم خسارة كبيرة فى الأرواح . ووقف وينجت على كثيب من الرمل بجوار الإراوادى ، ولحيتــه الطويلة تتدلى على صــدره ، وعلى كتفيه غطاء من الصوف كأنه بدوى يقود قبيلته الصغيرة . لم يتردد

وينجت ولم يلبث أن أومض فى ذهنه قرار حاسم كالبرق . أمر الشنادوة بالتفرق جماعات كل جماعة ٤٠ نفراً ، وأمرهم بالتنقل مختفين بين الأدغال — كما يفعل الصبية فى لعبة « الاستغماية » — إلى أن يضل العدو . لم يمض على هذا القرار ٤٨ ساعة حتى تمكنت الجماعات كلها من عبور النهر بسلام . ثم دفنوا أجهزتهم اللاسلكية ، وحطموا عتادهم الثقيل ، واستقبلوا الهند ، تقودهم إليها جادّة متعرجة غير ممهدة يبلغ طولها ٣٠٠ ميل .

لم يعد من المستطاع تموينهم من الجو بعد أن حرموا أجهزتهم اللاسلكية . وأكل الشنادوة أول ما أكلوا ثيرانهم وبغالهم ، ثم عاشوا على الأرز ، والثعابين ، والنسور ، والموز ، وجذور النبات ، وحساء متخذ من الأعشاب أحياناً . ولم ينفك العدو يتصيدهم فى كل خطوة يخطونها ، فاضطروا إلى مجانبة موارد الماء ، فربما ساروا عدة أيام لا يشربون إلا جرعاً قليلة من الماء يستخرجونه من جوف أعواد الغاب . وما كان وينجت بغافل عن أن سلامتهم تتوقف على السرعة ، ولذلك ساق رجاله أمامه بلا رحمة ولا هوادة .

ولما آبت الحملة ، بعد إنجاز مهمتها ، خلعت عليها ألقاب التدليل والإعزاز ، فقد أطلق عليها : «سيرك وينجت» و «ملاحيس وينجت» و «فتوّات وينجت» . ولا غرو فإن الضباط منهم زمرة عجيبة من رجال أشداء على غرار الكوماندو . فهذا « كالفيرت» المسمى تارة «مايك المجنون» وتارة « مايك الديناميتى . . . » الخبير فى نصب الأشراك ، وفى التخريب ، فهو فنان تخشع نظراته وترقّ كلما ورد ذكر الديناميت على لسانه . ولا يزال كالفيرت فى العشرين من عمره ، ولكنه لم يترك ميداناً من ميادين الحرب إلا وقام بنصيبه من القتال فيه وراء خطوط العدو . وهذا هو الميجور (الصاغ) برنارد فيرجوسون — صاحب المونوكل — فإنه تخلى عن منصب مريح فى القيادة راجياً أن تسنح الفرصة لينتف للميكادو لحيته . وقد قال وهو واقف يشاهد الجسر المقام على أخدود بونشونج ، ينسف وتتطاير شظاياه إلى السماء : « لشد ما كنت أتوق طول حياتى إلى نسف الجسور ! »
وكان فيرجوسون قد حمل معه كتاباً من تآليف ترولوب القصصى الشهير ليقرأه غير أنه اعترف فيما بعد قائلا : « لقد دخنّا صفحاته الستمائة كلها ، وما ذا نفعل ، وقد بقى لدينا تبغ كثير على حين أن ورق اللف كان قد نفد ؟ »

أما الملازم (اللفتننت) جيوفرى لوكيت ،

وهو تاجر خمور من ليفربول — وكان يلقب « الأعجوبة الشماء ذات الإزار » — فهو رجل قد تساقطت أسنانه جميعها ، وأطلق لحيتـه حتى تدلت إلى وسطه ليخيف بها اليابانيين ، وظل طول الحملة وهو يصر على ارتداء إزار أهل إسكتلندة القصير .

وكان بينهم أمريكي واحد : هو الملازم الطيـار جيمس جيبسون وكان يلقب « كارولينا » ، وقد ذكر سبب تطوّعه فى الحملة فقال : « لقد سئمت إسقاط طائرات اليابانيين ، وأردت أن أشاهـد عن قرب ملامح اليابانيين اللئام وقـد انهالت عليهم مصائب القتال » .

وكذلك جمعت « شلة وينجت » أميراً من أمراء بورما ، ومؤرخـاً من أكسفورد ، والملازم وليم إيدج البارع فى تحضـير طبق من لحم الجاموس المفروم ، وصولا من الكوماندو ، وهو روبرت بلاين من أهالى إسكتلندة ، وإنه ليتمتم كلما تحرج الموقف : « لقـد صدقت جدتى : عنـد الامتحان يكرم المرء أو يهان » .

ولما عاد وينجت إلى الهند سموه تكريماً له واحتفاء به ، لورنس بورما ، فقد أكسبته مغامراته فى حرب العصابات فى الهند لقب «لورنس الهند » و « لورنس الحبشة » أما فى إنجلترا فقـد اكتفوا بتلقيبه « لورنس الحـديث » . والواقع أنه يمت بصلة القربى إلى لورنس الذى كان يغامر فى بلاد العرب فى الحرب الماضية . وإن من يتتبع تاريخ الجيش البريطانى يخيل إليـه أنه يخرج على رأس كل جيل جندياً نابغاً غريب الأطوار على غرار وينجت ، فقد سبقه « كايف » بطل الهند ، و«غوردون » ، بطل الصين والخرطوم . ولورنس بطل البلاد العربية .

ووينجت قائد يحارب بالسـيف فى يد وكتابه الدينى فى يد ، فهو يؤمن بفضائل الصلاة إيماناً عميقاً ، وهو صـوفى يستغرق فى التأملات الروحية على طريقـة اليوجا الهندية ، وهو فوق هذا وذاك جندى قد عركته الحرب ، يهيم بالقتال حباً فى القتال . وانه ليبدأ يومه بالصلاة ، ويتخذ من نصوص الإنجيل رموزاً لرسائله السرية ، وهكذا يجرى فى دمه غرامه بالسـيف ، وإيمانه بالدين ، وإحساسه المرهف بطبائع الشعوب النائية . فقد قضى أبوه ٣٢ عاما فى خدمة الجيش الهندى ، فلما تقاعد قام بدعوة دينية فى بلاد الباثان ، على حين كانت أمه سيدة تقية ذات إيمان فنشأته على مذهب السلفيين « بيورتانز » .

ووينجت ضامر الوجه تنم عيناه الزرقاوان الغائرتان ونظرته النفاذة عن ذكاء متقد ، وهو دقيق الأنف ، مخروط الوجه ، ذو فم

يدل على القسوة ، أما شعره الأشقر فقد استطار فيه الشيب . وكان يرتدى وهو فى بورما قميصاً أزرق ممزقاً وسراويل خشنة وخوذة عتيقة الطراز تقيه الشمس .

ومن نظرياته المحببة إليه أن الإنسان يستطيع أن يختزن من نشاطه للمستقبل كما يختزن الجمل الماء فى جوفه . فتراه فى الميدان قادراً على مداومة العمل أسابيع متتالية لا يغمض له جفن إلا ساعات معدودات ، فإذا انتهت مهمته مكث عدة أيام مستغرقاً فى النوم أو سارحاً فى أحلام اليقظة . وهو يؤمن بالسلامة البدنية ويتعصب لها ، فلا يدخن ، ولا يتزعزع إيمانه بفوائد البصل الصحية فهو لا ينفك يمضغه غير مطبوخ وهو ماض فى سيره .

وإذا كان الرجل رجل حرب كوينجت، أدهشتك منه كثرة أهوائه التى يصبو إليها ، فقد تسمعه فى الصباح ، يتغنى بالعربية ، ثم هو شغوف بالموسيقى ، وقد يمكث الساعات الطوال مستلقياً على الأرض يستمع إلى سيمفونى من أسطوانة . وأما ذوقه الأدبى فمتفاوت يمتد من شاكسبير إلى الفكاهات الشعبية ، ولكنه يفضل الكتب الجدّية .

جرى أول لقاء بين وينجت وزوجته الجميلة على ظهر سفينة فى البحر الأبيض المتوسط . كانت فى الخامسة عشرة وكان هو فى الثلاثين . ويقول وينجت عن هذا اللقاء : « ما رأتنى حتى تقدمت إلى وقالت : إنك أنت الرجل الذى سأتزوجه . فكنا فى سرعة البت كقائدين من الكوماندو يضعان بينهما خطة مشتركة . وكان شعورنا ، كلينا ، واحداً متفقاً » .

وإذا تحدث وينجت فكأنما يتلو من دائرة معارف . فهو مع الضباط فى ناديهم يحاضرهم منوهاً بعظيم شأن اليوجا . ويحدثهم عن الضبع وحياتها الاجتماعية ، وعن خلائق الذبابة إذا حبستها فى كوبة مقلوبة ، وعن التصوير فى القرن الثامن عشر ، وعن أمثل الطرق لكسب الحرب. وتحدث مرة إلى جماعة من الضباط عن دقائق أساليب صيد الضبع بالمسدسات فى ضوء القمر فأثارت خبرته دهشتهم وعجبهم .

لا يقيم وينجت وزناً كبيراً للرتب والألقاب ولا يأبه لها . وقد بلغ خروجه عن تقاليدها حداً عجيباً ، فهو لا يتردد فى أن يقف بين رؤسائه ليناقشهم فى سياستهم ويبين لهم خطأها . ولعله الضابط البريطانى الوحيد الذى لجأ فى الأزمنة الحديثة إلى الإفادة من حق قديم مقرر ، هو تقديم شكوى من أحد رؤسائه بعريضة مرفوعة إلى جلالة الملك رأساً . ولما أثار شذوذه حنق رؤسائه المتزمتين ، مال على صديق له

يقول : « إننى ، كما تعـلم ، لست بالمخبول الذى يظنون ! » .

ولعل وينجت هو أحد الرجال القلائل الذين استطاعوا فى هذه الحرب أن يسيطروا على عقول بعض الشعوب . فهو يحمل معه أينما سار آلة ناسخة ، ومكبراً للصوت ، وتصحبه جماعة من الأهالى قد مرنوا على الدعاية . فكلما مرّ بقرية فى بورما تريث حتى يوزع على سكانها منشوراً بلغة سهلة خلابة ، ومما قاله لأهالى بورما : « هؤلاء الرجال الأغراب الذين حلوا بدياركم سحرة يسخرون الرياح وقواها الخفية ، وإنهم سيخلصونكم من اليابانيين القساة الغلاظ الوجوه والأكباد » .

وبلغ من إجلال سكان بورما له أنهم لقبوه « حامى المعابد » ، وحرصوا على كتمان حركات الشنادوة ، بل كانوا لهم أدلاء يرشدونهم إلى دروب خفية فى الأدغال . ولولا هذه المعونة لتمكن اليابانيون من اللحاق بالحملة وإبادتها .

أما حملة الحبشة فقد تمثلت فيها أساليب وينجت : إقدام جرىء ، وأخذ للعدو على غرة ، وخداع بحيل لا تخيب . وقد تمكن وينجت بقوة لا تزيد عن ١٨٠٠ مقاتل من السودانيين وعساكر الأحباش من الاستيلاء على معاقل الإيطاليين عنوة ، بسلسلة من الهجمات السريعة كأنها طعنات السيف . ثم انضم إليه جماعة من عصابات الأحباش ذوى الشعر الأشعث ، الذين أصر وينجت على تسميتهم « حماة الوطن » . وقد بلغت الخسارة التى أصابت الإيطاليين على يد هذا الجيش الضئيل ٤٠٫٠٠٠ جندى بين قتيل وأسير . وفى مايو سنة ١٩٤١ دخل وينجت مدينة أديس أبابا ، وهو على ظهر جواد أبيض يسير مع الإمبراطور هيلاسيلاسى جنباً إلى جنب .

وبلغ من اقتناع الجنرال ويفل بأساليب وينجت أن استدعاه إلى الهند فى خريف ١٩٤٢ ، ورقاه إلى رتبة بريجادير وأطلق يده فى إنشاء قوة كبيرة من الكوماندو ، لتكون طليعة الجيش عند شروعه فى استرداد بورما . ويقول وينجت :

« ليس اليابانى مخلوقاً فوق البشر ، وكل خططه فى الميدان وليدة عقل من الدرجة الثالثة . . . على حين أن القتال فى الغابات يتطلب فطنة ودهاء وقوة احتمال . وقد عرف اليابانى ببالغ قدرته على الاحتمال إلا أنه يعجز عن الاهتداء إلى حل مشكلة طارئة لم يواجه مثلها من قبل . لقد أثبتنا أننا نستطيع أن نقهر اليابانى فى ميدانه الذى اختاره لنفسه ! » .

يشفى الاخصائيون العقليون فى الجيش ، الجنود الذين تأثرت عقولهم بأهوال الحرب ، ويعيدونهم إلى الخدمة



صدمة القنابل حالة لا وجود لها

فردريك بايبنتون

قاد جاويش أمريكى من المشاة كتيبة فوق المنحدرات التى لفحتها الشمس وراء مدينة أنّا فى صقلية ، وكان قد مضى عليه هو ورجاله أيام متعددة لم يستقرّ لهم نوم ، ولم يهنأ لهم طعام ، ولا تزال تضربهم المدافع الرشاشة وتقذفهم القنابل ويصيدهم الرصاص ، وإذا بإحدى بطاريات مدافع الهاون الإيطالية تقذفهم بقنبلتين عن يسارهم. وقد سمع الجاويش صوت القنابل مقبلة ، فصاح برجاله أن ينبطحوا ، وقذف هو بنفسه على الأرض واستلقى ، وصفرت القنبلتان ثم انفجرتا ، وقتل ثلاثة من رجاله ، وارتفع هو فى الهواء مرتين من عنف الرجة المخيفة.

قام الجاويش ، ولم يكن يبدو عليه أنه أصيب بأذى ، ولما كان ضابط صف شديد المحافظة على واجبه ، فقد قاد الناجين من رجاله وتقدموا للاستيلاء على الموقع . وفى إحدى فترات الهدوء فيما بعد ، حملق فجأة وهو ذاهل فى يده اليمنى التى كانت فى جيبه ، وأراد أن يخرجها ولكنه لم يستطع إلا وهو يستعين على شدها بيده اليسرى ، فما كاد حتى هوت متهدلة إلى جانبه . فأخذ يلطمها وهو دهش غضبان ، ولكنها كانت قد فقدت الحس ، فقد أخذ الشلل ذراعه ويده.

وظل الجاويش أسبوعاً لم يبلغ عما أصابه ، إذ كان يرجو أن تستعيد ذراعه الحركة والحس ، فلما لم يكن ذلك ، قبل فى نهاية الامر أن يغادر الميدان . وقد تبين من فحصه بالمستشفى أنه لم يصب بأى جرح ، فأعطاه الإخصائى العقلى دواء اسمه «بنتوثال صوديوم» يحدث نوعاً من التنويم ، فاستطاع الجاويش وهو تحت تأثيره ، أن يحرك ذراعه ويده وأصابعه بلا عائق ، فشخصت حالته «إنها كا» وعزل لكى يعالج علاجاً خاصا .

وقد كانت مثل هذه الحالة توصف فى الحرب العالمية الأولى بأنها «صدمة القنابل»

فردريك بايبنتون هو المراسل الحربى لمجلة « ريدرز دايجست » فى ميدان البحر الأبيض المتوسط ، وقد شهد كثيراً من أحداثه ووصفها

وهو الاسم الذى كان يطلق على الأمراض النفسية الناشئة من الحرب ، ولم يكن المريض ينال فى الحقيقة أى علاج شاف . وقد كان من العسير على الأطباء فى الميدان أن يميزوا فى الأمراض العصبية بين المريض والمتمارض، حتى صار يظن فى كثير من الرجال أنهم يتظاهرون بأعراض الأمراض المختلفة لكى يروغوا من القتال . فكثيراً ما كان زملاؤهم يصيحون بأحدهم : «ياجبان» فما كان ذلك إلا ليزيد حالاتهم سوءا . أما علاجهم فكان علاجاً فظاً ، إذ كانوا يعزلون ويحرمون الزيارة والتراسل ، ويكلفون أعمالا شاقة مملة ، ويعطون أدوية مرة المذاق ، وكان يظن أنهم قد يفضلون العودة إلى وحداتهم على احتمال ذلك العذاب . وقد برأ منهم عدد قليل بطبيعة الحال ، أما الأكثرية فصارت أمراضهم ثابتة ، فكانوا يرحلون إلى الولايات المتحدة بالألوف لكى يظلوا بعد ذلك عالة على الشعب . وازدحمت مستشفيات الأمراض العصبية والعقلية الخاصة بالمحاربين القدماء بهذه الأنقاض من بقايا الحرب .

ولم يعرف إلا فيما بعد ، بعد فوات الأوان ، أن هؤلاء الرجال كانوا حقا مرضى يعانون أشد ضروب الأذى التى يمكن أن تبتلينا بها الحرب .

وقد مضى زمن وارتفاع نسبة الإصابة بأمراض الحرب النفسية فى الحرب العالمية الأولى ، يعزى إلى قصور مقاييس العقل التى يستخدمها الجيش فى التجنيد ، فلما أدخل نظام التجنيد مرة أخرى فى عام ١٩٤٠ تطلب امتحان المجندين مستوى عالياً من الوجهتين العقلية والجسمية على السواء . ومع ذلك فقد اتضح منذ الأيام الأولى لحملة شمال أفريقية ، أن أمراض الحرب النفسية — ولم تزل تسمى « صدمة القنابل » — كانت تحدث عدداً كبيراً من الإصابات .

وقد تبين أيضاً أن ضحايا أمراض الحرب النفسية كانت كثيرة فى الجامعيين ككثرتها فى غيرهم ممن هم دونهم فى الكفاية العقلية .

وقد عقد أطباء الجيش عزمهم على ألا يعيدوا إلى أمريكا هذه المرة تلك الألوف من الشباب المصاب باضطراب نفسى . وقد قال لى اللفتنت كولونيل بيرين لونج الطبيب السابق لمستشفى جونز هوبكنز ، والطبيب الآن بحملة شمال أفريقية : « إن أعظم نجاح للطب فى شمال أفريقية هو توفيقه فى الوصول إلى علاج شاف لأمراض الحرب النفسية يهيئ أصحابها إما لمواصلة القتال ، وإما لمزاولة بعض الأعمال النافعة فيما وراء خطوط القتال . وخير من هذا كله أن هؤلاء الرجال سيستطيعون فى أيام السلم أن يملكوا زمام أنفسهم وأن يقوموا بأعمال منتجة . أما

صاحب الفضل فى ذلك العلاج الذى يعيد الجنود إلى المعركة فإنه هو الماجور «فردريك هانسون» .

وقد تحدثت إلى الماجور هانسون الذى كان يزاول صناعته من قبل فى مونتريال ، وهو رجل نحيل صغير ، يلبس نظارة ، عظيم التواضع ، ولم يزل هادئاً حتى ذكرت له « صدمة القنابل » ، فأجابنى بشىء من الحدة :

«ليس ثمة شىء يسمى «صدمة القنابل» . وقد كان هذا الاصطلاح متداولا فى الحرب الماضية ، لأن الأطباء فى ذلك العهد كانوا يظنون أن ضحايا أمراض الحرب النفسية إنما يعانون ارتجاجاً فى المخ ناتجاً من عنف الانفجار ، والواقع أن حالات الارتجاج نادرة جداً ، أما الاسم فقد بقى وسبب أذى كثيراً . فكان الجندى حين يعرف أن مرضه هو «صدمة القنابل» يظن أنه قد جن فتسوء حالته . ولكننا هنا فى أفريقية نسمى هذه الحالات « الإنهاك » ، ولعل هذه هى خير كلمة نصف بها ، بوجه عام ، الأنواع المختلفة لأمراض الحرب النفسية .

« وهناك أمر آخر ينبغى تذكره ، ذلك أن الإنهاك ، أو المرض النفسى الناشئ عن الحرب ، يصيب جميع أنواع الجنود ، فلا علاقة للشجاعة أو الجبن به ، ولا للزمن الذى يقضيه الجندى فى التدريب العسكرى ، فإن الأعراض ذاتها تصيب الجنود المختارين مثل الطيارين وجنود المقاتلات وقاذفات القنابل .

« وأقوى العوامل أثراً فى حدوث الإنهاك هو ما يهز النفس من الصراع بين الرغبة فى أداء الواجب وبين الغريزة القوية لحفظ الذات . ولتذكر دائماً أن الخوف هو الإحساس الطبيعى للانسان حين يواجه خطر الموت ، وجميع الجنود يذهبون إلى الحرب وهم فى حالة جزع ، ولكنهم يقهرون الجزع بقوة الإرادة التى تعينها المرانة والدُّرْبة .

«ولكن القتال الشديد المستمر ، وعدم انتظام الطعام والنوم ، يؤديان إلى إنهاك البدن ، كما أن تتابع مآزق الموت توتر أعصاب الجنود إلى أقصى حد . ثم يتراكم هذا الجزع ، فكلما كان الجندى أقرب إلى الإنهاك البدنى ، شق عليه أن يقهر جزعه بقوة الإرادة . وفى نهاية الأمر تنفجر قنبلة أو يموت صديق له فتستسلم إرادته استسلاماً تاماً للعذاب الداخلى ، فلذلك يكثر أن نسمع المريض فى حالات « الإنهاك » يقول : « لقد احتملت أطول مدة ممكنة ، ولكنى لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك » .

«هؤلاء الضحايا يستحقون الرثاء، فلطالما

شاهدالمرء ، أثناء اشتداد القتال فى صقلية ، جنوداً يبكون بكاء هستيرياً ، أو يشردون من الصفوف الأمامية وكأنهم يمشون نائمين ، فى وجوههم الذهول أو الفزع ، وأعينهم غائرة ، وشفاههم متهدلة ، يرتجفون كأن بهم قشعريرة من البرد ، ويسيرون بركب متخلعة كأن أرجلهم تنوء بعبء أجسامهم . وكان بعضهم لا يستطيع أن ينبس بكلمة فيتمتم متلعثما ، وكانوا يفزعون فزعاً شديداً لأخفى صوت ، كأنهم أطفال يلجم أفواههم الفزع . وقد كانوا كالأطفـــال فى طلبهم للمساعدة والعون .

« ولم يكن يبدو أنه يمكن أن يبرأوا أبداً ، ولكن العلاج كان يفعل الأعاجيب . فكانوا يعطون بعض المسكنات لكى تساعدهم على النوم ، ويعتنى بطعامهم وتدفئتهم ، ثم يُفكّ عنهم الكابوس الجاثم عليهم بالتخدير الذى يهيئه لهم « البنتوثال صوديوم » ، ثم يأتى طبيب الأمراض العقلية فيشرح ما وقع لهم ولمَ وقع ، ويحدثهم مشجعاً لكى يقوى نفوسهم . ويعاملون طبقاً للنظام العسكرى لا نظام المرض ، ويبقون على اتصال برجال وحداتهم ، فيتم الشفاء فى مدة تتفاوت بين أربعة أسابيع وخمسة ، وبعضهم يبرأ بعد أيام قليلة .

« ولكن جدّ اكتشاف هام ، ذلك أن عدد الذين كانوا يستطيعون العودة إلى صفوف القتال الأمامية كان لا يتجاوز ٢٪ من مجموع حالات الإنهاك التى كانت ترسل إلى مستشفيات القواعد ، فقرر الماجور هانسون والماجور لويس تورين أن يجريا بعض التجارب على ٩٥ حالة ، وذلك بأن يقوما من مبدأ الأمر بعلاجها فى ميدان القتال على دوى المدافع وتحت الغارات الجوية المتواترة ، فاستطاع ٦٠ منهم أن يعودوا إلى صفوف القتال بعد أربعة أيام ، وبإعادة فحص ٤٤ من هؤلاء الستين بعد ثلاثة أسابيع ، تبين أنهم جميعاً ما عدا خمسة ، اشتركوا فى قتال عنيف ، وكانوا يقومون بواجبهم قياماً مرضياً ، وأغلبهم واصل القتال حتى نهاية الحملة دون انتكاس . أما الخمسة والثلاثون الذين لم تظهر عليهم علامات الشفاء بعد أربعة أيام ، فقد أرسلوا إلى أحد مستشفيات القواعد ليستمروا فى العلاج ، وقد شفى أغلبهم حتى استطاعوا العودة إلى العمل فى غير ميادين القتال » .

وقد وصف الماجور هانسون حالة مثالية للجزع الشديد فقال : « فى أثناء القتال بالقرب من سد جنان شوهد أحد المشاة ، بعد حملة شديدة من الطائرات المنقضة ومن قذائف مدافع الهاون ، شارداً يدور لا يتكلم ، وكان يرتجف ارتجافاً عنيفاً

ويجفل فزعاً حتى من وضع أصبع على أى جزء من بدنه ، فألزمناه الفراش وأطعمناه طعاماً حسناً وأعطيناه بعض المسكنات لكى ينام . وبعد أسبوعين تمكن من الكلام ، ولكنه كان أيضاً يضحك ويصيح قائلا : « الطائرات المنقضة ! » ثم يختبئ تحت الفراش . وكان يستطيع العزف على الأكورديون ولكنه كان لا يعزف إلا أغنية « ربما » ، وحين يعزف يغشى الذهول وجهه ، وتنحدر الدموع على خديه .

« وقد استطاع أثناء تخديره « بالبنتوثال صوديوم » أن يستعيد ذكريات المعركة كأنه يخوضها وأن يتحدث عنها ، فاكتشفنا أنه ذهب إلى المعركة وهو قلق مهموم على زوجته الحامل ، التى كانت أغنية « ربما » هى أغنيتها المفضلة . وقد شفى بعد علاج أربعة أسابيع ، ولكنه لم يذهب إلى الصفوف الأمامية ، غير أنه أصبح يستطيع القيام بأعمال نافعة ، ولن يصاب بأى اضطراب عقلى دائم يجعله عبئاً على الشعب بعد الحرب » .

وقص الدكتور هانسون قصة حالة أخرى أخف من هذه فقال : « واصل شاب من سائقى الدبابات القتال أياماً متعددة ، وفى معركة ممر قصرين أصيب جاويش الدبابة وهو يطل برأسه من برجها بشظية من قنابل ٨٨ ففصلت رأسه ، وهوى الجسم مقطوع الرأس إلى جانب السائق ، فأوقف الشاب دبابته وقفز منها ، وأخذ يعدو فيما حوله وهو يعصر يديه . ولما جيء به إلينا كان يبكى ، وكان منهوك البدن فأعطيناه طعاماً وبعض المسكنات ، وشرحنا له ما حدث ، وبعد أربعة أيام عاد إلى وحدته ، وقاتل حتى نهاية الحملة » .

وبعد فترة من السكوت عاد الماجور هانسون يقول : « إن الطريقة المثلى بطبيعة الحال هى أن يستطيع أطباء الوحدات اكتشاف حالات الجزع هذه قبل استفحالها كما يفعل أطباء الطيران فى الأسراب الجوية ، ولكن هذا مستحيل عملياً لانتشار الجنود فى نطاق واسع ، غير أننا ندرب الأطباء على معرفة الأعراض وفهم الحالات ، وكلما زادت فرقنا دربة ونضوجاً واستبعد الضعاف منها قلّ عدد هذه الإصابات » .

وأضاف الماجور هانسون إلى ذلك ، أن حالة السوداء الشديدة قد تعوق الشفاء أحياناً ، وذكر حالة ملازم شاب من فرق المشاة قذفته فى الهواء قنبلة منفجرة فقال : « فلما جيء به كان يرتجف رجفة عنيفة ، وكان كل ما يستطيع أن يقوله هو «من؟» ، وقد عرف أحد زملائه من الضباط ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يذكر ما حدث له إلا بالإشارة . وإذا جاء ذكر بعض رجال فرقته

أمامه كان يتأوه ويغطى وجهه بيديه ، ثم يتنهد ويهز رأسه . وقد استطاع أن يعرف صورة زوجته وأبقاها إلى جانب فراشه ، ولما أعطيناه العلاج المعتاد استولى عليه غم شديد ، وأخذ يردد أنه خاب ، وأنه لم يؤدّ واجبه، وأنه لن يستطيع العودة إلى بلده أبدا فيواجه زوجته ووالديه .

« وقد رأينا عدداً كبيراً من أمثاله يعتقدون أنهم قصروا فى حق زملائهم ، أو أنهم كانوا سبباً فى موتهم . وهذه حالات مستعصية ، غير أنه مما يدهش أن نرى كيف يستمر كثيرون من هؤلاء الشبان يعملون بقوة إرادتهم وحدها إلى أن تنتهى مهمتهم قبل أن يسقطوا صرعى . وقد رأيت اثنين من حملة النقالات يكدحان طوال الحملة ، ولما أشرفت على نهايتها كانا يحملان الجرحى تحت سيل منهمر من قذائف الهاون ، وظلا يسيران حتى أوصلا الجرحى إلى المركز الطبي، وعندئذ جلسا وانفجرا يبكيان ويأتيان بحركات هستيرية . وبعد أربعة أيام عاد أحدهما إلى عمله ، أما الثانى فغلبت عليه اللعثمة وأصبحت حالته حالة مستعصية . وهذه الحالات التى تشبه حالة الجاويش المشلول الذراع هى أيضاً حالات يستعصى علاجها .

« وأحسب أن حالات الانقباض المصحوب بشعور الخيبة والتقصير تدل على ارتفاع المستوى العام للاحساس بالمسئولية والواجب. وقد صادفتنا حالات قليلة من التمارض ، ولكننا لم نصادف حالات جنون حقيقى ناشىء من الحرب ، فإن الحرب لا تدفع الناس إلى الجنون ، ولا يجن إلا من كان للجنون أصل قديم فى تاريخه :

« إن أمامنا مهمة كبرى لم نخط بعد إليها إلا الخطوات الأولى ، وقد نجحنا فى علاج الإنهاك ، وأنقذنا الرجال من ذلك الكابوس المفزع كابوس الأوهام التى ترسخ فى العقل ، وسيعود شباننا إلى ذويهم أذهاناً متوقدة صافية ، لا حطاماً مترنحاً من الأعصاب . وأنا لا أستطيع الآن أن أعطيك أرقاماً ، ولكن الحالات الناجحة تعد بالمئات ، وستصل إلى الألوف . وإنى لواثق بأن أثر ذلك يجعل عملنا هذا أعظم الأعمال الطبية التى نضطلع بها »

الغضب ريح تهبّ فتطفىء سراج العقل .

[روبرت إنجرسول]

أجمل فترة في حياة الإنسان

والتربتكين ، أستاذ الصحافة فى جامعة كولمبيا سابقاً ، هو مؤلف كتاب « الحياة تبدأ فى سن الأربعين » وهو الكتاب الذى صادف رواجاً عظيما . وهو شديد الحفاوة بدراسة الطبيعة البشرية . وقد قام فى العام الماضى برحلة فى أنحاء الولايات المتحدة ، وسأل أشخاصاً مختلفين عن السنوات التى يعتبرونها أحسن فترة مرّت فى حياتهم ، وسنعرض عليك ثلاثة من أمتع الردود :

قالت أرملة تاجر البيض والزبدة : إن أجمل سنوات قضيتها فى حياتى بدأت بعد محنة خيّل إلى فى بادئ الأمر أننى لن أفيق منها . فقد كنت فى حياتى الزوجية كعروس من الخزف ، أرفل فى بحبوحة من الترف والرفاهية ، ولا أعلم من أمر الدنيا شيئاً . فكان زوجى يعنى بتدبير المنزل ، كما كان يعنى بإدارة عمله الناجح ، فى حين كنت أنا أنعم بحياة ناعمة حلوة خالية من التبعات .

وكان لزوجى شريك ، فاختلس ذات يوم رأس مال الشركة ولاذ بالفرار . فمات زوجى غماً بعد شهر من الحادث . فوجدت نفسى ، أنا وارثته الجاهلة فى تجارة البيض والزبدة ، أسير فى مكتبه المهجور ، وشرعت أتفهم طبيعة العمل .

ولكن أصدقائى توسلوا إلىّ أن أبيع ما بى بأى ثمن كان ، إشفاقاً على من أنتهى إلى الإفلاس ، غير أن قوة خفية حفزتنى إلى العمل ، فتهالكت عليه ودرسته بإمعان . وأخذت أزور رجال المال وتجار الجملة وعملاء المحل ، وأنا مشغوفة بمعرفة كل شىء ، حتى أعود مساء إلى مخدعى خائرة القوى . وهكذا أخذت عروس الخزف تواجه الحياة .

وبعد مضى عام كنت لا أزال أرزح تحت عبء الديون ، كما خسرت نصف عملائنا القدماء ، إلا أننى بدأت آلف العمل وأدرك أسراره .

وبعد ثلاثة أعوام استطعت أن أثبت قدمى وأشق سبيلى ، حتى صار ربحى ، أو كاد ، كربح زوجى . وكان هذا نجاحاً باهراً لمن كانت « عروساً من الخزف » . ثم عاد إلىّ

معظم عملائنا القدماء ، فزادت شهيتى للأكل ، وزاد نصيبى من النوم ، وجعلت أتمادى فى المزاح أكثر مما كنت أفعل فيما مضى .

وكنت يومئذ فى التاسعة والثلاثين من عمرى . وأنا الآن قد ناهزت الخمسين ، ولا أزال أعيش فى أجمل فترة من حياتى ، وهى تلك السنوات التى أظهرت أحسن فضائلى .

* * *

قالت زوجة بائع الأزهار :

أما حياتى فقد بدأت بعد أن تزوج أصغر أولادنا ، فوجدت نفسى أنا وزوجى وحيدين لأول مرة بعد ٢٩ عاماً . فقد ربينا أولادنا الأربعة ، وكنا ندير محلا صغيراً لبيع الأزهار ومحلا آخر لاستنباتها . وكنا نعمل بجد ولا نستريح إلا قليلا . وقد استطعنا أن ندخر بضعة آلاف من الدولارات ، فلم نتردد فى بيع تجارتنا حينما تقدم رجل لشرائها بثمن معتدل .

كنت أنا وزوجى نحلم دائماً برؤية العالم ، وما قرأناه فى الكتب عن البلاد النائية وأهلها ، « فوظفنا » كل ما نملك فى أوراق مالية تدر علينا الآن ٣٢ دولاراً فى الأسبوع ، وهو مبلغ لا يكفينا لكى نجوس خلال العالم فى أبهة ، ولكنه يعيننا فى رحلتنا ، على أن نزاول أى عمل يصادفنا فى طريقنا .

واتفقنا على أن نتنقل رويداً رويداً من بلد إلى بلد ، وأن نتجنب الإقامة فى الفنادق الأمريكية وأن نعيش مع أهل البلاد لنتعرف أخلاقهم . فذهبنا فى بادىء الأمر إلى هافانا ، فاشتغلنا أربعة أشهر . ثم ذهبنا إلى ريو ، ومونتفيديو ، وبونس إيرس ، فكنا نعلم اللغة الإنجليزية ، أو نحرس أحد قصور العظماء ، أو نرشد السائحين ، وقد بلغ بنا الأمر أن افتتحنا محلا لبيع السندويتش .

زرنا ١٩ دولة ، ثم جاءت الحرب حائلا دون المضى فى سبيلنا . وحين تضع الحرب أوزارها سنعود ونضرب فى فجاج الأرض لنجدد صداقتنا القديمة فى أنحاء العالم . فنحن الآن أكثر من أن نكون أمريكيين وحسب ، فالدنيا كلها وطن لنا . وإننا لنحس فى نفوسنا قوة تحير عقولنا ، لأننا نعلم أن فى استطاعتنا أن نسافر على أقدامنا إلى أى مكان . ومع ذلك فهل تعلم : أننا كلينا فى الستين من العمر !

* * *

قال عضو مجلس الشيوخ : أما أجمل فترة فى حياتى أنا فقد بدأت بعد أن قضى أبى نحبه فى حادث انفجار وقع فى مصنع ، ولم يكن قد ترك لأمى غير الذكريات . وكان منزلنا قد أغرقه الرهن بجميع ما فيه ، ولم نكن نملك للشهر القادم إلا ما يمسك الرمق . وكذلك تركت المدرسة وأنا فى الرابعة عشرة لأبيع الصحف .

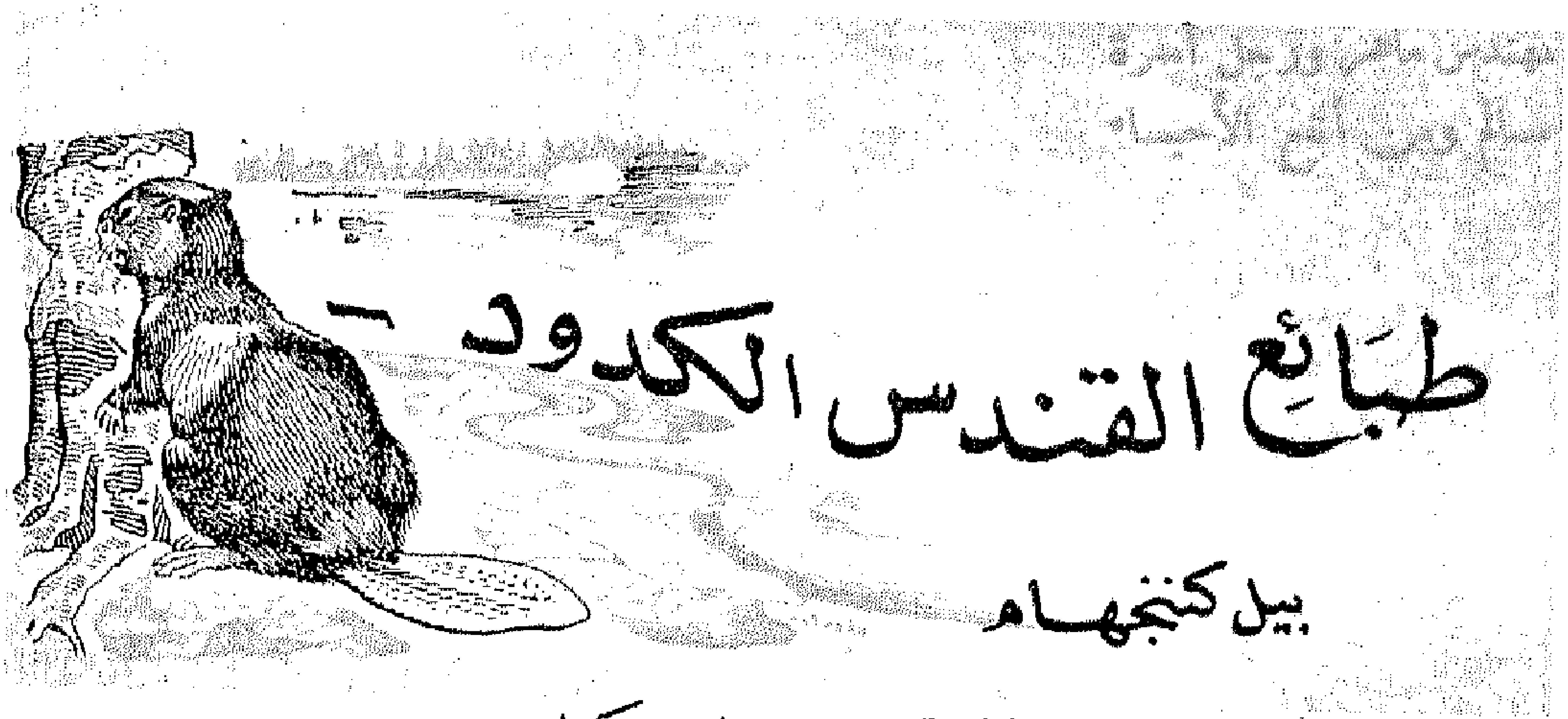
وكان ما أعلمه من أمر الدنيا أقل مما يعلمه لداتى ، فكنت كمن قفز فى ماء قارس . وظلت أسرتى تتضور جوعاً ، فما تنفعها السبعة الدولارات أو الثمانية ، التى كنت أكتسبها فى الأسبوع .

ولكن ، ليجزى الله أحد أصدقاء والدى على حسن صنيعه ، فقد هيأ لى الأسباب لأتخذ مكاناً أبيع فيه الصحف فى ركن قريب من المجلس البلدى ، فكنت أبيع صحف الظهر لشيوخ البلد ورجال القانون البارزين . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى صار العمدة يجاذبنى أطراف الحديث . ثم توثقت عرى الصداقة بينى وبين أحد شيوخ البلد ، فأعاننى على شراء كشك لبيع الصحف فى حى الأعمال المالية . فتمكنت بعد فترة قصيرة من أن أحادث الساسة المشهورين ورجال الأعمال المعروفين فى المدينة .

وقد عانيت كثيراً من الأشرار واللصوص ، ولكنى اكتسبت فى مقابل خسارتى خبرة بالناس عادت علىّ بالخير ، ولولا هذه الخبرة لما بلغت مقام عضو فى مجلس الشيوخ . ولقد تعلمت أن كل معرفة بإنسان غريب ، إنما هى حجر تلقيه فى بحيرة هادئة لايلبث أن تنداح منه موجات مستديرة تأخذ فى الاتساع إلى أن تبلغ أقصى ضفاف البحيرة .

وقد دأبت على مطالعة الصحف المحلية بإمعان ، ومناقشة الناس فيما يرد فيها من أخبار ، فأصبح كشكى ندوة يتشاور فيها الناس . وكان رجال المال وهم فى سبيلهم إلى عقد الجلسات يقفون علىّ ، فيناقلوننى الأخبار ، ويبادلوننى الرأى . ولقد كتبت عنى إحدى كبريات الصحف فوصفتنى بأنى بائع الصحف الذى يعرف أحوال الرأى العام وتطوراته ، فعيننى العمدة بعد ذلك بأيام فى مركز خطير . ومنذ تلك اللحظة استطعت أن أمضى قدماً فى حياتى السياسية .

❀❀❀❀



طبائع القندس الكدود

بيل كننجهام

ملخصة عن مجلة « كوليير »

لقد فات الطبيعة أن تعلم القنْـدُس كيف يقاتل . فهو على أنه جسيم إلى حد الكفاية ، ومسلح بأسنان قوية ومخالب مرهفة ، إلا أنه دمث الطباع لين الأخلاق، حتى ما يخطر أبداً بباله أن يقاتل مهاجميه وهم يطاردونه على الشاطىء ، أو ينقضون عليه من الهواء . ولذلك اضطر إلى أن يكدّ ويكدح — وإلى أن يبنى السدود .

والقندس الوَسَط طوله قدمان ونصف قدم وارتفاعه قدم ووزنه ٥٠ رطلا . وقد تشبه قدماه الخلفيتان قدمى البط ، وأما الأماميتان فهما يدان صغيرتان كأنهما يدا قرد ، له ذنب عريض أحرش طوله عشر بوصات وعرضه خمس ، وهو له كالدفة حين يعوم ، وكالدعامة حين يجلس أو يقوم ، وهو وسيلة لنقل الأنباء السيئة ، فإذا توجس شراً لطم الماء بذنبه ، وقد يسمع رنين اللطمة فى اليوم الساكن على بعد ربع ميل ، فيختفى كل قندس كان فى مدى السمع .

فإذا فاجأت قندساً وهو على الشاطىء فرّ إلى بركته . وفى وسعه أن يعوم ويغطس فى الماء كالطير الغطاس ، فإذا سد خياشيمه ، وأرخى عضلاته وخفض ضربات قلبه من ١٠٠ إلى ٥٠ ، تسنى له أن يغوص فى الماء كأنه صخرة ، ويظل تحته ١٥ دقيقة ، فإن أنت ألجأته إلى أن يطيل بقاءه فى الماء ، فقد غرق .

وزمهرير الشتاء القارص فى الشمال هو الذى يحمل القندس على بناء السدود ، إذ يحرمه الماء المكشوف الذى يأوى إليه ، ويصعب عليه أن يجوس خلال الثلج بحثاً عما يأكل من لحاء الشجر ، فيبنى السد لينشىء لنفسه بركة يخزن فى طين قعرها مؤونة الشتاء من الخشب لطعامه ، ويبنى فوقه داراً منيعة لأسرته .

وأول ما يفعله أن يختار غابة تكثر فيها الأشجار ذوات اللحاء الغض ، مثل الحور

والصفصاف وما إليهما ، فيتخذ من لحائها جلّ غذائه . ويحرص على أن يخترق المكان جدول ماء جار ، ولا يبالى أن يكون كبيراً أو صغيراً ، فإذا كان تياره سريعاً قطع هذا المهندس الماهر شجرة وعوم بها حتى تبلغ الموقع الذي ينوى أن يبنى فيه ، أما إذا كان الجدول بطيء الجرى فإنه يقوم بعملية الجر ضد تياره البطيء .

وما إن تستقر الشجرة حتى يعلق بها الطين وأعواد الشجر ، فيجدّ القندس فى نقل المواد من طين وعيدان وأحجار وحشائش من الضفتين ليضمها إليها ، ويحمل فى يديه الطين ، وهو العنصر الأساسى ، ثم يغوص مدة دقيقة إلى القعر حيث يرصّها ويثبتها فى مكانها بيديه وصدغيه .

وهو يبدأ فى الوسط ويبنى متجهاً إلى كلا الشاطئين . وقد يمتد طول السد من ١٠ أقدام إلى ١٠٠٠ قدم . وفى ألاسكا سد طوله ٩٠٠ قدم ، وفى « يلوستون بارك » بولاية وايومنج سد آخر يقاربه طولا ، وفى ولاية «وسكونسن» ثالث طوله ٤٠٠ قدم .

ومستعمرات القندس صغيرة . ومع أن عدداً كبيراً من القنادس قد تشتغل جميعها فى وقت واحد ، ولكن يبدو أن أحدها لا يكاد يلقى بالا إلى صاحبه . وهى تؤثر العمل فى الليالى القمرية المنيرة ، ولا تكاد تعمل أبداً خلال النهار إلا فى الضرورات ، مثل تصدّع السد .

وحين يعلو السد يشرع كل زوجين من القنادس فى بناء سكن قد يوصل بالسد أو بالشاطىء أو بجزيرة من جزر البركة . ويؤلف أساسه من عيدان وحجارة وأغصان يحبك نسج بعضها مع بعض بحيث لا يمكن أن تتفكك أو تنهار .

فإذا ماتم بناء السد واستوى الماء واستقر، بنيت على ظهر المسكن غرفة مقببة ، أرضها من خشب جاف ، حتى لا يكاد يصل إليها الماء . وقطرها يبلغ عادة من أربع أقدام إلى ثمانى أقدام ، وارتفاعها ثلاث أقدام أو أربع . وهى ذات مدخلين ، الأول من أرض البناء ، والثانى من تحت الماء . يجعل أحدهما لإدخال الخشب والآخر لدخول أهل البيت ، أما الردهة الاحتياطية فتنفع إذا ما اقتحم عليها من تحت الماء عدو لا تتوقعه .

ولا يتم بناء السطح المجدول من القش جدلا كثيفاً حتى يحين البرد القارس ، وعندئذ تطليه القنادس بالطين فيجمد حتى يصير كأنه لوح مصفح سمكه غالباً ١٠ بوصات . وليس فى السباع ما تبلغ مخالبه من القوة بحيث يستطيع أن يخترق عليها ذلك السقف .

ويتطلب بناء مسكن واحد قندسين يشتغلان الهوينا مدة ستة أشهر تقريباً ،

أما إذا أعجلهما خطـر إطباق الجليد ففى قدرتهما أن ينجزا العمل فى ثلاثين يوما .

وفى خلال هذا الزمن تكون مؤونة الشتاء من الخشب الصالح للأكل قد قطعت فى أعالى النهر ، وعومت إلى السد ، وأقيمت على جذورها فى الطين . وبعدئذ فليأت الزمهرير بالبرد والثلج كيفما شاء ، فما على القندس إلا أن يغوص إلى (الكرار) ويعود بشجيرة ، فلا يأكل منها إلا اللحاء ، أما العيدان العارية فيطرحها فى الخارج ، كيما تستعمل فيما بعد لإصلاح السد أو البيت .

اصدع أنت صدعاً فى السد ، فما أسرع ما يبدأ ترميمه . وما هو إلا أن يطل رأس أسمر من الماء القريب من أحد المساكن ، ثم يسبح القندس إلى مكان الخلل لا يخطئه . فإذا ما فحص الصدع ، انسل فى الثلمة ثم انطلق يعمل .

ويهمل المسكن فى الصـيف حتى يكاد يصبح خراباً ، فيذوب طينه ، ويلح عليه المطر حتى يتفكك . فإذا أخذ الليـل يبرد وبدت طلائع الشتاء ، تجمعت الأسرة عند بيتها القديم ، وأكبت على رأب الصدوع وسدها حتى تعود محكمة كما كانت .

أما طريقتـه فى قطع الأشجار فعجيبـة كقدرته فى النجارة والهندسة ، إذ يقف على قدميـه الخلفيتين ويدور بالشـجرة يقرضها حتى يبـدو ما بين أرومة الشجرة والجذع الذى فوقها كأنه أطراف رماح وقف سن منها على سن وأخيراً . تهوى الشجرة تسـقطها الريح أو قانون الثقل . ومع أن القنادس من دأبها أن تتخذ الشجيرات فى بنائها ، إلا أنها كثيراً ما تسقط من الشجر ما قطره ١٨ بوصة . ويفرغ لكل شجرة قندس واحد يقطعها بأسنان طويلة معقوفة يعلوها ميناء (الطبقة التى على الأسـنان) يكاد يكون غير قابل للكسر ، وتنمو هذه الأسنان نموا مستمراً فيضطر القنـدس أن يعنى دائماً بردها وتقصيرها .

وقد تواتر على الألسنة أن القندس يسقط الشجر فى الاتجاه الذى يريد ، وهذا باطل . والحق أن الشجرة الهاوية كثيراً ما تحصره أو تقتـله . وهو يأمل طبعاً أن يسقط الشجر فى الماء ، وإلا فإنه يقطعه قطعاً صغيرة ويدحرجها أو يجرها إلى الماء ، فإذا تقادم العهـد على بركته حتى خلت شواطئها من الشجر ، حفر قنوات ومدها إلى الغابة لكى يعوم ما يريده من الخشب إلى البركة .

ولما كان اقتناص القندس غاية فى السهولة ، لما فى طبعه من التسلم و لاطمئنان ، وكان فروه الناعم الأسمر المتين قد أصبح حبيباً إلى السيدات بعد أن كان استعماله منصوراً على صناعة قبعات الرجال ، فقـد أوشك القندس أن ينقرض من الدنيا ، حتى تداركه

العاملون على حفظ أنواع الحيوانات ، فعاد يقفز مرة أخرى فى مسارحه .

ففى سنة ١٩٣٠ أطلق ثلاثة أزواج من القندس فى غابات حديقة محرمة لحفظ أنواع الحيوان على الشاطىء الغربى لنهر هدسون (على بعد ٤٠ ميلا من مدينة نيويورك) . وبعد ١٥ سنة تبين أن القنادس الستة أصبحت ١٠٠٠ تقريباً ، وأنها انتشرت فى مساحة تزيد على ١٦٠ ميلا مربعاً ، وبنت أكثر من ١٠٠ سد ، وأن عدة منها عبرت نهر هدسون ، وأن زوجين منها قد هاجرا إلى جبال كاتسكيل على بعد ٧٥ ميلا شمالا .

والآن يوجد نحو ٥٠٠٠٠٠ قندس فى ولاية نيويورك وحدها .

وقد أصبح صيد القندس فى الولايات المتحدة تحت إشراف الحكومة ، فحين يعلن مراقب الصيد افتتاح الموسم ، يأتى الصائدون من كل فج ، ويدفعون رسوماً خاصة لهذا الامتياز . ومن الإجراءآت الرسمية أن توضع بطاقة على كل جلد . وقد صيد ٧٢٤٩ قندساً فى إحدى الولايات فى السنة الماضية ، ويساوى الفرو الواحد ٢٥ دولاراً . ومنذ بضع سنوات تبينت وزارة الداخلية بالولايات المتحدة أن القندس عامل من عوامل التقدم ، فصادت عدداً كبيراً وأطلقته فى مختلف الأنحاء ، لكى يساعد العاملين فى مشروعات شتى ، من السيطرة على حفظ تربة الأرض إلى إعداد مساكن فى الأنهر لسمك «سلمون» المرقط .

ولقد علمت الطبيعة القندس أن يكد ويكدح ، وأن يلزم بيته ، وأن يحافظ على السلام .

بسمارك . . . السبب لا العذر

حين زار إمبراطور ألمانيا البابا ليون الثالث عشر حاول بسمارك أن يتبع الإمبراطور إلى حجرة المقابلة فأشار أحد حجاب البلاط البابوى على بسمارك بالرجوع إذ لا يجوز أن يحضر شخص ثالث المقابلة بين البابا والإمبراطور . فصاح بسمارك وهو يحاول اللحاق بسيده « أنا الكونت هربرت بسمارك » . فردّ عليه الرومانى فى وقار : « إنّ هذا يفسّر سلوكك ولكنه لا يقوم عذراً له ! » .

لحم غض مركب بالكيمياء فى دن من دنان البيرة ، ثمن الرطل قرشان ونصف قرش

غذاء [illegible]

ملخصة عن مجلة « تايم »

وردت من مدينة سانت لويس بولاية ميسورى الأمريكية أنباء تهز النفس . فمن دَنّ من دِنان مصنع أنهوزر بوش لصناعة الجعة (البيرة) ، يخرج اليوم ، فى كل اثنتى عشرة ساعة ، طن من لحم طيب مرىء غض لذيذ ، كلحم الذبائح التى ظلت سنتين ترعى أحسن المراعى . وقد بلغت سهولة صنع هذا اللحم الكيميائى المركب مبلغاً جعل أولئك الذين اخترعوه يتطلعون إلى الإتيان بمعجزة جديدة فى إطعام الشعوب الجائعة بعد الحرب .

هذه المادة الجديدة ، هى فى الواقع نوع جديد من الخميرة ، وقد أضيفت إليها روائح شتى ، فلا تكاد تميز عن اللحم الطبيعى . والخميرة غذاء يفوق اللحم ، فهى أغنى مصدر معروف بفيتامينات « ب » ، وفيها من البروتين ضعف ما فى اللحم .

فمنذ ثلاث سنوات شرع الكيميائى البريطانى « ا . س . تايسن » يتحرى ما فى الخميرة من الغذاء إذا اتخذت طعاماً . فاستحدث منها ضرباً جديداً له رائحة مستطابة كرائحة الجوز ، يمكن أن يصنع فلا يكلف الرطل منه أكثر من قرشين ونصف قرش . والحكومة البريطانية تبنى الآن مصنعاً فى جزيرة جاميكا يصنع ألفى طن من هذه الخميرة فى السنة . وكان تايسن يرجو أن يقدم من الخميرة جرعاً مركزة ، يكمل بها الغذاء الناقص . ولكنه لم يكن يقدر أن تصبح عاملا فعالا فى قلب اقتصاد الطعام فى العالم رأساً على عقب .

ولكن ما لم يخطر لتايسن خطر « لكارل لنديجرين » ، وهو شاب باحث فى موضوعات الوراثة فى جامعة وشنطن بمدينة سانت لويس ، فسنح له أن يهيء خميرة ، متعددة الروائح والطعوم ، مشابهة للأطعمة المألوفة ، فخلط ضروباً مختلفة من الخميرة ، فانتهى هو وزوجته إلى أن ولدا منها خميرة فاخرة الطعم .

ضع ١٢٥ رطلا من هذه الخميرة فى دَنّ فيه ٧٠٠٠ جالون من الماء ، وطناً ونصف

طن من العسل الأسود (وهو الذى تغتذى الخميرة بسكره) وأمونيا (فإن تتروجين الأمونيا تحوله الخميرة إلى بروتين) . ثم يحرك المزيج لتختلط به ألف قدم مكعبة من الهواء كل دقيقة (فبغير الهواء يخمر الخمير السكر) . وبعد ١٢ ساعة تجد الخميرة التى تنمو نمواً سريعاً عظيما ، وقد تضاعف وزنها الأول ١٦ ضعفاً ، فأصبحت طناً من طعام طيب الرائحة ، هو ، قبل طبخه ، مسحوق جاف أسمر ، له رائحة اللحم أو الجوز وفقاً للصنف المصنوع . وقد أقام المصنع الدليل على أنه غذاء طيب بأن أعدّ وجبات من اللحم والحساء والفطائر وكعك الجبن مصنوعة جميعها من هذا المسحوق .

وشركة أنهوزر بوش مستعدة الآن لصنع ملايين من الأرطال فى السنة . والجيش الأمريكى وإدارة الإعارة والتأجير، يشتريان الآن مقادير كبيرة منه . وإذ كان ثمن الرطل من الخميرة لا يزيد على خمس ثمن الرطل من البروتين ، فقد ذهب خيال المتحمسين لهذا الاكتشاف ، إلى القول بأنه سيقضى على الماشية فى المستقبل ! .

محاربة الأمية فى الجيش

اضطر الجيش الأمريكى أن يرد من القرعة ٧٥٠ ألف مجند لأنهم أميون — وهو ما يعدل خمسين فرقة من الرجال الأشداء . ولكن أراد الجيش أن ينقذ هذه القوة من الرجال ، فانقلب معلما . وقد دعى هؤلاء الأميون إلى الدراسة ثلاثة عشر أسبوعاً فإذا جازوا الامتحان بعدها ضموا إلى الجيش . وقد نجح حتى الآن ٩٥٪ منهم . ومعظم الأميين فلاحون أو من معدنى الفحم ، وقد اتفق أن كان فى إحدى الفرق ، مدرب للفيلة فى سيرك ، وعامل فى مصنع ، وسائق سيارة للنقل ، وحلاق ، ولاعب كرة محترف . وكان لا بد أن يتعلم أكثرهم كيف يمسك القلم للكتابة ، وكيف يستعمل التليفون .

هؤلاء الرجال الأشداء ينفقون ثمانى ساعات كل يوم وهم مكبون على الكتب لأول مرة فى حياتهم ، ويتصبب العرق من جباهم على وجوههم وهم يحاولون نسخ حروف الهجاء . ولكنهم متى جازوا الامتحان شمخوا بأنوفهم تيهاً وزهواً أما أول خطاب يكتبونه إلى ذويهم فهو ولاشك من الحوادث البارزة فى حياتهم.

يحدثنا الأطباء الذين يعرفون الطبيعة البشرية

هل ترهقك مشاعرك ؟

هى امرأة شديدة مجدولة الجسم لا تُرى إلا شاكية تسرد بياناً طويلا بما تجده من الأوجاع ، فكانت تكثر طلب الطبيب حتى عيل صبره عليها . وذات يوم ، بينما كانت تعدد له أدواءها ، قاطعها قائلا فى لهجة إعجاب : « آه ... يالها من عافية سابغة قد ظفرت بها ولا ريب ، لكى تستطيعى احتمال جميع هذه الأمراض ! » .

الدكتور جورج لنكولن والتون
كتاب [لماذا أنت مهموم ؟]

* * *

من دأب السوداوى المكتئب أن يضمر فى نفسه فكرة تلح عليه : أنه يجب عليه دائماً أن يبلغ غاية العافية ، وأنه ينبغى أن يكون كل إحساس من أحاسيسه مطابقاً لهذا المثل الأعلى . ولو أنه استطاع أن يوطن نفسه، على أن يتجاهل هذه الفكرة ، وعلى أن يجمع عزمه ويصرف همته إلى أمور أخرى ، ولو أنه استطاع أن يوطن نفسه على أن يقول : « إن ما أقوم بعمله أهم وأجدى مما أشعر به » ، إذن لبرئ من سودائه وانقباضه .

كتاب [لماذا أنت مهموم ؟]

كان من بين مرضاى سيدة عذراء قانطة يائسة ، يلوح أنها فقدت كل اهتمام بالحياة ، فأوشكت أن تغدو سوداوية مكتئبة. وأخيراً دبرت خطة لحملها على أن تروى لى قصة مضحكة كلما جاءتنى للاستشارة . وكان تنفيذ هذه الخطة عسيراً فى البداية ، ولكنها أخذت تجد فيها لذة شيئاً فشيئاً . وقبل أن ينتهى علاجها على هذه الطريقة ، كلِفت بجمع الحكايات وبرعت فى روايتها . وهكذا ردّت الفكاهة إليها سعادتها وبشاشتها.

الدكتور وليم س . سادلر
كتاب [البحث عن السعادة]

* * *

قالت لى فتاة فاتنة : « أنت تعرف يادكتور ! إنى أغالى فى احتفائى واهتمامى بكل ما أعمل ، وكل من يعرفنى يصفنى بذلك » . وهذا الوصف هو سر بلواها . لقد قال لها ذلك كل إنسان فتمكن الإيحاء من نفسها . ولم تلبث بعد العلاج أن بدأت تدرك أن « احتفاءها » ليس سر بلواها ، بل هو « اهتمامها » بأن تشهد الناس :

« اشهدوا ! ما أكثر ما بذلت من نفسي ! وما أشد تعبي ! » . إن التعبير عن النفس والرغبة الصادقة في الحفاوة والبذل ، لايمكن أن يكونا إلا من بواعث الجذل .

الدكتورة جوزفين جاكسون وهيلين سالزبورى
كتاب [الانتصار على أعصابنا]

* * *

هذه هي « وصفة » الفيلسوف وليم جيمس للخائف الفزع : « ارفع كتفيك معتداً ، وتحدث بصوت قوي لايشوبه وهن ، وابتسم ، وتلطف في إلقاء التحية » .

* * *

شكا مريض مكتئب ، ذات مرة للطبيب النفساني ألفريد أدلر ، كثرة ما يعجز عن معرفته لنقص تعليمه . فسأله أدلر : «أرأيت بائع الخضر في الجهة الأخرى من الشارع ؟ إني لأظن أنه يعرف عن الفول الأخضر أكثر مما أعرف ، ومع ذلك فها أنت تراني أظل هادئاً كل الهدوء » .

فيلبس بوتوم ، كتاب [سيرة ألفريد أدلر]

* * *

إن الإعياء يصيب العقل الذي أثقله مايبذله من الجهد في ستر شهواته الخفية .

الدكتورة اليزابث آدمسون
كتاب [أنت إذن ذاهب لاستشارة طبيب نفساني]

* * *

بينما كانت إحدى اللواتي يعانين الهستيريا واضطراب الأعصاب طوال حياتهن تغادر عيادتي منذ بضعة أيام قالت : « أجل يادكتور ، إني أعرف أنني غاية في رقة الإحساس » . فقلت : « نعم ياسيدتي أعرف أنك غاية في شدة الأثرة » فقالت : « إنما قلت رقة الإحساس » . فأجبت : « وأنا قلت شدة الأثرة ، وقد عنيت ذلك » . فخرجت حانقة ، بيد أنها عادت بعد عشرة أيام نادمة ، واعتذرت ثم قالت إنها بدأت تدرك أنها امرأة غاية في شدة الأثرة .

الدكتور وليم س . سادلر
كتاب [المرأة في ميدان العمل ـ شخصيتها وصحتها]

* * *

إن مشكلة معظم الناس العصبيين أنهم يضفون على أنفسهم شيئاً كثيراً من التفكير والعطف ، إنهم يبددون على أنفسهم ما يفتقر إليه العالم أشد الافتقار ، وهو : الحب والحنان والعطف .

كتاب [البحث عن السعادة]

* * *

أنذر الدكتور أوليفر وندل هومز ، ذات مرة ، مريضاً سوداوياً وجده يقرأ كتاباً عن مرضه ، فقال : « انتبه ! وإلا فسيقتلك يوماً خطأ مطبعي » .

مجلة [تايم]

ولادة بركان

الطلق الجحيم من مزرعة مكسيكية فى فبراير الماضى ، ولا يزال الدمار يحل بالبلاد والعباد .

لويس ماتوكس ميلر . . . . ملخصة عن مجلة « پان أميريكان »

كان ديونيزيو بوليدو فلاحاً رقيقاً أعتق ، فاقتنى مزرعة صغيرة فى ولاية ميشوكان على مائة وثمانين ميلا إلى الغرب من مدينة المكسيك . ولعل ديونيزيو هو الرجل الوحيد الذى شهد بعينى رأسه ولادة بركان ، شهد أشد مناظر الطبيعة هولا ووقعاً فى النفس .

ففى مساء السبت الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٣ أتم ديونيزيو حراثة أرضه ووقف هنيهة يستريح ، وإذا به يرى فجأة عموداً من الدخان الأبيض يصعد من جوف أرضه يتلوى كالأفعى ، على بعد ٥٠ ذراعاً أو ستين ذراعاً من موطىء قدميه .

وقد ظلت تحدث فى أرضه حوادث غريبة طوال ذلك النهار ، ففى الصباح الباكر رجت الأرض رجة عنيفة ، ثم لاحظ وهو يحرث أن التراب تحت قدميه العاريتين أشد سخونة مما ألف ، ثم ها هو ذا الدخان الغريب ! فلما تقدم ليرى ما هو ، سمع جلجلة مكتومة « كأنها فرقعة نزع السدادة من زجاجة كبيرة » ، وتكاثف عمود الدخان ، ثم تصاعد كأن قوة خارقة قذفت به إلى السماء . فعدا ديونيزيو بين الغيطان عائداً لكى يأتى بزوجته .



ولكن أسرة بوليدو لم تر أرضها مرة ثانية . وبينا كان ديونيزيو يحث زوجته الدهشة المرتابة ، على الاستعجال ، إذ زلزلت الأرض زلزالا عنيفاً ، سجلته اجهزة الزلازل فى نيويورك على بعد ٢٢٥٠ ميلا . وحين جمع ديونيزيو نفسه ونهض من بين أنقاض الكوخ وألقى نظره على الغيطان ، رأى

مزرعة الذرة تندلع منها النار ، وتتقذف الحجارة الكبار وأطنان من الرمل فى الفضاء.

وشقت أسرة بوليدو طريقها متعثرة فى أرض ترتعد تحت أقدامها ، إلى قرية باراكوتين القريبة فوجدتها أنقاضاً . وكان الطريق مزدحماً بأقوام تملكهم الذعر فى فرارهم طلباً للنجاة . وكانت الملاءات والشالات مختلطة بالملابس، والأمتعة مكدسة على عربات النقل . وكان القسيس ينادى الأشداء من الرجال لينقذوا التمثال المقدس « لرب العجائب » .

لم يسدل الليل ستاره مرة أخرى على باراكوتين ، لأن البركان الذى كان قبل هنيهة مزرعة ديونيزيو بوليدو ، قدأضاءت نيرانه تلك المنطقة ، برغم ستار الدخان الكثيف الخانق من أبخرة الكبريت . كانت ألسنة اللهب تندلع فى الفضاء ، ومقادير من الصخر قد ابيضت من شدة الحرارة ، تنقذف ألف قدم فى الجو . وخلال ذلك كانت تنفجر انفجارات عنيفة تميد الأرض بها وتمور. وكان الهدير المدوّى لا ينقطع كأن « مئات من المدافع تنطلق معاً » ، على ما جاء فى تقرير السلطات الرسمية . وبلغت سحب الرماد الدقيق الأسود سطوح المنازل فى مدينة المكسيك على بعد مائة وثمانين ميلا .

ولكن الهول الذى تلا ذلك كان أعظم. ففى الليلة الثالثة ، انشق مخروط البركان — وهو كتلة كبيرة حامية كالياقوت الأحمر — وقذف بالسيل الأول من اللابة (الحمم المصهورة) ، وقد خرجت تغلى من جوف الأرض ، كأن ألوفاً من أفران صهر الحديد قد اندلقت معاً وتدفقت على الحافة ، ثم جرت على الجوانب فى مجرى متدفع عمقه عشرون قدماً وعرضه مائتا قدم ، وهو يتحول رويداً رويداً من أبيض يبهر النظر إلى أحمر قان ، خلال جريانه فى الوادى ، حاملا الموت الزؤام لكل ما يقف فى طريقه .

فابتدر رجال الحكومة وعلماء طبقات الأرض والصحفيون والمصورون إلى الوادى المصاب بهذه الكارثة ، وأقدموا على السير إلى مزرعة ديونيزيو ، على قشرة اللابة التى أخذت تجمد ، بعد ما غطت قرية باراكوتين ، فدنوا من ستار النار الذى يحيط بجحيم تلك المزرعة ، فلبثوا هنالك أياماً يدرسون هذه الظاهرة العجيبة ، ظاهرة ولادة أول بركان فى نصف الكرة الغربى بعد سنة ١٧٥٩

وقد جاءت ست فترات بعد ولادة هذا البركان ، خمد فيها النشاط البركانى بعض الخمود ، ولكن كان يعقب كل فترة انفجار

قوى يرعب القرى البعيدة ويرهبها ، وكانت المرة السادسة فى ١٠ يونيو ، وعندئذ شق باراكوتين — وهو الآن اسم البركان — كأساً كبيرة جديدة على مئات من الأقدام من الكأس الأولى ، وقذف نهراً ثانياً من اللابة المصهورة فى واد آخر . وجرى النهر فى البدء ألف قدم فى اليوم . ولكنه أخذ فى الاتساع ، وزاد اتساعه بعد شهر حتى خفت سرعة جريانه ، فلم تزد على عشر أقدام فى اليوم .

وقد دفن هذان الواديان الآن تحت طبقات كثيفة من اللابة ، والصخر والرماد البركانيين . وبركان باراكوتين نفسه يرتفع ١٢٠٠ قدم فوق مستوى السهل الذى انبثق منه ، وسمكه عند قاعدته ثلاثة أرباع ميل .

* * *

وحين طرت قاصدة هذا البركان كان أول ما لاحظته ذلك الدمار الذى أحدثه على مسافة ٧٥ ميلا منه . فالرماد الأسود يغشى الآن ما كان من قبل أودية خضراً ، وسفوح جبال نضرة . وقد زالت حدائق وبساتين ، ودفنت مبان وكنائس ، فلا ترى منها إلا بعض أبراجها ، وغاضت ينابيع ، وغدا نهر كوباتيتزو نهراً من الوحل بطىء الجريان .

ثم لا تلبث أن ترى عموداً ضخما من الدخان يتلوّى فى الفضاء صاعداً من كأس البركان ، وقد بلغ ارتفاعاً لا يصدق هو ٢٠٫٠٠٠ قدم . وبعد كل أربع ثوان تنقذف مقادير جديدة من الدخان ، وأطنان من الصخور مزمجرة فى الفضاء ، ويفور تيار عظيم من اللابة الحامية الحمراء إلى ارتفاع ألف قدم ، ثم يندلق على حافة المخروط ، جارياً على جوانبه فى أخدودين .

وقد أقفلت نوافذ الطائرة تجنباً للحرارة الشديدة والحجارة الحامية المتطايرة ، ولكن ذلك لم يمنع تسرب الدخان الكبريتى الخانق الذى لا يلبث أن يحملك على السعال . فالدخان المتدافع ، والصخور المتطايرة ، (ومنها قطع أكبر من الطائرة) ، واللابة الملتهبة كل هذه تجعلك تاهث روعة ورهبة حين تدنو الطائرة فى هبوطها من البركان .

وقد نزلنا فى قرية أوروابان على عشرين ميلا من البركان . ويعلو هذه القرية طبقة كثيفة من الغبار البركانى ، تصير رَدَغة لزجة حين يسقط المطر عليها . وهناك سقوف كثيرة أخذت تعنو تحت ثقل الرماد المتجمع عليها ، وهو أسرع فى تجمعه من قدرة الفلاحين على إزالته . ويبلغ عدد المتفرجين ٥٠٠ فى اليوم ، يزدحم بهم المكان ، لأن بركان باراكوتين أصبح رسمياً من مناطق السياحة . وتجرى مركبات الأتوبيس

إلى قرية أوروابان ، على أن الطريق إليها في الأميال العشرة الأخيرة ، في حاجة دائمة إلى تنقيتها مما يكسوها . ثم يمضي المتفرجون بالسيارة أو على البغال إلى الحدود التي عينتها الحكومة ، لما تعده منطقة الأمان حول البركان ، وهي بوجه عام تبعد ميلا عن محيط قاعدته .

وهناك على حافة هذه المنطقة قرية يدعوها الأهلون « سان جوان » ، وليس بعدها إلا رماد وحمم ورعد ووحشة . والحكومة المكسيكية موقنة بأن «سان جوان» مقضي عليها ، وقد حاولت أن تجلي أهلها عنها ، ولكنهم يأبون ، برغم اضطرارهم إلى مكافحة الرمال ليل نهار ، فهم يكسبون من المال الآن مبالغ لم يروا لها مثيلا من قبل ، من إعداد الطعام للرواد ، وتجهيز البغال والخيل لهم ، والقيام بعمل الأدلاء التراجمة .

وليس في منطقة مساحتها مائة ميل مربع حول البركان شيء أخضر، أو ورقة عشب ، وعلى بعد خمسين ميلا منه ، تذوى النباتات الغضة ولا تعيش إلا القوية كالأشجار والشجيرات . وقد حلت الكارثة بسبع قرى ، وأصيب غيرها . فالنبات يذوى في أرض كانت شديدة الخصب ، والعصافير تهوى من الجو لا حراك بها ، والماء نادر لأن الينابيع قد جفت أو غاضت .

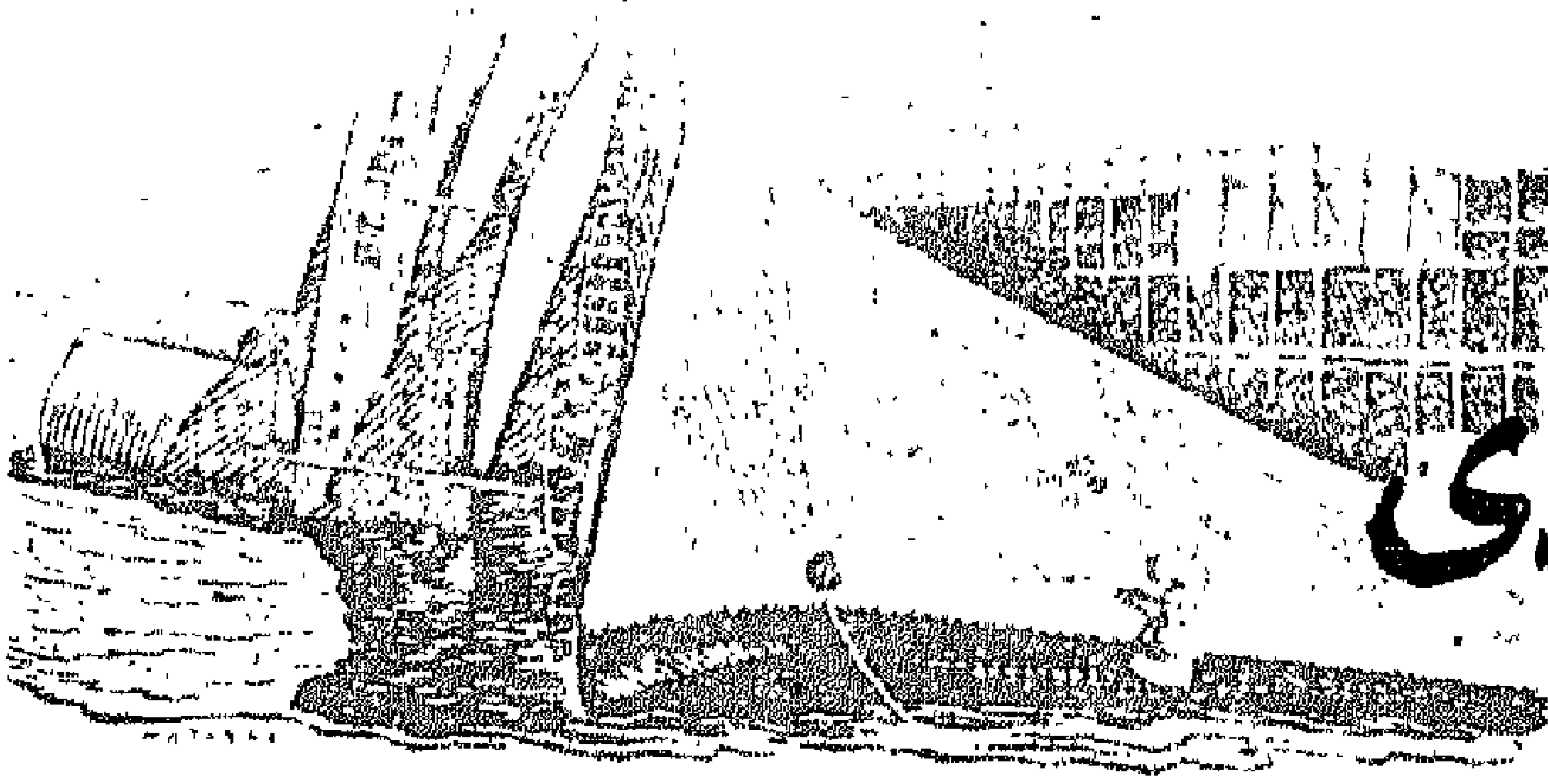
وقد بعث وزير الإغاثة طائفة من الأطباء والممرضات والعمال الاجتماعيين لإيواء ثمانية آلاف نفس اضطرهم البركان الوليد للجلاء عن أرضهم .

والنهاية لم تأت بعد ، فليس هناك ما يشير إلى أن نشاط باراكوتين آخذ في الخمود ، والانفجارات القوية تتوالى قاذفة في الفضاء مقادير كبيرة من الصخور الحامية ، ثم تسقط على مخروط البركان فيرتفع ويرتفع ، ومعدل ارتفاعه يدل على أن المادة المنقذفة من جوفه لم تقل . فاللابة تندفع في الفضاء ثم تهوى وتجرى على جوانبه ، وهُوِيّها يبدو في الليل ، كشلال من النار . والمكسيكيون يقولون : « إن الجحيم لم يزل طليقاً » .

يجب أن نحذر إنشاء مجتمع لا يعَدُّ فيه غير السياسيّ أو الموظف شيئاً مذكوراً ، ولا يُجزى فيه الإقدام والاقتصاد وحسن التدبير جزاءً حسناً .

[ونستون تشرشل]

قصة لا تكاد تصدق عن عمل أنجز فى سرعة فائقة



كيف رفعت النورماندى

بروس بليفن

ملخصة عن مجلة « ذى نيوريببليك »

عامت النورماندى مرة أخرى بعد ١٨ شهراً قضتها تحت سطح نهر الهدسون ، صارت فى خلالها قذرة مصدعة ممزقة ، وبهذا انقضت أشق فترة من أكبر أعمال الإنقاذ التى تمت فى التاريخ . إنها قصة فيها بطولة ، وشجاعة خارقة ، ومثابرة مدهشة على تحطيم عوائق ثقال . ومن الغريب أن هذا العمل قد أثر قبل تمامه فى المجهود الحربى تأثيراً كبيراً ، بغض النظر عن السفينة نفسها . فقد ألفت فرقة من عمال الإنقاذ ، ممن تدربوا على العمل فى النورماندى ، وأرسلوا على عجل إلى موانى شمال أفريقية ليزيلوا منها حطام سفن المحور ، فعجل عملهم هذا بغزو صقلية .

شبت النار فى غرفة الجلوس الكبرى من السفينة فى ٩ فبراير ١٩٤٢ ، أى بعد مضى ستة أسابيع على استيلاء وزارة البحرية الأمريكية عليها ، وبدء العمل فيها لتحويلها إلى ناقلة للجنود ، تحت اسم الباخرة « لافاييت » . وأذكت النار فيها ريح عاتية هبت عليها من الشمال الغربى ، فامتدت ألسنتها إلى جميع أرجاء السفينة . فلما صبت فرقة مطافئ نيويورك فى داخلها آلاف الأطنان من الماء ، ثقل أعلاها ، فمالت إلى جانبها الأيسر وغاصت فى الماء . وقد كانت صورة هذه السفينة الغارقة التى استقبلتها وزارة البحرية صورة كئيبة ، إذ كانت راقدة فى الماء وقد برز منها ما يقرب من نصف هيكلها الضخم ، البالغ طوله ١٠٢٩ قدماً وعرضه ١٢٠ قدماً ، والمد يطغى عليها فيملؤها ثم ينحسر عنها ، وكانت مقدمتها متجهة إلى الساحل ، وثلثها الأول مرتكزاً على عارض صخرى على عمق ٦٥ قدماً تقريباً ، أما الثلثان الباقيان فقد استقرا فى الوحل ، ولذلك كان يخشى أن تنشق السفينة قطعتين من الموضع الذى استقرت عليه عند ملتقى الصخر والوحل .

وقد أثارت مشكلة رفع هـذه السفينة الفاخرة اهتمام الجمهور ، فأرسـل آلاف الأشخاص إلى البحرية مقترحاتهم فى سبيل إنقاذها . وقد أشار بعضهم بأن يشدّ إلى جوانبهـا ، تحت المـاء ، حزم من كرات « البنج بنج » ، أومن صفائح فارغة محكمة الإقفال ، فتطفو بها . وأشار آخرون بأن تشد إليها تحت الماء كتل من الثلج — وهو أخف من الماء — أو أن تدلى إليها خطاطيف من مناطيد تحلق فوقها . وكان كلما ذكر اسم النورماندى فى الصحف ، تدفقت الخطابات وأرهقت خطوط التليفونات، حتى أتى اليوم الذى طلبت فيه البحرية ، على مضض ، من الصحف أن تـكف عن ذكرها .

وفى هـذا الوقت ، قرر خبراء البحرية ومهندسو شركة « مريت شابمان وسكوت » وهى من أقدم شركات إنقـاذ السفن فى العالم ، أنه يمكنهم رفع السفينة بأسلوب خاص فى استعمال المضخات ، يتطلب منهم أولا أن يجعلوا هيكل السفينة محكما لا ينفذ فيه الماء ، وذلك بتجزئة جوفها إلى أقسام محكمة المنافذ يعزل بعضها عن بعض ، ثم يسحب المـاء رويداً رويداً من الجانب المغمور إلى الجانب المكشوف ، حتى تعود السفينة قليلا قليلا فتستوى على قاعدتها . وقد رأى الخبراء أن هذا العمل سيستنفد من الوقت ما يتراوح بين عام ونصف وعامين ، وسيتكلف حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ دولار . وقد أنجزت المهمة فعلا فى ١٨ شهراً ، ولـكن تكاليفها كانت أقل كثيراً مما قدر لها أولا .

ولـكن هل كانت ثمرة هذا العمـل تستحق كل هذا العناء ؟ إن الجواب على هذا السؤال ، من الصعوبة بمكان ، لما يشتمل عليـه من العوامل التى لا تخضع لقيـاس ملموس .

حقاً إنه لا يمكن أن يقدم شخص سليم العقل ، على بناء ناقلة للجنود فى هذا الحجم ومن هذا النوع ، بل يفضل أن يصنع بدلا منها ، ثلاث سفن أصغر حجما . إن الناقلات الضخمة التى تحمل عدداً كبيراً من الرجال تفزّع أعصاب القيادة العليا ، لما تحمل من قوة كبيرة من الرجال معرضة للضياع ، وهى تفضل أن تكون القوة التى تتعرض للأخطار موزعة . ولـكن يقـابل ذلك ما رأته البحرية ، نظراً لشدة حاجتها إلى السفن ، من أن إنقاذ هذه السفينة سيزودها بهيكل وآلات فى حالة جيدة ، يكلف إصلاحها ثمن الثمن اللازم للحصول على أخرى جديدة ، وهو ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ دولار ، وكذلك تكون لديها ناقلة للجنود تامة المعدات بثمن يضاهى ثلثى تكاليف ناقلة جديدة من الحجم نفسه ولها سرعتها نفسها . وكذلك لن تكلفها

هذه العملية إلا القليـل نسبياً من المواد والمجهود ، فتصبح « النـورماندى » غنما للمجهود الصناعى البحرى لا عبئاً عليه .

ارتكزت خطة إنقاذ السفينة على نظرية بسيطة ، ولـكن تنفيـذها قابل مصاعب جسـاما اقتضت فى التغلب عليهـا مجهوداً ضخما يحير العقل . فقد كانت السفينة ، عند سقوطها ، تحمل على جانبها الأيسر عوارض خشبية ، تكسرت كأنها عيدان ثقاب ، فنفذ كثير منها خلال فتحات السفينة ومنافذها الجانبية فى اتجاهات غريبـة شاذة ، وكان على الغواصين أن يزيلوا هذا الحطام ، وهم على عمق أقدام عديدة من المـاء الممتزج بالوحل ، قبل أن يبـدأوا فى العمل على إنقاذها . ومما ضاعف المشـقة أن فى نهر الهدسـون رواسب طينية كثيفة ، تحيط بالغواص ، بعد غوصه عدة أقدام ، تجعله يعمـل فى ظلمة حالـكة ، لا تكاد تبددها المصابيح الـكهربائية .

وتحت الماء على عمق ٦٠ قدماً ، ٣٥٦ نافذة كان كثير منها مفتوحاً عند غرق السفينة ، وما من واحدة منها كانت قد بنيت بحيث تمنع المـاء من النفاذ إذا ما غمرها ، فـكان ينبغى إغلاقها بأغطيـة لا تسمح بنفاذه ، وينبغى أن توضع هذه الأغطية من داخل السفينة فى أغلب الأحيان . وقد وجد الغواصون ، حين اصبحوا على استعداد للبدء فى العمل ، أن السفينة قد رسبت فى جوفها طبقة من الوحل سمكها عشر أقدام . فكان عليهم أن ينسابوا خلال تيه من السراديب والغرف ، وأن يجرفوا فضلات متحللة أصبح بعضها يفرز غازات سامة منها « سـولفيد الإيدروجين » المميت ، قبل أن يتمكنوا من نزح أطنان الوحـل التى تسربت إلى جوف السفينة . ثم كان عليهم بعد ذلك أن يثبتوا ، وهم فى ظلام دامس ، الأغطية على النوافذ ، وعلى ١٦ منفـذاً كبيراً لمخازن البضاعة ، بعضها يتسع لمرور السيارات منه . وكان يجب أيضاً بناء أميال من الحواجز المغلفة بالأسمنت تحت المـــاء لتقسيم جوف السفينة . أما الأنابيب ، وكان هنالك آلاف منها ، فكان ينبغى أن تسد أطرافها .

لم تصنع سفينة من قبل بلغت من المتانة ما يجعلها تتحمل عملية كهذه التى أجريت على النورماندى ، ولذلك قوّى هيـكلها ، وأزيلت عنها جميع المنشآت التى كانت فوق سطحها ، ومنها صاريان ، وسطحان بأكملهما ، وثلاث مداخن ، بلغ كل منها من الضخامة مبلغاً يسمح بمرور أنبوبتى نفق الهدسون منها . وقد دعمت جميع الآلات الثقيلة ، التى لم يحسب عند تصميمها حساب بقائها تحت المـاء ثمانية عشر شهراً ، ماثلة تسعين

درجة عن وضعها المستقيم ، وقد عولجت بما يزيل الصدأ عنها . أما جميع الآلات التى جهزت بها السفينة فى سبيل إنقاذها ، فقد كان لابد من وضعها على أسطح دوارة ثبتت فى هيكل السفينة بمفاصل ، وشدت جوانبها الأخرى بيكرات ، حتى تحتفظ تلك الآلات بقدرتها على العمل إذا ما دارت السفينة لتستوى على قاعدتها .

وقد بلغ مجموع ما أزيل عن السفينة ، أثناء إنقاذها ٥٠٠٠ر٥ طن من ألواح هيكلها و ٦٠٠٠ر٦ طن من الأنقاض و ١٠٠٠٠ر١٠ ياردة مكعبة من الوحل و ٨٠٠٠ر٨ رطل من الزجاج المكسور و ١٠٠٠٠ر١٠٠ طن من الماء .

وقد أشرف على هذا العمل الخارق مراقب الإنقاذ فى وزارة البحرية ، وإن كانت شركة « مريت شابمان وسكوت » هى التى قامت على تنفيذ الجزء الأكبر منه . وكانت الفرق تتناوب العمل الذى تقوم به فى سرعة فائقة ، مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم ، أى أنه كان هناك دائماً من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ رجل فى عمل مستمر ، منهم ٧٥ غواصاً

وكان الرجال يعملون تحت تأثير إجهاد عصبى شديد ، وكل غواص منهم معرض أبداً لخطر انقطاع أنبوبته الهوائية من جراء الزجاج المكسور ، أو مئات من أطراف الصلب المدببة ، فربما كان يهبط غواصان أو ثلاثة لحماية أنبوبة الحياة المتصلة برجل فرد يقوم بعمله فى موضع خطر .

وكان هناك نقص فى عدد الغواصين اللازمين للقيام بالعمل فى النورماندى ، لما تفرضه مقتضيات الحرب من إقبال غير عادى على استخدامهم ، فأنشأ المراقب مدرسة لتدريب الغواصين على الرصيف المجانب للسفينة ، فدرب فيها عدداً كبيراً من رجال ليست لهم خبرة سابقة بهذا العمل ، وقد فعل ذلك ، على نفس السفينة التى كانوا يعدُّون للعمل فى إنقاذها .

وقد أذن لى ان أعتلى النورماندى فى اليوم السابق لبدء العمل فى رفعها ، ولقد كان مشهداً عجيباً مؤثراً أن يسير المرءحول المرفأ ، وهو ينظر إلى هذا الجسم الكبير الحجم الأغبر اللون ، المرتفع إلى ٦٠ قدماً ، عالماً بأنه غائص مثل هذه المسافة تحت الماء كذلك ، موقناً بأن هذه السفينة ستستوى بعد قليل على سطح الماء .

وقد كان عجيباً أيضاً مظهر الحركة التى كان ظهر السفينة يعج بها ، فهؤلاء عمال يعجلون فى صعودهم وهبوطهم على العوارض المؤدية إلى المنافذ التى كانت فيما مضى سطح النزهة على السفينة . ولم تكن تمر دقائق دون أن يهبط غواص تحت الماء ليواصل

عملا لم ينقطع منذ ١٨ شهراً . وكان هناك نصف دائرة كبيرة أبيض اللون ، مرسوما على هيكل السفينة ، وقد كتبت على حافاته أرقام ، وعليها ذراع حمراء اللون ، يبلغ طولها عشر أقدام ، تشير إلى الدرجة التى بلغتها السفينة فى ميلها ، وتسجل أولا فأولا التقدم الذى بلغته فى عودتها إلى مستواها . ولما ولجنا غرفة الطعام الكبرى وجدناها قد أضحت صندوقاً ضخما من الصلب ، ولم يبق منها إلا هيكلها هذا ، وثبتت فيها مضخة كبيرة بالأسلاك لتبقى محتفظة بقدرتها على العمل مهما تغير وضع السفينة .

ولكن كان هناك شيء آلمنى أشد الألم ، وهى هذه اللوحات الملونة الكبيرة التى رأيتها فى مكتب من مكاتب المرفأ ، بعد خلعها من السفينة ، وعلى كل واحدة منها اسم مدينة فرنسية — تولوز ، بوردو ، نانت ، رين ، خيل إلىّ فجأة ، وأنا أنظر إليها ، أن هذه السفينة هى رمز لفرنسا نفسها ، وأن نهوضها من سقطتها المذلة إنما هو فأل حسن يشير إلى أن فرنسا أيضا ستنهض يوماً ما ، وقد استعادت كرامتها وحريتها .

يؤشر بالإحالة على ...

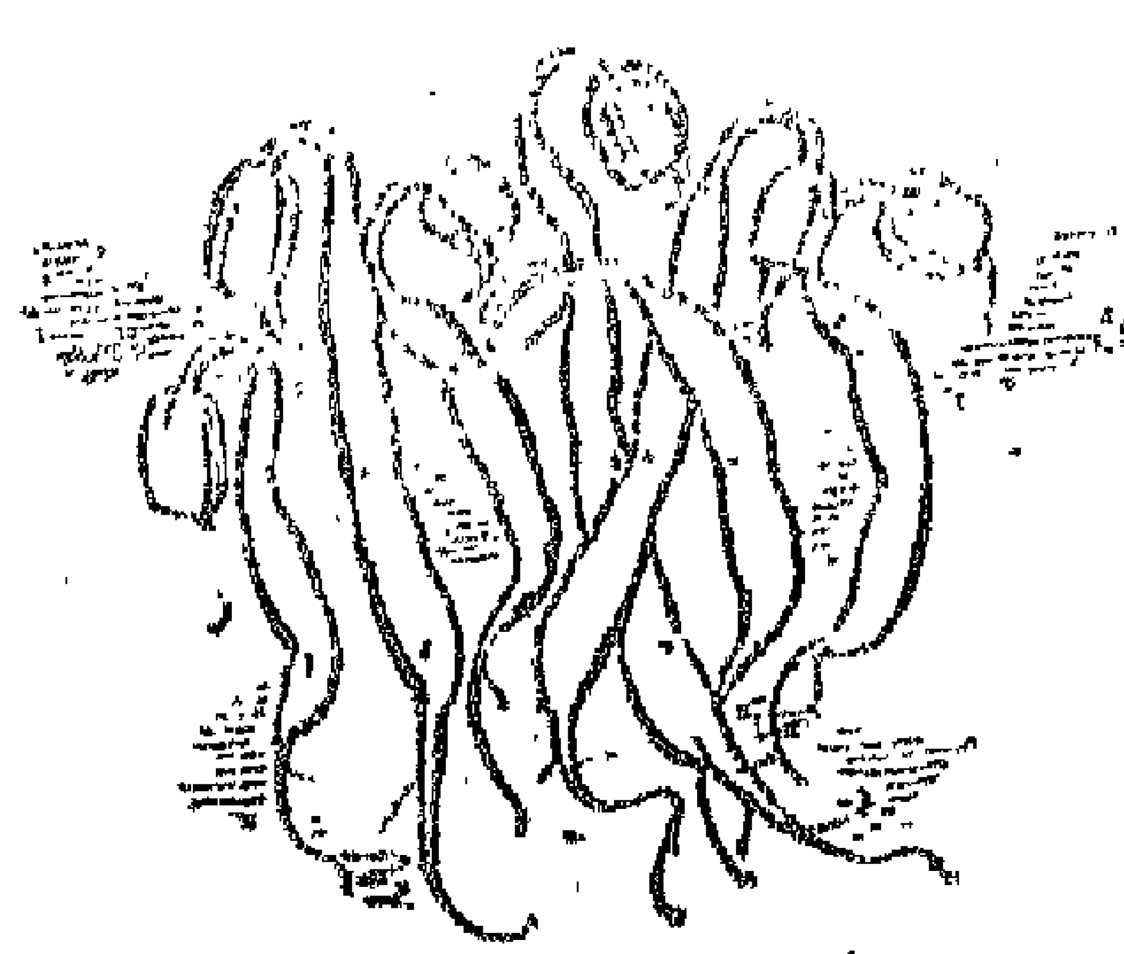
كان رجلان يعملان جنباً إلى جنب فى مجلس الإنتاج الحربى فى وشنطن بغير أن يخاطب أحدهما الآخر ، ولكن كان كلاهما يراقب الآخر . وكان أحدهما ينتهى من عمله وينصرف فى الساعة الرابعة كل يوم ، وأما الآخر فكان العمل يرهقه فيلبث إلى الساعة السادسة وربما إلى ما بعدها . وأخيراً فاتح هذا الرجل زميله قائلا : أتأذن لى فى أن أسألك كيف تستطيع أن تنجز عملك كل يوم فى الساعة الرابعة !

فردّ الزميل قائلا : المسألة بسيطة . كلما بلغت فى عملى مسألة معقدة أحيلها بتأشيرة « على الكوماندر سميث » ، وذلك لأنه يلوح لى أن فى مكتب كبير كهذا المكتب ، لابد أن يكون هناك رجل يدعى كوماندر سميث ، ويلوح لى أنى مصيب ، فجميع الأوراق التى أحلتها عليه لم تعد إلى .

فقال الرجل المتعب هادراً ، وهو يخلع سترته : « اسمع يا أخى تهيأ للنزال ، أنا كوماندر سميث ! »

فول الصويا العجيب

لى
متشل هودجس



ملخصة عن مجلة
« أميريكان ميلر »

منذ عهد قريب تناولت طعام الظهر فى مطبخ الغذاء بمدرسة التغذية التابعة لجامعة كورنل ، وكان المفهوم أن الوجبة تجريبية . ولما كنت ممن يتذوقون لذائذ الطعام ، فقد أقبلت وأنا فى حالة الشك ، إلا أنني غيرت رأيي حين تناولت أول قطعة من الخبز مع الزبد ، ولم أتمالك أن قلت : « هذا خبز بديع ! »

فقال الدكتور كلايف ماكى الإخصائى العظيم فى كيمياء الأغذية فى جامعة كورنل : « فيه دقيق فول الصويا ، أما ما ظننته زبدة فهو مرجرين زيت الصويا » .

وقدم إلىّ صحناً من نوابت فول الصويا مقلية وقد وضعت فى أرز مسلوق ، وقال : « جرب هذا » ، قلت : « هذا شائق ! أليس هذا شيئاً جديداً ؟ » .

قال : « نعم ! هو جديد هنا ، ولكنه عماد طعام الصين منذ ٥٠٠٠ سنة . فهذه النوابت جديرة بالاهتمام ، إذ هى خضر طازجة يمكن استنباتها خلال ثلاثة أيام إلى خمسة ، فى أى جو ، وفى أى وقت من السنة ، دون حاجة إلى التربة أو إلى ضوء الشمس . وهى عظيمة التغذية ، ويكاد الرطل الواحد من الفول المستنبت يكون جراية يوم كاملة لشخص بالغ عامل ، فإذا أضفت إليه مادة نشوية ، ومادة تزيد مقدار فيتامين «ا» ، كانت الجراية كاملة . والآن جرب السلطة » .

وجدتها مصنوعة من نوابت الصويا ، مسلوقة مبردة ، مع خس وبصل مقطع ، وفلفل أخضر ، مشكلة على الطريقة الفرنسية . أما الحلوى فكعكة مصنوع بعضها من دقيق الصويا وبها شىء من التوابل . والحق أن الوجبة كلها كانت لذيذة .

استطرد الدكتور ماكى قائلا : « لقد نلت غذاء كاملا كأنك شربت عصير الطماطم وأكلت شرائح من اللحم و بطاطس وحلوى ،

لقد تناولت العناصر الغذائية اللازمة وأكثر ، بخمس النفقات » .

تلك الوجبة أمدّتني بشيء أفكر فيه ، ولا سيما أن مشكلة الغذاء آخذة في التفاقم . إن فول الصويا يمكن استنباته في المطبخ ، أو على سطح الطنف ، أو سلم النجاة من الحريق ، دون أن يتطلب شيئاً سوى وعاء وقليل من الجير المعالج بالكلورين ، كالذي يستعمل في تطهير ماء الشرب ، وستار نافذة مربع أو قطعة قماش رخيصة الثمن ، كالتي يلف فيها الجبن بعد ضغطه ، ثم فول صويا مجفف ، وهي كلها لا تكلف شيئاً .

أذب مقدار ملعقة شاي من الجير في جالون ماء ، وانقع مقدار فنجان ($\frac{1}{8}$ جالون) من الفول طول الليل في $\frac{1}{4}$ جالون من ذلك المحلول ، ثم اغسله بالماء الصرف مرتين ، وضعه في وعاء سعته ربع جالون . ثم غط الوعاء بالستار أو قطعة القماش واربطها ، ثم ضع الوعاء مقلوباً على قطعتين صغيرتين من الخشب لكي يدوم تسرُّب الماء من الوعاء ، وضعه في مكان مظلم أو تحت صندوق من الورق المقوى .

وفي الصباح والظهر املأ الوعاء بماء صرف ، وفي الليل بماء ممزوج بالكلورين ليقيه من العفن ، على أن تعجل بتصريف الماء في كل مرة ، وتستمر في وضع الوعاء مقلوباً في الظلام . فإذا لم يكن الفول رديء الصنف أو بالغ القدم ، فإنه ينتفخ حتى يصبح أربعة أضعاف حجمه الأول ، ويخرج منه نبت ضارب إلى البياض طوله بوصة أو أكثر ، في مدة ثلاثة أيام إلى خمسة ، ويجب حفظ النبت في الثلاجة أو في مكان رطب إلى أن يستعمل .

إن الصنوف المختلفة من الطعام التي يمكن صنعها من نبت الصويا ، لذيذة تكاد تستسيغها كل الحلاقيم ، ويمكن سلقه وأكله ساخناً مع (صلصة) شهية ، أو بارداً في سلطة طازجة أو سلطة فواكه . ويمكن أن يقلى فيؤكل وحده خضاراً ، أو أن يخبز في وعاء مع قليل من اللحم المملح واللبن ، ومن شرائح البصل والفلفل الأخضر وفتات الخبز ، ولتضف كل ذلك إلى أي صنف من اللحم المسلوق فتحصل من هذا اللحم على ضعفي قيمته الغذائية . أو أضفه إلى لحم (مفروم) وخضار ، ويحسن أن يؤكل حب الفول وعنقه النابت معاً . أما القشر المرتخي فلك أن تنبذه إذا كنت ممن يؤثرون الشكل على الصحة ، وهو على كل حال لا يفسد طعمه بل هو من بقايا الطعام التي تعين الأمعاء على الحركة .

وفول الصويا هو أكمل ما عرف من المواد الغذائية الطبيعية ، وكل رطل من

دقيق الصويا يحتوى على مقدار من البروتين يعادل ما فى إحدى وثلاثين بيضة ، أو جالون ونصف جالون من اللبن ، أو رطلين من اللحم الخالى من العظام . وبازدياد ندرة الأغذية الحيوانية ، سيزداد شأن نوابت الصويا فى سد حاجتنا المستمرة إلى الغذاء فيما بعد الحرب ، وفى إغاثة ملايين الجائعين بعد الحرب فى أوربا . ويمكن شحن الفول جافاً إلى أى جهة من الجهات لأن حبه مجفف وله خاصية الاحتفاظ بصفاته .

وفى هيجرز تاون بولاية ماريلاند ، حيث تقوم « شركة الصويا بأمريكا » بطحن فول الصويا بطريقة جديدة ، ذقت شيئاً من طحينها الأبيض كالقشدة ، فوجدته لطيفاً وأشبه قليلا بطعم الجوز ، ليس فيه ذلك الطعم السكريه أو تلك المرارة التى بغضت إلى الناس بعض أغذية فول الصويا المجهزة فى سرعة وإهمال ، والتى عرضت بادىء ذى بدء فى أمريكا .

والآن أصبح فول الصويا يطحن فى كثير من الجهات فى أمريكا ، ومن دقيقه يصنع خبز أبيض ، وألوان من الأغذية الأخرى أكثر تغذية ، مثل أصناف القند (الحلوى المسكرة) ، والكاكاو ، والحساء المجفف ، وأغذية الأطفال ، والمايونيز ، والقشدة المثلجة ، وأصناف الكعك .

وأكلت شعيرية ومكرونة فيهما شىء من الصويا ، فوجدتهما تضارعان خير نظائرهما . ويخلط الخبازون دقيق الصويا ببعض منتجاتهم ، كما يخلطه صانعو السجق باللحم المطحون لينتجوا سجقاً أقل تقبضاً عند الطبخ ، كما يوجد الآن فول صويا طازج محفوظ فى علب من الصفيح .

وفول الصويا ملىء بكثير من الفيتامينات خصوصاً فيتامين ب ١ وب ٢ ، وهو مصدر حسن لفيتامين هـ (وهو فيتامين التناسل) وفيتامين ك الحابس لنزف الدم ، والنياسين الواقى من مرض البلاجرا (سوء التغذية) . وفى حين أن الفول الجاف لا يحتوى على فيتامين جـ الواقى من الجرب ، فإن رؤوس الفول النابت تعوض ذلك النقص وأزيد ، إذ يتكون فيه قدر من هذا الفيتامين الهام حتى يضارع الطماطم .

كان بيان الدكتور ماكى عن هذه المزايا الأخرى ، سبباً فى مبادرة ضابط بالجيش الكندى إلى كورنل ليدرس الأمر . والآن يتاح للقوات الكندية المرابطة فى المناطق المتجمدة الشمالية أن تأكل خضراً طازجة طول السنة تقيهم مرض الجرب بفضل نوابت فول الصويا .

كما أن فول الصويا يحوى الكثير من المواد المعدنية التى يجب أن تكون فى طعامنا

كل يوم ، ففيه من الكالسيوم ، الذى يبنى العظام ، ما يعادل ضعف ما فى اللبن ، ثم فيه كثير من الفوسفور والحديد والنحاس والمغنسيوم والبوتاسيوم والصوديوم .

لقد كان العالم الألمانى فورستنرج صادق التنبؤ إذ وصف فول الصويا فى سنة ١٩١٧ بأنه : « النبات الذى سيحدث انقلاباً فى تغذية البشر » ، فكانت ألمانيا تستورده يومئذ أكثر مما كانت تفعل أى بلاد أخرى ، وكانت تستورده على الأخص من منشوريا .

ومن أول الأعمال التى قام بها هتلر حين تولى الحكم فى ألمانيا ، أن أعد العدة لادّخار مليونى طن من فول الصويا ، ولزراعته فى نطاق فسيح فى رومانيا وغيرها. وبعض هذا المخزون استعمل فى صنع المتفجرات وغيرها من المواد الكيميائية المستعملة فى الحرب ، ولكن معظمه طحن دقيقاً فثبت أنه ذو قيمة عظيمة من حيث إكمال النقص فى الأغذية الحيوانية .

قال الدكتور أرتيمى ألكسيس هافورث : « لم ندرك بعد إلا شيئاً يسيراً من فوائد فول الصويا ، لقد أهملنا أهم غذاء أساسى » . وهذا الدكتور قضى ثمانى سنوات بالكلية الطبية ببكين ، موفداً إليها على حساب إحدى هيئات روكفلر ، فدرس هناك أكثر من ٥٠٠٠ صنف من أصناف فول الصويا المختلفة التى تزرع فى الصين .

ونحن مجدّون فى استدراك هذا الإهمال ، ففى سنة ١٩٤١ استعملنا ٥٠ مليون رطل من منتجات الصويا ، وتطلب الحكومة فى هذا العام إنتاج ثلاثين ضعفاً لذلك المقدار . وأكثر هذه الزيادة الهائلة ستستهلكه جيوش أمريكا وغيرها من الأمم المتحدة . ومهما يكن من أمر ، فلن يخطىء من يتنبأ بأن الأصناف المتخذة من الصويا ستكون فى المستقبل القريب أشهى أنواع الطعام .

نهاية شاعر

جند شاعر منذ عهد قريب ، فلم يحدث له ما يستحق الذكر إلا حين قابل الطبيب العقلى الذى يتولى فحص جميع المجندين ، إذ التفت الطبيب إلى هذا الجسم العارى المرتعد ، وراجع سجله ثم قال : « شاعر ؟ إيه ! هل حجزت من قبل فى مصحة عقلية ؟ »

[مجلة ذى نيويوركر]

التوأمان السياميان

حياتهما وحبهما



ملخصة

من مجلة « كيوانيس »

ج . ب . مكاڤوى

لعل جميع القراء قد سمعوا بالتوأمين السياميين الأصليين ، ولكن كم من قارىء يستطيع أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة : هل كانا من الناحية القانونية فردين أو شريكين ؟ فإذا اقترف أحدهما جريمة فهل يعد الآخر شريكا فيها ؟ وهل يجوعان ويغلبهما النوم معا ؟ وهل كانا على اتفاق أو كان الخلاف يشجر بينهما ؟ وأيهما مات أولا ؟ ولماذا ؟ وكم كان عدد الأرامل اللواتى مات التوأمان عنهن ؟ وكم عدد ما أعقبا من الأولاد ؟

ولد التوأمان تشانج وإنج سنة ١٨١١ فى قرية صيد صغيرة قرب بانجكوك حاضرة سيام . وكان والدهما صينياً ووالدتهما نصف صينية ، فكلاهما ربع سيامى ، أو هو على التحقيق ثمن سيامى . وقد عرفا بعد ذلك باسم تشانج إنج بنكر ، انتساباً إلى السيدة الأمريكية فى نيويورك التى أحسنت معاملتهما .

وحين اكتمل نموهما كان طول أحدهما وهو تشانج خمس أقدام وبوصة ، وطول الآخر وهو إنج خمس أقدام وبوصتين ، ولذلك كان تشانج يلبس حذاء أعلى كعباً لكى لا يبدو توأمه أطول منه . وقد زاولا تربية البط وبيع البيض ، فلاحظ كل من رآهما ذكاءهما فى عقد الصفقات ، إذ كانا يتكلمان معاً فيتم أحدهما عبارة بدأها الآخر ، ولم يكن فى وسع المساوم العادى أن يجاريهما . وفى أحد الأيام ، حين كان التوأمان فى الثامنة عشرة من العمر ، أرست سفينة أمريكية فى الميناء ورآهما ربانها اتفاقاً . فهربهما ونقلهما إلى بوسطن ، فكان لظهورهما أثر كبير ، لم يقتصر على بوسطن بل شمل أوربا حين سافر كافلهما بهما إليها . فقطع بهما فى الجزائر البريطانية وحدها مسافة ٢٥٠٠ ميل ، وهو يعرض التوأمين ، حتى أن كلية الجراحين الملكية دعت التوأمين إلى الشاى ، وحكمت بأنهما « فلتة طبيعية عجيبة » .

وقد كانا فلتة . ومع اتصالهما ، فقد كان فى وسعهما أن يعدوا وأن يسبحا ، وأن يمشيا ثمانية أميال إلى عشرة أميال ، وأن يلعبا ألعاباً شتى ، وقد ذهبا غير مرة إلى الصيد . وكانا يسيران جنباً إلى جنب وينامان وجهاً لوجه ، فإذا شاءا تغيير مضجعهما على

الفراش انقلبا من جنب إلى جنب دون أن يوقظ أحدهما الآخر. وكانا سويين من كل وجـه ، إذا استثنيت وُصْـلة مرنة طولها ثلاث بوصات ونصف بوصة ومحيطها ثمانى بوصات ، كانت تصل بينهما ، من أسـفل عظم الصدر فى كليهما إلى البطن.

وقد اختلف رأى خبراء الطب اختلافاً كبيراً فيما يحدث فى جوف هذه الوصـلة ، ولكنهم لم ينتهوا إلى شىء إلى أن شرحت الجثة بعـد الوفاة . فكان تشريحها حادثاً عالمياً ، إذ اتفق الجميع حينئذ على أنه لو كان فصل بينهما وهما حيان ، بعملية جراحية ، لقضى عليهما . ومما حير العقل قبل معرفة هذه الحقيقة ، أن إبرة تغرز فى وسط هذه الوصـلة تماماً كان يستشعر التوأمان كلاهما وخزتها ، ولكن إذا غرزت إلى يمين وسطها أو إلى يساره ، فإن أقرب التـوأمين إلى مكان الوخزة هو وحده يحس بها . وقد أصيبا وهما طفلان بالحصـبة والجدرى ، ثم برئا معاً . وكان أحدهما ، بعـد ما تقدمت بهمـا السن ، دائم السـكر ، على حين كان الآخر لا يشرب الخمـر مطلقاً ، ومع ذلك فإن ثمل الأول لم يؤثر أبداً فى وقار الآخر.

وقد عادا إلى أمريكا من رحلتهما الأولى وهما أوفر تجربة ، ولكنهما لم يكونا أوفر مالا ، فقد فر الربان بالمال . ولكن التوأمين كانا قـد بلغا سن الرشد ، فأنشأا علاقات جديدة فجمعا ثروة تقدر بـ ٦٠ ألف ريال.

ولو كنت أنت أحد توأمين سياميين ، لظننت أن ستكون حياتك خالية من آيات الحب ومغامرات الغرام ، ولتوقعت عوائق لابد منها تردك عن هذه السبيل . ولاريب فى أن هذين التوأمين قد ظنا هذا الظن ، ثم حدث لهما حادث غريب لم يكن فى الحسبان. ففى مدينة لنـدن هامت بحبهما كليهما مس صوفيا ، وهى من أسرة محترمة . فأفزعهما هذا ، أما هى فوجدت « عوائق فى طريقها لا يمكن تذليلهـا ، لأن رجال الطب من البريطانيين حكموا بأن التوأمين فردان ، يتميز أحـدهما عن الآخر ، فلو حققت هى رغبتها كاملة لتعرضت لخطر الدفاع عن تهمة الزواج برجلين » . فلقيت مس صوفيا عـذاباً أليماً إذ حيل بينهـا وبين رغبتها ، فحاولت أن تجـد فى الشعر عزاء وسلوى ، واختارت قطعة مؤثرة ودّعتهما بها.

وقد كان التوأمان مثار مشاكل فقهيـة بين المحامين فى أمريكا ، فكانوا يتناقشون فى « كيف يستطيع توأمان حكم الطب بأنهما فردان ، أن يملكا عقاراً ما ؟ أليسا شريكين فى ملك هذا العقار كما هما شريكان فى الحياة » ؟ وتقرر أخيراً أن من حقهما أن يملكا العقار وأن يوقعا العقود ، إما على

أنهما فردان، وإما على أنهما شريكان، فيوقع أحدهما نيابة عن الآخر، ولكن لابد لهما من أن يكون زواجهما زواج فردين منفصلين، وأن يرث كل ولد من أولادهما أباه على حدة.

ولكن . . . إذا ارتكب أحدهما جريمة فأيهما يدان ؟ أيجوز محاكمة الآخر على أنه شريك ؟ وإذا كان أحدهما بريئاً فكيف يعاقب الآخر أو يسجن دون أن يعذب البريء ؟ ولم يكن في وسع أحد أن يزعم أن أحدهما لم يعلم بما فعله الآخر ، إذ كانا يناما معاً ويستيقظان معاً ، ويأكلان ألواناً واحدة ومقادير متماثلة من الطعام ، وكان كل منهما يدخن أو يمضغ التبغ حين يدخن الآخر أو يمضغ . حتى لقد حاول كثيرون أن يشغلوا التوأمين في حديثين مختلفين ، فخابوا فيما حاولوا . ومع أنهما كانا يختلفان اختلافاً عنيفاً في مسائل كثيرة ، فقد كانا يقدران أن يتكلما معاً في موضوع واحد في وقت واحد — وكان كل منهما يستطيع أن يكمل عبارة الآخر ، منذ طفولتهما .

ومن الغريب ، أنه قلما حادث أحدهما الآخر . وقد فسرا ذلك مرة بقولهما ، إنهما يريان الأشياء عينها في وقت واحد، ويشعران بها شعوراً واحداً ، فليس بينهما ما يتحدثان فيه . ومن أجل ذلك كانا يكرهان أن يلعبا لعبة يكون أحدهما فيها منافساً للآخر ، مثل الشطرنج — وكانا بارعين فيه — لأنهما لا يجدان لذة في هذه المنافسة فهي على قولهما: «كالمنافسة بين يدك اليمنى ويدك اليسرى» .

أما السياسة فكان الأمر فيها مختلفاً ، ففي انتخاب محلي للكونجرس في سنة ١٨٤٧ اختلفا اختلافاً عنيفاً ، فصوت كل منهما لمرشح غير مرشح الآخر .

وقد تعلما اللغة الإنجليزية ، كلاماً وقراءة وكتابة ، ولبسا الملابس الأمريكية، ولكنهما ظلا يرسلان شعرهما عند مؤخر الرأس على الطريقة الصينية . وكان لكل منهما جديلة طولها ٣½ قدم تلف حول الرأس .

وقد حدث لهما حادث حب آخر ، إذ وقعت شقيقتان في حبهما . فتزوج تشانج إدلايد ييتس وتزوج إنج شقيقتها سارة آن ، في أول أبريل سنة ١٨٤٣ في مقاطعة ويلكيس بولاية كارولينا الشمالية . وكنا نود أن نقول أنهم عاشوا جميعاً في رغد ، ولكن لم يتح لهم ذلك . فقد تعذر على الشقيقتين أن تعيشا معاً ، ولم يكن أحد التوأمين يستلطف زوجة توأمه ، فانتهى رأيهما على أن يبني التوأمان دارين متباعدتين لزوجتيهما ، بينهما مسافة ثلاثة أميال ، وأن يعيشا ثلاثة أيام في دار وثلاثة أيام في الأخرى، وهو أسلوب من الحياة حير الجيرة .

وظلا متزوجين أكثر من ٣٠ سنة ،

وخلفا ٢٢ ولداً وبنتاً يمتازين ذكاء وتوقداً . فخلف إنج سبعة صبيان وخمس بنات جميعهم سوىّ الخلق ، وأما تشانج فخلف سبع بنات وثلاثة صبيان ، كلهم سوىّ الخلق إلا صبياً وبنتاً كانا أصمين أبكمين .

ثم نشبت الحرب الأهليـــة ، وكان التوأمان من حزب الجنوب ، فنالهما أثر هزيمته ، فلما افتقرا عادا إلى نيويورك لاسترداد ما فقداه ، ولـكن الجمهور كان قد فقد اهتمامه بهما . فاستولى اليأس عليهما ، فقضيا أيامهما الأخيرة فى مزارعهما ، وكانا فلاحين ناجحين ، ولم يزل دأبهما أن يمضيا ذهاباً وجيئة إلى دار كل منهمـا كل ثلاثة أيام غير عابئين بتقلب الجو .

ويقول بعض المؤرخين أن هذا سبب موتهما ، إذ أصيب تشـانج بزكام وهما ذاهبان من دار إلى دار فى المطر . وغيرهم يزعم أن تشانج ذهب إلى حفلة فيها خمر فأسرف أكثر مما يطيق . وعلى أية حال ، ففى اليوم الثالث والعشرين من يناير سنة ١٨٧٤ — أى فى السنة الثالثة والستين من عمرهما الحافل العجيب — أويا إلى مخدع صغير وناما . ولـكن تشانج كان لا يستقر على حال ، وفيما بين منتصف الليل والفجر نهضا من الفراش وجلسا فى كرسى خاص أعــد لهما يصطليان . وظل النعاس يغـالب إنج فأراد أن يأوى إلى فراشه ، ولـكن تشانج كان يشكو ألماً فى صدره فلا يستطيع أن يستلقى . فتناقشا بينما كان إنج يدخن غليونه . وأخيراً نفض تشانج غليونه وأويا إلى الفراش فنام إنج نوماً عميقاً .

ثم نزلت الســتارة على مشهد مخيف لم تسبق مخيلة إلى تصور مثيل له :

استيقظ إنج وسأل ابنه : « كيف حال عمك ؟ » . فرد الصبى : « عمى تشانج قد برد جسمه . عمى تشانج قد مات » . ثم حدث هرج ومرج ، فبدأ إنج يبكى وهو يقول لزوجته : « إن ســاعتى قد دنت » ولما التفت مذعوراً ، فرأى الجثة الهامدة استولت عليــه تشنجات عصبية شديدة ، فمات بعد ساعتين مع أنه كان فى تمام عافيته وصحته حين أويا إلى الفراش .

وقد شرحت الجثتان فى اجتماع خاص بكلية الأطباء فى فيلادلفيا ، ففصل التشريح فى مسائل طبية كثيرة تتعلق بجسمهما ودمهما ووراثتهما ، وأثبت أن كل محاولة فى فصلهما وهما حيـان كانت تفضى حتما إلى وفاتهما . وظهر أن تشـانج مات بسكتة مخيــة ، أما إنج فلم يعرف لموته سبب ما ، ولـكن كان الرأى الغالب أنه مات فزعاً .





جريدة الأرجنتين العجيبة

چورج كنت

ملخصة عن مجلة « إديتور آند پبليشر »

شادت نجاحها على « الإعلانات المبوبة » ثم أضحت مؤسسة تخدم الشعب ، متحدية الحكومة ، وضغط جماعات المعلنين ، وهى تبذل معونتها الطبية والقانونية والزراعية وغيرها بالمجان للمشترك فيها ولغير المشترك .

صحيفة « لا پرنسا » التى تصدر فى « بونيس إيرس » عاصمة الأرجنتين ، لا تعد نفسها صحيفة وحسب ، بل ترى أنها مؤسسة واجبها المقدس أن تبذل كل ما فى وسعها لمساعدة شعب الأرجنتين .

فإذا كنت مريضاً أمكنك أن تجد علاجك فى عيادة « لاپرنسا » على يد أقدر أطباء البلاد ، دون أن تدفع شيئاً . وأطباء الأسنان بالصحيفة يخلعون لك أسنانك أو يحشونها أو يلبسونها وهذا أيضاً بغير أجر . أما إذا وقعت فى مشكلة قانونية فيفتيك فيها محامو «لاپرنسا» ، فإن كنت فقيراً تولوا الدفاع عن قضيتك . وليست هذه الخدمات حيلا يستعان بها على الرواج ، فإن الجريدة ترحب بكل امرىء ، سواء أكان يشتريها أم لم يكن .

فإن كنت مزارعاً حللت « لا پرنسا » تربة أرضك ، أو أرشدتك إلى ما تعالج به حيواناً مريضاً . وإذا كانت لأطفالك مقدرة موسيقية ، علمهم معهد «لاپرنسا» الموسيقى مجاناً ، فإن كانوا من أفذاذ الموهوبين أنفقت عليهم ليتابعوا دراساتهم فى الخارج .

وقد أنشأت « لا پرنسا » مكتبة عامة ، وقاعة للمحاضرات فى وسع أى جماعة تشاء أن تنتفع بها بلا مقابل ، ولها معمل يستطيع أى تاجر أن يبعث إليه ما يريد لتحليله .

وليست هذه كلها إلا أعمالا يسيرة ، إذا هى قيست إلى إصدار صحيفة تعد بحق من كبريات صحف الدنيا . ومؤسس «لاپرنسا» هو جوزيه كلمنت باز ، وقد وضع فى عددها الأول ، الذى ظهر فى سنة ١٨٦٩ ، المبادىء

التي يهتدى بها ، وهى : الصدق ، الشرف، الحرية ، التقدم ، المدنية .

وقد مضت الجريدة بنمو حجمها وترتفع منزلتها ، فلما بدأ المهاجرون يتدفقون على الأرجنتين للعمل فى زراعة القمح ، تقدمت « لا برنسا » لتكون مركزاً لمراسلاتهم ، وما زال الكثيرون يتخذونهـا إلى يومنا هذا « شباكا » عاماً لتسلم بريدهم .

وقد زادت الجريدة تحبباً إلى المهاجرين الجدد بما تنشره من أنباء بلادهم فى أوروبا، فلما أمسى المهاجرون مواطنين، لهم ممتلكاتهم وأعمالهم ، ولوا وجوههم شطر « لا برنسا » كلما كان لديهم ما يقـدمونه للجمهور ، فباتت سوقاً يمكن أن يشترى فيها أى شيء أو يباع . ويستطيع المرء أن يجد فيها عملا، ويستطيع صاحب العمل أن يجد عمالا . وصار أعظم دخل « لابرنسا » يأتيها من آلاف الإعلانات المبوبة المتواضـعة المؤلفة من سطرين ومن ثلاثة أسطر ، ولم تلبث هذه الإعلانات أن جلبت لها الغنى ، حتى أصبحت « لا برنسا » اليوم ، يشد أزرها، هـذا البناء القوى من الأفراد الضعفاء ، أكثر صحف الدنيا ثراء .

ويعتنى بإعداد مقالات « لا برنسا » مثل عناية محام بقضية يقدمها إلى « المحكمة العليا » ، ولكنها مقالات عنيفة جريئـة . فما يجرى على الألسنة فى بونيس إيرس أن « لابرنسا » إذا هاجمت انهارت الحكومات . وهو قول صادق إلى حد بعيد ، وإن كان الأمر قد يستغرق زمناً فى بعض الأحيان ، كما حدث فى مسألة حكم كاستيلو الذى عارضته لابرنسا معارضة قوية .

وقد حاولت الحكومات والاتحـادات الصناعية الكبرى والمصالح الخاصة أن تؤثر فى سياستها مرة بعد أخرى ، فجربت الرشوة وعمدت إلى القوة ، ولـكن بغير جدوى . ومنـذ أمد قريب قذفت جمـاعات النازى القنابل داخل أبوابها الحديدية ، وجلجل رصاص المدافع الرشاشة مخترقاً نوافذها ، وقد اضطر الناشرون مرة أن يشحنوا الفناء بالـكهرباء ، وأن يغمروه بالمـاء ، بحيث يتعرض من يطأه لهزة عنيفة ، وذلك اتقاء لشر إحدى الهيئات التى بلغ خطرها مبلغاً عظيما . وفى دار الجريدة قاعـة للسلاح لتـدريب المحررين على استـخدام السيف و « الشيش » ، ومحررها الحالى حزقيال باز من أبرع الرماة .

وتحرص الجريدة كل الحرص على أن تظل بمنجاة من الخضوع للنفوذ الخارجى ، فهى لا تستغل شيئاً من أموالها الضخمة فى السندات التجارية والصناعية . ولا يلبى الدون حزقيال الدعوات للمجتمعات السياسية

أو الدبلوماسية خشية التورط فى صلات تحد من حرية الجريدة . ولا تقبل « لاپرنسا » أى إعلانات حكومية ولا تنشر الإعلانات الانتخابية ، على أساس أن هذا العمل يؤدى إلى محاباة المرشح الغنى .

وهذه قصة نسوقها مثالا لنزاهة الجريدة: نشرت « لا پرنسا » مقالا تنتقد فيه اتحاداً كبيراً ، فحاولت الشركة أن تنشر فى اليوم التالى إعلاناً من صفحتين رداً على هذه الحملة ، ولكن المحرر رفض الإعلان وقال بأدب : « إذا أردتم الرد ، فأعدوا بياناً ننشره لكم على أنه خبر » .

والناس يجلون « لا پرنسا » حتى الذين يكرهونها ، وهذا هو السر الذى من أجله تأبى الحكومات أن تفرض عليها رقابة ما ، فقد عطلت حكومة كاستيلو السالفة عدة صحف ، ولكن « لا پرنسا » كانت تترك دائماً وشأنها ، مع أنها كانت أشد طعناً على الحكومة من باقى الصحف .

وتنشر « لا پرنسا » عادة من أنباء العالم الخارجية أكثر مما تنشره أية صحيفة أخرى فى الدنيا . وبينما كانت سائر صحف بونس إيرس تخصص الصفحات للملاكم فيربو ، الذى قهر ويلارد ، ثم هزمه دمبسى ، لم تزد « لا پرنسا » على أن كتبت فقرة أو فقرتين عنه ، ومع ذلك فقد نقلت مباراة بطولة الشطرنج بين كابالانكا ولاسكر حركة بحركة ، مقابل ريال ونصف ريال عن الكلمة الواحدة . وقد أنفقت ١٠،٠٠٠ ريال لتنقل بالبرق إلى بونس إيرس تقرير مشروع داوز ، عن التعويضات الألمانية ، وكان يشمل ٣٠،٠٠٠ كلمة ، ولعله أطول نبأ تلقته صحيفة بالبرق .

وكان أحد محررى « لا پرنسا » الأيقاظ هو الذى كلف شركة « الصحافة المتحدة » — يونيتدپرس — فى برلين أن تتحدث إلى عالم رياضى ألمانى مغمور ، ما هو إلا « ألبرت أينشتين » ، فكل الفضل يرجع إلى « لا پرنسا » فى توجيه اهتمام العالم إلى نظريته فى النسبية .

وقد ترتبت نتائج خطيرة الشأن على تحمس « لا پرنسا » للأنباء الخارجية . فقد كانت تتلقى معظم أنبائها زمن الحرب الماضية عن طريق هافاس ، الوكالة الفرنسية للأنباء . وقد أثار سخط « لا پرنسا » تقصير هافاس فى عرض وجهة النظر الألمانية ، حتى رفضت هافاس أن تنقل بلاغات الأعداء . فلما انتهت الحرب أقنعت « لا پرنسا » شركة « الصحافة المتحدة » بأن تغطى الدنيا بمراسليها الذين يستقون أنباءهم مباشرة من مصادرها الأصلية .

وكانت « الصحافة المتحدة » وكالة أنباء

صغيرة ، فزادت عدد موظفيها فى الخارج حتى بلغوا ثلاثة أمثالهم ثم أربعة أضعافهم ، وبدأت الأنباء تنصب على الأسلاك انصباباً ، وكانت « لا پرنسـا » تدفع التكاليف . وظلت هذه البرقيات زمناً ترد إلى نيويورك ثم تنقل إلى بونس إيرس ، وماتكاد تظفر من أحد من المحررين فى نيويورك بنظرة . ثم بدأ محررو نيويورك يهتمون بها شيئاً فشيئاً ، ويبعثون منها رسـائل بين حين وآخر إلى الصحف المحلية . فطلبت صحف أمريكا الشمالية المزيد ، وأصبحت بعد قليل تنشر معظم الأخبار التى كانت ترسل من قبل إلى « لا پرنسا » وحدها . ولم تلبث « الصحافة المشتركة » أن وسعت نطاق أنبائها الخارجية . فإذا كان سكان الولايات المتحدة يقرأون اليوم من الأنباء الخارجية أكثر مما يقرؤه غيرهم ، فإن بعض الفضل فى هذا راجع إلى « لا پرنسا » إذ كانت هى البادئة.

ويجلس محررو « لا پرنسا » على مقاعد من الجلد المزركش باليد ، فى مكاتب هادئة ساكنة ، وكانوا إلى وقت قريب ، يكتبون مقالاتهم دون استعانة بالاختزال ، وإذا استثنينا الصوت المتواتر لجهاز تدوين الأنباء البرقية ، فإن الهدوء السائد فى حجرة الأنباء هو نقيض الضجة المألوفة فى مكاتب الصحف بالولايات المتحـدة . ومع ذلك فإذا وقع حادث كبير وثب المحررون يتدفقون نشاطاً ، فقد بعث أحدهم بطائرات ظفرت بالصور الأولى عن المعركة التى دارت بين الطرادات البريطانية وجراف سبى . ولما ضل سر أرنست شاكلتون الرائد القطبى ، نظمت « لا پرنسا » حملة كى تبادر إلى إنقاذه . فإذا جاء يوم الانتخاب أصبح المخبرون رقباء على الصناديق ضماناً لسلامة التصويت .

وإذا كان النبأ ذا قيمة عالميـة ، أطلقت صفارة فى أعلى بنائها صوتاً طويلا ناعبا يصم الآذان ، فيقبل الناس من حوانيتهم ومكاتبهم يعدون إلى لوحة الأنباء فى الدور الأرضى ، وإن كثرة الوافدين لتكفى لوقف المرور بشارع دى مايو العريض فى بونس إيرس.

وإنك لتجـد فى غيرها من صحف بونس إيرس كثيراً من العناوين الضخمة ، والأنباء تروى بتفصيلاتهـا البشعة المغرية كلهـا ، أما « لا پرنسا » فلها أسـلوبها الرصين. وفى صفحاتها الأولى إطار لا يتضمن غير العناوين ، أما الصفحات الخمس إلى الثمانى الأولى فهى مليئة بالإعلانات المبوبة. ثم يتلوها أعمدة الأنباء ، ولكنك لن تجد عنواناً يزيد على نصف بوصـة ، ولا اسم فوق أية رسـالة ، وهى تنشر أنباء الطلاق بغير تفصيل ، وتروى حوادث الانتحار على أنها وفيات لا أكثر ، وحتى حوادث القتل

تورد على أنها موت وقع فى ظروف مؤلمة .
وتسود هذه الكياسة فى قسم الإعلان ، إذ يتردد الناشرون فى قبول إعلان عن لبان « ريجلى » لأنهم لا يستحسنون دخول عادة مضغ اللبان فى الأرجنتين . وحين أعار دون فاجنيو ، محرر المقال الفكاهى فى «لا پرنسا» شخصيته للاعلان عن نوع من البن ، لم تكتف «لا پرنسا» برفض الإعلان ، بل استغنت عن نشر المقال الفكاهى ، مع أنه كان يثير شغف الجماهير فى الأرجنتين .

وتحبو « لا پرنسا » مستخدميها برعايتها الأبوية السمحة ، فإذا بلغ أحدهم الكبر ، كف عن العمل ، وظل يتقاضى أجره كاملا . ولم تطرد من خدمتها غير ثلاثة أشخاص .
وقد ولد مديرها الحالى ، الدون حزقيال بعد تأسيس الجريدة بسنوات ، واشتغل فى الأيام العجاف الأولى فى حجرة الجمع ، يصف الحروف ويدير قرص آلة الطباعة القديمة ، ثم أكب بعد ذلك على مسائل التحرير .

فلما شيدت دار « لا پرنسا » هذه ، كانت أفخم مبنى فى المدينة ، لأن المؤسس كان يعد الصحافة أسمى ضروب الخدمات العامة . فلما زارها أحد ممثلى الفاتيكان ، لاحظ أن « البناء يكاد يكون أكثر أناقة من أن يكون دار صحيفة ! » . فأجابه دون جوزيه متندراً : « أليست كاتدرائية القديس بطرس فى روما أكثر أناقة مما ينبغى ؟ » .
وقد أحسن الرجل الكبير تربية ولده ، فكان يسافر كل سنة إلى أوروبا ، ويخلف الشاب وراءه ليتولى العمل ، اعتقاداً منه بأن خير وسيلة لكى تتعلم عمل شىء ما ، هى أن تكابده بنفسك . والدون حزقيال الآن فى الثانية والسبعين ، وهو رجل طوال أنيق رشيق على كبر سنه ، وقد اقتدى بأبيه فى أن يزور أوروبا كل سنة تاركا ولد أخيه الدكتور جانزا باز ، ليتولى عبء العمل .

ولم يزر دون جوزيه ولا دون حزقيال ، الولايات المتحدة قط ، ولكن الدكتور باز وهو الآن محرر « لا پرنسا » الآخر ، زارها ، ووعد بأن يعود فيزورها مع أسرته زيارة طويلة الأمد . ولهذا مغزاه ، فإن « لا پرنسا » لم تكن دائماً صديقة للولايات المتحدة ، فكثيرا ما خالف أصحابها سياسة وشنطن ، وقد نشرت فى أعمدتها أشد المقالات لذعاً ضد الولايات المتحدة .

إلا أن «لا پرنسا» قد دأبت فى السنين الأخيرة على تأييد سياسة تضامن نصف الكرة الغربى ، ومع ما تم حتى الآن فى الأرجنتين فقد نجحت «لا پرنسا» فى خلق جو من المودة للولايات المتحدة والعطف على قضية الحلفاء سوف يدفع بالبلاد فى الوقت المناسب إلى الانضمام إلى الأمم المتحدة .

كيف استطاع ضابط شجاع مقدام فى باتان أن ينتزع الكينا من تحت مدافع اليابانيين ويهبها للأمريكيين

كيف عادت الكينا إلى موطنها

ج. لاسى رينولدز

ملخصة عن مجلة « أميريكان ميركيورى »

تعد الملاريا ألد عدو لنا فى كل ميدان استوائى من ميادين القتال . ففى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى ، تصاب قواتنا إصابتين بالملاريا مقابل كل إصابة فى القتال. وبرغم المادتين الكيميائيتين المقاومتين للملاريا ـ الأتبرين * والبلاسموكين ـ نحتاج إلى كل ما نستطيع الحصول عليه من الكينا ، لأن كبير جراحى الجيش يقدر عدد المصابين كل سنة بالملاريا بثمانى مائة مليون ، أى إن أربعة أعشار سكان الأرض مصابون بها .

وحين فتح اليابانيون جزيرة جاوة قطعوا مورد الكينا عنا ، فسعى وكيل رياسة الجمهورية هنرى ولاس ، بصفته رئيساً لمكتب الحرب الاقتصادية ، للحصول على لحاء السنكونا — وهو المادة التى تستخرج الكينا منها — أينما وجد هذا اللحاء ، غير عابىء بالتكاليف ، ثم توجيه العناية إلى زراعة أشجار السنكونا فى جمهورية كوستاريكا الاستوائية الاقليم .

على أن قصة هذه الأشجار ، هى على الأكثر قصة رجل فرد ، وقد بدأت فى باتان وهى شبه جزيرة بالفيليبين . ففى اليوم الرابع من شهر مارس سنة ١٩٤٢ كان الكولونيل آرثر ف . فيشر ، أحد ضباط احتياطى المخابرات العسكرية ، مصاباً إصابة خطيرة بالملاريا فى أحد مستشفيات الميدان ، فى باتان المحاصرة . ومرت به ممرضة ، فمد يده فى ضعف وأمسك بثوبها وهو يهمس : « أرجوك ، أعطينى مزيداً من الكينا » فردت عليه : « إننى آسفة فمعين الكينا أخذ ينضب » .

فهزه ما سمعه هزاً عنيفاً ، كما هزه ما كان فى موقفه من السخرية ، ذلك بانه قضى

* راجع « دخل الأتبرين — خرجت الملاريا » المختار عدد نوفمبر سنة ١٩٤٣ صفحة ١١

قبل ذلك عشرين سنة وهو يكافح بلادة الحس والغباء الحكومى ، محاولا أن يظهر رجال الحكم ، فى وشنطن ومانيلا عاصمة الفيليبين ، على ما لزراعة الكينا فى البلاد التى يخفق فوقها العلم الأمريكى من الشأن العظيم. وهذا هو الآن ، ومشات غيره على حافة القبر ، برهان على صحة ما كان ذهب إليه .

على أن هذا البلاء الذى نزل بحماة باتان أورى زناد عزمه ، فعزم على ألا يموت . فأمر المعتنين به من رجال الجيش أن ينقلوه إلى مكان فى الخارج ويضعوه فى ظل الأشجار ، حيث قضى خمسة أيام يكافح فى صمت وتجلد ، الحمى التى ركبته . وفى اليوم السادس تمكن من أن يخط خطا ضعيفاً على الورق ، فكتب فى فترات قصيرة متقطعة مذكرة موجهة إلى الجنرال واينريت .

فبين الكولونيل فيشر فى مذكرته أنه كان منذ سنوات رئيساً لمكتب الغابات فى حكومة الفيليبين ، وأنه جرب زراعة أشجار السنكونا فى جزيرة مندناو الواقعة على ستمائة ميل إلى الجنوب ، فلو أرسل إلى هناك لوجد لحاء الشجر فسحقه وأرسله إلى باتان حيث يمكن إغلاؤه كما يغلى الشاى ، فيصد فتكات الملاريا .

فجاء الجنرال يعوده وسأله : ما عندك عن هذه الكينا ؟

فقال المريض : لست أدرى ما المقدار الذى أستطيع الحصول عليه ولكننى أعلم أننى أستطيع أن أحصل على شىء منها .

كان كل مقدار ، مهما يكن ضئيلا ، عظيم الشأن فى نظر واينريت ، فخمسة وثمانون فى المائة من الرجال فى بعض وحداته مصابون بالحمى . فبادر وأمر بان ينقل الكولونيل فيشر بطائرة إلى مندناو . وكانت الطائرة الوحيدة التى أتيحت لهم ، طائرة تجارية عتيقة من طراز بلانكا ، حكم عليها قبل ثلاث سنوات بأنها لا تصلح للطيران ، وما كانت سرعتها تزيد على تسعين ميلا فى الساعة ، فكانت هدفاً ميسوراً لمطاردات الأعداء . فجعلت تتسلل من جزيرة إلى جزيرة ، وهى تسف فى طيرانها إلى بطون الأودية حتى تبقى بعيدة عن أنظار اليابانيين .

أنهكت الرحلة الكولونيل فيشر ، فقضى يومه الأول على الجزيرة فى الفراش ، وكان وزنه قد هبط من ١٥٠ رطلا إلى ستة وتسعين رطلا ، وقد أصيب بتسمم الدم فى ذراعه ، علاوة على الحمى ، فهى تنبض بالألم نبضاً . وفى اليوم الثانى جمع حول سريره جماعة من أعوانه السابقين يوم كان رئيساً لمكتب الغابات ، وكانت أواصر الصداقة قد ربطته بهم وربطتهم به منذ أن

جاء الفيليبين فى سنة ١٩١٢ حديث العهد بالتخرج من مدرسة الغابات بجامعة ييل . فوضع لهم الخطة التى وضعها لجمع لحاء السنكونا الثمين .

اتقدت عناية فيشر بالكينا فى سنة ١٩٢١ حين شهد هو والجنرال لينرد وود ، حاكم الفيليبين ، أحد عمال الغابات فى محطة بعيدة وهو يموت مصابا بالملاريا لأنه لم يجد كينا . وكانت الكينا حينئذ ، كما هى الآن ، غالية الثمن يشق الحصول عليها ، بعيدة عن متناول أهل الشرق . وكان المورد الأول للكينا جزيرة جاوة ، وكان الهولنديون يسيطرون عليها بيد من حديد ، وقد يحرقون الفائض من لحاء الشجر ليبقى سعر الكينا مرتفعاً . فعزم فيشر على أن يكون للفيليبين موردها الخاص من الكينا ، وأن يكون مورداً غزيراً ، وأن تبلغ من رخص الثمن ما يجعلها فى متناول كل وطنى.

وكانت مشكلته الأولى هى الحصول على بزر شجر « سنكونا لدجريانا » الكبير المحصول ، وهو الشجر الذى كان الهولنديون ربوه وتعهدوه . وبزر هذه السلالة ، جاء به أولا من أمريكا الجنوبية إلى لندن ، رجل يدعى شارلز لدجر وهو بستانى بريطانى ، ثم أخذ البزر من لندن إلى الهند ثم منها إلى جاوة . وهناك تعهده الهولنديون حتى أصبح شجره أكثر شجر السنكونا محصولا من الكينا ، وما لبثت جاوة أن أصبحت مورد ٩٥٪ من محصول الكينا العالمى . وفى سنة ١٩٢٢ استكشف فيشر مزارعاً هولندياً أثقلته أعباؤه المالية ، فباعه سراً كمية يسيرة من البزر بأربعة آلاف بيزو ، فوضعها فيشر فى علبة لبن ، وهربها من جاوة بواسطة ربان بريطانى .

إن زراعة شجر السنكونا زراعة شاقة . فنصف البزر سطا عليه نبات فطرى فلم ينبت ، وكان لا بد من تنقية الصراصير باليد عن النابت الغض منها . ثم جاء الجفاف فكان لا بد لبقاء هذا النبات حياً من نقل الماء بالبراميل مسافة نصف ميل والصعود بها فى منحدر تل . ثم غاض الماء ، فوجه فيشر نداء إلى مجلس السيطرة على الملاريا لحكومة الفيليبين لإنشاء خزان ماء صغير ، فرفض طلبه ، وكان الباعث على الرفض أن زراعة السنكونا لا يمكن أن تعد جزءاً من السيطرة على الملاريا !

وبرغم هذه الصعاب جميعها ، جنى اللحاء الأول من هذا الشجر سنة ١٩٢٧ ، وثبت أن ما يحتويه من الكينا يضاهى ما يحتويه لحاء السنكونا فى جاوة . فاقتنعت الحكومة أخيراً بوجوب إنشاء مصنع مثالى صغير ، فى مانيلا لاستخراج التوتاكينا (وهو المادة

الخام التى تقطر الكينا منها) ، ولكنها تفعل فعل الكينا ولا تكلف إلا نصف نفقتها .

ولكن مصنع مانيلا وقع الآن فى أيدى اليابانيين ، ولم يبق للكولونيل فيشر من عمل عشرين سنة إلا الشجر المزروع فى منداناو. وبدأ سانتوس، معاون فيشر، يجىء باللحاء ، وكان فيشر قد عثر على مطحنة ذرة فى مزرعة قريبة ، فطحن بها اللحاء . ثم وجد ٢٧٥ وعاء فارغاً من أوعية الزيت ، فنظفت وأعدت للشحن . وما انقضى الأسبوع الأول حتى كان المشروع سائراً على ما يرام .

وفى يوم الفصح ٥ أبريل جاءت فيشر رسالة من الجنرال واينريت بأن وصول السفن إلى باتان أصبح مستحيلا ، وأنه يتعين على فيشر أن يستخلص العقار من اللحاء المسحوق ويرسله بالطائرة . ولم يكن مع فيشر كيميائيون ، وكانت تعوزه المواد الخام اللازمة لعملية الاستخلاص ، مثل الحمض الكبريتيك ، والجير ، والأثير .

ثم تذكر صديقه القديم « الأب فلين » وهو قسيس إرلندى مقدام يعرف جزيرة منداناو كما يعرف كتاب الصلاة ، فأتاح القسيس لفيشر استعمال معمل الكيمياء بمدرسته . وعثر على قسيس آخر كان كيميائياً صيدلانياً ، ووجد أمريكياً آخر أحرز رتبة الدكتوراه فى الكيمياء قبل عشرين سنة ، ولكنه لم يمس أنبوب تجارب منذ ذلك الحين .

وكان فيشر يغافل معالجيه ويسافر النهار كله ويعمل الليل كله ، فكشف خمسة أوعية أو ستة من الحمض الكبريتيك فى مخزن منجم مهجور . وأخذ من المستشفى بضعة أوعية من الأثير ، وجاءته الزوارق الشراعية بالجير من جزيرة مجاورة ، وكشف مادة إيدروكسيد الصوديوم فى مصنع صابون ، وكان لا بد من خلط هذه المواد معاً فى وعاء من الصلب الذى لا يصدأ .

فعجز فيشر فترة عن حل هذه المعضلة ، ولكنه وجد أخيراً هذا الوعاء فى مصنع متهدم لحفظ الأناناس .

وقد تم كل هذا فى أربعة أيام حافلة ، بعد تلقيه رسالة الجنرال واينريت ، ثم جاء الخبر المفجع بأن باتان قد سقطت فى أيدى اليابانيين .

وأدرك فيشر أن لا أمل بعد ذلك لبقية جزائر الفيليبين ، وأن اليابانيين مستولون ولا بد على منداناو ، وعلى آخر ما فى أيدى الحلفاء من شجر السنكونا ، ولكن لعله يستطيع أن ينقذ بعض بذور هذا الشجر لبذره فى القارتين الأمريكيتين . على أن

بذور السنكونا لا تبقى حية قابلة للإنبات إلا إذا حفظت فى أوعية أحكم سدها ، وكانت فى درجـة خاصة من الحرارة والرطوبة . فأخـذ فيشر علبتى لبن ، ووضع الصغيرة منهما داخل الكبيرة ، وحشا الفراغ بينهما بطحلب جاف ليسيطر على الرطوبة . ووضع فى العلبة الداخليـة مليونى بذرة وختمت العلبة الخارجيـة . وأدرك الجيش الأمريكى قيمة هذا العمل ، فنقل فيشر إلى استراليا فى طائرة ، كانت إحدى الطائرات الأخـيرة التى غادرت الفيليبين . وأبرق الجـنرال ماك آرثر إلى وشنطن ليتأهب رجال الحكومة للعناية بهذه البذور ، ووضع فيشر على أسرع سفينة مسافرة . فلما وصل إلى سان فرنسيسكو ، نقلت البذور بالطائرة إلى وشنطن وزرعت فى مستنبت خاص فى محطة تجارب تابعة لوزارة الزراعة .

وعين فيشر للعمل فى مكتب الحرب الاقتصادية على أن يختص بإنشاء مزارع شجر السنكونا . وبعـد تذليل العقبات ، عقد اتفاق مع حكومة جمهورية كوستاريكا لتخصيص عشرة آلاف فدان لهذه المزارع فى منطقـــة سان جوزيه ، حيث الحرارة والرطوبة والارتفاع تماثل ما يقابلها فى جاوة .

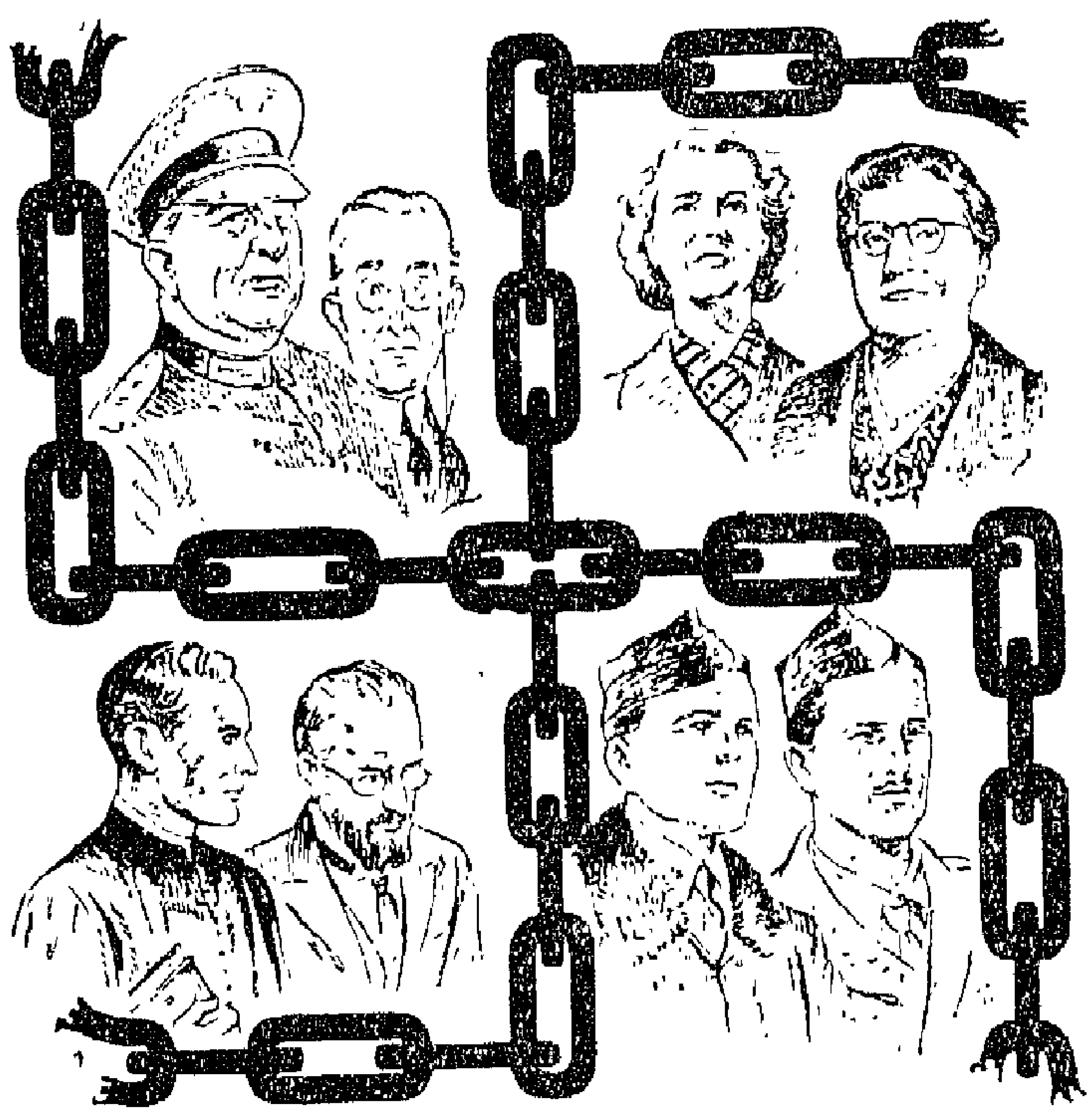
وما أقبـل الربيع الماضى حتى كان ٩٨ ٪ من البذور التى زرعت فى محطـة وزارة الزراعة قد أنبتت ونمت فبلغ ارتفاعها من ثمـانى بوصات إلى عشر بوصات ، ثم شحنت بالطـائرة إلى مزارع كوستاريكا . وذهب فيشر إلى كوستاريكا فى مايو ، بعد انقضـاء سـنة كاملة على سـقوط جزيرة كوريجيدور ، وينتظر أن يستخرج منها مقدار قليل من الكينا فى سنة ١٩٤٦

وحين تنتهى الحرب ، ستكون مشكلة توفير الكينا اللازمة للمدنيين أعظم كثيراً من مشكلة توفيرها الآن للقوات المحاربة . وما تحتاج إليه الصين وحدها يكفى لإرهاق الموارد العالمية جميعاً . وقد بلغت سرعـة انتشار الملاريا هناك مبلغاً حمل أحد الثقات على القول : « بأن اليابانيون قد يستطيعون قريباً أن يعهـدوا إلى البعوض فى قتال الصينيين » . ويقدر عدد المصابين بالملاريا فى الهنـد بمـائة مليون ، يموت منهم ثلاثة ملايين كل سنة . واتساع صناعة الأتبرين والبلاسموكين لا يغنى عن مقادير كبيرة من الكينا ، فتشتد الحـاجة إليها فى علاج الذين لا ينفعهم العـلاج بالعقاقير المصنوعة بالكيمياء .

وبفضل هذا الرجل الجندى البطل ، قد تتمكن المناطق الاسـتوائية الأمريكية من توفير الكينا الرخيصه للعالم .

باب الكتب

باريس ... تحت الأرض



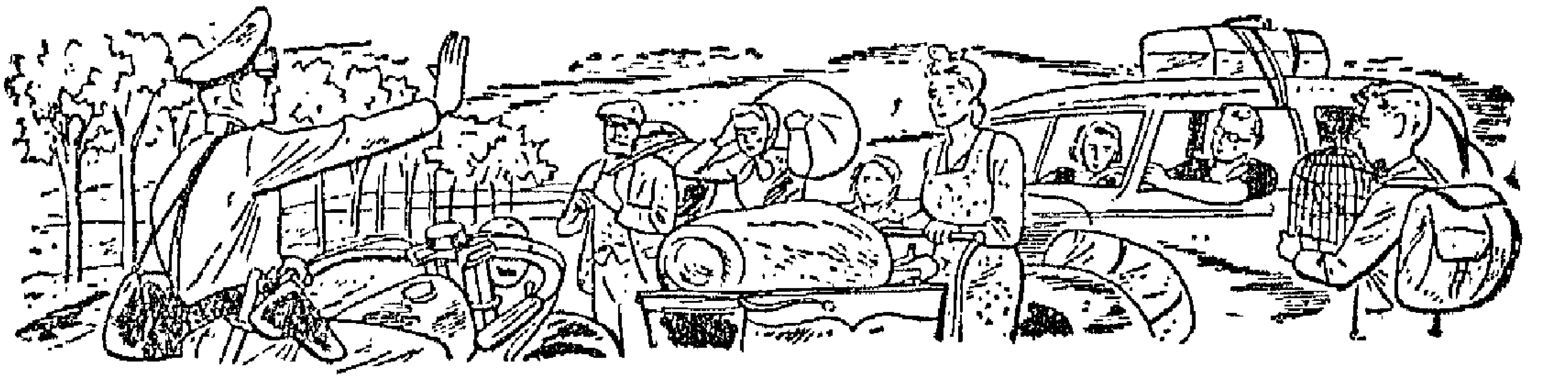
ملخصة عن كتاب بقلم إيتا شيبر

كتبت دوروثى كانفيلد تقول :

« إن هذا السجل الذى يستولى على هوى القارئ ، لتجارب امرأتين ضد الجستابو ، وهذه البطولة المؤثرة لملايين من صغار الناس فى فرنسا ، ليست حقيقية واقعية فحسب ، بل هى ترن فى الأذن رنين الصدق . وقد توخت المؤلفة أن تقتصر على تدوين ما حدث من غير أن تتكلف أية محاولة لتوشية الحقائق ، أو أن تجعل من نفسها بطلة ، ولكنها بطلة مغامرات يقف لها الشعر . ولا ينبغى أن يفوت أى أحد أن يطلع على هذه القصة المدهشة ، قصة البسالة والإقدام والتضحية بالذات . وما من أحد يستطيع أن ينساها » .

ويقول الناشرون إن الحقائق الأساسية فى هذا الكتاب ثابتة فى السجلات . وقد غيرت بعض الأسماء والتفاصيل التى يجهلها الجستابو أو حذفت لأسباب بديهية .

وكتاب « باريس — تحت الأرض » من مختارات نادى « كتاب الشهر » لشهر أكتوبر .



لم أقل كلمة وداع لأوربا . وكنت فى جوف الباخرة — فى غرفتى — لما بدأت تتحرك ، ولا بد أن آلاتها ظلت تدور زمنا قبل أن أشعر بنبضها المكتوم ، فأسرعت فصعدت إلى ظهر الباخرة . وكان شاطىء البرتغال قد غاب عن النظر فى غَبش المساء ، وصارت الباخرة تسرى وحدها فى وهج ساطع من النور ، وقد أضاءت المصابيح القوية الأحرف السود المخطوطة على هيكلها الأبيض : « دبلوماسى — دروتننجهام — دبلوماسى »

وكنت فى طريقى إلى وطنى بعد أن لبثت فى سجن نازى أكثر من عام . فقد فتح فى مكان ما ، فى الولايات المتحدة باب سجن وأطلق سراح سجين ألمانى ، كنت أنا بدلاً له .

وأخبرنى « ويلى » قنصل الولايات المتحدة فى لشبونة أن السجين الذى أفرج عنه بدلاً لى هى « جوهانا هوفمان » حلاقة الباخرة الألمانية « بريمن » ، وقد حكم عليها بالسجن فى سنة ١٩٣٨ ، بعد أن ثبت أنها عضو فى عصابة ألمانية خطرة للتجسس تعمل فى الولايات المتحدة .

فهل كان إطلاق سراحى يستحق مثل هذه التضحية ؟

أجاب عن هذا السؤال موظف فى القنصلية الأمريكية بلشبونة فقال لى : « يا عزيزتى السيدة شيبر ، إن وزارة الخارجية تعلم علماً تاماً ما فعلت فى باريس . ولنفرض أن البريطانيين فى الحرب الماضية تيسر لهم أن يبادلوا بإديث كافيل ؟ أنت ، على كل حال إديث كافيل فى هذه الحرب » .

فلم يسعنى أن أدع هذا القول يمر بلا اعتراض وقلت : « كلا لست مثلها ، ولكن لعل صديقتى العزيزة كيتى كانت كذلك ، فإن ما عسى أن يكون هناك من فضل فيما صنعنا يرجع إليها ، وإنما كنت أتبعها فى حيثما تقود ، وقد دفعت هى وحدها الثمن ، فما زالت بين أيدى الجستابو إذا كانت حية ، أو لعلها ماتت إذا كان الحكم الذى قضى به عليها قد نفذ . نعم ، كيتى بوربيو هى

التي كانت خليقة أن تقوم فى هــذه الحرب مقام إديث كافيل » .

* * *

قابلت كيتى فى سنة ١٩٢٥ فى إحدى رحلاتى السنوية إلى باريس ، وهى بنت أحد رجال المصارف فى لندن ، وقد تزوجت تاجر نبيــذ فرنسى اسمه هنرى بوريبو ، وانفصلت عنــه وفارقته على قاعدة ودية تماماً . وكانت من الوجهة المالية مستقلة وفى سعة من الرزق ، ولكنها أرادت أن تشغل فراغها بعمل ما ، ففتحت دكان ثياب فى شارع روديبه ، وفيه لقيتها فنشأت بيننا صداقة وثيقة .

وفى سنة ١٩٣٣ لما مات أخى إرفنج فجأة فى باريس ، تولت كيتى الأمر عنى فى هذه المحنة المباغتة ورتبت أمر دفنه فى مقبرة الأب لاسيز . ثم بعد ثلاث سنوات ، يوم مات زوجى أبرقت إلى تدعونى أن أعيش معها فى باريس ، وكان فقد الرجال من أهلى قد أورثنى الحيرة ، فما بقى لى من يتولى أمرى ، فأبرقت إليها شاكرة أنى آتية .

واستقر بنا المقام معاً فى شقتها الحديثة الوثيرة ، وتشاركنا فى حيــاة طيبة كانت مواردنا المعتدلة كافية لها .

وكانت نهاية حياتنا فى هذا البرج العاجى ذات يوم قبل أن يدخل النازى باريس — ١٣ يونية سنة ١٩٤٠ . وكنا قد أخلدنا إلى الاعتقاد بأن الفرنسيين — كما قال رئيس الوزارة بول رينو — سيدافعون عن باريس بيتاً بيتاً ، فأهملنا الإشاعات الملحة والذعر المتزايد ، ولكننا فى ذلك اليوم ، لما لم تظفر طلباتنا التليفونية المتكررة لأصدقائنا ، بجواب ، تنبهنا وأدركنا أن الجميع قد فروا .

وقلت وأنا لا أزال غــير مصــدقة : « سأطلب السفارة الأمريكية ، وسأعرف منها هل ينوى الألمانيون أو لاينوون أن يحاصروا باريس » .

فأجابنى صوت مذعور : « أما زلت فى المدينة ؟ ألا تعرفين أن الحكومة انتقلت إلى تور ؟ إن الألمانيين سيكونون فى باريس بعد ساعات ! » .

فجمعنا ماوسعنا جمعه من متاعنا وبنا مثل الخبل الأعمى، ووضعناه فى سيارتنا وفررنا. ولكننا كنا قد تأخرنا أكثر مما ينبغى فقد ألفينا الطريق روت ناسيونال رقم ٢٠ الذى يصل باريس بجنوبى فرنسا أضيق من أن يحتمل تيار الإنسانية المذعورة ، الذى كان يحاول أن ينحــدر إلى حيث يكون آمناً . وكان هنــــاك آلاف مؤلفة من اللاجئين ، فى السيارات ، وعلى الأقدام ، وعلى الدراجات يسدون الطريق فى وجهنا

مسافة مائتى ميل ولا يكادون يتحركون ، وفى صـباح اليوم التالى كنا لا نزال فى مشارف المدينـة ، وعلمنا أن الألمـانيين دخلوا باريس .

وقالت كيتى فجأة : « إذا وصلنا مرة أخرى إلى مفرق طرق فسأعدل عن هذه السكة الملعونة ، وآخذ فى الحقول وأستعمل الطرق الخلفية » .

وكان أول مفرق ليس أكثر من سكة قذرة تتعرج بين الحقول المحروثة ، ولـكنه كان جافاً صلباً ، فاستطعنا أن نقطع أربعين ميلا فى الساعة .

ثم هوت الضربة ! ! فقد كان الطريق أمامنا غاصاً بالسيارات المقبلة علينا ! ! ولمـا بلغتنا السيارات الأولى صاح بنـا الناس : « ارجعا ! ارجعا ! إن الألمانيين وراءنا ! »

وأدركنا الليل لمـا دنونا من الطريق العام . وكنا على مسافة مائة ياردة منه حين سمعنا طنيناً خافتاً ما لبث أن صار عجيجاً فظيعاً فوق رءوسنا ، فوقفت كيتى السيارة وقفة رجتها .

وكنا نستطيع أن نرى جرم الطيارة الأسود فى جو السماء المعتمـة ، واللهب المنبعث من أفواه مدافعها الرشاشـة وهى تصب الموت على الصفوف التى وقعت فى الفخ على الأرض .

وخلا الطريق فى ثوان . فقد ذهب سـائقو السـيارات المذعورون يخرجون بسياراتهم عن الطريق ، ويلقون بها على الأشـجار أو فى الحفـر ، فانقلب بعضها وخرج ركابها منها وجروا ، ولم يبق سوى قليل من السيارات على الطريق وركابها لا حراك بهم ، وكانوا لم يلحقوا بالفارين فزعين من الطريق ، لأنهم قتلوا .

ولما غابت الطائرة وانقطع صوتها شرع الرجال والنساء يخرجون من الحفر على حذر ، ووقف بعضهم حائرين لايدرون إلى أين يمضون . وكانوا قبل ذلك قد خرجوا على وجوههم إلى أى مكان فرارا من الخطر الذى كان وراءهم . فالآن أدركهم الذى كانوا يفرون منه ، فصاروا كأنهم فى شرك ، ولا مكان يذهبون إليه ، ولا شىء يصنعونه ، وقد وقعنا نحن مثلهم فى الشرك .

وتأدى إلينا فى الظلام صوت سيارات عدة ، وإذا بالجيش الألمانى قد أقبل كالسيل وجاء أولا راكبو الموتوسـيكلات من الجنود يسرعون إلى الجنوب وهم أتم مايكونون اطمئناناً إلى أن الطائرات التى سبقتهم قد اجتاحت الطريق واكتسحته وأخلته ، ثم تلتهم السيارات المصفحة الخفيفة ثم أقبلت الدبابات تعج على الطريق الرئيسى من المفارق مجتازة الحقول . وكانت تبدو

كأنها فى كل مكان ، وأن لها ملك الأرض جميعاً ، وكان راكبو الموتوسيكلات يخرجون كل مائتى ياردة على نسق منتظم من وراء الجيش الزاحف ، ويقفون ويتولون أمر المدنيين .

وأقبل علينا الذى كان أقرب إلينا وقال بلغة فرنسية صحيحة : « ستعودان إلى باريس » .

فقالت كيتى متوسلة : « ولكنا نريد أن نذهب إلى نيس ! » .

وكانت عبارة الجندى الألمانى مؤدبة ، ولكنه كان على شفتيه التهكم وهو يقول : « هذه وجهتنا نحن ياسيدتى ، أما أنتما فتعودان إلى باريس » .

فمضينا بسيارتنا إلى الطريق العام ، وبعد ساعات وقفنا أمام فندق وقد أنهكنا التعب وكدنا نسقط من الإعياء ، ولكن صاحب الفندق ، وكان واقفاً فى مدخل الباب ، أشار إلينا أن اذهبوا وقال : « ليس عندى شئ أقدمه لكم ، وقد مر بى مليون من الخلق فى اليومين الماضيين » .

فقالت كيتى وهى تفتر له عن أعذب ابتساماتها : « يكفينا فنجان من الشاى » ودخلت وجلست .

وفعلت الابتسامة فعلها ، فأوصد الرجل بابه وقدم لنا الشاى ، وزاد فأعطانا قطعة صغيرة من اللحم المقدد ، وقليلا من الجبن .

وسألنا بلهجة المهتم : « إنجليزيتان ؟ إذن يسعكما ان تصنعا لى شيئاً ، فإن عندى هنا رجلا لا يتكلم غير الإنجليزية . فاصنعا معروفا وقولا له إنه سيورثنى متاعب إذا بقى هنا .. إنى آسف جداً » ، وأخرج من غرفة داخلية شاباً مديد القامة ، عليه معطف من الجلد فوق البدلة الزرقاء الرمادية التى يلبسها رجال الطيران البريطانى الملكى .

وحدثنا الشاب أن اسمه وليم جراى ، وأنه طيار ، وأنه سقط عند دنكرك ولم يتيسر له أن يصل إلى سفن الجلاء ، وقال لنا بلهجة المعتذر : « إذا تفضلتما فرجوتما من صاحبنا هذا أن يعطينى ثياباً مدنية ، فإن فى وسعى أن أعنى بنفسى » . فترجمت كيتى كلامه .

فصاح رب الفندق : « يالها من حماقة ! إنه إذا كان فى ثياب مدنية فإن الألمانيين يستطيعون أن يرموه بالرصاص على أنه جاسوس ، أما وهو فى بذلته العسكرية فإنه يعامل معاملة أسرى الحرب » .

وجلس جراى ساكناً هنيهة ، ثم نهض وعلى فمه ابتسامة المرتبك .

وقال : « يحسن بى أن أخرج من هنا حتى لا أورط أحداً . فهل لك أن تسأليه عن حسابى لأؤديه له ؟ » .

فضغطت ذراع كيتى وهمست فى أذنها : « لا تدعيه يذهب . ألم تلاحظى أن به مشابه كثيرة من أرفنج المسكين لما كان فى العشرين من عمره ؟ » ، وكانت كيتى تعرف أخى حق المعرفة : « إن سيارتنا على الباب وفى وسعنا أن نخبئه فى مكان الحقائب » . وكان مكان الحقائب فى سيارة كيتى يفتح من الداخل لا من الخارج ، وكان وراء المقعد الخلفى ، فلو استوقفنا الألمانيون فى الطريق فإن من المستبعد أن يبحثوا عن أحد مختبئ فى هذا الصندوق .

وأشرق وجه كيتى وقالت : « اسمع يامستر جراى . إن لى كلاماً معك » .

وهكذا أقدمنا نحن السيدتين النصفين فى أرض الأعداء ومعنا طيار إنجليزى ، على مغامرة كانت خليقة أن تبدو لنا قبل ساعات قليلة فقط خيالية خرقاء .

* * *

وقضينا الليل كله فى الوصول إلى باريس ، وانعصر قلبى حين رأيت برج إيفل مرة أخرى . فقد كان علم الصليب المعقوف يخفق فوقه ، ودرنا حول القوس ووقفنا أمام البيت رقم ٢ بشارع بالنى دافريكور — بيتنا ! .

فقلت وأنا أبلع ريقى : « هل أخرج أنا أولا ؟ » وكنت أتوهم أنى أرى النازيين فى كل مكان متربصين للوثوب على .

فقالت كيتى همساً : « مهلا ! » .

وأقبل جماعة من الحراس الألمانيين محيطين بجندى فرنسى ، فلما اختفوا وراء ركن التفتت كيتى إلى مكان الحقائب وقالت : « يا مستر جراى ! » .

فجاء صوته المكتوم يقول : « نعم ؟ » .

قالت : « ستخرج الآن ، فزرّ معطفك فوق ردائك واتبعنا ، وأرسل نفسك على السجية ولا تتردد . هيا بنا » .

ولم نر أحداً فى الردهة ، واتفق للمرة الأولى أن كان المصعد خالياً وعلى الطبقة الأرضية ، فأسرعنا إلى شقتنا ، وألقيت بنفسى على الباب أوصده ودفعت المغلاق لأحكم قفله . وخيل الىّ ، لحظة ، أن ساقىّ لا تقويان على حملى .

وقال ولىم جراى : « ما كان ينبغى أن أدعكما تخاطران كل هذه المخاطرة من أجلى ولم أكن أدرك .... » ، وكان قلقه علينا يجعله يبدو أصغر جداً مما هو .

فقالت كيتى بحزم : « والآن اسمع أيها الشاب . إننا جميعاً فى هذا معا ، والذى ينبغى أن نصنعه هو أن ندبر مخرجاً من هذا » . قالت هذا وانسابت إلى غرفتها لتصلح من شأنها ، وكانت تدندن بذلك اللحن القصير المرح الذى كان يخطر لها دائماً كلما شعرت بالرضى عن نفسها .

وكان من السهل على كيتى أن تقول إن علينا أن ندبر مخرجاً من ورطتنا ، ولكن من أين نلتمس المعونة ؟ لقد كانت خادمتنا البريتونية « مارجو » هى الوحيدة المطلعة على سرنا ، وكنا على يقين من أنها ستكتمه ولا تخوننا . وكان الجستابو يقومون بالبحث عن الجنود المختبئين بدقتهم المعهودة ، وكانوا يسدون مخارج الأحياء حياً حياً ، ثم يروحون يفتشون البيوت واحداً واحداً ، فكنا نتوقع فى كل يوم أن يزورونا .

وسلخنا أسبوعاً فى جو من الفزع المستمر ، وكان ولیم يأبى أن يتعزى أو يغتفر لنفسه أنه سبب لنا هذا القلق والاضطراب . ولمحناه مرة يسير على أطراف أصابعه إلى الباب وقد ارتدى ثيابه للخروج ، فجذبته كيتى وردته ووصفته بأنه ولد جحود ، ولكنها كانت تبتسم له فلم يسعه إلا أن يستسلم .

ولو أنه كان قد ذهب لما عرفنا راحة البال بقية حياتنا ، فقد كان الألمانيون يعدمون رمياً بالرصاص جميع الجنود البريطانيين الذين يقعون فى أيديهم على اعتبار أنهم جواسيس .

* * *

وتأخرت كيتى عن العشاء ذات ليلة ، فقرأت فى وجهها وهى تهفو داخلة أن لديها أنباء طيبة ، وانفجرت هى قائلة : « إيتا ! أتذكرين شانسيل ؟ » .

وكنت أذكره جيداً ، فقد عملنا معه فى نادى الجنود ، قبل أن نحاول الخروج من باريس .

وقالت كيتى : « التقيت به فى النفق . وأنا أثق به وأعتقد أن فى وسعه أن يساعدنا وسنقابله عصر غد » .

وجلسنا معا فى حجرة الاستقبال نرشف آخر ما عندنا من القهوة المدخرة ، ونتحدث عن المقابلة التى ستجرى فى الغد والتى كنا نرجو أن تنتهى بها متاعبنا . ورأيت ابتسامة على وجه وليم — للمرة الأولى !

ثم دق جرس الباب !

وقد مضت على ذلك الصوت المصلصل شهور ، ولكنى أشعر مرة أخرى بالرعدة التى أصابتنى وشاعت فى بدنى كله ، وما زلت أرى وجه مارجو وقد ارتسمت عليه آيات الجزع وهى تتسلل إلى الغرفة وتغلق الباب .

« جاء الألمانيون ! » .

وكانت كيتى أول من أفاق فسألت : « أهم جنود ؟ » .

« كلا ، بل مدنيون » .

فقالت كيتى وهى تفهق : « الجستابو ! »

وكنت أسمع أنفاسها فى ذلك السكون ثم استدارت ، وقالت لى : « خذى ويل

(أى وليم) إلى غرفتك . واجتهدى أن تخبئيـه » وأدارت عينهـــا بسرعة فى الغرفة : « وخذى هـذا الفنجان الثالث معك . أسرعى ! » .

ولمـا خرجنا ، رفعت هى صوتها تقول بلهجة من نفـد صبره على خادمة فزعة : « لا تـكونى حمقاء يا مارجو . ولا تطيلى انتظار السادة » .

وقع وليم على حافة الطارقة (الـكنبة) فى غرفتى ، ورأسه مثنى على صدره ، ويداه متشابكتان . فتساءلت أتراه يصلى ؟ وخيل إلى أن البوليس على النـاحية الأخرى من الباب يستطيع أن يسمع دقات قلبى .

وفى هـذا الاضطراب والفزع ، وضح لى فجأة شيئان مألوفان ، صورتان شمسيتان على صوانى ، لزوجى وأخى . وكنت أستطيع أن أسمع نبرات صوتيهما ، فى قلبى كما سمعتها كثيراً فى حياتيهما ، وكانا كأنما يقولان لى : « لقد وقعت يا إيتا فى مأزق صعب ، ولـكن لا تفقدى رشدك ، فإنا سندبر الأمر » .

وإذا بى أرى فجأة كيف يستطيع أخى أن يساعدنى . فوثبت إلى الطارقة وأمسكت بذراع وليم وقلت : « أسرع ! اخلع ثيابك وارقد على السرير ، وتظاهر بالمرض » .

وخلعنا معاً ثيابه الخارجية وأنا أهمس فى أذنه بخطتى . ولم تمض ثوان حتى كان راقداً على السرير ، ولففت على رأسه فوطة — فى الوقت المناسب — فقـد سمعت كيتى تصيح بى فى هذه اللحظة قائلة :

« إيتا ! أين أنت ؟ إن هذا السيد يريد أن يرى غرفتك » .

وخيل إلى أن عين الجستابو الناقدة تخترق ضلوعى ، وكان خلفه اثنان فى ثياب مدنية ، ومدام بيجلر بوابة العمارة . وكان من السهل أن يرى المرء من وجهها الجهم ونظرتها الشكسة أنهم لن يظفروا منها بمعونة .

وقالت كيتى : « هذه صديقتى الأمريكية العزيزة السيدة شيبر . وقـد ألفت نفسها ضحية للحرب — بعيدة من الأهل والوطن ، مثلـكم ! » .

وتكلفت جاهدة أن أبدو على السجية . وقلت : « أرجو أن تغضوا عن مظهر غرفتى ، فإن أخى طريح الفراش ، مصاب بحمى معوية ، وهى فاشية الآن فى المدينة . وعسى أن لا تضطروا إلى إزعاجـه » ، ولم أجرؤ على النظر إلى كيتى مخافـة أن يفضحنى وجهى .

وقال رجل الجستابو بإيجاز : « أوراقه من فضلك » .

ففتحت درجاً فى الصوان وأخرجت محفظـة أرفنج الحمراء وجوازه الأمريكى

وبطاقتـه الشخصية ، وحمـدت الله على احتفاظى بها .

فقلب رجـل الجستابو صفحات الجواز بسرعة ووقف عنـد صورة أخى ، ورمى نظرة سريعة إلى الرجل الراقد . وكان وليم يمثل المريض أصدق تمثيل ، والفوطة حول رأسه ، وقد أضافت لحيتـه التى لم تحلق سنوات إلى سنه .

وفحص الشرطى بطاقته الشخصية فحصاً أدق ، وسأل : « لماذا لم تجدد هـــذه البطاقة ؟ »

قلت : « كان العزم أن نعود إلى أمريكا من زمان طويل ، لو كانت صحته خيراً مما هى ، وقد بدا لى أن الأمر لا يستحق عناء فى هذه الظروف » .

وكنت أعلم أن بطاقات الشخصية غير المجـددة ليست بدعاً ولا غـير مألوفة ، وكذلك كان الألمـانى يعـلم على ما يظهر ، وطلب أوراقى وراجعها ، وترك الغرفـة بكلمة شكر جافة . فتنفست مرة أخرى .

ولـكن رجل الجستابو طلب من مدام بيجلر ، وهو فى غرفة الاستقبال ، الجدول الذى فيه أسماء السكان وتأمله ملياً وبدقة ثم قال : «لست أرى هنا اسم أخى السيدة» .

فتخاذلت ركبتاى مرة أخرى ولـكن كيتى قالت فى هدوء : « إن أرفنج ليس من السكان بالمعنى الصحيح . وإنمـا جاء إلى هنا لمـا احتاج إلى من يعنى به » .

وبادرت مدام بيجلر بشهامة إلى النجدة وقالت : « إنى آسـفة ياسيدتى — إنى غبية — لقد نسيت أمر هذا السيد . ولـكنه لم يطلب منى قط شهادة بالسكنى ، ومن أجل هذا لا يوجد اسمه فى جدولى » .

فجلس النازى إلى المنضدة وأخرج قلمه ، فمـاذا تراه ينوى أن يكتب ؟ أمراً بالقبض علينا ؟ غير أنه تناول جدول السكان وأضاف إليه بخطه هو اسم أخى إرفنج ! .

وما كاد الباب يغلق وراء الشرط حتى وثبت إليه كيتى ودفعت المغـلاق ، وتبادلنا النظرات فى صمت . وكنا نعلم أننا — إذا راجـع الجسـتابو أقوالنا على السـجلات الرسمية — لا نستطيع أن ننجو من تهمة إخفاء عـدو فى شقتنا وتزويده بأوراق رجل ميت .

وظهر فى مدخل الحجرة شاب شاحب الوجه غير حليق الذقن ، فى ثيابه التحتية ، وعلى رأسه فوطة .

وقال وليم جراى مستفسراً : « ما ذا حدث ؟ »

فمـا سمعنا هذا منه حتى انطلقنا نضحك ضحكات عصبية مجلجلة .

* * *

وفى عصر اليوم التالى ذهبنا لمقـابلة شانسيل . فبدأت كيتى الحديث معه بحذر ، وفطن هو إلى الاتجاه العـام لـكلامها فقاطعها بابتسامة .

وقال : « يا سيدتى العزيزة ، إنى لم أغير سياستى لما دخل الألمانيون ، فخبرينى على وجه الدقة أى مأزق وقعت فيه ؟ »

ففهقت كيتى وقالت : « إننا نخبئ طياراً إنجليزياً فى شقتنا » ، وقصت عليـه القصة كلها وفى جملتهـا زيارة الجستابو لنا البارحة .

فصفر شانسيل وقال : « أما إن هذه لمغامرة لسيدتين لا يخطر لمن يراهما أنهما مغامرتان . فلماذا لم تأتيا إلى على الفور ؟ لو كنتما فعلتما لأرحتما نفسكما من كثير من المتاعب » .

وكان شانسيل على ما يظهر ، عضواً فى جماعة سرية تساعد الجنود على الفرار إلى المنطقة غير المحتـلة ، وكان للجماعة بيت على الشاطئ الغربى للسين ، يستطيع اللاجئون أن يمكثوا فيـه إلى أن تعـد لهم التراخيص بالسفر ، وكانوا بعـد ذلك يرسلون بالقطار إلى أصدقاء آخرين لهم فى ضيعة على الحدود ، ومن هناك يعبرون إلى فرنسا غير المحتلة .

وقال شانسيل : « ولـكن إذا كان هــذا الشاب لا يتكلم الفرنسية فإن سفره بالقطار لا يكون مأمون العاقبة » .

فقالت كيتى : « أنا أحمـله فى السيارة إلى الضيعة التى على الحدود » .

« لم يعد هذا أمراً سهلا . فمثلا لا سبيل إلى ابتياع بنزين » .

وضرب شانسيل المنضـدة بيده فجأة وصاح : « وجدتها! إن نادى الجنود لا يزال يعمل تحت إدارة الألمانيين ، فتقـدمى للعمل به مرة أخرى ، وحينئذ يسعك أن تضعى على سيارتك شعار الصليب الأحمر ، ويكون لك الحق فى عشرة جالونات من البنزين فى الأسبوع . وفضلا عن ذلك يجوز لك أن تنتقلى فى البلاد وتزورى المستشفيات ومعسكرات الاعتقال » .

وقد كان فرار وليم جراى قليل الحوادث إلى حد أنه خيب الآمال .

فقد حصلنا على أوراقنا المثبتة لشخصياتنا من نادى الجنود ، وبدأنا نزور المستشفيات فى منطقـة باريس ، وحصل شانسيل على ترخيص بالسفر لوليم ، ولما تمت الأهبـة دسسناه مرة أخرى فى مكان الحقائب . وكانت معنا طرود وهدايا من نادى الجنود مرسـلة لعدد من المستشفيات العسكرية ؛ ولـكننا وقفنا أول ما وقفنا ببلدة صغيرة عند الحدود حيث اهتدينا إلى أصدقاء شانسيل بغير عناء .

وبعد أسبوع أقبلت مارجو علينا فى حجرة الجلوس وفى يدها بطاقة بريد تلوح بها ، ذلك أن وليم بعث برسالة مكتوبة بحذر وحرص يخبرنا فيها أنه وعد أن يتيسر له قريباً « زيارة والديه » ، فأدركت أنه يعنى إنجلترا ، وسرنى ذلك حتى لأحسست أنى على استعداد لأداء مثل هذه المهمة مرة أخرى .

ولكنى جزعت لما اقترحت كيتى شيئاً من هذا القبيل ، فقد وقعت عينها على ما بدا لها أنه إعلان غريب مثير للاهتمام فى جريدة « بارى سوار » . وكان العمود الذى تنشر فيه الإعلانات الخاصة « بالمفقودين » أول ما يعنى به الناس فى فرنسا ، فما من أحد إلا وله صديق أو قريب اختفى فى هذه الحرب . وكانت جريدة « بارى سوار » الشايعة للألمانيين منذ دخولهم تنشر عدة مئات من هذه الإعلانات كل يوم ، غير أن هذا الإعلان كان مختلفا ، فقد جاء فيه :

« يبحث جوناثان بيرك عن أصدقائه ومعارفه . العنوان : المستشفى العسكرى ، دولان (السوم) »

وقالت كيتى بلهجة المتفكر : « هذا اسم إنجليزى . ومن ذا الذى سمع بفرنسى اسمه جوناثان ؟ سأكتب إليه » .

فقلت وقد فزعت : « كيتى ! هل تريدين أن تتصيدى جنوداً آخرين من الإنجليز ؟ »

قالت : « لا . ولكن إذا اتفق لى أن لقيت أحداً منهم فإن أقل ما أستطيع عمله هو أن أبعث بهم إلى شانسيل » .

قلت : « إنك لا تستطيعين أن تغالطينى أبداً » .

وبعد أيام قليلة ناولتنى رسالة بالإنجليزية عليها توقيع جوناثان بيرك يقول فيها :

« سيسعدنى أن أجد من أتحدث معه . . وسأرتقب زيارتك . . . »

وقالت وهى تنظر إلى بلهفة : « إن نادى الجنود ينتظر منا أن نحمل الهدايا إلى الجنود » .

قلت : « حسن . فمتى نذهب ؟ فإنى ذاهبة أيضاً كما تعلمين ، لأجعلك بمنأى من المآزق » .

وقصدنا إلى دولان فى صبيحة اليوم التالى ، ومعنا الطرود المألوفة من الطعام والسجاير للجنود ، وحملت كيتى معها أيضاً صندوقاً ملفوفاً فى ورق أسمر لم تقل عنه شيئاً صريحاً .

« إنه ليس إلا شيئاً أريد أن أتركه فى النادى وأنا عائدة » .

وكان المستشفى العسكرى فى دولان لا يزال تحت إدارة رجاله الفرنسيين ، وإن كان خاضعاً للسيطرة الألمانية . وكان على

بابه اثنان من الحراس الألمـانيين لم يبـد عليهما حين دخلنا أنهما رأيانا . وكان المكان من الداخل مظلماً قذرا مملوءاً بالحشرات .

وطفنا بارجاء المستشفى ، وجعلنا نحادث الجنود ونتطلع إلى جوناثان بيرك ، ولمحنا فى الحديقة ضابطاً بريطانياً جالساً وحده على دكة ، وكانت بذلة الطيران التى يلبسها متغضنة حائلة اللون ، وعلى عينه اليمنى ضماد . فلما دنونا منه ارتدت إليه نفسه فجأة .

وقال : « لقد كنت أرجو أن تجيئا ، ولـكنى لم أكن أجرؤ على الاعتماد على ذلك »

فقالت كيتى : « إنك مواطنى ، وإنه لما تتقزز منه النفس أن تبقى فى هذا المكان القذر » .

فقال بصوت خفيض : « قد يبدو لك هذا هكذا ، ولـكنى متربص راصد للفرصة وإنى لفى أتم صحة ، وعلى أكمل استعداد للرحيل ، ومتى عرفوا ذلك فسيبعثون بى إلى السجن . ولا يكاد يكون هنا حرس ، وقد يتسنى لى أن أهرب من هنا ، ولـكن الأمـل ضعيف فى الفرار من السجن إذا انتقلت إليه » .

نخطت كيتى خطوات على الدكة ثم قالت بصوت كالهمس :

« هل تحب أن آخذك إلى باريس ؟ » .

فتعلق بيرك بيدها وهو يقول : « كيف ياسـيدتى بوربيو ؟ يا إلهى ! إنى أعرف أنك تريدين بذل معونتك ، ولـكن ماذا يسع امرأة أن تصنع ؟ إنك خليقـة أن تخفق قبل أن تبدئى ! » .

فقالت كيتى برقة : « إنك مخطىء يامستر بيرك . فإن فى وسـعنا أن نبلغك باريس . ومن ثم إلى فرنسا غير المحتلة ـــ وسنفعل ! »

فعاد إلىّ الجزع الذى كان قد زايلنى لما رحل عنا بسلام وليم جراى .

وأخرجت كيتى لفافة الورق السمراء التى كنت أجهل ما فيها ، والتى جاءت بها معها من باريس ، وقالت : « هذان دثاران وسيارتنا واقفة على الجانب الآخر من هذا الجدار الواطىء ، حيث تكثر الشجيرات . ووراء المقعـد الخلفى مستودع للحقائب ، فادخل فيه فإنه ذو سعة ، وأغلقه وراءك ، وانتظر » .

ونظرت إلىّ ، وأحسبها توقعت منى اعتراضاً أو احتجاجاً ، ولـكن ماذا كنت أستطيع أن أقول على مرأى ومسمع من بيرك الذى كان الأمل قد أورثه الاضطراب؟

وكان أشق ماتكلفت فى حياتى أن أعود فأجتاز أقسام المستشفى ، وأحادث المرضى كأنما لم يحدث شىء . وأقبـل علينا شاب أشقر يطلع ، فى الدهليز ، كأنما كان فى انتظارنا وقال :

« أنا لورنس ميهان — وقد رأيتكما مع بيرك — وأرجو.. أن تخرجاني من هنا»

وكان بادي السقم وبدنه يرعد من فرعه إلى قدمه فقلت : « إنك محموم » .

قال : « كلا ! وليس بي إلا جرح في ساقي . وقد كاد يبرأ ، وسأكون بخير إذا بارحت هذا المكان » .

فقالت كيتي : « إسمع . إننا لا نستطيع أن نأخذ معنا في السيارة سوى واحد في كل مرة ، فإذا لم يضبطنا الألمانيون عدنا إليك » ، ومضت عنه دون أن تتلفت ، فأسرعت وراءها كأني دجاجة فزعة .

ولما بلغنا البوابة قالت كيتي بصوت عال : « انتظري هنا ، وسأجيء بالسيارة » .

فوقفت مسمرة في مكاني من الخوف ، وعيني عليها وهي تقف السيارة أمام الحارسين الألمانيين وسألتهما بالألمانية : « في أي وقت تفتح البوابة للزوار في الصباح ؟ » .

فأخبرها أحدهما .

فقالت بهدوء : « قد نضطر إلى القدوم إلى هنا مرات عديدة . هل لك في سيجارة ؟ » فتقبل منها السيجارة وأشعل عود ثقاب لسيجارتها .

وقالت بالألمانية : « أشكرك كثيراً » ، وأدارت محرك السيارة .

وهممت أن أؤنبها فقالت بهدوء من غير أن تنظر إليّ : « إنما أردت أن يرى أنه ليس في السيارة سوانا » .

« إنك آية يا كيتي ! ولكن هبيه طلب أن نفتح مستودع الحقائب ؟ » .

« لقد أوصدت بابه بالمفتاح . ولو كان طلب هذا لقلت له إني تركت المفتاح في باريس »

ولما صار بيرك معنا بسلام في شقتنا ، أحسست أنا وكيتي أننا متآمران متعبان ولكننا ظافران ، أما هو فكان حائل اللون متغير الوجه ، وكان وجهه يتصبب عرقاً .

وقال : « إنكما آيتان ! ولشد ما أتمنى أن يكتب مثل هذا الحظ الحسن لغيري من الجنود البريطانيين ، وهناك منهم حوالي عشرة آلاف لم يتسن لهم الخروج بعد دنكرك ، وهم مختبئون كالوحوش في الغابات والكهوف بشمال فرنسا . وقد نظم الألمانيون وحدة مسلحة خاصة من راكبي الموتوسيكلات للبحث عنهم واعتقالهم ، ولا سبيل إلى إنقاذهم » .

وجلسنا لحظة صامتين مكتئبين . وبعد العشاء ، لما ذهب بيرك إلى مخدعه لينام ، التفتت كيتي إلي وفي عينها نظرة من صح عزمه على أمر .

وقالت : « اسمعي يا إينا . يجب أن تعودي إلى أمريكا ، فإني لا أستطيع أن أقعد هنا جامدة وهذه المطاردة دائرة ،

ولا بد لى من مساعدة مواطنى على الهرب . ولكنه لا يحق لى أن أورطـك معى فى هـذا » . فلبثت لحظة لا أقوى على كلام ، واستطردت كيتى فقالت : « ليست هـذه شجاعة منى يا إيتا ، فإنى أخاف أن أموت ، ولكنه ما من إنسان يعرف كيف يساعد هؤلاء المساكين ، ويحق له أن يدعهم وشأنهم ، ويخـذلهم . ولو أنى علمت أن الألمانيين سيرمونني بالرصاص لما منعنى ذلك أن أحاول إنقاذ هؤلاء الفتيان الإنجليز » .

فقلت أخيراً : « لن أتركك أو أتخلى عنك يا كيتى . وإذا كان لا بد لك من إنقاذ الجنود ، فإن على أن أساعدك » .

وكانت المعضلة الكبرى أن نتصل بالجنود ، فاتفقنا أخيراً على أن نستخدم عمود الإعلانات عن «المفقودين» كما فعل بيرك . وخرجت كيتى فى بكرة اليوم التالى لنشر إعلان فى جريدة بارى سوار :

« يبحث وليم جراى عن أصدقائه وأهله . العنوان : القهوة الحديثة ، شارع روديبه بباريس » .

ولم نجرؤ — كما هو بديهى — أن نستعمل أحـد اسمينا أو عنواننا ، ولكن وليم جراى كان قد نجا من أرض الاحتلال الألمانى ، وكانت كيتى تعرف صاحب المقهى الحديث ، واسمـه دوران ، وهو فرنسى صادق الولاء ، وقد وعد أن يبعث إلينا سراً بما يحمله إليه البريد باسم وليم جراى .

وإنا لنتهيأ للذهاب إلى البيت الذى على «الشاطىء الغربى» ، وإذا بشانسيل يحمل إلينا أنباء سيئة . فقد خان الجماعة أحد رجالها فداهم الجستابو البيت الذى على الشاطىء الغربى فى الليلة السابقة ، وعرف النازيون أيضاً أمر الضيعة التى على الحدود .

ففهقت وقلت : « إذن سيكونون هنا فى أية لحظة ! » .

فقال شانسيل : « كلا ! فأنتما فى أمان ، فما كان هذا الخائن يعرف سوى قليلين منا . وصاحبنا الذى يعمل فى دائرة الأمن العام — وهو الذى يزودنا بتراخيص الخروج — موثوق به من الألمانيين ، فهو يعرف كل ما يعرفون . وهم لم يسمعوا بكما قط » .

وكان شريكنا الذى فى دائرة الأمن العام قد حذر أصدقاءنا فخرجوا كلهم تقريباً من البيتين فى الوقت المناسب ، ولكن طريق الفرار لم يعـد صالحاً بعد ذلك . وكان شـانسيل نفسه على وشك الرحيـل إلى المنطقة غير المحتلة . قال : « وسأبقى هناك إلى أن تطول لحيتى ، وأؤلف جماعة للعناية بمن نهربهم إلى ما وراء خط الحـدود . وسأتصل بكما بعد عودتى » .

وودعنا ، فودعتنا الشجاعة اليسيرة التى

كان وجوده ينفثها فينا . وكنا نسمع الملازم بيرك يقطع غرفة النوم جيئة وذهوباً . وكان إنقاذه أكبر ما يواجهنا من المشاكل العاجلة.

وقالت كيتى : « ليس ثم سوى وسيلة واحدة يا إيتا . غداً نبحث عن فلاح فرنسى يعيش على الحدود ويقبل أن يهرب بيرك » ، ثم اعترضت على نفسها فقالت : « لا نستطيع أن نفعل هذا غداً ، فإن علينا أن نأتى بلورنس ميهان » .

فصحت بها : « كيتى ! إنك لا تنوين أن تجيئى به أيضاً ؟ » .

فنظرت إلىّ مستغربة وقالت : « لا أجىء به إلى هنا ؟ ألسنا قد وعدنا ؟ » .

* * *

وكانت رحلتنا الثانية إلى دولان سريعة ، وكان ميهان راقداً فى فراشه وقد جهده المرض ، والتمعت عيناه حين رآنا ، ولكنه كان أذكى من أن يصدر عنه ما يشى بأنه يعرفنا . ووقفت كيتى إلى جانب السرير التالى لسريره ثم خرجت بى إلى الدهليز . وبينما كنا نمر بمكتب المستشفى فتح بابه ، واعترض طريقنا صاغ فرنسى .

وقال : « أنا الصاغ تيبو ، الموكل بإدارة هذا المكان . وأعتقد أنكما شرفتمانا بزيارة سابقة » . قال هذا على مهل ، ثم سألنا فجأة : « فهل لكما أن تتفضلا فتخبرانى أين الملازم بيرك ؟ » .

فوثب قلبى إلى حلقى ، ولكن كيتى قالت فى هدوء : « لا بد أن تكون ذا قدرة على قراءة الخواطر ، فقد كنا نجوب الأقسام باحثين عنه » .

فحدق الصاغ تيبو فى كيتى متفرساً فاحصاً ، ثم ارتد داخلا من الباب وهو يقول : « أرجو أن تتفضلا بالدخول فى مكتبى » . فلما دخلنا أومأ إلينا أن نقعد ثم راح يتمشى فى الحجرة ببطء ، وكان الصمت والقلق مما لا يطاق . وأخيراً وقف أمامنا .

وقال : « لقد تحريت تحرياً دقيقاً ، فأنت يا سيدة بوريبو إنجليزية مولداً ، فليس يدهشنى إذن أن يهرب أحد الأسرى البريطانيين القليلين هنا عقب زيارتك . وأنا لست بالغبى ياسيدة بوريبو ، ومن الجلى أنك ساعدت الملازم بيرك على الفرار . ومن واجبى أن أسلمك إلى السلطات الألمانية ، فإنى جندى وعادتى أن أطيع الأوامر » .

وأمسك لحظة ، وكان قلبى يخفق خفقاً شديداً .

ثم قال ببطء : « ولكنى لست جندياً فحسب ياسيدتىّ ، فإنى فرنسى أيضاً ، وهذا هو السبب فى أنى لم أبلغ السلطات إلى الآن خبر اختفاء الملازم بيرك » ثم صارت نبراته حادة كأنما هو يصدر أمراً .

« إن عليكما أن تغادرا هـذا المستشفى حالا ولا تعودا إليـه . ولا يسعنى إلا أن أطلب منكما وعـداً رسمياً أن لا تكررا ما فعلتما ، فإن مثل هذا التكرير يكون على الأرجح وبيلا عليكما . ونصيحتى لكما أن تنسيا هذه المحادثة ، وأنا واثق أنى أنا لن أذكرها » .

وكنت جالســة معتـدلة كالعصا على الكرسى ، وقد صعقت من التحول الذى حدث على غير انتظار . ونهضت كيتى وقالت: « أشكرك ياحضرة الصاغ » ، ومدت إليه يدها ! « وإنى لسعيدة جداً بأن أقابل فرنسياً صميما » .

فتناول الصاغ تيبو يدها وقال بلهجـة جافة : « سامحانى إذا كنت أوثر الحيطة وأرافقكما إلى سيارتكما » .

وقطعنا عدة كيلومترات من دولان قبل أن أجد لسانى ، ثم قلت : « لم يبق إلا أن تنسى أمر ميهان المسكين . فما نستطيع أن نعود بعد هذا » .

فتبسمت كيتى وقالت : « لقـد ناولت ميهان رقعة ونحن واقفان إلى جانب السرير الآخر . وهو الآن فى مستودع الحقائب » .

فارتسم على وجهى ما لم تستطع عليـــه صبراً ، وراحت تضحك ضحكا شديداً ، حتى لقد اضطرت أن تقف السيارة . ولم يسعنى إلا أن أضحك مثلها . وهكذا لبثنا نحن الاثنتين على جانب الطريق نقهقه فى أرض يندر أن يضحك فيها الآن أحد .

* * *

ولما بلغنا البيت وجـد ميهان صعوبة فى الخروج من السيارة ، ثم راح يطلع معتمداً علينا .

وطلع علينا بيرك من غرفة النوم وهو يسأل : « هل كل شىء على ما يرام ؟ »

وهوى ميهان إلى الأرض ، وارتمى عليها لا يتحرك ، فانحنى عليه بيرك ثم قال : « لقد انتقض جرحه » .

والواقع أن إحدى ساقى السراويل الذى يرتديه ميهان كانت مغمورة بالدم ، وكانت تسقط منه قطرات كبيرة على الأرض .

فقالت كيتى بلهجـة الأمر : « اطلبوا طبيباً بالتليفون » . ثم عادت تقول : « كلا ! لا نستطيع أن ندعو طبيباً . . . فهاتوا قوطاً » .

وجلجل جرس الباب وكان صوته عالياً ملحاً .

فوقفنا كأننا تماثيـل ، وعاد الجرس يصلصل .

وقالت كيتى بلهجة القانط : « لا فائدة ! فما نستطيع أن نخفى هـذا . إذهبى يا إيتا وافتحى الباب » .

وما كرهت فى حياتى عملا أعمله كما كرهت هذا الذى كلفته ، على أن مخاوفنا لم يكن لها داع ، فقد كان الذى دخل علينا هو هنرى بوريو زوج كيتى ، وكان لا يفوته أن يزور كيتى كلما جاء إلى باريس . وكانت زيارته فى هذه المرة نعمة من الله ، فقد تولى الأمر كله بعد أن أفاق من الدهشة . فدعا بالتليفون طبيباً يثق به ثقة تامة ، فحضر بعد خمس دقائق . ولم يمض سوى ربع ساعة حتى كان ميهان معصوب الساق مضمود الجرح راقداً فى السرير . ولكن الطبيب هز رأسه هزة القلق على مريضه وقال : « إن بجرحه قيحاً خبيثاً ، ولكنى سأفعل كل ما يسعنى » .

وبعد أن انصرف الطبيب حل لنا هنرى بقى من المشكل فقال : « إن لصديقى تيسبيه فى ليبورن كرمة تمتد إلى ما وراء خط الحدود وفى وسعه أن يهرّب هذين الشابين . ولكنه لا بد من كلفة طفيفة — ٥٠ فرنكا عن كل واحد — يأخذها الشاويشية الألمانيون» ، وابتسم : «ويظهر أن أبناء هذا « الشعب السيد » يطيب لهم أن يكسبوا قليلا من حين إلى حين .

« وأعرف أيضاً رجلا فى دائرة الأمن العام يستطيع أن يخلع أسماء فرنسية على صدقائكما الإنجليز ، فلا تقلقا ، فإن الشابين سيكونان بخير » .

فرأيت دموع الفرح فى عينى كيتى . وكنا قبل ساعات قليلة قد وطنا النفس على اليأس .

* * *

وفى اليوم التالى جاء إلينا إميل ، غلام دوران يحمل رسائل باسم وليم جراى بعنوان المقهى الحديث ، ففضت كيتى إحداها فإذا بها خالية إلا من هذا العنوان :

ب . و . ستو

١٢ شارع المحطة . ريمز

فقلت : « إن هذا يبدو لى مريباً » .

فقالت كيتى تخاطب بيرك : « إن إيتا سترى من الآن فصاعداً أن يد الجستابو وراء كل رسالة من هذه » .

وكانت الرسالة الثانية مكتوبة بالفرنسية .

« سيدى العزيز

«إنى قسيس أبرشية كونشى سير كونش ، وقد كتبت إليك إجابة لرجاء بعض أهل الأبرشية الذين يرون فيك ، على ما يظهر ، صديقاً قديماً ، وهم يرون أن فى وسعى أن أتصل بكم وأنا مطمئن فى أمر على جانب عظيم من الأهمية للطائفة .

« إن بناء كنيستنا يحتاج إلى إصلاحات عاجلة ، وإلا تقوض هذا الأثر الجميل من آثار القرون الوسطى . وهى كارثة

متوقعة فى أى يوم ، ولا معوض لها ، وأخلق حينئذ أن نفقـد مالا مردّ له من كل قيم ثمين . وقد حصلت على إذن من الكنيسة والسلطات المحلية بإجراء الإصلاح .

« فرجائى إليك ياسيدى العزيز أن تخبرنى فوراً متى وأين نستطيع أن نلتقى للبحث فى تنظيم أمر الاكتتاب وتوسيع نطاقه ؟ وأسأل الله أن يبارك فيك » .

المخلص

الأب كريستيان رافييه

فقلت : « ليس هذا إلا طالب مال » .

فكادت كيتى تصرخ وهى تقول : « إيتا ! إن الرسالة موجهة إلى ولم جراى رداً على إعلاننا ! وقـد كتبت بحيث نفهمها نحن ولا يفهمها سوانا . تأملى قوله : « إن بعض أهل الأبرشـية يرون فيـكم على ما يظهر صديقاً قديماً » ، فلا بد أن يكون على اتصال ببعض الرجال فى وحـدة ولم جراى . ثم انظرى قوله : « وهم يرون أن فى وسعى أن أتصـل بكم وأنا مطمئن » ، وقوله : « كارثة متوقعة فى أى يوم » ، ومعنى هذا بعبارة أخرى هو أن « الطائفة » قد يعرف أمرها ويقبض عليها » .

واتفقنا على أن الرسـالة عليها مسحة الصدق ، وراجعت كيتى اسم الأب كريستيان رافييه فى مكتب اسقف باريس . وكان رأيها ، وهو صواب ، أنه لابد أن يكون هناك اكتتاب مفتوح لإصلاح الـكنيسة وترميمها ، حتى إذا دار تحقيق بدت رسائله التى يطلب فيها المال بريئة . وقد عادت كيتى جذلة مبتهجـة ، وخرجنا من فورنا لمقابلة الأب كريستيان .

فاقترح أن نتحـدث فى مسكنه وراء الـكنيسة ، ومضى بنا من الحديقة إلى غرفة صغيرة قريبة السقف ، وأخبرنا أن هناك ألف جنـدى إنجليزى على الأقل مختبئين فى غابات « كونتى سير كونش » ، وأنه على اتصال دائم بهم .

قال : « ولـكنى لا أعتقد أن فى وسعهم أن يبقوا طويلا ، فإنهم يتضورون جوعاً وقواهم منهوكة ، والجماعة هناك تعطيهم كل ما تستغنى عنه من طعام وثياب ، ولـكن الجراية المقررة يسيرة والتدقيق شديد ، فلو أنها أعطتهم كل ما عندها لما كان كافياً . وفى وسعى أن أحصـل لهم على بطاقات شخصية وأصحبهم إلى باريس ، كل بضعة رجال مرة ، إذا تـكفلتما بهم بعد ذلك ، فهل يسعكما هذا ؟ » .

فقالت كيتى : « إن هـــذا يسعنا على التحقيق » ، وأخبرته بطريق الفرار من باريس . وأنه سيستخدم بعد حوالى أسبوع . فأغمض القسيس عينيه هنيهة ثم قال :

« لكأنى بكما صلاة تقبلها الله ، ودعاء استجاب له » .

* * *

وأبلّ لورنس ميهان إبلالا عجيباً بعد أن تولى الطبيب علاجه ، وأصبح فى طوقه أن يسافر بعد قليل ، وقلنا نرسله مع بيرك . ولكن صديق هنرى فى دائرة الأمن العام قد زودنا بعدد كبير من التراخيص ، ووكل إلينا كتابة الأسماء والبيانات الأخرى ، ولكن الصحف أعلنت ذات صباح أن الحكم بالإعدام سيكون جزاء من يساعد جنوداً بريطانيين على الفرار .

فقالت كيتى : « يجب أن أذهب إلى ليورن وأقابل تيسييه فوراً ، فإنى أخشى أن يخيفه هذا الأمر فيكف عن مساعدتنا » .

ولما كان عندنا ترخيصان لصاحبينا اللاجئين عندنا ، فقد رأت كيتى أن تستصحبهما ، وعادت وكلها ثناء على المسيو تيسييه .

قالت : « قد تخطى بيرك وميهان الحدود بسلام ، وإن المسيو تيسييه لآية ، وقد ذكرته بالأمر الجديد الذى يقضى بالإعدام فما زاد على أن بصق ، ثم قال : « لقد شهدت الحرب الماضية فى سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ، وقد كان من الممكن ألف مرة أن أقتل ، والآن مرت بى حرب ثانية ، وما زلت حياً أرزق . وأحسبنى قد فزت بأكثر من حظى من الحياة ، فلن تصيبنى خسارة » .

وبادرت كيتى إلى الكتابة إلى الأب كريستيان تبلغه أن كل شيء قد أعد لجمع الاكتتابات ، فجاء بعد أيام قليلة إلى الشقة ومعه أربعة من الجنود ، وبعد أن زودوا بتراخيص السفر ، استقلوا قطار المساء إلى ليورن .

وكان على تيسييه أن يبلغنا خبر وصولهم سالمين ، ولكن يومين مضيا دون أن نتلقى منه نبأ ، فخفنا أن يكون قد مسهم سوء ، وإذا بتيسييه نفسه يدخل علينا ويقول لنا فى صراحة تامة :

« إنكما تخطئان خطأ فاضحاً . وأرجو أن لا تتركا هؤلاء الجنود فى المستقبل يسافرون وحدهم بغير رفيق حاضر الذهن يجيب عنهم بالفرنسية » .

وتبين أن الجنود الإنجليز الأربعة إنما نجوا من الاعتقال بأعجوبة ، وذلك أن حراس القطار وجدوا وهم يفحصون أوراق الركاب ، أن مع هؤلاء الأربعة تراخيص رسمية ، ولكنهم لا يتكلمون الفرنسية ، فلولا أن الركاب الفرنسيين تدخلوا واعترضوا اعتراضاً شديداً على ما همّ به الحراس ، لأنزلوا من القطار وسيقوا إلى

السجن ، ولـكنهم نجوا ولما يكادوا .

فتنهدت كيتى وقالت : « وما ذا بالله نستطيع أن نصـنع ؟ من أين أجىء بمن يرافقونهم ؟ » .

وبعد نصف ساعة من انصراف المسيو نيسبيه أخبرتنا مارجو أن زائراً آخر يطلب مقابلتنا واسمه المسيو كوربييه .

فقالت كيتى وقد استرابت : « لا أعرفه . وما ذا يبغى ؟ » .

ولم تجب مارجو لأن المسيو كوربييه فتح الباب ودخل ، وكان ظاهره يدل على أنه طبيب فرنسى — لحية سوداء غير منتظمة ، ونظارات سميكة الإطار . فحدقنا فى وجهه .

وقال هو : « ياسيدتى العزيزتين ، إن من دواعى سرورى أنكما لم تعرفانى » فصحنا معاً : « شانسيل ! » .

وكان شانسيل يعمل الآن مع جماعـة جديدة تهرب إلى إنجلترا كل فرنسى يريد أن يحارب مع ديجول . وقـد جاء يدعونا إلى العمل معه ، فشرحت له كيتى ما نحن فيه ، فسرعان ما وجـد الوسـيلة إلى التوفيق بين الأمرين .

وقال : « ليس أسهل من ذلك . وما عليكما إلا أن تخبرانى كلما كان عندكم إنجليز تريدون إرسالهم ، فأعد مثل عـددهم من الفرنسيين الذاهبين للحاق بديجول » .

فقالت كيتى : « لا بد أن يكون الله قد ساقك إلينا مرة أخرى » .

وقد ظلت كلمة كيتى عالقة بذهنى ، فقد ساعفنا الحظ مرة بعد مرة . فهل كان ذلك كله مرجعه إلى الحظ ؟ أم هى يد الله معنا توفقنا ؟

وصار لنـا الآن طريق تهريب لا إلى المنطقة غير المحتـلة فحسب ، بل على طول الطريق إلى إنجلترا بعد ذلك .

فلمـا كان شهر نوفمبر ، كنا قد أرسلنا أكثر من مائة إنجليزى يرافقهم مثل عددهم من الفرنسيين . وكان العمل يجرى بدقة الساعة ، وألفناه حتى لقد كدنا ننسى أننا نركب مركباً خطراً ، ولـكن إدراك ذلك لم يكن بعيداً .

* * *

وكنا فى أكتوبر قد بدأنا نعانى مصاعب مالية من جراء هذا التهريب بالجملة ، فقـد كانت نفقات السفر ، مضافة إليها خمسون فرنكا على كل رجل يجتـاز الحدود ، قد بلغت مبلغاً جسيما . على أن إطعـام الجنود وهم فى باريس كان أكثر كلفة ، فما كان عندنا سوى ثلاث بطاقات لطعامنا ، وكثير ما كان من المستحيل أن نحصل على مقادير الطعـام التى تخولنا إياها البطاقات قانوناً ، فكنا نلجأ إلى السوق السوداء وندفع عشرة

أضعاف السعر القانونى أو عشرين ضعفاً . وما كان الاعتراض أو الاحتجاج على هذه الأسعار الفاحشة ليؤدى إلا لقطع هذا المورد اليسير .

وكانت كيتى تعرف بعض الأسر الغنية فى المنطقة الحرة ، ولا تشك فى أنها تخف إلى النجدة ، ولكنها ما كانت تستطيع أن تكتب إليها ، فلا مفر من السفر إليها .

فسألتها : « كم تبقين هناك ؟ » وحاولت بابتسامة أن أستر ما شعرت به من الخوف من الوحدة .

قالت : « أسبوعين أو ثلاثة لا تقلقى يا إيتا ... وإذا حدث شىء فإن فى وسعك أن تلجئى إلى شانسيل » .

وفى أول أسبوع من غياب كيتى بعث إلىَّ الأب كريستيان بثلاث جماعات ، فحولتهم إلى رجال شانسيل ، وبعد نصف ساعة من رحيل الجماعة الثالثة ، أقبل إميل ، غلام دوران صاحب المقهى ، يسأل عن كيتى وقال : « إن المسيو دوران يقول إن فى المقهى رجلا إسمه المستر ستو ، وإنه يريد أن يتحدث إليها ياسيدتى » .

وكان « المستر ستو » هو التوقيع الذى قرأناه فى إحدى الرسائل التى تلقيناها رداً على إعلاننا فى جريدة « بارى سوار » .

فلبثت لحظة كالمفاوجة . كيف عرف هذا الرجل اسم كيتى ؟ إن إعلاننا لم يذكر إلا اسم وليم جراى .

يجب أن أهرب ! وعسى أن أستطيع الدخول فى المنطقة غير المحتلة . ولكن ما العمل حين تعود كيتى فلا تجدنى ؟ وبدأت نفسى تثوب إلىَّ . ألسنا قد نجونا من المخاطر من قبل ؟

وذهبت إلى مطعم صغير على مقربة من مقهى دوران ، وأمرت إميل أن يسر إلى المسيو دوران أن يوافينى .

فجاء المسيو دوران على الفور .

فسألته : « هل أعطيت هذا المستر ستو عنواننا ؟ » .

قال : « كلا على التحقيق ! فقد أمرتنى السيدة كيتى أن لا أفضى به إلى أحد . وما سأل الرجل إلا عن وليم جراى فبعثت بإميل إليك » ، فخلصت أنفاسى : « وثقى ياسيدتى أنى لست بالغبى كما يبدو علىّ ، وقد قلت له إنى لا أعرف أى رجل باسم وليم جراى ، وأشرت عليه بأن يقعد ، فإذا جاء من يدعى وليم جراى يسأل عن بريده عرفته به » .

فسألت : «وما رأيك فى الرجل يامسيو دوران ؟ » .

قال : « فرنسيته ليست رديئة ... ليست كفرنسية الإنجليزى تماماً ... وقد قال

إنه يخاف أن يتكلم بالإنجليزية ، وإن كان صوته خفيضاً جداً حتى يستحيل .... » ، وأمسك فجأة وقد فغر فاه ثم صاح : « يا للشيطان ! تالله ما أغباني ! لقد أشعل سيجارة وهو يتكلم ، وهي من النوع الذي يوزعونه على الجنود الألمانيين ! » .

فتناولت يده فوق المنضدة وقلت : « تشدد يا مسيو دوران ، إن المستر ستو من رجال الجستابو » .

فتغير وجهه وامتقع وقال : « وماذا أصنع الآن ؟ ماذا عسى أن يصيبني ؟ » .

قلت : « إن معي تراخيص سفر ، ففي وسعك أن تذهب الآن إلى المحطة ، وتستقل القطار إلى المنطقة غير المحتلة » .

فأنّ وقال : « كلا ! زوجتي ، وأولادي ! كل ما أملك هنا » ، واربد وجهه كأنما يعالج أمراً معضلا ، ثم انفرجت أساريره عن ابتسامة عريضة وقال : « توجد وسيلة للخروج من المأزق — وسيلة جميلة — سأدق التليفون للجستابو في ديوانهم وأخبرهم أن في مقهاي إنجليزياً مريباً ، فلا يمكن أن يستريبوا بي حينئذ » .

وما كاد ينصرف حتى استولى عليّ الخوف من أن نكون قد أخطأنا . ولنفرض أن المستر ستو كان جندياً إنجليزياً صميما ؟ ومضيت إلى المقهى وقعدت في الشرفة ، فقد كان لا بد أن أرقب ما يحدث لأطمئن إذا استطعت .

وأقبلت سيارة ألمانية رسمية ووثب منها ثلاثة دخلوا المقهى ، وما عتموا أن خرجوا ومعهم رجل آخر كان اثنان منهم يمسكانه من ذراعيه ، فهبط قلبي في صدري ، فقد كان الظاهر أننا أخطأنا .

ولكنهم ما خرجوا إلى الطريق حتى انطلقوا يضحكون ، واستقلوا السيارة والمستر ستو لا يزال يضحك ، ويقدم للآخرين سجاير من علبة أيقنت حين رأيتها أنها ألمانية .

وحدث بعد بضعة أيام أن حضر إلى الشقة المسيو دوران ، وفي يده جريدة ، وفي وجهه آيات الغضب المتلهب ، وصاح : « هل جننت ؟ »

فقرأت الإعلان الذي كان يشير إليه بأصبع مرتعش .

« وليم جراي (بدنكرك سابقاً) يبحث عن أصدقائه .

« العنوان : مقهى دوران ، شارع روديبه ، باريس » .

فقلت له : « يا مسيو دوران . نحن لم نبعث بهذا الإعلان إلى الجريدة ، ولم نكلفها أن « تكرر إعلاننا » .

فنظر إليّ متردداً وسأل : « إذن من فعل هذا ؟ »

قلت ، وأنا على يقين جازم : « الجستابو . وقد أرادوا أن يعرفوا إلى من تذهب حين تفرؤه » .

فاغتم غماً شديداً وقال : « يا إلهى ! ماذا صنعت ؟ ماذا استطيع أن أصنع الآن ؟ »

قلت : « لا شيء ! إذا كانوا قد تبعوك إلى هنا ، فقد وقع المحذور . وإنك لفرنسى طيب يا مسيو دوران ، وأنا واثقة أنك لن تسلم إلى الجستابو ما عسى أن يرد إليك من رسائل باسم وليم جراى » .

* * *

وقضيت نهارى متوجسة ويدى على قلبى ، فلما كان الليل فتشت الشقة مستقصية ، وبحثت فى كل رف ودرج ، ولم أدع شيئاً يمكن أن يتخذ قرينة أو دليلا إلا أحرقته ، وبينما كنت أفطر فى صباح اليوم التالى دق جرس الباب .

ووقف اثنان فى الردهة .

« أين السيدة بوريبو ؟ »

قالت : « فى تور » . فقد كان لا ينبغى أن أقول إنها خرجت من المنطقة المحتلة .

« ومتى تعود ؟ »

« لماذا تسألنى هذه الأسئلة ؟ »

فأخرج الرجل شارة وقال : « البوليس السرى الألمانى » .

وكان المنظر لسبب ما ، على غير ما كنت أشفق أن يكون ، ولقد سلخت خمسة شهور فى جزع من مثل هذه اللحظة ، فلما جاءت إذا بى ساكنة ، وإذا الموقف خلاف ما كنت أتوقع ، وليس فيه أكثر من رجلين فى ثياب مدنية ومعهما ملفان ، وهما واقفان فى أدب بسابى كأنهما من التجار الجوابين .

وكان الرجلان يعتقدان أنى لا أعرف الألمانية فقال أحدهما لصاحبه : « لقد خرجت الإنجليزية ، فلا تبرح المكان ، ورد على التليفون دائماً » ، والتفت إلىّ ، وعاد إلى الكلام بالفرنسية : « تعالى أنت معى ، وأعدى حقيبة وضعى فيها ملابس دافئة » .

فدخلت غرفتى وشرعت أضع أشيائى فى حقيبة ، وكنت أفكر جاهدة ، وأنا أتناول الأشياء ، فى وسيلة لتحذير غيرى ، فقد كان الأب كريستيان سيصل عند الظهر ومن المحتمل أن يحضر شانسيل فى أية لحظة .

ولما أخذنا ننزل ببطء فى « المصعد » ، رجوت أن نقابل البوابة أو أمينة البيت ، ولكنى لم أرها قط .

ولما بلغنا ديوان الجستابو أدخلت غرفة جلس فيها رجلان إلى مكتبين ، وكان

أحدهما يرتدى بذلة عسكرية — عرفت فيما بعد أن اسمه اليوزباشى بيتش — أما الآخر فاسمه الدكتور هاجير ، وهو رجل فأرى الوجه صغير فى ثياب مدنية ، على هيئة معلمى المدارس ، وكان يتكلم الإنجليزية بصوت خفيض ولهجة رقيقة .

وقال ملاطفاً : « ياسيدة شيبر ، إننا لا نحب أن نضطر أن نسجن إحدى رعايا بلادك العظيمة ، فإذا كنت امرأة عاقلة ، فإنك خليقة أن تخبرينا فى صراحة بكل ما حدث . ونحن نعرف معظمه على كل حال ونعرف أن السيدة بوريبو كانت تعمل تحت ستار عملها فى نادى الجنود ، فتهرب الجنود الإنجليز إلى ما وراء الحدود . وكل ما نريد أن نعرفه منك هو بعض التفاصيل لتدوينها فى السجلات . ومن يدرى؟ فقد توضحين بعض الظروف المخففة وبذلك تساعدين صديقتك » .

ومن الغريب أن الذعر الذى كان يستولى على نفسى فى أحوال كثيرة إذا خطر لى خاطر الاعتقال ، لم يعد له وجود ، وألفيت نفسى أفكر بسرعة وسهولة . فقلت لنفسى إن مداهمة الشقة وسؤالى ، ليسا دليلين على أن الألمانيين قد وقعوا على بينة أو عرفوا أخباراً ، وإنما هم يريدون أن يحصلوا على ذلك منى ، فاستقر عزمى على الإنكار الشامل . وكان من المحقق أن المصير وبيل إذا أنا اعترفت ، فلزمت الصمت ، وجلست شاخصة إلى الدكتور هاجير ، فواصل الكلام بشىء من الضجر : « تعالى ! تعالى ! يا سيدة شيبر ! دعينا نفرغ من هذا الأمر . وقولى فى أى تاريخ هربت السيدة بوريبو جنوداً بريطانيين للمرة الأولى إلى ما وراء الحدود ؟ » .

فقلت بثبات : « إنى آسفة ، ولكنى لا أعرف أى شىء عن نشاط من هذا القبيل للسيدة بوريبو » .

والتفت اليوزباشى بيتش إلى الدكتور هاجير وهمس بصوت سمعته : « امض فى سبيلك ، وجرب أساليبك الإنسانية ، إذا شئت ، ولكن متى وجدت أن وسائلك العاطفية السخيفة لا تبلغك شيئاً ، فأنا الضامن أن أحملها على الكلام » . ونهض وخرج .

وكان على الحائط ساعة كهربائية ، وقد أرتنى أن الأب كريستيان سيكون على باب الشقة بعد قليل ، ويدق الجرس ويصيح جذلا كعادته : « معى بضعة شبان جياع . فهل أدخل بهم ليتغدوا ؟ » .

ويدرك بعد الأوان أن الذى يفتح له الباب رجل غريب .

وكان الدكتور هاجير يلاينى تارة

ويتوعدنى تارة ، ثم صار كالمعلم إذا احتدم غيظه لأن تلاميذه أذكى منه وأخبث . فبدأت استعيد شجاعتى وقوة قلبى .

ودق التليفون بعد الساعة الثانية عشرة بقليل ، فرفع الدكتور هاجير السماعة وأنصت هنيهة ، ونظر إلى نظرة المنتصر . وقال : « هاته على الفور » ، ثم أصلح خطأه بسرعة وقال : « بل ابق أنت فقد يجىء زوار آخرون، وسأبعث إليك بمن يحضره ».

وأدار وجهه إلى وعلى فمه ابتسامة الرضى وقال : « ألم تلاحظى قط ياسيدة شيير أنه إذا انقطع عقد وسقطت إحدى الحبات فإن الأخريات يتبعنها لا محالة ؟ » .

ولما أدخل الأب كريستيان إلى الغرفة قال : « كيف حالك ياسيدة شيير ؟ » .

فسأله هاجير : « إذن أنت تعرفها » .

فقال الأب كريستيان : « طبعاً ! لقد كنت أريد زيارة السيدة بوريبو التى تساعدنى على ترميم الكنيسة فقبض على ، ولست أدرى فيم كل هذا ؟ » . وكان هذا كل ما أحتاج أن أعرفه ، فقد أنكر كل شىء .

وفى خلال الساعات التالية ، توالت علينا الأسئلة ، معا أحياناً ، وعلى حدة أحياناً ، وكانوا يحاولون أن يوقعونا فى تناقض ، ولكننا أصررنا على أبسط تأويل لعلاقتنا وهو الذى ألقى به الأب كريستيان لما دخل ، فكفوا عن سؤالنا فى الساعة السادسة ، ودعا الدكتور هاجير أحد الشرط وقال له : « ستبقى المرأة رهن التحقيق » .

وقضيت أسبوعين كنت فيهما نزيلة السجن الألمانى الحربى ، أعانى الملل والجوع وسوء الحال ثم دعيت مرتين فى الأسبوعين التاليين إلى مكتب الدكتور هاجير ، وقذفت بمثات من الأسئلة والتهم ، فلم أتزحزح عن الإنكار ، وإذا بالدكتور هاجير يخبرنى فى ١٤ ديسمبر بلهجة ودية أنه سيفرج عنى . ودهشت واستربت ، وخطر لى أن هذه حيلة نازية ، ولكنى تسلمت ورقة الإفراج عنى المختومة وخرجت من السجن إلى الهواء الحر .

ولم يبد على السيدة بيجار ، لما طرقت بابها أنها عرفتنى ، ثم ذرفت الدمع وهى تقول : « يا إلهى ! ماذا فعلوا بك ياسيدة شيير ؟ » . وأخبرتنى أن كيتى وشانسيل لم يحضرا إلى الشقة ، وأنها لم تر هنرى بوريبو ، فلا بد أنه عاد سالماً إلى المنطقة غير المحتلة ، وقالت إنها رأت من وراء بابها رجال الجستابو يقبضون على الأب كريستيان ، وكان قد جاء وحده ، ولم يكن معه أحد من الجنود ، وألقى القبض أيضاً على مارجو ثم أطلق سراحها ، فرجعت إلى أهلها فى بريتانى .

ولما دخلت الشقة وألفيتنى فيها وحدى ،

جعلت أتنقـل بين الغرف ، وأضيء النور وأطفئه ، وأجرب الماء الساخن ، كأنما أريد أن أستوثق من أنى سـأفوز مرة أخرى بمتعته .

ثم دق جرس الباب ، ووقف فى مدخله الدكتور هاجير ، وقال بأرق صوت إنه جاء ليرى هل ترك رجاله الشقة على حد من النظام ؟ وفحص كل غرفة وكل خزانة ، حتى صندوق الثلج نظر فيه ، ثم انصرف بعـد قليل ، ونصح لى بلهجة العطف أن أعود إلى أمريكا ، وقال : « وأقنعى صديقتك السيدة بوريبو بأن تذهب معك ، فقـد قضينا على جماعتها ، وختمت القضـية ، ولـكنا قد نضطر أن نكون أقسى إذا بقيت هنا وارتكبت جريمة أخرى » .

إذن كانت حريتى وهماً ، وما أطلقوا سراحى إلا ليستخدمونى فى إيقاع كيتى !

وكنت فى الأيام التالية لاأذهب إلى مكان ما ، إلا أحسـست بالذى يتعقبنى ويدور معى حيث أدور ، ثم رأيت ذات يوم شانسيل خارجاً من مدخل نفق مقبلا علىّ .

وكان أول ما خالجنى هو السرور : « إذن هو لا يزال طليقاً ! » . ثم قلت لنفسى : « لا ينبغى أن أظهر أنى أعرفه » فقد كان الذى يتعقبنى على مسافة قصـيرة خلفى ، ورآنى شانسيل وابتسم ، فنظرت إليه ببرود ، كأنى لا أعرفه ، ولما حاذيته همست « لا تظهر أنك تعرفنى ، فإن ورائى عينـاً علىّ » . وأسرعت إلى الزاوية ثم تلفت ، فـلم أر مطاردى ، ولـكن جمعاً صغيراً كان قد احتشد عند مدخل النفق ، وسمعت صفارة بوليس .

فى تلك الليلة زارنى الجستابو مرة أخرى فى الشقة ! وقبضوا على « لاستجوابى » ، وعدت ، مرة أخرى ، إلى مواجهة الدكتور هاجير فى ديوان الجستابو . وقال : « انتهت المهزلة . وقد قبضنا على كور بييه عصر اليوم ، شـكراً لك ، ياسـيدة شيبر ، وقبض على السيدة بوريبو فى بوردو قبل ساعتين » .

ولاحظت بارتيـاح أنه لم يذكر اسم شانسيل الحقيقى ، ولـكن شانسيل لم يبق له فى نفسى محل حين قال إن كيتى اعتقلت ، إذن أنشبوا فيها أظفارهم أخيراً !

وكان التحقيق معى فى هذه المرة مختلفاً جداً عنه فيما سبق . فقد دعى كاتب لتدوين كل ما أقول ، ليكون ما يدون هو المحضر الرسمى الذى يحفظ فى سجلات المحكمة . وقد أصررت على الإنكار البات . ولما قدمت إلى أقوالى آخر الأمر مكتوبة بالآلة الـكاتبة لأوقعها ، قرأتها بعناية مخافة العبث بمـا قلت ، وكانت تملأ عشر صفحات ، ولـكنى وجـدت أن ما سـطر هو الذى

نطقت به ، فكتبت اسمى فى ذيل كل صفحة .

ودعى حارس ليذهب بى إلى السجن ، وقال لى الدكتور هاجير بلهجة فظة قاسية وأنا ذاهبة : « سيمضى شهران أو ثلاثة شهور قبل أن تقدمى إلى المحاكمة يا سيدة شير ، وليس هذا بالزمن الطويل ، ولهذا أنصح لك بأن تتهيأى لما هو مقبل ، واعلمى أن للمحكمة الحق فى الحكم بالإعدام فى الجريمة التى ارتكبتها ، ومع السلامة يا سيدة شير ! » وانحنى لى وأنا خارجة وقد ابتسم ابتسامة كشفت عن أنيابه .

* * *

وجاءنى أول خبر عن كيتى عفواً من رجال السجن أنفسهم فى خلال الشهر الثانى من اعتقالى . ذلك أن السجان جاءنا ذات ليلة بالقهوة والخبز ، ولكنه بدلا من أن يسلمنا جرايتنا اليومية من الدهن دفع إلينا إعلاناً يقول :

« سيحرم السجناء جرايتهم اليومية من الدهن اليوم عقاباً لهم على ما قامت به من محاولة الهرب امرأة إنجليزية ، فرنسية بالزواج ، متهمة بمساعدة الجنود الإنجليز على الفرار من فرنسا . وقد أخفقت محاولتها وحكم عليها بالسجن الانفرادى لمدة ثلاثين يوماً . وهذا إنذار للسجناء بأن كل محاولة أخرى للفرار سيكون جزاؤها أصرم » .

ولم يداخلنى شك فى أن التى فعلت هذا هى كيتى التى لا يثنيها شىء . وما أكثر ما رأيتها تتمشى فى الغرفة وتفتح نافذة بعد أخرى وهى تقول : « إن الهواء حبيس . وأنا أحس كأنى فى سجن ! » هذه هى كيتى التى تحب الهواء والحرية ! وعلمت فيما بعد أن صحتها تداعت قبل أن ينتهى الشهر فنقلت إلى مستشفى السجن .

وبعد ذلك بقليل دعيت إلى مكتب مأمور السجن حيث وجدت الدكتور هاجير ينتظرنى . فناولنى وثيقة فى خمس عشرة صفحة وهو يقول : « لقد جئت لأحذرك للمرة الأخيرة . فهل تودين أن تقرأى اعتراف السيدة بوريبو ؟ » .

فعبرتها بسرعة ، وكانت كل فقرة تبدأ بهذه العبارة : « أعترف . . . » ، وكانت تحتوى على بيان شامل لأعمالنا . فصعقت . كيف قبلت كيتى أن تفعل هذا ؟

وقال الدكتور هاجير بلهجة المنتظر : « أرأيت الآن ؟ فما رأيك فى الاعتراف ؟ » فلم أقل شيئاً فمضى هو يقول : « تعالى يا سيدة شير ، إن هذه سخافة . وكل ما تجنينه هو أن تستثيرى غضب المحكمة ، ولست أراعى فى هذا سوى خيرك » .

وكان خيراً للدكتور هاجير أن يهمل الجملة الأخيرة ، فقلت ببساطة : « ليس عندى

ما أزيده على أقوالى السابقة » ، فعادوا بى إلى محبسى .

* * *

وحوالى الساعة الثامنة من صباح ٧ من مارس أمرنى الحارس أن أمضى معه إلى المحاكمة . ولما بلغنا رأس السلم دفع باباً ونادى : « رقم ٢٠١٧ — للمحاكمة ! » فظهرت كيتى فى الباب .

فوثب قلبى فى صدرى . وكان وجهها ممتقعاً ، وتحت عينيها ظلال عميقة ، ولكنها لم تكن تبدو محطمة الجسم أو النفس ، وألقت إلى نظرة وطيف ابتسامة وقالت : « هاللو يا إيتا ! » .

فصاح الحارس : « صه ! إن السجناء لا يجوز لهم أن يتكلموا » .

ووجدنا سيارة سجن مدهونة باللون الأخضر واقفة عند الرصيف وفتح الحارس الباب فدخلنا ، ثم أوصد الباب علينا ، وانطلقت السيارة بنا .

ولما صرنا وحدنا نظرت إلى كيتى معاتبة وقالت : « كيف فعلت هذا يا إيتا ؟ كيف خارت قواك إلى حد الإقرار بكل شىء لهؤلاء الناس ؟ » .

فتمتمت : « أنا ؟ ... » ، وقد ذهلت وصدمت .

« لا بد أنهم أرهبوك يا إيتا ، ولكنك كنت خليقة أن تثبتى وتأخذى فى أمرك بالحزم . وكان ينبغى أن أكون ساخطة ناقمة عليك ... » .

فصحت : « كيتى ، إنى أقسم لك أنى أنكرت كل شىء » .

قالت : « ولكنى رأيت اعترافك بعينى هاتين ، وكان فى عشر صفحات ومذيلا بتوقيعك ، وعرفت خطك » .

فقلت: «كانت أقوالى فى عشر صفحات ، ولكنها كانت كلها إنكاراً لا اعترافاً . فإذا كنت رأيت غير ذلك فهو مزور » .

فقالت كيتى : « يا إلهى ! لقد صدقت ! ولقد اعترفت ! وأنا الذى خذلتك وخذلت نفسى ! » وتوجعت: «ومع ذلك اتهمتك ! » فوضعت ذراعى حول كتفها .

« لم تكن هذه غلطتك يا كيتى ! » .

فهزت كيتى رأسها ببطء وقالت : « لقد ضعنا يا إيتا ! ضعنا .. » . ووقفت السيارة فرفعت كيتى رأسها وسوّت ثوبها . وقالت : « إرفعى رأسك يا إيتا ! ولا تدعى هؤلاء الألمانيين يروا أننا نخافهم ! »

وكان فى وسط قاعة المحكمة منضدة طويلة عليها حزم سميكة من الوثائق . وكانت كراسى القضاة ذوات ظهور عالية ، وأمامهم مقعد طويل للمدعى عليهم ، وعلى هذا المقعد جلست أنا وكيتى . وبعد لحظة وافانا

المسيو تيسييه والأب كريستيان ، وكان شانسيل آخر من جاء فحيانا بهزة خفيفة من رأسه كأننا غريبان .

وكانت عيني على الباب ، وكنت أتوقع أن أرى المسيو دوران يدخل في أية لحظة ، ولكنه لم يجئ غيرنا .

وقال رئيس المحكمة : « السيدة كيتي بوريو » .

فخطت كيتي إلى المنضدة الطويلة .

وكانت الأسئلة الأولى التي ألقيت عليها هي المألوفة : الاسم ، والعنوان ، والسن ، والمولد ، والجنسية ، والديانة إلى آخر ذلك ، ثم قال القاضي : « أنت متهمة بالتآمر مع السيدة شير ، والمسيو كريستيان رافييه ، والمسيو تيسييه والمسيو كوربييه على تهريب الجنود الأنجليز من هذه البلاد » .

فقالت كيتي بصوت صاف جلي : « ليس هذا صحيحاً ! »

فقال القاضي متهكما : « صحيح ؟ هذا غريب ! فإن أمامي اعترافك بتوقيعك » .

قالت بثبات : « أنا لا أنكر ما اعترفت به ، ولكن هؤلاء الآخرين ليس لهم شأن بما فعلت » .

فقال : « لابد أن السيدة شير التي كانت تعايشك في شقة واحدة كانت شاذة في عنادها » .

فأصرت كيتي وقالت : « على كل حال لم تكن تعرف شيئاً » .

« والمسيو تيسييه ؟ لقد استخدمت ضيعته لعبور خط الحدود » .

فقالت كيتي : « إننا لم نستأذنه ، وإنما اخترنا ضيعته لموقعها ، ثم رحنا نعبرها . وهذا كل ما هنالك » .

فقال القاضي متهكما : « هذا أحسن وأحسن . والآن نأتي للمسيو رافييه . فماذا أعددت له من المسوغات الطريفة ؟ »

قالت : « إنما اتخذت منه ستاراً لرحلاتي ، وكان يظن أني أساعده على جمع المال لترميم كنيسته » .

وكنت ، وأنا أسمع ما تقول كيتي ، أعجب بها وأرثي لها ، وأعطف عليها . فقد كان من المروءة أن تحاول إنقاذنا ، ولكن قصتها كانت بينة البطلان .

وقال القاضي : « هذا حسن . والآن بقي لدينا واحد . فما قولك في المسيو كوربييه ؟ »

فقالت بهدوء : « لست أعرف المسيو كوربييه » ، فقد فطنت هي أيضا إلى أنهم لم يعرفوا أنه شانسيل .

فقال القاضي : « إنك نبيلة جداً ، ولكنك طفلة غير حاذقة . وقد اعترفت ، وقررت أنك لا تريدين أن تنكري ما أقررت

به ، وهذا كل مايعنينا أن نسمعه منك » ، وأشار إليها إشارة الانصراف .

« السيدة إيتا شيبر ! » .

فاتخـذت مكانى أمام المنضدة ، وأجبت على الأسئلة التمهيدية .

وقال القـاضى : « إنك تعرفـين التهم الموجهة إليك ، فهل أنت مذنبة ؟ » .

قلت : « بل أنا بريئة » .

فرمانى القاضى بنظرة جافية حادة كأنها سن الرمح دون أن يتحرك أو يتكلم ، ثم ضرب المنضدة بجمع يده فجأة ضربة شديدة ارتفعت منها ملفات الأوراق عن مواضعها .

وصاح : « هراء ! كيف تجرؤين أن تزعمى أنك بريئة ؟ لقــد كانت الشقة التى تعيشين فيهـا غاصة دائماً بالجنود الفارين ، وكنت أنت القائدة الثانية لهذه العصابة من المجرمين . وإنك لمذنبة يا سـيدة شيبر ! وستأخذ المحكمة علماً بموقفك هذا » .

صاح بكل هذا فى نفس واحد ، وقد انتابته نوبة من الغضب الجـامح ، فوقفت مسمرة فى مكانى ، وقد سحرتنى نظرته وألفاظه . وختم صياحه بقوله : « إذا كان هـذا كل ما جئت لتخبرينا به فالأولى أن تعودى إلى مقعدك » .

فتعثرت مرتدة إلى المقعد ، وقد انتسخ كل أمل أنشأته فى نفسى الشهادة التى أدتها كيتى . فإن من الجلى أن هذه المحكمة لا تنوى أن تعنىّ نفسها بالبحث عن البينة .

ونهض المسيو تيسبيه إلى المنضدة الطويلة . فقال القاضى : « لاحظت أنك جعلت توقيعك على أقوالك ، علامة الصليب ، فهل من الممكن أن تعجز عن كتابة اسمك ؟ » .

فقال تيسبيه بهدوء : « نعم لا أقدر » .

فقال القاضى : « شىء جميل ! فى هذه البلاد التى تفخر بعلمها يُنتخب رجل عمدة لبلدته ثلاث مرات ، وهو لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب » .

فقال تيسبيه : « إنى لم أقل إنى لا أعرف الكتابة والقراءة » ، ومد ذراعه اليمنى : « ولكنى لا أستطيع أن أكتب بالقلم لأن رصاصة ألمانية مزقت يدى فى معركة المارن سنة ١٩١٤ » .

فاتقد وجه القاضى وعجل بالسؤال الثانى ، فاعترف تيسبيه بأنه سمح لمن شاء أن يجتاز ضيعته لأنه لا يعترف بأن للأجانب حقاً فى إصدار أوامر يخضع لها الفرنسيون فى بلادهم .

ونهض الأب كريستيان بعـــد المسيو تيسبيه . ولشد ما تمنيت أن شهادته دونت بالحرف الواحد ! فقد قال على قدر ما أتذكر « إن فرنسا لا تزال فى حرب مع المانيا . نعم استسلم لـكم القواد ولـكن الشعب لم يستسلم . وكم عددكم فى فرنسا ؟ مليون ؟

فإن فى فرنسا أربعين مليوناً ضدكم !
« وأنا قسيس ، ولكنى كنت ومازلت فى هذه الحرب جندياً ، فقد كنت أحارب فى سبيل ما هو أعظم من الفصل الحربى بين دولتين — فى سبيل العدل . ولست أنتظر أن أرى العدل قائماً فى هذه المحكمة ، ولكنى أعلم أن العدل الإلهى سيسود فى النهاية ، وسيمضى الله فيكم قضاءه يا من تنتحلون حق الحكم علينا » .

وكان شانسيل آخر من دعى ، فخوطب باسم كوربييه مرة أخرى ، واتهم بأنه من عصابتنا ، وإن كانت البينة الوحيدة التى سيقت ضده هى أن بطاقة بريد وجدت فى شقته وعليها رسم هزلى للفوهرر ، وتحته عبارة : « فلتحى فرنسا ! » وليسقط البوش ! (الألمان) ، ثم قام المدعى وخلط الصحيح من التفاصيل بالخيال المحض ، وطلب الحكم علينا باسم هتلر .

وسمح لمحامى الدفاع أن يتكلموا ، ثم أعلن القاضى أنه هو وزملاؤه سيخلون للتداول فى الحكم . وأنهم ليهمون بأن يغادروا القاعة ، وإذا بالدكتور هاجير يندفع داخلا وهو يلهث ، وأسر إلى القاضى شيئاً ، وأخرج أوراقاً من محفظة .

فطرق القاضى المنضدة وقال : « أعيدت الجلسة واستؤنفت المحاكمة ، فقد ظهرت بينات جديدة . قف يامسيو شانسيل ! » .

فلم يسعنى إلا الإعجاب بالمسيو شانسيل وحضور ذهنه ، فقد ظل لا يتحرك بعد أن نودى اسمه على غير انتظار ، ولكننا نحن وقعنا فى الفخ وفضحنا صاحبنا ، فقد انثنت رءوسنا متجهة إليه ! .

وقال القاضى : « وا أسفاه ياهر شانسيل ! إذا كنت أنت قد نسيت اسمك ، فإن أصدقاءك لم ينسوه ! فالأولى بك أن تكف عن هذه المهزلة ، يا سيد شانسيل ، أو يا سيد كوربييه إذا كنت تؤثر هذا الاسم ! ويظهر أنك لم تأخذ الحيطة الكافية فتركت أوراقك الصحيحة وبعض الأوراق باسم كوربييه مع صديق لك ، كان من سوء حظه أنه قبض عليه . فهل تحب أن تغير ما قلت من أنك لا تعرف المتهمين ، ولم تكن لك صلة بما فعلوا ؟ » .

فقال شانسيل : « إذا كنت مطلعاً هذا الاطلاع كله من قبل ، فلا داعى إذن لأن أضيف أنا شيئاً » .

فغضب القاضى وقال : « إن هذه المحكمة لا تحفل اعترافك أو إصرارك على إنكار علاقتك الجلية بهذه المؤامرة الإجرامية » .

ونهض المدعى وقال : « أود أن أضم اسم الهر شانسيل إلى أسماء من طلبت الحكم عليهم بالإعدام » .

فقال القاضي : « قد أخذت المحكمة علماً بذلك » .

وأهمل شانسيل هذه « الإجراءات » ، والتفت إلينا وقال : « اسمحوا لى أن أعتذر وأطلب الصفح عن تلكؤى عن تحيتكم ، وإنى لأعلم أن السبب لا يخفى عليكم » .

وكانت الساعة الثانية لما فتحت الأبواب ، ودخل القضاة القاعة متكلفين الأبهة والسمت ، ونطق الرئيس بالحكم : بالإعدام على كيتى والأب كريستيان ، وبالأشغال الشاقة خمس سنوات على شانسيل ، وبالأشغال الشاقة أربع سنوات على تيسييه ، وبها ثلاث سنوات علىّ .

وما أشك فى أن آيات الجزع والاستفظاع ارتسمت على وجهى . ولقد كان نصيبى أخف من نصيب الآخرين ، ولكنى شعرت أنى لا أستطيع أن أحتمل ثلاث سنوات أخرى فى هذا السجن الفظيع . ثم تذكرت ما حكم به على كيتى والأب كريستيان — الإعدام — ولا أعرف أن أحداً منهما نجا من ذلك .

وأمسكت كيتى بذراعى وقالت : « لا تبكى يا إيتا ! لا تدعى هؤلاء الألمانيين يروا أننا فقدنا اتزاننا وكبرياءنا ! » فضغطت يدها .

ورددت عبراتى وخنقت شهقاتى ، فقد كانت كيتى المحكوم عليها بالإعدام تعزينى أنا لما .

وأوصدت علينا سيارة السجن مرة أخرى . وادرك كلانا أن لعل هذه آخر مرة تتلاقى فيها عيوننا ، فتهافت ، وأرحت رأسى على صدر كيتى وبكيت بأربع . فمسحت كيتى شعرى وأنشأت تقول :

« كان ينبغى أن أحملك على الرجوع إلى بلادك قبل أن تفلت الفرصة . ولا تقلقى علىّ يا إيتا . لقد جاء وقت كان فيه خاطر الموت يشيع فى نفسى الجزع ، ولكنى ألفت هذا الخاطر وسكنت إليه ، وسيموت ملايين قبل أن تنتهى هذه الحرب ، وليس فى موت فرد آخر زيادة تحدث اختلافاً ، ولا سيما إذا ذكرت يا إيتا أنى لم أخفق بل نجحت ، وأحرزت مائة وخمسين انتصاراً على الألمان فى مقابلة هذه الهزيمة المفردة . فعدينى يا إيتا أن لا تحزنى إذ تفكرين فى أمرى . فكرى فقط فى هؤلاء الشبان الأشداء ذوى القلوب الكبيرة الذين رددناهم إلى وطنهم . لقد أعطيت إنجلترا مائة وخمسين حياة فى مقابلة هذه الحياة الوحيدة التى تفقدها الآن » .

ووقفت السيارة . فقد بلغنا السجن .

المهمة التى بدأت على جزيرة «سـل»

تتخذ فصائل البناء التابعة لبحرية الولايات المتحدة عبارة « يمكننا عمله » شعاراً لها وإن مهارتهم وسعة حيلتهم فى بناء القواعد ستساعد على النصر فى كثير من ميادين الحرب.

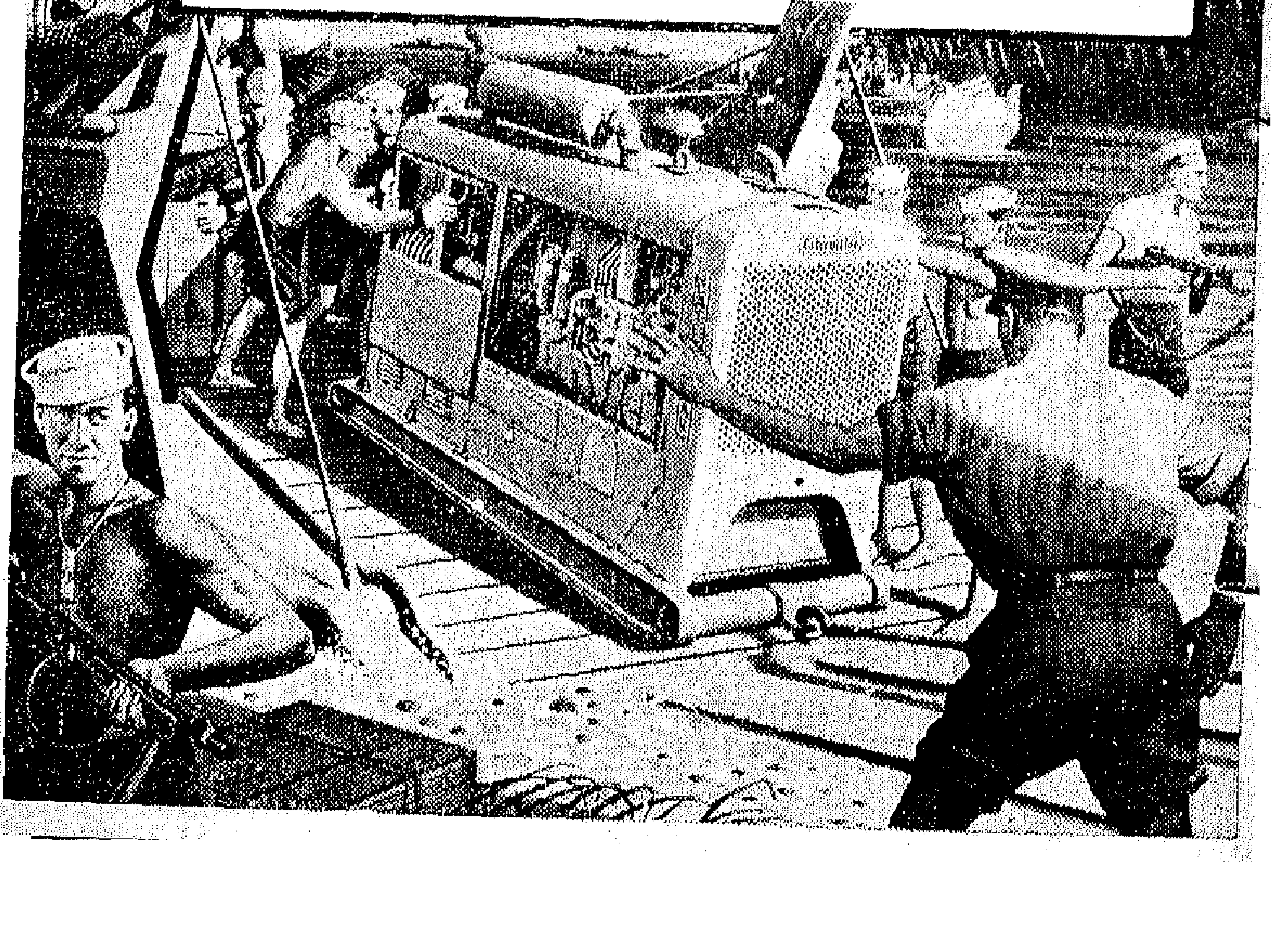
وضمن معداتهم المهمة التى تنزل إلى البر معهم جهاز كاتربيلار ديزل الكهربائى . وهو ينزل إلى ساحة العمل فى الحال ويظل فى العمل يمد الفصائل بالقوة التى تحتاج إليها للمناشير والروافع والضوء والراديو .

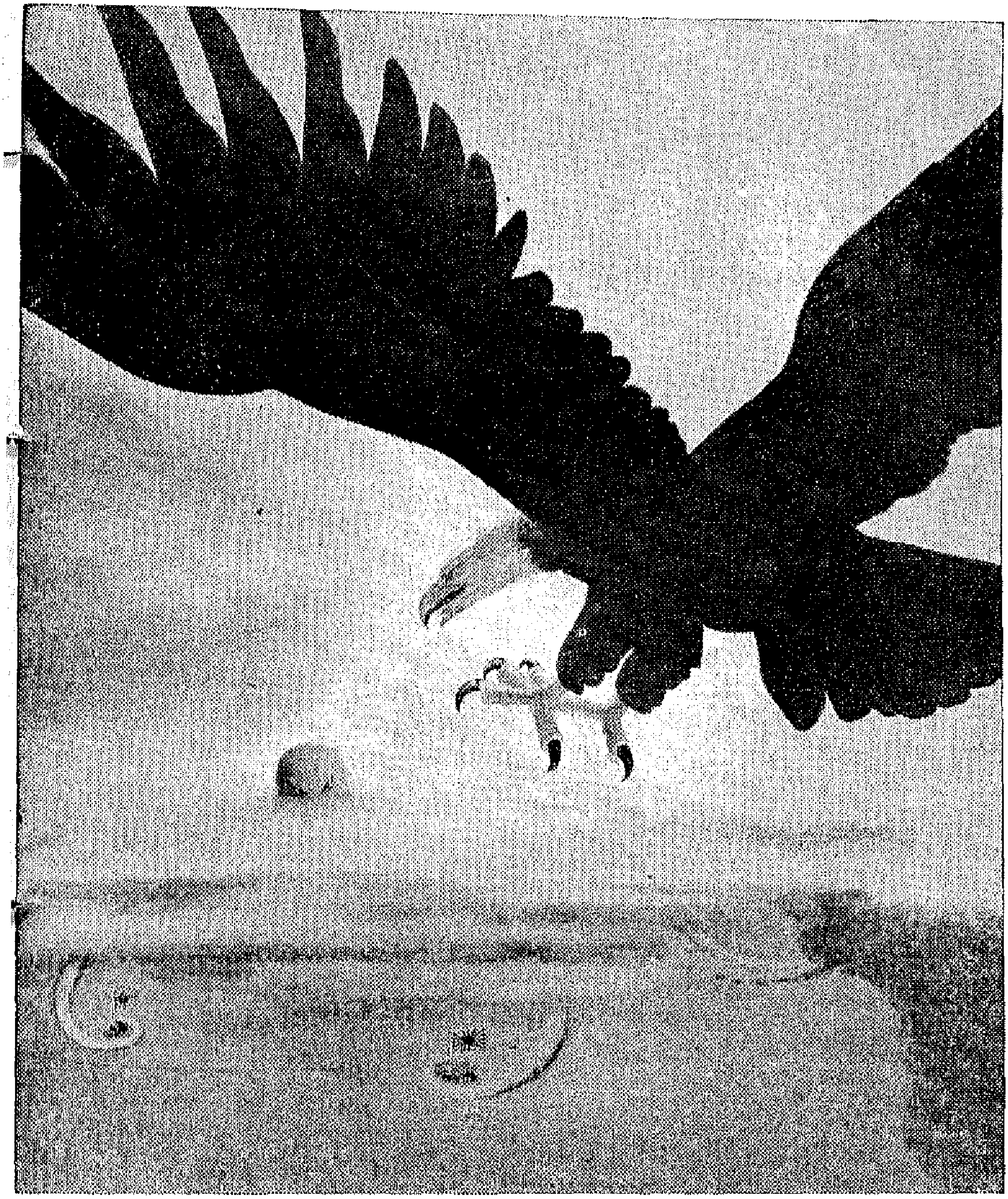
وهذه الآلات القوية المتماسكة التى تؤدى كل الأعمال والتى يمكن نقلها إلى أى مكان بالطائرة ، مستعدة للعمل آلاف الساعات بدون ما حاجة إلى عناية أو ترميم . وهى بسيطة ويمكن الاعتماد عليها وتستهلك أى نوع من الوقود الموجود من الزيت المنقى إلى بنزين الطائرات .

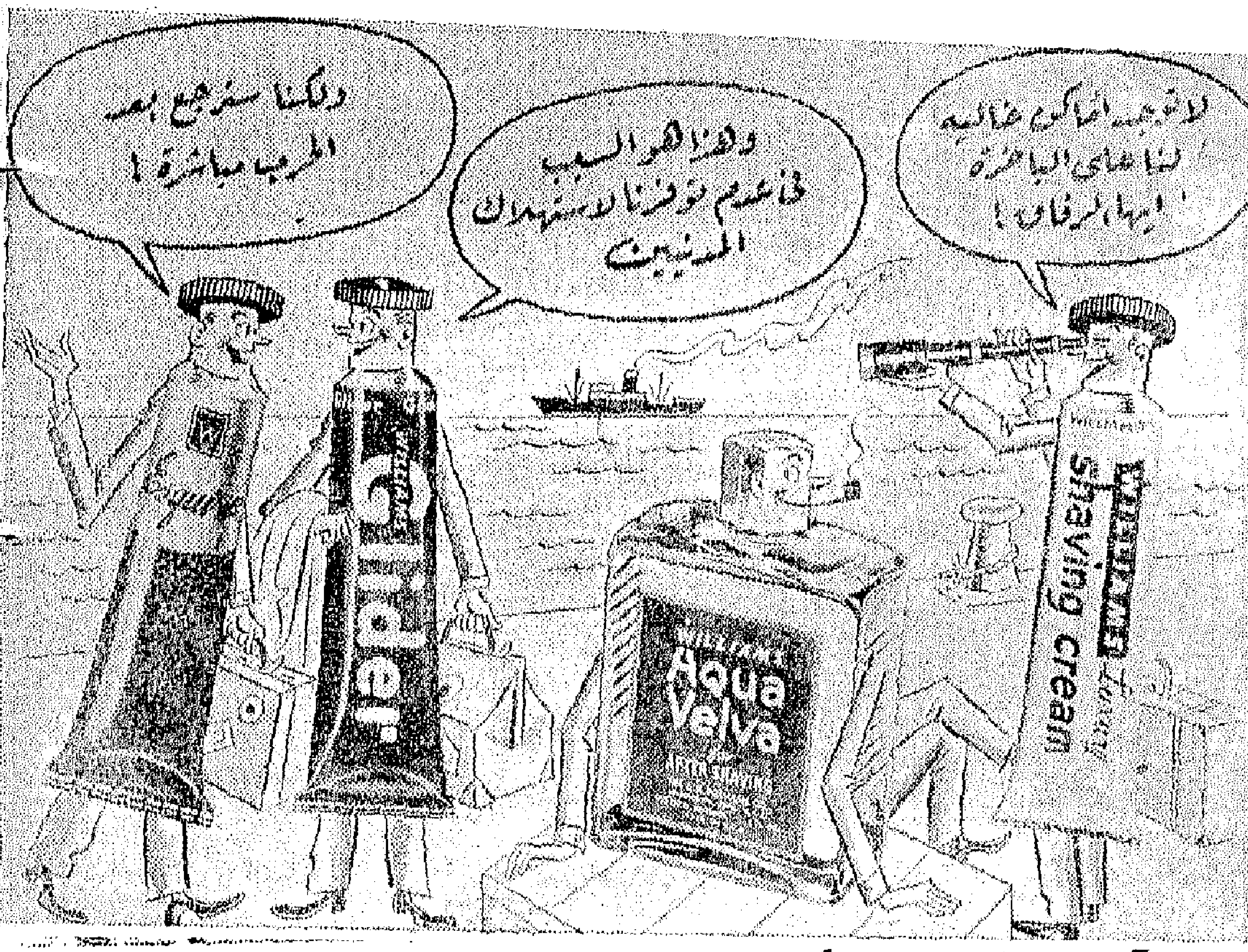
وللقوات المسلحة اليوم المقام المفضل فى الحصول على منتجات كاتربيلار . وحينما يتم النصر ستتمكن هيئة كاتربيلار للتجارة ، التى تعمل الآن بجد للمحافظة على الآلات القديمة فى العمل ، مرة أخرى من إنتاج كاتربيلار ديزل جديدة .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارت كاتربلار - بيوريا ، الينوى







كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

أكوا ڤلڤا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة في العالم،
نسق ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوي على مادة لانولين الملطفة التي تهيئ لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أي تهيج

WILLIAMS

منتج مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. ب. ويليامز ، جلاستونبري ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

حول الكرة

١ — مشاطرة الفرح تضاعفه :

تترقب كل شهر مجلة ريدرز دايجست بفارغ الصبر . فنحن جماعة من المهاجرين من أوربا نقيم هنا ، وعددنا ٤٠٠ مهاجر ، فنجد فى مجلة ريدرز دايجست الصلة الوحيدة بيننا وبين العالم الخارجى . ومعظمنا يفهم الإنجليزية ، فنجتمع مرتين كلّ أسبوع ونطالع مقالات الدايجست ونتناقش فيما تحويه من آراء .

بورتو پلاتا — جمهورية الدومينيك

٢ — يقبرها البلل :

كتب أحد فرقة البحارة الذين حاربوا فى جزيرة وادى السكنار يقول : تلقيت أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وأنا فى جزيرة وادى السكنار فما كان أعظم الترحيب بها . وكنا عندما يهطل المطر نقيها البلل كأنها ذخيرة المدافع .

٣ — مكتبة جوالة :

جمعت من أعداد الدايجست ما يملأ رفاً كبيراً ثم قلت لنفسى ذات يوم كفى اختزاناً فطلبت إلى صاحباتى أن يعطينى عناوين رجالهن فى ميادين الحرب . فأرسلت إلى كل منهم عدداً ، فتحوّل رفى إلى مكتبة جوالة .

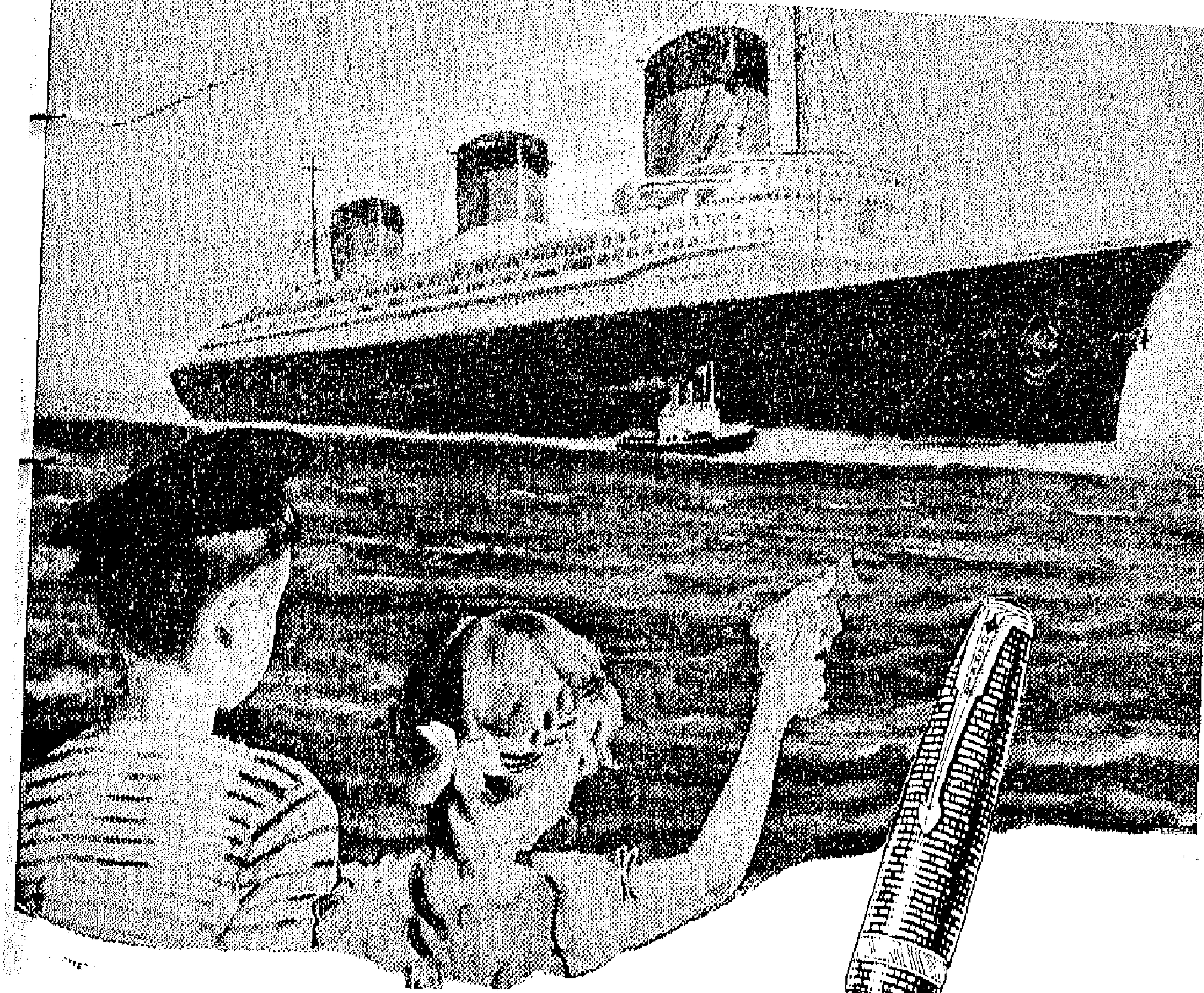
٤ — أجدت على كعلاج الأطباء :

حملت نسخة من ريدرز دايجست خلال معركة غينية الجديدة ، حتى بليت وتمزقت صفحاتها واخترقتها رصاصة ومع ذلك فإنى أعتقد أن هذه النسخة الرثة أجدت علىّ فى شفائى من إصابتى ، بقدر ما أجدى العلاج الطبى .

جندى فى جزيرة غينية الجديدة

٥ — يجدون الوقت دائماً :

تلقت إدارة ريدرز دايجست خطاباً من الجندى س . لوبيز فى شمال أفريقية يقول فيه : « ترى هل يتاح لى الوقت لقراءة ريدرز دايجست فى برلين ! » . وقد أضاف الرقيب على هامش الخطاب : « إنهم يجدون دائماً الوقت الكافى لقراءة الدايجست » .

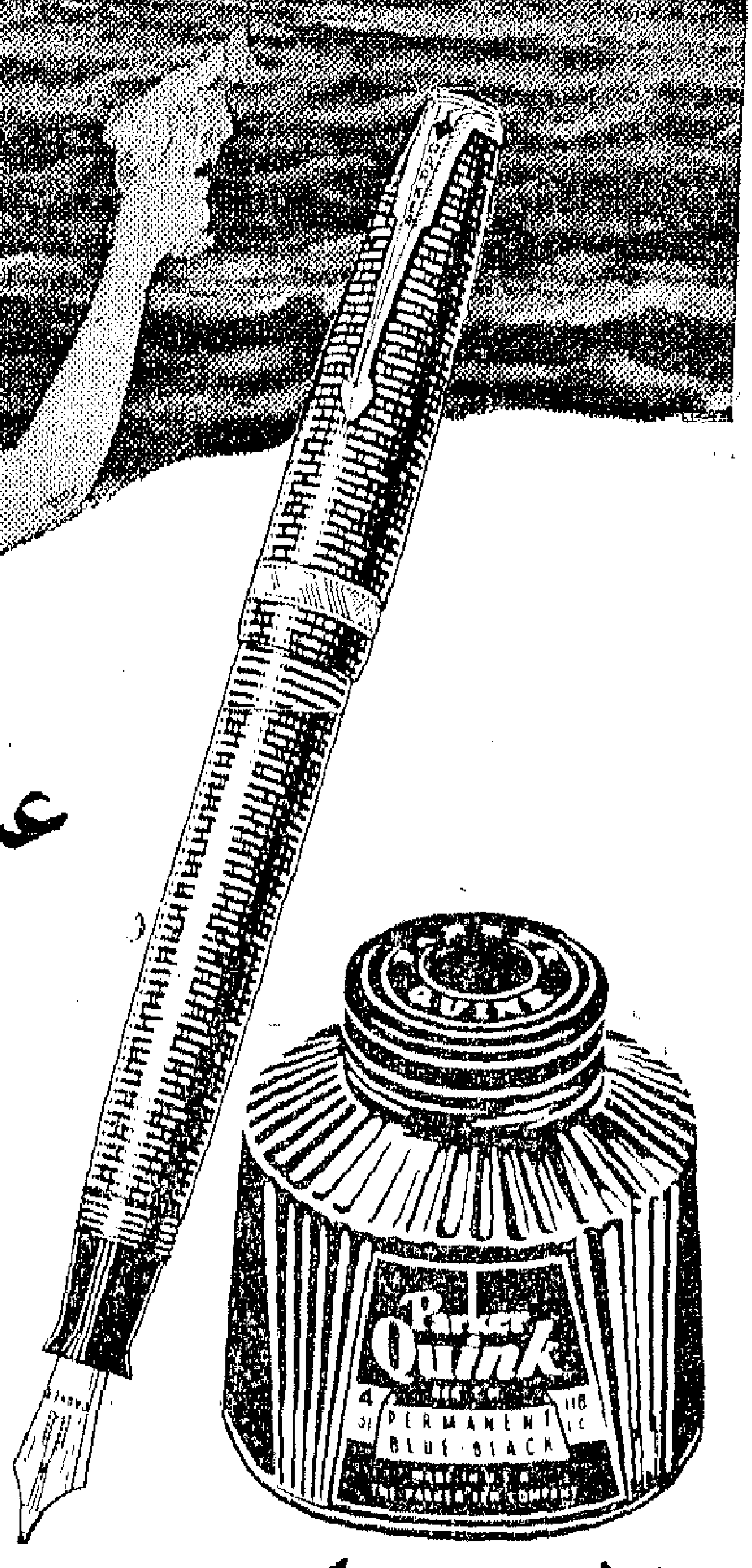


عندما تصبح البحار حرة من جديد . . .

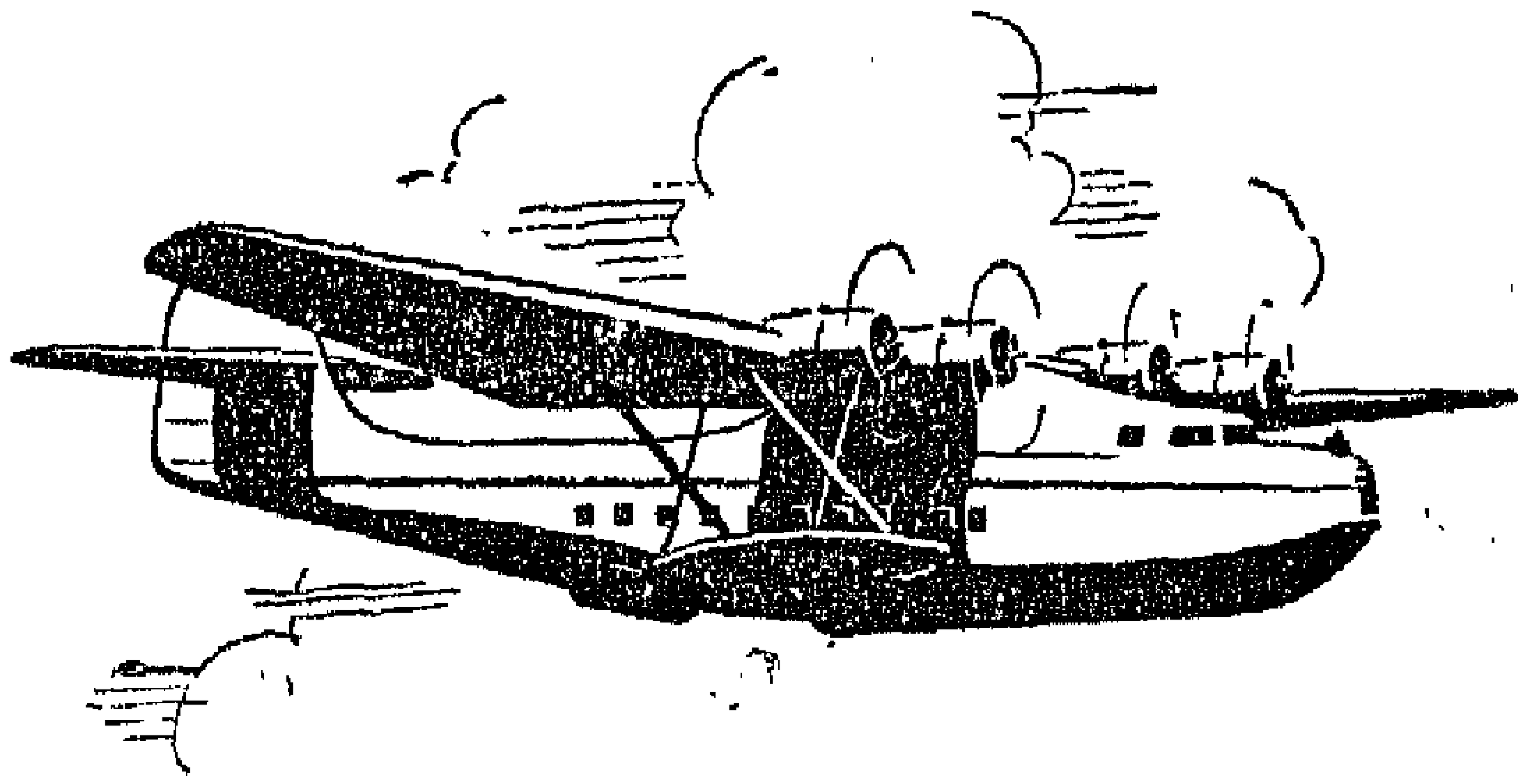
سيفتح السلام طرق المواصلات بين الناس والأمم . وعندئذ ستكون أقلام باركر الجميلة متوفرة للجميع مرة أخرى .

أما الآن فنحن نأسف لأن موردك قد لا يكون فى وسعه إمدادك بقلم باركر الذى لا ترضى عنه بديلا إذ من المؤكد أنه ليس هناك قلم يحل محل قلم باركر الرائع السهل الكتابة ذى الطرف الناعم الملمس المصنوع من الأسميريديوم وخزانه اللامع المصنوع من العجائن .

فإذا كنت الآن عاجزاً عن الحصول على قلم باركر فإننا نثق بأنك تدرك موقفنا إذ نخبرك أن صناع باركر المهرة متفرغون الآن لإنتاج الأدوات الحربية الدقيقة للأمم المتحدة . وعند ما يستتب السلام فإنهم سينتجون لك مرة أخرى أقلام باركر الجميلة .



پاركر





ماذا عن الطعام بعد الظفر؟



على نحو ما يجرى تيار الظفر فى أثر جيوشنا الزاحفة ، كذلك يجرى تيار السلام — السلام الحقيقى الدائم — فى أثر « الطعام » . فبالخبز واللحم ، واللبن للأطفال — بذلك وحده — نستطيع أن نعقد الأمل على نشاء عالم أفضل وأرشد وأسلم بنياناً .

إن هذه المهمة الانسانية ، تواجه فلاحى العالم ، بتحد ليس مثله تحد فى التاريخ . فكل فدان من الأرض قابل للحراثة ، يجب أن يحرث ويهيأ لينتج أكبر قدر من الغذاء . وكل فدان يجب أن يصان ليسدى إلى الانسانية خدمات تطرد فائدة جيلا بعد جيل . وتحقيق هذا الهدف أدعى إلى تعزيز قضية السلام من جميع المعاهدات التى عقدت ووقعت حتى الآن .

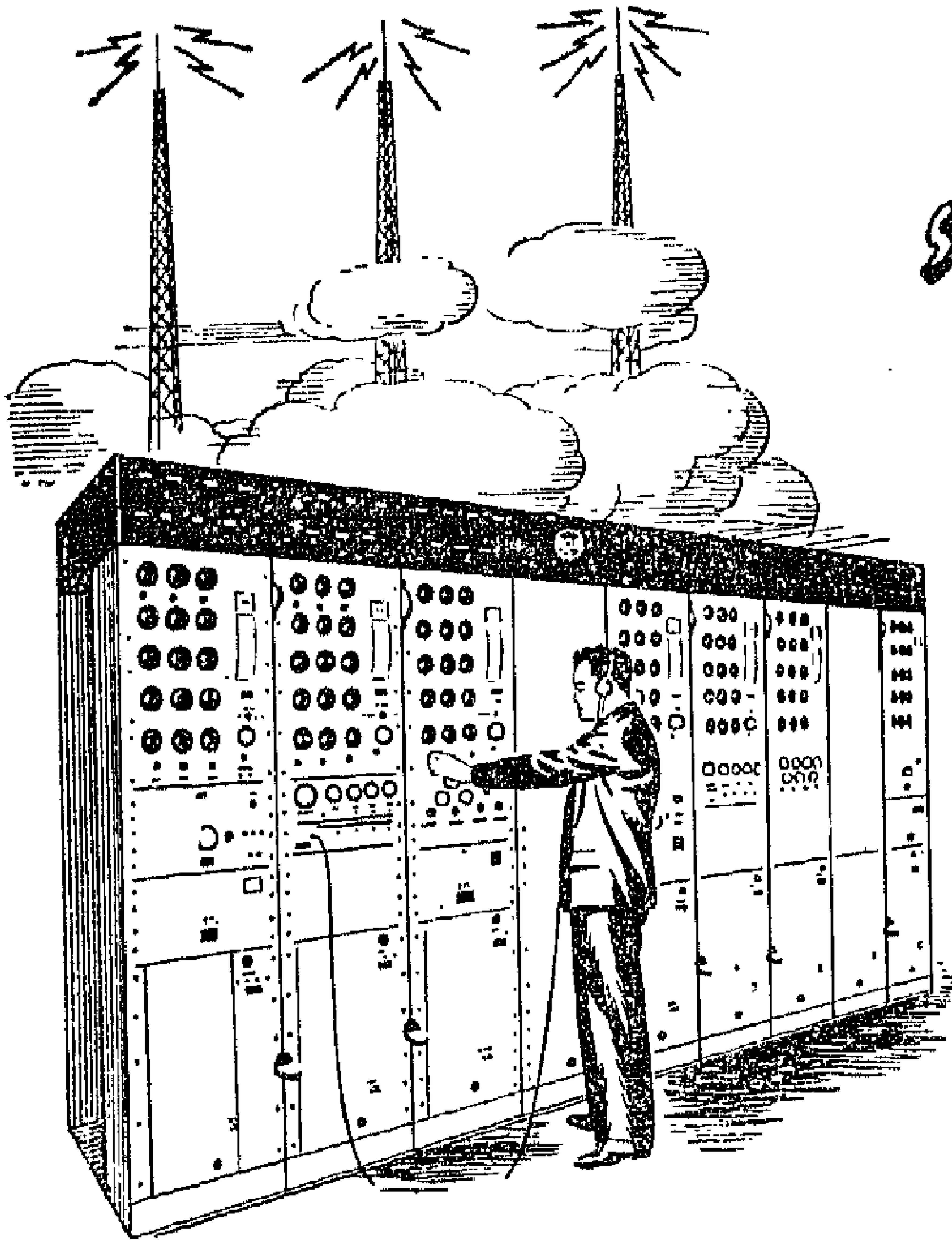
وليس ثمة ريب فى أن الآلات الزراعية الحديثة سيكون لها شأن عظيم فى عالم الغد ، كما كان لها شأن عظيم فى البلاد الأمريكية خلال القرن الماضى . فالآلات الزراعية الحديثة قد مكنت ٢٠ فى المائة من السكان من إنتاج مقادير من الطعام والألبان والزيوت ومنتجات أخرى ، لازمة لأعلى مستوى من العيش ، تفوق ما كان ٨٠ فى المائة من السكان تنتجه قبل استعمال هذه الآلات .

ومصانع مينابوليس — مولين تصنع الآن طائفة كاملة من المحاريث الحديثة وآلات المزارع التى تصلح لكل غرض ولكل حالة ، وستمضى خلال الحرب فى صنع هذه الآلات على قدر ما تسمح به الحدود المفروضة .

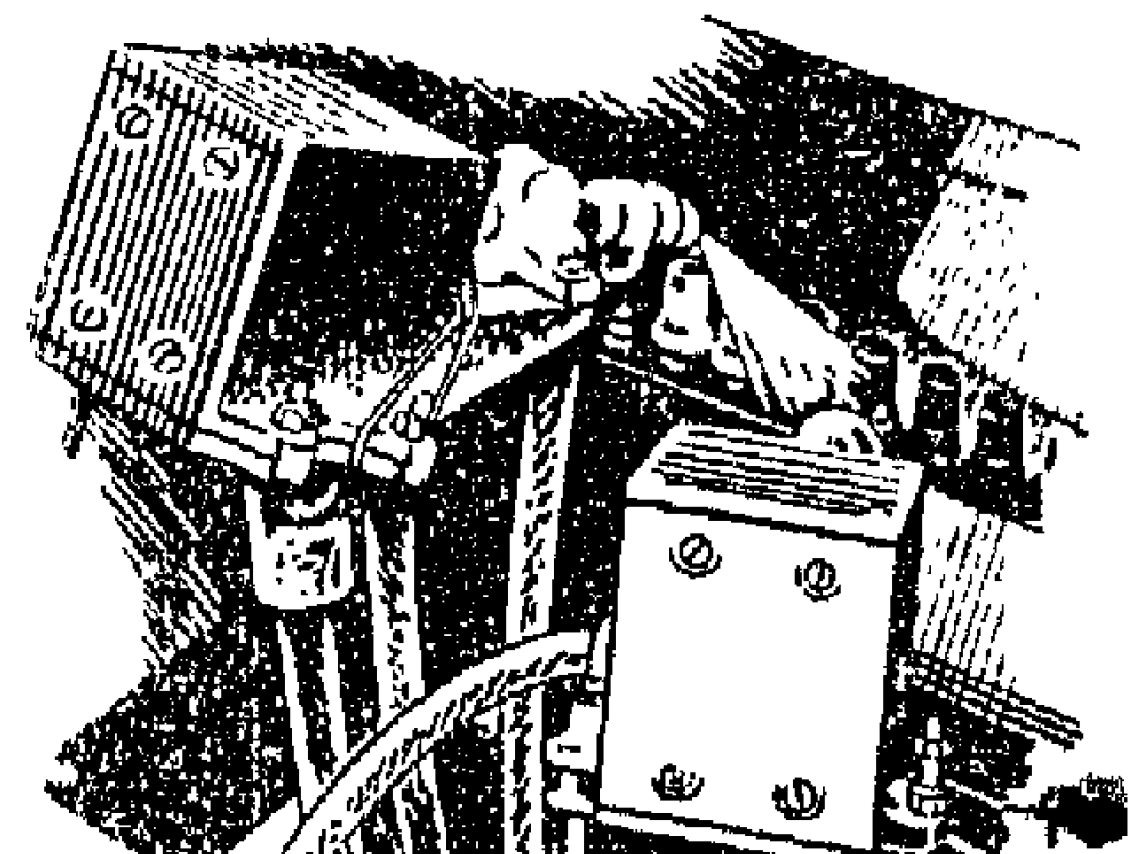
MINNEAPOLIS-MOLINE

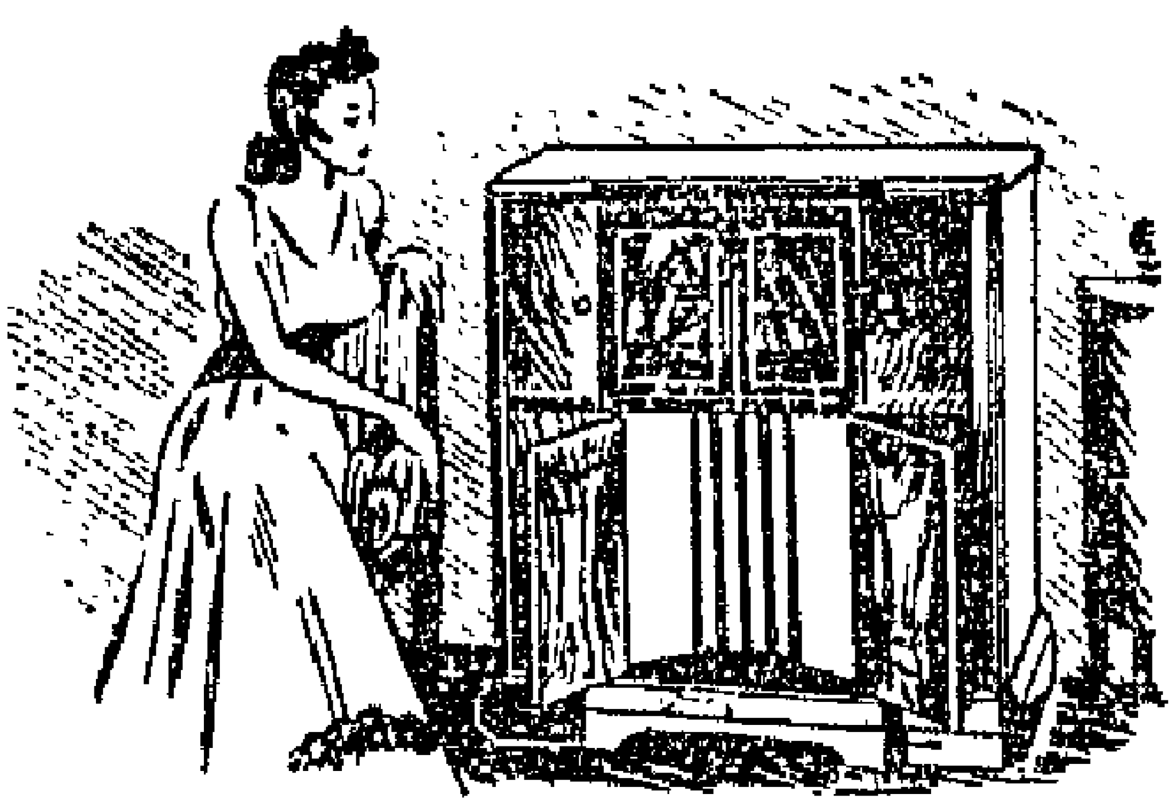
POWER IMPLEMENT COMPANY

RCA تقدم
أحدث الأنباء



حلم خبراء الراديو : إن جهاز الاستقبال R.C.A ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحي الفائدة هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للاذاعة الواحدة على ثلاثة أسلاك هوائية مختلفة ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث R.C.A. المقطعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة ، تعدنا براديو أجود ومنتجات أخرى لعالم أفضل ، حينما يأتى السلام .





أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : فى رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يقوم صمام RCA الألكترونى بالاقتصاد فى الطلاء برشه رشاً أتوماتيكياً حينما تكون الأنابيب أمام منبورها مباشرة فقط وتقوم مئات من صمامات RCA بالمعجزات للصناعة الحديثة . وهناك صمام الكترونى خاص لكل غرض !

أعظم أجهزة الإستقبال إتقاناً : هو جهاز R.C.A. QU8 وهو يقدم أقصى ما يمكن تقديمه فى عالم الراديو بوساطة صماماته الأربعة والعشرين ومناطقه الموجية التسع كما يقدم أجود نوع من إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذى يغير عشرين قرص جراموفون تغييراً أتوماتيكياً بدون أدنى ضعف فى الإخراج وهو يقوم بتسجيل برامج الراديو أو الأحاديث ويمكن استخدامه كجهاز فعال للخطب العامة فمنظره رائع وصوته رخيم وهو ذلك النوع من راديو R.C.A. الذى سيتاح لك استخدامه مرة أخرى حينما يأتى السلام .

RCA راديو كوربوريشن أف أمريكا

تنتج R. C. A فيكتور — كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة

جاره ، سواء عرضت هذه الأفكار فى الحديث أو فى الصحف والمجلات ، فالقول « فكّر ، لا تهلك » معناه « إقرأ ، لا تهلك » .

وقد يكون بين الناس من يقتضيهم عملهم الخاص التوفر على مطالعة ما تعرضه المطابع من الكتب الجديدة والمجلات ، ولكن معظمهم معنى بالرزق ، فلا يتسع وقته لمجاراة تيارات العصر الحديث ، كما تمثلها الكتب والمجلات ، فإلى هؤلاء أسوق نصيحتى « إقرأوا المختار » .

وإنى أقولها صادقاً منزهاً عن الهوى والغرض . فرواج المختار لا يعود على ما أعلم بكسب خاص ، ولست أعرف رئيس تحريرها وبعض القائمين بأمرها إلا معرفة عابرة ، ولكننى طالعت أعدادها الأربعة الأولى مطالعة تسير فيها المتعة إلى جنب الفائدة ، فوجدت فيها غنا كبيراً نغنمه كأمة ، أو مجموعة من الأمم العربية اللسان . هنا أفكار تبعث إلى التفكير ، أو تحفز إلى العمل ، وإرشاد يساعد على إصلاح النفس ، ويدل على أسرار النجاح وسبله ، ومعلومات تنير الذهن فيطل منها على العالم ، فتهب منه نسمة التطلع المشرق . فرواجها يثلج صدرى لأنه يدلنى على أننا نبالى بما يدور فى العالم . وهذا غذاء قومىّ يسد حاجة ملحة ، فهو رأس مال قومى عظيم الخطر لمستقبلنا . فليس يسعنا أن نعيش على هامش الحياة الدولية بعد الآن ، ولا يسعنا أن ندع تياراتها تمر بنا فلا نباليها ، ولا يسعنا أن نجهل منها ما جل وما دقّ ، فنحن فى حاجة إلى نظرة تستشرف العالم ، دون أن تضعف إيماننا بأنفسنا ، و « المختار » يتيح للأمم العربية نوعاً من ثقافة تصلح أساساً لهذه النظرة .

مصطفى علوى

ديسمبر ١٩٤٧

"فكر، لاتهلك"

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا ، وزير المعارف الأسبق

تجوز الحضارة فى هـذا العهد غمار انقلاب خطير يتصل بأعمق جذور الحياة ، من آراء وعادات وتقاليد ، فردية أو اجتماعيـة ، تدق باب الإنسانية بيد العلم والعزم ، وباب الاجتماع بيد الأدب والسياسة والفلسفة ، وباب الحياة جميعاً بأيدى الرجال الذين تلوّن أفكارُهم أفكارَ جيلهم والأجيال التى تليه ، وتسبغ أعمالهم على المجتمع لون الحياة المقبلة التى تدبُّ فى كيان الحاضر الدامى . فى غمار هذا الانقلاب ، أتبين خطيئتين لا تغتفران ، أما الأولى فخطيئة عدم المبالاة ، وأما الثانية فخطيئة الجهل .

وليس يجدى أحداً ، فرداً أو جماعة ، حين يمثل أمام الحوادث التى تتهيأ الآن لتكوّن حقائق الاجتماع غداً أو بعد غد ، أن يقول حين يوزن بالميزان فتشيل كفته : « لم أعلم » ، « لم أدرك » ، « لم أبال » . فإن هو فعل فقد غمره النسيان فيمن يغمرهم من الذين لا يستحقون الحياة ، أولئك الذين لهم آذان لا يسمعون بها ، وعيون لا يبصرون بها .

كان الناس قبل عهد العلم الحديث والصناعة الآلية ، يخضعون للقاعدة : « جاهد ، لا تجع » . أما الآن فالشعار : « فكر ، لا تهلك » . فالفكر هو الذى غزا ما دنا وما بعد من أسرار الطبيعة ومغاليق الكون ، وحقق ما كان يعد مستحيلا . ولما كان الناس على سطح الكرة لا يعيش أحدهم منعزلا عن الآخر ولا جماعتهم منفصلة عن الجماعات الأخرى ، ولما كان كل منهم يتأثر بأفكار

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

فبراير سنة ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ السادس من الطبعة العربيـة . وقد وُزِّع منـهُ مائة وخمسة وعشرون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجـلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

رئيس التحرير : فؤاد صروف — المدير المالى : ت . ى . مورد

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى اتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

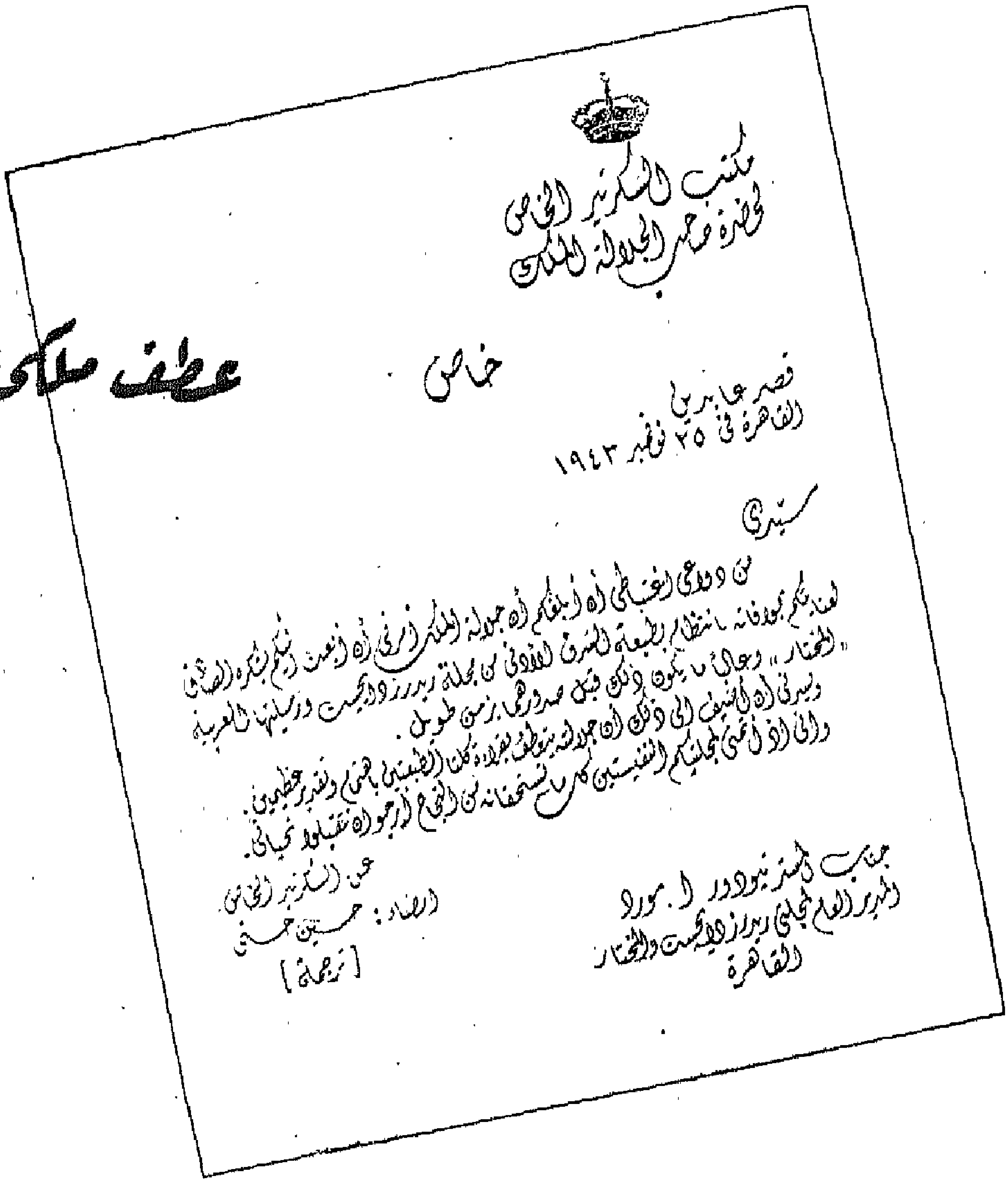
المختار

من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

السنة الأولى — فبراير ١٩٤٤ — المجلد ١ العدد ٦

عطف ملكى سام



مكتب السكرتير الخاص لحضرة صاحب الجلالة الملك

خاص

قصر عابدين
القاهرة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٣

سيدى

من دواعى اغتباطى أن أبلغكم أن جلالة الملك أمرنى أن أبعث إليكم بشكره الصادق لعنايتكم بموافاته بانتظام بالطبعة العربية الأولى من مجلة ريدرز دايجست وزميلتها العربية «المختار»، وكثيراً ما يكون ذلك قبل صدورهما بزمن طويل.

ويسرنى أن أضيف إلى ذلك أن جلالته يطالع بلذة كلتا الطبعتين باهتمام وتقدير عظيمين.

وإنى إذ أتمنى لمجلتيكم النفيستين كل ما تستحقانه من النجاح أرجو أن تتقبلوا تحياتى.

عن السكرتير الخاص
الإمضاء : حسنين حسنى
[ترجمة]

جناب المستر تيودور ا. مورد
المدير العام المحلى لريدرز دايجست والمختار
القاهرة

ستبقى الشعوب العربية على الزمن تحفظ «للفاروق» حياطته للعلم والأدب والفن، وتفخر بالملك الذى عزز ملكه بالثقافة العالية التى توجه إلى المجد والسعادة . وستسير مجلة «المختار» مهتدية بهذا القبس الملكى، فى خدمة العربية وأهلها . أيد الله الفاروق .

برقيــة واردة من نيويورك بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٣

بليزا نتفيل نيويورك ، إلى فؤاد صروف
مجــلة « ريدرز دايجست » بالقـاهرة

أرجو أن ترفع الرسالة التالية إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بالنيابة عن هيئة التحرير كلها فى مجلة ريدرز دايجست .

أتشرف بأن أرفع إلى جلالتكم شكرى الصادق لما تفضلتم جلالتكم بإظهاره من العناية بالمختار وطبعة الشرق الأوسط من مجلة ريدرز دايجست والحق أنه ليس أبعث على الاغتباط من الثناء الكريم الذى تعطفتم به فى كتاب جلالتكم . فهل تأذنون فى أن أكرر لهذه المناسبة الإعراب عن الأمل الذى يخالج كل من لهم صلة بمجلة ريدرز دايجست فى أن يتسنى ، بفضل هذا الفرع الحديث من أسرة طبعاتنا الدوليــة ، توثيق أواصر الصداقة والتفاهم المتبادلين بين بلدان العربية وشعب الولايات المتحدة .

وإذ كنت أعلم أن كتاب جلالتكم السامى سيكون له على التحقيق أعمق وقع فى نفوس قرائنا فى الشرق الأوسط كله فإنى ألتمس باحترام أن تأذنوا لنا جلالتكم فى نشره فى « المختـار » .

ولى الشرف أن أعرب لجلالتكم مرة أخرى عن شكرى المخلص وإجلالى العميق .

ده ويت والاس

رئيس تحرير مجلة ريدرز دايجست

جيمى ين :

معلم الصين " فوق العادة "

(كان كنفوشيوس والمسيح والعامل أساتذته . وإن أساليبه الثورية فى تعليم الشعب لتصلح أن تكون نموذجاً يحتذيه العالم)

ج . س . ماك ايفوى

ملخصة عن كتاب « التحرر من الجهل »



دعا القائد الأعلى شيانج كاى شيك ، جيمى ين إلى العاصمة منذ بضع سنوات مضت ، وكان قد سمع بالمعجزة التى وقعت فى تنج هسين حيث استطاع ين أن يحول قرية مبنية من الطين إلى أول معهد ناجح لتعليم الكافة والتجديد الاجتماعى ، وحيث اتخذ من ٤٠٠،٠٠٠ فلاح أمى أعواناً مستعدين راضين ، وتحادث القائد الأعلى وجيمى ثلاثة أيام ، وكانت مدام شيانج فى كل صباح تقول لجيمى : « إن القائد الأعلى لم يذق النوم البارحة لأنه كان مستوفز الحس » .

ولا عجب ، فإن جيمى ين من أعظم رجال العالم استثارة للنفس وإيناساً لها ، وهو أعظم أساتذة الصين الأحياء ، ولعله أقوى مربٍّ فى جيلنا .

وفى إبان ضرب شونج كنج أصر شيانج كاى شيك ، لدقة إدراكه لما لتربية الكافة من الأثر فى مستقبل الصين ، على أنه مهما يكن ما تضطر الصين إلى وقفه أو إرجائه ، فإن إقامة كلية جيمى ين الوطنية للتدريب على الأعمال الفنية والإدارية يجب أن تستمر ، فمنح جيمى ما يعادل مليون ريال وقال له : « إنى آسف لأنى لا أستطيع أن أمنحك ما هو أكثر ، ولكنى سأفعل متى تحسنت الأحوال ، وسأظاهرك فى حركتك بأقصى ما يدخل فى طاقتى » .

وقد كان كل آباء جيمى ين — منذ مائة جيل — علماء ومعلمين . ويعد جيمى نفسه ثمرة ثلاثة ضروب من التربية ، أو ثلاثة أساتذة عظام ، كونفوشيوس والمسيح و « العامل » . وقد نشأ على التقاليد الموروثة ، وكان يجلس فى صباه عند قدمى

والده ، ويدرس بصوت عال ، وشعر رأسه مضفور ست ضفائر . وما بلغ العاشرة حتى كان قد حفظ عن ظهر قلب « الكتب الأربعة » و « الأمهات الخمس » ، وما لا يحصى من القصائد والفصول والحواشي والتعليقات ، وشعر « لى بو » السهل الجارى فوق ذلك كله . وشبيه بذلك عندنا فى الغرب ، أن يكون ابنك فى العاشرة من عمره ، فيعود إلى البيت ذات يوم ويتلو عليك كل كتب العهد القديم والعهد الجديد ، وبضع روايات من شكسبير أيضاً .

ثم ذهب جيمى ، وكان لا يزال صبيا ، إلى مدرسة البعثة للعلوم الغربية ، فدرس العلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ واللغة الإنجليزية ، والدين المسيحى ، ونال الجائزة الأولى فى امتحان الدخول فى جامعة هونج كونج ، ولكنها لم تجده شيئاً لأنه لم يكن من الرعايا البريطانيين . وكان هذا أول درس واقعى تلقاه فى التربية الغربية .

وأخيراً جاء إلى أمريكا ودخل جامعة ييل حيث اعتاض من المجانية بالترتيل فى الكنيسة ، وتخرج فى سنة ١٩١٨ فأبحر إلى الميدان الغربى ليساعد مجلس جمعية الشبان المسيحيين على الإشراف على ٢٠٠٠٠٠ عامل صينى جاء بهم الحلفاء لحفر الخنادق ، وتمهيد الطرق ، والعمل فى المصانع وراء خطوط القتال . ووكل إلى جيمى أمر



البيع فى « الكانتين » فى بولونى ، وأن يكون ترجماناً لخمسة آلاف عامل هناك . ورجا منه أحدهم ذات يوم أن يكتب له رسالة إلى زوجته ، وفى اليوم التالى أقبل هذا العامل مستحيياً ومعه ثلاثة من رفقائه يطلبون أن يكتب لهم جيمى رسائل إلى ذويهم ، وسرعان ما صار جيمى يكتب كل يوم عشرات من الرسائل ، وكان كل ليلة يقرأ لهم الأخبار أيضاً فى معسكرهم .

وفى إحدى الليالى خطر له خاطر يزلزل الأرض : لماذا لا يعلم هؤلاء العمال أن يكتبوا رسائلهم بأنفسهم ، وأن يقرأوا الأخبار أيضاً ؟ قال جيمى : « وقد درست وحللت رسائل العمال فتبينت أن مجموعة أساسية من الألفاظ الصينية ، تبلغ حوالى الألف ، كافية لحاجاتهم البسيطة . فدعوتهم إلى اجتماع عام وأخبرتهم أنى سأعلمهم الكتابة ، فلم يصدقونى ، فإن لغتنا صعبة معقدة ، وفيها أكثر من أربعين ألف حرف ، حتى إنه لم يحدث قط فى تاريخ الصين أن تعلم الفلاحون وهم ٨٥ فى المائة من السكان ، القراءة والكتابة .

« ولكنى أصررت ، ولم أتقاضهم شيئاً وسألتهم : من يتطوع ؟ فتطوع أربعون ذوو إقدام من الـ ٥٠٠٠ الحاضرين ، أى ما يعادل جزءاً واحداً من عشرة ملايين بالنسبة إلى تعداد الصين .

« ولكن ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة كما يقول المثل ، فقضينا أربعة شهور نفرد كل ليلة ساعة للتعلم . ولما كانت الامتحانات النهائية كتب كل عامل رسالة إلى ذويه ، ثم وقف مزهواً أمام المعسكر كله ، وقرأ بصوت عال ما كنت قد كتبته من الأخبار على السبورة ، فنظر الآخرون بعضهم إلى بعض مندهشين كأنهم يشهدون معجزة . وقد كانوا حقاً يرون معجزة » .

وكانت الجماعة الثانية من المتطوعين أكثر قليلا – فإن شكوك الفلاحين عميقة الجذور – ولكن المعاينة هى الوسيلة إلى التصديق ، فسرعان ما تطوع الباقون جميعاً . وأقبل ذات ليلة اليوزباشى كول الذى يشرف على عمل جمعية الشبان المسيحيين ، فسمع ضجة خافتة فى كل أرجاء المعسكر فقال له جيمى: « هذه أصوات تلاميذى وهم يستذكرون دروسهم بأصوات عالية، وهى طريقة الدرس القديمة منذ قرون . وعمالى لن يسمحوا لأحد بأن يبذهم فى هذا الباب » فطاف اليوزباشى بالمعسكر ليرى هذا المنظر الغريب . قال جيمى : « وكانت عينه مغرورقة بالدموع حين عاد ، فقد أثرت فى نفسه لهفة هؤلاء العمال على التعلم ، وسألنى هل أستطيع أن أصنع مثل هذا فى بقية المعسكرات ؟ فقلت : إذا كانت الطريقة قد نجحت مع ٥٠٠٠ عامل فماذا يمنع أن تنجح مع ٢٠٠٫٠٠٠ ؟ »

وعلى هذا ذهب جيمى إلى باريس ، ودعا إليه ثمانين صينيا من خريجى الجامعة تطوعوا للعمل فى المعسكرات الأخرى ، وأطلعهم على طريقته . فتفرقوا فى فرنسا ، وشرعوا يعلمون العمال الحروف الألف — فتكررت المعجزة مرة بعد أخرى .

تعلم العمال القراءة ، ولكنه ليس ثم مايقرأون ، فما كتب شىء قط بهذه الحروف الألف ، ومن أجل هذا أصدر جيمى « صحيفة العمال الأسبوعية » . وكان مؤتمر السلام قد اجتمع ، فكان يشرح ما يحدث كل يوم بلغة سهلة ، وكانت النتيجة أن تلاميذه العمال أصبحوا يعرفون عن معاهدة فرساى مثل ما يعرف المثقفون والساسة فى الصين .

قال جيمى : « وقد كان لهذا وقع عظيم فى نفسى ، وكانت هذه بداية تفكيرى فى التربية السياسية للجماهير ، فإن هؤلاء المائتى ألف يمثلون جانباً لا بأس به من سكان الصين الذين يبلغون ٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ وتصور معنى أن يدرك الإنسان أن هذه الملايين قابلة للتعلم ! فما خطر هذا لأحد من قبل . فكأنى ذهبت إلى فرنسا لأعرف بلادى، ولأدرك أننا جمهورية بغير مواطنين! وقد تعلمت من العمال كيف أخلق مواطنين عن طريق التربية . ولفظ « كولى » معناها



الحرف « القوة المرة » ، فالآن أدركت أن عليّ أن أجعل حياتى وقفاً على تعلم قومى ، فإن التربية وحدها هى التى تستطيع أن تجعل حياتهم أقل مرارة ، وقوتهم الكامنة أعظم.

واختار جيمى شانجشا فى الصين الوسطى قاعدة لمساعيه ، ولما كان دقيق الفطنة لروح الجماهير وأثر العرض فى نفوسهم ، فقد بث دعوته ببراعة وحذق ، فألصق إعلانات كبيرة على الجدران : منها واحد فيه صورة رجل أعمى يمد يده برسالة إلى فلاح أمى وتحت الرسم هذه العبارة : « الفلاح أيضاً أعمى لأنه لا يستطيع أن يقرأ » . وسيّر مواكب ، وألقى خطباً ، وحول المخازن والمساكن الخاصة ، والمتنزهات والمعابد إلى مدارس للشعب يدرس فيها حتى الفلاحون ساعة قبل طلوع الفجر . وقسم المدينة مناطق ، والطلبة إلى جماعات من المتطوعين ، ودرب الذين يعرفون القراءة والكتابة وبث فيهم الغيرة والحماسة حتى نجح من تلاميذهم الفلاحين فى الامتحان ٩٦٥ من ١٤٠٠ وفرغوا من حفظ كتاب القراءة الأول بسرعة وهو لم ينته من كتابة نصف الجزء الثانى .

وبفضل أعوانه الذين دربهم فى هذه الحملة التعليمية ، أنشأ معاهد مماثلة لهذه فى مدن صينية أخرى ، كانت كلها عظيمة التوفيق . وانتشرت من هذه المراكز مراكز أخرى

فقامت جماعة تعليم الكافة فى الصين كلها ، وانتهت بأن صارت جماعة قومية مركزها فى بكين ، وميزانيتها السنوية ـ احبس أنفاسك ! ـ ٣٦٠٠ ريال صينى أو ما يعادل ألف ريال أمريكى . ويتناول جيمى مديرها ورئيس هيئتها التنفيذية ٥٠ ريالا فى الشهر . وهناك أيضاً كاتب يعمل نصف الوقت ، وهذان الاثنان ـ جيمى والكاتب ـ هما كل ما فى مركز هذه الحركة القومية من موظفين .

وفى سنة ١٩٣٨ عاد جيمى إلى أمريكا ليتلقى درجة شرف من جامعة ييل ، وبقى مدة ليجمع نصف مليون ريال من رجال الأعمال الأمريكيين الذين لا يدرون هل سحرهم ظرف جيمى « الكنفوشيوسى » أو حماسته المسيحية ! وقد تبرع له فورد بعشرة آلاف ريال وقال له : « إن فكرتك تعجبنى ، فإنك تسير فى تعليم الكافة على نفس النهج الذى أنتج به السيارات بالجملة » .

وقد تذكر جيمى كلمة فورد فيما بعد حين عيره ناقدوه ببطء خطواته وقالوا : « إذا كنت تستنفد سبع سنوات لتعليم إقليم واحد ، فإن فى الصين ١٩٠٠ إقليم فسيحتاج تنفيذ برنامجك إذن إلى ١٣٠٠٠ عام ! » فقال لهم : « كلا ! فقد احتاج هنرى فورد إلى وقت طويل لتجويد أول نموذج لسياراته ، ولكنه بعد أن صنع النموذج على

ما يحب صار يخرج السيارات بالملايين . »

وعاد جيمى إلى الصين مسلحاً بالمال وبفكرتين أساسيتين ثوريتين : الأولى أنه إذا كانت لك نظرية فى التربية فاختبرها وجرب صلاحها ، لا فى حجرة الدرس مع جماعات متخيرة ، بل فى الجماعات الحية وفى الأحوال اليومية . والثانية كرر تجربتك بالمجهود الشخصى لا بأن تكتب عنها كتباً . واليوم ، بعد عشرين سنة من تعليم الكافة فى الصين ، لم يكتب أحد من المتصلين بهذه الحركة كتاباً عنها ، لأنه ما من أحد يجد متسعاً من الوقت لهذا .

وفى بكين نظم جيمى هجرة عامة من المتعلمين والأساتذة — الخبراء فى التربية ، والاقتصاد وشئون الحكم والزراعة والصحة العامة — هجرة من المدينة إلى الريف ، ومن حجرة الدرس إلى الشعب ، ونقلهم من المدينة الزاهرة إلى قرية تنج هسين الوضيعة المبنية بالطين فى قلب الصين ، وهنالك ترى العلماء الكبار الذين يحملون الدرجات العلمية الرفيعة فى أكواخ من الطين ، وعاشوا مع الفلاحين أصدقاء .

ثم تعلم جيمى درساً جديداً — هو أن تعليم العمال القراءة والكتابة أمر هين كلعب الأطفال إذا قيس إلى رياضة حملة الدكتوراه فى الفلسفة على النزول إلى مستوى إدراك الشعب ، وتذكر قول أحد القديسين : « إذا أنت لم تنطق بألفاظ يسهل فهمها ، فكيف يعرف الناس ما يقال ؟ »

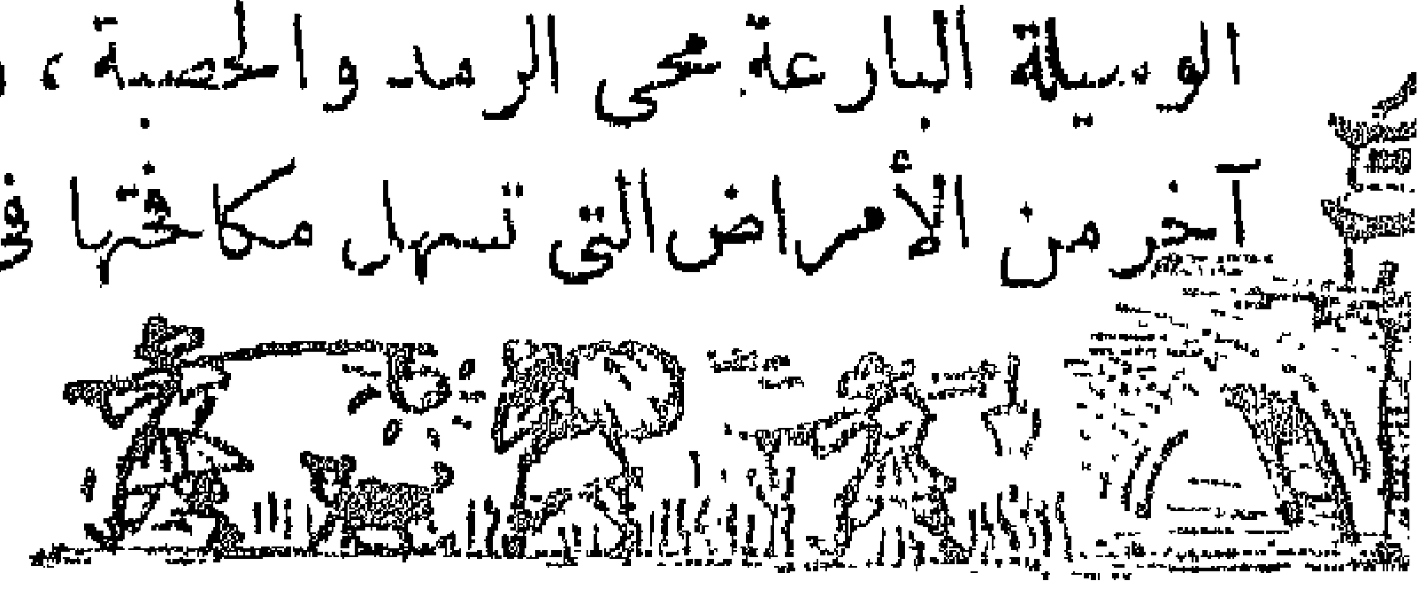
وتطوع دكتور فى الفلسفة من كورنيل بإقامة بيت للدجاج للفلاحين ، وكانت الطريقة القديمة المتبعة هى أن يبنى بيت صغير من الطين له باب واحد صغير للفراريج تدخل منه كلها ، ولكنه لا يخرج إلا الفرّوج القوى . فوضع الدكتور فى الفلسفة رسماً بديعاً جعل فيه مراوح من الصفيح ، وحواجز من السلك ، وأدوات آلية .

فقال جيمى : « إن هذا جميل ، ولكنه لا خير فيه للفلاحين فى تنج هسين . ومن أين يجيئون بمراوح من الصفيح ؟ فلنجرب مرة أخرى » وقد رأيت محاولات هذا الأستاذ المتتابعة ، وهى عشر ، وكانت التاسعة على نفس القاعدة العلمية للأولى ومن الطين ، سوى أن لها دريئة من السلك للتهوية . ولكن الفلاح الصينى لا يستطيع أن يحصل على دريئة من السلك حتى لو كان معه ثمنها . وعلى هذا كانت التجربة العاشرة الناجحة عبارة عن بيت دجاج من طين له دريئة مصنوعة من الأغصان .

وكان الأطباء المتخرجون فى جامعة جونز هوبكنز يعاد تدريبهم على شئون الصحة العامة العملية على أيدى فلاحين لم يسمعوا قط

بالصحة العامة ، ذلك أن كل قرية فى الإقليم تختار عاملها الصحى من بين خريجى المدارس الشعبية ، فيدرب تدريباً وافياً مدة عشرة أيام على الإشراف والمحافظة على بئر صحية ، وتوزيع ١٦ عقاراً بسيطاً من صندوق الصحة العام الذى اشترته القرية، والتطعيم وما إلى ذلك . وعليه أيضاً أن يجمع الإحصاءات الحيوية ، المواليد والوفيات، فقد كان الإحصاء الذى قام به رجال الحكومة غير دقيق ، لأن الفلاحين عرفوا من تجاربهم المرة أن مثل هذه البيانات تستخدم للتجنيد أو للجباية . فالآن صار جار من جيرانهم وواحد منهم يعرفونه ويثقون به ، هو الذى يؤدى هذه الخدمة .

وهـــذا العامل الصحى فى القرية يتولى علاج الأمراض البسيطة ، ويحول ما عداها إلى المركز الصحى الفرعى فى هسين حيث يوجد طبيب من طبقة (ب) . فإذا كانت الحالة مما لا عهــد له به حولهــا إلى المركز الصحى الرئيسى حيث توجد جماعة صغيرة من الأطباء الحذاق والممرضات . ولا يتناول العامل الصحى فى القرية أجراً ، ولـكنه يصبح ذا شأن فى القرية . فإذا جاء رأس الســنة الصينية قدمت إليه هــدايا صغيرة وألقيت الخطب وأطلقت الصواريخ . وبهذه الوسيلة البارعة محى الرمد والحصبة ، وعدد آخر من الأمراض التى تسهل مكافحتها فى أقل



من عامين فى إقليم تنج، ولم تبلغ جملة التكاليف السنوية إلا أقل من قرشين للفرد .

أهذا أمر سهل ؟ إن سهولته خداعة لأن وراءه الفكرة الأساسية التى تجعل إذاعات الأسئلة والأجوبة ناجحة، أى معاونة الجمهور ومشاركته . ولما كان الشعب يصنع كل هذا لنفسه وبنفسه فإن روح التعاون تنمو ، وهو تدريب لا غنى عنه للتقدم الاقتصادى ثم للتربية السياسية فيما بعد . ففى المدارس يتعلم الأطفال الكبار خمسة أحرف ، ثم يخرج كل طفل فيعلم طائفة من الأطفال الصغار هذه الأحرف. فحتى فى هذه المرحلة الأولية تستطيع أن تتبين مَن الذين خُلقوا ليكونوا معلمين وقادة ، فتستطيع أن تشرع فى إنماء مواهبهم .

قال جيمى : « بدأنا فى أول الأمر بأن نعلم الشعب ونمحو أميته ، ولـكن ما جدوى هذا إذا كان يعيش فى شدة وضيق ؟ ومن أجل هذا اضطررنا أن نعلم الفلاحين كيف يجيــدون الزراعة ، ويخرجون محصولات أغنى، ويحسنون تربية مواشيهم. ثم وجدنا أن ما يكسبونه بإتقان أعمال الزراعة، يخسرونه بجهلهم التجارة ، فاضطررنا أن نعلمهم كيف يصرفون أشياءهم فى الأسواق . وقد استقال عميد كلية التجارة فى بكين وانتقل إلى كوخ من الطين ، وقضى ثلاث ســنوات يبتكر وسيلة سهلة يستطيع الأبله أن يحذقها، لعمل

الحساب ليتبعها الفلاحون . فلما أتقن الفلاحون أعمال البيع والشراء ارتقى المستوى الاقتصادى فى الإقليم كله إلى درجة مدهشة.

وفى سنة ١٩٣٧ تخرج فى مدارس الشعب ٨٠٫٠٠٠ ، واندمج مئات من الجمعيات التعاونيـة بعضها فى بعض فصارت جماعة تعاونيـة إقليمية هائلة . وأقبل الزوار من كل ناحية فى الصين ليشاهدوا ويدرسوا هذا المركز التجريبى ، وعاد كثيرون منهم لينشئوا مراكز مثله — حوالى ثمانمائة .

ولما صارت هانكو عاصمة الصين فى سنة ١٩٣٨ عين المارشال شيانج كاى شيك ، الجنرال شانج شى شونج ، وهو الذى دافع دفاعاً مجيداً عن شنجهاى فى سنة ١٩٣٧ ، حاكما لولاية هونان لينظم المقاومة فيهاضد اليابانيين. وكان الجنرال شانج قد رأى مبلغ نجاح تعليم الكافة فى تعويد الشعب التعاون، فدعا جيمى إليه ليساعده فى تنظيم الولاية كلها ، وفيها ثلاثون مليون نفس ، على غرار تنج هسيين.

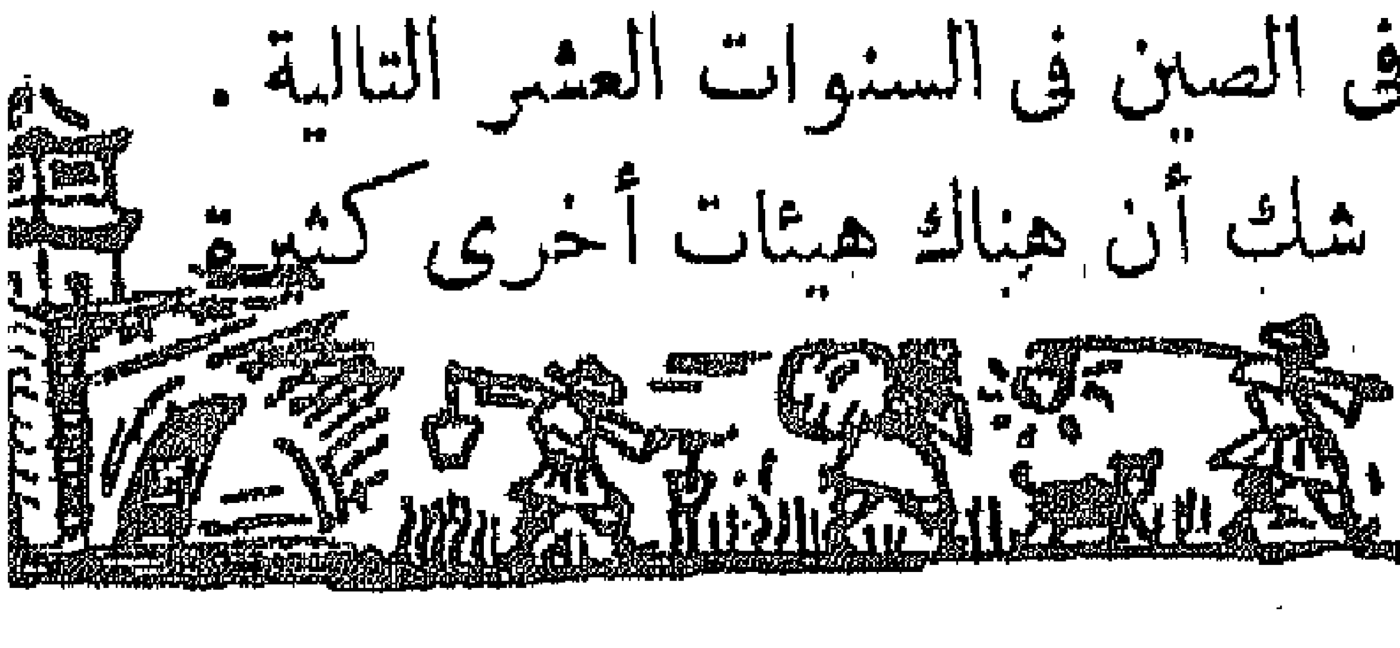
وكان هذا مايتطلع إليه جيمى فأخذ معه فرقة مدربة إلى الولاية ، وجمع ثلاثين ألف مساعد ، من بينهم ٥٠٠٠ من اللاجئين من العلماء والأساتذة ومدرسى المدارس الابتدائية ونظم فصولا لتدريب قضاة جديدين ورؤساء الإدارات الخمس الرئيسية ــ الشئون المدنية ، والمالية ، والتربية ، والصحة ، والاقتصاد .

ومن هؤلاء الثلاثين ألفاً درب فرقاً إدارية وفنية من الموظفين لتولى أعمال حكومة الإقليم وفروعه . وقد كان الضباط العائدون من الجبهة يردون الفضل فى انتصاراتهم إلى هذا التعاون الفعال بين الحكومات المحليـة الجديدة وموظفيها المدربين وشعبها الملهم .

وفى أثناء ذلك كان إقليم تنج نفسه يتهيأ لإجراء أول انتخاب ديمقراطى محلى فى تاريخ الصين، وإذا باليابانيين يغزونه ، ففرت مراكز التعليم إلى هونان ثم إلى زشوان، بسبب تقدم اليابانيين . وقد قدم شعب تنج هسيين ، الذى تعلم على طريقة جيمى ، مثالا رائعاً لمقاومة العصابات ، وقد تبودلت هذه القرية المبنية من الطين سبع مرات ، ولم يبق من ٤٧٢ قرية فى الإقليم — وكل قرية لها مدرستها الشعبية — سوى ثلاثين قرية على السكة الحديدية فى أيدى اليابانيين المرهقين .

واليوم يتبع برنامج الصحة العامة لتنج هسيين فى البلاد كلها وقد أمر المارشال شيانج كاى شيك نفسه بأن يتخذ النظام الجـديد للحكومة الإقليمية نموذجاً يحتذى لإعادة بناء الصين كلها . وقد بلغ عدد الذين تعلموا القراءة والكتابة منذ قامت الحرب ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ ويعتقد جيمى أن من الممكن جداً أن تمحى الأمية فى الصين فى السنوات العشر التالية .

ولا شك أن هناك هيئات أخرى كثيرة



تقوم بمهامّ بالغة الأثر فى أنحاء الصين كلها ، فى الصحة العامة ، وفى تعليم الكافة ، وفى التعاون . وجيمى ين أول من يعترف بما هو مدين به لتمهيد السفير السابق هوشيه وغيره من كبار العلماء ، الذين تحدوا التقاليد العتيقة التى تقضى بأن لا تكون الكتابة إلا باللغة الصينية العتيقة ، والذين تمهدوا النهضة الأدبية القائمة على الكتابة بلغة الكلام وامة الشعب . ولكن جيمى هو الذى بين للناس كيف يتسنى استخدام اللغة العامية لتربية الجماهير وتعليمها ، وكيف يتحقق ما كان يحلم به صون يات سن من جعل الصين ديمقراطية مثقفة .

فى مايو من هذا العام اجتمع عدد من العلماء الممتازين فى قاعة كارنيجى بنيويورك لمناسبة مرور ٤٠٠ عام على كوبر نيكوس ، وهناك كرموا عشرة من رجال عصرنا أحدثوا انقلابات فيه ، وكان من بين هؤلاء العشرة أينشتين ، وديزنى ، وفورد — وجيمى ين . وقد وقع اختيار اللجنة على جيمى بالإجماع ، ولكنه ما من أحد كان يدرى أين هو إلا قبل الاحتفال بعشرة أيام ، حين ظهر فى واشنطون ليطوف أرجاء الكرة ، ويدرس بنفسه مشروعات التجديد والتعمير فى العالم بعد الحرب .

وكما أن منهج جيمى خداع البساطة كذلك جيمى ين نفسه ، فإنه ضئيل الجسم رشيق ، ضعيف ، وهو من الوجهة البدنية كنبات الخيزران فى بلاده ، فإنه فيما لا قيمة له من الأمور ينحنى للريح ، وينتصر من طريق التسليم ، ولكنه إذا حمس لرسالته صارت لعبارته قوة جذابة كالمغناطيس . ولمعت عيناه السوداوان ، وقذفت بالشرر وخيل إليك أنه من أنبياء العهد القديم .

قال بصوت يشبه صوت إشعيا : « إن ثلثى الناس فى العالم من طبقة العمال ، وما من أمة تستطيع أن ترتقى إلى محل أرفع من محل جماهيرها . وإلى أن ترتقى هذه الجماهير — وهى أغنى موارد العالم التى لم تستثمر — بالتربية ، وإلى أن يتعلم الشعب أن يساهم بنفسه فى تجديد حياته ، فإن زعماء العالم يستطيعون أن يصيحوا السلام! السلام ! ولكنه لن يكون سلام .

« إن تعليم الكافة يجعل من كل رجل رجلا كاملا ، ومتى بلغ هذه المرتبة فإنه يكون أخاً لكل رجل آخر . وأنا أعتقد أن العالم يفتقر إلى هذه التربية من أجل ديمقراطية العالم ومن أجل السلام . وحينئذ لا نستطيع فقط أن نفوز بالحريات الأربع بل بالحرية الخامسة أيضاً ، وهى أعظمها جميعاً ، ولا نستطيع بغيرها أن نفوز بالحريات الأخرى — التحرر من الجهل » .

قصة لم تسجل عن معركة بحرية جوية

الخدعة العظيمة

جورج پالمر وفردريك سوندين

كان فيلق الجنرال روميل الأفريقي قد رسخ أقدامه متحصناً فى خط امتد ٣٥ ميلا من البحر المتوسط إلى حافة منخفض القطارة ، الذى يستحيل اجتيازه . وكان القائدان ألكسندر ومونتجمرى ، وقد تأهبا للقيام بأول هجوم كبير ، يدركان أن الهجوم على أى جزء من هذه الجبهة سيكبدهما خسارة فادحة إلا إذا أمكنهما أولا أن يصرفا نظر روميل إلى شىء آخر . فلا بد إذن من خدعة ، خدعة لا يساوره فيها ريب . أفى وسع الأسطول أن يلبي الطلب ؟

كانت قوة ألمانيا الجوية لم تزل هائلة ، فكان الإقدام على تنفيذ خدعة ، خليقاً أن يعرض للخطر تلك القوة الضئيلة التى كانت فى حوزة البحرية الملكية ، والتى كانت الحاجة إليها شديدة، لحراسة قوافل البحر المتوسط. فكان على أمراء البحر أن يبتكروا خدعة محكمة ، وقد فعلوا .

وانسابت أربعة زوارق طربيد صغيرة فى الظلام ، قبل حلول الوقت المحدد لابتداء هجوم الجنرال مونتجمرى بعدة ساعات ، حتى اقتربت من الساحل خلف خطوط الجبهة الألمانية بعدة أميال . وأوقفت آلاتها وانتظرت . ولم يدم الظلام طويلا ، إذ بدأت النيران تتساقط هادرة وامضة ، على منطقة من الساحل ومن الفلاة القريبة منه . وتجسمت قاذفات سلاح الطيران الملكى من ضمير الليل لتنثر القذائف الكاشفة والقنابل المتفجرة ، وانضمت إليها المدفعية البريطانية ، وهى على بعد أميال ، تصب نيرانها صباً متداركا دكت به الأرض دكا . ثم أزبد الماء حين تحركت الزوارق فبدت عندئذ ، تحت وهج أنوار الألمان الكاشفة ، وهى تسرع رائحة غادية لتنثر ستاراً كثيفاً من الدخان .

واتصل ضابط ألمانى مهتاج بالتليفون بمركز القيادة ، وأنبأهم أن البريطانيين يحاولون النزول إلى البر تحت ستار من الدخان . فأجابت القيادة : « وهو كذلك ! سترسل الأمداد » . ولكن القائد ارتاب فى أهمية الأمر . فلم تمض دقائق قليلة حتى أسرع ضابط آخر أشد هياجاً إلى التليفون ، فهذه الأصوات ، التى تأتى من خلف ستار الضباب المفتعل ، تنذر بهجوم شديد لا ريب فيه . لقد كانت الآلات تدوّى ، وسلاسل المراسى تقعقع ، والأضواء الملونة تتطاير ، والمدافع البحرية الثقيلة تنطلق .

واستجابت القيادة الألمانية العليا سريعاً فأبرقت بالأوامر ، وبعد دقائق قليلة كان

جميع ما يتاح من طائرات القتال « مسر شميت » وطائرات الانقضاض « ستوكا » ، قد حلقت فى الجو . واندفعت الفرقة الخفيفة الممتازة وهى الفرقة التسعون، المجهزة تجهيزاً تاماً بوسائل النقل الميكانيكى إلى الشواطئ المهددة ، وقذف بمدافع خط القتال الرئيسى ودباباته صوب البحر . ولم تلبث البطاريات المتراصة أن صبت قذائفها فى الدخان .

ولكن القوات البريطانية لم تخرج من ذلك الستار ، ولم يجد النازيون أمامهم بعد انقشاع الدخان سوى بضع عوامات خالية محطمة . وازدهى راديو برلين ، فادعى أن «هجوماً كبيراً» قد «صد بعدأن تحمل العدو خسائرفادحة ». فلم تستطع القيادة البريطانية إلا أن تلج فى الضحك من هذا التصريح .

فهــذا « الهجوم الكبير » لم يكن إلا أربعــة زوارق طربيــد جهزت بمكبرات الصــوت ، وانبعث ضجيج المعركة من أسطوانات ضخمت أصواتها . وعلى بعــد أميــال من هــذا المكان ، سقطت ضربة « مونتى » ، التى ســددها بكل قوته ، على خط ألمانى مرتبك واهن القوى .

●●●●

كيمياء الرجل

فى جسم رجل وزنه ١٤٠ رطلا ، مقدار من الدهن يكفى لصنع سبع قطع من الصابون ، ومن الكربون لصنع سبعة آلاف قلم رصاص ، ومن الفسفور لصنع رؤوس ٢٢٠٠ عود ثقاب ، ومن المغنسيوم لجرعة واحده من الأملاح المسهلة ، ومن الحديد لصنع مسمار وسط ، ومن الجير لتبييض بيت دجاج ، ومن الكبريت لتطهير كلب واحد من البراغيث ، ومن الماء لملء برميل سعته ١٠ جالونات .

[الدكتور لوسون العالم الانجليزى]

* * *

● فى الحياة غرضان حقيقان بالعناية ، أن تظفر بما تبغى ، وأن تتمتع به بعد ذلك ، وأحكم الحكماء وحدهم يدركون الغرض الثانى .

[لوجان بيرسل سميث]

« قلما يكون مركب النقص أكثر من تهيب بغير عقل ، يسلب المرء شجاعته ويضعف طموحه ويعوق المغامرة »

افعل ما تتهيبه

هنري س . لينك - دكتور في الفلسفة
مدير مكتب الشئون النفسانية بمدينة نيويورك
ومؤلف كتاب « الرجوع إلى الدين »

أراني أتردد بعض الشيء في الكتابة في موضوع المخاوف، لأن كثيراً من المخاوف التي يعانيها الناس الآن راجعة ولا شك إلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع . ولشد ما كنت أتمنى ، مثلا ، لو أن عبارة «مركب النقص» لم تطبع قط ! إذن لما عرف ملايين من الناس أن عندهم مركب نقص ، ولنقصت مخاوفهم واحدة .

ومعظم المخاوف تتولد فعلا من الإفراط في القراءة والتفكير والكلام . وهي لا تنشأ على العموم من تلقاء نفسها ، وإنما نربيها ونغذيها فتتحول من أمر تافه لا يعتد به إلى شيء مهول . فالأم التي تعكف على قراءة ما يكتب عن تربية الأطفال تلقى نفسها تزداد تهيباً لمعالجة أمورهم ، ولها العذر . والفتاة التي تسرف في العناية بمظهرها لا تلبث أن تصبح في قلق شديد مما عسى أن يكون رأى الناس فيها . والجماعات من الناس التي تتناول حالة البلاد بالبحث متكلفة ما يشبه العلم والدراية كثيراً ما تنتقل من التشاؤم إلى الخوف .

وأمامي وأنا أكتب هذا رسالة من فتاة استهلتها بقولها : « مازلت مذ بلغت السادسة عشرة أخشى أن أتكلم في مجلس غرباء » واستطردت في ذلك إلى سرد مخاوف أخرى — الخوف من صاحب العمل ، والخوف من فقد وظيفتها ، والخوف من الرجال ، والخوف من قيادة سيارة ، والخوف من تقديم تقرير في ناد للفتيات ، وغير ذلك مما بلغت عدته أحد عشر . وهي جميعاً مخاوف من ضرب شائع يكابدها ملايين من الخلق ، وتكاد نتيجة هذه المخاوف تكون واحدة في كل حالة تقريباً — نوعاً من الشلل يدب في النفس ، وشعوراً بالبؤس والاختناق والجزع والهزيمة .

وأخبرني شاب بأنه لا يستطيع أن ينام ، وأدلى إلي بشرح نفساني طويل لهذا وكيف صار إليه ثم سألني : « هل في مقدورك أن تساعدني على الخلاص من هذا الكرب الخانق ؟ » فكان جوابي : « كلا » فتوسل إلي سائلا : « إذن ماذا أستطيع أن أصنع ؟ »

قلت : « اجر حول العمارة فى الليل حتى تكاد تسقط من الإعياء . إن ما تفتقر إليه هو الكد ، فقد حولت من نشاطك البدنى أكثر مما يجب إلى التفكير والتخيل ، فإذا أجهدت بدنك بالجرى فإنك خليق أن تسترخى وتنام من تلقاء نفسك ، ولقد ألقى عقلك بطول تفكيره ، بهذا الخوف فى قلبك ، وفى وسعك بالجرى أن تطرحه عنك بساقيك »

ومنذ عهد قريب جاءتنى أم وأجملت لى حياتها فى هذه الخلاصة التى لا تخلو من دلالة قالت : « كنت وأنا فى مقتبل العمر أعانى مخاوف كثيرة ، منها الخوف من الجنون . ولم تزايلنى هذه المخاوف بعد زواجى ، على أننا ما لبثنا أن رزقنا طفلا وانتهى الأمر بأن صار لنا ستة من البنين . ولما كنت أتولى جميع أمرى تقريباً بنفسى ، فقد كنت كلما شعرت ببداية القلق ، أسمع الطفل يبكى ، أو الأطفال يتنازعون فأخف إليهم لأسوى الأمور ، أو أتذكر فجأة أنه آن أن أعد العشاء ، أو أن علىّ أن أكوى الثياب وغيرها . فكانت مخاوفى على نفسى لا تزال تقطعها واجباتى المنزلية فزالت تدريجاً ، والآن أعود بالذاكرة إليها لأتلهى » .

وقد لا يكون مغزى هذه القصة أن يكون للمرء ستة من البنين ، ولكن من الصحيح أن كون الأسرة صغيرة ، والفراغ كثير يؤدى إلى تولد المخاوف ، ومن الصحيح كذلك أن كثيرين ممن تخامرهم المخاوف الملحة قد يجدون متعة جديدة فى الحياة إذا شغلوا أنفسهم بالعناية بغيرهم ، وذلك بالمساهمة فى النشاط الاجتماعى .

ألا يطيب لك مثل هذا النشاط ؟ إذن يجب عليك أن تذكر أن كل خطوة تخطوها للتغلب على الخوف تتطلب فى البداية مجهوداً من الإرادة . والذين تعلموا القفز إلى الماء يذكرون ما كان من أمرهم . فإنك تعتدل فى وقفتك ، ثم تميل إلى الأمام ، وتتردد ، وترتد خائفاً . وتحاول ذلك مرة أخرى وتنكص ، وكلما ترددت زادت مخاوفك ، وأخيراً تسخط على نفسك ، وتلقى بجسمك ، وذراعاك وساقاك معوجة ، وتهوى إلى الماء بقوة ، ثم تطفو مختنقاً مرتبكا ، وتزيدك ضحكات إخوانك اضطراباً . فإذا تركت مخاوفك فى هذا الموقف تمنعك أن تبذل جهوداً أخرى ، فإنك لا تتعلم القفز أبداً ، لأن مخاوفك تصبح أقوى من أن يسعك التغلب عليها ، ولكنك تثابر وتقفز قفزات أخرى مؤلمة غير لبقة . وأخيراً تنزل إلى الماء نزولا جميلا وتطفو مسرورا ، وتصبح على وشك أن تكون خبيراً .

وهذه هى القاعدة النفسانية للتغلب على الخوف واكتساب الثقة فى كل وجه من

وجوه الحياة. ولا مفر من هذا الكفاح فإن علينا أن نلقي بأنفسنا مرة بعد أخرى في عباب الحياة، وأن نضيف فتحاً إلى فتح، ونقهر هذا الخوف أولا، ثم ذاك. والأمر كما يقول أمرسون: افعل الشيء الذي تهيبه فإذا موت الخوف محقق. والواقع أن مخاوفنا هي القوات التي تكوننا إذا عالجناها بعمل حاسم، أو هي التي تقصم ظهورنا وتطحننا إذا عالجناها بالتردد والإرجاء والقياس المنطقي.

سألني شاب ذات مرة أن أقترح عليه أشياء صعبة يصنعها وقال: «إن كتابك يشير بالرقص وكرة السلة وبعض الألعاب الأخرى والبريدج، والحفلات، وغير ذلك، ويقول إن على المرء أن يزاول ذلك حتى ولو كان لا يطيب له ولا يخف عليه، فأنا لا أكره هذه الأشياء فقط بل أخاف أن أباشرها، على أني وطدت عزمي على تجربتها، فمر بي وقت عصيب كنت فيه تعساً، ولكني بعد قليل ذهب عني الخوف وبدأت أستحسن هذه المشاغل. والحقيقة أني أستمتع بحياتي الجديدة إلى حد أخشى معه التطرّف، فأود أن تشير علي بأشياء أصنعها فيها عسر ومشقة»

وقد تعلم هذا الشاب أن يتخذ من مخاوفه أداة للتغلب عليها ووسيلة إلى الاستمتاع بطيب العيش، فهو متجه إلى حياة أكثر امتلاءاً وأبعد أثراً من الوجهتين الاجتماعية والعقلية.

ويتفق أحياناً أن تكون الخطوة الأولى في سبيل التغلب على الخوف، عملا ابتدائياً جداً. أذكر شاباً أخذت المخاوف عليه متوجهه حتى لكان لا يكاد يبين أو يسمع له كلام، وكان يعمل في مصرف كبير ويعرف لفيفاً من الرجال في القسم الذي هو فيه، ولكنه كان يذهب إلى مكتبه في الصباح ولا يحيي أحدا، فاقترحنا أن يبدأ بأن يقول ببشر وصوت عال: «صباح الخير يافرانك! أهلابك يا كيتنج! عم صباحاً يامستر إيتون» لمن يمر بهم من زملائه. ففعل، وبلغ من ارتياحه إلى النتيجة أن تشجع فأقدم على ما هو أصعب — لأن الفوز يقود إلى الفوز

أما المخاوف التي هي أعم من هذه — مثل الخوف من الجنون أو الاضطهاد، أو تهيب الأغراب، أو الشعور بالنقص — فهذه في الأغلب نتيجة تقصير المرء في التغلب على مخاوف دون هذه شأناً، بمثل الوسائل التي أسلفنا الإشارة إليها. على أنها تكون أحياناً راجعة إلى إن المرء لسبب ما — مثل الخيبة في الحب، أو موت قريب عزيز، أوخسارة مالية، أو فقد عمل — ينفض يده مما اعتاد أن يزاول. على أنه ينبغي — ولا سيما في أعقاب كارثة — أن لا يكتفي المرء بمواصلة

نشاطه السابق ، بل أن يوجه إرادته ونشاطه إلى عمل جديد يحسن أن يكون مرهقاً . أعرف رجلا فقــد وظيفته وكان قد بلغ السادسة والخامسة وظل يعمل فى إحــدى الشركات ثلاثين عاماً ، فثقلت عليــه وطأة المعاب ، وكف عن كل اتصال بأصــدقائه السابقين ، فما هى إلا ستة شهور حتى صار حزمة من المخاوف تافهها وكبيرها . وأخيراً حملوه على زيارة قريب له يعيش فى ضيعة وهناك لم يلبث أن اجتذبته دورة العمل فثابت إليه نفسه فى ستة شهور ليس إلا .

ومع أن التعميم لا يؤمن معه الخطأ إلا أنى أجترؤ على القول بأن وراء كل المخاوف هنيها وقاسيها — عقــلا مسرفاً فى النشاط وبدناً قليل النشاط . ومن أجل هذا نصحت لكثيرين من بغاة السعادة أن يكونوا أقل استعمالا لرؤوسهم وأكثر استعمالا لأيديهم وأرجلهم — فى عمل نافع أو لعب — فإننا نخلق المخاوف ونحن جلوس ، ولكننا نطرحها بالحركة . والخوف هو إنذار من الطبيعة لنا بأن نعمل ونتحرك .

والخوف فى مراحله الأولى الهنية يتخذ صورة النفور من بعض الناس أو بعض مظاهر النشاط ، أو النقد لهذه ولهؤلاء وبهذا يسوغ استمرار الجمود . والدنيا غاصة بالساخطين وبالذين يهضبون بالشيوعية فى حجرات الاستقبال ، وبالمتفلسفين الاجتماعيين لأنهم لا يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم فسبيلهم أن يتحدثوا عن تغيير النظام كله . وهؤلاء لا يبدو أنهم يدركون أنه لا بد من وجود من ينبو بهم مكانهم فى أى نظام اجتماعى . وهم يحاولون باللسان أن يخلعوا على سخطهم على الدنيا حلة منطقية بدلا من أن يسخطوا على أنفسهم وينهضوا لعمل يستحق الجهد الذى يبذل فيه .

◉ الطعن الرفيق جريمة لا تغتفر ، لا تطعن ما استطعت أن تتجنب ، ولكن إياك أن تطعن طعناً رفيقاً أبداً .

[تيودور روزفلت]

◉ لست أهاب غدى ، فقد أبليت أمسى ، وإنى لأحب يومى .

[وليم ألن هوايت]

قالها يوم ميلاده وقد بلغ السبعين

الخطر الناشئ عن البدانة ، والعلاج الذى
أثبتته تجارب كليـــة الطب بجامعة مشجن

نحـافة الجسـم ليس لهـا إلا طـريق واحـد

ملخصة عن مجلة « روتاريان »

بليك كلارك

فى كل يوم يبتلع الملايين من الناس حبوباً من خلاصة الغدة الدرقية، أو يشربون عصير العنب ، أو يتجرعون الأملاح الملينة أو يدلكون أجسامهم «بالدهانات السحرية» أو يستدرّون العرق بالحمامات المعدنية ، بل قد يدلكون أجسادهم بأسطوانة جافة من المطاط طلباً للنحافة وضمور الخصر وإزالة ما يسمونه (اللغد) .

وللقلق خشية البدانة ما يسوغه ، فالبدانة خطر يهدد الصحة بل الحياة نفسها . فنسبة الوفيات بين من يزيد وزنهم ٢٠٪ على المتوسط تزيد نحو الثلث على المعدل ، فإذا بلغت زيادة الوزن ٥٠ ٪ تضاعف عـدد الوفيات .

ويدل البحث العلمى على أن فرط السمن ينشأ عن سبب واحد بسيط هو الإفراط فى الأكل . وقد ثبت هذا بأدق اختبارات أجريت إلى اليوم فى مسألة البدانة ، وقد أجراها الدكتور لويس هارى نيوبرج الأستاذ بكلية الطب بجامعة مشجن ، وقد أدخل فى تجاربه أشخاصاً مفرطى السمن ممن يشتكون كل علة تظن العامة أنها سبب البدانة .

وأقام مرضى الدكتور نيوبرج بمستشفى الجامعة حيث تتسنى السيطرة علي العوامل المحيطة بالتجربة ، لتبقى ثابتة لا تتغير . وقد حدد بالاختبار مقدار حاجة كل منهم من الغذاء ، ثم ضبط مقدار ما استنفده كل منهم من ذلك الغذاء ، وازناً كل جرام منه . وقام بتحليل كل شىء — فيأخذ قطعة من الخبز من وسط كل رغيف ، وشيئاً من وسط كل قطعة من الجبن تزن خمسة أرطال ، وقليلا من اللبن الحليب من كل زجاجة .

فإذا أثبت له الاختبار أن أحدهم يستنفد عادة ٣٥٠٠ وحدة من وحدات الحرارة (كالورى) كل يوم ، أمر بأن لا يزيد ما فى غذائه على ٨٠٠ وحدة مثلا . فكان الرجل يضطر إلى الاعتماد على ما هو مدخور فى جسمه من المواد التى تولد الحرارة .

فلما حرص الدكتور نيوبرج على أن يأكل كل منهم أقل مما اعتاد ، تسنى له أن ينقص من بدانة كل بدين ، بصرف النظر عن نوع البدانة التى كان مبتلى بها ، بل كان فى وسعه أن يتنبأ بما سينتهى إليه وزن كل منهم بعد ستين يوماً . فلم يزد الخطأ فى نبوءته على رطل واحد .

ومن الأوهام فى تعليل البدانة أنها مما تتوارثه الأسر . وقد أثبتت تجارب الدكتور نيوبرج أنها إنما تنشأ عن الإفراط فى الأكل ولا تورث وقد تبين من درس ما اعتاد أن يأكله ١٤٢ ولداً بديناً وبنتاً بدينة ممن تختلف أعمارهم من سنتين إلى ١٣ سنة ، أنهم جميعاً كانوا يفرطون فى الأكل، ولاسيما أكل المواد النشوية. والعلم يسلم بأن شكل بناء الجسم قد يورث ، ومع ذلك فالرجل الرحب البنية ليس بطبيعته قابلا للبدانة بل قد يصبح بديناً بإفراطه فى الأكل.

وأمر الآنسة ن . . هو خير ما يفند أسطورة وراثة البدانة . فقد عاشت هذه الآنسة بدينة حتى بلغ وزنها وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ٢٦٠ رطلا . وكان أبوها مديد القامة يبلغ طوله ست أقدام ووزنه مائتى رطل ، وكانت أمها أيضاً ضخمة الجسم . فكان كل امرىء يرثى لحال لا يد لها فيها . على أن البحث فى طعامها أثبت أنها كانت تقتصد فى أكل اللحوم والسمك والبيض إلا أنها كانت تحشو معدتها بأصناف الفطائر والحلويات والمأكولات الغنية بالقشدة . وقد تمكن الطبيب من ردها إلى الوزن الطبيعى بأن وضعها فى مصحة وجعل طعامها خالياً من جالبات البدانة ، فيه ما يكفى من الفيتامينات ، وما بين ٦٠٠ إلى ٨٠٠ وحدة من وحدات الحرارة .

وثمة حالات قد ظُن فيها أن اضطرابات الغدد هى سبب البدانة ، ولكن الدكتور نيوبرج قد نقص وزن بعض المصابين بتلك الاضطرابات بتنظيم الغذاء وحده ومن غير أن تستعمل العقاقير . ولعل أعظم نجاح صادفه هو أنه عالج رجلا كان يزن ٥٦٠ رطلا وكان يظن أن بدانته ناشئة عن اضطرابات الغدد . فقصر الدكتور نيوبرج غذاءه على ٣٠٠ كالورى فلم ينقض عليه عام حتى فقد ٢٩٦ رطلا من وزنه — أى رطل كل يوم — بغير عقاقير أو رياضة . ثم رفع غذاءه إلى ٦٠٠ كالورى فاستمر هبوط وزنه إلى ١٩٤ رطلا وهو وزن طبيعى .

وهناك رأى يقول إن اضطرابات الغدد ، بصرف النظر عن مسألة الغذاء ، تسبب انحطاطاً فى « المتابولزم » (أى تحوّل المواد الغذائية بعد هضمها إلى المواد التى تنشأ منها أعضاء الجسم) وإن انحطاط

« المتابولزم » يسبب البدانة . نعم إن وزن الجسم يزداد إذا هبط معدل « المتابولزم » وظل صاحبه يصيب نفس المقدار من وحدات الحرارة فى طعامه ، إلا أن انحطاط « المتابولزم » يعنى نقص حاجة الجسم إلى الطعام ، فإذا أنقص مقدار الغذاء فلا يمكن أن يزيد الوزن .

ويعتقد الكثيرون أن الرياضة هى أفضل وسيلة إلى علاج البدانة . والحقيقة هى أن الرياضة لا يمكن أن تقوم مقام الغذاء المقدّر ، فالرجل الذى يزن ٢٥٠ رطلا يجب أن يصعد سلالم عشرين دوراً حتى يفقد الطاقة التى تولدها كسرة صغيرة من الخبز . وإذا سار مسافة ميل على أرض مستوية فقد يستنفد ١٠٠ وحدة من الحرارة (كالورى)، ولكنه إذا امتنع عن أكل أوقية واحدة من القشدة ، فإنه يفقد ذلك المقدار نفسه من الوحدات . فإذا أراد أن يفقد رطلا من الشحم وجب عليه أن يسير ٣٦ ميلا ، ومثل هذه الرحلة قد تكسبه شهية ضارية تجعله يلتهم من الطعام ما يلغى أثر هذه الرياضة .

وقد يفقد لاعب كرة القدم أربعة أرطال أو خمسة أرطال على أثر مباراة عنيفة ، ولكنه يفقد معظمها بالعرق ، فإذا شرب ماء استعاد معظم ما فقده . أما فى حمامات البخار فإن ما يفقده الإنسان هو الماء لا الشحم . وليس للتدليك الشائع فى « صالونات التجميل » وأندية الرياضة الصحية أثر فى إزالة الشحم . والشخص الوحيد الذى يفقد شيئا من الشحم عند التدليك هو المدلك نفسه .

ترى لماذا يفرط الناس فى الأكل ؟ إن معظم الحيوانات تدع الأكل متى شبعت ، أما الإنسان فإنه إذا وجد لذة الطعام نسى تحذير الطبيعة . ولقد يزداد وزن الإنسان حين تقل حاجة الجسم إلى الطعام بسبب المرض أو الشيخوخة ، على حين تظل شهوة الطعام نفسها كما هى .

على أن الدكتور نيوبرج يعتقد أن هنالك سبباً آخر للنهم أكثر شيوعاً من غيره . وهو ما يجلبه الانهماك فى الأكل من الاستراحة من وطأة الاضطرابات النفسية . والواقع أن جانباً كبيراً من ذوى البدانة الذين عالجهم الدكتور نيوبرج كانوا يعانون اضطراباً نفسياً عنيفاً ، ولم يكن فى الإمكان إقناع أحد منهم أن يلزم حدّ الكفاية فى غذائه إلا بعد حلّ المشكلة التى أورثته الاضطراب .

كان من بين مرضى الدكتور نيوبرج فتاة قد أجبرها والدها على العناية بأخ لها معتوه ، وكان هذا الواجب البغيض يلجئها

إلى ان تلتمس فى الطعام ما يعزّيها ويسليها ، فتضاعف وزنها . فلما عنى بأمرها الدكتور نيوبرج ، وعاشت بعيدة عن البيت ، وأعفيت من أمر العناية بأخيها ، عادت تستمتع بالحيــاة وتأكل أكلا طبيعيا ، فنقص وزنها ، وما لبثت ، بعد ما رجعت إلى منزلها ، أن ارتدت إلى نهمها القــديم حين ثقلت عليها وطأة واجبها البغيض . وقد أعيدت إلى المصحة مرتين ، فلمـا عجز الطبيب عن أن يحل مشكلتها النفسية ، عجز أيضاً عن أن يمنع وزنها من الزيادة .

واستغاثت سيدة بالدكتور نيوبرج لأنهـا كانت تستهلك مقادير كبيرة من الطعام لتنجو من عذاب الآلام الجسمية والنفســية التى تصيبها من زوجها السكير . فوضعها الدكتور فى المستشفى وحدد لغذائها ٤٥٠ وحدة حرارة (كالورى) ، فبعد انقضاء ٣١ يوماً نقص وزنها ١٧ رطلا . ثم حكم لهـا بالطلاق من زوجها وظفرت بعمل يلائمها ، فلمـا حلت مشكلتها النفسية ، عادت تقتصد فيما تأكل ، وعادت إلى وزنها الطبيعى واحتفظت به .

إن لـكل امرىء وزناً نموذجيا وفى إمكانه أن يبلغه . وفى الجداول التالية بيان الأوزان النموذجية وقد وضعها الدكتور لويس دبلن إحصـائى شركة المتروبوليتان للتأمين على الحياة . وهذه الأوزان أضبط من جداول « متوســط الوزن » المعروفة إذ يدخل فى تقـديرها حجم بنية الجسم (والمقصود بالبنية الهيكل العظمى ، فمن كانت عظامه صــغيرة وهيكله دقيقاً كان صغير البنية) .

(الرجال كما هم فى ثيابهم) الوزن النموذجى

طول القامة مع الحذاء قدم بوصة	البنية الصغيرة بالرطل	البنية المتوسطة بالرطل	البنية الكبيرة بالرطل
٥ ٣	١١٩ — ١٢٨	١٢٧ — ١٣٦	١٣٣ — ١٤٤
٥ ٤	١٢٢ — ١٣٢	١٣٠ — ١٤٠	١٣٧ — ١٤٩
٥ ٥	١٢٦ — ١٣٦	١٣٤ — ١٤٤	١٤١ — ١٥٣
٥ ٦	١٢٩ — ١٣٩	١٣٧ — ١٤٧	١٤٥ — ١٥٧
٥ ٧	١٣٣ — ١٤٣	١٤١ — ١٥١	١٤٩ — ١٦٢
٥ ٨	١٣٦ — ١٤٧	١٤٥ — ١٥٦	١٥٣ — ١٦٦
٥ ٩	١٤٠ — ١٥١	١٤٩ — ١٦٠	١٥٧ — ١٧٠
٥ ١٠	١٤٤ — ١٥٥	١٥٣ — ١٦٤	١٦١ — ١٧٥
٥ ١١	١٤٨ — ١٥٩	١٥٧ — ١٦٨	١٦٥ — ١٨٠
٦ ٠	١٥٢ — ١٦٤	١٦١ — ١٧٣	١٦٩ — ١٨٥
٦ ١	١٥٧ — ١٦٩	١٦٦ — ١٧٨	١٧٤ — ١٩٠
٦ ٢	١٦٣ — ١٧٥	١٧١ — ١٨٤	١٧٩ — ١٩٦
٦ ٣	١٦٨ — ١٨٠	١٧٦ — ١٨٩	١٨٤ — ٢٠٢

(النساء كما هن فى ثيابهن) الوزن النموذجى

طول القامة مع الحذاء قدم بوصة	البنية الصغيرة بالرطل	البنية المتوسطة بالرطل	البنية الكبيرة بالرطل
٥ ٠	١٠٥ — ١١٣	١١٢ — ١٢٠	١١٩ — ١٢٩
٥ ١	١٠٧ — ١١٥	١١٤ — ١٢٢	١٢١ — ١٣١
٥ ٢	١١٠ — ١١٨	١١٧ — ١٢٥	١٢٤ — ١٣٥
٥ ٣	١١٣ — ١٢١	١٢٠ — ١٢٨	١٢٧ — ١٣٨
٥ ٤	١١٦ — ١٢٥	١٢٤ — ١٣٢	١٣١ — ١٤٢
٥ ٥	١١٩ — ١٢٨	١٢٧ — ١٣٥	١٣٣ — ١٤٥
٥ ٦	١٢٣ — ١٣٢	١٣٠ — ١٤٠	١٣٨ — ١٥٠
٥ ٧	١٢٦ — ١٣٦	١٣٤ — ١٤٤	١٤٢ — ١٥٤
٥ ٨	١٢٩ — ١٣٩	١٣٧ — ١٤٧	١٤٥ — ١٥٨
٥ ٩	١٣٣ — ١٤٣	١٤١ — ١٥١	١٤٩ — ١٦٢
٥ ١٠	١٣٦ — ١٤٧	١٤٥ — ١٥٥	١٥٢ — ١٦٦
٥ ١١	١٣٩ — ١٥٠	١٤٨ — ١٥٨	١٥٥ — ١٦٩
٦ ٠	١٤١ — ١٥٣	١٥١ — ١٦٣	١٦٠ — ١٧٤

إن الرجل البدين الذى يبلغ الخمسين من العمر لا يجدر به أن ينظر إلى هذه الجداول ويقول: «أنا فى حاجة إلى زيادة فى الوزن تعادل زيادتى فى السن»، فإن وزنه النموذجى فى الخمسين هو كوزنه فى الثلاثين.

فاذا كان وزنك لا يزيد إلا قليلا على الوزن النموذجى فإليك خير وسيلة لمعالجة تلك الزيادة: أقلل ما تأكله من المواد الدهنية ومن الطعام الذى يولدها، وكل قليلا جداً من الزبد، وقطعة من الخبز بدلا من قطعتين، وامتنع عن «المايونيز» وعن «الصلصات» الدسمة، وكل بيضاً مسلوقاً وتجنب البيض المقلى، واشرب اللبن المخيض الذى استخلصت قشدته وكل الجبن المصنوع من اللبن المخيض لا من اللبن المحض، هو الذى لم تستخلص زبدته، وأكثر من أكل الخضر وسمك المحار فإنها تكاد تكون خالية من الدهن. وقد ينقص من وزنك إذا أقللت من الخمور فإن أوقية من الوسكى تولد من الشحم ما تولده قطعة من الخبز.

وإذا كان وزنك يزيد ٥٠ رطلا أو أكثر على الوزن النموذجى فالجأ إلى إخصائى فى الغذاء واسأله أن يصف لك غذاء لا يزيد عدد وحدات الحرارة فيه على ما يختلف من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ وحدة، وعلى أن يكون فيه من الفيتامينات والبروتينات والمعادن ما يحفظ عليك قوتك، وينقص وزنك من ثلاثة أرطال إلى خمسة فى الأسبوع. وإذا لم ينقص وزنك بعد أسبوع فلا تيأس، واعلم أن الماء قد يتجمع فى الجسم خلال الأيام الأول من التغذية وكثيراً ما يسبب زيادة قليلة فى الوزن.

والدكتور نيوبرج لا يوافق على أنظمة التغذية «المدهشة» والتى يضمن لك

أصحابها أن تنقص وزن الجسم فى تسعة أيام ، ولا على التى تبيح للمرء أن يتناول المواد السكرية فى وجبة والبروتين فى وجبة أخرى. فى وسع كل امرئ أن ينقص وزنه بأن ينتقص من وحدات الحرارة فى غذائه ، حتى تصير أقل من اللواتى يستهلكها طوال اليوم، ثم يحرص أن يكون فى غذائه كل ما يكفيه من المعادن والفيتامينات والبروتينات .

طفلك او عملك

جرترد بالمر

عن مجلة « وماتز هوم كومبانيون »

أصبح الحمل أهم مشكلة من مشكلات الصحة فى دوائر الصناعة الأمريكية ، فإن العاملات اللائى تبلغ عدتهن ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ امرأة يوشك أن يكن جميعا فى سن الحمل وأكثر من نصفهن متزوجات ، والعاقبة المتوقعة هى : نسبة تغيُّب عالية ، ونسبة إجهاض آخذة فى الازدياد ، وعواقب سيئة تعرض الصحة للخطر .

وقد وجدت شركة كبيرة أن سدس العاملات المتزوجات يتغيب : إما لأنهن قد وضعن ، أو كن على وشك الوضع ، أو أجهضن . وهذه الشركة لا تثبط الأمومة ، ولكن هناك مصانع كثيرة تطرد المرأة يوم تظهر عليها أعراض الحمل ، فإذا هى تخير خياراً أليماً بين طفلها وبين عملها ، وكثيراً ماتخفى أمرها فتستمر فى العمل أو تأخذ طريقها إلى طبيب يجهضها .

ويقدر الدكتور موريس فيشباين نسبة الارتفاع فى حالات الإجهاض أثناء الحرب بما يتراوح بين ٢٠ و ٤٠ فى المائة . ويقول طبيب أحد مصانع الحرب الأمريكية الكبيرة إن ربع حالات الحمل بين النساء العاملات فى هذا المصنع تنتهى إلى الإجهاض . ويشجع بعض الرؤساء النساء على الإسراع فى التبليغ عن حملهن ، فيحيطونهن بالرعاية فى تلك الفترة ، ويعهدون إليهن فى أعمال أخف وطأة ، ويمنحونهن إجازات حتى يتم الوضع ، ثم يعدن إلى عملهن . وهناك آخرون يطردون النساء المقبلات على الأمومة ، لأنهم يخشون مغبة القضايا . فلو فرض أن امرأة أصابها شىء فى عملها فأسقطت جنينها — فما هو التعويض الذى يمكنها أن تطالب به ؟ هذا ما لا يعلمه أحد .

ولكن مشكلة الحمل بين النساء العاملات قد لقيت أخيراً ما تستحقه من العناية ، فإن مديرى الأعمال ، والقائمين على الإصلاح الاجتماعى ورجال الطب ، يدرسونها الآن لكى يصلوا إلى سياسة واضحة تتبع فى حلها وعلاجها .

هي الطبيعة الانسانية

إذا كنت من هؤلاء الذين يعانون ما يعانون من جراء شعورهم بذاتهم حين تكون فى حفل اجتماعى ، فاسترح واهدأ ، حين تعود مرة أخرى إلى شهود مثل هذا الحفل ، فإنك لا تستطيع أن تشعر بنفسك وأن تكون هادئاً فى آن معاً . وليس أشد استثارة للاهتمام فى حفل من رجل يسعه أن يجلس ساكناً واقع الطائر ومستغنياً بنفسه على ما يظهر . والحالة الطبيعية غير مألوفة حتى لتثير الاهتمام .

دافيد هارون فينك

❋

إن الثناء ، وإن كان ينبغى أن تكون المناسبة هى الباعث الطبيعى عليه إلا أنه ينبغى أن لا يبدو كأنها هى التى أوحت به ، لأنه حينئذ يكون أشبه بالتكلف . وإذا أنت أطريت خطبة رجل حين ينتهى منها ويقعد فإنه يعد ذلك مجاملة اقتضاها الأدب العادى ، ولكن إذا تركت بعض الوقت يمر ، وبينت له أن مزايا خطبته ساورتك . فإنه خليق أن يتذكر ثناءك عليه أكثر مما تتذكر أنت خطبته .

السير هنرى تيلور

الناس يلجّون فى البغض أكثر مما يلجّون فى الحب . وإذا أنا قلت مرة لرجل كلاماً يسوءه ويجرحه ، فلن يمحو ذلك ويزيل أثره أن أكثر من قول ما يسره

الدكتور صمويل جونسون

❋

إننا نمتعض دائماً امتعاضاً شديداً من الرجل الذى يكون فى حفل فيتحدث معنا ولكن عينه لا تزال تدور فى الغرفة كأنما يبحث عمن هو خير منا وأكبر شأناً ليحادثه .

دوروثى وولورث

❋

إذا المرء لم يستفد أصدقاء جديدين وهو يتقدم فى الحياة وتعلو به السن ، فسرعان ما يلفى نفسه وحيداً ، ذلك أن الإنسان ياسيدى ينبغى أن يواظب على رفو صداقاته .

دكتور صمويل جونسون

❋

إذا أردت أن تجعل من رجل ما ، عدواً لك ، فما عليك إلا أن تقول له : « إنك مخطىء » . فإنها وصفة ناجعة فى كل وقت .

هنرى لنك



"القتل" صناعة

ملخصة عن مجلتى « ذس ويك »

ونيويورك هيرالد تريبيون

جلس ستة من الضباط الالمان يحتسون الخمر ويتسامرون حول مائدة فى غرفة الاجتماعات الخاصة بفندق صغير على شاطىء فرنسا ، أولئك هم زهرة سلاح الطيران الألمانى . ولما كانوا من قادة أسراب قاذفات القنابل الثقيلة التى اشتركت فى الغارات الشديدة على لندن ، فقد صاروا يعلمون الشىء الكثير عن أهداف إنجلترا ومراكز دفاعها والأساليب التى يجرى عليها السلاح الجوى البريطانى فى القتال ، حتى عهد إليهم فى تدريب بقية قادة الأسراب وتوجيههم . وقد أثبتوا براعتهم فى عملهم

كانت هذه إحدى حفلاتهم الأسبوعية ، وكانت المائدة حافلة بالزجاجات ، وقد علت ضجتهم حتى إنه لم يتنبه منهم أحد للباب يفتح فى هدوء أو ير الضابط البريطانى المسلح ببندقية سريعة إلا وهو واقف أمامهم . ضابط واحد من هؤلاء الستة هو الذى تهيأ له أن يقذف كلمة سباب قبل أن تصب البندقية نيرانها . وبعد لحظة دخل الغرفة إنجليزى آخر وفتش بمهارة جيوب كل رجل من القتلى النازيين ، وبعد عشرين ثانية من فتح الباب أول مرة أغلق ثانية فى هدوء كما فتح .

* * *

ويعد (الماجور) هذه الإغارة من أدق ما دبّر ، ويتخذها مثلا فى دروسه التى التى يلقيها على فرقة ضرب النار . وهو أعظم معلمى الكوماندو مهارة ، وقد تخصص فى الأمور المعقدة أبلغ تعقيد ، وكل طلبته من الذين أتموا منهج الدراسة العادىّ لعامة رجال الكوماندو . وهو حين ما يلقى دروسه يجعل إلى جانبه مائدة عليها كل ما يتصوّر من أدوات القتل : من بندقية سريعة إلى خنجر قذف رشيق .

و (الماجور) رجل قصير بدين أحمر الوجه ودود ، ذو ابتسامة سهلة وضحكة تأسر القلوب ، يلبس نظارة إطارها من الذبْل (الباغة) تعتمد غير آمنة على أنف أفطس شيئاً ما ؛ وإذا أجهدته الحماسة تشقق

صوته . ولكن الظواهر خدّاعة ...

يقول الماجور لطلبته : —

«هذه هى مدرسة القتل ، فإن القتل هو صناعتى . وليس هو إطلاق الرصاص كيفما اتفق فى ميدان القتال ، وإنما هو القتل العمد ، وإنه لفنٌّ عليكم أن تتعلموه وتتمرنوا عليه وتتقنوه .

إن أوساط الرجال من الإنجليز والأمريكان تبرّح بهم لواعج الندم ، ولكن عليكم أن تتغلبوا على هذا الشعور وإلا ثبطكم عن العمل فى اللحظة الحرجة ، وعرّضكم أنتم للموت . إن قتل ألمانى كقتل ذبابة . اذكروا ذلك أبداً ، فإذا ما قتلتم بضعة من الألمان نمتم نوم الأطفال حتى بعد أفظع المذابح . ويجب أن لا تهتموا إلا بأمرين فقط : أداء المهمة والهرب » . ثم يصمت الماجور هنيهة حتى يستقر ما قاله فى أذهانهم ثم يعود فيقول : « هناك طرق معينة للقيام بهذا العمل ، فمثلا فى حالة الطيارين الألمان الستة . . . » ثم يبدأ فى الشرح بالتفصيل .

كانت الإغارة قد أعدت بذلك الاهتمام البالغ بالتفاصيل ، الذى يصر عليه الماجور دائماً . فقد اكتشف رجال البوليس السرى البريطانى أن هؤلاء الرجال خاصة خطر على إنجلترا ، فدرس الجواسيس بعناية عادات هؤلاء النازيين وعرفوا كل شىء عن حفلهم الأسبوعى ، بل لقد أرسلوا إلى لندن رسماً للغرفة الخاصة . فنزل القتلة من غواصة وهم يعرفون بالضبط إلى أين يقصدون ، ولم يضطروا إلى أن يقطعوا سيرهم مرة واحدة حتى بلغوا باب الغرفة .

ثم يقول الماجور :

« إذا فتحتم باباً فلا تدفعوه بأقدامكم كما يفعلون فى السينما ، فإن الضجة تدفع الناس إلى الوقوف منزعجين حذرين ، بل افتحوه فى هدوء كما يفعل النُّدُل (الجرسون). وعندئذ تأتى اللحظة التى لا محيص عنها ، وهى اللحظة الفاصلة بين موتكم وحياتكم ، تقتضيكم أن تجيلوا البصر فيما حولكم فتقرروا ما تصنعونه بعدئذ . لا تضيعوها فى مواقف مسرحية . لا تلبوا أى إغراء يدفعكم إلى أن تقولوا « مساء الخير أيها السادة » . قد يبدو أى شىء سخيف كهذا رائعاً فى القصص ، وقد يكون شيمة بريطانية خالصة ، ولكنه لن يجدى عليكم إلا نشر نعيكم . كلمة ما تصدر منكم تقطع ذهول المفاجأة .

« أما ما تفعلونه بعد ذلك فخاضع لقواعد معينة . والضابط البريطانى الذى أطلق الرصاص كان ملماً بهذه القواعد كل الإلمام ، فقد كان بالغرفة هؤلاء الستة النازيون كما كان متوقعاً ، فجمد ثلاثة منهم فى أماكنهم

وأخذ اثنان آخران يهويان إلى الأرض ، وبدأ واحد يسبّ . »

واستمر الماجور قائلا : «فماذا فعل الضابط؟ أولا : قتل النازى الذى أخذ يسبّ ، إذ كان من البين أنه أسرعهم تفكيراً وأشدهم خطراً. ثم جاء دور اللذين بدا أنه قد أغمى عليهما ، إذ ربما كانا يحاولان مدّ أيديهما إلى أسلحتهما ، وعلى كل حال فقد كانا يتحركان . وعليكم أن تطلقوا الرصاص أولا على أى شيء يتحرك . وأخيراً جاء دور الثلاثة الذين جمدوا فى أماكنهم ، إذ حين يجمد الإنسان هكذا فإنه يفقد أكثر وعيه ، ويمكن إغفاله ثانية واحدة فحسب » .

ثم ختم الماجور كلامه قائلا :

« لقد كان عملا محكما ، استخدم القاتل رصاصتين فحسب لكل رجل ، ١٢ رصاصة فى ست ثوان بالضبط ، وقد واتاهم ولا ريب حسن الحظ أيضاً ، فقد يفسد الخطة نباح كلب أو صرير باب . ولكن فى وسعكم أن تكونوا على أهبة لمثل هذه الأشياء » .

ثم أخذ يوضح بالطباشير على السبورة ماذا كان على القاتلين أن يفعلا إذا ما صعد شخص ما الدرج ، أو إذا ما حدث شيء ما من أشياء أخرى كثيرة . ولم ينته من الشرح إلا بعد أن حلل كل ما كان يمكن تصور وقوعه من الحوادث .

وبعد أن تستقر نظريات الماجور فى أذهان تلاميذه ينتقلون إلى العمل فى « بيت التنفيذ » ، وهو بناء فيه غرف وردهات ودرج متنوعة الشكل مختلفة الاتساع . وفيه دمى خشبية تحركها أسلاك كهربائية جمعت فى لوحة رئيسية واحدة ، فهى تجلس إلى الموائد ، وتنام على الأسرة ، أو تربض فى الدهاليز ، ويمكن تحريكها بحيث تقفز ، أو تمشى ، أو تجرى ، أو تدور .

ويدخل التلميذ وبيده بندقيته السريعة ، والماجور فى أثره . وإذا شبح يهجم عليه فى ممر مظلم ، وثان يطل عليه من أعلى السلم ، وثالث يثب إليه من دهليز . وفى كل غرفة من الغرف ، وبعضها مظلم وبعضها معتم وبعضها يسطع نوره ، تختلف حركات الدمى الأخرى . وعلى الطالب أن يتعلم إطلاق الرصاص من تحت الموائد ومن وراء السرر ومن أعلى السلم وأسفله ، ومن كل زاوية ، ومن كل موقف — وأكثر هذه المواقف غير مريح .

وكم يود الماجور لو أنه استطاع أن يبتكر دمية تموت موتاً صادقاً ! ويقول : « على التلاميذ أن يألفوا بشاعة القتل ،

فالإنسان يموت عادة موتاً أبطأ مما يتصور. فتراه يبتسم ابتسامة حمقاء حين يصيبه الرصاص، وتدور مقلتاه حتى لا يُرى إلا بياضهما، ويخر إلى الأرض وقد انبعثت من حنجرته حشرجة يصعب احتمالها في بادئ الأمر».

والجولات القليلة الأولى في ذلك البيت الذي يمثل الواقع المخيف خير تمثيل، تكاد تفعل في تحطيم أعصاب التلميذ ما تفعله الغارة الحقيقية، ولكن التلميذ يتعلم شيئاً فشيئاً معالجة كل موقف في مثل لمح البصر بأقل مقدار من الذخيرة. وعلى التلميذ في الاختبار النهائي أن يواجه وحده، في دقائق معدودة، سلسلة من أعقد المواقف التي يستطيع الماجور أن يبتدعها. وعليه أن يصيب برصاصة واحدة أو باثنتين على الأكثر مقتلا من كل دمية يقع بصره عليها.

ويستبعد بلا إبطاء كل رجل يتضح أن بنيته لا تجعله قادراً على هذا العمل. وقد وجد الماجور أن خير التلاميذ هم البريطانيون والأمريكيون، أما أهل القارة من الأوربيين الذين قتلت أسرهم بوحشية فإنهم يضمرون مقتاً شديداً للأعداء، ولكن المقت وحده لا يكفي — كما يقول الماجور — في إتقانهم الرماية. وهو يقول:

« إن طلبتي هو الرجل الدقيق الرابط الجأش كرجل العصابات الأمريكية.

وقد ذاع صيت الماجور منذ أمد بعيد بأنه إخصائي في الأسلحة الصغيرة، وقام بتعليم ضباط القسم الخاص «باسكتلنديارد» الأسلوب الفني في سحب المسدس من الجيب الخلفي وإطلاقه بسرعة. ولكنه يقول إنه لم يعرف شيئاً حق المعرفة إلا بعد ذهابه إلى أمريكا، وكان إدجار هوفر ينظم حربه الجريئة التي شنها على العصابات في أمريكا، فاستدعى الماجور إذ كان، فيما رأى، أكفأ خبير بالأسلحة الصغيرة. وقضى الماجور تسع سنوات مع بوليس نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو فأدرك أن لدى رجل العصابات — من الوجهة العسكرية البحت — أساليبَ خليق به أن يتعلمها، ولهذا استطلع رأى رجل العصابات جوني توريو عن ميزات البندقية المنشورة، وبحث مع زميله ريون أوبانيون عن الوسائل التي يتخذها رجاله لحراسته. وتعلم من عصابة توهى طرق خطف الأشخاص، ودرس، علاوة على هذا، الأساليب الفنية لسرقات البنوك الكبيرة المنظمة والمخازن وقطارات السكك الحديدية وسيارات النقل. فكلما تعمق في الدرس زاد إيمانه بأن أساليب رجال العصابات قد تكون ذوات نفع كبير في الحروب.

فلما سقطت دنكرك وشرع في تكوين

فرقة الكوماندو ، أصبحت لأفكار الماجور مكانتها المعترف بها . وسرعان ما تبين اللورد مونتباتن ورجاله أنهم لو اتبعوا قواعد الماجور لكانت خسارتهم أقل بكثير . وتشمل هذه القواعد كل التفاصيل من تحريم ساعات اليد المضيئة ، إلى خير الأساليب فى صعود درج له صرير . (ضع قدمك قريباً من الجدار ما استطعت ، فإذا فعلت لم يصر الدرج) .

ولكن الماجور يصر على ضرورة إتقان الرماية قبل كل شيء ، إذ أن معظم الإنجليز على أنهم مهرة فى إطلاق البندقية ، إلا أنهم يكرهون المسدس ولا يأمنونه . فلا يلبث الأوساط من تلاميذ الماجور بضعة أسابيع فى التمرين حتى يتقنوا سحب المسدس فى مثل لمحة البرق وإطلاق النار بيد واحدة أو بهما معاً ، ويصيبوا ورقة اللعب بست رصاصات على بعد ٢٠ قدماً .

وإذا جاء ذكر البندقية السريعة انطلق يتغنى بالثناء عليها : « إنك لا تطلق هـذه البندقية بل أنت تعزف عليها . ولذلك فإنها تسمى « بيانو شيكاغو » ، وعليك أن تلتزم الإيقاع الموزون » . وهو يبين هذا بإصابة ستة أهداف على مسافات مختلفة برصاصتين فحسب لكل هدف ، وكل ذلك فى جـولة واحدة من نيرانها المنبعثة .

وكذلك اسلوبه فى استعمال المدية أسلوب رجل فنان . إنه لا يحب الضرب بالمدية ويعده عملا ساذجاً لا يعتمد عليه ـــ هذا على أنه عمل بغيض . ولكن هنـاك ساعات تقتضى التخلص من أحد الحراس فى سكون فيقول : «عندئذ لا تغمدها أو تطعنه بهاعدة طعنات ، بل يجب أن تصرعه بها » . ثم يبين بعدة هجمات رشيقة كحركات الأفعى ـــ كيف يمكن قطع الشرايين برفق من خلف ومن جنب ومن أمام إذا اقتضى الأمر .

ويتمرن طلبة الماجور على إطلاق البنادق الألمانية أيضاً ، « فإنك لا تدرى متى تقع فى يدك بندقية منها» . وقد حدث مرة أن جماعة من الكوماندو فقدت أكثر أسلحتها حين قلبت زورقها المطاط موجة طاغية ، ولكنهم وصـلوا إلى البر حيث قادتهم المصادفة إلى مخزن السلاح فى مركز دورية ألمانية فأخذوا منه ما أرادوا . ولكنهم كانوا يجهلون تركيب هذه الأسلحة ولذلك لم تكن رمايتهم محكمة فى تلك الليلة تمام الإحكام . وكان هذا درساً للماجور فانتفع به . وقد جرب الماجور نفسه معظم أساليبه فى حملات على أراضى العدو التى وصل إليها بالغواصة أو بالمظلة الواقية . وفى كل مرة يزور الماجور أرض الأعداء يفقد النازى بعض رجال الحرب . هذا على أنه لم يمسه خدش ما ، وإنه ليفتخر بسلامته ويعدها برهاناً صادقاً على صحة مبادئه .

ما حدث في كوخ بألاسكا

عملية على غير استعداد

الدكتور فردريك لوميس

ملخصة عن كتاب « الصلاة بيننا »

كنت أريد دائماً أن أكون طبيباً ولكنني اضطررت بعد قضاء السنة الأولى بمدرسة الطب أن أنقطع عن الدراسة وأعمل لكسب القوت . وكان في نيتي أن أنقطع سنة ، ولكن السنة استطالت إلى سنتين فثلاث فخمس ، وأخيراً انتهى بي المطاف إلى ألاسكا حيث اشتغلت سنة بعد أخرى ناقباً بأحد مناجم الذهب .

وذات ليلة عصفت ريحها هوجاء عاتية رسا مركب شراعي حطمته العاصفة في الحوض عند أسفل الكوخ الذي أسكنه ، ووقف ببابي رجلان كليلان أشعثان وطلبا المأوى ، وكانت الكآبة تبدو عليهما كأنهما آخر من بقي في الأسر بغير فداء . ولكني أعددت لهما شيئاً من الطعام وهيأت لفراشهما مكاناً على أرض الكوخ — إذ لم يكن لدي مكان سواه — فلما جلسنا ندخن أخرج أجفى الرجلين منظراً ساعته . ولشد ما كانت دهشتي حين رأيت المفتاح الذهبي ، وهو شعار جمعية من جمعيات الامتياز في معاهد التعليم العالي ، يتألق من علاقة الجلد التي علق فيها فعجبت أين عثر عليه هذا الشريد ؟ على أنه لم يلبث أن قال : « لقد منحتني إياه جامعة هارفارد كما منحتني درجة أو درجتين علميتين . أما هذا الرجل الغليظ الجافي — وأشار إلى زميله — فليس إلا دكتوراً في الفلسفة من جامعة ييل ، ولا يرجى منه كبير شيء فما هو إلا أستاذ للغة اليونانية وحسب » .

لقد ظللت أعمل في جوف المنجم طول اليوم ، وكنت أرتدي كساء بالياً وقد نبت شعر لحيتي ، وتملكتني رغبة جامحة لم أستطع لها كبحاً أن أدهشهما أنا أيضاً . فأخذت أتلو باليونانية في وقار السطور الأولى من الأوديسيا فكان لذلك من الأثر ما كنت أرجو ، فاستغرقنا في الضحك وأدنينا مقاعدنا من المدفأة ، وأمضينا الليل على خير ما يكون . فلما سألاني منذ متى تركت المدرسة اعتراني الخجل وأنا أقول : « عشر سنين » وألفيتني لم أظفر خلالها إلا بالقليل القليل .

وكانا — كما استبنت بعد — ينشدان الراحة من أعمال الكلية ومشاكلها بالتطواف على محاذاة الشاطىء ، ينامان فى قاربهما ولا يكادان يريان من الناس أحداً . وكانا مشغوفين بإجازتهما ولكن حماستهما للأبحاث العلمية والحياة الجامعية ، التى سرهما أن يخلفاها وراءهما أسابيع قليلة ، كانت تعدى بحميّاها كل من يراهما أو يحدثهما .

وفى اليوم التالى أريتهما المنجم . وفى ذلك المساء بعد ما فرغنا من العشاء جلسنا نتحدث مرة أخرى ، وكنت أتحرق شوقاً إلى الحديث ليفتحا لى من جديد ذلك العالم الذى خلفته ورائى . وما إن هدأنا فى مجلسنا حتى سمعنا قرعاً على الباب ، وإذا الباب ينفتح ، وإذا رجل غريب أغبر يرتمى إعياءاً على أقدامنا .

وقد ذهلت لمنظره وخاصة عينيه إذ كان يجهد أن يقيهما ضوء المصباح ، وقص قصته فى عبارات متقطعة : كان ينقب عن الذهب متوحّداً فى الجانب الآخر من شبه الجزيرة فانفجرت فى وجهه اثنتا عشرة كبسولة من النحاس ، فأصيبت عيناه وكاد يعمى . وقد قطع اثنى عشر ميلا يتقاذفه الألم إلى كوخى ، وهو يزحف على يديه ورجليه متخطياً جبالا كستها الثلوج ، فقد ترامى إليه أن فى هذا الكوخ طبيباً .

واضطررت على مضض أن أخبره أنى لست طبيباً ، فاربدّ وجهه خيبة وحسرة ، وتخاذلت نفسى حين فكرت فى عجزى وقلة حيلتى ، ثم تذكرت أن فى جعبة الأدوية التى استعملها ، والتى طالما قصدنى من أجلها رجال المخيم ، زجاجة بها بضع بلورات من الكوكايين ، كانت موزونة بدقة حتى إذا ما ملئت الزجاجة ماء صارت محاولا على جانب من القوة تصلح للتخدير الموضعى .

« ألا تستطيع أن تصنع لى شيئاً ؟ » قالها متوسلا ثم أضاف : « الناس يقولون ... » .

ساءلت نفسى هل يسعنى أن أصنع شيئاً ؟ وطلبت إلى الرجلين أن يريحاه على قدر المستطاع ، وأسرعت أنا لأغلى الماء . وملأت زجاجة الكوكايين بعناية ، وقطرت المحلول فى عينى الرجل بقطارة من قطارات أقلام الحبر .

وكان ضيفاى من هارڤارد وييل يحوّمان فى أقصى الكوخ وقد نسيتهما . ونظرت إلى يدىّ المتصلبتين خشية ورعباً ، على أنى لم أطق الانتظار وأنا أنظر إليهما لأرى ماذا تستطيعان . قد يمضى أسبوع قبل أن يمكن نقل الرجل المصاب فى مركب البريد ليقطع به أربعين ميلا فى بحر هائج

إلى طبيب يعالجه . كان خطر الانتظار أشد من خطر المحاولة .

وقضيت ساعة أستخرج بأصابع غير ممرّنة ، إلا أنها متلهفة ، قطع النحاس من عينه بطرف مبراة عقمتها فى اللهب ، مستعيناً بنظارة مكبرة كنت أستخدمها فى فحص الصخور . وكان ضيفاى يراقبان ما يجرى مشدوهين دون أن ينبسا ببنت شفة ، ولكنى كنت أحس إحساساً غامضاً أنهما حفظا النار تتقد والماء يغلى ، حتى أجد ما قد أحتاج إليه من الماء المعقم . وأخيراً ضمدت عينيه بضمادات مبللة بالبوريك ، ثم هيأنا له فراشاً آخر على الأرض .

وتناوبنا ثلاثة أيام على إبقاء الضمادات ندية ، ثم رفعنا عن عينيه الضمادات فوجدنا أن الطبيعة قد أعانتنى كما أعانتنى عشرات الآلاف من المرات فيما بعد . فلم يكن ثمة تلوث ، ولم تكن قطع النحاس قد اخترقت غشاء العين إلى غور بعيد ، ولم تبق منها بعد قطعة واحدة . وهزنى نجاح عمليتى الجراحية الأولى هزة شديدة جعلتنى أرجع الفكر إلى السنين المضيعة ، وإلى الأمل المؤخر المدخر : أن أستطيع يوماً أن أعرف كيف أجرى مثل هذه العمليات ، وأن يكون لى حق إجرائها . وأخذ الرجل إحدى الصحف يقرؤها ، فلما التفت إلىّ قال وفى صوته غصة من التأثر : « لقد رددت علىّ بصرى يا دكتور » ، فتركت له الغرفة أسعى مهرولا .

وفى اليوم التالى كان ضيوفى ثلاثتهم على أهبة الرحيل ، ولقد رأيت الرجلين ، بعد أن فرغا من شحن مركبهما بالمؤن لرحلتهما الطويلة إلى موطنهما يتحدثان ، باهتمام ثم عادا إلى كوخى .

قال رجل بيل : « لقد كنا نقول عنك ما تكره يا صاحبى ، لقد آويتنا وبذلت كل ما وسعك من أجلنا ، وإنا لنقدر لك ذلك حق قدره . قد رأيناك تنسى كل حىّ سواكما وأنت تستخرج قطع النحاس من عينى ذلك الرجل ، وقد رأيناك إذ ذاك تستحيل شخصاً آخر . والآن سأكلمك فى كياسة كما يكلم الكريم الكريم : ماذا بك يا هذا ؟ ألم يبق لديك من قوة البأس إلا أن تقضى هنا البقية الباقية من حياتك تطرق الصخور ؟ أم لست إلا أحد أولئك الخاسرين الذين خسروا أنفسهم فهم قانطون لا يبالون ؟ » .

وذهبوا جميعاً ، ولكن شفاء الرجل المصاب وانفجار عاطفة رجل بيل أخذا يزيلان عن عقلى غشاوة الرغبات الباطلة الفجة والجهود المضللة التى سدت عليه منافذ التفكير السليم أمداً طويلا . ألفيت نفسى

آلة كانسان ، ورأيت عقلي يذبل ويضمحل من طول إهمالي له ، وما ذلك إلا لما حرمته من إرادة تكفل لي تحقيق مطامعي وآمالي.

وكان عليّ أن أقوم بعمل حاسم لأخلص من هذه الحمأة التي غرقت فيها ، فتركت عملي وذهبت إلى مقر الناحية التجاري ، وهو يبعد خمسين ميلا ، ثم إلى مكتب صحيفة التعدين اليومية أريد نشر إعلان بها .

قال لي الطابع : « لن تصدر الصحيفة يا سيد : إن المحرر مريض وهذا يلحق ضرراً بعملي أنا أيضاً » .

لقد كنت يوماً ما أحد المحررين في صحيفة جامعتي ، فذكرت للرجل أن في وسعي أن أخرج صحيفته . ولم تمض نصف ساعة حتى كنت منهمكا في عملي الجديد ، ولم ألبث طويلا حتى صرت أمسك حسابات شركة النور الكهربائي، وأكتب على الآلة لمفتش الناحية ، وأعمل أعمالا أخرى كثيرة تقتضيها حاجات بلاد التعدين وجماعاتها .

وفي مدى سنة واحدة ألفيتني في مشيجن ثانية لأبدأ سنتي الثانية في دراسة الطب . ومرّت أربع سنوات كان العمل فيها أشق من العمل اليدوي المضني في المناجم ، ولكن على الرغم من أني كنت أعمل لأكسب جزءاً من مصاريف معيشتي، فإن درجاتي في الدراسة كانت خيراً منها في سنوات الصبا التي خلت من الهموم .

واليوم تجد فوق المدفأة في منزلي حامل شمع جميل مصنوع باليد ، طرقه الرجل الذي استخرجت له النحاس من عينيه ، على سندان يوم ارتحاله عني . وأنا أعتز بهذا الحامل وأقدره دائماً إذ كنت أدين لصانعه بأكثر مما قد يدين به لي . فقد فتحت للنور عيناه لا عيناي وإني لأحتفظ به حيث أستطيع أن أراه . فأذكر في خشوع وخضوع تصاريف القدر الغريب التي هدت رجلين : أحدهما إلى كوخي بألاسكا والآخر إلى إتمام دراسته بالجامعة .

- الغنى في الغربة وطن
- والفقر في الوطن غربة
- فقد الأحبـــة غربة

P لا تستح من إعطاء القليل ، فإن الحرمان أقل منه

P من الخرق المعاجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة [علي بن أبي طالب]

أستاذ المخادعين

ولـيم س . هوايت
مؤلف هؤلاء الروس

ملخصة عن مجلة « نورث أميريكان »

هذه فى الواقع قصة الجنرال ياباونسكى ، ذلك الشيخ الهرم الذى يجلس كل ليلة فى ركن أحد المقاهى الروسية بإحدى العواصم الأوربية ، وقد رصع صدره بصفوف من (المداليات) تلفت إليه الأنظار . وهذا الجنرال هو مثال المهاجر الروسى : فقير معدم ، لا يعيش إلا فى مجد أعراقه المدفونة فى ثرى ماضيه .

فإذا تيسر له من (الفودكا) قدر غير محدود ، فربما روى قصة الكابتن تاناما التالية :

« رجل واحد هو المسئول عن الثورة الروسية » ، هذا هو دأبه حين يبدأ قصته : « رجل واحد ، رجل يابانى ، هو الكابتن تاناما . فلولا هذا النذل لكان اليوم على عرش روسيا المقدسة قيصر من القياصرة . لقد هزمنا اليابانيون فى سنة ١٩٠٥ ، فأعقبت تلك الهزيمة الثورة فى روسيا ، وما كان اليابانيون لينتصروا يومئذ لولا ذلك الخائن — تاناما . ألم تسمع به من قبل ؟ » .

ولم أكن قد سمعت به .

وهذه هى القصة التى يرويها الجنرال الهرم ، الذى كان أحد رجال قلم المخابرات السرية القيصرية :

«جاء الكابتن تاناما سان بطرسبرج أول ما جاء ملحقاً عسكرياً للسفارة اليابانية فى سنة ١٩٠١ . وكان على ما أظن من سلالة خاصة ، إذ لم يكن طوله كطول قومه ، بل كان نحو ست أقدام ، وكان وجهه برنزياً دميما كأنه قناع الشياطين عند أهل التبت . نعم ، كان دميما ولكنه كان يبدو مهيباً رائعاً فى بزته العسكرية ، فكان يفتن النساء .

« فى تلك الأيام كنت ملازماً مساعداً لرئيس قسم المخابرات السرية العسكرية . وكان طبيعياً أن يثير تاناما اهتمامنا ، فقد كان ملحقاً عسكرياً أجنبياً — وهو تعبير مهذب عن لفظة « جاسوس » . وهو يمت إلى أسرة من أعرق الأسر فى بلاده ، وكان أبوه من أصدق مستشارى الميكادو وألصقهم به . فاجتمع لتاناما من عراقة المحتد وطول الإقامة فى الخارج ما أفاض

عليه كياسة ، ومهابة ، ورقة كفيلة بأن تبرره فى أى مجتمع من المجتمعات .

« والواقع أننا كنا نوليه اهتماماً أكثر من القدر العادى ، إذ كنا ندرك أن نشوب الحرب بيننا وبين اليابان فى الشرق الأقصى ، إن هى إلا مسألة وقت لا أكثر ولا أقل . يضاف إلى ذلك أننا كنا نتلقى من جواسيسنا فى طوكيو معلومات تفيد أن وزارة الحرب اليابانية كانت لا تفتأ تحصل على أسرارنا العسكرية . فلا شك أن تاناما يستطيع أن يهدينا إلى مكان الثغرة التى تتسرب منها تلك الأنباء .

« وكان له أسلوبه فى اتخاذ الأصدقاء من الضباط والممثلات والموظفين — على السواء . وليس بين اتخاذ الأصدقاء ، واستغلال الأصدقاء خطوة واسعة . وقد كان تاناما غنياً واسع الغنى ، ومقامراً مدمناً يخسر دائماً ، ويبتسم لخسارته دائماً ، مع أنه كان يدفع فيما يخسره مبالغ يصعب معها الابتسام . حتى إن ضابطين من زملائى ابتاعا حليا من الماس لخليلتيهما مما كسباه من الكابتن اليابانى .

« وقد وضعناه تحت المراقبة الشديدة مدى عام ولكن دون جدوى . وكنا نراقب كل ضابط روسى يصادقه ، ولكننا لم نجد ما يريب . وكان تاناما يختلط بعدد من الفتيات ، ولكنها لم تكن إلا صلات من النوع المألوف ، وكنا نعلم ذلك علم اليقين ، فقد كنّ من أجيراتنا . ومع ذلك فقد كانت تقارير جواسيسنا فى طوكيو تدل على أن الثغرة لم تزل باقية ، فإن يكن قد طرأ عليها شىء ، فهو أنها تزداد اتساعاً .

« لم يبق سوى شىء واحد نستطيع أن نفعله هو أن نخرج تاناما من البلاد راجين أن يخلفه من لا يدانيه براعة ، ولا ظرفاً ، ولا قدرة . فرسمنا خطة لنهدد تاناما بالفضيحة ، آملين أن يختار بين الرحيل والانتحار ، وكلاهما عندنا سواء ما دمنا نستطيع بذلك أن نتخلص منه .

« وكان من السهل إيقاعه فى الفخ . إذ كان وثيق الصداقة بممثلة تدعى « إلينسكايا » فذهبنا إليها وأخبرناها بما نريد ، ولكننا اضطررنا إلى تهديدها حتى حملناها على أن تعد بمساعدتنا . وأعتقد أنها كانت تحب ذلك النذل حباً صادقاً ، ولكنها وعدت بالمساعدة آخر الأمر .

«وذهبت ذات ليلة إلى الكابتن تاناما وقالت له إنه لا مناص من أن يتزوجها لساعته . فرفض بأسلوب الرجل المهذب طبعاً — مبيناً لها أن الضابط اليابانى إذا تزوج غير يابانية وجب عليه أن يتنحى عن خدمة وطنه . وأضاف إلى ذلك ، وكأنه

يستدرك ، أن له زوجة في اليابان . وعرض على إلينسكايا مالا فرفضت أن تمسه مصرة على أنه : إما الزواج وإما التشهير . ثم قالت : « تستطيع أن تفكر في الأمر حتى مساء غد . وسأحضر عندئذ لأتلقى الجواب » .

« وفي اليوم التالي دق تليفوني . وإذا الكابتن يطلب أن يراني حالا على انفراد ، « لأمر عاجل جداً » .

«ذهبت إلى مسكنه، ويجب أن أعترف بأنه كان صريحاً إذ قال في أسلوب صريح : ألا تعلم بحكاية إلينسكايا هذه ؟

«وإذ لم أستطع أن أتقي صراحته بمثلها ، قلت إنني لا أعلم .

«فشرح لي الموقف شرحاً موجزاً ، ثم قال : ألا تدرك ما الخسيرة التي بقيت لي إذا هي نفذت وعيدها ؟ لا تظن أنني جبان ، فلست أخاف العار ، أو الانتحار ، ولكن أسرتي عريقة شديدة الكبرياء . وأبي ، وهو عضو في مجلس الإمبراطور الاستشاري ، شيخ هرم ، وأنا أكره أن يعلم بعاري في ختام حياته ، لأنه سيرى من واجبه أن يتبعني في ميتتي الشائنة . وكذلك عمي . إنكم لا تعرفوننا نحن اليابانيين .

« ثم حملق في وجهي فجأة وسألني قائلا : « سيدي الكابتن . إنك تستطيع مساعدتي إذا أردت . فما هي شروطك ؟ » .

وكانت نفسي تجيش فرحاً لانتصارنا بمثل هذه السهولة ، ولكني أجبته متظاهراً بالتردد : « لست واثقاً بأنني أستطيع مساعدتك ، ولكن ينبغي على كل حال أن تغادر روسيا » .

— « بكل تأكيد ، ثم ماذا ؟ »

«وبلغ اهتزازي لما يدل عليه هذا السؤال مبلغاً جعلني عاجزاً عن التفكير الواضح ، ولكني استطعت أن أقول له : « يجب أن أتحدث إلى رؤسائي في ذلك » .

« وعدت إلى مكتبي وأخبرت زملائي بالمحادثة والشروط ، فتهتهوا هازئين من أن ضابطاً يابانياً ، بل ضابطاً يابانياً عريق الحسب ، يعرض معونته على قلم المخابرات السرية لعدو لا تنسى عداوته ، في سبيل الخلاص من ورطة وقع فيها مع ممثلة عادية . وقال رئيسي الماجور أوبلوموف : « إنه يبخس قدر ذكائنا . والظاهر أن اليابان في حاجة ماسة إلى إمدادنا بمعلومات كاذبة ، ولكن من العار أن لا نجاريه في مضماره . فلنطلب منه أن يزودنا بنسخ من الخطط الخاصة بحركات الجنود حول بورت أرثر ومنشوريا الجنوبية . ومن الطريف أن نعلم بالضبط ماذا تريد وزارة الحرب اليابانية أن تعد لنا من خطط ، حتى نكون على ثقة من أنهم سينفذون عكسها تماماً » .

«وكانت هذه فكرة مغرية ، ناقشناها ثم قررنا أن نلاعب تاناما فى مضماره . فغادر سان بطرسبرج فى اليوم التالى . وكان ذلك فى أواخر صيف ١٩٠٢ ، وكنا مشغولين بالاستعداد للحرب التى كانت تبدو يومئـذ حتما مقضيا . ونسينا تاناما حتى كان أحـد الأيام فى شهر ديسمبر سنة ١٩٠٣ ، إذ تلقينا طرداً فى الحقيبة الدبلوماسية المرسلة من ملحقنا الحربى فى طوكيو ، وكان ينطوى على خطط مفصلة أدق تفصيل ، عن الحركات اليابانية حول بورت أرثر ، مبينة أماكن إنزال الجنود إلى البر ، وكيفيـة توزيعهم ، وأهداف كل حركة ينتظر أن يقوموا بها .

«فحصنا الخطط فحصاً دقيقاً ، فوجدناها تنطوى على أشـياء جديدة من ناحيـة فن الحركات العسكرية المعدة أثارت دهشتنا ، وكان كل شىء مجهزاً بعناية فائقـة . فقال الماجور أبلوموف :

— إن اليابانيين حريصون على الإتقان حتى فى مثل هذه الأعمال الفنية الزائفة .

فقال أحد الضباط :

— لعلها صحيحة غير زائفة .

— «كلام فارغ . إنهم بالطبع خليقون أن يحيطوا حيلة كهذه بأعظم مظاهر الصحة والصدق» . وكان هذا هو الرأى السائد . فوضعت الخطط بين المحفوظات ونسيت .

«وبعد ستة أشهر فى صيف سنة ١٩٠٣ وصلت مجموعة أخرى من الخطط بالطريقة نفسها ، وبالتفاصيل نفسها ، وبالدقة نفسها . وكانت هذه الخطط خاصة بحركات الهجوم المدبر على جنوبى شبه جزيرة منشوريا بوجه عام ، مسددة إلى مقدن . وكانت العناية التى أعدت بها الخطط مدعاة لزيادة عدد المتشككين فى صحتها من رجالنا . فقال اثنان أو ثلاثة من الضباط إن من واجبنا أن نقدر احتمال صحة هـذه الخطط ، فندرسها درساً محكما ونعيـد النظر فى مشروعات للهجوم المضاد على هدى هذه الدراسة . ولـكن مثل هذا العمل كان خليقاً أن يقتضى إعادة النظر فى خططنا الدفاعية كلها ، فاستقر الرأى أخيراً على طرح هذه الخطط كذلك جانباً ووضعها بين المحفوظات .

«وفى أواخر ديسمبر من العام نفسه وصلت مجموعة ثالثة من الخطط للهجوم على طول نهر يالو . ولم تكن ثم فرصة للمناقشة المألوفة هذه المرة . وبعد يوم أو يومين من وصول هذه الرسالة جاءت أنباء مروعة من طوكيو ، أنباء لاتكاد تصدق ، ولـكن ملحقنا الحربى هناك أيدها تأييداً تاماً ، وفحواها : أن تاناما ضـبط وهو يسرق خططاً من وزارة الحربية وأعدم على أنه جاسوس .

«وقد كدنا نهزأ بالنبأ أوّل الأمر ونعده حيلة أخرى من حيــل اليابانيين ، ولكن كل مصدر لدينا من مصادر الأنباء قطع لنا بأنها حقيقة لا ريب فيها . وقضى على بقيــة الشك التي عسى أن تكون قد بقيت حــين نقلت صحف العالم بعد ذلك بأيام قلائل نبأ يقول إن والد الأمــير تاناما عضو المجلس الاستشارى الأمبراطورى انتحر حين سمع بميتة العار التى مات عليها ولده .

«وإذن فى محفوظاتنا ثلاث مجموعات من الخطط الحربية اليابانية !

« فعدنا إليها نراجعها أسرع مراجعة ، ونعمل ليل نهار لكى نصحح خططنا نحن ، ولكى نستفيد من أوامر التعبئة هذه . ثم شبت الحرب فى فبراير سنة ١٩٠٤ ، وهى الحرب التى تمخضت فيما بعــــد عن ثورة سنة ١٩٠٥ ، ثم عن ثورة سنة ١٩١٧

«فى شهر أبريل تراجعنا إلى مراكزنا فى تشيولينشنج على نهر يالو . وكانت هذه الموقعة ، فى ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٤ ، من أهم المواقع الحربيــة فى تاريخ العــالم . فهناك ، للمرة الأولى فى التاريخ الحديث هزم جيش من الجنس الأصــفر جيشاً من الجنس الأبيض . تصور حال اليابانيين فى الشرق الأقصى وكــيف يفعلون هنالك اليوم ما يشاءون ، ثم اذكر موقعــة يالو ، منــذ ثلاثين عاماً على التقريب .

« لقد كانت لدينا خطط اليابانيين هناك ، ولكن ، حينما وجهنا فرقة لملاقاة اليابانيين وجدنا فى انتظارها فرقتين يابانيتين . وحينما وضعنا (بطارية) من المدفعية وجدنا اثنتين يابانيتين . وانتهت المعركة بأن ولى جيشنا الأدبار ، وحطمت مؤخرته تحطيما تاماً لأن جنــاحه الأيسر ضل طريقه وهو يتقهقر . فلماذا أخطأنا الوجهة التى كان علينا أن نولى شطرها ؟ ذلك ما كنت أعرفه يومئذ ، كما تعرفه روح الــكابتن تاناما ، إذا كان حقيقة قد رمى بالرصاص .

«ولكن الوقت لم يكن ليتسع لإعادة النظر فى خططنا العامة ، فقد كانت موضوعة على أساس خطط تاناما . فهزمنــا فى ناشان ، وفى مقدن ، وفى بورت أرثر . والتاريخ يذكر أننــا خسرنا الحرب لأن سكة حديد سيبريا لم تستطع أن تنقل إلينا الرجال والمؤن بالسرعة الــكافية . وهو كلام فارغ ! فقــد كان عدد رجالنــا كافياً ، بل كان أكثر من اليابانيين ، ولــكنهم كانوا فى كل مرة يوضعون فى غير موضعهم !

« كنت يومئذ فى الميدان ، وفى ديسمبر ســنة ١٩٠٤ سمعت بقية القصة من ضابط يابانى أسير ، سألته عن تاناما فقال :

— إنه بطل وطنى عظيم ، وقد أنعم

الإمبراطور عليه وعلى أسرته بوسام (الشمس المشرقة) .

— وإذن ! أفهو لم يعدم حقاً ؟

— أجل ، أعدم على أنه جاسوس ملطخ بالعار . ولـكن القصة الحقيقية نشرت منذ بضعة أشهر ، وقد جاء فيها أنه اختار لنفسه شرف التلطيخ بالعار ثم الإعدام ، لـكى يستطيع أن يخدعكم أيها الروس خداعاً تاماً . . وكان هذا أعظم شرف .

— وأبوه ؟

— لقد انتحر طبعاً ، وكان هذا أيضاً أسمى شرف . . .

« وهكذا خسرنا الحرب الروسية اليابانية . ولـكن ماذا عسى أن نصنع بقوم يواجهون فرق النيران ، ويقدمون على الانتحار لـكى يخدعوك ؟ »

ويضيف الـكاتب تعقيباً على هذه الرواية : « حين سمعتها أول مرة من الضابط الروسى ظننتها تهويلا غير معقول ، ولـكنى لقيت بعـد ذلك روساً آخرين كانوا فى الجيش الإمبراطورى ، سمعوا بهـذه القصة وقالوا إن هنالك كثيرين يؤمنون بصحتها » .

الرد اللبق

دنت سيدة من جون ألن عضـو مجلس النواب الأمريكى ومدت يدها مصافحة وقالت : عليك أن تعترف يا مستر ألن بأنك نسيت كل ما له صلة بى .

وكان قد نسى فعلا ! فقد تذكر وجهها ولـكن ذاكرته خانته فلم يتذكر اسمها ، فانحنى فى احترام وهو يقول : « يا سيدتى ، لقد جعلت همى فى الحياة أن أجرب أن أنساك ! » .

* * *

ليست الحياة شمعة قصيرة الأجل ، فى نظرى . إنها مشعل باهر أمسكتُ عليه الساعة ، ونيتى أن يكون أبهى ما يكون ضياءً وأنا ممسك عليه ، قبل أن أسلمه للأجيال المقبلة .

[جورج برنارد شو]

نوادر تبين أن التجربة المريرة
ليست وحـــدها المعلم المؤدب

الأطفال وكيف نعلمهم الحياة

الغرور

لما كانت أختى فى السابعة وكنت أنا فى التاسعة ، حصلنا على أعلى الدرجات فى فصولنا بالمدرسة، فوقع فى نفوسنا أن مستوى أسرتنا العقلى يفوق المتوسط كثيراً ، فلم نلبثه أن أذعنا ذلك بين رفاقنا . وترامى إلى والدنا خبر هذا التفاخر فدعانا إليه . كان قد نفخ بالوناً من لعب الأطفال حتى بلغ حجمه حجم رأس الرجل واومأ إليه وهو يقول إن هذا هو « إلمر » . ثم قص علينا قصة حياة «إلمر» هذا، وكانت كلهاسلسلة من الأعمال الباهرة. فكلما ذكر والدنا أن «إلمر» قام بعمل عظيم نفخ البالون فيكبر حجمه قليلا . فلما أوغل فى القصة بلغ « إلمر » من كبر الحجم مبلغاً جعلنى وأختى نبتعد عنه شيئاً فشيئاً لإحساسنا بقرب وقوع الانفجار . وانتهت القصة فى موضع بدأ فيه على « إلمر » أنه لم يعد يحتمل زيادة ما ، وعندئذ سأل والدنا : «ليس من المستحب أن ندنو من «إلمر» أكثرمن هذا أليس كذلك ؟ لقد بلغ منــه الغرور حتى انتفخت أوداجه أيما انتفاخ . وهــذا هو شعور رفاقكم ، فلقد تماديتما فى الفخر حتى لم يعد من المستحب أن يعاشروكما » .

وإلى هذا اليوم تمنعنا ذكرى « إلمر » ، إذا ما أتينا عملا نفخر به ، من النفخة والغرور .

ميزان الإنصاف

أسرعت يوماً إلى المنزل شاكياً من جيمى رفيقى فى اللعب ، فأخرجت أمى ميزاناً قديماً وقطع المربعات الخشبيــة التى ألهو بهـا ، وقالت : «إليك لعبة جميلة . سنضع قطعة من المربعات الخشبية فى هذه الكفة من الميزان تمثل عيباً من عيوب جيمى ، وعليك الآن أن تعدد هذه العيوب» ، فذكرتها ووضعت أمى عدداً يعادلها فى كفة الميزان ثم قالت : « والآن اذكر لى حسناته ، ألا يدعك تركب دراجتــه ، ألا يقاسمك حلواه ؟ » فأجبت أنْ نعم على مضض، وطفقتأمى تضع قطع الخشب فى كفة حســناته فأغربت فى الضحك ، إذ رجحت كفةُ حسنات جيمى كفةَ سيئاته .

لقد علقت حادثة الميزان هــذه بفكرى طوال السنين حتى صرت لا أنتقــد أحداً إلا رأيتنى أقابل دائماً بين حسناته وسيئاته .

الكسل

لما أخرجت روزى من خدمتنا لم ندرك نحن الأطفال سبب إخراجها ، فقدكانت فتاة لطيفة تذرع البيت جيئة وذهاباً من الصباح إلى المســاء . فسألت جدتى عن السبب فأجابت مداعبة : لأنها ليست على جانب كاف من الكسل ! فحملقت فيها متعجباً ، فقالت : « إن روزى لا تستطيع أن تؤدى عملها فى الوقت المحدد ، فهى تنسى نصفه فتجرى ثلاث مرات لتعمــل ما يمكنها عمله بجريها مرة واحدة . فكن كسلاناً يا بنى واتخذها قاعدة لا تحيد عنها أن لا تحرك يداً أو قدماً دون أن تستفيد من الحركة كل الفـائدة . إياك أن تبرح غرفة ما دون أن تفكر فيما يمكنك أن تأخذه منهـا إلى الغرفة التى ستقصدها ! أعمل الفكر حتى تجد وسـيلة تختصر بها الوقت الذى يقتضيه العمل الذى تعمل ، فإن ذلك يهيىء لك حظاً كافياً من الزمن للهوك ودعتك وراحتك » .

ثأر الملكة . . على الخريطة !

فى عهد الملكة فيكتوريا ، دعى الوزير المفوض البريطانى الجديد فى بوليفيا إلى حفلة أقامها دكتاتورها ملجاريو ، وفى أثناء الحفلة أمر الدكتاتور بإحضار خليلته حينئذ ، وأمر كذلك جميع الرجال الحـاضرين بتحيتها . فأبى الوزير البريطانى أن يفعل ، فأمر الدكتاتور حينئذ بتجريد الوزير من ملابسه ، ووضعه على ظهر بغل ووجهه إلى ذيل البغل ، وأخرج من العاصمة بين الطبل والزمر.

فلما علمت الملكة فيكتوريا بهـذه الإهانة التى لحقت الإمبراطورية حنقت حنقاً عظيما ، فأمرت الأسطول بالتأهب ، فقيل لها إن بوليفيا ليس لها سواحل، فاستدعت رئيس الوزارة وأمرت بأن تحذف بوليفيا من الخرائط إلى الأبد . وقد روى فى ذلك الحين أن الملكة اتخذت مقصاً وقصت به بيدها رقعة الورق التى تمثل بوليفيا على الخريطة فمحتها من الوجود وظلت خريطة العالم المعلقة فى مجلس النواب بلندن تحمل لطخة سوداء حيث كان رسم بوليفيا . وامتنعت كتب الجغرافية عن ذكرها . ومضت سنوات وانجلترا لاتعترف لبوليفيا بوجود.

عاصفة في صندوق

ج . د . راتكليف

اختيالات تبهر النفس فى تربين الغاز ، أول مولد جديد للقوة المحركة فى خلال نصف قرن

ملخصة عن مجلة « سينس نيوز ليتر »

صنع محرّك جديد ، وهو تربين يتحرك بالغاز ، ولكن أنباءه لم تعلن بعد لأن العمل فيه تحيطه ضرورات الحرب بالكتمان . وهو أدق ما اخترع من المحركات صنعاً ، وأصغرها حجماً ، وأبسطها تركيباً ، وهو يستعمل الآن فى عشرات من المصانع .

المحرك البخارى ، فالتربين البخارى ، فالمحرك البنزينى ، فمحرك ديزل ، وكلها كل أسلوب جديد لتحويل الوقود إلى قوة محركة ، هذه كلها تتابعت فأنشأت صناعات جديدة ، وأحدثت انقلاباً كبيراً فى الصناعات القديمة ، ويلوح أن تربين الغاز سيقتفيها على الأثر . والتربين آلة تولد الطاقة المحركة من الوقود بحركة دائرية وحسب .

إن المبدأ فى تربين الغاز مبدأ بسيط ، فهو فى أساسه طاحونة هواء ، فإذا أرسل تيار من الهواء على مراوح طاحونة هواء ، دارت العجلة فتستعمل القوة المتولدة من دورانها فى تحريك مضخة ماء أو مطحنة ذرة . ضع عجلة طاحونة الهواء داخل أسطوانة من صلب، وأرسل بخاراً من مرجل على مراوحها تظفر بتربين بخارى ، وهذا هو الذى يحرك مولدات الطاقة الكهربائية فى معظم محطات الطاقة الكهربائية ، وفى أسرع سفن العالم . على أن تربين الغاز يختصر طريقاً طويلا كثير النفقة ، فعجلته تتحرك بهبوب الوقود المشتعل وإرساله عليها إرسالا مباشراً ، فيلغى بذلك جهاز مرجل البخار ، وهو معقد التركيب غالى الثمن .

وتربين الغاز كله يكاد يجارى فى بساطته المبدأ الذى يقوم عليه . فالوقود — وقد يكون زيتاً أو غازاً طبيعياً أو غازاً من مخلفات الصناعة — يُدفع بالهواء المضغوط خلال لهب قنديل قريب الشبه بقنديل الزيت الذى يتخذ فى البيوت . ويتمدد الهواء المضغوط والغاز القابل للالتهاب تمدداً عظيما قوياً بالحرارة العالية ، فتدور العجلة . وعندئذ يمكن تحويل القوة التى فى محور العجلة الدائرة ، إما إلى آلة فتحركها ، وإما إلى مولد يولد الكهرباء .

إن مراوح التربين ليست كمراوح طاحونة الهواء المصنوعة من القلع الصفيق ، بل هى ألوف من المراوح بذل فى صنعها ما يبذله الجوهرى فى صياغة أدق الجوهرات

وأنفسها . وهى مصنوعة من أخلاط فلزية بلغ ارتفاع ثمنها مبلغاً جعلها تعدّ فى طبقة الفلزات الشبيهة بالكريمة . أما مراوح الجهاز الضاغط فمفرغة فى قالب يشبه مراوح الطائرات ولكنها صورة مصغرة منها ، وأما مراوح التربين فتختلف فى تصميمها عن مراوح الضاغط ، ولكنها كمثلها دقيقة الصنع . وتوضع المراوح من النوعين على طرفى الذراع المتحركة .

وهذا المحرك ليس حلم مخترع ، ولا تصميما لم يزل على الورق . إن تربين الغاز قد أصبح حقيقة واقعة . وقد روت جريدة « بزنس ويك » — أسبوع التجارة — من عهد قريب أن فى الولايات المتحدة سبعة وعشرين تربيناً غازياً « تسمح الرقابة الحربية بذكرها » ، وأن هناك تربينات أخرى كثيرة لا يسمح بذكرها . ومعظم هذه التربينات لا يولد الواحد منها أكثر من ٢٠٠٠ كيلووات أو ١٥٠٠ كيلووات . ولكن طائفة من الشركات الكبيرة تنفق عن سعة فى تحسين المحرك الجديد ، من بينها شركات أليس تشالمرز ، وستنجهوس ، جنرال اليكتريك ، ديلافال ، وسابقتها فى هذا المضمار شركة برون بوفيرى السويسرية .

إن ما يرجى من هذا المحرك الجديد فى المستقبل يهز النفس ، فالمحرك الغازى قد يقلب صناعة الطائرات رأساً على عقب ، بجعله بناء الطائرات الضخمة حقاً ، أمراً مستطاعاً . فالمحرك البنزينى للطائرات ، الذى يولد قوة ألفى حصان — وهو أكبر محرك صنع إلى اليوم — يشمل أربع عشرة أسطوانة ، وألوفاً من الأجزاء المتحركة ، وما يتبع ذلك كله من عقد ميكانيكية ومشكلات تزييت وما أشبه ذلك . ومصممو المحركات يرون أنهم بلغوا الحد الأقصى فى حجم المحركات البنزينية التى يمكن صنعها للطائرات ، ولكن هناك تربينات غازية تستعمل اليوم ، وهى تولد قوة ٥٠٠٠ حصان . وهناك تصميمات لمحركات تولد قوة ١٠٠٠٠ حصان أو أكثر . ولا يعلم أن ثمة الآن طائرة يحركها تربين غازى ، ولكن قبل أن تسدل الرقابة ستار الكتمان على هذا الموضوع ، كانت الشركة السويسرية قد عرضت على ألمانيا وبريطانيا كلتيهما ، تصميما لتربين غازى لمحرك طائرة .

وإن جهازاً يولد القوة المحركة اللازمة للسفن ، ليفتح آفاقاً جديدة فى تصميم السفن ، إذا كان خفيف الوزن ، ويزيل الحاجة إلى استعمال الماء العذب (خمسة أرطال من الماء لكل رطل من الفحم) وإلى المراجل التى يولد البخار فيها . ولو كان التربين الغازى يحرك إحدى سفن النقل

المعروفة باسم « سفن الجرية » لاستطاعت أن تحمل ألف طن فوق ما تحمل الآن بمحركها الحالى. ولو استعمل التربين الغازى فى المدمرات ، لزادت القوة التى تحركها ولغدت أسرع ما يتحرك فى البحار جميعا .

وقاطرات القطر تعانى هى أيضاً مشكلات الوزن والحجم والماء . وقد أثبتت التجربة أن قاطرة فى سويسرا يحركها تربين غازى ، هى قاطرة على جانب عظيم من الكفاية والاقتصاد . وفى الولايات المتحدة قطار مشيق (إنسيابى الشكل) تجره قاطرة ديزل فى حجم أربع مركبات ، وكل مركبة من هذه المركبات تتسع لوحدة من تربين الغاز تولد من القوة ما تولده المركبات الأربع .

إن تربيناً غازياً فى حجم علبة تسع حذائين ، يكفى لتوليد طاقة تحرك سيارة . ولكن هذه المحركات لم تبلغ بعد من الإتقان مبلغاً يجعل استعمال التربينات الصغيرة التى تصلح للسيارات ، ممكناً .

وليس ثمة اسم مخترع فرد مرتبط بالمحرك الجديد. إنه مجموع ما أسداه عدد من الرجال الذين يشتغلون فى معامل البحث بالشركات الكبيرة ، ولا سيما شركة برون بوفيرى .

ومنذ بعيد فى سنة ١٧٩١ كان المهندسون قد داعبوا فكرة تربين تحركه غازات ملتهبة. ولكن النماذج الأولى التى صنعت ، كانت تستهلك كل القوة التى تولدها تقريباً ، لتغذية نفسها ، أى لتحريك ضاغط الهواء .

وفى سنة ١٩٢٦ عمد الدكتور أوريل ستودولا — وهو المختص بدراسة كفاية التربينات — إلى الحساب الرياضى ، فأثبت به أن هذا أمر لا مفر منه ، إلا إذا اخترع ضاغط جديد للهواء أفضل من الضاغط القديم . ولم تنقض عشر سنوات حتى عهد إليه فى إجراء تجارب الكفاية على أول نموذج عملى أصاب النجاح .

وفى السنوات التى تخللت حسابه وتجربته ، كشفت مسألتان أساسيتان فى صناعتين لا تبدو بينهما صلة ما ، فعلماء المعادن صنعوا أخلاطاً فلزية جديدة تستطيع أن تتحمل الحرارة العالية والتأكل الناشئين عن الغازات الملتهبة ، ثم إن البحث فى شئون الطيران ، الدائر حول أشكال أجنحة الطائرات ومراوح محركاتها ، أفضى إلى كشف المبادئ التى أتاحت لتلاميذ ستودولا أن صمموا مراوح ضاغط جديد للهواء ، على جانب عظيم من الكفاية .

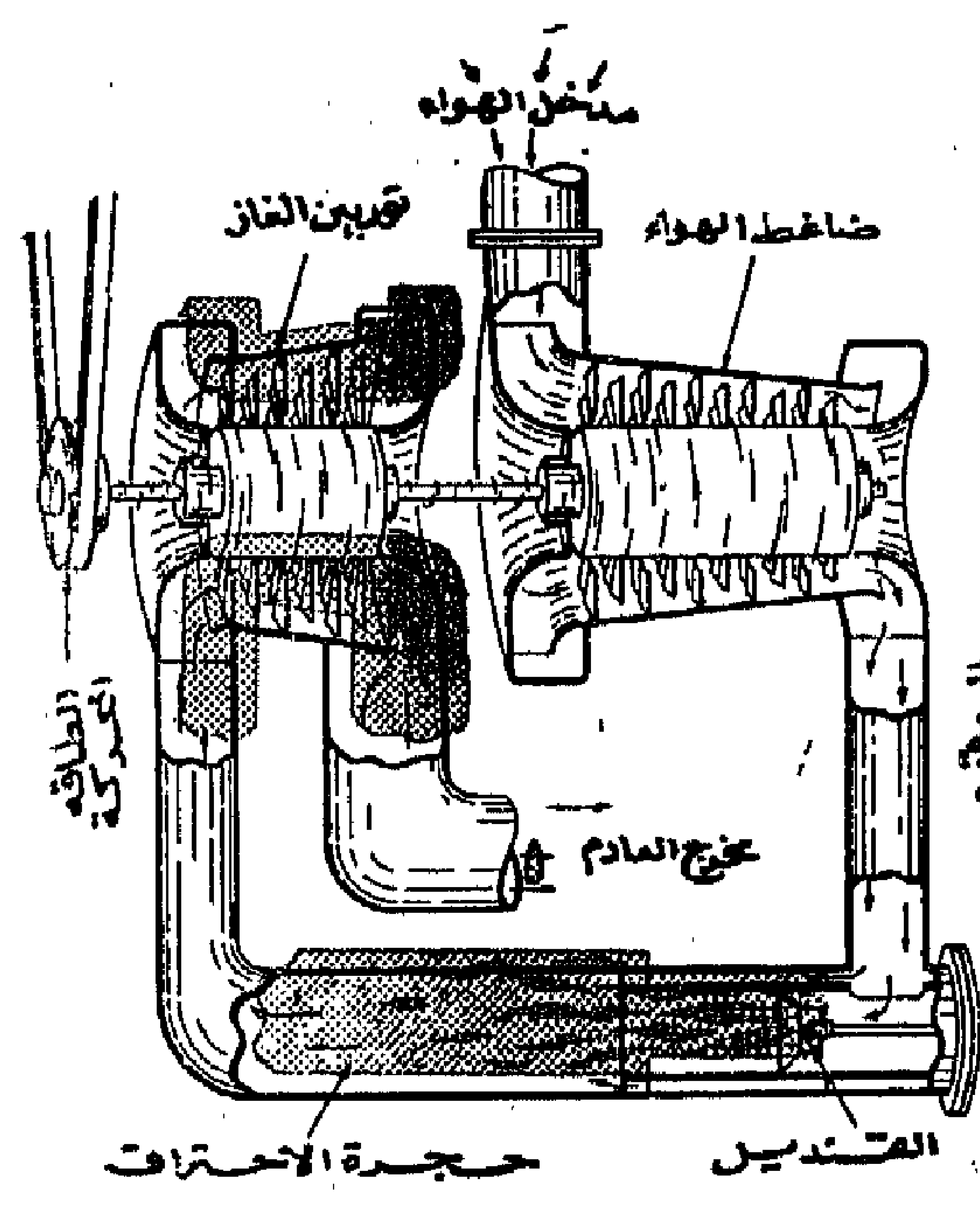
ومن المعترف به أن محرك ديزل يفوق فى كفايته جميع المحركات الأخر . ولكن هذا المتحدى الجديد للبطل القديم ، لا يزن إلا نصف ما يزنه محرك ديزل ، وهو أصغر منه حجماً ، ويولد نفس الطاقة . والواقع أن

فى تربين الغاز جزءاً واحداً متحركا ، تقابله عشرات من الأجزاء فى محرك ديزل ، فصيانته أسهل ونفقته أقل . وهو لا يحتاج إلى نظام للتبريد ، ولا إلى جهاز معقد كبير النفقة لبدء تحريكه ، ولا إلى نظام الإشعال الكهربائى المعقد اللازم للمحرك البنزينى ، وحيث إن تربين الغاز خال من الكباسات والصمامات التى تتحرك صعوداً وهبوطاً ، فهو خال كذلك من الارتجاج إلى درجة كبيرة .

إن محرك ديزل الذى أتقن تصميمه هو أعظم كفاية من تربينات الغاز فى حالتها الحاضرة . إذ يفوقها فى تحويل قيمة الوقود الحرارية إلى قوة محركة . ومع ذلك فتربينات الغاز تنافسه منافسة اقتصادية ، لأن نفقتها الأولية أقل كثيراً ولأن أرخص الزيوت يستعمل فى وقودها .

ويؤكد أصحاب المصانع أنهم يضمنون فى النماذج الجديدة لهذا التربين ، كفاية تعدل كفاية محرك ديزل . والتربينات المستعملة الآن ، تعمل فى حرارة تتفاوت بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ درجة . وفى الوسع صنع تربينات جديدة تعمل فى حرارة ١٥٠٠ أو أكثر ، وبارتفاع الحرارة ترتفع الكفاية ارتفاعاً عجيباً . وقد كانت المشكلة حتى الآن هى أن نظفر بفلزات تستطيع أن تتحمل الحرارة العالية . وقد صنع الدكتور سانفورد موس جهازاً خاصاً يمكن الطائرات الأمريكية من أن تحلق إلى ارتفاع سبعة أميال فوق سطح الأرض ، وتربين هذا الجهاز يتحمل درجة من الحرارة العالية تبلغ ١٨٠٠ درجة . وقد أفاد الباحثون فى تربين الغاز شيئاً كثيراً من مباحث موس فى جهازه ، مع أنها لم تحل مشكلتهم حلا تاماً . فالفلزات فى جهاز موس لا تتحمل الحرارة العالية أكثر من بضع ساعات متوالية . مع أن تربين الغاز فى المصانع أو فى سفينة يجب أن يستمر فى العمل أسابيع بغير وقوف .

أما كيف حلت المشكلة ، فهذا أمر لا يزال سراً . ولكن ليس بين جميع المنتجات والأساليب الجديدة التى يعنى بها العلماء والمهندسون ورجال الصناعة ، فى أثناء



الحرب ، ما هو أحفل بالاحتمالات المحركة للنفوس ، فى المستقبل ، من تربين الغاز ، وما ينطوى فيه من انقلاب صناعى خطير . هذا التربين الذى امتحن لجاز الامتحان ، هو الطريقة الجديدة الأولى لتوليد القوة فى خلال نصف قرن . وما من أحد رأى محرك البنزين فى أول عهده فأوحى له رأى ، أن يتنبأ بالسيارة والطائرة . فكذلك ما من أحد يرى اليوم تربين الغاز فيوحى له حتى يتنبأ بما يرجى منه . وقد يكون ما يأتى منه كالذى أتى من سوابقه : شيئا يبهر النفوس .

التسجيل على شريط

عن مجلة « دورتشون »

ستضطر ، بعد الحرب ، صناعة الاسطوانات التى بلغت أوجها فى سنة ١٩٤١ — حين بيعت ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ اسطوانة — أن تواجه منافسة طريقة جديدة توصلت إلى تسجيل الصوت على سلك أو شريط بالمؤثرات المغناطيسية . وقد اكتشف العالم الطبيعى فالدمار بولسن ، منذ جيل مضى ، نظرية التسجيل على شريط وأصبحت القوات المسلحة تستخدم الآن هذا التسجيل المغناطيسى بعد أن حسنته التجارب الطويلة .

وفى التسجيل المغناطيسى يحرك سلك دقيق كالشعرة بين قطبى مغناطيس كهربائى بسرعة تبلغ نحو قدم وربع قدم فى الثانيـة . ويكون ذاك المغناطيس الكهربائى موصولا بمحوّل كهربائى للصوت (الميكروفون) ، فيتمغطس السلك بالتيار المتقطع الذى يتولد فيـه : وهذا التيار تتباين قوته بتباين قوة الموجات الصوتية . وإذا أريد الاستماع إلى التسجيل ، فإنه يعاد إمرار السلك الممغطس خلال مغناطيس آخر موصول بمكبر صوت وآلة إذاعة . ويمكن أيضاً الاستماع إلى مقطوعات مختارة من أى طول كانت ، دون خشخشة تذكر أو حدوث انقطاع يبعث على الضجر ، كالذى يحدث عند تغيير الاسطوانات . وإذا لم يعد هناك فائدة ترجى من التسجيل ، فإنه يمكن محوه بالمغناطيس ، فيعود السلك صالحاً مرة أخرى .

وستصبح الأجهزة المنزلية بعد الحرب قادرة على تسجيل برامج الإذاعة ، والمحادثات التليفونيـة بالطريقة نفسها . ويستخدم الجيش الآن هـذه الطريقة ، لتسجيل تعليقات الطيارين أثناء امتحانهم فى الطيران أو قيامهم بالعمليات الحربية .

قصة بحار لازمه الحظ فى نجاته من سفينة غارقة

مخدع ، وبهو ، وعوّامه



ملخصة عن مجلة « كورونت »

صاح صائح بالعامل اللاسلكى هارلى ا . أولسون : « أرسل إشارة الاستغاثة فلقد أصبنا بطربيد » .

فقفز من فراشه وأعمل يديه كالمجنون فى الجهاز اللاسلكى ، ولكن التيار الكهربائى كان مقطوعاً ، وكان الرجال جميعاً على ظهر السفينة يتدافعون ليلقوا بأنفسهم على قوارب النجاة ، وأخيراً ترك أولسون جهازه الذى لا أمل فيه ، ورمى بنفسه فى الماء الحالك وشرع يسبح .

وارتطمت أصابعه فجأة ، فى الظلام الدامس ، بجسم صلب ، هو أحد أطواف النجاة . فلما تسلقه جعل ينادى بأصحابه ، ولكن صيحاته لم تجد مجيباً(*) ، ثم زال عنه الهلع الذى اعتراه أول الأمر ، وتذكر أن فى الطوف مؤونة تكفى ١٥ رجلا عدة أسابيع .

وأخذت عينه تتبين ، والظلام ينقشع ، حزماً صغيرة طافية قريباً منه ، فانتشل إحداها . إنها سجاير ! فأسرع وجمع ٥٠ حزمة منها .

وبعد هنيهة انشق له الظلام المدبر عن طوف آخر ، فشده إلى طوفه شداً وثيقاً . ولمح أريكة بين الحطام فرفعها إليه ، ثم برز له طوف ثالث فكاد يكذّب عينيه ، إذ لم يعد أميراً ذا أسطول وحسب ، بل تيسر له أيضاً أول أثاث لغرفة نوم ، فهيأ من الأريكة ومن عدة صناديق سريراً ، وبسط عليه فراشاً .

وتناول فى الصباح وجبة فاخرة من عصير الطماطم والسردين والكعك ، وكان عشاؤه وليمة من اللوبية ولحم التونة المحفوظ . وفى اليوم التالى ، أعد شبكة من الأربطة الموجودة فى صناديق « الإسعاف الأولى » وصاد سمكا طرياً ، وشيد أيضاً من صناديق الطعام سكناً له ، واتخذ شراعاً من أعلام الاستغاثة التى كانت فى الأطواف الثلاثة .

وكان البحر هادئاً ، فإذا ما اشتدت حرارة الشمس سبح فى الماء ، ثم متّع

* التقطت سفن الإنقاذ فيما بعد بقية الأفراد .

نفسه بحمام شمس . وإذا ما أقبل المساء ، خدش فى الصارى خدشاً يدل على اليوم المنصرم ، ثم أشعل سيجارة ، ومضى يتجول على ظهر الطوفين التابعين لسكنه . فما من أمير يفوقه خفض عيش ورخاء بال !

واستمرت رحلة أولسون الممتعة ٢٨ يوماً ، ثم مرت به قافلة فانتشلته « قناصة للغواصات » .

ويومئذ أحاطت المتاعب بأولسون لأول مرة ، إذ لم يسع الربان أن يصدق قصته ، فما من رجل تبقى له مثل نضارة وجهه بعد أربعة أسابيع يقضيها على طوف مكشوف .

أين هى الوجنات الغائرة والنظرات الزائغة فى رجل من رجال سفينة مغرقة ! لا شك أنه مخرّب دساس ، ألقت به غواصة معادية حتى يلتقط فيحمل إلى الولايات المتحدة .

فلما هبط أولسون إلى الرصيف فى ميناء « كى وست » ، وجد رجال قلم المباحث فى انتظاره ، ووضعه هؤلاء فى السجن حتى ضوهيت بصمات أصابعه بتلك التى يحتفظ بها قلم تحقيق الشخصية لجميع اللاسلكيين فى سفن النقل . ثم أطلق سراحه ، حين تبين أنه أمريكى ، وأنه ليس إلا بحاراً من مدينة بورتلند فى ولاية أريجون » .



من الواضح أن بعض ماتكلف به الطيور من الحركة ، إنما يقصد بها إلى اللهو والتسلية ، كهوىّ الحمام وهو يتقلب فى الجو ، وكالحركات البهلوانية الرشيقة التى تأتيها الحدأة ، وكالتحليق اللولبىّ الذى يعمد إليه طائر الإبيس (أبو قردان) حتى يغيب عن الأبصار .

وقد شاهدت ذات يوم طائفة من ستين بطة برية تلعب لعبة ، فنهضت جميعاً حين رأت إشارة اصطلحت عليها ، فطارت منتشية فوق صفحة بحيرة مسافة تبلغ خمسين ذراعاً . ثم غطست فى الماء غطسة حتى تطاير الرشاش عالياً فى الجو . ثم عادت بعد هنيهة فغطست ثانية ، وبينا أنا أراقبها رأيتها تعود فى نشوتها فتفعل ذلك مراراً ، وهى تقطع البحيرة من أولها إلى آخرها ، فلما بلغت نهاية البحيرة تفرقت ، ونفضت الماء عن أعطافها ، ثم غطست فى طلب القوت ، ثم عادت بعد نصف ساعة وشرعت تلعب لعبة غريبة كلها مرح ، وهى أعجب ما وقعت عليه عيناى من لهو الحيوان والإنسان . [أرشيبولد روتلدج]

مصادفة علمية عجيبة تفضى إلى علاج
طبي جديد لآفة مدمرة



أمل لضحايا التهاب المفاصل

بول ده كروف

يقدر الشاكون من الألم والعجز الناشئين من الرثية (التهاب المفاصل) بملايين من البشر فى الوقت الحاضر. إن عذاب الآلام البدنية عذاب غليظ، لا يفوقه إلا عذاب المحنة العقلية التى يعانيها هؤلاء المساكين الذين أسلمهم علاج فاشل إلى علاج فاشل، والذين آمنوا فى النهاية أن شفاءهم مستحيل. ومع ذلك فقد يبرأ اثنان بين كل ثلاثة مرضى بداء المفاصل إذا أصابا العلاج الصالح فى العام الأول من بداية الداء. والآن يشرق أمل جديد — حتى للزمنى من أولئك الشاكين — فى أن يتحسنوا تحسناً كبيراً، وأن يستأنف كثير منهم حياة مثمرة، خالية من الآلام.

إن الوهم القديم فى أن الرثية إن هى إلا داء فى المفاصل وهم ينسخه العلم الحديث، فالمفاصل حين تلتهب لأول عهدها وتوجع، فقد يجد صاحبها كلالا مضنياً، وتقل شهيته ووزنه، ويفتقر دمه، ويصبح سريع التأثر. فإذا اطرد الداء (وهو ما لا يحدث دائماً)، ضمرت العضلات، وأصيب كثير من الضحايا، حتى ولو كانوا فى ريعان الشباب بتصلب الشرايين. إن المفاصل الملتهبة الموجعة، ليست إلا دليلا على علة شديدة متغلغلة فى الجسم كله.

ويكاد كل مرض معدٍ يكون خليقاً أن يسبب التهاباً فى المفاصل ومن يومئذ يستحيل التنبؤ بسير المرض ومداه. وقد درس الدكتور ه. ا. نسن فى بوسطن حالات خمسمائة مريض بالرثية فى مدى عشرين عاما، فألفى الثلث منهم قد انحدروا سراعاً إلى الموت، أو عاشوا مقعدين برغم كل علاج، وأن من الثلثين الآخرين من أصيب بنوبة واحدة ثم أبلّ، ومنهم من برأ لينتكس حيناً بعد حين.

فلم يكن للثلث الأول، وهم الزمنى، طب ولا علاج، أما الثلثان الآخران فقد نفعتهم الكفاية من الراحة، والطعام، وشعاع الشمس، والحرارة، والرياضة المنتظمة، وتقويم المختل من أوضاع المفاصل.

ولكن أليس من الجائز أن قد كان شفاء هؤلاء المرضى مقدوراً لهم بغير عون من هذه الوسائل ؟ . . إن بعض الناس تتحسن صحته بخلع الأسنان الفاسدة ، أو استئصال اللوزات المتقيحة، أما آخرون فلا. وقد تبين أن الحقن باللقاح المكروبى ، وسم النحل ، والكبريت ، ومثات من مثل هذه العقاقير ، قد نفعت بعض الناس، لكنها تركت معظمهم يقاسون العذاب ما عاشوا ، وقد حير هذا الأطباء .

وبمضى الزمن أصبح حظ ذى الرثية الزمنة من الطب كحظ الربيب المهمل ، وقد روقب ١٤٠٠٠٠ مريض مزمن الرثية فى ولاية ما ساشوستس فتبين أن أقل من ثلثهم كان يتمتع بعناية الطبيب ، أما سائرهم فقد ظلوا يطبون لأنفسهم فى جهاد يستحق الرثاء ، أو يستسلمون لحياة كلها أسقام .

وفى سنة ١٩٣٣ وقع حادث علمى عجيب . فقد كان الدكتور كارلوس ا . ريد وزملاؤه فى شيكاجو يجربون علاج حمى اللقاح بجرع ضخمة من فيتامين د ، وكان من بين المرضى امرأة أقعدتها الرثية المزمنة خمسة عشر عاماً، ولم يفدها تعاطى فيتامين د يوميا فائدة ظاهرة فى علاج حمى اللقاح ، ولكنها عادت بعد شهر يستخفها الفرح إلى الدكتور ريد. ذلك أنها استطاعت لأول مرة منذ سبع سنوات أن تنزع خاتماً من إصبعها المتورم ، فلما استمر العلاج بدأت يداها الواهنتان تستعيدان قدرتهما على القبض . وبدأت تجد حذاءها واسعاً من حول كعبيها المتورمين . فمنع الطبيب عنها فيتامين د ، فعادت إليها الأعراض ، وإذا هى تختفى مرة أخرى حين أعيد العلاج . إنها لم تبرأ ولكن فيتامين د حد من شقائها ، وفى نهاية عامين استطاعت أن تتحرك كما تشاء ، وقلت أوجاعها ، وأصبحت أقوى بكثير مما كانت، واستطاعت أن تعود إلى عملها .

وقد نبه هذا الحادث العجيب الدكتور ريد إلى ما كان يعانيه من الرثية ، فقد ظل شهوراً مقعداً ، لا يمشى إلا متوكئاً على عكازتين ولكنه كان يتعاطى هو نفسه هذه الجرع الضخمة من فيتامين د ، ليثبت أنها لا تضر . وعندئذ جرب هذا العالم الذاهل أن يثنى ركبتيه فألفاها أشد ليناً ، وأقل ألماً ، فاستمر يتعاطى جرع الفيتامين د . وبعد تسعة أشهر نبذ عكازتيه ، وبدا له أمل فى هذه التجارب .

وجرب الدكتور والتر باور فى بوسطن الفيتامين د فى علاج ١٨ مريضاً من ذوى الرثية المزمنة ، فلم يشف منهم أحداً ، وكان من دواعى التشاؤم أن الجرع الضخمة

من هذا الفيتامين ، وإن هى أراحت بعضهم ، لم تخـل من خطر . وبدا أن هناك بعض المشتقات السامة فى مستحضرات الفيتامين المستعملة ، وعلى ذلك فقد كان من الجائز أن يوأد اكتشاف الدكتور ريد لولا مجرب آخر لا شأن له بالطب على الإطلاق .

كان تشارلس كومفرت هويتيير مهندس مناجم ، وكان شديد الحفاوة بالمعادن كلها ، وكان الفيتامين د يثير فضوله ، فقد تبين أنه يضبط « ميزان المعادن فى جسم الإنسان » فأثار قضية مهمة : إن كل أنواع الفيتامين د لهـا تأثير شـاف فى الـكساح ، ومع ذلك فقد نجد بينها فروقاً هائلة فى القوة ، يتوقف ظهـورها على الطريق التى ســلكها الـكيميائيون فى التحضير .

واســتخدم هويتيير المركب العضـوى الأصيل وهو الأرجسترول كما استخدمه غيره من الباحثين ، ولـكنه لم يعالجه بإشـعاع الأشعة التى فوق البنفسجى ، وهى الطريقة الشائعة فى تحضير فيتامين د ، بل استبدل بها تياراً كهربائياً قوياً أرسـله فى بخار الأرجسترول ، فأنشأ بهذه الحيلة الجديدة مركباً « سماه الأرترون » يمكن أن يشفى الأطفال من الـكساح ، وقد تبين أنه مجرد من كل المشـتقات السامة التى أزعجت الدكتور باور .

ولـكن ما أثر الأرترون فى التهـاب المفاصل ؟ . . كان الدكتور ر . جارفيـلد سنيدر ، الطبيب بمستشفى الجراحة الخاصة فى مدينة نيويورك ، قد ظل ثمـانية عشر عاماً يمتحن جميع العقاقير المقترحـة للعلاج ، وكان كثير الريب . لقد رأى هذه العقاقير تظهر ثم تختفى ، وأيقن أن التجربة الحاسمة يجب أن تكون فى تلك المؤخرة الحزينة من جيش الزمنى ، لا فى المرضى المحـدثين الذين قد يصيبون الشفاء عفواً بصرف النظر عما يقدم لهم من دواء .

وقد ظل الدكتور سنيدر عامين يقصر بحثـه على تجربة مركب هويتيير ، فانتهى إلى الإيمان بأن من الممكن أن تعطى المريض بالرثية أربعمائة ضعف من الجرعة المستعملة فى علاج طفل كسيح ، وأن تعطيه هذه المقادير الضخمة يومياً مدى شهور بلا أذى اللهم إلا الغثيان فى قليل من الأحوال .

وعندئذ بدأ الدكتور سنيدر وزملاؤه تجربتهم الصادقة ، لامتحان هذا الدواء . وكان كل مريض من مجموعتهم التاريخيـة المـكونة من ثلاثة وعشرين يعانى التهاب المفاصل منـذ سنين ، وكانـ كل منهم تسوء حالته باســتمرار على الرغم من شتى ألوان العـلاج . وبعد تمام ثلاثة أعوام فى سـنة ١٩٤٠ ، سجل الدكتور سـنيدر

والدكتور ويلارد ه . سكويرز بمنتهى الحذر مدى التقدم الذى حدث .

كان التحسن ظاهر البطء فى البداية . وكان يمر أكثر من شهر، على هؤلاء المرضى الذين يعطون الجرع اليومية الضخمة من الأرترون تحت أدق إشراف، قبل أن يشعروا بما حل بهم من التبدل العجيب . ولم يكن هذا فى أول أمره يحدث شيئاً يمكن تقديره تقديراً علمياً ، فما هو إلا تحسن فى الشهية ، وتناقص فى ذلك الضعف المضنى ، وازدياد فى تلك الظاهرة المبهمة المعروفة «بالعافية».

فلما أخذت الشهور تنصرم بدأت تحدث أشياء فتحت أعين الأطباء المرتابين . حقا إن تحسناً ما لم يظهر فى العاهات الميئوس منها ، وما كان لمفصل قضت عليه العلة أن يعود إلى الحياة ، ولكن الورم تضاءل تضاؤلا عظيما ، وتيسر للضحايا ، أكثر مما كان يتيسر ، أن يحركوا أذرعهم وأرجلهم واستراح معظمهم من الآلام ، وزاد وزن كثير منهم ، وابتهجوا بمعين من القوة يتدفق فى أجسامهم دراكا .

وبعد علاج يومى استمر ما بين ستة أشهر وعامين ، عاد إلى العمل ١٦ مريضاً من هؤلاء الثلاثة والعشرين الذين كانوا يعدون ممن انقطع الرجاء فى شفائهم ، وقد أصبح لهم من السيطرة على مفاصلهم المريضة ما يكادون يحيون به حياة الأصحاء من الناس .

وفى بحر السنوات الست الماضية بلغت حالات التجارب أكثر من مائتى حالة ، وظلت نسبة العودة إلى العمل واسترداد القوة فيما بينهم أكثر من النصف . زد على ذلك أنهم يحتملون مشقة العمل ولا ينقطعون عنه . ويطيق بعضهم أن يقطع العلاج قطعاً تاماً ، ويستمر آخرون على تعاطى جرع صغيرة من الدواء . وهذا العلاج نفسه لا يزال الآن تحت التجربة التى يقوم بها الدكتور بول ماجنوس فى جامعة نورث وسترن بشيكاجو ويشرف عليها الدكتور رالف بوتس فى جامعة كولومبيا بنيويورك والدكتور ر . ه . فريبرج فى جامعة مشيجن ، وهو يخطو إلى ذيوع استعماله فى التطبيب .

ومما يجعلك تطمئن إلى قوة العلاج الجديد فى شفاء الرثية المزمنة ، أن ترى أناساً قد ردّت إليهم الحياة : فهذا ممثل شاب قد قاسى الرثية فى العمود الفقرى خمسة أعوام ، وهو الآن يمثل إحدى المسرحيات الشائعة فى نيويورك . وهذا رجل فى السابعة والخمسين من العمر ، ظل ٢٢ شهراً وقد انحنت ركبتاه حتى شق عليه المسير ، هو اليوم طليق الساقين قوى

قادر على العمل . وهذا نجم سابق من نجوم التنس ، عجز زمناً طويلا عن النهوض من جلسته ، قد استعاد الآن قدرته على اللعب .

لقد ثبت أن العلاج بالأرجسترول المنشط بالكهرباء لا خطر فيه ، ولكن يجب ألا يستعمل أبداً إلا تحت إشراف الطبيب . وهو فوق ذلك ليس علاجاً يضمن الشفاء . وبعض المرضى الذين لا ينجح فيهم قد يستجيبون لسواه . والعلم يجهل إلى هذا اليوم سبب الرثية المزمنة ، كما يجهل سر ما يعمله هذا الدواء فى الشفاء .

والحقيقة هى أن العلاج الناجح يتطلب خدمات فرقة من الأطباء ، فالرثية المزمنة تتغلغل مدمرة فى الجسم الإنسانى كله ، وكل مريض بها يحتاج إلى رعاية طائفة من الأطباء ، كل منهم طب بارع فى فنه .

وقد وضع الدكتور ذ . ه . ليفنتال فى مستشفى إقليم كوك بشيكاجو برنامجاً لهذا النظام التعاونى الجديد بين الأطباء ، فيعطى المريض المزمن الأرجسترول المنشط بالكهرباء ، فى حين يتولى جراحو العظام تلك المفاصل المخربة ، يقوون بالرياضة عضلاتها المسترخية ، ويقومون ما اعوجّ منها ، أما أطباء العلاج الطبيعى فيداوونه بالحرارة الشافية والتدليك ، ويشرف إخصائيو التغذية على الطعام ، وأما علماء النفس فيستنقذون المريض من ضعف العقل الذى أورثه إياه القنوط ، وأما الأطباء الباطنيون فيستكشفون ما قد يوجد فى الجسم من بؤر التقيح ، ويعالجون اضطراب الهضم الذى يعانيه كثير من مرضى هذا الداء .

يقول أطباء مستشفى إقليم كوك إن ٩٣٪ من مرضاهم ذوى الرثية المزمنة قد أفادوا فائدة مشهودة من أسلوبهم الجديد فى العلاج الشامل للجسم كله ، لا العلاج القاصر على المفصل المريض . ويلوح بين ثنايا هذه الأرقام شبح القضاء المبرم على أفتك آفة مدمرة من الآفات التى يبتلى بها البشر .

****

● يا بنى : احفظ عنى أربعاً وأربعاً ، لا يضرك ما عملت معهن : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العُجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق . يا بنى : إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب .

[على بن أبى طالب]

امرأة وغلام يتقاذفهما الموج فى قارب نجاة



أيهما كان المنقذ ؟

مارجريت لى رانبك . . . . مؤلفة « أور مس بو »

لو أنك رأيتها — وهى غادة رائعة الجمال — فى ملعب بعض الجامعات ، أو وهى تحدق فى الواجهة الزجاجية مشتاقة إلى قبعة سخيفة ، لقلت لنفسك : « هذى قرة عين أبيها من البنات المدللات المحروسات ، وأكبر الظن أنها لا تدرك أن ثمة حرباً قائمة » .

على أنك مخطىء فى ظنك ، فمنذ أشهر قلائل فقط كانت هذه الشابة فى قارب نجاة فى بحر من بحار المنطقة الاستوائية يتقاذفها الموج ، وقد خلفت وراءها كل ما تعرف وما تحب وثكلته ثكل الأبد .

كانت حياة الجسد هى كل ما زهدت فيه آن مارتن ، فتراها تقضى سحابة النهار فى التدريس ، وتعكف ليلا على دراسة الهندسة وهمها الذى لا هم لها غيره أن تستطيع المساهمة فى جهد النصر .

ولقد حدثتنى طويلا عن نفسها ، إلا شيئاً واحداً لم تستطع أن تحدثنى عنه ، ولم أستطع أن أستخبرها عنه . وغاية ما أعرفه أن زوجها الطبيب الشاب عاجلته المنية فى الهند وتركها هناك أرملة .

ولم تكن آن مارتن بعد ثكلها تعبأ شيئاً أعاشت أم ماتت ، ولكنها أزمعت أن تعود إلى دار صباها الأول فى أمريكا ، فسافرت من بمباى على باخرة صغيرة كانت قاصدة إلى ريودى جانيرو ، ولم يكن معها غير فئة قليلة من المسافرين . ولما بلغوا مدينة الكاب انضمت إليهم أسرتان من أسر المبشرين البريطانيين فى أفريقية ، من بينهم أطفال كثيرون . ومع أن القوم كانوا أهل مودة . إلا أن آن كانت من لوعة الأسى بحيث لم تسكن إلى صحبتهم. ودأب غلام صغير فى السابعة اسمه تومى ، على أن يمر بمقعدها على ظهر الباخرة وينظر إليها ويبتسم لها ، ولكنها لم تكن تستطيع أن تجزيه ابتساماً بابتسام .

وكانت تشترك فى المرانة على استعمال قوارب النجاة إذ كان ذلك واجباً حتما عليها ، فكان تومى الصغير يحتال على أن يقف إلى جانبها فى الصفوف .

ولقد قال لها فى اليوم الأول : « أنا ذاهب إلى أمريكا » . وفى اليوم الثانى قال لها وعيناه تومضان : « معى علم أمريكى فى حقيبة

ثيابى » . وظلت آن تجيبه كل مرة جواب غير محتفلة ، ولكن الصغير لم تفتر عزيمته .

وفى اليوم الثالث قال لها : « نحن الأمريكيان الوحيدان على ظهر الباخرة . لقد سألتهم فرداً فرداً ، فما من أمريكى على ظهرها غيرى وغيرك » .

فهو يعد هذا، غير مرتاب، أروع رابطة توثق ما بينهما ، إلا أن الهم كان قد بلغ من آن ، فلم تقو على أن تتناسى بعض حزنها كى تؤنس وحشة غلام صغير وحيد .

وذات يوم قال لها تومى : « لقد كان أبواى أمريكيين ، وهما اليوم فى ذمة الله ، فأنا بعدهما يتيم ، وأنا من أجل هذا ذاهب إلى أمريكا . والقوم فى أمريكا يبذلون أحسن العناية بالأيتام » . فلم تستطع آن أن تتجاهله بعد ، فأقبلت تجيب أسئلته ، ثم أنشأت تحدثه كيف ينشأ الغلمان فى أمريكا حتى يكبروا .

قالت لى آن : « كان تومى ينزل كل يوم إلى مقصورتى فى المركب ، فنضبط ساعتى المنبهة على السابعة ، فإذا دق الجرس كان على أن أقص عليه قبل أن يأوى إلى فراشه قصة عن الولايات المتحدة . وكانت هذه أمتع ساعات يومه ، وكذلك كنت أجدها — وإن كنت لم أرض بها لنفسى كل الرضى » .

وبعد عشرة أيام من مغادرة الكاب ، أصيبت السفينة بطربيد، أطلقته عليها غواصة دون إنذار ، فى الساعة السابعة إلا ربعاً من ليلة حارة ، فانطلق وسط السفينة ، وانفلق كثير من قوارب النجاة وبطل نفعها . ولقد استطاعت آن بعد لأى أن تجد مكانا فى أحد القوارب ، وما كاد البحارة يهمون بإنزاله حتى سمعت ضلصلة جرس الساعة المنبهة فى مقصورتها القريبة .

فصاحت : « لا بد لى من أن أخرج... لا بد لى من البحث عن تومى ، انطلقوا أنتم إذا لم يسعكم أن تنتظرونى » . وقد حاولوا منعها ، ولكنها زحفت وتسلقت الحاجز إلى ظهر السفينة المائل ، وظلت تجرى من طرف إلى آخر منتحبة مرتاعة باحثة عن مواطنها الصغير . فلما وجدته كان جاثماً إلى جوار جثة المبشر البريطانى الذى كان مسافراً معه ، فأمسك الطفل بيدها صامتاً شاحب الوجه معتقل اللسان .

فعادت به إلى حافة الباخرة ، ولكن قارب النجاة كان قد انطلق . وكان ثمة قارب آخر ، به بعض التلف اليسير ، وقد أنزل إلى الماء فجذب البحارة المرأة والغلام إليه . ولم يكن فى القارب امرأة غيرها ، وكان شديد الازدحام حتى اضطر سبعة من ركابه أن يجلسوا على حافته جلسة قلقة خطرة .

ولقد قالت لى آن : « لقد هجس بنفسى

أن خير ماأفعله أن أنزلق من القارب فيبتلعني اليم ، فما أبقت لي الدنيا شيئاً أعيش له .
وعندئذ نظرت إلى تومى وهو جاثم فى جوف القارب كأنه طائر صغير ، وقد انعكس فى عينيه الرعب الذى كان لا محالة ماثلا فى عينى ولكنه أقبل على وتعلق بى .

« وأطلقت الغواصة الألمانية قنبلة على الباخرة أصابتها ، فغرقت فى ثوان معدودات ، وكنت أنا وتومى نرتجف . ولقد علمت أن على أن أقول شيئاً أسكن به روعه ، ولكن الجزع بلغ منى مبلغاً لم أستطع معه أن أنطق . ثم أدركت أنه يحاول أن يحجب وجهى بكتفه الصغيرة حتى لا أرى أن السفينة قد غرقت ، فهو على حداثة سنه يحاول أن يجنبنى روعات الفزع فهو يقول لى : « لا تراعى يامسز مارتن » .

ولقد نسيت مسز مارتن فزعها ، ولم تذكر إلا أن هناك صبياً فى حاجة إلى امرأة ترأمه وتتعهده ، فجعلت تحدثه بأهدأ ما استطاعت من صوت : « لقد أتيحت لنا مغامرة ياتومى ... لقد تحطمت بنا السفينة . يالها من قصة تتهيأ الآن لترويها لأصدقائك الجدد الذين ستلقاهم فى أمريكا ، ثم لترويها يوماً ما لأولادك . تصور ما سيكون من فخرهم بأبوتك ! » .

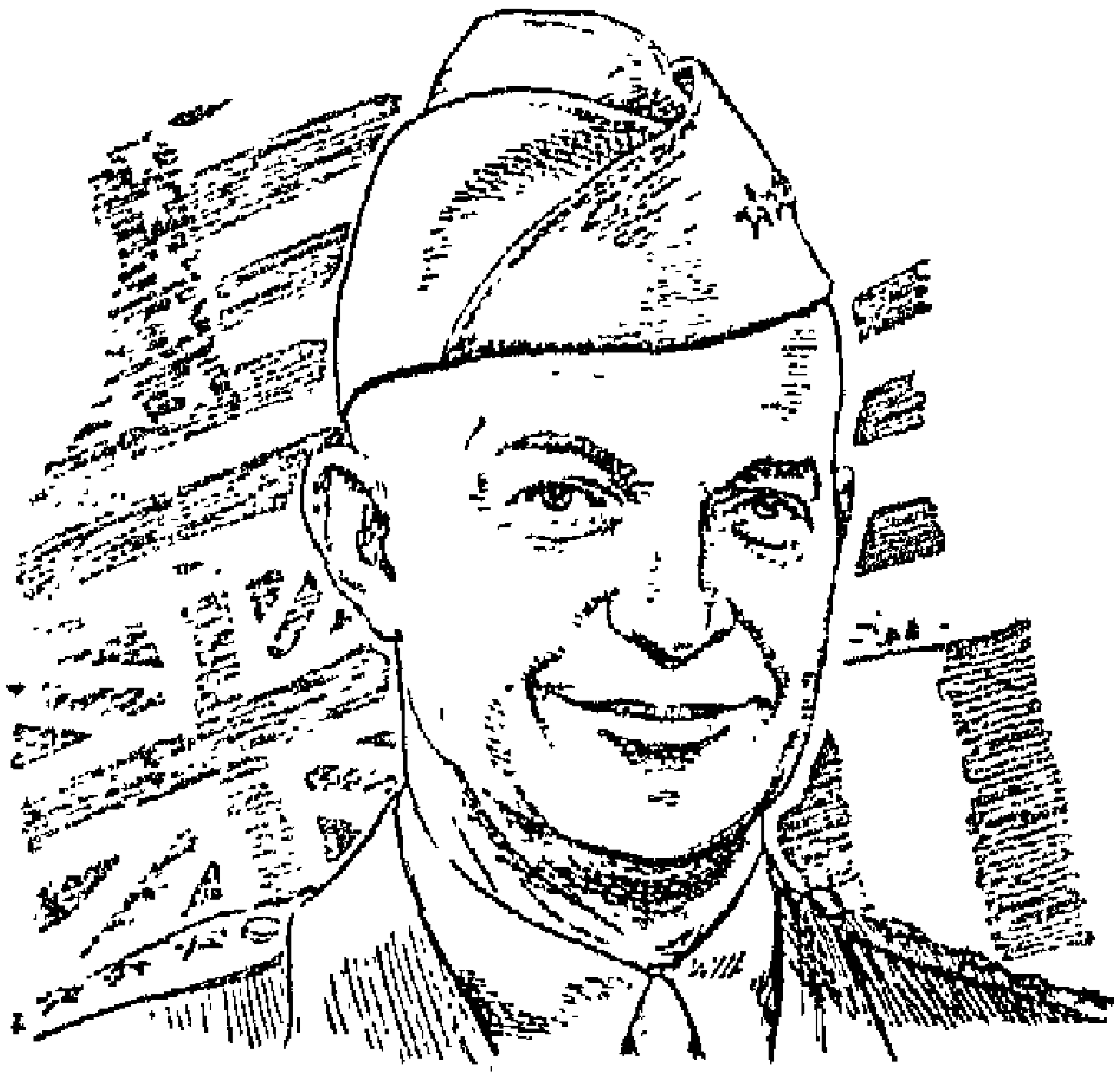
وأوشكت المؤونة الطفيفة على النفاد ، وألح الهذيان على الرجال من جراء حرارة الشمس وسعار الجوع ، على حين بقيت آن والغلام سليمين بفضل ما كانا يتلهيان به من الكلام . وقد تخيلا بيتاً ، ثم أخذا يؤثثان كل حجرة من حجراته ، وأقبلا يقرآن الكتب المرصوصة على الرفوف المتوهمة — فهذا روبنسون كروزو ، وجزيرة الكنز ، بل هذه أيضاً كتب الفتيات التى سبق أن قرأتها آن فى صغرها . وجعل تومى يلقنها الأناشيد التى تعلمها ، وجعلت هى تلقنه بعض الأغانى والأشعار والألغاز . وهكذا تعاونت المرأة والصبى على مطاولة المحنة .

وأخيراً وصل قارب النجاة — بتوفيق الله ، ثم بما تيسر له من ملاحة ساذجة — محطماً قد حرقته الشمس .

وإنه لعسير عليك أن تستيقن : أهى المرأة أنقذت الصبى ، أم هو الصبى أنقذ المرأة ؟ فمن بعض ما يروعك من تعاجيب الحياة أن أحدنا ربما وقى نفسه وهو يقى أخاه بنفسه .

كيف يؤدى ايزنهاور مهمته

فردريك پاينتون
المراسل الحربي لمجلة ريدرز دايجست
في شمال افريقيا



حين رقى « دوايت دافيد أيزنهاور » منذ سنة إلى رتبة الجنرال وعين قائداً أعلى للقوات المتحالفة من جوية وبحرية وبرية فى شمال أفريقية ، ظن معظم الأمريكيين — فيما يبدو — أن هذا التعيين ليس إلا نوعاً من الشرف يؤدى إلى أمريكا تقديراً لمجهودها الحربى . وقليل هم الذين أدركوا عندئذ أن أهم مشاكل الحرب قد ألقيت على عاتق هذا الجندى — ألا وهى مشكلة جعل « الحلفاء » يحاربون معاً حرب الحلفاء ، وتنسيق القوات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية بحيث تخبط خبطة واحدة مسددة محطمة ، لا أن تطعن طعناً متتابعاً متفرقاً .

وفى الحرب العالمية الأولى لم يتأت تعيين المارشال فوش قائداً أعلى للحلفاء إلا بعد أن سالت دماء كثيرة طوال ثلاث سنوات ونصف سنة ، وبعد أن جاءت النذر سافرة بهزيمة تامة محققة . أما فى هذه الحرب فلم يطل بنا الزمن حتى نقتنع بضرورة توحيد القيادة . ولكن التسليم بالمبدأ شىء ، وإنشاء هيئة قادرة على العمل رغم تباين الأوطان ، واختلاف الأنظمة الحربية ، وتنوّع العتاد شىء آخر .

فكيف يتسنى جعل المحنكين من رؤساء قوات الحلفاء فى البر والبحر والجو يخضعون كبرياءهم وطبائعهم فلا يأنفون من أن يجروا إلى الغاية فى عنان واحد . والرؤساء العسكريون هم بنزعاتهم وطول ممارستهم زعماء قد ألفوا أن يكون فى أيديهم السلطان الأكبر الأعلى ، وهم يحرصون على حياطته كل الحرص .

وكنا — نحن مراسلى الصحف فى شمال أفريقية — نسائل أنفسنا كيف يستطيع « أيك أيزنهاور » ، ذلك الرجل

الأصلع الأحمر الوجه ، أن يؤلف تحت إمرته بين زعماء مبرزين كالسير هارولد ألكسندر الذى يعد من أقدر قواد إنجلترا ، والسير برنارد مونتجومرى ، قائد الجيش الثامن ، وأمير البحر السير أندرو براون كننجهام قائد أسطول البحر الأبيض المتوسط .

وإذا استثنينا غزوة شمال أفريقية رأينا أن أيزنهاور لم يتولّ قط فى عمره كله (٥٢ سنة) قيادة معركة من المعارك العظمى ، ومع ذلك فقد أسندت إليه رياسة زعماء اكتسبوا شهرتهم الذائعة من ميادين القتال.

فالنجاح إذن يتوقف على مقدرة أيزنهاور فى التنظيم ، وعلى حسن سياسته وكياسته ، بل يتوقف فوق ذلك كله على جوهر طبائعه وسجاياه . وكان قد أبدى خلال إقامته بلندن قائداً للقوات الأمريكية فى أوربا ، كياسة وافرة ، وفهماً ثابتاً ، وأمانة صريحة سافرة ، حتى ظفر بإعجاب الإنجليز . تترقرق فى عينيه الزرقاوين الحياة والود ، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة سهلة تحببه إلى النفوس .

وعرف أيزنهاور منذ تخرجه فى الكلية الحربية بطول الجلد على العمل ، وبذاكرة عجيبة ، ومقدرة فائقة فى التنظيم . وفاز فى الحرب الماضية — وهو فى سن الثامنة والعشرين — بنوط الخدمة الممتازة لأنه أبدى « حماسة لاتسامى ، ومقدرة فى الإدارة لا تنكر » وبهذه العدة بدأ الرجل يعمل .

كنت بين الصحفيين الذين اجتمعوا عنده لسماع أول بيان منه بعد توليه القيادة العليا . قال : « لقد أمدنا البريطانيون بأقصى جهودهم وبأبطالهم . وهذا شرف لى كبير . ولدينا نحن بضعة أبطال أيضاً ، وسنعمل جميعاً معاً وسيضع كل رجل نصب عينيه إنجاز مهمته متناسياً قوميته » .

وبعد بضعة أيام قال أيضاً : « يجب أن نحمل الضباط كافة على إدراك ما فى إطلاق الألسن بلا حذر بنقد أعمال أحد الحلفاء من خدمة جليلة للعدو . فإذا كان الفاعل من الضباط الأمريكيين فإنى سأنزل به أقسى عقاب مخوّل لى » .

يقول أمثال هذا وملامح وجهه خالية كالأرض الجرداء ، وعيونه الزرق جامدة لا ترق ، فتحس عزماً لا يلين من ورائه عقل جبار .

وبعد تدبر متصل بالليل والنهار نجح أيزنهاور فى أن ينظم معاونيه من ضباط الحلفاء فى عقد واحد ، فأسندت رياسة الأسطول فى البحر الأبيض المتوسط إلى أمير البحر كننجهام البريطانى ، ولكن وكالة الرياسة كانت من نصيب نائب

أمير البحر هنرى. ك . هيويت الأمريكى ، وأصبح مرشال الجـو تيدر البريطانى مستشاراً حربيا فنيا ، وأما الجنرال سباتز فقد تولى العمليات الحربية ، وتولى الماجور جنرال جيمى دوليتل قيادة قاذفات القنابل . وهما أمريكيان . واختار أيزنهاور الجنرال ألـكسندر ليكون نائباً عنه فى قيادة جيوش الحلفاء . وعمل تحت إمرة ألـكسندر فى الميـدان كل من الجنرال كلارك الأمريكى والجـنرال مونتجومرى البطل البريطانى ومعهما الجـنرال أندرسون البريطانى والجنرال باتون الأمريكى .

وشمل هذا المزج هيئة قيادة الحلفاء العليا كلها ، ففى كل قسم منها من رتبة الماجور جنرال إلى رتبة ضابط الصف ، يجمع كل مكتب بين محارب أمريكى ومحارب بريطانى من رتبة واحدة ، وتسند الرياسة لهذا فى قسم ولذاك فى قسم آخر . فـكل ورقـة ، وكل حادثة ، وكل طلب يصل إلى المكتب يتولى فحصه الزميلان مشتركين . وهم يأكلون معاً ، وينامون معاً ، ويعملون ١٦ و ١٨ ساعة جنباً إلى جنب . وتعلم الأمريكيون الإنجليزية الدارجة ، وأخـذ والضباط البريطانيون يقولون « أوكاى » غيرها من التعبيرات الأمريكية الشـائعة .

وفى هـذا العقد النظيم ، امتاز قسم الإمدادات المرتبة بعمل باهر يثير الدهشة ، فالمسافة بين شمال أفريقية والولايات المتحدة تبلغ ٤٠٠٠ ميـل ، وبينها وبين إنجلترا ١٩٠٠ ميل ومع ذلك فـكل رصاصة ، وكل درهم من الطعـام وكل دبوس ، يجب أن يعبر هذه البحار بطولها . وليس هذا كل ما فى الأمر ، فالدار البيضـــاء لا يربطها بتونس سوى خط واحد من السكة الحديدية وبعض طرق ضيقة غير ممهدة ، ومع ذلك فقد كان هـذا وحده هو السبيل إلى نقل كل طن من المواد الحربية إلى ميـدان القتال . وكان لابد من أن يصل ٦٥٫٠٠٠ رطل من الطعـام كل ٢٤ ساعة ، إلى كل فرقة فى جبهة القتال . وكانت عدتها أكثر من ١٢ فرقة . فتنقلها إليها ٢٠٠٠ سيارة من سيارات كل فرقة تستهلك ٥٠٫٠٠٠ جالون من البنزين يوميا . وقد أحصى عدد السيارات التى مرت على أحـــد طريق الأمداد فبلغ فى ٩٠ يوماً مليون سيارة . مهمة شاقة ، ولـكنها أديت خير أداء .

ولـا كانت القيادة العليا قد جمعت بين إدارة القتال فى شمـال أفريقيا وبين وضع خطط لمعارك قادمة أشـد هولا ، تخوضها جيوش أكثر عدداً ، فقد تضخمت هيئة أركان حرب الحلفـاء تحت إمرة الجنرال أيزنهاور تضخماً لا يتناسب مع عدد الجنود

فى تونس . فقد أصبحت تضم ١٢٠٠ ضابط و٠٠٠ر١٦ جندى ، واستولت على ١٥٠٠ بناء منفرد فى الجزائر . وقد قال أحد الظرفاء من الصحفيين وهو ينظر إلى هذا العدد الضخم ، حين وحلت الحملة التونسية فى أوحال الشتاء : « لم يسبق لمثل هذه الكثرة ، أن قادت مثل هذه القلة ، إلى عمل فى مثل هذه الضآلة ! »

وقد امتحنت هذه الشركة القائمة بين البريطانيين والأمريكيين امتحاناً حاسماً فى غزو صقلية من البحر وفى البر .

وينبئك الخبراء أن أصول الحرب تدل على أن الغزو بحراً من أدق العمليات وأخطرها ، ويتوقف نجاحه على المفاجأة وتنسيق الجهود تنسيقاً سريعاً ضبط حسابه بالثانية . وتمثل فى هذا الغزو أكبر حشد بحرى شهده التاريخ ، إذ اشترك فيه أكثر من نصف مليون من الجنود ، تحملهم ٣٠٠٠ سفينة ، ينبغى أن تحرسها عشرات من السفن الحربية أمريكية وبريطانية ، وأن تحلق فوقها — كمظلة واقية — آلاف من الطائرات ، تتولى أيضاً دك مراكز العدو وضرب مؤخرته .

وينبغى كذلك إنزال آلاف من البحارة والجنود إلى الشاطئ ، كل نفر فى الجهة التى خصصت له ، حتى لا يقع بينهم فى غبش الفجر هرج ومرج يقضيان على الحملة .

وينبغى أيضاً أن يهبط فى الظلام جنود المظلات من الإنجليز والأمريكيين على أمكنة معينة لاحتلال مطارات هامة .

وقد وضع الأمر الصادر لتنفيذ كل هذا فى ٠٠٠ر١٠٠ كلمة على عشرات من الملاحق والخرائط تملأ مئات الصفحات .

وكان الذى يدبر كل هذا ويصدر القرارات النهائية الحاسمة ، وينسق الحركات ويضبطها ضبط الصانع الخبير بآلات الساعة هو : « أيك أيزنهاور » .

وبفضل تأليفه بين ضباط القيادة من أمريكيين وإنجليز حتى صاروا يداً واحدة ، تم النزول إلى البر بكل دقة . وإذا استثنينا القتال فى جيلا رأينا أن الحملة كانت مفاجئة كل المفاجأة ومما يذكر عنه أنه قال عندئذ : « وايم الله لقد فاجأناهم وأخذناهم على غرة » .

ويصف أيزنهاور نفسه بأنه « رئيس مجلس إدارة الشركة » ، ويقول إنه لم يزل قائداً يلتزم مكتبه وتنحصر كل خبرته على الورق . ويعمل أيزنهاور من الفجر إلى وقت متأخر من الليل فى وضع خطط العمليات الحربية قبل موعدها بأشهر ، ومع ذلك فهو يتتبع الحوادث اليومية . . وكان هو الذى أشار أثناء الحملة التونسية بأن

تتحرك أربع فرق أمريكية سراً من جناح الجبهة الجنوبي حول قفصة إلى الشمال من بيجه ومطيور . وكان على ٥٠٫٠٠٠ جندي و ١٠٫٠٠٠ سيارة أن تعبر الطريق الذي تمر عليــه أمداد الجيش الأول البريطاني ، ففعلوا دون أن يقطعوا لحظة واحدة ســيل هذه الأمداد الموجهة إلى الجنود البريطانية التي كانت تخوض غمار قتال عنيف . ولعمر الحق إنه لعمل باهر خليق أن يعد من الأعاجيب ، فقد أطار صواب الألمان أن يروا الأمريكيين بغتة في الشمال ، ولقد كانت هذه الحركة من أسباب هزيمة فون أرنيم .

ومن خلائق أيزنهـاور التي أكسبته محبة ضـباط الحلفاء وولاءهم أنه يتحمل المسئولية ولا يلقيها على غيره . فلما منى الأمريكيون في شهر فبراير بأنكر هزائمهم على يد الجنرال روميل عنـد ممر فايد علت الشكوى بأن الوحدات البريطانية والأمريكية قد اختلطت اختلاطاً معقداً لا خير فيه .

وانتقدت وحـدات الدبابات الأمريكية كبار ضباطهم البريطانيين نقداً مراً لأنهم أساءوا قيادتهم لجهلهم الأساليب الأمريكية .

ووجه البريطانيون مثل هـذا الانتقاد إلى المدفعية الأمريكية التي كانت تعاونهم في القتال . فجمع أيزنهـاور مراسلي الصحف وقال لهم بهدوء : « أنا وحدي الملوم على خلط الوحدات . فقد رأينا الفرصة سانحة للاستيلاء على تونس كلها قبـل أن يتمكن الألمان من جلب الأمداد . فقذفنا في المعركة بكل ما لدينا من فرق القتال دون نظر إلى أي اعتبار آخر . وكانت مغامرة جريئة ، وكذنا ندرك ما أردناه ، وإذا خلطت الوحدات ، ولو في مغامرة معقولة كهذه ، فإن فصل بعضها عن بعض يحتاج إلى بعض الوقت » .

ولما أُنقذ الجنرال جيرو من الأسر في فرنسا قدم إلى شمال أفريقية وهو يعتقد أنه سيتولى القيادة العليا القوات الحلفاء . ومما ينبئ عن كياسة أيزنهاور أن جيرو رضي غـير ممتعض أن يقبل منصباً دون الرياسة . ولما استحكم الخلاف بين دي جول وجيرو وبلغت الأزمة ذروتها كانت قوات الحلفاء ومعداتهم تتحرك فعـلا إلى غزو صقلية . وكان نجاح الغزو متوقفاً على اتصال سير الإمداد إلى أيزنهاور من الدار البيضــاء إلى تونس . فتولى جيرو حراسة هذا الطريق الحيوي بـ ٦٠٫٠٠٠ من الجنود الفرنسيين .

وقد بذل الألمان أكبر جهد في تخريب خطوط المواصلات ، وأسر حرس جيرو نفراً من الألمان متنكرين في زي الأعراب وهم يحملون المفرقعات والأسلاك . وقـد

رأيت ثلاثة من زملائهم أخذوا على مقربة من تبسة ، وآخرين غيرهم عند قفصة . وقد هبط عدد من جنود المظلات يريدون قطع الخط الحديدى ، فعهد إلى الفرنسيين فى مهمة تطويقهم وأسرهم ، وهى مهمة شاقة أدوها أحسن أداء .

وفى هذا الوقت الحرج طلب دى جول تطهير الجيش الفرنسى من كل الضباط الذين يشتبه فى ميلهم أقل ميل إلى فيشى . وهذا طلب من شأنه إيقاع الاضطراب أو على الأقل إنقاص كفاية الجيش .

لقد كان دى جول فى سنة ١٩٤٠ وقت أن سقطت فرنسا يستمد قوته من شدة تصميمه على مواصلة القتال ، ومن رفضه كل مساومة . ولكن هذه الشدة وإن كانت محمودة حينئذ إلا أنها هى بذاتها التى جعلته الآن غير قادر على التفاهم . ولكنه تنازل أخيراً عن طلبه ، تحت ضغط الحلفاء — كما قيل — على حين وقع اللوم كله على أيزنهاور .

وبعد أيام قليلة ذهبنا إلى مقر القيادة وعدنا ونحن نشعر أن العقدة حلت كما يلى : فى اللحظة الحرجة التى تتهيأ فيها القوات للوثوب متخطية البحار لتبدأ الهجوم على أوربا ما كان يسع أى قائد أن يسمح بتعريض مؤخرته للتبدد ، وخطوط مواصلاته لخطر الانقطاع . ولو عهد فى مهمة الحراسة إلى رجال جدد لأدوها كما يؤديها ضباط جيرو خير أداء ، ولكن الترتيب القائم كان منتظماً فى سيره ، ولم يكن الوقت وقت إحداث تبديل وتغيير . ولم يكن ليشق على رجل عسكرى كجيرو أو ديجول أن يدرك هذه الحقيقة . وقد فعلا .

ينطلق « أيك » أحياناً من مكتبه وهو يمشى مشيته السريعة المتوثبة ويمضى إلى الميدان يتفقده بنفسه ، وإن وجهه ليتهلل بابتسامته المرحة ، وإنك لتشعر كأن ذهنه ينعم بالسعادة فى تلك الفترات السريعة التى يغتنمها . وقد أسرع إلى البر بعد نزول قواته إلى صقلية ببضعة أيام ليحيى الجنود الكندية التى عملت لأول مرة تحت إمرته .

وتجلت فى علاقات أيزنهاور بالصحفيين روح الصداقة والصراحة التى استطاع بفضلهما توحيد القيادة العليا للحلفاء . وكثيراً ما قال : « إننى أتعاون معكم أيها الزملاء وأريد منكم أن تتعاونوا معى » . ولا ريب فى أنه يعنى ما يقول . وقد استدعى مرة أحد مراسلى الصحف إلى بلاده لمخالفته تعليمات الرقابة ، وكان هذا المراسل قد دبج مقالا كال فيه المديح لأيزنهاور ، ولكن هيهات أن يؤثر ذلك فى أيزنهاور .

فإذا كانت المسألة تتعلق بسلامة الجنود بدت على وجهه الصرامة وتبدّت في عينيه القسوة، فهو لا يطيق شيئاً كهذا يعرض حياة جندي واحد للخطر بسبب تسرب الأنباء.

وهو يكره الحدس والتخمين اللذين يلجأ إليهما الصحفيون للتنبؤ بالحركات الحربية المحتملة، وقد قال: إذا صدق الحدس تنبه العدو، وإذا كذب دلّ على بلاهة المراسل. ويستشهد بمراسل أذاع بالراديو نبأ حركة يتوقع أن يقوم بها الجنرال ألكسندر أثناء تقهقره في شبه جزيرة الملايا، وقد صدق حدسه، فتنبه اليابانيون وفدحت الخسارة.

لهذا كانت دهشتنا عظيمة حين رأينا أيزنهاور، في أحد اجتماعات المراسلين في ١٠ يونيو، يقطع الحديث الدائر ليصرح لنا أن حركته القادمة هي غزو صقلية، وأنه سيبدأه في بحر ثلاثين يوماً.

لقد وثق بنا فأمننا على السر، وقد خرج على مألوف عادته بعد ذلك وأطرى حرصنا على كتمان السر.

وهو لا يبحث عن الشهرة على، فلا تسمع ما يسمى «مركز قيادة أيزنهاور» بل «مركز قيادة الحلفاء». وهو لا ينفك يمدح معاونيه ويوجه إليهم الأنظار ويسميهم «أنصار كلهم نجوم». ويقول لضباطه: «إن مهمتنا شاقة ولا جزاء عليها، ولكننا إنما نحقق أمراً واحداً هو: أن الحلفاء يستطيعون أن يقاتلوا جنباً إلى جنب تحت قيادة واحدة كأنهم أمة واحدة».

* * * * *

«قواعد اللغة» سلاح المبارزة!

ليس للندل في مطعم أن يردوا رداً جافياً على أحد رواد المطعم ولو كان وقحاً، على أن رئيس الندل في مطعم إنجليزي استطاع أن يرد الرد البارع المفحم على أحد الرواد الوقحين إذ قال: «إن منصبي لا يسمح لي ياسيدي أن أناقشك، ولكن إذا أفضى الأمر إلى اختيار السلاح، فإني أختار قواعد اللغة»!.

(ذي لسنر)

* * * * *

الذوق سمة الرجل المهذب، والخيال سمة الرجل المنتج، واتزان العاطفة سمة الرجل الناضج.

[فيليب بوتز في «ذي فوروم»]

من صميم الحياة

دوروثي كانفيلد فيشر

حينما كنت صبية صغيرة قضينا فترة من حياتنا فى مدينة جامعية ، حيث كان والدى أستاذاً . فاكتشفت والدتى — فى مزرعة قريبة من المدينة — رجلا من أبناء عمومتها لم تكن سيرته فخراً لأسرة برت ، إذ كان — كما وصفه جيرانه — شيخاً غريب الأطوار لا يطاق ، على جانب من الذكاء يخالطه طيش غريب .

وقد تزوج بعد وفاة زوجته الأولى امرأة أصغر منه كثيراً ، وكانت عيشتها كربا ، وكان يفر من حين إلى حين ولا يعلم أحد إلى أين يذهب ، فيتركها وحدها تشرف على أعمال مزرعته على قدرما تستطيع أثناء غيابه .

وكان من دأب والدى أن يحملانى أحياناً معهما فى عربة الأسرة لزيارة مزرعة برت ، ثم نعود مزودين بالبيض والقرع والتفاح ، وقد وعت أذنى شيئاً من سقط الأحاديث عن كراهة الناس للمستر برت .

ولما ذهبنا إلى المزرعة يوماً ما ألفينا المستر برت قد اختفى غير مكترث كعادته ، وإذا مسز برت مغيظة تصرخ بالشكوى : « أنا أعلم دائماً متى يختفى ويتركنى وحدى أحمل عبء عمله وعملى . إنه يصير من سىء إلى أسوأ

فلو عاشره ملك من الملائكة لما وسعه أن يتجنب الشقاق والنزاع . نعم ! سيعود إلىّ حين يهدأ ويطمئن مهزولا ممزق الثياب كأتعس مخلوق على وجه الأرض » .

ثم أذكر بعد ذلك نبأ سمعته عن فرار المسز برت نفسها — وهو حادث لم يكن يسمع بمثله فى تلك الأيام — وكانت المدينة التى لجأت إليها مركزاً للمعاملات التجارية ، فكنا نراها أحياناً ، فلم تكن هى المرأة التى نعرفها . وقد عملت بادىء الأمر فى مصنع بأجر زهيد ، ثم استطاعت أن تحسن حالتها المالية بما لها من موهبة وقدرة على الإشراف على النساء العاملات ، فأصبحت سيدة جميلة الطلعة أنيقة الزى ، ليس عليها سمة من سمات تلك المرأة الريفية الذليلة النحيلة التى كانت ترتدى الملابس الحقيرة .

وعاد برت إلى مزرعته ولم يزل يزداد رثاثة وهزالا ، ولم يزل يختفى من وقت لآخر . فكان جيرانه فى أثناء غيابه يحلبون الأبقار ، ويطلقون الخيل والدجاج تسعى وراء قوتها . وكان سكان هذه المنطقة إذا صادفوا مسز برت قالوا لها : « لقد أحسنت صنعاً بهجره . ما من امرأة تطيق أن تعاشر مثل هذا الشيخ المخبول » .

وسرعان ما نقلوا إليها أخباراً جديدة . فإن سيرة الشيخ زادت غرابة وشذوذاً ، حتى إن جيرانه أقنعوا الطبيب أن يترفق فى الحديث معه حتى يفحصه . وقد قرر الطبيب أن الشيخ برت مصاب بضرب هادئ من الجنون ، وأن لُوثة عقله تأتيه فى نوبات ، فإذا ما انتابته ابتعد رويداً رويداً عن حالته الطبيعية إلى أن يلوذ بالفرار كعادته ، فإذا ما فترت هواجسه عاد أدراجه إلى مزرعته .

أصغت مسز برت إلى هـذه الأنباء فى صمت ، وبعد أيام قليلة تركت عملها التى تربح منه أجراً طيباً كما هجرت ملابسها الجميلة ومسكنها المريح ، وعادت ثانية إلى المزرعة ، إلى بيتها الكئيب وزوجها العليل . وظلت هناك تنظف المنزل إلى أن أشرقت جميع الغرف ، وتطبخ ألوان الطعام التى يشتهيها زوجهـا حتى بدأ يتخلص شيئاً فشيئاً من شعثه ورثاثته .

ثم حدث ذات يوم أن فرّا كلاهما .

وبعد مدة سمعت والدتى تقص على والدى ما حدث . فإن مسز برت حـين لاحظت أول أمارات القلق التى تسبق فرار زوجها قالت له : « ما رأيك فى رحلة إلى منطقة لايونس ؟ لقـد كنت أصنع عرائس من القش وأظن أننى أستطيع أن أبيعها للأطفال فى الطريق ، فيتسنى لنا بذلك أن نجمع بعض المال ، ولعله لا يثقل عليك أن نفر معاً بعض الوقت » .

ثم عهدت إلى أحـد أبناء الجيران فى السهر على المزرعة ، وأعدت ما يلزم لتحويل عربة المزرعة إلى مأوى وضعت فيه مرتبة محشوة بالقش ، وبسطت عليها غطاء من القلع يقيهما المطر . ثم حزمت الطعام وأغطيـة النوم ، ولم تمض نصف سـاعة حتى كانت جالسة على مقعد العربة وهى تقول للشيخ الذاهل : « هلم ! سأقود أنا العربة ومن الخير لنا أن نرحل » .

وانطلقا . فإذا غشيت المسكين غاشـية من لوثته ، لم يكن — هذه المرة — يتخبط بلا طعام يأكله وبلا عين ترعاه ، ولم يكن يرقد فى الحقول منهوك القوى كلما عجز عن المسـير ، بل يسير وبيته معـه ، وزوجه الرشيقة تقود العربة من حقـل إلى حقل ومن دار إلى دار ، وتغنى له الأغانى الحبيبة فى هدآت الصمت كلما أطرق مكتئباً وهو جالس إلى جوارها على المقعد ، أو استرخى بلا حراك على الحشيّة فى العربة .

وقد نظمت له مواعيد الأكل ، وجعلته يأوى فى مأمن من تقلبات الجو ، وقـد تعلمت كيف تحلق له ذقنـه . وكانت تبيع عرائسها الصغيرة فتشترى لوازم البيوت لتبيعها إلى نساء القرى النائية ، وتقايضهن بمنتجات

زراعتهن ، فإذا كان منها شيء لا يأ كلانه ، باعته لأهل المدن . وكانت تقول للذين ينظرون بدهشة إلى الشيخ الصامت : « إن صحة زوجي اليوم ليست على ما يرام » .

وقد تغيبا عن دارهما ثلاثة أشهر ، فلما وصلت العربة العائدة إلى فناء المزرعة أمسك زوجها بعنان الخيل وهو حليق الذقن نظيف الهيئة هادئ النظر ، وزوجته إلى جواره وقد وضعت يديها فى حجرها فى خضوع وسكون كعادة الزوجات فى أيام السلف الصالح .

وأظن أن الحال قد استمرت على هذا النحو بضع سنوات . ولا أكاد أذكر عنها شيئاً حتى بلغت سن المراهقة ، فأذكر يوماً لا يزال حياً فى ذهنى بعد مضى ٥٠ عاماً كيوم كان ، وذلك يوم خرجت بى والدتى إلى مزرعة برت لتشترى بيضاً .

كانت مسز برت تخبز ، فجلست أنا على الأرض أمام موقد المطبخ ألهو ببعض القططة الصغيرة ، وحديث السيدتين يدور فوق رأسى سمعت مسز برت تقول : « أنا لم أذكر قط شيئاً من ذلك لأحد . ولكن ما دمت أنت من الأسرة . . » ثم أمسكت لتذر بعض الدقيق على اللوح ، ثم واصلت حديثها : « لا بأس ، لقد كانت هذه حيلتى معه . لقد وجدته يرتاح ويهدأ إذا ما أهملت كل شيء وفرغت له حين تلم به هواجسه. كان يجد كأنما يطارده شيء لن يستطيع أن يقبض عليه إذا ما ظل سائراً . فكان صوت العجلات يصور له أنه فى أمان من هذا الذى وراءه . وكنت أواصل السير ليلا ونهارا إلى أن يهدأ ويغلبه النوم ، فإذا ثاب إلى رشده عدنا راجعين إلى البيت . وبذلك لم نجن شيئاً كثيراً من أرضنا ، ولكنه كان كافياً لمعاشنا » .

وأذكر أن هذا الحديث أثر فى نفس والدتى أثراً عميقاً حتى سالت دموعها، وشاءت أن تعبر عن إعجابها ففاهت بكلمات كانت تخنقها العبرات : « إننا جميعاً نعتقد بأنك تؤدين واجبك أكثر من أى إنسان»

وحينئذ نفذت إلى أذنى كلمة لا تنسى ، كلمة هادئة ، محكمة ، ثمينة ، حافلة بجرس جهير واضح كأنه رنين ناقوس دقيق الصنع ، ومازال صداها يرن فى أذنى ، فقد انتظرت المرأة الريفية حتى انتهت والدتى من ثنائها المضطرب ، فإذا بها وهى تميل لتضع العجين فى الموقد تقول فى هدوء وسذاجة : « على أى حال .. هو زوجى أليس كذلك ؟ » .

خليفة تشرشل

نويل ف . بوش
ملخصة عن مجلة « لايف »



« قال موسوليني ذات مرة عن أنطوني إيدن « إنه »
« آنق أحمق في أوربا » وقد صار إيدن الآن في طريقه »
« إلى رآسة وزارة بريطانيا بعد رئيسها الحالي »

يعد أنطوني إيدن — ثاني رجل في الحكومة البريطانية — طرازاً كلاسيكياً ، بكل ما اشتمل عليه من عيوب ، من أولئك العظماء من أمثاله الذين بوءوا إنجلترا مراتب العظمة . وقد أظهر الاستفتاء الذي قام به معهد جالوب في بريطانيا أن ٤٥ ٪ من الناخبين يؤثرون أن يكون إيدن خليفة تشرتشل . وقد حدث في الشتاء الماضي أن مهد تشرتشل طريق إيدن إلى رياسة الوزارة بأن جعله زعيم مجلس العموم ، وهو منصب يتولاه في الأيام العادية رئيس الوزارة نفسه في البرلمان .

وكانت الحادثة التي رفعت إيدن إلى مكانته السامية الحالية هي استقالته المدوية من وزارة نفيل تشمبرلن احتجاجاً على سياسة التهدئة التي انتهجتها في فبراير سنة ١٩٣٨ ، وكانت الاستقالات في سبيل المبادئ قد أصبحت نادرة في الحياة السياسة البريطانية ، فكان مما يحرك النفس ويبتعثها أن يجيء رجل فيقوم اعتقاده ورأيه بأكثر من مرتب وزير الخارجية ، وهو ٥٠٠٠ جنيه في العام . واتضح على الأيام أن اعتراضات إيدن على ملاطفة الدكتاتورين ، وإيمانه بالضمان الكلي ، وإخلاصه لعصبة الأمم على اعتبار أنها الأداة الوحيدة الميسورة لهذه الغاية ، لم تكن مظهراً لمثالية حالمة ، بل مظهر فطنة قوية وإدراك صحيح لما هو حاصل.

وقد جاءت سيرة إيدن مذ قامت الحرب فزادت شهرته من هذه الناحية ، ذلك أنه أعيد إلى الوزارة في سنة ١٩٣٩ وزيراً للأملاك المستقلة أولا ثم للدفاع ، فأظهر اقتداراً عظيما على التنظيم بما هيأ من وسائل الدفاع الداخلية في أثناء معركة بريطانيا . ودل في الوقت نفسه على أصالة الرأي وبعد النظر في تدبير الخطط ، حين أقنع الحكومة بأن ترسل جنودا إلى مصر في سنة ١٩٤٠

على حين كان معظم زملائه لا يفكرون إلا فى تدبير القوات اللازمة فى قلب إنجلترا لمقاومة الغزو . وفى سنة ١٩٤١ عاد إيدن إلى منصبه القديم فى وزارة الخارجية وحل فيها محل الفيكونت هاليفاكس .

وقد وصفه موسولينى مرة بأنه : « آنق أحمق فى أوربا » ولا يزال إيدن يعد خطأ رائداً للأزياء، على أن الحقيقة أن إيدن ليس طاووساً مختالا وإنما هو أشبه فى شخصيته بالحفار المنقب المتوغل فى جوف الأرض ، وقد كان وما زال منذ حداثته عالماً نقاباً وإسفنجة معارف عامة ، ولإيدن عقل من ذلك الطراز الذى يغربل الحقائق وينخلها ، ويعكف على الملفات ، ويصرف الأمور التى تشتمل عليها أكوام ضخمة من الرسائل .

وهو يحب أن يتبسط فى الحديث العادى حين يكف عن العمل ، فإذا لم يكن يتكلم ، فإنه يحب أن يفكر ، أو بعبارة أدق ، يكدّ رأسه . وبرنامجه اليومى الذى يشغله ست عشرة ساعة فى اليوم، يوافقه أتم موافقة.

وترى إيدن ، فيما عدا أواخر الأسابيع حين يلحق عادة بزوجته فى بيت صغير فى إقليم سسكس ، ينام فى الديوان فى شقة صغيرة استطاع أن يلفقها مما كان فى الأصل حجرة الاستقبال فى عهد اللورد هاليفاكس. وبعد أن يتصفح ، وهو يتناول فطوره ، جريدة التيمس والبرقيات الواردة فى الهزيع الأخير من الليل ، يذهب حوالى الساعة التاسعة صباحاً ليتمشى بسرعة فى حدائق سنت جيمس القريبة ، وبعد أن يقضى ساعة أو ساعتين فى مكتبه يقصد إلى غرفته فى مجلس العموم ، وهناك يعبث بنظارته ويفرك حاجبيه بأنامله ويعبس وهو يدون ما يعن له على الورق . فإذا دخل المجلس تغير مظهره فيبتسم ابتسامة لطيفة ، ويجلس مسترخياً إلى جانب منضدة الرئيس ، ويمد ساقيه الطويلتين ويسند قدميه إلى الحافة . ولهذه الجلسة وقعها الخاص ، لأن إيدن لا يتخذ رباطاً لجوربه فيبدو جورباه متهدلين .

وفى العصر ، بعد أن يغادر إيدن مجلس العموم ، يعود إلى وزارة الخارجية حيث يبقى جالساً إلى مكتبه حتى الثامنة تقريباً . ثم يتعشى مع صديق أو فى فندق أو فى ناديه الخالى من المرح — نادى كارلتون ، وفى الليل تعقد الوزارة جلسة ، ولإيدن فيها مقام خاص ممتاز إلى حد ما ، وقد يندفع المستر تشرتشل فى مناقشة حادة فيحتاج الأمر إلى أكثر من واحد ليفىء إلى القصد . وكثيراً ما يحدث أن يلفى إيدن نفسه ، على كونه أقرب الوزراء إليه وأوثق أنصاره ، مضطراً أن يتزعم ائتلافاً داخل الوزارة ضد رئيسه ، وبعد هذا الاجتماع

الوزارى يقوم إيدن بعمله الجدى فى يومه ، وهو حديثه الليلى مع تشرتشل . ورئيس الوزارة يكره أن يأوى إلى فراشه ، وكثيراً ما يسهر إلى الثالثة صباحاً وما بعدها أيضاً .

وقد اكتسب إيدن بفضل اتصاله سنوات طويلة بتشرتشل ، حذقاً لا يبارى فى معالجته . فمن ذلك أنه لما عاد تشرتشل من إحدى زياراته للولايات المتحدة ، وضع مشروعاً تشرتشلى الصبغة للتوفيق بين جيرو وديجول . ولكن إيدن يؤثر أن يعالج هذه الأمور الدقيقة على طريقته هو ، فطار إلى أفريقية الشمالية ، وقابل رئيس الوزارة فيها ، وصرفه عن السياسة إلى عرض الجنود .

وترجع براعة إيدن فى علاج ذوى الشخصيات العسرة مثل تشرتشل إلى مؤثرات حداثته . وقد أنجبت أسرة إيدن فى خمسمائة عام من تاريخها المدون ، رجالا كثيرين بلغوا منازل عالية من الجاه والنفوذ من بينهم اللورد بلتيمور واللورد أوكلاند .

ولكن الأسرة لم تنجب قط رجلا مثل والد إيدن ، فقد كان السير وليم إيدن مصوراً من طبقة غير عالية ، ولكنه كان صياداً من الطراز الأول ، ورامياً لا يخطئ هدفه ، وملاكما هاوياً ، يستطيع أن يقهر خير المحترفين فى زمانه ، على أن موهبته الكبرى كانت فى ميدان الطفولة ، وقد سبق جيله العاطفى فى هذا الباب . وكان السير وليم يكره الأطفال لا لذاتهم فقط بل لضوضائهم ، وهو ما كان يحتقره .

وقد كان من السهل أن يدرك المرء الأثر الذى سيكون لمعاشرة طفل رقيق مثل إيدن لمثل هذا الوالد المتعدد الجوانب ، فنشأ صبيا طويل التفكير والتدبر ، وتشير رسائله التى كان يبعث بها إلى قومه من كلية إيتون إلى جهوده للتفوق على زملائه فى تحصيل العلوم والمعارف أكثر مما تشير إلى المغامرات الرياضية .

وترك المدرسة وهو فى الثامنة عشرة ، والتحق بفيلق الرماة الملكى ، ورقى إلى رتبة ملازم ثان وذهب إلى الحرب فى فرنسا سنة ١٩١٦ ، وفى سنة ١٩١٨ كان أصغر يوزباشى فى الجيش البريطانى وأنعم عليه بالصليب الحربى ، وقد استحقه لأنه زحف على يديه ورجليه إلى المنطقة الحرام تحت نار المدافع الرشاشة لإنقاذ جندى جريح .

ولما وضعت الحرب أوزارها أتم إيدن تعليمه فى جامعة أكسفورد وتخرج بدرجة الشرف الأولى فى اللغات الشرقيــة ، وفى أكسفورد أيضاً استقر عزمه على الاشتغال بالسياسة بعد تخرجه . وأمثاله ممن تربوا كتربيته ينظرون إلى الحكم على أنه واجب لا على أنه مزية تستفاد .

وكانت له عدة كافية من المواهب العقلية، ومن السمت ، ومن حب الاستقصاء ، فما لبث أن لفت إليه الأنظار بعد أن انتخب عضواً في مجلس العموم . وفي سنة ١٩٣١ اختاره ستانلي بولدوين وكيلا برلمانياً لوزارة الخارجية ، ثم صار وزير دولة لشئون عصبة الأمم في سنة ١٩٣٥ ، وبعد شهور قليلة عين وزيراً للخارجية .

ودار وزارة الخارجية بناء عتيق أغبر في دوننج ستريت قبالة مقر رئيس الوزراء رقم ١٠ ، وفيها حوالي ١٣٠٠ من الموظفين المدنيين ، منهم نحو مائتين من الكبار هم الذين يتولون التنفيذ . وتمر بهؤلاء الرسائل الواردة من السفارات والمفوضيات البريطانية في أرجاء العالم كله في صورة « مذكرات » بواسطة « صناديق » من الجلد الأحمر والأزرق . وبعد أن يتم التعليق عليها تكتب الردود وترسل ، ثم توضع هي في المحفوظات ، فتتحول من مذكرات إلى « أوراق مقبورة » . وهذه الطريقة ، وإن كانت تبدو غير معقولة ، هي مع ذلك التي لا تزال إنجلترا تجرى عليها وتسوس بها حصة الأسد من العالم .

وفي هذه البيئة الموافقة وجد إيدن ما يرضى نزعته إلى العمل النموذجي . وقد استفاد من دراسته المتواصلة في الفترات الحرجة بين الحروب معرفته النادرة بأوربا . أما إيمانه « بالسياسة المباشرة » (وهي تقضي بأن يتعامل أعضاء الحكومات المسئولون وجهاً لوجه) فكان ثمرة ما لاحظه أولا من أنه لا فائدة في حكومة فردية من الاتصال برجل آخر غير الذي في يده زمامها ، وثانياً أن وسائل السفر الحديثة تجعل ذلك ميسوراً .

وقد اجتمع بهتلر مرتين ولكن أحاديثه مع ستالين وموسوليني كانت أبرز ما استطاعه في ميدان الدبلوماسية الشخصية . وقد انتهى حديثه مع موسوليني بالخلاف العلني الوحيد في حياة إيدن السياسية ، أما حديثه مع ستالين فكان أول خطوة في سبيل التقارب الذي آتى هذه الأرباح العظيمة على الرغم من فترة القلق في سنة ١٩٣٩ . وكانت الزيارتان مظهراً لإدراكه الدقيق للتيارات الرئيسية في سياسة الدول الأوربية في هذا العصر، ولكن وراء هذه الحوادث البارزة، سنوات من الدرس الطويل في وزارة الخارجية ، وشهوراً من الاجتماعات بساسة أوربا الصغار في جنيف ، وقد أفاده هؤلاء علماً بالتيارات الصغرى لا غنى عنه لمن ينشد السكينة لهذه المياه المضطربة .

ومن خير أصدقاء إيدن جون ج . وينانت السفير الأمريكي ، والمسيو مايسكي سفير روسيا السابق ووكيل خارجيتها الآن .

ولصلة إيدن بالمسيو مايسكى أهمية سياسية ودبلوماسية ، فكما أن تشرتشل يعد زعيما لقسم التضامن البريطانى الأمريكى فى إنجلترا ، كذلك يعد إيدن زعيما لقسم التضامن البريطانى الروسى. وقد قال ستالين عن السير ستافورد كريبس : « إنه يضجرنى بكل هذا الكلام عن الاشتراكية » ولكنه يعد إيدن نموذج الأرستقراطى البريطانى ، فهو يعرف موقفه منه على وجه الدقة ، ثم أنه لا يكل من العمل . وقد توافق ستالين وإيدن لما التقيا أول مرة فى سنة ١٩٣٥ ولنا أن نتوقع أن يكون هذا حالهما فى المستقبل .

وقد ظل إيدن إلى الآن متحفظاً ، كما هو طبيعى ، إلى حد ما فيما يتعلق بما لعله استقر رأيه عليه فى الوسائل التى تدار بها ساعة أوربا بعد الحرب ، وخير ما لخص به آراءه إجمالا فى هذا الموضوع قوله فى خطبة حديثة له : « ما من أحد منا يسعه أن يتجنب التغييرات التى هى فى حكم الانقلاب ، حتى لو أردنا ذلك ، ولكنه لا توجد إلا طريقة واحدة مأمونة فى تيه التعقيدات التى ستكون بعد الحرب . وأعنى الإيمان بأنفسنا كأمة ، والإيمان بواجباتنا وتبعاتنا نحو العالم كله بصفتنا دولة كبرى. فإذا استوحيناهذا الشعور برسالتنا والإدراك لها فإن التعاون مع حلفائنا الكبار والصغار يصبح أسهل وأيسر » .

بواعث الطلاق

● قالت مسز ساندرز : إنه لم يلطمنى حقاً ، ولكنه كان يلطم الأبواب بقبضة يده وهو يقول : ليتك كنت أحد الأبواب .

● طالبت مدام هوفنشتين بتطليقها من زوجها الشاعر ، لأنه وجّه إليها أبياتاً قال فيها : حين تكونين بعيدة عنى أشعر بالقلق والوحدة والملل والانقباض ، ولكن يا حبيبتى أشعر بها كذلك حين تكونين معى .

● وطالب وليم ويلسون بتطليقه من زوجته لأنها أخفت أسنانه الصناعية ولم تردّها إليه حتى افتداها بريالين .

مرح الحيوان

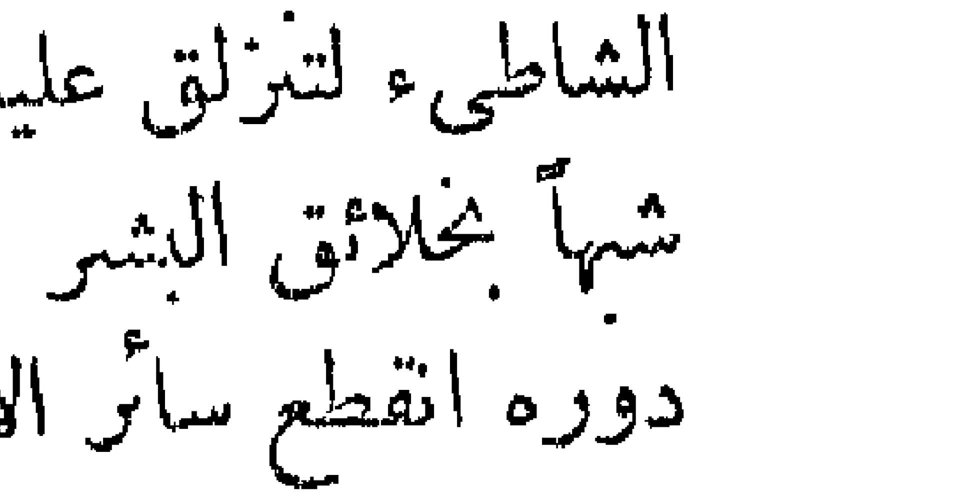
ارتشبولد روتلدج

من عاش فى الخلاء كما أعيش ، فلن يعدم أن يرى الحيوانات البرية وهى تمرح وتلعب ، وقد يكون ما يلبسها أحياناً من المرح مقترناً بنشوة خفية تستخفها إلى التصدى للأنثى أو التبرج للذكر ، أما فى أكثر أحيانها فلا ينبع مرحها إلا من اللذة الخالصة فى لهو الحياة ولعبها .



عثرت ، أصيل يوم على خمسة من القنادس (كلاب الماء) وهى تتبارى فى الانزلاق لدى بحيرة ضحلة نائية قريباً من مزرعتى ، وكان بيناً أن هؤلاء ثلاثة صغار وأبواها . وتشرف على البحيرة صخرة يبلغ ارتفاعها ١٥ قدماً ، وعلى صفحتها المنحدرة من القمة إلى الماء طبقة من الوحل الأسود . فإذا اردن الانزلاق على منحدرها نام أحدها منبسطاً على بطنه ، ثم يستعين على دفع سائر جسمه بخلفيتيه ، وينحدر منزلقاً إلى الضفة .

فإذا ما مست الماء أتت بأرشق ضروب البهلوانية وألطفها قبل أن تعود إلى الشاطىء لتنزلق عليه تارة أخرى . إلا أن شيئاً واحداً راقنى منها إذ كان أمسَّها شبهاً بخلائق البشر ، وذلك أن أحد الصغار كان أصغر من شقيقه ، فإذا جاء دوره انقطع سائر الأسرة عن لهوه ليشهد ما يكون من أمر « صغيرها » .

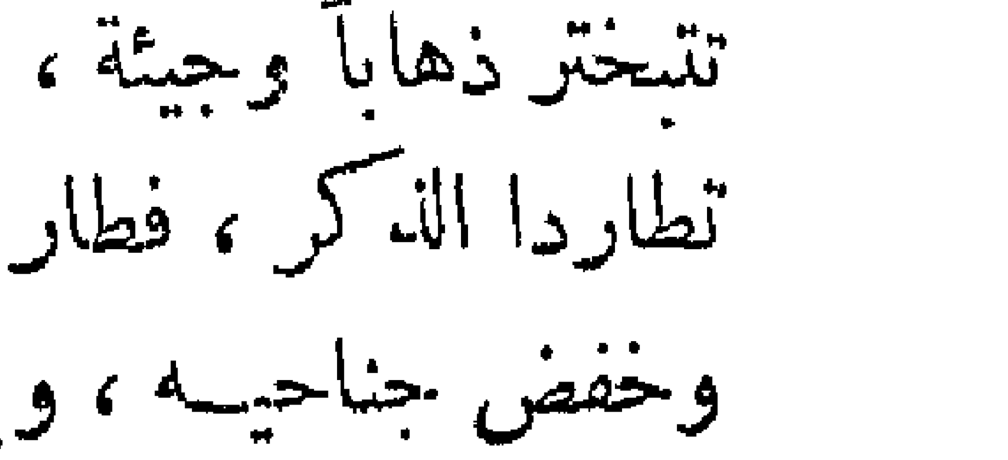


خرجت يوماً مع مغرب الشمس من جوف الغابة إلى كثبان رمال الشاطىء ، فما هو إلا أن بزغ البدر الكامل على المحيط الأطلسى ، وإذا سرب من ظباء بيض الأذناب يتسلل من الغابة . ولم يكن على هذا الشاطىء شىء تطعمه الظباء أو تشربه ، فإنما تأتى هذا المكان ، كما آتيه أنا أو أنت ، لتستمتع بضوء القمر .

فدنت رشيقة خفية الوطء قد أتلعت أجيادها ، ويقف غزال بإزاء جذع قديم ، ثم يثب وثبة رابية ثلاثة أضعاف الجذع ناشراً أهداب ذيله الأبيض الناصع وتأتى جَذَعة (ظبية عمرها سنة) قد أنفت أن يبذّها الذكر فترقص وحدها ، ثم تندفع ظبية أخرى فتأخذ تدور وتثب وتنثني وتميد برشاقة على بعض الحشائش ، كأنما ترقص رقصة فاتنة . ثم إذا هى تمضى جميعها إلى الماء الضحل ، لتلعب كما يلعب الصغار على الشاطئ . فإذا أقبلت موجة عالية تهدر ، فرّت إلى البر ، لتعود فتلاحق الموجة حين تتكسر وترتد .



سرت مرّة مع الفجر فى طريق قديم فى الغابة ، وجعلت أغصان الصنوبر العطر تلمسنى بأصابعها الندية الرطبة الفوّاحة. ثم أخذتْ أشعة الشمس تنفذ ناعمة من خلال الضباب ، فأحالت جوف الأيك الكثيف مقاصير يتلألأ فيها سنا الذهب. فوقفت لأرى وأنصتُ ، فلم ألبث أن سمعت حفيفاً نديا ، ورأيت تحت ستر الضباب المرتفع ، ثلاثاً من القطا مطوّقات الأعناق ، هى ذكر وأنثيان ولم تكن تطلب الطعام بل كانت تبين عن فرحها بالحياة ، فتنشر أذنابها الجميلة ، وتنفش ريشها ، وترفع أجنحتها بعض الشئ ، وكانت فى الوقت نفسه تتبختر ذهاباً وجيئة ، أو تختال وتزوف . وجعلت الأنثيان من لهوهما أن تطاردا الذكر ، فطار إلى جذع قديم غشيه الطحلب ، ومدّ طوقه الأكدر ، وخفض جناحيه ، وبدأ يسجع سجعاً رقيقاً ، لا سجعَ المتحدّى ، بل كان كأنما يغنى حبوراً وسعادة



من الحيوانات البرية مالا يسرح إلا ليلا حتى لا سبيل إلى رؤيته وهو يلعب . منها السنجاب الطيّار ، وهو حيوان رشيق رمادىٌّ حبيب إلى القلب. فبعد أن ينام طيلة نهاره فى جحر فى أعالى شجرة ، وقبل أن يبدأ عند الغسق يكدح فى طلب طعامه ، فربما رأيته عندئذ يقضى بعض ساعة يثب فى الجو ويحوّم كالطائر

ويثب هذا اللاعب الطيار من شجرة إلى شجرة ، مباعداً بين قوائمه الأربع كأنما ينشر قلعه أو مظلته (باراشوت) ، ويهوى فى منحنى قوس واسعة شديدة الانحدار ، ثم يزيغ فجأة صاعداً قبل أن يحط على جذع شجرة أخرى . وهو حين يطير من شجرة إلى شجرة ، ينطلق يثرثر ثرثرة كأنما يعلن عن جذله ونشوته .



يصف ستيوارت إدوارد هوايت فى كتابه : « أتكلم عن نفسى » هذا المنظر المرح : « كنت منذ سنوات مضت فى ألاسكا ، فرأيت ثلاثة غربان طائرة فوق رأسى ، وفى منقار أحدها شىء بدا لى أنه سمكة صغيرة . وبعد أن صفق بجناحيه مراراً قذف بما فى منقاره قذفة سريعة إلى مخالبه . ثم عاد يصفق مرات أخرى بجناحيه ، ثم رماها من مخالبه أمامه والتقطها ثانية بمنقاره . وكان كلما فعل هذا الفعل انقضت عليه الغربان الأخرى تناوشه ، وهى تصيح ملء حلوقها ، محاولة أن تربكه حتى يخطىء التقاط السمكة .

« وكان هذا الغراب رشيقاً خفيفاً حازماً ، ولكنه أخطأ بعد قليل فسقطت منه . فهوى إليها الغرابان واستطاع أحدها أن يلتقطها قبل أن تصل إلى الأرض . وبدأ يفعل ما كان الأول يفعله ، فى حين جعل الغرابان الآخران يحاولان أن يحرجاه حتى يخطىء .

« وما لبثت أن اقتربت منى ، فاستطعت أن أتبين هذا الشىء ، فإذا هو عود صغير . فعمل هذه الغربان لم يكن نضالا فى سبيل لقمة شهية تؤكل ، بل كان لعبة « السَّة » من أخطأ فيها ترك مكانه لغيره ، يجرونها طبقاً لقواعد معلومة محددة » .

وإن من يرى الحيوانات البرية وهى تلعب من أجل « اللهو والتسلية ليس إلا » ، راعته صلة القربى بين حياتها وحياتنا .

جراح السرب

فردريك سوندرن

ملخصة عن « أنباء الجو »

لزام على طبيب السرب أن يكون خبيراً بالطب وبنفوس الرجال ، فهو يرعى فتيانه كما يرعى مدرب الكرة لاعبيه .

يسميه رجال سربه « دوك » ، وهو الجراح الجوى لوحدة من قاذفات القنابل الأمريكية الضخمة التي كانت منهمكة فى إلقاء القنابل على سواحل أفريقية الشمالية وإيطاليا . وهو ضابط فى رتبة كابتن مديد القامة بارز التقاطيع فى الخامسة والثلاثين أو نحو ذلك . وجهه سمح ، وابتسامته سهلة عريضة ، تبدو عليه أمارات الطمأنينة والثقة بالنفس وهما من صفات الطبيب الممتاز .

على أن « دوك » ليس طبيباً وحسب ، بل هو صديق ومرشد وأب لقائد السرب وطياريه وميكانيكييه على السواء . فهو يطير معهم ويشاركهم لعب « البيسبول » و « البوكر » ، وهو قريب منهم لا ينأى ، مبادر إلى الحديث لا يمل ، يكثر من استعمال الألفاظ العامية قوية التعبير ، كأنه رجل منهم . قال مدفعى جريح لزميله : بالله لو سمعت « دوك » يلعن ويسب وهو يضمد جروحى لظننت أنه هو الذى جرحته شظايا المدافع المضادة لا أنا . وعندئذ أحسست أن حالتى أحسن . . . » ودوك يعرف مواطن القوة والضعف فى فتيانه كما يعرف ما يثير حماستهم وما يتصفون به من خصائص أو شذوذ . وقد قال لى أحد الطيارين : « لست أدرى كيف يستطيع . . ولكن دوك يبدو دائماً كأنما يعرف ما يشغل الإنسان . ثم يصلح الأمر بحديثه . إن دوك يرد عليك سكينة النفس وهدوء البال ، وهو فضلا عن ذلك طبيب عظيم » .

هذه الخلال هى التى حملت مجلس القرعة على اختيار دوك — وهو طبيب ممارس موفق — لينتظم فى مدرسة السلاح الجوى لطب الطيران فى مطار راندولف . وقد قضى هناك ثلاثة أشهر مكبا على دراسة منهج حافل ، فى إصابات العيون والآذان والقلب والمعدة والعقل ، وهى الإصابات التى يستهدف المرء لها من جراء الجهد العنيف الذى يقتضيه القتال الجوى . وقد درس كذلك عشرات من موضوعات

أخرى ، من قوانين الصحة ونظم الغذاء فى الميدان إلى استعمال الأكسجين فى طبقات الجو العليا ، وتعلم الطيران أيضاً ولم يتعلمه ليقاتل بل ليلم إلماماً تاماً بكل ماله صلة بالقتال الجوى . وبعد ما تخرج من تلك المدرسة ، قضى أشهراً تمرن فيها ممتحناً فى الطب الجوى ، من قبل أن ينال شارة الأجنحة الذهبية التى تميز «جراح السرب» .

إن المشكلة الأولى التى يواجهها « جراح السرب » هى الإعياء الذى يصيب الطيار ، ومرد الإعياء إلى مايساور العقل السوى ، من ثورة على الإحساسات غير المألوفة التى تتوالى على الطيار ، وإلى الخوف المستمر الذى يلازمه ، ولو لم يكن خوفاً واعياً ، وإلى ضرورة التنبه الدائم الذى يقتضيه القتال الجوى .

والأعراض لا ريب فيها ، فالفتى المرح الصاخب ، الكثير التندر والهزل ، ينقلب فجأة مغرقاً فى التفكير ، مؤثراً للعزلة . والفتى الهادئ المشغوف بالمطالعة والدرس يغدو مشاكساً يدخل مشرباً ويستفز غيره إلى القتال . وقد يتوهم هؤلاء الفتيان إذا أصيبوا بالإعياء ، عيوباً فى محرك محكم لا عيب فيه ، وقد يتوهمون أن بهم أمراضاً لا وجود لها . ويبدأون يديرون بينهم ذكر الموت ، نعم قد يذكرونه مزاحاً ، ولكن من الجلىّ أن تفكيرهم متشبث أبداً به .

وعلى الجدار فى عيادة دوك جدول يبين له عدد الساعات التى قضاها كل فرد من أفراد السرب فى الطيران الحربى . قال : « ومتى تجاوز أحدهم مائة ساعة تعمدت أن ألقاه حيناً بعد حين وكأنى إنما لقيته مصادفة . وقد أدعوه إلى شرب البيرة ، فنجلس نتحدث ، وبذلك أستطيع أن أتبين متى يكون قد بلغ من الطيران حد التعب » .

على أن دوك أضاف : « لا تخطئ فهم ما أقول . إن فتياننا صلاب الأعواد ، ولكننا أدركنا أن « إعياء الطيار » جزء من الطيران الحربى ، وأن الطريقة الوحيدة لشفائه ، إنما هى الراحة وتغيير المناظر .

« ولكى تفهم ما يحدث فعليك أن تدرك ما هى الحياة التى يحياها رجال قاذفة ، ولست أعنى الحياة التى توصف فى المقالات المنشورة الحافلة بأحاديث البطولة عن فتيان يعدون من الخوارق ، ولكننى أعنى الحياة الرتيبة التى يحياها رجال قاذفة يتولون القيام بمهمة حربية كل بضعة أيام ، شهراً بعد شهر .

« خذ مثلا هذا الطيار س ، فهو فتى ظريف من كاليفورنيا ، ذكى هادئ كفء يعتمد عليه ، فهو يتصف بجميع صفات المواطن الرزين . هذا الفتى يجد اسمه مدرجاً كل بضعة أيام ، فى لوحة الطيارين المندوبين لشن غارة ما فى الصباح التالى ،

فلا جرم أن يساوره الهم منذ تلك اللحظة أطائرته على أحسن حال ؟ أو رجالها على تمام الأهبة ؟ ويقضى ليلة لا ينام فيها إلا غراراً ، يفكر فى نجاته الأخيرة من مطاردات الأعداء ولما يكد ، وفى صديقه « سام » الذى لم يعد . أهو خائف ؟ طبعاً ، سـواء أواعياً كان خوفه أم غير واع . ولو لم يكن خائفاً لـكان الأمر غير طبيعى ، فثمة فرق كبير ، كما تعلم ، بين أن يكون المرء خائفاً وبين أن يكون جبانا .

« وفى الصباح التالى يذهب هذا الطيار إلى غرفة الأعمال الحربية ليتلقى التعليمات ، وإنه ليعلم أنه لزام عليه أن يتذكر كل صغيرة وكل كبيرة . أين مواقع بطاريات العـدو المضادة للطائرات ؟ وما خير ارتفاع واتجاه للدنو من الهدف ؟ وعشرات أخرى من التفاصيل التى يتوقف على تذكرها لإنجاح الغارة فحسب ، بل سلامة رجال الطـائرة أيضاً ، وكذلك تحتدم نفسه احتدام النار .

وحينئذ يبدأ العمل الحقيقى الثقيل الوطأة . ولنفرض أن الغارة تستغرق عشر ساعات ، فمعنى هـذا أن خمساً منها تمضى فى الذهاب إلى الهدف . أتدرى ما معنى أن تطير خمس ساعات ، يرن خلالها كل عصب فى جسمك إرنان الوتر المشدود ؟ إنها زمن طويل لمن كان هائج الأعصاب . والطيارون لا يقولون إنهم يذهبون فى مهمة . بل يقولون « إنهم ينضحون العرق فى مهمة » ، وإنهم ليفعلون .

« وحين يدنو من الهدف ، تنطلق نيران الجحيم من تحته ومن فوقه ومن حواليه ، ومع ذلك فعليه أن يثبت فى مقعده ، كأنه آلة حاسبة ، لـكى يتيح لمدفعى الطـائرة ، الاتجاه السديد الثابت الذى لا بد منه قبل قذف القنابل . ثم إنه لا يكاد يكافأ عما يعانيه حتى برؤية القنابل تصيب الهدف . ويلى ذلك العمل المرهق للأعصاب ، وهو البحث عن الطائرات المصابة التى ينبغى أن تحرس فى عودتها . أما الساعات الخمس الباقية ، ساعات العودة فإنها فى نظر الطيار ، وهو لا يزال يخشى هجوم المطاردات ، ساعات لا تنتهى .

« أضف إلى كل هـذا ما تقتضيه هذه الأعمـال من إنفاق الطاقة العصبية ، وأن الطيار لم يتح له خلال هذه الساعات العشر أن ينفّس عن نفسه . إن طيـار الطائرة المطاردة يرى الهدف الذى يسدد إليه ناره ، ويتقلب فى الجو كأنه بهلوان ، فيزول التوتر العصبي المستولى عليه ، ولـكن قائد القاذفة لا يستطيع . وما يجرى عليه يجرى على بقية رجالها الذين يجلسون فى مقاعدهم ساعات ينتظرون فيها تلك الدقائق القليلة من الجحيم فوق الهدف . وهذا يبين لك قليلا سبب إعياء طيار القاذفة عند عودته إلى منزله .

راقب رجال قاذفة بعد عودتهم من غارة ، فإن ضابط المخابرات الذى ينبغى عليه أن يظفر منهم بتفاصيل الرحلة ، كثيراً ما يشق عليه أن يظفر بما يريد ، فإنهم لا ينشطون إلى الكلام ، بل إنما هم يجلسون يمضغون طعامهم ثم يهوون على أسرتهم وينامون نوماً طويلا »

ويختلف رجال المطاردات كل الاختلاف عن رجال القاذفات . وحين زرت إحدى تلك الجماعات ، كان ثمة صخب فى الخيمة الكبيرة التى تستخدم مطعماً ومنتدى للضباط فى وقت معاً . وكان الطيارون على إثر عودتهم من معركة موفقة ، يلكم بعضهم بعضاً ، ويتصايحون من أعماق صدورهم . وكان بينهم فتى كبير يحجل على رجل واحدة ، ويحاول أن يصف تجربته بكاملها ، فذكرونى بأفراد فرقة رياضية فى كلية ، وقد أخذتهم نشوة الانتصار فى إحدى المباريات . فقال دوك : « أجل : ولكنهم لم يعودوا يلعبون ألعاباً رياضية بعد ، إن هؤلاء الفتيان إن هم إلا قتلة ، فأعصابهم متوترة متهيجة ، وقد تعقدت نفوسهم شيئاً ما حتى ليشق عليك أن تعاملهم » .

ومضى دوك فى حديثه فقال : « إن الحرب عند هؤلاء الفتيان أدنى إلى خاصة أنفسهم منها إلى رجال القاذفات ، فطيار الطائرة المطاردة يقترب من عدوه ، وكثيراً ما يقترب منه حتى ليرى وجهه . وهو يطير منفردا ، فهو معرض دائماً لجهد مضن ، فإذا حل به الإعياء ، ألمت به آثاره فى سرعة وعنف . والإعياء غاية فى الخطر ، لأن أساليب طيارى المطاردات تقتضى توقيتاً محكماً يحسب فيه حساب لأجزاء من الثانية » .

ثم أضاف : « ولنعد الآن إلى صاحبنا قائد القاذفة ، فقد لاحظت ذات يوم ، بعد ما تراكمت ساعات طيرانه ، أن حالته قد تغيرت . فقد كان يكثر من التدخين ، ويحلف الأيمان ، ولم يكن يفعل من قبل ، وصار يضيق صدره وينبو به المقام إذا ما حاول أحدهم التحدث عن تجاربه فى الطيران ، وحين اقترحت أن يأخذ إجازة قصيرة توسل إلى أن لا أفعل ، فقد كان يؤثر أن يتم مدة خدمته لكى يعود إلى وطنه مدة ما ، ولقد استسلمت لما أراد ، وهو خطأ لن أعود إليه .

« وفى اليوم التالى انهارت أعصابه ، ساعة كان فوق الهدف تماماً ، فأفلتت من يده السيطرة على الطائرة ، وجعل يحوم بها كأنه طائر جريح ، فأصيبت بقذائف كثيرة من المدافع المضادة . وأخيراً استرد سيطرته عليها فى حينها ، وهو على ارتفاع نحو عشر أقدام فوق سطح الماء ، واستطاع بطريقة ما أن يعود إلى قاعدته . فلما قابلته قال : دوك ، لست أدرى والله ماذا حدث ، ولكننى بدأت فجأة أعرق وأرتجف .

لم يساورنى الخوف ، ولـكن ما هو إلا أن شعرت كأننى تحولت إلى هلام » .

ومضى دوك يقول : « كان الخطأ خطأى ولم يكن خطأ الفتى . ولو أننى جتمت عليه أخذ قسط من الراحة لكان اليوم الطيار البارع الذي عرفناه . والواقع إنى كدت أكون سبباً فى موت تسعة رجال ، وأنا ملوم على كل حال لخسارة طيـار . فهذا الطيار لن يمس طائرة بعد الآن ، فقد انهارت أعصابه إلى غـير قيام . وهـذه هى عاقبة « إعياء الطيـار » إن لم يدركه « جراح السرب » قبل فوات الأوان .

« لا جرم أن علينا أن نتنبه لحالات التمارض ، فكل تعب فى الأذنين أو الأنف يحول دون طيران الطيـار . وقد يختلق أحدهم أحياناً ألماً يتوسل به إلى التخلف ، فإذا كشفت الحقيقة أخرجته من العيـادة وأنا أصيح به وأدفعه إلى مهمته . وقد يقتنع الطيـار نفسه أحياناً بأن به مرضاً ، ففتى من هـذا القبيل يعد الامتناع عن معالجته إجحافاً وظلماً . فأعطيه حبـة من سكر ، وهذا العلاج كثيراً ما يجدى عليه » .

سمعت فى مطعم السرب أقوالا مختلفة فى الثنـاء على دوك ، فقـال أحـد الفتيـان : « اصطحبناه ذات يوم فى غارة ، وكانت المعركة حامية الوطيس ، وكانوا يقذفوننا بكل ما لديهم ، فاستولى علينـا شىء من القلق . ولـكن دوك لم يقلق فـكان يقول « أبساديزى » كلما دنت منا قذيفة ما ، كأنه يحييها . وأظن أننا سـنعيد تسمية الطائرة فنطلق عليها اسم : « أبساديزى » . وقال آخر : « ياليتك رأيت دوك يوم ذهب معنا فى إجازة إلى مدينـة ما . . وكيف يغازل الفتيات » ، ثم إذا فتى هادىء جالس إلى مؤخرة المائدة يقول فجأة وفى شىء من الاكتئاب : « إنك لا تستطيع أن تعبث بدوك » ، فهز الجميع رءوسهم موافقين على « أنك لا تستطيع أن تعبث به » ، وكأن هذا الإدراك كان من بواعث سرورهم .

على « جراح السرب » أن يكون واسع العـلم بنواحى الطب جميعاً ، فقد تفد على عيادته الصـغيرة حالات شتى تتفاوت من احتراق الجلد بضوء الشمس إلى اضطراب المعدة وهو نوع خفيف من الدسنطاريا ، ومن جروح القتال إلى الجروح العارضة . وكل ما لديه حاملة قنابل قد قلبت كرسـيا للجراحة ، وليس فى عيـادته ماء جار ، وأرض الخيمة حصى أبيض ، ولـكنه يحفظ بطريقة ما ، كل شىء نظيفاً لاتشوبه شائبة ، ويقول دوك : « إن مرضاى خير المرضى ، إنهم صفوة فتياننا ، ولـكن هؤلاء الفتيان يعدون قواعد العناية الصحية سخافة، فيهملون

الجروح والقروح ، وإهمالها فى هذا الجو خطر ، ثم إنهم لا يلبسون الخوذ التى تقيهم لفح الشمس، ولا يهتمون باتخاذ الناموسيات التى تقيهم لسع البعوض . فلذلك كان علىّ أن أرعاهم وأحثهم على ما يجب بغير انقطاع » .

أما الحالات الخطيرة فتنقل فى الحال إلى مستشفى الميدان القريب ، وإذا كان بين رجال القاذفة العائدة إلى قاعدتها جرحى ، أنبأت القاعدة بالراديو فتلاقيها سيارة الإسعاف على مدرج المطار ، وإذا كانت إصابة أحد الفتيان بالغة ركب دوك السيارة معه لأسباب نفسية ، ذلك أن الفتى يعرف جراح السرب ويطمئن إلى صحبته ، وأسلحة الطيران تعنى أعظم العناية بمثل هذه الأمور .

وقد قال أحد قدماء المحاربين : « ما كان من دأبهم أن يدللونا هذا التدليل ، كنا فى تلك الأيام فتياناً صلاب الأعواد » ، ثم أضاف فى شىء من التردد : « ولكننى لا أكذبك ، فإنى أفضل أن أصاب الآن» .

والمستشفى نفسه مجموعة من الخيام فى غابة ظليلة ، والخيام موزعة توزيعاً حسناً حتى يتعذر إصابتها بالقنابل ، وتتجلى فيها براعة فائقة . وحين شاهدتها كان الأطباء والمرضات قد أنشأوا بأنفسهم حجرة عمليات حموها من الذباب بأشياء مهملة فى المعسكر ، وكانوا قد صنعوا الموائد والرفوف من قطع أثاث استنقذت من قرية قريبة مخربة. وغطوها بألواح من الرخام جمعت من مبان دمرتها القنابل . وجهاز الأكسجين ألمانى ، وخزانات التعقيم إيطالية ، وقد أخذت مما خلفه جراحو المحور فى تقهقرهم ، أما المصابيح الكهربية المستعملة لإضاءة حجرة العملية ، فهى المصابيح الأمامية للسيارات ، وأما الطاقة التى تضيئها فيولدها مولد كهربائى صغير متحرك ، ولكن الجراحين يتقنون عملهم برغم العوائق ، وقليل من الطيارين العائدين من مات من جراء جراحه .

والحالة من ناحية الإصابات النفسية حسنة كذلك ، فعدد هذه الإصابات فى أسلحة الطيران لا يكاد يذكر بالقياس إلى ما يقابلها فى الحرب الماضية ، وذلك برغم المجهود الكبير الذى يقتضيه الطيران الحربى الآن .

وينهض دوك بواجبات كثيرة قد تعنت من كان فى مكانته من الأطباء . فعليه أن يعنى عناية دائمة بمراقبة المطابخ والمرافق ، ولا يتسع وقته لكى ينعم بما يؤثر الطبيب أن ينعم به . وقد يحن إلى الوطن أحياناً حنيناً شديداً ومع ذلك فالقاعدة التى يعاد بعض الطيارين بمقتضاها إلى الوطن أحياناً لا تطبق عليه ، على أنه يقول لنفسه حين يضيق صدره ، إنه يعمل عملا نافعاً لم يهيأ للقيام به إلا قليل ، ولقد أصاب فيما يقول .

مدار الحديث

المركبة الأمريكية العجيبة

جوزيف و. فنربيد

ملخصة عن مجلة « ليبرتى »

كان الشعار الشائع بعد الحرب الأهلية الأمريكية : « ٤٠ فداناً وبغل » ، أما الآن فلماذا لا يكون الشعار : « ٤٠ فداناً وسيارة جيب » . فقد امتحنت وزارة الزراعة الأمريكية سيارة « جيب » امتحانات زراعية مرهقة . فتمكنت هذه السيارة ، بعد ما ألحق بها محراث عرضه ١٦ بوصة ، من حرث فدان من أرض القطن الواطئة فى ساعة و ٧٢٪ من الساعة ، ولم تستهلك إلا جالونين و ٣٢٪ من الجالون من البنزين ، واستطاعت أن تجر ماثقله ١٣٠٠ رطل دون أن تنزلق العجلات .

وقد جرت محراثاً قديماً فى حقل مساحته ٢٠ فداناً فلم تستنفد أكثر من عشرة جالونات من البنزين ، أى بمعدل نصف جالون للفدان . وقد كان هذا العمل ، يقتضى قبلُ محراثاً ثقيلا يستهلك ٣ جالونات و ٣٪ من الجالون من البنزين للفدان الواحد .

وسيارة « الجيب » تحرث الحقول فى النهار ، وتولد الطاقة لحلب البقر ، وتخفف أعباء الفلاح بوجه عام ، وقد تستقلها أسرة الفلاح فى المساء لتذهب إلى السينما . وهى خير ما تكون فى الأملاك الكبيرة ، فتسير سريعاً فى المراعى ، ولا تعوقها الصخور أو الشجيرات وتتسلق كل مرتفع يستطيع الحصان أن يتسلقه .

إن موزعى البريد فى الريف يحاولون أن يشتروا ما يتاح لهم من هذه السيارات ، وكذلك أصحاب الجراجات لأنها تصلح لجر السيارات المعطلة ، وشركات سكك الحديد تطلبها لأنها أصلح شىء للعمال الذين يصونون خطوط السكة الحديد . وليس المرء فى حاجة إلى كثير من الخيال ليتصور كيف تصلح هذه المركبة فى مكافحة نيران الغابات ، وفى أعمال الوقاية من حشرات المستنقعات والأراضى الوبيئة الوخمة . وقد دلت على جودتها ونفعها فى شق طريق ألاسكا .

أم وأولادها

ولبور ماك درموت

عن مجلة وليير

تعلق مسز فرانسيس إيفانز دايك ، وعمرها ٤٣ سنة في نافذتها بمدينة شيكاجو ، علماً فيه أحد عشر نجما رمزاً لأولادها في الجيش وعدتهم أحد عشر ولداً . ويقال إنه رقم لا يضاهيه رقم آخر في التاريخ الأمريكي . وأكبرهم مثالث (ولد ثلاثتهم في بطن) . عمرهم ٢٩ سنة ، في خدمة القوات الجوية في جنوب المحيط الهادي ؛ ثم زوجان من التوائم ، أعمارهم ٢٨ سنة و ٢٦ سنة ، وأربعتهم في البحرية ؛ وتوأمان ، عمرهما ٢٤ سنة ، في الجيش ؛ وأصغرهم فَذّان ، عمر أحدهما ٢١ سنة وعمر الآخر ١٩ سنة ، أولهما في الجيش والثاني في البحرية ؛ وجميعهم أولاد المرحوم جوزيف إيفانز ، من جنود الحرب العالمية الأولى القدماء . وقد رزقت مسز دايك في زواجها الثاني ، وكان منذ سبع سنوات ، بأربعة آخرين ، ولد آخرهم في هذا الصيف .

وهي تقول : « أظن أن بعض الناس يرى أن هذه الكثرة في الأولاد حدث غريب ، أو ربما عدّوها أمراً مريعاً ، ولكني وجدت في الأمومة سروراً عظيما ، وكم كنت أودّ أن أرزق بنتاً أو اثنتين للتنويع ، ولكن الصبية جزوني دائماً خيراً . حقاً لقد تزوجت وأنا صغيرة السن جداً ولكني لا أندم على ذلك » .

كانت قد تزوجت وهي في الثالثة عشرة ، بعامل مناجم كان في الخامسة والعشرين ، ثم قتل زوجها في حادث وهي في التاسعة والعشرين ، فالتحقت الأرملة الشابة بعمل في مستشفى ، فتسنى لها أن تحافظ على الأسرة متماسكة . ثم بدأ الصبية في المساهمة بمجهودهم منذ أصبحوا قادرين على القيام بالأعمال الصغيرة ، ولكن أكثرهم أتمّ دراسته الثانوية بفضل إلحاح أمهم عليهم .

وتصلي مسز دايك كل ليلة وتدعو لأبنائها المقاتلين . وهي تقول : « لست أدعو الله أن يدفع عنهم كل ضرّ ، ولكني أسأله أن يكونوا من خيرة الجنود والبحارة ، جديرين بما قام به أبوهم في الحرب العالمية الأولى » .

الـبذور الأمريكية فى الحـرب

ميلدروس. فوت

عن مجلة « نيويورك تايمس »

أرسلت أمريكا إلى حلفائها وقواتها وراء البحار مائة مليون رطل من بذور الخضر والغلال بالسفن والطائرات حتى تزرع حيث تكون الحاجة إلى الطعام أشد ــ ويغلب أن يكون ذلك خلف خطوط القتال مباشرة .

والدافع الحربى لهذا بسيط ، فإن الطائرة الواحدة تستطيع أن تحمل من بذور الـكرنب ما يكفى لإنتاج ما يملأ مائة سفينة .

وقــد اطّردت الزيادة فى طلب الروس البذور باطراد دفعهم للنازيين إلى الغرب . وقــد قدم إليهم المدنيون الأمريكيون ، علاوة على الـكميات الضخمة التى زودهم بهــا قانون الإعارة والتأجير ، ما يربى على ثلاثة ملايين رطل من جميع الأنواع المشحونة فى « حقائب البذور » التى وزعتها جمعية تخفيف ويلات الحرب الروسية ، فغرست « حدائق النصر » فى خرائب ستالينجراد ولينينجراد .

وقد تم ، فى شمال أفريقية ، غرس أول شحنة كبيرة من البــذور المنقولة بحراً لـكى يضاف محصولها إلى المؤونة المستعجلة التى أرسلت جوًّا .

وفى أفريقية الاستوائية والشرقية، ينتج اللاجئون الأوربيون وآلاف الأسرى الإيطاليين والحاميات البريطانية حاجتهم من الخضر من البذور الأمريكية .

أما الجــزر البريطانية فهى البــلاد التى قدمت فيها شحنات البذور أجــل خــدماتها ، حيث حول البريطانيون ما يقرب من ثمانية ملايين فدان من الأراضى الجديدة إلى الإنتاج الزراعى ـــ وهى زيادة تبلغ ٦٦ فى المائة . فقد أرسلت أمريكا فى العام المـاضى إلى هؤلاء الزراع المجندين ـــ إذ يقوم ثلثهم ليلا ، أثناء موسم الحصاد ، على حراسة الحقول ومخازن الغلال لحمايتها ممــا قد يسببه العدو من الحرائق ـــ ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ رطل من البذور ، وفى مقابل هذا أصبحوا يزودون القوات الأمريكية فى إنجلترا بالخضر الطازجة .

وقد بادرت الوحــدات الأمريكية حين وصلت إلى أســتراليا فى الخريف المـاضى (وهو موسم البذر هناك) إلى زراعة حدائق الخضر . وقد طلب

فى مرة واحدة ١٣٧٢٢٨ رطلا من البذور ومعها ما يلزمها من الآلات الزراعية ومعدات حفظ الخضر . أما جنود أمريكا فى أيسلندة فقد زودوا بالبذور فى هذا الصيف ليعرفوا أى أنواع حدائق النصر يمكن غرسها وتعهدها فى أيام الصيف الطويلة الإشراق فى منطقة القطب الشمالى .

وبالرغم من المطالب العسكرية والمدنية الباهظة ، فإن الأمريكيين جادّون فى تخزين أكداس من البذور لإعادة زرع المناطق المحتلة الآن فى أول ربيع بعد السلم . وقد كانت الولايات المتحدة قبل سنة ١٩٣٩ ، تستورد مقادير كبيرة من البذور من هولندا وألمانيا وبولندا ودول البلقان ، ولكن الزراع الأمريكيين تمكنوا فى نهاية عام ١٩٤٢ ، أى فى موسمين من مواسم الزراعة ، من أن يمدوا إدارة توزيع الطعام بـ ٧١٫١٤٣٫١٤٣ رطلا من مئات الأنواع المختلفة من البذور . وقصة البذور فى الحرب ذات مغزى ، فقليل من آثام النازيين ستحيي ذكراها فى قلوب الشعوب المهزومة زمناً أطول مما ستحيي ذكرى ما سرقوه من البذور التى كانت مختزنة فى كل ضيعة . إن الزراع ، من كاليه إلى روستوف ، لن ينسوا قط هذه الجريمة .

وشنجطون مدينة العجائب

بهية ارسوت

التجأ مربى دواجن إلى سمسار أحد الحوانيت يسأله عن السر فى تحديد أسعار البيض التى وضعها مكتب تحديد الأسعار لأنه لم يكن يدرك ماذا يراد بها . ولم يستطع السمسار أيضاً إدراك السر ، فلجأ إلى مجلس العلاقات العامة . فاتصل الموظف المختص فى هذا المجلس بموظف مكتب تحديد الأسعار الذى كتب بيده هذا الأمر . فقال له : « وأنا أيضاً لا أفهمه » . وألح عليه موظف مكتب العلاقات العامة فى سؤاله وقال : « ولكنى ظننت أنك أنت الذى كتبته ! »

فكان جوابه : « لقد فعلت . ولكن هذا الأمر خرج من مكتبى فى ثلاث صفحات ثم أعيد إلى من القسم القضائى مكتوباً فى ثلاث وثلاثين صفحة ! »

الاحتيال الأكبر في التاريخ

روبرت جلبرت ڤانسيتارت

ملخصة عن كتاب « عبر حياتى »

لم تقترف فى التاريخ خدعة كخدعة التعويضات الألمانية التى تلت الحرب العالمية الأولى ، وقصتها تلقى ضوءاً ساطعاً على مدى ما وصلت إليه الدنيا من اعتياد الاستسلام لتضليل الدعاية الألمانية . فلم تقتصر ألمانيا على إقناع دنيا غريرة ساذجة بأنها كانت عاجزة عن أن توفى ما سببته من خسائر الحرب ، بل وقفت وقفة الشهيد المهضوم تكاد تحيط به هالة من نور .

وأنه لحق أن ألمانيا عانت فى الأعوام التى تلت الحرب مباشرة آلاماً جساماً ، ولكنها لم تأت من جراء التعويضات ، بل من جراء حرب أقدمت عليها ألمانيا باختيارها وخسرتها خسراناً تاماً ، ثم إن العهد الأول من آلامها لم يطل . ومما

قضى لورد فارنسيتارت كل حياته العاملة فى السلك السياسى البريطانى وكان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٨

لا ريب فيه أن ألمانيا لم تكن تكابد قبل إلغاء التعويضات أكثر مما كانت تكابده ضحاياها ، بل كان أقل من وجوه كثيرة .

وإليك القواعد الخمس العامة لهذا الحادث الغريب (أولا) أن ألمانيا دمرت الدنيا بغير مسوّغ (ثانياً) أن الضرر الذى أنزلته بها لا يمكن أن يداوى (ثالثاً) لم تبذل ألمانيا جهداً صادقاً فى علاجه (رابعاً) بدلا من ذلك لجأت إلى المراوغة الغريبة (خامساً) انتهت هذه الحيل بنصر تام للخداع وسوء الطوية .

وقد ارتكب الحلفاء الغلطة الأولى إذ حاولوا حمل الألمان على دفع أكبر تعويض ممكن لإصلاح ما خربوه ، فقدروا للتعويضات الألمانية مبلغاً جسيماً كل الجسامة . ولم يكن جسيماً فيما يقضى به العدل — فإن المبلغ الذى قدر ، وهو ٦٦٠٠ مليون جنيه ليس إلا ربع ما خسره الحلفاء فى الحرب — ولكنه كان جسيماً إذ لا يتسنى للألمان دفعه .

فهــذه الغلطة كانت بعيــدة مدى التأثير ، إذ أتاحت للدعاية الألمانية استهلالا فخما .

ومع ذلك فقد كان من المستطاع الوصول إلى اتفاق صالح لو أن الأمة الألمانية أخذها الندم يوماً ما على ماصبته على الدنيا من هول وألم ، أو أحست بأقل رغبــة فى إصلاح ما خربته يداها ، ولــكنها على النقيض من ذلك لم تشعر إلا بحاجة ملحة إلى الاحتيال على ضحاياها المنتصرين وسلبهم . فقد عزم الألمان على أن يدفعوا أقل ما يمكن ، وعلى أن يرفعوا عقيرتهم بالاحتجاج أكثر ما يمكن . فلم يرعهم إثم ما ، واغتالوا من أبناء وطنهم أولئك الأفراد القليلين الذين حاولوا تذكيرهم بالحقائق الشنيعة المفزعة .

وكانت المشكلة المباشرة التى واجهت الألمان يومئذ هى : ما خير أساليب الخداع والتمويه ؟ فعكفوا على ذلك عكوفاً محكما منظماً . وكانوا قد عرفوا قبل هتلر بزمان طويل أن الناس أسرع إلى تصــديق الأكاذيب الــكبيرة منهم إلى الصــغيرة ، فــكان ما أذاعوا أن ما يؤدونه أعظم مما يقومون بأدائه ، وظلوا يرفعون أصواتهم بالولولة لا يفترون . ولم يكن هــذا يتطلب إلا شيئاً من ســلامة نيات المخدوعين — وهى لا ريب الأساس الذى تتم به كل خدعة عظيمة صادقة .

فقد قدرت لجنــة التعويضات مجموع ما دفعه الألمان فعلا بمبلغ ١٠٣٨ مليوناً من الجنيهات ، منجَّماً على سنين كثيرة . ولم تزد المبالغ المدفوعة منها نقداً على ٢٥٣ مليونا ، أما بقية هذا المبلغ فقد وفيت سلعاً . ويجب أن لا يغيب عنا أن إعادة تعمير فرنسا الشمالية وحدها قد بلغت نفقاته ٨٣٠ مليوناً من الجنيهات حملت فرنسا — ولا ريب — العبء الأكبر منها . ولم تنل بولندا الشقية مليما واحداً . وتتكشف مهزلة التعويضات حين نعــلم أن بلجيكا وغيرها من البــلاد المخربة كان من حقها كذلك أن تأخذ نصيبها من النفقات اللازمة لإعادة تعميرها من هــذه التعويضات الهزيلة التى كانت تدفعها ألمانيا .

وألمانيا لم تقم فى الواقع بسداد قسط مهم من التعويضات التى تعهدت بأدائها فى معاهدة فرساى ، إذ أنها تعمدت أن تدفع بضحاياها إلى إضعاف أنفسهم بالإنفاق على إصلاح ما منتهم به الحرب ، فى حين عملت هى على أن تكون أقوى ما يمكن استعداداً لحرب الانتقام التى كانت قــد أخذت فى رسم خططها . فادعت أنهــا تنوء بفداحه التعويضات التى فرضت عليها . ولــكنها انفقت على تسلحها إتماماً لأهبتها لجريمتها الثــانية ، الحرب الحاضرة ٨٠٠٠ مليون من الجنيهات

أى ثمانية أضعاف ما أنفقته تعويضاً عن حربها الأولى .

وما كانت حيلة الألمان إلا أن يغالوا فى تجسيم تضحياتهم المتوهمة حتى تتجاوز حدّ الاستطاعة . وكان أمراً هيناً . وما هو إلا أن عدّوا كل شىء خسروه فى الحرب من التعويضات . فمن ذلك أنهم عدّوا أسطولهم الذى أغرقوه بأيديهم فى سكابافلو من التعويضات ، فحملونا بذلك ٦٧ مليوناً من الجنيهات فى هذا الباب وحده .

أو فانظر إلى قضية مناجم الفحم بإقليم السار وهى المناجم التى أخذها الحلفاء من الألمان تعويضاً لما ارتكبه الألمان من تخريب مقصود بإغراقهم مناجم الفحم الفرنسية — وهى حيلة خسيسة لجأ إليها الألمان لشل المنافسة الفرنسية . ففى ١٩١٣ قوّم وزير المالية الألمانى مناجم السار هـذه بمبلغ ٣٠٠ مليون مارك ذهباً ، فلما جاء حساب التعويضات تجرأ الألمان على تقدير هذه المناجم بمبلغ ١٠٢٨ مليوناً من الماركات الذهب .

هل نجحوا فى ذلك ؟ نعم ! بل نجحوا فى أكثر من ذلك . ففى سـنة ١٩٣٥ استردوا كل ملك الدولة فى مقاطعة السار ، وما المناجم إلا جزء منها ، فى مقابل ١٤٠ مليوناً من الماركات الذهب . فلم كان هذا الإحسان إلى هؤلاء المحتالين ؟ ذلك بأن الدنيا ظلت تسمع ١٥ عاماً أنباء « الألمان المساكين » .

ولا نهاية لمهزلة التعويضات ، فمن الأشياء العجيبة الكثيرة التى أدخلتها ألمانيا فيما دفعته من التعويضات ، قيمة المستعمرات الألمانية ، وتكاليف نزع السلاح الألمانى ، وتدمير الحصون الألمانية ، وتحويل الصناعة الألمانية من صناعة حرب إلى صناعة سلم . ولم تكن هـذه تعويضاً ألبتة ، وإنما كانت خسائر محتومة خسرها معتدٍ مقهور ، ومع ذلك فقد كانت الدنيا تصغى إلى هذه الأنشودة الألمانية ، فتؤمن أنها أمة هالكة محطمة . فكان هذا قوة للدعاية الألمانية !

فلننظر عن كثب إلى هذه الأمة الألمانية التى حطمتها تعويضات لم تدفعها ، ولم تنو قط أن تدفعها . فهل وقف الأغرار الذين خدعوا لحظة واحدة ليتأملوا كيف محا التضخم المالى فى سـنة ١٩٢٣ دين ألمانيا الداخلى بمرّة ، فى حين كان دين بريطانيا العظمى يبلغ ٧٠٠٠ مليون من الجنيهات ، ودين فرنسا ٢٥٠ ألف مليون من الفرنكات ؟ وهل تبينوا قط أنه فيما بين سنتى ١٩٢٤ ، ١٩٣٩ زاد الدخل الأهلى الألمانى ٥٠٪ ، وقاربت هذه الزيادة أحياناً ٧٥٪ ، على ما كان عليـه قبل الحرب مباشرة ؟ ففى أعوام « العوز والفاقة » هـذه ، كان الألمانى الفرد يربح أكثر

مما كان يربحه فى أيام السلام الرغيدة .

وما جاءت سنة ١٩٢٥ حتى كان الدخل الأهلى الألمانى قد زاد ٦٠ ٪ على ما كان عليه قبل الحرب ، وصارت الحكومة قادرة على أن تمنح الصناعة إعانات نقدية ضخمة ، فأقدمت الصناعة على تحقيق برنامج عظيم يقوم على أساس من التجديد وإعادة الإنشاء . ولم تمض خمسة أعوام حتى فاقت صادرات ألمانيا لأول مرة صادرات إنجلترا . وأخذت ألمانيا تزهى وهى تعرض على زوارها مبانيها الفخمة الجديدة ، وطرق سياراتها ، وسفنها ومعاملها .

أما ألمانيا «المحطمة» فقد كانت بلا ريب فى رخاء تنفق عن سعة ، فى حين كان المنتصرون يطالبونها عبثاً بأداء أقساط آخذة فى التناقص ، لتنفق فى تعمير الأراضى التى خربتها . ولم ينقض زمان طويل حتى كان هؤلاء المنتصرون يقرضون مدينهم الأموال ليدفع بها هذه الأقساط . وضربت ألمانيا جميع الأرقام القياسية فى الاقتراض فأخذت من أعدائها السابقين ١٥٠٠ مليون من الجنيهات سلفاً أوقروضاً ، أى مايبلغ ستة أضعاف التعويضات التى دفعتها هى لهم نقداً .

وفى سنة ١٩٢٩ كانت ألمانيا قد دفعت ١٣٢ مليوناً من الجنيهات نقداً خلال عشر سنوات من المماطلة — أى أقل من ٦٠٪ من غرامة الحرب التى دفعتها فرنسا لألمانيا فى خلال عامين بعد سنة ١٨٧١

وتنفس الناس الصعداء حين ألغيت التعويضات . ولو قدر لها أن تستمر سنوات أخرى لما كان بعيداً أن يجد المنتصرون أنفسهم يدفعون لألمانيا الأموال ، وقد أخذت تزهى وتتيه . ومع ذلك فقد كانت الدعاية الألمانية من القوة بحيث أصبحت الدنيا مقتنعة بأن معاهدة فرساى كلها شىء لا يمكن الدفاع عنه ، وأن التعويضات هى التى لم تترك لألمانيا « المحطمة » ما تختاره إلا أن تلقى بنفسها فى أحضان هتلر . أما الذين يذكرون أن التعويضات كانت قد ألغيت قبل وثوب هتلر إلى الحكم بعام واحد ، فقليل ما هم .

وكانت خيرة العقول الألمانية قد تبينت هذه الحقيقة ، وهى أنه لو أتيح لألمانيا عقد ما يكفيها القروض فى الولايات المتحدة ، لتهيأ لها جيش من المستثمرين الأمريكيين يهم بمصيرها ، وأن هذا الجيش سيعاونها معاونة كاملة فى إلغاء التعويضات إنقاذاً لأموالهم .

فبعض القروض الأولى عقد لشركات التسليح الألمانية الكبيرة — ١٠ ملايين دولار لمصانع كروب ، ١٢ مليوناً من الدولارات لمصانع تيسن — فكأن هؤلاء « الألمان الأبرياء » لم يكونوا قد قتلوا من

الأوروبيين الأبرياء ما فيه الكفاية فأمدوا بقوة أخرى من قوى الحرب .

وكانت الأحبولة الثانيـــة هى المناداة بأنه لا يمكن إنقاذ الديون « التجارية » إلا إذا ألغيت التعـويضات — وهى التى لم يكن للولايات المتحدة فيها قليل ولا كثير . فكل قدرة على تكوين حكم مستقل ارتدت عاجزة كليلة حيال ما كان يطغى على العقـول من ضجيج الدعاية الألمانية المكشوف المعاد . وقد أدهش الألمان نجاحهم هذا، فقد صادفت الخدعة الألمانية الكبرى طريقاً معبداً ، فلم تغضب الدنيا بل سألتهم أن يسخروا بها مرة أخرى . فلما استرد الألمان بُهْر أنفاسهم ، أخذوا فى خداع دائنيهم التجاريين أيضاً ، واحتقبوا ١٠٠٠ مليون من الجنيهات نهباً . وبهـذه الطريقة تسلحوا ليبدأوا حربهم التالية .

ولا يمكن أن نختم هذه القصة التى لا تكاد تصدق دون الإشارة إلى الحرب الحاضرة ، وهى الحرب التى فرضت فيهـا الدولة المحتالة على الأمم المغلوبة جزية سنوية تبلغ ألف مليون من الجنيهات تدفع لها نقداً . فهـذه مبالغ تضارع فى عام واحد أربعة أضعاف ما بلغ إليه مجموع التعويضات التى دفعتها ألمانيا نقداً فى ١٢ عاماً تلت الحرب المـاضية . ولست أقول شيئاً عن النهب والسلب الفردى فى الممالك التى داسوها ، ولا عن المواكب التى لا تنتهى من سيارات النقل وعربات السكك الحديدية تحمل البضائع والمواد المسلوبة .

فهل يتسنى لنـا أن نحول بين الألمان وبين خداع البشر مرة أخرى؟ لن نستطيع ذلك إذا نحن صـدقنا تلك الفرية العتيقة ، فرية «الألمان الأبرياء» . «فالألمان الأبرياء» تسلموا زمام الأمر بعد الحرب الماضية ، وقد تضامنوا حالا مع رجال الحرب ، وأصحاب الصناعات الثقيلة الذين كان عليهم أن ينهضوا بعبء إعادة التسليح لشن الحرب الثانية .

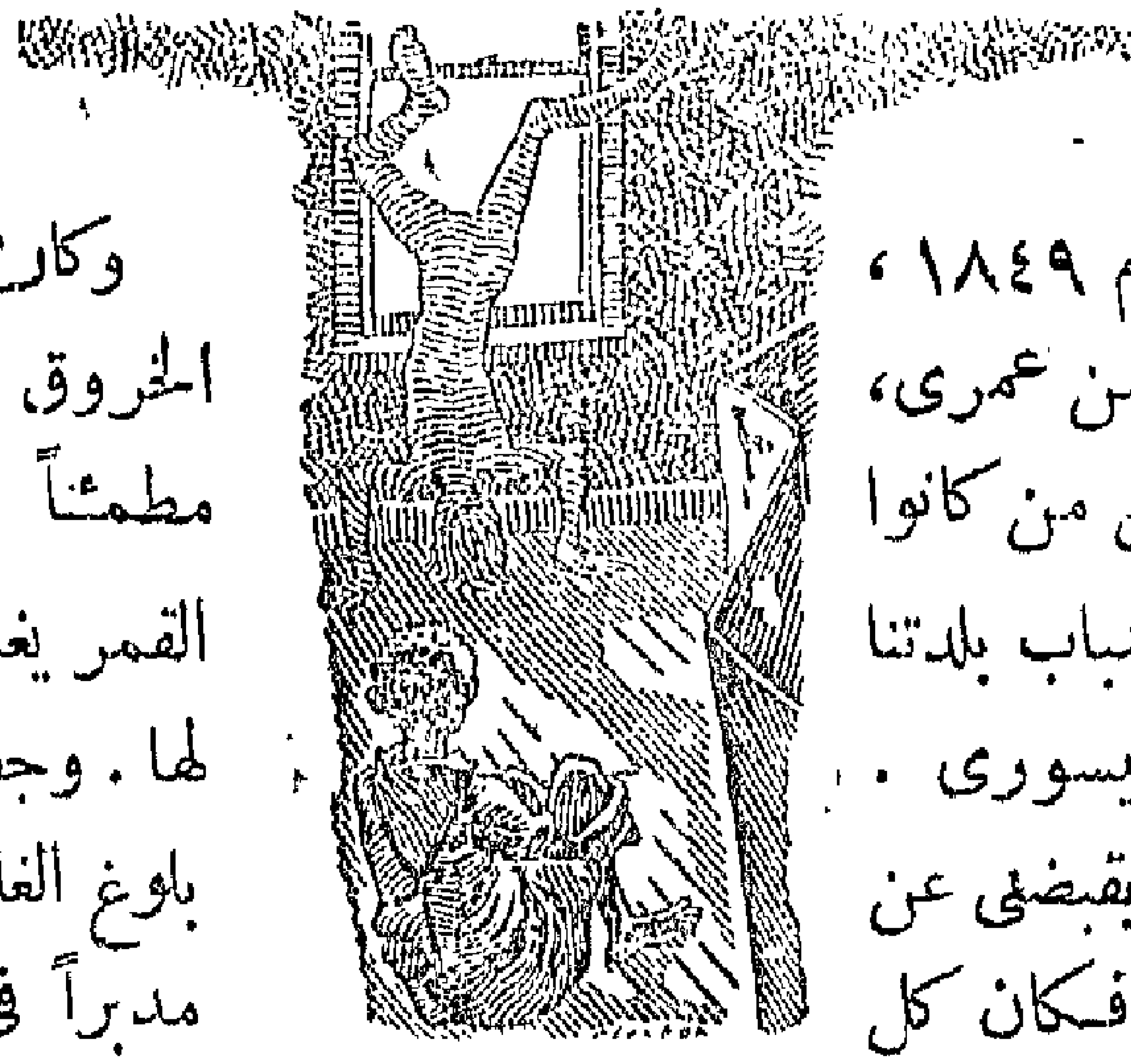
وبين ظهرانينا قوم قد أعموا تنظيم الرأفة بألمانيا بعد ما تنتهى الحرب . ومن صيحاتهم التى لقنوها ، أنه « لا ينبغى فرض تعويضات هذه المرة » . وسـيقترح الألمـان وأنصار الألمـان علينا أنه ينبغى أن يسمح لألمـانيا باستبقاء جزء على الأقل من غنائمها .

ولو قبلتم نظريتهم لـكان معنى هـذا أن ألمـانيا كسبت الحرب .

وأنا لا أصر على أن الاعتداء لا ينبغى أن يعود على المعتدى بغنم ما وحسب ، كما حدث قبل ، بل أصر على أن الاعتداء يجب أن يدفع ثمنه أيضاً . فألمانيا يجب أن تجرد تجريداً تاماً من جميع أسلابها ، كما يجب أن تجرد من سلاحها . فما عانته فى المرة الماضية كان خداعاً وتمويهاً ، وهو لا يقاس بمـا تعانيه الشعوب الأخر . فلنحذر أن نتخذ سخرية مرة أخرى .

حقائق مجردة عن صبى مارك توين

ملخصة عن حياة مارك توين بقلمه



أقامت أختى فى عام ١٨٤٩ ، وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى، حفلة دعت إليها كل من كانوا فى سن الزواج من شباب بلدتنا هانيبال فى ولاية ميسورى .. وكنت خجولا خجلا يقبضنى عن أن أخالط الفتيات ، فكان كل حظى منهن تلك الليلة عشر دقائق ، وكان علىّ أن أمثل الدب فى رواية خرافية قصيرة .

وحوالى العاشرة والنصف ، طلب إلىّ أن أذهب إلى غرفتى وألبس لباس التنكر الأدكن الكثير الوبر ، وأن أكون متأهباً فى مدى نصف ساعة . فأردت أن أتمرن بعض التمرين ولكن الغرفة كانت جد صغيرة ، فاجتزت الشارع إلى دار كبيرة خالية ، ولم يدر فى خلدى أن سيقصدها غيرى من الفتيان ليرتدوا ثياب أدوارهم .

ورافقنى إلى الدار « ساندى » الصبى الصغير الأسود ، واخترنا حجرة فسيحة فى الطابق الثانى ، فدخلناها ونحن نتحادث ، فأتاح صوتنا لفتاتين لم تتما ارتداء ثيابهما أن تلوذا بستار يخفيهما .

وكان ستاراً بالياً كثير الخروق . تجردت من كل ثيابى مطمئناً وبدأت أتمرن وضوء القمر يغمرنى من نوافذ لا ستائر لها . وجعلنى طموحى وعزمى على بلوغ الغاية أقفز على أربع مقبلا مدبراً فى الغرفة من طرف إلى طرف وساندى يصفق لى . مشيت منتصب القامة ، وعويت ، وكشرت عن أنيابى ، وزمجرت ، وتقلبت على يدى ، ورقصت متثاقلا معقوف المخالب ، وجعلت أتشمم هنا وهنا ، لقد صنعت كل ما يمكن أن يصنعه دب ، وكثيراً مما لم يصنعه دب قط .

وأخيراً وقفت مقلوباً على رأسى ، ولبثت كذلك هنيهة أستريح . وعندئذ صاح بى ساندى :

— «يامستر سام ، هل رأيت فى حياتك رنجة مجففة ؟ » .

— كلا . ماذا تكون ؟ .

— إنها سمكة .

— حسناً ، وما شأنها ؟ هل من عجيب فى أمرها ؟ .

— نعم ، بالتأكيد . ما من شك فى أن أمرها عجيب . إنها ظاهرها وخافيها ، تؤكل جميعاً بما فيها .

فإذا ضحكات نسائية مكتومة من وراء الستار ، فما هو إلا أن زايلتنى كل قوتى ، وهويت على الستار كالبرج المتداعى ، فانكفأ على الفتاتين فصرختا ، فاختطفت ثيابى وفررت إلى الردهة المظلمة فى الطابق الأسفل وساندى فى أثرى . وناشدت ساندى أن يلزم الصمت ، ولبثنا مختبئين إلى نهاية الحفلة . ولم أجترئ على العودة إلى دارى إلا وهى ساكنة وأهلها نيام . فلم يرعنى إلا رقعة مشبوكة بدبوس إلى وسادتى ، وإذا هى مكتوبة بخط متكلف لتنكيره ، فيها هذه العبارة الساخرة :

« أكبر الظن أنك لم تكن تستطيع أن تمثل الدب وأنت متنكر فى جلده ولكنك أجدت وأنت فى جلدك — أجل ، لقد أجدت ، أجدت كل الإجادة ! » .

ولشد ما آلمتنى هذه الواقعة ، وكنت أتوقع أن لا يطلع النهار حتى يكون قد انتشر خبرها فى البلدة كلها . ولكن لم يكن شىء من ذلك . ولبثت عدة أسابيع وأنا لا أستطيع أن أرفع بصرى إلى وجه فتاة ، وكنت أقول لنفسى : « هذه إحداهما » وأبتعد هارباً . لقد كنت تلك الليلة هدفاً لأربع عيون ساخرة ، بل كان يصح أن تكون ألف عين لا أربعاً . ولما رحلت عن هانيبال كان السر لم يزل سرًّا مطوياً .

ومضت سبع وأربعون سنة ، وكنت يومئذ أتنقل لإلقاء محاضرات ، فنزلت كلكتا . وإنى لأدخل الفندق إذ مر أمامى شبح قد أفاضت عليه شمس الهند المشرقة بهاءها — تلك مارى ولسن التى عهدتها فى أيام صباى الخوالى ! ولقد كانت من أحب الفتيات وأجملهن فى هانيبال . وكنت أتهيبها فقد كانت كالمجبولة من جبلة الملائكة فما كان أحراها أن تكون بعيدة المنال عن مثلى من غمار الناس .

وابتعدت قبل أن أتمكن من محادثتها . فخيل إلى أنها طيف ، ولكنها كانت لحماً ودماً . إنها حفيدة مارى الأخرى .

وأرسلت مارى تلك فى طلبى ، وهى الآن أرملة ، فإذا عليها مسحة من الجمال والصبا لم تزل ، على ما جللها من الشيب . فجلسنا نتحدث ، وتذاكرنا الماضى نبل ظمأ أرواحنا من خمره ، ذلك الماضى الجميل المحبب المأسوف عليه . نطقنا بأسماء لم تجر منذ خمسين عاماً على شفاهنا ، فكانت فى سمعنا كالموسيقى . وبعثنا بالذكر الجميل موتانا ، من لداتنا ورفاق صبانا . وجعلنا ننفض التراب عن زوايا الذاكرة ، ونستدرج

منها الحادثة بعد الحادثة ، ونضحك والدموع تجرى من مآقينا وإذا مارى تقول اخيراً مبتدرة بغير تمهيد :

ـــ خبرنى ، ما الخاصة العجيبة فى الرنجة المجففة ؟ .

وبدا لى هذا السؤال غريباً فى مثل هذه الساعة المقدسة ، ثم إنه سؤال لاموضع له . لقد أذهلنى ولكنه حرك شيئاً فى أغوار ذاكرتى ، وبعثنى على التفكير والتأمل والتنقيب . رنجة مجففة ! رنجة مجففة ! الخاصة العجيبة فى الرنجة المجف . . . !

رفعت بصرى إليها ، فرأيت الجد فى وجهها ، ولكنى رأيت فى عينها ومضة مريبة غامضة . . .

وأدركت كل شئ بغتة . وإذا بى أسمع من غيابة الماضى القديم صوتاً هامساً أذكره يقول :

« إنها ظاهرها وخافيها ، تؤكل جميعها بما فيها » .

● أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

الكتاب المحكم

سررت أعظم سرور بتلقى كتابك منذ أيام . ولو استطعت أن أحل رموزه لكان سرورى أعظم . ولست أظن أنى أدركت شيئاً فيه إدراكا تاماً إلا التاريخ (وكنت أعرفه) والإمضاء (وقد حزرته) . ان فى خطاباتك لسحراً دائماً : أن جدته لا تبلى . جميع الكتب الأخرى تقرأ وتنبذ . ولكن كتبك تحفظ إلى الأبد — غير مقروءة . وإن كتاباً واحداً منك ليكفى رجلا معتدلا مدى الحياة .

[توماس بايلى الدرتش إلى ادورد سيلفتنتر مورس]

* * * *

● ليس شقاؤك فى أن تكون أعمى ، بل شقاؤك أن تعجز عن احتمال العمى

[ملتون]

لكى تعيش الأمهات

جيروم بيتى

ملخصة عن كتاب «الأمريكيون فى كل مكان»

امرأة تحل مشكلة إعداد طبيبات للنساء الهنديات اللائى يؤثر أكثرهن الموت على عرض أجسادهن على طبيب



هذا الكوخ الصغير الذى أنشىء بالطوب النىء واشترك فى بنائه المجذومون بأكفهم المتهافتة ، لم يكن شيئاً يونق العين ، بيد أنه كان شيئاً له مكانة خاصة فى نفوس أهالى إحدى قرى الهند . وقد ظلت هذه القرية القذرة، التى تبعد ٢٥ ميلا من فيلور، سنوات وهى مثابة للسيارة الطبية التى كانت تقودها الدكتورة إيدا سكودر . وقد شيد الناس الآن هناك مستشفى ، هو ملجأ ذو حجرتين يقى من المطر والحر والغبار، فكانوا يفخرون به أشد الفخر ، وستفتتح اليوم طبيبتهم المحبوبة الدكتورة إيدا هذا البناء الجديد .

وفى الصباح الباكر رحلت من فيلور بعض الطبيبات لإعداد الحفلة فرحلت معهن . ولما استقربنا الرحيل وجدنا جماعة قد اختلط فيها الحابل بالنابل . فقد اجتمع هناك رجال القرية الرسميون مستعدين لإلقاء الخطب ، وستة وثلاثون صبياً من طلبة المدرسة حضروا لإنشاد الأغانى ، كما حفل المكان بالمرضى الذين يرجون الخير . وقد أدرك الأهالى بمنطق سليم أن السبيل إلى نجاح افتتاح المستشفى أن يقبلوا على العلاج ، فكان هناك ٥٠ مصاباً بالجذام وكثيرون من المرضى رجالا ونساء وأطفالا ، يصيحون يطلبون الحقن والأدوية والقطرة والمراهم. وقد أقبل بعضهم من قراهم فقطع ٢٠ ميلا فى طريق غير ممهد ، وحمل بعضهم على نقالات ، وكثير منهم تغطى جسمه القروح .

وكانت الطبيبات اللائى جئن بى من هيئة المستشفى — وهن ممرضة هندية وطبيبتان إحداهما أمريكية والأخرى هندية — يبذلن غاية جهدهن لكى يفرغن من العلاج قبل حضور الدكتورة سكودر إلى حفلة الافتتاح ، ولكن سرعان ما سمعت صيحات التهليل آتية من الخارج .

فقالت إحدى الطبيبات : «كان الله فى عوننا ، إنها هنا ونحن لم ننته بعد من

نصف العلاج ! لقد طلبنا إليها أن ترتدى أبهى ثيابها حتى لا تمس مريضاً ، بل تكون ضيف الشرف ولكننا لن نستطيع الآن أن نحول بينها وبين العمل ! »

ثم ظهرت بغتة وجعلت تطوى أكمام أجمل ثيابها ، ووضعت فى يديها قفازين من المطاط ، ثم أقبلت على مجذوم ونظرت فى كشف علاجه لترى ما ينبغى له من دواء ، ثم غرزت إبرة فى لحمه الميت وصاحت : «غيره» وهى تضمد جرحه ، فهنا واجبات يجب أن تؤدى ، ومرضى ينبغى أن يعالجوا سواء أكانت ثمة حفلة ستقام أم لم تكن .

ولم تمض ساعة حتى أنجز الطبيبات عملهن ، فاستعارت الدكتورة إيدا مرآة وأصلحت من شعرها ، ثم بدأ إنشاد الأغانى وإلقاء الخطب .

وقد قالت لى ونحن عائدون إلى فيلور : « أظن أنه كان يوماً جميلا » قلت : « نعم ! فما كان أجمل أناشيد الأطفال، وهذا الفلاح الهندى الذى قدم لك كل ما طلبت من الماء ! » قالت : «كان هذا جميلا حقا ولكننى لا أعنيه ، فهل تصدق أننا عالجنا اليوم خمسين مجذوماً ؟ إن معنى ذلك أنهم يحبون المستشفى ، وسيقبل علينا أكثر منهم يسألوننا المعونة » ثم تنفست نفساً عميقاً وقالت : «إننى أحب الهند، وما أكثر ما نستطيع أن نؤديه لها » .

ولا يزال لهذه المرأة الشاذة التى اشتعل رأسها شيباً — وهى فى الثانية والسبعين — خطوات حثيثة ثابتة ، وعينان متوهجتان ، ويدان قويتان لهما مهارة جراح فى الخامسة والأربعين . وهى زميلة فى كلية الجراحين الأمريكيين ولم تزل منذ ١٨ سنة على رأس الجمعية الطبية فى مقاطعة سكانها مليونا نسمة . وفى سنة ١٩٣٦ انتخبها بالإجماع أعضاء المؤتمر الهندى للولادة وأمراض النساء ضاربين عرض الحائط بسخط الهنود الشديد على جعل امرأة رئيسة على الرجال . والأطباء فى جميع أنحاء الهند يرسلون إليها بأعسر ما يجدون من حالات الأمراض النسائية . وقد بلغت شهرتها فى إبراء المرضى مبلغاً جعل النساء والأطفال يقبلون عليها ليمسوها بأيديهم فحسب .

وفى الهند أطباء من أهلها ، بين مقتدر فى طبه وضعيف ، غير أن نطاق عملهم لا يتجاوز المدن . أما أهل الريف فجل اعتمادهم على كهنة دجالين ، أو على متطببين لهم مخالب النمر وعظام أفراخ الدجاج ، أو على جهلة أدعياء يضمنون شفاء الجذام فى ثلاثة أشهر ، ويأخذون من المرضى ما يستطيعون الحصول عليه من أجر .

وقد مضت أربعون سنة تقريباً منذ

أنشأت الدكتورة سكودر بعض عيادات متنقلة لتؤدى الإسعاف الطبي لسكان المناطق الريفية المساكين ، وكانت العيادات فى أول أمرها تنتقل على عربات تجرها الخيـل . ولقد شاهدت الدكتورة إيدا فى هذه البلاد النائية أهوالا فظيعة ، رأت رجالا فقدوا أبصارهم لأن الكهنة عالجوهم بأن وصفوا لهم أن يذرّوا فى أعينهم الزجاج المسحوق والفلفل الأحمر ، ونساء أصبن بالكساح مدى الحياة لأن المولدات كن يستعملن آلات اقتلاع الزرع فى حالات تعسر الولادة .

والآن تقوم مستشفياتها المتنقلة المزودة بأحسن الأدوات ، بعلاج ٣٦٠٠٠ مريض فى السنة ، بينهم ١٥٠٠٠ مجذوم . وهذه المستشفيات لا تملك فى الواقع أن تسبغ نعمة الشفاء على كثيرين من المصابين بالجذام ، ولكنها قد تقف سريان الداء ، فتمنح آلاف المرضى القوة التى تعينهم على كسب بعض القوت . وهى تعـالج كل إنسان فى نطاق ٢٥ ميلا من فيلور ، وتداوى الفقراء المدقعين بلا مقابل ، أما سواهم فيدفع أجراً زهيداً .

ثم تأهبت الدكتورة إيدا لحل مشكلة إعداد طبيبات للنساء الهنديات اللائى يؤثر أكثرهن الموت على عرض أجسادهن على رجل طبيب . فتمكنت بقوة إرادتها وقدرتها على التنفيذ ، أن تنشىء فى الهند إحـدى كليات الطب الثلاث الخاصة بالنساء . وقد منح معهدها إجازة الطب لأكثر من ٣٠٠ طبيبة ، معظمهن من أسر الطبقات الحقيرة . ولقد جعلت منهن الدكتورة إيدا مواطنات ذوات مكانة محترمة يبجلهن كل امرىء حتى أفراد الطبقات العالية .

وقد ألحق بالمعهـد الآن أبنية جميـلة وغرف نوم تسع ١٠٥ من طالبات الطب ، و ٣٠٠ سرير مستشفى ، فضلا عن مائة طالبة تمريض ، وهيئة تدريس تتألف من ١٨ طبيبة ، بين أمريكيات وكنديات وهنديات . ويعالج المستشفى ٥٠ ألف مريض فى العام ، بينهم ٣٥٠٠ مريض مقيم فى المستشفى .

وتقوم الدكتورة سكودر أحياناً بإجراء عدة عمليات فى اليوم ، هذا على أن كثيراً من المرضى يطلبون أحد المنجمين ليختار لهم سـاعة سعد لإجراء عملية جراحية ، وترى الطبيبة أن ساعات السعد إنما تكثر حوالى منتصف الليل ! وقد اضطرت ذات ليلة أن تنتظر إلى الساعة الثانيـة صباحاً لإجراء عملية ولادة خطيرة .

وكان من الواجب أن تحال الدكتورة سكودر إلى المعاش فى سن ٦٥ غير أنها «أضاعت» الأوراق التى كان ينبغى لها أن تملأها ، ولم تشـغل نفسها بالبحث عنها . واضطرت كارهة ، وهى فى الثالثة والستين ،

أن تدع لعب كرة السلة مع طالباتها ، ولكنها لم تزل تلعب التنس .

وتجد الآن الدكتورة إيدا مع صديقتها « جرترود دود » ، وعمرها ٨٥ سنة ، فى الولايات المتحدة تجمعان المال اللازم لتحسين المدرسة، ولكن الدكتورة إيدا تتحرق شوقاً لتعود إلى محاضراتها وإلى حجرة العمليات .

وتنحدر الدكتورة إيدا من اسرة لها مكانة فى تاريخ البعثات . فإن الدكتور جون سكودر كان أول طبيب أمريكى أرسل إلى الهند سنة ١٨١٩ ، وقد أرسل ٤٩ شخصاً من ذريته ، وبينهم ١٤ طبيباً ، إلى الهند وهاواى واليابان وبلاد العرب .

وحين ولدت الدكتورة إيدا ، كان والدها — وهو طبيب — يقيم فى ناحية لا تبعد كثيراً عن فيلور . ولما بلغت الثامنة من عمرها رحل والداها رحلة إلى أمريكا ثم تركاها عند بعض أقاربهما فى شيكاجو لتنال حظها من التعليم . ولقد ترعرعت فتاة حسناء محببة إلى الناس تفيض حياة . وقد جعلتها ذكرياتها عن أوبئة الهند وأقذارها ثم تضحيات والديها ، تصمم على أن لا تلتحق ببعثة أبدا .

وكانت على وشك الالتحاق بجامعة « ويلسلى » حينما اضطرها ثقل وطأة المرض على والدتها أن تعود أدراجها إلى الهند .

وقد حدث ذات ليلة أثناء وجودها هناك أن لقى ثلاث شابات من جاراتها من الأهالى حتفهن فى ولادتهن . وكبراهن فى الخامسة عشرة من عمرها ، وكان أهلهن قد أبوا بازدراء مساعدة الدكتور سكودر ، لأنه رجل . وحينئذ جال فى ذهن إيدا هذا الخاطر : « لو كنت طبيبة لأنقذت حياتهن ! » ولم يكن قد دار فى خلدها إلى هذا الوقت أن تدرس الطب ، فقليل من الفتيات يومئذ من أقبل على دراسته .

وكان يسرى فى دمها ذلك الشغف الذى حفز كبار العلماء ، فضربت بأملها فى حياة رغيدة بعيداً عن الهند ، عرض الحائط ، وعادت إلى أمريكا وأكبت على الدراسة ثلاثة أعوام فى كلية الطب الخاصة بالنساء بفيلادلفيا ، ثم التحقت بمعهد كورنل الطبى إحدى النساء الست اللائى دخلن أول فصل مختلط فى المعهد .

وكانت فيلور فى حاجة إلى مستشفى للنساء فلما نالت الدكتورة إيدا شهادتها من معهد كورنل قيل لها ، إنه إذا تسنى لها أن تجمع الثمانية آلاف دولار اللازمة استطاعت أن تبنى المستشفى وتديره بنفسها . فجمعت عشرة آلاف دولار ، وما يتطلبه المستشفى من أدوات الجراحة . وفى الثلاثين من عمرها افتتحت المستشفى

وكان حجرة واحدة فى منزل قديم .

وقد دربت بنت طاهيتها لتكون ممرضة . ولم يعنها فى أول عمليـة أجرتها — وهى عملية ورم فى البطن — سوى هذه الفتاة الهندية التي لم تستعمل الكلوروفورم قط ، وقد نجحت العملية نجاحاً باهراً . وعالجت فى سنتين أكثر من ٥٠٠٠ امرأة وطفل . وكانت هى الطبيبة الوحيـدة فى إقليم يبلغ عدد نسائه نصـف مليون امرأة . وبعد عامين — حين قضى الطاعون على مليون ومائة ألف نسمة فى الهند — جعلت تنتقل من بيت إلى بيت تطعم آلاف السكان .

وفى سنة ١٩١٨ افتتحت مدرستها لتعليم الطب للنساء الهنديات فى بيت ريفى مأجور غـير معتمدة إلا على وعد من السـيدات الأمريكيات بمساعدتها . ولم يكن فى المدرسة غير ستة كتب وهيكل عظمى ومجهر واحد. وقد تقدمت ١٥٠ فتاة لم يصلح منهن غير ١٧ . وفى العام الأول والثانى كانت الدكتورة إيدا تلقى الدروس ، وتدير المسـتشفى ، وترعى حسن مأكل الطالبات ومسكنهن . وقد بلغ بهـا الأمر أن اتفقت مع رجال السجن المحلى على أن يرسلوا إلى المشرحة بجثث من لا أهل له من القتلة بعد شنقهم.

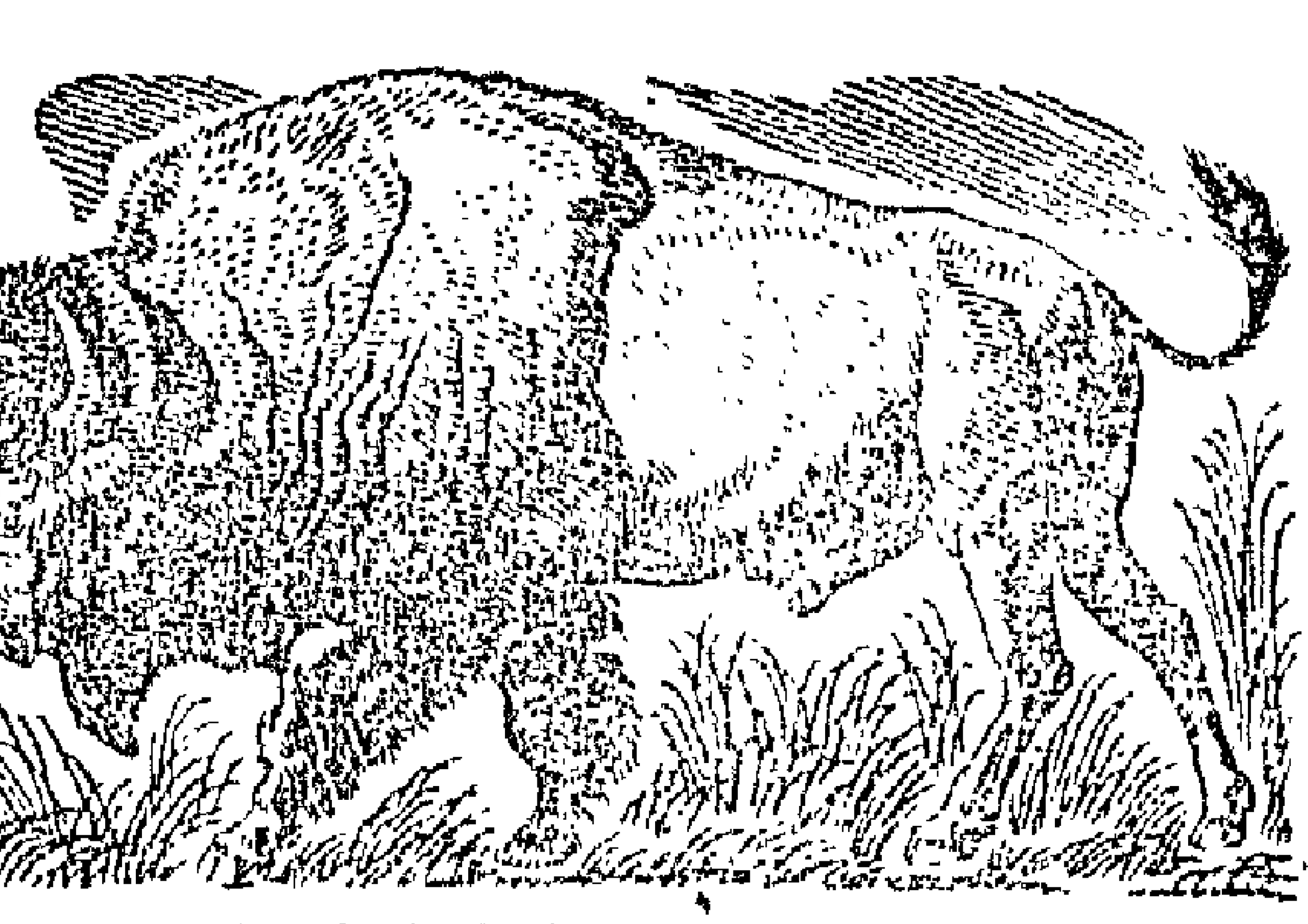
وظلت المدرسة تتلمس ما تستطيع أن تجد إلى أن وصل إليها المال ، غير أن الدراسة كانت وافية . وقد اجتازت طالباتها السبع عشرة الامتحانات التى تعقدها الحكومة فى حين لم ينجح من المعاهد الأخرى إلا الخمس من خريجيها . وقد نالت إحدى الفتيات مدالية ذهبية لحصولها على أعلى درجة فى أمراض النساء من بين ٤٩٥ طالب وطالبة.

وحدث أثناء زيارتى لفيلور أن استدعيت الدكتورة إيدا مساء لإجراء عملية باطنية هامة ثم عادت بعد ساعات قليلة . فسألتها : « هل نجحت العمليـة ؟ » قالت : « نعم ولـكن بعد بعض العناء » .

ثم علمت فى اليوم التـالى أن التيار الكهربائى كان قد انقطع أثناء إجراء العملية فاستولى الذعر على نفوس الممرضـات فى حجرة العمليات ، ولـكن صوت الدكتورة سكودر شق الظلام بنبراته الثابتة فسكن روعهن . ثم كلفتهن إحضار مصـابيح كهربائية « بطاريات » ، فعدن بأربعة منها فسلطن نورها على الجرح إلى أن انتهت من إجراء العملية .

قالت : « لقـد نجحت بعد بعض العناء ومن أجل ذلك كانت عملية ممتعة » .

الثور الأمريكى القديم



دونالد كيلروس بيتى

ملخصة عن مجلة « التاريخ الطبيعى »

« إن مذبحة سلاطين السهول ، أكبر الحيوانات الأمريكية ، تبين كيف كانت قطعانه التى بلغت — ذات مرة — خمسين مليوناً من الأشداء ، تنازع المستوطنين السيطرة على البلاد » .

لقد عاش نيف ومليون أمريكى فى أرجاء الفلوات الأمريكية يكدحون فى بطء وعناء من قبل أن تقطع الطرق الحديدية القارة الأمريكية . وقد ظل مُضيف أمريكا العظيم مُدى نصف قرن يقرى هؤلاء المليون من الناس قِرًى نبيلا ، فهو يطعمهم لحماً طريا شهيا ، ويكسوهم الثياب الثمينة ، ويهيئ الوقود حيث لا توجد — غالباً — قطعة من خشب يوقد ، ثم هو يهديهم إلى موارد الماء ، وإلى حيث تستطيع « المركبات المغطاة » أن تعبر . فليس ثمة عجب فى أن نخلد هذا البطل على قطع العملة الأمريكية ذات الخمسة سنتات .

هذا هو الجاموس الأمريكى — الثور الأمريكى القديم .

والجاموس الأمريكى ما فتئ أضخم حيوان فى القارتين الأمريكيتين ، فالتام النمو منه يبلغ ارتفاعه — فى المتوسط — ست أقدام إلى كتفيه ، وطول جسمه يتفاوت من ١٠ أقدام إلى ١٢ ½ قدماً بما فى ذلك الذيل . ومعدل وزنه ١٨٠٠ رطل ، وإذا بلغ الغاية فيبلغ وزنه ٢٤٠٠ رطل . أما قرناه فليسا طويلين طولا خارقاً ، غير أن بينهما جبهة رائعة مروعة عريضة عظيمة العرض . وبهذين القرنين يستطيع الثور أن يشق أرض البرارى الصلبة ليتمرغ فيها ، وهو يستطيع بهما أن يهزم قطيعاً كاملا من الذئاب ، وأن يبقر بطن حصان أو أن يحمل الحصان وراكبه مسافة مائة ياردة قبل أن يلقى بهما إلى الأرض . وإن البقرة — أنثى الجاموس — لتكون أخطر من الدب الأغبر إذا هى راحت تدافع عن وحيدها ، فهى إذن ضارية كأشد الوحوش الضوارى . أما قطيع من الثيران فما يعيش حى ما دقيقة واحدة إذا حاول أن يصده وهو ثائر مندفع .

ولقد كان الثور الأمريكى — قبل أن

يهبط الجنس الأبيض أمريكا — يفوق فى العدد كل ما على الأرض من أنواع الثدييات الضخمة . ولقد اختلف علماء التاريخ الطبيعى فى تقدير عدد هذا الحيوان ، ولكن لم يقل تقدير أحد منهم عن خمسين مليوناً . ولم يجد رعاة البقر الأولون ألفاظاً يصفون بها الجماعات الكبيرة من ملوك البرارى . أما الكولونيل دودج ، الرجل العظيم الذى عاش فى تلك البرارى ، فقد وصف قطيعاً واحداً عرضه ٢٥ ميلا ويمتد شمالا وجنوباً مسافات يتقطع دونها الطرف . وفى عصر السفن البخارية كانت الملاحة تتعطل فى نهر الميسورى أياماً لأن قطيعاً من الثيران يعبر النهر .

هــذه القطعان كانت أكبر مورد من اللحوم وهبــه الله لبلد مجدود ، إلا أن الإسراف والطمع ما كانا ليدعا أبداً غير ثلث الثيران المذبوحة ينتفع به . فبعض المتأنقين فى طعامهم من سكان الفلوات كانوا يذبحون الثور ليستمتعوا بلســانه اللذيذ ثم يذرون الباقى تأكله الذئاب . وكثيراً ما كانت الثيران تذبح رغبة فى جلودها فحسب . وكان الرواد يقتلونها ليسمنوا عليها خنازيرهم ، كما أن ملايين أخر كانت تقتل لا لشىء سوى إخلاء الأرض منها .

وفى سنة ١٨١٠ طردت هذه الثيران نحو نهر المسيسبى فما بقى لها فى الغابات الشرقية من أثر غير دروب خطتها أظلاف أسرابها . هذا على أن كثيراً من المدن تقوم حيث هى الآن لأن الثيران عبدت طريقاً قديماً هناك .

ثم أذّن إنشاء الخطوط الحــديدية بفناء قطعان السهول . ولكن الثور الأمريكى لم يستسلم لهذا الفتح بل راح يدافع ، فكان يحطم عمد التلغراف الحديثة ويتربص بكل طريق حــديدى ليقف القطارات ، ويلقى بنفســه بين عرباتها ، فيفض السلاسل التى تربط بعضها ببعض .

ولقــد منحت سكة حــديد « كنساس باسيفيك » ، الكولونيل وليام كودى مرتباً يغرى قدره ٥٠٠ دولار فى الشهر ، ليطهر الطريق من هــذه الوحوش ، فلم يقم هو ورفاقه من فرق الإبادة على قتل تلك القطعان فحسب بل أخذ يمد جماعات العمال كل يوم باللحم الطرى . وقد قتل الكولونيل كودى فى رهان ، ٦٩ رأساً فى يوم واحد ، وسجل فى ١٨ شهراً عــدد ما قتــله منهــا فإذا هو ٤٢٨٠ رأساً ، ومن أجل هذا أطلق عليه « سفاح الثيران » .

ولاقت الثيران نهايتها المحزنة بما واجهته من مثل هذه الغارات المنظمة ، ذلك لأن الحيــوانات الضخمة كانت تضطر أبداً إلى الفرار حين ينزل الجنس الأبيض . فضياع الرواد الأول وحظائرهم وماشيتهم وأغنامهم

ومحاصيلهم جميعاً لم تكن تستطيع أن تشارك هؤلاء الجبابرة المتوحشين فى أرض أمريكا.

ولقد أعلن « بفلو جونز » أنه لم يبق فى سنة ١٨٦٥ سوى خمسة عشر مليوناً من الثيران ، وأنه قد ذبح فى تلك السنة وحدها مليون رأس ، أما نصف الباقى فقد فنى فى حدود سنة ١٨٧٢ حين بلغ القتل ذروته . وفى سنة ١٨٨٣ حصد قطيع مونتانا الأكبر البالغ عدده ١٠,٠٠٠ رأس ، فى أيام قليلة ، وكان مهرة الرماة يحرسون كل منفذ إلى الماء خلال ساعات الصيف المتقدة ، ويستعينون فى ظلمة الليل بإيقاد النيران، فإذا جن جنون هذه الوحوش من شدة الظمأ واندفعت إلى الماء تتحدى الرصاص ، لم يفلت أحد منها من الموت .

وكان جل تلك الذبائح إنما يقتل من أجل جلودها التى أخذ ثمنها يرتفع كلما قل وجودها ، حتى كانت تكدس إلى جانب السكة الحديدية — ميلا بعد ميل — فى أكوام عالية كأكوام العشب . فلما قارب الأمر نهايته أصبح ملك أمريكا القديمة مادة لهو ، وصار نمط اللهو الحديث لدى صائدى الوحوش الضارية من الأثرياء ، ولدى ذوى المكانة الاجتماعية من الزائرين «أن يقتل آخر ثور» . وقد هيأ الجنرال شريدان حفلة صيد للدوق لكسيس الروسى العظيم ، وبحضور الجنرال كستر والكولونيل كودى ثم جماعة من الكشافة الهنود وفرقة من الخيالة الأمريكيين ليقضوا على بعض الثيران الباقية منفردة هنا وهناك ، وبعد حين اصطنعوا وليمة من لحم الثور المشوى المغموس فى الشمبانيا .

أما الآن فما ترى حيث كانت ملوك الأرض من الثيران تخور وتزمجر ، إلا عظامها البيض ، تغطى الفدان بعد الفدان . ولقد صور المصورون المعاصرون السهول بيضاً تكسوها العظام إلى مدى البصر . ولم يزل الثور الأمريكى القديم ، وقد صار هيكلا من العظام ، يهدى الرائد الأول طريقه . وقد وجدت عظامه سوقاً رائجة تستعمل فى تكرير السكر وفى التسميد ، حتى إن كثيراً من المستوطنين الأول دفع القسط الأول من ثمن أرضه مما باع من عظام الثيران التى جمعها من على الأرض التى اشتراها ، وقد شحن أحد التجار منها إلى مدينة كنساس سفناً حمولتها ٣٠٠٠ عربة حتى أثرى .

وما يزال الثور الأمريكى إلى اليوم يمنح النور والدفء لكل مكان حل فيه . وقد ظل أبناء السبيل الذين يعبرون السهول الجرد التى لا نبات فيها، يجدون وقودهم من أشلاء هذه الثيران بعد انقضاء سنين على انقراض قطعانها . وعلى مثل هذه النيران ، كم من طعام لذيذ قد طهى ، وكم من قصة

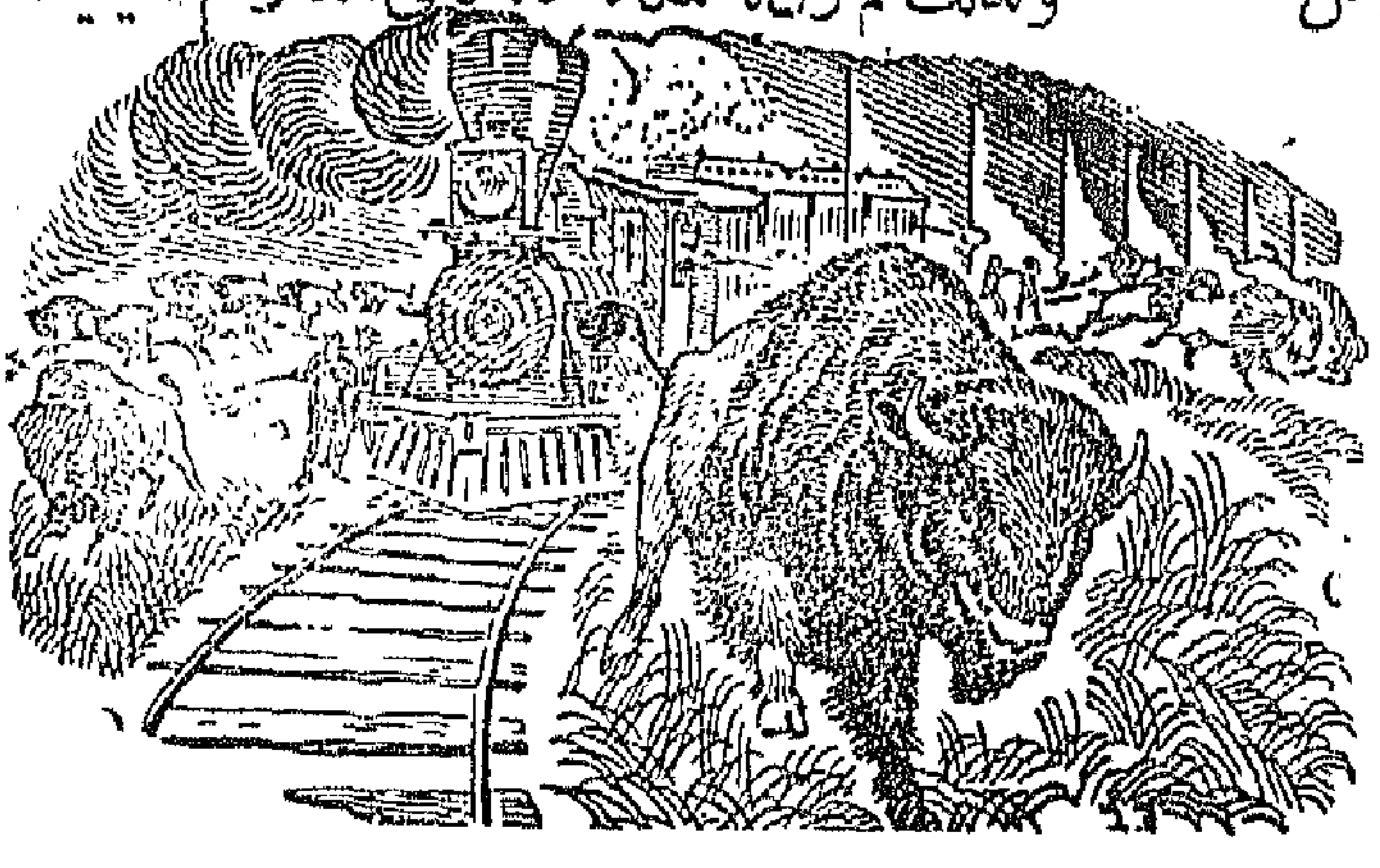
طويلة قد حكيت . وحتى إذا ما فنيت هذه الأشلاء فسيستطيع سكان الفلوات أن يجدوا طريقهم إلى موارد الماء الثمينة ، لأن مسالك الثيران إليها قد أخصبت منذ زمان بما كان يقذفه هذا الحيوان من ذى بطنه ، فتراها معلمة دائماً بالحشائش الخضر الطويلة .

ومنذ أن شقت الأرض وحرثت وسورت قطعها وتقاطعت فيها خطوط السكك الحديد بدأ الثور ينقرض حين أخذ القليل الباقى منها يعانى التشريد والقتل . وقد رفض الرئيس جرانت أن يوقع قراراً يقضى بإنقاذها ، ثم إن الكونجرس الأمريكى نبذ اقتراحاً بعد اقتراح يضمن بقاء هذا النوع ، ولكن قليلا من الناس من أدرك أن شيئاً من قوة الأمريكيين وكبريائهم وجلالهم سينهار حين ينقرض آخر ثور .

ولعل واكنج كويوت هو أول من برهن على صداقته للثور المنقرض ، فلقد ربى عجلين من الذكور وعجلتين من الإناث . ومن هذه النواة نمت القطعان العظيمة فى ولاية مونتانا ، ومنها انحدرت سلالات كثيرة خالصة الدم لم تزل إلى اليوم باقية . وفى مكان آخر استجاب الكولونيل شارل جودنيت ، لتوسل زوجته ، فأنقذ هو أيضاً قليلا من العجول الوحشية ، بعد ما اجتذبها إلى مزرعته لتجد حماها فيها ، ولم يلبث أن حذا حذوه جماعة من سكان الغرب ممن يعرفون لهذا الحيوان قدره .

وفى سنة ١٩٠٥ جمعت جمعية الثور الأمريكى . التى أنشأها تيودور روزفلت واخرون ، ٥٠٫٠٠٠ ريال لإنشاء « الحمى الأهلى للثيران » بولاية مونتانا . وتوجد الآن قطعان جيدة فى نبراسكا وأوكلاهوما وداكوتا الجنوبية ويلستون بارك ، ثم أدخل قطيع آخر ألاسكا . وتبلغ الآن عدة هذه الثيران فى الولايات المتحدة نيفاً وخمسة آلاف

والحق هو أن ما يولد اليوم على الأرض من هذه الثيران لأكثر من منفسح الأرض الفراغ التى تستطيع أن تتلقاها . أما العجول التى لا يحتاجون إليها فتباع لحدائق الحيوان ، وما يبقى بعد ذلك يرسل إلى الهنود . وهذا عمل لم ينأ عن الصواب ، لأن الهنود الحمر يعدون الثور مخلوقاً سماوى الأصل ، وأنه هبة من الله ، ولذلك لم تزل له مكانة سامية فى شعائرهم الدينية .





جسر إلى النصر

فتح جزيرة اتو

ملخصة عن كتاب هوارد هاندلمان

« جسر إلى النصر » هو أول رواية تامة لاعادة فتح جزر ألوشيان وقد شهد هوارد هاندلمان مكاتب الأنباء الدولية كل ما جرى ووصفه وصفاً بيناً — الخطة الواسعة النطاق ، والحوادث الصغيرة ، والمناظر الرهيبة التى يكتنفها الضباب ، والأصوات والروائح وما كان فى المعارك .

ولكنه فوق كل شئ معنى بزملائه من بنى الانسان — أولئك الشبان الأمريكيين الذين جاءوا من وراء مسقاة الصودا ، أو مكتب الموظف ، أو المحراث ، وقذف بهم فجأة فى أعجب قتال وأقساه فى هذه الحرب .

ويشاطرهم هاندلمان رغبتهم فى استطلاع كنه هذا العدو الشيطانى ، فيتسلل إلى مخابئ اليابانيين ، ويتأمل موتاهم ، ويتفحص الأسرى القليلين ، محاولا أن يفهم هؤلاء المخلوقات الذين يبدون أحياناً أشداء متجلدين وأحياناً متهافتين تالفى الأعصاب .

وجملة الأثر الذى يقع فى نفس القارئ من هذه القصة التى تستولى عليه هى أنه يحس أنه هو أيضاً قد خاض هذه المعارك التاريخية .



جسر إلى النصر

لم يكن أحد ، قبل الحرب ، يريد أن تكون له جزر ألوشيان التى يعيش عليها حوالى ٩٠٠ من الأهالى وحفنة من الصيادين الأمريكيين . حتى الأهالى أنفسهم كانوا لا يستطيبون العيش فى هذه الجزر . ولكن اليابانيين احتلوا جزيرتى أتو ، وكيسكا ، فصار من الضرورى أن يُطردوا لأنهم هددوا ألاسكا .

وقد اجتمع سوء الجو ووعورة الأرض فجعلا من جزر ألوشيان أصعب ميدان حرب فى التاريخ الأمريكى ، وقضت قواتنا شهوراً تحت قيادة الأسطول ولكن مع التعاون الوثيق ، فى إقامة قاعدة بعد أخرى فى الدانى من جزر ألوشيان والإحداق بكيسكا وأتو ، من أجل المعركة القريبة المدى ، وفى إعداد طريق جوى إلى اليابان للمعركة الطويلة المدى .

وكانت الخاتمة ذلك القتال المر الذى دار فى رقعة جرداء خالية من الشجر من جزيرة أتو ، وهذه قصته .

فى أول مايو من سنة ١٩٤٣ احتشد فى خليج « كولد » بألاسكا من القوة البحرية فوق كل ما شهدته هذه البلاد الشمالية فى تاريخها : بوارج ، ومدمرات ، وحاملة طائرات صغيرة ، وناقلات جنود صارت ظهورها صفراء سمراء لكثرة من اجتمع عليها من الجنود فى بذلاتهم متلاصقين كتفاً إلى كتف ، وكانت الطائرات المقاتلة تصعد من حاملتها ومن المطار الساحلى وتزأر فوق الرءوس ، وتنقض أحياناً على إحدى السفن على سبيل التدرب.

وسمعت بحاراً يقول ، وقد امتلأ قلبه روعة : « يا إلهى ! سنخرج حقا للاستيلاء على تلك الجزيرة اللعينة » .

وكان الجانب الأكبر من الجنود غايته خليج « ماسكار » فى الرقعة الجنوبية من جزيرة أتو ، وكانت ناقلة جنود مفردة ستقصد إلى خليج « هولتز » فى الشمال . وكانت الخطة أن تلتقى القوتان عند المعسكر اليابانى الرئيسى على القوس الغربية من خليج هولتز بعد يوم ونصف يوم من النزول إلى البر . وكان بين الكاتبين تنافس كثير ، واحتيال غير قليل ، على المراكز الممتازة . وراهنت على أن الجنود الذين تقلهم الناقلة المفردة سيصلون أول من يصل

وكان قائد هؤلاء الجنود الصاغ ألبرت ف . هارتل ، وهو ربعة ، دقيق العبارة نظامى ، وإذا لقيته أول مرة لم يبد لك أنه صليب العود قوى المراس ، وأنه ذاهب لأداء مهمة شاقة . ولم يكن لسانه يجرى بلفظ ناب ، وكان لايفتأ يقول عن اليابانيين « إخواننا الصفر الصغار » ، وكانت لهجته حين يقول ذلك أنم عن إحساسه وأكشف عن شعوره من العبارة المألوفة « أولاد الحرام الصفر الصغار » .

وكان هارتل فى حياته المدنية رئيس الحسابات فى لجنة المنافع العامة بولاية داكوتا

الشمالية ، وكان يبتسم كالمعتذر حين يذكر ذلك ، على أن معظم الضباط وكل الجنود تقريباً كانوا يزاولون أعمالا ويحيون حياة كهذه ، لا صلة لها بالحرب ، فكان منهم الزراع ، والمحامون ، وموظفو المكاتب ، وطلبة المدارس ، ورجال الأعمال ، وعمال المصانع ، والمعدنون ، والبائعون المتنقلون ، وغيرهم ، فكانت أمريكا كلها ممثلة هناك . وكل ما صنعته أمريكا فى حياتها ، صنعه هؤلاء الرجال ، وجمعتهم الحرب معا ، وصاغت منهم كتلة واحدة ، ثم أخرجتهم على سواء ، كما أظهرت معركة أتو ، فقاتل كل واحد منهم ، وقاتلوا جميعاً كأنهم كانوا ما اشتغلوا بغير ذلك قط من قبل .

* * *

وقضى أسطول الغزو تسعة أيام يقطع البحر من خليج كولد إلى أتو ، وكانت هناك أدوات للألعاب الرياضية ، ولكن ظهور السفن كانت غاصة بالصنادل والمدافع والأجهزة ، فلم يتسن إلا لفئات قليلة من الجنود أن يزاولوا الرياضة فى وقت واحد . وبلغ من الاكتظاظ أن الرجال كانوا يقرأون وهم مستندون إلى ظهور زملائهم

وكان الضباط يذهبون طول النهار فى طوائف صغيرة إلى حجرة المطالعة للدرس ، فكانت الحجرة أشبه بغرف النوم فى الكلية قبل الامتحان النهائى . فكنت ترى لفيفاً من ضباط الصف فى ركن ، و ١٠ أو ١٢ من المجندين فى آخر ، وجماعة كبيرة جالسين إلى منضدة فى الوسط . وكان الضباط يطلعون ضباط الصف والجنود على كل شىء ، لأن الجيش الأمريكى يعمل بالرأى القائل أن الجندى المطلع على جلية الأمر هو خير جندى .

حتى وجبات الطعام كانت فتراتها تستخدم لتعريف الجنود تعريفاً تاما بمهمتهم القادمة ، فكان الممر الذى يجتازه الجنود ليأخذوا طعامهم فيه مصور بارز ضخم للناحية الشمالية الشرقية من جزيرة أتو ، وهى الناحية التى سنهاجمها ، فكان الجنود يعكفون على هذا المصور ليلا ونهاراً ليدرسوه .

على أن من سوء الحظ أن معالم المصور كانت غير صحيحة ، فالكثبان التى كانت تبدو عليه كالتلال الواطئة تبين أنها جبال ترتفع إلى ٤٠٠٠ قدم فى أتو ، وكان هذا هو الخطأ الأكبر فى الحساب الذى وقعت فيه الحملة .

وفى اجتماع الضباط ، محا الصاغ هارتل الأثر الأول الذى وقع فى نفوسنا منه ، فقد وفى كل شىء حقه من البيان ، فى أناة ودقة وإحكام ، حتى لكأنه أستاذ فى مدرسة :

« ليست مهمتنا هذه بالهينة . فقد قضى إخواننا الصفر الصغار أحد عشر شهراً فى

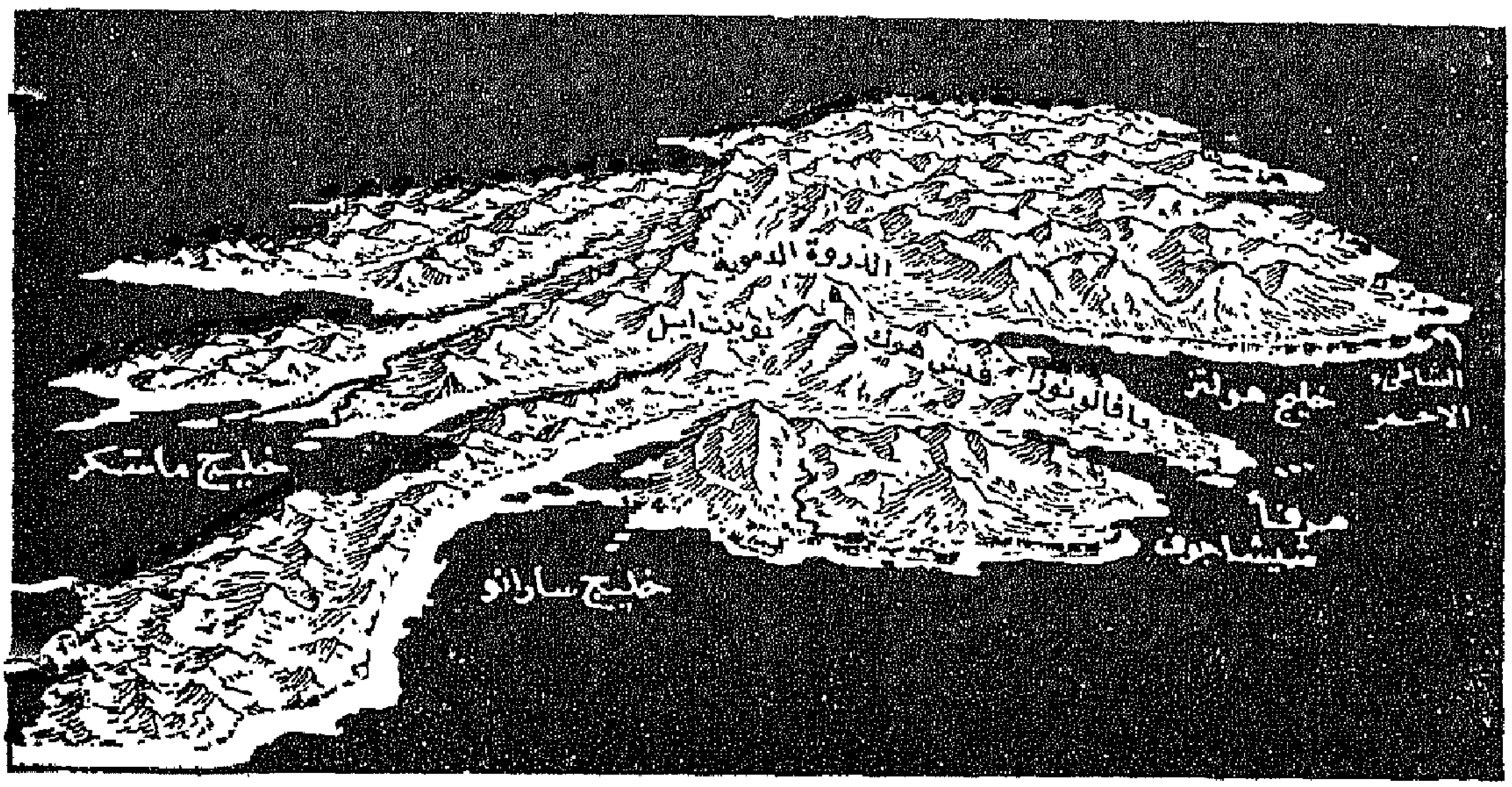
أتو ، وهم أقوياء ، فى خليج هولتز الذى يجب أن نبلغـــه بأسرع ما نستطيع ، وستكون لنا السيطرة على البحر ، وستكون لنـا ، على الأقل فى اليوم الأول ، السيطرة على الجو ، ثم لا ندرى ماذا يكون بعد ذلك ، فإنهم يستطيعون أن يطيروا إلى هنـا من بارامو شيرو وهى على أقل من ٧٠٠ ميل .

ولا ندرى هل نستطيع أن تنزل على الشاطىء الذى اخترناه — الشاطىء الأحمر — أو لا نستطيع ، فهو صغير ، وصخرى ، وقد دلنا الاستطلاع الجوى على أنه ليس فيه يابانيون، فإذا لم يكن فيه منهم أحد، فإن هذا يكون حسناً ، وإلا فسيكون علينا أن نقاتل .

« وإذا نزلنـا على الشـاطىء الأحمر فسيضرب الأسطول ما يلى ذلك أمامنـا ، وسيكون لنا رقعة تمتد إلى ستمائة ياردة تقع بيننا وبين مواقع القنابل .

« فاحرصوا على أن تتبينوا أى علامة تدل على أن أى رجل من رجالكم أصابه اضطراب من جراء الصدمة الأولى للمعركة ، فإذا رأيتم أحداً يضطرب فسيكون عليكم أن تحادثوه وتقوّوا قلبه وتشدوا أعصابه ، أو أن تردوه إلى الخلف ليتولى أمره الأطباء ، فما يعرف أحد منا كيف يكون حاله حين يلقى نفسه لأول مرة تحت وابل من النار .

« واستوثقوا من أن كل رجالكم ينزلون ومعهم ما يكفى من الطعام يوماً ،



أتو

وأنهم يلبسون جوارب نظيفة وثياباً تحتية نظيفة ، وأنهم حلقوا ذقونهم ، وأنهم ، إذا تيسر ذلك ، اغتسلوا ، فإن القذارة تجعل إمكان العدوى أسهل . فينبغى أن تقص شعورهم ، وتقصر ، لأن الشعر الطويل يمتزج بجروح الرأس ويجعل العلاج أشق على الأطباء .

« وفى مرجوّنا أن يتسنى لنا أن نهيء لكل سَرِية خيمة دافئة حيث يستطيع الجنود أن يدفأوا ويجففوا ثيابهم ، وليست هذه بخيام للنوم ، فما ينبغى أن يبقى فيها أحد أكثر مما يلزم .

« وسينتهى القتال يوماً ما ، فمروا جنودكم أن يستعدوا لذلك اليوم الذى سيرخون فيه أعصابهم . قولوا لهم إن لهم إذا شاءوا أن يحملوا معهم فى جيوبهم ورقاً للعب » .

ولم يغفل هارتل شيئاً ، « والورق اللازم للتيمم . فقد علمت أن معدات الحمامات فى الجزيرة سيئة » .

وبعد ذلك ، جلس الصاغ هارتل يستريح قليلا ، عند مدفع ، تحت شمس بهرنج القصيرة فقال : « لقد تكلمت كثيراً على الصدمة الأولى للمعركة ، فقد سمعت أن وقعها شديد على المرء ، وأن البعض يخور ويتهافت ، وقد فعلت كل ماخطر لى لإعداد رجالى لتلقى الصدمة . وما أظن إلا أنهم سيجتازون امتحانها ، ولكن الذى أريد حقيقة أن أعرفه هل أجتاز أنا امتحانها؟ » .

* * *

وكان يوم ١١ من مايو — وهو المعين للهجوم — يوماً حافلا بالحركة ، وكان الفطور فى الساعة الرابعة صباحا ، ومن عادة الضباط أن يدخلوا فرادى وعلى مهل ، ولكنهم فى ذلك الصباح هبطوا معاً إلى غرفة الطعام ، وقل من ذاق نوماً فى تلك الليلة ، فقد كان كل امرىء أشد تنبهاً من أن يؤاتيه النوم ، واستطاع الأكثرون أن يحلقوا لحاهم ، وبدا القوم أنظف مما كانوا فى أى وقت فى هذه الرحلة ، وكان ضباط الأسطول هناك أيضاً ، فقد كان هذا يوما عظيما لهم أيضاً ، إذ كان عليهم أن يمكنوا الجيش من النزول إلى الشاطىء .

ولم يستطع بحارة المطبخ أن يسدوا حاجات كل هذا الطوفان من الرجال ، وأخيراً دخل الضباط المطبخ وحمروا خبزاتهم وقلوا البيض ، وتعالى الضحك وأنسى القوم ماهم قادمون عليه ، فما يستطيع الإنسان أن يقلق من أجل شىء لم يقع بعد وأمامه البيض يقلى ورائحته تفغم خيشومه .

ولم يكن أحد مكتئباً سوى الدكتور هافرلى ، فأجال عينه فى هذا الحشد من

الفتيان الأمريكيين الضاحكين الصابحى الوجوه ، وهمس وهو كأنه مشف على البكاء : « يا إلهى ! إنه ليسرنى أنهم لا يدركون ما هو مخبوء لهم . فإنا نقدر أن تبلغ الخسائر فى الأرواح ثلاثين فى المائة » .

وبعد الفراغ من الطعام راح الجنود يعنون بأشياء تافهة ، ليستوثقوا من أنهم لم يغفلوا شيئاً لازما ، وليزجوا الفراغ ، فراجعوا معدّاتهم ، وأعدوا خناجرهم ذوات القُرُب ، ودهنوا جلود أحذيتهم .

ورق الضباب فى الساعة السابعة ، واستطعنا أن نرى البوارج والمدمرات ، وكان البحر غاصاً بالسفن التى تتخذ مواقعها ، وعاودنا ما شعرنا به من القوة ونحن فى الميناء . وفى الساعة الثامنة كثف الضباب وصار كالجدار ، فصرنا لا نستطيع أن نرى آخر سفينتنا من أولها .

وفى منتصف الساعة التاسعة صدر الأمر بالمذياع لكتيبة ا وإلى كشافة ألاسكا قطاع الرقاب الخبراء بأحوال ألاسكا أن يكونوا فى صنادلهم ، فلبس القائمقام فرانك ل . كولن — من أبناء توكسون بولاية أريزونا — خوذته . وهو رجل متين الأسر صليب العود ومن المحاربين القدماء . وكانت كتيبته احتياطية ، ولم تكن قد اختيرت للنزول ، ولكنه هو اختير لقيادة أول من ينزلون ، ولقتال اليابانيين الذين قد يكونون على الشاطىء .

وتقدم منه ضابط صغير وتمنى له حظاً سعيداً ، وكان كولن ماضياً فى طريقه ، فوقف ودار وقال : « إنى مدين لك بالشكر » .

وكان صوته يشى بالإخلاص العميق ، ولكن نظرته كانت لا تخلو من آيات الهموم ، واستقل الجنود الصنادل واحداً بعد واحد بنظام ، وصعدوا عيونهم إلى الواقفين إلى جانب حاجز السفينة ، من الجماعة الثانية أو الثالثة ، فحول الواقفون عيونهم ، ولم يقل أحد شيئاً ، ولم يجر لسان بكلمة توديع أو دعاء بالخير ، فقد كان الأمر فوق هذا كله .

وجعل الجنود المحشورون فى الصنادل يتلفتون ، ويتعوجون ، وينقلون القنابل اليدوية من جيب إلى جيب ، لتكون أقرب منالا ، وأخرج جندى من حقيبته فرشة أسنان ونظف بها جهاز الإطلاق فى بندقيته .

واختفت الصنادل العشرة فى الضباب ، وكانت تجر وراءها ثلاثة زوارق مرنة ذات مجاديف ، كان فيها كشافة ألاسكا . وكان عليهم بعد أن يفصلوا عن الصنادل أن يجدفوا إلى الشاطىء بمجاديف لا تحدث صوتاً ، وكان هذا أول ما استعمل من

أساليب الهنود فى معركة كتب لها أن تحفل بالقتال على طريقة الهنود .

وكان على البوارج أن تبدأ الضرب فى الساعة العاشرة ، ولكنها لم تفعل لسبب ما ، فثقلت وطأة هذا التأخير على أعصابنا ، وراح أربعة من البحارة واقفين حول مدفع مضاد للطائرات يغنون كما يحدث فى مباريات كرة القدم .

« فلينسف هذا الشاطىء ! فلينسف هذا الشاطىء ! » .

* * *

وكان صباحاً كثير الأصوات ، وكانت هناك انفجارات ، ولكنا كنا نرى البوارج ونعرف أنها لم تطلق شيئاً . فالحرب دائرة ولكننا لا نعلم ماذا يجرى .

وألح القلق على القائمقام كولن ورجاله ، فقد مضى وقت طويل وهم هناك فى ذلك المجهول ، ولم يأتنا خبر عنهم .

وأخيراً بعث القائمقام كولن يقول إن الشاطىء خال ، وإن الصنادل تستطيع أن تدخل من بين الصخور .

وكان هارتل لا يستقر فهو يريد أن يبلغ الشاطىء ، وأن يشرع فى العمل ، وكان يبغى أن يستغل أكثر ما يمكن من نور النهار فى هذا اليوم الأول ليستطيع رجاله أن يحفروا الخنادق ، ولكن الأمر بركوب الصنادل لم يجىء إلا فى الساعة الأولى بعد الظهر تقريباً ، فأنزلت وغص بها البحر ، وفى كل منها حمولة نفيسة من الرجال والذخائر والطعام . وكانت الصنادل تفرق الماء بقوة فيصيبنا منه رشاش ، ثم سارت فى صف واحداً وراء الآخر تتقدمها مدمرة كأنها دجاجة خلفها فراريجها . وكانت المسافة طويلة ، فخدرت سيقان الرجال .

وكان الشاويش دييجو روبيلار واقفاً فى الصندل الذى كنت فيه ، وظهره إلى جداره ، فسأل جنوده هل بنادقهم معدة ؟ وقنابلهم اليدوية قريبة المنال ؟ وحقيبتهم مشدودة إلى ظهورهم ؟ وكان روبيلار فى حياته المدنية زارعاً فى كونكورد بولاية كاليفورنيا وقد ترك فرصة الالتحاق بمدرسة لتدريب الضباط تفلت منه ،



حتى لا يفوته الاشتراك فى غزو جزيرة أتو .

وبدا الشاطئ من خلال الضباب فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة ، وكانت الثلوج على جوانب الجبل تبدو لنا أول الامر كالدخان ، وتدانت الصنادل مرة أخرى فى صخب .

وبعد دقائق سمعنا أول صوت للضرب من السفن ، ولم يكن ثم شك فى أن هذا صوت قنابل مقذوفة من مدافع من عيار ١٤ بوصة . وكان قد قيل لنا إن الضرب من البحر أفظع ما فى الحرب وأشده خلعاً للأفئدة ، وقد صدقنا ذلك لما سمعنا صوت القنابل الضخمة وهى تمرق فوق رءوسنا خلال الضباب .

وبينما كان الضرب من الأسطول مستمراً جعل الجنود يصيحون : «صبوا نار الجحيم على أولاد الزوانى ! اعصفوا بهم ! فهذا ما استحقوه ، عليهم اللعنة ! أذيقوهم العذاب ! ولا تقطعوه عنهم ! » .

وقد أزعجت ضوضاء القنابل الأوز الألوشى الكبير السمين الأسود ، فطارت ثلاث منه قريباً منا بأسرع مما طارت الأوز فى حياتها من قبل .

ورأينا ، ونحن قادمون على الشاطئ ، أعلاماً صغيرة عائمة حمراء وسوداء على أطواف مربعة تبرز هنا وهناك فوق الماء ، فطمأننا أن نراها . فإن مؤداها أنه قد سبقنا إلى هنا أمريكيون ، وأنهم ينتظروننا على الشاطئ ، فزالت عنا الوحشة .

وكانت رقعة الشاطئ التى نزلنا فيها — إلى الشمال من القاعدة اليابانية فى خليج هولتز — لا تزيد سعتها على مائة ياردة ، فكانت الصنادل تدنو من الشاطئ اثنين اثنين ، والبقية تنتظر دورها على مسافة.

ولما بلغنا حافة الماء سمعنا المشرف على الشاطئ والنزول إليه يصيح بمكبر الصوت: « يجب أن تتعرجوا وتزحفوا كالثعبان — كالثعبان ! فإن تحت الماء صخوراً . . . تحت الماء صخور » .

وجعل البحارة يميلون ميلا شديداً فوق جانب الصندل ، فإذا لمحوا صخوراً أشاروا إلى الذى فى يده الدفة ليتقيها .

وقبل أن نبلغ الشاطئ احتك الصندل احتكاكا قويا بصخرة كانت لحسن الحظ مستوية ، وقد وثب الصندل وثبة كبيرة ولكن الصخرة لم تخرق القاع الحديدى ، وأدلى لوح إلى الرمل البليل فنزل الجنود يحملون كل ما استطاعوا حمله من صناديق الذخيرة وذهبوا يعدون .

وانتهى الجزء الأول من المهمة ، وبقى الجزء الأصعب .

* * *

إن الذى اختار هذا الشاطىء جدير بأن يحلى صدره بمدالية كبيرة فقد كان يحيط به نجود ترتفع إلى ٨٠٠ قدم . ومن الجلى أن اليابانيين لم يخطر لهم أن النزول هنا مستطاع ، ولو أنهم ظنوا هذا ممكناً لوسعهم أن يدافعوا عنه بستة من المدافع الرشاشة ، فجاء اختيار هذه الرقعة من الشاطىء على مسافة أربعة أميال من المعسكر اليابانى الرئيسى القائم على هضبة ، عاملا كبيراً فى الانتصار الذى أحرزناه فى جزيرة أتو .

وكان الجيش والأسطول الأمريكيان يعملان بقوة حين بلغنا الشاطىء ، وكان الجنود فى كل مكان من الشاطىء ، يتخيرون خير المواضع لحفر الخنادق ، ويحملون الذخائر ، ويكومون صناديق الطعام ، ويجرون المدافع الثقيلة فوق الرمال وحشائش البرارى الجليدية وراءها ، وقد غرس معظم الجنود هذه الحشائش فى شباك خوذاتهم ، للتمويه طبقاً للأوامر .

وذهب فريق منهم يصعدون فى ثنية فى هذا النجد ، وكان الصعود شاقاً لأنه كان زحفاً على اليدين والرجلين فى الوحل ، وكان هناك موضع دُلى منه حبل يتعلق به الجنود ويرتقون ، وكان بعض الرجال الذين يحملون صناديق الذخيرة ، أو جنود الإشارة الذين يجرون لفات ضخمة من أسلاك التليفون ، يزلون فيهوون نضع أقدام حتى يتسنى لهم أن يتعلقوا بصخرة أو يمسكوا بنبت متين . وانطرح الذين بلغوا الذروة على الحشيش البارد ليستريحوا مما أصابهم من الإعياء . وكان هذا أول ما ذاقوا فى جزر ألوشيان ، وكان الطعم مراً .

وعلى ظهر الجبل انتشرت طوائف صغيرة من الجنود الأمريكيين على قدر ما كنا نستطيع أن نرى من خلال الضباب الذى بدأ يرق ويشف ، فتبعنا خط تليفون مد فوق الأرض المعشوشبة ، فبدت لنا وجوهها غريبة ، فمن أخاديد ، وجبال ، وثنيات ، وجداول ، وبحيرات ، وضباب ، ونور سيء ، وغموض واستسرار وخطر . وكان المشى صعباً ، والأرض خائنة ، وجعل الجنود يقعون ، حتى وهم يسيرون على الأرض المستوية .

ووصلنا آخر الأمر إلى حيث كان الصاغ هارتل الذى سار مبكراً وبسرعة ، وكان قد اعتزم أن يتخذ مركزاً يمكنه من مهاجمة خليج هولتز فى اليوم التالى ، وكان عمال اللاسلكى يسيرون معه ومعهم جهاز للراديو .

وجاء أول نبأ بالاتصال بالعدو إلى الصاغ هارتل فى الساعة السادسة مساء ، ذلك أن دورية من كتيبة ب ، وكانت على مسافة كبيرة خلفنا على الجناح الأيسر قريباً من

البحر ، التقت بدورية يابانية صغيرة ، فقتل يابانى من أربعة ، وجرح آخر ونجا اثنان . فلابد أن يعرف اليابانيون أننا إلى الشمال من مراكزهم .

وحدث بعد ذلك ، بينما كان جنود هارتل يستريحون على العشب المبليل ويلهثون من التعب ، أن سمعنا طلقات متقطعة من البنادق من ناحية الغرب عند خليج هولتز ، ولم يكن ذلك أكثر من صوت يخرج من الضباب ، فرجونا أن نعرف جليته فيما بعد .

وقد عرفنا . فبعد عشر دقائق أذاع الراديو أن دورية كتيبة ب التى قتلت يابانياً حصرت اليابانى الجريح بين الصخور وهى تطلق النار عليه .

وقبيل الساعة الثامنة أقبل الملازم بارى سجدن — ضابط المخابرات التابع لهارتل — وهو مشرق الوجه ، وأنفاسه سريعة ، ومعه بندقية يابانية غريبة طويلة القصبة برتقالية اللون .

وتداولها الجنود ، وكان يبدو أنها رخيصة ، وأشبه بالبندقيات الأمريكية القديمة الطراز لصيد الطيور ، وعيارها واطىء لا يزيد على ٢٥ و٠ ، فجعل الجنود يتبادلون



تجربة تسديدها ، ويحتشدون ويتلاصقون حتى احتاج هارتل أن يصيح بهم أن يتفرقوا .

وشددت هذه الغنيمة عزائم الجنود وقوت قلوبهم ، وصارت تذكاراً يحمسهم ، وتأملوا الدم اليابانى الذى لوث به سراويل سجدن .

وأصدر هارتل أمره بالسير مرة أخرى إلى الأمام ، وكنا نجد رقعاً من الأرض مغطاة بالجليد تعكس ضوءاً شاحباً للشمس الضعيفة التى تنفذ من الضباب ، وكانت أصوات إطلاق النار تتجاوب بها الأودية .

وسقطت أول قنبلة يابانية فى طريقنا فى الساعة الثامنة والدقيقة الثامنة والعشرين ، بينما كنا نقطع طريقاً فى الجبل مغطى بالثلوج . ولم تكن الرماية سديدة لأن القوم ما كانوا يعرفون أين نحن ، ولكننا مع ذلك انطرحنا على الأرض بسرعة ، ولبثنا هكذا على الجليد زمناً حتى بعد أن كف اليابانيون عن الضرب .

ولم يعرف أحد على وجه الضبط ماذا شعر به لما واجه النار أول مرة ، ولكن الأكثرين سرهم وزهاهم أنهم لم يخافوا كما كانوا يتوقعون .

واختيرت هضبة طويلة ذات نجوة مشرفة للمبيت ، وهى على مسافة ميل من الجبل الذى يحول بين هارتل والذراع اليسرى لخليج هولتز .

وانتشر الرجال بسرعة ، وحفروا خنادق مستطيلة حسنة فى الأرض اللينة ، وكانت ليلة باردة رطبة ، ولم تكن حقائب النوم قد وصلت .

* * *

وفى فجر يوم الأربعاء ١٢ مايو كان الضباب لا يزال يلف كل شىء فى شملته ، وكانت الدنيا ساكنة غامضة مخيفة ، واستيقظ العسكر فى الساعة الخامسة ، وأقبل الرجال على حُق الحرارة يوقدونه بأصابع يبست من البرد ، وعلى علب الفطور يفتحونها وفى كل واحدة شىء من لحم الخنزير متمراً (مقطعاً صغاراً) وبيض وسبع قطع من السميد (خبز الدقيق الأبيض) وقطعة شهية من الفاكهة المركزة ، ولفافة فيها قهوة مركزة ، وثلاث قطع من السكر وأربع سجاير ، وقطعة من اللبان .

ولم يتلق هارتل نبأ من خليج ماسكار ولكنه قدر أن يكون القوم قد مضوا إلى غايتهم كما مضى إلى غايته .

وسمعت الطلقات الأولى فى ذلك اليوم فى الساعة السابعة ، وكان ذلك تراشق قناصة بضعة يابانيين ولفيف من الأمريكيين فى الطليعة يترامون .

وما لبث الجنود أن استطاعوا أن يميزوا النغمة التى تخرجه بنادق اليابانيين ، وهو مزيج من الإرنان والأزيز ، من الصوت الصلب الشديد الذى يند عن البنادق الأمريكية .

وكانت القنابل المقذوفة من المدافع الأمريكية (عيار ١٠٥) وراءنا على الشاطىء تمرق فوق رءوسنا من الضباب ولها صفير ، وكان دوى المدافع يرسل الأصداء متوثبة بين الجبال .

وأقبل رجل يعدو من مكان ما فى الضباب أمامنا .

وسأل وهو يلهث : « هل عندكم رجال إسعاف ؟ إن بهم هناك حاجة شديدة إليهم . فقد أخذت مدافع مورتر والمدافع الرشاشة سرية ب ، وسقط عشرة منهم إلى الآن . والسرية فى خندق ولكنها لا تستطيع أن تخرج منه ، فإن اليابانيين راصدون على الجانبين » .

فذهب إليهم رجال الإسعاف .

وبعد ساعة عاد بعضهم وأسبقهم مكدودين يحملون جريحاً على محفة ، وقد سرنا أن نرى أن هذا الرجل أتيحت له فرصة للنجاة والحياة ، فلو أن جرحه كان مميتاً لما حمله الإسعاف ونقلوه إلى « المحطة » ، فإن الأوامر

الصادرة إليهم صارمة ولا تحتمل التأويل ، ورجال الإسعاف دون الكفاية فى كل وقت ولا يمكن أن يشغلوا بمن قضى عليهم بالموت ، وهذا هو قانون الميدان .

ومهمتهم خطرة أيضاً ، فإنهم وهم يحملون المحفات يضطرون إلى السير معتدلى القامات ، ولا يستطيعون أن ينحنوا أو ينطووا ليتقوا النار كلما أطلقت عليهم .

وانقشع الضباب فى الساعة التاسعة بغتة ، وصارت العين تأخذ الهضبة برمتها ، وكان المرء يرى إلى اليمين الخندق الذى سمرت فيه سرية ب .

وبدأ الأسطول يقذف قنابله فى الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة ، فنشرت انفجاراتها شيئاً من رذاذ أسود على الثلج فوق سرية ب وبدأت مبارزة بالمدافع الرشاشة . وكانت الضوضاء تحير ، وشرعت طائرات الأسطول فى العمل عند الظهر وقد رمت بمدافعها الرشاشة مدافع اليابانيين المضادة للطائرات وأسكتتها .

ووقفت قوات هارتل جامدة على الهضبة ، غير قادرة على التقدم فى وجه نار يطلقها من البنادق والمدافع الرشاشة ، رجال لا تراهم ولا تدرى أين يختبئون . وتلك مهمة مضنية ، لأنه يجب العثور على كل يابانى وإهلاكه . وكان خير أسلحتنا مدفعاً مضاداً للدبابات عياره ٣٧ مم ، وقد جره الجنود على نحو ما ، إلى الهضبة ، ولا يمكن أن يكون رجاله قد ذاقوا النوم ، ومع ذلك كانوا إذا اهتدوا إلى وكر مدفع رشاش يابانى يقذفونه بقنبلة فيدمرونه ، وكانوا يستطيعون أن يصيبوا كل ما يستطيعون أن يروه .

وما جاء العصر حتى كانت المعركة قد بلغت من العنف مبلغاً عظيما ، فكانت قاذفات القنابل التابعة للجيش تلقى حمولتها ، والأسطول يضرب مواقع العدو ، والمدفعية الثقيلة تلقى ستاراً من النيران ، والمدافع الرشاشة والبنادق تطلق بلا انقطاع . فكان ذلك كله مجتمعاً جحيما فائراً .

وبعد العصر بقليل أمر هارتل بهجوم منسق على الجبل الذى احتفظ به اليابانيون طول النهار ، والذى كان سداً دون الوصول إلى خليج هولتز . وكان الهجوم مباشراً على الجبل ، ولكن بأفراد لا بجماعات ، فساروا فى صف مفرد ، وأحد



وراء الآخر ، وبين كل اثنين عشرون أو ثلاثون ياردة ، وكان الذى فى الطليعة يخطو وحده إلى أرض العدو على الثلج الذى كان على بعض الجبل دون بعضه ، وهو أشد ما يكون حذراً ، ولا يزال يتلفت يمنة ويسرة كلما وقف لينفض المكان باحثاً عن اليابانيين .

واستغرق صعود هؤلاء الرجال فى الجبل حوالى ساعة ، وكان كثيرون منهم يزلون ويرتدون متزحلقين فوق الثلج .

وأخيراً بلغوا القمة ، وكانت أشبه بسرج بين نجدين ، وقد أطلقوا على هذا السرج فى اليوم التالى اسم « الذروة الدموية » ولكنها كانت فى يومهم ذلك بغير اسم ، وكانت تشيع فى النفس الخوف من المجهول .

وكان اغتباط الأمريكيين عظيما بأن يروا أنفسهم على الجبل الذى كان هدفهم طول النهار ، ولكن هذا الشعور لم يطل فقد كان اليابانيون حريصين عليه أيضاً ، فكنت ترى عند خط الأفق رجالا يتطاعنون بحراب البنادق ، وتسمع البنادق تطقطق ، وتبصر نفخات صغيرة من الدخان تحدثها القنابل اليدوية . وكان هؤلاء المقاتلة يبدون للناظر إليهم من السفوح ألاعيب صغيرة سوداء تجرى وتدور على غير نظام أو ترتيب وصوب اليابانيون من خليج هولتز مدافعهم المضادة للطائرات ، وهى مزدوجة الفائدة تصلح لضرب الطائرات وللضرب البرى ، إلى القمة ، وكانت قنابلها تنفجر فوق الرءوس وعلى بضع أقدام منها ، فتتناثر الشظايا على الأمريكيين واليابانيين على السواء . وتصيب خليطهم ، وتمسخ أجسامهم وتشوهها بلا تمييز .

واستمرت المعركة على « الذروة الدموية » اثنتين وعشرين دقيقة ، وثبت رجالنا وبدوا عند الأفق مرة أخرى يصوبون عيونهم إلى خليج هولتز . وليس الفضول الجرىء الذى يتصف به الأمريكيون بالخلة المحمودة فى الحرب ، ولكنك حين تراهم خارجين من معركة قاتلوا فيها يداً بيد ، وقد بلغ من ثقتهم أن يقفوا على ذروة الجبل ويصوبوا عيونهم إلى اليابانيين تحتهم ، يشيع فى نفسك الشعور الجميل بأن هؤلاء الفتيان لن يهزمهم أحد .

وفى المساء جىء بضابط إلى مركز الأسعاف ، وكان قد أصيب بجروح من الشظايا فى يمناه وفى فخذه ، فجعل يحدثنا عن أساليب اليابانيين ، فقال :

« إنهم لا يتحركون ، بل يقيمون مدفعهم ويدعونه حيث هو ، ويطلقون النار على خط ، فإذا دخلت فيه أصبت ، أما إذا كنت نائياً عنه ، فإنهم لا ينتقلون

ليضربوك ، وهذا هو السبب في صعوبة العثور عليهم والاهتداء إلى مواقعهم، فإنهم يخفون أنفسهم تحت ذلك الحشيش الأصفر الملعون ، أو يبقون بغير حراك ، ولا تستطيع أن ترى بنادقهم ، فإنها لا تخرج دخاناً ، ولا يومض منها شيء » .



وكان هذا الضابط في الخندق صباح ذلك اليوم مع سرية .

« ولا يزال كثيرون منهم هنـــاك في الخندق ، وقد جمدت أقدامهم فلا بد من حملهم للعودة بهم » .

وكانت هذه أول كلمة في شرغلطة وقعت فيها الحملة ، فقد جهز الجنود بأحذية من جلد سميك أسودكالتي يتخذها الصيادون، ولكن المطاط هو الوقاية الوحيدة في جزر ألوشيان من البلل الدائم . وكان اليوم حارا فلوحت وجوه الكثيرين ، ولكن عشرات جمدت أقدامهم في هذه الأحذية السوداء الجميلة التي ابتلت وأبت أن تجف . وابتلال الأقدام ضار إذا اضطر الجنود إلى الوقوف بلا حركة . وقد دل إحصاء الإصابات في نهاية المعركة على أن الذين أصيبوا بالنار والحراب كانوا دون الذين خرجوا من المعركة من جراء ما حاق بأقدامهم .

وكان البرد قارساً في الليلة الثانية في أتو ، بل أشد وأقسى من أن يسمح بالنوم الثقيل أو الطويل . وكان خيراً من النوم والارتعاش في حفرة وأجلب للراحة أن يقف المرء ويدبدب بقدميه ويضرب يداً بيد.

وكان الرجال يسيرون في الظلام صامتين، والحراس يسألون القادمين بصوت خفيف، فيجيب هؤلاء بمثل هذا الخفوت . وكان السير في تلك الليلة آمن منه في الليلة الأولى، وصار الذين لم يشهدوا حرباً إلا أمس ، كأنهم قد تمرسوا بها ، وصارت أصابعهم أثبت وهي تشد الزناد .

وكنا نسمع من حين إلى حين طلقة بندقية ، فيذكرنا هذا بأن الحرب ما زالت دائرة على الرغم من الظلام .

ولم أر فجراً أشد برداً وقبضا للصدر من فجر اليوم التالي الثالث عشر من مايو . وقد امتلأت الهضبة بالناس فجأة بسرعة مزعجة وكأنهم خرجوا من الأرض ، واستيقظ عشرات منهم معا على أول نور صافح عيونهم في تلك الليلة السوداء ، وكان ماء الجدول أبرد من أن يغتسل به المرء ، فراح الجنود يحكون رءوسهم ويمسحون شعورهم

ووجوههم . وكان هـذا حسبهم من الزينة والنظافة فى أتو .

ثم أعدوا فطورهم فى جحورهم ودفأوا أيديهم على نفس الموقد الذى صنعوا عليه قهوة الصباح .

وكانت الخيام الدافئة ، والطعام الساخن وأفرشة النوم لا تزال من مواد الترف التى لم تصل إلينا بعد . فلم يرض هارتل عن هذا التأخير لأن الأرض كانت شراً مما خبروه ، ولم يكن هو المسئول عن التقصير فى إرسال المؤن والحاجات ، أو عن استطاعة عـدد قليـل من اليابانيين أن يستخدموا أرض هذه البقعة لوقف الزحف وصده ، ولـكنه كان يشعر كأنه هو المسئول لا سواه .

وكان هو الوحيد الذى يشعر بذلك ، وكان الجنود يحبون ويحترمون هذا الرجل الربعة الرقيق العبارة الذى كان رئيس حسابات ، وقد خرج بهم إلى هنا يقودهم ويقاتل على رأسهم وبهم ، فاطمأنوا إلى عقله وتدبيره ، وكانوا راضين عن تعهده لهم وبره بهم ، مغتبطين بعنايته بتوزيع المؤن عليهم بالحق وبرعايته للجرحى منهم .

وكان حملة المحفات لا يزالون يعملون فى بكرة الصباح ، وقد تعبوا وخـدرت أجسامهم ولـكنهم يتحاملون على أنفسهم ويتشددون . وكان لا بد من رد الجرحى إلى الخلف ، وكان مركز الإسعاف فى خندق اتقاء للرصاصات الطائشة التى كانت لا تنفك تمر فوق الرءوس . وقد ظل الطبيبان يعملان طول الليل وطلع النهار وهما يواصلان العمل .

وحدث هرج وصل إلى مركز الاسعاف فقد أقبل جنود ليأخذوا البنادق التى تركها الجرحى ، لأن شيئاً يجرى هناك فى المقدمة .

وكان الصاغ هارتل مقطباً . فقد هاجم اليابانيون « الذروة الدموية » بأسنة الحراب فى الساعة السادسة من ذلك الصباح ، ولا تزال المعركة دائرة . وعادت المدافع اليابانية المضادة للطائرات إلى ضرب الهضبة وكان الجنود يشاهدون وهم يتحركون عند خط الأفق ، ويرمون القنابل اليدوية ويلتحم بعضهم ببعض .

وبدأ الأمر كأنما اعتزم اليابانيون أن يقوموا بهجوم حاسم ، فأمر هارتل غير المحاربين أن يرجعوا إلى الشاطىء ، فقضيت ذلك الخميس على الشاطىء الأحمر وعدت إلى الجبهة فى اليوم التالى .

وفى عصر الجمعة الرابع عشر من مايو — ورابع أيامنا فى جزيرة أتو — قدم هارتل معسكره إلى حافة الذروة الدموية التى حمى القتال عليها فى اليوم السابق ، وراحت طلائعنا تهبط على الجانب الذى فيه

اليابانيون من الذروة ، على مرأى من وادى هولتز .

أما بقيـة جنودنا على الذروة الدموية فـكانوا أشد إعياءاً من أن يظهروا سروراً، وكان بعضهم لم يذق النوم منذ يوم الاثنين، فانطرحوا فى الحفر العميقة التى حفروها ليحتموا من نيران اليابانيين .

وكانت هذه الحفر هى بيوتهم . والجندى يحمـل كل ما يملك على ظهره ، وفى كل ليـلة فى كل حفرة جديدة ، يحط حمله ، ويخرج مايحتاج إليه من فراش . وإذا كان معـه فراش ، وغطاء وجرايته وسجايره وكبريته ، ويرقد وعدته قريبة منـه بحيث يتناولهـا بسرعة إذا احتاج أن ينهض على عجل ، وأقرب ما يكون إليه ، بطبيعة الحال بندقيته وخوذته .

وصـارت الحياة فى أتو تزداد قسوة ، وبدأت التوافه تزعج الجنود، وطالت اللحى واتسكل الجـلد ولا سيما تحت الذقن حيث كانت جلدة الخوذة تحاك . وأحدثت الثياب التحتية الطويلة اللازمة لهذه الجزيرة أوراماً حمراً على الأذرع والسيقان ، لها أكلة كلسع البعوض ، وقل من خلع هذه الثياب أو الجوارب بعدما وطأت قدماه أرض الجزيرة .

وكان الطعام مستمرءاً فى اليوم الأول ، ثم صـار مسيخاً على ألسنة الجنود ، فصار الواحد منهم لا يستطيع أن يأكل جراية كاملة ، وصارت العلب ترمى على الحشائش وبهـا نصفها من الجبن والبيض واللحم ، وعاد كل شىء مما يمكن الاستغناء عنـه . فـكان المكدودون يلقون بكل مالا يحتاجون إليه ، حتى الأفرشـة والحراب والذخائر بعثرت على جانب الجبل .

وصار اليوم يعقب اليوم فى تتابع لانهاية له ولا معنى ، ولم يعد أحد يدرى أى يوم هـذا من الشهر ، وقل من كانوا يعبأون بذلك ، وكل يوم يضاعف بؤس الحياة على الجزيرة ويـترك أثره فى النفس ، ويزيد الأرجل تعباً ، والرءوس دواراً ، والأيدى قذارة ويبسا .

والحرب تضنى الرجال وتبـلى الثياب وما إليها ، فسـترة ألاسكا المتينـة ، يلبسها الرجل يوم الثـلاثاء جديدة زاهية ، فلا يجىء يوم السبت حتى تـكون قـد بليت وطرحت . وقل مثـل هذا عن القفازات والسراويلات والأفرشـة . والرجل الذى كان يوم الثلاثاء شاباً قويا ملتهباً تراه يوم السبت خامداً منقطعاً من الإعياء .

وكانت جثث اليابانيين منتثرة أيضاً فوق الذروة الدموية وقد جمدت فى أوضـاع الآلام الأخيرة .

وكان فى إحـدى الحفر يابانى مقرفص

ووجهه إلى ركن ، أردته رصاصة نفذت من الخوذة إلى دماغه . وفى الحفرة عدة قنابل يدوية لم تستعمل .

وكان كل من يرى هذا القتيل اليابانى فى الحفرة يحدق فيه مستغرباً ، فقد كانت هذه جلسة عجيبة يموت وهو عليها رجل محارب ، فقد كان رأسه مدسوساً فى زاوية وإلى جانبه وفى متناوله ذخائر كثيرة لم تستعمل . وقد تبين أخيراً بعد أن ذبح كثير من اليابانيين فى الحفر ، أنهم يختبئون هكذا كالنعامة حين يوقنون بالهزيمة

قال القائمقام وين زيمرمان — خريج كلية وست بوينت ، ومن أهالى مينسوتا — بعد أن راقب اليابانيين أسبوعين ورأوا كيف يقاتلون : « إذا صرت على مسافة خمسين ياردة من يابانى دون أن تصاب ، فإنك بخير ، لأنه حينئذ يختبئ فى حفرة وفى مرجوه أن لا تراه » .

* * *

وفى صباح السبت الخامس عشر من مايو استطاع الجنود من ضهر الذروة الدموية أن يبصروا هدفهم ، وهو وادى هولتز ، الطويل المنبسط ممتداً من الساحل الهادئ ، وكان الشاطئ مغطى بحطام اليابانيين . وقد رأينا طائرة من طراز « زيرو » مدمرة ، ومستودعات المؤن التى نسفتها مدافع الجيش والأسطول ، ومؤخر سفينة شحن بارزاً من الماء فى الخليج ، وكانت الطائرات الأمريكية قد أغرقتها وهى راسية قبل ذلك بزمن طويل .

وكان اليابانيون قد أعدوا شبكة من الخنادق والمخابئ المتصلة لصد كل محاولة للهجوم على خليج هولتز من الأمام أى من الشرق ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا أن يجئ الهجوم من الشمال الغربى ، ومن أجل هذا لم يستعدوا له ، فكان هجومنا سريع النجاح . فبعد أقل من ساعة من احتشاد رجالنا على ضهر الجبل وهبوطهم منه طار النبأ إلينا بأنهم فى وادى هولتز .

على أنه كان هناك كثيرون من اليابانيين يجب تطهير الأرض منهم قبل أن يستطيع المشاة عبور الوادى ، فظل القتال طول النهار عن بعد ، وواصلت المدافع ومدافع مورتر قذف المراكز اليابانية ونسفها على الجانب الآخر .

وكان الزحف متعباً مملا ، والجنود يتقدمون وبنادقهم معدة وهم مبعثرون فى جماعات صغيرة ، ولا مفر من النظر فى كل حفرة وكل خندق وجس ما فيها بأسنة الحراب . وكان هناك قليلون من جرحى اليابانيين على الأرض المستوية وفى الخنادق خلفهم إخوانهم وهم يقهقهون ،

وكان لابد من قتلهم لأنهم كانوا لا يستسلمون ولا يخرجون إذا نودوا ، فلا يسع رجالنا إلا أن يقذفوهم فى مخابئهم بالقنابل اليدوية .

وانقشع الضباب قبيل المغرب ، وبرزت الشمس فرأينا على الجبل الشاهق بين الذراع اليمنى لوادى هولتز وخليج شيشاجوف مئات من اليابانيين يرتقون فى طريق وعر على الثلج .

وقد تبينا أن اليـابانيين يجلون عن قاعدتهم الرئيسية دون أن يدافعوا عنهـا بقواتهم الـكبرى ، وكانوا يتراجعون إلى شيشاجوف لينضموا إلى القوات الصغرى المعسكرة هناك .

وقدر عدد من ارتقوا فى هذا الطريق بأربعمائة ، ولا يدرى أحد عدد من بلغ منهم القمة ، فقد سدد إليهم اليوزباشى جيم سيمونز مدافعـه وكانت جثثهم ترى وهى تتطاير فى الهواء ، ويسر صفاء الجو لطائرات القتال من طراز ليتننج أن تجىء من أمشيتكا ، فأقبلت وأسكتت محركاتها ، وسبحت فوق اليابانيين وأمطرتهم مدافعها الرشاشة الثقيلة من جناحيها وابلا من النار والرصاص والموت ، وسمع الأمريكيون الذين كانوا فى الخطوط الأماميـة على مسافة ١٥٠٠ ياردة صراخ اليابانيين .

وفى اليوم التالى كان خليج هولتز كله فى أيدى الأمريكيين ، وانتصروا فى المرحلة الأولى من معركة أتو .

* * *

وقد فر اليابانيون من خليج هولتز ، دون أن يتلبثوا ليـدمروا مسـتودعات المؤن والذخائر ، وكانت غاصة بكل ما يحتاج إليه جيش يخوض حرباً .

وراح الأمريكيون الذين شعروا بالفرح والجذل لأول مرة مذ نزلوا فى هذه الأرض ، يبحثون فيما خلفه العدو عما يتخذونه تذكاراً ، أمّا ما كان لازماً من القتال فتولاه لفيف قليل منهم .

وعرفوا من الأكداس التى تركهـا اليابانيون فى معسكرهم ، أشياء عنهم ، وكيف يعيشون ، وماذا يأكلون ، وأى ألعاب يلعبون ، وأى صور يحملونها معهم فى محافظهم .

وما من جنـدى من جنودنا إلا وهو يحمل صورة لزوجته أو لصـديقة له ، أما الجنود اليـابانيون فيحملون صوراً لجنـود آخرين ، أو لنساء من كواكب السينما ، أو من اللواتى يتخذن فى بلادهم للسمر والتسلية

وشاع على الشاطىء أن بعضهم عثر على إصبع لصبغ الشفاه ، وأن فى الجزيرة نساء يابانيات ، وقد بقيت هذه الإشاعة مستفيضة إلى ما بعد المعركة بزمن طويل ، ثم أدرك

الجنود أن التراب الأحمر الذى فى العلب البيضاوية الصغيرة ليس لصبغ الشفاه ، بل ليطبع به الجندى اليابانى اسمه المحفور على طرف عظمة صغيرة .

وكان كل ما فى الوادى غريباً مثيراً للاهتمام ، فقد كانت هناك أكواخ طويلة من الخشب لها نافذة عند كل طرف من طرفيها ، وهى مطمورة إلى حافة السقف وفوقها الحشائش كالأرض . وبلغ من وفاء هذا التمويه أن جنودنا كانوا ربما مشوا على السقوف وهم يحسبونها من وجوه هذه الأرض غير المستوية ثم يفطنون إلى خطئهم .

وكانت الأكواخ ذات رائحة كريهة كرائحة السمك ، وقد قال الجاويش أميل بولانسكى ، وهو فلاح من ولاية كنساس : « لقد كنت أربى الخنازير ، ولكنى لم أكن أسكنها فى مثل هذه المساكن القذرة » .

وكان كوخ اللاسلكى حافلا بأنابيب لا تصلح مع الأسف لأجهزتنا ، وكان هناك جهاز تليفون للميدان ، من الألومنيوم ، أبى إلا الصمت حين وصل بأسلاكنا . ورأينا كرات سلة يابانية ، منها ما هو حسن ومنها ما هو ردىء ، ويراع من قصب حاول كل امرئ أن ينفخ فيه ويزمر فما أخرج شيئاً ، وسجاير طعمها على اللسان غير حميد ، ووجد جنودنا فى أكواخ بعض الضباط أفيونا وقصبات لتدخينه .

وارتدى الجنود ثياب اليابانيين وفرحوا بها لأنها كانت جافة ، فلبسوا القفازات اليابانية ، ومعاطف من السختيان بغير أكمام ، وجوارب ، ولفافات للسيقان وأحذية مبطنة بالفرو ، وخوذات من اللباد مبطنة بالفرو ، وشملات من صوف خشن ، ووجد صغار الأجسام من جنودنا سراويلات تصلح لهم .

واختبر الجنود كل شىء ، وقالوا إن مولدات الحرارة اليابانية خير من الأمريكية ، فتركوا ما عندهم منها واتخذوا ما وجدوه من اليابانية ، ووجدوا حلواء يابانية محفوظة اغتبطوا بها وعدوها نعمة بعد أن قضوا أياما طويلة ولا طعام لهم سوى الجراية المحفوظة (ويرمزون لها بحرف ك) واحتفظوا ببنادق وحراب وسيوف يابانية للذكرى ، ونسوا الحرب برهة ، ولم يفكروا إلا فى اليوم الذى يعودون فيه إلى بلادهم موقرى الظهور بهذه التحف اليابانية ليعرضوها على ذويهم .

ورأيت جنديا ينفخ إطار دراجة يابانية فى الرمل وهو يضحك ويزعق ، وقد قال إنه وجد اثنتى عشرة دراجة معلقة فى مخزن وهى جديدة لم تستعمل ، فصار كل جندى يحاول أن يركب هذه الدراجات اليابانية .

على أن بعض المعدات استعمل فى غير هذا

اللهو، فمن ذلك أن المركبات التى تدفع باليد، وهى ذات عجلات من المطاط، استخدمت فى نقل الأمريكيين الذين قُرّت أقدامهم، إلى مراكز الإسعاف، وكان هؤلاء رواداً فى الطليعة وقد جاعوا وكان يقتلهم البرد، وعاد بعضهم معتمداً على اثنين من زملائه، والبعض يزحف على يديه وركبتيه، وقدماه مرفوعتان عن الأرض. وحدثنا هؤلاء عن أحد عشر جنديا لبثوا فى الجبال ثلاثة أيام وليس معهم من الطعام سوى علبة واحدة من الفاصوليا.

* * *

ومع أن خليج هولتز سقط فى أيدينا إلا أن الحرب ظلت دائرة الأرحاء مضطرمة الأوار فى الأودية والجبال بين خليج ماسكار وميناء شيشاجوف، حيث كان اليابانيون يتوقعون الهجوم عليهم، وقد خندقوا على تل وعر عند مدخل الوادى المفضى إلى خليج سارانا.

ولم يكن ثم ما يستر جنودنا بين خطوطنا الأمامية والخنادق اليابانية، بل لم تكن هناك سرية واحدة مستعدة للقيام بهذا الزحف، فقد تكبد جنودنا مشقات مرهقة وخسائر كثيرة فى وادى ماسكار أكثر من أسبوع، وخاضوا عشرات من المعارك العنيفة المرة يداً بيد، واستهدفوا طويلا لنيران المدافع الرشاشة التى كانت تقنصهم من الأوكار اليابانية فى التلال.

وبعث الصاغ هارفى سفرسن — وكان فيما مضى مهندساً مدنياً — بضباط الصف ليجمعوا من السرايا كلها عدداً من الجنود يكفى لمهاجمة التل اليابانى.

وقد صعد هؤلاء الجنود التل كالديدان، مستترين بكل ما وجدوا له غناءاً، وصب اليابانيون عليهم وابلا من الرصاص فتك بهم فتكا ذريعاً، وكانت تلك مهمة مرعبة، وكان ضباط الصف والجاويشية لا ينفكون يصعدون ويهبطون ليخرجوا الجنود من الخنادق ويكرهوهم على مواصلة الزحف.

وأخيراً، وبعد عناء لا يكاد يصدق، صار الأمريكيون على مرمى القنابل اليدوية من اليابانيين، فاضطربت كفتا الميزان، وكانت القنابل اليدوية الأمريكية أقوى من اليابانية، فصار الأمريكيون يرمونها كأنها



كرة السلال إلى فوق ، لتسقط فى خنادق اليابانيين فحطمت خط دفاعهم . وحاول عشرون منهم أن يلوذوا بالفرار غير أن الأمريكيين الذين ذاقوا العذاب الغليظ وهم يرتقون فى التل ، أبو أن يدعوهم يفرون وقتلوهم بأسنة الحراب .

وكان الأمريكيون يقاتلون كالوحوش بحرارة ، وهمهم أن يقتلوا ، وقست قلوبهم وامتلأت نفوسهم شراً ، وغلظت أكبادهم وهم يطاردون عدوهم ليعصفوا به ، وأدركوا أنه لا معدى لهم عن ذلك إذا أرادوا أن ينتصروا .

وبعد أن انتهت المعركة احتشد الأمريكيون مفتونين حول القتلى من اليابانيين ، وكان فى أحد الخنادق ستة وسبعة من القتلى بعضهم فوق بعض ، فتزاحم الأمريكيون لينظروا وإذا بيابانى ينتفض واقفاً من هذا الكوم ويهجم كالمجنون عليهم ، ولكنه قتل قبل أن يصيب أحداً .

* * *

وفى عصر اليوم العشرين من مايو كان على رجالنا أن يقوموا بما هو أشق وأعسر، ذلك أنه كان هناك إلى يمين التل الذى استولى عليه ، ذروة جبل يعلو التل بمقدار ١٨٠٠ قدم ، يكسو الجليد معظم جوانبه التى تكاد تكون عمودية ، وقد خندق اليابانيون على هذه الذروة ومعهم المدافع الرشاشة .

وكان لا بد من الاستيلاء على هذه الذروة — التى تسمى فى خرائطنا « بوينت إيبول » — لأنها تشرف على شعبة الوادى المؤدية إلى سارانا وشيشاجوف حيث مراكز الدفاع اليابانية الرئيسية .

وقد قاد الملازم هارى جلبرت — من أهالى شيكاجو — هجوماً على هذه الذروة صده اليابانيون ، وقتل الملازم جلبرت فى هذه الحملة وقتل معه كثيرون من رجاله .

وقام الأمريكيون بهجوم آخر فى منتصف الليل ، مهد له بستار من نيران المدفعية أضاءت السماء كما تضيئها الصواريخ وهتكت أصوات القنابل سكون الليل .

وتقدمت أربع وحدات لتصعد فى الجبل تحت هذا الستار النارى ، فسمرت المدافع اليابانية الرشاشة إحداها فى مكانها، أما الثلاث الأخرى فارتقت فى الجبل ملتفة به . وقبل الفجر بساعة ، هجم الملازم توماس هندمان — وهو من أهالى سبارتانبرج — على رأس رجاله « وهم يزعقون زعقات مرعبة ويقذفون بالقنابل اليدوية » ، وحمل جاويشان على وكر مدفع رشاش أرهق الزاحفين ، وقد خر الرجلان صريعين ، ولكن الوكر محى من الوجود .

وكان الظـلام حالـكا ، والرجال يقع بعضهم على بعض وهم يقاتلون بين الصخور على ذروة الجبل ، ولـكن القتال لم يستمر إلا بعد أن وجد جنودنا فى الخنادق اليابانية فرشاً أمريكية ، وأحذية أمريكية ، وسجائر أمريكية وجرايات أمريكية ، فطارت عقولهم من الغيظ والحقد وأعملوا فى العدو الحراب والقنابل والمسدسات والبنادق ، وآلوا لا يعيشن من هؤلاء اليابانيين واحد ليقول إنه رقد على فراش أمريكى .

ولم يطرد اليابانيون من ذروة الجبل ، بل قتلوا قتلا ، وألوى بهم الأمريكيون أيما إلواء ، ولم يدعوا واحداً منهم يفلت ، وكان اليابانيون يزعمون أنهم لا يبارون فى الطعن بالحراب وفى القتال عن كثب ، فبـذهم الأمريكيون وعصفوا بهم .

وفى اليوم التـالى كان هؤلاء الجنود المكدودون الذين استولوا على الجبـل ، لا يزالون قائمين على حراسته ، وهو موضع رهيب يصلح أن يكون منظراً لإحـدى أوپرات فاجنر ، والسحب تسبح فوقه وتحته ، والصخور الحادة الشهباء منتثرة على صور غريبة .

واجتمع الرجال حول النيران يصطلون ويسخنون القهوة ، وكانت جثث اليابانيين فى مكانها لم تنقل ، وجثث الأمريكيين أيضاً هناك وقد غرزت بنادقهم فى الأرض إلى جانبهم حتى لا يخطئها الموكل بدفن الموتى .

وتحدث الملازم هندمان عن هذه المعركة ، ولـكنه كان أشد إعياءً من أن يسهب ، ولم يكن فى صوته نبرة الفرح بالنصر وهو يقول : « ليتـك سمعت صرخات الكلاب ونحن نرميهم بالقنابل اليـدوية ! الحق أنهم لم يغتبطوا بها ! » .

* * *

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من مايو ألقينا ستاراً من نيران المدفعيـة على أنف الجبل الذى يفصل وادى سارانا عن وادى شيشاجوف ، وكان القائمقام قائد المدفعية ، يتولى بنفسه إطـلاق مدفع فأصاب سرية كاملة من اليابانيين فى الفضاء ، تتقهقر ، فقتل منهم من قتل ، وحاول الباقون أن يهربوا إلى خليج شيشاجوف ، غـير أن الجنود الأمريكيين كانوا على أعقابهم فأردوهم برصاص البنادق .

واستمر تقـدمنا البطىء المطرد فوق النجود على جانبى وادى شيشاجوف طول يوم الأحد فى وجه مقاومة يابانية متقطعة ، وطهر خليج سارانا وواديه المنبسط من اليابانيـين الذين فروا إلى الجبال ، لعلهم يجدون طريقاً يرتدون منه إلى شيشاجوف .

وفى صباح يوم الاثنين ٢٥ مايو ، زحف

أعظم حشد من الأمريكيين إلى الآن ، واحداً وراء واحد ، على نجد « فيش هوك » على الجانب الأيسر من وادى شيشاجوف . وكانوا يبدون من مركز مراقبتنا كأنهم يتقدمون بلا جهد أو عناء فوق الجليد . ولكن الواقع أنهم كانوا يعانون ما لا سبيل إلى وصفه من المشقات، وهم يرتقون فى جانب هذا الجبل .

وكانت مقاومة اليابانيين يسيرة ، على نجد « فيش هوك » لأنهم كانوا محتشدين على نجد أوطأ يسمى « بافالو نوز » ، وكانوا ظاهرين من الوادى وذلك أمر نادر فى أتو .

وفى هذا الهجوم اشترك جنود هارتل الذين قدموا من خليج هولتز ليشتركوا مع القوة الرئيسية ، وغطوا جناحها الأيسر وحموه ، وكان هارتل قد رقى إلى رتبة بكباشى جزاء له على ما فعله من سحق القاعدة اليابانية الرئيسية فى خليج هولتز .

وكان هذا أعظم زحف فى القتال الذى دار فى جزيرة أتو ، وقد حالفه التوفيق فى اليوم الأول ، غير أن اليابانيين احتفظوا « ببافالو نوز » وبمعظم نجد « فيش هوك »

وفى يوم الأربعاء ٢٦ مايو شهدت مظهراً نادراً للشجاعة وحسن التصرف . ذلك أن جنودنا أمروا فى هذا البرد القارس أن يهاجموا جانباً من نجد فيش هوك كان فى أيدى اليابانيين ، يسمى « بنش »، وجلست أنا مع جماعة من الضباط على مرتفع على مسافة من « البنش » نراقب الهجوم .

وكان رجال المدفعية الرشاشة يحمون الجنود الزاحفين ، ويقذفون اليابانيين فى جحورهم ليبقوا بها ، وبدأ الزحف من وادٍ لم يكن فيه ما يسترهم ، وقد أصيب قليل منهم فرقدوا، ولكن الأكثرين ارتقوا فى جانب النجد .

وكانت الياردات الخمس والعشرين الأخيرة من الوعورة بحيث اضطر الجنود أن يغرزوا بنادقهم فى الجليد ليمسكوا بها ويجروا أنفسهم ، وظل اليابانيون لا يتحركون حتى كاد جنودنا يبلغون القمة ، فخرجوا من جحورهم وأرسلوا القنابل اليدوية تتدحرج على الأمريكيين ، فلم يسع هؤلاء إلا أن يتزحلقوا هابطين ليتقوها ، ولبثوا برهة منطرحين على الثلج، ثم شرعوا يرتقون مرة أخرى ، فعادت القنابل تتدحرج عليهم وعادوا هم يرتدون متزحلقين .

وإذا ببعضهم نراه واقفاً فوق قمة «البنش» وكنا من مرقبنا على مسافة ٦٠٠ ياردة لا نستطيع أن نتبينه لنعرف أهو أمريكى أم يابانى ، وكانت معه بندقية مصوبة إلى أسفل ، فلم يبق شك فى أنه أمريكى ، وكان يمشى على مهل من جحر إلى جحر

ويقف ويطلق النار على من فى الحفر ، ولم يتحرك حين كانت القنابل اليدوية اليابانية ترسل دخانها الأشهب الـكريه على جانبيه ، ومضى فى ضرب اليابانيين فى جحورهم وهو واقف فوقهم مشرف عليهم .

وكان لا يزال وحـده ، فأدار بندقيته وشرع يضرب بمؤخرها يابانياً ، وكان الياباني فى حفرة ، فاضطر الأمريكي أن ينحني مع كل ضربة ، وكان لا يزال يضرب حين صعد الجنود إلى القمة وصاروا إلى جانبه ، فتولوا الأمر عنه ، وقعد هذا البطل على الأرض يستريح ، فقد استحق ذلك .

فكدت — كصحفي — أجن . هـذه خير قصة فى الحمـلة كلها ، ولا اسم لذلك الرجل المفرد الذى كان كفاء جيش ، وحطم وحده مركزاً دفاعياً للعدو كان من الممكن أن يصد الهجوم كله ! .

ولم أقف على جلية الخبر إلا بعد أسبوع . فأما هـذا الرجل الذى كان بمفرده جيشاً فاسمه الأومباشي جورج ميريك ، وكان يدير محطة بنزين فى كلاماث فولز بولاية أوريجون قبل الحرب ، وكان رجلا عادياً يزاول عملا عادياً ، ولما التحق بالجيش أصيب بتسمم ، فأعفى من التدريب العسكرى ، وندب كاتباً على الآلة الـكاتبة فى إحدى السرايا .

فلما كان فى أتو ، قتل صـديق حميم له وهما يرتقيان مع الآخرين فى النجد إلى «البنش» . وقد حدث الأومباشي ليريك أنه لم يعد يشعر بعد ذلك بما يفعل أو يدرك إلا حين ألفى نفسه فجأة على القمة يردى اليابانيين فى جحورهم .

وقـد أصيبت ذراعه وهو يصـعد ، وأصيب مرتين أخريين فى الموضع عينه بعد أن قتل هؤلاء اليابانيين السبعة فوق « البنش » .

وبعد انتهاء المعركة ذهب القائمقام «فن» إلى الرجل وقبله هناك وسط الساحة ، وسأله ماذا يطلب فقال ميريك : « ياحضرة القائمقام الآن وقد عرفت أنى لست مجرد كاتب على الآلة الـكاتبة فلماذا لا تجعلنى جاويشاً ؟ فقد بقيت أومباشياً زمناً طويلا » .

فقال القائمقام : « ياميريك ، أنت جاويش من الساعة » .

ونال شرائطه ، وسينال مدالية أيضاً ، فقد طلبها له القائمقام كوان والقائمقام فن .

* * *

كان هذا الضرب من القتال هو اللازم لتطهير الجبال قبل شيشاجوف ، وقد استمر الهجوم الأمريكي فى غير هوادة حتى كانت ليلة الجمعة ٢٨ مايو ، فاضطر اليابانيون أن يتراجعوا إلى قاعدتهم الأخيرة فى ميناء شيشاجوف ويتـكدسوا هنـاك ، وأخذ الأمريكيون

يستعدون للقضاء عليهم فى اليوم التالى .

على أنه كان أمريكى واحد يساوره القلق وهو الجنرال لاندرام الذى لم يكن راضياً كل الرضى عن الموقف ، فقد بدا له فيه ما لم يرقه ، فأمر القائمقام ولمندورف من فرقة المهندسين أن يوزع على جنوده ، من قبيل الاحتياط ، مقداراً إضافياً من الذخائر والقنابل اليدوية .

وكان هذا الأمر غريباً فى ظاهره ، لأن المهندسين كانوا يمهدون الطريق وينقلون المؤن والذخائر فى وادى سارانا على مسافة ميلين تقريباً وراء الجبهة ، ولم يكن الجنرال على علم بما يمكن أن يفعله العدو ، وإنما آثر الحيطة والاستعداد للطوارئ .

وفى صباح يوم السبت ٢٩ مايو حدث اضطراب فظيع فى الجبهة ، ذلك أن القوات الأمريكية ، للمرة الأولى منذ نزولها ، خرج أمرها عن سيطرة القيادة ، فقد قطعت أسلاك التليفون ، وصارت الرسائل اللاسلكية لا تفوز برد ، وغمرت الإشاعات مناطق المؤخرة ، ولكنه ما من أحد كان يعرف حقيقة ما يجرى ، وكان الجنود يعودون من الجبهة كابلين فزعين .

وقصوا قصصاً مرعبة . وقالوا إن اليابانيين هجموا تحت ستار الليل ، وكانوا قد انقضوا على وادى شيشاجوف من الميناء ، ووصلوا إلى بضع مئات من الياردات من وادى ماساكر ، وكانوا يصيحون ويصرخون بأصوات عالية كالنساء ، وحملوا بالحراب مركزة فى أطراف العصى وبالبنادق ، وقتلوا كثيرين من شباننا وهم فى فراشهم .

وكملت صورة ما حدث شيئاً فشيئاً من روايات الذين نجوا من هذا الهجوم الجنونى ، ومن الوثائق التى وجدت ، ومن روايات الأسرى المذعورين ، ومن الساحة نفسها على الأكثر .

ولم تكن القوة التى قامت بالهجوم من شيشاجوف صغيرة ، والظاهر أن القائمقام ياسويا قائد القوات اليابانيــة فى أتو جمع ضباطه ليلة الجمعة وأفضى إليهم بخطته الخرقاء ، وأصدر أمره إلى كل يابانى يستطيع السير ، جريحاً كان أو غير جريح ، أن يهجم فى الظلام ، ويجب أن يقتل كل يابانى لا مفر من تركه من جراء جراحه ، رمياً بالرصاص أو بحقنة مورفين .

وكانت الخطــة تقضى بالتخلى عن شيشاجوف كقاعدة ، وبأن يدمر كل جسر وراء اليابانيين ، ولم تكن ثم لهم قاعــدة أخرى يلجأون إليها فى الجزيرة .

والذى بقى من الذخيرة وزع ، ومثلها الطعام ، وطبخ الأرز وصنعت منه كرات ، ووضعت فى أكياس من التيل شدت إلى

أحزمة الجنود ، وحمل بعض الجنود معهم أيضاً سمكا مجففا له لون الجلد .

وسواء أكان الذى شجع اليابانيين وقوى قلوبهم نوبة هستيريا عامة أم المخدرات فإن الواقع أن اليابانيين تركوا آخر قاعـدة لهم جاحظى العيون وبغير أمل ، والتفوا بجناح جنودنا فى الجبهة وانقضوا على أول معسكر أمريكى صـغير وفيـه حوالى مائة ، وكان اليابانيون ألفاً . ولم يجد الحراس وقتا لإيقاظ المعسكر ، وأقبل اليابانيون بحرابهم المثبتة فى العصى يعدون خلاله وهم يصيحون ويطعنون كل ما يظنونه إنسانا .

وتراجع الأمريكيون إلى ماوراء المعسكر ونظموا خطاً ، وطردوا اليابانيين برصاص البنادق..

وهنا شوهد اليابانيون ينتحرون ، فقد ذهبت الهستيريا وحل محلها اليأس أمام نيران الأمريكيين ، فلجأ عشرات من اليـابانيين الذين واجهوا المقاومة العنيفة من رماة الأمريكيين ، إلى الموت ليخرجوا به من الشقاء والهزيمة ، وتناولوا القنابل اليدوية المشدودة إلى ثيابهم ، ونزعوا دبوسها وضموها إلى صدورهم ونسفوا أنفسهم .

أما على الجرف ، فى الناحيـة القصية من وادى سارانا ، فإن المهندسين الذين أمر الجنرال لاندرام بتسليحهم ، كانوا مستعدين ، وقد نبهتهم الضوضاء والاضطراب فى المقدمة ، فاستطاعوا بالأسلحة التى وزعت عليهم أن يحطموا القوة الرئيسية فى الهجوم اليابانى ، وقتلوا عشرات منها ، وأثخنوا فيهم حتى لقد آثر عشرات آخرون الانتحار بضم القنابل إلى صدورهم .

ولم يكن هؤلاء اليـابانيون يقاتلون حتى النفس الأخير ، وإنمـا كانوا يقاتلون حتى يجرحوا أو يحيق بهم خطر ، وكان هـذا يحير الفتيان الأمريكيين الذين يرون أنه إذا لم يكن من الموت بد ، فليموتوا وهم يقاتلون ، أما اليابانى فيؤثر أن تنسفه قنبلته اليدوية .

وفر بعض اليابانيين إلى الجبال ليختبئوا فيهـا ، وزحف غيرهم إلى الحفر وربضوا بهـا ، وقد قضى الأمريكيون أسابيع فى البحث عنهم وإخراجهم من الجحور ، وكان الباحثون يمشون فرادى أو جماعات صغيرة ، كل جماعة ستة أو نحو ذلك .

وقد وجد فى بناء مستشفى تحت الأرض ١٨ من جرحى اليابانيين قتـلوا بالمورفين قبل الهجوم الأخير ، وكانوا مطروحين على ظهورهم فى صف وأيديهم على صدورهم ، وكان الطبيب الذى قتل مرضاه ، ملقى على الأرض ، وقد انتحر برصاصة أطلقها على رأسه .

وظلت المصادمات المتقطعة مستمرة بضعة

أيام ، ولكن المعركة كانت قد انتهت فى صباح ٢٩ مايو — ذلك الصباح الذى خرج فيه اليابانيون من شيشاجوف ليقتلوا ويقتلوا .

* * *

إن نصف اليابانيين الذين خرجوا صباح ذلك السبت الأخير، من شيشاجوف انتحروا بالقنابل اليدوية التى نسفت الصدور والرءوس ولم تترك إلا بقية هيا كل الرجال ، وكانت الأذرع تبرز ممتدة من أجسام ليس فيها إلا العظم ، وكانت الأيدى التى تحمل القنابل ، وهى اليسرى عادة ، مقطوعة إلى الرسغ ، وهذه الميتة القبيحة الشنعاء هى الثمرة التى يجنيها اليابانى مما لقنوه وهو أن لا يسلم .

وكان هذا الموت كله شيئاً معنوياً ، وكان الأمريكيون الموكول إليهم عمل ما فى ساحة القتال يجلسون إلى جانب هذه الجثث ليأكلوا ، ويحفرون الحفر قريباً منها ليناموا فيها . ولم يكن يسعهم إلا هذا ، فما كان ثم سكان يلجأون إليه وينأون عن قتل اليابانيين المبعثرين فى كل موضع من الوادى .

وكان الجنود الأمريكيون يحدقون فى هذه الجثث المجوفة المشوهة ، التى كان أصحابها يستطيعون أن يواصلوا القتال فكفوا عنه وانتحروا ، وكنت لا تسمع منهم حين يرون هذه المناظر إلا قولهم : « أنا عاجز عن فهم هذا » .

وكان عشرات من القتلى اليابانيين ذوى جراح قديمة معصوبة ، وهؤلاء هم الجرحى الذين يقدرون على السير ، والذين اضطروا إلى الخروج من شيشاجوف صباح السبت على الرغم ما برءوسهم من جروح وبأذرعهم من كسر .

* * *

ولم يؤسر من ٢٣٠٠ يابانى كانوا فى الجزيرة سوى أربعة عشر بعد أسبوع من الهجوم الأخير . وكانت جراح بعضهم بليغة فلا هم يستطيعون القتال ولا الانتحار ، وكان البعض الآخر سليما لا شىء به ، ولكنه مذهول متضوّر طليح ، لا يقدر على تفكير أو مقاومة .

وكان أول أسير جىء به إلى ديوان القيادة طرّاق معادن فى حياته المدنية . وكانت حول فمه بقع خضر ، فقد كان يأكل الحشائش والأعشاب ليسكن آلام الجوع ، خف به الجنود ، وتنافسوا فى بذل السجاير له فكان ينحنى شاكراً .

وقال أسير آخر بواسطة مترجم : « لا أدرى لماذا نحارب الجنود الأمريكيين؟ وإنى لأود أن أعود إلى اليابان ، ولكنى

أعير إذا فعلت ، ولوددت أن أخدم الولايات المتحدة وحسبي منها الطعام والثياب » .

وأبى الأسرى جميعاً أن يعرف ذووهم أنهم فى الأسر . وكان لا بد من بتر ساق أحدهم فشكر الأسير للطبيب بترها وأسر إلى المترجم : « بودى أن أكون جاسوساً للولايات المتحدة » .

وقد ذهب الأمريكيون إلى أن هؤلاء الأسرى الذين يستجدون العمل بذلة ، جبناء ، وأنهم لا يحترمون أنفسهم وإن كانوا يحترمون الأسرة .

أما المنتحرون ، فإن من الخطر التسرع برأى فيهم ، فليس اليابانى بالعدو الذى يستخف به من أجل أن عدة مئات منه ضموا قنابل يدوية متفجرة إلى صدورهم ، فى جزيرة أتو ، فما فعلوا هذا إلا بعد ثلاثة أسابيع من ضرب قاس لا رحمة فيه من جنود لم تر الدنيا أمتن منهم أسراً وأصلب عوداً .

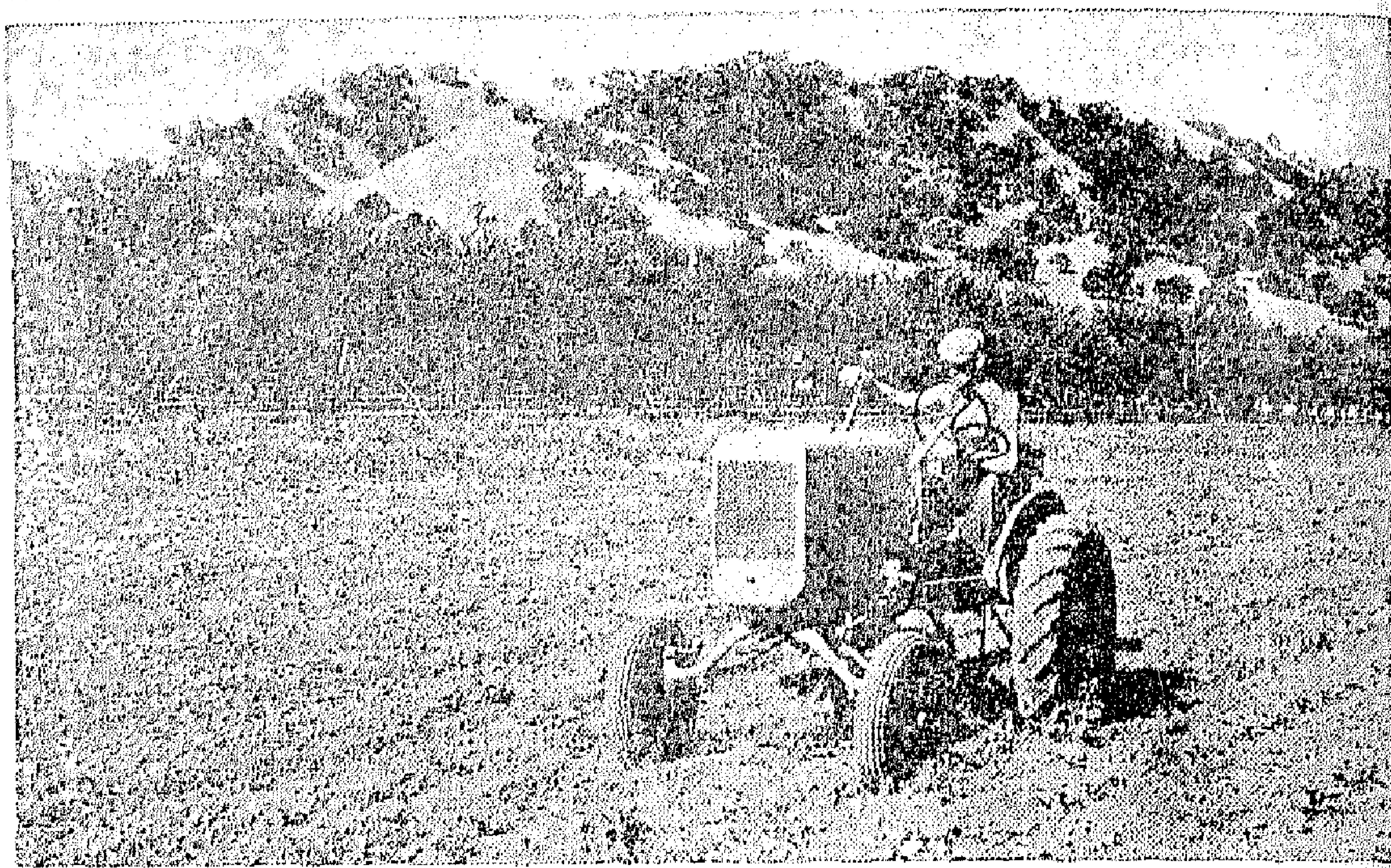
واليابانى متين صلب أيضاً ، وليست العصبية التى تدفع مئات منهم إلى إيثار الموت على التسليم وانتهاك حرمة التقاليد التى نشأ عليها ، إلا ثمرة من ثمار صلابته ، وقد ظهر الجانب الإيجابى ، لهذه الصلابة التى يمتاز بها اليابانى ، فى القتال الشديد الذى قاتله قبل أن ينهزم .

* * *

بعد عام تقريباً من اليوم الذى جاء فيه اليابانيون إلى أتو ، عادت الجزيرة أمريكية ، وبعد ثلاثة أشهر من عودتها جلا اليابانيون سراً عن كيسكا ، فقد كانت أتو على جناحها فلا خير فيها ، ومن العسير الاحتفاظ بها .

وقد نشرت قيادة الدفاع عن ألاسكا صورة ترى فيها الطائرات والمدافع والجنود والدبابات والسفن ماضية إلى الغرب فوق جسر مرسوم على بحر بهرنج والجزء الشمالى من المحيط الهادى ، وعنوان هذه الصورة « جسر إلى النصر » .

وهذا ما تحولت إليه سلسلة جزر ألوشيان باستيلائنا على جزيرة أتو ، وبجلاء اليابانيين عن كيسكا — جسر من الجزر ينقل عليه الأمريكيون المقاتلون إلى حيث يستطيعون أن يضربوا الإمبراطورية اليابانية نفسها .



مضاعفة عضلات الرجال

إن المحاريث ومهمات الحراثة تساهم مساهمة بعيدة الأثر في النهضة الزراعية التي تعد أساساً للنهضة الاقتصادية في كل بلد من البلدان . فاستخدام القوي الآلية يتيح للأرض إنتاجاً أكبر ويقلل نفقات المحصولات الزراعية ويهيئ كثيراً من الحياة لعدد أكبر من الناس

فمحراث صغير كمحراث أليس — شالمرز موديل B المبين في الصورة هنا يتيح لرجل واحد أن يؤدي عمل بضعة رجال . لأنه بفضل هذا الخادم الذي لا يعرف الكلل يستطيع أن يحرث مساحة أكبر من الأرض وأن يزرع مقداراً أوفر من المحصول وأن يجمع كمية أوفى من الحصاد

ومصانع أليس شالمرز تنتج نماذج شتى من معدات الحراثة روعي في أغلبها أن تكون ملائمة للشرق الأوسط

وتوزيع هذه الآلات يهيئ فرصاً ذهبية لرجال الأعمال الذين يدركون بنظرهم الثاقب الدور الحيوي الذي سيلعبه المحراث في زراعة عالم الغد وقد أصبحنا بفضل مهارتنا الفنية وامتياز صناعتنا من كبار منتجي المحاريث والمهمات الزراعية في جميع أنحاء العالم ونحن نرحب بكافة الطلبات والايضاحات من كل من يرغب في تمثيل شركتنا بالشرق الأدنى .

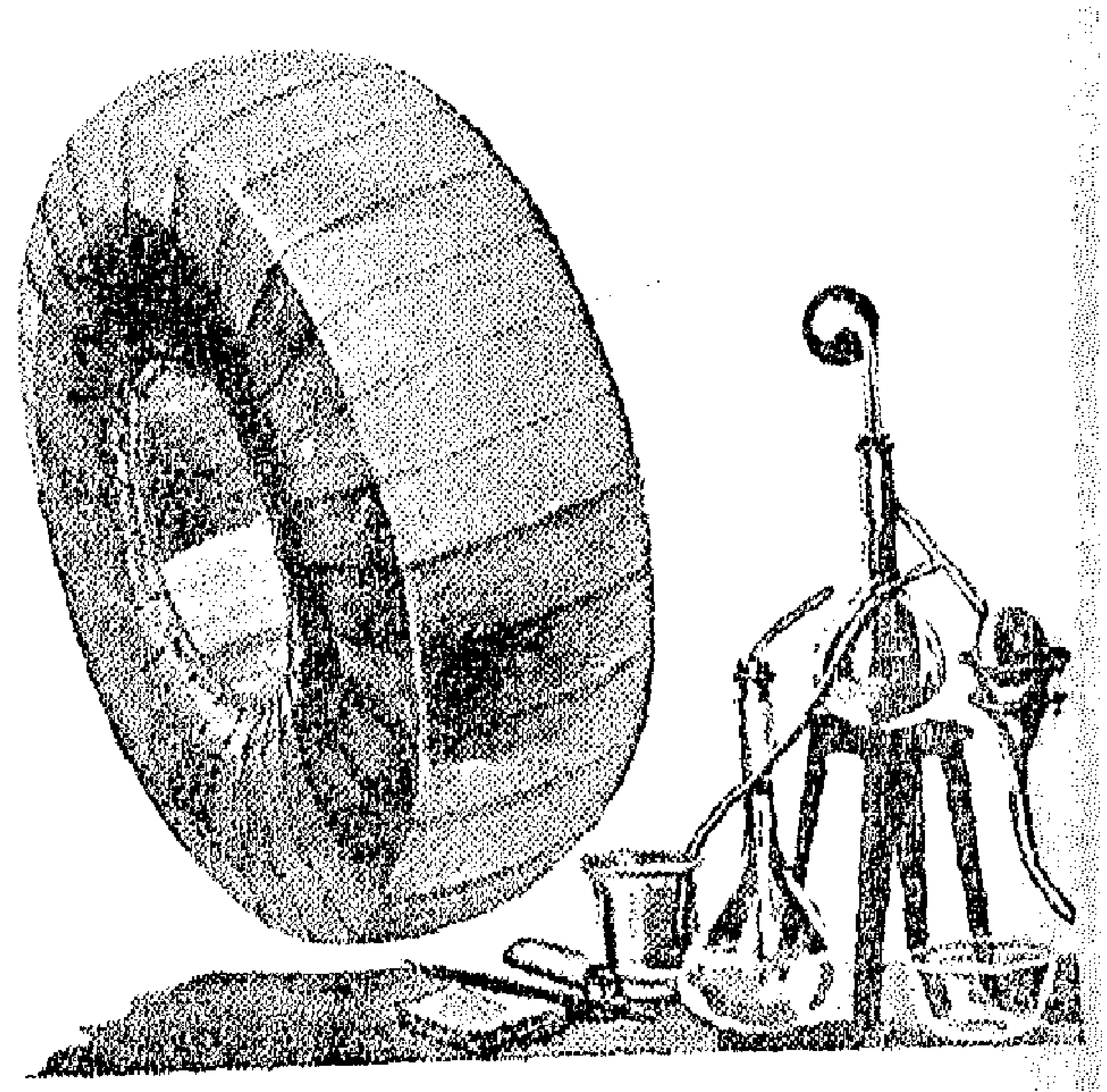
ALLIS-CHALMERS.

TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U.S.A.

أليس شالمرز


لاحدود لارتفاعها
كان الانسان يتجه دائماً إلى السماء ناشداً المعونة والالهام ، ومن السماء أيضاً سيأتى النصر الذى ينشده ، والمستقبل الذى يأمله .
وشركة لوكهيد تبنى طائرات قوية وكبيرة . تعد رمزاً لما تمثله القارتان الأمريكيتان ، وللحرية التى نشترك فى الحرب للاحتفاظ بها ، شركة لوكهيد للطيران ، شركة فيجا للطيران ، بربانك ، كليفورنيا ، الولايات المتحدة .
تذكر دائما ان Lockheed
رمز للسبق والتفوق

إطـــار ،
تُبْلى سيّارتك
ولا يَبْلى



إن إطار « چنرال » للمستقبل جدير بأن يكون محور أمنيتك ! تصور ما ستحمله إليك المواد الحديثة ، والصناعة العصرية ، تصور إطاراً يتطلب ضغط أقل . . ويكون أخف وزناً وفي نفس الوقت أكثر احتمالا . . ومصنوعاً من الريون والنيلون !

ومن البديهى أن عليك أن تنتظر لترى هـذا الإطار ! ولـكن تستطيع أن تثق بذلك فإن شركة « چنرال » للاطارات والمطاط ستكون دائماً الأولى التى تقـدم إليك احسن المنتجات كعهدها فى الخمسة والعشرين سـنة الماضـية !

أمـا فى الوقت الحـاضر خافظ على إطاراتك الحالية وقد سيارتك بحرص ويقظة وتأكد أنها منفوخة نفخاً كافياً واعمل على إصلاحها كلما دعا الأمر .

شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت

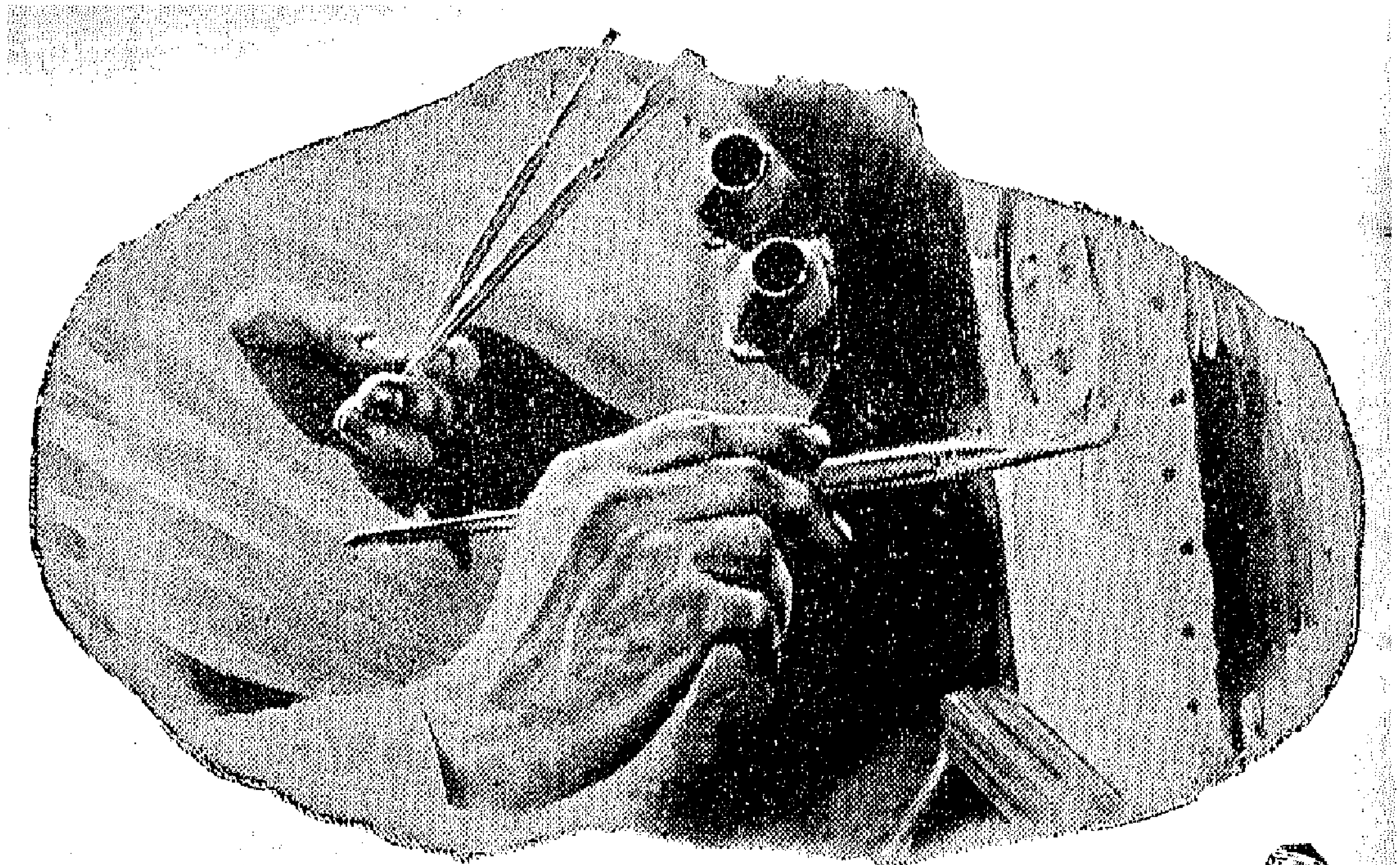
اكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة

تلغرافيا : چنتيروكو اكرونوهايو

مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وڤنزويلا ، وشيلى ، والبرتغال

The GENERAL TIRE

علامة الانتاج الجيد



سهل الانقياد لك كأصابعك

حركة أصابعك تترجم على الورقة بسهولة وأمانة سواء أكان القلم فى يدك من الوزن الثقيل أم من وزن الريشة ..

ذلك أن قلم الحبر پاركر تمتاز ريشته بطرف ناعم حريرى مصنوع من الأسمير يديوم النادر ولذلك فهو يبدأ كتابته فى الحال ، دون أدنى تردد أو تعثر كما يمتاز بخزانة الشفاف المصنوع من العجائن فيتيح لك مراقبة مستوى الحبر على الدوام

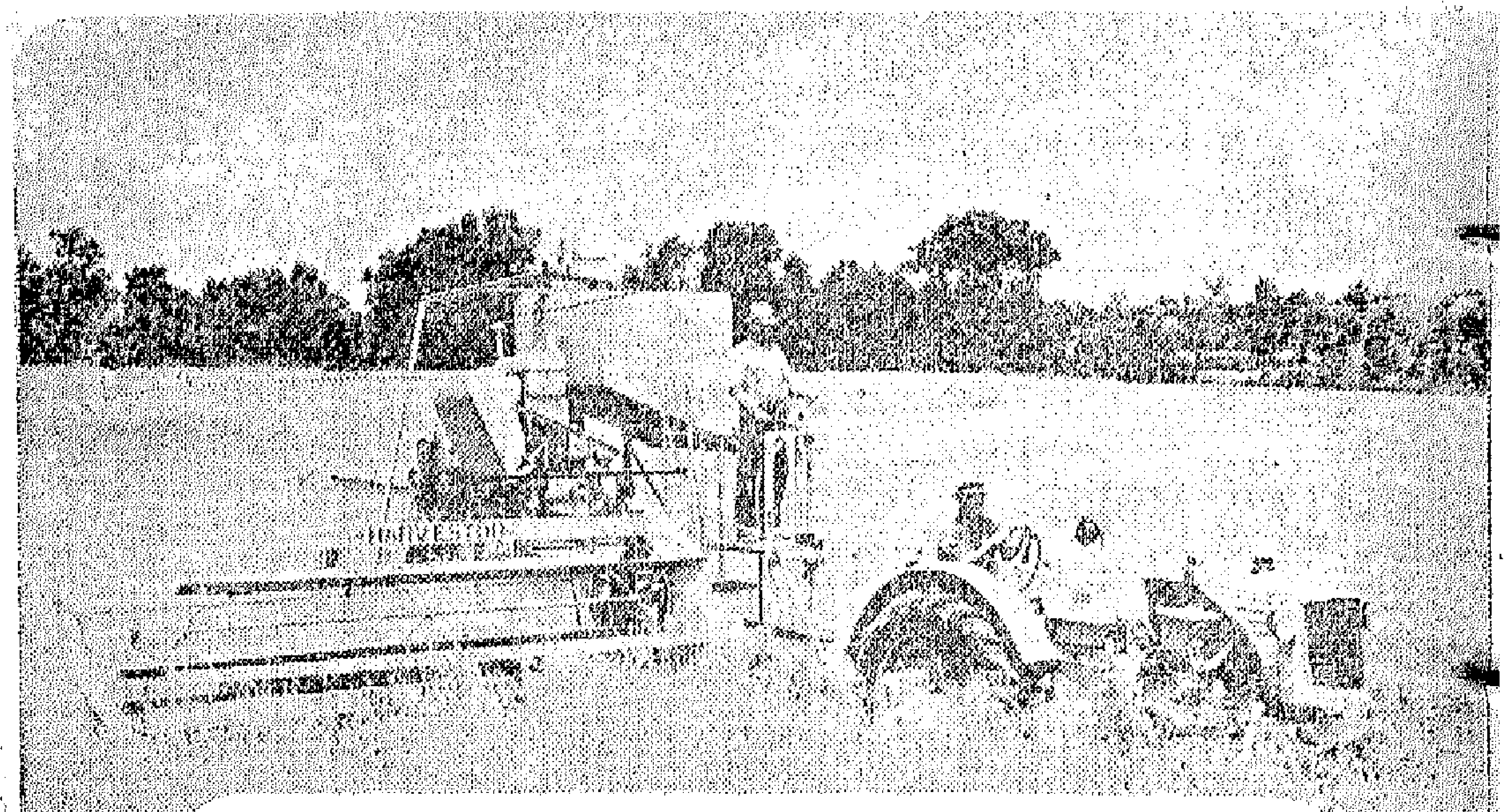
ومن المحتمل الآن أن موردك لا يستطيع مدك بقلم پاركر لأن صناع پاركر المهرة منقطعون اليوم لإنتاج فتائل المفرقعات، وأظرف الديناميت ومشعلات البارود للقوات المتحالفة . . . والنقل عبر البحار لم يعد متاحاً كما كان من قبل .

وعلى كل ، فعند ما يعود السلام ، سيتاح قلم پاركر لك ولكل من يرغب مثلك فى أكمل الأشياء .



مقدار الحبر
باد دائما
للعيان !

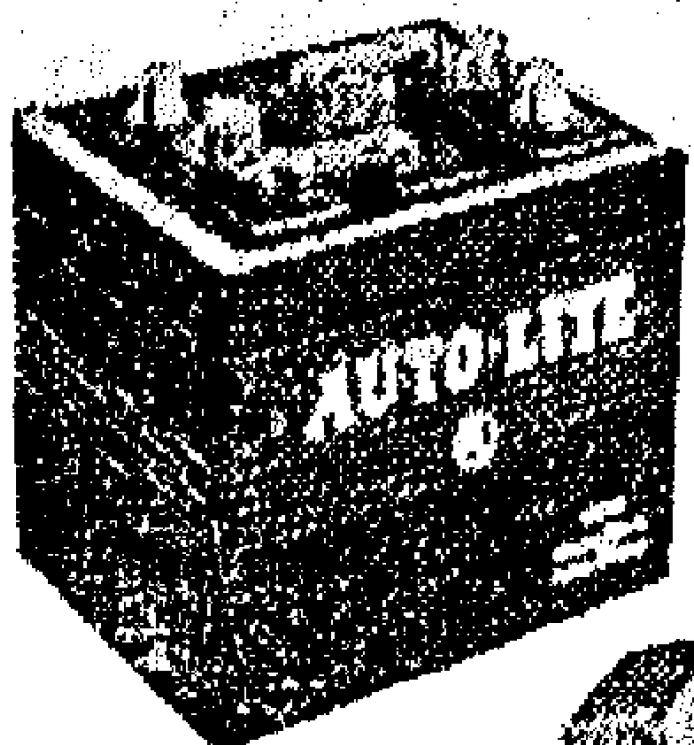
پاركر
PARKER

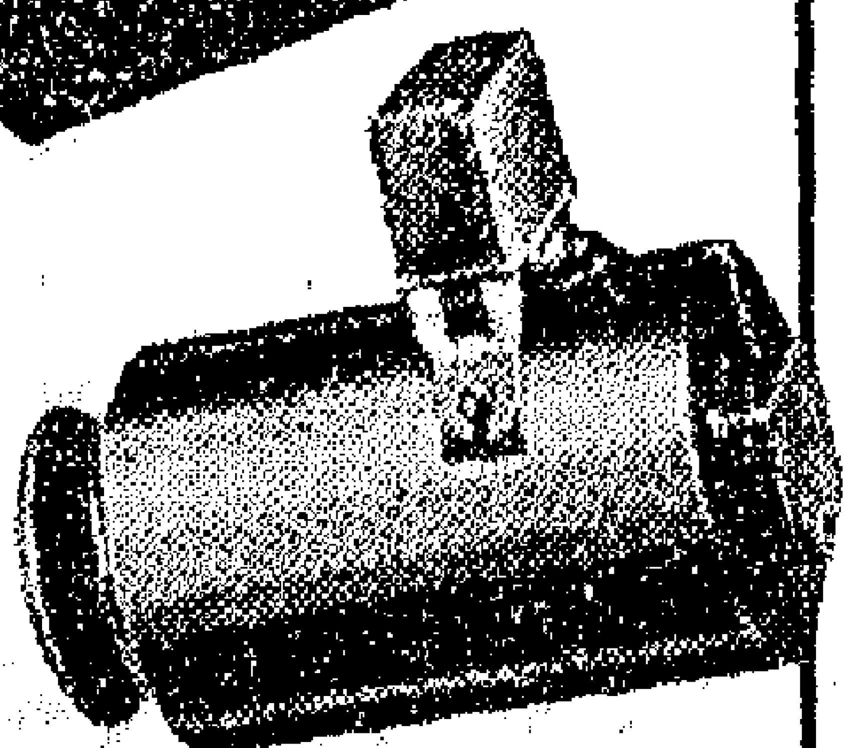


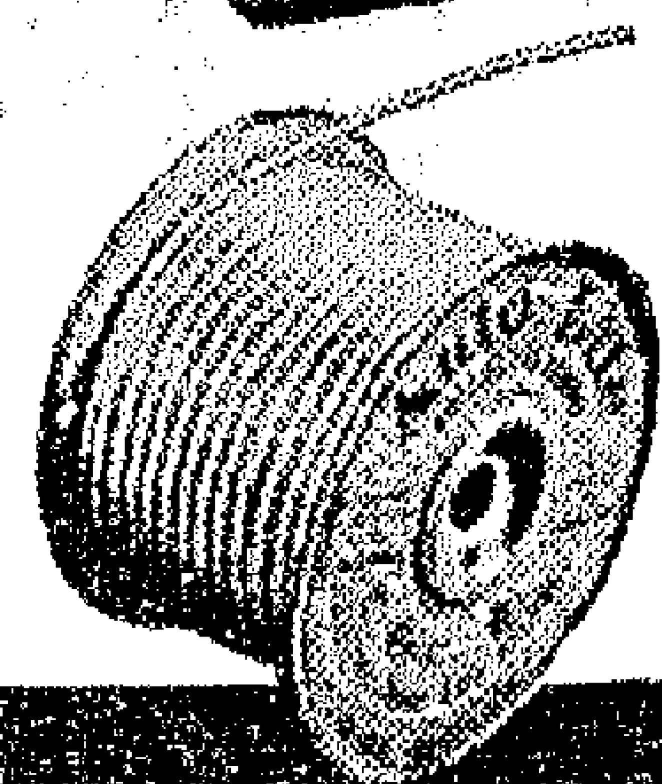
إنتاج للحرية

AUTO-LITE









إن قوى الصناعة والانتاج فى الدول المتحدة مخصصة الآن للنضال فى سبيل الحرية . . حرية جميع الرجال . . وجميع الأمم .

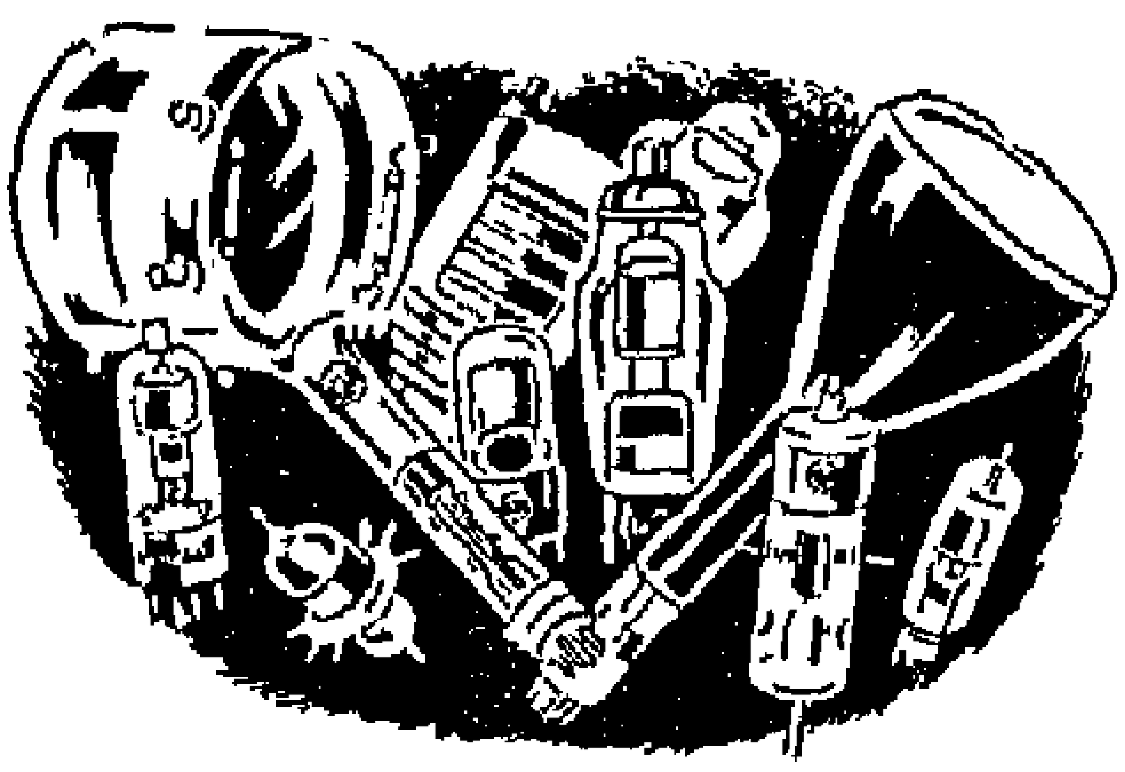
وفى سبيل هـذه الغاية انقطع إثنان وعشرون مصنعاً من مصانع « أوتو ــ ليت » لانتاج المواد الحربية للقوات المحاربة ، وتتدفق الآن مقادير هائلة من العتاد الحربى الحيـوى إلى جميع الميادين البرية والبحرية والجوية بفضل ما لمصانع « أوتو ــ ليت » برجالها وآلاتها من مهارة هندسية متشعبة النواحى ، وقدرة عظيمة على الانتاج .

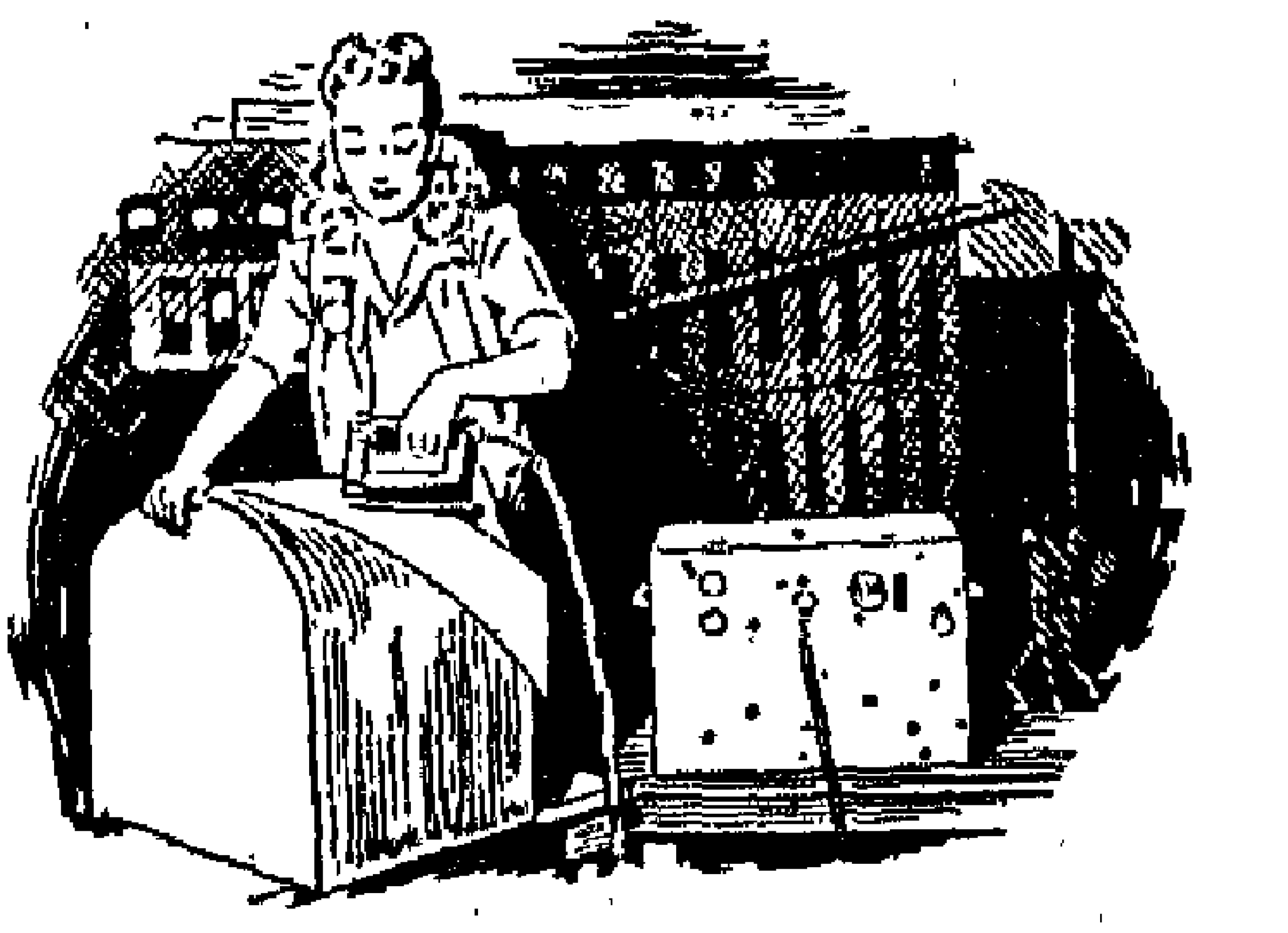
وعند ما يتم النصر ستتوفر مصانع « أوتو ــ ليت » بمواردها المتعددة على إنتاج أدوات « أوتو ــ ليت » المعروفة ، وعندئذ ستكون مهارة « أوتو ــ ليت » الفنية سبباً فى زيادة عـــدد أصدقائها ومقدريها فى جميع أنحاء العالم .

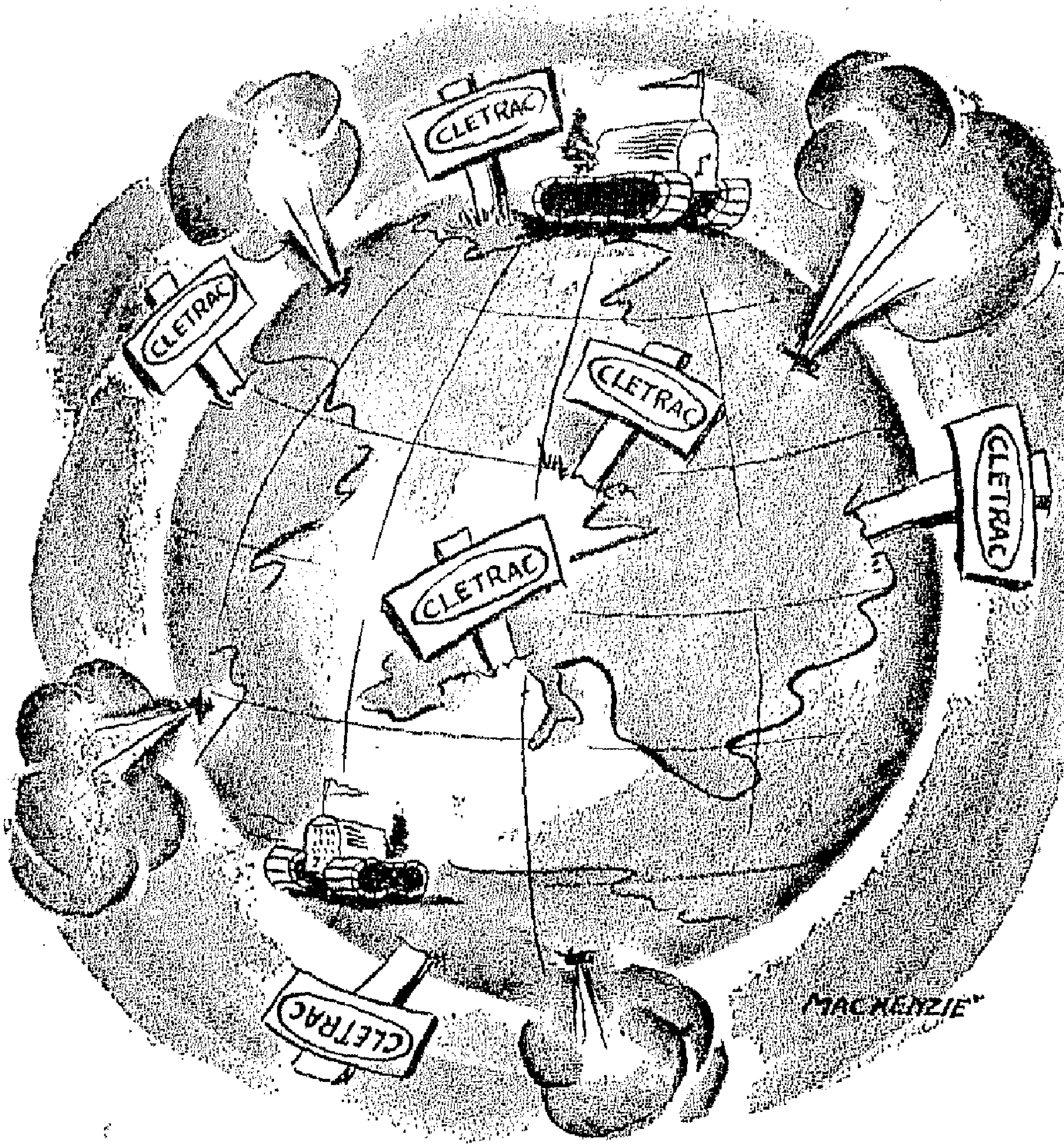
شموع . بطاريات . أسلاك

أجهزة للقيام ، والاضاءة ، والاشعال









تقوم بمهمتها في جميع بقاع العالم

لا تكاد توجد على سطح الأرض نقطة واحدة لا تعرف اسم كليتراك وما له من شهرة ومكانة . . . ولا تكاد توجد بقعة لا تقوم جرارات كليتراك فيها بأعمال حيوية عظيمة تدعو إلى التقدير والاحترام . ومن السهل إدراك السبب فى هذه السيطرة التى تصاحب اسم كليتراك ، ذلك أن جرارات كليتراك تساعد على إنتاج الطعام كما تساعد على حل مشكلات النقل المتزايدة .

وإذ تقوم كليتراك بهذه المهمة المزدوجة تثبت أنها جديرة بأن يعتمد عليها ، جديرة بما اكتسبته من صفات الاحتمال والمقدرة . تلك الصفات التى أهلتها لتكون موضع الثقة فى جميع أنحاء العالم وجعلتها تسير قدماً نحو . . السلام .

كليتراك

Cletrac

وليس ثمة من يريد أن تندمج عادات العالم وطرائقه فى الحياة والتفكير ، بعضها فى بعض ، ولا أن تختلط اختلاطاً حتى يصير الفرق الوحيد بين الصينى والحبشى والفرنسى والأمريكى ، إنما هو فرق لون البشرة وحسب . ولكننا نريد أن نعرف جميع الشعوب الأخرى ونفهمها ، وهى شعوب تختلف عنا فى كل شىء إلا فى إنسانيتها .

ما أكثر ما ينبغى علينا جميعاً أن نتعلمه عن العالم الذى يحيط بنا . ونحن نريد كذلك أن تعرفنا الشعوب الأخرى وتفهمنا . ولذلك أعد الطبعات الدولية لمجلة ريدرز دايجست فألا حسناً . إنها تباع فى مكتبات بضعة عشر بلداً ، حيث صادفت إقبالاً عظيما وعناية صادقة . فقراء اللغات الإسبانية والبرتغالية والسويدية والعربية ، من رجال ونساء ، يتاح لهم بوساطتها ، أن يعرفوا حقيقة أبناء الأمم الأخرى وبناتها . وهم يتعلمون علاوة على ذلك أن الناس فى كل مكان ، تجيش فى نفوسهم وتساورهم نفس الآمال والرغبات والأحلام التى تجيش فى نفوسنا .

فالطبعات الدولية لمجلة « ريدرز دايجست » تسدى خدمة عظيمة ينطوى فيها انقلاب إنسانى خطير . وإنى لأرجو ، ألا يطول الزمن ، قبل أن تقرأ الريدرز دايجست فى أمهات لغات الأرض .



لا - ليس العالم صغيراً

ايف كورى

مؤلفة « مدام كورى » و « رحلة بين المقاتلين »

فى عودتى من رحلة إلى ميادين القتال ، قطعت فيها أربعين ألفاً من الأميال ، حطت طائرتنا على أرض مطار فى جمهورية ليبيريا . فوجدت هناك نسخة من صحيفة « نيويورك هيرالد تربيون » ، ولما تنقض على صدورها بضعة أيام . فقال أحدهم : « لقد غدا العالم صغيراً حقاً » .

العالم صغير ! لِمَ هذا التعبير البالى السخيف ؟ لا ريب فى أن بضعة ملايين من الجند ينقلون إلى ميادين القتال البعيدة — وقريباً يصير فى وسع قاذفة بعيدة المدى أن تطير من قاعدتها فى أوربا ، حاملة فى جوفها الخراب والدمار ، إلى أية مدينة على سطح الأرض . ولكن هذا لا يعنى أن العالم صغير . إنّ الجماهير التى لا تحصى ، من « الناس » ، لا يرحلون بطائرات الركاب الكبيرة . والأمم تلبث ولا تتحرك . والزارع الأمى فى الهند لا يزال يجهل ما حال مزرعة أمريكية فى ولاية مينسّوتا . بل هو لا يعلم بوجود أمريكا .

وقد تحدثت ، خلال تطوافى ، مع رجال حفاة لم يروا ثلجاً فى حياتهم ، ومع آخرين لم يشاهدوا بحراً ، أو جبلاً . وفى ناحية من الأرض سمعت هذين اللفظين يحوطهما الإجلال : « الدين » و « الديمقراطية » . وفى الناحية المقابلة ، لمحت أصناماً من ذهب فى هياكل لم يؤذن لى أن أدخلها .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

٣ قروش

المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

مارس ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ السابع من الطبعة العربيــة . وقد وُزّع منــهُ مائة وثلاثون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجــلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد و اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المــدير العـــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : **٥٩٤٩٥**

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
السنة الاولى | مارس ١٩٤٤ | المجلد ٢ العدد ٧

الدولية الأمريكية

ينبغي أن تكون للولايات المتحدة ، فى رأيى ، سياسة خارجية قائمة على ثلاث نقط رئيسية ، وهى جميعاً قابلة للمناقشة والجدل وعرضة للاختلاف عليها . وأنا أعرضها وأنا مستعد لتصحيح ما عسى أن يتبين لى فيها من خطأ ، ولكنى كذلك أعرضها وأنا عميق الاقتناع بها .

النقطة الأولى :

ينبغى للولايات المتحدة ، حين يأتى السلام ، أن تحرص على اتقاء كل المحالفات «العامة» مع دول خاصة ، وأن تسعى لإقامة اتحاد عالمى من جميع البلدان صغيرها وكبيرها والمتقدم منها والمتخلف ، و« الطيب » و« الخبيث » .

إن المحالفات العامة مع دول خاصة فى زمن السلم ، سم ذعاف . وفيها عنصران وبيلان ، الأول أن كل طرف فى محالفة يجر على نفسه الأجقاد الدولية التى تجمعت على الطرف الآخر ، وخليق بهذه الحقيقة أن تصدنا عن عقد أية محالفة عامة مع بريطانيا أو مع روسيا ، فإن ما يبغضنا إلى العالم تافه ضئيل ولكن ما يبغض بريطانيا وروسيا جسيم .

وقد قال نائب الرئيس والاس ، بحق ، «إن أمريكا تستطيع أن تكون أعظم مؤثر

[ظل وليم هارد يدرس الشئون الدولية ويكتب عنها أكثر من ٢٥ عاماً ، وقد أكسبته نشأته وتربيته اهتماماً عظيماً بهذا الموضوع لم يفتر قط . وقد ولد فى ولاية نيويورك من أم انجليزية وأب أمريكي ، وقضى معظم حداثته فى الهند حيث كان أبوه مبشراً . ودخل المدرسة هناك ثم درس فى جامعة لندن قبل أن يعود إلى أمريكا ويلتحق بجامعة نورث وسترن حيث تخرج ثم صار مدرساً للتاريخ .



وقد كتب منذ سنة ١٩١٨ و ١٩١٩ عدة مقالات فى المجلات عن الشئون الدولية وقام برحلات فى مهمات صحفية إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا والمجر وألمانيا وبولندا ، وشهد عدة اجتماعات دولية وكتب وأذاع عنها .

ومقامه الآن فى واشنطون ، وقد بقى وهو فيها على اتصال وثيق برجال وزارة خارجيتنا وآرائهم وبسفارات الدول الأخرى ومفوضياتها] .

★ ★

فى العالم لأن العالم « ينظر إلينا بارتياب أقل من الارتياب الذى ينظر به إلى أية دولة كبرى أخرى » والمعروف عنا أننا غير استعماريين ، ولا تستطيع أن تظفر بثقة العالم أجمع وتتولى زعامته الأدبية إلا دولة كبرى غير استعمارية . فهل نتخلى عن هذه الفرصة الفذة والمركز البارز الملحوظ غير لاستعمارى لنصبح شركاء ثانويين فى استعمارية الآخرين ؟ أظن أن الجواب ينبغى أن يكون « لا » قطعاً .

على أن العنصر الوبيل الثانى فى المحالفات أهم ، ذلك أن الحقيقة الأساسية فى التاريخ الدولى كله هى أن كل محالفة تؤدى إلى قيام محالفة ضدها .

فكل محالفة لها « غاية » خاصة مقصورة عليها ، فيجىء جوابها من تلقاء نفسه بغاية خاصة ضدها . ونحن محتاجون إلى السعى لتوحيد العالم وجمع كلمته ، والمحالفات تفرقه ، وهى أكبر قوة هدامة عرفتها الجماعة الدولية للإنسانية . وأنا أرى أنه ينبغى حين يجىء الصلح والسلام أن نتقى نحن الدخول فى محالفات، وأن نشجع ونعزز البديل الوحيد الذى يستطيع فى النهاية أن يزهد غيرنا فى التحالف .

المساواة بين الجميع :

والسبيل الوحيد هو هيئة عالمية تمثل فيها الأمم قاطبة على قاعدة المساواة التامة ، واتحاد الجامعة الأمريكية يعد هيئة من هذا القبيل للجمهوريات القائمة فى نصف الكرة الغربى . وقد أنشىء هذا الاتحاد فى سنة ١٨٩٠ ولم يزل يعمل منذ ذلك الحين لتوثيق العلاقات التجارية والثقافية بين

الجمهوريات الأمريكية . وكل جمهوريات أمريكا ، وهي إحدى وعشرون ، داخلة فيه ، وليس ثم محالفات أو فرق سياسية خاصة تمزقه من الباطن . وليس فيه ، على خلاف عصبة الأمم ، « مجلس » للدول الكبرى فيه مقاعد لا لسبب سوى أنها أكبر من سواها . ولا يوجد في اتحاد الجامعة الأمريكية سوى مجلس واحد ، وليس للولايات المتحدة فيه حقوق أكبر أو أعلى من حقوق باراجوى مثلا .

وبفضل التأثير المتزايد مثلا لمبدأ العالمية والمساواة في اتحاد الجامعة الأمريكية ، سحبت الولايات المتحدة جنودها من نيكاراجوا ، وسانتو دومنجو ، وهايتي ، ونزلت عن حقها في التدخل في كوبا . وبهذه الأعمال غير الاستعمارية كسبت الولايات المتحدة ما لم تكسبه دولة كبرى غيرها في العالم — ثقة جاراتها الصغرى .

إن الاستعمارية أم ولود للحرب ، وفي وسع الولايات المتحدة أن تساعد على تعزيز الروح غير الاستعمارية في العالم ، ولكنها لا تستطيع ذلك إلا بهيئة تأخذ بالعالمية التامة والتكافؤ التام .

ومن هنا يجب أن تدخل في هذه الهيئة العالمية الأمم « الطيبة » والأمم « الشريرة » أيضاً .

ولنتدبر أمرى اليابان وروسيا .

في سنة ١٩١٧ كانت اليابان أمة « طيبة » وكانت تقاتل ألمانيا ، وكانت لنا صديقاً عزيزاً .

ولكن روسيا ! في الحرب العالمية الأولى كانت روسيا أمة « شريرة » جداً ، فقد وقعت معاهدة صلح على حدة مع ألمانيا ، وأدخلت في بلادها الشيوعية ، وقتلت عدداً كبيراً من أبنائها لا عقاباً لهم على جرائم ارتكبوها بل لأسباب راجعة إلى السياسة والاقتصاد . ومامن أمة في عصرنا هذا كانت « شريرة » إلى مثل هذا الحد . واليوم يتوسل العالم الحر كله إلى روسيا أن تشترك في مداولاته لأن روسيا الآن « طيبة » .

واليابان الآن « شريرة » .

ووصف أمة بأسرها ، وعلى الدوام ، « بالشر » خطأ أخلاقى ، وتاريخى ، ولا ينطوى على حكمة . وإنى لأؤيد ما قاله وأبدع فيه الدكتور صن فو رئيس الفرع التشريعى لحكومة شيانج كاى شيك الصينية الحرة .

قال : « متى تخلصت الأمة اليابانية من حكامها الحاليين فإنها لن تود أبداً أن تخوض حرباً أخرى إذا استطاعت أن تبدى إراداتها بحرية » . وسنكون حينئذ مستعدين لاستئناف العلاقات العادية مع اليابان الجديدة التى تكون حكومتها مؤلفة تأليفاً ديمقراطيا ومسئولة أمام الشعب

اليابانى كله . ومثل هـذه اليابان الجديدة يجب ولا بد أن تتبوأ مكانها فى الجماعة العالميـة المؤلفة من الأمم المسالمة المحافظة على القانون » .

وعلى الحالين ، وسواءاً أصارت اليابان الديمقراطيـة المنزوعة السـلاح « طيبة » أم بقيت « شريرة » فإنها ستظل حيوية للاقتصاد العالمى ، وجوهرية للحد الأقصى فى الرخاء العالمى . ومثل هـذا يمكن أن يقال عن ألمانيا إذا آضت ديمقراطية ونزع سلاحها . وسواء أكان الألمانيون أمة خيرة أو شريرة ، فإنهم سيظلون يعملون ويكسبون أرزاقهم . وسيظلون أيضاً أنفع شعوب أوربا فى البحث العلمى والاختراع الصناعى . ومن المستحيل أن يتصور الإنسان الحد الأقصى من الرخاء للقارة الأوربية من غير أن تساهم فيه ألمانيا برخائها ومعاونتها .

وإذا أريد لهذا العالم أن يظفر بالسلام فلا بد له أولا من الرغد الاقتصادى ، ولست أقول إن الرخاء يكفل السلم ، ولكنى أقول إن الفقر والإكداء أكبر ما يهدد السلم من خطر .

تجارة عالمية أو حروب عالمية .

من رأيى أنه إذا كنا نريد أن نتعلم أن نحيا معاً فى هذا العالم ، فإن علينا أولا أن نتعلم أن نعمل معاً .

النقطة الثانية

ومن أجل هذا نجىء النقطة الثانيـة :

إن أول واجب لاتحاد عالمى من البلدان قاطبـة هو العمل لإقامة سـلام ورخاء اقتصادى شامل .

وأنا فى هـذا مدين ديناً كبيراً لذلك الكتاب الذى يسمى « الاتحاد الاقتصادى والسلام الدائم » لمؤلفه الشهير أوتو مالرى .

وقد بين المستر مالرى فى كتابه :

أنه فى أثناء عهد السـلام الماضى شنت كل دولة فى العـالم تقريباً حرباً اقتصادية على البلدان الأخرى جميعاً .

وأن هذه الحرب الاقتصادية كان مظهرها السيطرة الحكومية المسرفة على الواردات والصادرات وغير ذلك من الوسائل الأخرى العديدة . وكانت تحدو الحكومات فكرة وبيلة مؤداها أننا إذا استطعنا أن نفقر كل الأجانب فإننا نحن نغنى .

وأنه « إذا أريد أن لا يجتاز الجنود الحدود الدولية فى مهمات حربية ، فإنه يجب أن تجتازها البضائع فى مهمات سلمية » .

« وأن العامل الاقتصادى هو محور سـلام العالم » كما قال السير آرثر سولتر السياسى البريطانى الممتاز المجرب .

وقد رجع المستر مالرى بعد ذلك إلى خبرته العظيمة بأعمال مكتب العمل الدولى

وهو مكتب أنشأه مؤتمر السلام فى سنة ١٩١٩ ، وسجل أعماله خير وأمجد من سجل أية هيئة دولية أخرى فى العالم ، وقد انضمت إليه أربع وخمسون أمة من بينها الولايات المتحدة .

وليس هو بحكومة فوق الحكومات . واختصاصه الوحيد هو أن يضع مشروعات لتحسين أحوال العمال وترقيتها ، ثم ينصح للحكومات بالأخذ بها واعتمادها ، وقد بلغ عدد ما تم من الاعتمادات إلى الآن تسعمائة تقريباً . فالتقدم الذى تيسر على هذا النحو فى أحوال العمال فى كثير من أرجاء الأرض يبعث على الرضى ويستحق التنويه به .

فما هو السبب فى هذا النجاح ؟ يرى المستر مالرى أن السبب هو الحقيقة التالية :

أن نصف المندوبين إلى مؤتمر مكتب العمل الدولى — نصفهم فقط — حكوميون ، وربعهم من رجال الأعمال رشحتهم للحكومات الشركات فى بلادها المختلفة ، وربعهم من العمال رشحتهم أيضاً جمعيات العمال . فإذا كان نصف المندوبين من الساسة والمشتغلين بالسياسة ، فإن النصف الآخر من أصحاب الأعمال والعمال ، أى من أبناء العالم العملى . وأنا أرى أن هذا المبدأ يمكن أن يطبق على اتحاد عالمى .

ومن أجل هذا أقترح أن يكون فى الاتحاد العالمى فضلا عن ممثلى الحكومات ، ممثلون لدوائر المال وتجارة الصادر والوارد ، وللعمل ، وللزراعة التى هى المصلحة الأساسية لبنى الإنسان .

واقترح كذلك ، وبلهجة التوكيد ، أن لا يقتصر اجتماع هؤلاء المندوبين على فترات معينة ، (كما كان يفعل مجلس العصبة وجمعيتها) بل يكون اجتماعهم دائماً ومتصلا غير منقطع .

فما ثم جدوى فى مفاوضات فى سبيل السلام الاقتصادى ، أو السلام السياسى ، أو العسكرى ، إذا كانت متقطعة وفى فترات متباعدة ، وإنما تكون الجدوى إذا كانت المفاوضة مستمرة كالحياة نفسها .

وسيكون أمام الاتحاد العالمى ، من الناحية الاقتصادية جدول طويل بالمسائل التى تتطلب الحلول :

مثل رسوم الإصدار والاستيراد ، وحصص الصادرات والواردات ، وتمكين كل بلاد العالم من خيرات الأرض ومعادنها ، و « حرية الهواء » الحقيقية للطائرات التجارية على اختلاف راياتها ، والعمل العالمى المشترك (وهو الوحيد الذى يرجى له نجاح) لمكافحة الهبوط المالى وهكذا إلى آخره .

على أنه ينبغى — كما هو الحال فيما يتعلق بمكتب العمل الدولى — أن لا يكون للاتحاد العالمى سلطة تخوله أن يفرض قراراته

الاقتصادية على أى بلد فى أية رقعة من الأرض، وإنما يكون اختصاصه أن يحول قرارته إلى الدول جميعاً وأن يسعى لإقناعها بالأخذ بها .

وعندى أنه ليس فقط من غير المرغوب فيه ، بل من المستحيل كذلك تخويل أية هيئة عالمية دولية سلطة الفرض والإجبار ، اقتصادياً أو سياسيا ، وأعزز رأيى هــذا بالاستشهاد بجماعة الأمم البريطانية وهى تتألف من خمس بلاد حرة فى الإمــبراطورية البريطانية : هى بريطانيا وكندا وأفريقية الجنوبية وأستراليا وزيلندة الجديدة .

وإذا كان فى العالم خمسة بلاد بينها علاقات وثيقة ، فهذه هى البلاد ، وفيها تتمثل أعظم معجزات التعاون الدولى فى العالم ، والعبقرية السياسية البريطانية فى أسمى مظاهرها ، ولـكنه من المستحيل استحالة مطلقة إقامة حكومة مشتركة بينها اليوم . فإن كلا منها تصر على الاحتفاظ بحقها الشرعى كاملا فى أن تمضى فى طريقها بوحى من إرادتها الخاصة . وقد رأيت فى جمعية عصبة الأمم بجنيف ، هذه البلاد تختلف وتذهب كل منها مذهبها فى مسألة بعد مسألة . وليس فى جماعة الأمم البريطانية أية سلطة مركزية عليا تفرض على غيرها رأيها، ولذلك أسأل :

إذا كانت هذه الدول البريطانية الخمس لاتستطيع أن تؤلف حكومة مشتركة مركزية فـكيف يزعم أحد أن فى وسع ستين دولة فى العالم كله أن تؤلف حكومة عالمية لها على هذه البلدان الستين سلطة الأمر والإكراه ؟ ومن أجل هذا أذهب إلى أن هذه الفكرة ليست إلا وهما سيىء المغبة ، وهنا أنتقل إلى نقطتى الثالثة .

الارتباطات تفضى إلى ما ينافى الشرف

النقطة الثالثة :

إن الاتحاد العالمى ، فى سعيه للسلام السياسى والعسكرى ، والسلام الاقتصادى كذلك ، لا ينبغى أن يتطلب النزول عن السيادة من الحكومات التى هى أعضاء فيه ، ولا أن يطلب منها أى تعهد بما تفعل أو لا تفعل فى أى وقت فى المستقبل ، وعليه أن ينظر فى كل تهديد للسلام فى وقته وفى الظروف المباشرة التى تحيط به ، وهو ليس مضطراً أن يحاول الحصول على الإجماع لمواجهة هذا التهديد . وسيكون هناك تعهد إجماعى بالتشاور المشترك الدائم ، ولـكنه ستكون هناك حرية تامة للحكومات الفردية فى اتخاذ أى عمل خاص لمواجهة الطوارىء الخاصة على أى وجه خاص تؤثره .

وعندى أن تاريخ عصبة الأمم يثبت أن أى نظرية أخرى لاتحاد عالمى لا تكون إلا باطلة، ولا تنتج سوى خيبة الأمل ، ولا تثمر

إلا رد فعل يجيء بأعدى أعداء السلام — الكفر بإمكان صلاح البشر .

لقد تكفلت عصبة الأمم بأن تقيد الحكومات التي كانت أعضاء فيها بأن « تحافظ » ضد « العدوان » على « الكيان الأرضى » و« الاستقلال السياسى » لكل حكومة أخرى عضو فى العصبة .

وفى سنة ١٩٣٥ غزت إيطاليا « الكيان الأرضى » وقضت على «الاستقلال السياسى» لعضو معين فى العصبة — الحبشة . والآن يقال إن هذه الكارثة ما كانت لتقع لو أن الولايات المتحدة كانت عضواً فى العصبة .

وأنا ألاحظ على هذا :

أنه فى سنة ١٩٣٥ كانت عودة المانيا إلى التسلح فى البداية فقط ، ولم يكن محور برلين — روما قد وجد ، ولم تكن ألمانيا تؤيد إيطاليا ، وكانت بريطانيا وفرنسا وروسيا أعضاء فى العصبة ، ولهذا أسأل :

هل يحاول أحد جاداً أن يقنع أى إنسان بأن البريطانيين والفرنسيين والروسيين معاً كانت بهم حاجة إلى الأمريكيين ليستطيعوا أن يمنعوا الإيطاليين من العدوان .

إن الحقيقة التاريخية الواضحة هى أنه فى سنة ١٩٣٥ استخرج أعضاء العصبة لأسباب شتى ، من المادة العاشرة والتعهد الوارد بها ، تعهداً آخر كتب فى ظروف أخرى فى سنة ١٩٠١

ولكنهم يزعمون زعماً آخر :

يقولون إنه قد يكون الواقع أن أعضاء العصبة فى سنة ١٩٣٥ لم تكن بهم حاجة إلى معونة أمريكا المادية ، ولكنهم كانوا يحتاجون إلى المثل الأعلى الذى لا تستطيع دولة غير الولايات المتحدة أن ترفعه قبل العيون . فلو أنهم كانوا « طعّموا » بهذا المثل الأعلى لنهضوا إلى الحرب للحيلولة بين إيطاليا والعدوان على الحبشة .

أصحيح هذا ؟ إذن فلننظر إلى عدوان اليابان فى سنة ١٩٣٧ على الصين !

إن هناك معاهدتين تحظران هذا العدوان ، إحداهما ميثاق عصبة الأمم ، ولم توقعه الولايات المتحدة ، والأخرى معاهدة الدول التسع المعقودة فى سنة ١٩٢٢ وقد وقعتها الولايات المتحدة والصين أيضاً ، كما وقعتها اليابان وإيطاليا وبلجيكا والبلاد الواطئة والبرتغال وفرنسا وبريطانيا . وفيها تعهد الموقعون جميعاً باحترام « كيان الصين الإقليمى والإدارى » و « سيادتها »

وفى سنة ١٩٣٧ اجتمعت العصبة فى جنيف لتمنع اليابان من العدوان بمقتضى ميثاق العصبة ، فلم تنته إلى شىء ما يمكن أن يسمى عملا ، ومضت اليابان فى سبيلها .

وفى تلك السنة نفسها ــ ١٩٣٧ اشتركت الولايات المتحدة فى مؤتمر من تسع دون

عقد فى بروكسل لنفس الغاية ، أى صد اليابان عن العدوان ، وقد حفل المؤتمر بالخطب ثم تأجل ولم ينته إلى شىء يمكن أن يسمى عملا ، ومضت اليابان فى سبيلها .

فأنا لهذا أسأل جادّا :

كيف يستطيع أحد أن يعتقد أن عجزت الولايات المتحدة عن فعله فى بروكسل كانت خليقة أن تكون قادرة عليه ومستعدة له فى جنيف ؟

إن التعهدات الدائمـة لا تؤدى فى كل حال إلا إلى ما يمكن أن يوصف بأنه الغدر وفقدان الشرف . وقد قطعنا على أنفسنا ، فى تاريخنا ، ثلاثة تعهدات دائمة بارزة لدول أجنبية ، وكانت نتيجتها جميعاً مبعثاً للارتباك والأسى .

ا — فى سـنة ١٧٨٨ وقعنا مع فرنسا معاهدة « تحالف » وكانت هذه هى معاهدة « التحالف » الوحيدة التى وقعناها . وقد تعهدت فرنسا بمقتضاها أن تحارب من أجل استقلالنا عن بريطانيا ، وقد وفت فرنسا بعهدها ووفقت فيه . أما نحن فقد تعهدنا « أن نضمن إلى الأبد ، وضد كل الدول الأخرى » الممتلكات الفرنسية فى أمريكا . ومالبثت بريطانيا أن هاجمت هذه الممتلكات ، وفى هذا الوقت عينه عقدنا نحن معاهدة تجارية مع البريطانيين . أما معاهـدة « التحالف » التى كان علينا بموجبها أن ندافع عن جزر الهند الغربية الفرنسية ضد الأسطول البريطانى ، فقد صارت فوق ما نقوى على احتماله ، ففى سـنة ١٧٩٨ نقضناها وألغيناها بقانون أصدره المؤتمر (الكنغرس) وبغير موافقة فرنسا .

ب — فى سنة ١٨٨٢ وقعنا معاهدة مع كوريا تعهدنا فيها باتخاذ تدابير دبلوماسية إذا عاملت دولة ثالثة كوريا معاملة تنطوى على العدوان . وفى سنة ١٩٠٥ عاملت اليابان كوريا معاملة عدوانية على التحقيق وذلك بأن غزتها وفتحتها وفى سنة ١٩١٠ عاملتها اليابان معاملة عدوانية على التحقيق كذلك ، بأن ضمتها . فهل اتخذنا تدابير دبلوماسية ضد اليابان ؟ لم نصنع شيئاً على الإطلاق .

ج — فى سنة ١٨٤٦ وقعنا معاهدة مع كولمبيا تعهدنا فيها بأن « نضمن » « سيادة » كولمبيا على برزخ بناما ، وكان هذا التعهد نافذاً تماماً فى سنة ١٩٠٣ . وفى تلك السنة قامت ثورة مدبرة فى البرزخ ، فهل ساعدنا يومئذ كولمبيا على اسـترداد سيادتها على البرزخ ؟ كلا ، بل فعلنا نقيض ذلك إذ استخدمنا قواتنا المسلحة لمنع كولمبيا من أن تسـترد هى سـيادتها على البرزخ ، وانتهينا من جراء ذلك بأن دفعنا لكولمبيا غرامة على سـبيل الاعتـــذار مقـدارها

٢٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال . واعترفنا بأننا « فى ظروف جديدة » نقضنا التعهد الذى قطعناه فى « ظروف سابقة قديمة العهد » .

وأنا أرى أن الولايات المتحدة ليست دون غيرها من أمم العالم حرصاً على الوفاء بما تعد . فإذا كانت الولايات المتحدة تخالف وعدها « إذا تغيرت الظروف والأحوال » فإن كل أمه أخرى لايستغرب أن تفعل ذلك .

حكم البوليس الدولى

على أنى أعرف أن كثيرين يقولون :

إن الأمم قد تغيرت أحوالها الآن ، وتعلمت ما لم تكن تعلم . فقد خربت لندن من الجو ، وستضرب مدينة كنساس من الجو ، والعالم الآن وحدة ، وكل امرىء يرى أنه لابد لنا الآن من ضمان كلى للأمن ومن قوة بوليس دولية . وستحافظ الأمم من الآن فصاعداً على وعودها — وإلا أكرهها البوليس الدولى على الوفاء .

والرد على هذه الحجة حاضر . وسيكون ردى أن أسرد حكاية أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وهى من دول البلطيق .

فى سنة ١٩٢٠ اعترفت روسيا باستقلال هذه الدول ، وفى سنة ١٩٢١ قبلت هذه الدول الثلاث كلها فى عصبة الأمم ، وفى سنة ١٩٢٢ اعترفت الولايات المتحدة باستقلالها وسيادتها التامة . واليوم تقول روسيا أنها ستضمها .

ولا تزال عصبة الأمم موجودة . وما انفكت كل تعهداتها وارتباطاتها قائمة وملزمة لأعضائها ، وكذلك بريطانيا ، وكندا ، وأفريقية الجنوبية ، وأستراليا ، وزيلندة الجديدة ، وكذلك السويد ، وكثير من دول أمريكا اللاتينية وفرنسا أيضاً .

وتقضى المادة العاشرة من ميثاق العصبة على كل هذه الدول بأن « تحافظ » على استقلال دول البلطيق وتصون «سيادتها» . وقد تعهدت الولايات المتحدة بمقتضى ميثاق الأطلسى الذى اشترك فيه الرئيس روزفلت بما له من سلطة تنفيذية ، تعهداً لا يحده زمن ما ، فهو أبدى ، بأن تحافظ على « حق جميع الشعوب فى اختيار نوع الحكومة التى تؤثر أن تعيش فى ظلها » .

فلنفرض إذن أن عصبة الأمم والولايات المتحدة نظمتا قوة بوليس دولى ، فإذا كان للتعهدات السابقة أية قيمة ، وإذا كانت فكرة البوليس الدولى لها أية قوة ، أو تنطوى على إخلاص ، فإنه يجب فى اليوم الذى تضم روسيا فيه دول البلطيق أن تنزل قوة البوليس الدولى على الساحل الشرقى لبحر البلطيق ، وتقمع وتسحق الجيش الأحمر الروسى .

فمن ذا يظن أن هذا سيكون؟ من ذا الذى يرى أن البرلمان البريطانى أو الكونغرس الأمريكى سيفتح اعتمادات لهذا الغرض ؟

إن من الممكن أن نتصور أن يمنع البوليس الدولى الحروب الصغيرة بين الدول الصغيرة ، ولكن مثل هذه الحروب — كالحرب بين بوليفيا وبراجواى — لا تضر العالم شيئاً يذكر ، وإنما قامت الحروب الكبرى فى تاريخ العالم بفعل الدول الكبرى . وسينزع سلاح ألمانيا واليابان فى نهاية هذه الحرب ، وستكون الدول الكبرى الباقية هى روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ليس إلا ، فهل هنالك رجل يعتقد فعلا أن أية واحدة من هذه الدول الثلاث ستوافق على إنشاء قوة بوليس دولية قادرة على إخضاع جيشها القومى وأسطولها وسلاحها الجوى ؟

من المحقق أن روسيا ، وهى شيوعية ، تعيش فى خوف دائم من « التطويق » ومن أن « تخنقها » الدول الرأسمالية ، لن تقبل فكرة البوليس الدولى الذى تسيطر عليه وتسيره حكومة عالمية زمامها بيد هذه الدول

ولهذا السبب وحده — إذا لم يكن لغيره — لن تقوم أية حكومة عالمية ذات قوة من البوليس الدولى قادرة من تلقاء نفسها على الاحتفاظ بالسلام فى كل مكان وعلى الدوام . ولن تكون هنالك أية أداة للسلام العالمى تعمل من تلقاء نفسها بدقة الآلة فى حينما يظهر ما يهدد بالحرب فتختفى الحرب من الأرض. وليس فى وسع الولايات المتحدة أن تنام مطمئنة على صدر حلم كهذا، فإن عليها أن تختار اختياراً عملياً وهى مفتوحة العين ، وعليها أن تأخذ إما بنظام من المحالفات التى تخلق الحروب بما تثير من محالفات ضدها ، وإما أن تأخذ بنظام اتحاد عالمى ليست له أية سلطة سوى هذا :

أن يحاول بالمشاورة المشتركة الدائمة أن ينمى الشعور بوحدة العالم التى تستطيع وحدها أن تثمر فى النهاية رخاء العالم وسلامة العالم .

نظام عملى للسلام :

رأينا فى نصف الكرة الغربى ما يمكن أن يعمل بهذه الطريقة ، فإن المؤتمرات الدولية الدورية من الدول الأمريكية التى اتخذت من اتحاد الجامعة الأمريكية مكتباً مركزياً دائماً لها ، لم تكن لها أية سلطة إلا ما يكون بفضل المشاورة والنصح ، وتأمل النتائج .

من سنة ١٨٩٠ إلى الآن ، نما شيئاً فشيئاً بين الجمهوريات الأمريكية شعور بالوحدة فى نصف الكرة وتصميم على توطيد

السلام فيه منقطع النظير فى التاريخ . ولدينا فى هذا النصف من الكرة نظام سلمى ليس أنجح منه ، وأنا أرى أن من واجبنا ومن مصلحتنا أن نوسع نطاق هذا النظام حتى يشمل العالم .

وهذا من مصلحتنا لأنه ما لم يكن هناك اتحاد عالمى يتناول علناً مسائل العالم الاقتصادية والسياسية ، فستنشأ المحالفات والمحالفات المضادة لها ، وتمزق العالم مرة أخرى وسنرى تجديداً فى صور أشد للقيود الحكومية على التجارة والثروة الدولية التى جعلت الهبوط الأخير لا علاج له على الإطلاق إلا بالاتفاق الحكومى المصطنع على التسلح كرة أخرى فى نطاق عالمى جديد .

إن العالم ليس واحداً إذا اعتبرنا الثقافة أو الدين أو ضروب الحكومات ، ولكن من الجلى أنه واحد فى الشئون الاقتصادية ، وفيما يرتبط بها من الرخاء أو الضنك . وقد أعلن وزير خارجيتنا المستر كوردل هل هذه الحقيقة ، وكان فى إعلانه هذا أعلى لساناً وأعظم توفيقاً من أى سياسى آخر فى العالم . فقد رأى بوضوح أنه لا سبيل إلى المستوى الأعلى من الرخاء لدولة ما ، إلا برخاء الأمم جميعاً ومعاً ، ورأى كذلك أن السلام الحربى عسير المنال ما بقى العوز واليأس ، أو كما قال أوتو مالرى بحق : « إن السلام ينبغى أن يكون مما يطاق، إذا أريد له البقاء » .

على أنى أكرر — وأؤكد ما أكرر — أن قيام اتحاد عالمى لا ينبغى فى حال من الأحوال أن يمنع الاتفاقات الخاصة بين الدول لأغراض خاصة مبينة على وجه التفصيل وإلى آجال محدودة . وهذه ضرورية . وأعود فأقتبس من كلام مالرى قوله فى هذا الصدد : « إن طريق الإخفاق المحقق هو الاعتماد على الرأى القائل بأن أمم العالم يجب أن تحمل على الاتفاق على أمر واحد قبل أن تشرع أية واحدة منها على عمل شىء ما » .

فما تعمل كل الأمم معاً ، فى أى طارئ معين ، كما أظهر تاريخ عصبة الأمم مع الأسف . ومن أجل هذا كان من الضرر ، أن تكون الأمم الراغبة فى العمل ، حرة فى العمل .

ولهذا لا أحب أن يفهم أحد مما قلت عن المحالفات العامة أنى أعترض على الاتفاقات الخاصة مع بريطانيا أو روسيا ، أو معهما جميعاً ، لآجال محدودة وأغراض معينة يمكن إذاعتها كلها بجلاء والدفاع عنها بنجاح أمام محكمة الاتحاد العالمى .

فهل يسمح باتفاق لإبقاء ألمانيا واليابان منزوعتى السلاح زمناً ما ؟ أو اتفاق يعمل أطرافه على إنماء التجارة والشعور الحسن

بين روسيا والدول الواقعة على حـدودها الغربية، وبذلك يمكن أن يقل ضغط الإكراه الروسى على تلك الحدود ؟ أو اتفاق لاستخدام الشيوعية الروسية « ورأسمالية » بريطانيا والولايات المتحدة فى مجهود تعاونى لإكساب شعب الصين لرخاء لخير العالم أجمع ؟ أو اتفاق يعقد فى طارئ من الطوارئ وفى أحوال معروفة لحماية أمة بريئة من النهب، يبقى ما بقيت الظروف أو الطارئ ؟ لم لا ؟.

أما اتفاق يعقد ويمنح الإقرار والحماية الأبديتين من أمريكا لكل الحدود الموجودة لإمبراطوريتى روسيا وبريطانيا ضد أى محاولة من الصين مثلا لإخراج بريطانيا من الصين فى هونج كونج، أو إخراج روسيا من الصين فى إقليم منغوليا ؟ فلا !.

مثل هـذه الاتفاقات يجب أن ترفضها الولايات المتحدة لا لأسباب أدبية فحسب بل كذلك لسبب عملى بحت. فإن نشدان السلام من طريق إقرار كل المواقف الدولية الموجودة ومحاولة « تجميد » العالم تحت سيطرة تحكمية عرفية من الدول الثلاث الكبرى الباقية لا يمكن أن ينجح. وقد حدث فى مثل هذه الظروف فيما مضى أن تخلص العالم من السيطرة على بحر من الدماء والآلام، وسيظل يفعل ذلك فى مثل هذه الأحوال.

لقد وضع الدكتور كارلوس مارتنز سفير البرازيل فى الولايات المتحدة المسألة بحذافيرها وضعاً مقنعاً حيث قال:

قال إن الدول الكبرى لا يستطيع عملها أن يثمر سوى الحروب العالمية إذا هى لم تراع فيما تفعل سوى نفسها. ولكنها تستطيع أن توجد السلام إذا هى تعاونت مع نظام عالمى قوامه الحرية. وليس فى وسعها بغير ذلك أن تفوز بالثقة والإقرار والتأييد من بقية العالم.

وأنا أنشـد للولايات المتحـدة الشرف — والمزية — المستفادين من أن تكون أول دولة عظمى تدرك هذه الحقيقة أتم إدراك، وتعمل وفقها. وقـد كففنا عن التجبر والإعنات فى هـذا النصف من الكرة، فلماذا نشرع فى إعنات الآخرين ؟

لا محالفات، بل اتحاد عالمى يعمل لزيادة ثروة العالم وتوطيد سلامه. ويجوز عقد اتفاقات خاصة من أجل ظروف خاصة فى طوارئ خاصة يكون العدل فيها بيناً، ويفحص الاتحاد العالمى ما تنطوى عليه هذه الاتفـاقات من العـدل ويوجه عقل العالم إليها، وتقوم الولايات المتحدة — التى لا تبغى استعماراً ولا تعتدى — بتغذية هـذا العقل وتزويده بالأمل والقوة والنشاط، وهو ما لا تستطيعه إلا دولة كبرى هذه صبغتها.

ولا ينبغى أن نصنع أقل من ذلك فيما أرى — ولا أكثر.

« حادث يحـــدث كل يوم ،
ولكنه سيظل دائماً معجزة »

عينٌ لعينٌ لعلّ العمى يبصرون

فيليب هاركنس

ملخصة عن مجلة « كوليير »

في أحد فنادق نيويورك ظل شاب كندي يترقب أن يحادثه طبيبه بالتليفون ، ذلك أنه لن يعود أبداً فيبصر إلا أن يوفق إلى العثور على قطعة صغيرة حديثة النزع من قرنية بشرية أخرى تطعّم بها قرنيته .

وحجم القرنيـــة يقارب حجم « ذات القرشين » وتحـدوْدب غلالتها الشـفافة الرقيقة على حدقة العين وإنسانها كزجاجة الساعة .

وليس من اليسير الحصول على عين لا يزال بها ذَماء من نعمة نورها الفاني ، إذ يجب أن تؤخذ من شخص فارقته الروح لساعتها ، قد أوصى أن توهب عينه لضرير عنى أن يبصر ، أو من شخص قدّر عليه أن تستأصل عينـه من أذى أصابها لم يؤثر في القرنية . وقد يؤتى بهـا على متن الهواء من مدينة أخرى إذا طمرت في الثلج بعناية ، وإن كان الأطباء يؤثرون أن لا يمضى عليها أكثر من ١٢ ساعة قبل الاستعمال .

وفي النهاية جاء النبأ أن الطبيب قد عثر على طُعم صالح من قرنية ، فخفق قلب الشاب بأمل هائل . ففي الساعات القلائل التاليـة يستكنّ الجواب على السؤال الذى عذّبه سنين : ترى هل يعود فيبصر من جديد ؟ ترى هل تنجح هذه العمليـة التي هي أدق عمليات العيون ؟

تمت العملية الأولى في عشرين دقيقة ، وبعد أسبوعين أزيل الضماد وتمت المعجزة ! فمن خلال الكوّة الصغيرة الصافية التي فتحت في إحدى عينيـه استطاع أن يتبين أصابع الجراح مرفوعة أمامه ، والابتسامة المشرقة على وجه الممرضة .

واستجمّ المريض شهراً ، وأعيدت العملية في عينه الأخرى .

وبعد ثلاثة أشهر تلقى الجراح في عيـد الميلاد بطاقة من كندا جاء فيها : « الساعةَ اجتزت امتحان الالتحاق بسـلاح الطيران الملكى الكندى » .

إن الجراح الذى أجرى هذه العملية ، وهو الدكتور رامون كاستروفييجو ، قد أتم قبلها ٥٠٠ تطعيم للقرنيـة فى مركز كولومبيا الطبى بنيويورك ، نجح منها حوالى ٩٠ فى المائة .

وفى كل حالة ارتدّ فيها البصر بتطعيم القرنية كانت النتائج تبدو كالمعجزات للمريض الكفيف ولعامة الناس . ولقد شهدت أحد عمال أحواض السفن وقد عاد إلى طبيب من أطبـاء العيون ليفحص بعـد بضعة أسابيع من عملية تطعيم موفقة ، وهو يقول: « هيه ، حين أصابتنى تلك الشظية من الصلب ، قلت لنفسى كل شىء قد انتهى ، ولن أعود فأبصر بهـذه العين . وكذلك ظن جميع من فى الأحواض ، لكن الطبيب الذى هنالك كان خبيراً بتطعيم القرنيـة ، فانظر إلى عينى الآن » .

ونظرت فإذا فى وسط العين على إنسانها مباشرة مربع صغير شفاف . قال لى عامل الأحواض : « هذه نافذتى . إنى لأبصر من خلالها إبصارى بالعين التى لم تصب ، لذلك يتردد علىّ الإخوان طول الوقت فما يزيدون على أن يحـدقوا فىّ ويهزّوا رؤوسهم . مرحى أيها الطبيب ، إنهم يعدّونك صانع معجزات » .

منـذ عشرة أعوام كان تطعيم القرنيـة معجزة حقاً ، ثم بدأت طائفة صـغيرة من أطبـاء العيون — تيودور توماس بإنجلترا ، وفيلاتوف بروسيا ، وإيلشنج فى تشيكوسلوفاكيا ، ورامون كاسـتروفييجو بالولايات المتحـدة — يقطفون الثمر من تجارب السنين الطوال .

لقد ظلّ مثل هـذه العملية حلم البشر على مرّ القرون . ففى سـنة ١٧٩٨ حاول الجراح الفرنسى بلير دى كانسى أن يخيط قرصاً من الزجاج فى قرنيـة غائمة من مقلة رجل كفيف فلم يفلح ، إذ لم تستطع العين البشرية أن تصبر على هـذا الجسم الغليظ . وفى خلال القرن التاسع عشر جرّب الأطباء التطعيم من عيون الحيوان ، فباءت هـذه التجارب بالخيبة أيضاً ، إذ تلاشى الطعم الحيوانى بالتدريج . على أن الأطباء أبوا أن ينهزموا ، فبدأوا العمل المعقد الدقيق لاستعمال عيون البشر فى التطعيم .

واليوم يكاد يكون فى كل مدينة كبرى بالولايات المتحدة أطباء عيون يمارسون هذه العملية الشاقة . وفى مستشفى مانهاتان للعين والأذن يقوم أحد أساطين الجراحة فى نيويورك بتعليم زملائه هـذه الطريقة كى يستطيعوا إجراء العملية للجنود الذين كفت أبصارهم فى الحرب . هذا ، ويتولى أطبـاء العيون الذين درسوا فى الولايات المتحـدة

تطعيم القرنية بنجاح فى البرازيل والأرجنتين وكوبا وبناما .

إن تطعيم القرنية لا يبرىء من كل أنواع العمى ، فإن أقل من ٢٠ من بين مائة أعمى تنزل بقرنياتهم آفات ، يمكن شفاؤهم بهذه العملية .

ومع أن تطعيم القرنيـة يمكن أن يعـد عملية باهظة التكاليف ، فإن أبرع أطباء العيون فى نيويورك يجرونها بلا أجر للعميان الفقراء فى أشهر مستوصفات العيون بالمدينة . هذا على أن ندرة الطعم قضت على الأغنياء والفقراء على السواء أن ينتظروه زمناً طويلا ، فإذا ما وجدت فى النهاية قرنيـة شفافة أمكن فى بعض الأحيان أن يتخذ منها ثلاثة طعوم .

إن هـذه العمليـة آية من آيات الفن الدقيق ، المليمتر فيها هو وحدة القياس ، وكل شىء فيها يتم على نطاق يكاد من صغره يجلّ عن التصديق . وتبدو آلاتها كمجموعة محكمة الصنع من آلات التطريف (المانيكير) ، والمشابك التى تعلق بها الأجفان تدق حتى سميت « مشابك البعوض » .

وفى هالة من الضوء يلقيها مصباح صغير على العين الـكفيفة الهامدة المخدرة ، يترفق الجراح فى تعليق أجفانها بمشبك البعوض ثم يمسكها حيث هى بخيط من حرير .

ويفحص الجراح من خلال نظـارته المـكبرة قرنية المريض الغائمـة فيقول : « أظننا سنحتاج إلى خمسة مليمترات » أى قطعة من القرنـية تساوى خمس بوصة مربعة . إن الطعم يكون دائماً بالغ الصغر ، إذ ربما ذهبت عين المريض لو أزيلت القرنية كلها .

وتلتقط أنامل الطبيب من تحت قفازها آلة تنتهى بمبضعين دقيقين متوازيين على هيئة جرارات مزدوجة فى مركبة جليد ، وينزلق هذان المبضعان على قاعدة يمكن أن يثبتا فيها على البعـد المطلوب . وبواسطة مسطرة معقمة يثبت الطبيب الحدين على بعد خمسة مليمترات ، وبذلك يستطيع أن يقطع قطعاً بهذه المساحة ، لا يخطىء فى جزء من ألف جزء من البوصة ، من عين المريض ثم من العين الموهوبة .

وأول ما يفعل فى القرنيـة المعتمة أن يقطع برفق أضلاع المربع ذوات المليمترات الخمسة ثم يأخذ إبرة فيخيط بها طرفى القرنية من حول المربع المرسوم ، وينسج عليه شبكة من الخيوط فضفاضة مسترخية محكمة بحيث إذا شدت فيما بعد أمسكت الطعم الصغير ثابتاً فى مكانه .

ويسود غرفة العمليات المتألقة هدوء لا يقطعه إلا أزيز المروحة ، ونقترب نحن المتفرجين شيئاً فشيئاً من الطبيب وهودائب

يعمل فى العين الغائمة بمباضع ومقصات دقيقة حتى يسلخ المربع الصغير منها ويخرجه .

ثم يعود إلى العين الموهوبة فينزع منها بعناية قطعة تطابق المكان المهيأ فى عين المريض . إنها عين لعين . ثم يرفع هـذه القطعة الصغيرة الشفافة من القرنية بملوق دقيق ويُنْزلها فى المربع الأجوف فإذا هى تطابقها . يشد شبكة الخيوط الحريرية شداً محكما من فوق قطعة الطعم ، ثم يعقدها بعناية على أحد الجانبين ، وينتهى كل شىء .

لقد أصبح للمريض الآن نافذة من قرنية شفافة يتألق خلالها الضوء إلى الشبكية ، وكثيراً ما يشرق هـذا الضوء والمريض لم يزل على النضـد ، فتصعد بغتة صيحة نشوى من تحت الملاءات والمناشف : « أستطيع أن أرى ! » .

ولـكن مهما يكن الأمر فإن عيون المريض تعصب بضماد حريرى أسود ثم يظل مستلقياً على ظهره عشرة أيام ، ساكن الرأس تمام السكون . وفى اليوم السادس تنزع الغرز ، وفى اليوم الرابع عشر يرفع الضماد . فإذا تم كل شىء على خير ما ينبغى عاد يبصر من جديد .

إن عملية تطعيم القرنية هى الآن حادث يحدث كل يوم ، ولـكنها مع ذلك ستظل دائماً معجزة .

جمعية الفجر

منذ ثلاث سنوات ألف تيودور أولسن « جمعية الفجر » فأصبحت المؤسسة الوحيدة التى تعمل كسوق لتبادل ما يمكن الحصول عليه من القرنيات لإجراء هذه العملية الشاقة . ولدى الشركة سجل بأسماء العميان الراغبين فيها ، لـكن ما يحصل عليه منهـا أقل دائماً من المطلوب . وعلى الطالبين أن يرفقوا بطلباتهم شهادة من طبيب عيون معروف بأن التطعيم متوقع له النجاح .

وهناك مئات من التعهدات موقعة من أشخاص يتبرعون بعيونهم بعد الموت عن طريق هـذه الجمعية ، ولـكن الحاجة ماسة إلى ألوف . ويفوض أى طبيب معالج بمقتضى تصريح يحمله أن يشرف عقب وفاة المتعهد على إرسال القرنيات إلى جمعية الفجر رقم ٨٢٥ بشارع بوش بسان فرنسيسكو كاليفورنيا .

[كارل ترويت فى مجلة « ذس ويك »]

إستعمل عقلك الباطن إستعمالاً واعياً

روبرت اوبدجراف
مؤلف كتاب «العقل الباطن فى التجارة»

ملخصة عن مجلة « فوربز »

لعله قد اتفق لأكثرنا أن ركب قطاراً فلم يجد فيه من يحدثه ، أو جلس فى حفلة موسيقية أومحاضرة ، وهو لاينصت أو يعى بل تتوالى الخواطر فى ذهنه بعضها آخذ برقاب بعض . هـذا هو العقل الباطن فى نشاطه ، مغتنما فرصة الاسترخاء فى العقل الواعى كى يعمل عمله . والعقل الباطن يستطيع أن يفكر أحكم تفكير فيما يهمنا من الشئون وأن يحل أعقد مشكلاتنا . وهو يستعين حين يعالج شئوننا بقدر من الحكمة والتجربة يفوق كثيراً ما يتاح منهما للعقل الواعى .

وليس ثمة ريب فى أن هناك وقتاً يجب أن ننصرف فيه كل الانصراف إلى الاهتمام بمشكلاتنا . ولكن هناك وقت كذلك ، ينبغى لنا فيه أن ننصرف عن ذلك إلى التدخين أو اللهو ، لينهض العقل الباطن بقسطه من العمل : فنحن على كل حال إنما نبتغى العاقبة لا مجرد النشاط .

وقد عنى « فهر » العالم الفرنسى بدراسة أخلاق معاصريه فى أثناء العمل ، فقال إن ٧٥ فى المائة من العلماء قد ذكروا له أن مكتشفاتهم الخطيرة إنما أميط لهم اللثام عنها فى غير ساعات إكبابهم على البحث العلمى .

ومعظمنا ينهك عقله الواعى بالعمل ، فيفضى هذا إلى أن يصير تفكيرنا وأحكامنا أقل قوة وسداداً مما ينبغى . وعلة ذلك أننا نعتمد على شطر من عقولنا ، وأقل من شطر الخبرة والتجربة اللتين حشدتهما الحياة لنا . فتكون العاقبة أننا نسلب أنفسنا ساعات كثيرة من الدعةوالراحة ، مع أنها هى نفسها التى تزيد تفكيرنا حدّة . ذلك بأن الاسترخاء هو مفتاح باب العقل الباطن . فالعقل الباطن يكون أمضى ما يكون نشاطاً حين تقبل على عمل نحتفى به ونؤثره . والعقل السعيد الراضى هو العقل السليم ، وهو عقل فيه قوة دافعة إلى العمل . وقد أفرغ الكاتب هنرى دافيد ثورو هـذا المعنى فى قوله : « العامل المقتدر هو من لا يزحم يومه بالعمل » .

فكيف نستطيع أن نضع متعمدين خطة لاستخدام العقل الباطن ، والإفادة من قوته فى إحكام القرارات التى نتخذها والأحكام التى نصدرها ، وإمدادنا بأفكار جديدة جريئة وصور ذهنية مبدعة ؟

إن عمل التفكير يشبه شبهاً غريباً عمل الطبخ . وإن تكن الحرارة المسلطة هى الأصل فى الطبخ ، إلا أن بعض الطعام لا يطيب إلا إذا كان طبخه وئيداً طويلا . ولذلك صنعت مواقد فيها أفران لا تمسها النار فتتخذ لإنضاج الطعام « بالحرارة المختزنة » .

فالعقل الباطن فرن لا نار فيه ، نستطيع أن نسلك فيه مشكلاتنا لينضجها « الفكر المختزن » كما يصح أن نسميه . وإذا عمدنا إلى أن ننضج كل ألوان الطعام العقلية بعقولنا الواعية ، فنحن إنما نحرق طاقة العقل سدى ، وليس هذا فحسب بل نحمل بذلك أجهزتنا العصبية أعباء باهظة أيضاً .

وهناك قاعدة تصلح فى كل آن : ينبغى لك أن تسلم مشكلاتك إلى عقلك الباطن بعد أن تجمع عناصرها من حقائق وأرقام وآراء ، وتفوض إليه أمرها تفويضاً شاملا . فعمل « الطبخ العقلى » يجب أن يبدأ بحصر الذهن فى مادة هذه المشكلات مدة كافية ، مع العناية الشديدة ، فإنك إن تفعل ذلك أوقدت لها خير نار منضجة يتيحها لك العقل الواعى .

وهذه ثلاث خطط لكى تبد هذا الحصر .

أولاها : أن تأخذ ورقة وتدون عليها المشكلة التى تواجهها مسجلا أهم نواحيها . فإذا كان للمشكلة وجوه تأييد ووجوه معارضة ، فاكتبها جميعاً فى عمودين متوازيين ، ثم انزع الورقة من الدفتر ومزقها وانسها . ثم اعمد إلى عمل تريد أن تعمله ، يتيح لعقلك أن يستريح .

وأما الخطة الثانية فهى أن تتحدث فى مشكلاتك أو حالاتك ، مع شركائك أو أهل أسرتك ، منقباً فى كل ناحية من نواحى الموضوع . ثم ابحث فى التفاصيل ولا تكتف بالمبادىء العامة ، ولكن لا تحاول أن تتخذ قراراً ما . واقطع حديثك فجأة ، واترك المسألة جانباً « لتنضج » .

وبقيت الثالثة : أن تدرس الموضوع درساً واعياً حتى تحس أن عقلك قد أرهقه الإعياء ، وعندئذ ، انبذه من عقلك كل النبذ ، واذهب فاستمتع برياضة ما ، كصيد السمك أو قيادة السيارة ، وإذا كان الوقت ليلا ، فأو إلى مضجعك ونم رخىّ البال .

فى ليلة من ليالى أكتوبر سنة ١٩٢٠ كان فردريك جرانت بانتنج يعد محاضرة لليوم التالى ، وكان بانتنج جراحاً كندياً شاباً لا يكاد يكسب من عمله شيئاً ، فاضطر

إلى أن يدرس ليقيم أوده ، وكان موضوع محاضرته مرض السكر . فقضى ساعة بعد ساعة مكباً على قراءة ما كتب فى هذا المرض المخيف ، حتى ضل عقله فى تيه النظريات المتضاربة وحوادث المصابين وأوصاف التجارب التى أجريت على الكلاب . ولما بلغ منه الإعياء أوى إلى فراشه .

وفى الساعة الثانية بعد انتصاف الليل استيقظ وأضاء المصباح وكتب ثلاث عبارات فى مذكرته . قال : « اربط قناة الغدة الحلوة من غدد الكلاب ، ثم انتظر ستة أسابيع إلى ثمانية أسابيع حتى تحول ، ثم استأصل بقيتها واصنع منه خلاصة» . ثم عاد إلى فراشه ونام .

وهذه العبارات السحرية الثلاث هى التى أفضت إلى كشف الأنسولين . فعقل بانتنج الواعى كان قد تعلق بموضوع من أعقد موضوعات الطب الحديث ، فأنجز عقله الباطن العمل .

وقد لا يحتاج عمل الإنضاج بغير نار إلى أكثر من ساعات حتى يطيب الطعام ، كما وقع لبانتنج، وربما استغرق أياماً أوأسابيع. وقد يكون من الضرورى أحياناً أن يعاد استخدام النار استخداماً مقصوداً فترة بعد أخرى ، لكى يستمر الطبخ ، ولكن يكاد يكون من المحقق دائماً أن ينجز العقل الباطن ما يوكل إليه ، وغالباً ما ينجزه بأسرع مما ينجزه العقل الواعى وحده إذا ما وكل الأمر إليه .

وتكون النتيجة التى تحصل عليها أفضل إذ يبذل فى الوصول إليها ، كل ما يجتمع لأحدنا من تجارب الحياة ، وما تنطوى عليه من أشياء كثيرة نسيها العقل الواعى منذ أمد بعيد . وقد أفضى هنرى فورد — يوم بلغ الخامسة والسبعين من عمره — بحديث أشار فيه إلى « الغريزة » فسأله محدثه : « ما هى الغريزة؟ » فأجاب فورد: « هى على الأرجح خلاصة التجربة السابقة والمعرفة التى تختزن لكى تستعمل فيما بعد » .

تعود أحد معارفى أن يجلس فى مقعد مريح فى مكتبه مدة ثلث ساعة أو نصف ساعة كل يوم ثم يأخذ كتاباً يطالع فيه وينسى كل هموم عمله وقد قال لى : « لم أجلس فى هذا المقعد قط وأنا أنوى أن أستحدث فكراً ما ، ولكن حين يسترخى عقلى فعندئذ تبدأ الأفكار تنثال على من تلقاء نفسها » .

وقد قال العالم الطبيعى الألمانى المشهور فون هلمهلتز بعد تمحيص إحدى المشكلات من جميع نواحيها : إن الأفكار المباركة كانت تنثال على بغتة لم أبذل لها جهداً كأنها إلهام . ولكنها لم تخطر لى قط وعقلى

مجهد ، أو وأنا أعمل مكباً على مكتبي » .

ويروى أن ديكارت الرياضي الفيلسوف الفرنسي المشهور ، كشف كشوفه العظيمة وهو نائم في فراشه في الصباح .

فإذا كنت لا تستعمل عقلك الباطن استعمالا مقصوداً واعياً فعسى أن يكون قد أدركه شيء من الكلال ، وقد تضطر إلى تجديد المحاولة مراراً قبل أن يستطيع تأدية عمله . فالتفكير بالعقل الباطن يقتضي وقتاً وراحة وشعوراً بالفراغ والدعـة . ولعل هذا هو معنى القول السائر : « في ساعات الفراغ سعد وبركة » .

الحياة تبدأ في السبعين !

* بين السبعين والثـالثة والثمانين من عمره أضاف فندربلت الثرى الأمريكي مائة مليون دولار إلى ثروته .

* وفي الرابعة والسبعين من عمره ألف الفيلسوف كانت ثلاثة مؤلفات في الأنتربولوجيا ، الميتافيزيقا والأخلاق .

* في الرابعة والسبعين ألف الموسيقي فردى « عطيل » وهي آيته في فن الأوبرا وفي الثمانين « فالستاف » ، وفي الخامسة والثمانين « أفي ماريا » ، و « ستابات مايتر » ، و« ته ديوم » .

* في الثامنة والسبعين أنجز لامارك العالم الفرنسي مؤلفه الكبير في علم الحيوان : التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقرية .

* وفي الثمانين بدأ كاتو الروماني يتعلم اللغة اليونانية .

* وفي الثمانين أنجزجوته تأليف فاوست

* وفي الثامنــة والتسعين رسم تشن المصور الإيطالي صورته التاريخية للمعركة البحرية المشهورة ، معركة ليبانتو .

الشخصيات التي لا تنسى

فنّان مطبوع

مارك ا. روز





بعث إلىّ جون باجيت ، منذ قليل ، بقصاصة من صحيفة تصدر في شيكاجو ومعها كلمة تحية . وقد جاء في هذه القصاصة أن العادة القديمة جرت بأن يجتمع معلمو المدارس العامة في «ليك فورست» بولاية إلينوى، للاحتفال بعيد ميلاد باجيت — التاسع والسبعين . وقد نشرت الصحيفة صورته مع الخبر ، وأقيم الاحتفال بقاعة جون باجيت بمدرسة جروتون .

وقد رأيت هذه المدرسة ، وهي غاصة بصور منقولة عن فرائد العالم في الرسم والحفر، وفيها مجموعة حسنة من الأسطوانات لخير ما في الدنيا من الأصوات (الموسيقية) وقد اشتراها باجيت كلها ، بأكثر من ٩٠٠٠ ريال من مرتبه على الأكثر . وأنا أجترئ على القول بأنه ما من طفل ترك هذه المدرسة في السنوات الخمس والثلاثين الماضية إلا وهو يعرف كل صورة ، وكل تمثال ، وكل صوت من هذه كلها . وأجرؤ على القول أيضاً ن كل طفل في هذه المدرسة يستطيع أن يكتب خطا حسناً ، ويحذق الحساب والتهجي .

وأنا أعلم علم اليقين أن جون باجيت يسر هذا لكل منا نحن الذين تعلموا منه منذ أربعين سنة مضت — يسر هذا وأكثر منه . وكثير من الآراء المتقدمة التي تسبق عصرها نبتت في فصله ، ثم انتشرت بعد ذلك من شاطئ إلى شاطئ . وإنه لمعلم عظيم يكاد يكون من الصحيح أن يقال عنه إنه لم يذهب قط إلى مدرسة .

وقد ولد جون باجيت في عام ١٨٦٣ بهايلاند بارك بولاية إلينوى على الشاطئ الغربي لبحيرة مشجن ، وكان أبوه حطاباً يقطع الشجر لينقل إلى شيكاجو على مسافة

تقرب من عشرين ميلا . وماتت عنـه أمه وهو فى الشهر الحادى عشر من عمـره ، فكفلته جارة عاقر — مارجريت ريد — وكان زوجها حطاباً أيضاً .

وكان جون باجيت طفلا هادئاً فيـه جهامة ، وقد سموه جونى ريد ، ولما بلغ الثانيـة عشرة انتقل به اللذان ربياه إلى ضيعة فى « أيوا » .

ولم يكن ثم للغلام محل فى الكوخ فقد كان ذا غرفة مفردة ، فكان ينام فى الجرين . وكان شقيا ، فقد كان ريد وامرأته من قوم غلاظ من جزائر أوركنى ، وكانا فظين مع هذا الغلام الإرلندى الصغير ، ولم تكن فيهما رقة له وحنو عليـه ، وكان ريد إذا شرب ينقلب خسيساً رذلا .

وكان الغـلام يمقت العمل فى الضيعة ويحب الكتب ، وكان ريد قد جاء معه بقليل من الكتب من بلده القديم ، ومن بينها كتاب « الرؤساء الأسكتلنديون » وقد حفظه جونى عن ظهر قلب تقريباً . وكان قد أدرك أنه مُتبَنى ، فكان مما يتعزى به أن يقول لنفسه إنه من أرومة أكرم من أرومة ريد ، وأنه سيرتقى فوقهم ويستعلى عليهم .

وكان يقرأ ما يقرأ فى الجرين — فيسد الشقوق بالورق حتى لا يخرج منها ضوء فيعرف من يراه أنه « يبـدد » البترول .

وكان يحصـل على الكتب من هنا وههنا بوسيلة ما ، ويعكف عليها فى جد واجتهاد . فقـد صارت له منى وطموح ، واعتزم أن يكون معلماً . واتفق يوماً ، وكان قد ناهز السابعة عشرة ، أن بعثوا به إلى المدينة ... وارين — بحمل من الحنطة ، فسأل فعلم أن هناك مدرسة على مسافة ميلين من الضيعة التى فيها أسرة ريد ، وأن بها حاجة إلى معلم . فتقـدم إلى الامتحان وأداه ونجح نجاحاً باهراً — فيما عدا الهجاء . ولم يخطىء فى الهجاء ، ولكن كان مما يطلب فى ذلك الزمن تقسيم الكلمات إلى مقاطع ، فجاء تقسيمه لها بدعاً ، ذلك أنه لم ير قط كتاب هجاء . فناوله الممتحن كتاباً وقال له : « خذ هذا معك ، وعد إلينا متى حفظته » .

وما لبث الغلام أن حذق تقسيم الكلمات إلى مقاطع ، فعين معلماً بمدرسة بريمر بمرتب قدره ٢٤ ريالا فى الشهر . وكان لهذا ضجة فى أسرة ريد ، ولكنه أصر على ما رسم لنفسه . وفى ذلك الخريف واجـه أول تلاميذه ، وكان كثيرون منهم أسن منه وأكبر أجساماً ، ولكنهم ، كما قال فيما بعد بلهجة المستغرب ، أحبوه فلم يلق معهم عناداً .

وفى ذلك الشتاء سكر ريد مرة ، وسقط عن مركبته ، فانكسرت ساقـه ، فنهض جون باجيت فى الساعـة الخامسة صباحاً ،

واضطلع بأعمال الصباح ، ثم سار ميلين فى الثلج والبرد القارس ، وأضرم النار ، وأدى ما عليه من دروس طول النهار ، وعاد إلى الكوخ وقام بأعمال المساء .

ولما جبر كسر ريد وشفى غادر المعلم الصغير الكوخ واتخذ اسمه الحقيقى — باجيت — وقد تهجاه اجتهاداً وعلى السماع . وبعد أن قضى ثلاثة اعوام فى التعليم فى أقاليم قريبة ، رجع إلى ولاية ألينوى حيث ولد ، وهناك أدى امتحاناً نال فيه الدرجات كلها ، وحصل على شهادة معلم ابتدائى .

وكانت لدى ممتحنه وظيفة خالية تتطلب شاباً قوياً وثيقاً ، وكان التلاميذ قد ثاروا بمعلم لهم فأحرقوا صورة له وطردوه .

وظل جون باجيت يعلم بضع سنوات فى المدارس الريفية فصارت له شهرة محلية . وفى سنة ١٨٨٨ طلبت منه مدينة ووكيجان القريبة أن يتولى أمر مدرستها وكانت تسمى « نورث سكول » .

وفيها علم الفرق السادسة والسابعة والثامنة وجملة تلاميذها سبعون . ولما أقيم سنة ١٨٩٣ المعرض العالمى بمدينة شيكاجو ، حرص جون باجيت على أن يستصحب إليه كل سبت سبعة من تلاميذه ليروا عجائبه ، وواظب على ذلك عشرة أسابيع . وخشى أن يتفرقوا ويضلوا فاتخذ حبلا أمسك به التلاميذ وجعل طرفه فى يده هو .

وإلى حجرة جون باجيت فى ووكيجان ذهبوا بى ذات صباح فى منتصف العام المدرسى ، وكان الرأى فىّ أنى أستطيع أن « أتخطى فرقة » . وكان هذا أول رجل معلم ألقاه ، فعرانى شىء من الاضطراب وأنا أتفرس فيه ، وكان ربعة لا بالطويل ولا بالقصير ، وشعره الأسود الكثيف مفروق من الوسط ، وعيناه الزرقاوان خاطفتا النظرة ، وله لحية أنيقة سوداء كالحبر . ولم أكن رأيت من قبل رجلا مثله حسن الهندام نظيفه فى غير أيام الآحاد ، وكان هذا دأب المستر باجيت . وبعد ما علمنا بالقدوة ، فى صمت ، وما أخذناه عنه من أنه ليس من النظرى أن يعنى المرء بهذه الأمور

وأدرت عينى فى الحجرة فتعلقت أنفاسى ، فقد كانت حجر الدراسة التى رأيتها من قبل عارية موحشة داكنة اللون ، وكان معظم حجر الدراسة فى ذلك الزمن فى أمريكا هكذا ، ولكن هذه الحجرة كانت على خلاف ذلك ، فلم تكن أغطية الأدراج مشققة ولا ملوثة بالحبر ولا كابية غبراء ، بل كانت مطلية باللون الأبيض الناصع كالعاج وكذلك كانت الأبواب والشبابيك ، وكانت النوافذ الجنوبية على جوانبها السرخس وعلى حافاتها النباتات فى القمريات ، وعلى كل النوافذ

أستار رقيقة وعلى الجدران المكسوة بالورق الأخضر نحو مائة صورة تبرز من بينها الأكروبول، ونوتردام، وجسر التنهدات، وغيرها من المشاهد المشهورة. وتحت هذا الصف صف آخر من مشاهير الرجال، وهنا وههنا صور من الجص مأخوذة عن تماثيل جميلة هي أول ما رأيت من نوعها، وقد علقت على باب الحجرة بالدبابيس عشرات من قصاصات الصحف ورسوم من المجلات الأسبوعية المصورة — رسوم رائعة لجنود يقتتلون بين النخيل في كوبا، وسفن حربية من « العمارة البيضاء » تطلق مدافعها على سفن إسبانيا، فتالله ما أجمل هذا كله وأعظم ابتعاثه للنفس!

وقد عدت حجرة جون باجيت في ذلك الخريف أجمل حجرة مدرسية في الولايات المتحدة كلها، ونشرت صور شمسية لها في صحيفة « بيت السيدات » التي كانت تحمل على المدارس الأمريكية من جراء ما فيها من الوحشة.

وكان جون باجيت هو الذي مسح الأدراج بيديه وطلاها في الصيف. وجمع كل هذه الصور بصبر لا ينفد، واشتراها أو استوهبها أو استعارها. وما أقل ما كان في بيوت معظمنا من مظاهر الجمال، فكانت حجرة جون باجيت لي ولآلاف من الأطفال غيري، أول تعريف لنا بعالم الثقافة والذوق الجميل. ولم يكن يلقي علينا خطباً في الفن وإنما كان يكتفي بأن يقول لنا إن هذه أعظم الصور والتماثيل التي في العالم، وإنه ينبغي أن نعرف أسماءها وأسماء مبدعيها على نحو ما يعرف المرء أسماء الكتب النفيسة ومؤلفيها. وهكذا تعلمنا ان نعرف هذه البراعات.

اما الباب فكان يعلمنا « التاريخ الحي » كما كان يسميه المستر باجيت. وكان كل يوم يعلق قصاصات تحتوي أهم الأنباء والصور الإخبارية، فنحتشد مفتونين عند الباب في الاستراحات أو بعد انتهاء اليوم الدراسي ونقرأ القصاصات، ونتأمل الصور، ونلقي الأسئلة. كانت تحدث أحياناً مساجلات، فيأذن لمن يكون أصح جواباً — غلاما كان أو فتاة — أن ينزع ما على الباب في آخر الشهر ويأخذ القصاصات والصور.

وكان يغلب أن نستمع إلى الموسيقى عصر يوم الجمعة. وكان المستر باجيت يدعو الطلبة الموهوبين من معهد شيكاجو الموسيقى ليعزفوا لنا أو يغنونا. وكانت العادة أن يمهدوا لذلك بشرح وجيز كأن يقول أحدهم: « يوجد في النرويج رجل اسمه جريج يصنع أصواتاً جديدة جميلة جداً، وهذه إحدى قطعه، وفي وسعكم حين تسمعونها أن تتخيلوا الفلاحين يرقصون في عرس ».

وإذا جدّ فى الدنيا جديد ، علمنا به بسرعة . وقد حصل المستر باجيت ، بوسيلة ما ، على صورة من أول الصور التى رسمت بأشعة إكس ، جاءت إلى رقعتنا من الأرض. وفيها تبدو عظام اليد وخاتم على أحد الأصابع. وكنا من أوائل من رأوا الصور المتحركة . وقد اخترع جهاز التصوير السينمائى فى ووكيجان ، وفى سنة ١٨٩٨ أو ١٨٩٩ استطاع المستر باجيت أن يقنع المخترع بوضع جهاز فى الحجر، بعد أن حجب عنها الضوء ، وأن يرينا صوراً للقطر الحديدية وهى تدخل محطتنا ، وعرضاً لملاعب حيوان يجتاز بعض الطرق .

أما فى تدريس المواد الأساسية فكان المستر باجيت دقيقاً محكماً ، وكان ذا اجتهاد وافتنان . ولعله أول من أحصى مائتى كلمة يغلط التلاميذ فى هجائها أكثر مما يغلطون فى هجاء سواها . وقد حفظنا إياها بلا رحمة . وكان يصر على تجويد الخط ، ويعنى عناية عظيمة بالحساب العقلى ، ولا يزال يقذفنا بالمسائل على غير انتظار . ولا يزال يذهب إلى أن هذا خير وسيلة لاختبار الذكاء .

وفى بعض الأيام — عصراً — يقيم سوقاً لبيع الكعك ، والغرض المزعوم من ذلك هو جمع قليل من المال لشراء صور أو أستار جديدة . أما الغرض الحقيقى فكان حمل الأمهات على الحضور والاتصال بالمعلمين . ولم تكن اجتماعات الآباء بالمعلمين قد ابتكرت بعد.

وكنا نغنى أيضاً ، ولا عجب فى ذلك ، ولكنى بعد أن كبرت والتحقت بدار الأوبرا تنبهت فجأة ذات ليلة إلى صوت كنت أغنيه فى المدرسة ! فقد كان المستر باجيت يلقننا أغانى من فاوست ، ومن الفارس الريفى ، ومن مندلسون وشوبرت — لا أغانى الأطفال — وكنا نحب ذلك .

وأرجو أن لا أكون قد صورت هذا المدرس الحسن الهندام المولع بالفن والموسيقى فى صورة فنان حائل اللون . فقد كان المستر باجيت رجلاً مصكّاً مِدَكّاً . وما من مباراة كرة فى فناء المدرسة استطاع أن يصد نفسه عن الاشتراك فيها على الرغم من ثيابه النظيفة، أو كان يضرب الكرة للكبار من الغلمان ليلقفوها، وأحياناً يظهر قوته فيرسلها بضربة إلى ماوراء السور . وكان معنا بعض الغلمان الكبار — وكان عمر أحدهم ١٨ سنة . وكان قد عاد لساعته من الحرب الأمريكية الإسبانية — ولكن ما من أحد منهم كان يستطيع أن يبعد المرمى مثله . وكان المستر باجيت منازلاً لا يغلب عند التراشق بكرات الثلج ، ولم يفته إلا القليل من هذه المعارك، وكان مشّاءا عظيما أيضاً يقطع مسافات بعيدة على قدميه ولا يكلّ .

وقد زاول التعليم ستين سنة ، ولم ينقطع عن التعليم سوى ثلاثة أيام من جراء المرض. وقد قابلته فى ووكيجان منذ عام فاقترحت عليه أن تزور المدرسة القديمة ، فوافق ، فناديت سائق سيارة فقال لى : « ألا تحب المشى ؟ »

قلت : « خفت أن لاتكون أنت تحبه ».

قال : « إنى أمشى أحياناً من « ليك فورست » إلى بيتى » — ثمانية أميال وهو فى الثامنة والسبعين !

وكان المستر باجيت فى صباح يوم سبت فى الربيع مرتديا ثياب العمل وهو يغرس بعض الشجيرات الصغار فى حديقة المدرسة، فأقبل رجال لهم سمت ، فى السيارات وكلموه ، فلما عرف أنهم أعضاء مجلس إدارة المدرسة فى « ليك فورست » الفنية اضطرب وقال : لو كنت أعلم أنكم آتون لما بقيت فى هذه الثياب »

فقال الرئيس : « إنما جئنا لأنك من ذلك الضرب من الرجال الذين يغرسون الأشياء فى حدائق المدرسة فى أيام السبت » وأخبره أن المجلس يطلب المستر باجيت بضعفى مرتبه فى ووكيجام . وهكذا ذهب فى سنة ١٩٠٤ إلى ليك فورست ، وظل هناك رئيساً للمشرفين خمسة وثلاثين عاما ولا يزال يلقى دروسه يومين فى الأسبوع .

ولما لم يكن يتقاضى سوى ٩٠ ريالا فى الشهر فى مدرسة ووكيجام ، فإن ١٨٠ ريالا فى الشهر فى مدرسة ليك فورست كانت أشبه بالثراء العريض . وقد أنفق فى أول شهر مائة ريال من هذا المرتب على شراء نموذج « للنصر المجنّح » ليضعه فى الردهة ، ولايزال النموذج قائماً . ولقد غنمت المدرسة كنزاً حين ظفرت بالمستر باجيت ، فزينها لهم من ماله لأنه لا يسعه أن يفعل غير ذلك .

وقد قدرته ليك فورست ، فأرسلته على سبيل الاعتراف بفضله ، فى رحلة إلى أوربا فى سنة ١٩١٠ ثم فى رحلة أخرى سنة ١٩٢٦ فاغتبطت نفسه بالرحلتين اغتباطاً عظيما . وزار المتاحف ورأى الأصول التى أخذت عنها الصور التى أحبها كل هذا الزمن ، وزار « المشاهد المشهورة » ، وجاب على قدميه الأرض التى وقعت فيها حوادث « الرؤساء الأسكتلنديون » . ولكن أعظم ما وقع له كان فى دبلن .

فقد وجد « شرفة باجوت » خارج « حدائق فينكس » ، ولما علم أن هناك أسرة باسم باجوت تشجع وزار القصر الذى يقوم فى أرض مساحتها مائة فدان ، فاستقبله رجل أنيق اسمه هنرى باجوت ، وهو مديد القامة أبيض الشعر ، فقال له جون باجيت حياء : إن تشابه الاسمين لفت نظره ،

وأن أسلافه جاءوا من إرلنـدة الخ .

وقد تبين أن هنرى باجوت عمه ، وأنه هو الأخ الأكبر لذلك الغلام الشارد الذى هاجر إلى أمريكا فى السادسة عشرة من عمره طلباً للثراء ، فانتهى بأن صار حطاباً ، ووالداً لجون باجيت . وقد بكى العم الهرم من فرط التأثر ، ثم عنف ابن أخيه على مسخ اسمـه وتشويهه ، وأخـذ بيده وأراه القصر وما احتوى من نفيس الصور من عهد النهضة ، وأراه حديقة باجوت وما فيهـا من عجائب النبات والزهر ، واصطحبه إلى كلية ترينتى وأراه حجرة باجوت ، وفيها صورة لعمته العليا ، وكانت رائداً للنساء المشـتغلات بالتربية . فالحق أن جون باجيت كان مصيبا حين ألهم فى صباه أنه من أرومة كريمة .

وقال لى وهو يشرح لى ذلك بلهجة الجد : « وهكذا ترى أنه لا فضل لى على الإطلاق ، فما عدوت أن ورثت حبى للصور والأزهار . وإذا كانت لى موهبة فى التعليم فإن هـذه أيضاً ملكة فى الأسرة »

۞۞۞۞

بين اينشتين وفتاة فى الثامنة

للعـالم الـكبير ألبرت اينشتين جارة فى بلدة برنستون — حيث جامعـة برنستون المشهورة — ولهذه الجارة ابنة فى الثامنة . وكانت هذه الفتاة تزور العـالم عصر كل يوم ، وعلمت والدتها بهذه الزيارات المتكررة فذهبت فى أحد الأيام إلى دار اينشتين لتعتذر له عما تسببه له ابنتها من مضايقة .

فقال العـالم : ولمَ تعتذرين ؟ إننى أغتبط بزيارتها أعظم اغتباط .

فقالت الأم : ولـكننى لا أدرك ما يؤلف بين عالم كبير وفتاة فى سن ابنتى .

فقال أينشتين : شىء كثير . إننى أستطيب حبوب الحُـلام الحلو التى تجيئنى بهـا ، وهى تنعم بطريقتى فى حلّ مسائل الحساب فى واجبها المنزلى .

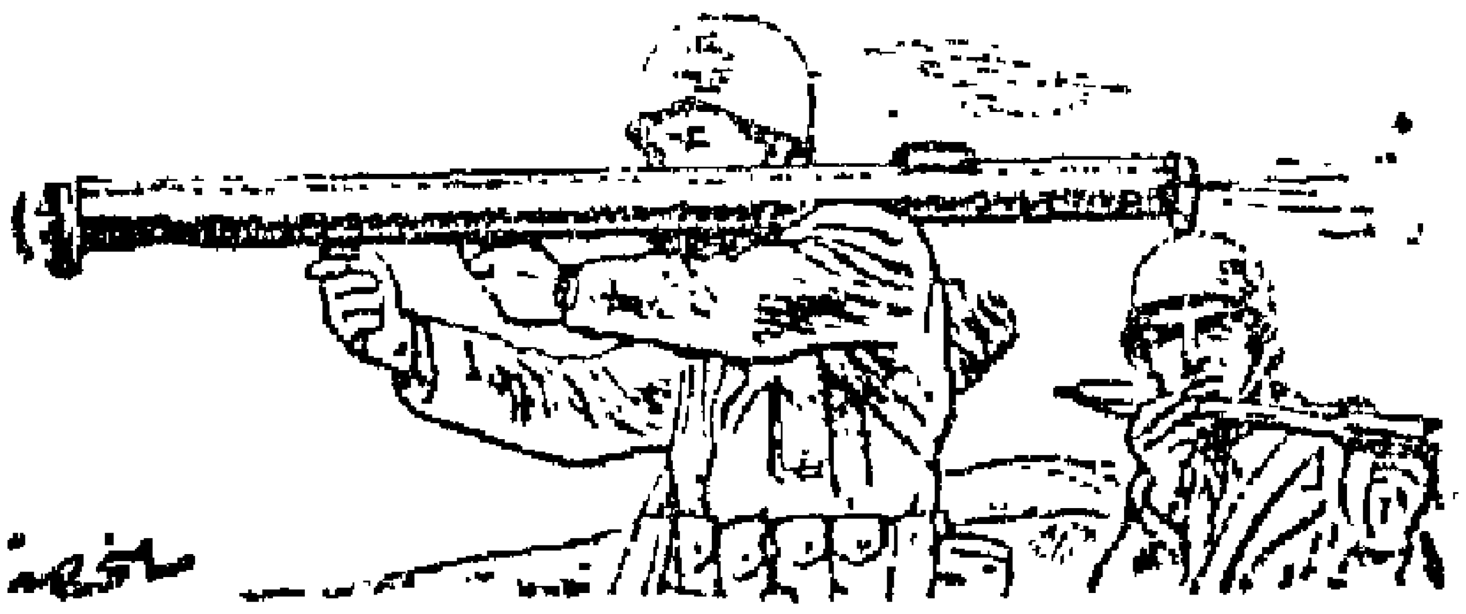
[لينرد ليونز فى « نيويورك پوست »]

تعريف

● الـكتاب النادر : هو الـكتاب المستعار الذى يُرَدّ .

الرصاصة التي تدفع نفسها





هارلاند منشستر

ملخصة عن مجلة « اميريكان ميركيوري »

منذ أشهر قليلة كانت القنابل المخيفة التي تنطلق من تلقاء نفسها إلى أسباب السماء ، ثم تهوى فتقوض المدن بموادها المتفجرة القوية الغامضة ، إنما هي تهاويل أحلام . أما اليوم فليس بمستبعد وجود مثل هذا السلاح كما يستدل على ذلك بالأخبار التي تتسرب من الخارج . فالصاروخ الحربي الذي نبذ من قبل لتعقده ، قد بعث من مرقده واقترب من الكمال .

وقد جاء من استوكهلم أن الألمان وضعوا بالقرب من كاليه على الشاطىء الفرنسي مدافع تحت الأرض لقذف لندن على بعد مائة ميل ، بقذيفة تزن عدة أطنان . ويقال إن لهذه القذائف أجنحة ، وأنها تسدد إلى مرماها بالراديو . وقد أذيع هذا النبأ على أثر خطبة لتشرشل رئيس الوزارة البريطانية تحدث فيها عن « القنابل الطائرة » الجديدة الغريبة التي استعملها سلاح الطيران الألماني في قتال سفن الحلفاء . ويظهر أن هذه القنابل الطائرة تسدد أيضاً بالراديو ، فتيسر للطائرات أن تهاجم السفن وهي على ارتفاع مأمون . ولكن بما أن القنابل الطائرة التي لا تصيب المرمى تسقط في البحر ، فإن تفاصيل تركيبها لا تزال مجهولة .

في خلال معركة تونس كانت ست دبابات تتقدم نحو الخطوط الأمريكية فأخطأت إحداها قذيفة ، فانفجرت بقوة هائلة مزقت شجرة كبيرة . فأصدر قائد فصيلة المحور أمره إلى جنوده بالوقوف وسلم من فوره قائلا في هدوء المحارب المحنك : « أما وقد أطلقتم على الدبابات مدافع من عيار ٦ بوصات فقد حان وقت التسليم » .

وعندئذ خرج جندي أمريكي فرد من مكمنه ، وعلى كتفه قطعة من ماسورة معدنية قد ركب فيها أجهزة غريبة . هذه هي (البازوكا) ـ أو المزمار ـ بندقية الصاروخ العجيبة التي قلبت بين عشية وضحاها وسائل الفتك بالدبابات .

حادثة واحدة فيما ذكر رسمياً عن هذا المدفع الجديد وتفوقه الباهر . وقد قال الجنرال ليفين كامبل رئيس سلاح المدفعية : « إن البازوكا سلاح بسيط ولكنه قوى حتى أن الجندى من المشاة يستطيع وهو يحمله أن يثبت فى مكانه ، وهو على ثقة بأن له السلطان القاهر على كل دبابة » .

ولكى تدرك خطر مدفع الصاروخ فى المعركة فاعلم أن القائد الألمانى كان يظن أنه إنما يواجه مدفعاً ضخماً من مدافع الميدان ، يحتاج إلى سيارة تزن سبعة أطنان لكى تجره ، وإلى أرض صلبة ليسير عليها ، وإلى أن يستتر بشتى طرق التنكير والتعمية ، وإلى عدد من الرجال يقومون بأمره . ولكن رجلا فرداً يستطيع أن يحمل البازوكا ، ويسعى بها إلى رأس التل ، ثم يرمى بقذيفة تنفذ فى الدروع ، ثم يعود أدراجه قبل أن يدرى العدو ما الذى أصابه . فهو مدفع من وزن الريشة يحمله ويطلقه رجل واحد .

والفتك بالدبابات ليس إلا أسلوباً واحداً من أساليب استعمال مدفع الصاروخ ، بل هو عظيم الأثر فى الأبنية من الصلب أو الجدران السميكة . ففى أثناء نزول جنود إلى البر ، منذ عهد قريب ، كانت إحدى القلاع الحصينة التى تشرف على الشاطئ ترميهم فى صنادلهم بوابل من الرصاص ، فخاض الماء إليهم جندى فرد ومعه البازوكا ، فما هى إلا طلقة فاتكة تخترق الجدار ، وإذا رجال الحامية بارزون رافعى أيديهم .

والسلاح الجديد هو البساطة كما هى : أنبوبة معدنية رقيقة الجدران طولها ٥٤ بوصة وقطرها ثلاث ، مفتوحة من طرفيها ، مجهزة بمقابض لليدين ومستقر على الكتف ، وكشاف كهربائى ، ودائرة كهربائية لإطلاق القذيفة . أما مؤخرها البارز من وراء كتف حاملها ، فهو الذى أوحى للماجور زيب هاستنجس الضابط بفرق تموين الجيش أن يسميها « البازوكا » باسم الآلة الموسيقية التى تشبهها . ويدير هذا السلاح الجديد فى العادة رجلان : يقف أحدهما من خلف ويولج الصاروخ ، على حين يشد الآخر الزناد الذى يقفل الدائرة الكهربائية فيشعل المادة المفرقعة فتنطلق القذيفة . ولا تلحق كتف حاملها إلا هزة خفيفة حين تنطلق القذيفة من فوهة الأنبوب .

وخلوص البازوكا ، وغيرها من مدافع الصاروخ ، من قوة الرجة هو سر امتيازها . فالفرق بينها وبين البندقية أو مدفع الميدان المألوف الذى تنفجر فيها الشحنة الدافعة للقذيفة دفعة واحدة ، هو أن مدفع

الصاروخ يستعمل هــذه الشحنة أو هذا الوقود تدريجياً فى أثناء اندفاع القـذيفة منطلقة إلى مرماها . فالقذيفة تحمل قوتها الدافعة معها ، وكل ما يفعله الجندى هو أن يبدأ الحركة . ويمكن حمل هذه البازوكا فى الغابات والمستنقعات والأراضى الوعرة التى لا يمكن أن تخترقها المدفعية المتنقلة . وفى وسع كل امرئ أن يمرن على استعمالها ، وهذا يعنى أن فى وسع الطلائع المستكشفة وسائقى سيارات التموين أن يحملوا معهم سـلاحاً نارياً فتاكا يسعفهم حين الحاجة إليـه على المرمى القريب .

ومع أن البازوكا هى أول مدفـع صاروخ يبلغ من خفـة الوزن مبلغاً يتيسر معـه لجندى واحد أن يحمله ويطلقـه ، فهو ليس أول مدفع من نوعه ظهر فى الحرب العالمية الثـانية . فالروس والألمان كانوا يجربون التجارب بالصاروخ الحربى منذ سنتين ، ولدى الروس الآن مدفع يسمونه (كاتوشا) له قوة المدافع الثقيلة ولـكنه خفيف حتى يتسنى استعماله وإطلاقه من سيارة نقل . وهناك مدفع روسى آخر يقال إنه يطلق بين ٢٠ و ٣٠ قذيفة دفعة واحدة ، فيمطر مساحة واسعة بقنـابل تخترق الدروع ، فكأنه بندقية صيد مع فرق القياس .

وقد استعمل الروس صواريخ بغير أنابيب تنقذف منها ، ففى المرحلة الأخيرة من معركة ستالينجراد نصبوا رفوفاً طويلة من قطع خشبية مائلة ، تنطلق من بينها قنابل صاروخية تزن إحـداها ٥٠ رطلا فترتفع ثم تهبط على العـدو بسرعة تعدل سرعة وضعها على هذه الرفوف ، ففتت فى عضد العدو وأضعفت قواه المعنوية .

ولقـد تنبأ الضابط ده سفرسكى منـذ حوالى عشر سنوات ، بأن مدافع الصاروخ ستستعمل فى طائرات القتـال ، ولعل ذلك سيكون أحد المستحدثات الكبيرة فى هذه الحرب . ويروى أن طائرات قتـال ألمانية مجهزة بهذا النوع من المدافع تصدت للقلاع الطائرة فى غاراتها الحديثـة فوق الأراضى الألمانية ، وأتلفت عدداً كبيراً منها . وكذلك تعزى خسارة ستين قاذفة أمريكية — وهو رقم قيـاسى — فى غارة أكتوبر على شوينفورت بألمانيا إلى مدافع الصاروخ .

ولقـد سبق الروس غيرهم فى استعمال القنابل الطائرة حين أطلقوها من طائراتهم المخصصة للفتاك بالدبابات (ستورموفيك) فلقبها الألمان لشدة فتكها «بالموت الأسود» . وكانت القنـابل تعلق فى الجزء الأسفل من الجناح ، وتسدد إلى مرماها بتوجيه الطائرة نفسها إلى الهـدف . وكانت الرماية محكمة

والقوذ فتاكة حتى قال الضباط الألمان إن طائرات منقضة تهاجمهم ، والحقيقة أن الطائرات الروسية جمعت بين قدرة الطائرات المنقضة على اختراق الدروع ، ودقتها في إصابة الهدف ، دون أن تهبط في طريق يسهل التنبؤ به ، فلا تكون كالمنقضات فريسة سهلة لنيران الدفاع .

إن المبادىء الأولى والاحتمالات الكامنة في استعمال الصاروخ سلاحاً ، معروفة منذ زمن بعيد . فقد اقترح المهندس الإنجليزى وليم كونجريف أن يتخذ الصاروخ «سلاحاً سرياً» ليقهر نابليون دكتاتور القارة الأوربية في أيامه ، فاستهزأ به رؤساء البحرية المحافظون ، ولكن سرعان ما ثبت أن لخرافات كونجريف خطرها وشأنها . فقد استخدمت لرمى ثغر بولونى بالقنابل من قوارب صغيرة على بعد ٣٠٠٠ ذراع ، وعمدت قوة إنجليزية ، عند النزول إلى شاطىء البلد المعروف الآن بيوغوسلافيا ، إلى استعمالها ، فكان من شدة فتكها أن لم تجد جنود نابليون المرابطة هناك مندوحة عن إلقاء السلاح وهى تجأر بالشكوى من أن السلاح الجديد سلاح غير شريف في الحرب . وقد ظل الصاروخ سلاحاً بحرياً هاماً إلى أواسط القرن التاسع عشر حين صرف الاهتمام إلى المدافع ذوات الماسورة الحلزونية والمدى البعيد .

ولم يكن لمدافع الصاروخ أى شأن في الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لم تكد تنتهى حتى تألفت جمعيات من الهواة في الولايات المتحدة وألمانيا والنمسا والروسيا واشتغل بعض أعضائها بتجربة إرسال صواريخ جوية لتكون الخطوة الأولى للاتصال بالسيارات من الكواكب ، فلقى بعض المتحمسين حتفهم أو فقدوا أصابعهم . وأنشأ مهندس حديث السن في قرية بالنمسا صاروخاً يحمل البريد ، فكان يرسل قذائفه فتتخطى الجبل فإذا ما نفد الوقود انفتحت مظلة وهبطت بالبريد إلى الأرض . وقد نجح نجاحاً تجاريا لأن هواة طوابع البريد كانوا يدفعون أثماناً باهظة في اقتناء طوابعه الخاصة .

ولكن الرجل الذى يستأثر بفضل هذه النهضة العالمية في تجارب الصاروخ هو الدكتور روبرت جودارد ، أستاذ الطبيعة في جامعة كلارك ، فقد أعاد الدكتور جودارد تصميم الصاروخ الضخم القليل الإحكام والفائدة على أسس علمية صحيحة . فوضع جهازاً يحفظ توازنه بطريقة آلية فيبقيه على الصراط في جو السماء ، ونبذ الوقود الصلب المسحوق ، وأتقن صنع خليط من البنزين والأكسجين السائل فاستبدله به ، وزاد سرعة الصاروخ من ١٠٠٠ قدم في

الثانيـة إلى ٧٥٠٠ قدم ، وزادت طلقتـه — باعتباره آلة مولدة للطاقة — من ٢٪ إلى ٤٠٪ وهو بذلك يفضل آلات الديزل التي تعد أكفأ الآلات المحركة .

وبعد جهاد مغمور دام عشر سـنوات نشر الدكتور جودارد أبحاثه فى سنة ١٩١٩ ولـكنه أخرجها للناس فى ثوب علمى جدى لا اندفاع فيه ولا تهويل ، فلم تسترع أنظار القراء . ومع ذلك فقد كانت هذه الأبحاث هى أسس الصور الهزليـة التى أذاعت تلك الأحلام الفاتنة عن إمكان الاتصال بالسيارات. فالصاروخ فى الفراغ أسرع منـه فى الهواء فلو تيسرت لنا قوة تكفى أن نرسل صاروخاً يعلو فوق طبقة الهواء التى تغطى الأرض ، فعسى أن يستمر منطلقاً لا تمسكه جاذبيـة الأرض حتى يبلغ القمـر أو المرّيخ أو أى مكان آخر .

واتصل بحث إرسال الصواريخ فى طبقات الجو فأسدى كثيراً إلى القذائف الحديثـة التى تستعمل الآن، وإلى تلك التى سيتمخض عنها الغد . فمنذ أربع سـنوات مضت تنبأ المـايجرج . ر . راندولف الضابط بسلاح الصيانة الأمريكى باستعمال البـازوكا ،وليس هـذا فحسب بل أثار عجب زملائه بتنبؤه بإنشاء فرق المدفعية الصاروخيـة .ومرمى هذه المدافع الصاروخية لا حد له من الناحية النظرية ، إذ ينعـدم الاحتكاك فى طبقات الجو العليـا . ويقول راندولف وآخرون إن قذف قنابل الصاروخ حول نصف الكرة الأرضية لن يكون أمراً مستحيلا ، ولـكن قـد تعوقه النفقـة الباهظة ، وقد تكون الرماية غير محكمة سديدة .

ومع ذلك فلن يتوقف مستقبل الصاروخ على الحرب ، إذ ليس قذيفة وحسب بل هو أيضاً آلة محركة عظيمة الطاقة ،غنية بما يرجى منهـا . فالألمـان يستعملون اليوم آلات صاروخيـة ليرفعوا بها قاذفات القنابل من طراز (دورنير) المثقلة بمـا تحمله . وقـد أعلنت وزارة الطيران البريطانية أن طائرات القتال ، التى تطير من سـطوح المراكب التجارية ، تقذف فى الهواء بقوة الصاروخ . وهـذا الاستعمال يتيح امتحان الطائرات المجهزة تماماً بآلات محركة صاروخية . وقد سـجل الدكتور جودارد تريبناً صاروخياً تبلغ سرعته ألف ميل فى الساعة فى طبقات الجو العليا . ويتقدم البحث فى الصاروخ تقدما سريعاً من وجوه متعددة . وقـد نـكون نحن اليوم فى مستهل عصر قوة الصاروخ المحركة . وعلى كل حال فإن القراء سـيقرأون شيئاً كثيراً منـذ اليوم عن « الرصاصة التى تدفع نفسها »

هـــذا ما كشفه دفـتر قصاصات عن امرأتين
حاربت إحداهما الأخرى ســنين



عــدوّتهـا صــديقتهـا

لويز ديكنسن ريتش • مؤلفـــة « أخذنا إلى البرية »

ملخصة عن « ومانز هوم كومبانيون »

انتقلت جدتى ومسز ولــكوكس ، وهما عروسان، إلى الدور المجاورة فى مين استريت، ذلك الشارع النائم المظلل بالشجر ، فى القرية الصغيرة التى كتب عليهما أن يقضيا فيها عمريهما . أما أنا فلا أدرى ما الذى شب الحرب بينهما ، ولا أعتقد أنهما كانتا تذكران سبب نشوبها حين ولدت أنا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين ســنة ، إلا أنهما ما برحت من يومئذ مستعرة .

لا تنس أن الأمر لم يكن نزالا شريفاً بين متبارين ، بل حرباً بين امرأتين ، فهى حرب شاملة بكل معنى الـكلمة . فما من شىء فى القرية نجا من أثر النزاع ، حتى الـكنيسة التى سلخت ٣٠٠ ســنة من الدهر نزلت إلى المعترك حين راحت جدتى ومسز ولـكوكس تخوضان معركة الانتخاب لهيئة معونة السيدات . ولقد انتصرت جدتى فى هــذه الموقعة حين انتخبت رئيسة ، واستقالت مسز ولــكوكس محنقة ، غير أنها ظفرت فى معركة المـكتبة العامة فعينت بنت أختها جيرترود أمينة بدلا من عمتى فيليس . فـكفّت جدتى عن قراءة كتب المـكتبة إذ أصبحت فى رأيها ، بين عشية وضحاها ، « أشياء وبيئة قذرة » . أما فى معركة المدرسة الثانوية فقد تكافأ المتنافسان، فقد وجد الرئيس عملا آخر خيراً من هذا ، فانطلق قبل أن تنجح مسز ولــكوكس فى إقصائه ، وقبل أن تنجح جدتى فى أن يوقف عليه هذا المنصب مدى حياته .

وعلاوة على هذه المعارك الهائلة ، كانت ثمة مناوشات ومخالسات خلف خط النار الرئيسى . فـكنا حين نزور جدتى ونحن صغار نجعل من بعض لهونا أن نسخر من أحفاد مسز ولــكوكس السخفاء ، وكانوا أشباهنا فى السخف كما أرى الآن ، وكنا نسرق العنب من وراء السور بدار مسز ولــكوكس ، ونصيد فراخها أيضاً . وكان يوماً مشهوداً يوم وضــعنا ثعباناً فى برميل المطر . وكانت جدتى تتظاهر بالاحتجاج ، ولــكننا كنا نشعر برضاها

الصامت عما نفعل، فننطلق فرحين نقترف ما نقترف من حماقات الطفولة.

ولا شك فى أن أحفاد مسز ولكوكس كانوا يثأرون منا، فدسوا فى بيت جدتى حيوانات خبيثة الرائحة. وما مرّ يوم عاصف أبداً من أيام الغسيل إلا انقطع حبل الغسيل بقوة خفية، فتتمرغ الملاءات فى الوحل، حتى ينبغى أن تغسل ثانية. ولعل بعض هذه الحوادث كانت قضاء وقدراً، ولكنها كانت تعزى دائماً إلى أحفاد ولكوكس. ولا أدرى كيف كانت جدتى تستطيع أن تحتمل هذه المتاعب لو لم تسرّ عن نفسها بما تكتبه فى صفحة التدبير المنزلى فى إحدى صحف بوسطن.

وكانت صفحة التدبير المنزلى تحتوى على شذرات فى الطهى ونصائح فى النظافة، ويخصص جزء منها لرسائل القراء. فإذا عرضت لك مشكلة كتبت إلى الجريدة رسالة موقعة بإمضاء مستعارة مثل «أريتس»، وهو اسم جدتى المستعار، فيكتب إليك نساء أخريات عرضت لهن نفس المشكلة يخبرنك بما فعلن، ويوقعن «سيدة تعلم» أو «زانتيب» أو ما شئت. فتنتهى المشكلة، ولكن يغلب أن يستمر التراسل بينهما مدى سنوات، فتفضى إحداها إلى الأخرى، على صفحات الجريدة، بأخبار أطفالها وسائر شئونها المنزلية

وظلت جدتى وامرأة أخرى تستعير اسم «سى جل» تتبادلان الرسائل مدى ربع قرن، وجدتى تفضى إلى سى جل بأسرار تكتمها عن كل إنسان: كساعة بدا الأمل يخامرها أنها توشك أن تحمل طفلا آخر، فلم يتحقق أملها. وكيوم عاد عمى من المدرسة وفى رأسه بعض ما يسوءك أن يكون فيها، وكيف شعرت بالذلة والهوان، وكيف نقته قبل أن يقف أهل القرية على خبره. وهكذا كانت جدتى وسى جل صديقتين حميمتين.

وحين كنت فى السادسة عشرة ماتت مسز ولكوكس. وأنت إذا ما كنت فى قرية صغيرة قضت عليك آداب المجاملة أن تهرع لترى أى خدمة تستطيع أن تؤديها لأهل الميت مهما بلغ مقتك لجارك الأدنى. فلبست جدتى إزاراً نقياً فوق ثيابها، لتبين أنها جادة فى بذل معونتها، وعبرت الطريق إلى دار ولكوكس، حيث طلب إليها بنات ولكوكس أن تأخذ فى تنظيف حجرة الاستقبال، وإن كانت من قبل نظيفة، لتكون مكاناً للمأتم. وعلى نضد فى حجرة الاستقبال وجدت دفتراً ضخماً ألصقت على صفحاته قصاصات فى أعمدة متوازية، هى ما كتبته سى جل وما تلقته من الرسائل على طول السنين.

وهكذا اكتشفت جدتى أن أعدى أعدائها كانت أحب أصدقائها إلى نفسها .

وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى أرى فيها جدتى تبكى . وما كنت أدرى عندئذ سر هـذا البكاء ، أما الآن فقد عرفت ، فهى كانت تندب السنين الطوال الضائعـة التى لا يمكن أن تعود أبدا . وفى ذلك اليوم بدأ يحيك فى صـدرى ما أومن به الآن إيماناً راسخاً :

قد يتراءى لك أن النـاس سـخفاء لا يطاقون ، أو أنهم بمكان من الخسة والنذالة والـكبر ، غير أنك لو تزحزحت عن مكانك عشر خطوات ، ورجعت تنظر إليهم نظرة أخرى ، فأنت خليق أن تراهم بمكان من الـكرم والسماحة واللطف . كل ذلك رهن بموقفك منهم حين تنظر إليهم .

[وعين الرضـا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا]

لمحات شخصية

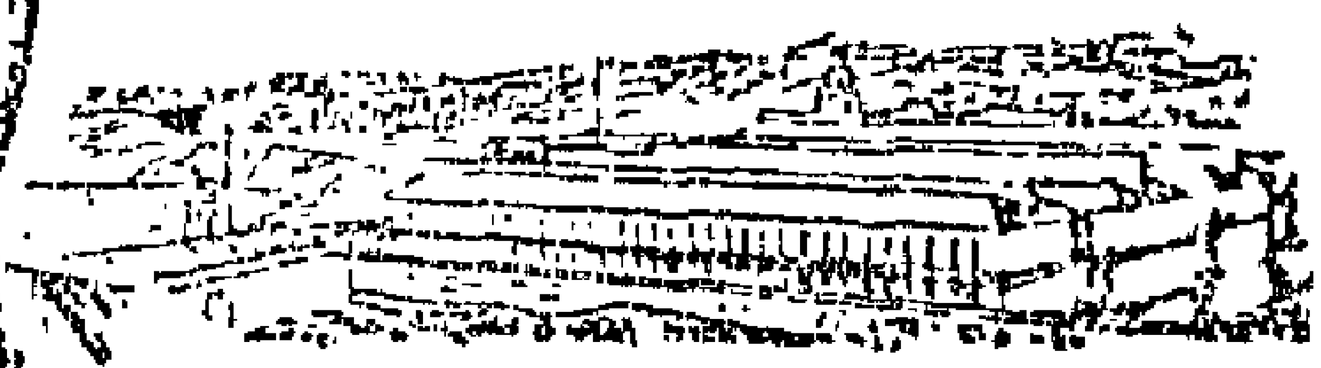
● ذهب صحفى إلى مقابلة كالفن كوليدج الرئيس الأمريكى الأسبق ليستطلع رأيه فى مسائل يومه فقال الصحفى : هل ترغب أن تفضى برأى فى مسألة تحريم الخمور . فقال الرئيس : لا . فقال الصحفى : وفى حزب الزراع ؟ فقال الرئيس : لا . فقال الصحفى : وفى محكمة العدل الدولية ؟ فقال الرئيس : لا . فهم الصحفى بالانصراف فاستوقفه الرئيس وقال : لا تضمـِّن مقالك اقتباساً ما مما قلت !

☆ ☆ ☆ ☆

● كان هيوجبسون سفيراً للولايات المتحدة فى وارسو عاصمة بولندة . وكان ذات يوم مريضاً ملتزماً الفراش ، إذ سمع عزفاً على البيانو فى حجرة الاستقبال . وكانت القطعة التى تعزف « أنشودة ضوء القمر » لبيتهوفن وكان العزف سماوياً لا يستطيعه من الموسيقيين المعاصرين إلا بادروفسكى — رئيس وزارة بولندة حينئذ . فنادى جبسون خادمه وقال : ادع رئيس الوزارة ليتفضل بالدخول . قال الخادم : لقد غادر الدار قائلا إنه إنما أراد أن يطلعك على أنه زارك !

سان كنتان سجن صفحات تاريخه ملطخة بالدماء، فصار معهداً يحتذى تحت إشراف مدير كان ابن أحد حراسه





سر "دفي" في سجن نموذجي

فرانك تايلور

لن تقع عيني على حديقة ذات أزهار بعد اليوم، إلا تذكرت حديقة معينة يسطع بهاؤها وشذاها على مكان عجيب. هذه الحديقة — وهي فدان كامل — هي أول مشهد يستقبل الرجال التعساء حين يجتازون السور الحديدي المتجهم لسجن سان كنتان المشرف على خليج سان فرنسسكو. ولقد رأيتها يوم زرت الرجل الذي ثار على أنظمة السجن، فهذبها وطبعها بطابع إنساني، وأعني به مدير السجن كلينتون دفي.

وينعت دفي نفسه «بالسجين المؤبد طوعاً» في سان كنتان، وهو ابن حارس سجن، ومولده في بيت صغير وراء الأسوار. ولقد ألف حراس السجن أن يخدموا أمه في دارها وحديقتها، فكان هؤلاء المؤبدون القدماء بعض من صحبهم كلينتون الناشيء من رفاق اللعب، فأحبهم حباً جماً.

وكان من بين رفاقه أيضاً فتاة صغيرة تدعى جلاديس كاربنتر، وهي بنت ضابط في حرس السجن، ثم تمر الأيام فإذا جلاديس وكلينتون عروسان.

إنها قصة غرام بين جدران السجن، فعاشا بعدئذ — كما يحدث في أقاصيص الأطفال — في حبور وسرور.

ولما بلغ كلينتون أشده عين كاتباً في إدارة السجن. وذات يوم في سنة ١٩٣٥ هرع أحد الحراس يصرخ بأن الاضطراب قد شاع في السجن، وكانت مأساة دموية قتل فيها سجينان وشنق اثنان غيرهما فيما بعد. ولم تكن هذه المأساة حدثاً جديداً في سجن سان كنتان، فإن جماع تاريخه سلسلة من الشغب والقتل والهرب، من العنف وسفك الدماء. وكانت سمعة هذا السجن أشنع سمعة بين السجون الأمريكية.

لم يكن في مقدور الشاب كلينتون دفي، وهو لم يزل بعد كاتباً صغيراً، أن يكبح ما في السجن من طغيان وقسوة وإحن دفينة، فينقي هذا الجو المكفهر الذي

يجثم على سان كنتان كما يجثم ضباب الشتاء وهو يتهادى فوق الخليج . ولكنه كان يعتقد أنه يعلم ما ينبغى أن يعمل .

مرت سنة ١٩٣٥ بثورتها الدموية فإذا بشؤون السجن تنحطّ من سىء إلى أسوأ، فقد توالى الشغب بين سكان السجن البالغ عددهم ٥٠٠٠ نفس : امتلأت حجرات الحبس الانفرادى ، وما من يوم يمر دون أن يضطر الحراس إلى اطلاق الرصاص . وأخيراً بلغ من سوء الحال أن أصبح لا مفر من إقالة المدير وجميع أعضاء مجلس الإدارة. وفى سنة ١٩٤٠ شكل مجلس جديد للإدارة واستدعى دفى بين يديه . وكان يومئذ رجلا فى الثانية والأربعين من عمره ، وديعاً ضامر الجسم ، ولم يزل بعد كاتباً صغيراً ، فلم يشك فى أنه سيطرد من عمله . ولكنهم طلبوا إليه أن يتولى إدارة السجن مؤقتاً ثلاثين يوماً إلى أن يختاروا مديراً أصيلا .

وهكذا وجد دفى نفسه فجأة رئيساً مؤقتاً لأشدّ سجون أمريكا بأساً ، وأصلبها عوداً، وأعظمها خطراً . ولكن الثقة كانت تملأ نفسه بأن الوقت الذى أُفسح له ، وإن يكن غير طويل ، إلا أنه قد يكفى لوضع حدّ لما فى سان كنتان من مساوىء وتعذيب وقسوة .

لم تكن تخفى على دفى خافية من أمور السجن ، فهو يعلم أىّ الحرّاس يظلم السجناء ويقسو عليهم ، ويعلم أمر هذه الدوائر الصفر أمام حجرات الحبس الانفرادى ، وكيف كان يؤتى بأهلها المساكين فيجبرون على الوقوف فى هذه الدوائر ساعات متتالية دون أن يتحركوا ، وكيف إذا خالفوا هذه الأوامر ، كانوا يُضربون ضرباً موجعاً بخراطيم من المطاط .

طرد دفى أسوأ الحراس سمعة ، ثم دعا سائر الحراس وتلا عليهم تعليمات المحافظة على النظام، وقال لهم إن سوء معاملة السجناء يجب أن تنتهى لساعتها ، فإنه وإن كانت رياسته غير دائمة ، فقد عزم على أن يدير السجن فى هذه الثلاثين يوماً إدارة إنسانية رقيقة مهذبة . فكان لهذا العمل دوىّ فى أرجاء السجن، وما لبث السجناء أن وصفوا صاحبنا الشاب دفى بأنه « ولد ابن حلال ».

فأخليت حجرات الحبس الانفرادى ، وبدلت الأرقام الكبيرة المرقومة على ظهور ثياب السجناء بأرقام صغيرة على جيوب القمصان كأنها « آية الاسم » . وأغرب من هذا كله أن المدير الجديد أخذ يتجول فى أرجاء السجن ومصانعه لا يصحبه حرس ، وهذا ما لم يسبق وقوعه من قبل .

مرت الثلاثون يوماً فتركت فى نفوس

أعضاء مجلس الإدارة من الأثر ما دعاهم إلى أن يطالبوا إلى دفى أن يبقى فى منصبه ستة أشهر أخرى .

أصبح من الجلى أن تبدلا شاملا هاما قد حل بالسجن فقد زال الغل المكتوم ، وزال ما تثيره القسوة من شغب ، وخلفتها فى هذا « السجن الكبير » روح إنسانية جديدة وشعور جديد بالعدل والرضى .

وبذلك تمت المعجزة على يد دفى ذلك الرجل الهادىء الوديع ، والمجاهد الصادق . واستجاب الرجال سراعاً لرقة حاشيته ودماثته ، فقدم ألفان وخمسمائة سجين طلباً يلتمسون تعيينه مديراً دائماً . ولم تكد تنتصف المدة المحددة لرياسته — وهى ستة أشهر — حتى عينه مجلس الإدارة مديراً أصيلا مدة أربع سنوات كاملة .

كان ذلك منذ ثلاث سنوات، والآن يمكن أن يطلق على (سان كنتان) اسم « السجن النموذجى » بدلا من « شر السجون » .

أوجز لى المدير دفى بعض فلسفته فى الجريمة والعقاب وقال: «لقد بلغ ابنى الحادية والعشرين من عمره ، لم يمسه خلالها عقاب بدنى قط ، ومنذ أن راهق وأنا لا أتوسل إلى تربيته إلا بحرمانه بعض ما يمنح من المنح الهينة . فهذه الفكرة البسيطة عن المكافأة والعقاب هى أول إصلاح صحيح قمت به هنا فى السجن . فقد أبطلت كل عقاب بدنى وتوصلت إلى توطيد النظام بمجرد حرمان الرجال منحهم المختلفة ، فمثلا ، إذا أذنب رجل نزعنا من غرفته سماعة الراديو بضعة أيام ، ونحاول أن نبصره بالخطأ والصواب ، ونحاول أيضاً أن نعود طبعه عادات كريمة محمودة .

وإياك أن تتوهم أن هذا السجن قد انقلب ملهى .. فليس هنا تدليل ولا ترفيه ، بل صراحة فى عدل . فنحن نحاول أن نعامل كل رجل على أنه نفس لها مشاكلها وهمومها . فهؤلاء الناس إنما هم بشر مثلنا سواء بسواء » . وجال بى المدير جولة فى السجن . مشينا وحدنا بلا سلاح بين آلاف من رجال عدهم الناس وقتاً ما من أخطر المجرمين ، ولكنهم أصبحوا الآن وهم لا تخفى صداقتهم لدفى . وكان المدير يعرف كل سجين تقريباً ، ونادى كثيراً منهم بأسمائهم ، وجاءه كثير منهم ليحادثوه .

هذا وقد وضع بالفناء الكبير صندوق للأسئلة ، ويذيع دفى كل أسبوع من راديو السجن أجوبة الأسئلة التى ألقيت فيه ، ويقول للسجناء : « إذا كان لا يرضيكم شىء فكاشفونى به ، فليس ههنا من أسرار » .

وينتدب السجناء رجالا منهم يجتمعون كل يوم سبت ليقترحوا ما يريدون إدخاله

على أنظمة السجن من إصلاح وكل مسجون يريد أن يشافه المدير ، فما عليه إلا أن يتوجه إلى مكتبه ، فلا يقف أمام حراس غضاب ، بل يستطيع أن يجلس ويحادث دفى من وراء مكتبه كما يحادث الرجل الرجل .

قابلنا مسجوناً من القدماء باسم الثغر يتهلل وجهه بشراً ، وأخذ يلوح لنا ببطاقة زرقاء — بطاقة الإفراج عنه — فسيطلق سراحه بعد يوم ، فما سعده ! لقد تعلم اللحام الكهربائي في مصنع السجن التدريبي وهو مصنع يعمل للإنتاج الحربي . وقال : «تصور أيها المدير أني لن ألبث حتى أكتسب دولاراً وأربعين سنتاً في الساعة الواحدة !»

حقاً من كان يتصور ذلك ؟ فبعد أن كان إنساناً ضالا مضيعاً عبئاً على الهيئة الاجتماعية ، إذا هو رجل حر ، ذو حرفة رابحة ، وقد استرد شعوره بالكرامة .

وكل رجل يغادر السجن يغادره وقد درب على عمل ينتظره في الخارج . ولعل بعض الفضل في هذا النظام يعود إلى الحرب ، إذ ما كادت تصل أنباء الهجوم على بيرل هاربر حتى أبدى السجناء رغبتهم في المساعدة . وتفوق سجن سان كنتان في إنتاج المواد الحربية حتى منحته الإدارة المشرفة على الإنتاج الحربي أولى شهادات تقدير الخدمات الوطنية .

وانضم ما يقرب من ١٢٠٠ سجين في سان كنتان إلى صفوف المتطوعين بدمائهم . واشتروا من سندات الحرب ما يزيد على ٣٠٠ ألف دولار ، جمع أغلبها من المال الذي يرسله إليهم أقاربهم لشراء السجائر وما إليها من ضروب الترفيه . وقاموا في الصيف الماضي بتصنيف ٨ مليون صندوق من المؤن لإرسالها إلى الجنود . ومع أن ما في كل صندوق منها ، لو بيع سرا في السوق السوداء لبلغ ثمنه مائة دولار ، فقد تم العمل دون أن ينتقص صنف واحد منها .

أريد أن أوضح هنا بجلاء أن دفى ليس بالرجل اللين المتساهل ، فهو لا يدلل السجناء ، بل هو لا يمنح السجناء إلا ما اكتسبوه اكتسابا . وإذا دخل السجن ضيف جديد حدثه دفى عن طريقته التي يجري عليها في العقاب والمكافأة . وهو يجعل السجناء جميعاً يبدأون في مصنع (الخيش) حيث العمل شاق ، ثم يتركهم يشقون لأنفسهم طريق الرقي إلى مدارس الحرف ، أو إلى المصانع الحربية ، وآخر ترقية هي الانضمام إلى جماعة عمال الحصاد أو الغابات أو الطرق ، ومأواهم خيام في الخلاء لا حراس عليها . ويقضي كل سجين الستة الأشهر الباقية حتى يطلق سراحه ، في العمل مع إحدى هذه الجماعات . وفي عامنا هذا ، إذ

قلت الأيدى العاملة ، تولى السجناء حصاد المحصول فى آلاف من الأفدنة ، ولولاهم لضاع هباء ، وكان الفلاحون يسمونهم « أولاد دفى » . وبسان كنتان مدرسة ليلية مفتوحة لكل من يظفر بحق دخولها من السجناء . وذلك بالجد فى العمل وحسن السلوك . ولما بدأت المدرسة عملها هز الأدعياء رؤوسهم ارتياباً ، وتنبأوا بأن السجناء ، وقد أذن لهم أن يغادروا حجراتهم ليلا ، سيتسلقون الأسوار ويهربون .

فما الذى حدث ؟ يوم أن ذهبت إلى سان كنتان كان بمدرسته الليلية ٨٥٠ تلميذاً هذا سوى ٤٥٠ آخرين يدرسون فى حجراتهم رغبة منهم فى أن يظفروا هم أيضاً بحق دخول هذه المدرسة . ولم يحدث قط أن أحداً منهم حاول أن يتسلق الأسوار ويهرب ! ويذيع سجن سان كنتان فى الراديو برنامجاً خاصاً به يسمى : « هنا سجن سان كنتان » . وكثيراً ما تجذب هذه الإذاعات عدداً من المتفرجين لا يقل عن ٥٠٠ شخصاً .

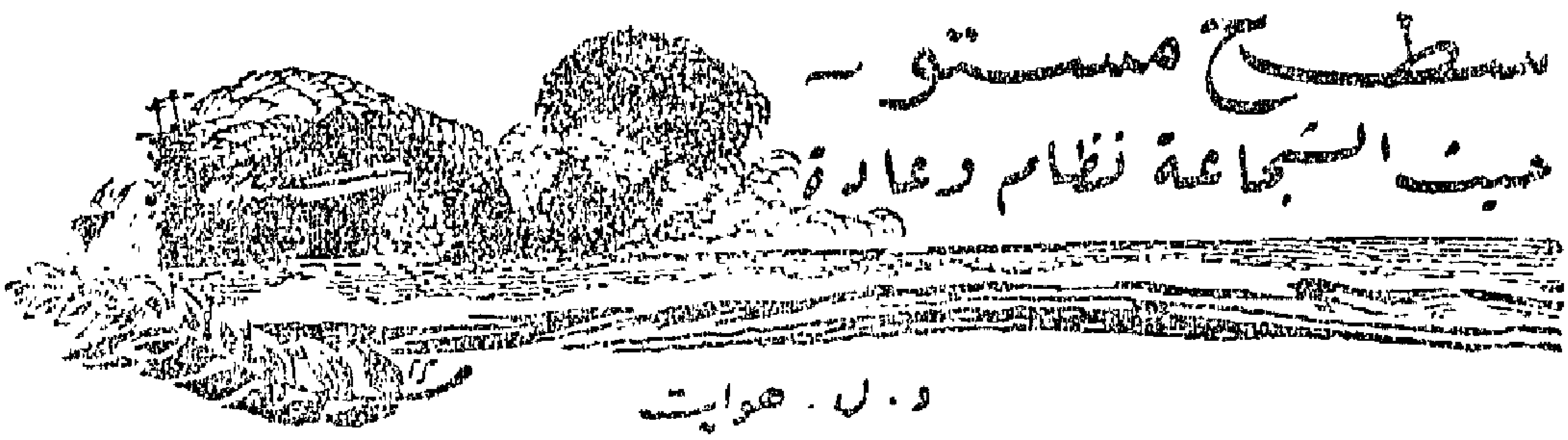
وبعد أن غادرت سان كنتان سمعت كيف دخل المدير دفى الجناح المخصص للمحكوم عليهم بالإعدام ، وأنبأ من فيه بأن قسيس السجن سيأتى إليهم ومعه آلة السينما وشاشة العرض ، ليتسنى لهم أن يروا لآخر مرة فلماً سينمائياً . فتملكتهم الدهشة ، ولكن سرعان ما جاء القسيس ومعه آلة السينما . وإلى جنب هؤلاء الرجال المحكوم عليهم بالإعدام ، وقد أخرجوا من حجراتهم وقعدوا لا حرس عليهم ، جلس ذلك المدير الهادىء الرقيق يتتبع مشاهد الفلم مع أولاده المساكين .

وقد كتب أحد هؤلاء الرجال المحكوم عليهم بالإعدام — واسمه وارين كرامر — إلى صحيفة فى سان فرنسسكو يقول عن هذه الأعجوبة :

« لا أشك فى أن أرواح أسلاف المدير دفى قد هبت من مضاجعها . . وأخص منهم أولئك الذين لم يجسروا على دخول هذا الجناح إلا أن تحميهم فرقة من الحرس فى كل خطوة يخطونها . أما هذا الرجل النحيف ، الناعم الصوت ، فإنه يجول وحده حيث شاء آمناً غير مرتاع ، لوثوقه بأن الذى يحميه ويحرسه هو محبة هؤلاء الآلاف من الرجال الذين أبى إلا أن يعاملهم معاملة بنى الإنسان لا معاملة الوحوش فى الأقفاص . وعما قليل سيأمر المدير دفى بإعدامى طبقاً للقانون . ولو خيرت لما اخترت غيره رجلا أموت على يديه ، فزادنا الله من أمثاله ! » .

وهذا ما أقوله أنا أيضاً ، وأدعو الله أن يزيدنا من أمثال المدير دفى : هذا الرجل الكريم النبيل النفس .

صورة تحرك الإعجاب للحياة والعمل على حاملة طائرات



د . ل . هوايت

مؤلف « المدمرات عتن كريعات » و« رحلة لمرجريت »
وغـــيرها من كتب الحرب البــارزة

كانت حاملة الطائرات الجديدة تنساب جنــوباً فى بحار اســتوائية خضراء ملساء متجهة إلى منطقة القتال ، ولـكن أثر محور الـسفينة فى الماء راح الآن يتقوس خلفنا ، لما شرعت السفينة تدور وتواجه الريح بمقدمها لتهبط الطـائرات على مؤخرتهـا . وكانت الطائرات حاملات الطوربيــد والقــاذفات المستطلعة ومعها المقاتلات الحارسة لا تزال بعيدة وراء الأفق ، تطوف فى المنطقة الواقعة أمامنا باحثة عن غواصات العدو . ولـكن المقـاتلات التى تحمينا وتحلق على كثب من السفينة قد أوشك وقودها أن ينفد ، فلا بد لها من الهبوط .

وكانت هذه قد أخذت تحوم فوقنا كأنها بنات الماء أتعبها خفق الجناح ، مترقبة أن يرفع لها العلم الأبيض .

فذهبت أعدو على سـطح المهبط اللامع المصنوع من الخشب المصقول ، ووقفت فى آخره أرقب الضابط الموكل بهبوط الطائرات يعطيها إشـارة النزول ، وهو نحيف يقظ كالكلب السلوق ، وعليه صدرية من الصوف برتقاليــة ، وفى يديه رايتان برتقاليتــان . وكان العلم الأبيض قد ارتفع فوق المرقب ، فصار فى وسع الطائرات أن تهبط .

وهى مهمة تتطلب حذقاً ودقة ، فإن هذه الطائرات تهبط بسرعة تقرب من مائة ميل فى الســاعة ، ولـكنها تواجه ريحاً سرعتها خمس وعشرون عقــدة ، على حين تكون الباخرة ماضــية فى نفس اتجاه الطـائرات بسرعة خمس وعشرين عقــدة ، فكأن السرعة النسبية خمسون . فلا بد من تحرى غاية الدقة .

وما زال بيننا وبين منطقة القتال مسيرة أيام عدة ، فالخطر ضئيل ، ولـكن لنفرض أننا تلقينا خبراً مــن دورياتنا بأن سرباً معادياً مؤلفاً من خمس عشرة قاذفة للطوربيد

تقترب منا ، وليس بيننا وبينها سوى مسافة تقطع جوا فى خمس عشرة دقيقـــة ، إذن لا يكون لنا ما يحمينا سوى هذه المقاتلات الطوافة الحوامة التى نفد وقودها . فهل يسعنا أن نجعلها كلها تهبط وتتزود من الوقود والذخيرة ، ثم نطلقها فى الجو مرة أخرى ، فى الوقت المناسب ؟ إن تأخيراً لا يتجاوز عشر ثوان على سطح المهبط قد تكون نتيجته أن تتمكن إحدى قاذفات الطوربيد العادية من رمينا بطوربيدها فتذهب هذه الحاملة الجديدة التى كلفت خمسين مليون ريال ، ومعها كل طائراتها .

وقد دارت أولى الطائرات على بعد ، ثم صارت الآن على ارتفاع قليل ، وأخذت تقترب من مؤخرتنا . فألقيت على الممشى الضيق الذى يمتد خارجاً عن السطح فوق الماء ، ووضع بحار المنظار على عينه وراح يرمق الطائرة ثم قال : «تدلت العجلات» ثم قال : «تدلى الخطاف» — حتى أنا أراه الآن — الخطاف الذى يتدلى من ذيل الطائرة المقاتلة والذى يجب أن يعلق بالسلك المتصل بجهاز يقف الطائرة ويصدها عن مواصلة السير ، وإلا مضت الطائرة فوق السطح فتصطدم بالطائرات المرصوصة أمامها .

وتدنو الطائرة فتكبر فى رأى العين شيئاً فشيئاً . ويرفع ضابط الإشارة العلمين البرتقاليين المستديرين فجأة فوق رأسه ليرسم حرف V — وبهذا يبلغ الطيار أنه أعلى مما ينبغى ، فنرى الطائرة تهبط .

والآن صار الطيار فوقنا تقريباً — ١٢٫٠٠٠ رطل من الألومونيوم والصلب تزأر وهى مقبلة علينا بسرعة خمسين ميلا فى الساعة . فأغطس أنا تحت مستوى الأرضية ، ولكن ضابط الإشارة يجب أن يبقى حيث هو إلى آخر لحظة ، وعند مايرتمى ظل الجناح على مؤخرة الباخرة يبدو الضابط كأنه يضرب عنقه بالعلم الذى يحمله . وهذا أمر للطيار بأن يقف المحرك ، ويدع الطائرة تهبط إلى السطح .

وتسمع زأرة ، وتحس لفحة هواء من دورة المروحة ، وتمضى الطائرة مرعدة على المهبط ، والخطاف متدل ليعلق بالأسلاك المشدودة التى لا ترتفع فوق الأرضية إلا مقدار بوصة ، ويخطىء السلك الأول ، فتنط وتتجاوز السلكين الثانى والثالث ، ثم يعلق الخطاف بالسلك الرابع ويشده ويمده ويجعله على هيئة الدال .

وعندئذ فقط ألاحظ أنى أنا — هناك فى المؤخرة — الوحيد الواقف . فإن الآخرين جميعاً قد التمسوا السلامة بالاختفاء ، حتى ضابط الإشارة قد غطس وغاب فى سلة صغيرة من الحبال مدلاة فوق البحر .

ويحدث أحياناً أن تنقطع السلوك فترتد الأطراف كأنها سياط من الصلب ، فلو أصابت عنق رجل لأطارت رأسه عن بدنه .

ولكن الأسلاك لم تنقطع ، فعادت الرءوس إلى الظهور على طول المشى الذى على طرف السطح ، ورجع ضابط الإشارة إلى السطح ، وابتسم لى ، وأومأ بإبهامه إلى سلة الحبال .

وقال : « انظر كيف وسعتها ؟ لما كنت أعمل على حاملة الطائرات الأخيرة — قبل هذه — كان ضابط الإشارة يتولى إنزال طيار حديث ، فاضطرب الفتى الطيار وأمال جناح الطائرة وهو يدخل ، وكاد يعصف بالضابط وما كان ليخطئه لولا أن الضابط وثب بسرعة ، وكانت وثبته من القوة بحيث تجاوز السلة وسقط فى البحر . ولم يكن لهذا قيمة ، فقد كان لابساً حزام النجاة ، فبعثنا بإشارة إلى أحدى المدمرات لتلتقطه . على كل حال أظن أن المرء حين يكون عليه أن يثب عن السطح ، يؤثر أن يتلقاه شىء أقرب من موجة على مسافة مائة قدم تحته » .

وصاح البحار ذو المنظار : « تدلى الخطاف » فهذه طائرة أخرى تدور دورتها الواسعة حولنا .

وصاح بحار آخر خلفنا : « السطح غير مهيأ » فرددنا عيوننا إلى السطح فرأينا أن الطائرة الأولى ما زالت عالقة بالترس .

فقال ضابط الإشارة : « أظن أنه يحسن أن أشير إلى الطائرة المقبلة أن لا تهبط » ورفع علميه البرتقاليين عاليين فوق رأسه ولوح بهما بسرعة يميناً وشمالا ، فمضت الطائرة تزأر فوقنا على مسافة مائة قدم .

وقال ضابط الإشارة : « إن هذا سيكلف الطيار الأول (الذى هبط بطائرته) كثيراً » ذلك أن طيارى هذا السرب بينهم رهان . وأحدهم يجلس هنا ومعه ساعة دقيقة ، ولكل طيار عدد معين من الثوانى يعلق فيها الخطاف بالسلك ، ويقف ، ويطوى جناحيه ، ثم يسير بطائرته إلى ما يلى الترس ليفسح للطائرة التالية فتهبط ، وهو يغرم ملليمين عن كل ثانية أخرى يقضيها عند الترس ، وتذهب الغرامات إلى صندوق المقصف . والطيارون يعلمون علم اليقين أنهم سيحتاجون إلى هذه الثوانى الإضافية فى الحرب .

وقال ضابط آخر ، هو الملازم بول بودويل : « ولكن الذين يعملون على سطح الباخرة يتوقف عليهم شىء كثير » .

فهز ضابط الإشارة رأسه موافقاً وقال : « إن على هؤلاء الرجال أشق مهمة فى أصعب مكان فى السفينة . وتصور أن تؤدى

عملك وأنت تزحف تحت أجنحة الطائرات المتلاصقة بدناً إلى بدن ، ومعظمها لا تزال مراوحها دائرة » .

* * *

وبرز رأس فوق السلم الذى يهبط إلى غرف الطيارين ، وكان رأس الضابط فرانك ويتاكر من سرب الطائرات المنقضة، فابتسم لى وصاح :

« استعدوا جميعاً للطيران » .

فغطست تحت الأجنحة على مدرج الطائرات ، واتقيت المراوح ، وصعدت إلى ماوراء مقعد المدفعى الذى معه الراديو .

وصار صوت المحركات التى سخنت ، زئيراً عالياً . وبدأ السطح يبدو لى كأنه ينزلق ، ثم لم يبق ثم سطح فيما أرى ، لأننا نرتفع بالطائرة ، فأنا أرجع البصر فأرى حاملة الطائرات تتضاءل ، وقاذفة طوربيد أخرى تنزلق على السطح لتحلق ، وتموج السماء موجاً رائعاً ونحن نرتقى فى الجو ، وأرى على بعد تحتى مدمراتنا التى تتولى حراستنا منتشرة أمام حاملة الطائرات تتشمم وهى تشق الموج ككلاب الصيد حين تتقدم الصياد ، ولا تزال تدس أنوفها فى العشب وتشم .

واختلجت السماعة على أذنى فسمعت صوت ويتاكر يقول : « هذه طائرتنا المقاتلة إلى الخلف » فمددت عنق فرأيتها على مقربة منا ، وهى حريصة على متابعتنا حتى كأنها جزء من كيان طائرتنا .

واختلجت السماعة مرة أخرى: « أتنوى أن تجرب هذه المدافع التى من عيار ٥٠ ؟ » وكان هذا صوت ويتاكر يسأل المدفعى فى برجه فوق .

« أنا مستعد ياسيدى » .

« يمكنك أن تقذف بعض رصاصات خطاطة من فوق هذه المقاتلة . لاترمها بقربها جدا . حسبك أن تعابثها قليلا » .

ومضت ثوان ، ثم جاء صوت الطلقات ورأيت الرصاصات المضيئة الخطاطة ترسم أقواساً فوق طائرة القتال ، فوثبت كأنها عصفور فزع ينقض عن سلك تليفون . وهبطت المقاتلة وترجحت تحتنا .

وسمعت المدفعى يضحك ويقول : « لقد أيقظناه ! وخذ حذرك ياسيدى فإنه سيكر علينا الآن ولا شك » .

فقال هو ويتاكر : « فلنهرب منه » .

وصرّ مقعدى حين ملنا فجأة لدورة صعودية : « سأدخل فى سحابة » وما هى إلا ثوان قليلة حتى صارت نوافذنا يغشاها الضباب الكثيف . ثم انحسر عنا ، وعدنا نبصر السماء الزرقاء والماء .

وصاح المدفعى : « هذا هو ! إلى اليمين

والأمام، وعلى ٥٠٠٠ قدم فوقنا — لقد رآنا — ها هو يقبل!».

وكان جناحا الطائرة المقاتلة يبدوان كشعرتين دقيقتين، ثم أخذا يكبران، وأنا الآن أرى مكان الطيار وخوذته اللامعة في ضوء الشمس.

وصاح المدفعي مرة أخرى: «خذ حذرك ياسيدى!» وتاوت القاذفة تحتى تاويا شديداً ولكن بعد الأوان، فقد رأيت فوهات المدافع في الطائرة المقاتلة قبل أن تنثنى هابطة وتذهب عنا.

وكان التدريب في هذا اليوم يحرك النفس تحريكا لا يكاد يصدقه المرء. وقد نحتاج قريباً إلى المهارة التي تفيدها هذه التداريب حين نواجه اليابانيين.

* * *

ووقفنا الخطاف برجة ليست أثقل من رجة الآلة الرافعة للبضائع في السفن، إذا أدرتها بغير إحكام. وثقلت وطأة الجو الاستوائى الحار الرطب، فسرعان ما نضوت بذلتي في غرفة الطيارين، وهى المكان الوحيد المجهز بآلة تكييف الهواء في السفينة.

ولما صارت ثيابي التي أرتديها في الطائرة على مشجبها، أدرت عيني فرأيت خرطوماً من الخراطيم العديدة لإطفاء الحريق في السفينة، ملفوفاً على رف فثملت وحدقت في صنبوره الغريب.

فرفع الملازم يوسف ج. بودويل (الأصغر) عينه إلىّ، وكان مضطجعاً على أحد المقاعد ذوات الوسائد وقال: «أحسبك لم تر مثل هذا من قبل. إنه صنبور الضباب — يطلق كرة ضخمة من الضباب تخمد النار على الفور. ولو كانت حاملة الطائرات «واسب» مجهزة بمثله لما بدأت الحرب لبقيت تمخر البحر وتقاتل(١). نعم فقد كنت على ظهر الواسب لما احترقت. وقد كنت أفكر فيها طول يومى هذا».

«وأنا أيضاً» قالها الملازم بدويل الذى هبط إلينا من سطح الباخرة: «ولن أنسى قط ذلك اليوم على ظهر «الواسب» وكنت واقفاً على السطح بجانب طائرة مقاتلة، وإذا بومضة عظيمة، ورجة فظيعة، فتقوض جهاز الهبوط في الطائرة التي كانت إلى جانبي ووقعت على بطنها، ولم أصرع أنا، ولكني كنت أترنح كأنما ضربت على أم رأسى، ومالت السفينة على جنبها الأيمن ثم اعتدلت.

---

(١) غرقت حاملة الطائرات «واسب» التابعة للولايات المتحدة في ١٥ سبتمبر ١٩٤٢، ضربتها غواصة يابانية بينما كانت قائمة بتغطية حركة النجدات والمؤن المرسلة إلى جزيرة وادى الكنار في جنوبى المحيط الهادى. وقد أنقذ من رجالها حوالى ٩٠ في المائة.

« وصار الدخان والنار يدخلان المرقب فوقف الربان الآلات ، وتلقيت أمراً بأن أدفع الطـائرات التي على مدرج الطـيران وألقيها من الجـانب الأيمن . وكان طرف مقدم السفينة يبدو كأنه يحترق كله ، وكان بعض النوتية يحتشدون في المؤخرة على مدرج الطـيران ، ويحمـلون الجرحى ويصعدون بهم . ولـكن رجالي في رقعتي من السطح كانوا من حسن التدريب بحيث كانوا يدفعون هذه الطائرات ويلقون بها في البحر كأنما كان هذا عملا عاديا .

« وكنا نسمع انفجاراً في إثر انفجـار تحتنا في الحظيرة . فقد كانت هناك طائرات موسوقة قنابل زنة ألف رطل ، أو قنابل أعماق ، وكذلك كانت طائرات الطوربيد مزودة بذخيرتها » .

وقال بودويل : « ذلك هو المكان الذي كنت فيـه . وقد اتفق في الساعة الثانيـة والدقيقة الخامسة والأربعين ، أن كنت في المكتب معنيا ببعض الأوراق ، وكان هناك ثلاثة من المتطوعين عراةً إلى الخصر يلعبون على الأرض وإذا برجة فظيعة فانطفأت الأنوار وبدأ الدخان يدخل ، وذهب أحدهم يعدو إلى غرفة المدفعية ، فوقعت عليه خزانة كبيرة وسمرته إلى الأرض .

« ثم شبت النـار ، وسرت مع خط خراطيم الوقود على السطح . وارتفع لهبها حول الهيـكل الفوقاني . ثم سمعت صوت أعز أصدقائي ، وكان قد صار في سجن من الغرفة التي كان فيها ، فقد أوصد الانفجار بابها الحديدي ، ولم يكن ثم أمل في فتحه ، وكانت ألسـنة النـار تضطرب حول الغرفة وهو يصرخ ويصيح : « أنقذوني من هنا ! » من نار البترول ودخانه ! لقـد كان خير صديق لي ولـكنه لم يكن يسعني شيء .

« وفي الحظيرة ، وجدت كل الطائرات تضطرم وقنـابلها تنفجر والشـظايا تتطاير في كل ناحية . وكان هذا مروّعاً ! وألفيت ضغط المـاء منخفضاً إلى حد لم تعد معه الرشاشات الآلية صالحة للعمل .

« ونظمت ثلاث فرق لمـكافحة النـار ، وكلفتها أن تذهب إلى هـذه الطائرات وتحاول إطفاءها . ولـكن هذا لم يجد شيئاً لأن تدفق الماء كان يزيد النار امتداداً .

« وكان الانفجار في الطائرات التي في الحظيرة يفتح أنابيب الوقود ويسيله ملتهباً إلى الركب . وكان بعضنا لا يزال يعالج إخماد النار والبعض يلقي بنفسه في البحر ، وإن كنت قد حاولت أن أستبقيهم ليعملوا ، فما كنا تلقينا أمراً بترك السفينة . ثم إذا بانفجارات عنيفة من المقدمة عرفنا أنها من المخازن » .

وقال بدويل « وبعد ذلك مباشرة انفجار

من مخزن الذخائر للمدافع من عيار ٥٠ر٠ كان فى أسماعنا أشبه بأصوات الاحتفال العتيق الطراز بيوم ٤ يوليه .

« ولما جاء الأمر من الربان بترك السفينة كان مئتان من الرجال قد ألقوا بأنفسهم فى الماء لأن النار أدركتهم ، فاضطروا إلى الوثوب . وكان آخرون قد مزقوا مظلة واقية شرائط مستطيلة، وربطوا بعضها ببعض واتخذوا منها حبلا شدوا أحد طرفيه إلى قضيب فى الممشى . وكان الطرف الآخر يهبط إلى مستوى الحظيرة ، ومن هناك يجب أن تتخلى عن طرف الحبل وتسقط .

« والذى لن أنساه أبداً هو تلك المئات من الأحذية . فقد كان كل واحد يخلع نعليه ويضعهما بعناية واحداً لصق الآخر على مدرج الطيران، وأحياناً يصل رباطى الحذاءين حتى لا يتفرقا . فلماذا كل هذه العناية وذلك الحرص ، وأنت لو فكرت خليق أن تدرك أنك لن ترى حذاءيك مرة أخرى ؟ إن هذا يريك ما يصنع التدريب » .

وقال بوديل « الذى لن أنساه أنا هو الأميرال . فإنه لما جاء الأمر بمغادرة السفينة مشى وسط النيران واتخذ مكانه المعهود . وكان نظيف الثياب ، يرتدى ملابس طويلة تحتية من صوف ، وقدماه فى صندلين مما يلبس فى غرفة النوم ، وعليه سترة طيران ، وخوذة طيار ، وعلى عينيه نظارة .

« وقد هبطت على شبكة البضاعة وألقيت بنفسى فى البحر ، ثم كابدت أول إحساس بالجزع ، فقد كان بعض هؤلاء الشبان الأغرار لا يثقون بمناطق النجاة ، فبدلا من أن ينأوا عن السفينة ، راحوا يتشبثون بها ويتعلقون بأظافر أصابعهم بصفحة جانبها ، وهذا شر ما كان يمكن أن يصنعوا . ورأيت شاباً يبكى وهو فى الماء. فقد أصاب ساقه الخدر ، فقنط من النجاة ورؤية أهله ، فسحبته إلى طوف.

« وكان الضباط يجمعون البحارة ويقسمونهم فرقاً ، ويحملون الجرحى على الأطواف حتى لا تجتذب دماؤهم كلاب البحر. وفى هذه اللحظة بصر الطراد جينو ، وكان قريباً ، بغواصة ، فذهب فى أثرها بأقصى سرعة وصب عليها وابلا من قنابل الأعماق وتالله ما كان أروع ذلك وأشرحه لصدورنا ! »

وقال بدويل : « جعلت أسبح بكل ما أملك من قوة لأنأى عن السفينة ، وكنت أخشى فى كل لحظة أن تنفجر مخازن الطربيد ، وكانت النار تمتد بسرعة لأن أنابيب الوقود لم تصف مما بقى فيها بعد تزويد الطائرات بالوقود ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث فى حاملة الطائرات هذه » .

وقال بوديل : « وما لبثت المدمرة أن التقطتنا جميعاً فقعدنا على سطوحها ، وراقبنا

« الواسب » وهى تحترق ، وكنا نستطيع أن نرى حطيرتها كلها وهى تنشق وتتبدّى خيل إلينا أنها مسرح أقيم فى الجحيم .

« وعند الغروب أصدر الأميرال أمره بقذفها بالطربيد ، فأصابها فى وسطها ، وكنا قعوداً على سطح المدمرة ، وأعيننا عليها ، وقد غرقت من فورها ، بمقدمها أولا ، ولكن بإباء وعناد . وقد لبثت أنظر إليها حتى انقلبت ، ثم لم أستطع أن أواصل النظر ، فنهضت وغبت فى أنحاء المدمرة .

« ولكن هذه لم تكن النهاية ، ففى صباح اليوم التالى حوالى الساعة الحادية عشرة ، وقفت آلات المدمرة ، ورأيت العلم ينكس فعلمت أنهم يقيمون صلاة على أرواح الموتى وأن الجثث مخيطة عليها أكفانها البيض ستلقى فى اليم . وكرهت أن أرى ذلك ، ولكنى وأنا أنظر إلى المدمرة الأخرى كنت أرى على خط الماء الرشاش الأبيض الذى يحدثه سقوط الأجسام فى الماء ، فى نفس الوقت الذى كانت تلقى فيه الجثث عندنا » .

وما كاد بوديل يقول هـذا حتى نهض فجأة وغادر غرفة الطيارين دون أن يتلفت . وفى تلك الليلة ، وبعد ساعة من العشاء ، كنت أحادث الكومندر باجدانوفتش ، وكنت قد رأيته مع عدد قليل من الضباط فى الركن الآخر من المقصف الكبير .

فقلت له : « أستأذنك لحظة ، فإنى أريد أن أتحدث إلى بوديل » .

فقال باجدانوفتش : « مهلا ، لو كنت مكانك لما ذهبت إليه هناك ، فإن هذه الجماعة من رجال (الواسب) » .

قلت : « إنى أعرف معظمهم فلا ضير إذن » .

قال بلهجة الحزم : « بل هناك ضير . وقد تعلم أن الواسب غرقت منذ عام وهذا يوم ذكرى غرقها . وقد تواعد رجال الواسب أثناء العشاء على الاجتماع ، فى هذه الليلة وحدهم ! » .

أوصاف :

- إنه أدنى إلى أن يزيد الحديث حرارة لا ضوءاً [ودرو ويلسون]
- عقل غير مستقر كالهُلام [روث سانبورن]
- إن ذاكرته كذاكرة المرآة [برايفن دابار]

يسهل على المرء أن يعيش على مرتب صغير إذا هو لم يسرف فى الإنفاق على أن يحفظ مرتبه سراً مكتوماً ! [مجلة كابر الأسبوعية]

القنفذ حيوان شائك ومسألة شائكة :

القنفذ.. علامة استفهام الغابات



ألن ديفو

ملخصة عن مجلة « كنتري جنتلمان »

القنفذ أصغر من القندس ، ولكنه يحمل من السلاح الفتاك ما يكفى لقتل نمر (سبع الجبل) . وهو هادئ الطبع مبغض للقتال ، فيتقدم إلى المعركة سائراً إلى الوراء . وهو متين الخلق حتى إنه ليمضى فى طريقه برغم إطلاق الرش عليه مراراً ، ومع ذلك تقتله ضربة واحدة من عصا على طرف أنفه المرهف الإحساس .

اسم القنفذ بلغة العلم « أرتيزون دُرساتوم » ومعناه « الظهر السريع التأثر » . ولكن مهما يكن اسمه ، وأين كان موطنه ، فهو تحفة نادرة من تحف الطبيعة فى معرض عجائب الغابات .

هو حيوان قارض غليظ الجسم مفرطح الوجه ، يبلغ طوله ٣٠ بوصة ، وطول ذيله ست بوصات ، ويتفاوت وزنه بين ١٥ و ٢٥ رطلا . فى رأسه وظهره وذيله العضل القوى كنانة نبتت فيها سهام مريشة ، فتصلصل حين يمشى كما تصلصل جعبة من السهام . وسهامه ريش أجوف كالأنبوب ، رقيقة المغرز فى الجسم حتى تكاد تتهافت على أدنى اللمس . وهى محددة الأطراف ، ويغطيها شوك كثير قاطع كالأسل ، وهى من مادة قرنية ، فإذا ما غرزت فى جسم الفريسة الدافئ الرطب أخذت تنتفخ ، ويقف الشوك الذى يغطيها ، ثم تمضى تنغرز فى الجسم .

وما يتسم به القنفذ من سمات خاصة إنما هو على الغالب نتيجة لما أغدقته عليه الطبيعة من أسباب الحماية . فهو لا يحتاج إلى ذكاء حاد ، ولا إلى قوائم سريعة الحركة . فهو يقضى حياته هائماً كأنه يمشى الهوينا ، وقد يلبث نهاراً كاملا فى شجرة لا يبرحها إذا استطاب طعم لحائها ، أو يجوس وادعاً خلال العشب تحت الشجر ، وهو يلغط بضروب من الأصوات بين نفخ وصراخ وثرثرة وقُباع ، محدقاً بنظرة كليلة بلهاء فى كون لا يستطيع أن يناله بأذى . فإذا سقط فى الماء أبقاه الهواء الذى يملأ سهامه عائماً لا يغرق ، كأنه قطعة من الفلين . وإذا هوى من شجرة ، كما يهوى أحياناً ، خففت سهامه عنه شدة الصدمة . فلا عجب فى أن

تكون سمته سمة المستفهم المتعجب ، فهو بها خليق .

وقلما يختلف سلوكه إذا ما قطع عليه خصم جدول حياته الرقراق ، فهو يخفي رأسه إذا استطاع تحت جذع من الخشب ليحمى أنفه الرقيق الحساس ، ثم يضم قوائمه لابداً بالأرض ليحمى بطنه العارى غير المسلح ، ثم يشرع سهامه حتى يبدو كأنه مغرز دبابيس ، ويصير حجمه البادى ضعف حجمه الطبيعى ، ويضرب بذيله ضرباً قوياً يميناً وشمالا . فإذا كان الخصم فطناً أسرع فابتعد عنه .

ولكن إذا حاول كلب أو وشق (سبع من فصيلة السنانير قتال سفاك للدماء) أو رجل أن يطبق عليه ، فعندئذ يضربه القنفذ بذيله فيغرز من سهامه عشرين سهماً حاداً فى جسم المهاجم ، وضربة واحدة كافية أن تذود عنه ، حتى الدب . فإذا أبى العدو أن يتزحزح عن مكانه ، أخذ القنفذ « يتقدم » فيسحب رأسه من مخبئه ، ويخفيه تحت جسمه على قدر ما يستطيع ، ويتقدم إلى المعركة مرتداً إلى الوراء ، وذيله يضرب ضرب المغيظ المحنق ذات اليمين وذات الشمال ، ويظل يرتد حتى يبلغ أدنى شجرة إليه فيتسلقها غير مضطرب ، ويعود يقضم الأغصان كدأبه كأن لم يحدث شىء . ومع أن سائر الحيوانات تحذر القنفذ وتتجنبه ، فقد وجدت ثعالب وذئاب وهررة برية ونمور ودببة وهى ميتة فى الغاب ، قد قتلتها سهام القنفذ .

وليس فى وسع القنفذ أن « يقذف » سهامه ، ولكن السهام رقيقة المغرز ، فإذا ما طوّح بذيله انقذف منه بين الحين والحين سهم يمضى كأنما قذف عن وتر مشدود . وما يفقده القنفذ من السهام يستجدّه فى بضعة أشهر ، وليس فى هذا بأس عليه ، فعشرة سهام تكفى كى يذود ثعلباً ، وعشرون ترد الهر البرى وهو يعوى ويتضور من شدة الألم . هذا وفى كنانة القنفذ عشرون ألفاً من السهام .

وأكثر ما يلتمس القنفذ طعامه فى الليل ، ولا يرحل فى طلبه إلا أقصر رحلة تنبغى له ، وقد يقضى شتاء كاملا فلا يتجاوز أرضاً مساحتها فدانان ، وقد يقتصر خلال الفصل كله على ثلاثة أشجار أو أربعة أشجار . وهو يستوى دائماً فى فرجة بين جذعين أو غصنين كبيرين ، حيث يطيب له المقام ، ويأكل من لحاء الشجر ما كان فى متناوله لا يكلف نفسه مؤونة الحركة .

ولكنه لا يضن بجهد يبذله فى سبيل الأغصان الغضة . وأسلوبه فى ذلك — وهو أسلوب ينطوى على المكر والدهاء — أن

يجمع أغصاناً رقيقة كثيرة ، ويضم بعضها إلى بعض بعناية لكي تحتمله مجتمعة فلا تنوء به ، ثم يسير عليها بأقصى مايطيق ، ثم يثني رءوسها نحو مخالبه القوية ويقضمها ملقياً بأطرافها الغضة فى فمه ، كما يفعل أحدنا وهو يأكل كوزاً من الذرة .

وتعترى القنفذ نوبة غريبة تجعله يعول بغتة إعوالا طويلا أليماً ، شبيها بعويل طفل نائم على دبوس يخزه . فإذا انتابته ، جثم مستريحاً مطمئناً على رأس شجرة ، وليس فى وجهه تعبير ما ، ثم يصيح ويصرخ ساعة أو نحوها .

ولعلّ أغرب أطوار القنفذ ما يعتريه من جنونه بالملح ، فهذه الشهوة تدفعه فى سواد الليل مترنحاً تقعقع سهامه إلى منازل الناس فى الغاب ، فإذا وجد الزبد أكله كله ، وإذا لم يجد إلا وعاء الزبد المصنوع من الخشب مضغه ليتلذذ ببقايا ملح الزبد العالق بالخشب . وقد يقرض مقابض الفؤوس طلباً لطعم الملح العالق بها من عرق الحطابين . وقد استيقظ غير واحد من الحطابين فى الليل البهيم على أصوات غريبة تترامى إليه من الخيمة التى تحفظ فيها المفرقعات ، فإذا فيها قنفذ يأكل أعمدة الديناميت !

وقد روى إينوس ملز العالم بالتاريخ الطبيعى ، وصف معركة بين قنفذ وظربان (وهو حيوان خبيث البطن منتن الرائحة ، إذا أطلق ما فى بطنه على خصمه أسدره وحيره بخبث رائحته) . وكأن كلا الخصمين كان يعلم بالفطرة ما السلاح المخيف الذى فى حوزة خصمه ، فيحجم عند بدء المعركة . وكان صبر القنفذ أعظم من صبر الظربان ، وإذا الظربان يقذف سائله الخبيث ، وإذا الرد لطمة قوية من ذيل القنفذ ، فانتهت المعركة . وقد ظلت الرائحة الكريهة عالقة بجسم القنفذ بضعة أيام ، ولكن جسم الظربان العارى كان قد أثخن بخناجر القنفذ المرهفة فلم يعش طويلا .

والقنفذ يكسب معظم معاركه بمثل هذه السهولة خلال عشر سنوات أو اثنتى عشرة سنة من حياته . وقد يتمكن حيوان من طائفة ابن عرس من أن يقلبه على ظهره أحياناً ويعض بطنه حتى يقضى عليه . والقنافذ فى الولايات المتحدة تعيش فى مناطق معينة يحميها فيها القانون . والقانون يحميها لأن القنفذ هو الحيوان الوحيد الذى يسهل قتله على رجل غير مسلح تائه فى الغابات ، فضربة من عصا على أنفه الحساس تكفى للقضاء عليه ، وتمد الرجل بقطعة من لحم غليظ خشن ولكنه وافر الغذاء .

والقنفذ لا يميل إلى أن يعيش فى جماعات وأسراب ، ولكن بقاءه وتكاثره دليل على

أنه لا يؤثر العزلة كل الإيثـار . ووقت لقاحها فى شهر أكتوبر وتضع صغارها فى شهر إبريل التالى . وأنثى القنفذ تبلغ ٣٠ بوصة طولا ، ومع ذلك فطول وليدها يبلغ إحدى عشرة بوصة . فوليد القنفذ أكبر فى الواقع من وليد الدب الأسود . وهو مدجج من قبل ولادته بسهام طول أحدها نصف بوصة ، ولقد ظل رجال الغابات سنين وهم فى حيرة يتساءلون عن مشكلة ولادة هذا النوع الشائك من المواليد .

وهم يميلون كذلك إلى التكهن بالأساليب التى يتبعها هذا الحيوان الشائك فى لقاحه . فهنود الغابات الشمالية يقولون إن الأنثى تتعلق بغصن صـغير ، وتدلى رأسها إلى أسفل ، فيدنو منها الذكر من فوق بطريقة عجيبة . وهناك آراء أخرى كثيرة . ولـكن الحقيقة هى أن القنافذ تتلاقح كسائر الحيوان من ذوات الأربع .

ولـكن مهما تـكن الطريقة التى يتم بها لقاح القنافذ ، فإنها تفضى أحياناً إلى عواقب تستوقف النظر وتصح أن تكون خاتمة عجيبة لحياة كلها عجب . فقد تنسى الأنثى أن تضم سهامها إلى جسمها ، حين يقبل الذكر عليها باذلا لها حبه وحنانه ، فتطعنه سهامها فيموت ! .

فن الحياة

● أكبر مفلس فى الحياة هو من فقد حماسـته ، ولو فقد كلّ شىء ما عدا الحماسة ، لجاز سنوات الخيبة إلى النجاح . [هـ . و . ارنولد]

● السعادة طيب لا تسـتطيع أن تضمّـخ به غيرك بدون أن تنثال منه قطرات عليك . [ايمرسون]

● كلُّ إنسان يستطيع أن يحتمل نفسه ، يسـتطيع أن يحتمل كل شىء فى الحياة . إنه يستطيع أن يعيش بغير رجاء أو أصدقاء أو كتب أو موسيقى ، ما دام قادراً على أن يصغى إلى ما تهتف به نفسه أو إلى أغرودة طائر خارج نافذته أو إلى هدير البحر البعيد . [أكسيل مونتى فى « قصة سان ميشيل »]

الرجال الذين يواجهون الموت
يحسون أن الله قريب منهم

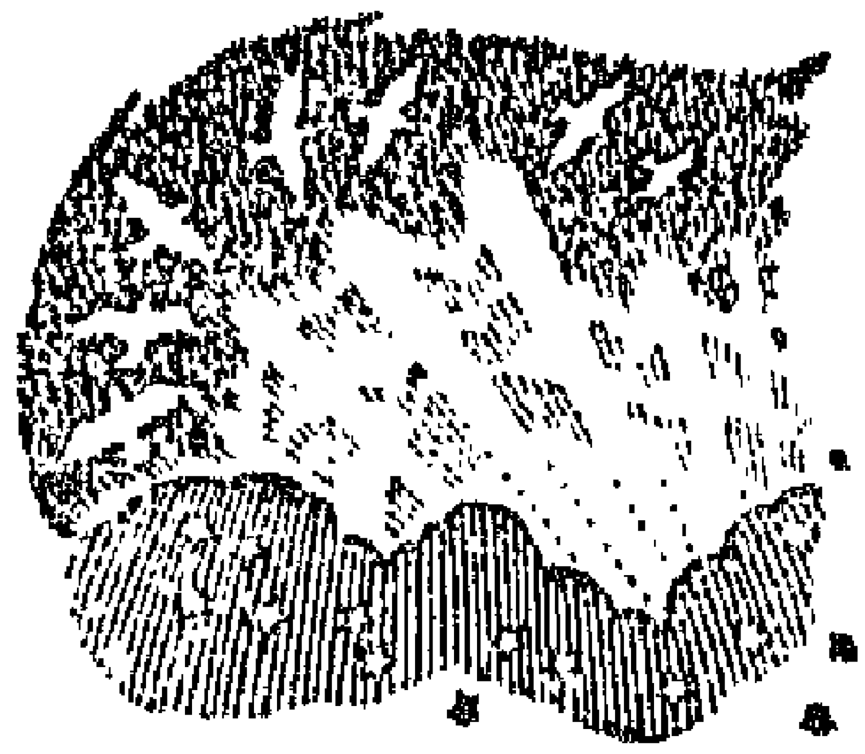
الله في الجو أيضاً

فردريك سوندرن

ملخصة عن مجلة « حقائق الطيران »

كان طيار إحدى قاذفات القنابل يصف لنا عودته من إحدى الغارات . لم تكد الطائرة تمس الأرض وهي تهبط ، حتى سمع دوي هائل ، وذلك أن إحدى ممسكات القنابل لم ترسل قنبلتها على الهدف ، فظلت القنبلة في مكانها ، ولم ينتبه لها أحد ، حتى أسقطتها رجة هبوط الطائرة على الأرض . فانفجرت على مدرج المطار ، والتهبت الطائرة كأنها شعلة .

قال الطيار : « لم أكن فقدت الوعي . فحاولت الخروج من الطاقة الصغيرة المجاورة لمقعدي . وكان اللهيب يلفح ظهري ورجلي . فتمكنت من الخروج بنصف جسمي ، ولكن المظلة المثبتة فوق ظهري عاقتني ، فاضطررت لأن أعود إلى النار ، وأن أحاول إخمادها ، فلم أستطع . ولم تلبث أصابعي أن خدرت . وآخر شيء أذكره أني صحت : « رباه ! أعنّي بفضلك ! » .



ولما ثابت إليّ نفسي ، ألفيتني ملقى على الأرض ، والطبيب إلى جانبي . ولا يدري أحد كيف استطعت الخروج من تلك الطاقة

وتردد قليلا ثم قال : « والذي أظنه أن الله هو الذي أنقذني » . وكان يتكلم بلهجة الجد ، والطيارون الذين حوله يؤمنون على ما يقول ، ولم يبد أحد منهم شكا فيما سمع ، فإن أكثر رجال الجو يؤمنون بأن منقذهم من أشد المآزق وأخطرها هو العناية الإلهية .

تخرج فردريك سوندرن من جامعة هارفرد عام ١٩٣٢ ، ثم بعث إلى أوربا مراسلا للصحف التابعة لنقابة ماكلور . وبعد أن قضى خمس سنوات يراسل نقابته بما يجري في النمسا وألمانيا ، تولى منصب رئيس قسم التحرير الأجنبي فيها . وهو الآن محرر متجول لمجلة ريدرز دايجست ، وقد قضى الأشهر الأخيرة في أفريقية .

وأخذ طيـار آخر من قاذفى القنـابل ، يصف لي تجاربه فى صراحة ، فقال : « حين أصيبت طائرتنـا بقنابل المدافع المضـادة ، تعطل المحركان ، وهوت الطائرة إلى البحر. فأخـذت أبتهل إلى الله ، وكان ذلك آخر شيء أذكره . استعدت وعيي فى المـاء ، فألفيت نفسي فى حالة شنيعة ، فإن رجلى قد تحطمت من تحت الركبة ، والماء من حولها مخضب بالدماء ، فأيست أن النزيف سيقضى على فى بضع دقائق . وعندئذ وكزنى شيء ما وسواء أصدقتنى أم لم تصدقنى فقد كان لوحاً من الخشب وفوقه صندوق الإسعافات الذى كان فى الطـائرة ، فاستخرجت منه كلابات وقف النزيف ، واستطعت بمساعدة أحـد الزملاء أن أركبها ، وأن أحبس تدفق الدم. وجاءت طائرة أخرى ، وألقت إلينا زورقاً من زوارق الإنقاذ ، وبعـد أربع ساعات التقطنا قارب النجاة . فإذا كنت لا ترى أن هذه معجزة ، فأخبرنى ما تكون المعجزة ؟ كن على ثقة ، ياسيدى ، أن رحمة الله قد كان لها شأن فى هذا الحادث » .

إنى لأدرك كيف كان يحس فى نفسه ، فقد كنت مرة أحد الركاب فى قاذفة متوسطة الحجم ، موقرة بالذخائر وفيهـا ثلاثة ركاب آخرين غير الطيارين . وإذا باثنتى عشرة طائرة من طراز مسر شمت ١٠٩ تفاجئنـا بحيث لم يكن فى وسعنا أن نصنع شيئاً لتفاديها، وكنا فريسة سهلة ، فنظر إلىّ المدفعى وهو يبتسم وصاح بصوت أعلى من أزيز الطائرة: « أظن الساعة قد دنت ! » ثم أمسك بالأيدى التى تدير المدافع ، وأحكم تسديدها إلى الهدف . ولكنى كنت فى شغل عنه ، إذ كنت أحاول أن أستذكر كيف أدعو وأبتهل ، فقد كان آخر عهدى بالدعاء أيام الطفولة . فلم ألبث أن استذكرت قليلا من الأدعية ، ولكنه ، على قلته ، كان صادراً عن إخـلاص محض . ونظرت إلى المـدفعى ، فرأيته مثلى يحرك شفتيه .

وفى اللحظة الأخيرة حدث ، ولا ريب ، للسرب الألمانى أمر ردّه عنا ، وربما لم يكن الوقود لديه كافياً للقيام بعمل حربى . ومهما يكن من شيء ، فقد غيروا اتجاههم وعادوا أدراجهـم . فأخرجت وأخرج المـدفعى سيجارة ، وأخذنا نشعلها فى هدوء وتفكير. وهو فتى قوى الشكيمة من الحى الجنوبى فى بلدة بوسطن ، يجمع بين البراعة والجلد . ومرت بنا لحظة ونحن ندخن صامتين. وأخيراً سألته : « هل كنت تدعو ؟ » فأجاب : « أجل كنت أدعو ! » ثم نفخ نفخة من الدخان وقال : « إن أكثرنا يفعل ذلك ! »

وقصصت ذلك على أحد القسس ، فقال وهو يبتسم : « صدقت ! إنك لن تجد بين

طيارينا كثيراً من الملحدين . إن الذين يواجهون الموت يحسون دائماً أن الله قريب منهم ، وهم على خلاف ذلك حين يجيئون من مدارس التدريب لأول مرة ، فتراهم قليلى الإقبال على الكنيسة . ولعلهم يظنون أن شدة التدين لاتلائم مظاهر البطولة ، ولكن أكثرهم لايلبث أن يتغير بسرعة ، تعال إلى الكنيسة غداً لكى ترى بعينيك » .

كانت الكنيسة فى صباح ذلك الأحد عبارة عن الشبكة المنصوبة لإخفاء بطارية من المدافع المضادة للطائرات ، وكان المذبح عبارة عن لوح من الخشب ، والموسيقى الوحيدة هى أزيز الطائرات المقاتلة فى المطار المجاور . ولكن إخلاص المصلين قد أكسب هذا المكان مهابة ليس لها نظير . فلقد كانت تلك الوجوه الفتية التى لوحتها الشمس ، تشع بالإخلاص والجد الذى لم يبرحها لحظة واحدة أثناء الصلاة كلها . وهذه العبادة لم تكن من قبيل تلك الزيارات الإجبارية للكنيسة التى يبغضها الجنود ، بل كانت كما وصفها القسيس تؤتى طوعاً لا إكراه فيه .

ولكن هؤلاء الفتيان لا يكتفون بالذهاب إلى الكنيسة ، بل يصطحبون إيمانهم فى طائراتهم وحملاتهم . وكان هناك قاذفة من طراز ب — ٢٤ وهى من الطائرات الضخمة التى طالما اشتركت فى أشد الحملات خطراً فوق إيطاليا ، وبين طياريها شاب كان يدرس اللاهوت قبل التحاقه بالطيران . وكان أصحابه بالطبع يسمونه « القسيس » وكلما اقتربت الطائرة من إحدى مناطق المدافع المضادة ، صاح الربان : « حان وقت الصلاة ! » . هنالك يبادر «القسيس» فيدعو دعاء قصيراً . وحدثنى أحد الطيارين فى هذه السفينة فقال : « كان بعض الفتيان يستهزؤون بما نفعل ، ولكنى لاحظت أنهم قد كفوا عن ذلك » .

وكنت ليلة فى أحد الأندية التابعة لضباط الأسراب المقاتلة . فدار الحديث حول الدين . فتكلم شاب يدعى «سكوت» وكانوا يعدونه أشدهم جرأة وإقداما — فقال : « إن كل ما أعرفه هو أنه لابد أن الله كان ينظر إلىّ . فلقد كنت أطلق قذائفى مرة وأنا على ارتفاع منخفض ، وإذا المدافع المضادة تطلق بشدة على الطائرة . فحاولت التحليق بالطائرة ، فلم أستطع . ولابد أن أدوات التحريك قد أصيبت بخلل . فصحت من فورى : « اللهم كن معى هذه المرة ! ». ولابد أن الله قد سمع ندائى ، فمنحنى فرصة أخرى. فلقد تخلصت من تلك الورطة ، وبت مؤمناً بأن الله معى، وأنا سعيد بهذا الإيمان».

فقال ضابط شاب آخر على صدره صفان من أشرطة الأوسمة : « أجل . إنك إذا

ســأل الله أمراً وأنت خاشــع خاضــع فسيدهشك ما يحبوك به » . وكان يبــدو على هذا الشاب كأنه لا يريد أن يفضى جهاراً بأكثر مما أفضى به . فانتحيت به ناحيــة بعد أن افترق الجميع وقلت له : « ماذا عنيت بالعبارة التى قلتها ؟ » فقال : « ما بى رغبــة لأن أتكلم عن هذا الأمر كثيراً ، لأنه يكاد يكون أمراً خاصاً . ولـكن إذا كنت حقيقة تريد أن تعرف فإليك الخبر » .

ثم استوى على كرسيه وقال : « ما كنت قط من المتدينين ، وكنت أكره أن أذهب إلى الـكنيسة . وقد تألمت أسرتى لمسلكى هذا ، ولـكنها لم تلبث أن يئست من إصلاحى .

« فلما جئت إلى هذا المكان كنت ألقى مشــقة كبيرة : كنت أرتاع بسهولة ، ويأخذنى الخوف ، وكذلك كنت شــديد الهم والقلق على زوجتى .

« وفى يوم من الأيام كنت مقبــلا على قتــال عنيف ، فتذكــرت عبارة قالها لى والدى مرة : « يا بنى إذا رأيت نفســك حقيقة فى مأزق حرج فادع الله ، وكن على ثقة بأنه سيعينك » . وهكذا فعلت ياسيدى ! واستجيب دعائى . وإذا أنا أسوق طائرتى ببراعة ، وأطلق مدافعى بإحكام ، وأعمل كل شىء بإتقان ليس لى عهد بمثله ، وقد حدث هذا كله فجأة .

« ومنــذ ذلك اليوم ، ما برحت أدعو الله . ولقــد علمت أن زوجتى فى حفظه ورعايته ، فلم أعد أقلق عليها . ولقد زال عنى ما كان يعتادنى من الرهبة . لقد صرت حذراً ولـكن لم أعد أفزع . لقــد أصبحت تحت رعاية الله » :

فقلت له : « ولـكن كيف تكون حالك بعد الحرب ، أتظن أنك ستنسى هذا كله ؟ »

فقال وهو يزن كلامه ، « كيف أنساه ؟ أليس هو خير عون لى ؟ إذن فسيظل أعز عون ونصير » .

إن المرء ليسمع مثل هذه القصة كثيراً فى كل مكان ، وقد قال لى القسيس : « نحن جميعاً نعتقد كما يعتقدون » ثم أشار بيده إلى كتابة منقوشــة على باب خيمتــه ، نصها : « إذا كنت فى مأزق ، فالتمس العون من الله ! إنه عزيز كريم ، وإذا لم تكن فى أزمة ، فاجتهد أن تعرفه حق معرفته ، وأن تهتدى بهديه . وإذا منحك منحة ، فبادر إلى شكره وحمده ، حتى تفوز برضاه » .

تلك هى العقيــــدة ، التى يؤمن بهــا أكثر الطيارين .

إستئصال الزهرى في يوم واحد

پول دى كروف

أذاع پول دى كروف فى الريدرز دايجست عدد سبتمبر سنة ١٩٤٣ نبأ اكتشاف وسيلة جديدة ناجحة لمكافحة الزهرى . أبان فيه كيف أن الحمى المفتعلة . إذا ما اقترنت باستعمال الزرنيخ والبزموت ، يمكن أن تقضى على المرض فى بواكيره المعدية . يضاف إلى ذلك أن هذا العلاج المزدوج يستغرق يوما واحداً بدلا من الثمانية عشر شهراً التى كان يستلزمها العلاج القديم بالعقاقير وحدها .

قوبل هذا النبأ المثير من خبراء الزهرى وأقطاب الطب بالازدراء والمعارضة أما الآن فقد أصبح علاج اليوم الواحد بالحمى والعقاقير معاً نهجاً متبعاً ناجحاً فى شيكاجو ، حيث تبذل أعظم الجهود فى استئصال الزهرى .

هذا الحلم الذى لوّحت به الريدرز دايجست فى سنة ١٩٤٢ قد أصبح اليوم فى سنة ١٩٤٣ حقيقة مؤكدة فى مركز العلاج الحاسم بشيكاجو .

إن الزهرى إذا لم يعالج كما ينبغى صار داء واصباً يدوم ما دامت الحياة ، على أن ضحاياه لا يستطيعون إعداء سواهم عادة إلا فى السنتين الأوليين بعد إصابتهم . من أجل هذا كان حتما على أطباء الصحة العامة أن يقصروا جهدهم على التنقيب عن تلك الأقلية من المرضى بالزهرى الباكر المعدى ، ويبرئوهم ، إذا أرادوا أن يستأصلوا هذا الوباء من جذوره .

فى خلال الأعوام الثلاثة الماضية كشف البحث الدقيق فى شيكاجو عن أن إصابات المرض المعدية فى باكورتها قد كادت تتضاعف ، لا لأن الزهرى قد ازداد انتشاره ، بل لأنك كلما أنعمت النظر تكشّف لك الداء المشؤوم . وقد صرف طبيب الصحة هيرمان ن . بنديسن كل همّه إلى النظر فى هذا الأمر المخيف الذى اندرأ كالسيل المتدفق على منطقة شيكاجو يهدّد الرجال المحاربين ، فعلم أن علاج الثمانية عشر شهراً بالعقاقير سلاح مفلول ، إذ فرّ ٦٧ ٪ من بين ٢١٫٠٠٠ مريض تتبعتهم مصلحة الصحة فى الولايات المتحدة ، من ذلك العلاج العنيف وهم لا يزالون خطراً على سواهم .

ودعا الدكتور ا . ا . وينجر من مصلحة الصحة بالولايات المتحدة إلى طريقة أمضى وأنجع فى إبادة الوباء المعدى ، وذلك بالتعجيل فى إتمام العلاج بالمستشفيات . فافتتح مركز العلاج الحاسم فى شيكاجو فى

نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وتضافرت على تمويل المشروع كثير من الهيئات الحكومية .

عولجت فى هذا المركز طائفة كبيرة من مرضى الزهرى الباكر المعـدى بالطريقة الجديدة، طريقة العلاج بحمّى اليوم الواحد، التى انجلت عنها تجارب الأطباء سمبسون وكندل وروز فى دايتون بولاية أوهايو . وذلك أن يحمّ المريض ثمانى ساعات وأن يحقن أيضاً بجرع صغيرة من البزموت والزرنيخ . ثم عولجت طائفة أخرى من المرضى بمركز شيكاجو ، مدى سبعة أيام ، بمقادير كبيرة مركزة من الزرنيخ والبزموت ولـكن دون أن يحمّوا .

كانت بيوت الحمى العشرة، محمّات ذوات حرارة عالية وضع تصميمها تشارلس . ف . كترنج ، واودين س . ستلر فى معهد كترنج للأبحاث الطبية . ويرقد المريض إلا رأسه فى المحمّ ، عارى الجسم يحيط به تيار من هواء ساخن مشبع بالرطوبة يتولد فى مرجل ماء كهربائى ، فترفع حرارة المحم برهة إلى درجة ٤٤ ⅘ مئوية فترتفع حرارة المريض إلى ٤١ ⅗ درجة مئوية حيث تصان على هذا المستوى بحرارة فى المحم أقل فعلا من حرارة المريض .

أما الممرضات اللائى يتولين المرضى ، واللائى يبدون كنـدل المواصلات الجوية ، فيخترن اختياراً على دربتهن الفنية ، ووسامة طلعتهن ، ومرح نفوسهن ، ليقصصن على مرضاهن القصص ، ويعزفن لهم الموسيقى ويلاطفنهم ويرفهن عنهم . هـذا على أن يكن أيضاً يقظات ، فلا تفتأ أناملهن تتحسس نبض المريض من صـدغيه ، ولا تفارق عيونهن الذراع المتصل بالترمومتر الشرجى الذى يسجل حرارة المريض لعشار الدرجة . ذلك أن الحرارة يجب أن تظل أدنى بدرجة عن درجة ٤٢ ⅔ مئوية التى قد يكون فيها نذير الموت .

يدخل المرضى مركز العلاج الحاسم متطوعين ، ولذلك فإن المستشفى الذى يتسع لمائتى سرير يكاد يكون دائماً غاصاً بمرضاه الذين يعالجون من الزهرى والسيلان وسائر الأمراض التناسلية . وإنها لظاهرة عجيبة ، إذ أن مرضى الزهرى فى نشأته لا يحسون من مسّ المرض ما يلجئهم إلى المستشفى . إنهم يفـدون إلى المركز لأن الدعاية فى شيكاجو جعلتهم يؤمنون بأن ما يبدو تافهاً من أعراض المرض المبكر ، قد ينتهى بهم بعد حين إلى جنون أو قُلاب (هبوط القلب) لا يرجى منهما البرء . هـذا ، والأطباء يرسلون إليه بعض المرضى ، على حين تساعد الحانات والفنادق على إغراء البغايا والمخادنات من النسـاء ، على التماس العـلاج ، فإن

الأماكن التى تأبى أن تبذل معونتها توسم بميسم كبير أحمر : « الزهرى هنا — الفرارَ الفرار » .

ويستقبل المرضى فى المركز بعطف قلما صادفه أكثرهم فى ماضيه ، طلباً للثقة فى قدرتهم على إطاقة هذا العلاج الغليظ . ثم يفحصون فحصاً طبياً شاملا ثلاثة أيام ، فتصور صدورهم بأشعة إكس ليؤمن إصابتها بالسل ، وتختبر قلوبهم برسام القلب الكهربائى ، وتريهم الممرضات الفاتنات الرقيقات بيوت الحمى ، ويشرحن لهم حقيقة ما سيلاقون فى علاجهم .

وما أشد ما يشوق المرضى هذا التشخيص الدقيق ، وهذا العلاج المرجو . وفى ساعات فراغهم بالمركز خلال الأيام الثلاثة التمهيدية يستطيعون أن يلعبوا البنج بنج ، وأن يقرأوا فى مكتبة فخمة ، وأن يشاهدوا أفلاماً سينمائية ، وأن يستمعوا إلى محاضرات عن الأمراض التناسلية ، وأن يشتركوا فى الصلوات ، هذا ويقدم إليهم الطعام الفاخر . وهم يتقدمون اختياراً إلى علاج يمحو خطرهم على الجماعة لأنهم ، كما قال الجراح الجنرال توماس باران : « إنما يعالجون على أنهم مرضى لا على أنهم آثمون » .

وبرغم استقبال هذا الاكتشاف فى العام الماضى بالنقد ، استطاعت تجارب هذا العلاج فى شيكاجو أن تثبت أن العلاج المزدوج للزهرى فى يوم واحد ، بالحمى والعقاقير ، وسيلة مأمونة صالحة لمكافحته جملة . نعم ، إن صعاباً نشأت فى الشهرين الأولين لافتتاح المركز ، إذ مات اثنان من بين أول ٧٣ مريضاً عولجوا بالحمى ، ولكن عرفت الأسباب ، فاستحدث لها ما يضمن اتقاءها . ومن يومئذ أقبل بلا انقطاع ٨٦٤ مريضاً على علاج اليوم الواحد بالحمى والعقاقير فلم تحدث وفاة واحدة ، أو حتى رد فعل عنيف .

وإن مما يضارع ذلك خطراً ، أن العلاج أثبت أنه سلاح صاعق لمحق الزهرى المبكر فأثره العاجل مدهش ، إذ تختفى لولبيات الزهرى الخبيثة من قروح المرضى فى يوم واحد ، كما يذهب الألم الذى قد يكون الداء أورثه . ومع ذلك يحتجز المرضى تحت الملاحظة ثلاثة أيام أخر ، تلتئم خلالها القروح المعدية ، ثم يسرحون إلى منازلهم ، إلا قليلا ممن يعانون مضاعفات أمراض أخرى ، ليترددوا بعد ذلك على المركز بانتظام ، لكى ترصد نتائج العلاج .

أما طريقة العلاج المتبعة التى يعطى فيها الزرنيخ والبزموت ١٨ شهراً ، فقد كان يبرأ بها من الداء ٨٥ إلى ٩٠ فى المائة من مرضى الزهرى المبكر ، هذا إذا أتموا العلاج . وهى

نتيجة حسنة لولا أن قليلا جداً من المرضى من يثابر على هـذا العلاج تلك الشهور الطويلة التي تتطلبها نجاتهم من المرض . وما دامت طريقة العلاج بالحمى والعقاقير لا تستغرق إلا ثمانى ساعات ، فإتمامها ولا ريب يسير . وقد ثبت حتى الآن أن أكثر من تسعين فى المائة من المرضى الذين عولجوا بها ، وأعيد فحصهم ، لم يتبين فيهم ما يدل على معاودة الداء . هذا على أن نسبة النكس فى علاج الأيام السبعة بالعقاقير وحدها تشبه هذه النسبة قلة ، إلا أن العلاج نفسه أشق على المريض .

لقد حاول الأطباء فى مستهل حياة المركز أن يقرروا أصغر جرعة من الزرنيخ تفى بالغرض ، فباء هذا العهد التجريبى مراراً عديدة نسبياً بالخيبة كما كان يتوقع ، ولكن لم يبد إلى الآن فى أحدث مجموعة من المرضى أى دليل على النكس فى ٤٧٨ مريضاً من بين ٤٨٤ ، أى فى ٩٨٫٧٦ ٪ من الحالات ، هذا على أن الأطباء — انتفاعاً بالأثر الفعال المأمون للحمى المفتعلة — يعطون المرضى فى المتوسط أقل من جزء واحد من ثلاثة عشر جزءاً من مقـدار الزرنيخ اللازم فى علاج الشهور الثمانية عشر .

ويتتبع الدكتور بنديسن والدكتور ت . ج . باور بصحة الولايات المتحدة ، المرضى الذين يعالجون فى المركز جميعاً بعين لا تغفل ، وإلحاح لا يضعف . ففى الأشهر الأولى بعد العلاج يجب على المرضى أن يعودوا إلى المستشفى مرة كل أسـبوع ، ليفحصوا ويختبر دمهم، رصداً لنتائج العلاج . وبعدئذ يلزمون بالعودة كل شهر لتكرار الفحص والاختبار ، فإن لم يفعلوا أنذروا بالرسائل ، ثم بالتلفون . فإن لم يثمر ذلك أطلق فى آثارهم مراقبون يحضرونهم بالسيارات . وقد تبين أن سبعين فى المائة يعودون للاختبار مختارين ، وتلك نسبة تستثير الإعجاب .

أما أولئك القلائل الذين يعاودهم الداء فيعالجون من جديد ، وهم يؤثرون بيت الحمى على « وخز الأبر » سـبعة أيام كما يسمون العلاج الكيميائى الغليظ . ومن أجل هذا أصبح العلاج بالحمى والعقاقير فى يوم واحد ، أداة عملية لكفاح الزهرى كفاحاً شاملا ، لا لأنه أمضى وحسب ، بل لأن أوساط المرضى يؤثرونه أيضاً .

إن هذا العـلاج الجديد يحطم أغلال الزهرى القاتلة الممتدة فى شيكاجو بسرعة لم يسمع بمثلها إلى اليوم . وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ غادر ألف مريض معدٍ بيوت الحمى سالمين ، وأتم خمسمائة آخرون العلاج الكيميائى الغليظ .

وفى إبراء ١٥٠٠ مصاب بالزهرى حتى لا يعدوا سواهم ، آية بينة حين تتصور كم من إصابات المرض يمكن أن يورثها مريض معد واحد . لقد أحصيت حديثاً ضحايا فتاة صغيرة أصيبت بزهرى مبكر ، فإذا هم اثنان وثلاثون . وهؤلاء الذين ينفثون العدوى بالجملة هم بالدقة الهدف الأول لمركز العلاج الحاسم السريع .

وليس هذا كل ما فى الأمر ، فقد أخذ يلوح تقدم آخر مرجو العاقبة . فقد وجد الدكتور جون ف . ما هونى بصحة الولايات المتحدة أن المعجزة الكيميائية التى اكتشفت حديثاً — البنيسلين — هى عدو للولبيات الزهرى . ويأمل أطباء المركز أن سترتفع نسبة البرء من الزهرى بإضافة قوة البنيسلين الجديدة إلى قوة علاجهم المأمون بالحمى المفتعلة .

إن العلاج بالبنيسلين لم يزل كله تحت التجربة . لقد أبرأ — على ما يبدو — أربع إصابات بالزهرى المبكر فحسب ، يضاف إلى ذلك أن صناعة البنيسلين ما زالت عسيرة ، وأن طلب القوات المحاربة من الكثرة ، بحيث لا يرجى له ذيوع فى مكافحة الزهرى قبل انقضاء عدة أعوام .

يكافح مركز شيكاجو الزهرى كفاحاً ناجحاً بأفعل ما فى متناول يده من الأساليب العملية فى الوقت الحاضر ، أى بالعلاج المزدوج بالحمى والعقاقير فى يوم واحد ، هذا العلاج الذى استنكره الخبراء يوم جاء نبأه على صفحات الريدرز دايجست منذ سنة مضت .

حكمة النساء

النساءُ أحكم من الرجال لأنهن أقلُّ منهم علماً وأعظم فهماً . (جيمز ستيفنز)

دون غير مبالغة

قال الرائد القطبى : بلغ البرد مبلغاً شديداً فتجمد لهب الشمعة حتى عجزنا عن إطفائها .

فقال منافسه : ليس هذا شيئاً . فحيث كنا ، كانت الكلمات تخرج من بين شفاهنا قطعاً من الجمد فنضطر أن نقلوها لكى نسمع ما يقوله بعضنا لبعض .

انتفع بتجاربي

علاج ناجع "للتسويف"

لمسوف مجهول . ملخصة عن مجلة "فوربز"

أجمع الناس على أن الخطايا هى : خطايا إغفال ما يجب ، وخطايا ارتكاب ما لا يحلّ . ولكن بينهما خطيئة وسطى عظيمة هى خطيئة التسويف ، وقد لا تحول هذه الخطيئة دون دخول الجنة فى الآخرة إلا أنى أشهد، بعد تجارب نصف قرن، أنها تذيق مرتكبها نار الجحيم فى هذه الحياة الدنيا .

لقد ولدت مسوّفاً ، وكان التسويف منذ حداثتى أسوأ عيوبى . وازدادت هذه العادة سوءاً على السنين ، فكنت أتخلف أغلب الأحيان عن إنجاز أعمالى ، وكنت فى هم مقيم من جراء الأعمال الكثيرة المعلقة، وكدت أفقد عملى بسبب هذا التسويف ، بيد أن ذلك لم يشفنى من دائى .

يقول علماء النفس إنه من المعجزات أن تبرأ من عادة مرذولة فى سن الخمسين ، ولكنى شفيت نفسى كل الشفاء من هذه الخطيئة القاتلة فى تلك السن . فبينا كنت جالسا أقرأ فى شرفة فندق صيفى بعد ظهر يوم سبت ، سمعت رجلا يحادث أهل بيته . وكان لا يستطيع أن يحزم أمره هل يذهب بهم فى نزهة بحرية ذلك اليوم أو صباح اليوم التالى . وأنشأ يقول: « النسيم عليل اليوم ، ولكنه قد يكون غداً خيراً منه اليوم » . وكانت الأسرة تود الخروج من فورها إلى هذه النزهة . ولكنَّ لرجل ظلّ يتساءل : من الخير أن يذهب اليوم أم غداً ؟ .

أثارنى تردده وأنا أحاول القراءة فانفجرت أقول له محدثاً نفسى : « إن هذا اليوم الجميل سيمضى وشيكا ، فلم لا تحزم أمرك أيها الرجل ؟ » .

وعندئذ لاح لى أن تلك هى آفتى ، فلم أكن أحب أن أجمع الرأى على القيام بعمل من الأعمال . لم تكن آفتى أنى أؤجل عمل هذا الشىء أو ذاك ، بل أن أؤجل العزم على القيام به ، وفجأةً ولأول مرة رأيت التسويف فى صورته الصحيحة .

قلت لنفسى : « إذا كان هذا كل ما فى الأمر فينبغى أن أكون قادراً على الوصول إلى قرار ، فإذا كنت لا أريد فعل شىء من فورى فسأقرر أن لا أفعله من فورى ، ــ ولكن يجب أن أقرر ساعتئذٍ متى أفعله ، وتاالله إذا حلّ ذلك الوقت فسوف أفعله » .

حل غاية فى البساطة إلا أنه أثمر .

كنت فى البداءة أبسط لنفسى فسحة من الوقت ، فأقول لها : « لا أريد أن أفعل هذا الآن ولكن سأفعله الليلة فى الساعة الثامنة » ، وفى الساعة الثامنة كنت أقسر نفسى على البر بما وعدت . وبعد قليل ألفيتنى أسائل نفسى : « لماذا تنتظر حتى الساعة الثامنة ؟ ولماذا لا تفرغ منه الآن ؟ » وأؤدّيه من فورى .

وسرعان ما تحققت أن التسويف ليس قاصراً على « متى ؟ » وحسب ، بل ينطوى على أسئلة أخرى هى : أين ؟ وماذا ؟ ومن ؟ ولِمَ ؟ ماذا أفعل فى هذا الأمر ؟ من أدعو إلى الوليمة التى أولمها ؟ أين أبدأ ؟ ولِمَ أفعل هذا أو هكذا ؟ .

والآن ما هو إلا أن آمر نفسى فى صرامة أن « أعقد العزم » فأعقده وأعمل من فورى .

وإنى لأدهش اليوم بعد أن كنت من أكثر الناس تسويفاً أن أجدنى أسبق الوقت المحدد للعمل فى أغلب الأحيان . إن راحة الفكر التى أجدها حين لا يكون هناك عمل معلق علىّ أداؤه لتنعشنى حتى أجد عقلى ينقب عن عزائم أخرى جديدة لينفذها .

أما الأسرة التى كانت على شرفة الفندق فلم تذهب إلى النزهة البحرية عصر ذلك السبت ، وأمطرت السماء يوم الأحد ، بيد أن ذلك الوالد المتردد قد أفلح فى شفائى من هذا الداء المستعصى الوبيل .

لنكولن المحامى . . . بين الصباح والمساء

اتفق لإبراهام لنكولن ، حين كان محامياً ناشئاً ، أن ترافع فى قضيتين ، فى يوم واحد ، أمام قاض واحد ، وكان المبدأ القانونى فى القضيتين واحداً . ولكن لنكولن كان فى إحدى القضيتين محامى المدعى وفى الأخرى محامى المدعى عليه . وقد ترافع فى القضية الأولى فى الصباح ، فكانت مرافعته غاية فى البلاغة وقوة الحجة فربح القضية . وحين نهض المرافعة فى القضية الثانية بعد الظهر كان بليغاً متحمساً قوى الحجة كذلك . فسأله القاضى وعلى ثغره بسمة : ما الباعث على تغير موقفه بين الصباح والمساء فقال لنكولن من فوره :

— يا حضرة القاضى لعلى كنت مخطئاً فى الصباح ، ولكننى أعلم أنى مصيب الآن .

[نلى ريڤل]

لم يكن تشيهاليس جواداً يملأ العين فى مظهره ،
ولكنه ضرب رقماً عالمياً — قصة واقعية



جواد ضئيل

الدكتور فردريك لوميس

لقيت أنا وزوجتى منذ سنين فرانك وكيتى فريزر للمرة الأولى ، وقد زرناهما مراراً بعد ذلك ، وهما الآن يستمتعان بالقوة والنشاط فى الحادية والتسعين والثالثة والثمانين من العمر . وقد وقفنا فى دارهما على كثير مما هان وما جل من الأشياء التى حاك منها مغزل الدهر نسيج حياتهما الفذ فى مدى عمرهما الطويل : وعرفنا كفاحهما عند ما هبطا أرض أمريكا الثرية فى صباهما ، وعرفنا إخلاص كل منهما لصاحبه ، ولم يرزقا أطفالا قط — وأخيراً عرفنا حبهما الفريد العظيم .

وهذه قصة ذلك الحب ، حب جواد ضئيل هزيل ، كما قصها علىّ فرانك وكيتى مجتمعين .

قال فرانك :

« حدثنى بوكر ناش ذات يوم بالتلفون وسألنى إذا ما كنت أريد شراء حصان ، فقلت إننى لا أريد شراء حصان من خيله ، فقد يكون حصاناً بلا أسنان على الإطلاق ! فقال : « فليكن أيها الشيخ الأحمق » . ووضع السماعة . فأسرعت بالطبع إلى محادثته على الفور لأستوضح جلية الأمر . فتبين لى أنه رأى مهراً أعجبه واستهواه ، وكان قد رآنى قبل ذلك أسابق جياد طبيب القرية وكل مرة أكون أنا المغلوب ، ولم يكن هو يحب الدكتور ، ولعل هذا هو السر فى اهتمامه !

« وكتبت إلى صديق خبير فى الجياد وطلبت إليه أن يذهب ليرى هذا المهر ، فتلقيت فى اليوم التالى برقية يطلب فيها أن أرسل إليه ٦٠٠ ريال ، وقد فعلت . وفى خلال أيام جاءتنى قائمة الحساب بشراء (تشيهاليس) .

« وانطلقت كالأحمق أذيع فى أنحاء المدينة أننى ظفرت بجواد أصيل عمره سنتان ، ثم جاء الجواد فى سيارة كبيرة فكدت أصعق حين رأيته ، إذ وجدت أمامى أضأل وأهزل ما رأت عيناى ، فقدته وتسللت به فى الأزقة حتى لا يراه أبناء المدينة .

« ولكن كيتى لم تكد ترى ذلك الحصان المسكين الضامر الضئيل حتى بدأت تناغيه

مناغاة الأطفال . فراح ، ويا للعجب ، يشم عنقها كما لو كانت هى التى ربته وأرضعته اللبن فى زجاجة ! ولم تكن تدرى هل يصلح أو لا يصلح للسباق ، ولم تعبأ بذلك بل ظلت تقول : « آه يا فرنك ! إننى أحب هذا الجواد وكفى » . وكانت تنطلق فى مطلع الفجر لتناغيه مرة أخرى .

« واشتريت عربة قديمة عالية العجلات وخرجت بالقزم الضئيل إلى الخلاء ، ولسعته بالسوط لسعة ، فكدت ، وياالله ، أنتزع من مقعدى انتزاعاً وكادت تتمزق سراويلى ، إذ انطلق الشيطان الصغير كالخفاش الآبق من نيران الجحيم . فلما عدت إلى البيت ظنت كيتى أن بى مساً من الجنون !

« ولم أكن فى أول الأمر أظهره كثيراً على حقيقته ، وكنت أكفكف من سرعته كلما اقترب منا أحد ، حتى أقبل الدكتور يوماً فى الطريق بجواده الخبّاب وصاح بى : أى فرانك ، أهذا هو الجواد الجميل الجديد الذى طالما سمعت به ؟ أم هذا قنغر لا جواد ! » .

« ولا بد أن يكون تشيهاليس قد سمعه كما سمعت ، فلم أكد أنطق حتى رأيته يلحق به فى طرفة عين . وأدركناه بسرعة خفت معها أن ندوسه فصرخت فيه : « أفسح الطريق ، أيها الدجاجة العجوز ، ودع القنغر يمر » فاستدار الدكتور ونظر بعينين جاحظتين وانهال على حصانه بالسوط ، وكان هذا كل ما رأيت حين تجاوزناه . فأيقنت أن لدى جواداً خالصاً من جياد السباق ، وأنه يعلم أن السباق هو الغلبة على الجواد الآخر ، وهو أمر لا يدركه الجواد فى بعض الأحيان !

« وظللنا ندرب تشيهاليس طيلة الصيف ، وكنت أنا أقوده على الدوام . وكانت هذه فكرة كيتى ، إذ كانت تقول إنه إذا لم يشعر أبداً بأية يد غريبة تمسه ، فإننى أستطيع أن أكلمه وأخبره بما ينبغى له أن يفعل . وكانت كيتى تنتظره بعد تمرينه ، فيبحث حوله عن قطعة السكر التى اعتادت أن تحملها إليه ، وحدث ذات يوم أن وضعت

٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭

امتاز الدكتور فرديك لويس فى الطب والتأليف ، ومع ذلك بدأ سيرته فى غير الطب والتأليف فقد ترك جامعة ستيجن قبل نيله شهادتها ليحارب فى الحرب الأمريكية الاسبانية ، ثم زاول التجارة والتعدين خلال عشر سنين ، وعاد إلى الجامعة فدرس الطب ودرسه فى مدرستها الطبية ومارس طب التوليد بين ١٩١٧ و١٩٣٨ وهى السنة التى اعتزل فيها ممارسة الطب . وقد ألف بعد ذلك كتابين راجا رواجاً عظيما هما « العيادة » و « الصلة بيننا » . وقد نشرنا فى المختار (فبراير ١٩٤٤) فصلا للدكتور لوميس عنوانه « عملية على غير استعداد » .

قطعة السكر فى جيبها ودست فوقها منديلها وهى ساهية ، فجاء هـذا الحصان وأخرج من جيبها المنديل وظل ممسكا به . ورأيت أنا ذلك أمراً تافهاً ، ولـكن كيتى رأته تصرفاً مدهشاً وأخذت تعيده كل يوم .

« ولما رأيت أنه أصبح مستعداً للسباق سافرت به إلى السباق فى كاليفورنيا . وهناك جرى مع ستة عشر حصاناً ، فسبقها هـذا الجواد الأسـود الضئيل وتخطاها كالمح الخاطف ، وكأنها جميعاً مقيدة لا تستطيع الحراك . ومن ثم طفنا فى جولة على ميادين السـباق الغربية ، أنا وكيتى وتشهاليس ، فـكسب ١٢ سباقاً من ١٣ سباقاً اشـترك فيها . وامتلأت أنهر الصحف بأنباء الجواد الأسود الضئيل المدهش ، الذى يعدو وكأنه يسبح فى الفضاء ! » .

« ثم كان الربيع التالى ونزل تشهاليس فى أول سباق له ففاز بغـير عناء ، ولهـذا كفكفت من سرعته بعض الشىء قبيل قصب السبق ، فأعلن كبير المحكمين أنه دخل ثالث الجيـاد ! وكاد الجمهور يقتحم مكان المحكم . وانطلق كبير من أهل تكساس الخبيرين بالسـباق ، وصـعد السلم وهو يهدد بقتل الحكم . ولـكن الحكم كان قد صدر ولات ساعة تعديل ، فاشمأزت نفسى حتى كدت أنسحب من ميادين السباق .

« ولـكن ذلك الـكبير من أهل تـكساس قال لى : « اسمع يابنى . يجب ألا تنسحب ما دام فيك عرق من الرجولة والجلد ، فإن لديك جواداً صغيراً بديعاً . وربما كان من الخير أن تدربه على مسافات أطول . . . » ومضى يحدثنـا متحمساً عن فـكرة ربما أسفرت عن نتيجة مدهشة .

« وسرعان ما بدأت — أنا وكيتى — فى مشروعات كادت تستهلك أنفاســنا . فاحتفظنا بمقدرة تشهاليس على سباق ميل واحد ، ولـكنى بدأت أدربه فى صباح كل يوم على مدى الميلين . ثم ذهبنا قبيل نهاية الموسم إلى السـباق الـكبير فى سالم ، من أعمـال أوريجون ، ولـكنا لم نجد مجالا للسـباق ، فـلم يكن بين الجياد جـواد واحد يصلح لمنافسة تشهاليس . وكثرت المراهنـة على حصانى الصغير ، وأراد المحـكمون أن يراه الجمهور وهو يجرى . وكان الإخصائيون الذين يحملون الساعات فى الصباح الباكر قد رأونا بالطبع فى تمرينات الميلين . فسألنى المحكمون إذا ما كنت أفكر فى ضرب الرقم القياسى لمسافة الميلين — وهو ٤ دقائق و ٢٤½ ثانيـة — وقالوا إننى إذا ضربت هذا الرقم أعطونى ٥٠٠ دولار فضلا عن مائة أخرى لـكل ثانية تسقط من هذا

الزمن ، فقبلنا العرض ، وكان الجواد الصغير يبدو كأنه على أتم استعداد » .

فقاطعت كيتى الحديث قائلة :

« نعم . وأنت أيضاً كنت على أتم استعداد . ليتك قد رأيته ، لقد كان يرتدى سترة من الحرير الأزرق الخفيف الزرقة ، وقبعة سباق فى زرقة البحر ذات وقاء طويل ، وسراويل من الكتان ، وكانت كلها جديدة زاهية . فكان منظره بديعاً هو والجواد الصغير الأسود اللماع .

« وجلست فى مكان الحكم وقد خيل إلىّ أنى سأموت من شدة اللهفة ، فما كان أحد ليتصور أنه سيسجل رقماً عالمياً — على ضآلة جسمه — سواى أنا وفرانك ، وربما تشهاليس نفسه . ثم انطلقت الخيل فأمسكت أنفاسى . وسمعت المحكمين يقولون : « ٣٠ ثانية فى الربع الأول . . . السرعة فوق الطاقة، سيجهد نفسه . . — ١٫٠٤ — فى النصف . . . — ١٫٣٥ — فى الربع الثالث » على الشوط الأخير من عند الميل الأول ، فى حين ظل الجواد الصغير يعدو ثابتاً كالآلة المنتظمة .

« وكدت أختنق حين صاح المحكمون . « ٢٫٠٩ للميل — لن يستطيع المثابرة ! » ثم كادوا يصيحون وهم يقولون : « يالله ، انظروا كيف يسبح هذا الجواد ! » ثم بدأوا ينادون ويهتفون كأنهم ليسوا قضاة على الإطلاق . وأقبل فرانك وتشهاليس يشقان طريقهما شقاً دون أن يرفع فرانك سوطه ، ولكنى كنت أتصوره يقول : « هيا يابنىّ ! هيا يابنى ! » وحسب .

« ثم مرّا كالبرق الخاطف فأخذ القضاة يرقصون وهم يقولون ويرددون : ٢٫٠٤¼ ! — وكان هذا أسرع رقم فى العالم فى مدى ميلين . واستطاع فرانك وتشهاليس أن يحذفا من الرقم السابق خمساً من الثوانى . وراح الجمهور يهتف حين عاد فرانك بالجواد الصغير جذلان فرحاً . وقد أحاطوا عنق تشهاليس بإكليل كبير من الورد الأحمر ، فأخذت أنا فى البكاء ، يالله ، ما كان أروعه ! » واختنق صوت كيتى من التأثر .

ثم همست قائلة : « ولم يكن ذلك كل ماحدث . فقد كان فرانك ، حين ذهبنا إلى الفندق ، يحمل تحت أبطه صندوقاً كبيراً عليه رباط أحمر ، ولم نكد ندخل غرفتنا حتى فتح الصندوق ، فإذا به يضم إكليل الورد الذى كانوا قد أحاطوا به عنق تشهاليس ، وألقاه فرانك حول كتفى فمس الأرض ، ثم قال : « كيتى ، إنك أنت التى صنعت ذلك — أنت التى أحببت ذلك الجواد الصغير حباً لم يجد معه بداً من

الفوز — وها هو الآن بطل العالم ! » .

وبعدئذ قال فرانك :

« سيدي الدكتور ، لقد ظل رقم تشيهاليس عالمياً ست سنوات حتى حازه دان باتش — وما زال ذلك الرقم قياسياً منذ أربعين سنة ! .

« ثم كان علينا بعد ذلك أن نفوز في سباق (الدورة العظيمة) إن سباق هذه الخيل ذات العربات يبدو لي أروع من سباق الخيل في هذه الأيام ، فعجلات العربات تلمع ببريقها تحت أشعة الشمس ، وجمهور النظارة في تمام أبهتهم .

« وفي أواخر الموسم مرضت كيتي في بفالو ، وما زالت تلح عليّ حتى حملتني على الذهاب وحدي إلى بوسطن . فأمرت أحد بائعي الزهور بأن يرسل إليها ورداً أصفر كل يوم من أيام الشهر الفردية ومعه بطاقة كتب عليها : « مع محبة تشيهاليس » ويرسل إليها كل يوم من الأيام الزوجية ورداً أحمر : « مع حب فرانك » .

« وظللنا نفوز ولكننا افتقدنا شطر اللذة ، فكلما ذهبت إلى الإصطبل تلفت تشيهاليس من حوله كأنه يقول : « أين كيتي ؟ » ثم جاء في يوم من الأيام خطاب من طبيب كيتي ينبئني بأنه يجب أن أنقلها إلى كاليفورنيا الجنوبية لقضاء فصل الشتاء بها ، ويقول إنني قد أفقدها إذا لم أفعل ذلك .

« جلست وحاولت أن أفكر . لم أكن من أصحاب الملايين ، وقد عرض على خمسة آلاف ريال ثمناً لتشيهاليس ، وكيتي مريضة . وكنت أعلم أنها لن توافق على بيعه إذا سألتها رأيها ، فكتبت إليها أقول إنني بعته بالفعل وأخبرتها بأنني سأسابق به آخر مرة يوم السبت ثم أحضر فأعود بها إلى بيتنا .

« لم يصلني منها خطاب يوم السبت ، فقدّرت أن وطأة المرض اشتدت عليها ، وكدت أعدل عن دخول السباق . ثم فكرت في المال الذى راهن به المراهنون على تشيهاليس ، وأدركت أنني لا أطيق أن أخلف ظناً أو أهرب من معترك ، فقررت أن أبيعه بعد السباق .

« وركبت العربة وسرنا بها مجتازين مكان السباق ، فهتف الجمهور لتشيهاليس ، وكان الجمهور دائماً شديد الولع بهذا الجرو الصغير . ورفعت بصري لأماس قبعتي رداً للتحية ، فرأيت كيتي ! . وقد لفتت نظري أول الأمر تلك المظلة الأنيقة التي اشتريتها لها من شيكاغو ثم رأيت وجهها . كانت صفراء صفرة الموت ، ولكنها كانت تبتسم .

« لوحت بيدها ، وكنت منذ لحظة غير عابىء بشيء ، أما الآن فقد ظللت أقول

لتشهاليس : « كيتى هنا يا بنى ، كيتى هنا »
ولعله قد فهم ما أريد . .

« وقعنا عند البداية فى مأزق بين الجياد ، ولكن الجواد الصغير شق طريقه وخرج . فلما كان الثمن الأخير وثب من المؤخرة وأخذ يطير طيراناً لم أشهد مثله من قبل . كان أمامه ثلاثة من الجياد ، فتخطى الثالث وتخطى الثانى ، حتى إذا أدركنا المائة ياردة الأخيرة خيل إلى أن جموع المتفرجين قد جن جنونها . فكان ضجيجهم كضجيج شلالات نياجرا ، ونهض ألوف منهم على الأقدام ، وراحوا يلوحون بالورق والمناديل والقبعات ، ثم نفذنا إلى المقدمة ، وإذا بنا نكسب بمسافة رأس واحدة .

« نظرت إلى مقاعد النظارة فلم أجد كيتى ! وهرعت إلى مكانها فوجدتها مغمى عليها وسط حلقة من الناس ، لأنها لم تحتمل تأثير الانفعال .

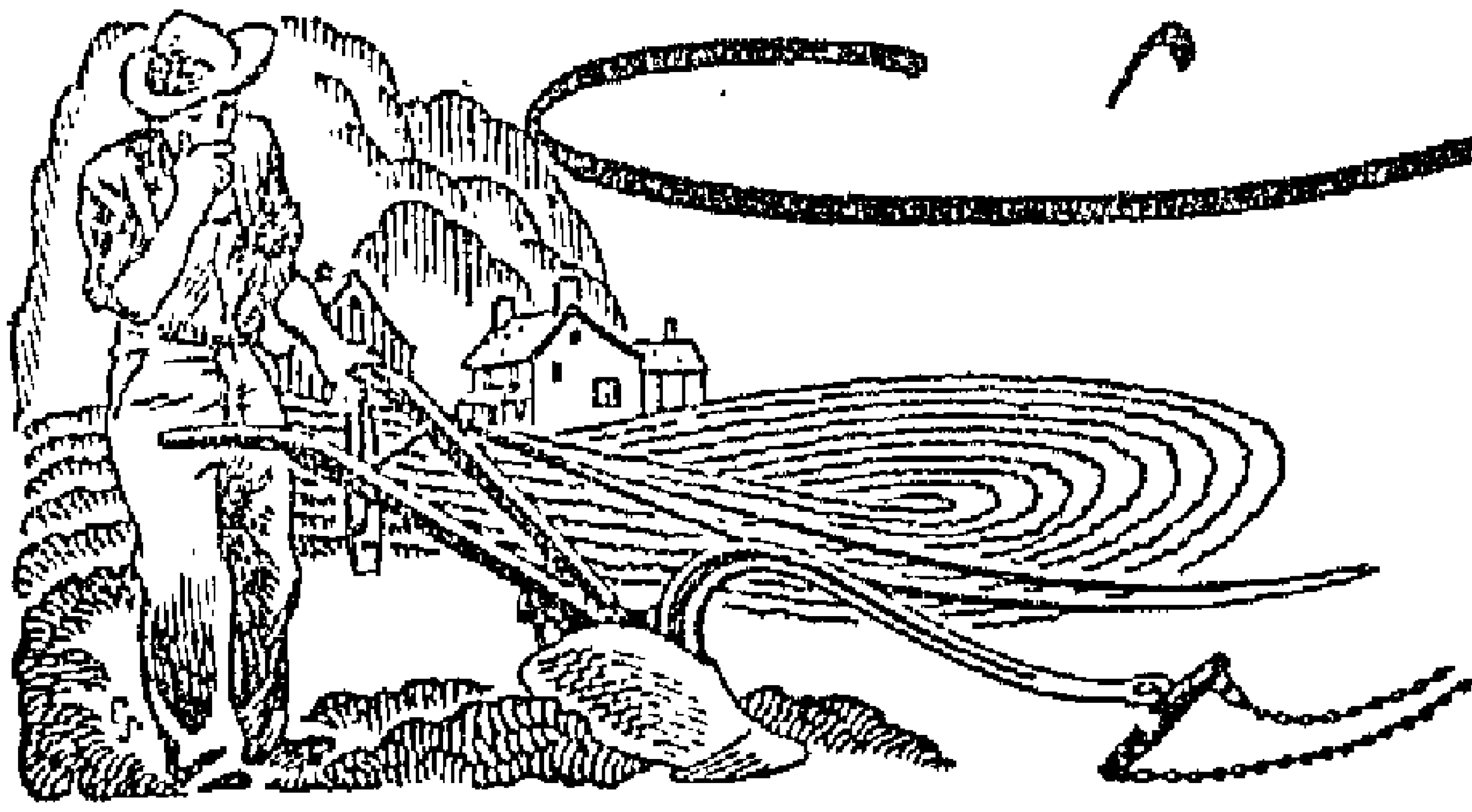
« وفى تلك الليلة جاء إلى الفندق ذلك الرجل الذى كان يريد أن يشترى تشهاليس وقال لى : « ٧٢٠٠ ريال فوراً يافرانك » فتذكرت وجه كيتى الذى ابيضّ ثم قلت : « إن تشهاليس لك أيها السيد » .

وفى صبيحة اليوم التالى آنست كيتى من نفسها القوة على أن تذهب إلى الإصطبل وهناك ، أقسم بالله أن الحصان ابتسم لها ، وراح يصهل كما كان يفعل فى البيت ، ويشمها ، فغلب عليها البكاء . ومد فمه خارج قضبان الحظيرة والتقط منديلها من جيب ردائها كما كان يفعل من قبل ، وكان آخر عهدنا به وقد وقف ينظر إلينا ممسكا بالمنديل فى فمه ، وكأنه غرة بيضاء فى ردائه الأسود اللماع » .

وعندئذ قالت كيتى :

« كان ذلك منذ نيف وأربعين سنة ، وأنا امرأة لا تدين بالحب إلا لرجل واحد ، وكذلك كان تشهاليس جواد رجل واحد ، فلم يكسب سباقاً واحداً بعد أن تركه فرانك — سباقاً واحداً ، ومات بقلب كسير » .

وجرت إلى فرانك وأوت بين ذراعيه كما يأوى الطائر إلى عشه ، وألقت رأسها على كتفه ، فضمها فى حنان وربت على خدها . ثم لم أستطع أن أتبين شيئاً واضحاً بعد ذلك ، ولكنى تصورت فى ذهنى منظر فرانك وقد ارتدى سترته الحريرية الزرقاء وسراويله البيضاء ، ومنظر تشهاليس الضئيل الأسود يطير على أرض السباق ليسجل رقماً قياسياً ، كما تصورت آخر منظر للجواد وقد وقف فى ذلك اليوم فى بوسطن ، وفى فمه حريرة بيضاء ، يشيعهما ببصره سدّى وهما يتركانه . فكان مثار حزنهما العظيم الفريد ، كما كان حبهما العظيم الفريد .



أبطلوا المحراث

« من كتاب « جريرة الحارث » الذى أحدث انقلابا خطيراً فى الزراعة بقوله إن المحراث العادى يهدد كيان الأرض »

لويس برومفيلد

هذه قصة رجل اصاب النجاح بفكرة سديدة وقع عليها فاستمسك بها حتى أتته الشهرة تجرر فى أذيالها بعض الثراء . وقد يكون ما وقع عليه شيئاً يقلب اتجاه التاريخ الاقتصادى فى أمريكا رأساً على عقب ، وربما أقيمت له بعد خمسين سنة تماثيل تكريماً له فى المناطق الزراعية الغنية ، كالتماثيل التى أقيمت لتخليد ذكرى باستور الذى أنقذ صناعة النبيذ الفرنسى من البوار .

رأيت هذا الرجل أول مرة منذ أربع سنين مضت فبادرنى بقوله : « أنا إد فوكنر وقد جئت لأقابلك ، إذ علمت أنك مهتم بشؤون الزراعة » .

كان أشيب مفتول العضل ، وكان محدثاً قديراً ، تشع من عينيه الزرقاوين الصافيتين تلك النظرة الثابتة التى طالما عهدتها فى أولئك الذين يأتون إلىّ بمشاريع لإنقاذ العالم . وكان اهتمام فوكنر قاصراً على شئ واحد هو كيف يقوى التربة ، ويعين الزراع على إحياء أرض أمريكا الزراعية الخصبة التى أخذ الاضمحلال يسرع فيها .

حدثنى فوكنر عن حديقته بإليريا بولاية أوهيو ، وعن فدانين من الأرض الرخيصة الضعيفة استأجرها ليتخذها حقلا لتجاربه . كان وكيل أعمال واستقال من عمله إذ لم ترض رؤساءه بعض آرائه المتطرفة . وهو الآن يبيع ضمانات التأمين كلما أعوزه المال لسداد كراء أرضه . وكان أبوه مزارعاً فى كنتكى ، جعل من مزرعته جزيرة يانعة خضراء وسط تيه المزارع الموات المقفرة فى تلك الجهة . وكثير من آراء فوكنر وأفكاره قد انحدرت إليه عن أبيه .

وسرعان ما اكتشفت أنه يدعو إلى إبطال محراث مولدبورد (وهو المحراث العادى المعروف لكل إنسان). فهذه الأداة العالمية التى تقلب ملايين الملايين من الأفدنة كل سنة فى جميع أنحاء العالم ، تقوّض فى

لويس برومفلد ، روائى مشهور ، وفلاح يعنى بشئون الأرض عناية بحث وتطبيق .

الوقت نفسه — كما يرى زائرى — أسس اقتصادنا ومدنيتنا . وبدا لى اقتراحه كاقتراح من يقول باستغناء عالم الصناعة عن الآلات المحركة أو أفران صهر المعادن .

اخترع هذا المحراث القديم فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر ، ولم يكن الحرث حتى ذلك الوقت أكثر من نبش سطح الأرض ، فجاءت الأداة الجديدة تقلب التربة إلى غور عشر بوصات ، وتدفن كل شىء على ظهر الأرض المحروثة تاركة سطحاً نظيفاً خالياً يمكن أن يحول تراباً دقيقاً قبل الزرع . وقد قلبت هذه الأداة أوضاع الزراعة ، وفتحت مساحات هائلة من الأرض للاستثمار السريع ، حتى عدّت من أكبر مقومات التقدم والمدنية . وهأنذا أسمع اليوم أنها شىء بالغ الضرر شديد الإتلاف . ونظرت إلى محدثى على أنه رجل مخبول وإن يكن ذكيا .

بيد أن فوكنر ، وهو شخص شديد المراس ، قد وقع على بعض حقائق سليمة فاستمسك بها جاهداً فى وجه كل مقاومة . وتوالت زياراته لى خلال السنتين أو الثلاث التالية ، وأخبرنى أنه يؤلف كتاباً ، وألفيتنى فى كل مرة أستفيد منه شيئاً جديداً .

وقد اختلفنا فى خير طريقة لإحياء التربة الفوقية المتداعية وزيادة خصبها ، وهى التى توفر لنا جميع أقواتنا وقدراً كبيراً من أثاث منازلنا وعجائننا الكيميائية وزيوتنا وطعام مواشينا وملابسنا . ولقد أيدت — كما تفعل جمهرة الزارعين — فكرة تقوية التربة بحرثها حرثاً عميقاً ، ودفن السماد وحشائش الأرض والفضلات ليزيد قدر ما يستخرج من أغوارها إلى ظهرها ! فدفع فوكنر فى إيمان شديد بأنه يجب أن نزيدها خصباً بترك الأسمدة والحشائش والفضلات جميعاً تتراكم وتتحلل على السطح . وبتعبير آخر ، أن نقوّى ظهرها بتكديس مقادير وافرة من المواد العضوية المتحللة على السطح كما تفعل الطبيعة دائماً .

ولم ألبث حتى جاءنى بمخطوط كتابه ، فألفيته على شىء من الخلط ، فأدليت ببضعة آراء ، ولكن لم تكن أية ملاحظة لتثبط من همة فوكنر وحماسته .

وفى الصيف الماضى تلقيت كتاباً عليه اسم إحدى مطابعنا الجامعية الحديثة ، وكان عنوانه « جريرة الحارث » لمؤلفه إدوارد ج . فوكنر . ولم أنته من قراءته حتى كانت الساعة الثالثة صباحاً ، وأغمضت عينى وقد صرت من أشياع فوكنر ، وأزمعت منذ ذلك الحين أن لا أستخدم المحراث العادى فى زراعتى إلا فى الفرط والندرة .

وسهر كثيرون طوال الليل فى الأسابيع التى تلت نشر الكتاب يقرأون « جريرة

الحارث» ، واستطار صيت الكتاب فكثرت التعليقات والمقالات والافتتاحيات فى جميع الصحف والمجـــلات ، وطيرت الإذاعـة اللاسلكية أنباءه ، فألفيت النـاس أينما ذهب يتجـادلون فى أمر هذا الكتاب ، وربما لم يثر أى كتاب فى موضوع زراعى ما أثاره كتاب فوكنر من الجدل فى هذه البـلاد .

وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى أصبح فوكنر — وكيل الأعمال السابق وبائع ضمانات التأمين بإليريا — رجلا يشار إليه بالبنان ، فقصده الناس من كل فج عميق ، واضطر إلى اتخاذ سكرتير للإجابة على أكداس الرسائل التى انهالت عليـه ، وأذيعت له خطابات بالراديو ، واستخدمته إحـدى شركات الإذاعة الكبرى معلقاً ومستشاراً زراعياً . وكانت قصته قصة من صميم الحياة ، فقد آمن إد فوكنر بأنه على صواب ، فتمسك بآرائه وأفكاره فى وجه كل معارضة ، وخرج من النضال ظافراً منتصراً . وأخلق به أن يترك طابعـه زمناً طويلا على زراعة بلاده واقتصادها بل على مدنيتها أيضاً .

فقد نشرت رسالته وأمريكا تشعر بالبوار الذى يهدد أراضيها ، جاءت وقد اكتشف سـكان المدن لأول مرة فى تاريخ الأمـة الأمريكية أنه من الممكن أن تشح الأقوات بلا ريب فى هذه البلاد الغنية .

وتتلخص نظرية فوكنر فى نقد المحراث المستعمل ، أن هـذا المحراث يترك الأرض خلواً من كل شىء ، معرضة لعوامل التعرية من هواء وماء ، وللتبخر السريع بالشمس والهواء . وهذا يقلل الإنتاج ويؤدى بمرور الزمن إلى بوار التربة الفوقية بواراً تاماً . وثمة ضرر آخر ، إن يكن ثانويا إلا أن له خطره ، فإن حشائش الأرض والفضلات المدفونة تحت السطح تستغرق أشهراً حتى تتحلل ، وفى خلال هـذه المدة تبقى التربة حمضية ، وتفعل طبقة المواد العضوية الكثيفة التى تتحلل فى بطء فعـل ورق النشاف ، فتحول دون وصول رطوبة التربة التحتيـة إلى جذور النبـاتات التى على السطح حين تمتصها الشعيرات . وهذا العمل وما يقترن به من تبخير الشمس الشديد فى تربة عارية من سـباخ الحشائش والفضـلات ، يخلق حالة مصطنعة من الجفاف بين طبقة النشاف وسطح الأرض لتى أيبسته حرارة الشمس . ويقابل ذلك ، كما يقول فوكنر ، أنك إذ استخدمت نوعاً من المحاريث (كالمحراث ذى القرص أو غيره) يفتت السطح ويفككه دون أن يقلب الحشائش والفضلات فى غور الأرض ، ظفرت بأرض ممهـدة للبذور

لا تمنع الشعيرات أن تمتص رطوبة التربة التحتية ، وتترك فى الوقت نفسه من السباخ على السطح ما يمنع التبخر . وبذلك تدخر تلك الرطوبة الثمينة لكى تغذى محصولاتك. وعلاوة على ذلك فإن سباخ الفضلات على السطح يمنع مياه الأمطار من الانسياب — كما يحدث حين يكون السطح عارياً — ومن فيضان القنوات بالماء حتى لا تكتسح أطناناً من التربة الفوقية . كذلك يمنع وجود هذا السباخ على التربة الفوقية من أن تذروها الرياح تراباً .

كان كثير مما كتبه فوكنر معروفاً لدى الكثيرين من الخبراء الزراعيين . وقد وضع الكثير من آرائه وطريقته موضع التنفيذ ، وخاصة فى منطقة المنخفضات البور . كانت الماشية ترعى مناطق المراعى ، فى أسوأ أيام استغلال أمريكا للزراعة ، فلا تبقى على شىء منها ، حتى مات الحشيش ، وتركت التربة الفوقية عارية تذروها الرياح . وكان القش يحرق فى حقول القمح المترامية الأطراف ، وما تبقى فى الأرض من فضلات كان يحرث ويقلب إلى الغور ، وتترك الأرض عارية ، فسرعان ما تعصف بها الريح أو يكتسحها الماء . وقد أنقصت هذه الأساليب إنتاج الغلال ، وأفضت إلى كوارث زراعية فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٠ و١٩٤٠ ، هجرت من جرائها ملايين الأفدنة من الأراضى الزراعية الجيدة .

ويستحق خبراؤنا الزراعيون جميل الثناء ، فقد بادروا فصدوا كارثة الأراضى الزراعية البائرة ، وكان لما اتخذوه أثر ناجع فعال فى صد تلك الكارثة ، وجعلوا أساس كفاحهم أمرين : هما غرس أشجار واقية من الرياح ، ونبذ المحراث العادى الذى يقلب الأرض ، ويترك القش على الأرض فى الحقول الواسعة لتقطعها المحاريث ذوات القرص، فتقى التربة الفوقية من الريح والمطر، ولتكون سباخاً يمنع تبخر الرطوبة بالشمس ، ويتوفر للأرض تلك المادة العضوية المتحللة الثمينة اللازمة للخصب .

وكان حتما أن يتقدم أحد الناس بمثل كتاب « جريرة الحارث » يوماً ما ، فقد كان الناس يشعرون منذ أمد بعيد بمساوئ الأساليب الزراعية فى هذه البلاد . وطالما سمعهم يرددون أن الزارع الأمريكى هو أسوأ زارع فى العالم . وكان التقليد السائد فى الزراعة فى أمريكا أن يقوض الزارع كيان التربة ، فيتلف مزرعة فى بنسلفانيا ثم يهجرها غرباً إلى إنديانا حيث يستأجر قطعة أرض رخيصة يستغلها ويلفيها هى أيضاً ، ويمعن فى التنقل غرباً ليكرر المأساة وهكذا دواليك .

لقد أتلفنا ربع أراضينا الزراعية الجيدة ، وثمة ربع ثان فى سبيله إلى البوار . وإنا انجد عاقبة هذا فى نقص الأغذية والأقوات ، فلم تبق هنالك أرض بكر ذات قيمة ، وقلما كانت الأرض فى أمريكا عزيزة على أصحابها .

لقد كان الزارع الأمريكى فى الغالب يخالف ناموس الطبيعة ، مع أن الزراعة الحديثة تقوم على مبدأ العمل وفق نواميس الطبيعة واتباع طرائقها .

يقول فوكنر إن أول ما دفعه إلى التفكير فى مساوئ المحراث العادى هو ما لاحظه فى الأشجار النامية فى حواجز النباتات وقت الجفاف . فقد كانت الأشجار فى الحقول العارية التى أحرقتها حرارة الشمس تذوى وتموت ، ولكنها تنمو وتترعرع فى حواجز النباتات ، حيث لم تحرث الأرض وحيث يغطيها سباخ الأعشاب والحشائش المتحللة ، وحيث التربة رطبة متفككة .

ولقد شاهدت فى مزرعتى الخاصة حقلين من التوت البرى الأحمر لا يفصل أحدهما عن الآخر ما يزيد على مائة ياردة . أحدهما ضعيف مريض ترعاه الحشرات ، والآخر سليم ينوء بما يحمل من ثمار . وكان الحقل المريض قد حرث ونقى من الحشائش والأعشاب ، أما الحقل السليم فقد ترك على سبيل التجربة دون أن يمس ، ولم يمون بسباخ الماشية غير مرتين فى السنة فقط ، ولم يرش بالمواد القاتلة للحشرات ، فإن الحشرات لا تهاجم النباتات المسبخة . وكان الحقل المريض قد عولج بطرق منافية للطبيعة ، أما فى الحقل السليم فقد اتبعنا طريقة الطبيعة نفسها ، وحصلنا على نتائج تثير الدهشة .

ثار فى أواخر الصيف الماضى جدل فى مزرعتنا عن أساليب الزراعة . كان الحقل الذى نحرثه استعداداً لزراعة القمح يقع على الطريق تحت بصر الرائح والغادى ، وكانت الأرض صلبة تغطيها حشائش وأعشاب كثيفة من الصعب حرثها وقلبها كلها . فأبدى كنث كوك ، الذى كان يحرثها ، تذمره من تلك الحال فقلت له : « لا تلق بالا إلى قلب هذه الأعشاب ، وأحب إلى أن تترك على السطح ليقطعها المحراث ذو القرص » .

فقال كنث : « ماذا يظن الجيران بنا إذا رأوا مثل هذا الحرث ! » فلم ألبث أن تنبهت إلى إحدى مساوئ المحراث العادى ، وهى زهو الزارع بالحرث الجيد الذى يترك الأرض خلواً من كل شىء .

فقلت : « ما حرصنا على رأى الجيران ، إذا ظفرنا بنتاج حسن ؟ ! » .

وفى ذلك المساء أعطيت كنث كتاب «حريرة الحارث» ليقرأه ، فلما جاء الصباح

ابتدرني بقوله : « إياك أن تعطيني كتباً مثل هذا ، فقد أرقني الليل كله » . وبعد مرور يومين قال لي : « لا أظن أني سأحرث حديقتي هذا الخريف ، وسأكتفي بتفكيكها بالمحراث ذي القرص ، وأزرعها شوفانا ، ثم أجري عليها القرص مرة أخرى في الربيع المقبل » .

لقد ظفر فوكنر بمزيد آخر من صفوف الزراع المحافظين الأمريكيين ، وأثار بكتابه مشكلة عويصة لمصانع الآلات الزراعية ، هي توفير أداة جديدة تقوم مقام المحراث العادي . وقد ظهر في الأسواق في السنين الأخيرة عدد من المحاريث ذوات القرص وغيرها لا تقلب التربة بل تفتتها وتقطعها ، ولكن ليس بينها محراث صالح من جميع الوجوه لإعداد جميع أنواع التربة في الظروف المختلفة . وقد كان كتاب « جريرة الحارث » سبباً في ازدياد الطلب على هذه المحاريث زيادة كبيرة ، وأظن أن المحراث العادي سيقل استعماله بل ربما زال من عالم الزراعة .

إن التقدير الذي قوبل به كتاب فوكنر دليل على أن الانقلاب في الزراعة وأساليبها قد استرعى انتباه الناس واهتمامهم . وقد سمعت أخيراً أحد الاقتصاديين الزراعيين في وشنطن يقول : « إن الحضارة الأمريكية قائمة على تسع بوصات من التربة الزراعية . فإذا ذهبت هذه التربة ذهبت معها حضارتنا » . ولن تكون هذه أول مرة يحدث فيها ذلك ، فإن سطح الأرض ملىء بآثار أمم وحضارات جرّت على نفسها الهلاك بإتلافها التربة التي تعيش عليها .

✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡

عناء الشاعر

في المتحف البريطاني بلندن خمس وسبعون صورة لقصيدة توماس جراي الموسومة « مرثية في فضاء كنيسة في الريف » . وقد كتب جراي الصورة الأولى فلم تعجبه فكتب الثانية فالثالثة وهكذا ، حتى كتبها خمساً وسبعين مرة فارتضى الصورة الأخيرة .

[كارل ساندبرج]

● الحب هو تاريخ حياة المرأة ، وليس إلا حادثاً عابراً في حياة الرجل .

[مدام دوستايل]

● ليس سر السعادة في أن تعمل ما تحب بل في أن تحب ما تعمل .

[جيمز باري]

من فراش المرض.. إلى الميدان

ألبرت ميزل • ملخصة عن مجلة "الأنباء الجوية"

كان أحد الأطباء ، وقد هجر عيادته حديثاً وانضم إلى الجيش ، يتفقد مرضى المستشفى الكبير التابع للسلاح الجوى بثكنات جفرسون ، وهو مستشفى فيه ألفا سرير . ووقف يسأل مريضاً فى قالب من الجص كيلا يتحرك : كم قضى من الزمن وهو ملقى على ظهره ؟

فقال الشاب : منذ ستة أسابيع ياسيدى . وما زلت أحدق فى هذا السقف منذ ٤٢ يوماً وقد أحصيت فيه ٣٨ صفا من المسامير ، وفى كل صف ٣١ مسماراً . وفيه ١٢ صدعاً من الشرق إلى الغرب ، و ١٤ صدعاً من الشمال إلى الجنوب . وفى الأسبوع الماضى نسجت عليه عنكبوت ولكنهم أزالوها . .

كان ذلك منذ عام مضى .

أما اليوم فإن مستشفيات السلاح الجوى الأمريكى ، وعددها ٢٢٥ مستشفى ، لم تعد مواطن ضجر أو سآمة . نعم قد يسير المرء فى مختلف أقسامها فلا يزال يرى كل طريح على الفراش يحدّق فى السقف ، ولكنه لم يعد يحصى المسامير ، بل يدرس نماذج طائرات مدلاة من السقف .

وهذه النماذج تستبدل كل يوم لكى يتسنى لكل مريض أن يتبين كل طراز من طائرات الحلفاء أو الأعداء . وهذه النماذج يصنعها الناقهون فى أثناء نقههم .

وأول ما يفجأ الرائى أن تدريب المرضى يبدأ فى أول فرصة ممكنة ، حتى لا تجد السآمة إليهم سبيلا . ويستمر تدريب الجنود الجدد فيتلقون دروساً فى الإسعاف وفن التضليل ، وفى التمييز بين الطائرات وما إلى ذلك ، فالوقت الذى يقضيه المرضى فى المستشفى لا يضيع سدى . ومتى غادر المريض المستشفى أعطى شهادة بنوع العمل الذى أتقنه ، تعتمدها فرقهم كل الاعتماد . وهذا أمر يعود على الجيش بالخير كما يعود على الجندى بخير أعم ، فقد كان المرضى من الجنود فى كرب دائم من خشيتهم أن يتأخروا عن سائر

ألبرت . ك . ميزل هو أحد مراسلى الصحف يعنى بالطب خاصة . وقد ألف عدة كتب منها « عجائب الطب العسكرى » . وهو اليوم منهمك فى تأليف كتاب يصف فيه الأعمال الطبية العظيمة التى يقوم بها أطباء الأسطول الأمريكى فى جنوب المحيط الهادى .

رفاقه . وأن يفرق بينهم وبين أصحابهم فيلحقوا بفرقة جديدة ويعاد تدريبهم من جديد .

أما الجنود الذين تم تدريبهم — والذين قد خدموا فيما وراء البحار — فيجدون دائماً أشياء جديدة يستطيعون أن يتعلموها ، كالراديو ، وقراءة الخرائط ، والطبيعيات ، والتصوير ، والكهربائية ، والمسطرة الحاسبة والسباحة .

واتفق أخيراً أن كان بين مرضى أحد المستشفيات اثنا عشر طاهياً وخبازاً ، وكان أحدهم كبير الطهاة فى أحد فنادق نيويورك . فلم يلبث أن أنشىء فصل لتعليم الطهى ، وشرع ذلك الطاهى يلقن رفاقه دروساً فى أفانين الطهى . ولم تمض بضعة أيام حتى صارت تقدم موائد المستشفى ألواناً جديدة من الطعام الشهى .

أما العدد القليل من الأميين فلهم فصول تعلمهم . فمستشفيات السلاح الجوى تستطيع أن تعلم أى إنسان أن يكتب اسمه بسهولة فى يوم واحد . وإن المرء ليعجز عن تصور أثر ذلك فى روح الجندى المعنوية ، وفى اعتداده بنفسه .

وقد تعلم ٥٧ جنديا من الناقهين فى إحدى المستشفيات القراءة والكتابة فى ستة أسابيع . ولما غادروا المستشفى كان فى وسعهم أن يقرأوا الوثائق والأوامر ويكتبوا الرسائل إلى أهلهم . وأهم من ذلك أنهم أدركوا أن فى استطاعتهم أن يتعلموا ، أى أنهم لم يكونوا دمى كما كان يخيل إليهم من قبل .

وقد كان الرجل فى مستشفى جفرسون يقضى ٤٥ يوماً حتى يبرأ من تسمم ذات الرئة ، أما الآن فينطلق هؤلاء الرجال إلى أعمالهم بعد ٣١ يوماً . وليس يراد بتسريحهم من المستشفى التباهى بنجاح المعالجة ، كلا ، فقبل إنشاء هذا النظام للناقهين كان الذين يغادرون المستشفى بعد الشفاء من ذات الرئة يعودون بعد بضعة أسابيع وقد نكسوا ، أما فى الربيع الماضى فلم يزد عدد الذين نكسوا على ثلاثة فى المائة . ويعزى هذا التحسن إلى برنامج العلاج العقلى والجسمى .

وقد ترى فى بعض أقسام المستشفى المظلمة مرضى يتدربون على الإشارات والرموز الضوئية بأجهزة قد صنعوها من بطاريات المصابيح ، ومن علب الورق المقوى .

وفى كثير من المستشفيات أجهزة تلغرافيه على المناضد المجاورة لسرير المريض . وكان المرضى من عمال التلغراف يغادرون المستشفى وقد فقدوا رشاقة أناملهم . أما اليوم فهم يغادرونها كما كانوا أبداً ، بل أسرع مما كانوا .

وفى مستشفى « ويستوفر فيلد » بولاية

مساتشوستس ، ترى ميكانيكيا مريضاً يدفع بيديه عجلة كرسيه إلى محرك طائرة ، فيأخذ المحرك وادعاً ويفككه ليفحص جهاز التبخير. وفى مستشفى « لورنبرج ماكستون » بولاية نورث كارولينا يتدرب الناقهون على تفكيك الطائرات الشراعيــة وإعادة بنائها . وفى مستشفى « ثكنات جفرسون » قد يصعب عليك أن ترى المرضى ، لأنهم يتدربون على فن التضليل والتعمية (الكاموفلاج) وهم فى أسرتهم تحت كِلَل (ناموسيات) من صنع أيديهم .

وإنك لتكاد تجــد فى كل مستشفى من مســتشفيات القوة الجوية رجالا ينصــتون للفونوغراف طول نهارهم ، وما إنصاتهم للأغانى الحديثــة ، بل لأسطوانات تعــلم الجنـــدى ما ينفعه من الجمل الإســبانية أو اليابانيــة أو العربية أو الإيطالية فى مدة لا تزيد على سبع ساعات .

هذه الأعمال ، وغيرها مما يثير الدهشة ، هى جزء من برنامج يعرف ببرنامج «تدريب الناقهين من رجال السلاح الجوى» . وقد بدأ منــذ عام مضى يوم وقف اللفتنانت كولونيل هوارد . ا . رنسك يحادث الفتى الذى أحصى صدوع السقف . وكان أول ما يرجوه الدكتور رسك أن يخفف عن المرضى ما يعتريهم من السأم . ولكن لم يكد يمضى فى تنفيذ برنامجه حتى بدت له أشــياء مدهشة ، فقــد أسرع برء المرضى ، وقل عدد الذين كانوا يصابون بالنكسة .

وسمع الماجور جنرال دافيــد جرانت ، كبير جراحى السلاح الجوى ، بذلك البرنامج فاحتفى به ، ولم ينقض أسبوعان حتى أصدر أمره إلى الكولونيل رســك بتعميمه فى جميع مستشفيات السلاح الجوى .

وقد زرت مستشفى الناقهين فى « ميامى بيتش » — وهو فى فنــدقين مواجهين للبحر — فألبسونى ثياب المرضى من الجند والمعطف الخفيف الأحمر . فلما تم تنكرى انطلقت أجول فى أقسام المستشفى .

والجنود الذين يأتون من وراء البحار مصابين بإعياء من جراء العمليات الجراحية أو باضطراب عصبى ، أو بإصابات لا تحتاج إلى معالجة جراحية مهمة ، يذهبون من فورهم إلى أحد مراكز الاستشفاء السبعة . أما الذين كانت إصابتهم بالغــة من رجال السلاح الجوى فيغادرون المستشفى إلى أحد منشآت الاستشفاء فى أول فرصة .

وقد رأى جراحو الســلاح الجوى أن خير ما يصنعون أن يخبروا المريض فى أول فرصة بسبب دخوله المستشفى ، وما ينبغى له أن يتوقعه فى مرضه ، وبذلك يتسنى لهم أن يقهروا ما يغلب أكثر المصابين من

كآبة نلازمهم وهم يصعدون فى الطريق الطويل إلى ذروة الشفاء .

وقد وقفت أنا مع أحد الجراحين أمام سرير جاويش مصاب بجروح من رصاصة وقد بترت ساقه ، وكان قد جىء به من أحد الميادين وراء البحار منذ يومين ، وقد استبان فيه ضعف العقل .

أنبأنا أنه أصيب فى نابولى برصاص طائرتين ألمانيتين من طراز مسر شميت . ثم صوب نظره إلى حيث كانت ساقه اليمنى وقد انقبضت أسارير وجهه الطليق الغض وقال : « كنت سائق مركبة » . فقاطعه الطبيب قائلا : « لقد جئت إلى حيث ينبغى أن تجىء . فانظر ما سنفعله . سنشفيك قبل كل شىء . وأخشى أن يتطلب الأمر عملية جراحية أخرى . ولكن ينبغى لنا قبل أن نجريها أن نلتمس فيما بيننا نوع العمل الذى تود أن تزاوله متى تم تسريحك من الجيش ، ثم نمرنك عليه وأنت فى سريرك وسنركب لك ساقاً صناعية ، ولا تنس أنهم اليوم يتقنون صناعتها ، وستستطيع أن تعود إلى عملك وتسوق المركبة إذا شئت . ولعلك تختار أن تزاول عملا أحسن من ذلك » .

ولما فرغ الطبيب من كلامه أطبق صمت طويل ، صدعه الجاويش أخيراً بقوله : « تبا لهم لماذا لم ينبئونى بذلك من قبل ؟ إنى لأستحسن ما قلت . لنبدأ فى الحال » .

نعم كان يجب أن ينبأ بذلك من قبل لكى يكفى مؤونة الهم ، ومنذ تلك الدقيقة وبرنامج علاج المريض يبدأ فعلا أول ما تحمله الطائرة .

وفى هذه المناسبات يحافظ كل المحافظة على العلاقة الوثيقة التى اعتنى بتوطيدها بين الطيار وجراح السرب(*) ، فجراح السرب ينبغى أن يكون صديقاً كما ينبغى أن يكون طبيباً . وقد يحرص على ميعاد يهيؤه للغنى كما يحرص على جودة الوصفة الطبية . وخير الأمكنة التى تجرى فيها المشورة الطبية هو حوض السباحة الفخم فى « كورال جايبلس » ، وقد أنفق على إنشائه مليون دولار . وكما قال أحد الأطباء : « إن فى وسعى أن أبذل جهدى فى شفاء نصف المرضى ، ولكن فى وسع أشعة الشمس وحوض السباحة أن تشفيهم جميعاً » .

والغاية الأولى هى أن ترد على الجندى كل مقدرته على القتال ، فإذا لم يتسن ذلك فيجب تدريبه على أى عمل آخر من أعمال السلاح الجوى . فقائد الطائرة المقاتلة يصبح معلماً فى مدرسة الطيران ، ورجال الطائرة

(*) انظر « جراح السرب » المختار فبراير ١٩٤٤ صفحة ٧٤

ومصوروها الفوتوغرافيون يصبحون ضباطاً فى قسم مخابرات الطيران . والمدفعى يدرب على تدريس فنه ، وبهذه الطريقة يهون على الرجال ما أصابهم من النكبات ، فى حين يظفر السلاح الجوى بما استرده أو استبقاه من الكفايات الممتازة .

أما الذين لا يمكن إعادتهم إلى الجيش العامل فيهيأون للعودة إلى الحياة المدنية . وقد نبذت الأفكار القديمة التى كانت ترمى إلى تدريب المرضى على الحرف اليدوية . فلم يعد الجنود ينسجون السلال أو ينظمون عقود الخرز ، بل يتعلمون كيف يميزون بين مختلف الطائرات ، مستعينين على ذلك ببطاقات مصورة ويتمرنون بأجهزة مبتكرة على الرماية وقذف القنابل ، أو يتعلمون ما ينفعهم . ويعمل الجميع فى المصانع استبقاء لقوة عضلاتهم ، واجتلاباً للشعور بأنهم يزاولون أعمالا جديدة .

وأصبح السلاح الجوى يترقب اليوم الذى توجد فيه أحسن العناية حتى يعود ذوو العاهات قادرين على ممارسة الحياة المدنية .

وشفاء المرضى — على ما يرى السلاح الجوى الأمريكى — لا ينبغى أن تكون نهايته فحص أجسامهم ، ثم إعطاءهم تذاكر العودة إلى بلادهم . ولذلك نقل جميع معلمى الحرف من سلاح الطيران ليقوموا على تدريب الجنود وفقاً لهذا البرنامج .

ولذلك فمنذ اليوم الأول ، حين يصل الجندى إلى أحد مراكز الشفاء ، يبدأ ببرنامج يتدرب فيه على حرفة يرجى منها أن ترد عليه اعتماده على نفسه ، واعتداده بكرامته ، وتهيئه لضرب من الحياة ينتفع به فى الجيش العامل أو فى أرض الوطن .

سر الثناء

إذا أردت أن تثنى على أحد بالخير ، فاجعل الثناء على الجزئيات . فمثلا إذا أردت أن تعرب عن إعجابك ببيت أحدهم فاحذر أن تقول له عبارة عامة مثل : « إن بيتك هذا لطيف » وتخير شيئاً معيناً كالمنظر الذى يبدو من نافذته ، أو الحذق فى تأثيث غرفة . ولا تقل لامرأة أن قبعتها «تلائمها» وحسب ، بل قل لها إن اللون بديع ، أو إن زاوية وضعها على الرأس تخلب الألباب أو ما كان من هذا القبيل .

[دوروثى وولورث]

فلسفة فذة لقائد ممتاز ، درب على أساسها فصيلة من فرقة البحارة ، فكتب صفحة مجيدة فى تاريخ الحرب .



الكولونيل كارلسون
"والمغيرون" على طريقة "العمل معاً"

لوسيان هبارد · ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

بدت الجزيرة قبالة الغواصتين على مسافة لا تزيد على ثلاثة أرباع ميل ، وكان البحر صاخباً مائجاً يتدفق منه تيار قوى على الشاطئ . وفتحت أبواب الغواصتين واندفع منها إلى سطحهما عدد كبير من الرجال .

كانت الأرض المقابلة هى جزيرة «ميكن» من مجموعة جزر جلبرت — مارشال ، فى قلب المنطقة التى يحتلها اليابانيون . وكان ذلك فى ١٧ أغسطس ١٩٤٢

وكان رجال فصيلة المغيرين الثانية من فرقة البحارة ، وقد دربوا ستة أشهر من أجل تلك الدقيقة الحاسمة ، وكانوا جميعاً من المتطوعين . وقد تدرب نفر مختار منهم على أساليب الفدائيين مدة ثلاثة أشهر فى كاليفورنيا ، وتدربوا شهراً آخر على النزول إلى البر فى قوارب من المطاط . وأخيراً أتموا هذا التدريب فى جزيرة من جزر هواى ، حيث هيأوا بقعة على البر على شاكلة البقعة التى بدت الآن أمامهم حالكة السواد ، ومرنوا فى الليل مرة بعد مرة على النزول إلى الشاطئ ، والإغارة على «دار الحكومة» المقامة من العمد والحبال ، وعلى « المحطات اللاسلكية » ، « والمواقع المحصنة القوية » . أما الآن فقد واجهوا التجربة الأخيرة .

وجعلت الغواصتان تعلوان وتهبطان ، فتارة تهويان تحت سطح الماء وأخرى يحملها الموج على ذروته إلى الشاطئ . وأخيراً استطاع المغيرون إنزال قواربهم إلى البحر بعد أن تسرب الماء إلى أجسامهم ، واكتسحتهم الأمواج مرة بعد أخرى من فوق سطح

لوسيان هبارد ، اشتهر صحفياً ومخرجاً سينمائياً . وقد ذهب منذ ما دخلت أمريكا الحرب إلى أستراليا وغينية الجديدة . مراسلا ملحقاً بقوات الجيش الجوية . وقد فتنته شخصية الكولونيل كارلسون وغارة جزيرة ميكن . فأنجز من عهد قريب فلماً يمثلها . وكل ما فى الفلم واقعى صحيح ، لأن كارلسون كان مستشاره الفنى فى الاخراج .

الغواصة الأملس . ثم أبت محركات القوارب وقد غمرها الماء إلا أن تقف فلا تدور !

لقد جربت مرة بعد أخرى بنجاح فى البحار الصاخبة ، ولكن لقد ضاعت الآن كل تلك التجارب ، وانهارت الخطط المضنية المحكمة، والمواعيد الدقيقة التى وضعت لتضمن الاستيلاء على جميع أجزاء الجزيرة فى وقت واحد ، قبل أن يفيق اليابانيون إلى المقاومة . وفى هذا الخضم المتلاطم ، والتيار القوى يدفع بقوارب المطاط على جوانب الغواصتين ، تبين أنه من المستحيل أن تصل القوارب إلى المواقع المتفق عليها .

وفى طرفة عين قرر قائد المغيرين أن يضرب بالخطط المهيأة عرض الحائط، وصاح فى رجاله : « أنفذوا الكلمة إلى جميع القوارب أن تتبع قاربى هذا . هيا إلى العمل معاً » .

لم يقم القائد وزناً لأى شئ سوى تلك الصفة العزيزة التى امتازوا بها ، وهى القدرة التى اكتسبوها من المرانة العسيرة والتعليم الطويل ، على أن يفكروا لأنفسهم كما يفكر الشباب النابه المدرّب حين يواجه المصاعب الطارئة ويبتكر الخطط للتغلب عليها .

ومضى الركب الطويل المتعرج يشق طريقه فى اللجب شبراً شبراً إلى الخطر المجهول . وكان الرجال يجدفون بعزم لا يلين . وبدلا من أن ينزلوا فى أماكن متعددة فى ظلام الليل نزلوا جميعاً فى بقعة واحدة على الشاطئ مع مطلع الفجر . وقد تم نزولهم إلى البر دون أن يراهم أحد ، فأخرجوا أسلحتهم ووضعوا قواربهم بحيث لا يمتد إليها المد . ولم يكن اليابانيون قد كشفوا نزولهم بعد ، بيد أن نزولهم كان فى غير البقعة الصحيحة وفى غير الوقت المحدد ، ولم يكن من المستطاع استخدام أية خطة من الخطط الموضوعة .

ومع هذا فقد ظل المغيرون من الفصيلة الثانية أربعين ساعة فى جزيرة ميكن ، قضوا فيها على ثلثمائة من اليابانيين ، ودمروا ثلاث محطات لا سلكية ، ومدرّعة وناقلة جنود وطائرتين ، وألف برميل من بنزين الطيران ، وثبتوا فى وجه هجوم جوى عنيف قامت به طائرات يابانية أنفذت على عجل من « جالويت » .

فلما عادوا إلى الشاطئ فى وقت اتفق عليه ، استقلوا القوارب إلى الغواصات وركبوها ، ولم يزل البحر على صخبه ، وقد خسروا ثمانية عشر رجلا فى المعركة ، وغرق اثناعشر وهم يشقون طريقهم فى اللجة المتلاطمة .

فلما عادوا إلى قواعدهم ، استقبل الفصيلة أمير البحر « نيمتز » ، فأثنى عليها وحلى صدر عشرين من رجالها بالأوسمة .

وبعد الغارة على ميكن وجهت الفصيلة إلى « وادى الكنار » حيث ظلت تعمل شهراً كاملا ، من ٤ نوفمبر إلى ٤ ديسمبر ،

وراء خطوط اليابانيين ، فلم يمض منها يوم واحد دون اشتباك أو نزال . فحموا الجناح الأيمن للقوة الأمريكية الرئيسية ، وكشفوا موضع المدفع الياباني المخبوء من عيار ٧٥ ، وكان يضايق تلك القوة ، فدمروه تدميراً ، وأوقعوا بقوات يابانية مرة بعد أخرى وأتلفوا أكداس المؤن والأقوات .

ولم يكن لهؤلاء المغامرين من المؤونة ما يقتاتون به إلا قدر يسير من الأرز واللحم القدد والشاى والعنب المجفف . وقد انقطعت صلتهم بالقوة الأمريكية الرئيسية فى الجزيرة ، ولكنهم مع ذلك قضوا على ثمانمائة من اليابانيين ، وكانت خسارتهم لا تعدو ستة عشر قتيلا وثمانية عشر جريحاً .

وأخيراً بدا الهزال عليهم لقلة القوت ، فأنفذ الجنرال «فانديجرفت» الأمر بعودتهم إلى مطار هندرسن ، على أنهم أبوا أن يجوسوا خلال الأدغال الكثيفة فاقتحموا طريقهم اقتحاماً فى ساحة مونت أوستن .

وقد نالت الفرقة ، علاوة على الأوسمة الكثيرة التى منحت لرجالها ، أحسن الذكر فى التقرير الذى أعده الجنرال فانديجرفت لأعمالها المجيدة فى وادى الكنار . وكانت هذه أول مرة حدث فيها ذلك منذ الدفاع المجيد عن جزيرة ويك .

كانت هذه الغارات مغامرات عجيبة ، لا يمكن أن يأتيها إلا قائد عجيب وعصبة فريدة تشد أزره . وكان هذا القائد هو الكولونيل إيفانز كارلسون . ولن تستطيع أن تدرك سر بطولة هذه العصبة إلا إذا أحطت بهذا الرجل خبراً .

كان إيفانز كارلسون ، ابن واعظ من ولاية كونيكتيكت من سلالة نرويجية ، يبلغ السابعة والأربعين من العمر نحيفاً ، معتدل القامة عريض المنكبين ، تلمع عيناه الغائرتان ببريق الحمية والبأس ، وكان صوته رقيقاً عميقاً لا تكاد تسمعه وهو يتحدث . كان كارلسون مزيجاً عجيباً من الرجل المفكر ، والرجل المؤمن ، والرجل المحارب .

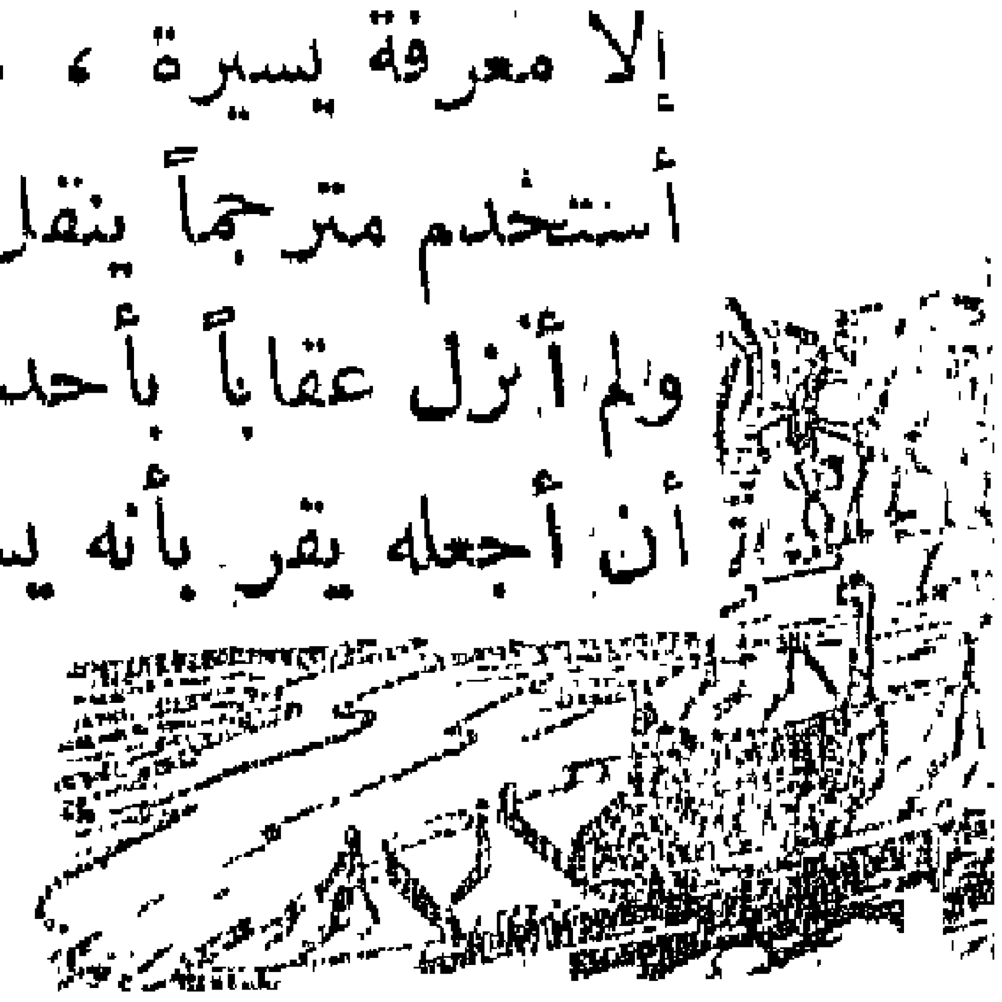
وقد هجر موطنه وهو فى السادسة عشرة والتحق بالجيش . وقد خلبت لبه فنون الحرب ، فجاز الامتحان لرتبة ضابط ، ولكن كان عليه أن ينتظر حتى يبلغ الحادية والعشرين لينالها . بيد أنه لم يكد يشرف على الثانية والعشرين من عمره حتى كان قد تقدم رتبتين إلى رتبة كابتن . وفى الحرب العالمية الأولى عين مساعداً لرئيس أركان حرب الجنرال پرشنج ، وكان يشغل هذا المنصب فى جيش الاحتلال الأمريكى بألمانيا .

وبعد الحرب بدا له العمل فى الجيش سهلا ليناً فاستقال ، ولكنه عاد فالتحق بعد سنتين جندياً بفرقة الجنود البحرية . وبعد

سنة أو نحوها منح رتبة ضابط ، وعمل فى الفيليبين ونيكاراجوا وفى الحاميات البحرية فى الولايات المتحدة وفى الصين ، وكان يقود الجند ويقوم بكل عمل من أعمال أركان الحرب .

وفى تلك السنين المليئة بمختلف الأعمال كانت فلسفة كارلسون — إذا جاز لنا أن نسميها فلسفة — أو نظريته عن العلاقات الإنسانية فى الحرب قد اتخذت شكلا محدوداً فهو يقول : « إذا أنت أجّرت شباناً من الأمريكيين فى أى عمل من أعمال السلم ، فإنك تفيد من كل ما يقدمونه لك ، تفيد من تفكيرهم ، ومن مقترحاتهم ، ومن قوة ابتكارهم . فلماذا إذن لا نحكم العقل وندير عمل الحرب على هذا الأساس نفسه ؟ » .

عهد إليه فى نيكاراجوا إبان حملة ساندينو فى قيادة كتيبة من الجنود الوطنيين قتلوا سلفين له من ضباط فرقة الجنود البحرية . فقال : « لقد عنّ لى أن هذين الضابطين قد لقيا حتفهما لأنهما لم يفهما الجند الذين أمّروا عليهم ، فصممت على أن أبذل الجهد فى فهمهم . ولم أكن أعرف اللغة الإسبانية إلا معرفة يسيرة ، ولكننى منذ البداءة لم أستخدم مترجماً ينقل الكلام بينى وبينهم ، ولم أنزل عقاباً بأحد منهم إلا إذا استطعت أن أجعله يقر بأنه يستاهل ذلك العقاب .



وقبل أن أفارقهم كان هؤلاء الجند الغلاظ يحملون إلىّ مشاكلهم الخاصة يبتغون منى أن أحلها لهم » .

ولما نقل إلى المفوضية الأمريكية ببيبنج قائداً لحرس الجنود البحرية ، وجد أن عليه أن يعاقب فى شهر واحد مائة من الجند أو يزيدون للسكر والعربدة ومشاغبة المدنيين . فأرسل فى طلب بعض المدرسين من مدارس الإرساليات ليلقوا على الجند دروساً فى لغة الصين وفنهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم . وأخذ الجند لأول مرة يرهفون السمع لما يلقى عليهم . ويهتمون بتفهم البيئة التى يعيشون ، فيها فتقاصت قائمة العقاب إلى ثلاثة أو أربعة فى الشهر .

ولكن خبرته التى اكتسبها فى العمل مع الجيش الصينى الشيوعى الثامن هى التى أدت أخيراً إلى تهذيب طريقة كارلسون هذه ، وجعلت لها اسماً هو : « جنج هو » أو « العمل معاً » .

فقد عين كارلسون مراقباً مع الجيش الثامن فى مستهل مقاومته التاريخية لليابانيين الذين اجتاحوا البلاد . وعاش كارلسون كما يعيش الصينيون ، يأكل من أقواتهم القليلة ، ويفترش الأرض ، ويجاريهم فى سيرهم الطويل الذى تضطرهم إليه ضرورات الحرب ، ويرقب عن كثب فصول تعليمهم التى كانت

تحضرها فرق برمتها من الفلاحين ليدرسوا القراءة والكتابة، ويلقنوا ما يجب عليهم نحو الوطن والمواطنين . وشاهد كارلسون الضباط والجند يعيشون معاً سواسية على قدم المساواة ، ولعل أعظم ما رآه هو تلك النتائج الباهرة لذلك التدريب وفي ذلك يقول :

« لقد شاهدت ستمائة جندي في تمام عدتهم وسلاحهم يسيرون ٥٨ ميلا في اليوم فأتم كل فرد منهم هذا السير الشاق الطويل . ومنذ ذلك اليوم أخلصت نفسي لطريقة « العمل معاً » » .

وعند عودته إلى هنج كنج أثار ثناؤه الصريح على الجيش الصيني الثامن واتهامه لليابانيين ، احتجاجات رسمية أدت في النهاية إلى استقالته من فرقة الجنود البحرية سنة ١٩٣٨ . فعاد إلى أمريكا ، وألقى محاضرات كثيرة بين فيها ضرورة وقف إرسال الصلب ومواد الحرب الأخرى إلى اليابان ، عدو أمريكا المنتظر . وفي مايو سنة ١٩٤٠ تبين أن الحرب قاب قوسين أو أدنى ، فطلب الالحاق بالخدمة العسكرية العاملة فمنح رتبة الصاغ في احتياطي الجنود البحرية .

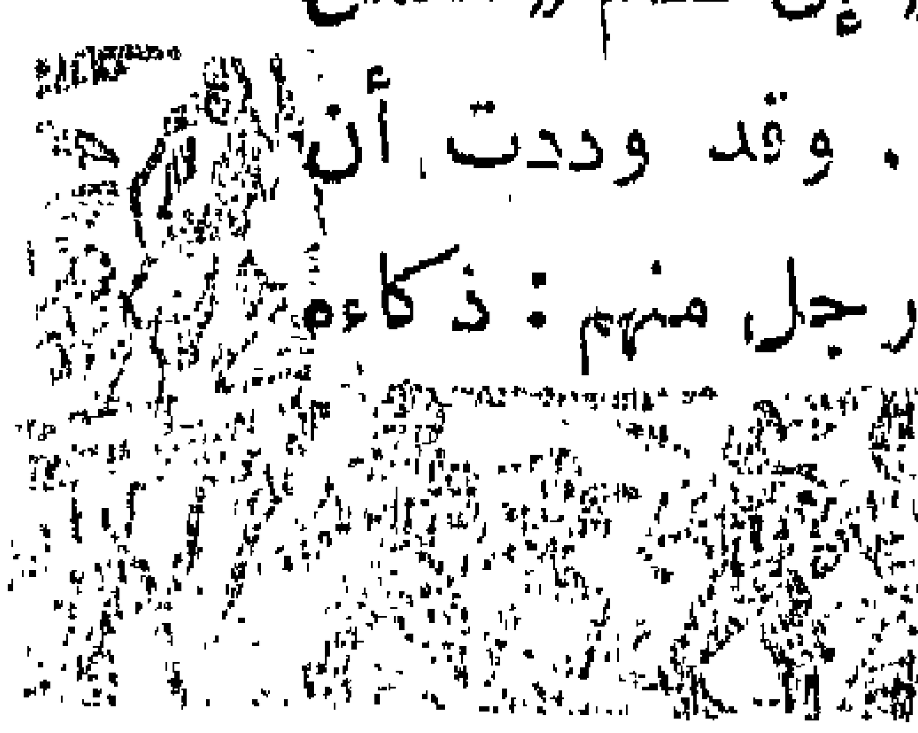
وسنحت له الآن الفرصة المواتية العظمى ، فرصة تنظيم وحدة مستقلة يلقنها المبادئ التي شكلها وآمن بها خلال ثلاثين عاماً من حياته العسكرية .

وقر قراره على أن تكون الوحدة الجديدة فصيلة للمغيرين . ولما كان عملها محفوفاً بالمخاطر الجسام فقد رأى أن يكون قوامها من المتطوعين من بين أفراد فرقة الجنود البحرية . وكان في المنطقة خمسة عشر ألفاً من أولئك الجند ، تطوع منهم سبعة آلاف ، واختير من هؤلاء أقل من ألف للبدء في التدريب ، استغنى عن عدد آخر منهم أظهر التدريب عدم صلاحهم .

وقد جيء بالمتطوعين لاستجوابهم مرتين مرة على يد ضابط صغير ، والأخرى على يد كارلسون نفسه. وكانت الاستجوابات تكاد تكون على صورة اعترافات ، فقد قيل لهم أنه لن يؤخذ عليهم شيء مما يقولون ، ولن يعاد ذكره خارج جدران الغرفة الأربعة .

وكانت الأسئلة كالآتي : « لماذا يتطوعون لعمل قد يكلفهم حياتهم؟ » «هل يستطيعون أن يجهزوا على عدو بأيديهم بغير سلاح ؟ » « هل يستطيعون أن يذبحوا رجلا ذبح الشاة ؟ » « هل يحبون القتال ؟ » « ما رأيهم في الحرب ؟ » « وفي فرقة الجنود البحرية ، وفي العدو ؟ »

ويقول كارلسون : « إن نظام « العمل معاً » يقوم على الجندي . وقد وددت أن أعرف كل شيء عن كل رجل منهم : ذكاءه



ورفقه فى الأمور وقوة ابتكاره . وأردت فى الوقت نفسه أن أشعره أنه عندى أكبر من أن يكون فرداً فى جماعة ، بل هو جون سميث أو إجناس بونتوسكى، فإذا حاز القبول فسنعمل معاً جنباً إلى جنب، أنا وهو».

وإذا تم فى النهاية اختيار الرجال بدأ التدريب فى طريقين متقابلين: الأول الطريق العادى طريق التربية البدنية والكفاية ، والطريق الثانى هو ما أسماه كارلسون « التهذيب الخلقى » .

فكان يعقد اجتماعات « العمل معاً » ويذيع خطاباً قصيراً فيما يشغل باله من الأمور ، ويترك لرجاله بعد ذلك إدارة دفة الاجتماع . ولكل فرد منهم أن يدلى برأيه فى أى موضوع ، أو يقترح ما شاء ، أو ينقد أو يبدى استحسانه لما يريد .

ويقول كارلسون : « لقد كان همى الأول أن أقضى على الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود . نعم ، لابد من الطاعة فهى حجر الزاوية فى كل شىء، بيد أنى قلت لضباطى إن عليهم أن يقودوا الجند بفضل مقدرتهم وكفايتهم ، وأن رتبتهم العسكرية لا تغنى شيئاً حتى يبرهنوا أنهم جديرون بها حقاً .

« وكان الضباط يأكلون ما يأكل الجند ، وينامون كما ينامون لا يفرق بين أحد منهم.

وقد قضينا على جميع الفوارق التى يخلعها العمل على القائم به ، فكنا نؤمن أن خادم المطعم أو الطاهى أو سائق سيارة النقل ، لهم من الخطر والمنزلة ما للمدفعى ، وأن المهم هو الطريقة التى يؤدى بها الرجل عمله لا العمل نفسه .

« وكان مبدأ « العمل معاً » هو مقياس كل شىء فإن « العمل معاً » هو أن تسرع إلى نجدة رجل فى ضيق ، أو أن تتم عملا دون أن تسأل من كان عليه أن يتمه . وحسبى أن أقول إنه كلما أوغلنا فى الأدغال واشتبكنا مع العدو يداً بيد، زاد اعتمادنا على ذلك المبدأ مبدأ « العمل معاً » .

ولما تقدم التدريب كانت كل خطوة من خطواته تطرح على بساط البحث فى الاجتماع ، وكان كل شىء يفحص بنظر الشباب الذين تعودوا البحث عن أخصر الطرق وأمثل ضروب الإصلاح .

ولما خاضت الفصيلة غمار القتال اتبعت الطريقة نفسها . « فأحيط كل رجل من رجالها بالدور الذى سيقوم به فى الخطة الموضوعة ، فإن ظن أن لديه رأياً أصوب أدلى به ، فإذا لقى قبولا من الباقين اتبعناه وإلا أقنعناه بوجهة نظرنا » .

ويعقد بعد كل موقعة اجتماع آخر تبحث فيه المعركة فى صراحة وجلاء . وقد حدث

في الاجتماع الأول بعد غارة جزيرة ميكن أن قام جاويش وقال : « لا أظن يا سيدى أنه كان من سداد الرأى أن تقابل الغواصات في وقت محدد ، فلو أننا جنحنا إلى التريث حتى يهدأ ثائر البحر لاستطعنا فيما أظن أن ننقذ بعض الأرواح . » فأجابه الكولونيل كارلسون من فوره : « أصبت ، إلا أنه كان ثمة سبب دعانا إلى الإسراع ، على أنى لن أفعل ذلك مرة أخرى » .

بيد أن أغلب الملاحظات ، كما يقول كارلسون ، كانت نقداً من الناقدين لأنفسهم ، فإذا أخطأ ضابط أشار إلى خطئه قبل أن يتاح لأحد أن يشير إليه .

وكان المغيرون عند خروجهم من وادى الكنار يستريحون فترة قصيرة ثم تليها غارة أخرى . ولقد أملوا أن تكون تلك الغارة في جهة ما من اليابان نفسها ، إلا ان شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد ضمت الفصيلة الثانية إلى ثلاث فصائل أخرى وجعلوا منها جميعاً آلاى المغيرين البحريين ونبذوا نظام « العمل معاً » . وأصيب كارلسون بالملاريا ، فعاد إلى وطنه يستشفى . على أنه بعد أن تم له الشفاء التحق بالخدمة العاملة من جديد ، ولكن في عمل أركان حرب .

وترد له أحياناً رسائل من رجال فصيلته القديمة ، فقد كتب إليه أخيراً أربعة منهم يقولون : « إننا نقيم في معسكر غاية في الجمال ، ولكننا لا نتردد في تركه في سبيل كيس أرز قذر لنكون مغيرين نرفع عقيرتنا بصيحة : « العمل معاً » و « لبيك يامغير » مرة أخرى .

أنا مغيرى

لاحظ الملك كرستيان ملك الدانمارك من عهد قريب علماً نازياً يخفق فوق مبنى رسمى في كوبنهاجن ، فقال لضابط ألمانى إن هذا مخالف للمحالفة بين الدنمارك وألمانيا ، فرد الضابط أن العلم يخفق هناك وفقاً لأمر من برلين . فقال الملك : يجب أن يطوى العلم قبل الساعة الثانية عشرة وإلا فإنى أرسل جندياً ليطويه . وكان العلم لا يزال يخفق في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين فصرح الملك أنه مرسل جندياً لينزله . فأنذر الضابط الألمانى بأن ذلك الجندى يرمى بالرصاص . فقال الملك في سكينة ووقار : أنا ذلك الجندى . فأنزل العلم النازى .

[وكالة أخبار « أوفرسيز »]

الحافرون عن التاريخ

ملخصة عن مجلة « فورتشون »

قبل أن يكشف الحفر عن « طروادة » هوميروس سنة ١٨٧٠ ، لم يكن هناك علم يقال له التاريخ . ذلك بأن التاريخ ليس له معمل تمتحن فيه مواده . فعلم الأرض وعلم الطبيعة وعلم الكيمياء ، قامت جميعاً على حقائق تشاهد لا على الفرض . ولكن البحّاث الذين أخذوا أنفسهم بالكشف عن الماضى ، كان عليهم أن يعتمدوا على أخباريات غير دقيقة كتلك التى خلفها هيرودوتس ، أو على مدونات تاريخية غامضة مريبة كالإلياذة .

ولكن علم الآثار قد زود المؤرخ بمعمل يسبك علم التاريخ حتى يحيط بالمشهد التاريخىّ كله . فمصر وبابل وفينيقية وإغريقية (اليونان) ورومية وأوربا وأمريكا ، لم تعد الآن ، كما كان يلوح لنا فى زمن الدراسة ، عوالم تاريخية منفصلة ، بل إن تاريخ الإنسان فى جملته قد نظر فيه على أنه رواية متصلة ، تجد أصولها ممتدة فى بقايا حفرية ، ما حوادث زماننا إلا نهاياتها . وفيما بين هذين الطرفين — طرف الأصول وطرف النهايات — تقع على حلقات متصلة من الزمان تبلغ ١٥ ألف سنة ، هى المجال الذى يعمل فيه العالم بالآثار . تلك الفترة القصيرة بالقياس إلى تاريخ الدنيا ، هى التى جهد فيها الإنسان أن يصنع « أشياء » ، ولم يقتصر على الأدوات اليدوية والأثاث واللباس بل صنع فيها الأوانى والقدور والتعاويذ ، وأقام المنازل وشيد الهياكل والآثار .

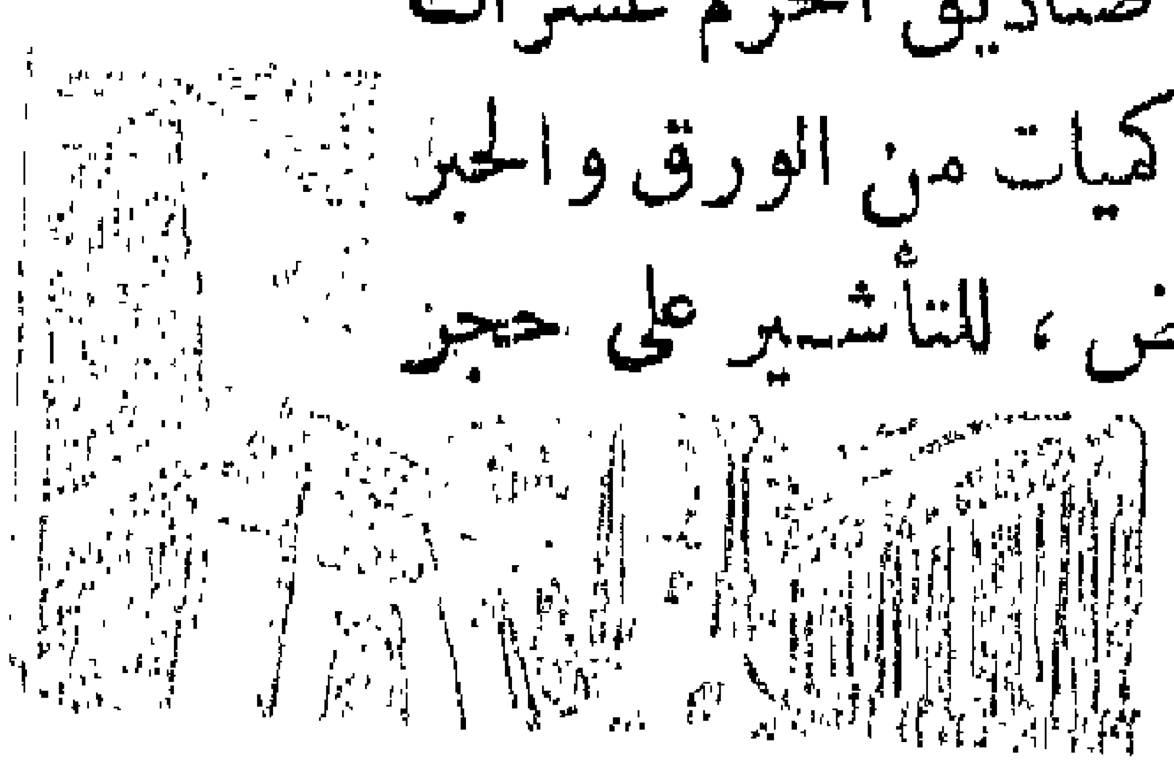
ولقد أفلح علماء الآثار اليوم فى أن يمدوا رواق فهم مدًّا ، حتى إن كل المدنيات تقدم أمام ناظرينا واضحة بكل تفاصيلها . فقيل مثلا إننا نعرف من تفاصيل الحياة فى مصر خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أكثر مما نعرف عن إنجلترا فى القرن الرابع عشر بعده . بل إن لدينا صورة تكاد تكون كاملة عن المدينة المينووية العظيمة التى قامت فى جزيرة إقريطش (كريت) حوالى ٣٤٠٠ — ١١٠٠ قبل الميلاد ، وكانت قد طمست معالمها على التقريب من ذاكرة الإنسان .

وقد تسأل كيف يدرك الأثرىّ أين

يحفر ؟ والجواب : بكل وسيلة تتصورها . فقد يعرف أحياناً أين يقع طلل أو مشهد قديم ، تطلع إلى الحفر عنه سنين طويلة . وقد يكشف فلاح بمحراثه عن جمجمة هندية . وقد يقع على حانوت فى بغداد يبدأ فجأة ببيع آثار ذات قيمة ، أو يصادف غلاماً فى دار آثار محلية فى إغريقية وبيده قطعة من النقد الذهبى . فمدنية الكوكلى فى بناما قد استكشفت بمثل هذه الطريقة اتفاقاً . كما يتفق أن يقدر عالم الآثار مكان مدينة مغمورة أو موقع طريق تجارى ، فيمضى باحثاً عن آثار تنم عنه ، كشظيات من الفخار أو أطلال لحصون القديمة ، بل فى الأساطير الشعبية . وكان للطائرات فضل الدلالة على كثير من الأشياء ، فكشفت مثلا عن حصون رومانية فى « كايستور » فى وسط إنجلترا ، ومدن إنكاوية — نسبة إلى الإنكا — فى بيرو ، ومدائن مايانية — نسبة إلى مايا — محجوبة فى ولاية يوكاتان . فإذا أراد العالم الخبير بالآثار أن يبحث عن المقابر القديمة نظر مع غروب الشمس ، حين تنم التعاريج الهزيلة التى تكون فى الأرض فجأة وبسرعة السحر ، عن صورة مقبرة أو مدينة . قد يكشف فى وقدة الصيف عن موقع جدران مدفونة ، لأن الثرى يكون عليها أرق ، والحشائش فوقها أشد جفافاً مما هى البقعة المجاورة ؛ وعلى العكس من ذلك ، كما يقول عمر الخيام ، تكون الحشائش أزهى وأنضر فوق مواقع القبور . ولقد شاع بين الناس فى « قرشميش » على الفرات ، أن علماء الآثار سحرة ، ذلك لأنهم يعينون مواقع القبور بعصمة لا زلل معها .

والخطوة التالية فى « المعدات » . ولفظ المعدات يهيئ للذهن ما تتزود به بعثة كاملة العدة لارتقاء قمة إيفرست ، ولكن معدات الأثرى بسيطة جهد تصورك . ففى العادة يقابل الأثرى الرئيس وزوجه ، غلامين فى القدس أو دمشق ، فيمضى يحفر معهما ومعه قليل من صناديق الحزم والحقائب . وفى الحقائب عدسة تصوير صغيرة ، وعدد كبير من الأفلام . ولقد أحدث ذلك انقلاباً كاملا فى العمل الأثرى . ففى طرفة عين يسجل الأثرى بعدسته ما كان يستغرق تسجيله أسابيع من قبل . ولأدوات المساحة من القيمة والضرورة ما للعدسة ، فإن أساس الحفر المنتج ، مصوّرة (خريطة) دقيقة مقسمة مربعات هندسية ، تتخذ سنداً للمراجعة

كذلك يحمل فى صناديق الحزم عشرات من أقلام الرصاص وكميات من الورق والحبر الهندى والحبر الأبيض ، للتأشير على حجر



البـازات الأسود ، وحشـوات خشبيـة ، أو ما يماثلها لحفظ الكنوز التي يريد نقلها ، ومناشف من الورق ليطبع عليها بالضغط الكتابات والنقوش التي يعجز عن حملها معـه إلى بلده ، فتلوح في النهاية ككتب العميان . ولا يستغنى كذلك عن عديد منوع من الأدوات العجيبة والمدى المستعملة في جني ثمار الشادوق (نوع من الثمار في الملايو وبولينيزيا) مفضلة على غيرها لملاءمتها من حيث الشكل ، لسهولة إيلاجها في جوف آنيـة الفخار . كما لا يستغنى عن الأدوات الصغيرة المستعملة في علاج الأسنان وفرشها .

وإن من أكمل الأدوات لنزع الثرى عن آنية من الفخار مطمورة في الأرض هي ريشة التزيين . ودبابيس الشعر أداة صالحة لنزع الأوساخ من التجاويف الصغيرة .

وينبغي أن يقوم على محفر متوسـط الاتساع أثري أو اثنان ، وربما استعين بمهندس ليخطط الأطلال ، ويشف معالم المدن القديمة . ثم بمعماري ، وخاصة بمصور ضوئي . ولا تدعو الحاجة في المحافر الصغيرة إلى إخصائيين البتة — إذ يكفي أثري أو اثنان ومعهما زوجاهما . والأهميـة المعقودة على الزوجات هنا لا يغالى في تقديرها ، فإن الأثري يروض زوجه كما يروض راع من رعاة البقر جواده . ومما لا شك فيه أنه يحبها حبا جما ، وذلك لا يحول دون أن يجعلها تكد وتنصب . ولها من فرض العمـل ما يشغلها ، فمن القيام بشئون البيت والتبويب (فإن كل ذرة من ذرة لا بد من تسجيلها) إلى التخصص في فحص العملة أو الفخار ، حيث يتفق أن يؤدي البحث إلى الربط بين مدنيتين لوحان منفصلتين .

وهنالك ثلاث طرق لمعالجة مشهد قديم ، واحدة منها لا غير لها صبغة علمية . وتسمى هـذه الطريقة « التعرية » . وهو كشف الثرى طبقـة بعد طبقـة ، كما لو كانت بصلة تنزع قشورها . غير أن نفقات هذه الطريقة حائل دونها ، فبدلها الأثريون بطريقـة أخرى ، فيتعمدون إلى فتح حفر حيثما اتفق ، لكي يكونوا بذلك فكرة عما تحت الثرى ، أو يحفرون خندقاً على طول المشهد . وقد يقف متريثاً أثناء الحفر ليستكشف ملامح ما يقع عليه ، كركام من الأشياء ، أو ركن في حجرة ، أو شظية من عمود .

وإن البيئة التي تحيط بالأثري من شأنها أن تربكه وتشدهه . فإن المشاهد القـديمة ليست منضدة كالكعكة المطبقة ، فإن طبقاتها قد تعلو ثم تهبط على صورة تولد الارتباك . وكثيراً ما تكون غير مميزة بتاتاً ، فتجد في طبقة دنيا من الأشياء ما يتوقع الإنسان أن يجده في طبقة تعلوها . وربما دل هذا إما على

بقاء جيل بعينه ، وإما على أن الغزاة قد تزوجوا من سبايا الجيل المغلوب على أمره ، فظللن يدبرن شئون البيت على ما تعودنه . وقد يضيف أحد السراة الأغنياء عاملا آخر يثير الارتباك ، بأن يمعن فى حفر أساس بنائه حتى يتصل بآثار مدنيــة سابقة ، كما يتفق أن يتخذ بعض البنـاة لبنات وأحجـاراً من منـازل أو هياكل أقدم مما يتخذون فى زمنهم .

والأساليب التى ينهجها عالم الآثار لــكى يواجه هذه الصعاب وأمثالها ، واستدلالاته التى يلجأ إليهـا ، جــديرة بأمهر رجال الشرطة . فالجدران الرقيقة دليــل على أن المنزل كان طابقاً واحداً ، كما يدل ماهو أسمك على أن البناء كان ذا طبقتين . وقاعدة عمود واحد تدل على ارتفاع بنـاء ما ، ذلك بأن أكثر الأبنية القــديمة كانت تقام وفقاً لشروط دقيقة . وقد يستطيع المرء أن يعيد تخطيط هيكل برمته مسترشداً بقاعدة عمود وبضعة رسوم حائلة من بقايا اللبنات . ففى قصر « توت عنخ أمون » بمصر ، عثر الحـافرون على قسم من أسـاس السمنت ، وقمتى عمودين ، وحجرين من حجـارة البنـاء ، نقش كلاهما من وجهيه ، وبعض شظايا . ولــكن لوحظ على السمنت خطوط حمر ، دلت على المكان الذى شاء المهندس أن يقيم فيه الهيكل . وكان العمودان لحسن الحظ من محطين مختلفين . ودلت شظيات تساقطت من شرفة على زاوية الســطح . ولما كان الحجران منقوشين من وجهيهما أشار ذلك إلى أنهما كانا يخترقان الجدار . ومن هذه الدلائل التى لا يمكن إغفالها ، رسمت صورة كاملة للهيكل .

على أن قطعاً من الفخار النيء فى الطبقة الخامسة (من الحفر) ، وغيرها من صنفها تتقدمها فى الطبقة الرابعة ، إذا تخلل ما بينهما آثار حريق ، تدل على وقوع غزو فى ذلك الطور من الزمان . وشواهد الانحطاط فى المهـارة ، تدل على أنه لم يحــدث غزو ، بل إن المدنيـــة تدهورت وانحلت . والأسكيمو الأمريكى شاهد على ذلك ، فإن « مدنيته » الحاضرة أقل عراقة منها منذ بضع مئات خلت من السنين . وازدياد المهارة والقــدرة إذا خلت من دليــل على حدوث حرب ، تدل إجمالا على فتح طريق تجارى جديد . والمعرفة الفنية الخاصة بأمثلة الفخـار ، تعرفك فى أى متجه اتجــه ذلك الطريق . والرمل المنضود طبقة فوق طبقة برهان على مشهد مهجور ومســتعمرة جديدة . وقد يتفق أحيـاناً أن أمثـالا فى المنسوجات قد توجد مطبوعة فى الأرض ، من غير أن يبقى شىء من القماش نفســه ،

وإذا رأيت أثارة من الدقيق الأحمر ، فذلك دليلك على أن آنية فضية على مقربة منك . فقد حدث فى أور (الكلدان) أن صبّ شيء من الجص الباريسى فى نفقين فارغين شوهدا فى الثرى ، وكانا مستديرين استدارة كاملة بحيث يتعذر أن يكونا من صنع المصادفة . فلما جمدت المادة وحفر حولها واستخرجت ، نمت صورتها عن قيثارة اندثرت ، ربما رجع تاريخها إلى ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وفى الثرى عشرة رسوم حائلة تبين عن آثار أوتارها الهالكة .

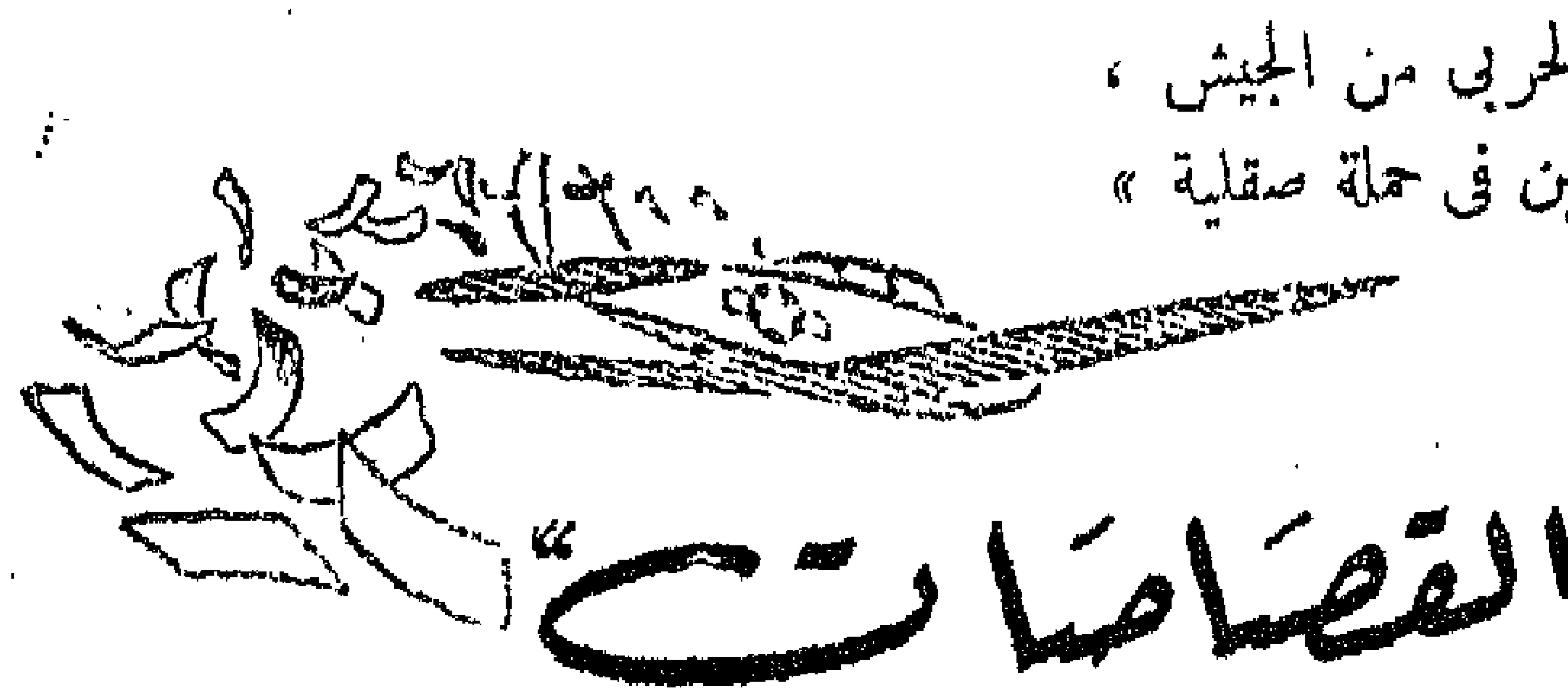
وكأن علماء الآثار أغوال وهامات . فهم يحبون القبور وغربلة عظام الموتى ، آملين أن يعثروا على أزرار أو ما كان يقوم مقامها فى الأعصر القديمة . وبالرغم من أن كل المقابر القديمة ذات القيمة قد انتهكت فى العصور الأولى ، فإنها ما تزال الموئل الوحيد لقطع الآثار ، بفضل العادة القديمة فى دفن الموتى مزودين بكل ما قد يحتاجون إليه فى الحياة الثانية . ومما يغتبط به الأثرىّ مدينة غمرها بركان فجأة ، فترك كل شيء فيها فى مكانه جامداً إلى الأبد . فإذا لم يقع على ذلك . فصار ونهب يكفيانه ، لأن الجند قلما يعنون بالأوانى والقدور المنزلية أو النقوش المحلية ، وهى التى ينشدها الحافرون .

وما الحفر إلا مقدمة العمل الجاهد المضنى الذى يستوجبه التبويب والتنسيق بعد أن يعود البعث أدراجه إلى الوطن . ويغلب أن يكون ذلك أثناء الليل ، بعد الفراغ من إلقاء الدروس أو تنفيذ التعليمات . ولكن من الواجب أن يتم وإلا حبط عمل الموسم كله . وإن فلسطين لفى الطليعة من حيث أنهاتبشر بإذاعة حقائق قيمة قبل أن يبدأ الحفر فيها .

أما الغنائم التى يعود بها الباحث إلى الوطن فتكون موضع عناية كاملة ، فإنها تنظف وتصقل وتتعهدها يد صناع بالتكميل ، ثم ينسقها معاً إخصائيون فى حل الرموز ذوو ذاكرات غير عادية ، وتدرس ثم توضع فى صناديق من الزجاج . فإذا فرغ من هذا العمل وكتبت اللوحات الدالة عليها ، فقد كمل عمل الموسم .

● إنجلترا وأمريكا بلدان تفصل بينهما لغة واحدة . [برنارد شو]

« كيف يعمل القسم السيكولوجى الحربى من الجيش ، وكيف نجى حياة كثير من الأمريكيين فى حملة صقلية »



حرب "القصاصات"

فردريك پاينتون • ملخصة عن مجلة " أميريكان ليجيون "

ذات ليلة من ليالى غزو صقلية ، وضع مدفعى أمريكى قنبلة فى مدفع من مدافع الميدان مسدد نحو أحد معاقل العدو ، فقذف المدفع لهباً أبيض ، وزمجرت القنبلة خلال الظلماء ، فلما بعدت كان الانفجار ضعيفاً .

فثار المدفعى وتمتم: « هذه إحدى نكبات الحرب ن نقاتل بالقصاصات » .

كانت تلك القذيفة مشحونة بالقصاصات التى تقول للايطاليين : إن النازى هم الذين يتمنون أن يجعلوا من بلادكم المحبوبة ميدان حرب ، وإن موقفهم يدعو إلى اليأس ، وإن هذه القصاصات هى « بطاقات تسليم » تضمن لكم الغذاء الجيد والأمان خلف خطوط الحلفاء . ومن فوق المرتفعات ، حيث يربض الشباب الأمريكى فى أوكارهم ، رجال يتكلمون الإيطالية يذيعون نفس الرسالة بالمكبرات فيتردد صدى الكلمات فى جوف الأودية .

وقبيل الفجر أخذت القاذفات المتوسطة تنثر « بطاقات التسليم » خلف خطوط العدو ، وضجر الطيارون فهم يرون أن القنابل الثقيلة أجدى من هذا بكثير . ولكن عشرات من الإيطاليين أقبلوا فى الصباح من مواقع العدو وفى يد كل منهم بطاقة بيضاء .

فصاح رجل: « بطاقة التسليم؟ » ورحب بهم الأمريكيون وآووهم وراء الأسلاك الشائكة وقدموا لهم علب الطعام .

هذا هو القسم السيكولوجى الحربى فى الجيش الأمريكى ، وهو فرع من قسم النشر والرقابة بمركز قيادة جيوش الحلفاء ، ومنذ سنة واحدة كان الضباط الفنيون يستهزئون به . ولم تكد معركة العلمين تنتهى حتى قال الجنرال مونتجمرى: « أنا لا أريد طليعة من الدعاية فى الميدان الذى أحارب فيه » فلما نزل الحلفاء صقلية أمر مونتجمرى نفسه أن يسدل ستار من قنابل القصاصات .

هذا كله كان حين وضع الجنرال أيزنهاور خطته لغزو شمال أفريقية .

وحينذاك كان لأمريكا وإنجلترا معاً ست هيئات — مدنية وحربيـة — تتمنى أن تلقى العدو فى ميدان الأفكار ، وكان لكل واحدة نظارها . وأخذت الأوامر تتدفق من وكالة الأنباء الحربية، ومن وكالة الخدمة الحربية ، ومن اللجنة التنفيذية البريطانية للخدمة العسكرية السياسية ، ومن وزارة النشر البريطانية ، ومن قلم المخابرات للجيش والبحرية البريطانية والأمريكية ، فكانت الفوضى هى العاقبة .

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٢ وضع أيزنهاور المشكلة كلها بين يدى الكولونيل شارل ب . هازلتين ، وهو ضابط من الفرسان عنيد الرأى ، قضى فى الخدمة ٣٣ سنة ، ومنذ قريب عين قائد فرقة من المشاة الميكانيكية . فجمع هازلتين رجالا ونساء من مختلف هيئات الدعاية ليكون القسم السيكولوجى الحربى للجيوش المتحالفة ، ثم قال لهم فى خشونة : « أنا لا أعرف شيئاً عن الدعاية غير أنى أومن بقوتها . أنا أعرف أمور الجيش وأحسن أساليب التنظيم . ونحن تحت الاختبار حتى نخرج للناس شيئاً ، فاكتبوا أنتم الكتابات وعلىّ أنا أن أقنع الجيش بفائدتها » .

وانقسم القسم السيكولوجى الحربى إلى ثلاث شعب : وحدات الدعاية الحربية وهى تتقدم مع فرق المقدمة ، ووحدات الاحتلال وهى التى تعمل فى الأرض المحتلة حديثاً ، ووحدات الأساس وهى التى تصل ما بين جهود الدعاية فى مراكز قيادة جيوش الحلفاء وبين أخواتها فى لندن ووشنطن .

وهذا مثل نموذجى يبين كيف تعمل هذه المؤسسة : فهذا جون هويتاكر ، وكان مراسلا أجنبياً بعيد الصيت ، يقود وحدة من وحدات الدعاية الحربية فى بالرمو بصقلية ، فلم يلبث أن استولى على محطة الراديو وعلى مؤسسات الصحيفة ، وأبرق إلى القسم السيكولوجى الحربى يطلب وحدة من وحدات الاحتلال . ولم تمض أيام قلائل حتى أذاع الراديو على الإيطاليين أخباراً خالية من المغالاة ، ونشرت صحيفة « سيسيليا ليبرتاتا » على الصقليين أولى الحقائق التى لم يقرأها أحد منذ أكثر من عشرين سنة .

وكان القسم السيكولوجى الحربى أول أمره يسلك مسلكا وعراً ، فلم يتم تنظيم جماعة هازلتين إلا وحملة تونس تبدو فى أخطر مراحلها ، فلم يعره التفاته أحد . فراح يحصل على المال والمعدات بكل وسيلة مستطاعة ، ثم طبع جملة من القصاصات . ولكن الطيارين أبوا أن يحملوها، وكرهت دوريات المشاة أن تندس خلف خطوط العدو لكى تلقيها ، ولكن ضابطاً بريطانياً

اسمه أونييل اكتشف طريقة لملء القذيفة بالقصاصات وحشوها بمواد تكفى لأن ينفجر الغلاف دون أن تحترق القصاصات . غير أن المدفعيين أبوا أن يقذفوا ما سموه « هلاهيل » .

ودأب ضباط القسم السيكولوجى الحربى على أن يزوروا القواد ليروجوا آراءهم ، وحرصوا على أن يلقوا من قصاصاتهم قدراً أكبر ، يوماً بعد يوم . وفى النهاية اتسع الخرق ، واندفع الإيطاليون يسلمون عشرات عشرات ومئات مئات ، وفى يد كل واحد منهم قصاصة كأنها رائد الأمان .

وحين ترامى ذلك إلى هازلتين ابتسم وقال : « جاء رجلان من الإيطاليين ، فى يوم واحد ومعهما البطاقات ، وقالا إن من ورائهما ستين رجلا يخشون الحضور لأنهم لا يجدون البطاقات ، فأرسلنا رجالا يحضرونهم . وفى مرة أخرى جاء إيطالى يطلب بطاقة أخرى ثم عدا ليحضر أخاه . ولقد أخبرت أن العرب فى الأيام الأخيرة من الحملة التونسية أقاموا سوقاً سوداء لهذه البطاقات يبيعونها للألمان أيضاً كما يبيعونها للطليان » .

ولقد أبلغ قائد ألمانى أسير ضباط قلم المخابرة فقال : « إن دعايتكم كانت ساحقة حتى إنه ليخيل إليك حين تقرأ هذه القصاصات الصغيرة أنك تقرأ الحق ، وأن حكومتنا تكذبنا . ولقد شعرت كأن عاصفة تعصف بعقلى ، فكان من الصعب أن أحول بين رجالى وبين قراءة هذه القصاصات لأنها كانت فى كل مكان » .

أما الآن فلا شك فى أن القواد الحربيين قد تنبهوا ، فكان يوماً عظيما فى حياة هازلتين حين أمر الليفتنانت جنرل جورج س . باتون — قائد الفيلق الثانى فيما بعد — أن تلقى القصاصات أمام مواقعه ، وحين أمر الليفتنانت جنرال كارل أ . سباتز بأن تلقى عدة ملايين من هذه القصاصات ، لتحذر السكان المدنيين يوم صمم السلاح الجوى فى الشمال الغربى لأفريقية على أن يضرب الأهداف الحربية فى روما .

ويتخذ القسم السيكولوجى الحربى من الراديو أيضاً أداة تحطم عزم العدو على المقاومة . ولقد تجلت قوة هذا السلاح الخفى فيما ظهر من تغيير مروع فى وجهات نظر الأسرى الألمان . ففى تونس كانت تسيطر على الأسرى النازيين أوهام الدكتور جوبلز ، حتى قال أحدهم : « لم يبق الآن إلا أن يفتح اليابانيون سيبريا وينتهى أمر روسيا هذا العام ، وفى العام المقبل سنغلبكم أنتم والإنجليز » . وقال آخر : « آه لو تقلت

إلى أمريكا ، فأنا أعنى أن أرى نيويورك قبل أن يدكها اليابانيون بقنابلهم » . لقد كانوا فى غاية الجرأة .

ولـكن الأسرى الألمان فى صقلية كان يغلبهم الحزن ووهن العزيمة ، لأنهم علموا أن الهجوم الألمانى فى روسيا قد حبط ، وأن صقلية قد انتزعت منهم ، ورأوا أن إيطاليا هى الأخرى على الأثر . واعترف بعض الضباط الألمان بأن ألمانيا لم تعد تأمل فى كسب الحرب . هؤلاء الألمان جاءوا — فى الغالب — من الاحتياطى فى فرنسا الجنوبية التى ما برح يهاجمها راديو القسم السيكولوجى الحربى ١٤ ساعة كل يوم . ولقد زودت كثير من عربات الحرب الألمانية بالراديو فكان من المستحيل أن تمنع القيادة العليا إذاعة الحلفاء من الوصول .

وأصبحت محطات إذاعات القسم السيكولوجى الحربى مدافع حصار على إيطاليا وألمانيا وفرنسا . والقاعدة الأساسية فى إعداد الأخبار للنشر هى : « اجعل الأخبار بسيطة ، وقل الحق وحده ، فإن قيمتنا تنهار إذا استطاع الألمان أن يدلوا الناس على كذبة واحدة »

واستمر الراديو يلح على إيطاليا ، وما من ريب فى أن الإذاعة كانت تبلغ الشعب الإيطالى . وكلف أيزنهاور راديو القسم السيكولوجى الحربى أن ينشر على الإيطاليين خبر الهدنة مع إيطاليا ، ثم إنه أذاع عليهم تعليمات صريحة فى طريقة تخريب المواصلات الألمانية . وقد أثبتت التقارير الأخيرة أنها نفذت .

ولقد قال ك . ر . جاكسون المندوب المدنى للقسم السيكولوجى الحربى : « لقد بدأنا من لدن نقطة فى لعبة لا نعرف عنها شيئاً ، ولـكن أدلة كافية تشهد الآن بأن الدعاية الصادقة فتاكة كغارات القنابل . ونحن ننقذ حياة الجنود الأمريكيين لأن كل عدو يلقى لنا السلم ، وفى يده بطاقة من بطاقات التسليم ، وهو نقص فى عدد من يطلقون رصاصهم على جنودنا فى المقدمة » .

* * *

◎ سئل القائد الأمريكى ستونوال جاكسون عن خطته الحربية فرد على القسيس السائل : أتستطيع أن تحتفظ بالسر ؟ فأجاب القسيس بالإيجاب . فقال القائد : وأنا كذلك . [روبرت كلارك فى « أسطولنا »]

كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس

ملخصة عن كتاب بقلم

ديل كارنيجي

رئيس معهد كارنيجي للالقاء المؤثر والعلاقات الإنسانية ، بمدينة نيويورك ، ومؤلف كتابي « الخطابة » و « حقائق مجهولة عن المشاهير » الخ .

[في الثلاثين عاماً الماضية درّب ديل كارنيجي أكثر من ١٥٠٠٠ من رجال الأعمال والمهن الحرة ، بينهم لفيف من أشهر الناس ، على الخطابة وسياسة الناس . وبلغ من عظم فائدة مناهجه في دوائر الأعمال أن شركات مثل « شركة وستنجهاوس للكهرباء وصناعاتها » و « شركة ماك جرو ـ هيل للنشر » و « شركة تليفونات نيويورك » أدخلت هذا التدريب في مكاتبها لأعضائها وموظفيها ومجالس إداراتها .

ويقول المؤلف : « إن هذا الكتاب لم يكتب بالمعنى المألوف . وإنما نما وتكوّن من تجارب آلاف من البالغين في فصولي . » ومن « خزان » هذه التجربة الواسعة النطاق تدفقت ثروة من دروس الحكمة والحصافة في العلاقات الإنسانية خص بها كتاب « كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر في الناس »]

النقد عقيم

فى مايو سنة ١٩٣١ قبض على مجرم سفاح مشهور اسمه « كراولى ذو المسدسين » بعد أن حاصره مائة وخمسون من الشرط المسلحين بالمدافع الرشاشة وقنابل الغازات، فقال مدير بوليس نيويورك : إن هذا العيّار من أخطر المجرمين فى تاريخ نيويورك . وقال : « إنه يقتل لأهون سبب وأتفه باعث »

ولكن كيف كان كراولى « ذو المسدسين » ينظر إلى نفسه ؟ إنه كتب رسالة عنوانها هكذا : « إلى من عسى أن يعنيه هذا » ، فى حين كان الشرط يطلقون النار عليه فى حجرته . وفى هذه الرسالة يقول : « إن تحت ثيابى قلباً مضنى ولكنه رقيق — قلباً لا يطيب له أن يمس أحداً بأى سوء » .

وقبل ذلك بوقت قصير كان كراولى يتنزه مع صاحبة له فى طريق خلوى حيال « لونج أيلاند » فأقبل شرطى على السيارة الواقفة وقال : « هات رخصتك » .

فما كان من كراولى إلا أن أخرج مسدسه بلا كلام ورمى الشرطى فأرداه .

وقد حكم على كراولى بالإعدام على الكرسى الكهربائى . ولما جىء به إلى غرفة الإعدام فى سجن « سنج سنج » لم يقل : « هذا جزائى على قتلى الناس »

وإنما قال : « هذا جزائى على دفاعى عن نفسى » .

ومغزى هذه القصة هو أن كراولى « ذا المسدسين » لم يلم نفسه على شىء ما .

فهل هذا هو الموقف المألوف بين المجرمين؟ إذا كان هذا ظنك فاستمع إلى ما يقوله المستر لوز مدير سجن سنج سنج : « قلّ بين المجرمين من يعد نفسه رجلا شريراً . ومعظمهم يحاول أن يسوغ ما اجترح ضد المجتمع ، وأن يقنع بذلك حتى نفسه ، ومن أجل هذا يذهبون إلى أنه ما كان ينبغى أن يسجنوا ، ويصرون على ذلك بكل ما فى طاقتهم من قوة » .

وإذا كان الأشرار الذين تحيط بهم جدران السجون لا يحملون أنفسهم تبعة شىء ما — فما الرأى فى غيرهم ممن نحتك بهم نحن ؟

أما أنا فقد ذهبت أتعثر نحو ثلث قرن قبل أن أتبين أنه فى كل ٩٩ مرة من مائة، ما من رجل يأخذ على نفسه شيئاً ما ، وأن النقد عبث ، لأنه يدفع المنقود إلى اتخاذ موقف الدفاع ، ويحمله عادة على الاجتهاد فى تسويغ ما فعل .

والنقد أيضا خطر لأنه يجرح كبرياء المرء

ويسىء إلى شعوره بقيمته وشأنه ، ويثير امتعاضه ونفوره .

وقد اتفق لى وأنا فى مقتبل العمر ، أيام كنت أحاول أن ألفت الأنظار إلى نفسى أن كتبت رسالة سخيفة إلى ريتشارد هاردنج دافيز ، وكان يومئذ مؤلفاً مشهوراً ، وكنت أعد مقالا لإحدى المجلات ، عن المؤلفين ، فرجوت من دافيز أن يفضى إلى بطريقته فى العمل . وكنت قد تلقيت قبل ذلك رسالة فى آخرها هذه الحاشية : «أمليت ولم تراجع » فوقعت الحاشية فى نفسى موقعاً عميقاً ، وشعرت أن الكاتب لا بد أن يكون كثير العمل عظيم الشأن . ولما كنت أريد أن أقع فى نفس ريتشارد هاردنج دافيز هذا الموقع ، فقد ختمت رسالتى إليه بهذه الحاشية « أمليت ولم تراجع » .

ولم يتكلف دافيز قط أن يرد على رسالتى ، واكتفى بأن يعيدها إلىّ وعليها هذه العبارة : « إن سوء أدبك لا يفوقه إلا سوء أدبك » . ولا شك أنى كنت أستحق هذا التأنيب ، ولكنى بشر ، ولهذا امتعضت . وبلغ من شدة استيائى أنى لما قرأت نعيه بعد ذلك بعشر سنين كان الذى لا يزال يخامرنى ويدور فى نفسى — ويخجلنى أن أقول ذلك — هو الألم الذى أورثنيه .

وينبغى أن تذكر فى معاملتك للناس أنك لا تعامل أهل منطق ، بل أهل عواطف وشعور حافلة النفوس بالأهواء يسيرها الكبر والغرور . وإذا كان همك أن تثير غداً عداوة تبقى على الأحقاب وتدوم ما دامت الحياة فما عليك إلا أن تجرى لسانك بشىء من النقد اللاذع — بالغة ما بلغت ثقتك بأنك على صواب فيه .

لقد كان بنيامين فرانكلين كثير فلتات اللسان وعثراته فى شبابه ، فراض نفسه حتى صار حصيفاً كيساً لبقاً فى معاملة الناس حتى اختير سفيراً لأمريكا فى فرنسا . أتريد أن تعرف السر فى نجاحه ؟ قال : « لن أذكر أحداً بسوء ، وسأحرص على أن أتكلم بكل ما أعرفه من خير عن كل إنسان » .

ولقد قال الدكتور جونسون : « إن الله يا سيدى لا يحاسب الإنسان إلا بعد انتهاء أجله » .

فلماذا أفعل أنا وانت غير ذلك ؟

نريد أن نكون شيئاً مذكوراً

يقول الأستاذ جون ديوى — أعمق فلاسفة أمريكا : « إن أقوى دافع فى الطبيعة البشرية هو الرغبة فى أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » . فتذكر هذه العبارة « الرغبة فى أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » فإنها جوع ملتهب لا يسكن ولا يفتر ، وهذه

الرغبة هى التى أغرت كاتب البقال الفقير غير المتعلم — إبراهام لنكولن — بأن يدرس القانون ، وهى التى ألهمت ديكنز أن يكتب رواياته الخالدة ، وهى التى تغريك بارتداء أحدث الأزياء ، وبطلب وظيفة أرقى ، وبالتحدث عن بنيك الأذكياء .

ويتمارض بعض الناس أحياناً ليفوزوا بالعطف والعناية والالتفات ، وليفيدوا الشعور بأن لهم قيمة . ويذهب بعض الثقاة إلى أن بعض الناس يصيبهم الجنون فعلا ليجدوا فى عالم الأحلام الذى يتيحه الجنون ، ذلك الشعور بالأهمية الذى حُرموه فى عالم الحقيقة القاسى .

فإذا كان هـذا مبلغ ظمأ الناس إلى الشعور بالأهميـة ، فتصـور المعجزات التى نستطيعها إذا نحن لم نبخل عليهم بالتقدير المنصف ! إن الإنسان النادر الذى يسعه أن يسكن هذا الجوع النفسى يسعه أن يضع الناس فى راحة يده .

لقـد كان أندرو كارنيجى — ملك الصلب — ينقد تشارلز شواب مرتباً سنويا لم يسبق له نظـير ، مليون ريال ، فهل كان ذلك لأن شواب يعرف عن صناعة الصلب أكثر مما يعرف سواه ؟ كلام فارغ ! فقد أخبرنى شواب نفسه أنه كان معه رجال يعملون له ، ويعرفون عن الصلب فوق ما يعرف هو ، وأنه إنما كان يتقاضى هذا المرتب لقدرته على معاملة الناس . وما السر فى ذلك ؟

قال شواب : « إنى أرى أن قدرتى على إثارة الحماسـة والغيرة فى النفوس أعظم ما أمتاز به . والتقـدير هو الوسيلة إلى إبراز خير ما فى الإنسان . فما قتل الطموح فى نفس الإنسان كالذم من رؤسائه . لهذا ترانى أتوخى أن أطرى وأكره أن أذم . وينقصنى أن أعرف رجلا — مهما بلغ من رفعة المحل — لا يكون عمله أجود ، وجهده أعظم ، بفضل الإطراء دون الذم » .

وكان التقدير المخلص من أسرار نجاح روكفلر فى معاملة الناس . مثال ذلك أن أحد شركائه — إدوارد بدفورد — جر على الشركة خسارة بلغت مليون ريال فى صفقة خاسرة عقدها فى أمريكا الجنوبية ، ولو شاء روكفلر لعاب وذم ، ولـكنه كان يعلم ان بدفورد فعل أقصى ما يدخل فى طوقه ، ومن هنا وجد روكفلر ما يثنى عليه ، فهنأ بدفورد لأنه استطاع أن ينقذ ٦٠ فى المائة من المال الذى ثمره . قال : « هذا بديع ! ولسنا نحسن أن نفعل مثل ذلك فى مكاتبنا هنا » .

والحقيقة أن كل رجل تلقاه تقريباً ، يشعر أنه خير منك ويفوقك فى شىء ما ،

فالطريق إلى قلبه هو أن تدعه يدرك أنك تعرف قيمته ولا تنكرها. إننا نغذى أجسام أطفالنا وأصدقائنا، ولكن ما أقل ما نغذى احترامهم لأنفسهم!

كلا! لست أشير بالملق، فإن الملق جدير بأن يخفق، وهو يخفق عادة. والملق من طرف اللسان، أما التقدير المخلص فمن القلب.

فلنكف عن التفكير فيما صنعنا وفيما نحتاج إليه، ولنحاول أن نفطن إلى مزايا الغير، ولنوف هذه المزايا حقها من التقدير النزيه المخلص، فإن الذي يظفر بذلك منك يظل يذكره على كرّ الأعوام، على حين تكون أنت قد نسيته.

قال إمرسون: «إن كل رجل ألقاه يفوقني من ناحية ما، فأنا لهذا أتعلم منه».

ما يريده الرجل الآخر

تحتاج في غد أن تقنع بعضهم بأن يفعل شيئاً ما، فتذكر قبل أن تتكلم أنه ليس ثم سوى وسيلة واحدة تحت قبة هذه السماء لحمل أي إنسان على فعل أي شيء. وهذه الوسيلة هي أن تجعله «يريد» أن يفعل الشيء.

وقد كان أندرو كارنيجي استاذا حاذقاً في التأثير في الناس، وذلك بأن يتحدث إليهم بما يحرك فيهم إرادة العمل. مثال ذلك أن أخت زوجته كانت شديدة القلق على ولديها في الكلية، فقد أهملا أن يكتبا إليها، ولم يعيرا رسائل أمهما التفاتاً. فعرض كارنيجي أن يراهن بمائة ريال على أن يغريهما بالرد مع البريد الراجع من غير أن يطلب ذلك منهما. فقبل بعضهم الرهان منه، فكتب إليهما رسالة لطيفة، وذكر عرضاً في حاشية أنه أرسل لكل منهما خمسة ريالات غير أنه أهمل أن يرسل المال.

فجاء الرد برجع البريد.

وقد نبهت هذه الحيلة باعثاً يعد، إذا قيس إلى غيره، غير كريم، ولكن من الممكن في كثير من الأحيان التأثير في الناس بتنبيه أسمى البواعث الممكنة. وقد حدث أن رأى اللورد نور ثكليف صورة له في جريدة لم يكن يريد أن تنشر فكتب إلى رئيس التحرير رسالة، ولكن هل قال له فيها: «أرجو أن لا تنشر هذه الصورة مرة أخرى فلست أرضى عنها»؟ كلا! بل أيقظ في نفس المحرر الاحترام الذي تنطوي عليه جميعاً للأمومة فكتب يقول: «أرجو أن لا تنشر صورتي هذه مرة أخرى فإن أمي لا تحبها».

ولما أراد جون د. روكفلر الصغير أن يكف مصورو الصحف عن رسم أبنائه،

لم يقل لهم : « لا أريد أن تنشر صورهم » كلا ، بل نبه الحرص الكامن فى نفوسنا جميعاً على اتقاء ما فيه أذى للأطفال فقال : « إنكم تدركون الباعث لى ، فإن لكم أبناء ، وإنكم لتعرفون أنه ليس من مصلحة الصغار أن تكثر الدعاية لهم » .

كان لتشارلز شواب مدير مصنع لا ينتج رجاله ما ينبغى أن ينتجوه فسأله شواب : « كيف اتفق أن رجلا فى مثل اقتدارك لا يستطيع أن يجعل هذا المصنع ينتج ما يجب أن ينتج ؟ » .

قال الرجل : « لا أدرى . فقد حاورت العمال وداورتهم ، وحضضتهم ، ولعنتهم ، ولكنهم يأبون أن يزيدوا على ما يفعلون » وكان هذا فى آخر النهار ، قبل أن يجىء عمال الليل .

فقال شواب : « أعطنى قطعة من الطباشير » ثم التفت إلى أقرب رجل وسأله : « كم أخرجتم اليوم ؟ » .

قال : « ستة » .

فلم ينطق شواب بكلمة ، وانحنى فكتب بالخط الكبير رقم « ٦ » على الأرض بالطباشير وانصرف . فلما أقبل عمال الليل رأوا رقم « ٦ » وسألوا عنه ما معناه فقال لهم عمال النهار : « كان صاحب المصنع هنا اليوم ، وسألنا عن إنتاجنا فقلنا ستة فخطها بالطباشير على الأرض » وفى صباح اليوم التالى دخل شواب فى المصنع فإذا عمال الليل قد محوا رقم « ٦ » وخطوا مكانه « ٧ » بالخط الجليل .

ولما جاء عمال النهار رأوا السبعة الكبيرة على الأرض فقالوا لأنفسهم : إن عمال الليل يظنون أنهم خير منا ! ! حسن ! سنريهم ! وعكفوا على العمل بحماسة وغيرة ، ولما انصرفوا فى المساء تركوا وراءهم « ١٠ » ضخمة . وما لبث المصنع الذى كان يتلكأ فى إنتاجه أن صار ينتج فوق ما ينتج سواه .

ولماذا ؟ قال شواب : « إن الوسيلة لحمل الناس على العمل هى إثارة روح التنافس ، ولست أعنى التنافس الذميم الذى غايته الحصول على المال ، وإنما أعنى الرغبة فى التفوق » .

فى سنة ١٩١٥ لما صمم وودرو ولسون على إرسال رسول سلام إلى سادة الحرب فى أوربا ، أراد وليم جننجز برايان ، وزير الخارجية وداعية السلام ، أن يكون هو الرسول . ورأى أن هذه فرصة أتيحت له لتخليد اسمه ، ولكن ولسون عين الكولونل هاوس ووكل إليه أن يبلغ برايان ، وهى مهمة شائكة . وقد كتب هاوس فى يومياته يقول : « لقد كان من الجلى أن برايان خاب أمله ، ولكنى بينت

له أن الرئيس رأى أن ليس من المصلحة أن يتولى هذه المهمة أحد رسميا ، وأن إيفاده (برايان) يلفت الأنظار لفتاً قوياً ، فيروح الناس يتساءلون عن السر فى قدومه » .

فهل أدركت المعنى الذى تنطوى عليه هذه العبارة ؟ إن هاوس يقول لبرايان إنه أكبر جداً من هذه المهمة ، وقد رضى برايان وارتاح ، ذلك أن الكولونل هاوس الحاذق الخبير بالدنيا وأهلها يجرى على قاعدة مهمة فى العلاقات الإنسانية : أشعر غيرك السعادة حين يعملون ما تقترح عليهم .

لا تجادل

حدث فى مأدبة أن قص الجالس إلى جانبى قصة اقتبس فيها هذه العبارة : « إن هناك قدراً يصوغ مصائرنا كائناً ما كان ما نفعله نحن فى تدبيرها » وزعم أنها من الإنجيل وكان مخطئاً ، فصححت له خطأه وأظهرت أنى أعلم منه ، ولكنه أصر على زعمه . من شكسبير ؟ كلام فارغ ! إنها من الإنجيل . وكان إلى يسارى صديق قديم لى وقد درس شاكسبير درساً وافياً ، فاتفقت أنا وصاحب القصة أن نطرح الخلاف عليه ، فأصغى صديقى ثم ركلنى برجله من تحت المائدة وقال : « إنك مخطىء يا ديل . وهذا السيد مصيب . فإن العبارة من الإنجيل » .

ولما كنا فى طريقنا تلك الليلة إلى بيوتنا قال صديقى على سبيل الإيضاح : « لاشك أن الكلمة من شكسبير يا ديل ، ولكننا كنا ضيوفاً فى مأدبة بهيجة ، فلماذا تحاول أن تثبت لرجل أنه مخطىء ؟ أتظن أن هذا يجعله يستلطفك ؟ لماذا لا تدعه وشأنه ؟ ثم إنه لم يطلب رأيك فلماذا تجادله ؟ اتق دائماً الزاوية الحادة » .

« اتق دائماً الزاوية الحادة » لقد كانت بى حاجة شديدة إلى هذا الدرس ، لأنى كنت مغرى بالجدل ، وقد جادلت أخى فى شبابى فى كل شىء تحت السماء ، ودرست فى الكلية المنطق والمناظرة ، ثم صرت أعلمهما فى نيويورك . وكانت النتيجة أنى انتهيت إلى أن ثم وسيلة واحدة لإقامة الحجة وإنهاضها ، وهى أن تجتنب إقامتها ! ففى كل تسع مرات من عشر ينتهى الجدل بأن يكون كل من المتجادلين أشد اقتناعاً بأنه هو على حق ، ولا تستطيع أن تفوز ، لأنك إذا انتصرت على خصمك فإنك تخسر ، لأنك لن تكسب قط رضاه وطيب طويته .

وقد قال وليم م . ماك أدو وزير الخزانة فى عهد رياسة وودرو ولسون إنه تعلم من السنوات الحافلة التى قضاها فى السياسة : « أن من المستحيل أن تقهر جاهلا بالحجة » وما ارى إلا أن المستر ماك أدو قد آثر

التصد ، فإن تجربتي تنبئني أنه يكاد يكون من المستحيل أن تحمل أي رجل — بغض النظر عن علمه أو جهله — على تغيير رأيه بالجدل .

مثال ذلك أن المستر فردريك س . بارسونز ، وهو مستشار في الضرائب ، ظل ساعة يجادل مفتشاً للضرائب ، وكانت المناقشة على ٩٠٠٠ ريال يقول المستر بارسونز إنها دين ميت ، ويقول المفتش إن ضريبتها يجب أن تجبى .

قال المستر بارسونز : « كان هذا المفتش جامداً ومتحجراً وعنيداً ، وكان يزداد عناداً كلما طال الحوار ، وأخيراً قلت له : « أحسب أن هذه مسألة تافهة بالقياس إلى المسائل المهمة الصعبة التي تعالجها وتبت فيها . وقد درست موضوع الضرائب ، ولكن معرفتي بها مستمدة من الكتب ، أما معرفتك فمستفادة من خط نار التجارب . وإني لأتمنى أحياناً أن يكون لي مثل وظيفتك ، فإنها خليقة أن تعلمني كثيراً مما أجهل » وكنت مخلصاً فيما قلت ، فاعتدل المفتش على كرسيه واضطجع وراح يتكلم طويلا عن عمله ، وحدثني عن غش كثير كشف عنه . وصارت لهجته ودية شيئاً فشيئاً ، وما لبث أن حدثني عن بنيه . ولما هم بالانصراف قال لي إنه سيدرس موضوعي مرة أخرى ثم يبلغني رأيه بعد بضعة أيام ، وعاد بعد ثلاثة أيام وقال لي انه قرر أن يترك الأمر على ما هو مدون في ملفه » .

لقد كان هذا المفتش يبدي ضعفا إنسانيا شائعا جداً ، فقد كان مطلبه الشعور بأنه ذو شأن وخطر ، فلما كان المستر بارسونز يجادله ، كان هو يرضي شعوره بقيمته بتقرير سلطته وتعزيزها ، فلما أقر له بارسونز بقيمته وطمأنه من هذه الناحية وانقطع الجدل ، وتيسر له أن يوسع نطاق ذاتيته انقلب إنساناً عطوفاً رقيقاً .

وقد كففت عن القول لأحد إنه مخطىء ، وألفيت ذلك نافعاً ، فإن المنطقيين قلة ، وأكثرنا متحيز منكوب بآراء سابقة يعتنقها . وقد نعترف فيما بيننا وبين أنفسنا بالخطأ ، وقد نقر به لغيرنا إذا عالجنا برفق وحكمة ، بل قد نباهي بصراحتنا ، ولكنا لا نفعل ذلك إذا حاول بعضهم أن يرغمنا على ازدراء الحقيقة غير السائغة .

حدثنا فرانكلين في ترجمته بقلمه كيف تغلب على عادة الجدل القبيحة ، وكيف عالج نفسه حتى صار من أقدر الساسة في تاريخ أمريكا . وقال إنه حين كان شاباً كثير العثرات انتحى به صديق قديم ناحية وقال له : « اسمع يابني ، إن آراءك كأنها سياط تجلد بها كل من يخالفك ، وإن إخوانك ليطيب لهم العيش حين تغيب عنهم ، وإنك

لتبدو أعلم من أن يستطيع أحد أن يعرفك بشيء ، بل إنه ما من أحد سيحاول ذلك ، لأنه جهد لا يثمر إلا المتاعب . فانت لا يحتمل أن تعلم أكثر مما تعلم الآن وهو قليل جدا » .

وكان فرانكلين حصيفاً عاقلا ، فأدرك أن هذا حق فتحول . قال : « اتخذتها قاعدة لى أن أجتنب كل معارضة لآراء غيرى وكل تقرير لآرائى . بل حرمت على نفسى أن أستعمل لفظاً يدل على رأى مقرر أو مفروغ منه مثل « على التحقيق » أو « بلا شك » وصرت أقول « أحسب أن الأمر كيت وكيت » أو « إن هذا يبدو لى كذلك فى الوقت الحاضر » . وإذا قال غيرى قولا أراه خطأ فإنى أحرم نفسى لذة الاعتراض عليه فجأة ، وإظهار ما ينطوى عليه من غلط ، فإذا أجبته بدأت بأن أبين أن رأيه يصدق فى حالات معينة ، ولكنه فى الحالة الراهنة يظهر أن هناك شيئاً فى الاختلاف .

« وصار هذا فى النهاية عادة راسخة حتى إنه فى خمسين عاماً تقريباً لم يسمع أحد منى عبارة تقريرية . وإلى هذه العادة ، مضافة إلى النزاهة ، يرجع الفضل فى أنه كان لى تأثير فى مواطنى حين اقترحت مشروعات جديدة أو تنقيحاً فى مشروعات قديمة ، كما يرجع إليها الفضل فى نفوذى فى المجالس العامة » .

إذا كنت مخطئاً

إذا وقعت فى خطأ فكثيراً ما ينفعك أن تبادر إلى الإقرار به . كان فرديناند وارين رساماً تجارياً فلجأ إلى هذه الوسيلة لاكتساب رضى مدير فنى شكس . حدثنى وارين قال : « بعثت إليه حديثاً برسم رسمته بسرعة ، فطلب منى بالتليفون أن أحضر إليه فى مكتبه على الفور ، فلما صرت عنده كان ما توقعته ، فألفيته ساخطاً ، ومغتبطاً بالفرصة التى أتيحت له للإنحاء علىّ باللوم ، وسألنى بحدة : لماذا فعلت كذا وكذا؟ فلجأت إلى خطة جديدة وقلت : « لقد أخطأت وليس لى أى عذر ، فإنى أرسم لك من زمن طويل ، فكان من الواجب أن لا أغلط هذا الغلط ، وإنى لفى خجل شديد » .

وإذا به ينقلب مدافعاً عنى ويقول : « نعم ، نعم ، إن ما تقول صحيح ، ولكن هذه غلطة هينة على كل حال . . . »

فقاطعته قائلا : « إن أية غلطة قد تصبح باهظة الكلفة . وكان ينبغى أن أكون أشد عناية . وسأرسم هذا من جديد » .

فرفض قائلا : « لا لا لا . إنه لا يخطر لى أن أجشمك كل هذا العناء » وأثنى على عملى وأطراه ، وأكد لى أنه لا يريد إلا تغييراً طفيفاً لا يستحق كل هذا القلق . ذلك أن تقدى لعملى استل غضبه ،

وقبل أن أنصرف ناولنى شيكا ووكل لى عملا آخر .

ضمير المفرد المتكلم

هل تريد أن تكتسب أصدقاء ؟ إذن كن ودوداً ، وانس نفسك ، فليس الناس بمعنيين بك ، وإنما هم معنيون بأنفسهم صباحاً وغدوة ومساء . وقد درست شركة تليفونات نيويورك الحوار التليفونى ، لتعرف أى الألفاظ أكثر دوراناً على الألسنة ، فإذاً هو الضمير « أنا » فقد أستعمل ٣٩٠٠ مرة فى ٥٠٠ محادثة تليفونية. « أنا » ، « أنا » ، « أنا » ، « أنا » .

وهذا هو السبب فى أنك تستطيع فى شهرين اثنين ، إذا أظهرت العناية بأمر غيرك — أن تكسب من الأصدقاء أكثر مما تكسب فى عامين طويلين ، إذا حاولت أن تحمل الناس على العناية بأمرك أنت .

وكان هذا هو السر فى الشهرة العجيبة التى فاز بها ثيودور روزفلت. زار روزفلت البيت الأبيض يوماً ، ولم يكن الرئيس تافت وزوجته هناك ، فبدا حبه الصادق لصغار الناس من تحيته لكل خدم البيت الأبيض القدماء بأسمائهم ، حتى الخادمات اللواتى يغسلن أوانى المطبخ .

كتب ابنه يقول : « ولما رأى أليس خادمة المطبخ سألها عن فطائر الذرة ، ألا تزال تصنعها ؟ فقالت إنها تصنعها أحياناً للخدم ، ولكنه لا يأكلها أحد من العلية»

« فقال روزفلت : « هذا يدل على فساد ذوق ، وسأقول هذا للرئيس حين أراه » .

« فجاءته بقطعة على طبق فذهب إلى المكتب وهو يأكلها ويحيى البستانية والعمال وهو يمر بهم . ولا يزال هؤلاء يتذاكرون ذلك اليوم . وقد قال خادم والدمع يجول فى عينيه : « لقد كان ذاك أسعد يوم مر بنا فى عامين كاملين » .

وكان مثل هذا الاهتمام القوى بأمور الناس هو الذى جعل الدكتور تشارلز إيليوت مدير جامعة هارفارد من أنجح من تولوا إدارة الجامعات . حدث ذات يوم أن طالباً جديداً — ل . ر . ج . كراندون قصد إلى مكتب المدير ليقترض ٥٠ ريالا من صندوق الطلبة ، فأعطاه ما طلب . قال كراندون : « ثم التفت الرئيس إيليوت وقال : « تفضل واجلس » وأدهشنى حين استطرد يقول : « لقد قيل لى إنك تطبخ طعامك وتتناوله فى غرفتك . وأرى أن هذا حسن إذا حصلت على الطعام الصالح وعلى الكفاية منه . وقد كنت أنا أفعل هذا فى زمن التحصيل . فهل صنعت قط فطيرة بلحم العجل ؟ إنها من خير الأطعمة إذا

أنعمت إنضاجها ، لأنه لا شيء يضيع منها سدى . والطريقة التي كنت أصنعها بها هي هذه . . . » ثم راح يخبرني كيف نختار اللحم وكيف أطبخه على مهل ، وبحيث يترك التبخر الحساء كالهلام ، ثم كيف أقطعه وأضغطه بين وعائين أحدهما في الآخر ، ثم آكله آخر الأمر بارداً » .

أفترى يكون هذا الأسلوب صالحاً نافعاً في الأعمال المالية والتجارية ؟ إن في وسعي أن أورد عشرات من الشواهد .

كان تشارلز وولترز من رجال مصرف كبير في مدينة نيويورك ، فكلف أن يعد تقريراً سريا عن شركة معينة . وكان لا يعرف سوى رجل واحد عنده ما يبتغي من العلم، وهو الرئيس . فلما أدخل وولترز عليه في مكتبه أطل رأس فتاة من الباب وقالت إنه ليس عندها له اليوم طوابع بريد أخرى .

قال الرئيس على سبيل البيان : « إني أجمع الطوابع لابني وهو في الثانية عشرة من عمره » .

وشرح وولترز غايته من الزيارة وبدأ يلقي أسئلته ، فجاءت الأجوبة غامضة ، عامة ، وكان الحديث وجيزاً عقيماً .

فلم يدر المستر وولترز ماذا يصنع ، ثم تذكر أن القسم الخارجي من مصرفه يجمع الطوابع من الرسائل التي يتلقاها من قارات الأرض جميعاً .

قال وولترز : « وفي عصر اليوم التالي زرت الرجل مرة أخرى ، وبعثت إليه أنبئه أن معي طوابع لابنه . فحياني بوجه مشرق الديباجة وجعل يقول وهو يتناول الطوابع : « سيعشق جورج هذا . وتأمل هذا .. إنه كنز ! »

« وقضينا نصف ساعة نتحدث عن الطوابع ، ثم أفرد لي أكثر من ساعة يفضي إليّ بكل ما أريد الوقوف عليه ، حتى من غير أن أسأله » .

فإذا كنا نريد أن نكتسب أصدقاء فلنعن بأن نصنع شيئاً للناس — شيئاً يتطلب وقتاً ونشاطا وحصافة .

أحسن الإصغاء

قابلت أخيراً عالماً نباتياً ممتازاً في مأدبة عشاء، ولم أكن قبل ذلك حادثت أحداً من علماء النبات . فظللت طول ذلك المساء جالساً على حافة الكرسي في حين راح هو يتحدث عن الحشيش والطحالب والحدائق المنزلية . وانتصف الليل ، فحييت وانصرفت . فالتفت النباتي إلى مضيفنا وأثنى عليّ ثناءً جميلا ، ووصفني بأني أنعش نفس جليسي ، وأني « محدث ظريف » .

محدث ظريف ؟ إنى لم أفتح فمى قط . وما كنت أستطيع أن أقول شيئاً لو أنى أردت الكلام إلا إذا تغير الموضوع ، لأنى لا أعرف شيئاً فى علم النبات . ولكن الذى فعلته هو هذا : أصغيت بعناية وأرهفت سمعى ، لأنى كنت حقيقة معنيا بما أسمع ، فلم يفته اهتمامى بما يقول ، وسرّه منى هذا . وهذا الضرب من الإصغاء هو خير ما تثنى به على المرء .

وهذا هو سر النجاح فى أحاديث المجتمع والأحاديث التى تدور على الأعمال أيضاً . وتذكر أن الرجل الذى تتحدث إليه يهتم بنفسه وبحاجاته وأموره مائة ضعف اهتمامه بك وبأمورك . ولضرس يؤلمه أخطر شأناً عنده من مجاعة فى الصين . ففكر فى هذا حين تفتح حديثاً مع أحد ، وإذا أردت أن يحبك الناس فأحسن الإصغاء ، وشجعهم على الكلام عن أنفسهم .

سحر الأسماء

سألت مرة جيم فارلى عن سر نجاحه فقال : « الكد فى العمل » فقلت له : «لا تكن سخيفاً » .

فسألنى هو عما أظن أنه سر نجاحه فقلت : « سمعت أنك تستطيع أن تدعو ١٠٫٠٠٠ إنسان باسمه الأول » .

قال : « بل أنت مخطىء ، فإنى أستطيع أن أدعو ٥٠٫٠٠٠ إنسان باسمه الأول » .

فلا يداخلك شك فى هذا ، فإن هذه القدرة أعانت المستر فارلى على أن يجلس فرانكلين د . روزفلت فى البيت الأبيض . ولما كان فارلى يطوّف فى البلاد ممثلا صنعاً للجص ، ابتكر طريقة يتذكر بها الأسماء ، فكان إذا تعرف برجل بحث عن اسمه الكامل وعن أسرته كلها ، وعن عمله ، وعن آرائه السياسية ، وحفظ ذلك كله عن ظهر قلب . حتى إذا قابله مرة أخرى ، استطاع أن يربت له على كتفه ويسأله عن زوجته ، وبنيه وعن الخبيزى فى حديقته الخلفية . فلا عجب إذا صار له شيعة وأتباع!

وقد أدرك فى صدر حياته أن الرجل من الأوساط العاديين أعظم اهتماماً باسمه هو منه بجميع أسماء الخلق مجتمعة . فإذا تذكرت اسم رجل ووسعك أن تدعوه به بلا عناء ، فإنك تطريه إطراء فعالا ، أما إذا نسيته أو أخطأت فى هجائه ، فإنك تضع نفسك منه فى موضع لا يسرك .

وقد عرف أندرو كارنيجى ، وهو فى العاشرة من عمره ، الأهمية المدهشة التى يراها الناس لأسمائهم ، فاستخدم هذه المعرفة لاكتساب المعاونة . وكان له عدد من صغار الأرانب ليس عنده طعام لهم ، فقال للغلمان

من جيرانه إنه مستعد أن يطلق أسماءهم على الأرانب إذا جمعوا له الكفاية من البرسيم والهندباء لإطعامها .

فكان لهذا الاقتراح فعل السحر ، ولم ينس كارنيجى قط هذه الحادثة .

وقد ربح فيما بعد ملايين وملايين بتوخى هذه الوسيلة فى أعماله . مثال ذلك أنه أراد أن يبيع قضباناً حديدية إلى شركة بنسلفانيا للسكك الحديدية ، التى كان يرأسها يومئذ ج . إدجار تومسون . فشيد أندرو كارنيجى مصنعاً هائلا للقضبان الحديدية فى بتسبرج وسماها « مصانع ج . إدجار تومسون للصلب » .

كان برسى هاموند الناقد المسرحى يجرى على عادة لا تتغير إذا أراد إيذاء أحد فيما يكتب ، فكان يتعمد أن يغلط فى هجاء الاسم . وكان يضع حلقة حول الاسم الخطأ ، ويكتب على الهامش تحذيراً لمصحح المسودات من أن يكون قليل العقل فيصحح الاسم . ولأمر ما يستاء معظم الناس إذا رأوا أسماءهم مكتوبة على غير وجهها الصحيح ، وكان هاموند يسره أن يمتعض الناس إذ يرون أنهم عنده شىء مهمل ، حتى إنه يخطىء حين يتهجى أسماءهم .

فمن أين كان إدجار تومسون يشترى القضبان لشركة بنسلفانيا للسكك الحديدية حين يحتاج إلى شرائها ؟ .

ولما كان كارنيجى وجورج بولمان يتنافسان ويحاول كل منهما أن يتغلب على صاحبه فيما يتعلق بمركبات النوم ، تذكر ملك الحديد (كارنيجى) درس الأرانب .

وكانت شركة النقل المركزية التى يسيطر عليها كارنيجى تنافس الشركة التى يسيطر عليها بولمان ، وكانت كل من الشركتين تحاول أن تحصل على امتياز مركبات النوم من شركة السكة الحديدية الاتحادية للباسفيكى . وكانت المنافسة قوية ، وكل منهما يهبط بالأسعار والقيم ، ويقضى على كل أمل فى الربح . وذهب كارنيجى وبولمان إلى نيويورك لمقابلة مجلس إدارة شركة السكك الحديدية ، فالتقى كارنيجى ذات مساء ببولمان فى فندق « سنت نيقولاس » فاقترح كارنيجى إدماج شركتيهما ، ووصف بعبارات خلابة المزايا المتبادلة التى تستفاد من العمل معاً بدلا من التنافس . فأصغى إليه بولمان باهتمام ، ولكنه لم يقتنع كل الاقتناع ، وأخيراً سأل : « وماذا تقترح أن تسمى الشركة الجديدة ؟ » فأجاب كارنيجى على الفور : « شركة مركبات بولمان بالطبع ! » .

فأشرق وجه بولمان وقال : « تعال معى إلى حجرتى . ولنتداول فى الأمر »

فكان هذا الحديث حدثاً في تاريخ الصناعة.

ومن فرط زهو الناس بأسمائهم واعتزازهم بها، يحاولون تخليدها بأي ثمن. فقبل مائتي عام كان الأغنياء يبذلون المال للمؤلفين ليهدوا كتبهم إليهم. وقد موّل أصحاب الملايين بعثة الأميرال بيرد إلى القطب على أن يطلق أسماءهم على الجبال الثلجية.

ومن أسهل الطرق وأقربها وأهمها لاكتساب حب الناس وإشعارهم أن لهم شأناً، أن تتذكر أسماءهم. ومع ذلك كم منا يفعل ذلك؟ إننا نتعرف بامرىء ونحادثه دقائق، ثم نودعه ولا نستطيع أن نتذكر اسمه. ومعظم الناس ينسون الأسماء لأنهم لا يكلفون أنفسهم عناء التذكر وحفر الأسماء في رءوسهم.

كان نابليون الثالث يفخر بأنه يستطيع أن يتذكر اسم كل امرىء قابله. أتسأل كيف كان يصنع؟ إنه كان إذا لم يسمع الاسم واضحاً يقول: «إني آسف جداً لأني لم أسمع الاسم بوضوح» فإذا كان الاسم غريباً غير مألوف سأل عن هجائه.

وكان أثناء الحديث يتكلف أن يكرر الاسم مرات عديدة، ويقرنه في ذهنه بمعارف وجه الرجل وشكله العام، فإذا كان الرجل ذا شأن جشّم نابليون نفسه ما هو أكثر من ذلك، فكان إذا خلا بنفسه يكتب اسم الرجل على ورقة وينظر إليه ويركز خواطره فيه، ويثبت الاسم في ذهنه ثم يمزق الورقة. وبهذه الطريقة كان يتذكر رسم الاسم مكتوباً كما يتذكره ملفوظاً مسموعاً.

وهذا كله يستغرق وقتاً. ولكن الأدب، كما يقول إمرسون يتطلب تضحيات صغيرة.

فتذكر دائماً أن اسم الرجل هو أعذب وأحلى وأهم لفظ في اللغة.

● كان الكولونيل لورنس، أحد أبطال الثورة العربية، في الحرب العالمية الأولى، واقفاً ذات صباح قائظ على شرفة فندقه في القاهرة، فدنت منه سيدة كان يهمها أن تشاهَد واقفة معه، وقالت وهي تروّح بمروحة كبيرة: «تصوّر يا كولونيل لورنس، تصوّر، اثنتان وتسعون». فرد لورنس في الحال: «أهنئك يا سيدتي، وأتمنى لك عود العيد السعيد مراراً!».

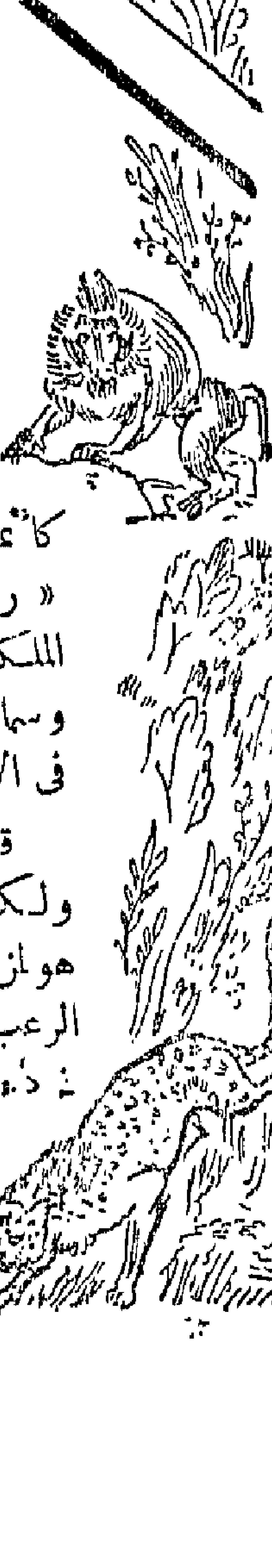
[ى . ى . ادجار]

باب القصة

آرثر كونان دويل
عن "مجموعة شرلوك هولمز الكاملة"



مغامرة العصابة الرقطاء



إن شخصية شرلوك هولمز المحببة التي ابتدعها كونان دويل ، ظفرت بقلوب ثلاثة أجيال من القراء ، ولا تزال آخذة سبيلها لتصبح متعة الجيل الرابع أيضاً . ولا جرم أن كانت نشوة مغامراته تلقى القارىء في بحر من النسيان ، كأنما بها مخدر لا سبيل إلى إنكاره . إذا دخلنا غرفة الجلوس ، في المنزل « رقم ٢١١ مكرر في شارع بيكر » انتقلت نفوسنا المرهقة بالشواغل إلى عصر الملكة فيكتوريا وكل ما يذكرنا به : عربات سود مقفلة ، تجرى على عجلات كبيرة ، وسماء يجللها الضباب ، وشرلوك هولمز يضرب أمامنا أمثلة بارعة على مقدرته المائمة في الاستنتاج . ونحن والدكتور وطسون الأمين ، نراقبه في دهشة وإعزاز .

قد حاول بعض كتاب القصص البوليسية أن يقلدوا — بلا خجل — طريقته ، ولكن هيهات ! فليس هناك إلا هولمز واحد . ومغامرة العصابة الرقطاء تمثل شرلوك هولمز في ذروة مقدرته وإقدامه ، إذ نرى في هذه المغامرة بوقائعها الفريدة في إثارة الرعب ، كيف يتفوق ذكاء هولمز — البوليس السرى الذى لا يبارى — على ذكاء رجل الشر ، الدكتور جريمسبي رويلوت . وسواء أقرأت هذه القصة للمرة الأولى أم قرأتها للمرة العشرين ، فإن وقائعها المخيفة لا تزال قادرة على أن توقف الدم في قلبك من الرعب ، وأن تدفعك إلى البحث عن مغامرات أخرى لهولمز الخالد ؟

كريستوفر مورلي

استيقظت مبكراً ذات صباح من شهر أبريل فإذا شرلوك هولمز واقف بجانب فراشي في تمام ثيابه . فنظرت إليه ، والنوم يغالب عيني ، في شيء من الدهشة . فقد كانت عادته أن ينام إلى وقت متأخر . قال لي :

— يؤسفني أن أوقظك ياوطسون ، ولكن هذا هو حظنا المشترك هذا الصباح .

— ماذا حدث إذن ؟ هل شبت حريق ؟

— بل هي زبونة تقصدنا . هي سيدة في مقتبل العمر قد أخذ الاضطراب منها كل مأخذ ، وهي تنتظرنا الآن في غرفة الجلوس .

ما يسرني شيء أكثر من تتبعي لهولمز في مباحثه الفنية ، ومن إعجابي باستنتاجاته الخاطفة ، تخال لسرعتها وحياً وإلهاماً ، على حين أنها تستند إلى أساس من المنطق السليم ، وبفضلها يحل هولمز كل مشكلة تعرض عليه .

وفي برهة وجيزة تأهبت لمصاحبة هولمز إلى غرفة الجلوس . فلما دخلناها قامت إلينا سيدة قد ارتدت بالسواد ، محجبة الوجه بنقاب غليظ .

قال لها هولمز وهو يحييها بانشراح :

— طاب صباحك ياسيدتي ، أنا شرلوك هولمز وهذا صديقي الحميم ورفيقي الدكتور وطسون ، وتستطيعين في حضرته أن تفضي إلي غير متحرجة بكل ماتريدين . بالله عليك إلا اقتربت من المدفأة فإني أراك ترتجفين .

أجابته السيدة بصوت خافت :

— ليس البرد هو الذي يجعلني أرتجف

— مم إذن ؟

— إنه الخوف يامستر هولمز ، إنه الرعب

رفعت ، وهي تتحدث ، نقابها فاستطعنا أن نتبين أنها حقاً في حالة من الهياج يرثى لها : وجه مجهد مغبر ، وعيون حائرة وجلة ، السمة والهيئة ، سمة امرأة في الثلاثين ولكن أسرعت في شعرها فلتات من الشيب . وفرّها هولمز بنظرة من نظراته السريعة الشاملة ، ومال عليها يربت على ذراعها ويقول لها مطمئناً :

— يجب أن تطرحي الخوف جانباً ، وعما قليل سنصلح لك أمورك . لقد جئت بالقطار ، فيما أرى ، هذا الصباح ؟

— هل تعرفني إذن ؟

— لا ، ولكني لاحظت أنك تحتفظين بالنصف الثاني من تذكرة ذهاب وإياب في قفاز راحتك اليسرى . ولا شك أنك بدأت رحلتك مبكرة ، فاضطررت إلى ركوب « دوكار » يبلغك المحطة من خلال طرق وعرة .

حدقت فيه مبهوتة فأردف يقول :

— إن الأمر جلي ياسيدتي العزيزة ، فإن كم سترتك الأيسر قد تناثر عليه الطين

فى أكثر من سبعة مواضع ، وليس هناك عربة سوى الدوكار تقذف عجلاتها الطين على هذه الصورة، ولا يكون ذلك إلا وأنت جالسة على يسار السائق .

— مهما تكن أدلتك ، فقد أصبت فى كل ما قلت . لقد غادرت دارنا قبل السادسة فلم أعد أطيق احتمال هذا الهمّ . أواه ياسيدى ، هل تستطيع أن تلقى بصيص من الضوء على هذا الظلام الدامس الذى يكتنفنى ؟ ليس فى طوقى اليوم أن أجازيك على مساعدتك ، ولكنى سأتزوج بعد شهر أو ستة أسابيع ، وسيصبح لى حق التصرف فى دخلى . وعندئذ ستجدنى — على الأقل — غير منكرة للجميل .

فأجابها هولمز :

— عملى هو جزائى . ولكنى أترك لك الخيار فى دفع ما قد أتحمله من النفقة ، فى الوقت الذى يروق لك . والآن أرجوك أن تدلى إلينا بكل ما يساعدنا على تكوين فكرة عن مسألتك .

أجابته زائرتنا :

— وا أسفاه ! إن سبب الرعب الذى أنا فيه يرجع إلى أن مخاوفى جدّ مبهمة ، وأن ارتيابى إن قام على شىء فإنما يقوم كله على أمور هينة قد تبدو لك أوهام امرأة مضطربة الأعصاب ليس إلا .

— إننى منتبه إلى ما تقولين كل الانتباه يا سيدتى .

— اسمى هيلين ستونر ، وأعيش مع زوج أمى ، وهو آخر من بقى من سلالة أسرة من أعرق الأسر فى إنجلترا ، أسرة رويلوث التى تنتسب إلى جهة ستوك موران بمقاطعة صارى .

فأومأ هولمز برأسه وقال :

— ليس هذا الاسم بغريب علىّ .

— كانت هذه الأسرة فى وقت من الأوقات تعد من أغنى الأسر فى إنجلترا ، ولكنها الآن لا تملك شيئاً سوى بضعة أفدنة من الأرض ، وقصراً يرجع تاريخه إلى مائتى سنة مضت ، وهو الآن مرهون مثقل بالدين . وظل آخر سيد يحمل لقب الأسرة يعانى على مهل بشاعة الحياة وهو يعيش عيشة صعلوك أرستقراطى . فلما رأى ابنه الوحيد ، زوج أمى ، أن لا مفرّ له من أن يلبس للحالة الجديدة لبوسها ، حصل على إجازة فى الطب ورحل إلى كلكوتا حيث أصبح مقصد كثير من المرضى . ولكنه فى نوبة غضب انهال ذات يوم بالضرب على خادمه الهندى حتى قضى عليه . ولم ينج من الإعدام إلا بشق النفس ، فعوقب بالسجن مدة طويلة عاد بعدها إلى انجلترا رجلا مكتئباً ممروراً .

وحين كان الدكتور رويلوث فى الهند

تزوج أمى ، المسز ستونر ، الأرملة الشابة التى مات عنها الماجور جنرال ستونر ، الضابط بمدفعية البنغال . وكنت أنا وأختى چوليا توأمين فى الثانية من عمرنا يومئذ .

ماتت أمى بعـد عودتنا إلى إنجلترا بقليل ، فأخذنا الدكتور رويلوث لنعيش معه فى ستوك موران . وكانت أمى قد أوصت بكل دخلها ، وهو ما لا يقل عن ألف جنيه فى السنة ، إلى الدكتور رويلوث بشرط أن يدفع إلينا سنوياً مبلغاً معيناً بعد زواجنا . كان هذا الدخل يكفينا كل الكفاية ، وكانت السعادة تبدو كأنها فى متناول يدنا .

ولكن لم يلبث زوج أمى أن تبدلت طباعه تبدلا مخيفاً . فأصبح يغلق عليه باب غرفته ، ولا يكاد يخرج حتى يشير شجاراً وحشياً مع أى امرئ يلقاه فى طريقه .

والمعروف عن رجال أسرته أنهم يتوارثون حدة فى الطبع تقارب الجنون . ولا شك أن إقامة زوج أمى زمناً طويلا فى بلاد حارة قد أجيج هذه العلة ، حتى صار أخيراً مثار رعب أهل القرية كلها . فلا يقابله أحد إلا فر منه رعبا ، إذ كان رجلا مفرط القوة ، فإذا أخذه الغضب فلا رادّ لغضبه .

لم يبق « بعدُ صديق واحد — اللهم إلا جماعة من الغجر الرحّل ، وقد أذن لهؤلاء المشردين أن يحطوا رحالهم فى تلك الأفدنة القليلة المهملة التى لم يبق للأسرة غيرها »

وكانوا يردون جميله فيدعونه إلى خيامهم فيلبي الدعوة ويصحبهم فى جولاتهم أسابيع متوالية . ولهذا الرجل ولع شديد بالحيوانات الهندية ، وإن لديه الآن فهداً وقرداً قد أطلق سراحهما فى أرضه ، يرهبهما أهل القرية رهبتهم لصاحبهما . ولعلك تدرك بعدُ أن لم يكن فى حياتى وحياة أختى المسكينة چوليا كثير من البهجة والسرور . ولقد توفيت أختى منذ سنتين ، وموتها هو الموضوع الذى أريد أن أحدثك عنه .

لنا عمة ، هى المس أونوريا وستفيل ، تعيش قريباً من مدينة هارو ، وكان يؤذن لنا أحياناً فى زيارتها فترة قصيرة ، وهنالك قابلت أختى ضابطاً فى البحرية وقبلت خطبته لها . لم يبد زوج أمى أى اعتراض على هذا الزواج ، ولكن قبل الموعد المحدد للزفاف بأسبوعين وقعت لنا حادثة مفزعة .

كان شرلوك هولمز مضطجعاً فى مقعده ، وعيناه مغمضتان ، ورأسه غارق فى الوسادة ، فإذا به يفتح عينيه قليلا ويرمى ببصره إلى الزائرة ويقول :

— أرجوك أن تراعى غاية الدقة فى ذكر التفاصيل .

— من السهل علىّ أن أفعل ، فإن كل

التفاصيل عالقة بذاكرتى كأنما حفرت فيها حفراً . فليس فى القصر القديم اليوم سوى جناح واحد مسكون . وغرف النوم فى الطابق الأرضى ، الغرفة الأولى لزوج أمى ، والثانية لأختى ، والثالثة لى . ولا يتصل بعض هذه الغرف ببعض ، ولكن أبوابها جميعاً تفتح على طريقة واحدة .

هل ترانى أوضحت الوصف ؟

— كل الوضوح .

— وتطل نوافذ الغرف الثلاث على المرج المحيط بالقصر . وفى تلك الليلة المشئومة بادر الدكتور رويلوث فأوى إلى غرفته ، ولكننا أدركنا أنه لم يفعل ذلك لغلبة النوم عليه ، فإن أختى آذاها الدخان المتصاعد من لفائف التبغ الهندى التى كان من دأبه أن يدخنها . فلذلك تركت غرفتها وجاءت إلى غرفتى حيث جلست قليلا تثرثر بذكر زواجها المقترب .

وفى الساعة الحادية عشرة قامت تودعنى ولكنها تريثت لدى الباب وقالت :

— خبرينى يا هلين . هل حدث لك أن سمعت شخصاً يصفر فى هدأة الليل البهيم ؟ قلت :

— أبداً ؟ ولماذا ؟

— لأننى ، فى الليالى الماضية ، حوالى الساعة الثالثة صباحاً ، سمعت صفيراً خافتاً واضحاً ، لم أستطع أن أتبين مصدره . ربما كان من الغرفة المجاورة ، وربما كان من المرج . أفتراك سمعته أنت أيضاً ؟

— كلا لم أسمعه . هم هؤلاء الغجر المناكيد ، ولا بد .

— إنه لخليق أن يكون كذلك . على كل حال ، ليس هذا بأمر ذى بال .

ابتسمت لى وأغلقت الباب ، وبعد بضع دقائق سمعت مفتاحها يدور فى قفل بابها .

قال هولمز :

— وإذن أكان من عادتكما أن توصدا الباب عليكما بالليل ؟

— دائماً . لقد ذكرت لك أن الدكتور يقتنى فهداً وقرداً ، فلا عجب أن كنا لا نشعر بالأمن إلا إذا كان بابنا موصداً .

— معكما الحق ! تفضلى فأتمى الحديث .

— لم يغمض لى جفن ، سيطر علىّ شعور غامض بأن مصاباً يوشك أن يحلّ بنا . وكانت ليلة عاصفة ، تزمجر فيها الريح ، ويقرع المطر زجاج النوافذ . وفجأة شقت ضجة العاصفة صرخة عالية . صرخة امرأة مذعورة . فتبينت صوت أختى ، فوثبت من فراشى وتلفعت بشال واندفعت إلى الطرقة ، ولما فتحت الباب خيل إلى أننى أسمع صفيراً خافتاً كالذى وصفته أختى .

وبعد هنيهة دوت صلصلة أشبه بصلصلة

لوح ثقيل من المعدن يقع على الأرض . وبينا أنا أجرى فى الطرقة سمعت المفتاح يدور فى قفل غرفة أختى ، ثم فتح الباب على مهل ، وأثبت الرعب نظرتى عليـــه . وفى ضوء مصباح الطرقة رأيت أختى على عتبة غرفتها ، قد شحب وجهها من الرعب ، وامتـدت يداها تطلبان الغوث ، وجسمها كله يهـتز ذات اليمين وذات اليسـار . جريت إليها وطوقتها بذراعىّ ، ولـكن ركبتيها خانتاها وسقطت على الأرض تتلوى كمن يعانى آلاماً شديدة ، وأطرافها ترتعـد ارتعاداً مخيفاً ، فلما انحنيت عليها صرخت فجأة :

ـــ آه ! يارب ! هلين ! إنها العصابة ، العصابة الرقطاء .

وكان على لسانهـا شىء تود أن تقوله ، وأخذت تشـــير بإصبعها مراراً إلى غرفة الدكتور ، ولـكن الرعدة أخذتها من جـديد ، فخفت صوتهـا . جريت أصرخ مستغيثة بزوج أمى ، فقـابلته وهو مسرع من غرفتـه ، وعليه معطفه المنزلى . ولما وصل إلى جانب أختى وجدها مغمىً عليها ، فصبّ فى فمها قليلا من الـكونياك ، وبعث إلى القرية فى طلب الإسعاف ، ولـكن كل ما بذلناه من جهد فى إنعاشها ضاع سدى .

قاطعها هولمز :

ـــ لحظة واحـدة . هل أنت واثقـة من الصفير والصلصلة المعدنية ؟

ـــ هذا ما سألنى عنه قاضى التحقيق . يتملكنى إحساس قوى بأنى قد سمعت ذلك ولـكن عسى أن يكون سمعى قد كذبنى ، فى ضجة العاصفة ، وطقطقة الدار القديمة .

ـــ وهل كانت أختك مرتدية ثيابها ؟

ـــ كلا . كانت فى ثيـاب النوم ، وقد وجدنا فى يدها اليمنى بقية عود ثقاب محترق ، وفى يدها اليسرى صندوق الثقاب .

ـــ هذا يدلّ على أنها حين فوجئت بما أفزعها ، عمدت إلى الثقاب فأشعلته ، وتلفتت حواليها فى ضوئه . وهذا أمر مهم . وما هى النتيجة التى وصل إليها قاضى التحقيق ؟

ـــ إنه باشر التحقيق بكل عناية .

فقد كان سلوك الدكتور رويلوث مما تلوكه الألسن منذ مدة طويلة فى البلدة . غير أن القاضى لم يجـد لوفاة أختى سبباً واحداً مقنعاً . فقد ثبت من شهادتى أن بابها كان مغلقاً من الداخل ، وأن النافذة ، وهى من طراز قديم ، كانت توصد كل ليلة بقضيب عريض من الحديد . فلا ريب إذن فى أن أختى كانت وحدها فى الغرفة عند ما لقيت حتفها ، وفوق ذلك لم نجـد على جسمها أى أثر يدل على أنه قد وقع عليها اعتداء ما .

ـــ ماذا رأوا فى قتلها بالسم ؟ . .

— لقد فحصها الطبيب ليتحقق من ذلك ، ولكنه لم يوفق إلى شيء .

— إذن ماذا ترين أنت في سبب وفاة هذه السيدة المسكينة ؟

— إنى أعتقد أنها لم تمت إلا من الخوف والصدمة العصبية ، وإن كنت لا أستطيع أن أتصور مبعث هذا الرعب .

— ماذا فهمت من إشارتها إلى العصابة ، العصابة الرقطاء ؟

— أحياناً أظنها وليدة هذيانها ، وأحياناً أظنها تعنى عصابة من الناس — ولعلهم أولئك الغجر ، فإن أغلبهم يعصبون رؤوسهم بمناديل ذوات ألوان توحى بهذا الوصف الغريب الذى جاء على لسان أختى .

هز هولمز رأسه كمن يصعب عليه الاقتناع ثم قال :

— إن الأمر غامض جداً . تفضلى وواصلى الحديث .

— مرت سنتان منذ هذه الحادثة وكنت إلى عهد قريب أقضى حياتى فى وحدة أشد وحشة من ذى قبل .

ولكن صديقاً عزيزاً علىّ كنت أعرفه سنين طويلة سألنى فى الشهر الماضى أن أرضى به زوجاً . اسمه أرميتاج ، برسى أرميتاج . لم ألق من زوج أمى أية معارضة وسنتزوج فى الربيع .

ومنذ يومين شرع فى تعمير الجناح الأيسر للقصر فأحدثت فجوات فى جدار غرفتى ، فاضطررت أن أنتقل إلى الغرفة التى ماتت بها أختى وأن أنام فى نفس الفراش الذى كانت تنام فيه . تصوّر إذن مقدار رعبى ! فبينما أنا فى الليلة الماضية راقدة لا أنام ، أفكر فى المصير المخيف الذى لقيته أختى ، إذا بى أسمع فجأة الصفير الخافت الذى كان نذير موتها . وثبت من الفراش ، وأخذت المصباح ، ولكنى لم أر بالغرفة شيئاً . وأخذ الذعر منى كل مأخذ فلم أستطع أن أعود إلى مضجعى . ولم يكد الفجر يبين حتى أخذت دوكاراً من فندق القرية ، وركبته إلى المحطة ، وجئت إليك أستشيرك .

— وخيراً فعلتِ .

ساد الغرفة صمت طويل ، وهولمز معتمد بذقنه على يديه ، وهو يحدق فى شعل المدفأة وهى تطقطق . وأخيراً قال :

— هذه مسألة عويصة . أفى استطاعتنا ، إذا ذهبنا اليوم إلى ستوك موران ، أن نرى هذه الغرف دون أن يعلم زوج أمك بذلك ؟

— الواقع أنه كان يذكر اليوم نيته فى القدوم إلى المدينة . وأغلب الظن أن لن يزعجكم أحد .

— هذا بديع . إذن سنذهب كلانا ، وأما أنت فماذا تنوين ؟ .

— مادمت قد جئت إلى المدينة فسأقضى حاجة لى أو حاجتين ثم أعود بقطار الساعة الثانية عشرة . وسأعود إلى رؤيتكم مرة أخرى عصر اليوم .

وقامت السيدة ، وأسدلت نقابها السميك على وجهها ، وتسللت من الغرفة كأنها طيف .

استلقى هولمز فى مقعده وسألنى :

— ماذا ترى فى هذا كله يا وطسون ؟ يخيل إلىّ أن هذا أمر يكتنفه أشد الغموض وأنه ينذر بأفظع الشرّ .

— نعم ، هو جد غامض ، وجو ملىء بالنذر . ولكن ماذا تقول فى هذا الصفير الذى ينبعث بالليل ، وهذه الكلمات الغريبة التى نطقت بها تلك المرأة وهى تجود بنفسها؟

— لا أدرى وايم الحق ماذا أقول !

— إذا قرنت بين أمر الصفير بالليل ، ووجود عصابة من الغجر ، وما عسى أن يستفيده الدكتور من منع ربيبتيه من الزواج ، وإشارة المتوفاة إلى العصابة — ثم أضفت إليها سماع مس هلين ستونر الصلصلة المعدنية التى ربما كان مصدرها سقوط قضيب الحديد من النافذة إلى مستقرّه ، إذا فعلت هذا فقد يمكننا أن نكشف عن سر هذا اللغز المعمى .

— ولكن ماشأن الغجر فى هذا الأمر؟

— لا أدرى ! ولكن يا للشيطان ! ما هذا ؟ .

رأينا بابنا يدفع فجأة ويفتح على مصراعيه ويقتحمه رجل عملاق . رداؤه مزيج من لباس أرباب المهن ، ولباس المزارعين . فقبعته الأسطوانية العالية ، ومعطفه الأسود من الطراز التقليدى للسادة من أرباب المهن ، على حين كان يرتدى حذاءاً برقبة تصل إلى ركبته كأحذية الفلاحين . وقد بلغ من فرط طوله أن قبعته احتكت فعلا بسقف الباب ، وبلغ من بدانة جسمه أن خيل إلينا أنه ملأ الباب عرضاً . . وجه ضخم قد تخدّد لحمه أخاديد ، ولوحته الشمس فاصفر ، وتركت سمتها عليه كل نزوة شريرة . أخذ الرجل ينقل نظراته إلينا على حين كانت عيناه الغائرتان المحمرتان حنقاً ، وأنفه الأشمّ الدقيق ، تكاد ترينا فيه شبهاً قريباً من جوارح الطير المفترسة إذا ما شاخت .

ونطق هذا الشبح قائلا :

— أيكما هولمز ؟

فأجابه هولمز بهدوء :

— هذا هو اسمى يا سيدى ، ولكن إن كنت أنت على علم باسمى ، فإنى لم أتشرف بعد بمعرفتك !

— أنا الدكتور جريمسبى رويلوث من ستوك موران .

رد عليه هولمز غير مكترث

— الآن تعارفنا . تفضل واجلس .

— لن أفعل شيئاً من ذلك . إن ربيبتى كانت هنا . لقد تتبعتها . فماذا قالت لك ؟

أجابه هولمز :

— ألا ترى أن الجو أبرد الآن مما كنا نتوقعه فى مثل هذا الفصل ؟

فصرخ زائرنا :

— تريد التخلص منى ! إننى أعرفك أيها الوغد . لقد سمعت عنك من قبل ، فأنت هولمز الطفيلى !

فابتسم صديقى وقال ؟

— بل هولمز الذى له فى كل واد أثر . . .

وضحك هولمز ملء شدقيه وأردف :

— ما أمتع حديثك ! إذا ما خرجت فأغلق الباب فإنى أشعر بمرور تيار من الهواء .

— لن أذهب إلا بعد أن أسمعك ما أريد أن أقوله . حذار من أن تقحم نفسك فى شئونى . إنى رجل خطر من التهلكة أن تخاصمه . انظر إلىّ . . . » .

وخطا الرجل بسرعة وتناول قضيب الحديد الذى تقلب به النار ولواه بيديه الضخمتين السمراوين .

— احرص على سلامتك . وإياك أن تقع فى قبضتى . قالها وهو يزمجر ، ثم قذف بالقضيب الملتوى إلى النار ، وغادر الغرفة بخطى واسعة .

قال هولمز ضاحكا :

— ما أرق طباع هذا الرجل ! إننى لست فى مثل ضخامته ، ولكن لو أنه بقى لأريته أن قبضتى لا تقل قوة عن قبضته .

والتقط هولمز قضيب الحديد ، فما كاد حتى أعاده إلى استقامته الأولى . ثم قال :

— هذا الحادث يزيد الحمية فى المباحث التى نحن قادمون عليها . والآن ، إلى بعض فطورنا . وسأذهب بعد إلى مكتبة الأطباء حيث أرجو أن أوفق إلى بعض المعلومات التى تعيننا فى هذه القضية .

* * *

كانت الساعة قد بلغت الواحدة حين عاد هولمز من جولته . وقال :

— لقد اطلعت على وصية الزوجة المتوفاة ، فوجدت أن دخل الدكتور رويلوث لا يزيد كله الآن عن ٧٥٠ جنيهاً . إذ لكل بنت الحق فى الحصول عند زواجها على ٢٥٠ جنيهاً سنوياً . فمن الجلىّ إذن أنه إذا تزوجت الفتاتان كلتاهما لم يبق لهذا الوحش إلا مبلغ لا يكاد يقيم أوده . وحتى إذا تزوجت واحدة دون أخرى لآده ما يحيق به . والآن يا وطسون إن الأمر أجل من أن نتلكأ عنه . فلنستقل الآن عربة تحملنا إلى محطة

واترلو ، وأكون شـاكراً لك فضلك لو أخـذت معك مسدسك ، فهو ، وفرشـة أسنان ، كل ما نحتاج إليه فيما أظن .

لحقنا بقطار أقلنا إلى محطة ليزرهيـد ، فأجرنا من فنـدق القرية عربة سارت بنا أربعة أميال أو خمسـة بين دروب صارى المشهورة بجمالها . وكان يوماً صحواً غاية فى الإشراق ، تسطع شمســه ، وتزين سماؤه كِسَف متفرقة من السحاب . وكانت الأشجار الكبيرة والشجيرات قـد أخذت تخضرّ تباشير أوراقها ، وكان الهواء مشبعاً بعطر الثرى المبتل . جلس صديقى فى المقعد الأمامى ، وقد أمال قبعتـه على عينيــــه ، واستغرق فى تفكير عميق. ثم إذا به ينتبه فجأة ويلمس كتفى ويشير ناحية المراعى ويقول :

ـــ انظر ، لابد أن تكون هــذه هى ستوك موران .

فقال السائق :

ـــ نعم ياســـيدى ، وهــذا هو قصر الدكتور جريمسبي رويلوث .

قال هولمز :

ـــ لقد جئنا لمعاينة بعض الإصــلاحات التى تجرى بالدار ، وسنشق طريقنا إليــه سيراً على الأقدام وسط الحقول . .

ونزلنا ودفعنا الأجر ، وســارت العربة عائدة إلى ليزرهيد .

ولم نكد نقترب من القصر حتى رأينـا المس ستونر تهرع للقائنـا ووجهها ينطق بالفرح ، وقالت متلهفة وهى تصافحنا بشوق :

ـــ كنت أنتظركم بفارغ الصـبر ، لقد جرى كل شىء على ما يرام ، فالدكتور رويلوث قـد ذهب إلى المدينـة ولن يعود قبل المساء .

قال لها هولمز : لقـد تشرفنا بمعرفته ! ثم أجمل لهـا فى كلمتين وصف ما حـدث . فإذا بالمس ستونر قد شحب وجههـا حتى شفتيها وصرخت :

ـــ ياإلهى ! إنه من المكر بحيث لاأدرى أبداً كيف أتقى شره !

ـــ ولعله يكتشف قريباً أن هناك شخصاً أمكر منـه يتتبع أثره . والآن يحسن بنـا أن لا نضيع الوقت ، فدلينا من فورك على الغرف .

وجدنا بناء مشيداً بحجر بحرى أشهب مخضر ، وهو مكوّن من صـدر عال ، وجناحين معقوفين على هيأة مخالب السرطان . وأحد الجناحين مثال ناطق للقـدم والخراب ، على حين كان الجناح الأيمن يبدو أحدث عهداً .

رأينـا بعض « الروافع » منصـوبة على الجدار الخلفى وقد استحدثت فى البنيـان بعض الفجوات ، ولـكننا لم نعثر حين

زيارتنا على أحد من العمال . وأخذ هولمز يقطع المرج المهمل عشبه ذهاباً وإياباً ، يسير على مهل ويفحص النوافذ بانتباه شديد .

— هـذه فيما أعتقـد نافذة الغرفة التي اعتدت أن تنامى فيها ، وتلك الوسطى نافذة غرفة أختك ، وتلك المجاورة للبناء الأصلى هى نافذة غرفة الدكتور .

— هو ما قلت تماماً . ولكنى أنام الآن فى الغرفة الوسطى .

— وذلك إلى أن تنتهى الترميمات فيما أرى. وبهذه المناسبة لا يبدو لى أن هناك أقل ضرورة تحتم عمل إصلاح فى الجدار الخلفى .

— نعم لم يكن هناك ضرورة وأعتقـد أنما هى علة يتعلل بها فى إخراجى من غرفتى .

— آه ! هـذه ملاحظة لهـا دلالتها . والآن هـل لك أن تتفضلى بالذهاب إلى غرفتك فتغلقى نافذتك بالقضيب الحديدى ؟

ففعلت ، وأخذ هولمز يفحص النـافذة بعناية ، محاولا جهده أن يفتح مصراعيها فلم يفلح . ثم أخرج عدسته المكبرة واختـبر مفاصـل المصراعين فوجدها من الحـديد الأصم ، قد ثبتت خـير تثبيت فى قلب الجدار المتين .

أخذ هولمز يهمهم وهو يحك ذقنه ، وقد بدت عليه الحيرة وقال :

— ما من أحد يستطيع فتح النـافذة إذا أحكم إغلاقها بالقضيب الحديدى . وإذن فلننظر إلى الغرفة من داخلها عسى أن تهدينا إلى شيء .

يؤدى باب صغير جانبى إلى طرقة طلاؤها من الجـير ، وهى التى تفتح عليها أبواب الغرف الثلاث . وجدنا الغرفة التى تنام بها الآن المس ستونر ، والتى لقيت فيها الأخت حتفها ، غرفة صغيرة مريحـة سقفها غـير مرتفع . وفى ركن منهـا صوان للـملابس أدكن اللون ، وفى ركن آخر سرير ضيق أبيض ، وعلى يسار النافذة منضدة الزينة ، ذلك كل ما فى الغرفة ، ومعه مقعـدان من الخـيزران ، وسجادة صغيرة فى وسطها . وكانت الجدران مكسوة بألواح من خشب السنديان لونها أدكن ، وهى قديمة قد نصل لونهـا ، ونخرها السـوس . وقف هولمز صامتـاً ينقل نظرته فى الغرفة من الأرض إلى السقف مرة بعـد مرة ، وهو يفحص كل دقائقها .

أشار هولمز إلى حبل غليظ يتدلى بجانب الفراش ، وهو حبل جرس كهربائى ، استقر مقبضه على الوسادة . وسألها :

— فى أى مكان وضع الجرس نفسه ؟

— فى غرفة الخادم .

— ولـكن الحبل يبدو أحدث عهداً من سائر ما فى الغرفة !

— نعم . فإنه لم يوضع فيها إلا منذ سنتين .

— وذلك بناء على طلب أختك فيما أظن .

— كلا . فإنى لم أسمعها قط تستخدمه .

قصد هولمز إلى الفراش ، ومضت مدة وهو يحدق فيه ، وتجرى نظرته على الجدار من أعلى إلى أسفل . ثم إذا به يجذب الحبل فجأة جذبة قوية وقال :

— ما هذا ؟ إنه جهاز مصطنع لجرس وهمى . لعمرى إنه لأمر شائق جداً . فانظروا الآن تروا أن الحبل معقود بخطاف مثبت فوق فتحة التهوية تماماً .

— ما أسخف هذا ! إننى لم ألاحظ ذلك من قبل .

وأخذ هولمز يتمتم وهو يشد الحبل :

— هذا أمر جد غريب . إن فى هذه الغرفة أموراً عجيبة تسترعى الانتباه . فمثلا . ما أحمق هذا البناء الذى ينشىء فتحة للتهوية تؤدى إلى غرفة أخرى ، على حين كان فى استطاعته بالجهد نفسه أن يجعلها تؤدى إلى الهواء الطلق !

قالت السيدة :

— وهذه الفتحة أيضاً حديثة العهد .

فسألها هولمز :

— هل استحدثت فى نفس الوقت الذى ركب فيه حبل الجرس ؟

— نعم ، فقد أجريت فى الغرفة حينئذ تغييرات عديدة .

— لعمرى إن أمر هذه التغييرات لعجيب . جرس مصطنع وهمى ، وتهوية لا تأتى بهواء ! والآن إئذنى لنا يا مس ستونر أن نفحص باقى الغرف .

وجدنا غرفة الدكتور رويلوث واسعة ولكنها بسيطة الأثاث ، وأهم ما بها سرير من أسرّة الخيام ، ورف خشبى صغير مملوء بكتب أغلبها كتب علمية ، ومقعد كبير بجانب الفراش ، وكرسى من الخشب قريب من الجدار ، ومنضدة مستديرة ، وخزانة حديدية كبيرة . ودار هولمز بها يفحصها بكل عناية .

ثم دق على الخزانة وقال :

— ماذا بها ؟

— فيها أوراق زوج أمى .

— ألا تكون فيها قطة مثلا ؟

— كلا ! ما أعجب هذه الفكرة !

— إذن انظرى إلى هذا .

وتناول هولمز من على ظهر الخزانة إبريقاً صغيراً فيه لبن .

— كلا . ليس بالدار قطة ، ولكن بها فهداً وقرداً .

— آه : نعم . بالطبع . إن الفهد لا يزيد فى الحجم على القطة ، ولكنى لا أظن

أن هـذا الإبريق يسع من اللبن ما يكفى لإشباعه . هنالك نقطة واحـدة أريد أن أجتلى كنهها .

وجلس هولمز القرفصاء امام الكرسى الخشبى وفحص مقعده بعدسته المكبرة ثم قام ووضع العدسة فى جيبه . ولم يلبث أن قال :

— وى ! ههنا أمر عجيب ! فهذا مقود كلب قـد علق فى أحـد أركان السرير . ولكنه كان ملتوياً بعضه على بعض ، ومعقوداً بحيث أصبح كسوط ينتهى بأنشوطة .

— بأى شىء تفسر هذا يا وطسون ؟

— إنه مقـود جـدّ مألوف ، ولكنى لا أدرى لماذا عقد هكذا .

— بل هو مقود فريد ، ليس مثله كثير كما تدعى . أليس كذلك ؟ آه يارب ! هذه دنيا مليئة بالشرور ، وهى أحفل بالشر حين يصرف الرجل العبقرى همه إلى الجريمة .

ولم أر وجه صديقى أشد عبوساً ، ولا جبينه أشد تقطيباً مما كان حين فرغ من هذا الفحص . واستغرق هولمز فى أفكاره ولم يعد إلى الحديث إلا بعد أن قطعنا المرج ذهاباً وإياباً مراراً عديدة . ووجـه كلامه إلى المس ستونر قائلا :

— من الضرورى جداً أن تتبعى نصيحتى بكل حذافيرها تمام الاتباع .

— إننى فى يديك .

— يجب إذن أن أقضى أنا وصديق ليلتنا فى غرفتك .

نظرنا إليـه ، أنا والمس سـتونر ، فى دهشـة .

— دعونى أشرح الأمر : فحين يعود زوج أمك يجب أن تعتكفى فى غرفتك متعللة بصـداع ألمّ بك . وحينما تسمعينه يأوى إلى غرفته لينام ، عليك أن تفتحى نافذتك وتضعى عندها مصباحك إشارة لنا ، ثم تنسحبين بهـدوء إلى الغرفة التى كنت تنامين فيها من قبل . أما ما عـدا ذلك فاتركيه لنا .

— ولكن ماذا أنت فاعل ؟

— سنقضى الليلة فى غرفتك لنبحث عن سر هذا الصوت الذى أزعجك .

— أعتقد يا مستر هولمز أنك كونت لك الآن رأياً ، فأناشدك الله إلا ما خبرتنى عن سبب وفاة أختى ؟ .

— أوثر أن تكون لدىّ أدلة بينة قبل أن أتكلم .

— تستطيع على الأقل أن تخبرنى هل كنت مصـيبة فى اعتقادى أن أختى ماتت من رعب مفاجىء

— كلا . لا أظن ذلك . بل أظن ان موتها يرجع إلى سبب محسوس على الأغلب .

والآن يا مس ستونر ، يجب علينا أن نتركك ، إذ لو رآنا الدكتور رويلوث لضاع كل مجهودنا ، وذهبت رحلتنا هباءً فاستودعك الله ، وكونى شجاعة .

* * *

لم يشق علينا — أنا وشرلوك هولمز — أن نستأجر غرفة فى فندق القرية ، وكان قصر ستوك موران بمرآى منا . وعند الغروب شاهدنا الدكتور رويلوث عائداً إلى داره وقد طغى جسمه الضخم حتى تضاءل جسم الصبى الذى يسوق العربة . وجد الصبى بعض الصعوبة فى فتح البوابة الحديدية الثقيلة ، وسمعنا الدكتور يصرخ بالصبى ويهدده بقبضة يديه وقد استولى عليه الغضب . ثم تابعت العربة سيرها .

قال لى هولمز ونحن جالسان فى ظلام يتكاثف شيئاً فشيئاً .

— هل تدرى يا وطسون أننى أجد بعض الحرج فى اصطحابك معى هذه الليلة ، فأمامنا خطر لا ريب فيه ؟

— وهل يساعدك ذهابى معك ؟

— بل قد يكون ألزم ما يكون لى .

— إذن لا جرم أننى ذاهب معك ، إنك ياهولمز قد رأيت فى تلك الغرفة بلا ريب أكثر مما بدا لى .

— كلا بل الفرق كله ، فيما يخيل إلىّ ، أننى استنتجت أكثر مما فعلت أنت ، إذ أنك رأيت كل ما رأيته أنا .

— إننى لم أر بها أمراً عجيباً سوى حبل الجرس . وأعترف لك أننى لا أدرك الغرض من وجود هذا الحبل .

— وقد رأيت فتحة التهوية أيضاً !

— نعم . ولكنى لا أعتقد أنه من غير المألوف أن تنشأ فتحة للتهوية بين غرفتين ، وبالأخص لأنها فتحة ضيقة بحيث يصعب على فأر صغير أن ينفذ منها .

— لقد كنت أعلم أن ثمة فتحة للتهوية قبل أن أجىء إلى ستوك موران .

— ياصديقى العزيز . ! !

— نعم . كنت أعلم ، ألست تذكر أن المس ستونر قالت إنه كان فى إمكان أختها أن تشم رائحة سجائر الدكتور رويلوث ؟ فهذه العبارة هى التى دلتنى على وجود مايصل بين الغرفتين . ثم لما علمت أنه غاب عن عين قاضى التحقيق ، أدركت أنها فتحة صغيرة جداً .

— ولكن أى ضرر تراه فى وجود هذه الفتحة ؟

— حقاً . هناك على الأقل توافق غريب فى وقوع بعض الحوادث فى زمن واحد : فتحة للتهوية تنشأ ، وحبل يعلق ، وسيدة نائمة فى فراشها تموت . . .

— لم أر إلى الآن ما يربط هذه الحوادث بعضها ببعض !

— ألم يسترع انتباهك أمر عجيب في ذلك الفراش ؟

— كلا .

— إنه كان مثبتاً في الأرض . فلم يكن في استطاعة صاحبته أن تنقله من مكانه ، وعلى ذلك فلا محيص من بقائه دائماً حيث هو من فتحة التهوية ومن الحبل .

ارتفع صوتي وأنا أقول له :

— يا هولمز ! يخيل إليّ أنني أرى الآن في شيء من الغموض ، ما ترمي إليه . لعلنا نكون قد جئنا في حيننا لنمنع جريمة من أفظع الجرائم وأخبثها .

— نعم . إنها جريمة جد فظيعة وجد خبيثة ماكرة ، فإذا انصرف الطبيب إلى الشر كان رأس المجرمين ، فله أعصابه الثابتة وعلمه الواسع . ولكننا سنعاني الليلة ما يكفي من أمور مفزعة ، فبالله عليك هلم بنا ندخن في هدوء ، ونصرف أفكارنا في هذه الساعات القليلة الباقية إلى أشياء أكثر بهجة .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة حين أضاء فجأة من القصر المظلم ضوء باهر منفرد .

قال هولمز وهو يثب واقفاً .

— هذه هي الإشارة المتفق عليها ، فإنها تأتي من نافذة الغرفة الوسطى .

لم نجد إلا بعض المشقة في دخول حرم القصر فقد كان بالسور القديم المتهدم فتحات عديدة . وشققنا طريقنا بين الأشجار حتى وصلنا إلى المرج ، واجتزناه . وكنا على وشك أن نلج في النافذة حين انطلق فجأة كالسهم من بين الأشجار شيء بدا لنا كطفل دميم مشوه ، وألقى بنفسه على العشب تتلوى أطرافه ، ثم جرى مسرعاً وسط المرج واختفى في الظلام .

همست لصديقي :

— يا رب ! هل رأيته ؟

وكان هولمز قد استولت عليه الدهشة كما استولت عليّ . إذ أطبق بقبضة يده على رسغي بقوة كأنها كلابة من حديد . ثم انبعثت منه ضحكة خافتة ، وأدنى شفتيه من أذني وهمس :

— ما أحلى سكان هذه الدار ! هذا هو القرد .

سألت نفسي : وأين الفهد ؟ قد نجده في أية لحظة منقضاً على أكتافنا . وأعترف أن بالي لم يهدأ إلا بعد أن حذوت حذو هولمز وخلعت حذائي ، وهبطت معه إلى الغرفة .

أغلق رفيقي مصراعي النافذة بهدوء ، ونقل المصباح إلى المنضدة ، وجال بنظره في الغرفة . وجدناها لم تتغير عما كانت عليه

فى النهـار . ثم اقترب منى هولمز ، فى مشية الحذر، وهمس فى أذنى بصوت لا أكاد أتبين كلماته من خفوته .

ـــ أقل صوت يفســد خطتنا إفساداً تاماً . فهززت له رأسى ليعـلم أنى سمعت . فأردف يقول :

ـــ يجب أن يكون جلوسنا فى الظلام فإنه يستطيع أن يرى الضوء من فتحة التهوية .

فهززت له رأسى مرة أخرى .

ـــ وإياك أن تنعس . فقد تتوقف حياتك على بقائك متيقظاً ، وهىء مسـدسك . سـأجلس أنا على حافة الفراش ، أما أنت فاجلس فى المقعد .

أخرجت مسدسى ووضعته على جانب من المنضدة . وكان هولمز قد أحضر معه عصاً طويلة رفيعة فوضعهـا على الفراش بجانبه ، ووضع معها صندوقاً من الثقاب وشمعة قصيرة . ثم أطفأ المصباح وبتنا فى ظلام دامس .

كيف أنسى سهرنا تلك الليلة ؟ لا تتبين أذنى صوتاً حتى ولا صوت تنفس ، على حين أننى كنت أعلم أن رفيقى جالس على بضــع أقدام قليلة منى . شد الانتباه اعصابنا شداً ولبثنا نترقب فى ظلام حالك ، تصل إلينا من الخارج بين الحين والحين صرخة طير من طيور الليـل . بل سمعت مرة عند نافذتنا تماماً مواء طويلا كمواء القطط ، دلنـا على أن الفهــد مطلق السراح حقاً . وكنا نسمع ساعة الكنيسة من بعيد ترن رنينها العميق الأجش . . دقت الثانية عشرة ، والواحدة ، والثانية ولا نزال جالسين فى الظلام ننتظر .

وفجأة لمع من قبل فتحة التهوية وميض من نور دام برهة وجيزة ثم اختفى . وصلتنا فى إثره رائحة قوية من زيت يحترق أو معدن يحمى . . لا شك أن أحـداً ما فى الغرفة المجاورة قد أشعل قنديلا لكن يحجب ضوءه . سمعت حفيفاً خفيفاً ، ثم ساد السكون من جديد . على أن الرائحة زادت حدة . ومضت نصف ساعة وأنا جالس أرهف السمع . وفجأة طرق سمعى صوت طارىء ، صوت جد رقيق ، وديع كالصوت الذى يحدثه تيار البخار المتتابع المنبعث من فم المرجل الذى يغلى فيه المـاء . وفى اللحظة التى سمعنا فيها هذا الصوت وثب هولمز من الفراش وأشعل ثقاباً ، وأخذ ينهال بعصاه ضرباً على حبـل الجرس فى عنف شـديد وهو يصرخ لى :

ـــ هل رأيته يا وطسون ؟ هل رأيته ؟!

لم أر شيئاً ، ولـكنى سمعت ، وهولمز يشعل الثقاب ، صفيراً خافتاً واضحاً ولكن وهج الثقاب الذى انبعث فى الظلام فجأة ، كان قد بهر عينىّ فلم أستطع أن أميز هذا المخلوق الذى ينهال عليه هولمز بالضرب

بمثل هذا العنف . ولكن أتيح لى أن أرى وجه صديق شاحباً كشحوب وجوه الموتى ، وقد ارتسمت عليه علامات الفزع والاشمئزاز .

كف هولمز عن الضرب وأخذ يصوب نظره إلى فتحة التهوية . وفى تلك اللحظة شقت الليل صرخة مفزعة لم أسمع قط مثلها أخذت ترتفع ثم ترتفع ، صرخة مختنقة ، الألم والرعب والغضب امتزجت كلها فى ذلك الصوت المخيف . وقد قيل إنها أيقظت النوام فى القرية بل فيما جاورها من الضياع أيضاً .

فقلت بصوت مضطرب :

— ما معنى هذا ؟ .

أجابنى هولمز :

— معناه أن كل شىء قد انتهى . ولعله انتهى إلى الخير . خذ مسدسك ولندخل غرفة الدكتور رويلوث .

رأيت وجهه — وهو يشعل المصباح — قد بدا عليه الجد ثم سرنا فى الطرقة . قرع هولمز الباب مرتين دون أن يجيبه أحد . فأدار مقبض الباب ودخل وأنا وراءه والمسدس فى يدى .

وجدنا على المائدة قنديلا قد فتح كنه قليلا فانبعث من خلال الفتحة ضوء باهر سلطت أشعته على الخزانة ، وكان بابها مفتوحاً . ووجدنا الدكتور جريمسبى رويلوث جالساً على الكرسى وهو فى معطفه المنزلى الطويل الأدكن ، وقد برزت منه يداه وتدلتا إلى جانبيه ، وهو منتعل خفيه وعلى حجره المقود الذى استرعى انتباهنا بالنهار . أما رأسه فقد مالت إلى الخلف ، تحدق عيناه بنظرة ثابتة مخيفة عالقة بركن السقف . وعلى جبينه عصابة صفراء ذات نقط سمراء ويبدو أنها شدت عليه شداً محكماً . ولم يصدر عنه صوت أو تبدر منه حركة .

همس هولمز :

— العصابة ، العصابة الرقطاء !

تقدمت خطوة ، وفى لحظة واحدة أخذت هذه العصابة الغريبة تتحرك ، وانساب من خلال شعره ثعبان بشع له رأس مسطحة تلمع كالماس ، ورقبته منتفخة .

— هذا هو ثعبان المستنقعات . أخطر ثعابين الهند . لقد مات قبل انقضاء عشر ثوان على العضة . فلنلق بهذا الأرقط إلى جحره ، ثم لنأخذ المس ستونر إلى مكان أمين ونخطر البوليس بما جرى .

سحب هولمز المقود بخفة من على حجر الميت ، ورمى الأنشوطة حول عنق الثعبان وجذبه من مكمنه المخيف وحمله ، على مد ذراعه ، وقذف به إلى الخزانة وأحكم رتاجها.

* * *

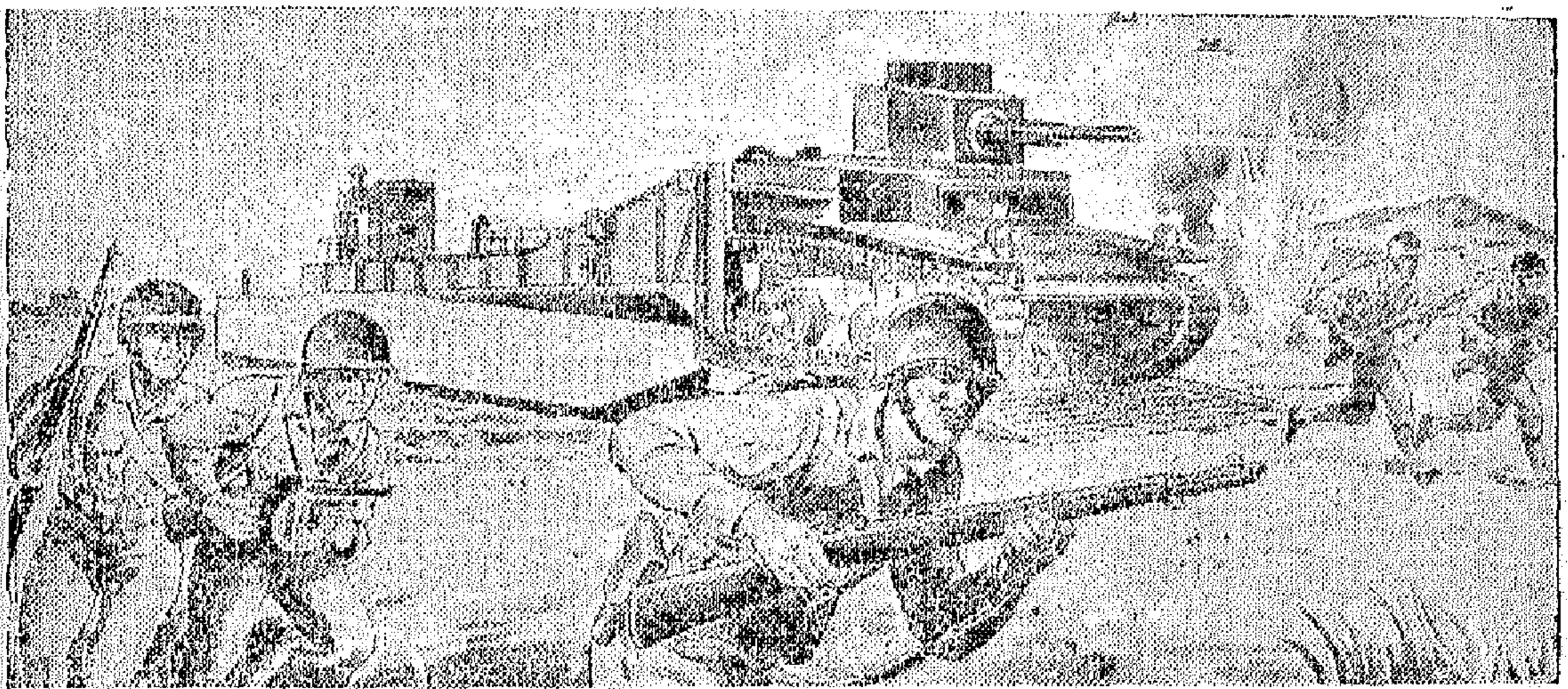
هذه هى الحقائق فى حادثة وفاة الدكتور جريمسبى رويلوث . أما ما عداها من الوقائع القليلة التى كان لا بد لى أن أستقيها من شرلوك هولمز ، فإنه حدثنى عنها فى اليوم التالى قائلا :

كنت قد انتهيت إلى حكم خطأ ، مما يدل ياعزيزى وطسون على خطر استنباط الأحكام من مقدمات غير وافية . . وجود جماعة الغجر ، واستعمال كلمة العصابة وجهتنى وجهة خطأ . ثم أعدت التدبر فى الأمر حين استرعى انتباهى وجود فتحة التهوية وجهاز الجرس المصطنع الوهمى ، وكذلك اكتشافى أن الفراش مثبت فى الأرض ، كل هذا أثار ريبتى فى أن الحبل إنما وضع فى مكان ليكون قنطرة لشىء يلج من الفتحة وينحدر على الحبل إلى الفراش . وقد خطر ببالى أن هذا الشىء الذى ينزلق على الحبل إنما هو ثعبان ، إذ كان الدكتور يقتنى حيوانات هندية أخرى . وأنت ترى أن فكرة الاستعانة بسم لا يمكن أن يكتشفه أى اختبار كيميائى هى بالذات مايتوقع من رجل ماهر لا ضمير له ، إذا كان قد اكتسب فى الشرق خبرته .

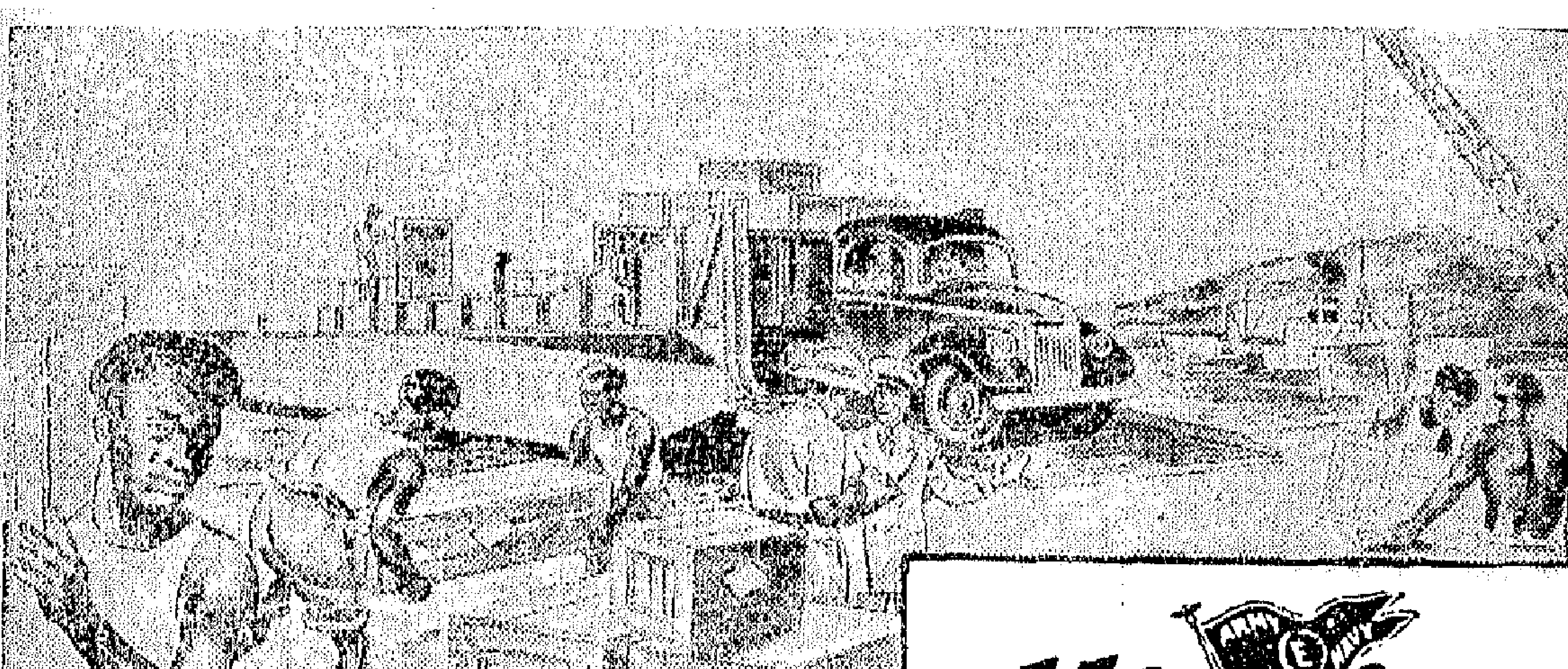
ثم وجهت تفكيرى بعد ذلك إلى الصفير ، فمن الطبيعى أن ينادى الثعبان إليه قبل أن يتسنى للفريسة أن تراه فى ضوء الصباح . فقام بتدريبه — ولعله كان يغريه بتقديم اللبن إليه — على أن يعود إليه إذا ما ناداه . وكان إذا وضعه فى فتحة التهوية وثق بأن سينزلق عليها ويهبط إلى الفراش . من الجائز أن يعض النائمة أو لا يعضها ، بل ربما مرت أيام الأسبوع كله وهى تنجو منه ولكن لامفر من موتها إن عاجلا أو آجلا .

وقد دلنى فحص الكرسى على أنه يكثر من الوقوف عليه ، ليتمكن من الوصول إلى الفتحة . كنت قد بقى لى بعض الشكوك ولكنهازالت عند ما رأيت الخزانة وإبريق اللبن ، والقود المعقود فى أنشوطة . أما الصلصلة المعدنية التى سمعت المس ستونر فمصدرها إسراع زوج الأم وهو يغلق الخزانة على ساكنها المخيف . ولما سكنت إلى الحكم الذى أصدرته ، بدأت فى تنفيذ الخطة التى شاهدتها . لقد سمعت الثعبان ينفث وينفخ ، فهاجمته وطردته إلى فتحة التهوية . ولا شك أن ضربات العصا أثارت حنقه فهاجم أول شخص لقيه . وعلى هذا أكون أنا مسئولا إلى حد ما عن وفاة الدكتور جريمسبى رويلوث — ولكنى لا أقول إن هذا أمر من شأنه أن يثقل على ضميرى كثيرا ؟

زوارق هيجنز



اليوم في الحرب



غداً في التجارة

Higgins

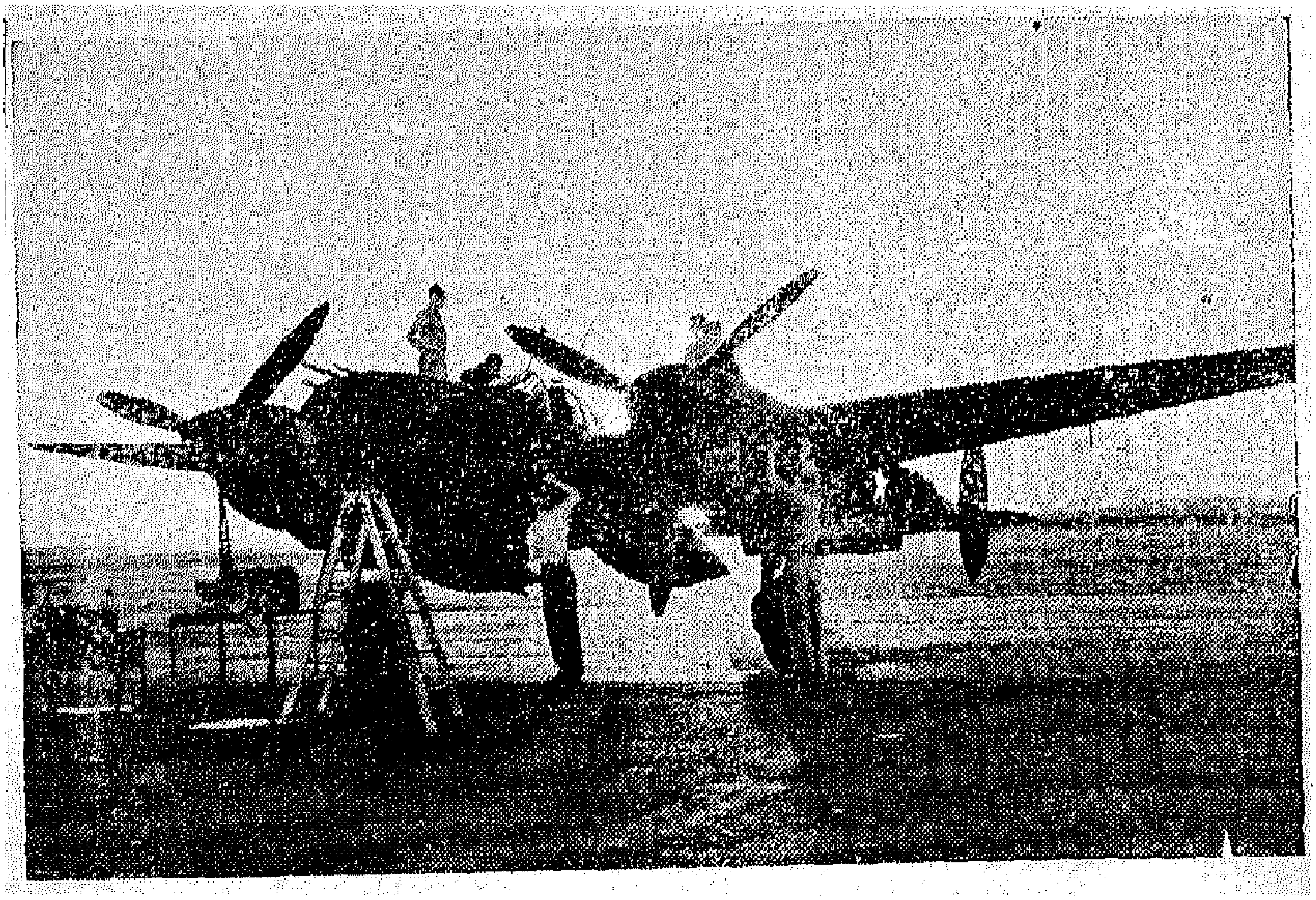
ARMY E NAVY

INDUSTRIES INCORPORATED

شركة صناعات هيجنز

نيواورليانس الولايات المتحدة

محور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق في العالم



٦٬٠٠٠ خبير لصيانة طائرات لوكهيد

حيثما توجد طائرة لوكهيد للعمل أو للقتال فثمه خبير متمرن لصيانتها والعناية بها لحفظها فى أعلى درجات كفايتها الحربيـة . وهناك ٦٬٠٠٠ خبير — مرتبهم شركة لوكهيد وتولت مرتباتهم — موزعون فى مختلف بقاع العالم للاشراف من جميع الوجوه على طائرات لوكهيد التى تقوم الآن بدور حيوى فى التجارة والحرب .

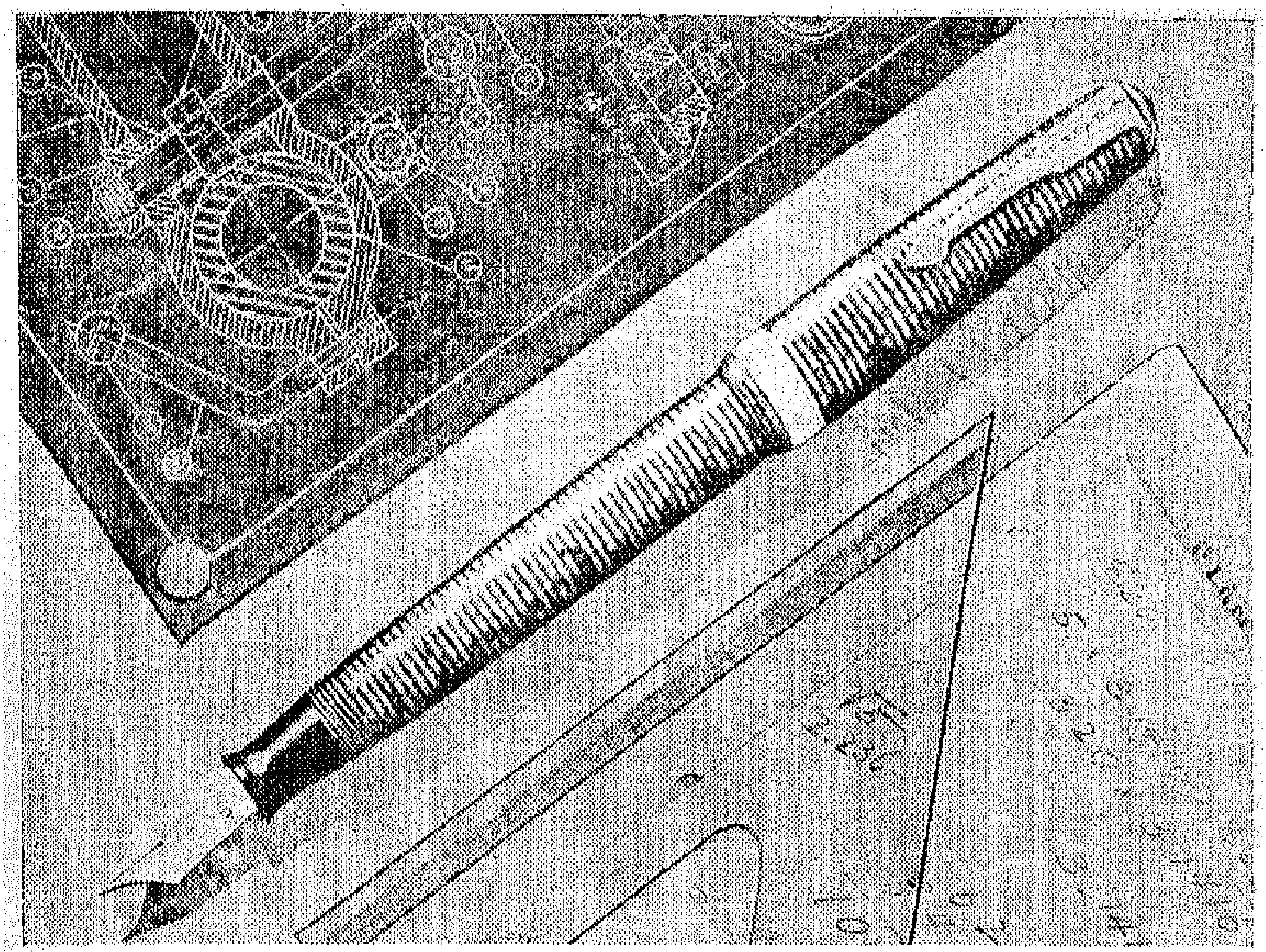
وقواعد لوكهيد الجوية لصيانة الطائرات تامة الاستعداد للقيام بأى عمل يطلب منها .

وفى الأماكن التى لا يوجد فيها قواعد يتعاون رجال لوكهيد مع قوات الأمم المتحدة الجوية فى تهيئة الطائرات للقتال .

وقد حصرت مؤسسة لوكهيد كل وقتها وجهودها ونشاطها فى إنشاء خدمة جوية كاملة تساهم فى تعجيل يوم النصر المنشود — ذلك اليوم الذى سيتاح فيه لكل من يملك طائرة لوكهيد أن يطير بها حيثما شاء فى عالم يسوده الأمن والسلام .

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA, U.S.A.





كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكوا فلفا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة فى العالم ،
نقى ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

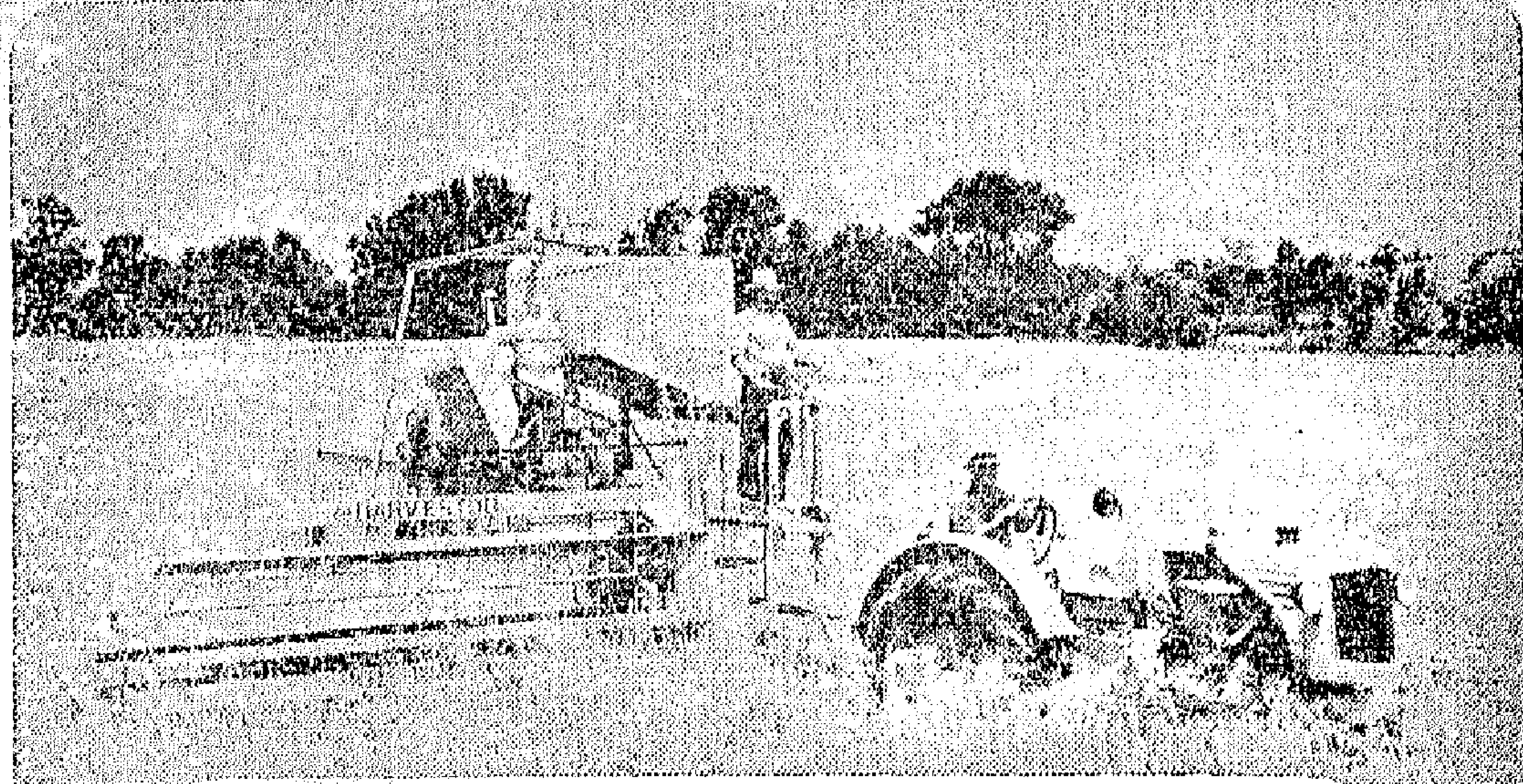
كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوى على مادة لانولين للطفة التى تهىء لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أى تهيج

WILLIAMS

منتج مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج . ب . ويليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة



الطعام يحارب فى سبيل الحرّية

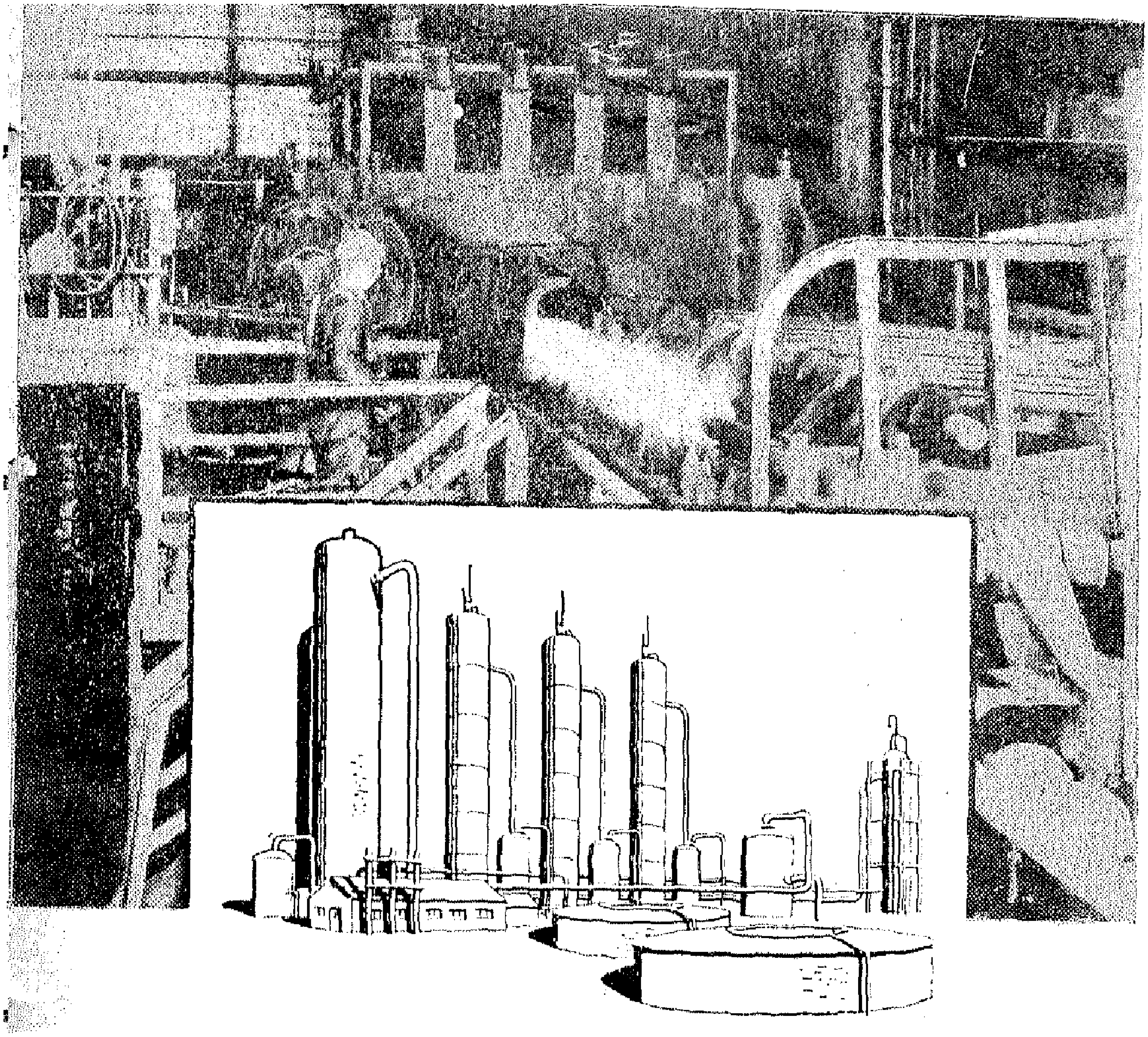
إن الآلات الزراعية الحديثة سيكون لها شأن عظيم فى عالم الغد ، كما كان لها شأن عظيم فى البلاد الأمريكية خلال القرن الماضى ، حيث مكنت هذه الآلات الزراعية الحديثة ، ٢٠ فى المائة من السكان من إنتاج مقادير من الطعام والألبان والزيوت ومنتجات أخرى لازمة ، لأعلى مستوى من العيش ، تفوق ما كان ٨٠ فى المائة من السكان تنتجه قبل استعمال هذه الآلات .

ومصانع مينا بوليس ـ مولين ، تصنع الآن طائفة كاملة من المحاريث الحديثة وآلات المزارع التى تصلح لكل غرض ولكل حالة ، وستمضى خلال الحرب فى صنع هذه الآلات على قدر ما تسمح به الحدود المفروضة ، وعند ما ينشر السلام ظله من جديد على العالم ستستخدم مصانع مينا بوليس ـ مولين . قدرتها المتزايدة لإنتاج كميات عظيمة من المحاريث والآلات الزراعية الحديثة تفوق كل ما أنتجته خلال ٧٩ سنة .

وعند ما يعود السلام سيتاح لكل من يستخدم منتجات مينابوليس ـ مولين ، جنى ثمار تقدمها المتطرد .

MINNEAPOLIS-MOLINE
MM
MODERN MACHINERY

MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.

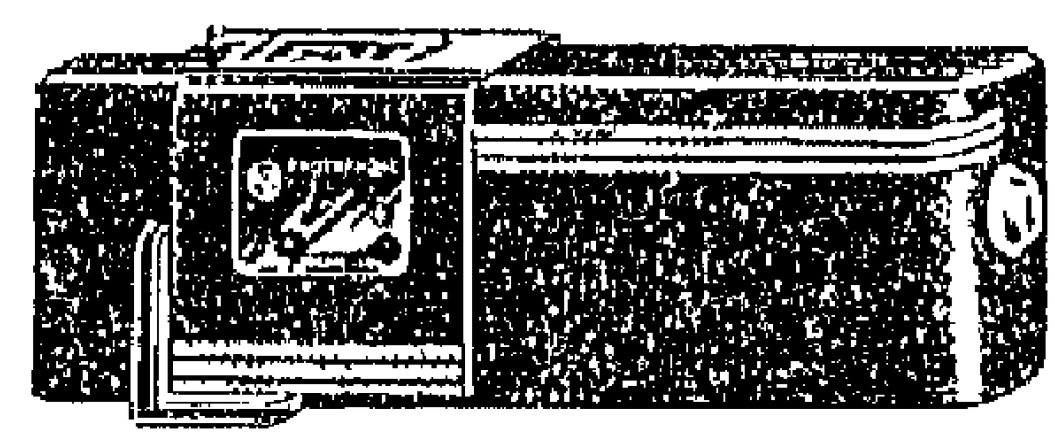


RCA تقدم

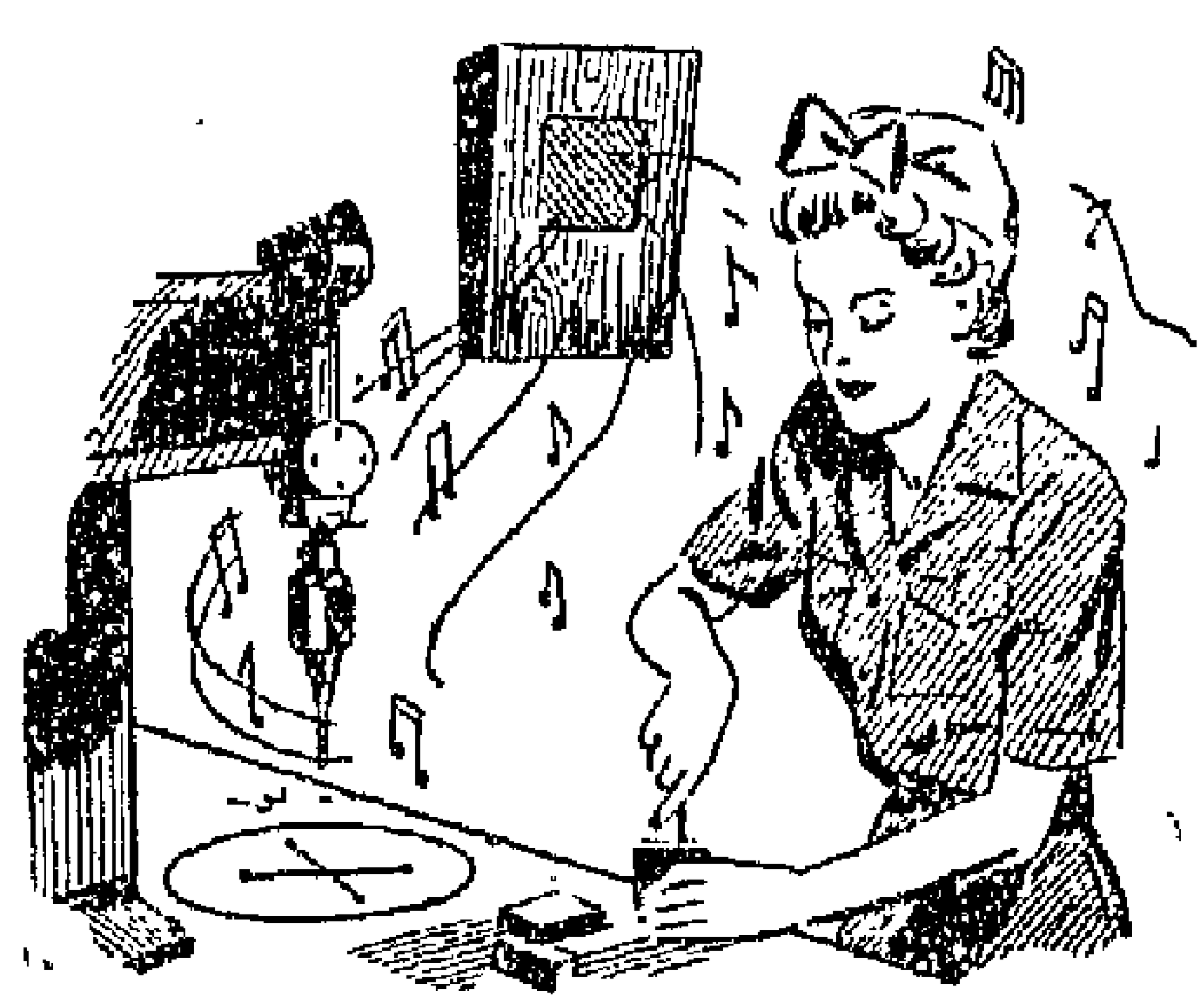
أحدث الأنباء



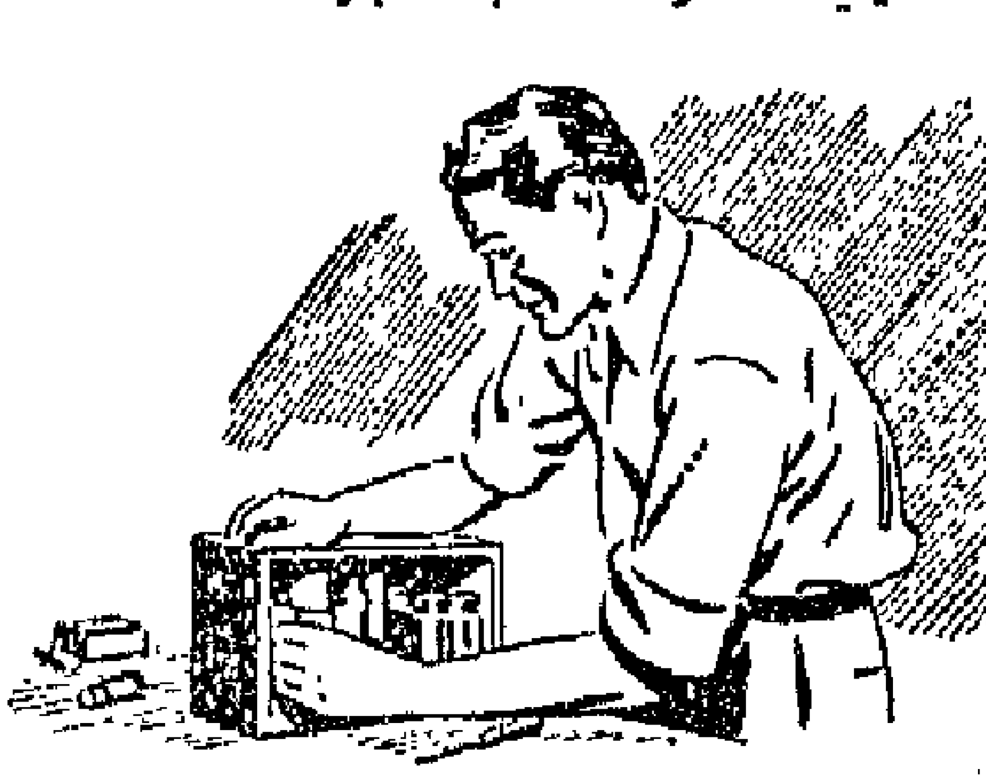
نجوم جديدة ، أفلام جديدة : تسجل فى جميع أنحاء العالم . بفضل معدات فوتوفون تسجل الصوت على الأفلام وهى التى تنتجها RCA وتستخدم فى كل استديو حيث يتم إخراج الأفلام المتفوقة



معيد الصوت RCA الذى يقوم عليه جهاز فوتوفون ، وهو يعيد الأصوات المسجلة لنجومك المفضلة فى مسرحك المفضل



استمعى للموسيقى ، وأنت تعملين كثير من الشركات التى تنتج معدات للحرب قد لاحظت أنها باستعمال مكبرات الصوت ومعدات RCA الصوتية تساعد على زيادة الإنتاج وحفظ العاملات فى أحسن حالة معنوية .



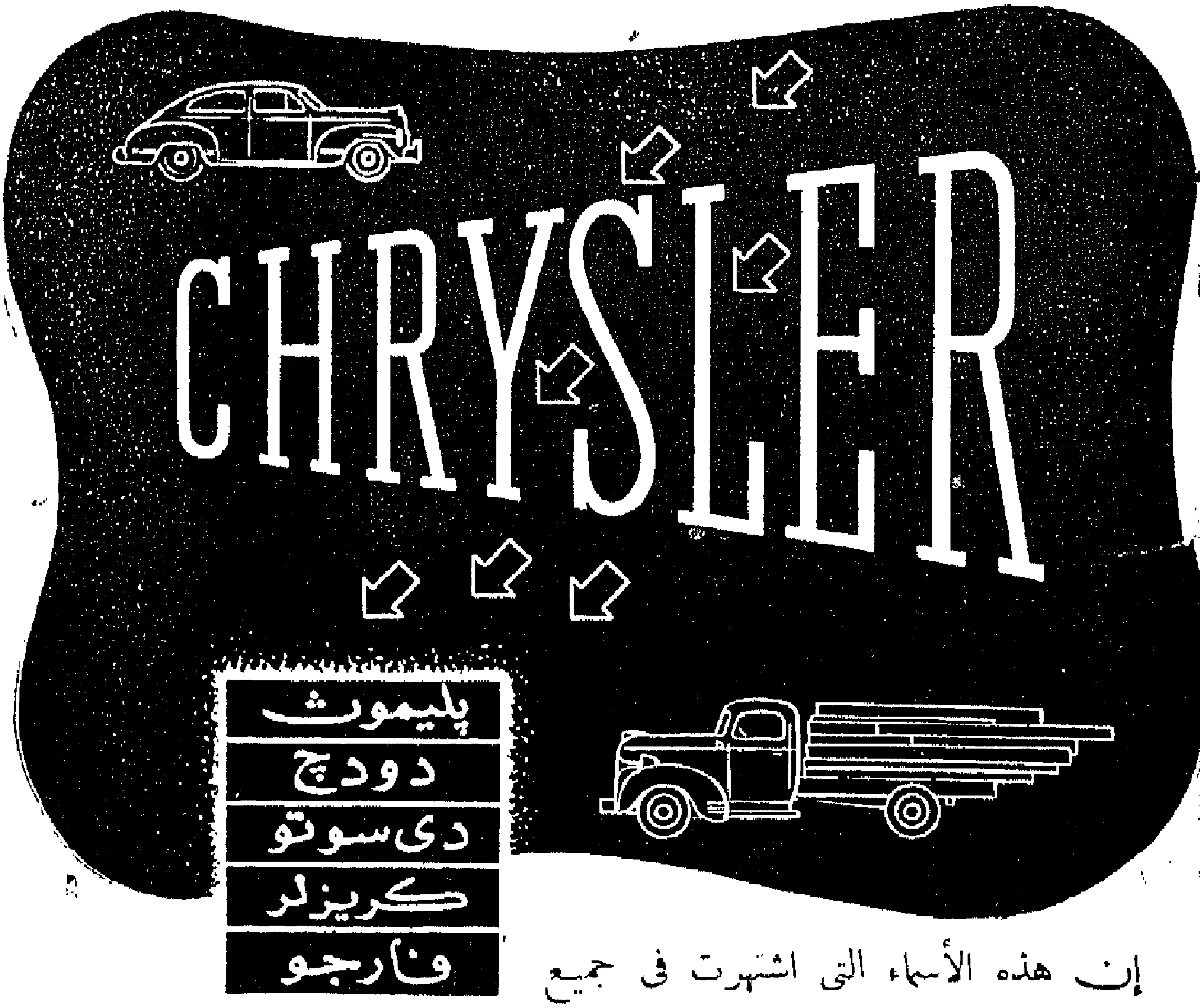
العقل السحرى للراديو : هو صمام RCA الأليكترونى وهذا الصمام هو ثمرة خبرة RCA ونتيجة لأبحاثها العديدة فى تحسين وسائل التسجيل والإعادة والإذاعة وغيرها من مستحدثات RCA

راديو كوربوريشن أوف أمريكا

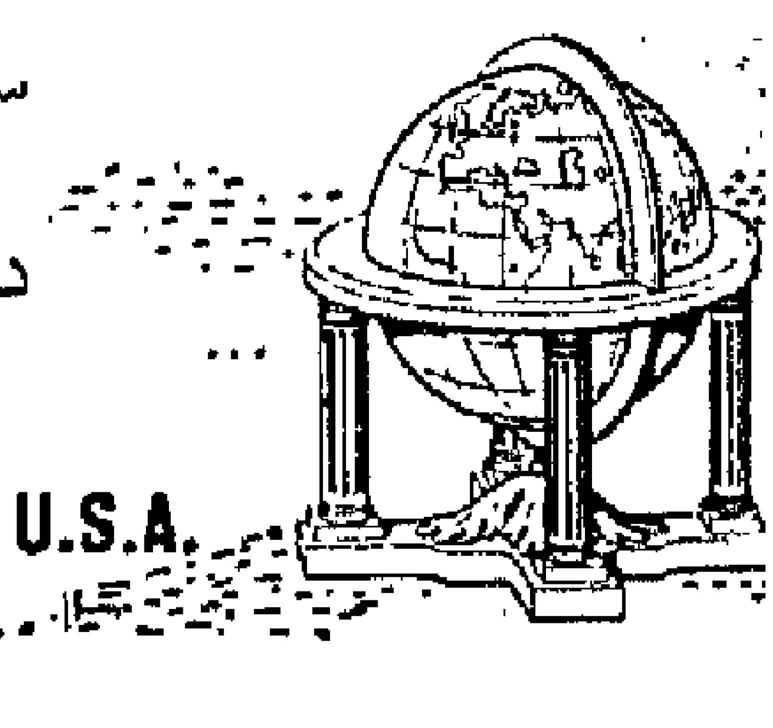
قسم R.C.A. فيكتور - كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة



الطعام والحرية ...
لقد كانت الحرب حافزاً للبحث عن معلومات أدق فى مضمار التغذية لأنه بالرغم من المستحدثات العظيمة فى وسائل الحرب العصرية فليس ثمة ما يستعاض به من الطعام ... ولا يزال كل جيش « يزحف على معدته » .
ولما كان إنتاج ثلاجات « نورج » قد توقف الآن إلى أن تنتهى الحرب فإننا ندعو كل من يملك ثلاجة « نورج » فى كل مكان أن يتعهد ثلاجته بالعناية والصيانة على قدر المستطاع . فالاشراف المنتظم والرعاية الحكيمة من شأنهما أن يحتفظا لك ثلاجة « نورج » فى خدمتك أعواماً عديدة .
اتصل بوكيل ثلاجات « نورج » للحصول على الصيغة الجديدة والخدمة الأكيدة . إن مثلما يسره أن يضع فى خدمتك الخبرة التى اكتسبها خلال أعوام طويلة .
Norge.
NORGE DIVISION DE BORG-WARNER, DETROIT, MICHIGAN, E.U.A.
NORGE
نورج
★ احدى صناعات بورج ـ وارنر ★



إن هذه الأسماء التى اشتهرت فى جميع أنحاء العالم بفضل تفوقها الصناعى وكمال إنتاجها ، قد ظفرت بشهرة جديدة بفضل إنتاجها الهائل فى المضمار الحربى . فحين اندلع لهيب الحرب بادرت الحكومات إلى الإعتراف بمقدرة شركة كريزلر الفنية فى إنجاز أدق المهام وأصعبها . وكان من جراء ذلك أن تحول إنتاج السيارات إلى إنتاج المهمات الحربية على اختلاف أنواعها — كالدبابات والجرارات وأجزاء قاذفات القنابل والبوصلات المتحركة والمدافع المضادة للطائرات ، والزوارق الجرارة ، وبلايين القذوفات ومحركات الطائرات وغيرها من معدات القتال الهامة . وحين تنتهى الحرب ستستخدم هذه الخبرة الجديدة فى الرقى بهذه المنتجات : فليكن دائماً اسم كريزلر دليلك على التقدم فى عالم السيارات .



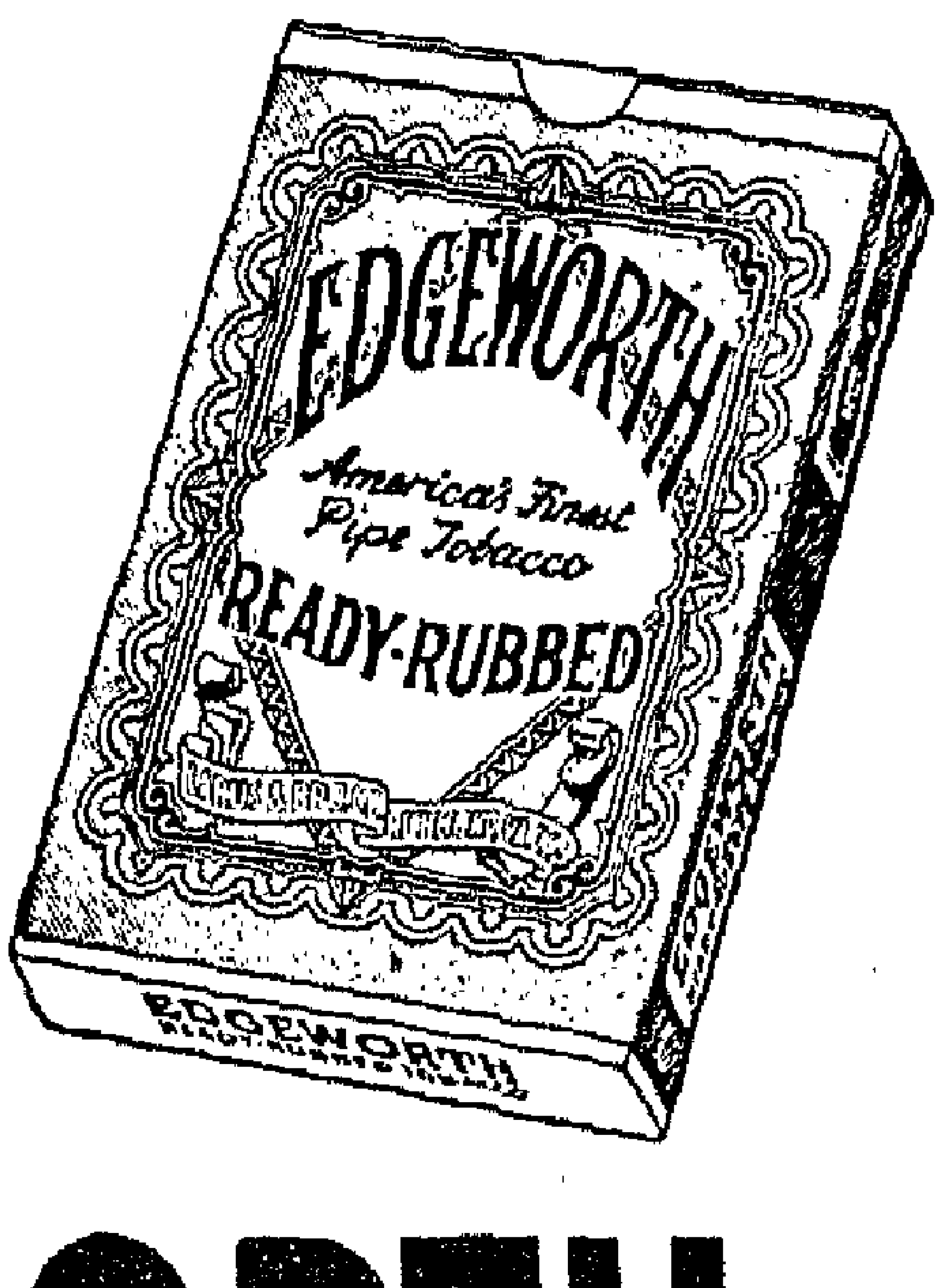
CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT, MICHIGAN, U.S.A.



قابلنا واحد من أسبوع ...

قابلنا واحد من أسبوع
بيشترى بضاعه ف دكان
باين عليه ذوقه كويس.
من الجماعه الجنتلمان
جيب الصديرى فيه علبه
(ادچورث) ابو النفس الهفاف
بالطبع عشاق التدخين
يتذوقوا احسن اصناف

بعد التحيه ـ قلنا معاك
صديق يحبوه الملايين
ادچورث ـ قال احسن دخان
افضله وبقى لى سنين
واحنا ف بلادنا ماتخبش
غير صنف طيب فى النكهه
ادچورث ابو العلبه الزرقه
الذ عندى من الفاكهه



أينما ذهبت . . . تجد أدچورث
زعيما للدخان المستعمل فى الغليون .
تمتع بنكهة أدچورث الطيبة واطلبه
اليوم فى علبته الزرقاء المشهورة .

EDGEWORTH

احسن دخان للغليون في امريكا

والمجلات والكتب باللغات التى يعرفها ، ويستمع للاذاعات المختلفة من قارات العالم الخمس . بذلك أصبحت قراءة ما يكتب والإستماع لما يذاع غذاء للعقول والقلوب لاتقل الحاجة إليه عن حاجة الأجسام إلى غذائها من الطعام والشراب.

لكن ما يذاع وما ينشر كثير لا طاقة لأحد باستيعابه كله . لذلك يجتزىء أكثر المثقفين بالمختار من الكتب والمجلات لتغذية معارفهم العامة ويكتفون بها لدوام اتصالهم بثقافة العالم على نحو يمكنهم من التعاون مع أبناء أمتهم وأبناء الأمم الأخرى .

ومجلة « المختار من الريدرز دايجست » تؤدى هذا الغرض خير أداء ، وهى لذلك من الوسائل القوية لمعرفة الناس بعضهم بعضا ولفهم بعضهم عقلية بعض . وهذه المعرفة وهذا الفهم هما ، كما قدمنا ، اللذان يقيمان التضامن بين الناس مقام التنافس والتنابذ ، ويمهدان لطمأنينة السلام فى العالم .

وستنهض المختار من الريدرز دايجست بهذه الرسالة بعد أن تضع الحرب أوزارها على نحو يقصر الجهد دونه فى الوقت الحاضر فتكون بذلك من دعائم السلام العالمى .

وكم أتمنى لو استطاعت أن تعمل ليعرف أبناء أمريكا أهل هذا الشرق العربى كما تعمل ليعرف الناس هنا أهل العالم الجديد . إنها إن فعلت أدت رسالة إنسانية سامية تجعل المتكلمين بالعربيــــة يضيفون إلى ثنائهم الحاضر عليها ثناء جديداً .

محمد حسين هيكل

المعرفة سبيل التفاهم والتعامل

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف الأسبق ، مؤلف حياة محمد وثورة الأدب وولدى الخ

تصبو الإنسانية إلى سلام دائم يعقب الحرب المستعرة اليوم فى قارات العالم الخمس ، والتى ذاق الناس من أهوالها ألواناً ، ثم لم تترك وراءها إلا الألم والشقاء والخراب . وإنما يستقر السلام إذا عرف الناس فى مختلف الأمم بعضهم بعضاً ، وفهم بعضهم عقلية بعض ، وأدركوا جميعاً أنهم قادرون عن طريق هذا الفهم وهذه المعرفة على التعاون المثمر لخيرهم جميعاً . بذلك تتفق الأمم فيما بينها على قواعد للخلق الدولى تكون أساساً لتعاملها وسياجاً واقياً لها من ويلات حرب أخرى .

وإنما يعرف الناس بعضهم بعضاً إذا ربطت بينهم صلات متينة توثق أسباب تضامنهم ، وتحل هذا التضامن محل تنافس الأمم وسعى القوى منها للاستعلاء على الضعيف واستغلاله .

وحرية الرأى والتعبير عنه هى الوسيلة الأكيدة لقيام مثل هذه الصلات ، وهى من ثم عامل جوهرى لتفاهم الناس وتعارفهم ، وأساس متين لقيام السلام فى العالم .

وفى العصر الحاضر أصبح اتصال الناس فى الأمم المختلفة من الأمور الجارية فى الحياة اليومية ، فقد قربت المواصلات بينهم على نحو كان يُعَدُّ من زمن قريب خيالا لا أمل فى تحقيقه ، وصار تبادل العلم والرأى عن طريق الإذاعة والنشر مما لا يستغنى عنه أحد . فكل رجل مثقف يقرأ ما ينشر فى الصحف

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أبريل ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الثامن من الطبعة العربيــة . وقد وُزِّع منــهُ مائة وثلاثون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجــلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد و اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المــدير العــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
السنة الاولى ابريل ١٩٤٤ المجلد ٢ العدد ٨

ضمان للسلام في المستقبل

ر . ى . ماكونل

نستطيع أن نحول بين ألمانيا المقهورة وبين التسلح ثانية والشروع فى حرب عالمية ثالثة ، بفرض قيود دقيقة على مواردها من مادتين من المواد الخام فحسب ، لا غنى عنهما فى الحرب الحديثة — وهما الزيت والنتروجين. وما دمنا نملك القدرة على منعها من صنع الزيت بالتركيب الصناعى ، ومن استخراج النتروجين من الهواء ، فإنها تظل عاجزة عن إزعاج سلام البشر .

وقد حاول الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى ، أن ينزعوا سلاح ألمانيا بتقليل تعداد جيشها ونزع أسطولها ومدافعها الكبيرة ودباباتها وطائراتها ، وبمنعها من أن تصنع أخرى مكانها . ومع ذلك فلم تكد تنقضى عشرون سنة حتى أوشكت ألمانيا أن تغلب الأمم التى كانت قد «نزعت سلاحها» .

أما هذه المرة ، فعلينا أن ننجز المهمة على وجه أوفى ، وعلى منوال مختلف . ولنبدأ بالاعتراف بأننا لا نستطيع أن نقضى على سبعين مليوناً من الناس ، حتى ولو بلغت منا الوحشية مبلغاً يدفعنا إلى المحاولة . ولكن إذا قررنا أن نسمح للألمان بالحياة فعلينا أن نوفر لهم سبل العيش . وهم شعب صناعىٌ عظيم ، وسيعمرون المصانع التى دمرتها قنابل القاذفات ، ولا يلبثون طويلا حتى يصنعوا سيارات وأدوات صناعية وجرارات ومحركات وسفن نقل — وهى منتجات نعلم أن المنشآت الصناعية الحديثة يسهل عليها أن تنصرف عن صنعها إلى صنع معدات الحرب .

وليس لنا أن نخشى انبعاث الصناعة الألمانية انبعاثاً حربياً ، إذا نحن منعنا إنتاج النتروجين والزيت فى ألمانيا . فبغير هاتين المادتين الأساسيتين ، تعجز جميع الطائرات التى قد تصنعها ألمانيا سرا ، عن النهوض من الأرض . وكل مدفع تستطيع أن تخفيه عن أعين الرقباء من الحلفاء لا يخشى له ضرر فهو كمدفع قديم ، مقام على بساط سندسىّ فى قرية . ولن يكون فى وسع الألمان أن يصنعوا زيتاً صناعيا أو يستخرجوا مقادير كبيرة من النتروجين من الهواء فى الخفاء . فهذه المواد الأساسية تحتاج إلى مصانع كيميائية ضخمة معقدة ، فلا يمكن إخفاؤها فى أقبية عن عيون أعضاء لجنة الهدنة .

إن دول المحور أفقر جداً من الدول المتحدة فى الموارد الطبيعية للخامات الحربية الأساسية ، ومن الواضح أن الزيت أهمها ، فالحرب الحديثة تستنفد أنهاراً من الزيت . وما كان الألمان ليبدأوا الحرب فى سنة ١٩٣٩ لولا مقادير كبيرة مخزونة من الزيت ومشتقاته ، ولولا ثقتهم باحتمال الحصول على مقادير أخرى . ولما كانت موارد الزيت الطبيعية فى ألمانيا قليلة ، عمدت إلى تركيب البنزين من الفحم . والبنزين المركب أقل جودة من الطبيعى ، ويكلف ألمانيا أربعة أضعاف ما يكلف الحلفاء الذين

ر . ى . ماكونل ، مهندس تعدين ، وقد شارك فى إنشاء مصنع لتثبيت النتروجين الجوى للأسطول الأمريكى فى الحرب العالمية الأولى ، وله كذلك آثار فى صناعة الراديو واستخراج النحاس من مناجم روديزيا وقبرص وغرب الولايات المتحدة ، وفى حفر بئرين من أعمق آبار الزيت والغاز فى ولاية لويزيانا الأمريكية .

والمقترح الذى تضمنه هذا المقال يشابه مقترحاً طرح للبحث فى مؤتمر الصلح بفرساى سنة ١٩١٨ ، وقد أهمل حينذاك ، ولكن الخبراء عادوا الآن إلى العناية به ومناقشته فى جد واهتمام .

يحصلون عليه من الزيت الطبيعى ، وهو يقتضى مصانع ضخمة معقدة .

وقد أنشئت المصانع الألمانية لغرض واحد هو الحرب . فلا يعقل أن يأذن الحلفاء فى الاحتفاظ بهذه المصانع فى ألمانيا بعد الهدنة ، فيجب أن تقوّض وأن يمنع تشييدها ثانية .

إن الشعب الألمانى وقد أدبته الحرب ، ليستطيع أن يجنى فائدة من هذا إذا حملتنا الحكمة على أن نوفر له بسعر معقول مقادير من الزيت يحتاج إليها فى أعمال السلام . فالاقتصاد الألمانى لا يستطيع أن يمضى فى صناعة الزيت المركب إلا بعون الحكومة ،

وبفرض ضريبة عالية على المستورد من الزيت والبنزين . فإذا أزيلت هذه الأعباء عن كاهل الاقتصاد الألمانى ارتفع مستوى العيش فى ألمانيا . ولا غنى عن شعب ألمانى راض رائع فى الرخاء لسلامة أوربا ورخائها بل لسلامة العالم ورخائه ، على شرط أن تكون ألمانيا مسالمة .

فإذا كنا نستطيع أن نسيطر على موارد ألمانيا من الزيت ، فقد قطعنا شوطاً كبيراً نحو الحيلولة دون إفسادها السلام ثانية . أما ونحن نعامل أمة مشاكسة فعلينا أن نستوثق . وإذن يجب علينا أن نسيطر على مواد أخرى تحتاج إليها ألمانيا وتعجز بدونها أية أمة عن خوض الحرب . وقد عرضت مقترحات كثيرة منها : أن نحدد ماتستورده ألمانيا من الأخلاط الفلزية التى لا غنى عنها فى صناعة أصناف كثيرة من الصلب اللازم للأسلحة الحديثة . فهذا المقترح وغيره ، يجب أن يكون موضوع فحص دقيق ومناقشة.

ومع ذلك أرى أن كل مشروع يقصد به الحد من قدرة ألمانيا على شن الحرب ، يجب أن يشمل السيطرة على مواردها من النتروجين، وهى تجىء فى المرتبة التالية للحد من صناعة الزيت المركب . فالنتروجين يدخل فى تركيب مواد حربية شتى مثل النتروساولوز ، وقطن البارود ، والمادة المتفجرة ت . ن . ت . فهو الأساس فى جميع المواد المتفجرة الحديثة بوجه عام .

قبل سنة ١٩١٤ كان المورد الوحيد للنتروجين رواسب طبيعية معظمها فى جمهورية شيلى ، ولكن رجال الصناعة من الألمان أتقنوا ، فى سنة ١٩١٤ ، أسلوباً لاستخراج النتروجين من الهواء ، وهو مورد لهذا الغاز لا حدود له . ولو لم يكن هذا الأسلوب متاحاً لألمانيا حينئذ لما أقدمت على خوض الحرب فى سنة ١٩١٤

ولو اقتصرت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية على النتروجين المستخرج من رواسب شيلى ، لما سدّ نصف حاجتها . فعلينا أن نقضى على انبعاث المطامع الألمانية العسكرية، خلال السنين المقبلة ، بتفكيك جميع مصانع النتروجين الألمانية ، ونقلها إلى جهات من أوربا بعيدة عن متناولها .

على أن النتروجين المثبّت ، يستعمل فى زمن السلام استعمالا عاماً فى صنع الأسمدة ومواد كيميائية أخرى ، وحاجة ألمانيا إلى الأسمدة فى زراعتها أشدُّ من حاجة معظم الأمم الكبيرة . فالسيطرة الدقيقة التى أقترحها تفضى حتما إلى جفاء دولى شديد ، وهبوط خطير فى مستوى التغذية فى ألمانيا ، إن لم تكن الدول المتحدة مستعدة أن تبيع ألمانيا النتروجين المثبت ، الذى تحتاج إليا

فى أغراضها المدنية ، بسعر معقول .

وأنا لا أقترح الحد من صناعة الزيت المركب واستخراج النتروجين من الهواء فى ألمانيا ، على أنه علاج عام ، أو بديل من الاتفاقات الدولية المعقدة الدقيقة التى لابد من عقدها بعد الظفر فى الحرب ، ولكننى أعتقد أن هذا الحد يجب أن يكون فى أساس كل برنامج شامل لمنع الحروب فى المستقبل .

وإننى لأعلم أنه عمل شاق أن تنشأ الهيئات الإدارية للإشراف على هذه السيطرة يوم تكون الدول الظافرة معنية بمشكلاتها الداخلية ، وحين تكون الحرب قد أصبحت « ذكرى مزعجة » ؛ ولكن احتمال النجاح يكون أعظم إذا ما ضيقنا نطاق القيود فلا تضم غير بضع خامات حربية أساسية ، لا تكون الحرب بدونها إلا حلماً من أحلام الضباط البروسيين .

ولكننى أصر على مسألة واحدة : وهى أن إنشاء هذه الهيئات يقتضى أن يكون أمد الهدنة أمداً طويلا ، وكلما طال أمدها كانت السيطرة أقوى والسلام أدنى إلى الدوام .

هذه السيطرة يجب أن تجمع بين الحزم والمرونة ، فالكشف العامى يسير فى هذه الأيام بسرعة لا تكاد تصدق . ومن الممكن — وإن لم يكن ذلك محتملا — أن تكشف موارد جديدة للطاقة ، أو أساس كيميائى جديد للمواد المتفجرة ، مما يجعل السيطرة التى اقترحتها على الزيت والنتروجين ، عملا لا قيمة له ، ولكن لم يئن أوان ذلك . فهذا مقترح عملى ، وهو أسهل وأيسر تنفيذاً من كثير من المقترحات التى تطرح الآن للبحث ، لجعل ألمانيا عاجزة عن الشروع فى حرب أخرى .

كثير من الناس لا يتبين الفرصة السانحة حين تعرض له لأنها تمر به متنكرة فى ثياب العمل الشاق .

[صحيفة « كرستيان سينس مونيتور »]

حبُّ شيء بعينه لا يؤلف بين قلبين وإنما يؤلف بينهما بغضه .

[هوارد سبرنج فى كتابه « ابنى ابنى »]

أسرع فيما تقرأ

الدكتور روبرت م . بير
مدير مدرسة القراءة بكلية دارتموث

ملخصة عن مجلة « أميركان مجازين »

كان « نلسون » يوم التحق بالكلية في الخريف الماضي قارئاً بطيئاً ، وكانت أقصى سرعته في القراءة نحو ١٧٥ كلمة في الدقيقة ، وكان يرتاب في فائدة دروس القراءة السريعة. قال متثاقلا . «لقد عشت دائماً أقرأ ببطء شديد ، فكيف التغيير وقد مضى زمنه ؟ ولو بدأت أسرع فيما أقرأ فعسى أن ينتهي الأمر برسوبي وطردي من الكلية » .

وأقنعته أن يجرب الدرس على أية حال . فلما انقضى شهر أو بعض شهر، أدى اختباراً في سرعة القراءة وفهم المعاني، فتبين أنه يقرأ بسرعة ٣٩٠ كلمة في الدقيقة ، ويحصّل من المعنى أكثر مما كان يفعل . وتمتم نلسون معجباً بنفسه : « يالله ! تصور كيف أصبحت على مثل هذه المهارة ! » .

هذا عجيب، ولكن لا عجب، فقد وجدنا في مدى السنين العشر التي يسرنا للطلبة خلالها إصلاح قراءتهم ، أن فصول القراءة في الكلية تبدأ سنة بعد أخرى ، ومتوسط قراءتها ٢٣٠ كلمة في الدقيقة، فلا تمضي أسابيع قليلة حتى تصير إلى ٥٠٠ كلمة في الدقيقة .

وفن القراءة هو اليوم أعظم الفنون نصيباً من الإهمال الشديد ، فإن علينا أن نلتهم قدراً هائلا من الأفكار المطبوعة ، إن شئنا أن نظل على علم بما يجري في الدنيا، ولكن ضغط الأعمال والواجبات لا يكاد يتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة . فالحل الظاهر إذن هو أن نقتصد في الوقت ، وذلك أن أكثرنا يبدد من الوقت الذي يقضيه في القراءة ما بين ثلثه إلى نصفه .

وإذا كنت مقتنعاً بأنك تقرأ بأسرع ما تستطيع أو بأسرع ما ينبغي لك ، فجرب هذه التجربة : اختر من هذه المجلة عمودين لم تقرأهما من قبل ووقت ما تفعله بدقة ، ثم اقرأ أحد العمودين في نصف الوقت الذي تقرأ فيه الآخر جهراً . ففي وسعك إذن أن تزيد سرعتك فيما تقرأ زيادة عظيمة ، ومن الممكن أيضاً أن تمرن نفسك على السرعة حتى تقرأ سراً ثلاثة أضعاف ما تقرأه جهراً أو أربعة أضعافه .

ويقرأ الشخص الوسط البالغ نحو ٢٥٠ كلمة في الدقيقة ، ويستطيع بعد مدة وجيزة من تمرين بسيط أن يقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة .

والقاعدة الأساسية لزيادة السرعة هي :

« احمل نفسك على أن تقرأ خمس دقائق ، كل يوم ، مدة شهر ، بأسرع مما تطيق » ولا تهتم إذا فاتك معنى تعبير أو جملة أو فقرة من الفقرات ، بل استمر متفهماً أصل الموضوع ، ولا تلق بالا إلى جمال التعبير.

وسجل كم كلمة تقرأ فى كل خمس دقائق ، وستجد أن فحوى ما تقرأ ستكون غامضة فى اليوم الأول ، وبعد خمسة أيام أو عشرة تجد أنك تستوعب من المعانى أكثر فأكثر ، فإذا انقضى الشهر وجدت أنك تفهم ما تقرأ أكثر مما بدأت ، مع أنك تقرأ بضعف السرعة التى كنت تقرأ بها من قبل .

وليست القراءة بأسرع مما تطيق إلا جزءاً من التمرين ، ولعل أشد العيوب التى أدت إلى البطء فى القراءة هى طريقة القراءة كلمة كلمة . فقد تلقنا منذ كنا أطفالا أن نبين الكلمة الواحدة ونلفظها منفردة ، ولم يخرج أكثرنا بعد من هذه المرحلة . وثمت اختبارات عدة لمعرفة من يقرأون كلمة كلمة .

١ — اقرأ سراً خمس دقائق . عد الكلمات ثم اقسم عددها على خمسة ، فإذا لم يكن الناتج ١٧٥ على الأقل ، فإنك قطعاً ممن يقرأون كلمة كلمة .

٢ — اطلب إلى صديق أن يرقب شفتيك وأنت تقرأ سراً ، فإن القارىء كلمة كلمة يحرك شفتيه فى الغالب .

٣ — إقرأ سراً واضعاً أطراف أصابعك على أوتارك الصوتية ، فإذا شعرت بها ترتجف فأنت تردد الكلمات وتلفظها فى حلقك .

وإذا أردت أن تصلح هذه العادة ، اجهد أن تطبق شفتيك ، وأن تراخى أوتارك الصوتية . وإذا دربت نفسك على أن تقرأ بأسرع مما تطيق ، قلل ذلك من ترديدك الصوت ، فما لك عندئذ فسحة من الوقت .

وحين تستمع إلى موسيقى فإنك لا تسمع سلسلة من الأنغام منفردة ، بل تسمع أنغاما متسقة منسجمة . فكذلك القارىء الخبير يعب من معانى المؤلف عباً ، غير ملق بالا فى أكثر الأحيان إلى ما لا خطر له من الكلمات.

ادرس الإعلانات بعناوينها الموجزة القصيرة وفقراتها الجامعة ، ألق نظرة إلى الإعلان خمس ثوان ثم انظر ماذا تستطيع أن تستخلصه من الإعلان . أو اجعل فى قطعة من الورق القوى ثقباً فى حجم سطر من سطور هذه المجلة ، واسحبها رويداً إلى أسفل الصحيفة ، وانظر ماذا تستطيع أن تتمثله من المعانى فى كل نظرة .

ولعل خير طريقة للتغلب على كثير من صعوبات القراءة هى توسيع نطاق النظر ، فإن العينين تتحركان فوق السطور فى قفزات قصيرة ، وبين هذه القفزات تقف العينان جزءاً من الثانية يسمونه « تثبيتاً » . وفى

أثناء هـذه المرات من « التثبيت » ترى وتقرأ ، فكلما قلت مرات « التثبيت » ازدادت سرعتك فى القراءة ، وزاد احتمال استيعابك لمعانى جمل بأكملها .

وثمت حيلة استبان تلاميذى نفعها ، هى أن تمرن على النظر إلى وسـط العمود المطبوع نظرة واحدة لـكل سـطر . وقد تجد فى مبـدإ الأمر أنك لا تستوعب إلا شيئاً يسـيراً مما تقرأ . ولـكنك إذا واليت التمرين أياماً قليلة ، يتسع نطاق نظرك حتى تستوعب من كل سـطر ما يكفى لتفهم موضوع الـكلام .

وهناك حيـلة أخرى هى أن تتجنب أن تسـدد عينيك إلى آخر كلمة من السـطر أو أول كلمة من السـطر الذى يليه ، فإن عينيك تستطيعان أن تريا إلى يسار النقطة التى أمامك مباشرة وإلى يمينها ، وإذا نظرت رأساً إلى أول كلمة أو آخر كلمة من السطر فإنك تضـيع بعض الوقت فى النظـر إلى هوامش بيضاء .

وإذا كنت ترجع البصر بين الفينة والفينة إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى ، فاقض على عادة الرجوع هذه ، واستمر فى القراءة حتى تنتهى من الجملة على الأقل .

وعلى كل قارىء أن يجعل سرعته تختلف باختلاف ما يريده مما يقرأ :

أولا : قراءة « الخطف » بأن تمر مراً خاطفاً على ما تقرأ من أخبار اليـوم ، أو على مقال أو كتاب تريد أن تقدر قيمته .

ويمكنـك أن تمرن على قراءة الخطف فى صحيفتك . اطلب إلى صديق أن ينبئك بمضمون فقرة من الصحيفة ، وانظر ما تسـتغرق من وقت فى العثور عليها ، واجهد أن تسـتوعب معنى فقرة بأكملها فى نظرة واحـدة . كان لتوماس كارليـل وثيـودور روزفلت قدرة عجيبـة تبـدو مستحيلة ، على قراءة صفحة بأكملها فى نظرة واحدة . ولم يكن ما يفعـلان فى الواقع إلا مرورهما مراً خاطفـاً بارعاً على الصفحة ، مختارين الفقرات والأفكار الدالة . وفى وسع كل إنسان أن يصـل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة فى الدقيقة فى قراءة الخطف .

ثانياً : القراءة العادية . وهذه ينبغى أن لا تقل عن ٣٥٠ كلمة فى الدقيقة . فإذا كان عقلك أوسع خطى حتى يسـبق ما تقرأ ، فلست تقرأ إذن بما ينبغى لك من السرعة إذ لا بد من أن تساير القراءة التفكير .

ثالثـاً : سرعتـك فى قراءة الدرْس . وهذا النوع من القراءة يقصد به التحليل والنقـد ، وتذوق الأسلوب ، وقد تبطىء سرعته أحياناً حتى تصل إلى خمس كلمات أو ست فى الدقيقـة . فإذا كنت تقرأ خبراً

من برلين ، فإنك تريد أن تنعم النظر فى كل كلمة وتزن معانيها ومقاصدها ، وتجهد أن تدرك ظل المعنى الذى أراد المراسل أن يخدع عنه الرقيب . وقد تبطىء هذه السرعة أيضاً إذا أرادت أن تدرك كل لطيفة خفية فى شعر لوالت هويتمان أو مسرحية لبرنارد شو أو رسالة فنية .

تلقيت أخيراً رسالة من والد تلميذ من تلاميذى جاء فيها : « يوم عاد إلينا ولدى من الكلية ، اختبر جميع أفراد العائلة فى القراءة ، وأخذ يلقننا جميعاً ما تعلمه من طرق القراءة فى الكلية . ولقد زادت قدرتى فى القراءة فى الشهر الماضى من ٢٩٠ إلى ٥٥٠ كلمة فى الدقيقة . وأستطيع الآن أن أقرأ ضعف ما كنت أقرأ من المجلات والكتب . وإنى أحمد إليكم ما هيأتم لخامل قديم مثلى من الشعور بأنه لم يزل قابلا للتعليم » .

تجربة فى القراءة العربية

هذه مقالة طريفة ، قائمة على تجارب كثيرة فى سرعة القراءة . والنتائج التى انتهى إليها مدير مدرسة القراءة بكلية دارتموث ، تعتمد على أساس متين من دقة الملاحظة وحساب الوقت وطبيعة اللغة المقروءة ، وطبيعة القارىء ونوع القراءة . ولما كانت هذه النتائج مبنية على مراقبة ذلك فى اللغة الانجليزية ، لم نشأ أن نغيرها إلى ما يقابلها من الملاحظة والحساب فى القراءة العربية ، إذ لم نعلم بعد أن أحداً من الناس قام بمثل هذا العمل فى مراقبة القارىء العربى فى اللغة العربية .

و « المختار » ، تقدم إلى قراء العربية هذه المقالة ، ليقرءوها ويتدبروها ويجرب كل قارىء منهم بنفسه تجارب على قراءته وقراءة أصدقائه . وفى المقالة البيان الكافى لطرق القراءة وتجاربها .

فنرجو القراء أن يتوخوا الدقة فى ملاحظة الوقت ، وإحصاء الكلمات ، وتفضيل أنواع القراءة ، وأن يكون الحساب شاملا لصفحات كثيرة ليكون متوسط الناتج أقرب إلى الدقة .

« هذه معجزات حديثة ، لم يسمع بها فى الحرب الماضية ، ترد أولئك الذين شوهوا أو أوذوا فى الحرب ، إلى الحيـــاة الطبيعيـــة »

الجراحة تبرئ من ندوب الحرب

دافيد براون ورادفورد مسدن + + + ملخصة عن مجلة هاربرز

من بين الحطام المحترق ، لإحدى الطائرات المطاردة فى أيسلندة ، يزحف بكباشى أمريكى جريح ، فيخفف المورفين من عذابه ، ويوقظه مصل الدم من غشيته ، ولـكنه يرى الحياة شيئاً لا خير فيه . فقد أكلت النار نصف أنفه ، ويبس فمه وتقلص حتى غدا فى حجم الليم ، وعجز عن إطباق أجفانه على عينيه ، وبدت أصابعه البشعة المعقوفة كمخالب العُقاب

وبعد أربعة عشر شهراً قضاها فى إحدى مستشفيات الجيش ، يقتحم البكباشى الغرفة بخطوات قوية ، ووجه لا يحمل أثراً ظاهراً من آثار محنته ، ثم يبسط يده يداً رقيقة ، تؤدى عملها كاملا ، وتكاد تكون طبيعية المظهر ، ويقول : « إنى لأحبّ أن أصافحكم ، لقد طالما ظننت أنى فقدت يدى إلى الأبد » ثم يبتسم قائلا : « سأذهب من الغد لأؤدى واجبى محلقاً بإحدى القلاع الطائرة »

لقد أجريت للبكباشى ست عشرة جراحة ، سُوِّى فيها أنفه بغضروف مستعار من ضلوعه ، وأزيلت عن وجهه ندوبه البشعة ، وأعيدت إلى فمه صورة الأفواه البشرية بطعوم مستمدة من أجزاء جسده التى لم تمسسها النار ، ورممت أجفانه المحرقة بغلائل رقيقة كشطت من جلده ، وردت عليه راحتاه وأصابعه بقطع من لحم ساقيه . وهذه الأيدى الجديدة التى كانت فى أول أمرها يابسة لا تنثنى قد عادت مرنة بالتنبيه الكهربائى والرياضة اليومية .

إن مئات من الرجال قد عولجوا بطرق مشابهة فى مستشفيات الجيش الخمسة التى تعالج فيها مثل هذه الأحوال . وقد كان من أثر النجاح فى علاج هؤلاء المصابين أن آمن الأطباء بأنه سيكون من القليل النادر بين الجرحى من الجنود من يظل عاجزاً فى الحياة الاجتماعية أو فى حياته الخاصة .

ولكل يوم نصيبه من هذه المعجزات ، فقد افتقد أحد الضباط أذنه اليسرى فى حادث صغير ، فنزع الجراح قطعة من فروة

رأسه خلف موضع الأذن المفقودة ، ثم أخذ قطعـة من غضاريف الضلوع وثناها حتى كادت تشبه صوان الأذن ، ثم دسّها تحت الجلد ، وبعد شهر رفع قطعة الجلد إلى مكان الأذن الأصلية فإذا هى صورة منها جيـدة التقليد ، وبعدئذ أخذ من لحم البطن ما كسا به ظهر الأذن المصنوعة ، والجزء الذى عرّى من فروة الرأس . فأصبح من العسير أن تقول أىّ أذنيه هى الأذن التى ولد بها ، هذا على أن سمعه لم يتأثر على الإطلاق .

إن الغضاريف تزوّد الجراحة التجميلية الحربية بخير زاد ، فهى على نقيض الجلد ، إذ يمكن أن تستعمل للطعوم الدائمة المنقولة من شخص إلى آخر ، كما يمكن حفظها فى محلول مطهر حتى تقتضيها الحاجة . ونظراً ليبوستها مع ما فيهـا من المرونة التى تكفى لتشكيلها فى القالب المطلوب ، كانت خير ما يمكن استعماله فى ترميم الآذان والأنوف وحافات محاجر العيون ، وفى وقاية المخ إذا انحسر عنه عظم الجمجمة .

وقد أصبحت الحروق فى الحرب الحاضرة أكثر استلزاماً للجراحة التجميلية منها فى الحرب العالمية الأولى ، ويسر مقشط بادجت كشط الطعوم من الجلد . وهـذا المقشط الذى سمى باسم مخترعه الدكتور إيرل بادجت من مدينة كنساس يستطيع أن يسلخ الجلد الحى من بطن المريض أو صدره أو فخذه ، وهو تحت التخـدير ، وتكون السلخ على شكل غلائل مقدرة السمك تقديراً يصل من الدقة إلى جزء من ألف جزء من البوصة.

وقد أصيب جنـدى بحرق من حروق الدرجة الثالثة(١) فى يديه ، فى شمال أفريقية، وكان عازفاً على البيان ، ومدرساً للموسيقى ، ولم يرد أن يستبدل بفنه عملا آخر ، فردت عليـه يديه قطعة من الجلد ، وأعادت إليه الرياضة المضنية على آلة كاتبة كثيراً من مهارته الأولى . فلما زارت المستشفى قرينة المستر روزفلت دعته إلى العزف فى البيت الأبيض.

وكثيراً ما يعانى المصابون بجراح بالغـة فى الوجه تهشما مخيفاً فى الفكين ، فيستعين الجراح التجميلى عندئذ بجراح الأسنان ، ويستعين كلاهما بما حدث من التقدم الباهر فى صناعة الجبائر الجديدة التى تثبت الأجزاء المهشمة فى مواضعها . ولقد أصابت شظية وجه جندى فسملت إحدى عينيه ،وهتكت حاجز منخريه ، وهشمت عظاماً عديدة ، واحتفرت فجوة فى كلتا وجنتيه . فاستؤصل الأنف وأعيد بناؤه،ورمم الأنف والوجنتان من غضاريف الأضلاع ، وأصلحت الأجفان

(١) حروق الدرجة الثالثـة هي التى تزيل البشرة السطحية من الجلد وتترك سائره ، وهى آلم أنواع الحروق .

وبطن محجر العين ببطانة من الجلد تساعد على تثبيت العين المصنوعة فى مكانها. فلا يستطيع اليوم أحد أن يدرك مدى هذا الجرح المروع الذى شوّه يوماً ما وجه الجندى المصاب .

ومن أشـد هذه الحالات تعقيـداً حالة جندى أصابته شظية فى خده فأحدثت فيه جرحاً بليغاً أتلف ما يقـارب النصف من حنكه (سقف الفم) ، فاستعمل الجراح فى ترميم الحنك طعماً من الجلد على شكل أنبوب مذنب ، وذلك بأن سلخ قطعـة من الجلد وما يليها من الشحم من ذراع الجريح ، دون أن يفصلها من الذراع ، ثم خاط جانبى القطعة أحدهما إلى الآخر ، فتكونت منهـا أسطوانة من الأنسجة الحيـة تبدو كمقبض الحقيبـة ، وتتصل من طرفيهـا بسائر جلد الذراع ، ثم كسا هذه الأسطوانة العارية بجلد جديد من جزء آخر من جسـد الجريح ، وفى بضعة أسابيع كان لدى الجراح ما يبغى من الجلد السميك السليم . فرفع ذراع المصاب وأثبتها على مقربة من فمه ، وفصل أحد طرفى الأسطوانة الجـلدية من الذراع ، ثم خاط الطرف المقطوع فى الحنك المهشم . واستمر هذا الطرف المخيط يستمد غذاءه من الذراع عن طريق الطرف الآخر ــ ذنب الأنبوب ــ حتى التحم بالحنـك تماماً ، فقطع الجراح الطرف الآخر . وفى الوقت المنـاسب برح الجندى المستشفى بحنك جديد .

وقد تقدمت طريقة هذا الأنبوب المذنب خطوة أخرى عندما استعملت فى حالة جندى أصيب برصاصة فى قدمه أضاعت نصف عقبها. فمثل هذه الإصابة تقتضى بتر القدم ، ولـكنه عولج بأنبوب مذنب صنع من جلد بطنه ، فلما آن الأوان فصل أحد طرفيه . وبديهى أن هذا الأنبوب لم يكن ليصل إلى قدم المصاب ، فلُحم الطرف المقطوع فى فخذه ، وبعد أسـبوعين قطع ذنب الأنبـوب من البطن ، ولحم فى العقب الجريح ، ثم فصل الأنبوب من الفخذ ، وبذلك صار لقدم الجندى عقب جديد .

فإذا كانت إصابات الحرب تستلزم البتر ، تولى جراحو العظام هذا العمل ، فيمدون المصابين بجوارح مصنوعة . وستسمع قريباً كلمة جديدة فى هذا الصدد هى كلمة : «التحريك الاصطناعى» وبهذه الطريقة يستطيع الجراح أن يجعل ما بقى من القوى العضلية فى أصل ساعد مبتور، يحرك يداً ميكانيكية ، فيصبح لهـذه اليد الميكانيكية كثير من كفاية اليد الحية ومرونتها . وذلك بأن يوصل عضلات الأصل المبتور بروافع تدير اليـد والزند الميكانيكيين . وبهذه العملية استطاع مئات من الجرحى اليوم أن يكتبوا على الآلة الكاتبة، وأن يلعبوا الورق ، وأن ينحتوا التماثيل ـــ

وبالاختصار أن يصنعوا كثيراً مما كانوا يصنعونه بأيديهم الحية .

إن جراحي الجيش لا يألون جهــداً في إعادة كل رجل إلى مظهره الطبيعي ، فمن ذلك ما حدث لجنــدي ذهبت بعينيه شظايا لغم ، فأمد بمـا يسمى « بالأداة الزائفــة » (شيء ما يكون عوضاً عن شــكل عضــو مفقود وإن لم يكن فيه عوض عن وظيفته). وفي حالة هذا الجنــدي كانت الأداة الزائفة محجرين قابلين للحركة ، يشبهان شبهاً مدهشاً محاجر العين الفطرية ، لهما ما لهما من الجفون والأهداب وركبت في هذين المحجرين عينان مصنوعتان ، بلغتا من الإتقان كل مبلغ ، حتى إنه سأل يوماً ما عاملا من عمال الاستعلامات في إحدى محطات السكك الحديدية عن موعد قطار ، فأعطاه العامل جدولا للمواعيــد ليبحث بنفسه عن الموعد المطلوب .

ومن المواد الحديثــة التي تستعمل الآن في عمل الأدوات الزائفة ، معدن التانتالوم النادر ، الذي أطفأ غليل الجراحة في بحثها الطويل عن معدن جراحي كامل . فالتانتالوم إذا دفن في الأنسجة البشرية لا تؤثر فيه أقل تأثير كيميائي ، هذا إلى قوته وشــدته ومرونته ، وإبائه على الصدأ ، وعصمته من التسميم ، وحصانته من الامتصاص ، وقبوله للمط وهو بارد حتى يصبح أسلاكا في رقة الشعر الآدمي تخاط بها الأعصاب المقطوعة . ثم إنه يلين على البسط حتى يصير صفائح يبلغ من رقتها أن تصلح غلافاً للأعصــاب وأوتار العضــلات . والتانتالوم نافع كل النفع في إصــلاح ما يكون في الجمجمــة أو تغطيته مما يحدث من جراء المعارك الحربية .

إن لأطباء الجراحة التجميلية في الجيش هدفاً مجيداً : هو أن يعيدوا كل جنــدي جريح إلى الحيــاة المدنية لا يعوقه شيء عن مواصــلة حياته الاجتماعيــة . وهم إلى هذا الهدف أقرب مما يقــدر الرجل من عامة الناس أنه في حيز الإمكان .

☆ ☆ ☆ ☆

الجمال الحي

حين كنت في السادســة عشرة سمع والدي أحدهم يطري جمــالي فقال : « إنه يطري شبابك ، وليس لك أن تفخري بجمالك وأنت في السادسة عشرة ، ولكن إذا كنت لا تزالين جميلة يوم تبلغين الستين فإنما يكون ذلك بفضلك ومن صنع يديك ، ولك أن تفخري حينئذ وستكونين حتما موضع المحبة والإعجاب » .

[ماري ستوبس في كتاب « التحول في حياة الرجال والنساء »]

دننجر قارىء الأفكار



« إن هذا فى وسع كل امرىء ، إذا مرن عليه » هكذا يقول الرجل الذى يحـذو حذو هوديني الساحر .

ايرل سبارلنج
ملخصة عن مجلة « ثاريتى »

يؤكد جوزيف دننجر، فى إذاعته اللاسلكية الغريبة المحيرة، أن ما يأتيه من براعة فى قراءة الأفكار والتلبثى ليس من خوارق الطبيعة بل هو « مما يتيسر لطفل فى الثالثة من عمره — لو أتيحت له مرانة ثلاثين عاماً ! »

ولعل ما يأتيه دننجر هو أعجب ما يسمع على موجات الأثير أو على المسارح . فقارىء الأفكار العظيم يجلس إلى مكتب كأى رجل من رجال الأعمال — ولا تحسبن أنه ليس منهم — ويجلس قبالتـه إلى مائدة طويلة لجنة مكونة من ثلاثة محكمين من المعروفين الثقات . ويجلس أمامهم نحو ثلثمائة شخص يتحرق كل منهم شوقاً أن يعرف هل يستطيع هـذا الرجل الماثل أمامهم على المسرح ، أن يقرأ حقا خبيئة أفكارهم .

ويأخذ دننجر يمهد لنفسه بمقدمة وبيان، ثم يهب من مجلسه ، ويحدّق فى الحضور . وليس ثمة ما يشعر بجو مسرحى سوى صوته الجهير، ثم يسأل وهو هادىء كمن يسأل عن الساعـة : « أههنا امرأة تفكر فى حرفى « ت » و « ا » ؟ » فتقـوم امرأة ترفع يدها أن نعم فيقول دننجر: «إن حرف «ت» هو توجو ببغـاؤك ، وحرف « ا » هو أوسكار سمكتك الذهبية الحمراء » . فتجيب المرأة فى صوت خافت : « هـذا صحيح » وتتهالك على مقعدها ، وتسرى الدهشة بين الحاضرين .

قد يخامرك الشـك طبعا فى أن دننجر وصاحبة الببغاء متآمران ، بيـد أن دننجر يطلب من كل شـخص أن يقسم بأن ليس بينهما أى تواطؤ . ومن المعقول أن تفرض أن لو كان دننجر دجالا مزوراً ، لخانه أحد هؤلاء الأشـخاص . ولـكن قام عشرات من النـاس فى القاعة وشهدوا على أنفسهم أنه قرأ خبيئـة أفـكارهم . ولم يحاول أحد أن يكسب العشرة آلاف ريال التى أعلن

دننجر أنه مستعد أن يدفعها إلى من يثبت أن له شركاء أو مساعدين أو وسطاء .

ودننجر مشعوذ قديم ، وقد قال عن نفسه أنه « آخر السحرة العظام » . ومن أعماله أنه كان ينشر امرأة ويجعلها ثمانى قطع ، وهو تحسين أدخله على نشر المرأة بالمنشار شطرين فقط ! وكان لا يؤوده ، إذا شاء ، أن يجعل فيلاً يغيب عن الأنظار فى الهواء . وكان صديقاً مقرباً لهارى هوديني* الساحر المعروف، فأوصى له ببعض أجهزته وأدواته.

أقلق دننجر ، منذ عشر سنين ، ما يقوم به الوسطاء الروحانيون فانطلق يطاردهم ، وأعلن أنه يهب عشرة آلاف ريال لأى وسيط يستطيع أن يأتى بعمل روحانى يعجز هو عن فعله أو يؤوده تفسيره . وحاول كثير منهم أن يربح هذا المبلغ ، ولكن أحداً منهم لم ينجح . وأثبت دننجر أن إحدى الوسيطات كانت تخرج صوت النقر ، الذى يظن أنه آت من قبل الروح ، بفرقعة أصابع أقدامها . وأقر دننجر بأنه يعجز عن مجاراتها .

وعرض دننجر قوى سحره أخيراً على بحرية الولايات المتحدة ، وأن يجعل البوارج والدوارع لا تُرى . ولعل أمراء البحر الأمريكيين لم يسمعوا بقدرته على أن يجعل الفيل الحى يختفى فى الهواء ، فلم يتحمسوا للفكرة . وأبى دننجر أن يكشف لهم عن سر عمله لأنه من الأسرار الحربية والسحرية فى وقت معاً !

ويثير دننجر الدهشة والإعجاب بما يعرضه حتى فى أصعب المواقف . قال مرة : إن أحد الحضور يفكر فى حرف E ، ولكن هذا الحرف E يبدو له غريباً بعض الغرابة وبدت عليه الحيرة . فنهض من بين الحضور رجل يقول : « إنى أفكر فى حرف S اليونانى » . فيجيبه دننجر : « إنى لا أعرف اليونانية ، وإنى لأرى مثلثاً أيضاً » . فيقول الرجل : « هذا صحيح » .

« وحرف T » .

فيقول الرجل : « وهذا صحيح » .

ولعل هذا الرسم بحروفه شعار جماعة من الإخوان ، ولكنه لا يبالى أن يتحرّى فقد سئم اللغة اليونانية ، فيسرع متحولا إلى آخر فيقول : « إن شخصاً يفكر فى حرف « م » و « ل » وهما الحرفان الأولان من اسم » .

فينهض من الصف التاسع رجل يقول : « أهما الحرفان الأولان من اسم لشخص موجود هنا ؟ »

---

* « هوديني الساحر » المختار : ديسمبر سنة ١٩٤٣ صفحة ٩٦

فيجيبه دنجر : « نعم ، هما الحرفان الأولان من اسم السيدة الجالسة إلى يمينك » .

فيقول الرجل : « بل إلى يسارى » .

فيضحك دنجر ويقول : «أرانى أخطئ إن يمينى هو يسارك، واسم السيدة هو ليفى » .

فيجيبه الرجل : « هذا صحيح » .

ويتابع دنجر كلامه فيقول : « وإنك تفكر فى رقم تليفون ، وهذا الرقم هو ترافلجار ٦٧٩٦ — ٧ »

فيجيبه الرجل : « بل . . . . ترافلجار ٦٧٩٧ — ٧ » .

فيهز دنجر كتفيه استخفافاً ويقول : « خطأ فى رقم واحد » . ويصرح دنجر فى كل حفلة من حفلاته أنه لا يدعى الصواب فى أكثر من نحو ٩٠ فى المائة مما يقول .

ويكتسب دنجر ثلاثة آلاف ريال كل أسبوع فى رحلاته مع فرق التمثيل . وهو يقول غير متكلف إنه يتقاضى أكبر أجر بين ممثلى الحفلات الخاصة فى العالم قاطبة ، ولعله ليس كما يقول ، ولكنه تقاضى ١٥٠٠ ريال فى ليلة واحدة .

ويؤكد دنجر أن فى مكنة أى شخص أن يقوم بشىء من قراءة الأفكار . ووصيته لمن يريد أن تقرأ أفكاره أن يحصر فكره ما استطاع ، ولمن يقرأ أن يتخيل لوحاً من الأردواز الأسود، وينقل ما يراه مكتوباً فيه بالأبيض .

ودنجر فى السابعة والأربعين من عمره ، طويل القامة ، قوى البنيان ، مردود شعر الجبهة . أما عيناه فيمكن وصفهما بالتأمل والنفاذ فى وقت معاً .

وهو منوم مغناطيسى أيضاً ، فضلا عن أنه ساحر وقارىء أفكار . ويستدعيه الأطباء أحياناً لتنويم بعض المرضى ، وقد اشتغل بهذا فى ثلاثة مستشفيات على الأقل .

وقد نزح والد دنجر إلى أمريكا من بافاريا ، وانتهى بأن أصبح من أرباب صناعة المنسوجات ، وقد مات . ولا يزال دنجر عزباً يعيش مع والدته فى شقة بنيويورك . وقد اكتشف موهبته فى « الكشف » يوم كان تلميذاً بالمدارس الابتدائية ، فقد كان ضعيفاً فى الحساب ، وكان كثيراً ما يخطىء فى حل المسائل العددية ، ولكن اتضح له أنه إذا حزر الجواب كان ذلك هو الصواب فى أغلب الأحيان . وأخذ من ذلك الحين يدهش والديه بأن يفضى إليهما باسم من يريد الاتصال بهما إذا سمع رنين التليفون ، أو باسم الزائر إذا قرع جرس الباب .

وحاول ، كما يفعل أغلب الأولاد ، أن يقوم ببعض ألعاب سحرية . بيد أنه ، على

تقيضهم ، بذل فى ذلك جهداً كبيراً . فلما أن بلغ السادسة عشرة كان الناس يفدون على حفلاته .

وهو وإن كان ساحراً إلا أنه بدأ يمارس قراءة الأفكار منـذ أيامه الأولى فى فرق التمثيل ، ويومئـذ كان فى تلك الفرق كثير من قارئى الأفكار . وكان الجمهور يعتقـد أن الوسطاء يستخدمون فى ذلك ، ومع ذلك ذاعت شهرته ، وجعل كبار القوم يدعونه إلى حفلات خاصة ليقرأ الأفكار .

وقد استدعاه الرئيس روزفلت مرتين إلى وشنطن ، وكاد الحفل فى المرة الثانية يكون اجتماع مجلس الوزراء . وقد بدأ دننجر بقراءة فكر الرئيس روزفلت وقال : «إنك تفكر فى هذا : أيهما سينتخب رئيساً للجمهورية خلفاً لى ، أهو هاملتون فيش أم هيوى لونج ؟ » .

فضحك الرئيس روزفلت وقال : « هذا صحيح » .

ثم التفت دننجر إلى وزير المالية مستر مورجنتاو ، وقال له إن فى جيبه ورقة من فئة الخمسة ريالات وذكر له رقمها المسلسل ، فأخرج مورجنتاو الورقة من جيبه وتحقق من الرقم ثم قال : « إنك على صواب » .

وتحول دننجر بعـد ذلك إلى وزير الخارجية مستر هل ، وقال له إنك تفكر

وتقول : « ليتنى أستطيع أن أقرأ فكر زوجى كما يفعل هذا » .

فأجاب الوزير : « هذا صحيح » وضحك الرئيس روزفلت إحدى ضحكاته المفرطة .

وقالت مسز إلينور روزفلت فى شىء من القلق : « إنه مدهش حقا ، حتى إنه ليجعل بعض الناس يكرهون أن يروه بينهم دائماً » .

ولعل هذا ، على مايبدو ، هو رأى الرئيس السابق كالفن كولدج أيضاً . فقـد دعا دننجر إلى البيت الأبيض مرة واحدة فتلا عليه رسالة خاصـة كان مستر كولدج قد كتبها ذلك اليوم ولم يسقط منها حرفاً ، فلم يدعه بعدها مرة أخرى .

وقد أرادته باربرا هاتون ، الوارثة المشهورة ، أن يقرأ أفكارها ، فأخبرها أنها تفكر فى جملة وهى : « إذا كان لديك رغيفان فبع أحدهما واشتر زنبقة » . ومن يدرى أين أتت باربرا بهذه الجملة الغريبة ؟ ولكن أغرب من ذلك : كيف تأتى لدننجر أن يدركها ؟

وحاول دننجر أن يقرأ فكر الكاردينال باتشيلى ، وهو اليوم البابا بيوس الثانى عشر ، فحاول ثم حاول حتى حار وعجز . ويقول دننجر فى ذلك إنه توقع أن يفكر الكاردينال بالإنجليزية ، وهى اللغة التى كلمه بها فى البداية

ولكن الكاردينال أخذ يفكر باللاتينية . فلما سويت هذه المسألة ، قبل الكاردينال أن يفكر فى اسم أنجلوسا كسونى ، فاستجمع دنجر قواه وقال : « إن الاسم هو جونى » وكان صحيحاً .

ويقول توماس ا . إديسون ، وقد اختبر دنجر مراراً : « لم أر فى حياتى شيئاً كهذا يحير العقل بغموضه أو استحالته » .

وترك إديسون لدنجر رموزاً سرية ليتصل به بواسطتها بعد موته ، بيد أن دنجر لم يتلق أية رسالة . وكذلك ترك له هوديني والسير آرثر كونان دويل والسير أوليفر لودج ، رموزاً ليتصلوا به . وقد ماتوا جميعاً ولكن دنجر لم يتلق أية رسالة من وراء الحجاب .

ويستبقى دنجر أروع ما يأتيه فى قراءة الأفكار للمحكمين الذين يحضرون حفلاته وقد أقسموا على أن يتكلموا إذا بدا لهم أى غش أو تدليس . وبين المحكمين رجال ذوو خطر منهم القاضى إدوارد ر . كوخ قاضى المحكمة العليا بنيويورك ، وبول هوايتمان الموسيقى المشهور ، والأستاذ روبرت مرتون بجامعة كولومبيا .

طلب دنجر يوماً إلى الأستاذ مرتون قبل الحفلة أن يذهب مع اثنين من أساتذة جامعة كولومبيا إلى مكتبة الجامعة ، ويختاروا أى كتاب شاءوا من بين آلاف الكتب ، ثم يفتحوا أية صفحة من صفحاته ، ويتفقوا على أية جملة أرادوا ، وليس عليهم بعد ذلك سوى أن يحصروا أفكارهم فيها . وأخذ الأستاذ مرتون مجلسه إلى مائدة المحكمين فى القاعة بعد ظهر يوم العرض ، وبقى زميلاه فى الجامعة .

وأعلن دنجر أن : « اسم الكتاب — وهو رسالة علمية — « ميدلتون » والصحيفة هى ٤٤٤ » .

فأجاب الأستاذ مرتون بلهجة المأخوذ : « هذا صحيح » .

ثم تردد دنجر ، حتى تكاد تشعر بالصراع الذى يدور فى رأسه . ثم قال : « إن كل ما أرى . . . إن كل ما أرى . . . يظهر أنهم يداعبوننى . . . إن كل ما أرى هو : « لا يعرف الجواب » .

فأجاب الأستاذ مرتون : « هذا صحيح بعض الشىء » .

فقد كانت الجملة التى اختارها أساتذة جامعة كولومبيا من الرسالة الأدبية هى : « إن فصل الأحداث فى بلدة ميدلتون لا يعرف الجواب » .

وفسر دنجر سر تردده بأنه حين تلقى كلمة ميدلتون مرتين ، ظن أنه يتلقى الرسالة الأولى نفسها وهى اسم الكتاب .

وناول دنجر مرة « بول هوايتمان » لوحاً من الأردواز ، وطلب إليه أن يخرج

من القاعة ، وأن يكتب عليه فاصلا موسيقيا من أية غنية وقعها . وبينما كان هوايتمان خارج القاعة كتب دننجر فاصلة موسيقية على لوح آخر من الإردواز ، وناولها لعازف البيانو . وقال للجمهور إنه لا يستطيع أن يقول ما هي الأغنية ، لأنه لا يعرف شيئاً عن الموسيقى . وعاد هوايتمان إلى القاعة وعزف العازف فاصلة دننجر فبدت الدهشة على وجه هوايتمان ، فقد كانت الفاصلة هي ماخطه بنفسه في الرواق الخارجي . هذا ولوح الأردواز لم يخرج البتة من يد هوايتمان ، ولم يكن في استطاعة العازف أن يراه .

ويجد دننجر لذة في مداعبة الصحفيين خاصة بغرائبه الفريدة ، ويرمى بذلك طبعاً إلى الدعاية عن نفسه .

طلب دننجر في حفلة الأحد ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٣ إلى أحد مساعديه أن يتصل تليفونيا بكنيث مكالب ، المحرر الخارجي لصحيفة « نيويورك ميرور » ، وطلب إليه أن يستجمع فكره في أي عنوان لمقال يظهر يوم الاثنين في صحيفته التي لم تطبع بعد .

وكان أمام مكالب كوم من تجارب المقالات ، فتناول منها أول ما وقع في يده ، وخط دننجر في الحال على لوح من الأردواز عنوان : « كيف نزل الجيش الأمريكي الخامس إلى البر . ومدافعه تصب الحمم على الأعداء » وأردف : « ونفسى تحدثنى أن هذا المقال سيظهر في الصحيفة الرابعة » . وكان ما قال صحيحاً .

فإذا كان كل ذلك لا يعدو أن يكون حيلة من الحيل ، فإنها أبرع حيلة أتى بها إنسان منذ كان هوديني تُقيّد يداه ، ويودع في صندوق مقفل ، ويلقى به في أقرب نهر ، ثم إذا هو حي يسعى على قدميه !

✡ ✡ ✡ ✡

العاهات والحضارة

إن العاهات قد تكون نعماً مستترة . فقد كان في وسع إديسون المخترع أن يسترد سمعه بجراحة وقد حدد ميعاد لها . ولكنه أبى أخيراً أن تجرى الجراحة ، وقال إن صممه يحجب عنه الضوضاء ، ويقيه سماع كثير من الهذر ، فيستطيع أن يكب على عمله ويحصر ذهنه فيه . ومع ما يورثه الصمم من الجزع ، فإن الصم يشهدون بأنه يفضى بهم إلى تنبه عظيم في العقل . ويذهب ألفرد أدلر ، العالم النفسي ، إلى أن الحضارة كلها نتيجة المساعي التي تبذل للتغلب على الشعور بالنقص ، الذي ينشأ عن عاهة تلحق الجسد .

[ألبرت إدورد ويجم]

كيف وجه الوالدون أولادهم إلى المنهج الصحيح فى الحياة ، مفرغاً فى رسائل القراء

علموا أولادكم الحياة

كنت فى طفولتى أضيع وقتاً طويلا فى اختيار حلواى ، ثم أضيع وقتاً أطول بعض الأحيان وأنا أفكر أآكلها أم أحتفظ بها . وذات مرة أخرج جدى ساعته — وكان كثيراً ما يصحبنى إلى دكان الحلوى — وقال لى : إن عليك منذ الآن أن تقطع برأى قبل أن يبدأ عقرب الثوانى دورته التالية .

وبين لى جدى أن الحياة اختيار فى أثر اختيار ، وأن على المرء أن يمضى رأيه مقترناً أبداً بعزم صادق ، على أن لا يأسى على شىء إن أخطأه التوفيق . وفى أول الأمر كانت تمضى ٥٩ ثانية قبل أن يسعفنى النطق بما عزمت عليه . وقد لهونا بما نفعله عدة سنين ، فكانت العاقبة أن نشط عقلى حتى صار فى وسعى أن أبت الرأى من فورى فى كل مهم .

ولعل ما اكتسبته من عزم فى إبرام الأمور يعدل ما اكتسبته من عزم فى التمسك بمبدأ « قضى الأمر ، فلا أسف ولا أسى » .

[جورج جوردون بيتون]

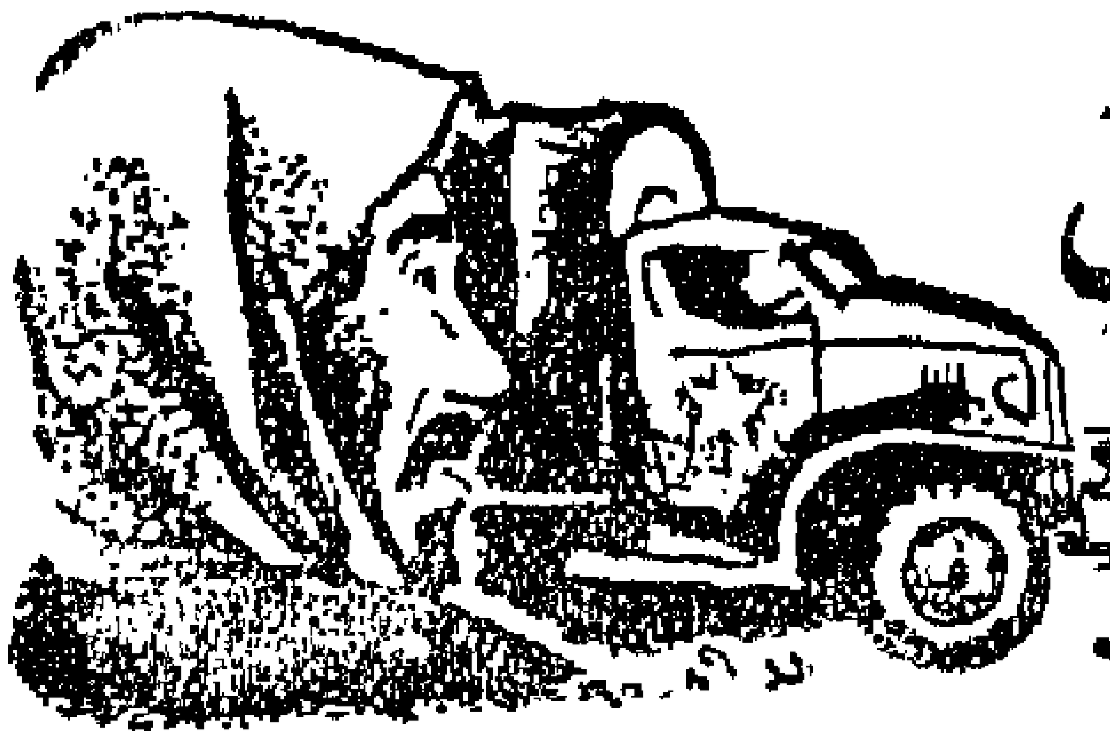
علمنى أبى ، وكان عطوفاً مدبراً ، أن ألهو بأشياء بسيطة . وكان مما أهواه فى طفولتى أن أجمع شرانق الفراش ، وأن أراقب فى الربيع خروج الفراش منها كأنها أزهار . وكان جهادها فى التخلص من سجنها يثير عطفى دائماً . وأتى والدى يوماً ما بمقص وأعمله فى غلاف الحرير المقفل على الفراشة وساعدها على الخلاص . ولكن لم تلبث الفراشة أن ماتت .

قال لى أبى : « إن الجهد الذى تبذله الفراشة يا بنى لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها ، وإذا لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة . وكذلك الناس إذا جهدوا فى سبيل ما يريدون ازدادوا قوة وعزماً ، ولكن إذا واتاهم ما يريدون سهلا طيعاً غلب عليهم الضعف ، ومات منهم شىء جليل الخطر » .

وأرانى اليوم أقدر على احتمال أرزاء الحياة لأن أبى علمنى منذ الصغر تلك الحقيقة البالغة .

[لروى . ف برانت]

« رجال الأعمال الأمريكيون فى ملابس الكاكى يسلمون البضائع إلى روسيا »



عجائب النقل فى إيران

جون ف . شايمان ... ملخصة عن مجلة بيزنس ويك

منذ أسابيع قليلة كانت سيارة نقل من طراز ستوديبكر ، يقودها جاويش أمريكى زنجى ، تجرى خارجة من أحد موانئ الخليج الفارسى المزدحمة متجهة إلى الشمال تقطع الصحراء الإيرانية ميممة شطر روسيا ، ولم يكن هناك ما يميزها عن مائة أو تزيد من سيارات سواها . ولكنها حين انطلقت تزمجر بين أمواج من غبار الصحراء ، تصافح جنرال روسى وآخر أمريكى وابتسما راضيين ، فقد كانت تحمل آخر طن من مليون طن من الذخائر التى أرسلتها أمريكا ، بحكم قانون الإعارة والتأجير ، قاطعة إيران إلى أعظم ميدان حرب فى العالم .

وإنه لعمل ضخم أن تسير حركة النقل بالسيارات مسافة ٨٠٠ ميل فى صحراء محرقة وفى طرق جبلية ملتوية ، على أنه ليس إلا شيئاً من عجائب ما أتته الهندسة . وهناك شىء آخر صار من أعظم أعمال النقل وأروعها ، وهو تجديد الخط الحديدى الوحيد فى إيران : « السكة الحديدية العجيبة المفردة الخط » التى تصل بين الخليج الفارسى وبحر قزوين وروسيا . ومنذ سنة ، لم يكن يصل إلى الجيش الأحمر عن طريق إيران سوى النزر من المؤن . وبعد خمسة أشهر صارت حركة النقل الحديثة بالسيارات وبالسكة الحديدية المجدّدة ، تعادل الضعف من حركة النقل على طريق بورما الشهير فى أكثر شهوره ازدحاماً ، هذا على حين أن القدر قد زاد الآن كثيرا .

وقبل أن يمهد طريق التموين هذا ، كان على الجنود أن يحولوا قرى الصيد على الخليج الفارسى إلى موانئ حديثة حيث تستطيع البواخر ذوات الأحمال الثقيلة أن ترسو الآن . وأنشأوا أيضاً مصانع صغيرة ، ولكنها صورة من مصانع ديترويت الضخمة ، فتركب فيها السيارات والآلات والطائرات التى تجىء مفككة فى صناديق .

وفى مصنع الطائرات أكثر من ألف رجل يتناوبون العمل ليلا ونهاراً ليضمنوا وصول السيل المتدفق من المقاتلات والقاذفات المتوسطة إلى الطيارين الروس . فسيارات النقل من طراز ماك وستوديبكر ودودج

وشفروليه وفورد كلها ينجز تركيبها بمعدل سيارة كل عشر دقائق ، ويتولى ذلك عمال إيرانيون يدربهم الأمريكيون ويشرفون عليهم .

وقيادة حركة الخليج الفارسى مثل ممتاز من أمثلة التضامن الوثيق بين الجيش الأمريكى ورجال الأعمال الأمريكيين . فموظفو هيئة قيادة الماجور جنرال دونالد هـ. كونللى هم ضباط فى الجيش النظامى ، ولكن الضباط من رتبة ماجور وكولونيل الذين يباشرون تفريغ المراكب ، ويشرفون على تركيب سيارات النقل ، ويديرون حركة النقل فى الطرق ، هم مدنيون فى زى الجيش ، قد مرنوا على العمل فى أحواض السفن وحظائر الشحن ، ومحطات النقل بالسيارات فى أنحاء الولايات المتحدة .

ولما جاء المتخصصون فى حركات النقل بالسيارات وجدوا الأمر فوضى . فالمتعهدون الوطنيون ، ولكل منهم عدد ضئيل من السيارات ، كانوا قد عقدوا عقوداً فردية على أن يتولوا جميع أعمال النقل فى طريق إيران الجبلى — ومن ذلك كل ما يرسل إلى روسيا . وأكثر من ذلك أن الطريق فى رمال هذه المفازة الضالة لم يكن إلا مسلكاً ضيقا .

فاستدعى البناءون لينشئوا طريقاً يحتمل سير سيارات ثقيلة ، فصحراء فارس تيه من الرمل ، والماء المسيخ (لا عذب ولا ملح) على عمق قدمين فقط تحت سطح الأرض . فما استطاع أحد أن يتوهم كيف ينشئ طريقاً ثابتاً على مثل هذا الأساس . فجاء المهندسون الإنجليز لشركة الزيت الإنجليزية الإيرانية فتغلبوا على هذه المشكلة باستنباطهم نوعاً من منتجات الزيت نجح فى توثيق الأساس وشد بعضه إلى بعض .

أما الخطوة الثانية فكانت تنظيم خدمة مستمرة من السائقين ليظل عمل السيارات متصلا ليلا ونهارا . ووضع المتخصصون فى حركات النقل بالسيارات نظاماً كاملا لتقسيم هذا الطريق الطويل إلى أشواط ، طول كل منها ما بين ١٥٠ ميلا إلى ١٧٥ ميلا . وفى آخر كل شوط استراحة وعمال للصيانة . فالسائق يقطع شوطه ثم ينزل ليأكل وينام ، ثم يركب سيارة فارغة فيعود بها إلى قاعدته ، أما السيارة التى بدأ بها الشوط — منذ حين — فتفحص فحصاً سريعاً ثم تنطلق على سنتها يقودها سائق جديد .

ولقد كان الجنود الأمريكيون يقودون السيارات بادئ ذى بدء ، ولكن لم يلبث ذلك حتى جاء ضابط أمريكى فأنشأ ثلاث مدارس يتعلم فيها الإيرانيون قيادة السيارات على نهج ما يدرّس للسائقين فى الجيش النظامى ، فيتخرج فيها ١٠٠٠ سائق فى

زمن يتفاوت من أربعة أسابيع إلى ستة . وقد أصبح الآن حوالى نصف سائقى الخدمة المستمرة من الإيرانيين .

والسكة الحديدية الإيرانيـة عجيبة من عجائب الهندسة ، أنشأها الشاه قبل الحرب لتكون ملهاة ملوكية ، ولتغرى السائحين أيضاً . وهى تقطع الصحراء حتى تصل إلى سلسلة ضخمة من الجبال ثم تسلك سبيلا محفوفاً بالمهالك ، مخترقة ٢٣٠ نفقاً على ارتفاع ٧٢٠٠ قدم فوق سطح البحر ، قبل أن تهوى إلى ما تحت مستوى سطح البحر عند بندر شاه ، الميناء الصغير على بحر قزوين .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، حين وصلت طليعـة المتخصصين الأمريكيين فى ملابس الكاكى ، وجدوا أن وسائل نقل العتاد فى الطريق الإيرانى ما هى إلا بضع قاطرات كروب الصغيرة، وسلسلة من العربات ذوات العجلات الأربع والفرامل اليدوية . وكان هناك قطاران للمسافرين كل أسبوع ، وكان الناس يقولون إن المسافر يبلغ أرذل العمر قبل أن يبلغ غايته . أما حركة النقل فكانت تنظمها دائرة تليفونية واحـدة تربط بين طهران والخليج الفارسى ، مما كان يؤدى إلى كثير من التأخير .

فأبرق الأمريكيون إلى وطنهم يطلبون ما يحتاجون إليه من المعدات ليكفلوا تسليم المعدل الشهرى من المهمات الذى وعدت وشنطن أن ترسله إلى موسكو . ولـكن ظل سائقو القطارات الأمريكيون بعد ذلك أربعة أشهر يقودون عرباتهم المثقلة بأحمالها فى صحراء موقدة ، وخلال الأنفاق الجبليـة المفعمة بالدخان . وكان الثلج يمنع المرور أحياناً فـكان عليهم أن يحفروا طريقاً فى خلاله ، ومهما يكن فقد حرصوا على أن تسير عربات الشحن سيراً مستمراً .

وأما اليوم فقد أصبح الخط الحديدى الإيرانى خطاً صالحاً ، يسلـكه يومياً قطاران سريعـان جيئة وذهوباً ، وتقوم عربات الشحن فيه بنقل أكثر من نصف حمولة المؤن التى تنقل إلى روسيا مخترقة إيران . وتعمل فى جر القطر الثقيلة فوق الجبال حوالى ١٠٠ قاطرة من قاطرات الديزل . وهناك عربات شحن من ذوات العجلات الأربع والفرامل الأوتوماتيكيـة . وقد أنشئت إدارة كاملة للتليفون والآلة الكاتبة التلغرافية .

وتصان القطارات دائماً فى حالة جيدة بفضل ورش الإصـلاح الحديثة التى تعمل ليلا ونهارا .

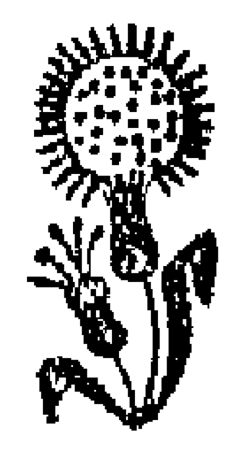
وتكفل إدارة حركة الخليج الفارسى الرعاية الطبية للآلاف من رجال الصيانة وجنود حراسـة الخط الحديدى ، بإعداد

قطارين من قطر المستشفيات ، يحملان من يصيبهم الإعياء الشديد من وقدة الحر ، وقد يبلغ عدد من يصيبهم ذلك ٣٠ رجلا فى اليوم ، ثم يرسلون إلى الاستراحات فوق الجبال ، أما العمال الذين صابتهم الجراح فينقلون إلى المستشفيات . ولقد حوّلت عربتان من عربات الشحن إلى عيادتين للأسنان جهزتا تجهيزاً كاملا .

ولقد رضى الإيرانيون عن إدارة أجنبية مؤقتة للسكة الحديدية ، والولايات المتحدة تدفع الأجر لما تنتفع به ، وتدرب مئات من رجال القطارات وعمال الورش الإيرانيين تدريباً يبلغ درجة سامية من المهارة ، وتهيئ نظاماً للقطارات خيراً من أى نظام عرفته الدولة من قبل . وبالرغم من وفرة البضائع التى تجتاز طرق النقل متدفقة إلى روسيا ، فإن حركة النقل الداخلية قد زادت عما كانت عليه قبل مجيء الأمريكيين .

ولقد بلغت وسائل النقل خلال إيران بالسيارات والقطارات مبلغاً من الكفاية والنظام بحيث صارت الأمداد تتكدس ، أحياناً ، على الحدود الروسية . ولقد اعترف الروس بأنهم كانوا لا يقدرون قدرة الأمريكين على تسليم البضائع حق قدرها .

● زار رفائيل المصور الإيطالى العظيم صديقاً له فلم يجده ، فلم يترك له بطاقة ولكنه رسم « دائرة » على ورقة وخرج ، فعلم صديقه بالزيارة لأن أصدقاء رفائيل كانوا يعلمون أنه دون غيره قادر على رسم دائرة تامة باليد ودون الاستعانة ببركار . [روبرت ماكولن]



● فقد جون جريمشو ويلكنسون ، النباتى الأمريكى ، بصره فى الثالثة والعشرين ولكنه تعلم أن يميز بين الأزهار بمسها بطرف لسانه وكان فى وسعه أن يسمى على الفور خمسة آلاف صنف منها . [المجلة العلمية الأمريكية]

● فى حديث بين فولتير وأحد أصدقائه قال الصديق : إنها لشهامة منك أن تثنى دائماً ثناء طيباً على فلان على حين أنه لا يجد غير الذم إذا ذكرت .

فقال فولتير : لعلّ كلينا مخطئ !

[ادنا سميث فى كتابها « أحس ما أعرف »]

الشخصيات التي لا تنسى :

طبيب في الصين



الدكتور روبرت بيرد ماكلور

كما رواها لوروى والورث

مؤلف "إيمان آبائنا" و "قوس قزح في الظهر" و "عيد العقل" وغيرها

قابلته في سنة ١٩٣٨ أيام كنا نعاني ما نعاني في مستشفانا على جبهة النهر الأصفر ، وكنا نتلقى ثلاث غارات في اليوم على سبيل العقاب ، كما نتلقى ما تحمله القطر من اللاجئين والجرحى من الجنود . ولم يكن ثم مكان في المستشفى لرجل يموت فيه .

وكان عملي يقتضي أن أذهب مرة في الشهر إلى قاعدة الصليب الأحمر ، فأقطع إليها خمسمائة ميل بالسكة الحديدية الكسيحة إلى نهر يانجتسي ، من أجل المؤن والمهمات .

وفي يوم من الأيام ناولني رئيسي برقية تقول : « سأصل اليوم بالطائرة . فأرجو أن تعين لي واجباتي على الجبهة فوراً » .

دونالد

وكنا قد تلقينا أنباء من إنجلترا بأن طبيباً جديداً متطوعاً سيأتي لمعاونتنا .

وقال الرئيس : « إذا كنت تريد هذا الرجل فخذه . فإن قلبي يحدثني أنه يود أن يكون بطلا أو شهيداً ، ومن كان مثله فإنه يثير المتاعب دائماً » .

— « ألا تستطيع أن تذكر لي شيئاً عنه ؟ » .

فقال باكتئاب : « لست أعرف عنه شيئاً ما ، ولكن إليك ما أتصوره ، فهذا طبيب يطير إلينا من إنجلترا فجأة ، ولعله كان ذا عيادة ناجحة في هارلي ستريت ، ولكنه كان يعكف على الشراب . وكانت النتيجة أن ألغيت رخصته ، فأخفق ولم ينتعش من عثرته . وهو الآن يسرع إلى هنا مدفوعاً بعاطفة تتملكه ، ليساعد الصينيين المساكين . وأراهنك على أنه ذو كرش ، وأن أنفه أحمر ، وعينه تسيل » .

ولكني كنت محتاجاً إليه سواء أكان قديساً أم شيطاناً ، فقد كنا مفتقرين إلى كل رجل نستطيع أن نظفر به . ولما وقفت أمام الطائرة لم يخرج منها أحد يصدق عليه وصف الرئيس ، ثم أقبل عليّ شاب يبلغ

طوله ست أقدام وأربع بوصات وقال بنبرة إنجليزية بينة : « اسمع يا صاحبى . هل يمكن أن تكون من الصليب الأحمر ؟ » . وكان هذا هو دونالد، وكان يبدو وضاحاً وضيئاً كالصباح فى إنجلترا . ولكنى كنت أدرك أن من يقطع مثل هذه المسافة طائراً لابد أن يشعر أنه كالكرنبة الذابلة . فقلت مقترحاً إنه قد يحتاج إلى الراحة يومين ، فسدّد عينيه إلىّ ، كالمأخوذ ، وقال إنه يشعر أنه على أحسن حال ، وسأل : ألا نستطيع أن نمضى من ساعتنا ؟

وفى رحلة الإياب بالقطار ، وهى تستغرق أربعة أيام ، أتعبنى وأرهقنى كأنه ماء مجتمع فى جلدة الإصبع ، وكان يتكلم كأنه ممثل هزلى إنجليزى ، وكان يخيل إلىّ أنه ليس شخصاً له وجود حقيقى فى الحياة . ومع ذلك هذا هو ، يسحُّ بالكلام عن البلاجرا ، وتسمم الدم ، وعن ميدان بيكاديللى فى الضباب بالليل ، فى نفَس واحد . وكان يلغط أيضاً بحكم وأمثال مما يوجد فى الكتب المدرسية مثل وجوب التزام الحق والعدل ، وان الظلام أحلك ما يكون قبل الفجر . فحدثت نفسى أنه على الراجح مخبول وإن كانت عيناه قد حيرتانى .

وفى عصر اليوم الثانى أغارت علينا الطائرات اليابانية ، فقلت لنفسى إنه ينخلع قلبه من الخوف الآن فينكب ويتقبض ، ولكن لما وقف القطار تعبت من محاولة إفهامه أنه ليس من الجبن أن يختبئ المرء ويحتمى . حتى حين كانت السماء تزأر فيها الطائرات ، كان لا ينفك يقول إنه « يريد أن يتفرج ويرى العدو عن كثب » . وأخيراً وافق ، وهو يتذمر ، على أن يحتمى بحفر هناك على جانب السكة الحديدية . ولما عدنا إلى القطار قال إنه ليس من الشهامة أن يضرب اليابانيون بمدافعهم الرشاشة أناساً لا يملكون سلاحاً ، وأن من حسن الحظ أننا هنا لمكافحة هذا النوع من الشر ، فلم أزد على أن زمت نفوراً منه ومما يلهج به من الكلام الغث المبتذل . فما كنت أشعر بحسن حظ فى ذلك الوقت .

وكنا فى المستشفى يغص بنا الكوخ الذى يقتسمه العزاب من الأطباء ، وكنا متعبين مرهقين طول الوقت ، تقوم بأعمال الجراحة من الثامنة صباحاً إلى الثامنة مساء ، وكنا ننهض صباحاً فى آخر لحظة ممكنة ، لنعمل ، ولا نعنى بمظهرنا . ولكن دونالد لم يكن كذلك ، فقد كان ينهض فى الساعة السادسة كل صباح ويؤدى بعض التدريبات الرياضية ، ولما سألناه لماذا يفعل ذلك . بدت عليه الدهشة وقال إن على المرء أن يحتفظ بقوته وصلاح بدنه . وكنا نحلق أذقاننا كل

ثلاثة أيام مرة ، إذا تيسر ، ولكن دونالد كان يحلق ذقنه كل صباح ثم يصقل حذاءيه حتى يحيلهما كالمرآتين ويرتدى سترته الزاهية وبنطلونه الرمادى ، ورباط الرقبة المدرسى.

وقلت له ذات يوم : « اسمع . ما خير أن تصقل حـذاءيك ولعلك بعد نصف ساعة ستقف فى خنـدق وتغوص فى الوحل إلى ركبتيك ؟ » .

فقال : « ان المرء يفعل ذلك بحكم العادة كما تعلم » — قال ذلك بلهجة من كأنه يخبرنى أن الأرض كروية .

فقلت محتجاً : « ولكن رباط الرقبة المدرسى ! ونحن فى كل هذا الوحل » .

— « إنه بضعة من وطنى ياصاحبى » .

وخلنا دونالد مائقاً حتى تبينا أنه طبيب حاذق ، فما من شئ جربناه فيه إلا كان من الطراز الأول . وكانت عينـه ثابتة ويده وثيقة ، وكان نظّاراً مدققاً وسريعاً فى حرفة الجراحة . وكان من أول ما عرض له من الحالات ، غـلام صينى فى نحو الخامسة عشرة من عمره أتت قنبلة محرقة على كلتا ساقيه ، وسَدَّرَ منها بصره وقد نفضنا جميعاً أيدينا منه يائسين ، إلا دونالد فقد كانت نكبة الفلاح تحدياً له ، فكان كل ليلة ، بعد أن ينتهى من عمله الذى يدوم اثنتى عشرة ساعة ، يرتد إلى المستشفى لينظر هل يحتاج الصغير إلى عقار أو حقنة أخرى من المورفين . فإذا انطلقت صفارات الإنذار بغارة جوية ، حمل الفلاح الأعشى المسلوب الساقين إلى خندق ، ولم تكن ثم فائدة من سؤاله عن السبب فى هـذا الذى يصنعه ، فقد كان خليقاً أن يقذفنا بمثل من أمثاله المزعجة عن حماية القوى للضعيف . وبرئ « الصغير » ونجا .

وكان هـذا سلوكه أيضـاً مع الذين يجودون بأرواحهم . وكانوا كثراً عندنا . وكنا إذا تدفق علينا الجرحى بعد غارة جوية لا نستطيع أن نعالجهم جميعاً ، وكان الذين لا يرجى لهم شفاء ، يتركون على التل خلف المستشفى . وقد يبـدو أن هـذه قسوة ، ولكن هذا كان خير ما نستطيع أن نفعل . وكنا إذا لم نجد دونالد فى فراشه فى بعض الليالى ، نعلم أنه قد خرج إلى التل ليكون مع الذين يموتون ، ومع أنه كان ولا شك يشتكى عظامـه من فرط التعب ، إلا أنه كان يقضى ساعات معهم فى الظلام يقلبهم على ظهورهم أو جنوبهم ليكون رقادهم أجلب للراحة ، أو يصنع ما يسـتطيع بالضمادات والأغطية. على أنه ما كان يعزيهم مثل وجوده بينهم .

ولم نكن نستطيع أن نفهم دونالد حق الفهم . فقـد كان يفعل الواجب وزيادة ، كأنما هذه الزيادة هى الشئ الطبيعى . وكان

كل جراحينا مهرة ، ولكنا صرنا نكل أصعب المهمات إلى دونالد ولم يكن ذلك من أجل براعته ، وإنما كان مرجعه إلى أن للرجل صفات خفية كانت تبدو كأنها هى تحدث الفرق بين الحياة والموت فى الحالات الخطرة .

وكان دائماً ساكناً هادئاً كأنه الماء المثلوج واتفق أن وقعت علينا غارة بالغة العنف فسألته أليس خائفاً ؟ فقال بصوت عادى : « إن الأمر هكذا — إذا كان شر ما يخشى المرء أن يكون ، فإنهم لا يستطيعون أن ينزلوا بنا أكثر من الموت . فإذا كان المرء يصنع دائماً ما هو خليق به فإنه لا ينبغى أن يخاف من الموت ، أليس كذلك ؟ »

وأتكلم عن نفسى فأقول إنى أعرف واحداً كان كثيراً ما يخاف حين كانت تسقط القنابل ! ونظرت إليه ، فعرفت أن فيه شيئاً ليس لى مثله . ولوددت أن أعرف ما هذا الشىء ! وكان هذا ما يحسه الصينيون أيضاً . فأطلقوا عليه اسماً صينياً معناه « النفس النبيلة » فإذا سألتهم لماذا ؟ هزوا رءوسهم ، لأنهم هم أيضاً ما كانوا يعرفون .

وكانت الأوامر الصادرة إلينا نحن الأطباء أن نلجأ حين تقع غارة جوية إلى خنادق محفورة فى أرض المستشفى . فقد كان المفروض أن لحياتنا قيمة ، وكان علينا أن نستعد لسيل الجرحى بعد ذلك .

ووقعت علينا ذات صباح غارة شديدة ، وسقطت ثمانى عشرة قنبلة فى منطقة المستشفى ، وأصيب بعض خنادقنا وانهدم ، فبادرنا إليها نعيد حفرها ، فقد علمتنا التجربة أنه لن يبقى أحد ممن فيها حياً بعد سبع دقائق . وأخرجنا الجميع ، ولكنا لم نجد دونالد ولم نعثر له على أثر . وقال بعضهم : « إنكم تعلمون حق العلم أن دونالد لا يمكن أن يكون هنا ، بل فى جناحه — فوق » .

وكان جناح دونالد مفرداً لكسور الفخذ ، وكنا لا نستطيع أن نهبط بهؤلاء المكسورين إلى الخنادق عند ما كانت تقع غارة . وقد أخبرناهم بذلك ، وكانوا يعلمون أن عليهم أن يسلموا أمرهم لقضاء الحظ فيهم ، وكانوا فى الطبقة الثانية من بناء متداع ، ولم يكن مفروضاً أن يبقى معهم أحد من رجال المستشفى فى أثناء الغارات ، وكل ما كنا نصنعه هو أن نفعل كل ما هو خليق أن يريح هؤلاء المساكين ثم ندعهم للمقادير .

ولما صعدنا وجدنا دونالد واقفاً فى وسط الجناح وظهره إلى عمود من الخشب ، وكانت النوافذ قد تحطمت كلها ، وانغرست شظايا طويلة من الزجاج فى ذلك العمود بجانب رأسه ، فأخطأته بمقدار بوصة ولولا ذلك لعصفت به . وكانت قطعة كبيرة من الجص قد سقطت على رأسه وانكسرت وبقى

شقاها على كتفيه وأخبرنا المرضى بعد ذلك أنه لم يتحرك قط ، وإنما ظل واقفاً حيث هو ، ويداه ممـدودتان وهو يقول ، ويكرر : « لا تخافوا ولا تراعوا يا أولاد ! ليس لهذا قيمة ، وليس فى الأمر مايزعج أو يقلق » .

وكان الهدوء التام ضروريًّا لهؤلاء المرضى ، لأنهم إذا فزعوا وغيروا أوضاعهم فجأة ، فقد يؤخر ذلك شفاءهم أسابيع ، وقد يستدعى الأمر بتر الساق . وكان الفزع قد شاع فى كل جناح آخر . أما فى جناح دونالد فإن الأمر لم يحتج إلى إعادة جبر عظمة واحدة .

وقال لى أحـد تراجمتنا فى تلك الليلة : « إن هذا لمدعاة للعجب ! فما من واحد من هؤلاء المرضى يفهم الإنجليزية . ولـكنهم فهموه ! وقد قالوا لى جميعاً كلاماً واحداً لا يختلف . قالوا : « الطبيب الـكبير يؤمن ، ونحن أيضاً نؤمن » .

ففتح ذلك عينىّ . فقد أوتى دونالد ما لم نؤته . ذلك أنه كان فعـلا يؤمن بحكمه وأمثاله . وكانت كأنها بعض ما يتألف منها كيانه ، فهو يفعل مايشعر أنه الصواب والحق . وكانت مثله العليا هى عاداته ، وكان فيه ما هو أكبر وأجل من العطف والشجاعة — الإيمان . فنحن كثيراً ما نـكون فى الظلام نتحسس على حين يروح ويجئ دونالد فى نور بين لا تخالطه ظلمة ، ولشد ما تمنينا أن نفعل ذلك ولعل المرء لا يستطيع ذلك إلا إذا راض نفسه على الإيمان ، وعلى أن يفعل الحق والواجب بمثل البساطة التى تدير بها وجهك إلى الشمس فى صباح جميل من الربيع .

وتبينا أن دونالد تخرج فى مدرسة من خير المدارس الطبية فى إنجلترا ، وأنه كان من أطباء مستشفى شهير ، وكان يسعه أن يبقى فى وطنه ، وأن تظل له عيادة ناجحة ، ولـكن هذا لم يقنعه ، فجاء إلى الصين ليؤدى واجبه ضد الخسة والنذالة فى هذه الرقعة من الأرض .

وبعـد بضعة أسابيع من هـذه الغارة الـكبيرة اضطررت أن أعود إلى إنجلترا ، لجمع اكتتابات لعملنا ، فذهبت فى يوم سـحرى ، لتوديع دونالد ، وكان يطوف طوافه وحول عنقه الربطة المدرسية القديمة ، فقلت له إنه هو الذى كان حقيقاً بأن يعود إلى إنجلترا لأنه يعرف كثيرين فيها .

فقال « لا تقلق ، فلن تجد أية صعوبة فى جمع التبرعات . وكل ما عليك أن تفعله هو أن تخبر الناس هناك بالأحوال هنا وبما نصنع ، فيقبلون ملبين نداءك . إنهم من عشيرتنا وقومنا ، فهم يعرفون الواجب عليهم » .

بابا ينسى

و. لفنجستون لارند

اسمع يابنى ! إنى أحدثك وأنت راقد ، وإحدى كفيك الصغيرتين تحت خدك ، وخصلك الشقراء لاصقة بجبينك الندى . وقد تسللت إلى غرفتك وحدى ، فقد غمرتنى وطغت على موجة من الندم منذ دقائق قليلة وأنا قاعد فى مكتبتى أقرأ جريدتى . فدلفت إلى سريرك وأنا مدرك لما بدر منى .

وهذا ما كنت أفكر فيه يابنى : لقد كنت فظا معك ، فأنبتك وأنت ترتدى ثيابك لتذهب إلى المدرسة لأنك اكتفيت من غسل وجهك بمسحه بالفوطة ، وعنفتك لأنك لم تنظف حذاءيك ، وصحت غاضباً لأنك رميت بعض أشيائك على الأرض .

وأحصيت عليك أخطاءك أيضاً وأنت تفطر ، فقد كنت تنثر مما تأكل ، وتلقم طعامك وتزدرده بغير مضغ ، وتضع كوعك على المائدة ، وتستكثر من الزبد على الخبز وتسرف فيه . ولما ذهبت لتلعب ، ونهضت أنا لأدرك قطارى ، درت ولوحت بيدك وصحت « مع السلامة يا أبى » فقطبت وقلت أجيبك : « أبرز صدرك ورد كتفيك إلى الوراء » .

ثم تكرر هذا كله فى العصر . فقد لمحتك وأنا مقبل على الطريق ، جاثياً على ركبتيك تلعب « البلى » وكانت فى جوربيك ثقوب ، فأذللتك على مرأى من أترابك الغلمان ، وسقتك أمامى إلى البيت . فإن الجوارب غالية ، ولو كنت أنت تشتريها لكنت أكثر عناية بها . تصور هذا من والد ، يابنى !

وهل تذكر ، بعد ذلك ، وأنا جالس أطالع فى المكتبة ، كيف دخلت على متهيباً وفى عينيك نظرة تنم على الألم ؟ ورفعت وجهى عن الصحيفة ونظرت إليك ، وقد أضجرتنى هذه المقاطعة ، فترددت عند الباب وسألتك بحدة : « ماذا تبغى ؟ »

فلم تقل شيئاً ، واندفعت تعدو إلى وطوقت عنقى بذراعيك ، وقبلتنى ، وشدت على ذراعاك الصغيرتان شدة الحب الذى غرسه الله منوراً مزهراً فى قلبك ، والذى لا يذويه ويذبله حتى الإهمال . ثم مضيت عنى وذهبت تدب على السلم .

بعد ذلك بقليل يابنى ، تفلتت الصحيفة من يدى وعرانى خوف فظيع أليم . ماذا صنعت بى « العادة » وإلى أى شىء أصارتنى ؟ عادة عد العيوب والتأنيب عليها — وهذا ما أجزيك به لأنك غلام ! ولم يكن هذا منى لأنى لا أحبك ، بل لأنى طالبت الشباب

بأكثر من مقدوري، وجعلت أقيسك بمقياس سني وتجربتي.

وإن فيك لكثيراً من الخير ومروءة النفس وصدق السريرة ونقاء المعدن، وإن قلبك الصغير لكبير كالفجر الطالع على التلال الواسعة وآية ذلك مطاوعتك ما حفزك من نفسك واندفاعك إليّ وتقبيلي قبيل النوم. ولا شيء له قيمة سوى ذلك في هذه الليلة يابني! ولقد جئت إلى سريرك في الظلام، وركعت بجانبه خجلا.

وما أقل هذا التكفير وأضعفه! وإني لأعلم أنك خليق أن لا تدرك هذه الأشياء إذا حدثتك بها في ساعات يقظتك، ولكني غداً سأكون أباً حقيقيا وأقوم سبيلا وسأكون صديقك وأتألم حين تتألم، وأضحك حين تضحك. وسأعض لساني حين يهم بألفاظ الضجر وقلة الصبر وسأظل أقول لنفسي — كأني ألهج بورد — «إنه ليس إلا غلاماً — غلاماً صغيراً!»

وما أظن بي إلا أني كنت أتمثلك رجلا. ولكني الآن وأنا أراك متجمعاً في رقدتك ومتعباً على سريرك، أدرك أنك ما زلت طفلا، وقد كنت أمس فقط على ذراعي أمك، ورأسك على كتفها. ألا لقد أسرفت عليك في الطلب — أسرفت جدا.

[«بابا ينسى» إحدى تلك القطع التي تثير صدى في نفوس كثيرين من القراء، لأنها كتبت بوحي من الشعور الصادق. فلا يزال يعاد طبعها على الدوام. وقد بعث إلينا كثيرون من المشتركين بقصاصات منها وألحوا علينا أن ننشرها في الريدرز دايجست. ويقول الكاتب إنها مذ ظهرت أول مرة قبل خمسة عشر عاماً لم تزل يعاد نشرها «في مئات من المجلات والصحف المنزلية والجرائد في طول البلاد وعرضها. ونقلت، في مثل هذا النطاق الواسع تقريباً، بلغات أجنبية عدة. وقد منحت إذناً شخصيا لآلاف رغبوا في تلاوتها في المدارس ومن فوق أعواد المنابر في الكنيسة وحجرات المحاضرة. وأذيعت بالراديو في مناسبات يخطئها العد، واشتملت عليها برامج عديدة ومن الغريب أن مجلات الجامعات والمدارس العالية انتفعت بها. ويحدث أحياناً أن تصيب قطعة صغيرة توفيقاً لسبب ما، وقد فازت هذه بالتوفيق ولا شك»].

لجان كريستيان سمطس وهو فى الثالثة والسبعين مكانة عالية وسطوة فذة

شيخ ساسة جنوب أفريقية

نويل ف . بوش

ملخصة عن مجلة لايف



جان كريستيان سمطس ، رئيس وزارة اتحاد جنوب أفريقية ، وأحد الرجال البارزين فى عالم المجهود الحربى للأمم المتحدة ، شيخ رشيق ، وردى البشرة ، فى الثالثة والسبعين من عمره ، ذو لحية مدببة بيضاء ، وهو يعيش فى بيت من الصاج على بعد عشرة أميال من بريتوريا ، عاصمة بلاده .

ودار سمطس قصر فريد تحيط به الحشائش المهملة ، ويغص بأسنان الفيلة ، وكثير من النوافل ، والكتب ومجموعات الطوابع النادرة ، وبقايا قديمة من قضبان السكك الحديدية . وكان قد اشترى هذه الدار قديمة بمبلغ ١٥٠٠ دولار سنة ١٩٠٦ ، وكانت تستعمل قبل ذلك لإيواء الضباط البريطانيين فى حرب البوير ، ثم أمر بنقلها قطعة قطعة من مكانها فى إحدى المدن القريبة .

وهذه الطريقة التى اتخذها سمطس فى الحصول على داره تعد مثالا لأخلاقه . والحق أن حياته كلها كانت جمعاً لمستعمل الأشياء وجعلها وحدة قائمة صالحة ، بل إن شغله الشاغل اليوم ، وهو الحيلولة دون تفكك العالم عامة وجامعة الأمم البريطانية خاصة ، إنما هو عمل يطابق المبادئ التى اعتنقها طول حياته .

فى مطلع الحرب العالمية الثانية ، لم يكن سمطس قد أدرك حتى رياسة الوزارة فى جنوب أفريقية . وعلى الرغم من ذلك ، بل برغم الحقيقة الواقعة وهى أن نصف الناخبين تقريباً كانوا يريدون الحياد — إن لم يكن نصر ألمانيا — فقد أفلح سمطس بعد أمد قصير فى إشراك بلاده فى الحرب . وأسفرت هذه الحركة عن توفيق كبير ، فقد تطوع للجيش خمسة عشر فى المائة من الرجال البيض فى جنوب أفريقية ، كما تعاون السكان الأصليون فى هذا السبيل تعاوناً مدهشاً ، ويبلغ تعدادهم ثمانية ملايين ، بل إن نصف مليون منهم — وهم البوير المتعصبون الذين يعدّون كلا الحربين فرصة هبطت من السماء لمتابعة كفاحهم ضد البريطانيين

فى سبيل الاستقلال — حتى هؤلاء أصبحوا أقل ضرراً مما كانوا فى الحرب العالمية الأولى.

وقد اخترع سمطس فى خطاب مشهور سنة ١٩١٧ عبارة « الكومنولث » أى جامعة الأمم ، وهو التعبير الذى أصبح الآن يطلق رسمياً على الإمبراطورية البريطانية ، وما زال يعتقد إلى اليوم أن « الكومنولث » خير نظام للعالم ، إذا لم يتيسر إنشاء عصبة أمم حقيقية عاملة .

ولما زار لندن فى نوفمبر الماضى حضر اجتماعاً لممثلى جامعة الأمم البريطانية ، وتباحث فى شأن الخطط الحربية مع صديقه ونستون تشرشل ، وكذلك ألقى خطاباً بليغاً عن أغراض « الكومنولث » ومقاصدها الطيبة . واشترك فى اجتماعات وزارة الحرب ، وقال للصحفيين إنه يعتقد أن الحرب ستنتهى فى سنة ١٩٤٤ ، ولكن أعنف معاركها لم تنشب بعد . وزار قيادة قاذفات القنابل وطائرات القتال زيارة تفتيش وطوى الليل ساهراً يشهد أعمالها الحربية . ومثل هذا الجهد لا يضنى سمطس بل يجدد روحه ويزيده تحفزاً لكل جديد يثير الاهتمام .

وقد ولد سمطس وترعرع فى مزرعة كبيرة لأبيه فى قرية من قرى الكاب وهى مالمزبرى ، وهو ينحدر من أصل بويرى . وبلغ من جهله بما كان التاريخ يدخره له أنه تردد قبل أن يذهب إلى كلية فكتوريا فى ستيلنبوش ، وكتب خطاباً إلى المسجل يقول فيه إنه يخشى أن تفسده بيئة الكلية .

على أن مخاوفه تبددت وانهارت من الأساس ، فسرعان ما لقى خير المؤثرات وأرسخها فى تاريخ حياته — وهى « سيبلا مرجريتا كرايج » زوجته فى المستقبل ، وقد كانت أسرتها تقيم فى دار مقابلة لمسكنه . واستطاع سمطس بتشجيع « سيبلا » أن يتغلب على نفوره وفتوره حتى أصبح أبرز الأعضاء فى نادى المناظرات. ولما خطب سسل رودز الطلبة ، وهو إذ ذاك فى قمة مجده بين بناة الإمبراطورية ، وقع الاختيار على سمطس لارتجال خطبة فى الرد عليه . فما إن فرغ سمطس من خطبته حتى قال رودز : « إن هذا الشاب الأشقر سيبلغ بنفسه مدى بعيداً » .

وقد كان ، فقد أحرز جائزة للدراسة فى جامعة كمبردج ، واجتاز عامى الحقوق فى عام واحد ، ثم عاد إلى مدينة الرأس ، فتتلمذ فى السياسة على رودز ، الذى أصبح هدفه الأكبر توحيد جنوب أفريقية — وكانت إذ ذاك تتكون من مستعمرة الرأس ، وناتال ، ودولة أورانج الحرة ، وجمهورية الترنسفال . وكانت الترنسفال معقل البوير

الذين ينحدرون من المستعمرين الهولنديين الأصليين فى جنوب أفريقية .

وبعد انقضاء بضعة أسابيع على إلقاء خطبة رائعة دافع فيها سمطس عن مشروع رودز لتوحيد جنوب أفريقية بالوسائل السلمية ، تكشف الستار عن صلة رودز بحملة جيمسون ، وهى محاولة فاضحة لتوحيد البلاد بانقلاب مسلح أسىء تدبيره ، فما لبث سمطس أن تنكر لرودز وانضوى تحت لواء بول كروجر ، رئيس جمهورية الترنسفال المِرّس العنيد .

ولما جعلت حرب البوير جنوب أفريقية موضع اهتمام العالم ذاع صيت سمطس جنديا ، وكذلك بدأت صلته بالشاب ونستن تشرشل ، ولم يكن يومئذ إلا مراسلا من المراسلين الحربيين .

وانقسم جيش البوير إلى وحدات تسمى كل منها « كوماندو » ، وهو الاسم الذى استعاره تشرشل أخيراً — لأسباب منها الدعاية لجنوب أفريقية — وأطلقه على أجرإ قوات الهجوم المشترك براً وبحراً فى الحرب الحاضرة . وعهد إلى سمطس فى إحدى هذه الوحدات — وكان كل ما أحرز من خبرة حربية سابقة يرجع إلى تدريبه وهو جندى فى فرقة التدريب العسكرى لتلاميذ ستيلنبوش — فإذا به ينال نجاحاً هائلا .

وراحت فرقته المهلهلة الملابس ، وتعدادها ثلاثمائة رجل تطوف نحو ألف ميل فى أرجاء البلاد ، وتهاجم الوحدات البريطانية طلباً للسلاح أو الذخيرة أو الخيل ، وتجمع حولها جموع المتطوعين على طول الطريق . فلما وضعت الحرب أوزارها كان عدد فرقته قد ازداد إلى ثلاثة آلاف ، وزاد وزن سمطس ٣٠ رطلا ، كما ازداد شغفاً جديداً بالقيادة ، وكسب مقاماً عالياً خالداً بين أبطال الوطن .

وأصبح سمطس عضواً فى أول وزارة للترنسفال ، وهى التى ألفها قائد البوير لويس بوثا . وكان هو وبوثا ، على نقيض معظم رجال البوير ، يرون الصلح الذى تم صلحاً عادلا جداً . ولما تألف الاتحاد فى سنة ١٩١٠ أدار الرجلان شئون أفريقية الجنوبية طوال السنوات العشر التالية ، ثم تولاها بعد ذلك سمطس بمفرده .

وفى خلال الحرب الأوروبية الأولى امتاز سمطس بما قدم من معونة لبوثا فى إخماد عصيان ضد البريطانيين كان يهدد جنوب أفريقية بالانقسام . ثم قاد بمهارة وحذق حركة تطهير ضد جيش ألمانى مشاغب فى غابات أفريقية الشرقية . فأثار ذلك الإعجاب به والمحبة له فى لندن ، حيث كانت الحكومة فى أشد الحاجة إلى معونة ذوى

الخبرة فى الحركات الحربيـــة ، فقررت أن تستشيره . وذهب سمطس إلى إنجلترا فأبى قيادة الجيش البريطانى فى فلسطين ، واشترك فى وزارة الحرب ، وساعد على تنظيم القوة التى سميت فيما بعد «سلاح الطيران الملكى» .

وفى مؤتمر السلام كتب سمطس رسالة وصف فيها مشروعاً لإنشاء عصبة للأمم ، فوقع عليها نظر وودرو ولسون ، وكان يحاول أن يضع مشروعه هو على هذا النمط نفسه ، فاستعار ولسون مشروع سمطس بنصــه وفصه ، وقضــه وقضيضه . وأدرك سمطس قيمة الكسب الأدبى من اقتراح العصبة على يد ولسون لا على يده هو ، فآثر أن يتراجع ويبقى فى المؤخرة . ولكن سمطس كان يريد مع العصبة معاهدة سخية ، كمعاهدة حرب البوير التى نجحت ذلك النجاح ، فلما خيبت النتائج آماله خيبة مريرة عاد إلى جنوب أفريقية .

وشـئون السياسة فى جنوب أفريقيـــة شديدة الاضطراب ، فى سنة ١٩٢٤ أحل الناخبون الجنرال هرتزوج عدو بريطانيا محل سمطس . ولما أعلنت إنجلترا الحرب فى سنة ١٩٣٩ قدم هرتزوج إلى البرلمان اقتراحاً بأن تقنع جنوب أفريقيـــة بالدفاع عن القــاعدة البحرية البريطانيـــة فى سيمونزتون ، تنفيذاً لاتفاق ينص على ذلك . فاقترح سمطس تعـــديلا يقضى بأن تدخل جنوب أفريقيـــة كلها الحرب ، ووافق المجلس على التعديل بأغلبية ضئيلة . فطلب الحاكم العام إلى سمطس أن يؤلف الوزارة تمشياً مع التقاليد الدستورية ، ففعل وأشرك البلاد فى الحرب .

فى سنة ١٩١٤ لم يكن بد من استعمال القوة لقمع معارضة البوير فى دخول الحرب ، أما فى ســنة ١٩٣٩ فقد استبعد سمطس مثل ذلك الاحتمال بأن طلب إلى من تكون فى حوزته أسلحة أن يبيعها للحكومة ، وهدد الذين لا يفعلون بغرامة فادحة . وبهذه الوسيلة حصل على سبعين ألف بندقية صيد ممتازة معدة للتوزيع على جيش جنوب أفريقيـــة الذى كان فى حكم المعدوم .

وقد كان من شأن التجنيد الإجبارى أن يملأ صفوف الجيش بعناصر معادية للبريطانيين ، فاتخذ سمطس وسـيلة ناجعة لاستبعاد هذه العناصر . وذلك بأن طلب إلى المتطوعين أن يتنازلوا عن حقهم الدستورى فى الخدمة العسكرية داخل جنوب أفريقية وحدها ، ولم يقبل فى الجيش إلا الذين نزلوا عن هذا الحق . ولما كانت العناصر الموالية لبريطانيـــة لا تقل حماسة عن خصومهـا ، فسرعان ما وجد أمامه عـــدداً ضخما من المتطوعين .

ويقسم سمطس وقته بين إدارة شئون جنوب أفريقية ، والرحلة إلى لندن لمباحثة أقطاب الحكومة البريطانية والتمتع بما يعنيه من علم النبات وعلم الحياة . وقد وجده سكرتيره منذ بضعة أشهر مكباً فى ركن مكتبه على صرصور يفحصه ، إذ تبين فى صريره نغمة صوتية تميل به إلى أن ينسبه إلى نوع غريب غير معروف . وقد أرسله إلى مكتب الزراعة لفحصه وتحديد نوعه .

أما علمه بالنبات فهو إخصائى فى الحشائش . والكلأ الجيد فى مراعى جنوب أفريقية التى لا تحميها الأسوار ، لا يطيب أكله عادة إلا قبل أن تنفطر بذوره ، فلذلك غلب عليه الكلأ الردىء . ولكن سمطس وجد نوعاً يسمى الآن — ديجتاريا سمطسى — يحتمل القضم جيداً ، وينمو بكثرة وغزارة حول مجارى الأنهار . ولديه خمسون صنفاً مختلفاً من الكلأ فى مرعى خلف داره ، وهو يرجو أن يستنبت نوعاً خاصاً يحتمل شمس البلاد الحامية وفترات جفافها المتوالية .

وتعد دار سمطس متواضعة إذا قيست بدور أكثر عظماء العالم ، ولكن حولها ٦٠٠٠ فدان من الأرض الطيبة ، ونصف مليون شجرة زرعها سمطس نفسه للانتفاع بها فى خشب المناجم وتجميل المناظر . وتدير المنزل مسز سمطس التى فرضت منذ زمن طويل قاعدة تقضى بأن كل سيدة أو فتاة تقضى الليل فى هذه الدار يجب أن تعد فراشها بنفسها . ومعظم أبناء سمطس الستة وأحفاده الستة عشر يجتمعون فى الدار كالذباب حول آنية العسل . وتعد حفلات الشاى بعد ظهر الأحد — حيث تجتمع الأسرة ومعها عدد من الملوك والأمراء اللاجئين ، والسياسيين ورجال السلك السياسى ومشاهير المسافرين — مظهراً ممتازاً لايجارى . وتصب مسز سمطس الشاى من مائدة مغطاة بالمشمع فى رواق قريب من المطبخ .

ويحس سمطس ، كمعظم البوير ، أنه أرفع نفساً من أن يحتاج إلى التبجح والدعوى الفارغة . وهو على أنه مستشار قريب إلى قلب ونستن تشرشل ، قد يلعب دوراً هاماً فى وضع الصلح ، فإذا حدث ذلك فإن السلم سيكون على الأرجح قائماً على أساس سليم .

✲ ✲ ✲ ✲

● تزوَّج يابنى ! تزوَّج ! فإذا ظفرت بزوج فاضلة فأنت رجل سعيد . وإذا كانت غير فاضلة صرت فيلسوفاً ، وهذا نعمة لكل رجل. [سقراط]

« وأخيراً — تستطيع أن تطمع فى سفر البحر والهواء بعد الحرب وأنت آمن »

كندا تقهر دوار البحر

هارلند مانشستر

ملخصة عن مجلة تورنتوستار



فى يوم من أيام أغسطس الماضى أبحر جماعة من الأطباء الكنديين من ميناء هاليفاكس فى نقالة جنود ، وهم يتمنون أن يلاقوا فى المحيط الأطلسى الشمالى أشدّ عاصفة يأتى بها .

وقسم ركاب السفينة من بحارة وطيارين كنديين وجنود أمريكيين أثلاثاً ، أعطى الثلث الأول منهم حبّة وردية اللون ، وأعطى الثلث الثانى حبة تشبه الأولى شكلا وإن لم تكن منها فى شىء ، ولم يعط الثلث الأخير شيئاً على الإطلاق .

وأقلعت السفينة فى عاصفة فاقت أمنية المتمنى ، فاندفع الرجال أفواجاً إلى سياج السفينة يقيئون ، فما تغثى نفس أحد منهم ويدركه شحوب الدوار ، إلا أحصى فى سجلات الأطباء . فلما ألقت السفينة مراسيها فى نيوفوندلاند غادرها الأطباء راضين ، ذلك انهم وجدوا لدوار البحر دواء .

وقد امتحن الدواء منذ هذا اليوم فى حوالى ٣٥٠٠ رجل ، فلم يصب بالدوار الا خمسة فى المائة من أولئك الذين تعاطوا الحبوب الوردية ، فى حين غلب الدوار على ٣٠ فى المائة ممن لم يتعاطوا شيئاً ما ، أما أولئك الذين ابتلعوا الحبوب الزائفة التى ملئت بسكر اللبن ، (والتى اتخذت لحصر المتأثرين بالإيحاء النفسانى) ، فإن ١٣ فى المائة منهم أخذهم الدوار .

إن هذا الاستكشاف يعدّ بشرى لكل امرىء ركب البحر يوماً ما ، وهو انتصار عسكرى عند القواد الذين يتولون إنزال الجنود إلى البر . فالمصاب بدوار البحر يتمنى لو أن الموت عاجله ، ولقد يغلبه العجز حتى يشق عليه أن يثب إلى الأرض من سفينة ضارباً بالنار ، مقتحماً طريقه إلى الأمام . وما أكثر ما حيل بين جماعات الكوماندو وبين البر وقد أشرفوا عليه ، لأن الموج المتلاطم جعلهم ضعافاً عاجزين .

وفى بعض الزوارق التى أقلت جيوش الحلفاء إلى صقلية ارتفعت نسبة الإصابات بدوار البحر إلى ٧٥ فى المائة . فإذا نظرنا

إلى الجبهة الثانية التى تعدُّ الآن ، فتعبر إليها البحر جموع حاشدة من المشاة ، فإن حبوب كندا الوردية قد تضارع من حيث قيمتها العسكرية عدة فرق من الجنود .

لقد ظل نحو خمسين من علماء كندا ورجالها الفنيين عاملين ، يؤلبون جهودهم لهذا الدواء تحت قيادة الجراح الكابتن ماكلم المدير الطبي العام للبحرية الملكية الكندية ، والدكتور تشارلس ه . بست معاون السير فردريك بانتنج فى الكشف عن الأنسولين ، والدكتور ويلدر بنفيلد الإخصائى فى جراحة المخ ومدير معهد الأمراض العصبية بمونتريال . بل إن بانتنج نفسه كان قد بدأ العمل لنفس الغاية يوم قتل طائراً فى حادث تصادم .

وأول ما ينبغى أن يفعل لحل إشكال هذا الدوار أن يختبر حال ألوف من الناس ، لكن هذا الاختبار فى عرض البحر أمر غير عملى ، بل مضيع للوقت أيضاً . لذلك استعان الدكتور بنفيلد بزميله الشاب الدكتور أندريه كابريانى الذى كان مهندساً كهربائيا قبل أن يصير طبيباً ، فصنع زورقاً ميكانيكيا ، إذا أدير قلد حركة الفلك على الموج ، ارتفاعا وانخفاضاً ، وترجحاً من جانب إلى آخر ، فأورث الدوار .

وسيق إلى زورق الدوار ، هذا حشد مستمر من بحارة كندا وجنودها ليضيفوا صفحة من أمجد الصفحات ، على هوان مظهرها ، إلى تاريخ العلوم . وسرعان ما ثبت أن حركة الرفع والخفض بين صدر السفينة وعجزها استطاعت وحدها فى ثلاثين دقيقة أن تحدث الدوار فيمن كانوا عرضة له — وأربعون فى المائة منا عرضة للدوار ، حتى فى البحار الخفيفة الأمواج . وعلى هذا بدىء بسلسلة من الهزات البسيطة تسيطر على مداها الآلات ، ووضعت عصابة على عينى كل شخص تحت الاختبار حتى لا يتأثر بجاره وما يفعل .

وجواباً على هذا السؤال : إذا كان هذا الترجح يغثى نفس الملاح فلماذا لا يغثى نفس الطفل أيضاً ؟ يقول الأطباء إن الأطفال الصغار يتمتعون بحظ من المناعة أكبر من حظ الكبار ، وأنهم قلما يترجحون إلى أقصى ما تذهب الأرجوحة نصف ساعة كامل ، وإن بعض الأطفال يصابون فعلا بدوار الأراجيح .

وعلى أن الأطباء الباحثين لم يجدوا فروقاً فى وظائف الأعضاء بين من يصابون بالدوار ومن لا يصابون ، فقد وجدوا أن الأشخاص المصابين باضطراب نفسى ، والجياع ، والشاكين من الخمار ، سرعان ما يصرعهم الدوار . كما وجدوا أن الجنود

الذين تمرّسوا بالعمل ، أشـد مقاومة له من الأحداث ، وأن إجهاد البصر ليس علة له ، وأن عرض شريط سينمائى يؤخذ للجدران من أرجوحة ، فترى فيه الجدران مقتربة مبتعدة ، لا يؤثر أثراً مذكوراً فيمن ثبت استهدافهم للدوار .

وفى النهاية عرف السبب الأكبر لدوار البحر معرفة لا تنالها الشكوك ، وصار يقيناً ما كان ظناً منذ سنين : أن الذنب فيه ذنب الأذن الداخلية . فهذا الجهاز المعقد ليس أداة للسمع حسب ، بل هو أيضاً « ضابط اتزان » محكم « كميزان الماء » ، يشعرنا أنا على فلك هادئ ، وينبئ المخ بكل حركة يأتيها الجسم فى أى اتجاه . فالصم الذين بطلت وظيفة آذانهم بطلاناً تاماً معصومون من دوار البحر . ومن أجل ذلك أصبح المعتقد الآن أن دوار الحركة ينشأ من التنبيه المتوالى لأعصاب السمع ، الحساسة ، إذ يرهق « الميزان » بالعمل وهو يسجل أوضاع السفينة فى تغيرها السريع ، وقد بنيت نظرية الأذن الداخلية وعلاقتها بالدوار على تجارب أجريت فى الضفادع والكلاب .

واتضح أن أى دواء لدوار البحر يجب أن يكون له من الأثر ما يخدر حس الأعصاب المتصلة « بميزان الأذن » ، وأصبح مناط الحاجة أن يوجد مخدر محكم التسديد مؤقت الفعل ، برىء من التأثير فى وظائف الجسم الأخر ، إذ لا ينبغى لك أن « تسطل » جيشاً يتأهب للنزول إلى البر وقد برهنت كل العقاقير المعروفة لدوار البحر على أنها لا تؤدى إلى الغرض المطلوب .

ووجد الأطباء الباحثون بعد اختبار ٦٠ مركباً أن هناك عقّارين اثنين ، ليس لأحدهما وحده أثر ، ولكن اتحادهما يفعل فعلا بالغاً . فأضيف إليهما ثالث فكانت هذه الحبة الوردية التى لا تزال عناصرها بالبداهة سرا لأسباب حربية . وهى تؤخذ قبل ركوب البحر بساعتين أو قبل الصعود فى الجو المضطرب . وهى تفيد كذلك فى شفاء الذين أصيبوا فعلا بالدوار . إن تأثيرها يستمر ثمانى ساعات ، وفى الإمكان تكرارها كل ثمانى ساعات بعد ذلك بلا رد فعل ضار ، وهذه الحبة لا تخدر العقل ، ولا تعرقل حركات الجسم . وكل دوار تحدثه الحركة سواء فى السفن أو الطائرات أو السيارات أو القطر فهذا الدواء الجديد يحول دونه أو يبرئ منه .

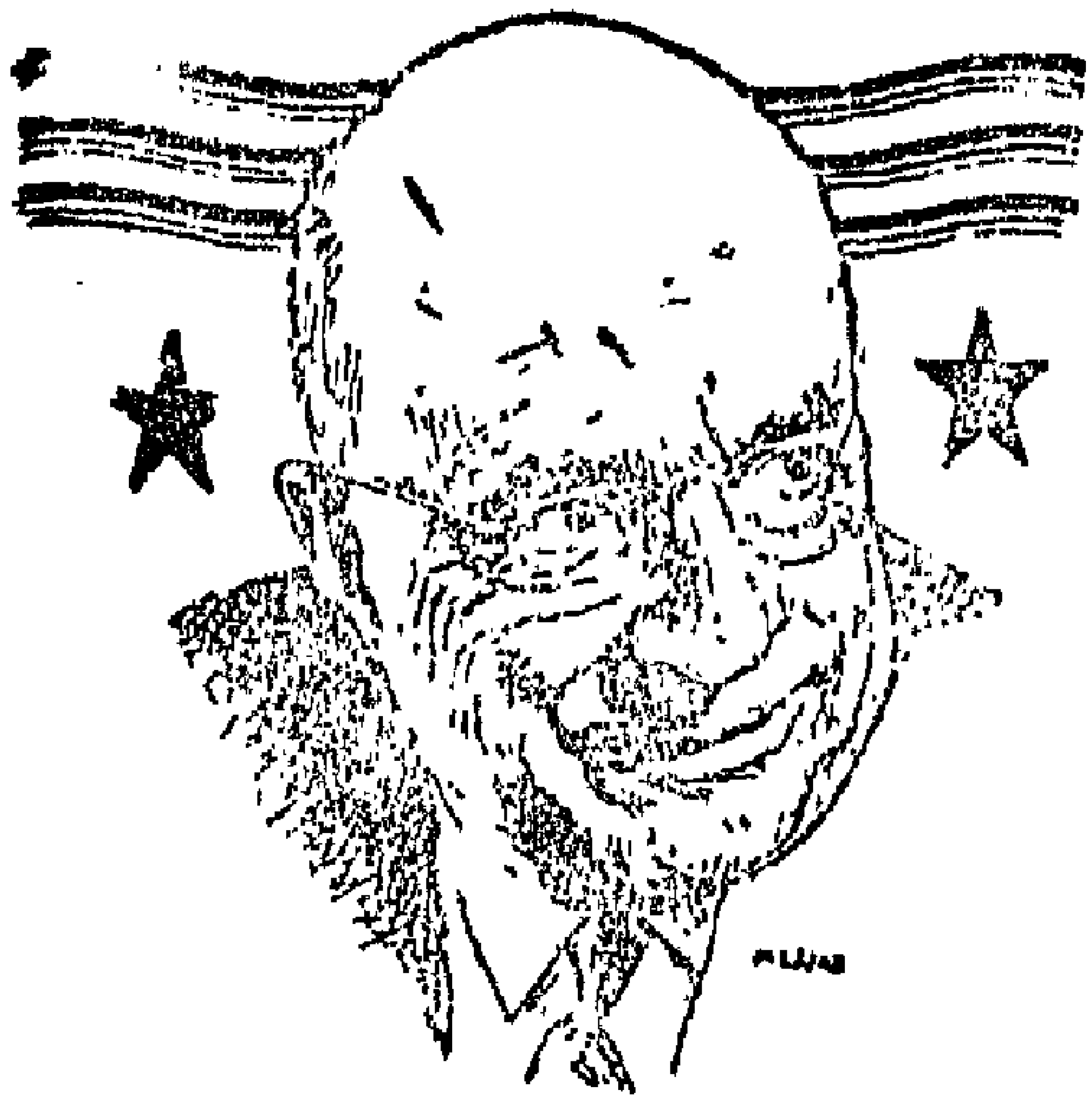
إن هذه الحبوب تستعمل اليوم رسميا فى البحرية الملكية الكندية وقد أهديت إلى قوات الجيش الأخرى ، ولكن من المشكوك فيه أن يحصل عليها المدنيون قبل أن تضع الحرب أوزارها .

هنرى كايزر يمضى مُدرِّباً

ملخصة عن مجلة « فوربز »

كان هنرى كايزر ، منذ أربع سنوات ، رجلا غير معروف من رجال المعاقدات . وهو اليوم ولا ريب أكبر رجال الأعمال فى الولايات المتحدة ، إذ ما من أحد فى تلك البلاد أخذ على عاتقه ما أخذه هذا الرجل من الأعمال والمشروعات وإنجازها فى مدة وجيزة منذ سنة ١٩٣٩ . وهو صاحب معامل للصلب ، وأخرى للطائرات ، فضلا عن أنه مدير أعمال وأكبر شريك فى معمل كبير للمغنسيوم ، وفى أعظم مصنع للسمنت فى العالم . وقد اشتهر بقدرته على القيام بالمشروعات الجديدة حتى إن الحكومة الأمريكية إذا أرادت أن تحفز أرباب الصناعات إلى عمل قالت لهم إن كايزر معنىٌّ به . وقد قال توماس كوركوران : « إن كايزر هو أحد الموارد الطبيعية العظيمة التى تعول عليها أمة منهمكة فى الحرب » .

ولم يزل البطل ، فى رأى الشعب الأمريكى ، من يستطيع إنجاز الأعمال الكبيرة ويرمى أيضاً بعينيه إلى أعمال أعظم فى المستقبل . والناس فى أمريكا يفتنهم ما يعدهم به كايزر من توافر العمل للعمال ، ومن سيارة لا يزيد



رجل حازت له همته وقوة خياله إعجاب الناس

ثمنها على ٤٠٠ دولار ، وطائرات من طراز الهليكوبتر ، وسكك حديدية جديدة . ويبلغ عدد الرسائل التى يتلقاها كايزر يوميا عدة آلاف ، كثير منها من رجال سذّج يعتقدون أن بيده مقاليد نجاة الأمة .

وهو كسائر الأمريكيين الذين لهم سلطان على الشعب لا يدل ظاهره على البطولة . فكأنه كفكى كلب (من فصيلة البولدج) أدركه الكبر ، أكرش بطين يدلف فى مشيته كالبط . فإذا اكتأب وأطبق فمه خلته واعظاً قرويا يحذر قومه شهوات الحياة الدنيا ، وإذا تطلق وجهه رأيته يفيض بشاشة ، وفى وسعه أن يجعل أقل الناس يشعر معه بالطمأنينة . ولا يزال مرآه وشمائله يشفان عن عصامىّ غير حسيب الأصل .

ولد كايزر منذ واحد وستين عاماً فى قرية من قرى نيويورك، وكان أبوه الألمانى المولد حذّاء. أما هو فلم يكن يميل إلى هذه المهنة بل إلى تركيب الأشياء وبنائها، فغص بيته بالأدوات والمواد. ولما بلغ الرابعة عشرة استخدمه أحد المخازن الكبيرة لنقل السلع إلى البيوت. وبعد أربعة أعوام أو خمسة عمل فى شركة فوتوغرافية بقرية «ليك بلاسيد». قال كايزر: «لم ينقض العام الأول حتى دخل نصف الشركة فى ملكى، وفى نهاية العام الثالث صارت كلها ملكا لى»

فلما نما عمله أنشأ فرعاً فى ولاية فلوريدا. واتسع نطاق تجارته فأنشأ مستودعاً فى بلدة «پام بيتش». وتخصص فى تجارة البطاقات التى عليها صور المناظر الطبيعية. ولا تزال إحداها — وعليها صورة شاطىء البحر تظلله سحب مزوّرة — من أكثر هذه البطاقات رواجاً. وكان للصور الفوتوغرافية التى يراد منها الإعلان أثر عظيم فى ترويج السياحة، حتى إن شركة سكك حديد فلوريدا الشرقية منحته جوازاً سنويا للسفر على خطوطها.

وتزوج كايزر فتاة كانت من زبائنه، وكان أبوها حطاباً على شىء من الثروة، إلا أن كايزر لم يكن يتطلع أو يطمع فى شىء من ماله. ولما أراد أن يزاول الأعمال الصناعية الأصيلة باع متجره وانتقل إلى مدينة «سپوكين»، فى غرب ولاية وشنطون، وأخذ يعمل أولا فى مخزن «خردوات»، ثم فى شركة كانت تتاجر فى الإسمنت. واشترى قليلا من أسهمها واتفق معها على أن يشترى مقادير أخرى ويدفع ثمنها مما يربحه من بيع البضاعة لحساب الشركة.

وبعد قليل ظفرت إحدى شركات البناء بمدينة شيكاجو بعقد لبناء فى مدينة سپوكين، فزار كايزر مدير الشركة وعرض عليه أسهمه فى شركة «الإسمنت»، فخرج وقد عهد إليه فى بناء مصنع لشركة الإسمنت وإدارته. وأوفدته الشركة بعد ذلك إلى كولومبيا البريطانية ليشيد فيها مصنعاً آخر. وفى كندا رأى فرصة سانحة لمزاولة أعمال البناء لحسابه الخاص، فاقترض مبلغاً من المال من أحد المصارف واشترى بضع «عربات يد» قديمة، وأدوات لخلط الإسمنت وحصانين. ونجح إذ ذاك فى التعاقد على تعبيد طرق بمبلغ ٢٥٠٫٠٠٠ دولار. ثم أنشأ شركة قامت بتعبيد طرق بلغ مجموع طولها ألف ميل فى الولايات الشمالية الغربية.

قال بعض الظرفاء: «إن إمبراطورية كايزر تتألف من هنرى كايزر، ومن نحاس العالم كله، ومن زمرة من أشد شبابه



أمريكا نشاطاً وأعظمهم إخلاصاً ، وهم يوفون لكايزر بالعهود التى يقطعها على نفسه » .

وإنك لترى فى تلك الإمبراطورية هذا وذاك من الشبان قد أكب على تفاصيل ما يتركه كايزر وراءه من الأعمال حين يندفع فى تيار الأعمال العظيمة . وقلما تجد فى دوائر الصناعة شباناً يقومون بما هو أهم مما يقومون به . ومن رجاله اثنان قد اكتسبا شهرة ذائعة — أحدهما « إدجار كايزر » وعمره ٣٥ عاماً ، والآخر « كلاى بدفورد » وعمره ٤٠ عاماً ، فهما يتقاسمان صناعة السفن ، ويشرفان على ١٨٧٫٠٠٠ من العمال .

وقد أحاط كايزر مواهب رجاله الإدارية بمنشآت صناعية يرجون لها يوماً أن يقف بعض فراغه على إحكام تنظيمها وتنسيقها . ولا تزال شركته الأصلية تقوم بأعمالها فى صناعة الإسمنت لا يعوقها شىء ، فتقدم نحو ٥٠ فى المائة من المواد اللازمة لتعبيد الطرق فى منطقة خليج سان فرنسيسكو . وهذا وحده مورد للربح يتيح لكايزر أن يردد ما اعتاد أن يقول : « ليس للمال قيمة عندى » .

وقد ظل هذا الرجل يشتغل بتعبيد الطرق على طول ساحل الباسفيك من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٣٠ . ثم انضم إلى خمسة من كبار « المقاولين » المجازفين وأنشأ « رابطة الشركات الست » وأصبح رئيساً لمجلس إدارتها . وفى سنة ١٩٣٩ قام بالنصيب الأكبر فى بناء السدود المعروفة بسد « بولدر » وسد « بونفيل » وسد « جراند كولى » واشترك فى بناء جسر « أوكلاند — خليج سان فرنسيسكو » . وفى تلك السنة عينها تغلب على احتكار شركة « وست كوست » للإسمنت بتشييده أكبر مصانع الإسمنت فى قرية « پرماننت » بولاية كاليفورنيا . وكان ذلك نقطة التحول فى تاريخ حياته . ومن يومئذ أصبح أقرب إلى رجال المقارلات ، يزاول صناعة المغنسيوم والصلب وبناء السفن .

ومركز إمبراطورية كايزر هو مدينة أوكلند بولاية كاليفورنيا ، على أنه يقضى الآن نصف وقته فى الولايات الشرقية ، بين وشنطون ونيويورك . وهو يدير أهم أعماله عن بعد ، والموظفون الذين ينفذون أوامره يجتازون المسافات الشاسعة جيئة وذهاباً بالطائرات أو السكك الحديدية . وهو يستعمل التليفون فى المخاطبات البعيدة على نطاق يروع رجال هوليوود . وكثيراً ما يجمع لديه بضعة من موظفيه فى شبه مؤتمر بعد أن يستدعيهم من شتى أنحاء الولايات المتحدة .

ومن أبرز خلائق كايزر مغالاته فى جميع أعماله إلى الحد الأقصى . وقد قال أحد

رفاقه : « إنه لا يكلّ — فهو خليق أن يحطمك بالعمل » . وحتى فى معيشته الخاصة لا يعرف ما هى الراحة أو الكف عن المنافسة . ففى بحيرة « تاهو » ، حيث اعتاد أن يقضى فصل الصيف ، ترى قواربه أسرع القوارب التى تسلك البحيرة . وليس فى العالم، فى نظره، شىء يبلغ من التفاهة حداً يستحق الإهمال ، أو حداً من الجودة فيضرب صفحاً عنه . ولا يزال كايزر إلى هذا اليوم يتولى شراء ثياب زوجه . وإذا أقام مأدبة عشاء فهو الذى يعين أصناف الطعام وترتيب مقاعد الضيوف ، وهو يجدد باستمرار بناء منزله بمدينة أوكلند وتزيينه .

ورقة شعوره تضارع همته فى العمل، وقد قال أحد أولاده مرة على ذكر نبذة كتبت بشىء كثير من العاطفة عن معامل حديد فونتانا : « إن أبى يحب رقائق الأدب وطرائفه » . وهو إذا ضويق أو حيل بينه وبين مايريد اضطرم غضبه ، فتنتفخ أوداجه وينتفض جسمه البدين ، وتتدفق الكلمات من بين شفتيه . فيعنف محدثه ويستفزه ويأبى سماع حجته كأنما يناوشه للقتال . على أن ناره تخمد بعد خمس دقائق . وقد اتفق له فى السنوات الأخيرة أن اشتبك فى عدة مشاغبات أمسك فيها الرجال بعضهم بتلابيب بعض . وبين أولئك الرجال قائد برتبة جنرال ، ورجل من كبار رجال المباحث .

ومن أعظم ما فى كايزر أنه يستطيع أن يحشد كل ما لديه من قوى ويوجهها نحو هدف واحد ، فيقتحمه برغم ما يبدو من العقبات . وهذه القوة التى لا تنثنى تمكنه من حمل دوائر الحكومة على تنفيذ إرادته على الرغم من حيطة تلك الدوائر وأساليبها المعقدة . فإذا أراد شيئاً ، وإن كان تافهاً ، لم يأل جهداً حتى يقيم الحكومة ويقعدها إلى أن يحصل على ما يريد . وكثيراً ما يغمر مناضد موظفى الحكومة بأكوام من التلغرافات المسهبة لكى يستحثهم بها على الاهتمام بمسائله .

وفى خلال الأشهر الستة الأخيرة كان اهتمام كايزر منصبا على شئون ما بعد الحرب أكثر من انصرافه إلى تفاصيل مصانعه الحربية . فمصانع سفنه شىء مؤقت . وهو يفكر الآن فى شئون ما بعد الحرب على نطاق واسع ، وفى إنشاء صناعات جديدة ، وحفظ عدد العاملين فى المستوى الذى بلغه زمن الحرب أو أقرب ما يكون إليه . ولا ريب فى أن تفكيره على هذا النطاق الواسع لما يسجل له الفضل ، فهو عوضاً عن أن يشغل باله بما عساه يفعل بمصنع كذا فى مكان كذا يشغله بما عسى أن تفعل البلاد كلها . وقد أسس إدارة للانشاء والهندسة تضم نحو خمسين مهندساً ومخترعاً ، يعالجون — فضلا

عن أعمالهم الحربية — ما قد يعنّ لكايزر من مشروعات بعد الحرب .

وقد جرى شوطاً بعيداً في طائفة من المشروعات . وكثيراً ما يغلبه الغضب حين يرى سيارة وزنها ثلاثة آلاف رطل تحمل رجلا واحداً وزنه ١٥٠ رطلا . ولذلك يرجو أن يصنع بعد الحرب سيارات خفيفة ، وقد أمر بصنع طائرتين من طراز هليكوبتر لتجربتهما ، ووضع مشروعاً لتجديد السكك الحديدية .

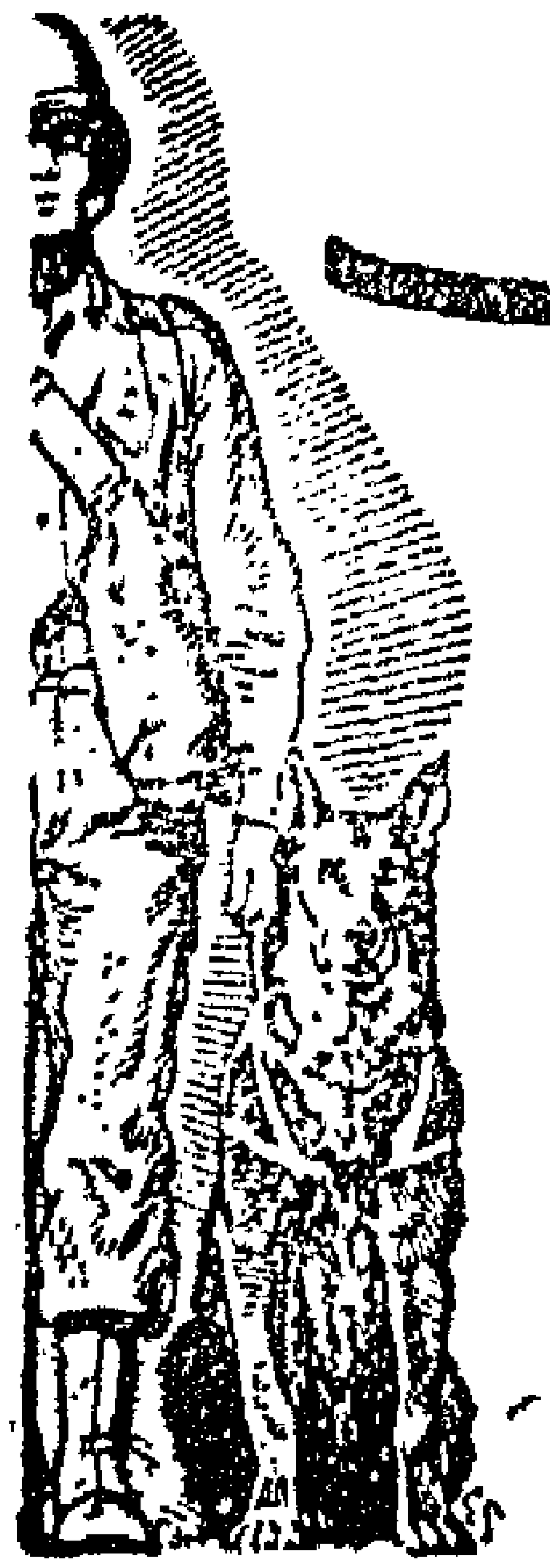
وقد أنشأ نظاماً للتأمين الصحي في منطقة سد جراند كولي وفي غيره على أن يدفع المرء ٥٠ سنتاً (نصف ريال أمريكي) كل أسبوع . وقد استهلك رأس المال اللازم لهذا المشروع من إيراده العام . وهو يود أن يتعاون الأطباء على إنشاء مستشفيات تمولها المصارف المحلية . ويقترح أن تنشئ الحكومة وكالة لقرض طبي وتضمن لتلك المصارف خمسين في المائة من الأموال التي تقدمها . ويقول أحد أصدقاء كايزر متهكما : « يعتقد كايزر مخلصا أنه منقذ البلاد » ، ويضيف إلى ذلك في جدّ : « وقد يكون هو المنقذ » . وفي خلال الاثنتي عشرة سنة الماضية لم يعامل كايزر سوى الحكومة . والمستقبل وحده كفيل بأن يرينا أفي وسعه أن يدخل ميدان المنافسة في زمن السلم رجلا من رجال الصناعة ؟ ويتساءل الشبان الذين يعملون معه إلى متى يستمر في « تكديس » المشروعات دون أن يفكر كيف يوفق بينها آخر الأمر ؟ أما الآن فإن بحثه عن المشروعات التي تصلح لما بعد الحرب ناشئ عن إيمانه بأن أنفع ما ينفعه بعد الحرب ، على أنه رجل من رجال الصناعة ، ليس هو حكومة سخية بل أمة ترتع في بحبوحة الرخاء وتنتج ما يقرب من أقصى طاقة الإنتاج .

ولو أدرك جميع رجال الأعمال هذا التحدي ، وكان لهم من الشجاعة ما يدفعهم إلى مواجهته ، لأنشأت حرية الأعمال عالماً جديداً .

الحوادث لا تلد الرجال

● الأبطال الصناديد والجبناء الرعاديد لا تلدهم الحوادث الجسام ، بل تكشف الغطاء عنهم حتى يراهم الناس . فالمرء ينمو نمواً ساكناً لا يحسّه ، كما يمشي أو ينام ، حتى يصير ضعيفاً أو قوياً . وأخيراً يقع في مأزق ضنك يكشف عما صار إليه أمره .

كلاب الحرب



الكابتن تيمبل فيلدنج — ملخصة عن مجلة روتيريان

كان الكلب «تشيبس» ، فى أيام السلم السعيدة ، رفيق الأطفال فى ملاعبهم فى أسرة تقطن مدينة بليزانتفيل. وهو كلب خلاسى بين الكلاب الكندية وكلاب الرعاة ، ولم يكن يألف الغرباء . فلما شبت الحرب تم الرأى على أن يرسل تشيبس إلى الجيش الأمريكى ، فسجل اسمه فى الفيلق ك — ٩ . وصنع له الأطفال علماً ذا نجمة واحدة ثم علقوه على باب دار الكلاب .

ومضت شهور وجاء الخبر بأن تشيبس انتقل إلى ما وراء البحار ، وصار بطلا . ففى ليلة ١٠ يوليو سنة ١٩٤٣ نزل الجندى جون ر. رowيل ، وهو رئيس تشيبس ، على شاطىء صقلية وقاد الكلب معه . وسارا معاً ٤٠٠ ياردة على اليابسة ، ثم فاجأهما مدفع رشاش يصب عليهما النار من كوخ فلاح ، فما هو إلا أن اقتحم تشيبس الكوخ . ويتم روويل القصة فيقول :

« وعلت ضوضاء صاخبة ، ثم خرج رجل وتشيبس مطبق على رقبته ، وناديت بالكلب أزجره عن الرجل قبل أن يفتك به ، وخرج على أثرهما المدفعى الآخر ، رافعا يديه بالتسليم تعدت بالأسيرين » .

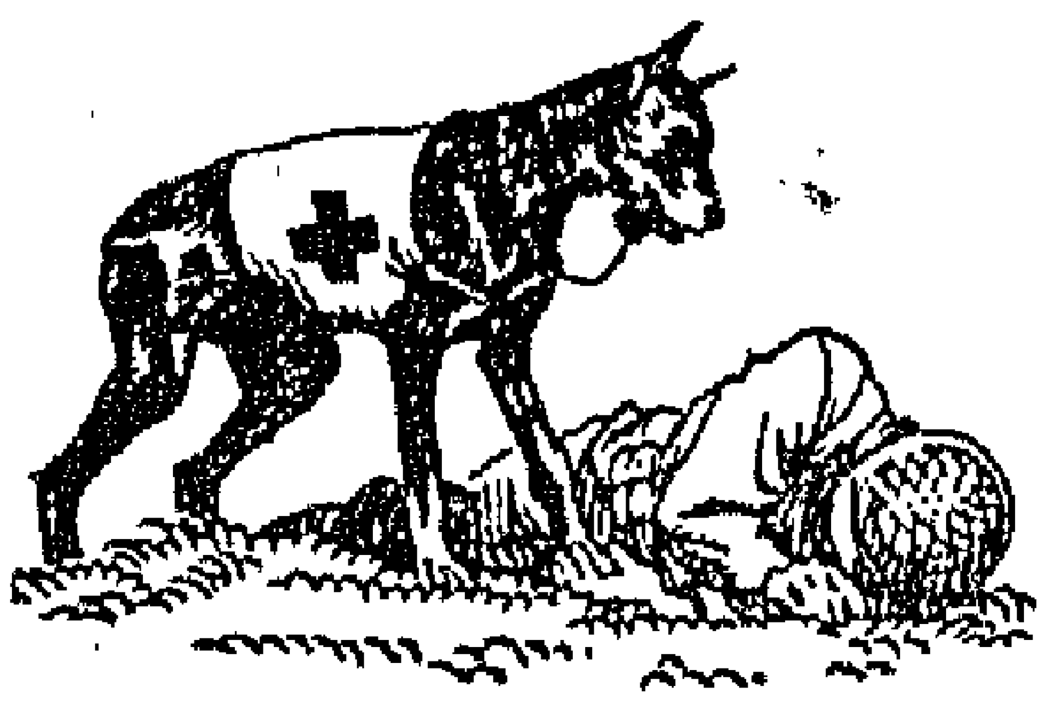
وكم من جندى أمريكى تفادى سكيناً فى الرقبة بدريئة هى هذه الحزمة من الديناميت الصامت إلى جانبه ، وكم من فصيلة تجنبت كميناً لما لكلبها من حاسة شم قوية . فالكلب «لاد» مثلا ، رافق صاحبه إلى شمال أفريقية ، وفى ليلة ظلماء ربض لاد وسيده وحدهما فى مركز أمامى من مراكز المراقبة . وعلى حين فجأة جذب الجندى خيطاً مشدوداً إلى معصمه ، فأجابه ديدبان على مئات من الياردات خلفه ، يحرس الفرق النائمة ، بأن جذب الحبل إليه ، ثم أيقظ الرجال من فوره . وكذلك أبيدت قوة متسللة من قوات العدو . فقد تنسم الكلب ريح المهاجمين على مسافة ٨٠٠ ياردة ، ونبه صاحبه بأن مد أنفه وجمد كأنه تمثال .

وكثيراً ما أرسلت الكلاب بين يدى فرق الكشافة ، فى جزائر جنوب غربى المحيط الهادى ، فدلت على مكامن فرق القناصة والعسس اليابانيين حيث لا يستطيع رجالنا

أن يعثروا عليهم أبداً . « جوجو » الكلب الصغير المدلل ، أنقذ حياة رجال طائرة كانوا نياماً فى غابة ، بأن حذرهم اقتراب إحدى دوريات العدو . « وهاى » ، وهو كلب خلاسى بين الصينى والألمانى ، كان فى جزيرة وادى الكنار ، كشف عن مكان قناص يابانى ينساب بين الغاب فنبح نبحة كان فيها موت اليابانى . وهذا « برونكو » الذى قاد البوليس الحربى إلى الشاطىء حيث قبض على طيار يابانى يحاول أن يسبح هارباً .

وفى السنة الماضية درب صول الفرقة نحو ٤٠٫٠٠٠ كلب من خيرة الكلاب ، فى خمسة مراكز كبيرة للتدريب . ويفحص كل كلب فحص لياقة ليعرف نوع الخدمة التى يكون أكثر صلاحاً لها . فكلاب الحراسة والهجوم — وهى ٨٥ ٪ من مجموع الفرقة — تدرب على أن تدل على مراكز العدو ، وأن تهاجم جنوده . وكلاب المراسلات تصل أسلاك المواصلات ، وتنقل الخرائط والرسائل من منطقة القتال إلى المؤخرة . وكلاب الكشافة ترسل كالطلائع للزحف ، أو تطهير الميدان ، لأنها تجد ريح جنود العدو المختفية . وكلاب الصليب الأحمر تفتش عن الجرحى لتدل عليهم حاملى النقالات ، وكلاب مركبات الجليد تجر المدافع والمؤن فى الأرض الصلبة التى لا يطيقها المشاة ، وكلاب الحمل تحمل الطعام والشراب والعتاد إلى أماكن لا يبلغها رجل إلا أن يخاطر بحياته .

ويعلم كل كلب ، من التى تختار لتدريبها على أساليب الفدائيين ، كيف يهاجم بلا رحمة كل إنسان إلا سيده . أما كلاب المراسلة وكلاب الصليب الأحمر فلا تدرب على أسلوب



الفدائيين ، إذ لا حاجة بها إلى أن تهاجم الجنود ، فحين يجد أحدها جريحاً يأخذ بفمه عصا مغطاة بالجلد معلقة فى عنقه ليدل بذلك على ما اكتشفه ، ثم يقود بعض رجال الفرقة الطبية إلى الجندى الجريح .

ولكل كلب سيد يعرفه ، وهو وحده الذى يسوسه ويغذيه ويعلمه ، ويقوم على تثقيفه ، ويعوده الطاعة وأن ينفذ الأوامر التى تلقى إليه بالإشارة . وينبغى أن يتعود الكلب مثل هذه الطاعة العمياء ليستطيع أن يندفع كاشراً عن أنيابه إلى رقبة العدو ، وإذا ما سمع صيحة الأمر : « دَعْه » أغلق فاه من فوره وانبطح على الأرض لا يتحرك قيد شعرة .

وتصبح كلاب الحراسة قادرة على أن

تعمل فى خارج البلاد أو على أرض الوطن لتحرس المنشآت والمبانى الحربية ، أو تخفر السواحل ، بعد تثقيفها ثمانيــة أسابيع .
وحديثاً قبض الكلب « رولف » ، حين كان يقوم بنوبة الحراسة فى مصانع بوسطن ، على متطفل يدب حول الفنـاء ، فهجم على الرجل وحال بينـه وبين الفرار حتى جاء خفير المصنع . وتبين أن الأسير كان يحمل خططاً كاملة لنسف هذا المصنع .

وكثير من هذه الكلاب الجريئة ، كلاب الحرب ، يضحى بنفسه لينقذ حياة الرجال . وحين يقع ذلك يتسلم صاحب الكلب رسالة من وزارة الحرب تقول :
« إنه من دواعى الأسف أن أكتب إليك لأخبرك بموت . . . الذى وهبته ليقاتل مع القوات المسلحة للولايات المتحدة . وإنا لنأمل أن يكون علمك بأن هـذا الكلب الشـجاع قد قتل فى سبيل الوطن مخففـاً بعض حزنك عليه » .

* * * * *

لا تكن صلباً فتكسر

كنت فى صـغرى مرهفة الحس ، حتى صرت أبتئس لأتفه ما يكون من متاعب الطفولة . وفى يوم من أوائل أيام الخريف اجتاحت الناحية عاصفة ثلجية عاتية ، واصطحبنى والدى على أثرها فى نزهة بسـيارته وفى الطريق قال لى :
« أنظرى إلى هذه الأشجار ، البواسق . لقد تقصفت الأغصان تقصفاً شديداً حتى يخشى أن تموت الأشجار ولـكن انظرى إلى هذه الأشجار الدائمة الخضرة — لم ينل الثلج منها منالا .
« ليس فى العالم غير نوعين من الأشجار : إما صلبة وإما لينة . فهذه الشجرة تمد فروعها صلبة لا تلين ، وتتراكم عليها الأثقال حتى تنقصم فتشوه منظرها أو تميتها . ولـكن إذا أصاب تلك الشجرة الدائمة الخضرة من الثقل ما لا تطيق ، أخذت تلين وتميل حتى ينزلق عنها العبء الثقيل . وفى صباح اليوم التالى ترى الشجرة ولم يمسسها ضر . فـكونى يا بنيتى كشجرة الصنوبر ، واحملى ما تطيقين وذرى بقية العبء ينزلق عنك ، فـكذلك يزيد جمالك ويطول عمرك » .
وقد أنجانى هذا المثل فيما بعد ، حين اجتاحتنى متاعب الحياة ، من أن أصير إحدى مرضى الأعصاب الـكئيبات .

[فريدا ددلى]

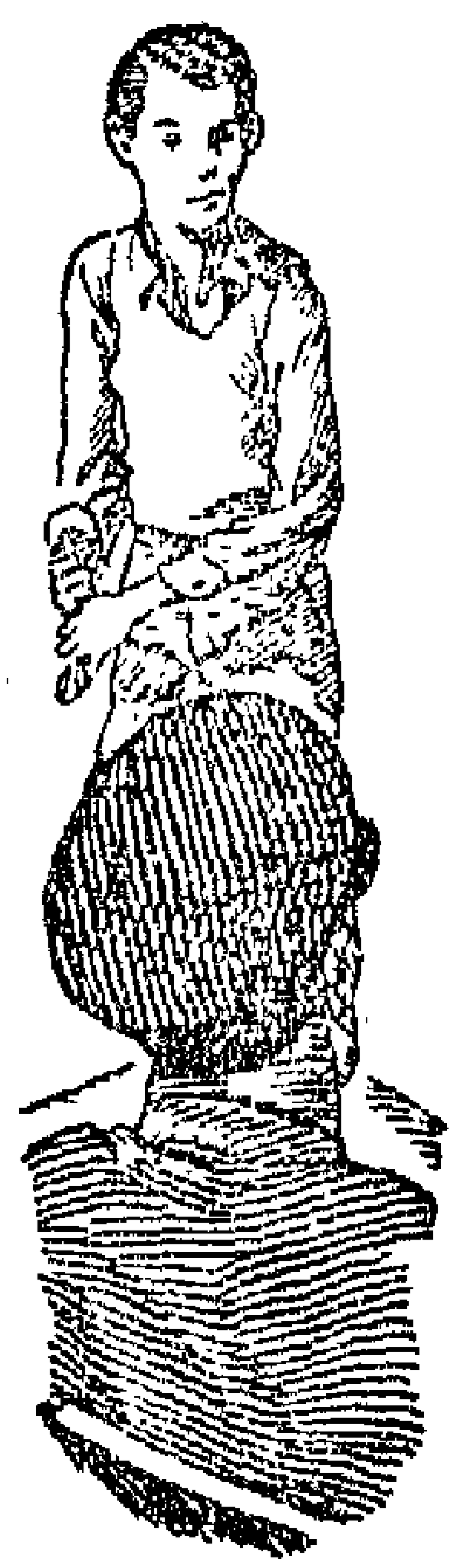
من صميم الحياة

ينبغي لمن يباشر اختيار المتطوعين لفيلق البحارة أن يكون جندياً ثابت الجنان لا تستخفه عاطفة ، ولكن ربما جاء بين الحين والحين ما يستفزّ قلب البطل المجرّب .

وهكذا كان ، يوم وقف صبي نحيل ، من فلوريدا ، أمام مكتبي . كان يريد أن يتطوع في فيلق البحارة الأمريكي .

سألته : « كم عمرك ؟ » .

قال : « سبعة عشر عاماً » .



« أهي أول مرة حاولت فيها التطوع ؟ » .

قال : « لقد حاولت الانضمام إلى الأسطول أول الأمر ، ولكنهم ردّوني لنقصان وزني أحد عشر رطلا .

فقلت بكل ما أملك من شفقة : « آسف أيها الصبي ، إن شروطنا شديدة شيئاً ما . فزد وزنك أحد عشر رطلا ثم عد إليّ » .

برقت عينا الصبي بالأمل ، وفرك قلنسوة رثة كانت في يده ، وحرّك قدميه في شيء من الاضطراب ، ثم قال : « حسن ياسيدي . لقد زدته وأحسب أن وزني الآن هو الوزن » .

فقلت : « هذا شيء آخر . لقد انصرف الطبيب اليوم فعد غداً ، وسنفحصك فحصاً طبياً كاملا — الوزن وغيره » .

وفرك الصبي قلنسوته مرة أخرى وعلى شفتيه ابتسامة حزينة يشوبها اليأس والأمل ثم قال وهو يتلجلج : « حسن ياسيدي ، لست أعرف حقاً إذا . . . إذا . . . » .

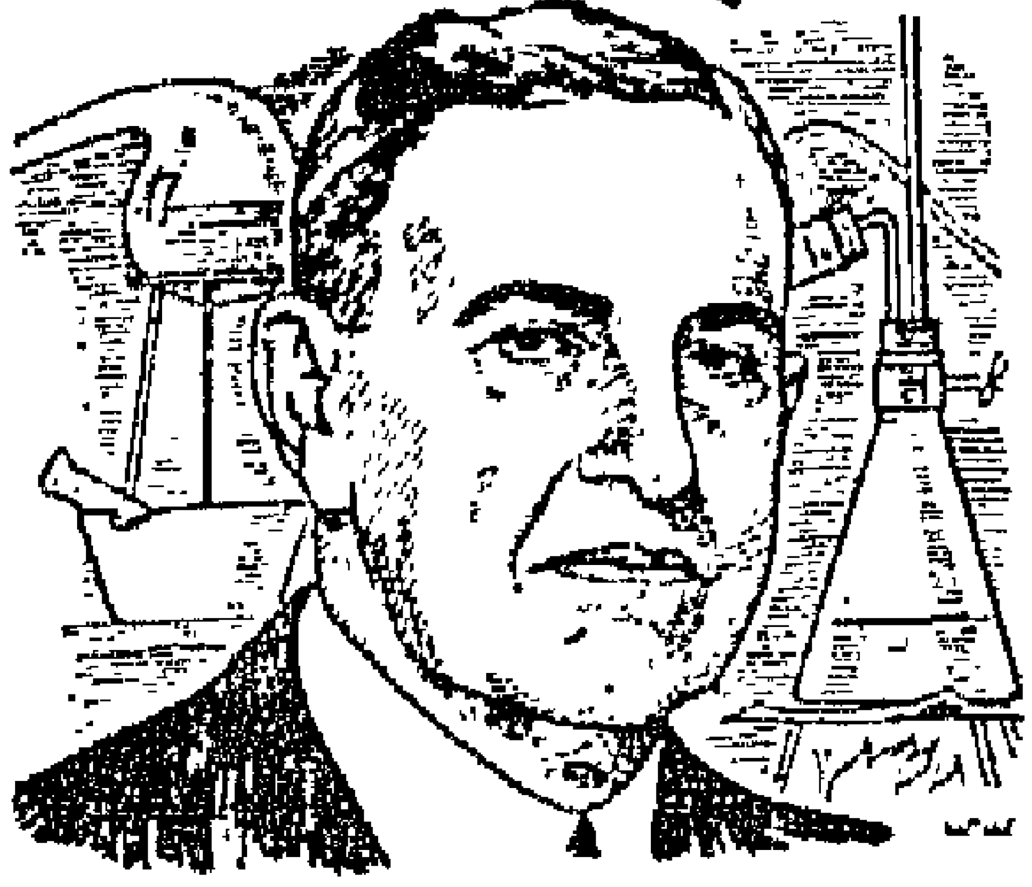
وسألته وقد ضقت ذرعاً : « إذا ماذا . . . . إذا كان وزنك اليوم هو الوزن المطلوب ، فهو كذلك غداً صباحاً » .

واستدار الصبي ومضى إلى الباب ، حيث وقف لحظة ، وقد غاضت ابتسامته ، وغاض معها كل ما جمّع من أمل ، ولم يتلفت حين تكلم أخيراً بصوت خفيض لا أكاد أسمعه :

« لا — لا فائدة : فما أظن أن في وسعي أن آكل أحد عشر رطلا من الموز مرة ثانية في صباح غد » .

جاويش س . ا . جراي
مكتب التطوع بفيلق البحارة الأمريكي

بنزين الغد : تربتين



يمد الطائرات بقوة فائقة .. بفضل الأستاذ فلادمير ابياتيف ساحر البحث في البترول

چون ميرست + ملخصة عن مجلة "سينس نيوزليتر"

منذ بضع سنوات ، كان « التربتين » وهو أحفل أنواع البنزين بالقوة ، بدعة من البدع فى معامل البحث . وكان يعدّ وقوداً له مستقبل عظيم ، ولكن تحضير جالون منه كان يكلف ٩٠٠ جنيه .

على أن نشوب الحرب حفز الباحثين فخفض سعر الجالون إلى ١٠ جنيهات ، ومع ذلك لم يزل سعراً عالياً . وقد وقفت المسألة عند هذا ، إلى أن جاء رجل شيخ فى مختبر بشيكاجو لم يزل يجرّب التجارب جاهداً ساهداً يذرع أرض مختبره ، حتى كانت ليلة فالتقط المفتاح الضائع وفضّ المغلق كله . وعندئذ هبط سعر الجالون إلى ربع جنيه ، ولا بد أن يزداد هبوطاً حين تطبق أساليب الإنتاج الواسع النطاق .

أما الرجل الذى أتاح « التربتين » للتجارة ، فهو فلادمير إيباتيف الأستاذ بجامعة نورث وسترن الأمريكية ، وهو رجل فى السادسة والسبعين مفتول العضل مديد يبلغ طوله ست أقدام ، ولا يفوقه أحد فى العالم فيما يعرف عن كيمياء الزيت والبنزين . وإليه يرجع أكبر الفضل فى إعداد بنزين فاخر قوى ، لولاه لما كان فى طاقة الطائرات الأمريكية أن تتفوق فى القتال . وهو كذلك صاحب الفضل فى أكبر جانب من بحث مادة « بوتادين » ، وهى المادة الأساسية فى معظم المطاط الصناعى .

ولكن « التربتين » هو أعظم مآثره ، فإنك إذا ملأت خزان البنزين فى طائرة ما بالتربتين ، استطاعت أن ترتفع فى الجو من مدرج قصير . ومتى استوت طائرة كانت بفضله أسرع طيراناً ، وأعلى تحليقاً ، وأسهل حركة وأبعد مذهباً من كل ما يتيحه لها أى وقود آخر عرف حتى اليوم . والتربتين من الناحية الفنية ليس « بنزيناً » ، ولكنه مادة أيدروكربونية أخرى . ويذهب كيميائيو البترول إلى أن التربتين سوف يتيح لطائرات الحلفاء تفوقاً على طائرات المحور يبلغ أربعين إلى خمسين درجة (أوكتين) .

وقد بلغ الوقود الجديد من القوة مبلغاً

عظما فلا يوجد حتى اليوم محرك يطيق أن يستعمل قوته إلى غايتها . وعلى ذلك فالإستفادة من التربتين إلى الحد الأقصى ، تقتضى أن نصنع محركات جديدة عالية الضغط مختلفة اختلافاً كبيراً عن المحركات الشائعة الآن .

والأستاذ إيباتيف ، على ما له من مآثر ، يكاد يكون مجهولا عند جماهير الشعوب . هذا على أن قصته مدونة فى سجلات المعاهد العلمية العظيمة فى أنحاء العالم ، وصدره الرحب لا يكاد يتسع لحمل جميع الأوسمة التى أغدقت عليه .

ينحدر فلادمير نيقولا ييفتش إيباتيف من أسرة روسية مشهورة فى موسكو . واختار له أهله سلك الجيش ، فوجه إلى الأكادمية العسكرية الأولى فى روسيا حيث تخرج برتبة كابتن . ولكنه بدلا من أن ينتظم فى صفوف الجيش تخلف ليعلم الكيمياء لطلبة الأكادمية . ومن محاسن الاتفاق أن التعليم افسح له مجالا كافياً للبحث العلمى .

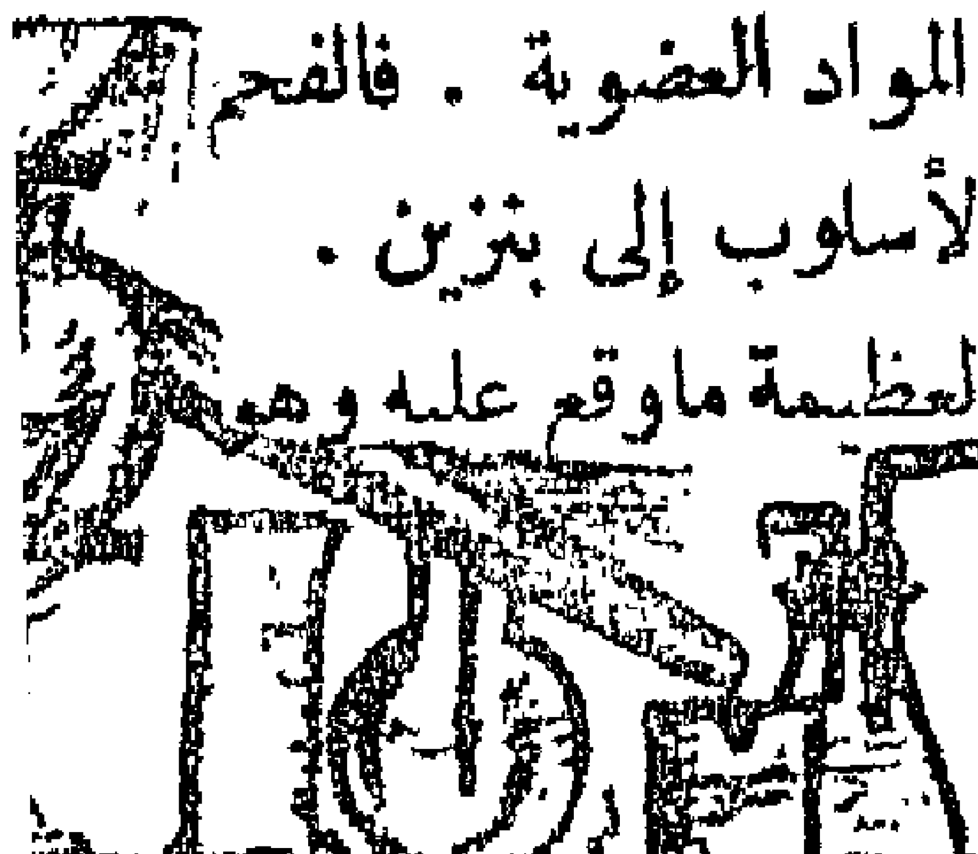
وقد بدأت سيرته بإخفاق ظاهر حوّله إلى نجاح عظيم . فقد كان يحاول أن يصنع البوتادين ففاز بشىء آخر ، هو مادة تدعى ألدهيد (متوسطة بين الحمض والكحول) . فتتبع أسباب هذه النتيجة ، فإذا هى ترجع إلى أنه استعمل أنبوباً من الحديد مكان أنبوب من الزجاج . فكان فعل الحديد فعل الوسيط الكيميائى ، أى أنه أثر فى نتيجة التفاعل بغير أن يتأثر به . وما كان فعل الوسيط فى الكيمياء شيئاً جديداً يومئذ ، فقد عرفه علماء الكيمياء منذ زمن طويل . ولكن إيباتيف انتفع بهذا الفعل ، ومشى على آثاره ألوف من العلماء ، فأفضى ذلك إلى نتائج عميقة الأثر فى حياتنا اليومية . وفعل الوساطة فى الكيمياء يعد الآن فى طليعة الأدوات الفعالة المتاحة للكيمياء الحديثة .

وقد جاءه التكريم من كل ناحية جزاء له على ما فعل ، ولكنه لم يقنع بالوقوف عند هذا الحد ، فقد عزم على أن يعرف كيف يكون فعل الوساطة الكيميائية تحت الضغط الشديد .

كان جهاز الضغط الوحيد المتاح للكيميائى فى سنة ١٩٠٣ جهازاً قد اخترع سنة ١٦٩٠ وكان ضغطه لا يزيد على خمسين جوّا ، وكان يعد جهازاً شديد الخطر .

ولم تثن إيباتيف الصعاب فصنع جهازاً يبلغ الضغط فيه ٥٠٠ جوّ ، واستعان به على إتقان أسلوب صناعى جديد يعرف باسم « الأدرجة » ، أى استعمال الأيدروجين لإحداث تحويل فى المواد العضوية . فالفحم مثلا ، يحوّل بهذا الأسلوب إلى بنزين .

ومن مكتشفاته العظيمة ماوقع عليه وهو



يعالج البرافين بالأيدروجين ، وكان البرافين يعدّ إلى ذلك الحين مادة « خامدة » لا تتفاعل تفاعلا كيميائياً ، وبعد قليل أفضت به هذه التجربة إلى البنزين ذى الدرجة العالية من الأوكتين .

ومن عهد قريب أدّب المعهد الأمريكى للكيميائيين مأدبة لتكريم الأستاذ إيباتيف إذ بلغ الخامسة والسبعين ، وخطب فيها الدكتور فرانك هويتمور عميد مدرسة الكيمياء بولاية بنسلفانيا فقال : إن الظفر العظيم الذى أحرزته محركات الاحتراق الداخلى الحديثة ، كان نتيجة لعمل ألوف من العلماء والمهندسين . ولكن إذا لزم أن نختار رجلا فرداً يرجع إليه الفضل ، أكثر مما يرجع إلى غيره ، فى الحصول على البنزين ذى الدرجة العالية من الأوكتين ، وهو من أهم أسلحتنا فى الهجوم والدفاع ، فهذا الرجل الفرد هو إيباتيف » .

كان الأستاذ إيباتيف ، منذ زمن مضى قد نشر رسالة أثبت فيها تركيب مادة « إيزوبرين » وهى المادة الأيدروكربونية التى تعدّ أساس المطاط الطبيعى . وقد أتقن فى سنة ١٩٢٨ ، وهو مستشار لمصنع نتروجين بافارى ، أسلوباً لتحويل الفسفور إلى حمض فسفوريك ، وهو مأثرة لا يحدّ نفعها للفلاحين الذين يستعملون السماد الصناعى .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى رقى إيباتيف إلى رتبة جنرال ، وعين مديراً للصناعات الكيميائية فى روسيا ، وظل فى منصبه هذا بعد الثورة . وكثيراً ما كان لنين وتروتسكى يستشيران هذا الرجل الذى كان فى العهد السابق يحل ضيفاً مكرماً فى قصر القيصر نيقولا الثانى . وكان الباعث له على مضيه فى عمله ، حبه هذا العمل وتقدير السلطات السوفيتية له .

وفى سنة ١٩٣٠ تمكن الدكتور «إجاوف» مدير البحث فى شركة يونيفرسال لمشتقات الزيت ، من إقناع هذا العالم الروسى بالسفر إلى شيكاجو لكى ينشئ معملا للبحث يعنى بمسائل « الوساطة الكيميائية » فى صناعة البترول . وأحب إيباتيف الولايات المتحدة فأقام فيها ، وحين دعاه ستالين إلى العودة أبى فقال : لن أعود ، فقد تقدمت بى السنّ ، وحين يضطرب الجوّ وأشعر بالتوعك أوثر أن يكون لى حق التغيب عن معملى دون أن ألجأ إلى كثير من المعاملات الرسمية المعقدة ليؤذن لى فى التغيب .

فساء ذلك ستالين وأعرب عن استيائه فى سنة ١٩٣٧ ، يوم أقامت الجمعية الكيميائية الأمريكية مأدبة عشاء لتكريم إيباتيف عند بلوغه السبعين ، وقد حضرها أعلام العلماء من كل بلد — إلا من روسيا السوفيتية .

ثم جاء النبأ بعد شهر بأن اسم إيباتيف قد حذف من سجل أكادمية العلوم الروسية، وانه جرد من الجنسية الروسية، ومن جميع دلائل الشرف التى منحها.

وندّد به ابنه وسميّه، وهو أستاذ الكيمياء فى لننجراد، فنعت أباه علانية بأنه « عدو للعمال ».

وكان الأستاذ إيباتيف يود أن يزور روسيا ليرى أبناءه، إلا أنه أحب الحرية حباً لا هوادة فيه. وحين طلب التجنس بالجنسية الأمريكية وامتحن على العرف المألوف سئل هل يواظب على الذهاب إلى الكنيسة فقال: « طبعاً »، فقال القاضى: « أية كنيسة؟ » فقال إيباتيف: « أية كنيسة شئت، فهذا بلد حر » فانتهى الامتحان عند هذا.

وقد منحته بلاد كثيرة درجات الشرف والأوسمة، فمنحته فرنسا وسام لافوازييه لبحثه فى الضغط العالى، ومنحته جامعة ميونخ دكتوراه شرف، ومنحته روسيا جائزة لنين، وانتخب فى سنة ١٩٣٩ عضواً فى الأكادمية القومية الأمريكية للعلوم، وفى السنة التالية أنعمت عليه جماعة من العلماء الأمريكيين بمدالية « ويلرد جبز » وهى أرفع مدالية علمية عندهم.

وقد بذل إيباتيف لوطنه الثانى بذلا سخياً، فوهب جامعة نورثوسترن ٢٦ ألف ريال لإنشاء معمل لبحوث الضغط العالى، ووهب طائفة من الكيميائيين الشبان هبات خاصة، ووقف ٣٥ ألف ريال على منح جوائز تتولاها الجمعية الكيميائية الأمريكية قال: « وإنى لأود أن أشعر أنه كان لى نصيب فى تنشئة الكيميائيين الشبان ».

وهو مشهور فى الجامعة بأنه الأستاذ الذى يغتبط بنجاح تلاميذه، فإذا أخفقوا اكتأب أشد مما يكتئبون. وهو أيضاً الأستاذ الذى يختلط عليه الأمر حين يتحمس فينسى الإنجليزية وينطق لسانه بالروسية وحدها

وهذا الرجل المعتدل القوام يمضى كل يوم فيمشى ساعة لا تزيد ولا تقل. وهو سيد كريم من رجال المدرسة القديمة، يضرب بكعبيه وينحنى حتى يكاد يركع حين يقابل أحد معارفه، ناعم الصوت وقلما يرفعه. وحين احتفل ببلوغه الخامسة والسبعين، وقد وافق ذلك انقضاء خمسين سنة على زواجه وعلى تقديمه رسالته العلمية الأولى، قال للمحتفين به: « لقد اصطليت ببضع حروب وثورات ويسرنى أننى استطعت أن أحتفظ بحبى لعلمى المختار وأن أصون صحتى وعافيتى ».

وهذه البساطة تنم على الرجل الذى اخترع وأتقن أساليب علمية وصناعية قد تكون فى مجموعها أكبر ما يسديه فرد واحد إلى ظفر الحلفاء.

« أعرف أن خير ما فى الدنيا هو . . . »

بُوتقة نارية تسبك الرّجال



الصّاغ باركر س . هـاردين

بالقسم الطبى التابع لجيش الولايات المتحدة

[الصاغ باركر س . هاردين جراح من كارولينا الشمالية ، وقد التحق بالجيش فى إبريل سنة ١٩٤١ وصار كبير الجراحين فى أول مستشفى كبير وصل إلى أستراليا فى إبريل سنة ١٩٤٢ ، وبعد ذلك دُرّب ورأس مستشفى جراحيا متنقلا صغيرا للعمل فى جبهة القتال ، وحُمل بالطائرات فوق جبال « أوين ستانلى » ، ثم نقل على ساحل غينيا الجديدة إلى منطقة بونا على سفينة ساحلية صغيرة فيها خمسون طنا من الذخائر . وقد هاجمت الطائرات اليابانيـة السفن على مسافة نصف ميل من الشاطىء وقذفتها بالقنابل ورصاص المدافع الرشاشة وأحرقتها وأغرقتها ، فسبح رجال المستشفى إلى الشاطىء تحت وابل من القنابل والرصاص ، وفقدوا كل معدات المستشفى ، وأصيب كثيرون منهم .

وخفت هـذه الوحدة الطبية على الفور بما تيسر من المعدات الجراحية ، إلى العمل فى الأدغال فكانت أول مستشفى يشهد الحرب فى معركة بونا . وقد ظل المستشفى تحت النار ٤٥ يوماً ، يعالج الجرحى وليس بينه وبين خط القتال سوى ميل ونصف ميل ، وواصل العمل طول مدة الحملة فى بونا — ساناناندا وبلغت خسارته من القتلى والجرحى ٣٤ فى المائة .

وقد أنعم على الصاغ هاردين مرتين بوسامين لبسالته ، وقلده الجنرال ايشيلبرجر نيشان النجم الفضى ذى العنقود .

وفيما يلى رسالة منه بعث بها إلى صديق] :

عزيزى جون

أخيراً شرعت فعلا فى كتابة رسالة طال إبطائى بها عليك ، لأشكر لك رسائلك الكريمة التى بعثت بها إلىّ ، فقد تعلم أن الرسائل التى يتلقاها الجندى بما وراء البحار تقوى قلبه وتشدد عزمه .

إن أيام العمل الخاص وحياة السلم السابقة ، تبدو لى موغلة فى القدم . وقد قضيت إلى الآن ٢٩ شهراً وأنا أعمل فى الجيش . وإذا كان لابد أن يرحل المرء عن وطنه وينأى ، فيحسن أن يحرص على أن يعود إليه وقد صار أرشد وأحكم . وقد لا أكون يا أخى خيراً مما كنت ، ولكنى أعقل وأحكم جداً . وإنى لأعلم أن الحرب جحيم ، وأن الجنود البعيدين عن وطنهم يتلهفون إلى العود إلى عشيرتهم وموطنهم ، وأعرف أن كل الذين هم فى الجيش ، من الجندى البسيط إلى أعلى الضباط رتبة ، سواء فى تلفت خواطرهم إلى دورهم ومعاهدهم وأحبائهم ، وفى الأحلام التى يحلمون بها ، وأعرف على الخصوص أن الذى يتمونه ويريدونه فوق سواه فى هذه الدنيا هو أن يفرغوا من هذه المهمة ويكسبوا الحرب كسباً تاماً ، ثم يرجعوا أخيراً إلى أهلهم ويعيشوا ويدعوا غيرهم يعيش . وهذه هى فلسفتى ، وعسى أن تكون لمحة دالة على ما تنطوى عليه قلوب الجنود جميعاً فى كل مكان .

وأعرف الكثير عن اليابانيين ، فقد عالجتهم ، وجىء إلىّ فى مستشفى الجبهة بالأسرى منهم وهم جياع يتضورون ، قذرون ، أشبه بالحيوانات الصغيرة ، ورأيت مئات من جثثهم الصغيرة التعسة ، وأعرف روحهم وتعصبها ، وماتطبّعوا عليه من عبادة الإمبراطور والقتال حتى الموت . وهم شر عدو لنا ، وكلنا ، هنا ، نعتقد ذلك . وقد فازوا إلى الآن بكل ما أرادوا أن يفوزوا به . فلا يجوز فيما يتعلق بهم أن تكون هزيمتهم نصف هزيمة ، بل يجب أن نستأصل شأفة روحهم العسكرى الآن وإلى الأبد ، وإلا اكتسحونا ولم نعد نعرف الحياة والحرية الأمريكيتين كما عهدناها من قبل . واغتفر لى هذا الوعظ ، فإنا نتساءل هنا أحياناً عن الذين



فى أرض الوطن هل يعلمون أن هنا حرب إبادة وبيــلة تدور مع اليابانيين ؟ وستستغرق وقتاً طويلا جداً ، ولـكن لا يخامرك شك فى أننا سننتصر .

مذ رأيتك آخر مرة ، شاهدت عجائب نصف الدنيا ، ورأيت بلاداً غريبة ، وشعوباً غريبة ، وجزائر كنت أعتقد أنها سحرية (وعسى أن يغفر لى ربى ، فما أريد أن تقع عينى مرة أخرى على شجرة جوز الهند) وسبحت فى أخوار جزر البحر الجنوبى المزويّـة الدافئة المتعــددة الألوان ، وغطست إلى المرجان الجميل على سواحل مجهولة ، وحادثت الأهالى ، وصرت أنظر إلى السفن نظرتى إلى أصدقاء قدماء ، وطرت فوق جبال رائعة بأستراليا وزيلندة الجديدة ، وحاربت ، وعملت ، وصليت ، وحييت حياة تامة ، حافلة ، مهولة ، وقضيت شهوراً طويلة مضنية فى التدرُّب فى الجيش ، لأتعلم معنى أن يكون الإنسان محارباً ، وكيف يقود الرجال ويسيرهم ، ورأيت رجالا يموتون بشجاعة وعلى شفاههم المتيبِّسة ابتسامة ، وفى عيونهم التى انقلبت وعشيت لنزول الموت البسالةُ دون الخوف ، والتقيت بأبطال وأناس عاديين ، وبجنود فيهم الصالح وغير الصالح ، وتعلمت أن الحياة عذبة حلوة ، ولـكنها جديرة بأن تبذل من أجل قضية عادلة .

وقد ألقيت على القنابل مرات كثيرة حتى ليعيينى أن أعدها ، وأصبحت أعرف معنى أن أرى طائرات « زيرو » مقبلة تسدد نيرانهــا إلىّ ، وأغرقتنى قنابل اليابانيين ورصاصهم ، واحتجت أن أسبح نصف ميل إلى الشاطئ ، على حين كان رصاص المدافع الرشاشة يقتل ويجرح رجالى من حولى ولـكن حياتى كانت كأنها مسحورة . وقد كنت فيما مضى أعلم غيرى السباحة ، ولـكنى فى ذلك اليوم كدت أغرق على كثب من ساحل غينيا الجديدة . وبلغ من فزعى وجزعى أن عجزت عن فتح فمى ، وانطرحت على الأرض ، وألصقت صدرى بصدرها فى الخنادق وخارجها ، فى حين كانت القنابل الفظيعة تنفجر حولى ، ورجالى يجرحون إلى جانبى بالمستشفى .

وقد شاءت رحمة الله أن تحفظ حياتى إلى الآن ، ولا أدرى لماذا كان هذا ، ولـكن الذى أدريه أنه ما من رجل يمكن أن يكون كما كان ، وأن الحرب تجعل الناس أرق وأصفى ، وإن كان هــذا يبدو غريباً ، وأنها تدفعهم إلى التماسه

والاهتداء إليه تعالى فى الدين الصحيح ، وأن الناس جميعاً يتشابهون فى قلوبهم . وما كنت أدرى من قبل — فى حياتى كلها — أن فى الدنيا كثيرين إلى هذا الحد من ذوى المروءة والإيثار ، كما أصبحت أدرى الآن بعد أن خضت الحرب اثنين وستين يوماً فى بونا .

ورأيت الأستراليين البواسل — « جرذان طبرق » — يقذفون بأنفسهم وهم يصيحون ويضحكون ، فى المعركة على هؤلاء الصغر الضآل ، ويموتون . وعشت فى الأدغال القاسية ، ونمت على الأرض العارية ، والبعوض ، بالملايين ، يعذبنى ، ورأيت أشجاراً غريبة وكروماً تلتف وتتوشج وتتماسك ، وعناكب هائلة ، وعقارب ، وطيوراً غير معهودة ، ومتفجّر ماء عظيم هو من الأعاجيب ، على مقربة من شواطئ غينيا الجديدة .

وتفصّدت عرقاً وضنيت من السير الطويل فى الأدغال مع المرضى والجرحى . وجدفت بزوارق صغيرة غاصة بالجرحى الضعاف على النقالات ، مسافة مئات من الياردات حتى خرجت بهم إلى المياه التى يضيئها نور القمر ، ووقعت فى البحر وأنا أنقلهم إلى سفن أكبر ، وكان اليابانيون على بضعة أميال قليلة يرقبوننا من شواطئهم . وأفزعتنى القذائف المضيئة التى كانت تحيل الدغل منيراً بمثل نور الشمس فى الظهر ، ورأيت رجالا يصيبهم الجنون فى المعركة ، وعرفت رائحة التعفن الخبيثة المنبعثة من الموتى المددين فى ساحة القتال ، ورأيت الصفوف الطويلة من زملائنا الهادئين الساكنين فى غينيا الجديدة ، ودفنت الموتى ، وصرت أعرف ما يبثه القساوسة من السكينة فى ساعة الخوف والقتال ، وارتعدت فرائصى ، وخذلتنى ركبتاى ، وجربت الخوف الذى يأخذ بالمخنّق ، وعانيت الفزع الوبيل حين كانت قاذفات القنابل تقبل ساعة بعد ساعة فى ضوء القمر ليلة عيد الميلاد ، ثم السكينة المباركة التى تغمر النفس حين رقدت عارياً على الرمل الدافئ عند الشاطئ ، وأكلت ما فى العلبة الصغيرة من جرايتى التى كانت غذائى يوم عيد الميلاد ، ورحت أحلم بأهلى وأحبابى . وأنا أعلم أن معظم الناس شجعان ، وأننا أعطينا الشجاعة لنواجه بها المحتوم كائناً ما كان ، حين يجئ وقت الامتحان .

ورأيت جلال السفن العظيمة المقاتلة فى لجج البحر البعيدة . وشاهدت روعة الغروب على الجبال الجرد ، وأصابع الفجر الوردية على البحر والقمم الصخرية ، وعرفت ما يحسه المرء حين يجلس وحده على ذروة تل فى سكينة المساء ، وصوت القنابل — كأنه الصرخة المرتجفة — من مدافعنا الضخمة ، إذ تمر من فوقى ، ساعة بعد ساعة ، ونهاراً وليلا وأنا مصغ لانفجارها ومسرور لأنها تقتل الشياطين الصفر . وعرفت الحنان الذى يشبه حنان المسيح ، فى نفوس أهالى بابوا الأشداء المفتولى العضلات ، الذين يغنون ويضحكون وهم يحملون جرحانا ، ويمشون بهم مسافات لا يتصورها العقل . وقد عملت بين عشرات من الجرحى الملوثين بالدم ، والمرهقين ، والطوال اللحى ، والذين يجودون بأنفاسهم . وكان علىّ أن أقرر أيهم أولى بأن يعالج قبل سواه ، وأيهم يترك ليموت على الأرجح فيتيح لغيره فرصة الحياة والقتال مرة ثانية . ورأيت آية إنقاذ حيوات كثيرة بفضل الدم الذى تبعثون به من عروقكم فى أمريكا .

وأعرف فرح القتال — ذلك الرضى الباطنى الساكن الذى يشعر به المرء حين يلفى نفسه تحت النار قادراً — يا للعجب — لأول مرة على الاحتمال والتشدد ، وذلك التفاهم الهادئ الصامت ، والتقارب بين الأرواح ، والإخاء والزمالة بين رجال يبلون بلاء حسناً فى المعركة التى يكون فيها الرجال جميعا سـواء ، والتى لا يكون فيها المرء إلا أحد اثنين : جندياً باسلا أو ضعيفاً خَرِعاً . وعرفت الفوز والنصر ، والخيبة المرة والهزيمة ، وأعرف أن الجندى الأمريكى ذو قوة أصيلة ، وذكاء ، وشجاعة ، ومرح ، وجلد واعتزاز بزملائه ، وزهو بهم ، وروح خفيفة قليلة المبالاة بالهموم ، وعزم لا يفلّ ولا يفتر على النهوض بهذه المهمة إلى النهاية .

ولكنى أعرف فوق ذلك كله أن خير ما فى الدنيا حب المرأة لزوجها ، والقوة المستمدة من أسرته فى أرض الوطن .

وإلى الملتقى . . . بارکر

انتفع بتجاربي

قصة معطف من الفراء

فى يوم من أيام ديسمبر ، وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، دق جرس التليفون بمنزلنا وأجابته والدتى . وسمعتها تكرر ، وفى صوتها الدهشة ، اسم فرّاء مشهور فى نيويورك ، وتقول له :

« تدعونى أن أحضر وأختار ما شئت من فراء « المنك » ، هذا غريب — لقد ابتعت معطفاً من الفرو منذ شهرين فقط . أواثق أنت أن هذا الطلب هو من مستر راندلف مارش ؟ » وسكتت هنيهة ، ثم قالت : « طلبه مستر مارش وضمن دفع الثمن ! حسن جداً ، سأطلب إليه أن يتصل بكم ، فلا علم لى بشىء من هذا » .

ووضعت السماعة وجلست صامتة برهة طويلة ، ثم أسرعت إلى غرفتها ، فلما مرت بى رأيتها تبكى !

فلما عاد والدى مساء من عمله سمعته يجيب أسئلة والدتى بقوله : « هذا هراء يا جانيت ، لم أطلب أى معطف من فراء المنك » .

فلما كان وقت العشاء شعرت أن ثمت مغاضبة غريبة بين والدىّ . وفى الأيام التالية كنت أراها صامتة مكتئبة على غير عادتها .

وقد هالنى إنكار والدى أن يكون اشترى معطفاً لوالدتى أو لأية امرأة سواها . ولم أكن لأصدق ، ولا والدتى فيما يبدو ، أن تكون لوالدى علاقة بامرأة أخرى .

ولقد وجدت ، وأنا فى تلك السن ، أن والدتى كانت على خطأ حين أبت أن تتغاضى عما رابها منه ، فقد دمرت الريبة التى حلت بقلبها أعز شىء فى بيتنا ، وخلفت فى مكانه كثيراً من الهموم والآلام . وأصبحت والدتى ، بعد أن اتهمت أبى بالخيانة ، امرأة كئيبة ثائرة تأبى حتى أن تسمع له وهو يتبرأ لها من وصمته به .

وبعد مدة طويلة وقفنا على جلية الأمر ، فقد طلب مستر راندلف مارش معطفاً من فراء المنك ، بيد أنه كان مستر مارش آخر من ناحية أخرى تبعد عنا أربعين ميلا . وكانت الغلطة من عجلة الكاتب حين بحث عن الاسم فى دفتر التليفونات .

ولقد جهدت ، منذ كان ذلك الحادث لإحدى وعشرين سنة مضت أن أعمل بالدرس الذى تلقيته : وهو أن أثق أولا وأن أنتظر حتى ينكشف لى وجه الحق فى

أى موقف أو عمل ، فعسى أن يكون فيه التباس أو خطأ . ولم تخذلنى هذه السياسة إلا فى القليل النادر .

حدث مرة أيام خطبتى قبل الزواج أن دخلت أنا وصديقة لى المصعد الكهربائى فى مطعم من المطاعم الكبيرة للغداء فى الطبقة العليا منه . وبينا كان باب المصعد يقفل لمحت خطيبى يتناول الغداء مع سيدة أنيقة الملبس.

وسألتنى صديقتى : « أليس هذا دك » فأومأت برأسى ذاهلة أنْ نعم . لقد كان أخبرنى خطيبى أنه مسافر إلى فيلادلفيا ذلك اليوم ، فمرت بى لحظة رهيبة ولكننى نجحت فى التشبث بما صممت عليه من أن « أثق أولا » . وبعد أيام قليلة عاد دك من سفره ، وأخبرنى أنه قابل صديقة قديمة فى نيويورك قبل سفره إلى فيلادلفيا بساعتين ، وقد دعاها لتناول الغداء معه ، ورغب إليها أن تأتى هى وزوجها للعشاء معنا قريباً .

حمدت الله صامتة أنْ غلب عزمى على ريبتى وتلفت إلى الماضى فتذكرت ما رأيته فى عينى أبى من الألم والأذى تلك الليلة ، ليلة تعلمت أن تصديقك بالشىء أول وهلة أمر مهم ، بل هو أهم بكثير من أن تصدقه وقد فات أوانه .

أقول ذلك لأن والدى توفى فجأة قبل أن تتكشف لوالدتى جلية أمر ذلك المعطف .

السنجاب والكعكة

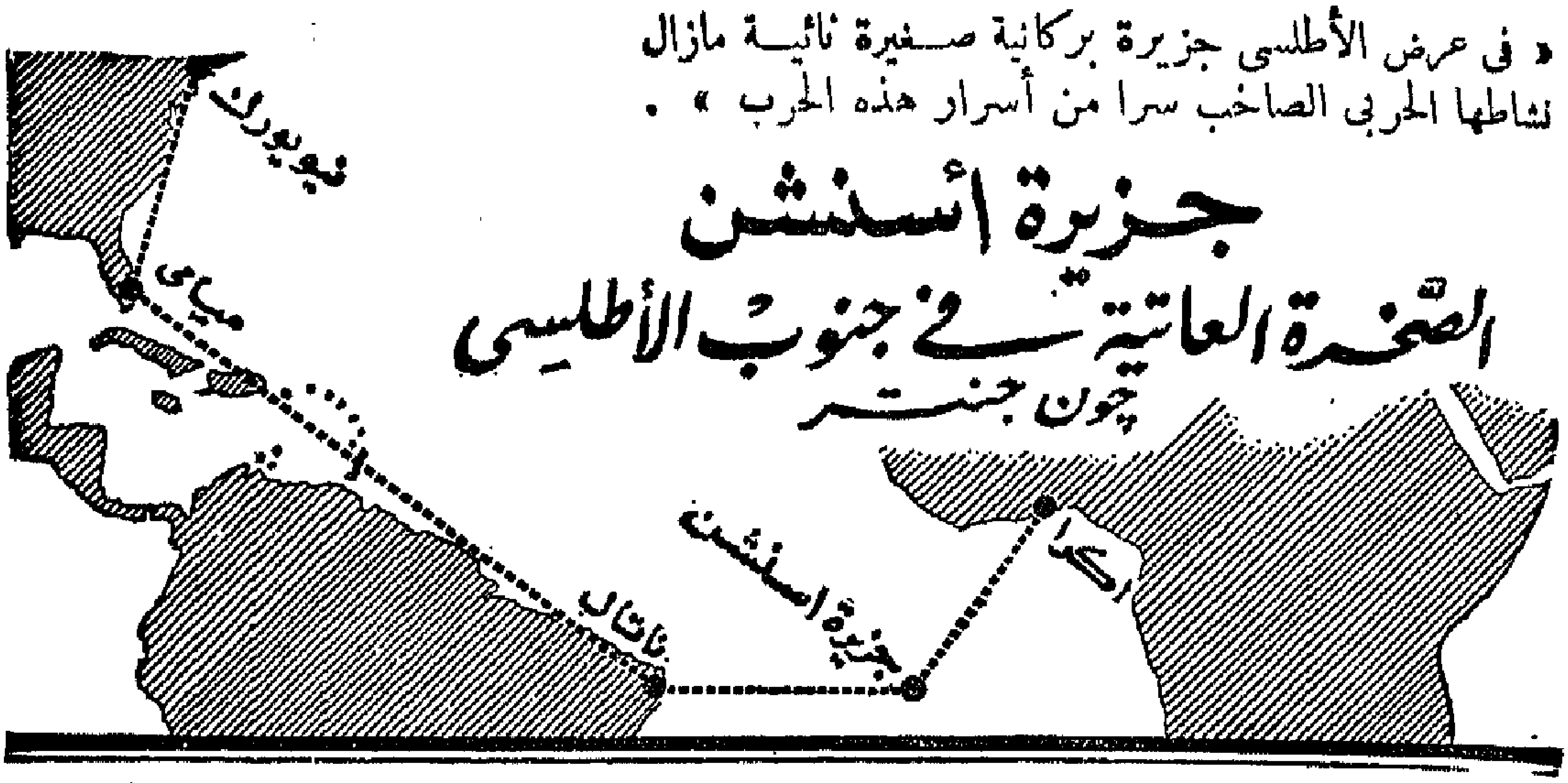


كان من دأبنا ، ونحن فى معسكرنا بكندا ، أن نطرح بقايا طعامنا نجتذب بها الحيوانات البرية . وكانت السناجيب أكثر زوارنا إقبالا علينا . وذات صباح وضعنا بقية كبيرة من كعكة على كومة من الخشب ، ولم نلبث حتى أقبل سنجاب ، وبدت عليه الغبطة بهذا الفطور الشهى ، فحاول أن يحمل الكعكة إلى وكره فشد ... وسحب ... وجر — بغير جدوى . لقد كانت أثقل مما يطيق . ولكنه لم يتردد طويلا . فبينا كنا نراقبه بلذة تخالطها الدهشة ، هجم السنجاب على قلب الكعكة ، فقرض منها حتى أحدث ثقباً على قدر رأسه ، ثم أخذ يحاول أن يدخلها فى رأسه حتى صارت على عنقه كأنها بنيقة (ياقة) عريضة مسترخية . ثم انطلق ، وهو فى زينته الغريبة ، إلى أحب شجرة إليه ، وتسلقها محاذراً حتى حجبته عن الأنظار أغصانها وأوراقها الخضر .

[كاترين س . بايكر]

« فى عرض الأطلسى جزيرة بركانية صغيرة نائية مازال نشاطها الحربى الصاخب سرا من أسرار هذه الحرب » .

جزيرة أسنشن
الصخرة العاتية في جنوب الأطلسي
جون جنتر



من أوائل التقارير الحربية التى كتبت فى وصف هذه الجزيرة أنها « صخرة عاتية لو حاول غراب أن يهبط إليها لاندقت ساقه ! ! » .

إن من أقوى ما رأيت من الأدلة الباهرة على ما فى الإنسان من إقدام وشجاعة وخيال وعزيمة ، ذلك المطار الذى شقه المهندسون فى صخرة بركانية على هذه الجزيرة البركانية. وهى بقعة جرداء من اللابة قائمة فى خضم المحيط الأطلسى الجنوبى . فمنذ الآن ، تحط عليها الطائرات كل يوم وهى تؤدى نصيبها من المساعدة على الظفر فى هذه الحرب ، فهى مرساة مهمة فى الطريق الطويل الممتد من نيويورك ومیامی إلى أفريقية والشرق الأوسط وروسيا والهند والصين .

وكان ذكر هذه الفحمة الخامدة العجيبة « ممنوعاً منعاً باتا » كما يقال . فلا يكاد يشار إليها إلا بالرموز ، وحتى هذه لم يكن يسمح بنشرها . فظل استخدام هذه الجزيرة ، وما قام به المهندسون والطيارون الأمريكيون من الأعمال الرائعة — سراً من الأسرار الحربية المكتومة .

والآن أستطيع لأول مرة أن أزيح بعض الستار الذى يحجب هذه الجزيرة .

لقد أسعدنى الحظ بأن أهبط إليها وأنا فى طريق عودتى من أوربا وأفريقية ، فكان شيئاً لا يسعنى أن أنساه . ومساحة الجزيرة سبعة أميال فى خمسة ، وهى تقع على وجه التقريب فى منتصف المسافة بين

« جون جنتر » هو الكاتب المشهور مؤلف الكتب الثلاثة الآتية : « فى قلب آسيا » و « فى قلب أوربا » و « فى قلب أمريكا اللاتينية » . وقد زار حديثاً مناطق القتال فى أفريقية وأوربا ، مضيفاً برحلته هذه فصلاجديداً إلى سجل الحوادث العالمية . وقد استطاع — مع تبريزه فى الصحافة — أن ينال شهرة واسعة بتعليقاته على الأنباء فى الراديو .

الفجوة الغائرة فى الشواطئ الأفريقيــة والنتوء البارز فى شواطئ البرازيل . فإذا أردنا التحديد فهى تبعد عن « أكرا » ، فى ساحل الذهب الأفريقى ، ١٣٦٢ ميلا ، و١٤٤٨ ميلا عن « ناتال » فى البرازيل . وقد تيسر للطائرات أن تقطع المحيـط الأطلسى الجنوبى بين ، أفريقية والبرازيل دون توقف ، آلافاً من المرّات ، ولـكن سلوك الطريق المنحرفة قليلا مارة بجزيرة « أسنشن » يساعد طيارى القاذفات وطائرات النقل على خفض ما تحمله طائراتهم من الوقود ، وزيادة شحنها وتأمين طريقها.

والمهمة التى تؤديها جزيرة « أسنشن » فى جنـوب الأطلسى شبيهة بمهمة جزائر « الآزور » فى وسطه ، فهى مرساة صالحة فى منتصف المرحلة الطويلة الشاقة فى هـذا المحيـط . وهى نعمة من الله على الطيارين الذين يجتازونه ، فهى مهبط يسـتطيعون الهبوط عليه . واتخاذها قاعدة جوية يساعد الطائرات الصغيرة القصيرة المدى — كبعض أنواع المقاتلات — على عبـور الأطلسى طائرة .

وجزيرة « أسنشن » أشد مكان رأيته وحشة وعزلة فى الأرض والبحر ولم ، يكن يمر بها قبل هذه الحرب أكثر من سفينة واحدة فى السنة . وأقرب جزء من اليابسة إليها هى جزيرة « سانت هيلانة » ، وتبعد عنها نحو ٨٠٠ ميل ، وهى التى نفى فيها البريطانيون « نابليون » إلى أن مات فى سنة ١٨٢١م ثم ، لاشئ إلا الفضاء الرحب الذى لايحد . وقد اختار البريطانيون فى بداية الأمر جزيرة أسنشن ، منفى لنابليون ، ولـكنهم عدلوا حين رأوها موحشة كل الوحشة .

واكتشف الجزيرة قبطـان برتغـالى سنة ١٥٠١ م ، وبقيت بعد ذلك مهجورة ثلاثمائة سنة ، ثم بنى البريطانيون عليها محطة تلغرافية والیوم يقيم ٧٥ بريطانياً ، بينهم ست نساء أو ثمان ، على هذه الصخرة التى يكتسحها الماء وتلفحها الشمس . وليس بالجزيرة سكان وطنيون ، فهى من الأماكن القليلة فى الأرض التى لم تسكن قط .

وإذا نظرت إلى الجزيرة اليوم رأيتها تزخر بنشاط حافل ، فحاميتهـا القوية تبلغ بضع آلاف من الجنود الأمريكيين وقد أنشأوا بها حظائر ، ومصانع ومعسكرات ، ومستشفيات ، ومطـاعم ومخازن ، ونزلا لركاب الطائرات ، وكل ما يلزم من عـدة وعتاد لإنشاء قاعدة جوية حديثة ، وفيهـا الآن أربعة مسارح فى الهواء الطلق ، وأربعة ملاعب للرياضة .

أما نحر الجزيرة فهو فى الواقع ، مدرج مطارها . وقد صرح المهندسون البريطانيون

بأنه يستحيل إنشاؤه ، ولكنه أنشئ ، بل تم في ٩١ يوماً ، وهذا وحده غاية الغايات . ولم أر في حياتي مدرجاً يماثله ، فهو يمتد سبعة آلاف قدم منحوتاً في جنب جبل أصدإ اللون ، يقوم في وسطه سنام منحدر . وقد تم إنشاء المدرج واستعمل ، ولكن لم يستطع المهندسون الأمريكيون أن يزيلوا هذا السنام ، ولم تستطع أقوى أنواع الديناميت أو البارود أن تنسف قرار هذه الصخرة البركانية الحمراء .

وكانت الساعة ١١:٤٥ حين نزلنا من طائرتنا وهي من نوع دوجلاس ذات المحركات الأربعة . وقد استغرقت رحلتنا من «أكرا» إلى هذه الجزيرة ست ساعات وعشرين دقيقة ، قطعنا خلالها ١٣٦٢ ميلا . وكانت أمتع رحلة قطعتها بطائرة وأهدأها ، يقودنا الطيار «جيبز» . وقد رأى أن خللا بسيطاً أصاب أحد محركات طائرته ، فبقينا في الجزيرة إلى ما بعد العصر ، وظل الميكانيكيون يحيطون بالطائرة من كل جانب ، وكذلك تيسر لنا أن نطوف الجزيرة .

ثم قال الكابتن جيبز : « موعدنا الساعة الثالثة والنصف ، فإذا لم نستطع أن نطير عندئذ ، فلا مناص من أن نقضي ليلتنا هنا » إذ لم يشأ أن يطير خشية أن يضطر إلى العودة إلى الجزيرة في جنح الظلام . فهذا مدرج ينبغي أن يتبينه الطيار بكل وضوح قبل أن يحاول الهبوط عليه .

وقد يتخطى الجزيرة أحياناً نظر الطيارين ، فالباحث عنها كما يقول « ماكس بيربوم » في جملته المشهورة ، كمن يحاول أن يولج الخيط في خرم إبرة من مكان بعيد . ومن أجل ذلك أبقوا فيها سفينتين أو ثلاثاً من السفن السريعة ، على تمام الأهبة لإرشاد طائرات النقل الكبيرة إذا ساء الجو ، أو لإدراكها إذا أخطأها نظر الطيارين .

وجو الجزيرة معتدل في أغلب الأوقات ، لا هو حار لافح ولا هو بارد قارس ، ويهب عليها نسيم عليل سرعته عشرين ميلا في الساعة ، ويكثر فيها المطر فينقلب رمادها الأحمر طينة موحلة .

وقد زرنا « جورجتون » مستقر البريطانيين ، ووجدنا فيها نادياً للمنفيين وسجناً خالياً لم يدخله سجين منذ سنة ١٩٢٥ . وشاهدنا لوحة مثبتة على جدار قديم مرقوماً عليها هذه الكلمات : « حكومة سانت هيلانة » إذ كانت الجزيرة ملحقة سياسياً بجارتها الكبيرة . ثم انثنينا خلال ودية اللابة ، وصعدنا المراعي الصدئة المليئة بالحجارة ، ونظرنا من فوقها إلى التل الذي يسمونه « التل الأخضر » ، فلم نجده شديد الخضرة . ورأينا الشواطئ المزبدة حيث تستحيل

السباحة . ورأينا النزل ، وقد كاد يتم بناؤه ليكون معداً لاستقبال المئات من المسافرين كل يوم ، وقد أقاموه على مكان جميل منحدر مشرف على البحر . فلما وصلنا إليه قال دليلنا الكولونل « ملينكس » قائد المنطقة : « ولم لانهيئ للزائرين فرصة للتمتع بهذا المنظر الخلاب ! ! » .

أما سكان الجزيرة فهم طوائف من خطاطيف البحر تتجمع منها آلاف على آلاف أسراباً صاخبة طائرة فوق الصخور . فإذا حامت فوق مدرج المطار أسرابها الكثيفة كانت خطراً على الطيران. وقد اصطدم سرب منها بإحدى القلاع الطائرة فحطم نافذتها وعطل جهازها اللاسلكي . ولحم هذه الطيور لايؤكل وإنما يؤكل بيضها .

وكان غداؤنا طيباً شهيا ، قدم إلينا حساء طيب وفطائر ، ونخبة من الخضرات وسلطة ملبسة بالجبن ، وشراب الليمون ، وكعك ، وفاكهة محفوظة ، ثم قهوة . وكل شئ من الطعام يجلب إلى الجزيرة من الخارج إلا بيض الخطاطيف . وفى هذه الأيام تصل إلى الجزيرة فى كل شهر سفينة تموين محملة بالطعام ، وبما يحتاجون إليه من الملابس والوقود والعتاد والذخيرة . وليس بالجزيرة ماء يصلح للشرب ، ولكن الكيميائيين يكررون ماء البحر حتى يصلح .

فلما انتهينا إلى الشاطئ الطويل الملتوى تحت مدرج المطار ، شاهدت شيئاً جعلنى أجفل . لقد كان شجرة ، هى الشجرة الوحيدة فى الجزيرة كلها ، قد حنت الرياح الدائمة جذعها ، وتجردت من سعفها . وقد أشار إليها الكولونل « ملينكس » وقال : « هذه هى غابات الجوز ! » وقد وضع هذا الضابط إلى جوارها مقعداً مفرداً ، يسميه « أريكة شهر العسل ! » .

والقوات التى تتولى حراسة الجزيرة تعد من القوات العاملة ، يلبس ضباطها ورجالها دائماً خوذاتهم الحديدية ، وهم يقظون متأهبون لكل ما يحدث وما يتوقع ، حتى أن تغزوهم غواصة من غواصات المحور . وقد سألت الكولونل ملينكس مستفهماً : «أهذا الشاطئ محصن» ؟ فأجابنى فى هدوء : « أنت الآن بين وكرين من أوكار المدافع السريعة ، وإن كنت لا تستطيع أن تهتدى إليهما ! » .

وقد مررنا بأحد المستشفيات وحادثنا جماعة من المرضين الذكور . وقد زار الجنرال « مارشال » هذه الجزيرة مرة ، فسأل قائدها أهو فى حاجة إلى بعض الممرضات من المجندات ؟ فكان جواب القائد : لا ، إلا أن ترسل إلىّ ما لا يقل عن الألفين .

والروح المعنوية فى الجزيرة من الطراز الأول ، ومع ذلك فهى أصعب الأماكن التىأرسلت إليها القوات الأمريكية وأشدها وحشــة . وقد احتاطوا من أجل ذلك فأعدوا ما يلزم من الوسائل لراحة الجنود والترفيه عنهم ، فغطوا الموائد مثلا فىأماكن الحراسة القاصية بالأقمشة القرمزية الزاهية ليكون لونها الزاهى بهجة للنفوس وجـلاء للأعين . وأكثر رجالالحامية قد أصابتهم عدوى الحماسة المتوقدة فى صـدر قائدهم الكولونل ملينكس . وقد قال لى : « إن إمرتى على هذه الجزيرة هى خير ما تأمّـر عليه رجل ، ولن أستبدلها بإمرة أخرى مهما يكن من شىء » .

فلما كانتالساعة الثالثة والربع ، صعدنا إلىطائرتنا فشددنا علىأوساطنا الهابطات ، ثم استمعنا إلىهدير المحرك يزأر من جديد. فلما كانالمساء تعشينا فىالبرازيل . وبفضل جزيرة أســنشن قطعنـا المحيط الأطلسى مستريحين آمنين بين الفجر والغسق .

وقد تذكرت حينذاك ما قاله لى ضابط صينى فى « أكرا » : « ليت شعرى ، ما أكبر ما أنعم الله به على الحلفاء يوم هيأ لهم هذه الجزيرة الصغيرة ، فى عرض الأطلسى ! » .

■ أن تغلب دون أن تستسلم ، ذلك هو الظفر

[المارشال بلسودسكى]

عبر التاريخ

سئل الدكتور شارلز بيرد المؤرخ الأمريكى هل يستطيع أن يلخص عِـبَر التاريخ فى كتاب موجز فردّ بالكلمات الأربع التالية :

١ — إذا أراد الله أن يهلك رجالا سلط عليهم الجنون بالسلطان

٢ — إن رحى القدر تطحن فى بطء ولـكن طحنها دقيق ناعم

٣ — النحل يلقح الزهر الذى يسلبه أريه

٤ — إذا اشتد الظلام رأيت النجوم

[الدكتور آرثر سيكورد ، جامعة مشجن]

هل تعلم السبب فى أن كل انتصار للحلفاء يزيد فى ضرورة مضاعفة الانتاج

النصر غالى الثمن



الحرب تلتهم السلاح التهاما

* * *

دونالد م نلسون • رئيس مجلس الانتاج الحربى

كلما تقدمت جيوشنا فى زحفها ، ازدادت حاجتها إلى المؤونة والذخائر . إن القتال العنيف يستهلك العتاد بسرعة هائلة . ولنضرب لذلك مثلا قريباً : إن الجندى فى معسكرات التدريب يستهلك زوجاً من الأحذية كل ثلاثة أشهر أو أربعة . وفى صقلية بليت نعال كثير من الجنود فى ثلاثة أيام !

والقلاع الطائرة أحق بالاهتمام من الأحذية. إننا نحس جميعاً أن من أهم العوامل فى إحراز النصر النهائى على ألمانيا ، أن نزيد غاراتنا الجوية عليها ازدياداً مطرداً . لقد أصبحت هامبورج أنقاضاً ، وبلاد الرور الصناعية أطلالا بالية ، والمصانع اللازمة لإنتاج ألمانيا الحربى قد نال منها التدمير . فلا شك أننا تقدمنا فى غاراتنا تقدما عظيما ، ولكن هل معنى هذا أننا نستطيع أن نتريث قليلا فى إنتاج قاذفات القنابل ؟

حسبى أن أذكر حقيقة واحدة ، وهى أنه لا بد لألف عامل من صانعى الطائرات ، أن يعملوا أربعين ساعة فى الأسبوع سنة كاملة ، لكى يصنعوا الستين قاذفة ، التى خسرناها فى يوم واحد فى الإغارة على بلدة شوينفورت . ولا أضيف إلى هذا عدد الساعات التى لابد أن يقضيها العمال فى إنتاج المواد التى تصنع منها الطائرات ، مثل استخراج المعادن والوقود من المناجم ، ثم تحويلها إلى فولاذ وألومنيوم .

إن معركة صقلية قد جلت لنا هول دمار الحرب . ولم يكن سبب ذلك أن العدو قد استولى على عتاد صنعناه بعرق الجبين ومجهود الجسد ، أو أن قنابله دمرت عدتنا تدميراً شديداً ، هذا على أننا احتملنا نصيبنا من التحطيم فى المعركة ، بل الذى أحاول أن أبينه ، هو أن الجيش الظافر نفسه يستهلك العتاد بسرعة هائلة . وأنا أعرف فرقة استهلكت جميع مدافعها فى ذلك الشهر .

ومن أهم الأسلحة فى جيشنا مدفع الهاوتزر عيار ١٠٥ مليمتر ، وهو مدفع جيد الصنع ، لا يقل جودة عن أى قطعة من القطع التى تستخدم فى أى ميدان من الميادين . ومن الممكن أن يطلق هذا المدفع ٧٥٠٠ قذيفة قبل أن تتثلم ماسورته بحيث تصير غير صالحة لإحكام الرماية ، ويصير الجهاز الآلى قد استهلك تماماً . وفى حملة صقلية استنفدنا مئات من هذه المدافع فى ثلاثين يوماً . وكان الأسرى من الضباط الألمان الذين أخذناهم فى صقلية يتساءلون — بفضول الخبير — عن تلك «النار السحرية» التى كنا نسلطها عليهم ، فإنهم لم يكونوا يتصورون هولاً أشد من هول القذائف التى كنا نصبها عليهم صباً . ولكن لم يكن فى الأمر سحر ، بل هم رجال مدفعيتنا المدربون يستخدمون مدافعهم إلى أقصى طاقتها ، ويستهلكونها فى الاستعمال.

وليس لأحد بالطبع أن يتحدث عن عدد المدافع التى استخدمت من كل نوع فى صقلية ، ولكنى أستطيع أن أقول لكم إن الذى فقدناه أو استهلكناه — وأكثره مما استهلكناه — يزيد على ثلث المدافع من عيار ٧٥ مليمتراً ، التى أرسلت إلى هناك ، ونحو نصف المدافع من عيار ٥٧ مليمتراً وما يزيد على النصف من طراز خاص من قواعد المدافع . ولاشك أن القتال فى إيطاليا سيكون مثل ذلك بل أسرع استهلاكا .

لهذا كان علينا ، حين نرسل مائة جندى وراء البحار مزودين بمائة بندقية ، أن نبعث معهم بستين بندقية أخرى لنعوض ما قد يفقد أو يستهلك فى سنة واحدة . ولا بد من إرسال خمسة وثمانين مدفعاً رشاشاً لتكون عوضاً لكل مائة مدفع .

وتستهلك المعارك الثياب بسرعة مدهشة. فقد استهلك بعض الجنود ثيابهم فى تونس وصقلية فى فترة أسبوع وكانت تكفيهم ثمانية أشهر فى معسكرات التدريب . وفى الغابات شديدة الحرارة والرطوبة فى برما وجزر المحيط الهادى ، كثيراً ما يتسرب العطب إلى كل شىء مصنوع من الجلد أو القماش فى مدة لا تتجاوز ٧٢ ساعة .

وجيشنا مزود بسيارات من أمتن ما تستطيع معاملنا إنتاجه ، ومع ذلك فإن استخدامها أشهراً قلائل فى طين روسيا أو ألاسكا أو الأقاليم الحارة ، أو فى الطريق الوعر من العراق إلى إيران المستخدم فى إمداد روسيا ، كاف للقضاء التام عليها .

وقد اضطررنا منذ زمن وجيز أن نجدد عتاد فرقتين تحاربان فى الغابات الحارة ، تجديداً كاملا . وكان من جملة آلاف من الأدوات المطلوبة ١٧٤١ سيارة و ٥٩٢ جرارة .

والحرب فى روسيا تبين لنا أن الصر

معناه أن نبذل مجهوداً أعظم . فإن الروس قد غنموا من العدو مساحات واسعة جداً بحيث أصبحت مشكلة النقـل فى الأقطـار المستردة تزداد تفاقماً فى كل يوم . والمعارك الطاحنة التى لا تزال أمام الروس ، ستتطلب عدداً كبيراً من سيارات النقل . وإذا كانت القاطرات التى أرسلناها إلى الروس فى عام ١٩٤٣ قليلة ، فربما طلبوا منا مئات من القاطرات فى ١٩٤٤ لكى يستطيعوا أن ينتفعوا بانتصاراتهم، وأن يستخدموا الطرق الحديدية التى غنموها أحسن استخدام .

وكلما اتسعت ميادين هجومنا ، تهافتت علينا الطلبات لإنتاج أشياء أخرى لم نكن نتوقع أن تزداد الحاجة إليها هذا الازدياد . مثال ذلك ، لم يكن أحد يقـدر الطلبات الهائلة لآلات الإذاعة وملحقاتها . وكان لا بد أن نتعلم هذا الدرس من الحرب نفسها ، فإن من الحقائق المزعجة أننا فى عام ١٩٤٤ سننفق فى إنتاج أدوات الراديو من المال ، بل من المجهود الجسدى أيضاً ، ما يعـادل ما أنفقناه فى حفر قناة بناما . وهذا معناه عبء ثقيل فوق ما كنا نتوقعه .

إن كل انتصار عظيم يتلوه حتما إصلاح ما أتلف ، وتعمـير الأرض التى خربت ، وتحويلهـا إلى قاعـدة جديدة للعمليـات العسكرية المقبلة ، أومساعدة أهلها لـكى يستطيعوا إصلاحها وسد حاجاتهم بأنفسهم. وهذا كله يتطلب عدداً لا يحصى من السيارات والقاطرات والجرارات ، وآلات توليـد الـكهرباء .

فهذه وجوه مختلفة من الإنفاق تستنفد شطراً كبيراً من إنتاجنا الحربى . فكلما تقدمت جيوشنا استنفدت الأقطار التى وراءها مقادير متزايدة من الأمداد .

إن العامل يكسب المعارك ، وينقذ أرواح الجند . وهذه الحقيقة تصدق فى هذه الحرب أكثر من أية حرب أخرى ، وهى تصدق فى هذا القطر أكثر من أى قطر آخر ، فالفولاذ ينقذ الأرواح . والفضل فى نقص الخسارة فى جنودنا يرجع إلى المقدار الهائل من المعادن التى تقذف بها العدو . وهـذا الرجحان فى المـادة هو الذى يقصم ظهر خصمنا ، ويسحق مقاومته ، ويجعله عاجزاً عن أن يرد على الضربة بمثلها .

وليس بسر من الأسرار أن هـذه هى خطـة قوادنا : أن ننتفع إلى أقصى حـد بميزتنا الـكبيرة، وهى قوة الإنتاج الهائلة وأن نستخدمها فى مواجهة العـدو . وبعبـارة أوضح نريد أن ننفق عن سعة من الذخيرة والعتـاد ، ومن القوة العـاملة التى تتمثل فيها ، وأن نقتصد فى الأرواح ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

هذه ملاحظات عن أسلوب معيشة اليابانيين ومصدر قوتهم وضعفهم، يدلى بها رجل عاش بين اليابانيين كما يعيشون، لا كما يعيش السائح.



أفاق يطوف فى اليابان

جون باتريك • ملخصة عن كتاب "لماذا كانت اليابان قوية"

بلاد اليابان أصغر مساحة من ولاية كاليفورنيا، وأقل منها ثروة طبيعية. ومن حين لحين تجتاحها الزلازل والعواصف، والطوفان والنيران والبراكين. ستة أسباع مساحتها جبلى لا يكاد يصلح للزراعة أو السكنى، وليس لليابانيين — البالغ عددهم ٧٥،٠٠٠،٠٠٠ — من الثروة المادية ما يعادل ما يملكه عشرة ملايين من أوساط الناس فى أمريكا.

ومع هذا استطاعت اليابان أن تستولى على إمبراطورية ضخمة!

لقد جبت أرض اليابان مستطلعاً حين كانت تتأهب للسطو على برل هاربر، فأقنعنى ما رأيته بعينى أنها ستفقد تلك الإمبراطورية، ولكنى واثق أيضاً أنه لا بد لأمريكا من أن تدفع ثمناً غالياً حتى تقهر اليابان.

كان « حادث » منشوريا فى عام ١٩٣١ أول شئ أثار عزيمتى على أن أزور اليابان وأدرس سكانها. ولم يكن حادثاً ولا أمراً عارضا، بل كان أول نار أضرمت فصارت جحيما طبّق الأرض.

فالحرب العالمية الثانية إنما بدأت فى الساعة العاشرة من مساء يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١، وكان أولها انفجار ضئيل على خط سكة حديد منشوريا الجنوبية، التى تملكها هيئة يابانية. وكان هذا الانفجار من التفاهة بحيث لم يمنع القطار السريع القادم من تشانج — تشون من أن يصل إلى مكدن فى الموعد المحدد، وذلك بعد الانفجار بنصف ساعة. ولكن قيادة الجيش اليابانى عدّته من أعمال التخريب، فقتلت بضع مئات من الجنود الصينية فى إحدى الثكنات القريبة. وفى الوقت نفسه قامت الجنود اليابانية، يعاونها عدد كبير من رجال الاحتياطى المسلح من اليابانيين، فاستولوا على ما للصينيين من الثكنات والمطارات والعدة الحربية.

فلم يصبحوا حتى كانت اليابان قد انتزعت من الصين أرضاً تعادل مساحة إيطاليا،

وهى من أغنى بقاع القارة الأسيوية . ولعله أسرع فتح وأرخصه فى تاريخ العالم .

فأى شعب هـذا الشعب الذى قام بذلك العمل ؟

أردت أن أعرف ، ولـكن لم يكن لدى من المال ما يكفيني حتى أسافر إلى اليابان ، فما أنا إلا بائع متنقل بين البـلاد لا يزيد كسبي على أربعين دولاراً هى كل ما أسد به حاجتى ، فاكتفيت بمطالعة ما كتب عن اليابان . ولـكنى كنت كلما أمعنت فى القراءة تبينت أن السياحة فى اليابان قد تـكلف من يسافر فى الدرجة الأولى ثمناً غالياً ، ولـكن الحياة قد تـكون رخيصة جداً إذا استطعت أن أعيش كما يعيش اليابانى ، طعامى الأرز والسمك ، وانتقالى فى مركبات الدرجـة الثـالثة المزدحمة ، ورقادى على الأرض فى خان وطنى .

فجعلت أتساءل : لو أنا بادرت ، منذ الآن ، بأن أعيش فى الولايات المتحدة كما يعيش الفقراء فى اليابان ، أفلا يمكننى بهذه الوسيلة أن أقتصد مالا لرحلتى ، وأن أعوّد نفسى خشونة الحياة اليابانية ؟

وجاء يوم فودعت عيش الراحة ، وقضيت ثلاثة أشهر أنام فى سيارتى ، وأحلق لحيتى فى الحمامات الملحقة بمحطات البنزين ، وأستحم فى البحيرات أو الأنهـــار ، أو أكتفى بالاغتسال بماء ساخن من خزان السيارة فى إحـدى الطرق التى يقل فيها المرور . وبذلك اقتصدت من نفقات الفنـادق ١٣٥ دولاراً .

فى تلك الأيام كنا نشترى العلبة من سمك السلمون المحفوظ بربع ريال ، والرغيف الـكبير بقرشين ، وهذا النظام يكاد يشبه غذاء اليابانيين من السمك والأرز . وكنت أسخن السمك المحفوظ بأن أضع العلبة على ماسورة العادم بالسـيارة ، ثم أصيب منه مقداراً عظما وهو حار ، وأصنع من الباقى شـطيرة . وأحياناً كنت آكل علبة من الفاصوليا المحفوظة ، وهى قريبة الشبه بفول الصويا الذى يأكله اليابانيون . فلم يكلفنى طعـامى أكثر من دولار وثلاثة أرباع فى الأسـبوع .

وكذلك ظللت أقرأ كل ما تقع عليه عينى عن الشرق الأقصى ، واشتريت قاموساً للمحادثة باليابانية ، كان فيما بعد عظيم النفع . فإن مائة كلـة يابانية يحفظها المرء ، وشئ من الإشارة والحركات ، كفيلة بأن تأتى بنتائج مدهشة .

ثم صح عزمى على السفر ، فاشتريت تذكرة فى الدرجة الثـالثة على البـاخرة اليابانيـة هيـان مارو ثمنها ١٩٥ دولاراً ، ثم دفعت خمسة دولارات ضريبة ، وعشرة ثمنا لجواز

السفر ، فبقى معى ١٦٥ دولاراً . فكان هـذا المبلغ ضعف ما أحتاج إليه للسـياحة بضعة أشهر فى جميع أنحاء اليابان .

كانت السفينة هيان مارو باخرة جديدة من الدرجة الأولى ، وبرغم حداثتها لم يخصص لبحارتها سوى مكان صغير ، إذا قيس إلى الجزء المخصص للبحارة فى باخرة نقل من أقدم طراز . وذلك أن اليابانيين ألفوا من الصـغر أن يعيشوا فى أمكنة ضـيقة ، ولهـذا فإن أى سفينة يابانيـة من ناقلات الجنود تستطيع أن تحمل من الجنود ضعف ما تحمله أية سفينة أمريكية من نفس الحمولة أو ثلاثة أضعافه ، ثم يبقى فيها بعد ذلك مكان لغيرهم . ومن أجل ذلك تكون الخسارة فادحة فى الأرواح حينما تصاب ناقلات جنودهم بالغرق .

تعرفت وأنا فى البـاخرة بمهندس يابانى اسمه تاباما ، وكان راجعاً إلى وطنه بعد أن قضى بضع سنين فى الولايات المتحدة . وقد علمنى كيف أتناول طعامى بأعواد الخشب على الطريقة اليابانية . وقال : « إنه لأيسر عليك بهذه الأعواد أن لا تبقى فى صحونك بقية ، حتى الحساء لا تضيع منه قطرة » .

فسألته برهان ذلك ، فقدموا لنا الحساء فى صحون صـغيرة من الخشب ، ذى طلاء أحمر ، وهو مرق فيه قطع من الخضر وصيد البحر . فأخـذ تاباما يلتقط القطع الصلبة واحدة بعد واحدة ، ثم شرب المرق حتى آخر قطرة ، ونظر إلى وقال : «أرأيت؟ »

قلت : « نعم . ولـكن ماذا تفعل بالحسـاء الغليظ » قال : « لا نطعمه أبداً ، فهو دائماً يلتصق بجوانب الصحن » .

فقلت : « ولـكن القليل المتخلف فى الصحن شئ تافه جداً ! »

قال : « هذا فى نظركم ، ولـكن اليابانى لا يدع الطعام يذهب مع ماء غسل الصحون ، فلقد يتخلف فى الصحن الواحد فى خلال عام ما يكفى لإطعام طفل مدة أسبوعين تقريباً » .

وقدم إلينا اللحم مقطعاً قطعاً صغيرة ، كل قطعة لقمة . فقال تاباما : « فى الولايات المتحدة تتركون على الصحون عظما ودهنـاً وغضروفاً ، ولا ينتفع بها . أما فى اليابان فإن اللحم الذى يقدم هو اللحم الذى يؤكل كله ، أما العظام فإنها تغلى لـكى يصنع منها حساء ، ثم تستخدم بعد ذلك فى الصناعة ، وأما الغضروف فإنه يطحن أو يقطع ثم يؤكل ، والدهن كله ينتفع به . وفى الولايات المتحدة يلقى بهـذا كله إلى الـكلاب أو فى صفائح القمامة » .

وفى يوكاهاما وقفت أراقب الحمالين يفرغون السفن ، وهم فى ثياب رقيقة ، ورأيتهم بعضلاتهم المتينة يرفعون أحمالا

لا يكاد المرء يتصور ثقلها . وهم يدأبون في عملهم ساعة بعد ساعة ، دون أن يستعينوا بعربة أو عجلة . فلم يزل استخدام الرجال في اليابان أرخص ثمناً من استخدام الآلة .

واليوم أفكر في هؤلاء الحمالين وهم في صفوف الجيش الياباني قد كلفوا بأعمال شاقة في الغابات ، ينقلون المدافع وصناديق الذخيرة وغيرها من الأثقال الباهظة ، ولا ينالون من الطعام سوى جراية تافهة ضئيلة ، فلذلك لا عجب فيما أحرزه اليابانيون من الانتصارات الباكرة . وإنما يتبين ضعفهم يوم يواجهون عدة حربية أكثر عدداً وأقوى مراساً من عدتهم .

طلبت من أحد المارة أن يرشدني إلى خان وطني (يادويا) فنظر إلى نظرة المرتاب ، ثم أشار بيده إلى فندق فخم في الطرف الآخر من الشارع ، فقلت له : « كلا لا أبغي فندقاً ، بل خاناً أنام فيه على الأرض ولا أدفع أكثر من ين واحد » .

فأجفل الياباني ، ولكنه قادني إلى خان وطني ، فألفيته خاناً حسناً طبقاً لعرف اليابانيين . وكانت أجرة الحجرة فيه يناً ونصف ين . (والين ربع ريال بالعملة الأمريكية ، ولكنه يعادل في الشراء دولاراً أمريكياً) .

وكان هذا الخان لا يختلف عن أمثاله التي نزلت بها فيما بعد أثناء رحلتي . فالأبواب مصنوعة من الورق الممدود على إطار من الخشب ، وكل باب ينزلق في أخدود مصنوع من الخشب ، وكذلك الحواجز بين الحجرات ، بحيث يمكن تحويل الحجرة الكبيرة إلى عدة حجرات صغيرة . وهذه الحواجز الصغيرة لا تكتم أخفى الأصوات ، ولهذا يسود الخان همس دائم وخليط من الأصوات بعضها ينم عن ميعاد شرب الشاي ، أو عن تناجي العشاق ، أو عن المناقشات .

أما الأثاث ، ما كان منه ، فضئيل الحجم . ولم يكن هناك كراسي ، بل مائدة صغيرة لا يزيد ارتفاعها على ١٨ بوصة ، وهو ارتفاع كاف لمن يجلسون القرفصاء على الأرض . وهناك صوان للثياب فيه مرآة صغيرة ، مما يصلح في حجرة الألعاب لطفلة صغيرة . ففي بلاد اليابان الغاصة بالناس لا يصنع شيء أبداً في حجم أكبر مما تدعو إليه الضرورة القصوى ، فهي وطن النماذج الصغيرة .

وبالطبع لم يكن في الحجرة سرير ، بل حشية من القطن مكسوة بالحرير مبسوطة فوق حصير مفروش على الأرض .

وتوفيراً للمعادن تصنع المواقد والحمامات والأحواض كلها من الخشب . وقلما نجد

فى اليابان نظام التدفئة الداخلية ، مع أن شتاءها قارس ، بل تدفأ كل حجرة على حدة بالفحم النباتى يوقد فى وعاء خشبى مملوء بالرماد ، وتنقل هذه النار من حجرة إلى حجرة وفقاً للحاجة ، ولا داعى لبناء مدخنة أو مد أنبوبة .

ولم أجد الماء الجارى فى أى حجرة نزلتها فى خان يابانى . وكذلك لا تستخدم الأنابيب المعدنية إلا بالقدر الضرورى ، الذى لا بد منه لتوصيل الماء إلى حوض خشبى ، يكون عادة فى المطبخ ، حيث يصطف الرجال والنساء على السواء انتظاراً لدورهم فى الاغتسال وقت الصباح .

وأكثر المراحيض فى المنازل والخانات لا تتصل بمجار ، لأن الفضلات تجمع كلها ، وتنقل إلى الجهات الزراعية للتسميد .

وقد قال لى تاياما : « كثيراً ما سمعت الأمريكيين ينتقدون اليابانيين من أجل هذا ، ويحذرون السائحين أن يأكلوا الخضروات غير المطبوخة . وهذا هراء ، لأن الزارع اليابانى يعلم تماماً أن هذا النوع من السماد يجب أن لا يستخدم فى زراعة الجزر والفجل ، ولكن السماد البشرى أكثر إخصاباً للأرض من السماد الحيوانى . أتظن اليابانيين يحبون هذا العمل القذر الكريه ؟ كلا ، ولكنهم مضطرون إليه لكى يردوا إلى الأرض كل شىء يعوض خصبها المفقود .

وحوض الحمام فى اليابان صهريج من الخشب ، يسخن الماء فيه أحياناً بالفحم النباتى موضوعاً فى وعاء صغير مثبت بالصهريج ، وأحياناً يسخن الماء فى المطبخ ثم ينقل إلى الصهريج . وملء صهريج واحد كاف للجميع ، فإنهم جميعاً يستخدمون الماء نفسه ، فيغترف كل واحد كوزاً من الماء ، ويغتسل به كأحسن ما يغتسل ، فلا ينزل فى الصهريج إلا نظيفاً نقياً ، ويظل لحظات فى مائه الحار .

وليس لأبواب البيوت أو الخانات أقفال أو مغاليق أو مفاتيح أو مزاليج ، أو أى شىء مصنوع من المعدن . وفى وقت الاغتسال لا يعبأ أى شخص بالآخرين أثناء الاستحمام . وفى قاموس المحادثات اليابانية ، الذى وضعه أرثر روز أنس ، إشارة من تلك الإشارات الطريفة التى تجعل قاموسه من أحب الكتب إلى النفس حيث يقول فى مادة ستر : « إن التستر قليل جداً فى اليابان حتى يصعب عليهم ترجمة هذه الكلمة » .

وهكذا نجد أن جميع محتويات الخان أو المنزل اليابانى تمثل البساطة المتناهية ، كما تمثل شدة قبولها للاحتراق . وقد وقفت مرة أراقب بيتاً فى اليابان وهو يحترق ، ثم جعلت أفحص الرماد لأرى ما فيه من القطع

المعدنية ، فلم أجد أكثر مما أمكننى حمله فى كلتا يدى .

ومما دعا اليابانيين إلى بناء منازلهم خفيفة رقيقة أنهم يستطيعون أن يعيدوا بناءها بسرعة ، كأنها ضرب من التأمين إزاء خسارة أفدح وأثقل . فإذا قذفت مدينة يابانية بالقنابل واحترقت جميع منازلها ، فإن كل ما يحتاج إليه السكان ليستردوا المنافع التى اعتادوها وألفوها : هو بضع أدوات من الخشب والخزف ، وحصيرة من القشليناموا عليها . وقليل من الفحم النباتى للتدفئة ، وحفن قليلة من الطعام .

غير أن أسلوب المعيشة عند اليابانيين ، جعل نظامهم الاقتصادى بادى الضعف فى زمن الحرب ، فإن الصناعات المعدنية كلها قد خصصت لإنتاج العدة الحربية ، لا إلى إنتاج مواد التعمير والإنشاء . فإذا ما دمرت القاذفات الأمريكية المصانع المركزة فى مواضع قليلة ، فإن اليابان لن تستطيع أن تعيد بناءها كما تعيد بناء المنازل . ويكفى إلقاء خمسين قنبلة ، على الأحياء الصناعية المكتظة فى أوزاكا أو كوبى أو نوجايا أو يكوهاما أو ساسيبو ، لتعطيل إنتاج اليابان الحربى بنسبة تعادل عشرة أمثال ما تحدث تلك القنابل فى بلدة مثل أسن أو لفربول .

خرجت ذات صباح أتمشى خارج بلدة نيقو ، سالكا طريقاً ريفياً يمتد محاذياً لأحد الأنهار حتى يدخل منطقة المرتفعات . وكنت كعادتى لا أقصد وجهة معينة ، ولم يكن لى غرض أنشده ، بل كل بغيتى أن أرى كيف يعيش الناس وكيف يعملون .

فشاهدت يومئذ أشياء طالما أبصرتها فى اليابان مرة بعد مرة . أذكر منها على سبيل المثال منزلا ريفياً سقفه من الحطب ، وقد عرشت عليه عروش ممتدة من الأرض إلى السطح ، وهناك أزهرت مزرعة وأثمرت . وإلى جانب المنزل حقل حبوب لا تزيد مساحته على مساحة الفناء الخلفى لمنزل فى قرية صغيرة ، ولكنه كله ملك للمزارع . ويتألف الحقل من مدرجات عديدة ، وقد حرث الرجال أرضه بالجاروف، لا بالمحاريث تجرها الخيول .

وفى وسط الحقل عمود قائم يبلغ ارتفاعه ستأقدام أوثمان ، وفوق العمود بيت صغير مفروش بعيدان الشجر ، وقد امتدت من ذلك البيت الضئيل خيوط كثيرة معقدة كأنها نسيج العنكبوت ، كل خيط منها مثبت فى عصا بأطراف ذلك الحقل الصغير ، وقد تدلت من جميع الخيوط شرائط من الورق المهمل .

وقد جلس وسط البيت الضئيل طفل لا يتجاوز الخامسة من عمره ، وهو أصغر

من أن يزاول عملا حتى فى اليابان . ووظيفة هذا الطفل أن يراقب الحقل ، فإذا اقترب منه طائر ، فعليه أن يهز الخيط القريب منه ، ويحرك الأوراق ، ليذود الطائر قبل أن يتمكن من سلب الأسرة حبة واحدة من طعامها الثمين .

وهناك أطفال صغار يعملون من الفجر حتى الغسق ، أيام شهر يونيو ، يصنعون من الأوراق المهملة أكياساً ، ثم يربطون كيساً منها حول كل تفاحة آخذة فى النمو ، على كل شجرة فى الحديقة ، لوقايتها من الحشرات . ولا شك أن كل طفل مارس هذا العمل لن تحدثه نفسه ما عاش أن يرمى تفاحة لم يأكل سوى نصفها ، أو يترك فى صحنه بقية من الأرز .

إن أمريكا تحارب عدواً أخص مزاياه التقشف والخشونة — والقسوة . ولقد أدهشتنى قسوة اليابانيين ، لأنهم فى العادة على جانب عظيم من الأدب .

فى يوم شديد الحر رأيت فى طوكيو منظراً بشعاً ، أبصرت كلباً موثقاً إلى شجرة ، يلهث من شدة الحر ، هزيلا نحيلا كأنه مجموعة من العظام تتنفس وليس بها من الحياة إلا بقية ، وجموع اليابانيين تغدو وتروح ، على ذلك الحيوان البائس ، دون أن يعبأ بأمره أحد .

فذهبت فاشتريت قليلا من اللحم من دكان قريب ، وأدنيتها إليه ، وإذا بالحيوان الجائع المسكين ، وقد جن من شدة الجوع ، ينقض بعنف على اللحم حتى أطبقت أنيابه على يدى . فجعلت أنظر مرتاعاً مذعوراً إلى ما تمزق من جلدى ولحمى ، واجتمع المارة من حولى وأمعنوا فى الضحك ، وأخذ الذين شاهدوا الحادث يقصون خبره على الذين لم يشاهدوه ثم يضحكون جميعاً .

لم يفه واحد منهم بكلمة عطف ، ولم يتقدم لمساعدتى أحد ، فلففت يدى فى منديل على قدر طاقتى ، ثم ذهبت إلى متجر كبير يؤمه الأجانب ، وطلبت عنوان أحد الأطباء . ثم أطلعت أول من صادفنى من المارة على العنوان ، فإذا هو ينحنى ويهمس بمنتهى الأدب ، ثم يمشى معى مسافة غير قصيرة فى غير طريقه ، لكى يدلنى على مكان الطبيب .

حقاً إن اليابانيين لشعب غريب .

ورأيت مرة فى مدينة نيقو حصاناً مربوطاً إلى وتد ، فى أرض فضاء يمر بها مئات الناس فى كل ساعة من النهار ، وقد شملت جسمه من الرأس إلى القدم جروح واسعة مفتوحة ، وقد أحاطت به أسراب الذباب والحشرات تهاجمه بغير انقطاع . فكان لا ينفك يرفس ويعض نفسه من شدة الألم . وقد حاولت أن أصنع له شيئاً ، فبحثت

سدى عن صاحبه، ثم جعلت أحاول عبثاً أن أثير اهتمام أى إنسان للبحث عن بيطار، فكان كل شخص ينحنى ويبتسم ويهمس بأدب، ثم يمضى لسبيله . وكان من الواضح أنهم يظنون بى كل الحماقة لأنى تأثرت من مثل هذا المنظر.

وقلة اكتراث اليابانيين للألم ليست قاصرة على الحيوان ، بل تشمل البشر أيضاً إذا كانوا ضعفاء أو منحطين فى نظرهم . ولقد رأيت مرة حارسين من حراس القطار فى اليابان يضبطون فتى كورياً صغيراً كان راكباً خلسة تحت إحدى المركبات ، فوقف كل منهما إلى جانب من المركبة وأخذا يطعنان الفتى بعصا ثقيلة مستطيلة ذات طرف مدبب . وكان الفتى باسلا عنيداً ، فاستطاع أن يقاوم لحظات . ولكن الوخز الشديد المتتابع فى جسده ويديه ورجليه اضطره فى النهاية إلى الخروج من مخبئه ، والدم يسيل من عدة مواضع من جسمه . وكانت الإصابة فى يديه ورجليه شديدة ، وكان منظره غريباً كمنظر المصلوب . وساقه الحارسان فى زهو المنتصر ، ولم يكفا عن ضربه . ولا عجب فى ذلك فما هو إلا من الكوريين .

كان اليابانيون — قبل الحرب — يظنون أن أمريكا بلد غنى كسول — ضعيف. وهكذا عرفوا أمريكا من بعض الوجوه . وقد صوروها ورسموها ، وأرسلوا الطلاب يدرسونها ودونوا بمنتهى العناية كل شئ عنها فى مذكراتهم ، ورسموا خطة كاملة للفوز فى القتال . وعلى هذا الأساس خاضوا غمار الحرب . ولكن اليابانيين شعب فقير الخيال، فإنهم لا يزالون يظنون أنهم يحاربون أمريكا التى كانت بالأمس ، ولهذا السبب لا تزال قواهم المعنوية سليمة . وهم عاجزون عن أن يتصوروا أمريكا كما صارت اليوم : أمريكا التى تأتى بمعجزات الإنتاج ، أمريكا الغاضبة، أمريكا التى لن تقبل أن تفاوضهم فى الصلح، أمريكا العنيدة التى تبنى اليوم عدة هائلة من القوات الجوية والبحرية ، ولن تلبث حتى تنزل باليابان أكبر كارثة حاقت بها فى خلال ستة وعشرين قرناً من تاريخها .

✲ ✲ ✲ ✲ ✲

محافظ نيويورك : يمثل العمال !

كان فيوريلو لاجارديا محافظ مدينة نيويورك على ميعاد مع ثلاثة من ممثلى الوفد التجارى السوفيتى ، فى مكتبه ، فلبس ثياباً قديمة رثة وجلس ينتظرهم فلما أقبلوا رأى عليهم ثياباً رسمية أنيقة ، فالتفت إلى بذلته وهو يحييهم وقال : « يا أسياد إننى أمثل العمال ! » .

لا تصدق!

ملخصة عن كتاب بهذا العنوان

اوجست ا. ثومين
الدكتور فى الطب الباطنى ، ومدرس علم الطب الباطنى بكلية الطب بجامعة نيويورك
وزميل المجمع العلمى للطب بنيويورك

١ — أن أكل التفاح الأخضر يوجع المعدة .

الفاكهة الفجة بوجه عام صلبة وغير مستساغة ، ولذلك فهى خليقة ألا تمضغ جيداً . وهذا — لا فجاجة الفاكهة (قلة نضجها) — هو ما يسبب أوجاع المعدة . دعيت مرة لأرى طفلا فى العاشرة من عمره يتلوى من الألم ، وأكد أقارب الطفل أنه ممعود من أكل التفاح الأخضر ، ولكن ثبت من قىء الطفل أنه وإن كان حقيقة أكل تفاحاً ، إلا أن هذا التفاح كان أتمّ ما يكون نضجاً . وقد نشأ المغص من أنه أكله بسرعة عظيمة ، كما دلت على ذلك ضخامة المضَغ المبتلعة . ولا يوجد فى التفاح الأخضر بالذات ما يوجب إيجاع المعدة ، وإذا أكل التفاح ببطء ، وأجيد مضغه ، فإن المعدة عاجزة عن التمييز بين الناضج منه والفج .

٢ — أن مكان القلب فى الجانب الأيسر من الصدر .

إن تسعة من كل عشرة أشخاص مثقفين يشيرون إلى مكان القلب بوضع اليد على الجانب الأيسر من الصدر ، على مسافة بوصة أو بوصتين فوق الحافة السفلى للأضلاع . وقد نشأ هذا الخطأ من أن التجويف الأكبر من تجاويف القلب الأربعة ، أى البطين الأيسر الذى يدفع الدم منه إلى الجسد ، هو فى يسار القلب ، متجه الرأس إلى الشمال والأسفل ، ومن أجل ذلك كان الإحساس بنبض القلب أشد مايكون فى الجانب الأيسر ، ومع ذلك فلو قدّ الجسم نصفين فى منتصف عظمة القص لوجد نصف القلب إلا قليلا فى الجانب الأيمن من الصدر .

٣ — أن « الكسر المركب » كسر تحطم فيه العظمة فى عدة مواضع .

إن اصطلاحى « الكسر البسيط » و « الكسر المركب » لا علاقة لهما إطلاقاً بعدد ما يحدث فى العظمة من كسور . « فالكسر البسيط » كسر لا يجرح الجلد ومعه إن تصدع العظم فى أكثر من موضع ،

أما « الكسر المركب » فكسر يجرح الجلد معه ويتعرض الجرح للهواء . ويرجع السبب فى هذا التميز إلى خطورة ما يمكن أن يضاعف الكسر من عدوى الجراثيم . فإذا كان الجلد سليما فلا عدوى من الخارج ، أما إذا جرح فقد يضاعف الكسر بالتهاب رِقى العظام (مخها) من عدوى الجراثيم ، مما قد يؤدى إلى التقيح زمناً طويلا بعد التحام العظم المصدوع .

٤ — أن حساء اللحم مغذّ عظيم .

إن ما فى حساء اللحم من الغذاء هو من الضآلة بحيث تحتوى كسرة الخبز أكثر مما يحويه ملء ستة فناجين كبيرة حساء . والسبب فى ذلك أن العناصر المغذية فى اللحم لا تذوب فى الماء . فحساء اللحم إذن ما هو إلا ماء ملوّن ذو رائحة يستمدها مما يطلق عليه ذوْب اللحم ، أى المواد التى تذوب فى الماء منه ، وهى غذاء تافه القيمة . وليس فى الأوقية من حساء اللحم الذى يكثر الإعلان عنه بأنه « محضر بصفة خاصة لتغذية الرضع والمرضى » أكثر من سعْر(1) واحد من الحرارة . وخير فوائد حساء اللحم هى أنه يفتح الشهية ، ويعين على الهضم ، إذ ينبه المعدة فيزيد إفرازها لعصاراتها الهاضمة .

٥ — أن كىّ الشعر يفيده ويزيده نماء

يعتقد أوساط الحلاقين أو « المزينين » أن كى الشعر طريقة صالحة جداً لتقويته ، ويزعمون أنه يسدّ أطراف الشعر ، و م العصارة المغذية من الضياع . وهذا سخف بالغ يقول فيه الدكتور ج ا . لين أستاذ أمراض الجلد بجامعة ييل : « إن كى الشعر لصيانة عصارته عبث ، لسبب بسيط ، هو أن أطراف الشعر لا يسيل منها شىء أبداً ، وكل ما يصنعه الكى ، ولا يصنع سواه ، هو أن يجعل عَذَبات الشعر المكوى أكثر قبولا للتقصف ، وهذا يزيد دخل الحلاق »

٦ — أن الضوء عند القراءة ينبغى أن يأتى من فوق الكتف الأيسر .

ثبت بالتجربة أنه لا يهم من أى النواحى يأتى الضوء ، بشرط ألا تقع ظلال على الورق وألا تدخل العين أشعة النور ، وأن تكون الزاوية بين مسقط البصر ومسقط الأشعة على الورق ٢٦ درجة على الأقل ، وأن يكون موضع الضوء بحيث يمتنع انعكاسه من الورق إلى العين . وخير الأضواء للقراءة هو الضوء غير المباشر الذى يستتر

---

(1) السعر فى علم التغذية هو المقدار اللازم من الحرارة لرفع حرارة كيلو جرام من الماء درجة سنتغراد واحدة ، ويكفى للتدليل على ضآلة ما تولده أوقية الحساء من الحرارة أن نعلم أن أوقية الدهن مثلا تعطى أكثر من ٢٥٠ سعراً .

عن العين مصدره ، وتقع أشعته على السقف ثم تنعكس ، فهى أشبه بضوء النهار .

ولمقدار الضوء نفسه قيمة عظيمة ، فقد قرر مجلس أطباء الرمد البريطانيين ، على ضوء تجاربهم ، أن أقل ما يكفى من الضوء للقراءة أو لأى عمل دقيق آخر ، هو ثلاث شموع قدمية ، أى مقدار الضوء الساقط على ورقة تبعد قدماً واحدة عن ثلاث شمعات متلاصقة ذوات عيار ثابت من الضوء[1] ، وهذا المقدار يعادل ما ينبعث من ضوء مصباح كهربائى غير مظلل ، بقوة ٨٠ وات يبعد عن الورق ست أقدام . فإن زاد الضوء على ذلك قليلا فلا بأس ، وإن قلّ كان خليقاً أن يجهد البصر ، ومع ذلك فقد اعتاد كثيرون أن يقرأوا فى ضوء غير كاف .

٧ — أن وخز الدبوس أشد خطراً من وخز الإبرة .

قد يكون الأصل فى هذا الاعتقاد الشائع أن الإبر تصنع عادة من الصلب ، وأن الدبابيس تصنع من النحاس . والواقع أن جرح الدبوس ليس أخطر من جرح الإبرة ، وليس المهم أيهما جرح ، وإنما هو أيهما لوّث الجرح بالجراثيم .

٨ — أن الضغط على الشفة العليا أو وضع مفتاح أو قطعة من الثلج على القفا يقطع الرّعاف .

إن حوالى ٩٩ فى المائة من كل حالات الرعاف ينقطع نزيفها من تلقاء نفسه سواء أعولجت أم لم تعالج ، ومن أجل ذلك ينال أى نوع من أنواع العلاج حظوة لا يستحقها ، فالضغط على الشفة العليا لا شىء فيه إلا أن يعرقل فيضان الدم فى الأنف ، فيساعد ذلك على تكوين جلطة فى الوعاء الراعف . وهو علاج غير معقول ، لأن الأوعية الدموية التى تغذّى الأنف دفينة فى الوجه بمنأى عن الشفة العليا ، وبمنجاة من التأثر بأى ضغط من الخارج . ومثل الثلج والمفتاح كمثل الضغط على الشفة العليا ، يستمد الثقة به من انقطاع النزيف طواعية واختياراً .

٩ — إن سبب الصلع هو دوام لبس القبعات أو عصائب الرأس الشديدة الضيق .

لا دواء للصّلع إلا دواءان معروفان :

١ — الدقة فى اختيار الآباء .

٢ — الصبر على نكبته .

فالصلع فى أكثره موروث ، ولا يتأثر مطلقاً بأى طراز من أكسية الرأس ، ولا

---

(١) هذه شموع كهربائية خاصة متفق دوليا على قوة الضوء الذى تشعه ، ومحتفظ بها فى المعامل الرسمية للأمم التى أقرتها ومن بينها انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا .

أى منهاج من مناهج الحيـاة . وقد يسأل سـائل : « إذا كان الصلع موروثا فـلم لا يتساوى فيه حظ النساء وحظ الرجال ؟ » فتجيبه البحوث المستفيضة بما كشفت عنه الستار من أن الصلع يتّسم بما يسمى بالظاهرة الوراثية الحقيقية، فيكون «ظاهراً» فى الرجال و « كامناً » فى النساء . ومن أجل هذا قد تنقل الأم الصلع إلى ابنها دون أن تصاب به ، ما لم يضاعف نصيبها منه بأن ترثه عن كلا أبويها . ولما كان هذا الاتفاق نادراً ، فقد ندر الصلع بين النساء . ويقترن الصلع كذلك ببعض حالات العجز الطفيف فى وظائف الغدتين الدرقية والنخامية ، وفى مثل هذه الأحوال ينجح العلاج الموافق فى ردّ الشعر إلى ما كان عليه بلا اسـتثناء . هـذا على أن فقدان الشـعر الناشئ من اضطراب الغدد نادر الحدوث .

١٠ — أن الأشخاص ذوى الوجـوه الوردية الزاهية أصحاء بنوع خاص .

والحقيقة ، على غرابتها ، أن ما يعدّ من ألوان الوجوه لوناً فاتناً فى أعين العوام ، قد يكون عرضاً من أعراض المرض فى عين الطبيب . فهنـاك مرض معين من أمراض القلب مثلا يشيع لوناً شديد الفتنة فى وجوه الفتيات خاصة . وينشأ هذا اللون الوردى الفاتن من اختلال صمام من أصِمّـة القلب . وفى النقرس ، وفى الأدوار الأولى من أمراض الكلى والـكبد، يتلون الوجه بلون وردى جذاب . وقد رأى الـكاتب وجهاً يترقرق فيه أبدع لون وأجمله ، وكان وجه امرأة مصابة بفقر شديد فى الدم مصحوب بتضخم فى الطحال . وإذن فليس الوجه الأحمر الجذاب دليلا على تمام الصحة والعافية.

١١ — أن الرعد يجعل اللبن رائباً فى بعض الأحيان .

يروب اللبن فى بعض الأحيـان عقب قصف الرعود وومض البروق ، ولـكن الرعد لا عمـل له مطلقاً فى إرابة اللبن . فثمة جراثيم معينة تسمى عصيّات الحمض اللبنيك توجـد فى اللبن عادة ، وتغتذى بالسكر الذى فيه ، فينتج من ذلك الحمض اللبنيك ، فحين يصل هذا الحمض إلى نسبة معينة يروب اللبن . وبمـا أن الهواء يشتد دفؤه عادة قبيل هدير الرعـد ، فإن هذه الجراثيم ينشط توالدها فى الدفء ، وهذه الزيادة السريعة فى عـدد الجراثيم هى منشأ إرابة اللبن لا الرعود ولا البروق .

١٢ — أن شعر الإنسان ينمو بعد موته

الخطأ فى الملاحظة هو سبب هذه العقيدة الذائعة . وفى ذلك يقول إرازمس ويلسون عضو الجمعية الملـكية : « ينشأ ما يشاهد فى الموتى من طول شعر اللحى ، من انكماش

الجلد ، واقترابه من جذور الشعر ، لا من استمرار النشاط الحيوى بعد الوفاة . وهو فى الواقع شبيه بما يحدث من بروز الشعر فى قوالب الجبس التى تعمل للميت إذا أريد صنع تمثال له ، وما هو إلا نتيجة لانكماش الجبس ، إذ يحدث البروز حين لا يخطر بالبال قط أنه نمو يحدثه الغذاء .

١٣ ـــ أن كل طريقة جائزة فى استعمال المنديل .

الطريقة الشائعة فى استعمال المنديل إذا ما أصيب المرء بزكام ، هى أن يملأ الإنسان رئتيه بالهواء ، ثم يشد على معطسيه بقوة ، ويضغط بإحدى شفتيه على الأخرى ، ثم يقذف ما فى أنفه بشدة مع تخفيف الضغط على المنخرين قليلا . وعلى ما فى هذه الطريقه من قلة وفائها بالغرض ، فإن فيها خطراً أكيداً ، ذلك أن ما فى الأنف من المخاط المتقيح المعدى قد يدفع عنوة إلى الجيوب الهوائية ، وبخاصة إلى قناة يوستاخ التى تصل الأذن بالحلق ، فتمتد العدوى إلى الأذن وتحدث فيها التهاباً .

والطريقة المثلى للتمخط هى أن يضغط الإنسان كل منخر على حدة ، ويترك الفم مفتوحاً ، ثم يتمخط بأقوى ما يستطيع من المنخر المفتوح . فبهذه الطريقة تصفو مسالك الأنف ، بلا خوف من إحداث مضاعفات

١٤ ـــ أن لنا خمس حواس فقط .

إن لنا عدداً آخر من الحواس فوق الحواس الخمس المعروفة ، نخذ مثلا هذه الحاسة العضلية : هبك وضعت يدك على ساعة منبهة ، إنك تسمع دقها ، وتراها وتحسها ، وكذلك تعرف عنها وعن حجمها وشكلها أشياء . فإذا رفعتها بيدك علمت أن لها ثقلا . فهذا العلم الجديد ليس مستمداً من حاسة اللمس ، فقد كنت تلمس الساعة بنفس الطريقة وهى قائمة على المنضدة ، إنما هو مستمد من شعور المقاومة الذى شعرت به حاستك العضلية .

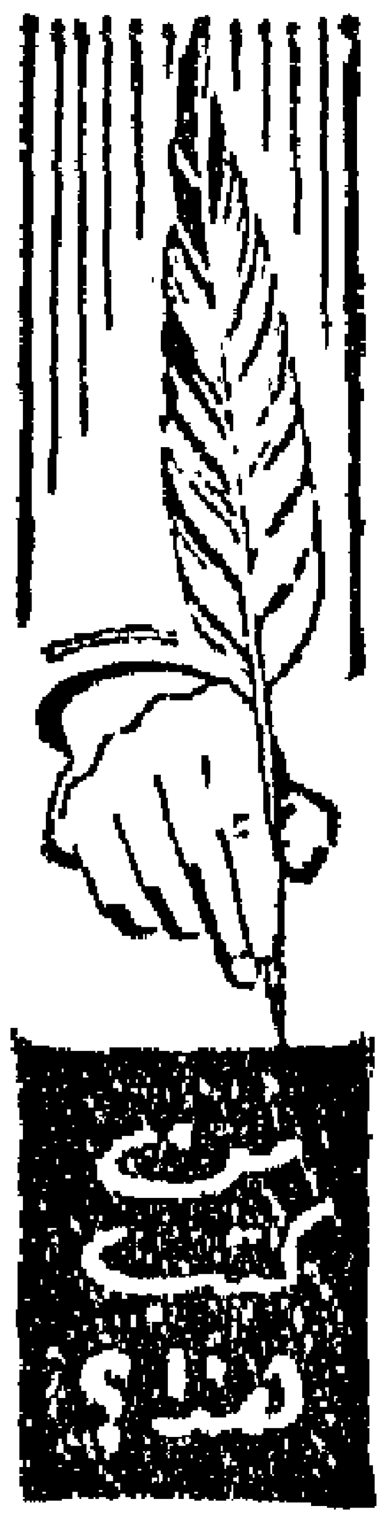
ويتحدث علماء وظائف الأعضاء عن حاسة الدفء مفرقين بينها وبين حاسة اللمس . وكذلك عن حاسة الألم ، وحاسة المفاصل أى الوعى المقترن بتحريك المفاصل . وهناك كذلك حاسة الأبعاد أى القدرة على تقدير المسافات بغير طريق البصر ، وبغير اتصال بدنى مباشر بالأمكنة ، وهى القدرة التى تنمو نمواً خاصاً فى العميان ، وإن كان لكل شخص عادى منها نصيب . وحاسة الاتزان التى يحافظ بها الجسم على اتزانه واتجاهه فى الفضاء ، والتى تحتل مكانها فى القنوات الهلالية فى الأذن الداخلية .

وكذلك نرى أن لنا فى الواقع إحدى عشرة حاسة ، لا خمس حواس وحسب .

الجثة الجالسة

صاموبل هوبكنز ادامز
مؤلف كتابي «المرح» و «حدث ذات ليلة»

لما سمعت لأول مرة قصة الرجلين اللذين حبستهما العاصفة الثلجية فوق الجبل ، خطر لي أنها بعض القصص الشعبي عند أهل الجبال. وقد اتخذتها مادة قصة قصيرة منذ ٣٥ سنة خلت . وقد ظننت يومئذ أنها قد تكون تمهيداً لمعرفة الحوادث الحقيقية . وجعلت أسأل عنها كثيراً من أصدقائي . فتذكرها كثيرون إلا أنه لم يكن في وسع أحد أن يتبين أصلها . ولهذا كانت أحق بأن تعد أسطورة شعبية نصيبها من الخيال أكبر من الحقيقة ، وقد أخفى النسيان اسم كاتبها ومكانه . فمن كتبها ؟ وأين كتبها ؟



أحاطت عاصفة من عواصف أكتوبر الثلجية برجلين من السَّاحين في جوف الجبال، ولم يكونا على أهبة لها ، وهما شارلز كارني وستيفين استيلو ، وكانا صديقين حميمين وزميلين في العمل من قديم ، فجعلا يتخبطان طول يومهما خلال العاصفة والثلوج . ولما كان استيلو أقوى بنية وأدنى إلى الشباب فقد أخذ بيد زميله المهزول الذي وهن جسمه وخارت قواه .

وحين أخذ نور النهار يغيب ، ندّت عن استيلو صرخة أمل، فقد رأى خلال الغسق خطاً بإزاء الجبل لا يكاد يبين .

« السلك ! سلك التلغراف » .

فسعل كارني وقال : « نعم ، ولكن إلى أين يتجه ؟ وعلى أي بعد هو ؟ دعني ، فسأحفر لنفسي حفرة ثم أرقد فيها » .

فصاح به استيلو آمراً: «لا ، لن تفعل . لابد أن يكون هذا هو الخط الذي مدته مصلحة المساحة في الربيع الماضي بين كوخها هنا ومركزها في نورث كريك . إن كل ما ينبغي علينا الآن أن نتسلق . هيا بنا ! ».

حث زميله على المضي وأخذ بيده مصعدين خلال الأشجار، وبعد كفاح دام نصف ساعة بلغا الكوخ . وكان حظهما سعيداً ، إذ كان الخشب موفوراً ، وبعض الحبوب الجافة ملقاة على الرف ، وعلى ناصية شجرة

وقف قنفد يبكى وقد حبسته العاصفة . فأرداه استيلو بمسدسه ، فالموت جوعاً كان يهددهما . وكان كارنى حينئذ مريضاً يتلهب بالحمى ، فحمله استيلو إلى الفراش فى الغرفة الداخلية بعد أن أشعل النار حتى تضرمت .

وفى الصباح تحسنت حال كارنى قليلا ، ولاحت لهما فى التلغراف بارقة أمل ، إذ كان فى وسع كارنى أن يرسل «إشارة» ، فخرج ، على ضعفه مما برّح به طول الليل ، يترنح إلى المائدة واستعمل الجهاز .

فلما تلقى عامل التلغراف فى نورث كريك الإشارة من « لونلى هيل » ظن أن به مسّا . كانت لرسالة مختلطة ولكنها مفهومة . فعلى قمة الجبل رجلان معزولان أحدهما يعانى ذات الرئة ، كان الله فى عونهما ، إذ لا يتيسر لأحد أن يعينهما . واشتدت العاصفة وجن جنونها . وبعد أربع وعشرين ساعة ، انتفض السلك برسالة أخرى وإنها لتفيض هذه المرة بالهذيان ، فالكوخ تحاصره وحوش مفزعة، وملائكة ذوات أجنحة بيض، وجنّ تتوهج عيونهم المتوقدة من خلل العاصفة . كانت الكلمات مفككة لا يربطها معنى .

حمل استيلو زميله الهالك إلى الفراش وفى الصباح التالى أخذ كارنى يزحف إلى المائدة كلما أفاق من غشيته ، فيجلس أمام الجهاز ويوقع بعض كلمات مضطربة ، إلا أن نورث كريك كانت لا تستقبل الإشارات ، فقد هلكت أسلاك التلغراف تحت ثقل الثلج وضغط الرياح .

وأقبل المساء فلف استيلو رفيقه المحموم فى فراشه ، وانطلق يبحث عن حطب للنار . ولما عاد وجد كارنى جالساً أمام الجهاز وعلى سيماه الهدوء والسكينة .

فقال الرجل المريض بهدوء : « ستيف أظن أننى أحتضر » وتضرع إليه بعيون متوقدة : « لا تدفنى إلا إذا استوثقت من وفاتى . فلعلها تكون غشية فحسب » ثم تنفس بشدة وقال : « لا تفعل ياستيف ، لاتدفنى حياً » . ثم خف صوته وصار همساً .

فعاهده استيلو على الوفاء بعينين فيهما الحزن ، وصوت ملؤه الأسى .

أما ما حدث فى اليوم التالى فقد ذكره استيلو بالتفصيل فى مذكراته . فقد اتفق فى ذلك المساء ، حين كان يهيىء طعاماً من البقية الباقية من المنفذ ، أن نهض صديقه المريض من فراشه وزحف إلى مكانه من المائدة حيث لفظ أنفاسه الأخيرة . وبعد أن فحص استيلو النبض، والتنفس استوثق من وفاته .

وكان تصلب الجسد دليلا مقنعاً لاستيلو

المبتئس الحزين حتى يدفن صديقه . فاحتفر بمجرفة حفرة فى كومة من الثلج مرتفعة ، ثم وضع صـديقه فيها وصلى عليه ثم واراه فى الثلج . وقـد أمضى سواد ليلته تنتابه أحلام مفزعة ، فاستيقظ مرة من قشعريرة قد نفذت إلى شـغاف قلبه حتى ظنه نضحاً من العرق البارد .

فلما نهض صباحاً من فراشه ، وذهب متثاقلا ليؤرث النـار ، إذا شارلز كارنى جالس إلى المائدة لا يتحرك ولا يتكلم وهو يحدق بعينيه .

فطار صوابه فى ذهول الفزع والشك طول ذلك اليوم ، وترك استيلو الجثة دون أن يمسها ، وسعى يطوف بين أكوام الثلج باحثاً عن طعام . وعند الغروب استجمع كل قوى عقله ليدرك شيئاً من حقيقة الأمر . ثم حمل كارنى ثانياً إلى لحـده . وكان فى متاعه نصف زجاجة من الخمر فشربها ، ثم أوى إلى فراشه .

وفى الصباح لم يكن له غنى عن قوة هائلة من العزم حتى ينهض ، ووقف ، قبل أن يتسنى له أن يفتح باب الحجرة ، دقيقة كاملة يرتجف ويرتعد .

ولم يزل شارلز كارنى جالساً إلى المائدة كما كان بالأمس .

كتب استيلو فى مذكراته : « سأجتهد أن أحافظ على صوابى إلى النهـاية . وإننى لأعـلم ماذا أصنع لو عاد مرة أخرى » .

فظل يجوس خلال الغابات طول النهار وقد استغرق فى تفـكير مضن ، ولعله قد خولط عقله ، على أنه بلا ريب لم يكن قـد جن ، وربمـا كان قد اعتراه كابوس شـديد الوطأة . ثم عاد إلى الـكوخ وفتح بابه بعنف وشدة .

فرأى شارلز كارنى لا يزال جالساً .

وبعد أن دفنه للمرة الثـالثة منعه الذعر أن يأوى إلى فراشه ، فجلس إلى المائدة على المقعد الخالى وجعل يكافح النوم ، ولـكن غلبه الإعياء فنام .

ثم أيقظه غلس الفجر ، فإذا شارلز كارنى جالس أمامه متلفع ، وعيناه تحـدقان فى الفضـاء . وكتب استيلو فى مذكرته : « عونك اللهم » ، فـكانت آخر ما دوّنه .

وجاء رجال فرقة الإنقاذ ، وهم اثنان من رجال الغابات ، وطبيب ، وكلارك عامل التلغراف فى نورث كريك ، يجرّون أقدامهم فى نعال الجليد حتى اجتازوا آخر عقبة إلى الـكوخ . ولم يكن يبدو عليـه شىء من علامات الحيـاة ، فلا دخان يصّاعد من المدخنة ، بل رأوا آثاراً عميقة من أقدام بشرية تتجه من الباب إلى كومة ثلج محفورة غريبة الصورة. فاندفع الطبيب وفتح الباب،

فإذا الكوخ ساكن يشيع فيه برد قارس ، وإلى المائدة جلست جثتان هامدتان .

كان كلا الرجلين مصاباً برصاصة فى رأسه ، وكان استيلو غارقاً فى دمه الذى جمد ، والمسدس ملقى على الأرض تحت ذراعه اليمنى المسترخية . فأما كارنى فجالس فى مقعده وعلى سيماه الهدوء .

صاح عامل التلغراف : « قتل وانتحار ! مساكين ! » .

وكان الطبيب يفحص الجثتين فقال : « لا قتل » ومس بيده جبين كارنى وقال : « لا أرى دماً ، فالرجل كان قد توفى قبل أن يضرب ولعله مات من البرد » .

فتبادل رجال الإنقاذ نظرات حيرة غامضة كل الغموض ، ثم التقط أحدهم مذكرة استيلو ودفعها إلى الطبيب ، فتأملها ثم خرج يفحص آثار الأقدام . ولما عاد إلى الكوخ أشعل غليونه ودخن فى تأمل ثم تكلم فى النهاية .

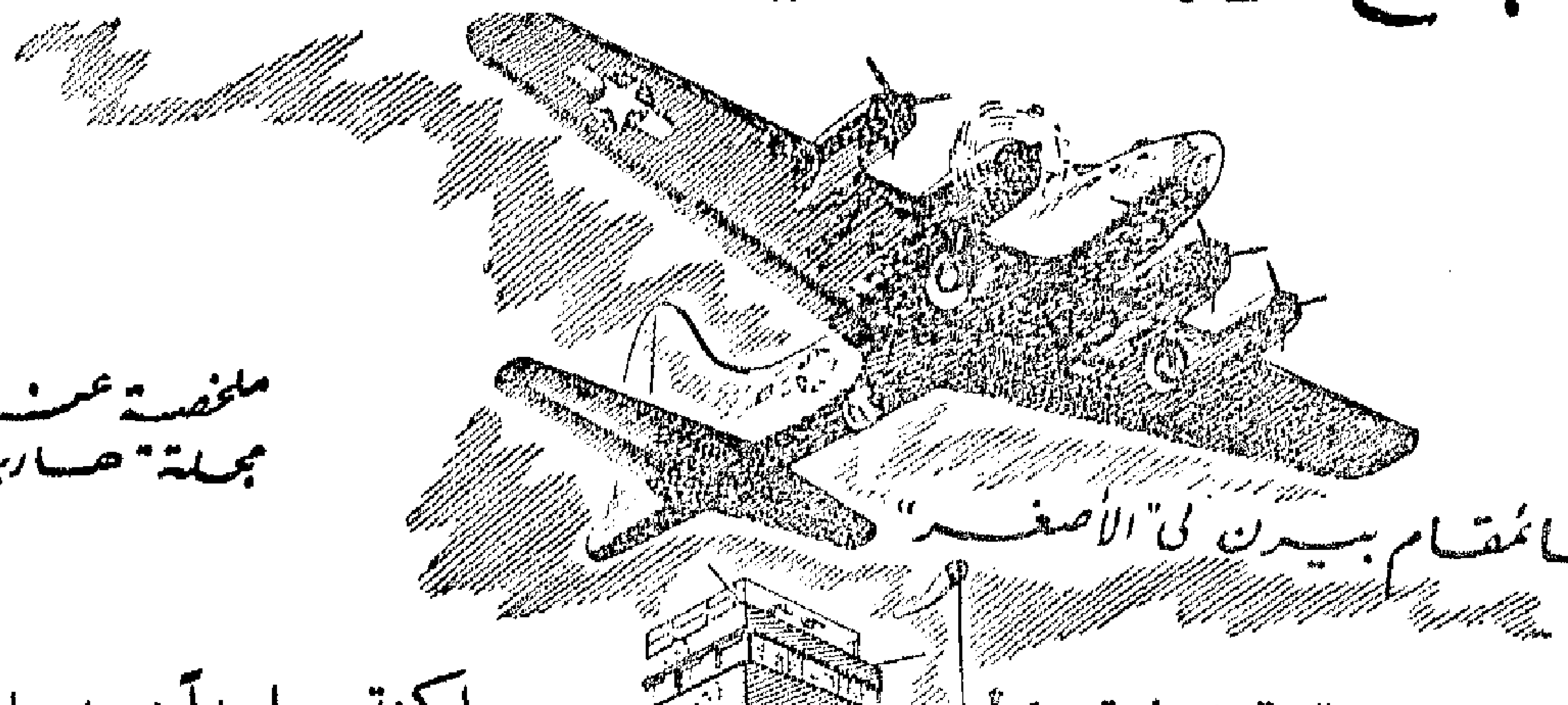
فقال : « أيها الأصدقاء أتوسل إليكم من أجل أهل الرجلين أن تلوذوا بالكتمان . إننى مكلف التحقيق ، وأنا أعلن رسمياً أن شارلز كارنى وستيفن استيلو قضى عليهما البرد والجوع والحرمان . أفهمتم ؟ » .

فأومأوا برؤوسهم موافقين ، إلا أن عامل التلغراف تكلم بصوت خافت فيه بعض الحيرة وقال : « قد يكون نومى أيسر لو علمت ماذا حدث » .

فقال الطبيب : « وكذلك أنا ، إن كل ما أستطيع أن أستخلصه هو ضرب من التخمين . ولو أننا اكتشفنا أن استيلو كان ممن يسيرون وهم نيام لاستيقنت . وإليكم ما حدث كما يبدو لى : كان استيلو يخرج الجثة وهو نائم ، من اللحد الذى دفنها فيه ، ثم يضعها على الكرسى حيث رأى صديقه حياً آخر مرة . ولماذا ؟ لعل ذلك مما كان يعتريه من الخوف واليأس فى وحدته ، ومن هم خفى يساوره وفاء بعهده الذى قطعه لكارنى أن لا يدفنه إلا إذا وثق كل الثقة من وفاته . إن هذا يفسر ضربه بالرصاص على الأقل . وعلى أية حال فالجثة قد أخرجت مرة وأخرى ، ولابد من أن هاتفاً خفياً حذر استيلو ،حين عاد بصاحبه المرة الثانية ، أن لا يفقد وعيه . غير أن الطبيعة كانت أقوى منه ، فعاد ونام ، وإذا بشيطان الخفقة (المشى فى النوم) يتحكم فيما يأتى وما يذر . وأخيراً انهارت شجاعته من شدة الإعياء » .

ثم أحرقت مذكرة استيلو ، وألقيت الجثتان فى أغوار بحيرة جبلية .

طباع الرجال الذين يغيرون



ملخصة عن
مجلة "هاربر"

القائمقام بيرن لى "الأصغر"

ليست هذه قصة شجاعة، فإن الشجاعة موفورة فى السوق فى هذه الأيام، وإنما هى أحرى بأن تعد قصة تجلو الخصائص — الخصائص الأمريكية التى هى طباع فى الطيارين وغيرهم من المقاتلة من رجال القلاع الطائرة التى تخرج من إنجلترا. وهى تدور على الأكثر حول صاغ مقدام سريع رجع اليد يقود سرباً، وسأسميه « كليف ». وهو يعد مثالا للآخرين وصورة منهم لا تخلو من مبالغة.

وقد ساء رأيى فى كليف حتى قبل أن أعرفه. وكنت أدور فوق المطار لأهبط وإذا بى أرى منظراً عريباً. هو قاذفة قنابل ذات أربعة محركات، قد وقفت مراوح ثلاثة منها ثابتة لا حراك بها، والطائرة تنقض فوق برج المراقبة من ارتفاع قليل، ثم كفت وارتفع رأسها على نحو ما تفعل طائرات القتال، وصعدت. ولما بلغت ذروة مرتقاها أدار الطيار المحركات الثلاثة التى كانت ساكنة، واحداً بعد واحد، ودار ليهبط هبوطاً عادياً، فقلت لنفسى: « ياله من مجنون! لو كان هذا الطيار فى سربى وقام بهذه الحركة، لكففته عن الطيران شهراً ».

وقابلت كليف فى تلك الليلة. وهو قصير مربع الوجه وفى عينيه الصريحتين نظرة من يقول لك: « إلى الجحيم ». وكان يبدو صغير السن كطالب فى مدرسة عالية، ولما سمعته يتباهى بالانقضاض على البرج واحد محركاته فقط يدور، حاولت أن أكسر من حماسته بكلام فى الطيران السخيف والمخاطرات التى لا داعى لها.

فقال: « لقد أعلم أن فى وسعى أن أفعل ذلك. والواقع أنك تستطيع أن تصنع أى شىء بهذا الطراز من الطائرات — القلاع الطائرة — وقد مللت أن أظل أطير على استواء واستقامة حين أكون فى مهمات حربية. وسأجرب فى المرة القادمة أن

أنقضّ وجميع المراوح واقفة والمحركات مكفوفة . فهل تحب أن تكون معى ؟ » .

وتبينت أن غيره من قواد الأسراب وقواد الطيران ، والطيارين والمدفعيين يشبهون كليف فى نزعته الفردية ، وكانوا يعالنون بآرائهم ولا يخافتون بها ، وكثيراً ما انتقدوا بحرية من هم أكبر منهم ، ونفذوا الأوامر بغير احتفال . ويبلغ من جرأتهم وقلة مبالاتهم أن يمرو بجنرال وأيديهم فى جيوبهم . فلو رآهم الألمانيون واليابانيون لعدّوا سلوكهم سيئاً جداً .

وبعد يومين من حادثة الانقضاض على برج الرقابة ، تلقيت أمراً بأن أطير مع كليف فى غارة على مصنع تكرير الزيت فى وسلنج بألمانيا .

وقد طاف كليف أولا بجميع معاونيه ، ومازح الطيارين والمدفعيين الشبان المتوترى الأعصاب ، وفحص بسرعة كل طائرة بعين خبير ، وأبدى ملاحظات حادة ، وسلق بلسانه مدفعياً لأنه ترك قناع الأوكسيجين على الأرض حيث يمكن أن تدوسه الأرجل ، وأقبس كل رجل جذوة من ثقته بنفسه وقوته ، وتركهم وهو يبشرهم بأن « العشاء سيكون فى هذه الليلة على شرائح اللحم » . وكانوا ، لما أقبلنا عليهم ، متوجسين متوترين ، فلما تركناهم كانوا قد حمسوا واطمأنوا ووثقوا .

وفى اللحظة المعينة تماماً للقيام ، بدأت طائراتنا تزأر على مدرج المطار ، وإذا بكليف يفعل ما لا يغتفر ، فقد أبقى القلعة الطائرة الموسوقة بالقنابل ، على الأرض أطول مما يجب بعد أن بلغت سرعتها الكفاية للصعود . ولما صار على مسافة عشرين ياردة فقط من آخر المدرج جذب عجلة القيادة إليه جذبة شديدة ، فذهبت الطائرة تصعد على زاوية مقدارها ٤٥ درجة . والله وحده يعلم ماذا بلغ من ثقل الحمل الإضافى الوقتى على الجناحين وصفحة الذيل ! والتفت كليف إلىّ وعلى فمه ابتسامة ، فنظرت إليه شزراً وبى غضب شديد ، ولو طاوعت نفسى لقتلته .

وفى الطريق إلى الهدف قاد كليف السرب بنظام دقيق لا عيب فيه ، ولكنه فى رحلة الإياب ، وحين اقتربنا من قاعدتنا ، قال لى على التليفون الداخلى :

« هل كنت تعلم أنك تستطيع أن تزلق هذه الطائرات ؟ » قلت : « كلا ! » .

قال : « سترى » . واقترب من الناحية التى يهبط منها إلى المدرج ، وهو على أكثر من الارتفاع الواجب ، عامداً ، وبذلك صار من اللازم اختزال العلو ليمكن أن تدخل الطائرة فى نطاق المطار . ودلى الرفارف ، وأمال طرف جناح ميلا شديداً حاداً ، وأبقى أنف الطائرة مستقيما بالدفة العليا ، فشققنا

الجو ونحن نهوى إلى المدرج ، ثم عكس الميل على الجانب الآخر ، واستقام على مسافة ١٥ قدما من الأرض وأجرى الطائرة جرياً سلساً على المدرج . ولم يسعنى إلا أن أعترف له بالحذق والأستاذية ، ولكنى بقيت لا أرتاح إلى المغامرة بطائرة تزن ثلاثين طناً من المعدن ، على هذه المسافة القريبة من الأرض ، وبسرعة بطيئة .

وقلت له : « لماذا لا تنضم إلى سرب من المقاتلات ، فإن ذلك أشبه بك ؟ » .

قال : «آسف لأنك لا ترضى عن طيرانى»

وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٣ طارت جماعة كليف من إنجلترا فى الفجر ، وتغلغلت فى ألمانيا على الرغم من المقاومة العنيفة ، وضربت مصانع مسرشميت فى ريجنسبرج ، واجتازت جبال الألب ، فلما كان العصر ، كانت فوق البحر الأبيض المتوسط ووجهتها شمالى أفريقية .

وكنت فى مقعد الطيار الثانى فى إحدى هذه القاذفات والحر يأخذ بكظمى ، فأدرت عينى فى سربنا . وكانت القلاع الطائرة قد تخلف منها كثير مما بدأنا به ، ومعظم الطائرات الباقية بها جراح من قنابل المدافع التى من عيار ٢٠ سم ، وكان بعضها يسير مضطرباً بثلاثة محركات ليس إلا ، وفى جوف القاذفات جرحى يسكنون آلامهم بالحقن والأقراص المذخورة لذلك ، وهناك قتلى أيضاً . وكل طائرة تحمل رجالا أضناهم البقاء فيها تسع ساعات على ارتفاع عظيم ، منها ساعتان تحملوا فيهما هجوم طائرات العدو المقاتلة .

وكنا فى تلك اللحظة نحاول أن نضم شتات التشكيلة المبعثرة ، ونحن ما زلنا على بعد مئات من الأميال من الساحل الأفريقى ، وكان بعض الطائرات قد نفد وقودها بسبب ثقوب فى الخزانات من القذائف .

وقال مدفعى : «طائرة من القلاع تهوى» .

فنظرت أنا والطيار إلى إحدى القلاع وهى تهوى إلى الماء ، وتنزلق ثم تقف بين الرشاش المتطاير ، ورأينا شيئاً أصفر يبتعد عن كل من جانبى القاذفة وهى تغرق ، وذلك حين تركها رجالها فى قواربهم . وبعد دقائق أخرى قليلة هوت طائرة أخرى . وواصلت الطائرات الباقية من أسرابنا المكدودة المرهقة سيرها ، وألقت ما لا حاجة بها إليه لتخفيف حملها .

وما كدنا نعبر الشاطىء حتى اختلط الأمر فى الجو اختلاطاً شديداً ، ذلك أن القلاع الطائرة وهى لا تكاد تتماسك ، أو فيها مصابون بجراح بليغة ، أو لم يبق فى خزاناتها من الوقود إلا قليل ، لمحت كلها مطاراً فى موضع يبعد نحو ميل فى الداخل ، فنبذت

جميعاً نظام السير طائفةً متماسكة ، وأسرعت إلى ذلك المعاذ تريد أن تنزل به ، وصار كل امرىء فوق ذلك المطار لا يعنى إلا بنفسه . والويل لمن يجىء آخراً ، فقد كان كل فرد فى مركز حرج ، وكان يتصرف على ماتقتضيه حالة الطوارىء .

وكاد الضابط الموكل بأمور الطيران على الأرض يطير عقله من فرط الهرج وحبوط مساعيه لتنظيم الأمر ، فراح يطلق سهاماً حمراً ، وأخرى صفراً وسهاما من كل لون ، وصواريخ ، وكل ما تصل إليه يده . وكان خيراً له لو كف عن هذه الإشارات الفنية ، فقد كان هؤلاء الفتيان ينزلون كيفما اتفق ولا يبالون شيئاً ، ولهم العذر .

وكانت الساعة قد جاوزت السادسة حين بلغت طائرتنا المطار المعين لها إلى الجنوب من ذلك ، وكنا قد صرنا جماعة برح بها الإعياء وأضمرها الكلال ، والقذارة أيضاً ، فرحنا نجر أرجلنا إلى الثكنة ، وجلسنا إلى طعام من لحم الخنزير والبيض وعصير الليمون المثلوج . فنظرت إلى الرجال الغائر العينين إلى جانبى ، وكان هو كليف — كليف القوى المصك ، وقد استرخى فمه وتهدل ، ولكن لا تزال به بقية من قوة وجلد .

وسألته : « هل فقدت أحداً ؟ » .

قال «عندى عامل لاسلكى مقتول هناك .

وقد أصابوا الرجل الذى يسدد القنابل والذى فى البرج الأعلى . وقد تحلل الطيار الآخر الذى معى ، وسأعفيه من الطيران متى عدنا إلى قاعدتنا ، فإن به حاجة إلى الراحة » .

ولما مررت بطائرة كليف فى صباح اليوم التالى ألفيته هو ورجاله يعملون فيها لإصلاح ما أصابها . وقال كليف : « ستكون غداً على استعداد للعمل » وكنا قد علمنا منذ لحظة أنه تقرر أن تقوم بغارة على بوردو ونحن عائدون وأنه لن تشترك فيها سوى الطائرات التى يتسنى إعدادها تماماً فى أربع وعشرين ساعة .

وسأظل أذكر دائماً عبارة كليف هذه . فإنها تبين لى كما لا تبين الخطط أو العدة الحسنة أو التدبير ، لماذا يحرز الضرب المحكم نهاراً من ارتفاع كبير ، ذلك النجاح المدوى على الرغم من الدرع التى تستتر به ألمانيا قلبها درع طائرات القتال والمدافع الأرضية المضادة .

وقد قاد كليف سربه فى الغارة على ريجنسبرج حيث مصانع طائرات فوك وولف ومسر شميت . وقد لمحته مرات فى أثناء الهجوم الألمانى الوبيل عليه ، ورأيته يفقد ثلاثاً من طائرات سربه الست ، وقد بقى كليف محتفظاً بمركزه بعزم وإصرار ، ولم يلجأ إلى الاحتماء بسرب القيادة ، وبقى هناك ، حيث هو ، يحمى جناحنا وهو معرض للعدو ومكشوف ، والمقاتلات تحمل

عليه واحدة فى إثر واحدة ، وقد أطارت قذائفها مدافعـه الأمامية ، وقطعت جهاز الضغط ، وأسلاك دفته على أحد الجانبين ، وأشعلت النار فى المحرك الثالث . وكنت لا أظنه يصل إلى هدفه ، ولـكنه وصل ثم هبط أيضاً فى القاعدة التى عينت له .

وحدثنى أحد المدفعيين الذين فى وسط الطائرة مع كليف ، عن الفزع الذى اعترى رجاله لما رأوا القتلى والجرحى بينهم ، والطائرة تكاد تتمزق إرباً ، وقد سمعوا — بالتليفون الداخلى — الطيار المساعد يطلب من كليف أن يعطى إشارة مغادرة الطائرة ، واستعد الرجال لتركها، وسمعوا الطيار المساعد مرة أخرى يصر على أن يثب الرجال من الطائرة ، وفى هذه المرة كان جواب كليف .

« يا ابن الـ ... ! اجلس حيث أنت ، وتحمل ! » . وقد جاءت هذه العبارة الفظة، فى أوانها، فأعادت إلى رجاله رشادهم وردتهم إلى مدافعهم ، وبقى الطيار المساعد حيث هو ، وتحمل وتشدد ، ولـكنه لما خرج من الطيارة فى أفريقية ، كان قد صار لا يصلح للطيران بعد ذلك أبداً . وختم المدفعى حديثه: «ما كنا لنصل إلى الهدف لولا ماقاله الصاغ» .

وقد زادنى عجباً أن أرى كليف يتلهف على فرصة تتاح له للاغارة على بوردو . وكان الظن أنْ حسبه ما عانى ، ولو شاء وطلب ذلك لأذنوا له فى السفر بباخرة إلى إنجلترا .

وقد جعلت أفكر فى كليف وأنا راقد فى فراشى فى تلك الليلة ، فقد قام بألاعيب خطرة لاداعى لها ، وتركته المهمات الخطرة أصلب عوداً ، ومع ذلك حدثنى زميله فى غرفته أن كليف كان شاباً مرهف الحس ، يكره الظهور ويؤثر الاحتجاب قبـل أن يغادر موطنه ، ثم صار آلة للفتك بالألمانيين .

وتبينت فجأة فى هذا الشاب الأمريكى ، العنصر الجوهرى فيما جعل أمريكا عظيمة فى الماضى ، وما هو حقيق أن يبقيها عظيمة فى المستقبل . ونفذت عينى من المظهر الذى يحجب به مخـبره ، واخترقت درع الصلابة والقسـوة والمجازفة ، فإن كليف وأمثاله ممن يطيرون بالقاذفات ضـد السلاح الجوى الألمانى ، قد اجتازوا مرة بعـد مرة ذلك الامتحان الذى يمزق نياط القلب ، ويتركهم حيرى بين الواجب وما تدعو إليـه غريزة المحافظة على الذات . وقد انتصر الواجب . فإنه وهو يواجه مهمة قاسـية مرة ، قـد استعلى عليهـا وجعل نفسه أشـد وأصلب بفضـل المرونة وسرعة التـكيف اللتـين يكتسبهما فى العادة الشاب الناشىء ، واللتين لايستطيع أن يكتسب مثلهما أعداؤه الذين يخطون خطو الأوزة .

وهنا كففت عن القلق على كليف .

مزرعة مساحتها ٠٠٠ر٢٠ فدان فى نيوجرزى، تعج بالآلات وهى عمل تجارى ضخم — وأى عمل !

فلاح الزراعة الآلية



مونا جاردنر — ملخصة عن مجلة كورونت

ذاع الخبر فى الدار الكبيرة للتعبئة ، أن آلة البخار قد تعطلت ، ووقف الصف الطويل من العمال ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم إلى الأطنان المكدسة من الهليون الأخضر الغض (كشك الماز ، أسبرج) المعدة للتجهيز اللازم قبل حفظها أو بيعها . وكانت على أفاريز الاستقبال أطنان أخرى لم تفرغ بعد . وقال أحدهم : « كلموا س . ف . تلفونياً » .

وكان س . ف ، رئيس العمل ، فى سفر على بعد ٣٠٠٠ ميل ، فماذا كان فى وسعه أن يصنع وهو على هذا البعد ؟ ولكن تم الاتصال به على يأس من جدواه ، ولم يستغرق ذلك أكثر من ثلاث دقائق . وكانت أوامره موجزة ، فلم تمض ساعة حتى وقفت قاطرتان بخاريتان إلى جوار مصنع التعبئة ، وقد وصلتا بأنابيب البخار فى المصنع . وهكذا أنقذ المحصول .

هذا مثال من التفكير الماضى الذى جعل فلاحاً أزرق العينين أحمر الوجه ، هو س . ف . سيبروك ، على رأس أكبر مشروع فى العالم لنقل المحصولات بالسيارات . وبهذا المضاء فى تفكيره اتسعت مزرعته التى كانت مساحتها ستين فداناً ، حتى صارت بستاناً فسيحاً من الخضر الغضة ، مساحته عشرون ألف فدان . وبه أيضاً أنشأ مصنعاً واسعاً للتجفيف وحفظ الخضروات ، ومصنعاً للتجميد بالبرد هو أكبر مصانع العالم .

ولعل مزارع سيبروك ، فى الأراضى الرملية المنبسطة فى جنوبى ولاية نيوجرزى هى أكثر مزارع أمريكا استخداماً للآلات ، فهذا أسطول من ١٥٠ جراراً يتولى رجاله الزرع والغرس ووضع الأسمدة ، على حين يقوم أسطول آخر من ٤١٥ سيارة نقل وسيارة خدمة ، بحمل محصول الشهور الثمانية إلى مصنع التجهيز الرئيسى الكبير . وتقوم أربع طائرات ، فى أربع دقائق ، بتغبير أربعة أفدنة ورشها . وهناك

تسعة عشر بئراً إرتوازياً تمد بالماء أميالا من خطوط الأنابيب المعلقة فيسقط الماء منها على الزرع رذاذاً أو مطراً صناعياً . وتضمن ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نحلة حمل اللقاح بين المزروعات ، ويكون عسلها زيادة تضاف إلى الربح . وتقوم ١٢٠ آلة بقطف البسلة والبقول وتقشيرها ، على حين تحمل اثنتا عشرة سيارة نقل مجهزة للتبريد — المحصولات المجمدة إلى خطوط السكة الحديد أو إلى مخازن سيبروك المبردة لتحفظ فيها . وهى لا تغصّ بما فيها إلا حين يصل المخزون إلى ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ رطل . وتتتابع نوبات العمل ٢٤ ساعة فى أوج الموسم ، فيستمر العمل ليلا فى ضوء المصابيح الضخمة .

فإذا جاءت الشهور التى يبلغ العمل فيها أوجه ، استخدمت مزارع سيبروك ومصنع التعبئة ٧٥٠٠ عامل ، يعملون فى ظل عقد عمل مشترك مع « اتحاد العمل الأمريكى » مما يجعل مزرعة سيبروك أولى المزارع الكبرى التى كونت نقابة عمال فى أمريكا . وقد أدخلت مزارع سيبروك نظاماً للتأمين على الحياة ، وآخر للعلاج ، وأنشأت مدرسة لأبناء العمال . وقد حرص س . ف على أن يدرس الأطفال ، حتى فى الفصول الابتدائية حياة النبات المعقدة كلها ، فضلا عن مناهج التعليم الحكومى .

ويسكن العمال الدائمون فى بيوت ريفية حديثة ، فى مقابل أجر يتفاوت بين أربعة دولارات و ١٧ دولاراً فى الشهر . وتبنى الآن مساكن كبيرة ، من الزجاج والحجر للعمال الرحل ، يتسع كل منها ٧٥٠ عاملا ، يسكنونها مجاناً . وفى المصنع نظام للإذاعة الموسيقى ، فإذا جاء موسم الحصاد افتتح مقهى لجميع العمال مجاناً . ومنذ العاشر من مارس ، يوم تزرع بواكير البسلة ، إلى أن تقطف آخر ورقة من السبانخ فى ديسمبر ، لا يكاد العمل يتقدم أو يتأخر أكثر من يومين طبقاً للخطة المرسومة فى العام السابق . ويمر بالمصنع ، فى أوج الموسم ، مليون رطل من البسلة الخضراء كل أربع وعشرين ساعة . فإذا ما انتهى موسم البسلة تسنى تحويل الآلات إلى البقول أو إلى السبانخ ، أو إلى محصول آخر من أحد عشر محصولا تنتجها هذه المزارع . ومما يروع فى تجهيز السبانخ ذلك الإسراف فى استعمال المياه ، فلكل رطل من الأوراق ٤٠ جالوناً من الماء بغية الوثوق من أنها قد نظفت من آثار التربة . وتعقم الدلاء الدائرة المصنوعة من الصلب الذى لا يصدأ ، بأن تمر فى قبو مملوء بالبخار بعد كل دورة يدورها الدولاب . وفوق ذلك يؤخذ من مائها أنموذج فى كل ساعة كى يفحصه البكتريولوجيون لمراقبة

عدد البكتريا فيه . وقد ارتفع إنتاج سيبروك من ٤٠٠٠٠٠٠٠ر٤٠ رطل من الخضر المجهزة فى سنة ١٩٤٠ إلى أكثر من ٦٠٠٠٠٠٠٠ر٦٠ رطل فى سنة ١٩٤٣

وسيبروك ، وهو الآن فى الستين ، ابن فلاح . ومع أنه لم ينته فى تعليمه إلا إلى السنة الثالثة من التعليم الابتدائى ، فقد توفر على دراسة منهاج المعاهد العالية فى النبات والزراعة والهندسة — باعتماده على طريقة « التجربة والخطأ » فيما يملكه من الحقول وبيوت التجريب الزراعية . فلما كانت سنة ١٩٢٠ كان يشحن الخضر إلى نيويورك . ولكن اضطراب سوق الخضر الغضة جعله يرى الاعتماد عليها مقامرة فباع مزارعه واقتحم ميدان إنشاء الطرق فى ولاية نيويورك ثم فى روسيا . ولما عاد من روسيا فى سنة ١٩٢٩ وجد الذين اشتروا مزارعه على وشك الإفلاس فاستردها على علاتها

وقد خص كل نوع من التربة فى المزارع وذلك بتقسيم الأرض كلها إلى أقسام ، كل منها خمسة أفدنة . واستعملت الأسمدة الكيميائية بمقادير كبيرة ، واستخدمت فيها ألف رأس من عجول هرفورد ، جلبت من مزارع التربية فى غرب الولايات المتحدة وهى صغار يتراوح وزن أحدها بين ٢٠٠ و٣٠٠ رطل ، ثم غذيت ببقايا البسلة ومتخلفات البقول ، وأعواد القمح ، حتى أصبحت بقراً من أجود الأنواع ، زنة إحداها ١٢٠٠ رطل . وبذلك أدرك ثلاث غايات اقتصادية : الحصول على الأسمدة ، والتخلص من فضلات الخضر ، وإمداد سوق جائعة باللحوم .

وقد أبرم سيبروك عقوداً سنوية مع حوالى ٥٠٠ فلاح يبيعونه كل محصولهم بسعر محدد وجعل لهم حظاً فى بحوثه وبذوره وأسمدته ومبيدات الحشرات ، ولهم أيضاً أن يستعينوا بطائراته فى رش مزروعاتهم وتغبيرها .

ولا يزال س . ف . مأخوذاً بكل شىء ينمو . ففى ستة بيوت نباتية يجرب كل نوع جديد من البذور . وفى العام الماضى كانت بيوت النبات تزخر بما عدده ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ نبتة طماطم من نوع جديد . ولقد أحب شكلها فأمر بأن تباع للفلاحين المجاورين .

سل س . ف : ما هو أكبر ما يؤذيه فى هذا العمل الغذائى الكبير ؟ فسيقول لك من فوره : « الجو — وهو هو ما يؤذى كل الفلاحين فهو دائماً إما بارد جدا وإما حار جدا ، إما جفاف ، وإما مطر غزير » .

ولكن قبل أن يتسع لك الوقت حتى تأسف ، تسمع صوت آلات القشر ، وضجة آلات التبريد ، وترى ضباب آلات المطر يغشى النافذة ، فتدرك أن سيبروك الفلاح قد قطع شوطاً بعيداً فى تحدى الجو .

حكمة الحيوان

اتفق العلماء على أن المخلوقات البرية لا تفكر ، كما يفهم الناس التفكير . فهى لا تتأمل ولا تتصوّر ولا تعمد إلى التحليل ، ولكن حوافزها الباطنة ، وإلهامها وإحساساتها الخفية ودهاءها الفطرى تكوّن ما يصح أن يسمى : « حكمة الحيوان » . والطبيعة كلها حافلة بالحكمة ، وكل حىّ على الأرض ، حتى الزنبور (الدبور) أو الضفدع أو الزهر المتسلق ، له منها نصيب . وقد تلقيت من آلاف من القراء أمثلة على «حكمة الحيوان» ، فدونت بعضها فيما يلى ، وسأقدم غيرها فى أعداد تالية . [ألن ديفو]

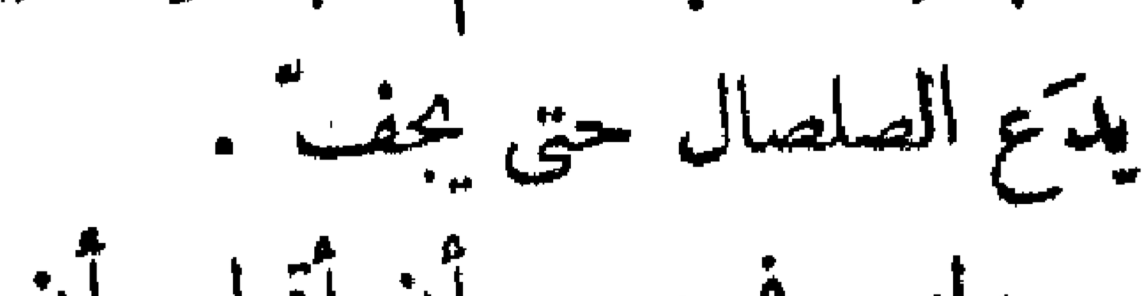
جراحة بين الطيور



كنت أصطاد فى جدول إذ شاهدت طائراً تقاراً (دجاج الأرض) يدنو ثم يحط على حافة الجدول قريباً منى . وهذا الطائر قلما يطير نهاراً ، فراقبته عجباً من أمره . فإذا هو يجرّف بمنقاره الطويل صلصالا طرياً ويمسح به ساقه اليسرى . ثم نتف نتفاً من العشب وألصقها بالصلصال ثم عاد يضيف شيئاً من الصلصال ، ثم نتفاً من العشب ، حتى رأيت كتلة جسيمة على ساقه قريباً إلى ركبته . ثم حجل إلى أيكة ووقف تحتها ساكناً مدة طويلة ، وكأنما أراد أن يدع الصلصال حتى يجفّ .

وليس فى وسعى أن أقطع بأن هذا الطائر هو نفسه ، الذى اصطدته فى هذه البقعة بعد ذلك ، ولكننى وجدت على ساقه اليسرى كتلة جافة من العشب والصلصال فلما حتتناها وجدنا ساقاً مكسورة لما تكد تبرأ ، ولكنها مستقيمة كل الاستقامة . [هارولد فوت]

حكمة زنبور



قضيت قبل انضمامى للجيش ، ١٨ سنة أستاذاً للحيوان فى جامعة بتسبرج ، فأنفقت كثيراً من وقتى فى الحقول أشاهد وأراقب . وإنى لأعتقد أن فكرة «الغريزة» غير كافية لتعليل بعض أفعال الحشرات .

رأيت ذات يوم فى صيف ١٩٣٨ ، وأنا على شاطىء جدول صغير ، شيئاً يخاله الرائى حية ، وهو يسبح نحوى مع التيار. ثم استطعت أن أتبينه فإذا هو زنبور حفار ، قد دنا فى طيرانه من الماء ، يجر جثة عنكبوت ضخم ، ليس فى وسعه أن يحمله .

وقد ظل الزنبور يفعل ذلك مسافة سبعين ذراعاً ، ممسكا بإحدى قوائم العنكبوت طائراً على ارتفاع بوصتين فوق الماء . فلما صار إزائى ، انعطف فجأة إلى الشاطىء وألقى العنكبوت تحت قدمى تقريباً ، ثم جره بجهد عظيم، مسافة ١٢ قدماً إلى جحر فى الرمل .

فإذا اتخذ الزنبور الماء وسيلة لكى ينقل إلى جحره البعيد ، فريسة حجمها خمسة أضعاف حجمه ، فقد دل على حكمة تعجز «الغريزة» عن تعليلها . [مايجر صمويل ه . وليمز]



كما يروغ الثعلب

كنت فى صغرى أسكن مزرعة فى جنوب ولاية أوهايو ، وكنا نجعل رياضتنا أن نأخذ كلاب الصيد بعد ظهر الأحد فنجريها . ولن أنسى يوم تبينت الكلاب أثر ثعلب فعَدَت تطارده ، وعلونا هضبة تطل على الوادى ، ورأينا الثعلب يعدو أمامها .

وكان على مقربة منا جذع شجرة أجوف ، فلم يعرّج حتى تيممه ، فنفذ فى جوفه ثم أمرق يعدو . فاستروحت الكلاب مدخل الجذع ، ثم عدت إلى مخرجه فعل كلاب الصيد المعلمة ، ثم وجدت ريح الثعلب ، وانقلبت تطاردُه .

وأخذ الثعلب يدور بالكلاب دورة « هائلة » عائداً إلى الجذع فمرق منه ثانية وكرر هذه المراوغة مرة بعد أخرى . وأخيراً بدا الإعياء على الكلاب ولكن الثعلب لم يزل وافر النشاط سريع العدو .

وفجأة أدركنا ! فعدونا إلى الجذع ، وأولجنا فيه عصا طويلة — فما هو إلا ثعلب ينطلق . وإذن فقد كانا ثعلبين ! يقتحم الأول مدخل الجذع ، فينطلق الآخر من مخرجه ليستطرد للكلاب فى مطاردة مرهقة حتى يسترد الأول بهر أنفاسه وينتظر نوبته فى العدو . [و . ا . جبر هارت]

الألفاظ الغامضة

دوروثي تومسون

ملخصة عن مجلة "لايديز هوم جورنال"

مما هو خليق أن يساعد إلى حد كبير على العقل والضبط فى مناقشاتنا أن نتخلص من الألفاظ البغيضة ذات المعانى المبهمة . فمثلا ماذا يعنى هذا الرجل بكلمتى « الرجعى » و « المحافظ » ؟

إن «الرجعى» كما يعرفه معجم وبستر هو الذى يحاول أن ينقض التقدم السياسى ، ومع ذلك يصر بعض «أحرارنا» على وصف دولة يحكمها البوليس بالتقدم ، إن كان هذا الحكم يعين على بلوغ الاشتراكية . فوضع رجل فى السجن بدون اتهام ، أو قتله بغير محاكمة ، وتعيين ما يجوز للجامعات أن تدرسه وللطلبة أن يقرأوه على وجه الدقة ، وحصر نشاط المواطن السياسى فى حزب واحد هو الذى له الأمر والسلطة ، وإحاطته بالعيون والجواسيس — كل هذا يسوّغ على اعتبار أنه ضرورى لتحرير الإنسانية . وهم يحظرون أن توصف هذه التدابير بأنها « رجعية » .

ولم أعد أدرى ما معنى « المحافظ » فالمعجم يقول إنه «المتمسك بالنظام الموجود» أفليس الواقع أن كل امرىء يتمسك بجانب كبير جدا من النظام الموجود ؟ ولست أعرف أمريكياً مهما بلغ من تطرفه ونزوعه إلى المذاهب « الحمراء » لا يريد أن يحتفظ بالنظام الموجود متى كان معناه أن يحصل على خير الثياب وأرخصها ، وأوفر الملذات وأقلها كلفة . وأعرف أناساً يودون أن يغيروا النظام الاقتصادى ، ولكنهم يؤمنون بالتربية على الأسلوب القديم (الكلاسيكى) وبمدرسة يوم الأحد .

ولن يبلغنا شيئاً أن نخنق الاقتراحات والمشروعات بهذه النعوت . وانا أعترف أنى « رجعية » لا أنثنى فى بعض الأمور ، وأحب أن أرجع إلى فكرة الحكم بالقانون بدلا من الحكم بأوامر من الهيئات الملحقة بالحكومة ، ولكنى أود أن أتقدم — أى أن أنأى عن الأساليب الموجودة — فارى القانون يحدد ، على وجه أدق ، حقوق الملكية الخاصة واستخدامها .

وأنا محافظة فى الوطنية ، وأعتقد أن أول واجب على المرء هو لبلده ، ولكنى أود أن أرى حدوداً توضع لحقوق الأمم .

وأنا محافظة أيضاً فيما يتعلق بدور أمريكا فى عالم الغد . ولست أرى مثلا أن المحيط الهادى أمريكى أكثر مما هو صينى أو روسى

أو بريطاني أوهولندى . ولا أنفك أحضر إلى ذهنى أننا لسنا سوى ١٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس فى عالم يسكنه أكثر من ألفى مليون من الشعوب الأخرى ، كلهم يستطيع أن يصنع دبابات ومدافع وينشىء ائتلافات . وعهدنا بهم فى تاريخهم أنهم يتجمعون إذا ما رأوا إحدى الأمم تزعم لنفسها فوق ما هو حقها .

وأرى على الجملة أن بنا حاجة إلى التقليل من القوالب والعبارات المحفوظة ، وإلى أن يكون كلامنا بيناً جلى المعنى غير غامض. وإذا كنا نريد أن نعيش فى عالم معقول إلى حد ما ، فستكون بنا حاجة إلى دعاة التقدم وإلى المحافظين والرجعيين ليعملوا جميعاً ، ويكبح بعضهم بعضاً . فإن الإنسان الكامل — وكذلك المجتمع المتزن — له يد يسرى وأخرى يمنى ، وله قلب وذهن ، وعواطف وعقل ، ونظر وتجربة .

كل رجل يستطيع أن يجالد خصومه : فمن لى بالرجل الذى يستطيع أن يجالد أصدقاءه . [جلاد ستون]

ببغاء فى المزاد

قضى رجل زمناً وهو يصبو إلى اقتناء ببغاء فلم يظفر بما يريد . وكان ذات يوم سائراً فى شارع فرأى إعلاناً عن « مزاد إفلاس » فدخل الدار عسى أن يجد ببغاء فيبتاعه بمبلغ يسير . وفعلا وجد ببغاء غاية فى الجمال وهو جاثم فى قفصه . فلما عرض للبيع أخذ الرجل يزايد فى ثمنه حتى بلغ مبلغاً جسيما ، ولكنه ظفر آخر الأمر بالببغاء .

وتملكه الزهو بما اقتنى فخرج حاملا القفص اللماع والببغاء فيه ، ولكنه ما لبث حتى خطر له أن الببغاء ربما لا يتكلم فعدا راجعاً إلى الدار ورفع القفص أمام الدلال وقال : قل لى ، أيتكلم هذا الطير ؟ فقال الببغاء : ومن تظنه كان يباريك فى المزايدة ؟ !

أقصوصة مأثورة

قطعة حبل

جي دي موباسان

كان الفلاحون وزوجاتهم مقبلين على الطرق جميعاً حول جودرفيل، قاصدين إلى المدينة. فقد كان ذلك يوم السوق، وكانت قرون الماشية، والقبعات العالية ذات الريش الطويل التي يلبسها أغنياء الفلاحين، وما تضعه الفلاحات على رءوسهن — ظاهرة في الميدان العام فوق الجمع المحتشد. وكانت الأصوات المتلاغطة تحدث ضجة متواصلة كانت ترتفع فوقها أحياناً من ريفي قوي الصدر قهقهة عالية أو خوار بقرة.

وكان الأستاذ هوشكورن — من بروتيه — في طريقه إلى الميدان العام، حين لمح على الأرض قطعة حبل. وكان حريصاً ككل نورماني صميم، يرى أن كل ما ينفع ينبغي أن يلتقط، فانحنى بجهد، فقد كان مصاباً بالروماتزم، وراح يلف قطعة الحبل بعناية، فأخذت عينه الأستاذ مالاندان السرّاج (بائع السروج وصانعها) واقفاً ببابه ينظر إليه. وكانا قد اختلفا وتنازعا مرة من قبل من أجل رَسَن. ولما كان كلاهما حقوداً، فقد كانت بينهما عداوة. واعترى الأستاذ هوشكورن بعض الخجل من أن يراه عدوه يلتقط قطعة حبل من الأرض القذرة، فخبأها بسرعة تحت سترته، ثم دسها في جيب البنطلون، ثم تظاهر بأنه ما زال يبحث في الأرض عن شيء، واتجه إلى السوق ورأسه قدامه، وظهره مقوس من آلام الروماتزم.

وسرعان ما غاب في الجمع الصاخب البطيء الحركة المشغول بالمساومات التي لا آخر لها. وكان الفلاحون يفحصون البقر، ويذهبون عنها، ثم يرتدون إليها حائرين، مشفقين دائماً من أن يصيبهم غبن، مترددين لا يجترئون على البتّ، يلحظون البائعة، ويحاولون أن يهتدوا إلى خدعهم أو إلى عيب في الحيوان. وكان النساء قد وضعن ما يحملن من السلال الكبيرة عند أقدامهن، وأخرجن الدجاج وألقينه على الأرض وأرجله مربوطة، وعيونه فزعة، وعرفه قرمزي. وكان بغاة الدجاج يعرضون عليهن أثماناً، فيأبين إلا ما ذكرن لهم من أثمان، ووجوههن مسيحة. وقد يتفق أن يقبلن فجأة الخفض المقترح، فيصحن بالزبون الذي يكون قد شرع ينصرف على مهل:

«حسناً ياأستاذ أنتيم ، سأعطيكها بما قلت» .

ثم خلا الميدان شيئاً فشيئاً ، ودق ناقوس الظهر ، فذهب الذين قراهم بعيدة ، إلى حانات البلدة ومطاعمها .

وكانت حجرة الطعام الكبيرة فى مطعم جوردان غاصة بالخلق ، والفناء الرحيب حافلا بالمركبات من كل ضرب ، وقد اصفرت من القذارة ، وبعضها مرفوع وعريشه ذاهب فى الهواء كالذراعين ، والبعض عريشه إلى الأرض وظهره فى الهواء .

وعلى مقربة من الطاعمين موقد كبير ساطع اللهب متوقد الجمر ، يبعث الحرارة والدفء فى ظهور الأقربين من الزبائن . وكانت هناك ثلاثة سفافيد تدور مثقلة بالدجاج والحمام وأفخاذ الضأن . وكانت الرائحة الشهية المنبعثة من الشواء والمرق تصافح الأنوف من جانب الموقد . وتزيد المرح والسرور ، وتترك كل فم متحلباً . وكان سادة الحراث يتناولون طعامهم فى مطعم الأستاذ جوردان ، وكانت الصحاف تجىء ملأى وترتد فارغة ، كما تفرغ رواقيد خمر التفاح . وكان كل امرىء يتحدث عن شئونه وعما اشترى وباع .

وإذا بدقات طبلة تسمع فجأة من الفناء . فهرع كل امرىء — ما عدا قليلين لم يعنوا بالأمر — إلى الباب أو النوافذ ، وما زالت أفواههم ممتلئة ، والفوط فى أيديهم .

وبعد أن فرغ منادى المدينة من دق طبلته ، تلا ما يأتى بصوت غير مستو :

« ليكن معلوماً أنه فقد صباح اليوم على طريق بوزفيل ، بين الساعة التاسعة والساعة العاشرة ، محفظة جيب سوداء من الجلد فيها خمسمائة فرنك وبعض الأوراق ، فعلى من يجدها أن يبادر إلى ردها بكل سرعة إلى مكتب العمدة ، أو إلى الأستاذ هولبريك من أهالى مانفيل . ولمن يفعل ذلك جائزة قدرها عشرون فرنكا » .

ثم انصرف . وسمع مرة أخرى — عن بعد — دق الطبلة وقد صار الصوت أضعف

ثم أنشأ الناس يلغطون بالحادث ، وهل يرجى أو لا يرجى أن يسترد الأستاذ هولبريك محفظته . وكادوا يفرغون من شرب القهوة وإذا برئيس الشرط يظهر فى مدخل الباب ويسأل :

« هل الأستاذ هوشكورن ، من أهل بروتيه ، هنا ؟ » .

وكان الأستاذ هوشكورن جالساً عند الطرف الآخر من المائدة فقال :

« نعم أنا هنا » .

فقال الضابط : « هل لك يا أستاذ هوشكورن أن تتفضل فتصحبنى إلى مكتب العمدة ؟ إن العمدة يريد أن يتحدث معك » .

فدهش الرجل وقلق ، واجترع ما فى كأسه الصغيرة من « الـكونياك » مرة واحدة ، ونهض ومشى وهو أشد انحناءً مما كان فى الصباح ، فقد كانت الخطوات الأولى بعد كل راحة ، شاقة على وجه الخصوص ، وكان يكرر وهو يمشى : «هذا أنا ، هذا أنا» .

وكان العمدة ينتظره وهو جالس فى كرسى مريح ، وكان هو مسجل العقود أيضاً فى هـذه الناحية ، وهو رجل ضخم جادٌّ ، مغرى بالحذلقة فى كلامه .

فقال : «لقد شوهدت يا أستاذ هوشكورن هذا الصباح تلتقط ،على الطريق إلى بوزفيل ، المحفظة التى فقدها الأستاذ هولبريك من أهالى مانفيل » .

فذهل الرجل ونظر إلى العمـدة ، وقد أفزعته الشبهة التى اتجهت إليـه لغير سبب معروف .

— « أنا ؟ أنا ؟ أنا ألتقط محفظة؟ » .

— « نعم أنت » .

— « أقسم بشرفى أنى لا أعرف شيئاً عن ذلك » .

— « ولـكنك شوهدت » .

— « أنا شوهدت ؟ أنا ؟ من هـذا الذى يقول إنه رآنى ؟ » .

— « السيد مالاندان السرّاج » .

فتذكر الرجل حادث الصباح ، وفطن إلى ما كان غائباً عنه ، واضطرم وجهه من الغضب ، وصاح : « آه ، رآنى، هذا الوغد ، رآنى ألتقط هـذا الحبل — هذا هو — انظر ياسيدى العمدة » ودس يده فى جيبه وأخرج قطعة الحبل .

ولـكن العمدة لم يصدق فهز رأسه

— « لن تستطيع أن تجعلنى أصـدق، يا أستاذ هوشكورن أن السيد مالاندان ، وهو رجل ذو مكانة فى مجتمعنا ، ظن هذا الحبل محفظة » .

فرفع الرجل يده ، وهو يتلهب غيظاً ، وتفل فى أحد الجانبين على سبيل التعزيز لشرفه ، وقال مكرراً : « إنه مع ذلك الحق ، علم الله ياسـيدى العمدة . وأنا أكرره والله شهيد على ما أقول » .

فاستأنف العمدة الـكلام وقال « وبعد أن التقطت ما وجدت لبثت لحظة طويلة تنظر إلى الوحـل ، لترى هل سقطت أية قطعة من النقود » .

وإلى هنا كاد الرجل المسكين يختنق من الغيظ المحتدم والخوف .

— « كيف يستطيع إنسان أن يقول — كيف يستطيع إنسـان أن يقول — هـذه الأكاذيب لتسىء إلى سمعـة رجل شريف !؟ كيف يستطيع إنسان —؟ » .

ولـكن احتجاجاته كانت عبثاً ، فما صدقه

أحد . فواجهوه بالسيد مالاندان فأعاد على الشرط ما قاله من قبل ، وتشاتم الرجلان ساعة . وطلب الأستاذ هوشكورن أن يفتشوه ، ففعلوا فلم يجدوا شيئاً .

وأخيراً ، حار العمدة حيرة شديدة ، فصرفه وأنذره أنه سيستشير وكيل النيابة فيما ينبغي اتخاذه من الإجراءات .

وذاع الخبر . فلما غادر الرجل مكتب العمدة أقبل الناس عليه، وأحاطوا به وألحوا عليه بالأسئلة، مستطلعين جادين أو متهكمين . فراح يقص عليهم قصة الحبل الذى وجد ، فلم يصدقوه وضحكوا منه .

ومضى فى طريقه ، وجعل يستوقف أصدقاءه ، ويروى لهم الحكاية فى حديث طويل لا نهاية له ، ويبرأ إلى الله مما ادعى عليه ، ويقلب لهم جيوبه بطناً لظهر ليثبت أنها خالية فكانوا يقولون له : « نعم ، نعم أيها الثعلب » .

فأغضبه أنهم لا يصدقون ، ولم يدر ماذا يصنع ، وظل يكرر ما يقول .

وأقبل الليل ، وكان عليه أن يعود إلى بيته ، فسار مع ثلاثة من جيرانه ، وأراهم الموضع الذى لقط فيه قطعة الحبل ، ولم يتحدث بشىء آخر غير هذا طول الطريق .

وفى اليوم التالى طاف بأهل قرية بروتيه ليخبرهم الخبر ، فلم يلق منهم تصديقاً لروايته، فلما كان الليل مرض .

وفى اليوم التالى ، حوالى الساعة الأولى بعد الظهر ، أعاد ماريوس بوميل — وهو أجير فى خدمة الأستاذ بريتون المزارع بقرية إيموفيل — المحفظة ومحتوياتها إلى الأستاذ هولبريك ، وزعم أنه وجدها فى الطريق ، ولما كان أمّياً فقد حملها معه وأعطاها لسيده.

وانتشر الخبر فى الجيرة ، وبلغ الأستاذ هوشكورن ، فبدأ الطواف من فوره وراح يعيد قصته على الناس ، وقد تمت الآن بهذه الخاتمة السعيدة ، وكتب له الفوز .

وقال : « إن الذى ساءنى وآلمنى كما لم يسؤنى شىء آخر ، لم يكن الأمر فى ذاته ، بل الكذب . فإنه ليس أفظع من أن يتهم المرء بالكذب » .

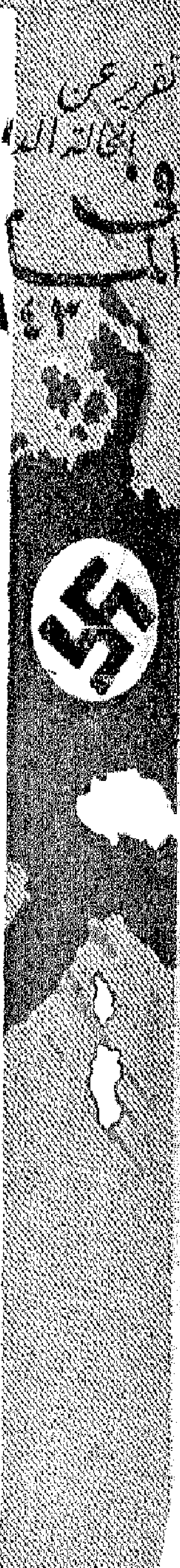
وظل يلهج بالحادث طول يومه ، ويخبر به المارة فى الطريق ، والشرب فى الحانة ، والخارجين من الكنيسة يوم الأحد التالى . بل لقد استوقف الأغراب ليحدثهم بما كان. وهدأت نفسه ولكنه أقلقه ما لا يدرى على وجه الدقة ، فقد كان الناس يبدون كأنهم يمزحون وهم يصغون إليه ، ولم يكن فى هيئتهم ما يدل على اقتناعهم . وأحس أنهم يلغطون بشىء فى غيبته .

وفى يوم الثلاثاء من الأسبوع التالى ذهب إلى السوق فى جودرفيل ، تدفعه ضرورة

بحث الموضوع ، ليس إلا . وكان مالانداں واقفاً ببابه ، فلما رآه أنشأ يضحك . فلماذا ؟
ودنا من فلاح من كريكتو فلم يدعه هذا يتم كلامه ، وغمزه بإبهامه فى بطنه وقال له فى وجهه : «ياثعلب» وأدار له ظهره ومضى عنه.
فحار الأستاذ هوشكورن فى الأمر . لماذا يقولون له إنه ثعلب ؟ ولما جلس إلى المائدة فى مطعم جوردان شرع يشرح الأمر فقال له تاجر خيل : « مهلا ، مهلا ، ايها الطرّار (النشّال) العتيق . هذه حيلة قديمة . وأنا أعرف كل شىء عن قطعة الحبل » .
فقال هوشكورن : « ولكن المحفظة وجدت ! »
فقال الرجل يجيبه : « صه يا بابا ، إن هناك واحداً يجد ، وهناك من يبلغ ، أليس هذا صحيحاً ؟ » .
فوقف الرجل وهو يكاد يختنق ، وأدرك كل شىء ، فإنهم يتهمونه بأنه دفع المحفظة إلى شريك ليردها . وحاول أن يتنصّل ولكن الناس بدأوا يضحكون .
ولم يستطع أن يتم طعامه ، فانصرف بين الهزء والسخرية ، وعاد إلى البيت والغضب والحيرة يأخذان بكظمه ، وقد زاده اكتئابا علمه أنه بفضل دهائه النورمانى الفطرى قادر على ما اتهموه به ، وحتى على المباهاة ببراعة الحيلة فيه . وبدا له أن من المستحيل الآن إثبات براءته ، لأن دهاءه مشهور . فعصر قلبه ما فى التهمة من ظلم .
ثم شرع يقص الحادثة مرة أخرى ، ويزيد كل يوم إسهاباً فيها ، ويضيف أسباباً جديدة ، وأيماناً محرجة جديدة ، واستغرقت ذهنه كله قصة الحبل . وكان تكذيب الناس له على قدر إفاضته فى دفاعه .
وكانوا يقولون وراء ظهره : « هذه حجج كذا — » .
وشعر بذلك فثقلت وطأته عليه ، وجعل يأكل قلبه ، وواصل إضناء نفسه بهذه الجهود الباطلة ، ونحف وضوى أمام أعينهم .
وجعل المجان يدعونه أن يقص عليهم قصة الحبل ليتسلوا ويتلهوا ، كما يطلبون إلى الجندى أن يحدثهم عن وقائعه . وضعف عقله لفرط تأثره ، وفى أخريات ديسمبر لزم فراشه .
ومات فى أوليات يناير ، وكان وهو فى سياق الموت وحشرجته ، يهذى ببراءته ويقول ويكرر :
« قطعة حبل ، قطعة حبل — انظر — هذه هى ياسيدى العمدة »

تقرير عن الحالة الداخلية في ألمانيا ١٩٤٣

خلف الجدار الفولاذي



تلخيص لكتاب صدر من عهد قريب

بقلم

ارفيد فردبورج

الصحفي السويدي في برلين من ١٩٤١-١٩٤٣

« خلف الجدار الفولاذي » هو أول تقرير صحفي ينشر في أمريكا عما حدث داخل ألمانيا النازية ، بعد استدعاء المراسلين الأمريكيين في ديسمبر سنة ١٩٤١

وقد كان المؤلف ، وهو علم من أعلام الصحافة في السويد ، مراسلا في برلين لصحيفة استوكهولم اليومية « سفنسكا داجبلادت » منذ سنة ١٩٤١ حتى بضعة أشهر خلت . فلما لقي ما لا يطاق من تدخل الموظفين النازيين في عمله ، قفل راجعاً إلى السويد ليكون حرا فيما يكتب عما رآه وما سمعه خلال أزمة ألمانيا المتفاقمة . ولربما أصبح كتاب « خلف الجدار الفولاذي » من أكثر الكتب إثارة للمناقشة في سنة ١٩٤٤

إذا أراد المرء أن تتيسر له حياة الصحفى المحايد فى الريخ الثالث فينبغى أن يكون أشبه شيء بالراقص على الحبل ، فأنت تعمل تحت الرقابة وتحت قيود أخرى عديدة ، وأنت متبوع بمثل ظلك ، وبيتك مراقب ، وعلى تليفونك أذن صاغية .

والتليفونات فى برلين يمكن اتخاذها آلات لتسجيل الأحاديث حتى ولو كانت السماعة على حاملها . فلما كنا على علم بذلك جعلنا من دأبنا ، أن ننزع وصلة الكهربائية أو نغطى آلة التليفون بثوب سميك . ومع ذلك لم نكن نطمئن إلى الخلوة ، فلا يزال محتملا أن يكون بالغرفة ميكرفون مخبوء فى مدخنة أو فى شمعدان أو فى وصلة كهربائية .

ولا بد للمرء من أن يكون دائم الحذر فقد حدث مثلا أن أخذ مراسل يلهو ذات يوم بتحرير مقال كما كان يشتهى أن ينشر ، ومن باب المشاركة فى المزاح تلا المقال على زميل له .

فى اليوم التالى استدعاه موظف ألمانى وضيق عليه الخناق سؤالا عن حركاته فى الليلة السابقة ، فأجاب بأنه تناول قليلا من الشراب ، واستمتع بما لا ضير فيه ، فضغط الموظف على زر ، فأقبل رجل يحمل حاكياً ، وبعد لحظة صمت استمع الصحفى إلى مقاله متلوًّا بلسانه .

النزول فى شمال أفريقية

لن أنسى قط كيف صعقت برلين حين جاءها الخبر فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، بأن الحلفاء نزلوا فى شمال أفريقية ، فقد كانت دهشة وزارات الحكومة لا تقل عن دهشة رجال السياسة والصحفيين . فقد كانت الفكرة السائدة أن خسارة الحلفاء فى السفن من جراء حملة الغواصات بلغت من الفداحة مبلغاً يستحيل معه حدوث أية غزوة على نطاق واسع . وكان هتلر قد تساءل بازدراء فى خطبته الأخيرة : ماذا يخيل لهؤلاء الحلفاء الحمقى أنهم فاعلون ؟ فكان هذا هو الرد .

وكان من البين أن نزول الحلفاء أخذ برلين وروما على غرة ، وكان من البين أيضاً أن العجز عن وقف القافلة الضخمة الإنجليزية الأمريكية ، كان أشنع خيبة منيت بها الغواصات الألمانية .

وكاد الذعر يساور وزارة الدعاية ، ووزارة الخارجية ، فالتليفونات تدق ، والرسل يهرولون جيئة وذهاباً ، والصحفيون والموظفون تغص بهم قاعة الاجتماعات .

وغشى الوجوم وجوه الألمان ، وفقد الدكتور شمدت رئيس مكتب الصحافة بوزارة الخارجية ، ما عهد فيه من اتزان ، وهو يوجه إلينا الخطاب. فقد أعلن مؤكداً أن «ولهلمستراس» رقبت الحوادث فى «هدوء مطلق وبرود» ، وأن الزعماء النازيين سوف يعملون ولا شك بسرعة وحزم ، ولكنه أخفق فى إخفاء الغضب المتأجج من أن البريطانيين والأمريكيين دبُّوا إليهم من وراء جدار المحيط الأطلسى الذى بذل الألمان فى بنائه كل جهد وعناء ..

وعجل النزول فى شمال أفريقية بما كان قد بدأ منذ زمن قليل : فقد أخذ موقف الدول المحايدة بإزاء ألمانيا يتغير تغيراً محسوساً . فقد كان كثير من الناس فى تلك الدول ، حتى فى خلال مراحل الحرب الأولى ، يعتقد أن ألمانيا سوف تخسر الحرب ، وفضلا عن ذلك فإن ميل السواد الأعظم كان إلى جانب الحلفاء . ولم يكد يظهر البريطانيون والأمريكيون أنهم أقدر من أن يكتفوا بالوقوف فى وجه المحور وحسب ، حتى زادت الثقة فى الحلفاء زيادة عظيمة ، وتبع ذلك أن صار المحايدون من فورهم أصلب عوداً فى موقفهم تجاه ألمانيا .

وفى أسبانيا والبرتغال وتركيا ، أضحى التغير ملحوظاً ، ففى أواخر سنة ١٩٤٢ ، شرع الإسبانيون يحررون أنفسهم ، على مهل ومثابرة ، من روابطهم ببرلين . وقال زملاؤنا الإسبانيون : « لقد اجتزنا موقف الدولة غير المحاربة إلى موقف الدولة المحايدة » . فأما البرتغال فقد بدأت تثنى على بريطانيا بغير تحفظ ، وفى برلين سمعنا الشكوى من أن مكتب الأنباء التركية ، وكالة الأناضول ، مالت إلى جانب الحلفاء فى تعليقها على الأنباء ، ثم إن الراديو التركى هو أيضاً أخذ يمالىء الحلفاء .

وكان من أثر ارتباك الإيطاليين ، الذين أصابهم عمل الحلفاء الحربى فى شمال أفريقية إصابة مباشرة ، أن أزعج شركاء ألمانيا الباقين فى جنوب أوروبا الشرقى ، حتى تزعزعت ثقتهم جميعاً فى استحالة هزيمة ألمانيا ، وكذلك أصبح نظام تحالف المحور معرضاً للخطر ، واضطرمت أيضاً جذوة المقاومة فى البلاد المحتلة .

وفى الوقت ذاته باتت الجيوش الألمانية فى الروسيا فى موقف يأس ، ففى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٣ أخبرنا أحد المتحدثين بلسان الجيش ، وهو الماجور سمرفلدت ، أن الألمانيين فى ستالينجراد يحاربون بلا أمل فى النجاة . وبعد بضعة أيام علمنا أن كل شىء قد انتهى ، وأن تسعة قواد و٩٠٠٠٠ رجل أخذوا أسرى ، وزادت

جملة خسائر المحور على ٣٠٠٫٠٠٠ ، وأقلقت القيادة العليا خسارة أفدح من هذه وهى خسارتها فى العتاد الحربى ، فقد خسر الألمان فى الجبهة الشرقية ، فيما يقال بين ١٩ نوفمبر إلى حين سقوط المدينة ، نحو ١٢٠٫٠٠٠ سيارة و ٧٫٠٠٠ دبابة و ٥٫٠٠٠ طائرة .

وأدت الانتصارات الروسية ونجاح غزوة الحلفاء فى شمال أفريقية ، إلى أزمة فى الروح المعنوية الألمانية ، فيومئذ بدا لجمهور كبير من الألمان أن زعماءهم الذين ظلت كفايتهم الفنية لا تضارع ، قد كشفوا عن أنهم أقل كفاية من الحلفاء . وأخذ هتلر على غرة بالرغم من كل تيهه وفخره ، وأفضت قيادته للحرب إلى مأزق حرج . وفى الحق أن هيبة هتلر من حيث هو قائد عسكرى لم تقم لها قائمة منذ نكبة ستالينجراد .

الجبهة الداخلية

فى مستهل سنة ١٩٤٣ أدرك عقلاء الألمان كافة أنهم أصبحوا شعباً وحيداً لا ناصر له ، فكل أمل فى النصر كاد يزول ، وأصبح الخوف من الهزيمة ونتائجها أقوى الحوافز لمواصلة القتال ، وحتى أولئك الذين لا سبيل لهم إلى الوقوف على حقيقة الأنباء



شرعوا يفكرون ماذا تراهم يفعلون إذا ما وقع الانهيار التام . وأخذ الكثيرون يبحثون أمر ترحيل أسرهم ليقيموا مع أقاربهم فى ركن من الأركان الهادئة بالبلاد .

ويومئذ كنت لا تزال تتبين دلائل الإعياء واضحة على الناس ، فإن آثار خفض مقادير الغذاء أخذت تظهر ، فكنت تسمع فى المصانع عن عمال يخرون صرعى بجانب آلاتهم ، فإذا ما فحصهم طبيب المصنع كان السبب هو « الداء القديم نفسه » ، وهو قلة الغذاء والراحة .

وفى منتصف يناير سنة ١٩٤٣ عبأ الدكتور جوبلز حملة جديدة للدعاية ، أريد بها محو آثار غزوة شمال أفريقية والهزائم فى روسيا . وكانت الريبة فى جوبلز نفسه ثم فى الدعاية الألمانية بوجه عام قد ازدادت كثيراً ، ولاسيما فيما بين الجنود ، فقام يدعو إلى تسخير الموارد الألمانية كافة للحرب ، وكانت حجته التى استند إليها أنه بالرغم من كل ما حدث «لايزال الألمانيون يستمتعون بجانب من حياة السلم ، يدرك ذلك كل امرىء شاهد حرص الناس على شراء التحف أيام عيد الميلاد ، والصفوف الطويلة أمام أبواب الملاهى . إن حياتنا ذاتها متوقفة على

هـذه الحرب ، والنصر لن يتم لنا إلا بالحرب الشاملة » .

فالألمان المدنيون لم يعد يباح لهم أن يتمتعوا بأوقات فراغهم فى الرياضة ، أو فى سماع الراديو ، أو فى الحانات ، أو المسارح أو دور السينما . ذلك أن التعبئة كانت صارمة فى وضع حد لكل ترف ، فإغلاق كافة المتاجر التى لا ضرورة لها معناه توفير القوى البشرية والوقود والإضاءة والمواد الخام .

ومن وراء هذه الأهداف الظاهرة يستبين لنا هدف آخر ، فلا بد للشعب الألمانى من أن يجد الشواغل فى وطنه حتى ينسى الهزائم فى أفريقية وروسيا .

وما لبث إغلاق المتاجر أن أصبح حقيقة واقعة ، فصفى كثير من مطاعم الترف فى برلين أعماله ، وتبعها معظم متاجر العاديات والمجوهرات والأثاث والعطور .

ومن وراء الستار نزاع شديد فى أمر بعض مطاعم معينة (فتحريم الترف إنما كان يراد به الشعب لا الزعماء) وجرت الشائعات بأن جوبلز دبر مظاهرة من « المواطنين الساخطين » لتلقى الأحجار على بعض مطاعم الترف التى يملكها رجال من ذوى النفوذ فى الحزب النازى ، لكى يتخذ من هذه المظاهرات الشعبية ذريعة إلى إغلاق هذه المطاعم . وجرت شائعة أخرى أن جوبلز أفلح بعد عراك عنيف فى استبقاء أحد هذه المطاعم لضباطه .

وأثار إغلاق المتاجر سخطاً أكثر مما كان يتوقع ، فإن هذا العمل نال كثيراً من الطبقات المتوسطة . وكان الاعتقاد السائد هو أن هذا العمل لم يكن يراد به أن يزيد فى الجهد الحربى بقدر ما أريد به الاستيلاء على أكبر جانب من المؤن التى لم تزل ميسورة — وخاصة لسد حاجة كبار رجال الحزب .

غارة برلين

وفى نهاية فبراير سنة ١٩٤٣ شرع البريطانيون فى حربهم الجوية ، فخربت أسن وغيرها من بلاد غرب ألمانيا . ثم جاء دور برلين فى أول مارس ، فلم تستطع المدافع المضادة أن تصد أسراب الطائرات التى ألقت عليها عدداً كبيراً من القنابل الثقيلة والمحرقة ، وهبت ريح عاصفة فاندلعت النيران ، ولما خرج أهل برلين من مخابئهم كان الأفق أحمر يتوهج فى جميع نواحيه ، والنار آخذة فى كل حى .

وكانت غارة أول مارس أقسى ضربة نزلت بالعاصمة الألمانية حتى يومئذ ، وخارت نفوس الناس خلال الأيام القليلة التالية .

على ما بذله جوبلز من جهد خارق فى التغلب على روح الهزيمة الفاشية . وقد أنعم على بعض أهل برلين جزاء لهم على موقفهم المجيد أثناء الغارة ، وامتلأت الجرائد بأناشيد الثناء على السكان الشجعان . وخرج جوبلز نفسه على الناس ، وعلى رأسه خوذة فولاذية ، فى ميدان برتيتباخ ، ووزع قطع الشوكلاته على الأطفال . جرى ذلك على إثر الغارة ، ولكن فى غضون الأيام القليلة التالية لم ير الناس جوبلز أو سواه من زعماء النازى ، فقد أظهر كثير من أهل برلين سخطاً لا يخفى واستقبلت الجماهير الموظفين النازيين يرددون هتافهم القديم « حمداً لزعيمنا » . وقد قبض فى حىّ واحد على ٣٠ شخصاً لما فاهوا به من « التعليقات الخائنة » .

وفى هذه الأثناء كان موقف رومل فى أفريقية يبعث على أشد القلق ، وكلما زاد هذا الموقف تحرجاً زادت جهود جوبلز فى تحقير انتصارات الحلفاء . وحتى بعد أن انتهت حملة تونس بالفاجعة، صرحت الجرائد الألمانية بأن قوات المحور لم تصب إلا بخدش طفيف ، وأن المقاومة فى أفريقية عطلت الغزو « شهوراً حاسمة الأثر » ، وهيأت للمحور وقتاً كى يحصن جبهته الجنوبية .

بيد أن استجابة الشعب الألمانى لم تكن كما يتوقع منه ، ذلك أن نتائج حملة تونس فسرت بأنها هزيمة محتمة ، لا خذلاناً لحقهم ، إذ لم يمكن إنقاذ شىء تقريباً من جيوش المحور فى تونس . وكانت الخسائر فى البحر أيضاً خلال المعركة جسيمة ، وكان ما أسقطه الحلفاء من الطائرات — ٩٩ طائرة فى يوم واحد — أمراً مخيفاً . ويزيد فى شناعة الهزيمة أن الوحدات التى أبيدت أو أسرت كانت من أحسن وحدات ألمانيا ، فقضى على فيلق روميل الأفريقى ذى الشهرة الأسطورية ، ومنى فيلق هرمان جورنج بخسائر فادحة .

وحتى أشد الناس مغالاةً فى التفاؤل أخذوا يتساءلون عن عاقبة الحرب ، وغلب على الناس اليأس حتى فى فكاهتهم ، فصرت تسمع من يقول :

« تمتع بالحرب ، فإن السلم سيكون أفظع » .

ويحكى أن رجلا هُدم منزله ، فذهب يدور على الخياطين يبحث عن بذلة جديدة ، فلم يعثر على واحدة فى أى مكان ، وأخيراً انفجر صاخباً :

« وكل ذلك من أجل رجل واحد ! »

وسرعان ما قبض عليه واقتيد إلى القاضى فسأله عن الرجل الذى عناه ، فأجاب المتهم : « تشرشل طبعاً ! ومن عساك تظن ؟ » .

وملحة أخرى عن المتفائل والمتشائم ، يقول الأول :

« هـذا شىء فظيع — سوف نخسر الحرب » .

فيرد عليه المتشائم : « أجل . ولـكن متى يكون ذلك ؟ » .

وبذل جوبلز كل جهده فى مكافحة روح الهزيمة هذه ، فلم يفلح إلا قليلا ، ولـكنه كشف خطة جديدة ليلهى الناس بها عما يجرى فى ميادين القتال ، وذلك بأن يقضى على خبر سيىء بخبر أسوأ منه .

وكنا نعلم منذ زمن طويل أن جرايات الطعام الألمانية سوف تخفض ، وهى خطوة أجلت أطول وقت ممكن ، إذ كان لها خطرها ، لأن كل ألمانى كان يذكر خطاباً ألقاه جورنج فى سنة ١٩٤٢ قطع فيه عهداً بأن الجرايات — وكانت قد ريدت حينئذ — سوف تبقى ثابتة بل سوف تزاد فى المستقبل . فالآن فوجئوا فى مايو بأن جرايات اللحم ستخفض بمقدار ثلاث أوقيات فى الأسبوع فثارت مناقشات حادة ، وساد الغضب والنقمة فنسى الناس ذكرى هزيمة تونس .

ولما تفاقمت مشكلة الطعام لم أزل أعجب كيف يسع ربات البيوت الألمانيات أن يتسقطن من الطعام ما يكفى لأسرهم ، فقد كان عليهن أن يقفن صفوفاً صفوفاً ساعات طويلة ليشترين قليلا من الفجل مثلا .

وقد يتسنى للمرء أن يحصل على السمك مرة فى الشهر على أن يظل يراقب الأسواق بعين لا تغفل . ولا تعرض الأسواق عادة غير ثلاثة أنواع من الخضر ، وكثيراً مايكون مقدار المؤن من التفاهة بحيث لا تستحق طول الانتظار .

وكثرت الجرائم ، فكثيراً ما كانت تسرق بطاقات التموين ، يسرقها عمال يكاد الجوع يقضى عليهم ، لا يتورعون عن القتل فى سبيل بطاقات يحصلون بها على قدر زهيد من الخبز . فكان من الطبيعى أن يرتفع شأن السـوق السوداء ، وأضحى رواجها المزدهر دليـلا جديداً على تداعى الروح المعنوية . وقبل أن أغادر برلين كان كل شىء تقريباً يسهل الحصول عليه فى السوق السوداء ، إذا ما وسعك أن تدفع الأسعار الفاحشة . وفى ربيع سنة ١٩٤٣ كان رطل البن يساوى ١٥٠ ماركا أو أكثر ، ورطل الزبد ٦٠ ماركا ، وثمن السيجارة ما بين ٥٠ فنج إلى مارك واحـد . وقد أخبرنى أحد معارفى أن رجلا اختطف وهو فى الترام سيجارته ، ثم دس فى يده ماركا ، وولى يتمتم قائلا : « عفواً فلا بد لى مهما يكن أن أدخن » .

وفى خلال الشهور الستة الأولى من ١٩٤٣ انحلت الأخلاق انحلالا بالغاً ، بحيث لم يكد يبقى ألمانى واحد ملتزماً حد القانون . فما

من رجل إلا وهو موصوم بوصمة من جراء تجارة مريبة يزاولها ، أو شيء يشتريه من السوق السوداء .

ولم تعد للنقود فائدة تذكر ، إذ لا يكاد يكون هنـاك شيء يبـاع ، ولم يعـد الناس يسألون : « أيلزمنى هذا الشيء أم ذاك ؟ » وإنما : «هل أستطيع أن أجد ما أشتريه ؟ »

وكان السكن فى برلين من المشـكلات المعقدة فى السنوات الأخيرة ، لم يكن من المستطاع أن تستأجر مسكناً ، ففى خريف سنة ١٩٤١ يوم كنت أبحث عن سكن ، وحسبت أنني عثرت عليه ، قيل لى ربمـا لا يتيسر هذا قط ، فإن ستة قواد كانوا فى انتظاره . ومنذ ربيع سنة ١٩٤٣ تفاقمت المشـكلة من جراء الدمار الذى أحدثتـه الغارات الجوية .

الحرب الجوية

كان كثير من الأجانب الذين زاروا برلين فى سنة ١٩٤١ و سنة ١٩٤٢ يتوقع أن يجد المدينة خراباً ، ولـكن الواقع أنه كان عليهم أن يبحثوا لـكى يهتدوا إلى آثار الغارات . وقد دمرت الحرب برلين ، بيد أنها مدينة كبيرة ، فـكانت نتائج الغارات فى قلب المدينة ضئيلة ، فضلا عن أن هيآت التعمير كانت تعمـل بسرعة خارقة . ففى خلال أسابيع قليلة بعد غارة كبيرة كادت تمحى كل آثار التخريب محواً تاما .

وفى أثناء السنوات الأولى من الحرب ، كانت السلطات فى برلين لا تألو جهداً فى سبيل إخفاء آثار التخريب ، سخية بالأموال والمواد واليد العاملة ، وقد كان يهم الدعاية أن تقنع النـاس بأن الغارات البريطانية لم تكن إلا كوخزات الإبر ، فإذا كان الترميم غـير مستطاع أقيمت الألواح أمام البناء المخرب ، وعليها إعلانات تنبىء بأن البنـاء يتولاه أحـد المقاولين . وكان الأغراب فى برلين كثيراً مايدهشهم هذا النشاط المتواصل فى حركة البنـاء .

ومنـذ ذلك الوقت تبدل مظهر برلين تبدلا جوهريا ، فقد أصبحت برلين مدينة دمرتها الحرب .

فلمـا كان مايو بدأت غارات طائرات « الموسكيتو » البريطانية كل ليلة تقريباً ، وغرضها الأول أن ترهق أهالى برلين ، وقد نجحت أعظم النجاح . فـكم من مرة ظلت الطائرات تحلق فوقها طويلا — مع أنها لم تلق سوى عدد قليل من القنابل — حتى يضطر كل امرىء أن يقضى فى المخابىء عدة سـاعات محروماً النوم ، أما المصانع فهبط إنتاجها ، وإن لم تصب ، لما يلحق العمال من الإنهاك البدنى . واعتاد كثير من

أهل برلين أن لا يخلعوا ملابسهم حتى الساعة الثانية صباحاً ، على حين دأب آخرون على أن يناموا فى الساعة الثامنة مساء رجاء أن يناموا خمس ساعات قبل انطلاق صفارات الإنذار.

ولما حلّ شهر أغسطس سنة ١٩٤٣ كاد التلف يكون موزعاً فى برلين توزيعاً متساوياً ، فقد أصيب شارع «أنتر دن لندن» بإصابة شديدة ، ولكن الأبنية حول شارع ولهلمستراس لم تكد تمس ، ودمر الطابق الأعلى لوزارة المواصلات بولهلمبلاتز ، وأصيبت وزاة طيران جورنج بطربيدجوى أحكم إطلاقه ، خرب ٢٧ قسما من أقسامها .

وصار جنوب برلين وغربها ولا سيما ولمرسدورف أطلالا . ومن المناظر البشعة أن يمر المرء ليلا بين هذه المبانى ، والقمر يرسل أشعته خلال النوافذ التى تهشم زجاجها والمنازل التى لا سقوف لها ، وهو لا يسمع صوتاً ولا همساً . وكانت ظلال هذه الأشباح المخيفة الجاثمة على الأفق أدنى إلى الخيال منها إلى الحقيقة . ومن العسير أن يصدق المرء أن هذه هى برلين — قفر موحش فى عاصمة أوروبية !

وأشدّ ما كان من آثار الحرب الجوية إلى أن فارقت البلاد هو تدمير خزانى « موينه » و« إيدر » فى مايو سنة ١٩٤٣ فليس من المبالغة أن يقال إن هذه الضربة الفتاكة كانت أبلغ ما أصاب ألمانيا حتى ذلك اليوم ، فقد غرقت جموع حاشدة من الناس ، واضطربت أنظمة الضرائب والإحصاء فى مناطق بأكملها ، واجتاح السيل دفاتر الكنيسة وسجلات البوليس وغيرها من الوثائق الثمينة . واشتملت النتائج الحربية للغارة على تحطيم محطة توليد الكهرباء وخفض منسوب المياه فى القنوات الحيوية. وكانت عاقبة ذلك أن خفضت أحمال القوارب ، ولم يعد من المستطاع أن تنقل ما كان عليها أن تحمله . هذا ، ولو تم اليوم ترميم الخزانين لاستغرق ملؤهما ثانية وقتاً طويلا .

وتدمير الخزانين والقسم الصناعى لغرب ألمانيا هو من وجهة النظر العسكرية أعظم خطراً من الغارات على برلين ، إلا أن هذه الغارات كانت لها نتائج نفسية أعمق أثراً ، إذ لم تصب عاصمة ألمانيا وحسب ، بل أصيب رمز الاشتراكية الوطنية أيضاً .

الفاصل النمساوى

وحوالى هذا الوقت زرت النمسا فدهشت لسقوط الهيبة الألمانية فى وطن الفوهرر نفسه .

وحيرنى فى مبدأ الأمر ، ما افتقدته من حفاوة فينا القديمة ، حتى نصحنى أحد

الأصدقاء يوماً ما ، أن أجعل الناس يعرفون أنى سويدى، وإلا حسبونى ألمانياً من أجل لهجتى ، وعاملونى ـ [illegible] ـقاً لذلك .

وسرعان ما أدركت أنه كان على حق ، فقد كان من دأبى أن أتناول الطعام فى أحد المطاعم فكنت أعامل بشىء من البرود ، وهـذا أقل ما يقال ، فلما بسطت نسخة قديمـة من صحيفتى « سفنسكا داجبلادت » أقبـل رئيس النـدُل وأدام نظرته إلى الصحيفة وقال :

« أأنت سويدى يا سـيدى الدكتور ؟ لو كنت أعلم ذلك لاختلفت معـاملتى لك كل الاختلاف » .

وألفيت أن موقف رئيس الندل فى المطاعم الأخرى كان على نفس النمط . وبعد أن شاهدت حادثاً لا يعبأ به ، بدأت أدرك السرّ ، فقد كنت اعتزمت أن أتناول غدائى فى أحـد المطـاعم المعروفة ، وكان المقعـد الوحيد الخالى الذى استطعت أن أجده على مائدة يجلس إليها ضابط بروسى كان فى ختام وجبته . فعلى حين فجأة نادى رئيس الندل وصرخ فى وجهه أنه لم يعط سوى ٥٠ جراماً من اللحم على حين أنه أعطاه بطـاقة عن مائة جرام . وبحث الأمر رئيس النـدل ، ثم عاد فأبلغ الألمـانى بكل أدب أنه كان على خطـأ . وعنـدئذ ضرب الألمـانى المـائدة بيـده حتى تطايرت الصـحاف ، ثم خرج صاخباً يوعدهم بأنه سوف يعلمهم ما ذا يعنى البروسـيون بالنظام ، وأن هذا التهاون النمساوى الملعون ، هذا العبث سوف يكلفهم ثمناً غاليـاً ، ولمـا صاح : « هؤلاء الناس القـذرون » و « سوف نولج النظـام فى أدمغتكم » رأيت الناس يشدون على أطراف الموائد بأيديهم كظماً لغيظ صدورهم .

وبعد قليل جاء رئيس الندل فاعتذر لى عما حدث قائلا : « إنك لتعـلم كيف هم » وأضاف فى شىء من التسليم : « وهذا هو سر محبة الناس لهم » .

وقد كنت فى فينا يوم أعلن أن المخازن الـكبرى على وشك الإغـلاق ، ويوم كانت البضائع تستنفد على عجل من المحلات الصغيرة . فأما النمساويون والأغراب فكانوا يحصلون على كل ما يبتغون ، أما الألمـان فكان يقال لهم إن كل شىء قد نفد . وما كان أصحاب المخازن يبالون حتى بمداراتهم ، وكانوا يزعمون أنهم لا يفهمون سوى لهجة فينا ، ويتغافلون عن خدمة الزبائن الألمـان ، أو يقدمون لهم شيئاً حقيراً ويقولون لهم بوجوه جامدة إنه : « شىء ممتـاز للغاية ، صنع فى برلين » .

وفينا نار متأججة من المعارضين لهتلر ، ويبـدو أن النمساويين قد نسوا أن كثيراً

منهم رحبوا فى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ بهؤلاء الألمان أنفسهم ، ذلك بأنه فى السنوات الخمس الماضية قابل نمساويون من جميع الطبقات ألماناً من جميع الطبقات ، فكانت العاقبة ضربة قاضية على آمال الألمان فى إنشاء إمبراطورية ضخمة متحدة وحاطتها، وعدت إلى برلين وأنا على يقين حازم أن فينا قد خرجت من يد الريخ الثالث .

أعداء محترمون وحلفاء غير محترمين

كانت نظرة الشعب الألمانى إلى أعدائه ، طوال مدة الحرب، أنبل من معاملته لحلفائه.

فالنازيون ينظرون إلى إنجلترا على أنها عدوهم الأول، وينطوى شعورهم نحو إنجلترا على عامل شخصى عنيف، هو إحساس بالضعة أو شعور بأن إنجلترا تربح دائماً المعركة الأخيرة ، يخالط ذلك إعجاب غريب بقوة احتمال الروح المعنوية البريطانية خلال الحرب الجوية الخاطفة . وكان يقال: « البريطانيون على كل حال من أصل جرمانى » .

وقد بذل النازيون كل ما وسعهم فى مقاومة هذه العواطف . ولاريب فى أن الدعاية التى أحكم تدبيرها ضد إنجلترا لا تضارعها دعاية أخرى ، حتى الحملات ضد السامية ، ولم تترك فرصة تمر دون أن يقرروا ما سموه السجايا البريطانية الثلاث ، وهى : الخسة ، والجبن ، والخور .

ولن ينسى المراسلون الأجانب فى برلين ذلك الحديث الذى أدلى به روممل ذات مرة فى حضرة جوبلز. فقد حدثهم الفيلد مارشال الذائع الصيت أن البريطانيين كانوا جبناء فى اللقاء ، أخساء فى القتال ، وأضاف روممل « ولقد هزمناهم » ، وأعلن أن الألمان سيدخلون مصر ولابد . جرى هذا الحديث قبل أن يقوم مونتجومرى بهجومه المضاد فى العلمين ببضعة أسابيع ، وبهذا الحديث وحده زال الاحترام الذى كان يكنه المراسلون فى برلين للمارشال .

وبعد أسبوع ، كان على الكابتن فون درهيدت ، حامل الصليب الحديدى ، وأحد الجنود الذين اشتركوا فى فتح كريت ، أن يحاضر فى تجارب فرق الهبوط بالمظلات ، وكان قد جاء بعد نزوله من طائرته مباشرة ، فلم يتيسر له أن يتلقى أية تعليمات . وعلى مرأى ومسمع من موظف وزارة الخارجية المتجهم من الغيظ ، ورجال الصحافة الأجنبية المتهللين، انطلق هذا المحارب يثنى على أعدائه قائلا : « إن الجنود البريطانيين هم أشجع من لقينا ، نحن الألمان ، من الأعداء وأشدهم مراساً » .

والشعب الألمانى مرهف الحس فيما يمس الولايات المتحدة ، ومعظمهم يحب أمريكا

من أعماق قلبه ، وإنما جاء هذا من أن كثيراً من الألمان قد رحلوا إليها ، ومع ذلك يساورهم شيء من الرهبة لأنهم يذكرون ما قامت به أمريكا فى الحرب العالمية الأولى، وقد أعظمتها فى عيون الناس قوتها المادية.

وفى هذا أيضاً دأبت الدعاية النازية على « تصحيح » الرأى الألمانى ، فجهدت أولا أن تستخف بقوة أمريكا، وجعل الموظفون يسخرون بما سموه « هوَس الأرقام » ، وأعلنوا أن « نظام الحرية » خيبة مطبقة ، وأن صناعة التسليح الأمريكية أدنى بكثير من مستوى الإنتاج الذى يزعمه روزفلت .

ولكن وزارة الخارجية تلقت صدمة عنيفة فى يوم من الأيام ، إذ قام طمسن نفسه ، القائم بالأعمال فى السفارة الألمانية بوشنطون إلى عهد قريب ، والوزير الحالى فى السويد ، فألقى محاضرة على ممثلى الصحافة الأجنبيـة ، فأدهش السامعين بآرائه فى أمريكا ، إذ كانت تنقض كل النقض سياسة ولهامستراس التى كانت تفصح عنهـا يوماً بعد يوم .

وقد سأل رئيس قسم الصحافة طمسن عن الشعب الأمريكى ، أهو على علم بخيانة روزفلت ؟ فأجابه طمسن بأن رئيس الولايات المتحدة تشد أزره البلاد بأجمعها ، وصرح قائلا : « إن الشعب الأمريكى سيقاتل حتى النهاية » . وتجهم وجه الدكتور شمدت حين نبذ طمسن كل خطته فى الدعاية، وطفح الكيل حين أنذر طمسن النازيين بحصافته بأنهم يهوّنون خطر التسـليح الأمريكى . وقعد الدكتور شمدت وهو يتميز من الغيظ ، ولعـله كان من الممتع أن تشهد كيف كان لقاء الرجلين بعد المحـاضرة . واليوم صارت أمريكا كابوسـاً يجثم على صـدور النازيين، حتى كاد يكون الحديث عنها حراماً على الناس .

وموقف الريخ الثـالث من عدوه الثالث — روسيا — أكثر تعقيداً ، إذ لا يختلف رأى النازيين عن رأى السوفيت فيما يتعلق بالسياسة الداخلية ، فحشد القوة بلا رحمـة ولا هوادة من سجايا برلين وموسـكو كلتيهما .

بيـد أن الألمـان ينقمون أشد نقمة من « الأساليب الروسية الخسيسة فى القتال » . والجنود الألمـان الذين حادثتهم أعربوا كلهم عن الهلع والجزع الذى يجدونه فى أنفسهم من قبل النظام الروسى . فهم يشعرون أن هـذا النظام أقام مبانى حكوميـة ضخمة ، وأنتج مقـادير هائلة من أحدث أدوات الحرب ، ومع ذلك فقـد رضى أن يعيش سواد الشعب فى بؤس لا يوصف . وهـذه الدعامة القاسـية البشعة التى تقوم عليها

السياسة السوفيتية تفزع الجندى الألمانى ، وتجعله يشعر أنه يحارب البربرية الشرقيــة فى سبيل عالم أفضل من هذا العالم .

وقد حاولت الدعاية النـازية يوماً ما أن تستغل هذا الشعور ما استطاعت ، فأقامت معرضاً سمته «جنة السوفيت» فى لستجارتن وهى مجموعة من المساكن الروسـية ، قالوا إنهم جلبوها من مدينـة منسك ، وكانت بشعة قذرة تغص بالخرق البـالية . وتدفق عليها كل يوم آلاف من المشاهدين . وكانت رائحتها منتنة تقذرُها النفس ، فكان كثير من الزوار يخرجون منها أسرع مما دخلوها. ولا شك فى أن بعضهم كان يرتاب فى هذا الضرب من الدعاية المباشرة ، ولـكن لم يكد المعرض يوصـد أبوابه حتى اسـتفاضت فى أرجاء برلين هذه الدعاية :

— « لماذا أغلقوا الجنة السوفيتية » ؟

— « لأن سكان برلين الشمالية طالبوا برد أشيائهم » .

وأما شعور ألمـانيا نحو حلفائها فهو أمر عجيب ولا ريب . فما من ألمـانى يسعه أن ينكر أن حرب اليابان فى آسيا خففت شيئاً كثـيراً من الضغط على ألمـانيا ، ومع ذلك فاليابانيون مكروهون أشـد الـكره ، على أن الصينيين — وناهيـك من عجب — محبوبون كل الحبّ . ويرجع ذلك إلى أن الألمـانيين لم ينسوا بعد أن اليابان كانت لهم عدواً فى الحرب العالمية الأولى ، هذا ويشعر الألمـان أيضاً بأنه عسى أن لا يكون القيصر ولهلم مخطئاً كل الخطأ أيام لم يكن يفتأ يحذر أوروبا من الخطر الأصفر .

وكانت آثار انتصارات اليابان الهائلة فى ربيع سنة ١٩٤٢ مما تلذمتابعته ، فقد تحمس الألمـانيون بادىء الأمر وهللوا لها تهليلا كبيراً ، فلما توالت الفتوح وسقطت أخيراً الهند الشرقية الهولندية فى أيديهم ، استولى الوجوم على الدوائر السياسية الألمانية ، وحتى كبار رجال النازى أنفسهم كانت تصدر عنهم إشارات كهذه : « إن الشعوب الألمانية هى التى تدفع الآن ثمن تقدم الأجناس الصفراء » .

واسـتفحل أمر الشعور ضـد اليابان ، وصارت الدوائر السياسية شديدة الحنق على اليابانيين إذ أبوا أن يسيروا بالحرب طبقاً للخطط الألمـانية ، ولا سيما لما كان من رفضهم أن يهاجموا الاتحاد السوفيتى . ومحور برلين — طوكيو ليس إلا صداقة منفعة ، ولا يعبأ أحـد الصديقين شيئاً بأن يضحى بصاحبه إذا دعا الأمر .

وأسوأ من ذلك علاقات ألمـانيا بحليفتها السابقة إيطاليا . فتسليم إيطاليا فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٣ أسدى إلى ألمانيا يداً واحدة

على الأقل ، ذلك بأن الألمان أصبحوا أخيراً قادرين على الإعلان عن شعورهم نحو الحليفة السابقة . فالشعب الإيطالى « البطل » الذى كان يرفعه الثناء ، منذ وقت قريب ، إلى السماء ، قد تحول فجأة إلى أمة من الخونة الأنذال ، وإذا هو من الخسة بحيث لا يستحق زعامة موسولينى العظيم .

ومع ذلك فلا بد من أن يكون تسليم إيطاليا قد هوى قاسياً على الشعب الألمانى فأثر فيه تأثيراً بالغاً ، وعمل الحلفاء فى إيطاليا ، بوقوعه فى وقت واحد مع الهجوم الروسى ، يفتح للريخ الثالث وجوها من التوجس لا حد لخطورتها ، فليس يقتصر الأمر على أن الغارات الجوية الساحقة أصبح يمكن توجيهها الآن إلى المناطق التى كانت تعد آمنة فى ألمانيا الجنوبية ، بل إن فرص غزو الحلفاء قد زادت . ومنذ سلمت إيطاليا أخذ ذكر (سنة ١٩١٨) يفعل فى الشعب الألمانى فعلا عجيباً يزداد يوماً بعد يوم .

ومع أن الجمهور الألمانى كله قد أرهق بالعمل وبرّح بأعصابه الاعياء ، فلا ينبغى لأحد أن يهون من خطر قوته . ولا يزال للريخ الثالث قوته الاحتياطية التى لم تبرز بعد ، بما فى ذلك الأسلحة الجديدة التى كثر الكلام عنها . وانه لمن الخطأ أن تظن هذا إنما هو دعاية وحسب ، ومن حسن الرأى أن نحسب حساباً لما يحتمل من أن الألمان لديهم وسائل فنية هى آخر ما فى يد الفوهرر ، فقد كانت هناك مثلا وثائق محفوظة عن مدفعية ذات مدى بعيد لم يسبق لها مثيل .

ومن الجائز اليوم أن يكون الألمان قد أتقنوا صنع مدفع صاروخىّ يرمى إلى ١٤٠ ميلا ، وربما كان مثل هذا المدفع غير محكم فى رمايته ، ولكن هذا ليس نقصاً معيباً إذا كان الهدف فى حجم المنزل الصغير . وإذا تيسر للألمان مثل هذا المدفع كانوا فى موقف يمكنهم من تدمير جوانب كبيرة من لندن وإلحاق ضرر بليغ بإنجلترا ، هذا والمدفع نفسه فى مكان حصين من القارة الأوربية . ولكن ما من سبب يدعو إلى الظن بأن هذا السلاح أو سواه من الأسلحة السرية ، لن يلقى أسلحة جديدة مثله تقوم له من قبل الحلفاء ، أو أن مثل هذا يثبط من عزيمة بريطانيا على الاستمرار فى الحرب إلى نهاية النصر .

كبار النازى

معارضة الحزب النازى منتشرة انتشاراً عجيباً فى ألمانيا ، ولكن الحزب يقبض على البلاد بيد من حديد ، ولن تخرّ أركان النازية على رؤوس حماتها من تلقاء نفسها .

ويقف الجستابو حارساً لا يقهر ليحرس سلطان النازى على الناس ، وهذه القوة وحدها تتألف من ٥٠٠٠٠٠ رجل على الأقل . وقد أعد الجستابو وسائل المقاومة لكل ثورة داخلية إعداداً دقيقاً ، فقد أقيمت أعشاش المدافع ، منكرة على صورة أكشاك من حجر ، أو مخابىء للموظفين ، فى محطات السكك الحديدية وفى ملتقى طرق المواصلات فى المدن الكبيرة . ويحتل رجال «كتائب الصدام» ، مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية ، منازل على نواصى الطرق لها قيمتها الحربية .

ويمارس الجستابو فى مطاردتهم أعداء الحزب أساليب من الإرهاب تذكر بالقرون الوسطى ومحاكم التفتيش الإسبانية ، وإنهم يكلفون ببقاء هذا الجو عمداً . ويلقى القبض على الناس ليلا أو فى الفجر ، ويتولى القبض عليهم رجال من شيمتهم الصمت والتجهم فلا ينطق منهم لسان ببيان ، ويدعون المقبوض عليه هو وأهله يتوهمون أن الفريسة مسوقة من فورها إلى المشنقة .

وحيث لا يجدى الإرهاب وحده ، لا يتردد الجستابو فى التحريض على الثورة ، فإذا ما سمع رؤساء البوليس الألمانى أن قوماً يتآمرون على الشعب فى ركن خفى من البلاد أرسلوا من يقوم بتدبير دسيسة ، فإذا ما أفرخت الدسيسة المبيتة ، أقبل الجستابو ليقبض على المتآمرين .

فإذا اقتضى الأمر الاعدام بالجملة ألقيت المهمة على عاتق حرس القمصان السود أو «كتائب الصدام» ، وكانت وحداتهم خاصة هى التى تتولى طرد اليهود من ألمانيا ، وقد أبدوا فى ذلك قسوة لا حد لها ، وإن كان هذا فيما يبدو ، لا يعد شيئاً بالقياس إلى مافعله رجال «كتائب الصدام» أنفسهم فى شرق ألمانيا . فربما ظل مجهولا إلى الأبد : كم من دم يهودى أو بولندى أو روسى أراقوه وحملوا وزره !

وجنود «كتائب الصدام» الذين منهم فرق الإعدام فى الشرق ، قد جرى اختيارهم بعناية ، فهم مجندون من أشد العناصر قسوة ، وقد دربوا على أن يكونوا أعنف وأشد قسوة . ولعله لا يوكل إليهم فى بادىء الأمر إلا سوق اليهود إلى تنظيف الشوارع أو جرف الثلوج المتراكمة ، ثم يكلفون تنفيذ الإعدام فى الأفراد مع الفرق النظامية . فإذا دربوا على ذلك كلفوا تنفيذ الإعدام بالجملة .

وقد أبى كثيرون منهم الاشتراك فى الإعدام بالجملة ، حتى بعد هذا التدريب ، فأعيدوا إلى وطنهم مهددين بما ينزل بهم وبأسرهم إن هم تكلموا . وحل بآخرين الخبل

فأرسلوا إلى البيمارستانات . وبين الحين والحين يستدعى الأطباء لفحص جنود فى الإجازة مصابين بنوبات هستيرية شديدة أو بأرق متطاول ، وتكون القصة دائماً واحدة : «لا أستطيع أن أحتمل أكثر مما احتملت — لست أرى فى منامى شيئاً إلا الدماء» .

وزعماء النازى ينظرون إلى ألمانيا بل إلى أوروبا كلها كأنها من أملاكهم ، فطاشوا فى استغلال سلطانهم فيما يعود على أنفسهم بالمنفعة ، فلا يكادون يفرقون بين ما هو ملك لهم وما هو ملك للشعب . وقد محيت هذه الحدود محواً تاماً فيما يختص بأرفع المناصب ، حتى جمع من بيدهم مقاليد الحزب لأنفسهم أموالا وافرة بوسائل غير شريفة . وقد أثار فجورهم وإفراطهم على الناس بسلطانهم أعظم المقت وأشد الاشمئزاز فى نفوس الشعب الألمانى .

أما قوة معارضة النازى فى قلب ألمانيا فمن العسير أن تقدّر على وجه الضبط ، فالسواد من الشعب مقاوم للنازية فى قلبه ، ويريد أن يتخلص من الحزب وأن يظفر بالسلم والهدوء ، وأما الذين يدركون ما يريدون بعد هتلر فإنما هم قلة .

ويبدو أن الدعاية بما تناقلته الألسنة فى مكافحة هذا النظام قد دبرت ، تدبيراً محكما ، فبين الحين والحين تذيع فى أرجاء المدينة كلها فى بضع ساعات أسرار فاضحة ، وفى حياة زعماء الحزب وقود لا ينفد لدعاية المعارضة .

وكثير مما يقع فى ألمانيا الآن يثير دهشة الأجنبي ، فإن أكثر من ١٥٠,٠٠٠ شخص يعملون فى الخفاء ويعيشون عيشة الخارجين على القانون ، وبعض هؤلاء من اليهود ، ولكن أكثرهم من الألمان المعارضين للنازى . وهم يعيشون فى تحفز دائم من جراء نضالهم فى سبيل الاختفاء للإفلات من الجستابو ، يعينهم على ذلك بعض أهليهم أو أصدقائهم . وكثير منهم واتاه الحظ الآن لما لحق الأداة الإدارية من الفوضى الناجمة عن الغارات الجوية وإخلاء المدن .

وقد أبدى رجال الكنيسة — من بروتستانت وكاثوليك — شجاعة عظيمة وعزماً ثابتاً فى جهادهم فى سبيل حرية النفوس . وهم يتعاونون فى مقاومة الضغط النازى ، حتى لقد تهدمت حواجز كثيرة مما كان بين الكثلكة والبروتستانتية . فالقسس الكاثوليك يعظون فى الكنائس البروتستانتية ، والرعاة البروتستانت الذين طردوا من كنائسهم تعينهم الكنيسة الرومانية بالمال .

ولا ريب إن نظام الكنيسة الكاثوليكية

التين هو الذى أنقذ حتى اليوم ما بقى من الثقافة الألمانية والحرية الروحية. والكثلكة أيضاً هى التى تجنى اليوم ثمار البعث الدينى المشهود فى جميع أنحاء ألمانيا . ويرجع الفضل فى ذلك إلى الموقف الصريح الجرىء الذى وقفه كثير من زعماء الكنيسة . فمن ذلك أن نسخاً من الخطب المناهضة للنازية التى ألقاها جراف فون جالن أسقف مونستر ، تناقلتها الأيدى فى طول ألمانيا وعرضها ، وأن كاتدرائية مونستر كانت تغص بالسامعين إذا ما خطب الأسقف ، ومع ذلك لم يجرؤ الجستابو على التدخل . ولما أوشك القبض على الكونت جالن أن يكون ، صار الفلاحون يقبلون على المدينة كل صباح فى عرباتهم ويطالبون بأن يخرج إليهم الأسقف، إذ كانوا يريدون أن يستوثقوا من أنه لم يزل فى الكنيسة لا فى معسكر الاعتقال .

وقد ذاعت عن هذا الرجل قصص لا حصر لها ، وربما كان أطرف ما عرف منها قصة الزعيم النازى الذى وقف فى الكنيسة فى يوم من أيام الأحد وصاح بأعلى صوته قائلا : « إن الذين لا يساهمون فى الحرب بدمائهم ودماء أبنائهم من أجل بقاء ألمانيا يجب عليهم أن يلزموا الصمت» . فكان رد الأسقف السريع العاجل : « إنى أنهى كل إنسان فى هذه الكنيسة ، مهما تكن منزلته ، عن التنديد بالفوهرر » .

ومثل هذه القصص لا تحكى عن جالن فحسب بل عن كثيرين غيره من رجال الكنيسة .

والسبب الذى من أجله ظل الحزب الوطنى الاشتراكى مسيطراً على الأمة سيطرة لم تتزعزع ، على ما دبّ فيه الفساد ، وعلى ما يكنه الناس من بغضه ، هو تماسك الزعماء النازيين الذين ظلوا متساندين على ما بينهم من خلاف ونزاع . وهذه الجبهة المتحدة فى كفاح كل معارضة ، إنما أنشأتها المصالح المشتركة ، والإيمان العنيف بالاشتراكية الوطنية ممثلة أولا وأخيراً فى شخص أدولف هتلر .

ولكن من وراء هذه الجبهة الموحدة فوضى من المصالح الشخصية المتضاربة ، يبدو أن هتلر نفسه ينميها ليظل محتفظاً بمكانة الحكم الأعلى .

والقدر سريع التقلب بالزعماء ، ففى مستهل سنة ١٩٤٣ مثلا صار جوبلز رجل الساعة ، وما كاد يصل حتى عاد إلى مكانه السابق بعد أشهر قليلة . ثم اختفى جورنج من مقامه الرفيع ، فلما كانت أواخر الربيع سمعنا أنه كالمنفى فى جراز ، وفى أغسطس حدث شىء غامض أعاده إلى الطليعة مرة أخرى . وتفسير ذلك أنه لا بد أن عملا ما

كان يراد القيام به ، وأن جورنج كان الرجل الذى يمكنه أن يتولاه .

ومن الغريب أن هـذا الرجل الذى بذّت قسوته قسوة سائر الزعماء، صار هو الذى يمثل الناحية الإنسانية من النظام النازى . فكان من افتنانه بالأزياء والأوسمة ، وتباهيه بها كالصبية ، وحبه للطعام الطيب الشهىّ ، ماجعل الألمان يرون فيـه أحد خصائصهم القوميـة ، وأحله المنزلة الأولى عنـدهم . ولكن ما لبثت شهرته أن تضاءلت أخيراً ، فإن بشاعة الفقر لم تدع أحداً يطيق أن يرى هذا الهيام بالترف . وقد أخذ يزداد ما يذاع عنـه من قصص تدل على مدى « اتساع ذمته » فى تفسير حق الملكية . فمن ذلك أن أحد الضيوف فى إحدى الولائم جعـل يبدى إعجابه بشمعدان بديع ، ومر به أحد القواد فمال على رب المنزل وقال له : « خذ حذرك ، وإلا لمحه جورنج » .

وربما كان هينريخ هملر ، وزير الداخلية الجديد وقائد كتائب الصدام ومدير البوليس الألمانى أقل زعماء النازى سيرة معروفة عند الجماهير . ومع ذلك فالفكرة العامة عنه أنه هو الذى يعلق الناس فى المشانق . وثمة دليـل صادق الدلالة أن هملر رجل فى قلبه نهم جنونى إلى السلطان ، فقد أسس بهمته وعزيمتـه ، نظاماً بلغ من الكمال مبلغـاً يستطيع به أن يعلق على كل أحد عيناً من عيـونه . وقد سـجل فى ملفات سرية كل ما يبتغى المرء أن يعرفه ، عن مغامرات جورنج وجوبلز ، وحتى حركات الفوهرر نفسه تدخل فى نطاق أبحاثه .

ويكاد يكون مارتن بورمان ، وهو من أعظم رجال ألمانيا سلطاناً ، مجهولا كل الجهـل خارج حدود بلاده . ويقول عنه المراسلون الأجانب فى برلين : إنه خليفـة رودلف هس بالفعل ، وإن لم يكن بالاسم . وبورمان نائب هتـلر وهو — كهس — رئيس إدارة الحـزب . وبالاختصار ، هو ساعد هتلر الأيمن فى كل ما يتعلق بالشؤون الداخلية .

أما يواكيم فون ربنتروب ، وزير الخارجية الألمانية ، فهو مثال لمن نوهت النـازية بأسمائهم بعد خمول وهم على بعـد . همتهم ونشـاطهم رجال لا يتـورّعون ولا يتقون . وكان فى بادىء أمره خماراً وقد تبناه أحد أقاربه فتسنى له بذلك أن يضيف إلى اسم ذلك اللقب المرموق « فون » .

ويعتقـد كثير من الألمان أنه أولى من هتـلر نفسه بأن تلقى عليه تبعة العدوان النازى . ويبدو أن ثمة أساساً متيناً لاعتقاد ما يسـمعه المرء كثيراً : هو أنه لو لم يؤكد ربنتروب أن بريطانيا سوف تستسلم ، ولو لم

ينصح هتلر بأن يسوق الأزمة البولندية الألمانية إلى غايتها ، ما وقعت الحرب العالمية فى سنة ١٩٣٩

وربما كان الدكتور روبرت لى ، زعيم جبهة العمال ، أقل زعماء النازى قرباً إلى قلوب الشعب . وهو أحد أصدقاء هتلر المقربين القلائل ، ممتلىء البدن ضخم الذقن قد طوق الشحم عنقه ، فى صوته بحة وحشرجة، وفى طباعه العربدة النازية ،وهو يستوقف الأنظار فى الحفلات الرسمية وفى اجتماعات الريشستاج خاصة ، بهرولته شغفاً بتحية من هم أرفع منه منصباً ، هذا وعينه دائماً زائغة إلى آلة التصوير . وحتى المارشال كيتل نفسه ، وهو الذى وصف بألقاب النساء لأنه يبتذل نفسه غير ضنين لكل ذى سلطان ، لا يستطيع أن يخفى ازدراءه حين يرى ذلك الوزير القصير البدين.

وهو امرؤ خبيث الطوية حتى إن كثيرين من عقلاء النازيين حاولوا إقصاءه عن الحياة العامة ، لعلمهم أنه كان دائماً منبع الفساد فى الحزب . وإدمانه الخمر وعدم أمانته يعرفهما حتى الأطفال فى برلين ، ومع ذلك لا أمل فى التخلص منه ما دام هتلر يتولى حمايته .

إذا وقف المرء يراقب هتلر وهو يخطب فى حفل عام راعه ما يراه من ضروب التناقض فى طبيعته . ففى حركاته وشمائله تكلف بغير وقار ، وهو حين يصعد إلى منبر الخطابة يُرَى كأنه تاجر حقير يحاول عبثاً أن يكون سياسياً عظيما .

ثم يستهل خطبته بصوت مرتفع ، فيروى كدأبه قصته المألوفة المملة منذ كان جندياً عادياً حتى صار زعيما للريخ . وتزيد حماسته شيئاً فشيئاً ثم يفجأ العين منه رجل آخر ، هو نسيج من أعصاب ملتهبة ، تهوى كلماته كأنها وقع مطرقة . فإذا ألقيت نظرة على المستمعين ألفيتهم يصغون إلى كل كلمة بأفواه فاغرة وعيون شاخصة ، وعندئذ لا مناص لك من أن تملك نفسك لا يجترفك ما اجترف الجماهير من السحر . وعلى حين غرة يبطل هذا السحر ، فلا ترى إلا ذلك الرجل الضئيل وهو يحاول أن يقنع الناس ويقنع نفسه بعظمته .

وتصطبغ سياسته الخارجية — فى الظاهر — بصبغة واقعية مستهترة . والحقيقة هى أن عواطفه وحالته النفسية لها أثر فى توجيه سياسته . ولا يخفى على أحد فى برلين أن بعض المسائل التى تتطلب سرعة البت قد تهمل عدة أسابيع لأن المستشارين لا يجرؤون على عرض أية مسألة عسيرة شاقة ، إلا أن تعرض الفرصة النادرة حين يكون هتلر راضياً طيب النفس . وكثيراً ما رسمت

أحقاده الخاصة سياسة ألمانيا . وهذا الاعتماد على الانفعال دون العقل ، هو الصفة المخيفة التي يعرف بها نظامه .

ولا يتسنى لأحد أن يجحد ما لهتلر ، القائد العسكري ، من مقدرة على وضع خطط حربية عظيمة ، بيد أنه مولع بمعرفة التفاصيل ، وهذه خصلة تثير في نفوس العسكريين سخطاً شديداً . فقد يستدعي رئيس أركان حربه ثلاثين مرة في صباح يوم ما ، ليفسر له أعمالا حربية ينبغي أن تكون من شأن القواد في ميدان القتال . ثم إنه قد يؤجل الموافقة على استعمال سلاح جديد ، لأنه يريد أن يختبره بنفسه وهو عمل قد يستغرق أسابيع أو شهوراً .

ولا شك في أن من أكبر المحن التي ابتليت بها القيادة الألمانية أن يكون على رأسها قائد معتز بمقدرته ، وليس له مع ذلك حظ من الثقافة العسكرية . وقد دارت على الألسنة كثير من النوادر عن تدخل هتلر في الشؤون الحربية ، فهو لا يعبأ شيئاً بنظام الجيش ، حتى قيل إنه أصدر أوامر إلى بعض السريات والكتائب متخطياً كبار قوادها . وقد تجلى مسلكه هذا مع الجنرال فون بوك . سأل فورت فونجلار رئيس الأوركسترا الذائع الصيت القائد فون بوك عن سبب عزله من القيادة ، فأجابه بقوله :

« يا عزيزي فورت فونجلار ، لو كان مما يسره الله للفوهرر أن يعرف الزمر لما تسنى لك أنت أيضاً أن تقود الأوركستر أمام الجماهير » .

ويطمع هتلر أن يكون جندياً كما كان سياسياً — بل أن يكون أعظم جندي في التاريخ — ولكنه لم يرزق مالا غنى عنه من أداة الجندي . وقد تمخض تدخله في ميادين القتال عن كوارث عسكرية . ولعل خير ما يفسر ذلك شعاره الذي دان له مدى حياته : « اجعل المستحيل ممكناً » . وقد أدى هذا المبدأ إلى نتائج باهرة في ميدان السياسة ، فقد خالف هتلر ما نصح به قواده بإعادة تسليح منطقة الرين ، وزحف إلى النمسا ، و «حل» مشكلة تشيكوسلوفاكيا . وقد ألقت هذه الفتوح السياسية في نفسه أن رأيه العسكري أيضاً معصوم من الخطأ .

وكانت سياسة تحقيق المستحيل هي التي رام هتلر أن ينهجها حين غزا روسيا ، ولكنه أخطأ تقدير العوامل العسكرية مثل : الاحتياطي ، ووسائل النقل ، والجو وروح القتال التي جبل عليها الشعب الروسي . ولقد انهارت سيادة هتلر العسكرية في براري روسيا وفي صحاري أفريقية ، لأنه أخطأ في تقدير هذه العوامل .

وقد تغير هتلر خلال السنتين الماضيتين

إذ تقدمت به السن ، فزادت حدة عينيه وتجلى فى نظراته الضجر ، فهو يلقى فى روع من يلقاه صورة الرجل الذى يعلم أن ساعته قد أزفت .

وأما صحته فلا يعلم حقيقة أمرها الآن إلا المقرّبون ، ولكن قواه كانت تنهار بين الحين والحين ، فلا يشرف على شئون الدولة على الدوام ، فيؤول زمام الأمور السياسية والعسكرية إلى يد غيره فترات قد تطول أسابيع أو أشهر ، وتنتقل المسائل السياسية فى الغالب إلى أيدى هملر وبورمان وتنتقل السلطة العسكرية إلى القيادة العليا .

ويعيش هتلر اليوم فى عزلة تامة لا يقابل إلا رجالا قلائل . ويلوح أن قواد ألمانيا العسكريين قد أصبح لهم شأن فى توجيه سياسة الحرب ، وأن هتلر نفسه يقصى شيئاً فشيئاً عن إدارة دفتها .

ويوم يصير الصراع الحاضر ماضياً ، سيثنى التاريخ على ما عمل . فقد أصبح من الواضح أن هذه الحرب قد هيأت العالم لأعظم انقلاب فى التاريخ الحديث . وحين نخلف أحداث زماننا الحاضر وراء ظهورنا ، فربما عددنا هتلر يومئذ أداة سخرها القدر ، ولكن عملها يختلف كل الاختلاف عما قدر لنفسه وهو جاثم فى « وكر النسر » فى برختسجادن . فبفضل نظامه الغاشم عادت الحرية مثلا أعلى يفيض سناه فى أرجاء العالم ، ويتفانى الناس فى حياطته . وأصبح أهل البلاد الذين ظنوا أن الحرية شىء مضمون،لأنهم ألفوها ، يلمسون الآن الحقيقة مجسدة لما كانوا مهددين بفقده . وربما كان حكم التاريخ على يقظة الحرية هذه أنها : رسالة هتلر التى آمن بها العالم .

مرحلة الحرب النهائية

لا شك فى أن هتلر ورجاله سينزلون من التاريخ منزلة غلاة الهدامين . وقد حاول حزب النازى أن يغير الأساس الذى قامت عليه حياة الشعب الألمانى ، وهو الذى كان قبل أن يتسلم هتلر زمام الحكم شعباً متديناً صادقاً ، نعم ، كان أفراد كثيرون من الألمان لا يعبأون بالأديان كلها ، ولكنهم كانوا خاضعين للأحكام العامة التى يتبعها العالم المسيحى .

وقد حاول هتلر أن يخرج للشعب الألمانى ديناً جديداً ، فحيل بين الشبان وبين الكنائس ، ولقنوا عقائد جديدة ليؤمنوا بها ، وأصبح تقديس هتلر من العقائد الدينية . ولم تكن العقائد التى نفثت فى قلوب الشبان الألمان سوى الإيمان بالدم والقوة والاتحاد الجرمانى ، ولم يعودوا يعلمون شيئاً عن عقائد الشعوب الأخرى ومثلها العليا .

وتكمن فى نفوس الشبان الألمان أشد المخاطر التى تهدد ألمانيا وأوربا ، وكذلك كتب على قوم آخرين أن يحصدوا ما بذره هتلر . وقد تمضى أجيال قبل أن تنقى الأرض من بذور النازية .

والقضاء على نظام التشريع القديم يسير مع تخلق الدين الجديد جنباً إلى جنب . وإنه لمن العسير أن يدرك البعيدون عن ألمانيا ما ينطوى عليه النظام الجديد من الفوضى المتمردة على الشرائع والقوانين .

وحالة ألمانيا الآن تشبه ما كانت عليه فما بين ١٢٥٤ — ١٢٧٣ م ، يوم كانت بلاداً لا حاكم لها . فالأهالى الأبرياء الصالحون يقبض عليهم ويعاقبون بلا تحقيق ولا محاكمة ، بل لا ضرورة للقبض وما يتبعه ، فالشخص المطلوب قد يقتل فى عقر داره . فهل نستطيع أن ندرك كيف يكون هذا كله فى شعب لم يزل يعد من أكبر شعوب العالم ثقافة وحضارة ؟

وفى الحياة العامة والحياة الخاصة على السواء تتفشى القسوة والذل والكذب والفساد ، فأودى الشرف وخلا مكانه ، واحتل الغدر والوشاية مكان الصدق والشرف .

إن ملايين من الألمان يعارضون ، كغيرهم من الأوربيين ، هذه الأساليب التى انتهجها هتلر ، ولكن لم يجرؤ على التصريح باحتجاجه إلا قليل ، وقد يعد ذلك جبناً ، وإنه لكذلك ، ولكن قليل من الناس خارج ألمانيا من يستطيع أن يدرك تمام الإدراك عواقب الاحتجاج فى شعب كالشعب النازى . فالتلويح بالمعارضة لا يقضى على حياة الإنسان فحسب بل يقضى أيضاً على أسرته وأقاربه .

والألمان اليوم فى كرب مخيف ، فقد خضعوا عشر سنين للنظام النازى الذى يتابع تخديرهم وعزلهم عن بقية العالم ، ويرى أبعدهم نظراً أن انتصار ألمانيا سيكون غلا لا يطاق يرسف فيه الألمان والشعوب الأخرى على السواء ، وهو أمر لا يسعهم أن يتوقوا إليه بمحض قلوبهم . ولكن لم يزل يصب فى أسماعهم يوماً بعد يوم أن الخائن هو من لا يتعصب للفوهرر ويؤمن به . يضاف إلى هذا أن الذين حضروا سنة ١٩١٨ يعلمون معنى تجريدهم من السلاح ، ووقوعهم تحت رحمة العدو ، فهم لا يشكون فى أن الأمر سيزداد سوءاً إذا ما هزموا مرة أخرى .

وقد بدأ الألمان يحسون تيار البغضاء الكامنة فى نفوس الناس فى أوربا وبما يتوعدونهم به ، تلك هى أوربا التى أراد النازيون أن يدمجوها فى ألمانيا فاتحدت عداوة لألمانيا . وإنهم ليحسون أيضاً

بمقاومة السلافيين تكاد تعصف بهم ، وبالخطر الكامن الذى يهددهم به ملايين العمال الأجانب التى سخرت للعمل فى ألمانيا.

ونحن لا ندرى بعدُ ، ما الذى ستتمخض عنه المرحلة الأخيرة للحرب ، ولكن الفقر والبؤس يهلكان الناس ، والثورة ممكنة إذا ضاع الأمل فى النصر ، والعمال الأجانب فى ألمانيا ينذرون بثورة عنيفة لا مثيل لها فى التاريخ ، والحقد المتأجج فى صدور الدول المحتلة يتربص للانفجار .

ومع ذلك فإن معظم الألمان يشعرون بأنه ينبغى عليهم أن يمضوا فى السباق إلى نهايته ، فلم يبق لهم إلا أن يقاتلوا. ولا ريب فى أن الحلفاء لم يدعوا لهم ما يختارون إلا التسليم بدون قيد ولا شرط . ومن المستحيل أن نجعل شعباً يرضى هذه النتيجة قبل وقوع كارثة عسكرية . فخالة ألمانيا وأعداء ألمانيا كلاهما معاً يسوق الألمان للانضمام تحت لواء الصليب المعقوف .

« إما النصر وإما الشيوعية » . هذا هو النداء الذى يردده جوبلز وهو يريد به أن يقول : « ليس لنا أن نختار » . وبعد فالنازيون يعلمون كل العلم أن صراعهم فى الواقع إنما هو مسألة حياة أو موت .

⁂ ⁂ ⁂

● خطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ ثم ارتفع السجف عن المرأة فرأى شيئاً كرهه . فقال لهم : والله ما عندى اليوم نقد ، وإنى لأكره أن يكون علىّ دين .

● قال الجاحظ : جاءنى يوماً أحد الثقلاء فقال : سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمنى منها فقلت له : نعم ! فقال : إذا قال لى شخص ، يا ثقيل الروح ، أى شىء أقول له ؟ فقلت : قل له ، صدقت !

● قال الجاحظ : أتتنى امرأة «وأنا على باب دارى فقالت : لى إليك حاجة» وأريد أن تمشى معى ! فقمت معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا ! وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها . فقال : إنها أتت إلىّ بفصّ وأمرتنى أن أنقش عليه صورة شيطان ! فقلت لها : يا ستى . ما رأيت الشيطان قط ! فأتت بك وقالت ما سمعت .

النهج الوحيد فى الغد

آين رانت

ملخصة عن
بحث فى « القاعدة الأخلاقية للفردية »

إن أعظم خطر يهدد الإنسانية والحضارة هو ذيوع الفلسفة الكلية . وليس خير حلفائها إخلاص أتباعها وولاؤهم ، بل حيرة أعدائها ، فإذا أردنا أن نكافحها فإن علينا أن نفهمها.

إن الكلية هى الجماعية ، والجماعية معناها إخضاع الفرد لجماعة ، يستوى فى ذلك أن تكون الجماعة شعباً أو طبقة أو دولة ، فما لهذا قيمة . وهى تقضى بأن يكون الفرد مشدود الوثاق إلى العمل الجماعى والفكر الجماعى فى سبيل مايسمى « الخير المشترك » .

وما ارتقى قط مستبد ، فى عصور التاريخ كلها ، إلى منزلة السلطان والقوة إلا بدعوى تمثيل « الخير المشترك » . فنابليون « خدم الخير المشترك » لفرنسا ، وهتلر « يخدم الخير المشترك » لألمانيا . وقد ارتكب « الإيثاريون » أو « الغيريون » أو مدعو حب الخير للغير ، فظائع لا يجرؤ إنسان أن يفكر فيها لنفسه الأنانيـة ، وأقدموا على اقترافها بضمير نقى هادئ وسوغوها لأنفسهم « بالخير العام » .

وما طال عهد طاغية بقوة السلاح وحدها ، وإنما يستعبد الناس أولا بالأسلحة الروحية . وأعظمها وأقواها النظرية الجماعية ومؤداها أن سيادة الدولة على الفرد هى جماع الخير العام . فإنه ما من حاكم بأمره يستطيع أن يرقى إلى منازل السلطة إذا كان الناس يتمسكون بعقيدتهم — كأنها شىء مقدس — بأن لهم حقوقاً لا يجوز أن يسلبوها ، ولا يمكن أن يحرمهم إياها لأية غاية ، أى رجل كائناً من كان ، وسواء أشريراً كان أم خيراً مزعوماً .

وهذا هو المبدأ الأساسى للفردية على نقيض الجماعية ، فالفردية مؤداها أن الإنسان وحدة مستقلة ذات حق ثابت لها فى نشدان سعادته فى مجتمع يتعامل الناس فيه على قدم المساواة .

ولدت إين راند فى مدينة بطرسبرج (لينجراد الآن) بروسيا وتخرجت فى جامعتها . واشتغلت بالكتابة والتأليف ، وفى سنة ١٩٣١ جاءت إلى الولايات المتحدة ، كما قالت ، « لأكتب كما أشاء » . وهى مؤلفة المسرحية المشهورة « ليلة ١٦ يناير » التى ظلت تمثل ثلاث سنوات فى العقد الرابع من هذا القرن . ومن كتبها أيضاً « نحن الأحياء » وكتابها الحديث الذى راج رواجاً عظيما « الينبوع » وسيمثل قريباً فى السينما .

والنظام الأمريكي قائم على الفردية ، فإذا أريد له البقاء ، فإن علينا أن نفهم مبادىء الفردية وأن نتخذ منها شعاراً لنا ، وقاعدة تصدر عنها في كل مسألة عامة وفي كل أمر نواجهه . إذ يجب علينا أن يكون لنا دستور إيجابي ، وعقيدة بينة مطردة .

ويجب أن نرفض الرأي القائل بأن الخير العام يخدمه إلغاء الحقوق الفردية ، فإن هذا شر محض ، فإن السعادة العامة لا يمكن أن يثمرها الشقاء العام والتضحية العامة . والجماعة السعيدة الوحيدة هي التي تكون مؤلفة من أفراد سعداء . فما يمكن أن تكون الغابة طيبة إذا كان شجرها هامدا .

وندل ويلكي يقول

«لأجل كسب هذه الحرب قبلت الأمة الأمريكية الحكومة المركزية ، وتعبئة العمل ، وتقييد الحرية إلى حد أبعد مما قبلته في تاريخها .

« للكلية » أثرها الخادع السيء . وهي تؤثر في الذين يفضلون الانقياد للزعامة على الاجتهاد ، والطريق المرسوم على المغامرة ، وتؤثر فيمن يجدون أن من الصعب أن يسخروا الديمقراطية لمصالحهم الذاتية الاقتصادية أو السياسية .

ومتى انتهت هذه الحرب فإن الحريات التي فقدناها يجب أن تعاد وترد ، لا بعضها ، بل كلها ، ولا عاجلا أو آجلا ، بل عاجلا . فإذا لم نفعل ذلك فإن التاريخ سيسجل أن المنتصرين في هذه الحرب — كما حدث في حروب كثيرة أخرى — هم الذين انهزموا .

وينبغي أن يكون سلطان الجماعة مقيداً دائماً بالحقوق الأساسية الثابتة للفرد .

فحق الحرية معناه حق الإنسان في العمل الفردي ، والاختيار الفردي ، والابتكار الفردي ، والملكية الفردية . فما من سبيل إلى عمل مستقل بغير الحق في الملكية الخاصة .

وحرية نشدان السعادة معناها حق الإنسان في أن يحيا لنفسه ، وان يختار فيه سعادته الخاصة الذاتية ، وأن يعمل لإدراك ذلك وتحقيقه . وكل فرد هو صاحب الرأي والقول الفصل وحده في هذا الاختيار . ولا يمكن أن يقرر له إنسان آخر أو أي عدد من الناس سعادته .

وهذه الحقوق ملك فردي ، شخصي ، خاص ، وبغير قيد أو شرط ، لكل إنسان ، وهي له بمولده ، ولا حاجة بها إلى موافقة أو إقرار . وقد كان هذا هو مبدأ الذين أسسوا بلادنا ، فوضعوا الحقوق الفردية فوق كل دعوى جماعية . أما الجماعة فلا يمكن

أن تكون إلا كبوليس المرور فيما يتعلق بعلاقات الناس بعضهم ببعض .

وما زال الناس منذ فجر التاريخ رجلين متعاديين يتوجهان ، وطرازين يتقابلان — الفاعل والمستكين المستسلم . والأول هو المنتج ، والخالق ، والمنشئ ، والفردى . وحاجته الأساسية إلى الاستقلال — ليفكر ويعمل — وهو لا يحتاج إلى السلطان على غيره ولا ينشده ، ولا يمكن حمله على العمل تحت أى نوع من الإكراه . وكل ضرب من ضروب العمل الصالح — سواء أكان وضع لبنات أم تأليف لحن موسيقى — يقوم به هذا الرجل . وإن المقدرة الإنسانية لتتفاوت درجاتها ، ولكن المبدأ الأساسى يبقى كما هو ولا يتغير ، وهو أن مبلغ استقلال الإنسان وحريته فى الابتكار ، هو الذى يحدد فضله كعامل وقيمته كإنسان .

أما الرجل السلبي أو المستكين فيوجد فى كل جماعة بالغة ما بلغت من الرفعة أو الهبوط ، فى القصور والمساكن الحقيرة الزرية . وطابعه هو خوفه من الاستقلال ، وهو مخلوق طفيلى ينتظر أن يعنى بأمره غيره ، ويود أن يرشدوه ويوجهوه ، فيطيع ويخضع ، ويتجه إلى حيث يؤمر ، وهذا يرحب بالجماعية التى تعفيه من كل حاجة إلى التفكير أو العمل بوحى من نفسه .

ومتى قامت الجماعة على مقتضى حاجات الرجل المستسلم فإنها تقضى لا محالة على الرجل العامل . ولكن متى قضى على العامل ، فإن الآخر لا يمكن أن يعنى به ، أما متى قامت الجماعة على مقتضى حاجات الرجل العامل فإنه يحمل المستسلمين معه بفضل همته ، ويرفعهم معه إذ يرتفع ، وإذ ترتفع الجماعة كلها ، وهذه هى صورة كل تقدم إنسانى .

وهناك من الإنسانيين من يطالبون بدولة جماعية ، وذلك لفرط عطفهم على العاجز أو الرجل المستسلم . ومن أجله يريدون أن يشدوا الرجل العامل إلى المركبة ، ولكن الرجل العامل لا يستطيع أن يعمل وعلى عنقه نير ، ومتى قضى عليه ، فإن القضاء على الرجل المستسلم يتم من تلقاء نفسه . فإذا كانت الرحمة هى الباعث الأول للانسانيين ، فإن عليهم باسم هذه الرحمة ، إذا لم يكن باسم غيرها أن يدعوا الرجل العامل حراً فى العمل ، ليتيسر له أن يساعد الضعيف المستكين . فما من سبيل أخرى لمساعدته .

وتاريخ الإنسانية هو تاريخ النضال بين الرجل العامل والرجل المستسلم ، أى بين الفرد والجماعة . فأما البلاد التى أخرجت أسعد الناس ، وأرغد مستوى للحياة ،

وأعظم رقى ثقافى ، فهى التى كانت فيها السلطة الجماعية — للحكومة أو الدولة — محدودة ، وكان الفرد فيها حراً فى العمل المستقل . مثال ذلك ، نهضة روما وقيام القانون فيها على حقوق الفرد وتغلبها على الوحشية الجماعية فى زمانها . ومن الأمثلة أيضاً إنجلترا ونظام حكومتها القائم على « العهد الكبير » — ما جنا كارتا — وتغلبها على إسبانيا الجماعية الكلية . ومن الأمثلة كذلك نهضة الولايات المتحدة إلى درجة لم يسبق لها نظير فى التاريخ — بفضل الحرية الفردية والاستقلال اللذين يسرهما دستورنا لكل مواطن ضد الجماعية .

وبينما الناس يتدبرون أسباب قيام الحضارات وسقوطها ، نرى كل صفحة من صفحات التاريخ تصيح بنا أن ليس ثم سوى مصدر واحد للتقدم : الرجل الفرد فى العمل المستقل . أما الجماعية فهى الوحشية القديمة بعينها . ذلك أن وجود الرجل المستوحش يسيطر عليه زعماء قبيلته ، أما المدنية فهى عبارة عن تحرير الناس من الناس .

ونحن نواجه الآن أمرين علينا أن نختار أحدهما — أن نسير إلى الأمام ، أو أن نرجع القهقرى .

وليست الجماعية « بالنظام الجديد فى غد » وإنما هى نظام الأمس الحالك الظلام . وهناك نظام جديد للغد — وهو رهن بالإنسان الفرد ، وهو وحده الذى أتاح للانسانية أى غد نعمت به .

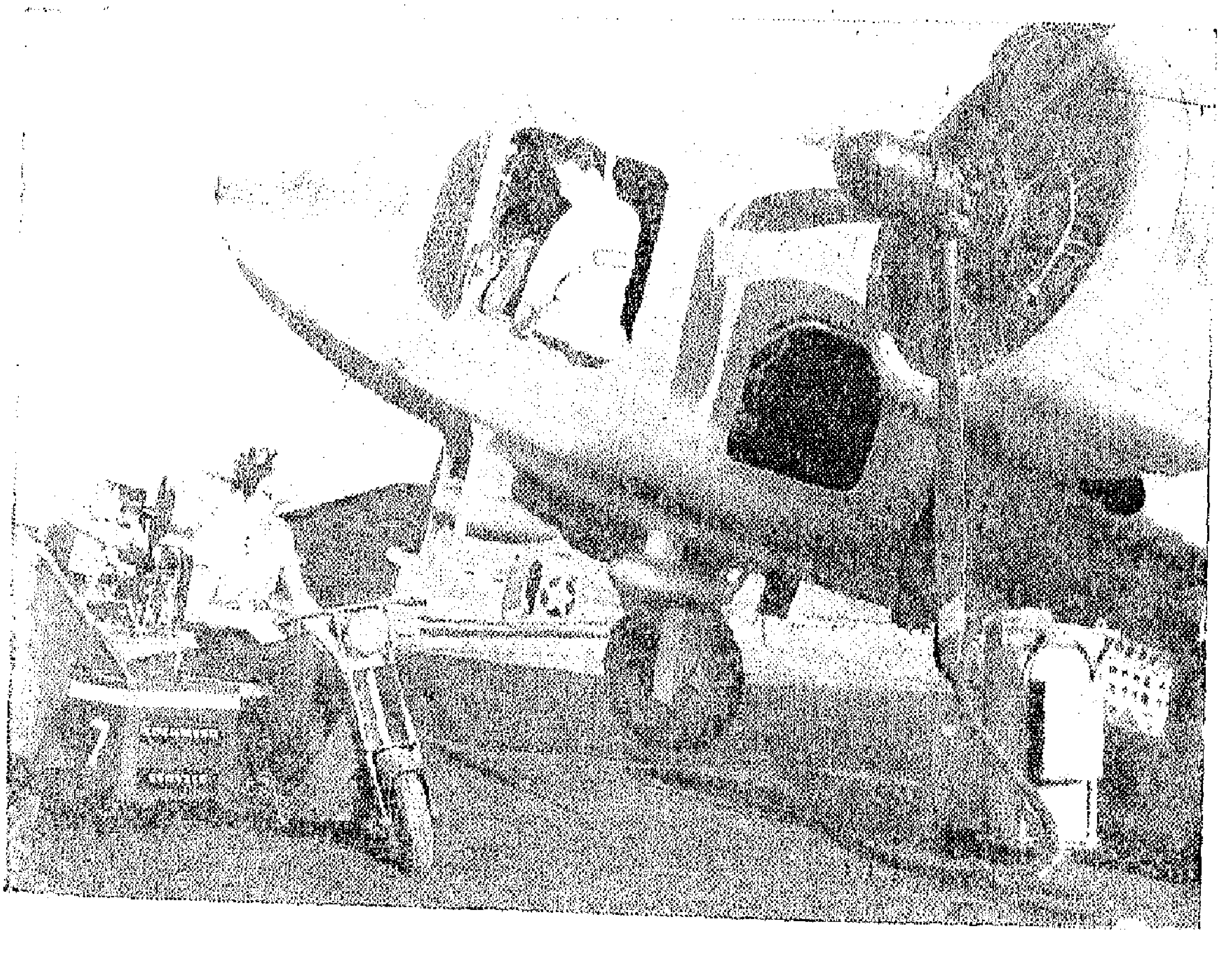
الغضب كما يجب أن يرى

تعلمت منذ كنت غلاماً صغيراً أن أضبط عواطفى بطريقة بسيطة ، كانت من دأب أبى فكثيراً ما كان يحتدم الغضب بينى وبين أخى ، فيأتى أبى ويلقى إلى كل منا خرقة ، ويأمرنا أن نذهب إلى الباب ، ويقف كل واحد منا وراء أحد وجهيه ثم نصقل زجاجه ، فلا تمضى دقيقتان حتى يغلبنا الضحك وننسى شجارنا فقال لنا والدنا : « الضحك يا بنى خير علاج للغضب » .

وأجدنى حتى هذا اليوم ، إذا ما غضبت من أحد ، تخيلته كيف يبدو لعينى من خلال لوح صقيل من الزجاج وهو يفعل مثلما أفعل ، وعندئذ يذهب عنى الغضب .

[م . هـ . فوكس]


الانتاج
هو الخطوة الاولى في طريق
الاستقلال
أصبح الإنتاج اليوم هدف كل بلد يسعى إلى الاستقلال الصحيح وعند ما تضع الحرب أوزارها ستعرف مصر نهضة صناعية كبيرة بفضل ما حازته من خبرة خلال سنوات الحرب ، و إذ ذاك ستستمر شركة مصر للغزل والنسج كعهدها الآن فى خدمة أكبر جمهور مصرى بما عرف عنها من قدرة فى الإنتاج وامتياز فى الصنف .
½ مليون قنطار من
القطن المصرى نستهلكها
فى العام مصانع
شركة مصر للغزل والنسج



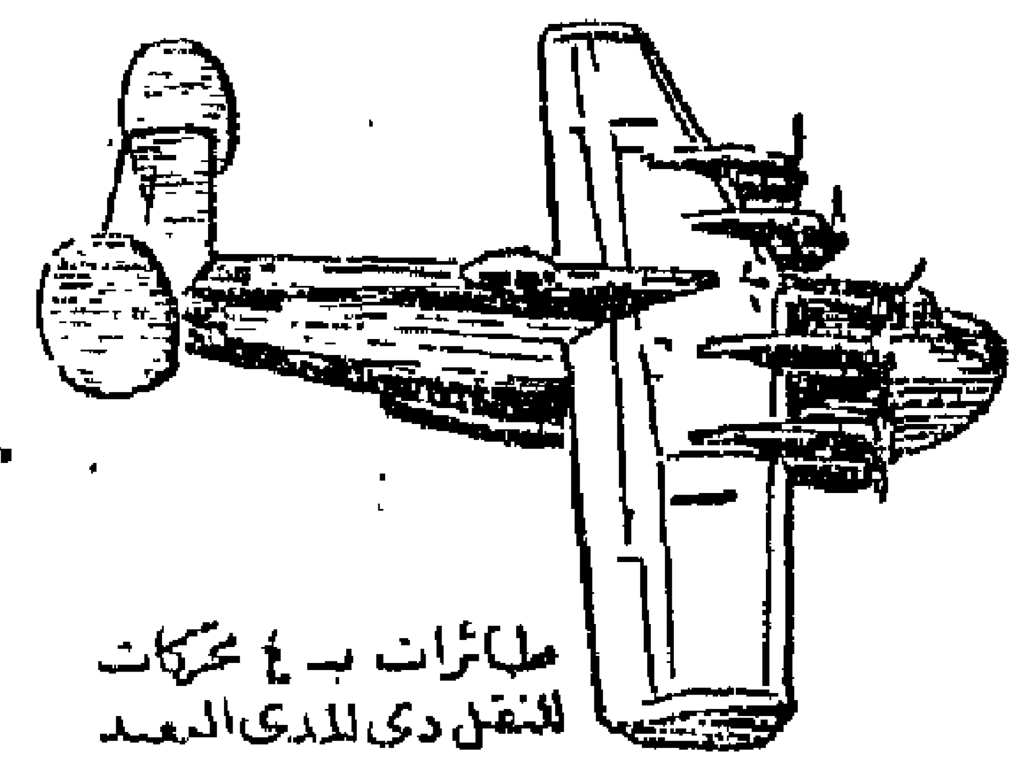
قدوة للسلم توسم فى وقت الحرب

أنشأت الولايات المتحدة والأمم المتحالفة أكبر شبكة جوية للنقل عرفت حتى الآن .

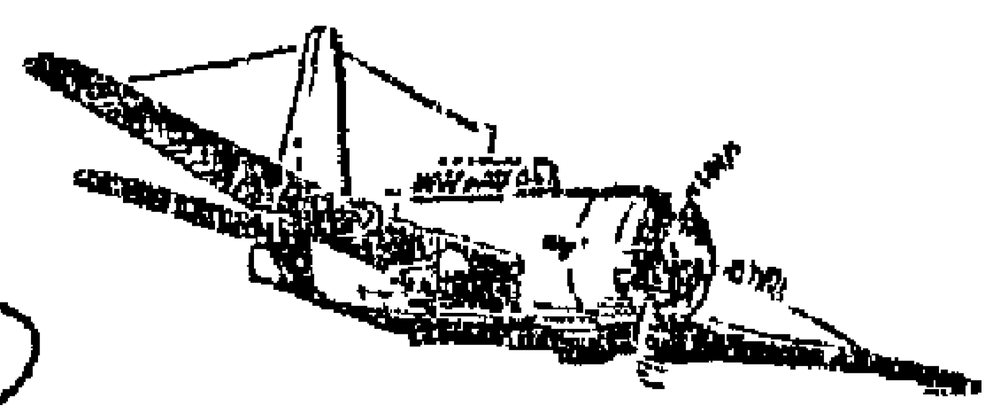
فالطائرات الضخمة تحمل اليوم الرجال والعتاد عبر المحيطات والبلدان فى مختلف أرجاء العالم .

وقد تعلمت هذه الأمم ، إذ بنت المطارات ومهابط الطائرات والمراصد ، كيف تعمل معًا . وقد ربطت الحرب بينها برباط وثيق فشرعت فى وضع أساس للتعاون سيظل — ويجب أن يظل — قائمًا بعد الحرب .

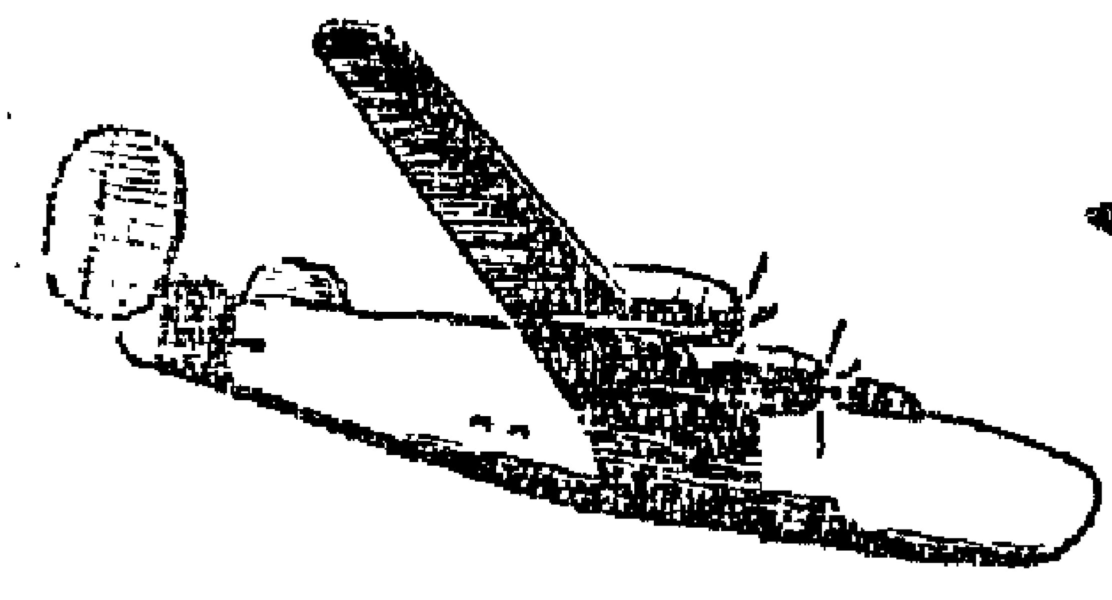
وتعد المؤسسة الأمريكية Consolidated Vultee Aircraft الآن عدتها لبناء طائرات تجارية بعد الحرب ، تمد بها جميع الخطوط الجوية فى سائر البلدان



طائرات بـ ٤ محركات للنقل ذى المدى البعيد



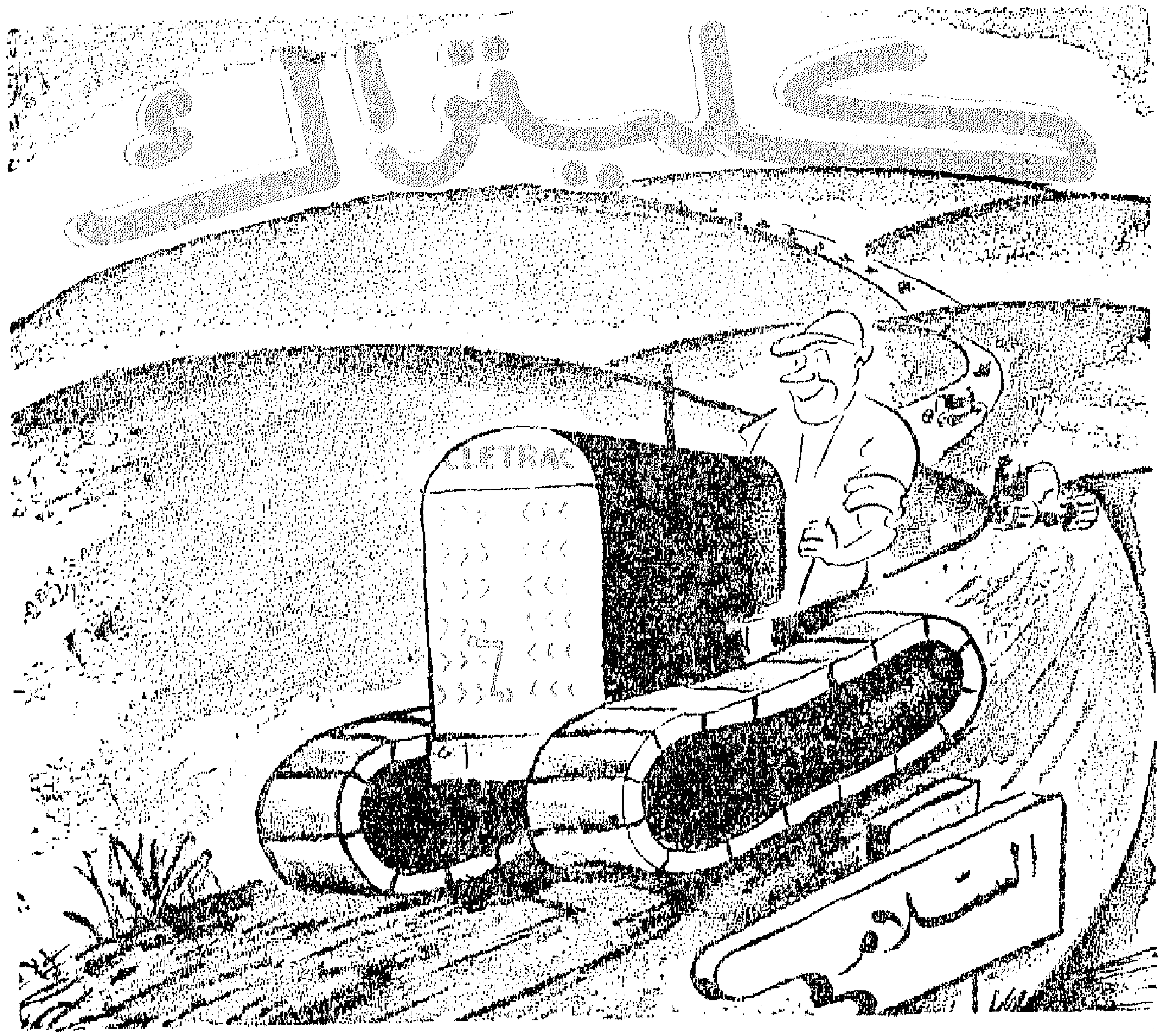
طائرات صغيرة بمحرك فردى



سفن طائرات بـ ٤ محركات للمدى الطويل

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT CORPORATION

UNITED STATES OF AMERICA



يتابع سيره

الثبات . . . والضمان . . . وإرادة النصر ، التي لا تتزعزع هذه الصفات المتغلغلة في كل جزء من أجزاء محراث « كليتراك » تجعله مصدراً حيوياً عظيماً للقوة . وكل من يعرف « كليتراك » يعرف كذلك أنه يستطيع أولا وآخراً الاعتماد عليه اعتماداً كلياً .

فساهم من جهتك في التعجيل بيوم النصر وذلك بالمحافظة على محراث كليتراك في العمل . تأكد من عنايتك به العناية اللازمة الحكيمة حتى نهاية الحرب — وبعد الحرب ! فالمعاينة المنتظمة والتشحيم المنسق والإصلاح العاجل لكل خلل بسيط واستشارة وكيل كليتراك في مواعيد معينة — كل ذلك من شأنه أن يحفظ لك محراث كليتراك في خدمتك سنوات أخرى .

The Cleveland Tractor Company, Export Division 19300 Euclid Avenue, Cleveland, Ohio, U.S.A.



الامتياز في بزة القتال

وحتى يأتي ذلك اليوم العظيم

حافظ على إطاراتك الحالية واحترس في قيادة سيارتك واستوثق دائماً من أن إطاراتها منفوخة نفخاً صحيحاً ولا تهمل ما تحتاج إليه من ترميم

إن الخبرة التى اكتسبتها شركة « چنرال تاير آند رابر » خلال ٢٧ عاماً قضتها فى إنتاج أجود اطار فى العالم — هذه الخبرة منقطعة الآن كل الانقطاع لخدمة قضية الديموقراطية .

ونحن ، بالطبع ، نأمل أن يبزغ قريباً فجر اليوم الذى يتاح فيه لكل شخص استخدام إطارات « چنرال » من جديد . . تلك الاطارات التى ستكون موضع فخر كل من يقدر صفات « الامتياز » فيها .

وإذ ذاك ستضع مصانع « چنرال تاير » الخبرة التى كسبتها فى صناعة اطارات الحرب ، فى سبيل إنتاج أفضل « اطار چنرال » صنع حتى اليوم لسيارتك !

The GENERAL TIRE

شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت

اكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة

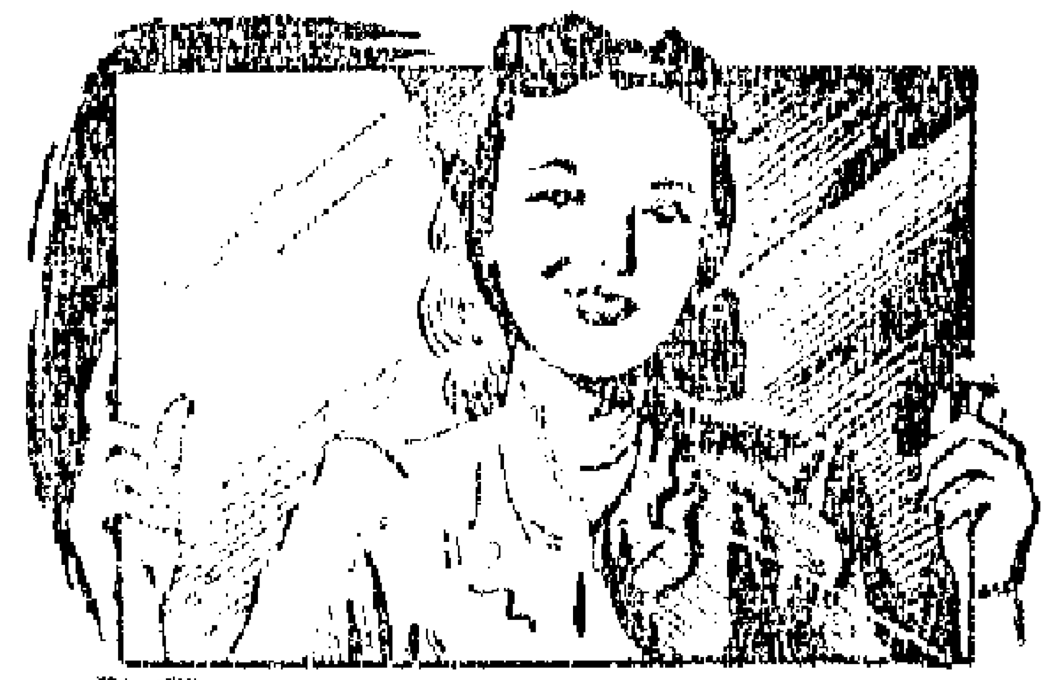
تلغرافيا : چنتيروكو اكرونوهايو

مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وڤنزويلا ، وشيلى ، والبرتغال

RCA تقدم
أحدث الأنباء



التغلب على دهاء العدو : لما كانت أغلب أجهزة الراديو العادية تعيد إذاعة الاشارات على مسافة ١٠٠ ميل أو أكثر فتكشف المراكز للأعداء ، فقد عنيت RCA باتقان جهاز الاستقبال AR 88 وهو يسير بالاشعاع أو بغير إشعاع . . . وهو الآن مستعمل فى جيوش الأمم المتحدة وأساطيلها . وعند ما يأتى السلام ستستخدم RCA نفس هـذه المهارة فى سبيل إنتاج أجهزة لاسلكية ممتازة للبيوت والصناعة .



سر الزجاج غير المنظور : صنعت RCA طلاءاً خاصاً يتيح لقدر أكبر من الضوء المرور خلاله بدل انعكاسه . هو مستعمل الآن فى عدسات الكاشفات وغيرها من منتجات الحرب والسلم ولا غرو بأن منافعه بعد الحرب لا تقع تحت حصر .



RCA من الفم إلى الأذن : كما أن RCA تمد أغلب محطات الاذاعة فى كل ركن من المعمورة بمعداتها المتينة المضمونة كذلك إذا جهز الراديو فى منزلك بمعدات RCA ضمنت أداء واضحا قويا خلال الـ ٢٤ ساعة !

RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.

الزراعة بالقوة المحركة ... فرصة

إن الآلات التي تسير بالقوة المحركة تهيء فرصاً كبيرة للزراعة في الشرق الأدنى لأنها تلبي حاجة اليوم الدقيقة إلى كميات أكبر من الغذاء ومقادير أوفى من المحاصيل الزراعية .

ومن المسلم به أن المحاريث الزراعية والمعدات الملحقة بها تزيد من قدرة الرجل الإنتاجية بفضل ما تمتاز به من قوة وتعدد نواحي خدمتها . واستعمال هذه الآلات — التي تقوم بإنتاجها مصانع « أليس شالمرز » على مختلف الأحجام والأنواع — يتيح الآن الحصول على كميات أعظم من المحاصيل الزراعية التي تمس الحاجة إليها في هذه البقعة من الأرض .

ولما كان استخدام القوى الآلية يضمن للأرض إنتاجاً أكبر ويقلل نفقات المحصولات في نفس الوقت فهو جدير بأن يكون محل درس كل رجل نافذ البصيرة من رجال الأعمال ونحن نرحب بكافة الطلبات والإيضاحات من كل من يرغب في توزيع الجرارات أو بيعها سواء أكان ذلك للأغراض الزراعية أم للأغراض الصناعية .



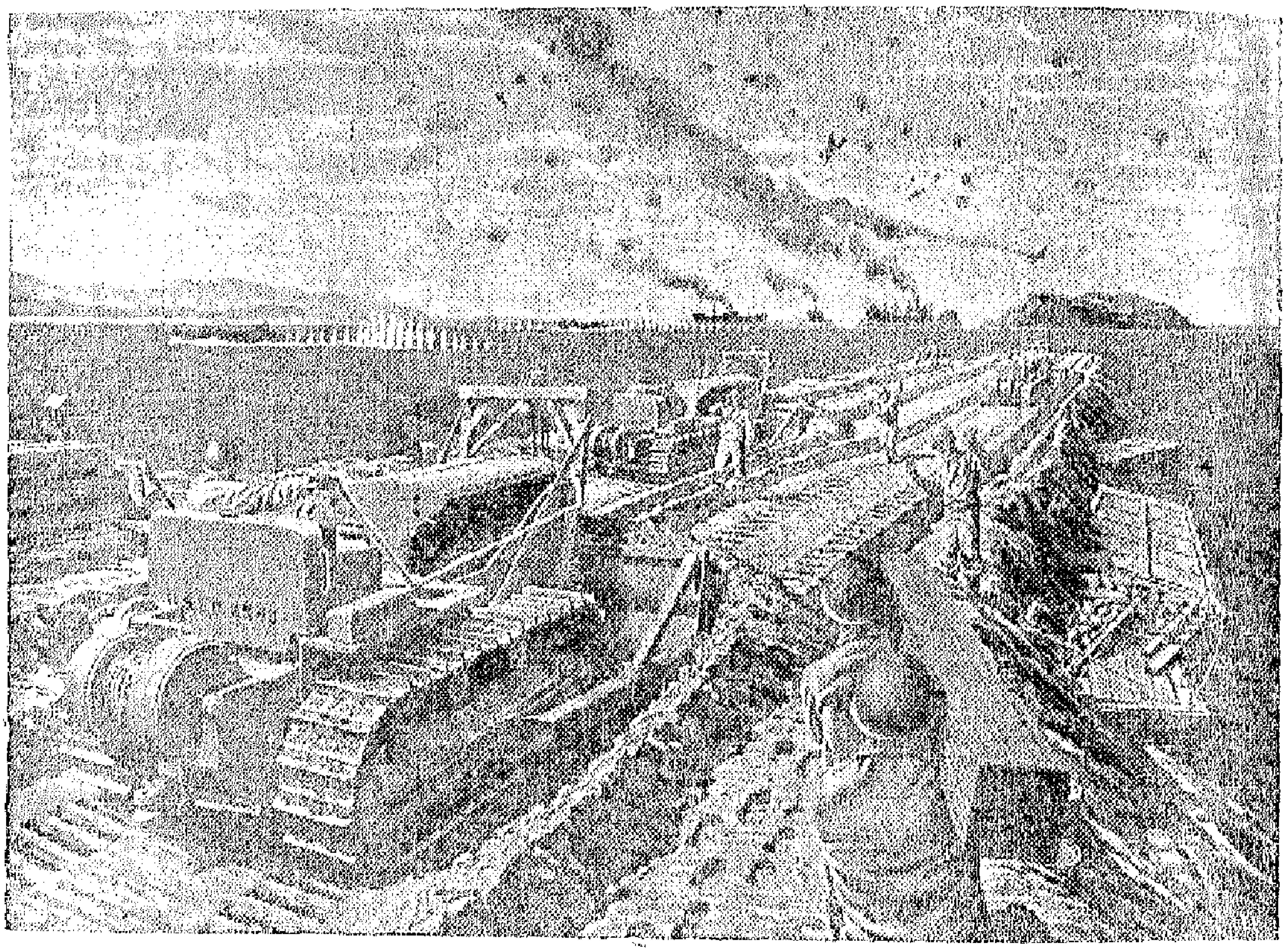
زراعة القطن : إن محراث « أليس شالمرز » الذي تراه هنا مزود بملحقات تجعله يوفر على الرجال كثيراً من العناء . في مقدور رجل واحد أن يحرث حقلا كبيراً من القطن خلال بضع ساعات — وهذه عملية لو تمت بوساطة الأيدي البشرية لاقتضت جهود عدة رجال أياماً كثيرة . وتمتاز محاريث « أليس شالمرز » ومدرساته وزراعاته بمثل هذه المقدرة العالية وهي من أطرزة وأحجام مختلفة .

ALLIS - CHALMERS.

DEPARTMENT AD 444 - TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U. S. A.

إليس شالمرز

منتجو الآلات مضمونة منذ سنة ١٨٤٦

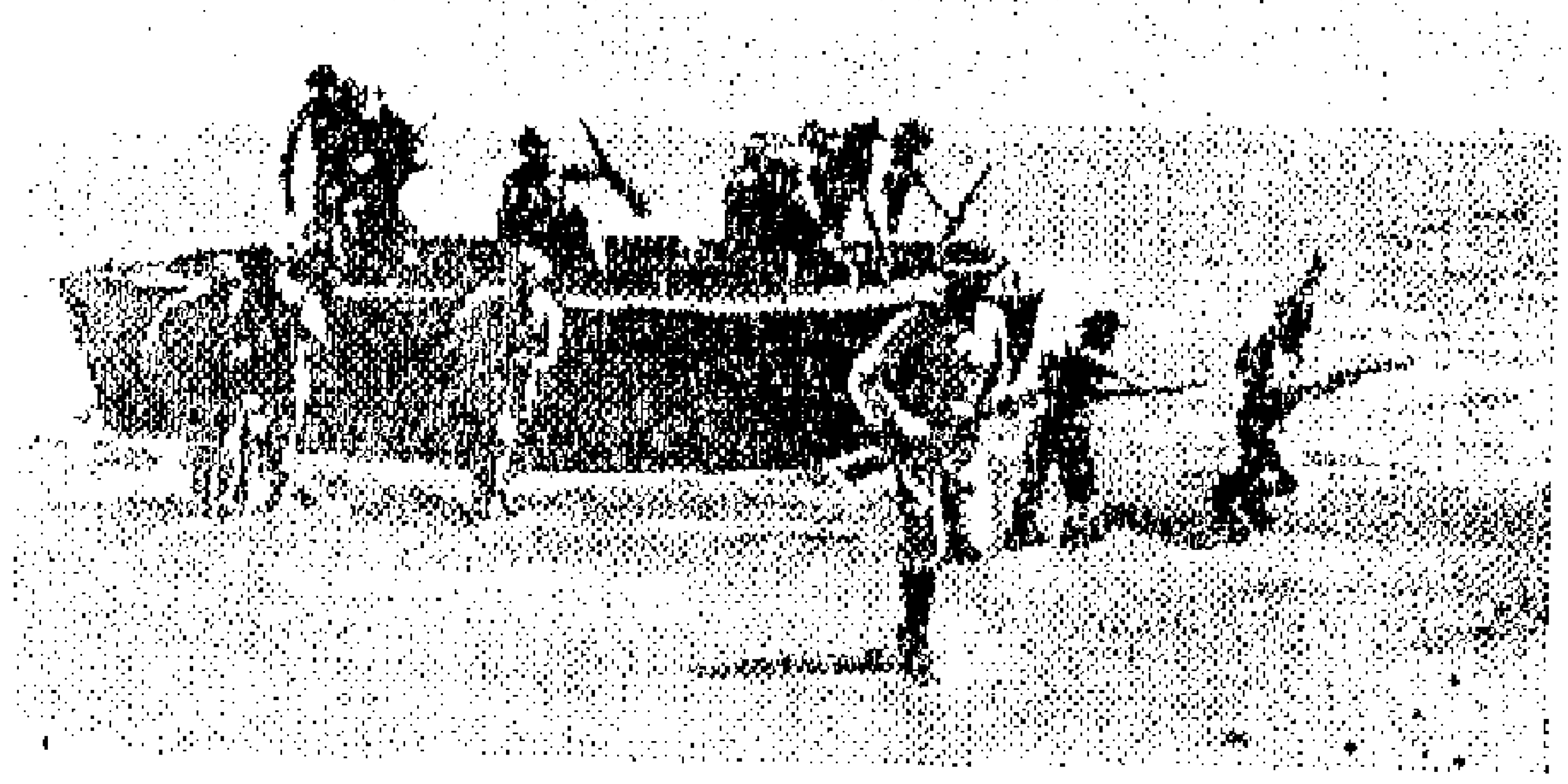


همزة الوصل
بين الباخرة والشاطئ
زوارق هيجنز



إن زوارق « هيجنز » تؤدى فى مياه العدو مهمة حيوية إذ تنقل الرجال من البواخر فتضعهم على الساحل مباشرة دون أن يحتاجوا إلى خوض الماء ، وكذلك تنقل الدبابات والذخائر والمؤن بنفس الوسيلة . وجميع زوارق الغزو تبنى للأمم المتحدة فى مصانع « هيجنز » أو بحكم مستنبطات « هيجنز » المسجلة وتمتاز بمتانة البناء وسرعة الحركة وجمال الشكل وصدق الاعتماد عليها وهى صفات جعلتها لا غنى عنها فى أعمال الغزو . وإن هذه المزايا عينها التى أهلتها لمكان الصدارة فى الحرب اليوم ستجعلها تتبوأ نفس المقام فى جميع مطالب التجارة غداً . وحين نكسب الحرب سيصبح اسم « هيجنز » على الزوارق وغيرها من المنتجات ، الاسم الذى تبحث عنه .

Higgins
INDUSTRIES INCORPORATED
NEW ORLEANS



أكبر بناة الزوارق فى العالم



مالم تره عين بشرية من قبل



ليلة بعد ليلة ، كان انتونى فان لوينهوك يهرع من محل عمله إلى منزله حيث يأخذ فى فحص « نماذج » دقيقة بوساطة مجهر بسيط صنعه بيديه وكانت هذه النماذج : مخ ذبابة او قطرة من ماء المطر أو شعرة أو ما أشبه !

وفى يوم من الأيام ... ياللاكتشاف ... لقد رأى انتونى فان لوينهوك « حيوانات صغيرة عجيبة » آلافاً منها لا يتجاوز حجمها رأس الدبوس وبالرغم من أنه لم يدرك ماهيتها إلا أن العدو كان قد اكتشف وكانت الإنسانية قد خطت خطوتها الأولى فى الحرب ضد الجراثيم

وبعد مائتى عام من ذلك التاريخ طلع لورد ليستر على العالم بأبحاثه القيمة عن مكافحة الغنغرينة فى الجراحة ، تلك الأبحاث التى استحق من أجلها لقب « والد الجراحة التطهيرية »

وحين كشف فى أمريكا بعد ذلك مطهر جديد ، غير كاو ، وغير سام ، أطلق عليه اسم « ليسترين » تمجيداً لذكرى لورد ليستر .

وقد أصبح « ليسترين » اليوم مشهوراً فى العالم قاطبة ، وله الآن أكثر من ٦٠ سنة فى مكافحة الجراثيم استحق خلالها عن جدارة لقب « المطهر المأمون »

مطهر ليسترين



لتنظيف الأسنان تنظيفا أكثر باطنها كظاهرها استعمل الفرشة المصنوعة خصيصاً لتنظيف جميع أجزاء الاسنان — فرشة بروفيلاكتيك .

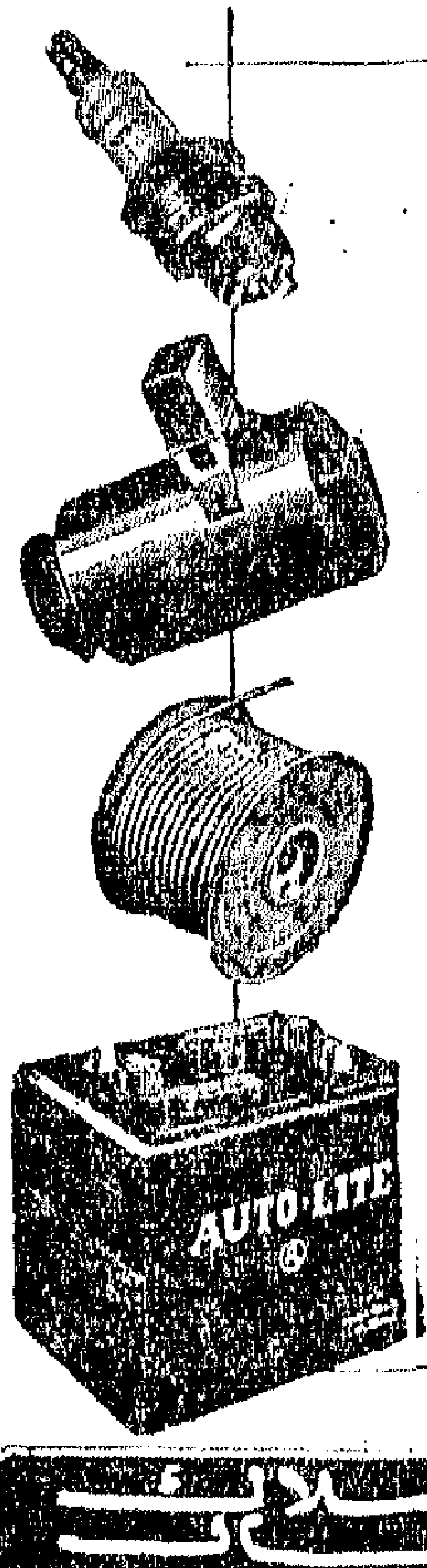


لتنظيف الاسنان تنظيفا يقضى على البقع الصغيرة التى تلطخ مينا الاسنان استعمل معجون ليسترين للأسنان ذا الطعم اللذيذ

AUTO-LITE

تبنى اليوم للغد





أغلفة الخراطيش المصنوعة من الصلب ، وأجهزة قيادة الطائرات بطريقة آلية ، وكثير غيرها من معدات القتال : فى مثل هذا ينحصر إنتاج « أوتو ـ ليت » اليوم . . . إن موارد ٢٦ قسما من أقسام مصانعنا بكل ما تشتمل عليه من مهارة فنية وعمال يبلغ عددهم ٢٠٫٠٠٠ رجل وامرأة ، تبنى عالم الغد لتعزيز جيوش الحرية بمقادير عظيمة من الأسلحة اللازمة لتحرير البشرية .

وما عرف عن « أوتو ـ ليت » من ابتكار وقوة إنتاج يخصص لأغراض أخرى قبل أن تدرك الامم المتحدة أغراضها ... وعندئذ فقط ، تستطيع مصانع « أوتو ـ ليت » أن تعود من جديد إلى إنتاج أجزاء السيارات وقطع الغيار التى اشتهرت بامتيازها .

فتذكر دائماً « أوتو ـ ليت » ـ أنها تبنى اليوم ، للغد !

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., U. S. A.

شمع ـ بطاريات شحن ـ أسلاك



بالطبع إن قلمه
هو پاركر
حيثما تجتمع نخبة ممتازة من علية القوم ، تجد أن حيازة قلم پاركر الجميل علامة من علامات الوجاهة الحقيقية
وثمة قلم جاوزت شهرته جميع أقلام العالم ذلك هو پاركر فاكوماتيك
ومن السهل أن تتعرف عليه فى الحال بواسطة الدوائر الفريدة التى تحيط بخزانه اللامع البديع . وقد روعى فى هذا الخزان أن يسع مقداراً أكبر من الحبر وفى هذا ما فيه من مزايا ، أما طرف ريشته الناعم فيهيئ للكتابة سهولة ويسراً لم تعرفهما حتى الآن .
أنظر اليوم الى جمال پاركر فاكوماتيك عند موردك ... تجده فى ٥ ألوان طريفة ممتازة ... ولا تنس أن الماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك طول الحياة ؟
The Parker Pen Company
Janesville, Wisconsin
U. S. A.
PARKER
پاركر
منتجو اشهر اقلام حبر فى العالم منذ ٥٥ سنة

مشتركة ، وليس فى وسع مجلة ما ، أن تسدى خدمة أعظم من هذه الخدمة . إن قيمتها تفوق كل حساب .

خلال العشرين السنة الأخيرة ، التى قضيتها على الأكثر ، فى جزائر المحيط الهادى . أتيحت لى فرص نادرة لإدراك قيمة « ريدرز دايجست » ، ومنزلتها العالية فى نفوس الرجال الجياع إلى نوع الغذاء العقلى الذى توفره لهم . فأعداد المجلة تنقل من يد إلى يد ، ومن جزيرة إلى جزيرة ، عابرة مساحات شاسعة من سطح البحر وسواء نقلت بسفينة أو بزورق فإنها تقرأ حتى فى أثناء نقلها . وقد شاهدت أعداداً منها بالية لكثرة ما نشرت وطويت ، حتى ليصح أن تكون قطعاً فى دار آثار . ولم أر مطلقاً عدداً ما قد نبذ وفيه بضع صفحات لم تمح حروفها من طول ما تداولتها الأيدى .

منذ سنة أرسلت رزمة من أعداد قديمة من « ريدرز دايجست » إلى رجل يقطن بلداً نائياً عن معالم الحضارة . وأعربت فى خطابى ، عن عذرى وأسفى لأن الأعداد قديمة رثة ، ولأنه لم يكن فى وسعى أن أرسل إليه حينئذ أعداداً جديدة . فتلقيت الرد منه بعد أشهر : « لم تكن فى حاجة إلى الاعتذار . إننى ألتهم المجلة من الغلاف إلى الغلاف . فالعدد من مجلة « ريدرز دايجست » لا تخلق جدته » .

حملت نسخة من « ريدرز دايجست » خلال معركة غينية الجديدة ، حتى بليت وتمزقت صفحاتها واخترقتها رصاصة ومع ذلك فإنى أعتقد أن هذه النسخة الرثة أجدت على فى شفائى من إصابتى بقدر ما أجدى العلاج الطبى .

[جندى فى جزيرة غينية الجديدة]

مجلة ... لا تخلق جدّتها

جيمز نورمان هول

الروائي الأمريكي وأحد مؤلفي " ثورة على سفينة البونتي "

حين صدرت مجلة « ريدرز دايجست » منذ اثنتين وعشرين سنة كنت أحد الذين تلقوها بشيء من الفتور والشك . ففي خلقي لون من الرجعية ، أرتاب به في كل جديد ، ولا أوافق على الغذاء العقلي الميسّر المركز المعد لجمهور من القراء . وكان رأيي أن المجلة الوليد لا تلبث حتى تموت وهي في دور الطفولة .

ولست في حاجة إلى تبيين مدى خطأي ، فهو كبير كالكرة الأرضية ، إذ في كل بقعة مأهولة منها أعداد منثورة من « ريدرز دايجست » وقراء مقيمون على ولائهم لها . ولو مددتَ خطاً متوهماً من عدد من « ريدرز دايجست» ملقى على مائدة في دار أمريكية في نيويورك ، فاخترق كرة الأرض ونفذ من الناحية المقابلة ، لمر على المرجح بعدد قديم رث من « ريدرز دايجست » في متاع أحد المسافرين في بلاد التبت .

إن الريب في نجاحها وفائدتها قد تبدد ، ونحن نشترك مع ملايين في إهداء تهنئاتنا إلى محرريها ، لأن مجلتهم ما فتئت تخبز [illegible] لنا شهراً بعد شهر وتوسع نطاق معارفنا وآفاق فهمنا وعطفنا سنة بعد أخرى . وليس ثمة ريب في أن لها شأناً عظيماً في حمل الناس على إدراك الحقيقة الأصيلة في العمران الحديث ، وهي أن أمم الأرض ، أعضاء أسرة واحدة ، وأن لهم مصالح عليا

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يقرأ منها كل شهر ١٢ مليون نسخة — ٣ قروش

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

مايو ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العددُ التاسع من الطبعة العربية . وقد وُزّع منهُ مائة وثلاثون ألف نسخة في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد و اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية ، — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

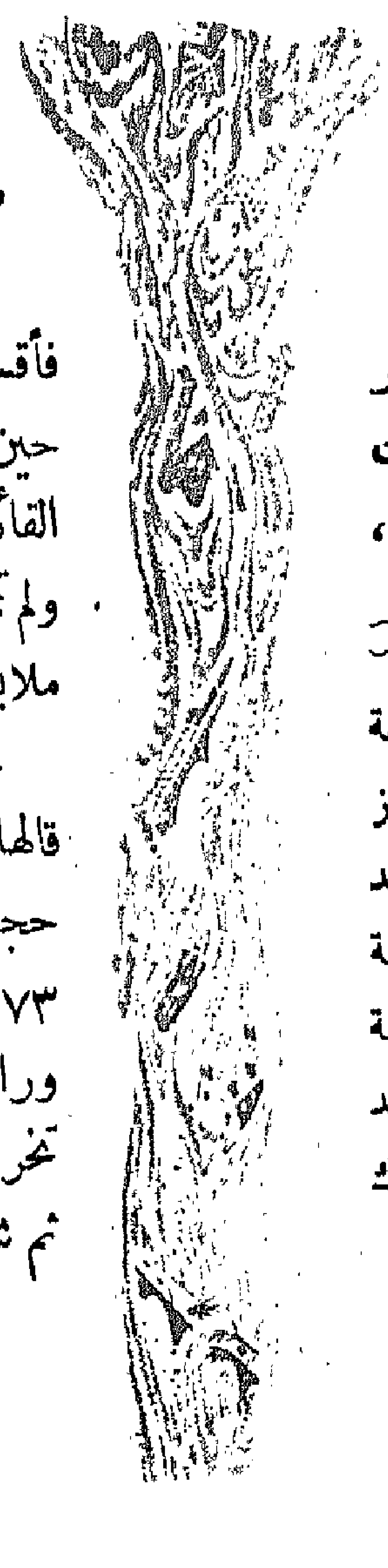
من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الاولى [illegible] ١٩٤٤ المجلد ٢ العدد ٩

قصة ما حدث قبل نسف سد مونيه العظيم بألمانيا — التدريب والتجريب والانتظار ، وأخيراً روعة العمل نفسه ، يرويها قائد السرب المغير

غــارة محــكمة



قائد الأسراب
جاى . پ . جبسون

ملخصة عن مجلة
أتلانتيك الشهرية

أيقظونى فى الصباح الباكر وسلمونى الرسالة ، وكنت ذلك اليوم أتأهب للذهاب فى إجازة ،

قائد الأسراب جبسون ، وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، من أكثر من حاز الأوسمة فى الجيش البريطانى . وقد التحق بسلاح الطيران البريطانى فى الثامنة عشرة ، وخرج فى غارته الأولى إلى ترعة كيل فى اليوم التالى لإعلان الحرب . وقد أغار على بلاد المحور ١٧٤ مرة ، واشترك فى قذف برلين خمس مرات .

فأقسمت بأغلظ الأيمان ، ولكن حين يقولون لك : « اذهب إلى القائد العام فى الحال » فإنك تطيع . ولم تمض دقائق حتى كنت قد ارتديت ملابسى وانطلقت .

— « مرحباً جبسون . اجلس » قالها القائد الجوى حين دخلت حجرته . « أنا أعلم أنك خرجت فى ١٧٣ غارة وأنك حقيق بإجازة وراحة ، ولكننى أرغب إليك أن تخرج إلى غارة واحدة أخرى » ثم شرع يتحدث ، فلما فرغ رأيتنى

واقفاً وأنا توّاق إلى بدء العمــــل .

أنبأنى أنّ علىّ أن أنشئ سرباً جديداً منتخباً من خــيرة رجال قيادة القاذفات ، وأن علينا أن نذهب فى مهمــة ، إذا هى نجحت أنزلت بألمانيا فى ليلة واحدة أشـد ضربة فى هذه الحرب : كان علينا أن نقذف سدّ مونيه فى قلب منطقة الرور .

انتخبت رجال سربى وهم ١٧٥ رجلا لخمس وعشرين طـائرة ، وكنت أعرفهم جميعا وأعرف أنهم خير الرجال . وحين لقيتهم فى قاعدة الطيران قلت لهم : « أنتم هنا للنهوض بمهمة خاصة — لشن غارة على ألمانيا سوف تسفر عن عواقب عظيمة . وليس فى وسعى أن أنبئكم بهدفنا . وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن عليكم أن تتدربوا على الطيران الدانى من سطح الأرض ليلا ونهاراً ، حتى تحسنوه وعيونكم مغمضة .

« ولست فى حاجة إلى أن أخبركم بأننا سنكون ملء الأفواه والأسماع . ومن النادر أن يجتمع هذا العدد من الطيارين الممتازين فى سرب واحد ، فإذا ما ذهبتم إلى الحانات فى الليل فعليكم أن تلتزموا الصمت . وحين يسألكم زملاؤكم عما تصنعون فلا تقولوا شيئاً ما » . ثم أسلمتهم إلى « دنجى يونج » الأمريكى ، وهو الذى يلينى فى القيادة ، وأمرته أن يشرعوا فى التدرب على الطيران الدانى .

كانت وسائل السلامة التى اتخذت محكمة دقيقة واسـعة النطاق . فكان هناك من ينصت إلى المحادثات التلفونية ، وأقيم الحراس على المنطقة المجاورة ، وألقيت محاضرات فى أسـباب السلامة على جميع رجال محطـة الطيران ، ومنحت فتاة الحانة المحلية إجازة ثلاثة أشهر .

ثم ذهبت إلى لندن لمقابلة الرجل الذى يعود إليه وحده من الفضل فى نجاح الغارة مثل ما يعود إلى رجال السرب مجتمعين ، وهو أحد الرجال المتوارين الذين يحيط بهم الكتمان إلى أن تنتهى الحرب . فاجتمعنا فى مكتب صـغير مظلم ، واستخرج رسماً وألقى علىّ محاضرة فى فن تقويض السدود قال : « قد تظننى شيخاً أحمق سـخيفاً ، ولكن اصبر حتى أطلعك على ما أعرفه عن سد مونيه . إنه هدف حربى ما زلت أدرسه منذ نشبت الحرب . هذا السدّ » — ثم استـخرج صوراً — طوله ٨٥٠ ذراعا ، وسمكه ١٥٠ قدماً ، وارتفاعه مثل سمكه . وحين تعلم أننا نحسب أنفسنا ، فى لندن ، بمأمن من قنبلة متفجرة عادية ، إن نحن احتمينا بجـدار من الإسمنت المسلح سمكه ثلاث أقدام ، فعندئذ تبدأ تدرك ما أعنى حين أتحدث عن زحزحة جدار من الإسمنت المسلح سمكه ١٥٠ قدما .

« وما زلنا نجرب تأثير المتفجرات فى جدران من هذا القبيل منذ زمن » وانطلق يتكلم وهو يرينى صورة سدّ لا يزيد سمكه على ست أقدام نسفه قدر من المواد المتفجرة .

« ولكن تجربتنا التالية سنجربها على سدّ طوله ٢٠٠ قدم ، وقد بنيناه تماما على مثال سدّ مونيه . والبحيرة ملأى بالماء ، وسنمتحن هناك النظريات التى بنيناها على تجاربنا فى السدود الصغيرة » .

فقلت فى نفسى : سيكون هـذا العمل مسلاة عظيمة .

وبعد بضعة أيام حدثنى العالم بالتليفون ، وأنبأنى أن التجربة قد نجحت ، قال : « والآن يجب أن نجربها على سدّ كامل قبل أن نتمكن من الوثوق بأننا ظفرنا بما نريد » .

وسمعنا بأن مجلس إحدى المقاطعات فى « المدلندز » قد بنى سداً جديداً لخزن الماء ، فطلبنا الإذن بنسف السدّ القديم . وأمضيت صباحا بارداً بعد صباح بارد فى فصل الشتاء ، أطير فوق هذا السدّ وألقى قنابلى ، على حين كان العالم العظيم واقفا على حافة البحيرة مقوّس الكتفين ويداه فى جيبه وهو يراقب ، وقد خابت تجاربنا تجربة بعد تجربة . ومازلت أذكر بوضوح شبح ذلك الرجل الضئيل المقرور واقفاً وحده ، فى وقفته توتر ، وفى كل ما يحيط به توجس مخيف مهيب .

ومضت أيام كثيرة ، وأنا أطير وهو مكب على عمله . وذات صباح من إبريل ، ألقيت قذيفة أنجزت المهمة ، فرقص الرجل الواقف على الأرض ، ولوّح بذراعيه ، وقذف قبعته فى الهواء ، فقد كانت ساعة خطيرة الشأن .

ثم توالت أحاديث التلفون المستعجلة ، والإشارات المكتوبة بالرموز ، وأسرع الرسل جيئة وذهابا ، وتلقت بعض المصانع أوامر بتقديم بعض ما تصنعه على غيره ، حتى يتمكن الرجال والنساء من مواصلة العمل ليل نهار لإنجاز الأشياء التى كان علينا أن نحملها إلى ألمانيا ونلقيها على بحيرة مونيه .

وعـدت إلى سربى ، وكان الرجال قد أتقنوا أسـاليب الطيران الدانى . فولينا وجوهنا إلى التدرب على أسلوب خاص فى الهجوم ، لا بد من اتباعه فى الإغارة على جدران السدّ .

فكنا نطير ليلة بعد ليلة ، ونهاراً فى إثر نهار ، فوق بحيرات إسكتلندة والمدلندز وويلز ، على أن نلقى قذائفنا بإحكام ودقة ، حتى تقع بضع أقدام من نقطة معينة . وكان لا بد من توخى السرعة فى الطيران ، وإلا تعرضت الغارة لخطر الإخفاق ، لأن الطيران الدانى يجعلنا أهدافاً قريبة لقذائف المدافع المضـادة .

وكان من أعقد مشكلاتنا أن نطير على ارتفاع ٤٥ قدما تماماً فوق سطح الماء . ومعرفة الارتفاع فوق سطح ماء راكد من أشق الأمور ، ولكن الصعوبة ذللت في النهاية بطريقة غاية في البساطة . وقد كانت هذه الطريقة — وهي سرّ طبعا — محكمة لا يدخل عليها الخطأ في أكثر من بضع بوصات . وبعد شهرين من تدرب مستمر — طار فيها كل رجل ١٥٠ ساعة على الأقل — قدّرت أن سربي أصبح متأهباً للاضطلاع بالمهمة .

وخلال هذه المدة كانت طائراتنا المستكشفة تطير فوق ألمانيا وتراقب سد مونيه ، كما تراقب القطة فأراً ، وكان رجالها يرقبون قوة الدفاع وتركيزه ، ومستوى الماء أيضاً . وخير هجوم على سدّ ينبغي أن يكون حين يكون وراءه قدر عظيم من الماء ، يضغط على جداره ، فما وافى يوم ١٦ مايو حتى كان مستوى الماء وراء سد مونيه مؤاتياً تماماً للهجوم . وكان الجو موافقاً والقمر بدراً ، ونحن على تمام أهبتنا للغارة العظيمة .

دخل الرجال حجرة التعليمات سكوتاً بعد انتظار دام شهرين ونصف شهر ، ليتلقوا أخيراً اسم الهدف . وكانوا قد حدسوا ، ولكنهم لم يصيبوا قط . وكانوا يبدون ، على حداثة سنهم ، كباراً شعثاً يميلون إلى السخرية . ولكنهم كانوا خبراء مدربين أدق تدريب ، وكلهم يتقن عمله ، فتركت لصديقي العالم مهمة إخبارهم .

وقد كرر ، بطريقته اللطيفة الرقيقة ، كل ما قاله لي منذ شهرين ونصف شهر ، وأطلعهم على المبدأ الذي اتخذناه أساساً للعمل ، ثم قال لهم إن المهمة ليست سهلة ، ففهم كل منهم ما عنى . وكان علينا طبعاً أن نتأهب تأهباً خاصا ، كأنْ نضع ذخيرة خاصة في المدافع ، وأن نجهز الطائرات بدروع خاصة ، ولكن هذا كله كان قد أعدّ من قبل ، فسار العمل كالساعة المنتظمة .

وحين كنا واقفين قبيل القيام من المطار ، كان كل منهم متوتر الأعصاب يدخن وقلما يتكلم ، فقلت لجون هوبجود — وقد زاملني سنة ونصف سنة ، وطار في سربي أربعين غارة : « هوبي ، الليلة هي الليلة . وغداً سنسكر » . ولم أكن أعلم أنني لن أراه ثانية .

ثم درجنا إلى مدرج المشاعل، واستوينا منتظمين في الجو في طريقنا إلى ألمانيا . ولم نلبث حتى رأينا عند الأفق الساحل الهولندي عابساً منذراً ، وهو فسحة من الأرض مستطيلة مسطحة تقذف منها القذائف المضادة في كل اتجاه . ولكن اجتياز هذا الستار من القذائف له أساليب، وكنا نعرفها

جميعا . فدرنا بأعمال الدفاع من قبل حواشيها ، كما تتسلل سفينة فى حقل من الألغام ، وطرنا نيمم شطر ألمانيا . وكنا على مستوى منخفض ، حتى لقد اضطررت غير مرة أن أشد ذراع الارتفاع لأجتنب الاصطدام بسلك كهربائى أو شجرة باسقة.

على أننا لم نصل جميعاً إلى الهدف . فقد اصطدمت إحدى القاذفات بالبحر فارتدت ، وفقدت محركين ، فعادت بالمحركين الآخرين إلى قاعدتها . وأصيبت قاذفتان بالقذائف المضادة ، فأمرتهما بالعودة .

ولم تخل الرحلة مما يثير ، فوادى الرور كان قد علم أننا قادمون ، وكان يخشانا ، فقد كنا الطائرات الوحيدة التى خرجت للعمل تلك الليلة . وقد تتبعنا الألمان فى حجراتهم التى ترسم فيها مسارات الطائرات المغيرة ، ونحن نتقدم فى طريقنا إليهم . وحين اجتزنا نهر الرين ، أخذت الصنادل المجهزة بمدافع سريعة ، تقذفنا . وكثيراً ما كانت الأنوار الكشافة تكشفنا ، ولكن طيراننا الدانى — وإن كان هذا يبدو غير صحيح — مكننا من تجنبها بأن نتوارى بالأشجار . وقد بهر الضوء الكشاف عينى طيار إلى يمينى ، فتردت طائرته كجواد أثخنته الجراح وهوت ملتهبة .

شققنا طريقنا حتى جاوزنا « هام » ، وحين أقبلنا من فوق الأكمة رأينا سد مونيه ، وقد بدا لنا فى ضوء الفجر متربعاً قويا لا يقهر . بناء كالبارجة ، والقذائف المضادة تنطلق من أوله إلى آخره ، خضراً وصفراً وحمراً ، فتنعكس أضواؤها على المياه القائمة الساكنة ، فتبدو ضعف ما هى .

وخاطبت رجال سربى : « لا بأس يا إخوان تقدموا حين آمركم . وسأهجم أنا أولا » .

فلما صرت فوق أشجار التنوب الباسقة ، قال « سپام » — وهو مسدد القنابل فى طائرتى : « ستصطدم بهذه الأشجار » . فقلت : « لا تجزع ، إنى أجرب أن أقدر ارتفاعى » ، ورآنا المدفعيون الألمان مقبلين. وقد رأيت قبل قذائف مضادة أقوى وأكثر ، ولكننا كنا على مستوى منخفض ، وفى عمل من هذا القبيل شىء مرعب يهز الأعصاب ، فطائرتى صغيرة ، والسد ضخم متين ، وهو الآن غاضب يرمى بالشرر .

طرنا على قرب سطح البحيرة ، والمدفعى يطلق مدافعه على منشآت الدفاع ، وكانت قنابلهم تئز مارة بنا ، ولكننا لسبب ما لم نصب . وقال سپام : « يساراً . . . قليلا أيضاً إلى اليسار ... الزم طريقك ... الزم طريقك ... سقطت القنابل » .

وحين حومنا لاحظت أن السد لم يتقوض ، ولكن انفجار الغامى كان قد

أحدث اضطراباً على سطح البحيرة ، كأن عاصفة تلهب الماء بسياطها . فكان علىّ أن أصبر حتى يسكن الماء ، وقد استغرق هذا وقتاً طويلا . ثم تحدثت مرة أخرى : « هالو « مذر » هالو « مذر » . لك أن تهجم الآن ، أتمنى لك حظا سعيداً » .

وبدأ هوبى هجومه ، وقد رأيته يدنو ، ثم رأيته يلقى ألغامه ، ثم رأيته يصاب فيسقط.

وبعد دقائق كثيرة ، أمرت الطائرة رقم ٣ أن تهجم ، فهجمت . وفى تلك اللحظة رأيت جدار السد قد تحرك ، وعلمت حينئذ أننا إذا استطعنا أن نمضى فى دفعه فإنه ينهار بلا ريب . وتوالت القاذفات بعد ذلك ، فكانت تهجم وتلقى قذائفها فى مواقعها إلقاء محكما . وكنت أنا أطير جيئة وذهاباً وأراقب* . وكان مدفعى المؤخرة فى طائرتى يطلق قنابله على بطاريات الدفاع ، محاولا أن يجتذب إليه بعض قذائف الدفاع .

كان قد مضى علينا ساعة ونحن فوق السد ، وخلال ذلك كله كنت على اتصال دائم بطارى ، وبقائدى العام ، وبالعالم . وقد رُوي لى أن العالم جلس فى حجرة العمليات الحربية ، ورأسه بين يديه ، يصغى إلى تقريرى عن الطائرات وهى توالى الهجوم دون ان يتقوض السد . ولكننى علمت أن البناء بدأ يتزحزح ، ثم رأيت فجأة ، حين ألقيت ألغامنا الأخيرة فى مواقعها المعينة ، عموداً عظيما أبيض ، يرتفع إلى ألف قدم فى الهواء ، ورأيت جدار السد ينهار .

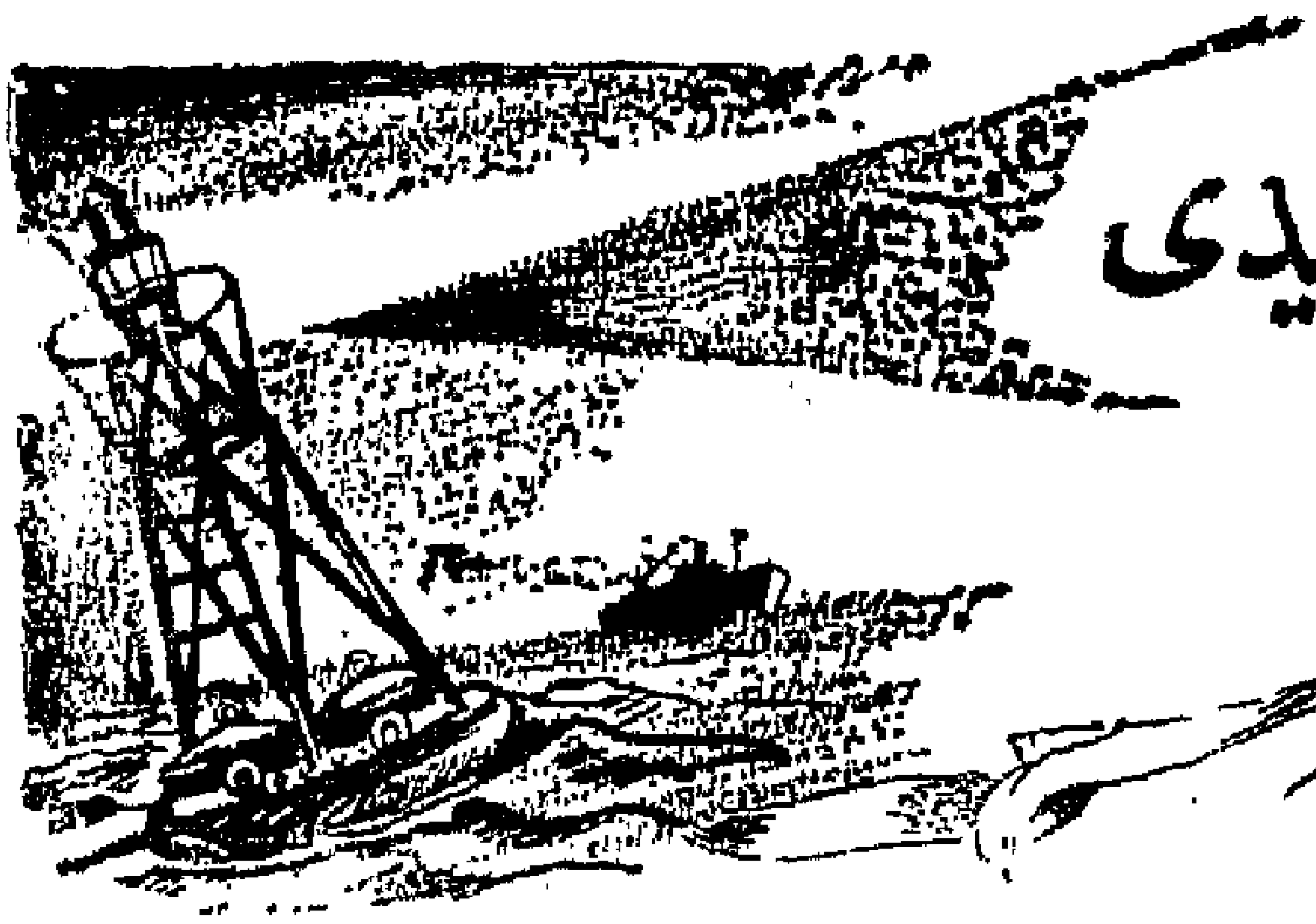
لم يكن فى ذلك شك ، ومن خلال ثغرة سعتها ١٠٠ قدم اندفق الماء فى وادى الرور ، وهو مشهد لن يرى أحد مثله مرة أخرى . وفى الوادى كانت السيارات مسرعة على الطرق ، تسابق الموجة العظيمة التى تطاردها ، وقد رأيت الماء يدركها ويغشاها واحدة بعد واحدة ، ثم رأيت ضوء مصابيحها ، بعد أن غمرها الماء ، يتحول من أزرق قاتم إلى أخضر ، ومن أخضر إلى أرجوانى قاتم ، إلى أن عدت لا أرى إلا الماء . وقد تدفق السيل جارفاً معه القناطر وسكك الحديد والجسور — كل شيء اعترض طريقه .

وأحسست ، وأنا جالس فى مقعدى الدافئ بطائرة لانكستر ، أراقب القوة الجبارة التى أطلقناها من عقالها ، كأننى فى جو من العزلة والخيال . ثم أحسست بالغبطة لأننى علمت أن هذا هو قلب ألمانيا الصناعية ، وهو المكان الذى أطلق على العالم قدراً عظيما من البؤس والشقاء .

---

* ملاحظة المحرر — الكاتب ضابط متواضع ورجل باسل معا . فالتقارير الرسمية تقول إنه كان يطير جيئة وذهاباً فوق السد ليجذب إليه نيران الحماة ، وكان آخر من برح . وقد كوفئ بصليب فكتوريا .

مخترع مصابيح تضىء طريق التقدم الانسانى — ولكنه مشى فى الظلام .



چوستاف دالين السويدى جالب الضوء

إريك واستمرج

ملخصة عن مجلة « سينس نيوز لتيه »

كل ربان سفينة يتحسس طريقه فى المسالك الخطرة ، وكل طيار يجتاز الطرق الجوية التجارية ليلا ، وكل لحام ممسك بشعلة المضطرم ، مدين بالفضل فى سلامته « لجوستاف دالين » وهو رجل لا شك فى أنه لم يسمع به قط .

كان دالين فلاحاً سويديا نظمه ولعه بالآليات فى سلك الخالدين من الفائزين بجائزة نوبل ، وكان أحد عظماء المخترعين فى العالم ، وكانت الغاية من اختراعاته الكبرى إنقاذ الحياة .

لما سمع توماس أديسون بأبرع اختراعات دالين — صمام الشمس الذى ينير من تلقاء نفسه ، مصابيح المنائر حين يظلم الليل ويطفئها عند طلوع الشمس — قال : « لن ينجح » . وزعم مكتب التسجيل الألمانى أنه « مستحيل » .

ولكنه نجح ، وصارت مصابيح دالين الآلية (الأوتوماتيكية) تستخدم على جميع سواحل العالم وموانئه ، وتستخدم مصلحة المنائر فى الولايات المتحدة ، وحدها ٥٠٠٠ منها . وثم آلاف أخرى تستخدم فى المطارات ومدارج الطيران . وقد اخترع دالين أيضاً — فى أثناء اشتغاله بعمل هذه المصابيح — طريقة مأمونة لحفظ غاز الإسيتلين الشديد الانفجار وهو ضرورى لأعمال اللحام .

ومن تهكم الأقدار المر ، أن الرجل الذى تضىء مصابيحه حواشى البحار السبعة ، لم يكتب له قط أن يبصرها . فما كاد العالم يشرع فى الإقرار له بالفضل ، والغنى يأتيه ، حتى حدث انفجار أثناء تجربة فذهب ببصره . ولم يثبط هذا من عزمه ، فواصل عمله على الرغم من عماه فى الأعوام الخمسة والعشرين الأخيرة من حياته .

ولد جوستاف دالين فى سنة ١٨٦٩ بضيعة فى السويد ، وكان أول اختراع له فى صدر حياته آلة دراسة تديرها عجلة قديمة

للغزل ، وبها كان ينزع القشر عن مؤونة الشتاء من البقول المجففة .

وكان ثانى اختراع له أداة مضحكة لإطالة النـوم (وكان دالين طول عمره يكره أن ينهض فى الصباح ، ويصر على النوم تسع ساعات كل ليلة) ، فجهز ساعة قديمة بحيث تدير بكرة فى وقت معين ، وجعل البكرة تشعل عود كبريت ، والكبريت يوقد مصباح زيت ، بفضل ترتيب دقيق للحبال والروافع ، وعلق فوق المصباح إبريق قهوة . وبعد خمس عشرة دقيقة من ابتداء هذا الجهاز فى العمل ، تحرك الساعة مطرقة تدق على لوح من الحديد ، فيستيقظ جوستاف ، ويفتح عينيه على غرفة مضاءة وقهوة تمّ إعدادها !

وكان لا يزال فى العقد الثانى حين اخترع آلة لفحص اللبن واختباره ، فحملها إلى ستوكهولم ليعرضها على ده لافال المخترع المشهور لعازل الزبدة ، فقال ده لافال : « ما أعجب هذا الاتفاق ! » وأراه تصميم آلة تكاد تكون مطابقة لها ، تقدم بطلب تسجيلها . فرجا منه دالين عملا فى معمله ، فقال ده لافال : « ليس الآن ، توفر أولا على الدرس » .

ولكن إخوة دالين كانوا قد تركوا القرية ونزحوا عنها إلى الدنيا ، فكان عليه المعوّل فى الحقل . فاضطر بكرهه أن يبقى .

ثم عشق فتاة جميلة فى الخامسة عشرة من عمرها ، فلما خطبها قالت له إنها لا تقبل أن تكون زوجة فلاح ، فكان هذا مما قوّى رغبته فى الهندسة . ولما بلغ الثالثة والعشرين غادر الحقل والتحق بمعهد فنى ، وبعد أن تخرج فيه بدرجة الشرف قصد إلى سويسرا ليتلقى دراسة عالية .

وبعد خمس سنوات من الكد المضنى ، صار جوستاف أهلا للعمل فى معامل ده لافال ، وتزوج الفتاة التى انتظرته بإخلاص ووفاء ، واتخذا مسكنهما فى شقة بستوكهولم مالبثت أن انقلبت أشبه بالمعمل منها بالبيت ، فقد كان دالين يقضى كل دقيقة من أوقات الفراغ فى تجاربه .

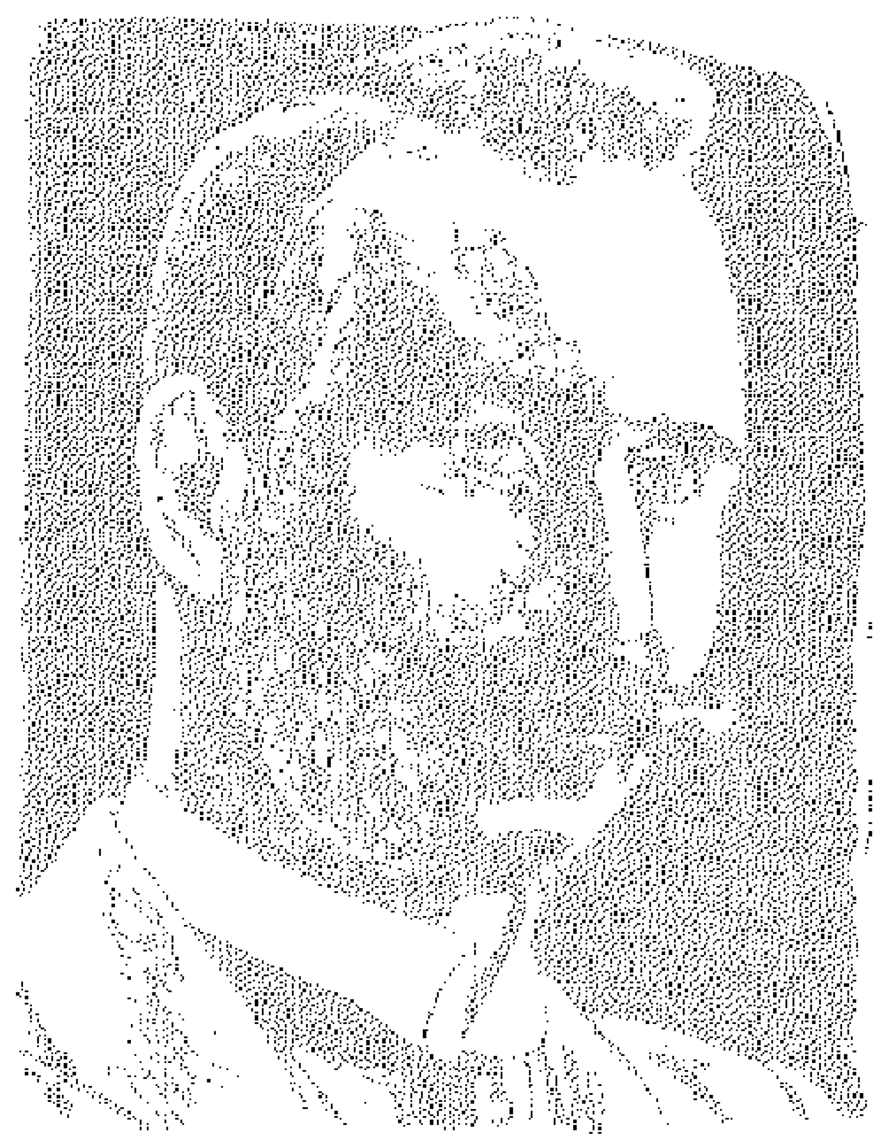
وكانت السويد قد ظلت أعواماً عديدة تنفق فوق ما تسمح به مواردها على المنائر الكثيرة التى يحتاج إليها شاطئها الوعر ، فقد كانت كل منارة ينبغى أن يكون فيها مسكن للحارس وأسرته ، ورصيف للزوارق تنقل إليه المؤونة ، بل كان لا بد أيضاً من تسهيلات مدرسية خاصة للأطفال .

وكانت الحكومة قد اهتدت فى أخريات العقد التاسع إلى نور لا يتطلب عناية إلا مرة كل عشرة أيام . ولكن دالين لم يرَ الاكتفاء بهذا ، فظل يعمل فكره فى الموضوع

وفى سنة ١٩٠٥ كان اختراعه مهيأ للتجريب فوصله بأنبوبة الغاز وأشعل عود ثقاب، وراح ينتظر وهو مضطرب ، فخرج أولا صوت ، تبعته ومضة ضوء ساطع ، تلتها ومضات أخرى بعد فترات منتظمة على نحو ما كان يبغى . وهكذا تم له اختراع الضوء الأوتوماتيكى . وبلغ من إتقان هذا النموذج الأول أن الأمر لم يحتج فيما بعد إلا إلى تغييرات طفيفة .

ولم تبق بالمنائر حاجة إلى الحراس . ولما كان هذا النور لا يضىء باستمرار ، فإن اختراع دالين خفض استهلاك غاز الإستيلين مقدار تسعين فى المائة . وصارت أوعية الغاز تكفى للإضاءة عشرة أمثال المدة السابقة ، وأصبح زورق واحد يتكفل بتعهد هذه الأنوار العديدة، ليملأ الأوعية مرة كل بضعة شهور. وتيسر وضع الأنوار فى مواضع خطرة لا داعى للذهاب إليها إلا بعد فترات طويلة .

ومع أن التوفيق حالف اختراع هذا الضوء من أول يوم، إلا أن دالين لم يقنع به ، فقد كان يستهلك من الغاز أكثر مما ينبغى، لأنه يومض طول النهار كما يومض طول الليل . وما لبث دالين أن اهتدى إلى حل لهذا، فاخترع صمام الشمس الذى كان إديسون ومكتب التسجيل الألمانى يعتقدان أنه لن ينجح . وكان دالين لم يَعْدُ أن طبق قانون الطبيعة الذى يتحراه الناس حين يلبسون البياض فى الصيف — ذلك القانون الذى يقول إن حرارة الشمس يعكسها السطح



الأبيض أو المصقول صقلا جيداً ، ويمتصها سطح أسود أو غير مصقول . فجعل لصمامه ثلاثة قضبان معدنية مصقولة جدا وقضيباً واحداً أسود . ففى النهار يمتص القضيب الأسود من الحرارة أكثر مما تمتص القضبان البيض ، فيحدث تمدد غير متساو يؤدى إلى تحريك ذراع تسد الثقب الذى يمر منه الغاز إلى الضوء، وبذلك ينطفىء النور نهاراً، أما فى الظلام فإن القضبان الأربعة كلها تتقلص على استواء فينفتح الثقب مرة أخرى .

والآن تظل هذه الأنوار مضيئة على مدار العام بلا حاجة إلى عناية أو تفقد . على أن دالين لم يقنع حتى بهذا ، لأن غاز الإسيتلين شديد الانفجار سريعه ، وكثيراً ما أدى ذلك إلى حوادث وبيلة . ولهذا شرع فى تجارب أخرى بمعاونة مساعديه ، فاهتدوا إلى مادة ذات مسام ، عناصرها

الرئيسية الأسبستوس والدياتوما . وهـذه الإسـفنجة تتشرب الغاز وتوزعه توزيعاً حسناً ، بواسطة أسطوانة ، بمقادير ضئيلة تحول دون الانفجار . وبهـذا أصبح استخدام غاز الإسيتلين فى أعمال اللحام مأموناً للمرة الأولى .

فلما كانت سـنة ١٩١٢ كانت اختراعات دالين محـل الإعجاب فى كل مكان ، وفاز بعقد لإنارة قناة بناما ، وكان بهـذا فخوراً جدا . وصار فى وسعه هو وزوجته وأبناؤه أن يعيشوا فى خفض وسـعة . وكانوا قد انتقلوا إلى دار جميلة تطل على ميناء ستوكهولم فقدم عليه مهنـدسان أمريكيان للبحث مع هـذا المخترع السويدى العظيم فى المسائل المتعلقة بالأمن والسلامة .

فسألاه : « ما ذا يكون من أمر مجمّع الإسـيتلين فى حالة الحريق ؟ » فقـال لهما دالين بلهجة التوكيد: « لاخطر على الإطلاق فإن موانع الخطر محكمـة » فأضرموا ناراً عظيمة بين الصخور ، وعلقوا فوقهـا أسطوانات مملوءة غازاً. فأدت موانع الخطر وظيفتها على أكمل وجه — فى أول الأمر — غير أنه لوحظ فى التجربة الخامسة أن ضغط الغاز يقلّ (وتبين فيما بعد أن أحد الصمامات كان به عيب) . وانتظر دالين ومساعداه ساعة ثم اقتربوا من النار التى بدأت تخمد ، فلما دنوا منها انفجرت أسـطوانة انفجاراً قويا سمع صوته من أميال كثيرة .

ونجا المساعدان بأعجوبة دون أن يصيبهما شىء يستحق الذكر ، ولـكن كتلة ملتهبة وقعت على دالين وكادت تنزع إحدى حدقتيه من محجرها . وأسعفه الناس وأخمدوا ثيابه المشتعلة بأيديهم العارية . وكان أول ما جرى به لسانه أن سأل عن مساعديه هل أصابهما سوء ، ولما علم أن إصابتهما هينـة قال : « إنى مسرور ، فإن من العدل أن لا يصاب غيرى إذ كنت أنا المسئول » .

وكان أطباء المستشفى يعتقدون أن دالين سيموت ، ولـكنه كان ريفيا قوى البنيـة صارم الإرادة، فنجا ، غير أن بصره ذهب . وكان أخوه « ألبين » قد صار أكبر أطباء العيون فى السويد ، فحاول عبثاً أن ينقذ عيناً كان عصبها البصرى سليما .

ولما منحتـه أكاديمية العـلوم الملـكية السـويدية جائزة نوبل لسـنة ١٩١٢ فى الطبيعيات أحزنه هذا التشريف ، وقال : « ماذا ينتظرون منى أن أصنع ، وأنا ماعدت أستطيع شيئاً ؟ » على أن إرادته القوية عادت إليه مع الأيام ، فاعـتزم أن يستمتع بالحيـاة مرة أخرى ، وأن يواصل عمله كرئيس لشركة الإسيتلين المشهورة . وكان المساعدون يدهشهم حين يصفون له

الرسوم الآلية ، أن يروه يفطن إلى المواضع التى تحتاج إلى إصلاح .

وصار أحد ساسة السويد الكبار ، وجعلت الحكومة تستشيره فى أمور كثيرة ، وسرعان ما صار منظره مألوفاً فى الحفلات الرسمية ، وكان يبدو فيها مرحاً مشرق الديباجة ، وعلى عينيه نظارة سوداء هى كل ما يدل على أنه لا يبصر .

وتفرعت على شركة الإسيتلين مصانع جديدة بإرشاده وتوجيهه ، وصار إنتاجها لا يستغنى عنه على الخطوط الحديدية والطرق ، وبفضله صار الطيران ليلا مأموناً ميسوراً .

واخترع دالين نفسه موقداً يحتفظ بالحرارة للطبخ أربعاً وعشرين ساعة ، ولا يستهلك سوى ثمانية أرطال من الفحم . وتشترى مصلحة خفر السواحل فى الولايات المتحدة ، فى الوقت الحاضر كل إنتاج الشركة من هذه المواقد ، لتستعملها فى مراكزها القصية .

وفى سنة ١٩٣٦ دعا رئيس الشركة — وكان قد بلغ السابعة والستين — مجلس إدارتها إلى الاجتماع وقال لهم : « إن أطبائى يقولون لى إنى مصاب بالسرطان ، وإنى لن أبرأ . وسأواصل العمل ما استطعت » ثم انتقل إلى جدول الأعمال .

وفى يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٧ مات جوستاف دالين فى داره المطلة على الميناء . ولما دخلت السفن السويدية والأجنبية الخليج فى ذلك اليوم الكالح ، خفضت سرعتها ، ونكست أعلامها ، حداداً على الرجل الذى أنار لها طريقها ووفر لها أسباب السلامة .

سرُّ القوة

● السلطان الساكن : كلُّ الضوضاء عبث . فاحرص على خفوت لفظك ، وهدوء تفكيرك ، وسكون عاطفتك . فاخفض من صوتك ، وترقب إنصات من يسمعك ، فإذا فى كلمتك الخافتة تكمن القوة المتفجرة .

[إلبرت هبرد]

التلقيح الاصطناعي... وقيمته للعالم أجمع



لويس برومفيلد
ملخصة عن مجلة "كيوانيس"

إن مشكلة تموين البلايين من سكان المعمورة بالكفاية من الطعام تجد لها حلا من أكثر الحلول توفيقاً ، فى استيلاد النجائب من الأنعام بالتلقيح الاصطناعى بنوع خاص .

إن البقرة النجيبة تستطيع أن تدرّ من اللبن فى عام ما تدرّه ثلاث أبقار أو أربع من البقر العجاف ، ومع ذلك فطعامها لا يربى إلا قليلا على طعام إحداهن ، والذكور من نتاجها تسبق أندادها من نتاج البقر العجاف إلى السوق بأشهر ، وإناثها أسخى باللبن . وبالتلقيح الاصطناعى المنظم من عجول مختارة ، قد يزيد محصول الزبد من الأبقار فى الولايات المتحدة بمقدار الثلث فى بضع سنوات ، دون زيادة كبيرة فى استهلاك العلف .

والتلقيح الاصطناعى يستحث إنتاج الأنعام الكريمة ، وقد تستبين هذا إذا تذكرت ندرة العجول التى ثبتت قدرتها على توريث نسلها غزارة اللبن ، وأنها كثيراً ماتباع بألوف الدولارات. ويستطيع العجل من هذه العجول أن يدمغ بمميزاته بضع مئات من ذريته ليس إلا ، إذا قضى حياته كلها فى إلقاح الإناث إلقاحاً طبيعياً ، على حين يستطيع بالتلقيح الاصطناعى أن ينسل الألوف . وذلك أن النطفة الواحدة من الفحل يمكن استعمالها فى تلقيح عشرات من الأبقار . وهذا مثل رائع لاستغلال الإنسان سَرَف الطبيعة فيما يعود عليه بالخير.

وبما أن العجل لا يتصل بالأبقار ، فالتلقيح الاصطناعى يمنع انتشار الأمراض المعدية التى تستأصل فى بعض الأحيان قطعاناً بأكملها من المواشى الحلوبة .

لقد ولد فى هذا العام — بويسكونسن ، ومينسوتا ، ونيويورك — أكثر من ١٠٠٠٠٠ عجل بالتلقيح الاصطناعى ، وفى العشرين عاما المقبلة سوف لا ترى أغلبية الأبقار السخية باللبن فى أمريكا ، العجول التى ألقحتها .

إن البقرة الوليدة تظل ثلاثة أعوام حتى

تصير بقرة ولوداً . وحين يلقح المنتج بقرة متهيئة للحمل بنطفة عجل ممتاز ، فإنه لا يركب في أمرها الغـرر ، بل كثيراً ما يكون الحصول على هذه النطفة من اللقاح الاصطناعى أيسر من الحصول عليها بأى طريق آخر .

وقد بدىء فى سنة ١٩٣٦ بشحن لقاح فحل كريم من أمريكا إلى الأرجنتين فى ثلاجة تحملها طائرة سريعة . وفى سنة ١٩٣٩ كان لقاح العجول يرسـل للتلقيح بالبريد الجوى من سوق عالمية إلى أخرى ، من سان فرنسيسكو إلى نيويورك . وفى كثير من البقاع المنتجة للبن ، تخصص فى وسط البقعة زريبة لتربية قطيع من العجول ، لا يزال يخرج منها فى صبح كل يوم عمال يحملون أنابيب اختبار ممتلئة بنطف هذه العجول ، فينتشرون فى سائر مزارع الإقليم ليلقحوا الأبقار .

وفى الإمكان أن تظل النطفة حية عدة أيام إذا أضيف إليها مُحّ البيض (صفاره) مع مركب من أملاح الفسفور ، ولقد ولد حديثاً فى ولاية نيويورك عجل استولد من لقاح عمره عشرة أيام .

وقد شكا بعضهم من أن الحمل فى التلقيح الاصطناعى أقل حـدوثاً منه فى التلقيح الطبيعى ، ولـكن الخبراء يزعمون أن الذنب فى هذا ليس ذنب الطريقة نفسها ، وإنما هو ناشىء من إهمال الملقح أو قلة مرانه . والواقع أنه حين تتوفر العنـاية والإتقان ، يكاد معدل الحمل يساوى نظيره فى الإلقاح الطبيعى .

وطريقة التلقيح الاصطناعى آخـذة فى الذيوع السريع ، ومن المحقق أن نتائجها ستشمل كل مرافق الاقتصاد الريفى فى أمريكا . ولقـد أصبحت رؤية الطـبيب البيطرى أو مساعده فى زريـبة العجول الإقليمية بردائه الأبيض ، والصندوق الصغير المحتوى على جهازه السحرى ، من المناظر المألوفة فى كثير من البقاع .

وأكثر ما يستعمل التلقيح الاصطناعى للمواشى الحلوبة ، ولـكنه يطرد فى إنتاج سائر الحيوان والدواجن . وفى روسـيا حوالى ٤٥٠٠٠٠٠ شاة مورعة على مناطق شاسعة لتربية الأغنام ، تلقح سنويا من عدد قليل من الـكباش المختارة .

وليس المأمول ، مع الاحتمالات الضخمة المتوقعة لهذه الطريقة ، أن تتحسن صفات البهائم فحسب ، بل ان تتطور الأحـوال الاقتصادية والاجتماعية فى مناطق واسعة . ولقد رأيت قرى فى الهند انقلب فيها المستوى الاقتصادى رأساً على عقب ، فى خمس أو ست سنوات ، لا لشىء إلا لاستيراد مواشٍ ممتازة للتناسل ، ولزيادة إنتاج اللبن الجيد والزبدة

والدواجن والبيض، وبيعها بأثمان مرتفعة، وقد شوهد تحسن مدهش فى كل مرافق الحياة، فى دائرة نصف قطرها ٢٠ ميلا، فى كل مكان جلبت إليه المواشى الجديدة. وهذا بالتقريب هو مدى ما تستطيع الأنثى من البهائم أن تقطعه ماشية فى طريقها للإلقاح. أما الآن، وبالطريقة الجديدة لجمع اللقاح واختزانه وتوزيعه، فإن المساحة التى تفيد منها يمكن أن تتسع مئات من الأميال.

إن أوربا التى استنزفت مواشيها استنزافاً يدعو إلى الرثاء، يمكن أن تستعيد ثروتها الحيوانية بمنتهى السرعة بعد الحرب، بهذه الطريقة الجديدة للإنتاج. لقد قتل كثير من خير مواشيها إنتاجاً كما تدل التقارير السرية، وما من شك أن لقاح الذكور المختارة سينقل إليها بالطائرات من الولايات المتحدة، ليقوم بنصيبه الهام فى تعمير المناطق المخربة.

إن رجال جمعية ترقية المواشى الحلوبة ونشر الزراعة، ليتوقعون مستقبلا مباركا لإمداد الممالك القاصية، بطريق الجو، بلقاح فحول منتجة مجربة. وحتى فى الوقت الحاضر نرى علماء كثير من الممالك يتعاونون مع السلطات الزراعية فى الولايات المتحدة على تحديد التفاصيل. وهكذا يؤثر علم التلقيح الاصطناعى فى مستوى معيشة الملايين من ضحايا سوء التغذية فى العالم.

أسرار

● السعادة: بنت المشقة. ومن خطل الرأى أن يظن المرء أنه يستطيع أن يدرك السعادة عن طريق إشباع العاطفة. ومثله كمثل من يحاول أن يأكل الجمال. ولن تدرك السعادة حتى تصيدها ختلا، فهى تحب أن ترى الناس يكابدون ويكدون ويكدحون ويضحون. ولن تجدها فى القصور بل تجدها مستكنة فى الحقول والمصانع، أو محوّمة على زحام الأعمال. إنها تضع على رأس الطفل المكب تاجاً لا يحس به.

● الزواج: السر الأعظم فى الزواج الموفق هو أن يعد المرء الكارثة لمماً عارضاً، وأن لا يعد اللمم العارض كارثة مهلكة. [هارولد نيكلسون]

« الزعماء والقياصرة يجيئون ويذهبون ، أما هيئة أركان الحرب الألمانية فينبغى أن تبقى إلى الأبد »

هذا هو العدو الألمانى



اريك براملى — مور : كما رواه لفرنسيس سيل ويكوير

تروج بين الفينة والفينة إشاعات أن هتلر قد دنا يومه ، وأن الجيش الألمانى على أهبة تسلم زمام الحكم فى الريخ .

ولهذه الإشاعات وقع جميل فى عالم أعيته الحرب ، فإن جمهرة الناس يعتقدون أن هتلر والنازيين هم حكام ألمانيا بلا منازع ، وأنهم هم وحدهم المسئولون عن الحرب ، فإذا قضى عليهم فإن الأمم المتحدة تكون قد أدركت أعظم غرض عسكرى .

إريك براملى — مور ، اسم مستعار لرجل من رجال الأعمال الأمريكيين سلخ أكثر شبابه فى ألمانيا ، وأوفد إلى برلين سنة ١٩٢٩ ممثلا لأحد البنوك الأمريكية الكبيرة . وظن الألمان خطأ أنه كغيره ممن كان فى بلادهم من أصحاب الأموال الأمريكيين ، إنما جاء ليمنحهم القروض ، فرحبوا به وأباحوا له دخول الدوائر الحكومية والعسكرية المنيعة . وأتاح له بقاؤه فى ألمانيا إلى قبيل نشوب الحرب سنة ١٩٣٩ ، فرصة نادرة أن يراقب من قريب إنشاء تلك الآلة الغامضة الرهيبة القوية ألا وهى هيئة أركان الحرب الألمانية.

وليس أبعد عن الحقيقة من هذا ، فإن الأمم المتحدة ترتكب خطأ فاحشاً إذا هى قنعت بالقضاء على هتلر ومعاونيه . فإن هتلر رمز للعدوان الألمانى لا غير ، ومن ورائه القوة الحقيقية ، هيئة أركان الحرب الألمانى ، ووراء هيئة أركان الحرب طبقة « اليونكر » البروسية . وقد يقوم فى ألمانيا القياصرة والحاكمون بأمرهم ورؤساء الجمهوريات ثم يسقطون ، ولكن طبقة اليونكر وهيئة أركان الحرب تظل باقية لا تزول . فإن الحرب عندهم هى الغرض ، وما السلم إلا فترة جمام وراحة استعداداً لحروب مقبلة .

ويعلم أولئك السادة المحنكون الذين يسيطرون اليوم على أداة الحرب الألمانية أنهم قد خسروا الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم دبروا أمرهم على أن يخسروا الحرب مرة بين الحين والحين . فهم ذوو صبر لا ينفد ، ينتظرون عشرات السنين بل الأجيال حتى تقترب الساعة ليضربوا ضربتهم

مرة أخرى . وفى الحرب العالمية الأولى، حين أيقنت هيئة أركان حرب الجيش الألمانى أن الهزيمة قاب قوسين أو أدنى ، ألقت « تبعة الحـرب » على القيصر ، فعزل فى اللحظة المناسبة . وسيعملون هذه المرة على أن يلقوا «تبعة الحرب» على هتلر ، فإذا ألقى فى روع الأمم المتحدة أن ألمانيا تسقط بسقوط هتلر، فإن طبقـة اليونكر وهيئـة أركان الحرب الألمانية ستجد فرصة ذهبيـة للإفلات مرة أخرى من العقاب، وسيخرجون من الميدان ومقدرتهم على إثارة الحرب باقيـة كما كانت لم تشبها شائبة .

وثمت خطر محقق يخشى أن يحدث ، فقد قيل إن دوائر وشنطن الرسمية على استعداد أن تفاوض أى عنصر مسئول فى ألمانيا يأخذ على عاتقه خلع النازيين ، حتى ولو كانت طبقة اليونكر البروسية . ومعنى ذلك ، أن تعاقب الآلة التى تحركها أركان الحـرب ، ثم يبرم الصلح مع ذلك العنصر « المحترم » ، الذى أثار عدوانه خمس حروب دامية فى قرن واحـد ؛ والذى يعدّ من الآن الخطط الطويلة المدى لحرب عالمية ثالثة .

وليس فى أكثر بلاد العالم هيئـة قريبة الشبه بهيئة أركان الحرب الألمانية العتيدة ، فهى أكبر من أن تكون هيئـة عسكرية وحسب ، فهى تسيطر فى الواقع على جميع الموارد الألمانية ، وعلى جميع مناحى النشاط السياسى والتفكير الألمانى ، سيطرة دقيقة واسعة النطاق ، كما تسيطر على الموظفين المدنيين ، ورجال التمثيل السياسى ، وتدير مناجم الفحم والحديد والصناعات الثقيـلة ، وبهذا تبسط سلطانها على الاقتصاد الألمانى كله . وكل نشاطها المتشعب إنما يرمى إلى هدف واحد — هو الحرب .

كثيراً ما تباحثت ، يوم كنت أعمل فى ألمانيا ، فى شأن فكاك أموال الشركات الأمريكية واستردادها ، فهل ذهبت لمباحثة مديرى الصناعات أو البنوك ؟ كلا بل ذهبت إلى القسم الاقتصادى بهيئـة أركان الحرب الألمانية . وفى كل شركة أعمـال هامة فى ألمانيا رئيس للدفاع الاقتصادى ، غير مسئول أمام الشركة التى تدفع له أجره بل أمام هيئة أركان الحرب . وليس للأعمـال التجارية استقلال ، فكل خطوة تخطوها يجب أن يوافق عليها الجيش ، وكل اختراع تقوم به شركة يعمم فى جميع الشركات إذا رأت ذلك هيئة أركان الحرب .

إن هيئة أركان الحرب الألمانية ليست هيئة عليا لوضع الخطط الحربيـــة والنظم العسكرية وحسب ، بل هى أيضاً أسطورة وتقليد وأسلوب « عقلى » ، قوامها مجموعة من نحو ٢٠٫٠٠٠ أسرة من أسر اليونكر

البروسية قادوا الجيش منذ أيام فردريك الأكبر. وكان لأشراف اليونكر العسكريين وهم الملقبون بلقب « فون » ، أمثال فون بسمرك وفون هندنبرج وفون سيكت وفون روندشتد وفون فولكنهرست وفون أرنيم وفون ريختوفن ، سياسة ثابتة واضحة هى : « اخطف واحكم » .

وكلمة « يونكر » مشتقة من كلمة « يونج هر » أى السيد الصغير . فكان اليونكر الأوائل من فرسان التيوتون الذين عادوا من الحروب الصليبية فى الأرض المقدسة ، فى أوائل القرن الثالث عشر ، وتغلبوا على القبائل السلافية فيما هو الآن بروسيا الشرقية ، واغتصبوا أراضيهم . وانضم إليهم فى القرن الخامس عشر عدد من بارونات الإقطاع الألمان المغتصبين ، فقسموا الأرض إقطاعات واسعة ، واستعبدوا الأهالى ، وأقاموا نظاماً إقطاعياً بقى حتى القرن العشرين . ونجد اليوم فى بروسيا الشرقية أربعة ملايين من الأفدنة موقوفة لا تباع ولا ترهن ولا تقسم ، ولا تنتقل إلى يد غير يد الوارث الأكبر الذى يخلف المالك بعد وفاته . وتربة هذه الأراضى ضعيفة وأكثرها لا يصلح لغير الغابات ، بيد أن اليونكر يجبرون المؤجرين من الزراع على زراعة الشوفان والحنطة بالطرق القديمة ، ويفرضون على بقية البلاد الألمانية إعانة تدفع لهم على الدوام .

وقد أدلى كيرتريس ، الكاتب المشهور ، بخلاصة قيمة عن عقلية اليونكر فقال : « إنهم لا يعدون أنفسهم خدام الحكومة ، بل يعدون أنفسهم أكثر من الحكومة . ولا يشعرون بأنهم خدام الشعب ، بل يعتقدون أن الشعب إنما خلق لإنتاج الجنود من أجل جيش يتولون هم قيادته . وعالمهم عالم ليس السلم فيه إلا فترة ، والحرب هى الحالة الطبيعية » .

ولم تفقد طبقة اليونكر شيئاً من طباع بارونات الإقطاع هؤلاء ، فكانوا دائماً يستخدمون ما يملكون مكاناً يعتدون منه على جيرانهم . وقد استخدمت « براندنبرج » ، وهى أول وحدة سياسية هامة فى بروسيا ، قاعدة لفتح بروسيا جميعها ، ثم استخدم فردريك الأكبر بروسيا نفسها قاعدة لفتح سيليزيا . وقد وسعت الفتوحات المتعاقبة من رقعة بروسيا ، حتى صار لها من الموارد ما أعانها على إثارة الحرب الفرنسية — البروسية سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ . وكانت الألزاس واللورين ثمرة الحرب هذه المرة . وقد هيأ لها ذلك — مع السيطرة على جميع ساحل ألمانيا ، وعلى مناجم الفحم والحديد التى هى قوام ثروة ألمانيا — قاعدة لها من القوة ما يمكنها من إثارة حرب للتسلط على

أوربا جميعها . وقد وسعت طبقة اليونكر ، بمعونة الجيش البروسى ، ولاياتها الأصلية الفقيرة المتأخرة ، حتى صارت بلداً من أقوى بلاد العالم فى أقل من مائة عام . فلا غرابة إذا ما عدّوا الحرب هى الحالة الطبيعية للعالم .

وقد طالب اليونكر فى نظير اشتراكهم فى الحروب بإعفائهم من الضرائب ، وبوقف أملاكهم وقفاً مؤبداً ، وبسلطان تام على فلاحيهم الذين لا يستطيعون فكاكا من الأرض ، وبقوانين انتخابية خاصة تضمن لهم التفوق السياسى . وقد حصلوا على هذه الامتيازات على حساب الشعب الألمانى عامة ، لأن طبقة اليونكر والجيش شىء واحد . وقد رسخ فى أذهان الألمان على مرّ العصور أن الجيش لا يخطىء .

وإذا ما هدد الخراب طبقة اليونكر ، أنجدتهم وأنقذتهم تبرعات الشعب ، ففى سنة ١٩٣١ مثلا اتخذت حكومة برونيج إجراءات خاصة لإغاثة بروسيا ، وفى سنة ١٩٣٢ أصبحت إدارتها فضيحة تلوكها الألسن ، ووجد مجلس الريخشتاغ أدلة على سوء الإدارة . وهدد الجنرال كيرت فون شليخر ، وهو نفسه من طبقة اليونكر ، وكان رئيس وزراء ألمانيا وقتئذ ، أن ينشر هذه الأدلة . فغاظ ذلك اليونكر ، والتمسوا من مواطنهم الشيخ الرئيس فون هندنبرج أن يستبدل هتلر بفون شليخر الذى خرج عليهم . وكان فون هندنبرج قد أهديت إليه من الريخ إقطاعيــة أجداده ، فى نويديك ببروسيا الشرقية ، موقوفة بغير ضريبــة . فاتهم شليخر بأنه « بلشفى زراعى » . وأومأ برأســه إيماءة ضعيفة ، ووضعت فى يد هتلر مقاليد الحكم .

ولم تغير الحرب العالميــة الأولى شيئاً فى ألمانيا ، ولو أن المادة ١٦٠ من معاهدة فرساى نصت على : « أن تحلّ هيئة أركان الحرب الألمانية العليا ، وما ماثلها من الهيئات . ولا يعاد تأليفها فى أى شكل من الأشكال » . وقــد سهل على هيئة أركان الحرب أن تحتال لذلك ، فقد والى ضباطها العمــل فى ملابس مدنيــة أو بزة عسكرية عادية ، وأخفوا ملفات محفوظاتهم الثمينــة والآلاف المؤلفــة من الخرائط . وشرعت هيئــة أركان الحرب فى العمل بهمة أشد وأعظم ، استعداداً للحرب المقبلة .

ولم تكد الحرب تضع أوزارها حتى أخذ هانز فون سيكت يعيد تأليف الجيش من جديد ، ولما كانت المعاهدة قد حددت عدد الجيش بمائة ألف ، فقد جعلوه مدرسة لتدريب ضباط الحرب الحاضرة ، وهم الضباط الذين هيأوا أداة حربيــة جديدة بأسلحة حديثة وأفكار حديثة . وأنشئت هيئة سرية

كبيرة معروفة باسم الرايخسفهر السوداء وعلى رأسها « السفاح » فون بوك ، لمقاومة لجنة المراقبة التى أقامها الحلفاء ، وللحصول على الذخائر وتخزينها ، وصرف الأموال السرية فى الوجوه التى تعود بأكبر النفع على الحركة ، وتعين على إدارة الجاسوسية .

وقد عنيت هيئة أركان الحرب بحالة ضباط جيش الحرب العالمية المسرحين . وقد رأيت يوم قمت بزيارة الصناعات الألمانية المختلفة فيما قبل الحرب ، عدداً عديداً من قواد الغواصات وضباط الجيش السابقين يعملون حراساً ، أو رؤساء لفرق إطفاء الحريق بالمصانع وغير ذلك .

وفى النهاية عقد فون سيكت اتفاقاً سرياً دربت بمقتضاه وحدات الجيش فى اتحاد السوفييت ، فأنشئت مدرسة للطيران بالقرب من موسكو ، ووقفت أراض لاختبار الدبابات والمدفعية . ولم تدرك لجنة المراقبة السر فى شهرة روسيا شهرة مفاجئة ، أنها بلد يمضى فيه القواد الألمان إجازاتهم .

وكانت الحاجة إلى هتلر ، أو من هو على غراره ، واضحة لهيئة أركان الحرب من بدء الأمر ، فقد كان ثمة طوائف كبيرة من الألمان يميلون إلى السلم ميلا بغيضاً ، وقد كان من الضرورى ، إذا ما حان وقت العمل الصادق فى إعادة التسلح على نطاق شامل ، أن يعتمد على تأييد الشعب اعتماداً كلياً .

وكان النازيون إحدى الهيئات العديدة من الوطنيين المتطرفين الذين شملتهم هيئة أركان الحرب بالرعاية خلال عشر سنين من ١٩٢٠ — ١٩٣٠ . وقد قيل الكثير عن « منافسة » متوهمة بين النازيين والجيش ، غير أن العلاقة الحقيقية كانت علاقة تحالف . وبدأ هتلر حياته فى ألمانيا جاسوساً أجيراً للجيش ، وقد أيقن من بدء الأمر بتفوق الجيش وسيطرته . قال هتلر فى خطاب له ألقاه فى نورمبرج سنة ١٩٣٥ : « الزعماء ينشأون ويموتون . ولكن ألمانيا باقية إلى الأبد . وعلى الجيش أن يحافظ على قوة ألمانيا ويذود عنها » .

ولم يكن من الممكن أن يتولى هتلر الحكم بغير تأييد هيئة أركان الحرب ، ولا يمكن أن يخلع إلا حين تريد هيئة أركان الحرب . وليس ثمة شك فى أن هذا اليوم سيأتى ، بيد أنه لن يكون انتصاراً للأمم المتحدة ، فإن النصر الحقيقى لن يتم حتى يقضى على كل أثر من آثار هيئة أركان الحرب الألمانية .

إن رجال أركان الحرب الألمان لا يخضعون لما يقضى به العقل ، لأنهم لا يفهمون غير الحرب . وإنهم يشمئزون من مثلنا العليا

ومن أغراضـنا . اشمئزازنا نحن من مثلهم وأغراضهم ، ولا يمكن لأى قدر من التعليم أن يبدّل من قوة تقاليد النهب والسلب التى تأصلت فى الخلق البروسى منـذ عصور سحيقة ، فما دام فى أيديهم قطعة من حديد فسوف يجعلون منها أداة للاعتداء .

وعلينا أن نذكر أنهـم مهرة مبرزون فى إنقاذ أنفسهم ، فإن هيئة أركان الحرب الألمانية كانت منذ ١٩٣٧ تقيم ستاراً من الدعاية يقرب الجيش الألمانى إلى القلوب ، مفرقين بين هيئة أركان الحرب وبين النازى كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا . فتلقى « تبعة الحرب » على هتلر دون غـيره ، ويعدون أنفسهم لصلح آخر لا يقضى على قوة بروسيا وألمانيا الداخلية .

ولقد نجحوا إلى حـد ما . فإننا نلحى باللائمة على النازيين ، ولا ينال الجيش الألمانى من هذا اللوم إلا النزر اليسير . ومن الممتع أن نلحظ فى كل مسرحياتنا ورواياتنا السينمائية ومجلاتنا وقصصنا وكتبنا عن ألمانيا والبلاد المحتـلة ، أن رجل الجستـابو أو « الجلاّد » يصـور دائماً بصورة بشعة منفرة ، أما ضباط الجيش الألمانى فكثيراً ما يصورون على أنهـم سادة مهـذبون لا يستسيغون النازيين .

فإذا لم ننفذ ببصيرتنا إلى ما وراء هـذه الدعاية ، وإذا لم نفرق بين حقيقة الاعتداء الألمانى ومظهره ، فإن هيئة أركان الحرب الألمانية ستثير حرباً عالمية شعواء ثالثة فى مدى عشرين أو ثلاثين عاما .

رد مفحم

التقت فتاة بأحد خطابها السابقين ، فى حفلة فقررت أن تتجاهله . فلما قدمته إليها مضيفتها قالت : « إننى آسفة ، فلم أكد التقط اسمك » فرد عليها : « أعلم ذلك ولـكنك حتما بذلت غاية الجهد » .

ممرضات الأسطول

آه ، لو رأيت ممرضات الأسطول الجميلات ! إن الممرضة منهن تمسك يد البحّار وتمسح جبينه ، ثم تتوقع أن تنخفض حرارته !

[بوب هوب فى مذياع الشركة الأهلية للاذاعة]

« الآن وقد سيطرت عقاقير السلفا على الالتهاب الرئوى ، فقد فقــدت الأنفلونزا هولهـا المروع »

الإنفلونزا لا تقتل أحدًا

لويس ماتوكس ميلر

في السنة الرابعة من سنوات الحرب الماضية اكتسحت الأنفلونزا العالم، فأصيب بها واحد من كل خمسة من سكان المعمورة ، ومات منها ٢١٫٠٠٠٫٠٠٠ ، ولم يعرف أحد ما هى ؟ ولا من أين وفدت؟ ولا لماذا ؟

والآن ونحن فى السنة الخامسة من الحرب العالمية الثانيــة ، ينتشر وباء من الأنفلونزا فى إنجلترا والولايات المتحدة ، على أنه فى هـذه المرة خفيف الوطأة ، لم يترك وراءه أكداساً من الجثث، ولكن أترى يستطيع هـذا الوباء أن ينفجر بغتة فيكون توأم الطوفان الشنيع الذى كان فى سنة ١٩١٨ ؟ أم ترى الخمســة والعشرين عاماً التى تفصل بينهما قد كشفت عن سلاح ما لمكافحته ؟ وما الذى تعلمناه خلال ربع قرن من البحث الدائب الدقيق ؟

إن العلمـاء الآن يعرفون أن الأنفلونزا ليست مرضاً واحــداً، بل مجموعة من الأمراض، عرف منها نوعان «ا» و «ب»، وقد عزلت جرثومتاهما وميزتا ، وبقى سائرها يضل الباحثين .

وقد برهن العلماء على أن جراثيم الأنفلونزا من نوع الڤيروس[1] وقد اكتشفوا لها لقاحاً ومصلا واقيين ، ولكن ما يتسنى الحصول عليه من كليهما أقل من أن يكون ذا فائدة للجمهور .

وقد قضت الأبحاث العلمية على الخرافة القائلة بأن الأنفلونزا مرض قتال ، فلم يثبت الطب قط موت مريض واحد بالأنفلونزا .

أما الموت الحاصد فى سنة ١٩١٨ فيعزى للالتهاب الرئوى ، ولغيره من المضاعفات المرضيــة التى أجهزت على ضحايا الأنفلونزا المنهكين . وقد اســـتطاعت مركبات السلفوناميد والبنيسلين، منذ تلك الأيام ، أن تجعل الالتهاب الرئوى قليل الفتك إلا نادراً ، فاستحالت الأنفلونزا من فزع قاتل إلى مرض مستبشع، بالحد من ضراوة الالتهاب الرئوى.

ولا تزال ثمة أوهام أخرى تلازم الأنفلونزا فقــد كان يقال للناس مثلا ، فى ديســمبر

---

(١) جراثيم دقيقــة تمر من أضيق مسام المرشحات ، ويتحدى أكثرها إلى اليوم طاقة المجهر ، ولكنها تعرف بآثارها .

الأسبق ، إن الوباء الخفيف من الأنفلونزا نعمة على المصابين ، إذ يعصمهم من الخطر إذا ما انتشر فى أعقابه وباء عنيف ، والواقع أن العلماء لم يجدوا أى تفاوت فى الشدة بين أنواع الأنفلونزا . نعم لا يصاب المرء بنوع واحد منها أكثر من مرة فى بحر ستة أشهر ، ولكن قد يبرأ من نوع ثم سرعان ما يصاب بنوع آخر منها .

ويقول الثقات : إن العقيدة الشائعة من أن الأنفلونزا لها دورة تطوف بالعالم كل ٢٥ سنة — والتى لو صحت لجعلت العالم فى الوقت الحاضر مهدداً بطوفان فظيع — إنما هى لغو ، فليس للأنفلونزا دورة على هذا النحو ، كلا ، ولا هى رفيق للحروب لا مناص منه .

وليس هناك علاج للأنفلونزا ، فكل الأمراض الڤيروسية ليس لها دواء . نعم إن العقاقير المسكنة كالأسبرين تلطف الحمى ، وتجعل المريض بالأنفلونزا أكثر احتمالا للمرض بوجه عام ، ولكنها لا تقصر أجل المرض ولا مدة ساعة . بل هو يبرأ من المرض بنفس السرعة إذا لم يتعاط شيئاً على الإطلاق . على أن المريض يجب أن يكون دائماً تحت رعاية طبيب ، لا ليخفف من عذابه فحسب ، بل ليكون رقيباً على الالتهاب الرئوى إذا حدث .

إن انتشار الأنفلونزا لا يزال اليوم ، كما كان فى سنة ١٩١٨ ، مما لا يمكن التنبؤ به . والمرض مرض متوطن ، أى أن الإصابة به توجد فى كل وقت . وفى السنوات العشر الأخيرة ترددت أوبئته فى أمريكا بمعدل وباء فى كل سنتين على وجه التقريب ، على أنه لم يحدث أن غزا البلاد على شكل طوفان — أى وباء شامل — منذ سنة ١٩١٨ ، ولكن تفشى قبله طوفان واحد على الأقل وذلك فى سنة ١٨٩٠

وكل أنواع الأنفلونزا فى نظر المريض . والطبيب أيضاً سواء ، ففيها كلها الحمى ذات الحرارة المرتفعة ، وفيها كلها نفس الأوجاع والآلام فى كل عضلة من عضلات البدن . والمرض يستمر أسبوعاً ، وما من طبيب يستطيع أن يقول لك بأى أنواع المرض أنت مصاب ، ما لم يأخذ مسحة من حلقك فيرسلها إلى المعمل ، وما يهمك هذا أو يهمه فى الواقع ، فى قليل أو كثير .

ويتوقف زمن وباء الأنفلونزا على نوع جماعة الناس التى ينتشر فيها ، فحيث يوجد الازدحام — كما فى ثكنات الجنود — ينتشر الوباء بسرعة ، وينتهى فى ثلاثة أسابيع أو حول ذلك ، أما فى جمهور الناس فمعدل عمر الوباء ثلاثة أشهر .

والرأى السائد الآن أن كل وقاية تتخذ

ضد الأنفلونزا لا جدوى فيها ، فالمرض ، بلا سبب ظاهر ، يفتك بقوم ويعفو عن آخرين ، وكثير من الناس تغص أبدانهم بجراثيم الأنفلونزا وهم أصحاء ولا يعرفون . وقد تستطيع أن تتقى كل شخص مريض ، ولكنك قد تخالط حامل الجراثيم .

والعكس صحيح أيضاً ، فالتعرض لعدوى الأنفلونزا ليس معناه الإصابة بها حتما ، فكثيراً ما حاول العلماء فى تجاربهم إعداء المتطوعين فأخفقوا ، وفى هذه الحقيقة الواقعة بعض العزاء لأولئك الذين يضمهم منزل المريض . وبما ان زمن حضانة المرض من ١٢ إلى ٤٨ ساعة ، فإذا لم يصب الأصحاء من أهل البيت فى نهاية ثلاثة أيام ، فمن المحتمل أن لا خوف عليهم من العدوى .

وقد برهن اللقاحان المكتشفان حديثاً لمكافحة النوعين «أ» و«ب» من الأنفلونزا ، أن وقايتهما من المرض لاتتعدى ٥٠ فى المائة أى أن نصف الأشخاص الذين يحقنون بهما لا يفيدون منهما . ومع ذلك فإن الموجود من هذين اللقاحين لا يكفى للتوزيع الشامل . ولكى يعطى التطعيم الشامل خير ثمراته ، يجب أن يتم قبل بداية الوباء ، وليست هناك طريقة لمعرفة مبدأ الوباء أو مكانه ، ومن أجل ذلك كان التطعيم الشامل عديم الجدوى فى أن يكون احتياطاً واقياً للصحة العامة .

وأعظم من هذه الطريقة توفيقاً طريقة التحصين بالمصل ، التى اكتشفها جماعة من الأطباء الروسيين فى سنة ١٩٤٠ . وفى هذه الطريقة يحول سائل من المصل إلى بخار ، وينفث فى الأنف والحلق مرة فى الأسبوع . وهى طريقة مريحة تقى تسعة أشخاص من كل عشرة يعالجون بها . ويؤخذ هذا المصل من دم الخيل أو الأرانب التى طعمت بجراثيم الأنفلونزا التى تصيب البشر . ومع أن هذه الحيوانات فيها مناعة من الأنفلونزا لسبب لم يعرف بعد — إلا أنها تنشىء أجساماً مقاومة لها ، وهذه الأجسام المقاومة السارية فى دمها ، هى التى تحدث المناعة فى الإنسان .

على أن المصل الواقى ، لسوء الحظ ، أكثر تكاليف من اللقاح ، من حيث المال ومن حيث اليد العاملة . ومن المستحيل فى زمن الحرب إنتاج مقادير كبيرة منه ، ولكن سوف يتيسر ذلك يوم تضع الحرب أوزارها . وما من سبب قوى يحول بين هذا المصل وبين القضاء على أوبئة الأنفلونزا يوماً من الأيام .

ومع ذلك فإن ذَرُور المصل عظيم القيمة عند الضرورة ، فقد كتب الدكتور فرانك ل . هورسفال الأصغر ، خبير الأنفلونزا فى معهد روكفلر ، فى كتاب نشر حديثاً

عن الأمراض الفيروسية ، أن فى قدرة هذا المصل « أن يقى الموظفين ذوى الخطر وقاية لا بأس بها ، إذا دعت الضرورة إلى ذلك » ، وقد حصن الروس ١٨٠٠ طالب فى وقت من الأوقات . وهناك الآن من المصل ما يكفى لتحصين بعض الفئات الخاصة من الناس عند الضرورة ، كبحارة السفن الحربية وكالأطباء والممرضات جميعاً فى مكان عاث فيه الوباء .

وإلى أن يصبح المصل — أو مايمكن أن يخلفه — فى يسر استعماله وقلة نفقاته كالطعم الواقى من الجدرى ، ستظل أوبئة الأنفلونزا متفشية بلا شك ، وستأتى فى أعقابها الإحصائيات الضخمة والنذر المروعة ، وسوف يظل العلماء عاكفين على بحوثهم فى هذا الداء فى عالم من الأسرار المغلقة .

قصة الشهر البوليسية

عن « س . كلى »

منذ سنوات ، تدفق فى مقاطعة فيلادلفيا فيض من الأوراق المالية المزيفة من فئة العشرة الريالات ، واهتدى رجال المباحث السرية إلى أن شخصاً بعينه هو الذى كان يصرف هذه الأوراق من بعض المصارف والمخازن .

وقصد المخبرون إلى غرفته ، فوجدوا أن لديه أكثر من ألف ورقة من الأوراق الزائفة . فالقضية بسيطة فيما يبدو ، غير أن المتهم أدلى فى شأنها ببيان مقبول . فقد أقر صراحة بأنه صرف كثيراً من هذه الأوراق ولكن كيف له بأن يعرف أنها مزيفة ؟ لقد عثر عليها ، كما قال ، فى ظرف من أوراق اللف الصفيقة ملقىً على الأرض فى حجرة الانتظار العامة فى إحدى المحطات الكبرى فى فيلادلفيا ، فاجتاز الشارع من فوره إلى مكتب إحدى الصحف ، ونشر إعلاناً فى عمود الأشياء المفقودة والملتقطة . وذكر فى ذلك الإعلان أن ظرفاً فيه مبلغ كبير من المال يعاد إلى صاحبه إذا هو أعطى وصفاً صحيحاً لما فيه .

ورجع المحققون إلى الجريدة المذكورة

فوجدوا الإعلان فيه مِصداقاً لقوله . وعندئذ احتج المتهم قائلا : إنه لا تثريب عليه إذا هو عثر على مال فأنفقه بعد أن أعياه أن يجد صاحبه !

ومن المستغرب أن يقع مثل هذا الظرف الضخم على أرض محطة السكة الحديدية دون أن يلتفت إليه أحد حين وقع من يد صاحبه ، ولكن المتهم بادر في الحال إلى تفسير الأمر بأنه قد عثر على الظرف عند إضاءة الأنوار في المحطة ، وأن ذلك الجانب من حجرة الانتظار الكبيرة الذى عثر فيه على الظرف كانت تتغلب عليه الظلمة بعد العصر — وهى ظلمة لا يستبعد معها أن لا يلتفت إليه ، وقد اتفق أن كان هو أول القادمين عند إضاءة الأنوار .

وكان هذا التعليل خليقاً بإثبات براءة المتهم ، لولا أن كان جون ويلكى وقتئذ رئيساً لقسم البوليس السرى الأمريكى ، وكانت له قدرة نادرة على تمحيص الوقائع . فقصد إلى مكتب الجريدة ، وكان الموظف الذى تلقى الإعلان يذكره جيداً لغرابته ، ثم هو يذكر أيضاً أنه تلقاه فى نحو الساعة الخامسة والعشرين دقيقة . وكان على يقين من ذلك ، لأنه يستقل القطار كل مساء فى الساعة الخامسة والنصف ، وقد تلقاه حين كان يهم بالانصراف من المكتب . وبعد ذلك قصد الرئيس ويلكى إلى محطة السكة الحديدية فتحقق هنالك أن إضاءة الأنوار فى هذا الفصل من السنة لا تكون إلا فى الساعة السادسة ! وكان الرجل الذى زعم أنه عثر على ظرف الأوراق المالية فى المحطة يقرر فيما يذكر أن الأنوار أضيئت قبيل عثوره عليه بلحظة وجيزة ، وأنه ذهب على إثر ذلك إلى مكتب الجريدة ، غير أن الوقائع تقرر أن الأنوار إنما أضيئت فى المحطة بعد تسليمه الإعلان للنشر فى الجريدة بنحو نصف ساعة . واستطاع الرئيس ويلكى بفضل هذا الاستدلال ، أن يوقع المتهم فى الارتباك حتى اضطر فى آخر الأمر إلى الاعتراف .

التشاؤم والتفاؤل

المتشائم هو من يجعل من الفرص التى تتاح صعاباً ،
والمتفائل هو من يجعل من الصعاب فرصاً تغتنم

ينبغي للطيارين أن يشكروا للكولونيل «هو» أن جعل طائرة «لايتننج» أكثر الطائرات أمنا بانقضاضه الجريء من ارتفاع ٨ أميال بسرعة ٨٠٠ ميل

لم يبق سوى ١٥ ثانية



فرنسيس فيفان دريك

ملخصة عن مجلة «أنباء الجو»

هذه قصة قائد أمريكي لطائرة مقاتلة، تعرض بمحض إرادته لأخطر تجربة في تاريخ الطيران، هي عند الطيارين كالجلوس على برميل من البارود، ثم إشعال الفتيل. إن قلوب الطيارين الأمريكيين في كل مكان لتنبض بحب الكولونيل «كاس هو» من مدينة بليموث بولاية مشيجن، إذ لولاه لكان مئات منهم في عداد الموتى، وإليه يرجع على الأقل بعض الفضل، إذ أتاح لطائرة لايتننج ب ٣٨ الذائعة الصيت أن تسقط عدداً من طائرات العدو يفوق المعقول.

يوم وصلت إلى إنجلترا هذه الطائرة المقاتلة ذات المحركين والهيكل المزدوج، اختبرها البريطانيون ثم هزوا رؤوسهم، وقدروا أنها ليست أهلا لملاقاة سلاح الجو الألماني، إذ تمكنت طائرات من طراز سبتفاير بقيادة طياري السلاح الجوي البريطاني من أن تتلاعب بالطائرة الأمريكية في معركة تجريبية طلب «هو» منهم تمثيلها، فلو كانت معركة حقيقية لأسقطت طائرات سبتفاير طائرة لايتننج.

ولكن «هو» أبى أن تفلل عزيمته، إذ كان يؤمن بأن تلك الطائرة الأمريكية هي من حيث أساس بنائها طائرة قتال ممتازة. وأقبل على العمل بعزم صادق ومعه بعض الميكانيكيين المختارين، يكدح في سبيل إتقانها وتحسينها، لاجئاً إلى جميع الحيل التي تمخضت عنها المعرفة الهندسية. ثم عاد إلى محطة الاختبار البريطانية للاشتراك في معركة تجريبية أخرى.

وتبدل الحال هذه المرة، إذ قام «هو» بما لم تشهده السموات الإنجليزية قط من قبل — طائرة أجنبية تبذّ طائرة من طراز سبتفاير! ثم جرّب طيارو السلاح الجوي البريطاني ملاقاتها بطائرات فوك وولف ومسرشميت الألمانية التي غنموها من قبل،

تنازل المستر دريك عن الشيك الذي قدمته إليه مجلة «ريدرز دايجست» عن هذا المقال لجمعية مساعدة القوات الجوية المسلحة.

ورأوا الطائرة الأمريكية المجددة تفوقها جميعاً . وهكذا حقق « كاس هو » ما كان يؤمن به ، واستقر الرأى على أن تصعد الطائرة المقاتلة الجديدة لتلاقى طائرات سلاح الجو الألمانى .

ولكن وقعت الواقعة . فقد كان أحد الطيارين المدربين يؤدى حركة عادية بإحدى الطائرات الجديدة من طراز لايتننج ، وهو على ارتفاع ٣٤٫٠٠٠ قدم ، فهوت به هويا عموديا ومحركاتها تدور ، فلما حاول أن يعتدل بها انفصلت عنها الأجنحة .

ولم تمض ساعات قليلة على موت هذا الطيار حتى انقض أمريكى آخر بطائرته من طراز لايتننج كما انقض سلفه ، وهو على ارتفاع سبعة أميال . ولم يتمكن هو أيضاً ، أثناء هويه بسرعة لم يسبق لها مثيل ، من أن يعتدل بطائرته ، وإن كان قد لجأ إلى كل حيلة معروفة . وجعله اليأس يحاول آخر محاولة فى النجاة ، فقبض على مفتاح الطوارئ الذى يطلق السقف المنزلق فوق المقعد من مكانه ، فطار السقف كله لساعته ، وأحدث ذلك فراغاً مريعاً اقتلعه من مقعده ، فتحطمت ساقاه على سيور نطاق الأمان ، وقذف من المنفذ إلى الريح العاصفة كأنه ريشة فى مهب زوبعة هوجاء — قذفة بلغت سرعتها ٧٠٠ ميل فى الساعة .

وانتظر الطيار الشاب ، فى رباطة جأش عجيبة ، حتى تقل سرعته ، قبل أن يجذب حلقة المظلة الواقية ، إذ لو كان فعل ذلك من فوره لمزقته صدمة انفتاح المظلة إرباً إرباً . والذى حدث أنه سلم من سقطة الهواء بالمظلة — وهى تعادل قفزة رجل محطم الفخذين من ارتفاع ١٥ قدماً — فكأنه بعث من قبره ليروى « لكاس هو » كل ما لاقاه وحدث له مفصلا تفصيلا وافياً .

وعاد « هو » إلى مركز الرياسة يقلب الأمر على وجوهه ، فهذه الطائرة الجديدة سلاح حربى حرىّ أن يكون عظيم الشان ، إن قيضت لها طريقة ما تجعلها تسلم من عواقب الهوىّ العمودى ، وهو من الحركات الضرورية فى القتال الجوى . وانتهى « هو » بعد أيام وليال قضاها فى عمل جاهد إلى حل واحد خليق بالنجاح : وذلك بأن يتخذ قلابات الضبط — وهى أبعد الاجزاء فى ذيل الطائرة ، وبتحريكها يستطيع الطيار أن يرفع مقدم طائرته أو يخفضه لتظل مستوية فى الجو — لكى يحدّ من سرعة الهوىّ ، فربما نجحت تلك الوسيلة .

وفى الصباح التالى ارتفع « هو » بطائرته من طراز لايتننج إلى ٤٣٫٠٠٠ قدم — أى ثمانية أميال ، فى ذلك الهواء الشاحب الرقيق الذى تبلغ برودته ٦٠ درجة

تحت الصفر . ويقول «هو» : « واعترتنى بعض الآلام الناشئة عن قلة الضغط — فى ذراعى ورجلىّ . فتجولت حوالى ١٥ دقيقة. وأظن أنى كنت أحاول فى الحقيقة أن أجمع من الشجاعة ما يكفيى كى أنقض بالطائرة » .

كان فى نيته أن يقذف بتلك الطائرة التى تزن سبعة أطنان إلى أسفل فى خط عمودى طوله ٤٣،٠٠٠ قدم ، على حين يكون المحركان اللذان تبلغ قوة كل منهما ١٢٠٠ حصان ، دائرين بأقصى قوتهما . وإنه ليحق للطيارين الأمريكيين الذين يطاردون الآن فى جميع أنحاء العالم طائرات الزيرو اليابانية والمسر شميت الألمانية ، مسجلين تفوق طائرات لايتنج عليها بمعدل خمس إلى واحدة ، أن يحمدوا الله على ما كان من شجاعة « كاس هو » فى ذلك الصباح .

وهوى « هو » بعد أن ألقى نظرة أخيرة فيما حواليه ، ولم يحدث شىء خلال الخمسة آلاف قدم الأولى ، وزادت السرعة ثم « فتحت أبواب الجحيم » .

زادت سرعة « هو » زيادة لا تصدق ، وظلت سطوح ذيل الطائرة تضرب فى فضاء مسحور . وبلغ مؤشر السرعة حده الأقصى وهو ٥٠٠ ميل فى الساعة ، ثم تخطاه مبتدئاً فى دورة ثانية . أما مؤشر الارتفاع ، الذى يسجل دورة كاملة كل ألف قدم ، فكان يدور كالعجلة . ولما وصلت الطائرة إلى ارتفاع ٣٥،٠٠٠ قدم بدأت تضطرب ، فقد اعتورتها تغيرات مفاجئة عنيفة فى السرعة تشعر الطيار كأنما ارتطم بجدار من الصخور . وجذب « هو » عجلة القيادة ، ولكن مقدم الطائرة لم يرتفع بوصة واحدة .

ثم حاول أن يخفف من سرعة المحركين الهادرين ، وكادت تكون هفوة فيها هلاكه ، إذ بدأت الطائرة تذهب فى حركة الانقلاب الرهيبة التى تفضى إلى الموت المحقق . فبادر يعيد سرعة المحركين إلى أقصاها . وبذلك استمرت الطائرة منطلقة .

كان « هو » قد هوى الآن ١٣،٠٠٠ قدم فى زمن يقارب الزمن اللازم لاجتياز شارع ، وأحس كأنما الأرض تدنو منه فى سرعة لا يصدقها العقل ، أما الاضطراب فقد أصبح من العنف بحيث أوشك أن يعجز عن أن يظل ممسكا بيديه آلات القيادة.

كانت سرعته قد بلغت حوالى ٨٠٠ ميل فى الساعة ، وهى سرعة تفوق سرعة الصوت ، بل سرعة لم يسر بمثلها مخلوق حىّ من قبل ، وأصبح الألم فى أذنيه عذاباً أليماً ، ولم يبق له سوى ٣٢ ثانية .

ويقول «هو» : « وعندئذ بدأت أشعر بشىء من الذعر » .

لقد أخفقت جميع الوسائل المعروفة

التى تعين على اعتدال الطائرة ، وهـذه هى آخر فرصـة له إن أراد أن يقفز بمظلتـه الواقيـة . ولكن « هو » كان قد قذف بنفسه فى الفضاء ليجرب شيئاً بعينه ، وكان عزمه معقوداً على إنفاذ ما أراد . فترك عجلة القيادة ليـدير البكرة الصغيرة التى ترفع قلابات الضبط أو تخفضها . ثم انتظر ليرى أتستطيع تلك القلابات أن تعتدل بالطائرة ؟ ولكن السرعة ظلت كما هى لم تنقص ، على ارتفاع ٣٥٫٠٠٠ قدم . فلما تخطى العشرين ألفاً فى انقضاضه لم يكن قد بقى له فى الحياة إلا ما يربى قليلا على ١٥ ثانية .

عنـدئذ شـعر « هو » بأول ما بشره باعتدال الطائرة ، إذ وافته اللحظة الدقيقة حين أبدت له سبعة أطنان من المعدن منقضة كالصاعقة ، طرفاً خفيا من الإذعان لسيطرته . وعلى ارتفـاع ١٥٫٠٠٠ قدم — وقد بقيت له ١٢ ثانية — بدأت الطائرة تحيد عن الهوىّ العمودى . ويقول « هو » : « فاسترحت إلى شعورى ببدء اعتدالها » .

ولكن كان عليه بعد أن ينجو بالطائرة المنطلقة سالمة من شدة الضغط الجوى الذى يندفع نحوها . فأىّ حركة فى غير موضعها خليقة أن تمزق الأجنحة ، وما عرضت قط طائرة لمثل هـذه التجربة المريعة فنجت مما عرضت له .

وخفف « هو » من تأثير القلابات حين مضى مقدم الطائرة يرتفع ، مكرها نفسه على التأنى فى حركاته وهو فى هـذا الجو الصاخب . وكانت سرعة الطائرة تزيد على ٧٠٠ ميل فى الساعة ، حين بدأت آلات القيادة تعمل عملها . وتساءل « هو » سؤاله الأخير : « أترى الأجنحة تحتمل ؟ » وذلك قبل أن تسدر عيناه ويغمى عليه ، من جراء قوة الضغط الهائلة التى سببها تحول الطائرة من الانقضاض إلى الارتفاع .

ولما أفاق « هو » كانت الطائرة قد ارتفعت ٥٫٠٠٠ قدم ، وكانت مستمرة فى الصعود صعوداً يكاد يكون عمودياً . ونظر حواليه ، فإذا كل شىء فى مكانه ، وهكذا قوى إيمانه بالطائرة الجديدة لايتننج . قال « هو » : « وكان الوقود يتناقص ، فعدت إلى المطار وهبطت » .

ومضت عليه ثلاث دقائق قبل أن تهدأ أعصابه ، فيستطيع أن يشعل لفافة .

وبعـد قليل ثبت أن انقضاضه الجرىء بالطائرة وتفكيره العلمى ، قد استطاعا أخيراً أن يجعلا طائرة لايتننج ب ٣٨ ، سـلاحاً ممتازاً ، وذلك حين انقض عشرة شبان من الطيارين الأمريكيين بطائراتهم من طراز لايتننج المعـدل ، تؤازرهم خبرة « هو » الثمينة ، على ٢٥ طائرة مسرشميت ، فأسقطوا

منها ست عشرة طائرة وخسروا هم واحدة . أما الرجل الذي يرجع إلى صبره ومجازفته الفائقة كل الفضل في هذا الفوز وفي مئات لاحقـة ، من المانش إلى غينيا الجديدة ، فقد قالت عنـــه نشرة سلاح الطيران : « استطاع الكولونيل هو ... أن يسجل أطول هوىّ في التاريخ وأقصاه سرعة ... وقد اقتحم على علم منه وبإرادته مناطق من الجو مجهولة . . . وإن الشجاعة والمهـارة والإخلاص للواجب التي أظهرها هـذا الضابط ، لتعود عليه وعلى القوات المسلحة للولايات المتحدة بأعظم الفخر » .

وقد أرفق بهذه النشرة صليب الطيران الممتاز .

اختلف اللون ولكن ...

كانت «جرامى» مربيتى ، زنجية عجوزاً ، وكان حفيدها «تيمى» ، زميلى في اللعب ورفيقى الدائم . وكان نصيب تيمى في كل ألعابنا نصيباً لا يحسد عليه ، فكان عليه أن يتلقى الأوامر وينقاد لها ، ولم يكن له أن يأمر أو ينهى .

وذات يوم خرجت من المدرسة وأسرعت إلى المنزل إذ كنت اتفقت مع تيمى على تمهيد طريق من غرفة غسيل الملابس إلى البئر . ولكن ما هو إلا أن صرنا إلى عادتنا في لهونا ، فكان تيمى هو السجين المحكوم عليه بالأشغال الشاقة المرهقة ، وأنا الحارس المتعجرف القاسى القلب . ولما بلغ تعنيفى للزنجى الصغير مبلغ ما يأتيه كبارنا من الجور على الزنوج ، وإذا «جرامى» تصرخ بنا « يا أطفال ، هيا واحملوا هذه القدر وضعوها على النار » .

فجرينا إليها وحملنا القدر ثم أسقطناها من فورنا ، متعجبين كيف تطلب إلينا جرامى أن نمس القدر وهى جد ساخنة . فالتفتت إلينا وقالت بصوت رقيق ناعم لا يزال يرن في أذنى حتى اليوم .

« لقد أحرقتكما القدر ، أنت وهو ! نعم ! لقد اختلف لونكما ولكن القلب والشعور واحد لا يختلف » .

[كلود جونسون]

قضية أرشر — شى

ألكسندر وكوت
مؤلف كتاب "بينما تحترق روما"

ملخصة عن مجلة "اتلانتيك الشهرية"

صدرت عن دار نشر فى لندن، وأدنبره، بين حين وحين منذ بدأ هذا القرن ، سلسلة من الكتب بعنوان « المحاكمات البريطانية المشهورة » . ولما كنت متتبعاً نهماً لهذه السلسلة فقد أثارنى وحيرنى أنها لم تدون تلك المحاكمة التى اتخذت على الأيام فى السنوات الأخيرة صورة ثابتة فى مخيلتى ، وصرت أعدها أهم الجميع ، وأرى أن طابعها الإنجليزى أقوى وأبرز .

وليس فى إنجلترا ولا فى أمريكا ولا فى أية مكتبة فيهما سجل لقضية أرشر — شى ، ولكنى فى خلال الشهور الأخيرة ، وبفضل سلسلة من المصادفات العجيبة ، وقعت على سجل خاص للقضية برمتها . وفى نيتى ، فى الوقت الحاضر ، أن أطبعها لينتفع بها من يحتاج إليها ليستضئ بنورها ، أو يتخذ منها مشجعاً . ذلك أن قضية أرشر — شى فصل قصير قوى منير فى تاريخ الحرية الإنسانية الطويل ، ويبدو لى أن درسها قد يقوى عزم الذين آلوا فى أيامنا هذه أن يستنقذوا هذه الحرية من العفاء .

فى خريف سنة ١٩٠٨ تلقى المستر مارتن أرشر — شى ، وهو مدير بنك فى ليفربول ، رسالة من قائد الكلية البحرية الملكية فى أوزبورن ، فحواها أن اللوردات الموكلين بالبحرية قرروا فصل ابنه جورج الذى يبلغ من العمر ١٣ عاما ، والذى كان قد التحق بالكلية كطالب فيها قبل ذلك ببضعة شهور فقط .

ويظهر أن إذن بريد بخمسة شلنات سرق من خزانة أحد التلاميذ ، وبعد بحث الموضوع ونخل الأدلة لم يستطع أولو الأمر أن يجتنبوا القول بأن أرشر — شى الصغير هو المجرم .

فكان من أثر هذا النبأ المروع أن خفت الأسرة كلها إلى أوزبورن . هل هذا صحيح ؟ كلا ، يا أبى ! إذن لماذا يتهمونك؟ فلم يدر الغلام المذهول لهذا من سبب ، ولم يسع القائد إلا أن يحيله على الأميرالية . ولوورداتها — بالامتناع عن الرد على الرسائل ، واجتناب الأسئلة المباشرة ، وبالإلتجاء إلى كل وسائل التعطيل

البيروقراطية المألوفة — يحتمون بالتقاليد المقررة التى تقول إن الأسطول هو الحكم الوحيد فيما ينبغى أن يكون عليه الضابط البريطانى .

وهكذا وجد أرشر-شى الكبير أنه يواجه خصما قاسياً يطير العقل ، هو كتلة الجمود فى مصلحة حكومية لم تألف أن تلقى عليها أسئلة ، ولا يطيب لها أن يزعجها مزعج . وكان أرشر — شى فى الواقع يتحدى البيروقراطية لمنازلته .

ولو كان أرشر — شى مكافحاً أفتر عزماً وأقل عناداً وصلابة ، لآثر أن ينفض يده من الأمر كله فى عدة مراحل . ولو كان أقل مالا لاضطر إلى التسليم . ولكنى أحسب أن الأب كان يعلم فى قرارة نفسه أن ابنه برىء ، وعسى أن يكون مما قوى عزمه أن غلامه الصغير بكى بكاء مراً يوم عادوا به من أوزبورن ، فلم يسعه ، ما دام فيه نفس يتردد ، وما دام فى حسابه فى البنك جنيه ، أن يدع فتاه يخرج إلى الدنيا بهذه اللوثة على اسمه .

وكانت الخطوة الكبيرة الأولى أنه استطاع أن يتخذ من السير إدوارد كارسون محامياً له ، وكان يومئذ فى ذروة شهرته المعدومة النظير . وما قبل السير إدوارد أن يتولى هذه القضية إلا بعد أن سمع قصة الغلام (وأمطره وابلا من الأسئلة التى كان مشهوراً بالقدرة على توجيهها إلى الشهود) ثم نهض وقال ما معناه : « هذا الغلام لم يسرق ذلك الإذن . والآن فلنحاول الوصول إلى الحقيقة » .

وقد احتاج هذا إلى جهد . وكان مدار الصعوبة أن الغلام بالتحاقه بالكلية ليتخرج فيها ضابطاً ، فقد حقوق المواطن العادى ، ولكنه لم يكتسب تلك الحالة التى تخوله أن يحاكم عسكريا ، ولكن كارسون صمم على طرح القضية على المحكمة . وقد قاومه فى ذلك السير روفوس أيزاكس — الذى صار فيما بعد اللورد ريدنج قاضى القضاة فى إنجلترا — وكان يومئذ هو المدعى العام فهو مضطر أن يدافع عن عمل الأميرالية فى كل خطوة .

وأخيراً لجأ كارسون إلى وسيلة عتيقة طال إهمالها يطلق عليها اسم « التماس الحق » . وإذا تقدم أحد الرعايا إلى العرش بالتماس الحق ، ووافق الملك على التوقيع عليها بعبارة « فليجر الحق مجراه » فإن جلالته يمكن ، فى هذه الحالة وذلك الموضوع ، أن يُقاضى كأى فرد من الشعب .

ولكن الأميرالية ، بدلا من أن ترحب بهذه الوسيلة لأنها أكفل بالسرعة فى فض النزاع ، لجأت إلى وجوه فنية قانونية

للتعطيل والإرجاء ، ولعلها كانت مدفوعة بقوة العادة . والواقع أن نفاد صبر القضاة — فإنهم من بنى الإنسان — هو الذى قطع حبال هذه المطاولات . وقد كان عليهم بعد ذلك أن يقرروا هل التماس الحق هو العلاج الموافق والوسيلة الصالحة ، ولكنهم فى أثناء ذلك سألوا لماذا لا تدعوننا نطلع على الحقائق ؟

وأخيراً ، بعد الجهد والعناء ، وفى يوم قائظ من أيام يولية سنة ١٩١٠ — بعد عامين تقريباً من سرقة إذن البريد ، وبعد أن ضاع كل أمل فى الاهتداء إلى سارقه — عرضت القضية على المحلفين ، وكانت قد أصبحت فى نظر الصحافة «قضية مشهورة» ، وكانت الامبراطورية كلها تتبعها وأنفاسها معلقة . ونهض كارسون على قدميه فى جلسة المحكمة العلنية يقول عن صاحب الالتماس :

« وسم غلام فى الثالثة عشرة من عمره ودمغ ووصم طول حياته بأنه سارق ومزور، فأنا يا سادة أحتج على ما وقع على الغلام من ظلم بدون اتصال بوالديه ، ومن غير أن تطرح قضيته ، أو أن تتاح فرصة لذويه لطرحها . وهذا الغلام الصغير ، منذ أول يوم اتهم فيه إلى هذه اللحظة ، وسواء أكان يجتاز امتحان المثول بين يدى قائده أم كان بين يدى والديه وهما يتلطفان به ويعالجان أن يعرفا الحقيقة ، لم يتردد قط فى قوله إنه برىء » .

وكان لهذه الكلمات المدوّية رجع قوى فى نفوس الإنجليز جميعاً . وراح يتتبع القضية باهتمام وألم ، الرجال والنساء العاديون ، وقد أدركوا ببطء أن هذه ليست منازعة تافهة حول نظم الخدمة فى الأسطول ، ولا مسألة سرقة شلنات خمس وسمعة غلام صغير ، وإنما هى خلاصة تاريخ الحرية البريطانية الطويل . وإن ههنا فى النطاق المرئى المحدود لمصير غلام واحد يدور النزاع على سيادة الفرد التى لا يجوز العدوان عليها أو انتهاك حرمتها .

وكان مما يعزز مركز آل أرشر — شى فى القضية من البداية ، أن الجريمة المعزوّة إلى الغلام بعيدة الاحتمال فى ذاتها ، فما كان ثم سبب يحمل الفتى على سرقة خمسة شلنات والمال عنده وفير . ولكن إذا كان قد سرق إذن البريد بدافع من الشيطنة الصبيانية فإنه يبدو من الغريب أن لا يصرفها خفية بل يستأذن علانية فى الذهاب إلى مكتب البريد — وهو خارج النطاق المسموح للطلبة بارتياده — وأن يتلكأ فوق ذلك زمناً حتى يجد زميلا من الطلبة يرافقه . ومع أن عدم احتمال هذا كله ، فى ذاته ، واضح لنا الآن بعد مضى ما مضى من الزمن ، إلا أنه

فات يومئذ أولى الأمر فى الـكلية أن يتنبهوا له .

وكان تيرنس باك ــ الطالب الذى جاءه إذن البريد ــ قد أبلغ أن إذن البريد الذى تلقاه صباح اليوم قد اختفى من خزانته ؛ فدق الضابط التليفون من فوره لمكتب البريد مستفسراً عنــه ؟ هل صرف أو لم يصرف : فقيل : صرف !

وتلا ذلك أن اندفع الموظفون إلى مكتب البريد يسألون رئيسة الـكتبة المس آنّا كالارا تا كار ، قولى لنا يا آنسة تا كار : هل رأيت أحدا من الطلبة فى مكتب البريد اليوم ؟ نعم ، اثنين ـــ أحــدهما جاء ليشــترى إذناً بخمسة عشر شلناً ونصف شلن ؛ والثانى يشترى إذنين جملتهما أربعة عشر شــلناً وثلاثة أرباع الشلن . أو كان أحدهما هو الذى صرف الإذن المسروق ؟ نعم ! وهل تستطيعين أن تعرفيه إذا رأيته ؟ كلا ، فإنهم كلهم يبدون متشابهين فى زيهم العسكرى . ولـكنها تذكر أن الذى صرف الإذن هو الذى اشترى إذناً بخمسة عشر شلناً ونصف شلن . وأيهما كان هــذا ؟ إن فى دفاترها جواب هذا السؤال . وكان هو الطالب أرشر ـــ شى (وكانت به حاجة إلى ذلك الإذن ، ليبعث ثمن نموذج لآلة كان يتوق إلى اقتنائها ، ولهــذا سحب فى ذلك الصباح ١٦ شلناً من المبلغ المودع باسمه عند الضابط) .

وقد أخذ أولو الأمر بشهادتها ، ولـكنه بلغ من غباء المحققين أن أول محضر لهذه الشهادة المحفوظة عند الأميرالية أهمل حقيقة جوهرية ، هى أنه فى صباح اليوم التالى فى فناء الـكلية ، عرضت ستة أو سبعة من الطلبة عليها فلم تستطع أن تخرج أرشر ــ شى من بينهم . وقد صار هــذا العجز أوضح وأقطع بعد سنتين ، حين شرع كارســون فى ذلك اليوم القـائظ ، يستجوبها بلطف مصطنع خداع .

أو كان صرف الإذن المسروق ، وشراء الإذن بخمسة عشر شــلناً ونصف شلن فى وقت واحد ؟ نعم ، واحد بعــد الآخر . أو كانت وحدها فى المـكتب حينئذ ؟ نعم . أوهناك التليفون تردعليه، والبرقيات تدونها فى اللحظة التى ترد فيها ؟ نعم والبريد أيضاً أرتبه . أو هذه المشاغل كانت تنأى بها أحياناً عن الشباك ؟ نعم . فإذا حدث أن انصرف طالب عن الشباك وحل محــله طالب غيره فى أثناء بعدها عن الشباك فلعلها لا تلاحظ هذا ؟ هـــذا صحيح . ولما كانوا جميــعاً متشابهين ، فى نظرها ، فإن من الممكن أن يكون أحد الطلاب قد حل محل سواه دون أن تفطن، حينما عادت إلى الشباك، أنه لم يكن

طالباً واحداً طول الوقت ؟ هذا ممكن . إذن لا تستطيع أن تقول أن أرشر — شى هو الذى صرف الإذن المسروق ؟ إنها لم تقل هذا قط ، ولا تستطيع أن تكون موقنة ، إذ تفكر فى الموضوع ، أن الإذن المسروق صرفه فعلا نفس الطالب الذى اشترى إذناً بخمسة عشر شلناً ونصف شلن ؟ كلا ، ليست واثقة تماماً . وكان هذا هو فحوى شهادتها .

وهكذا كانت فى قصتها ثغرة كبيرة تتسع لمركبة . وما كاد السير روفوس يسمع ذلك حتى أدرك أن التهمة قد سقطت . فلما فتحت الجلسة فى اليوم الرابع أعلن ما يأتى :

« بناء على الشهادة التى قدمت، أقول الآن بالنيابة عن الأميرالية ، إنى أسلم بما قاله جورج أرشر — شى من أنه لم يكتب اسمه على إذن البريد ولم يصرف المبلغ، وأنه يكون إذن بريئاً من التهمة » .

وخرج المحلفون من مكانهم ليصافحوا كارسون ووالد الغلام ويهنئوهما ، وتلفت المحامى المتعب باحثاً عن الغلام ليهنئه بنفسه فإذا به يجد أن الغلام ليس فى المحكمة ! وذهب الغلام فيما بعد ، وهو يبتسم ووجهه جذوة نار من الخجل ، إلى مكتب كارسون ليشكره . فسأله هذا المحامى العظيم كيف حدث أن غاب عن المحكمة فى ساعة انتصاره؟ فكان الجواب أنه ذهب إلى المسرح فى الليلة السابقة فسهر ، ثم غلبه النوم فلم يستيقظ فى موعد الجلسة ! لقد ظل كارسون نفسه أسابيع لا تكاد تغمض له فيها عين ! غلبه النوم ! ياإلهى ! ألم يكن يساوره قلق ما ؟ كلا ، ياسيدى . فقد كان يعلم ويثق أنه متى طرحت القضية على المحكمة فإن الحقيقة تنكشف لا محالة . فمسح كارسون العرق عن جبينه ، ثم ضحك . ومن يدرى ؟ لعل هذه خير طريقة لمواجهة مثل هذه الأمور !

وبفضل مجلس العموم لم تذهب هذه القضية صرخة فى واد ، ولم يسمح للجمهور وللأميرالية أن ينسياها ، فقد بادر كثير من النواب إلى المطالبة بأن تتخذ إنجلترا تدبيراً يكفل أن يظل هذا الدرس محفوظاً ، وأن لا يحدث مرة أخرى أن يطرد غلام بمثل هذه الخفة من أوزبورن من غير أن تتاح له فرصة للدفاع عن نفسه دفاعاً صحيحاً .

أما فى هذه القضية على الخصوص ، فإن الوقت كان قد فات ولم يبق محل لشىء غير الاعتذار والتعويض . ولكن الشهر ظل يمضى فى إثر الشهر ، ولا اعتذار ، وأما التعويض ، فلم يعرض أكثر من دفع جزء يسير مما أنفقه الوالد على الدفاع

ومن أجل ذلك تجددت الحملة فى مارس من العام التالى ، وبدأت بالطريقة المألوفة وإن

كانت عتيقة ، وهى المطالبة بتخفيض مرتب وزير البحرية مائة جنيه . وكان كل الذين يشتركون فى الحملة يتكلمون كأنما لا شىء فى الدنيا أعظم خطراً وأجل شأناً من إنصاف غلام واحد لا شأن له ! وقد سيق وزير البحرية المسكين إلى موقف لم يسعه فيه آخر الأمر ، بكرهه ، إلا أن يعرب فى هذه القضية عن أسفه الصريح . بل لقد قبل أن يدفع إلى والد الغلام ما تراه لجنة من ثلاثة أعضاء (أحدهم كارسون نفسه) وانتهى الأمر بدفع ٧١٢٠ ج ، وبذلك يمكن أن يقال إن القضية ختمت .

نعم انتهت القضية ، ولكن القصة لم تنته فإن لها لذيلا . الأشخاص ؟ لقد مات أكثرهم . الغلام نفسه ؟ لما جاء دوره غمس مؤلف الذيل قلمه فى السخرية . وقد تذكر أن الغلام كان فى الثالثة عشرة لما طرد من أوزبورن ، ففى وسعك أن تعرف أنه لما شبت الحرب الكبرى الماضية ، كان قد كبر وبلغ سناً تسمح له بأن يحارب ويموت فى سبيل مليكه ووطنه . فهل فعل ؟ طبعاً ، كجندى . وكان فى أغسطس سنة ١٩١٤ بأمريكا يعمل فى شركة فيسك وروبنسون بحى المال (وول ستريت) واستطاع بطريقة ما أن يعود إلى إنجلترا ، وأن يلتحق بكتيبة سوث ستافوردشير ، وأن يفوز برتبة ملازم ثان ، وأن يعبر البحر إلى فرنسا ليقضى نحبه فى معركة الإيبر ، فى أكتوبر الأول فى هذه الحرب .

وهذه هى قصة أرشر ــ شى الذى لم تبلغ جملة ما عاش على هذه الأرض سوى تسعة عشر عاما . وإنى لأعدها قصة عميقة التأثير ، قوية التحريك للنفس ، وكلما مضت السنون بدت لى ذات دلالة أعمق وأقوى . ومن الممكن أن نقول عن قصة أرشر ــ شى أن مثلها لا يمكن أن يقع فى دولة دكتاتورية وأن عليها لطابعاً إنجليزيا خاصا ـــ وتصور أمة بأسرها تصبح معنية عناية شديدة من أجل مسألة صغيرة تنطوى على مبدأ ، وهى فوق ذلك قصة أبرز رجال فى البلاد يتقلدون السلاح ــ ضد الدولة ، فلا تنس ! ــ لأن غلاماً صغيراً عومل معاملة غير عادلة . ومثل هذا مما يصعب أن يتصوره المرء حاصلا فى ألمانيا على عهد بسمارك وأسرة ولهلم ، ومن المستحيل تصوره فى ألمانيا الهتلرية .

أنباء سارة من جبهة طب الأسنان

ج . د . راتكليف

تسوس الأسنان هو أكثر الأمراض انتشاراً ، ولو تهيأ لجبهة دواء أن تمنعه لكانت هذه الجبهة من ألمع انتصارات البحث العلمى فى جميع الأزمان . وهناك ما يدل على أن عملا مثل هذا قد يكون وشيك الوقوع .

إن السبب فى تسوس الأسنان قد أشكل على الباحثين ألوفاً من السنين ، فقد عزاه أحد أباطرة الصين سنة ٢٧٠٠ إلى الدود ، وفى الأزمنة الحديثة نسب إلى الجراثيم وأحماض الفم والوراثة ، ولكن آخر البحوث ترد أكبر أسبابه إلى الغذاء .

اكتشف الدكتور ه . ترندلى عميد الصحة العامة فى الولايات المتحدة ، الدور الهام الذى يقوم به الفلورين — أحد عناصر القشرة الأرضية — فى هذا الصدد ، وذلك بدراسة شاملة لمدينتى كوينسى وجالسبرج بولاية إيلنوى ، حيث وجد تسوس الأسنان فى كوينسى ، التى يشرب أهلها من ماء ليس فيه غير أثر ضئيل من الفلورين ، ثلاثة أضعافه فى جالسبرج التى يحتوى ماؤها على مقدار كبير من الفلورين . وأكدت له هذا الاكتشاف دراساته المشابهة فى مدن أخرى .

وأعلن فى العام الماضى عن بحث خطير آخر فى الموضوع ، فقد لاحظ الدكتور جورج و . هيرد طبيب الأسنان فى إقليم ديف سميث بتكساس ، أن تسوس الأسنان لا يكاد يكون له أثر مطلقاً فى سكان إقليمه ، واستنتج جماعة من الباحثين حاولوا معرفة سر هذا الحظ السعيد ، أن مرجعه إلى وجود أملاح الفلورين فى مياه الشرب ، مضافاً إليها وفرة الجير والفسفور فى الأطعمة النابتة فى أرض الإقليم .

وائتلف هذان العملان على إصابة هدف خطير : أن تسوس الأسنان قد يمكن عده مرضاً من أمراض نقص الغذاء . إن نقص الفيتامين « د » من الطعام يفضى إلى إصابة الإنسان بالكساح ، ونقص الفيتامين « ج » يؤدى إلى مرض الأسقربوط . وقد يكون تسوس الأسنان ، كهذه الأمراض ، تعبيراً من الجسم عن جوعه إلى طعام خاص ، أهم ما فيه أملاح الفلورين وبعض المعادن

الأخرى ، أو ذلك على الأقل ما فكر فيه الدكتور س . ج . هاروتيان ، طبيب الأسنان الأول فى مستشفى طب الأسنان بوستن فى ولاية ماسا تشوستس .

كان الدكتور هاروتيان يعرف تجربة تؤيد هذه النظرية ، وذهب إلى أن نقص الغذاء أمر يمكن أن يعالج . وذلك أن أحد الباحثين اختلع بعض الأسنان من مجموعة من الكلاب ثم حللها، ليعرف مقدار الفلورين فيها، ثم قسر الكلاب على طعام غنى بالفلورين. وبعد بضعة أشهر خلع منها أسناناً أخرى وحللها ، فوجد مقدار الفلورين قد ارتفع إلى حد كبير . فإذا كانت أسنان الكلاب تمتص المواد الضرورية لبناء الأسنان ، أفتراه فى وسع الأسنان البشرية أن تفعل ذلك ؟

بدأ الدكتور هاروتيان يبحث عن طعام صالح فيه كفاية من الجير والفسفور وأملاح الفلورين التى بدت له واقية من تسوس الأسنان ، وفى النهاية وفق إلى العثور على مادة غنية فى العناصر الثلاثة — وهى عظم البقر مطحوناً مع دقيق .

وأخذ يعد التجربة ، فمن بين ٢٤٠٠ مريض بالمستشفى ، اصطفى تسعة كانوا أشد الجميع قبولا لتسوس الأسنان، وكان متوسط عدد المرات التى شكا فيها كل منهم من التسوس ٥٤ مرة

ووضع الدكتور هاروتيان مسحوق العظم فى حبوب تحتوى كل حبة منها على خمس قمحات ، وهو الحجم الشائع فى شق الحبوب الطبية . وظل تسعة أشهر يعطى ثلاث حبات منها فى اليوم لكل مريض من مجموعة المرضى المختارين للتجربة ، دون أن يغير شيئاً من حياتهم اليومية ، فقد كانوا يطعمون نفس طعام المرضى الآخرين ، ويحيون بالضبط نفس الحياة التى كانوا يمارسونها من قبل .

وطفق الدكتور هاروتيان يفحص أسنانهم شهرياً ، فوجد أن التسوس قد انقطع . وفى خلال التسعة الأشهر كلها لم تستجد سوى فجوة واحدة ! على أن العجيب هو أن الدكتور هاروتيان فى بداية تجربته كان قد احتفر السوس من فجوة فى سن أحد المرضى ، وبدلا من أن يحشوها تركها مفتوحة ، وفى كل الفحوص الشهرية كان يجد هذه الفجوة ممتلئة ببقايا الطعام ، وهى الحالة التى كان يعزى إليها التسوس . ومع أنه لم تبذل أية رعاية لهذه السن طوال الأشهر التسعة ، فإن الفجوة لم يحدث بها أى تسوس جديد .

رفع الدكتور هاروتيان تقريراً مبدئيا ، تحاشى فيه الإسراف فى التفاؤل ، عن هذه

النتائج المبشرة لمجلة الجمعية الأمريكية لطب الأسنان ، جاء فيه :

« إن أهم ما يحدونى لذكر هذه النتائج هو الأمل فى استنهاض باحثين آخرين ليعيدوا التجربة ويتوسعوا فيها ، وإذا كانت مقاومة تسوس الأسنان من اليسر والسهولة بحيث تنهض بها ، إلى هذا الحد الظاهر ، إضافة دقيق العظم إلى الطعام ، فإن هـذه النعمة يجب أن لا يحرمها الجمهور زمناً أطول مما تقضى به الضرورة » .

وكان لهـذا المقال أثره المطلوب ، فإن عشرات من مجاميع أخرى من المرضى يختبرون الآن للاستيثاق من النتائج ، ولا تفتأ هذه التجارب تسير إلى الأمام .

وفى الوقت نفسه يأخذ الدكتور هاروتيان على عاتقه بحثاً أضخم ، وفى هذه المرة يستعمل مجموعة من المرضى قوامها ١١٥ ، وأخذ يفحصهم ستة أشهر بانتظام ، ويسجل معدل تسوس الأسنان فيهم . وقد انتهت هذه الفترة ولما تكد ، وسيبدأ بعد ذلك بإعطاء هؤلاء المرضى طحين العظم مثل هذا الزمن . فإذا اتضح أن هناك تناقصاً بيناً فى مقدار التسوس فلا ريب فى أننا قد حصلنا فى النهاية على درع تذود عنا علة هى منبع الكثير من تعاسة البشر ، وسيكون الدكتور هاروتيان قادراً على الإجابة على هـذه الأسئلة فى الخريف القادم .

ومن الممكن أن يصبح دقيق العظم فى متناول الناس أجمعين ، فالمذابح (السلخانات) تطحن كل عام ألوف الأطنان من العظام لتحويلها إلى سماد ، وفى استطاعتها بنفس السهولة أن تصنع منها طحيناً أدق يتألف منه الدقيق المطلوب ، وقد يباع هذا الدقيق كما تباع الفيتامينات فى مخازن العقاقير ، أو قد يستعمل فى إخصاب الحنطة والخبز والمربيات .

ويحـذر الدكتور هاروتيان المرضى المتسرعين من تعاطى هـذا الدواء قبل أن تصل التجارب الحاضرة إلى أقصى مداها . ففى الوقت الحاضر قد يكون فى تعاطيه خطر إذ أن الفلورين الموجود فى دقيق العظم سام جداً ، حتى إنه ليؤلف عنصراً هاماً فى كثير من سموم الجرذان . ويتغلب الباحثون على سمه بخلط عظام العجول الصغار ، المحتوية على قليل من الفلورين ، بعظام أبقار مسنّـة تحتوى على كثير منه . وليس فى طاقة عامة الناس أن يحتاطوا لأنفسهم هذا الاحتياط .

وستعلن النتائج النهائية لأبحاث الدكتور هاروتيان عنـد الفراغ منها بأسرع ما فى الإمكان .

تنفق هوليود بسخاء على أن تجعل تفصيلات رواياتها مطابقة للحقيقة ، ولكنها تزل بين آونة وأخرى .

"سادتي الأعزاء : إنكم تضحكونني ..."



جرتا پالمر

ملخصة عن مجلة "نيوزويك"
وصحيفة "نيويورك هيرالد تريبون"

من بين ملايين الناس الذين يذهبون إلى السينما كل أسبوع خبراء ثاقبو النظر في معرفة كل شيء ، من الفلك إلى دروع القرن الثاني عشر . فإذا ما وقع أحدهم على زلة في أحد الأفلام كتب تعنيفاً إلى الإستديو ، بل يأتي ما هو أسوأ ، فيرسل صورة منه إلى جريدته المحلية . ولما كان مما يضر بأعمال منتجي هوليوود أن يرموا بالجهل ، تراهم يستخدمون طائفة من البحاث المدققين ، حتى تكون رواياتهم قوية السند ، ولكنهم لا يربحون المعركة أبدا .

فقد ظفرت شركة إخوان وارنر في فلمها الأخير « هذا هو الجيش » بالمعاونة الفنية من وزارة الحربية الأمريكية ، ومع ذلك فلم يكد يظهر الفلم حتى كتب صبي كشاف أن وجه النسر الأمريكي ، في المشهد الأخير ، إلى « اليسار » . ويقول كتاب الصبي الكشاف إن ذلك ينبغي أن لا يحدث أبدا .

وكتب زارع تفاح في « ياكيما » بولاية وشنطون ، إلى سيسيل ب . دي ميل يسأله كيف جاز لجورج بانكرفت أن يأكل تفاحة من تفاح «جوناثان» في مشهد حدث قبل استنبات هذا النوع من التفاح بخمس سنوات !

وضبطت شركة بارامونت متلبسة باستعمال مقياس حرارة حديث الصنع في رواية عن القرن الثامن عشر ، ومن يومئذ أعدّت الشركة أدوات طبية لجميع العهود منذ سنة ١٦٠٠ .

وقد اتخذت الإستديوات الكبيرة مكاتب ، في كل منها ما يربى على ٢٠٫٠٠٠ مجلد وأكثر من ١٫٠٠٠٫٠٠٠ صورة فوتوغرافية لكل شيء ، من الكرنب إلى الملوك ، لكي تضمن الصدق في التمثيل . وهي تتبادلها ويباح لها جميعاً أن تستعمل المجموعة البديعة من قوائم الطعام الفرنسية والبرامج ، وتذاكر السكك الحديدية ، والجرائد السرية ، التي تبرع بها شارل بوابيه

لهوليوود ، حتى أن شركة القرن العشرين « فوكس » لم تجد ، بعد طول البحث ، ترتيب التوقيعات على معاهدة فرساى إلا فى هذه المجموعة .

وما من كتاب هو أثمن عند رجال البحث ، من المجموعة الكاملة لكاتالوجات المبيعات عن طريق البريد خلال خمسين سنة ، أو جداول مواعيد السكك الحديدية الخاصة بجميع بلاد الدنيا ، وبفضلها استطاع أحد الإستديوات أخيراً أن يعرف فى زمن لم يزد على ربع ساعة ، كم تستغرق الرحلة من باريس إلى إلسكهوفو فى بلغاريا .

وصرف سيسيل ب . دى ميل شهوراً وهو يحاول أن يجد تذكرة من تذاكر السفر التى كانت مستعملة حوالى سنة ١٨٠٠ فى البواخر ما بين نيو أورليانس وأوربا . (وقد صرفت التذكرة الأولى فى سنة ١٨٣٥ فلم يستطع معرفة ذلك إلا المتحف البريطانى)

ويجمع الرجال والنساء ، الذين يرأسون هيئات البحث هذه ، بين العلم المدرسى والخبرة بشئون الحياة . وعليهم أن يحرصوا على أن لا يقع خطأ فى البروتكول عند ترتيب جلوس السفراء على الستار ، وعليهم أن يعرفوا آداب المائدة فى جميع البلاد ، وكل ما من شأنه أن يمس شعور الجماعات المختلفة من الوجهة الدينية والقومية .

وتحتفظ الإستوديوات بمجموعات كبيرة من الأدوات ـ ما بين سيارات ، وتليفونات وآلات كاتبة ، قديمة العهد ، ومن الآلات الكاتبة نماذج على أنواع مختلفة من الحروف الأجنبية . ويفخر أحد الإستديوات بمجموعته الكاملة من مكانس ربات المنازل ، من ذلك النمط المصنوع من أغصان الصفصاف إلى آخر نمط فى هذه الأيام . وتجدد رخص السيارات ، لكل ولاية ولكل بلد ، فى كل عام .

واللوحات الرسوم فى كل عهد فائدة كبيرة ، فإن الرسامين الأقدمين كانوا مصورين أمناء ، فلو اردت أن تعرف كيف كان شارع ما فى أمستردام فى القرن السابع عشر ، كان ذلك أيسر عليك من أن تعرف ماذا كان يلبس رجال المطافىء فى نيويورك منذ خمسة عشر عاما . وهكذا يحدث فى أتفه الأشياء ، فقد أراد أحد الإستوديوات نموذجاً لغليون قديم من الصلصال ، ليستعمله فى فلم ما ، فوجد مايطلب فى صورة قديمة ترجع إلى سنة ١٦٦٨ ، فصنع الغليون على غرارها ولم يستعمل فى الفلم إلا لنفخة نفخة واحدة .

وقضت شركة ر . ك . و . شهراً كاملا لتعرف ماذا كان يلبس موقد المصابيح فى ماساتشوستس ، فى الحلقة الأخيرة من

القرن التاسع عشر ، وبأى أنواع المسارج ، على التحقيق ، كان يوقد غاز الاستصباح . وأخيراً صنعت هذه المسرجة ، التى ظهرت أقل من ثانية واحـدة فى فلم « الصاغ الحديدى » ، على غرار مسرجة قديمـة استكشفت فى مخزن أحد مصانع أدوات غاز الاستصباح فى بوسطن .

وأما الروايات التاريخية التى تسجل ناحية من الحياة فى عهد قريب ، فهى خاصة محفوفة بالخطر ، فقد يهزأ بها أى عجوز بين النظارة لأضأل هفوة فيها . وقد اقتضى فلم « ودرو ويلسون » الذى أخرجته شركة فوكس ، إتقانَ عمل مبورة الأهداف ، والرايات ، وملابس اللاعبين ، والبرامج ، التى استخدمت فى ملعب كرة القـدم بجامعة برنستون فى سنة ١٩٠٩ . وكان ذلك عملا غير غريب ، ولـكن من الأسئلة التى اقتضت هذه الرواية الإجابة عنها ما يمثل عناء المخرجين ، مثلا : بأى الألفاظ تكتب برقية بأنك قد فزت بجائزة نوبل ؟ وقد سئلت ستوكهلم فى ذلك . ثم ، كيف كان تصميم عربة السكة الحديد الخاصة بالرئيس ويلسون على وجه الضبط ؟ ولم تستطع شركة بولمان أن تدلى بالبيانات اللازمة إلا بإذن من « البوليس السرى » الذى رفض يومئذ أن يقول شيئاً .

وقد قدم قسم البحث لرواية جيسى لاسكى « مغامرات مارك توين » خمسمائة صورة فوتوغرافية لذلك المؤلف فى أعمار مختلفة ، كما قدم أيضاً ضفادع نطاطة ، ونسخة دقيقة من آلة مهجورة لصف حروف الطباعة وزنها طنان ، رفعت بالآلة الرافعة من الدور الذى يشغله المعهد السمثسونى لعمل نموذج منها .

ولإخراج رواية « رجال مجنحون » وهى قصة الشقيقين ولبر واورفيل رايت ، سئل رجال البحث فى شركة بارامونت : « هل كان هناك مكتب للأرصاد الجوية فى كيتى هوك ، فى كارولينا الشمالية ، فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ ؟ وهو اليوم الذى قامت فيه أول طائرة برحلة جوية — وإذا كان الأمر كذلك ، فاحصاوا على حقيقة وصفه ، بما فى ذلك اللون » . ولقد كان فى مكتب الولايات المتحدة للأرصاد الجوية سجل للآلات التى كانت بهذه المدينـة يومئذ ، ولـكن رجال المكتب رجحوا أنه لم يكن هناك بناء . ولما كان عـدد سكان المدينة فى ذلك العهد لا يزيد عن ٢٥٠ نفساً ، فلذلك لم تكن بها غرفة تجارية محلية تمدهم بالتفصيلات النافعة كما جرت العادة . فلما يئس رجال الإستديو ، أرسـلوا رجلا إلى كيتى هوك ، فزار أكبر السكان سـنا فى المدينة ، فوجد أنه كان كوخاً بنى اللون ، وهدم فى سنة ١٩٠٤

وتسبب الحيوانات كثيراً من المتاعب ، فقد احتاجت إحدى الروايات — ذى يرلنج — إلى خنازير ، وعجول ، ومهور تربى كلها معاً حتى يكمل نموها فى الوقت المناسب ، وإلى ٤٠٫٠٠٠ جرة فيها قمح نام مختلف الطول ، يمكن أن يغرس فى الأرض فى ليلة واحدة ، لإظهار الموسم الملائم .

وقد يدعى متخصص فى البحث ليعرف لماذا يحيط بمنظر من المناظر جو لا يقنع الناظر بأنه الجو الحقيقى . فقد تحير موظفو « آرثر هورنبلو » فى منظر جمهور مزدحم فى نيويورك، التقط فى شارع بلوس أنجلس، وكانت لوحات الإشارات ولوحات الشوارع قد غيرت ، وكانت الزينات كلها تبدو متقنة . وأخيراً وقع أحدهم على مصدر الفساد ، وذلك أن أهل كاليفورنيا يتلكأون فى السير على حين أن أهل نيويورك يسرعون .

إن هوليوود تنفق بإسراف لتكفل صدق التمثيل ، ولكنها يئست من الطموح إلى النجاح الكامل . وإن المخرجين ليعلمون أنهم قد ينفقون عامين و ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى رواية واحدة — وأنهم قد يستأجرون مستشارين فنيين ، وينقبون فى مكتبات العالم ، ومع كل ذلك ، لا يكاد ينقضى شهر واحد على عرض الرواية ، حتى يصل كتاب من متخصص فى تدريب الصقور، أو فى ضربات السباحة الحبشية، قد أغضبه ما رأى ، فيرمى فى وجوههم بكتاب يقول فى أوله : « سادتى الأعزاء : إنكم تضحكوننى . . . »

امتحن ذكاءك

مكعب من الخشب مدهون بالسواد ، ثلاث بوصات طولا وعرضاً وارتفاعاً :

١ — كم ضربة تقسم هذا المكعب إلى مكعبات طول كل منها وعرضه وارتفاعه بوصة واحدة ؟

٢ — كم عدد المكعبات الناشئة عن هذا التقطيع ؟

٣ — كم عدد المكعبات التى لكل منها أربعة وجوه سود ؟

٤ — كم عدد المكعبات التى لكل منها ثلاثة وجوه سود ؟

٥ — كم عدد المكعبات التى لكل منها وجهان أسودان ؟

٦ — كم عدد المكعبات التى لكل منها وجه واحد أسود ؟

٧ — كم عدد المكعبات التى ليس لأحدها وجه أسود ؟

[الجواب ص ٨٩]

« رحلة استكشاف ليس أشهى منها ثمرة ،
فى وسع كل منا أن يقوم بها ويجربها »

تستطيع أن تكون شيئاً – وأنت وحدك

مارى إلين تشيز

أستاذة الأدب الإنجليزى بكلية سميث
ومؤلفة كتاب "الزمالة العاصية"

ملخصة عن مجلة " ييل "

منذ اثنى عشر عاماً تقريباً ذهبت إلى إنجلترا – إلى إقليم كورنوول فيها – بمفردى ، وكانت الرحلة بمثابة تجربة . وأعترف صراحة أنى وإن كنت قد أحببت دائماً أن أنفرد بنفسى ساعات ، بل أياماً ، إلا أنى جعلت أنظر إلى قضاء صيف كامل فى بلد غريب ، بشئ من القلق . وقد اصطلحت على نفسى كل دواعى القلق العادية ، كأن أمرض وأنا وحيدة ، أو يقع لى حادث وأنا مستفردة ، وشر من ذلك كله ما كنت أجده من الوحشة . ولكن عزمى صح فنحيت ذلك كله عن ذهنى ، وسافرت ، وكانت لى حجرة خاصة ، ومائدة لا يشاركنى فيها أحد .

وبدأت أفطن إلى المزايا المستفادة من الوحدة . ويقول هازليت : « إن مزية السفر هى أن يكون المرء حراً فى أن يفكر ، ويحس ، ويعمل كما يحلو له » فكنت أقرأ كما أشاء ، وأساخ من ساعات الليل فى المطالعة ما أسلخ ، وأغنى فى حجرتى على هواى ، ولا أبالى أن أخرج عن النغم ، وأعفانى ذلك من الدعوة إلى المشاركة فى الألعاب على ظهر السفينة ، وهو ما لا أحسنه .

واتسع وقتى للتفكير فى حوادث العام الماضى ، وفى التدبير للعام القادم ، وتسنى لى أن أوازن بين وجهات النظر المختلفة فى كل موضوع يخطر على البال ، وأن أستقر على رأى لى صريح فى كل منها . واستطعت أن أنظر إلى نفسى وأتأملها ، كأنى كنت أحلل شخصاً آخر بلا حاجة إلى مغالطة النفس .

وقضيت ساعات ، ذات يوم ، أحاول أن أتذكر ما صنعت ، وأين كان ذلك ، فى إجازات الصيف فى الخمسة والعشرين عاماً الماضية ، فكان من أثر هذا المجهود أن أدركت مبلغ الغموض الذى يغشى معظم تجاربنا ، لا لأنها ليست بذات قيمة ، بل

لأننا لم نعن بتقديرها فى حينها ، أو بأن نتذكرها ونحياها كرة أخرى فى السنين التالية . وفى يوم آخر نشرت ما انطوى من حياتى إذ أنا طفلة صغيرة ، وأخرجت من ظلمة الماضى الأشياء والأشخاص والأماكن والملاهى التى اشتركت فى تكوينى . وكان مما يسلينى فى الأسابيع التالية أن ألتقى بنفسى وأنا فى الخامسة من عمرى ، أو العاشرة أو الثالثة عشرة ، وأعرف كيف كانت أذواقى ورغباتى وعاداتى وأهوائى يومئذ ، وأن أدركها كما لم أكن أفعل من قبل .

ولما دنونا من « سوثمبتون » أدركت فجأة ، وأنا شاكرة ، أنه ليس ثم أحد أحتاج أن أشاوره وأن أرتب الأمر معه . ففى وسعى أن أتلكأ فى « الغابة الجديدة » أسبوعاً إذا أحببت ، وأن أرقد تحت شجرة وأنام . وخطر لى أنى ما كنت قط حرة بالمعنى الصحيح من قبل ، وظلت هذه النشوة معى طول الصيف على الرغم من لحظات وحشة عارضة تمر بنا جميعاً ، ويكون من فضلها أن تزيد ، لا أن تنقص ، ما نشعر به من الاغتباط والرضى .

وسأظل دائماً أذكر وأحمد تلك الأيام الطويلة فى كورنوول ، وقد كان تعاقبها فى سكون يكسبها قوة ، ويجعل لها شخصية كأنها أفراد ، وكانت تبدو لى كأنها أشخاص نادرة نعتاد أن نسكن إليها ونعتمد عليها ، لأنها مألوفة عندنا وإن كانت جديدة دائماً .

وكنت فى الأصباح الطويلة البطيئة أقعد على ربوة تطل على بحر كورنوول الذى لا يهدأ ، وأروح أقرأ . ولم أكن جلبت معى سوى ستة كتب — ستة أستطيع أن أقرأها وأن أعيد قراءتها : شعر فرجيل ، وجمهورية أفلاطون ، والإلياذة والأوديسا لهومر ، ومختارات أكسفورد من النثر الإنجليزى ، ومختارات بلجريف من الشعر الإنجليزى . ولم أفرغ من هذه الكتب قط . فقد كنت أرفع عينى عن الصفحة كلما أردت ، وأفكر فيما قرأت ، وعينى على الأفق البعيد الذى يتصل عنده البحر بالسماء .

وفى العصر كنت أمشى وحدى ، وأقطع أميالا فوق العشب الأخضر وبين الأشجار المتوشحة ، واشتريت كتباً عن الطيور والأزهار الإنجليزية ، وخرجت فى رحلات أستكشف وأرتاد . وكنت أشرب الشاى مرة هنا ، ومرة هناك ، وفى حدائق الأكواخ حيناً ، وحيناً آخر على جانب هذا الجدول أو ذاك .

وللمرة الأولى فى حياتى ، كانت يدى قابضة على ناصية الزمن ، وكان ينسل ويتفلت وينأى عنى ، ولكنى كنت حاضرة وهو يذهب ويمضى عنى ، فأراقبه وأقول :

« إنك لم تهرب منى . ولقد جدت علىّ بهباتك ، واستطعت أنا المرة الأولى أن آخذها . والساعة الآن الخامسة بعد الظهر ، وسأذكر دائماً هذا الطائر الصغير وهو يلقط بمنقاره قطعاً من كعكتى ، ونور الشمس على الخليج المتورد ، وذلك الغدير الساكن » .

ولمن شاء ، وهو مسافر وحده ، أن يخاطب الأغراب ، وإذا آثر أن يجتنبهم فلن يدرى أحد أنه أحجم . على أن المسافر بمفرده يسهل عليه أن يكتسب أصدقاء كما لا يسهل على من يكون فى رفقة منهم ، لأنه يلفت إليه أنظار الغير ويثير اهتمامهم ، وفى وسعه أن يتقبل ما يتفضلون به عليه ، أو أن يعتذر ويأبى — فإنه حر .

وذهبت عنى الوحدة فى خلال هذا الصيف الذى قضيته بمفردى ، ولم تعد إلىّ ثانية، وحل محلها عزم مصمم على أن أحتفظ من كل يوم ، وبأى ثمن ، بنصف ساعة على الأقل أقضيها فى خلوة تامة بنفسى ، وتبينت أن القراءة أقل عناء من إعادة القراءة ، وأن فقرة جيدة يعيد المرء قراءتها مرات أنفع وأجدى على العقل والروح معاً من كتاب بأسره يعبره المرء خطفاً . ووجدت أيضاً أن النظر إلى شجرة واحدة عشر دقائق يكشف لك عن شخصية كانت من قبل محجوبة حجباً تامـًا ، وإن رقعة صغيرة من الساحل الوعر المتعرج يمكن أن تظل تتجدد لك كلما ألقيت عليها عينك المنقبة . عرفت أن مجرد الانتظار فى سكون، وبدون تفكير فى الظاهر ، يجيئك لا محالة بثمرة مفاجئة شهية . واستفدت علماً جديدا بنفسى ، وبما لى من مزايا ، وما فىّ من مواطن ضعف فيما يتعلق بعملى فى الحياة .

وأحسست أنى تجددت حين عدت من كورنوول فقد صح بدنى ، وأفدت قوة من السير الطويل تحت الشمس وفى المطر ، وأصبحت لى فى رأسى ملاجئ أعوذ بها وأحتمى وأتراجع إليها ، كلما أحسست بالحاجة إلى ذلك — آراء جديدة ، أو قديمة اكتسبت قوة ، وفهم جديد ، وإدراك حديث ، وذكريات طريفة . واكتسبت من الوحدة احتراماً جديداً للغير وتقديراً غير معهود لاضطراباتهم وقلقهم وصرت أستطيع أن أنظر إلى أصدقائى نظرة تقدير جديد ، لأنى غبت عنهم ، ولأنى أيضاً فهمت نفسى فهماً جديداً . وشعرت لأول مرة بالقدرة على معالجة المطالب التى لا تحصى لحياة العمل ، وأقول متواضعاً إنى شعرت للمرة الأولى أنه صار عندى ما أمنحه الغير، من الهبات والأتحاف التى فزت بها على غير انتظار . ولم يتيسر

لى من قبل أن أفوز بصيف كامل أقضيه وحدى . على أنى قد تبينت أن أسبوعين ليس إلا ، يستطيعان أن يضاعفا أيامهما وساعاتهما إلى غير نهاية . ولست أدع يوماً واحداً ينقضى دون أن أظفر منه على الأقل بنصف ساعة من الوحدة ، وقد أقضى نصف الساعة فى النظر إلى الثلج وهو يسقط ، أو أناجى نفسى بما حفظته قديماً مما لا يمحى ولا يبلى ، وفى التفكير أو عدم التفكير ، فينشط عقلى وينتعش ، وتقوى روحى .

وينبغى أن تمنح كل أسرة أعضاءها فترة من الوحدة ينمّون فيها شخصياتهم الفردية . وأخلق بمن يحفّون بالموقد أن يكون اجتماعهم أطيب وأدعى إلى الرضى ، إذا كانوا يقضون بعض الوقت كل يوم منفردين . وأحر بالأسرة حين تخرج تتنزه معاً أن تفيد مسرة جديدة ، إذا كان أعضاؤها يجدون ما يشجعهم على الخروج وحدهم أحياناً .

والأزواج يستعيدون شخصياتهم والشعور بها كأفراد ، لا كأزواج مرتبطين ، إذا كان كل من الزوجين يذهب وحده بين حين وحين ، فيعود الذى فعل ذلك وقد صار عنده ما يتحدث به بلهجة الثقة التى يكسبه إياها لا محالة، أن أمره كان إليه دون مشاركة. وإذا نأى الزوج عن زوجته ، أو نأت هى عنه ، شهراً ، كان ذلك خليقاً أن يزيد سعادة الاجتماع مرة أخرى ، ويجعل حياتهما معاً أحفل بالحب .

ولقد ألفت الكتب وأصحابها خالون لأنفسهم ، وينبغى أن تقرأ وتدرس فى خلوة ، وصورت الصور فى حالة الخلوة أيضاً . ومهما بلغ من اعتمادنا على رأى الغير فيها ، فإن آراء الغير لا يجعلها تتبدّى لنا . وسيظل الفن والموسيقى سراً إذا كنا نذهب إلى المعارض جماعات ، أو أن نشهد الحفلات الموسيقية جماعات . ولن تكون للطير المغرّدة فوق الحقول الأمريكية معنى، إلا إذا ذهبنا وحدنا لنراها تحلق فى الجو وتصدح فى نور الشمس .

وقد خرجت أمس أمشى فى الريف مسافة طويلة ، وكنت وأنا أنظر إلى الطيور الخافقة الجناح ، وأسمع تغريدها وسجعها ، أفكر فى حب الإنجليز القوى للقنابر التى يعدها سانتايانا رمزاً للروح الإنجليزية وعنواناً عليها . وعجبت لماذا لا يكون لكل الأمم مثل هذا الحب العميق للطيور والزهر والشجر التى فى بلادهم ، فإن العشب فى نظر الأسكتلندى جزء من نفسه ، فلماذا لا تكون وجوه أرضنا رموزاً وعناوين لوطننا ، وبعضاً منا لا يتجزأ ؟

وأ كثرنا لا ينشد كنوز الريف من

تلقاء نفسه ، ونحن إما أننا لم نعتد أن نكون بمفردنا ، أو أننا نخشى ذلك فعلا ، وقد اعتدنا زماناً طويلا أن نأكل ونتحدث ، ونتحاور ونتجادل ونفكر ونغنى ، بل نقرأ أيضاً ، جماعات جماعات ، حتى صرنا نشعر بالحيرة ، ولا ندرى ماذا نصنع بعقولنا وأبداننا حين نكون وحدنا . وأصبحنا جمهوراً لا أشخاصاً ، والذى كان فينا مضى فردياً فينا قد شعشع ورقرق بالجماعة ، حتى فقد القوة واللون .

وبذهاب الشجاعة ذهب الكثير من الكرامة الشخصية ، فلسنا نثق بآرائنا وأحكامنا ، وأصبحنا لا نجرؤ أن نمدح أو نذم كتاباً أو صورة ، أو شخصاً أو فكرة إلا بعد أن نتلفت حولنا عسى أن يكون هناك من يؤازرنا إذا كنا على الجانب الآخر غير المقبول . ولم تعد لنا قدرة على اعتصار خلاصة التجارب لمشاركة غيرنا لنا فيها وبهذه المشاركة لم تعد تجاربنا نحن .

فإذا أردنا أن نعيد الألوان إلى شخصياتنا الباهتة ، والحيوية إلى عقولنا الفاترة ، فإن علينا أن نعمل ونفكر وحدنا ، وأن نحاول أن نكون شيئاً بمفرده . وإذا أردنا أن نستفيد من عالم التجارب والناس ما يقدمه إلينا ذلك العالم ، فإن من واجبنا أن نكثر من اعتزاله ، وأن ننشد تجارب جديدة فى أنفسنا . فإن بنا حاجة إلى استمداد القوة والثقة بأنفسنا ، من قوة أعظم منا لا سبيل إلى الفوز بشىء من فيضها إلا بالعزلة من حين إلى حين .

مع الحيوان

وقفت فى ليلة قمراء فى طرف حقل ، فرأيت جماعة من الأرانب تلعب ويثب بعضها من فوق ظهور بعض . ووقف اثنان منها على خلفيتيهما ، كأنهما يتأهبان للصراع ، وبعضها جثم على الأرض فى حين ظل بعض آخر يثب من فوق ظهورها . وتصنّع بعضها هيأة القتال وهى تتقلب متمرغة على الأرض . وظلت تتسابق وتلعب ألعاباً كثيرة أخرى ، وكنت أسمع حيناً بعد حين صيحات الفرح . ولم تكن هذه الأرانب صغاراً فى طباعهن حب اللعب ، كسائر صغار الحيوان ، بل كانت كبارا تستمتع بحظها الوافى من اللهو والحبور .

المروءة فى هذه الحرب — ١

يابانى بدرك حقيقة أمريكا

وليم برادفورد هى • ملخصة عن مجلة " اميريكان ميركورى "

نزل الدكتور « كاس ستمسون » ، ومن ساعده من الأطباء فى سفينة أمداد أثناء الهجوم على جزيرة أتو — من تلقاء أنفسهم ، ليعاونوا الجيش الأمريكى فى العناية بجرحاه . وأخذ الدكتور ستمسون ومعه « ماك كروسكى » طبيب التخدير يبذلان جهدهما فى إنجاز العمليات ، فقد كانت زوارق الصليب الأحمر البخارية لا تنقطع تغدو وتروح بين الشاطىء والسفينة . وعلى ظهر السفينة ، حيث يرقد كثير من الجرحى ينتظرون دورهم صابرين متجلدين ، أخذ كبير الصيادلة الضابط « كوفنز » ومساعده بيرجن البحار ، يمدانهم بحقن الدم والمورفين ومشتقات السلفا العجيبة . وبعد القتال العنيف الذى دار فى شيكاجوف ، ظلت المصابيح الضخمة المسلطة على مائدة العمليات مضاءة طول الليل .

ثم جاء إيتو وكان مجيئه صدمة عنيفة مفاجئة ، فقد دهش كل من فى السفينة وتميزوا من الغيظ حين وضعه حاملو النقالات على السطح مع جرحانا .

فما كان إيتو من إخوانهم فى القتال ، بل هو يابانى ! عدو بغيض مزدرى ذو أنياب ، يكره أمريكا والأمريكيين . وكان أيضاً قذراً قذارة تفوق الوصف ، وكانت تفوح منه رائحة خبيثة حادة خانقة هى أشبه شىء بنتن الفيران الميتة . وأطل مدفعى من الشرفة التى ركبت فيها المدافع المضادة للطائرات وصرخ : « وَىْ يا إخوانى ! ألقوا هذا اللقيط فى اليم قبل أن نختنق جميعاً » . وأخذ جندى من المشاة ، ضئيل الجسم ، مطعون فى فخذه طعنة نجلاء ، يجاهد حتى استطاع أن يقوم على مرفقيه وصاح : « أعطونى خنجرى لأجهز على هذا اللعين » .

وإذا أنت سترت أنفك وحدقت فى وجه إيتو رأيته يقاسى رعباً قاتلا ، وإن كان يبدو مصمما على كتمانه . لم يؤسر إلا بعد أن استنفد هو وزميل له ذخيرتهما وهما مختبئان فى جحر ، ثم أمسك كل منهما بآخر قنبلة يدوية بقيت له ، وأدناها من بطنه وشد فتيلها ، فانطلقت قنبلة زميله فمزقت أحشاءه وهشمت ساق إيتو الذى لم تنفجر قنبلته . ومكث إيتو عدة أيام غارقاً فى دمائه

وذى بطنه ، حتى صارت ساقه كتلة خضراء ملوثة بالوحل والدم ، تفيح منها عفونة الصديد . وحين عثر عليه الجنود الأمريكيون كان لا يزال محتضناً قنبلته التى لم تنفجر ..

وقد أدرك إيتو ، ولا ريب ، لمَ لم يقتله الجنود الأمريكيون العمالقة ، فقد قال لأحد التراجمة إنهم إنما حملوه حيا إلى آلة أعدوها للتعذيب خاصة ، فهم سيصطلمون أذنيه وسيحطمون أسنانه ثم يمزقونه إربا إربا . وها هو الآن يرقد على ظهر السفينة ، تكاد الآلام تقضى عليه ، ولكنه قد عقد العزم على أن يشهد هؤلاء البرابرة الأمريكيين كيف يواجه اليابانىّ الموت .

فماذا تراهم يفعلون به ؟ أيحق لكوفتز أن يجرى فى عروق هذا اليابانى دماً جاد به الأمريكيون — وإنما جادوا به لإنقاذ حياة من هو أمريكى ؟ وهل يحق للدكتور ستمسون أن يخاطر بنفسه ، ويتعرض لما تقذفه جروحه المتقيحة من عفن معدٍ ؟ أليس عمل الأمريكيين اليوم هو قتل اليابانيين لا إنقاذهم ؟ وكان اليابانيون قد اخترقوا منذ يومين خطوط الأمريكيين ، وذبحوا بعض رجال الخدمة الطبية وهم عزل من السلاح : أفلا يحق إذن أن تلقى هذه القذارة المتعفنة فى اليم ؟

ولكن الدكتور ستمسون حين رأى إيتو لم يطل تردده حتى قال : « هل من رجالنا من ينتظر دوره فى غرفة العمليات ؟ » فأجابه كوفتز : « لم يبق لدينا الآن أحد ياسيدى ! » فقال الدكتور : « أدخلوه إذن » .

وسرعان ما خلعت عن إيتو ثيابه العسكرية القذرة ، وحلت عنه أربطته ، ثم صب عليه الصابون المذاب والسوائل المطهرة ، وحقن بدم ، وخدر نخاعه الشوكى ، ثم تقدم الدكتور ليبتر ساقه المتقيحة .

وقد ظل إيتو ، حتى تلك الساعة ، ووجهه متجهم ينطق بالازدراء . ولم يسلبه التخدير نشاط عقله ولا وعيه ، فلما رأى الدكتور حياله منكبا على العمل ، أخذ يدير مستفهماً عينيه الصغيرتين المنحرفتين . وكان الواضح أنه فى نزاع نفسىّ ، فقد كان على ثقة من أن الأمريكيين سيعذبونه ، ولكنه الآن يغالب اعتقاداً أخذ يسيطر عليه أن ما لقن لم يكن إلا كذباً صرفاً ، فاضطربت شفتاه وتصبب العرق من على وجهه ، وأراد ذهنه أن يتصيد كلمة تروى عنه ، وأخيراً وجدها فتمتم : «أمر — يكا» ، « أمر — يكا»

واغرورقت عيناه بالدموع وهو يحاول إقناع نفسه : أنه اكتشف أمراً لا يصدق ، وافترت شفتاه عن ابتسامة خفيفة ، وأخذ يهز رأسه هزا متواصلا .

ودامت العملية أكثر من ساعة ، وكان

الدكتور يعمل بحذر ، ويتريث بين الحين والحين حتى يبلل له ماك كروسكى قناعه بحلول يقيه شر العفونة . واتبع في بتر ساق إيتو خير الطرق المعروفة ، وذلك أن تشدّ طبقة من اللحم حتى تغطى طرف الساق المنبوذة ، وبذلك يصير تركيب الساق الصناعية ميسوراً مريحاً .

ولما حلوا أخيراً وثاق يديه ، أمسك إيتو بذراع الدكتور وانتحب وصاح مرة ثانية: « أمريكا » ثم وضع يديه تحت ذقنه وحاول أن يركع عدة مرات . وكان الدكتور يبدو منهكا ، فابتسم له وقال : « خذوه أيها الفتيان ـ والقوا هذه الساق في البحر ! » فحملها بيرجن ورفعها إلى حافة السفينة وقذفها . ثم تشبّث بالحاجز وأخذ يقذف ما في جوفه .

ولما خرج إيتو من غرفة العمليات استقبلته همهمة الجرحى والبحارة :

ـــ « كان يجب على الدكتور أن يبتر هذه الساق من عند رقبته ! » .

ـــ « أراهن أن إخواننا في كوريجدور يلقون مثل هذه العناية ؟ أف ! يا للعار ! »

إلا أن هذه الهمهمة لم تكن موجهة إلى الدكتور، إذ ما كاد يخرج حتى وقف كل من يستطيع على سطح السفينة وقفة المزهو" .

لم يقلّ ما لقيه إيتو من العناية عما يلقاه الجرحى الأمريكيون . وأخذ في اليوم الرابع يسعى في اجتلاب صداقة كل من كان في السفينة، وهو لا ينفك يحيي ويبتسم، وانهالت عليه الهدايا من السجائر والحلوى بغير حساب . وكانت هدايا البرتقال تهز" هزة فرح ، فيظل يحيي ويبتسم .

ولشد ما كانت خيبة أمله يوم حلت ساعته كي يغادر السفينة ، ولم يفطن إلى ما سيتم في أمره إلا وهم يدبرون أمر تدليته من على ظهر السفينة . فصاح ينادى الدكتور فلما جاءه ووقف بجانب النقالة ، تعلق إيتو بساقيه باكياً ، فإنه يريد أن يرافق الدكتور إلى أمريكا . فهدأ الدكتور روعه وأرسله إلى المعتقل .

وقد جلست مع الدكتور بعد ذلك في غرفته فدار الحديث بيننا حول ما جرى فقال الدكتور : « لو كنت قد صادفت إيتو مختبئاً في ذلك الجحر وأنا مسلح ، لطعنته وقتلته فيما أرجح ، إذ ربما كانت معه ، ومن يدرى ، قنبلة يدوية أخرى . ولكن الجندى الذى عثر عليه لم يطعنه ، إذ أن الأسرى كثيراً ما يكونون غنيمة جديرة بأن تواجه من أجلها أشد المخاطر . وعلى كل حال فإن إيتو حينما وصل إلى السفينة كان إنساناً يتألم ، كما كان أسير حرب له حقوق نحترمها، ولم يكن في وسع القسم الطبي بالجيش

الأمريكى إلا أن يبذل له خير ما لديه من عناية . فسألته : « وهل بذلت قصارى جهدك وعنايتك بإيتو كما كنت خليقاً أن تفعل بالأمريكيين ؟ » .

فأجاب : « بلا شك ، فإن الطبيب إذا ما مد يديه كى ينقذ نفساً بشرية لا يتفاوت مجهوده ، فما كان فى وسعى أن أبذل عناية بربان السفينة أكثر مما بذلت لهذا اليابانى » .

المروءة فى هذه الحرب — ٢

الرحمة أولى

كلنا يذكر كيف كانت معركة طبرق أشبه شىء بحركة المنشار فى الحملة الأفريقية ، إذ كانت تتداول البلدة يد البريطانيين تارة ويد الألمان تارة أخرى . وقد روى الواقعة التالية ضابط يرأس مستشفى بريطانى ، قال :

لما استولت قوات روميل على طبرق بهجوم مفاجىء ، ظل هذا المستشفى يتابع عمله فى هدوء ، بل كان يتقبل ما يأتيه به حاملو النقالات النازيين من جرحى ، سواء أمن الألمان كانوا أم من البريطانيين . ثم خيم الصمت حين قام على الباب شبح يحجب الضوء ، هو الجنرال روميل نفسه . ووقف الجنرال برهة يحدق فى صفوف أسرة المستشفى ثم دنا من جندى ألمانى جريح ، وسأله سؤالا مقتضباً ، وأصغى منتبهاً إلى ردّه . ثم جعل يمشى بين الصفوف ويتريث ليسأل بقية الجرحى الألمان .

وأخيراً أومأ روميل إلى الضابط البريطانى وقال :

« يخبرنى رجالى أن علاجهم لا يختلف عن علاج جرحاكم البريطانيين ، وأن أدويتكم آخذة فى النقصان ، ومع هذا فإنهم يظفرون منها بنصيب عادل . سآمر بإرسال الأدوية إليكم ، فتابعوا عملكم ، ولن يزعجكم أحد » ، ثم خرج .

ووصلت الأدوية التى وعدهم بها من فورها ، فانتفعت بها المستشفى أيما انتفاع فى إنقاذ أرواح كثير من البريطانيين والألمان على السواء . وتم ما وعد به الجنرال ، فلم يتعرض أحد لأعمال المستشفى .

وبعد بضعة أيام تبدل الحظ فى الحرب مرة أخرى تبدلا مفاجئاً ، وإذا قوات روميل تولى الأدبار هاربة ، ولكنها لم تمس

ظل المستشفى ، فى الهزيمة والنصر يعمل ، المستشفى عند انسحابها بأى أذى . وهكذا لم ينقطع عن تأدية رسالته الرحيمة .

[ماجور بيتر . و . رينير]
من هيئة أركان حرب الجيش الثامن البريطانى

المروءة فى هـذه الحرب — ٣

عاشوا بالذكرى

قال لى طبيب عسكرى فى الجيش الألمانى إبان انهيار الألمان فى شمال أفريقية :

إن آخر سفينة من سفنهم غادرت تونس ، كانت من سفن المستشفيات ، فأدركتها مدمرة بريطانية وقادتها إلى بنزرت ، وهى وقتئذ فى قبضة الحلفاء . وفتشت السفينة عند وصولها أدق تفتيش ، ولما لم يلق بها القائد البريطانى شيئاً يخالف ما اتفق عليه قدم اعتذاره ، وأذن لها أن ترحل لساعتها . وكانت تحمل ألفى جريح مع نفر من رؤساء الخدمة الطبية فى الجيش الألمانى . وقال القائد إن ما توخاه من الدقة فى التفتيش إنما يرجع إلى أن سفينتين إيطاليتين من سفن المستشفيات ، أقدمتا من قبل على نقل الغازولين ، فكان إغراقهما جزاءاً وفاقا .

وقبل أن ترحل السفينة صعد إليها أطباء بريطانيون ، ووزعوا خمراً وقطعاً من الحلوى وسجائر ، قال لى عنها محدثى الألمانىّ إنها كانت أول سجائر طيبة دخنها الألمان منذ أسابيع . وكانت ذخيرة السفينة من المعدات الطبية قد قاربت النفاد ، فقام الأطباء البريطانيون بتضميد جراح المصابين بالأربطة الطبية ، ووهبوا للأطباء الألمان مقادير كبيرة من الأدوية . ولما أقلعت السفينة حرستها نفس المدمرة التى قبضت عليها حتى أوصلتها إلى قريب من الشاطىء الإيطالى .

جرى كل هذا بدون تكلف ، وفى جو يسوده الرضى والطمأنينة ، ويتجلى فيه ، فوق هذا وذاك ، إنكار الذات . وأضاف محدثى ، أن نبأ ما جرى قد استفاض بعد بضعة أيام بين جميع أفراد القوات الألمانية فى إيطاليا وأصبح مدار حديثهم . وقد صاح الجرحى وهم يغادرون السفينة فى نابولى :

« إذا كان هؤلاء هم أعـداؤنا ، فلن نصبر على هذه الحرب أكثر مما صبرنا ! » .

أرفد فردبورج مراسـل صحفى سويدى فى كتابه « خلف الجدار الفولاذى » .



كيف تعلم أولادنا الحياة



شيء من الشجاعة والخيال

كلفت القيام بواجب منزلى ، فكان علىّ أن أرسم سلم المنزل ، فأتممت الرسم . وبينا كنت أرفع زجاجة الحبر سقطت نقطة منه فى وسط الصورة ، وكان الوقت لا يسمح برسم أخرى . فتولانى من اليأس ما جعلنى أجهش بالبكاء . ولما علم والدى بما أصابنى قال لى فى رفق : «لا تأسَ يابنى، فإن نقطة الحبر تبدو كبقعة سوداء فى جنب كلب أبيض، فما عليك إلا أن ترسم حولها كلباً . لا تكن قريب اليأس يا عزيزى ، فرب أمر لا يحتاج إلا إلى شيء من الشجاعة والخيال حتى يعود خيراً ما كنت تحسبه شراً . واعلم يا بنى أن ما يرجى خيره من الأمور قليل ، وإن يئست منه أول وهلة » .

ورسمت كلباً حول البقعة، وفى اليوم التالى فازت صورتى بالمكان الأول. وقال المدرس: « انظروا ماذا يفعل شيء من الخيال . فهذا الكلب الصغير قد زاد الرسم الجميل كمالا » .

وما زلت أذكر، إذا ما اربدّت الأمور، ذلك الكلب ذا البقعة السوداء . فتتردّد فى سمعى كلمات والدى المشجعة : « رب أمر لا يحتاج إلا إلى شيء من الشجاعة والخيال ، حتى يعود خيراً ما كنت تحسبه شراً » .

[سوزان كوبر]

نصف ونصف

خرجت يوماً أتمشى ، وكنت فى الثانية عشرة من عمرى ، فرأيت مدرستى تعمل فى حديقتها ، فدنت من سور الحديقة لتتحدث إلىّ . ولم يطل حديثنا حتى سألتنى لماذا يبدو علىّ الهم والقنوط منذ قريب ، فأخبرتها بخيبة شديدة أصابتنى ، أخشى أن تدمّر علىّ حياتى . فنظرت إلى نظرة فاحصة وطلبت إلىّ أن أدخل المطبخ . وهناك وضعت شيئاً من الماء فى كأس ورفعتها إلىّ قائلة : « أهذه الكأس مترعة إلى نصفها أم فارغة إلى نصفها ؟ » .

فقلت فى تؤدة : « كلاهما هى ! » .

فقالت : « نعم ! كلاهما هى . ولن تجدى أحداً كأس حياته مترعة كلها أو فارغة كلها. ولكل منا نصيب من السعادة ونصيب من الشقاء . وإنما يسعد أحدنا أو يشقى بنظرته إلى كأسه .. فإن رآها مترعة إلى نصفها سعد بها ، وإن رآها فارغة إلى نصفها شقى بها .

وما زلت أذكر ، إذا ما نزعت نفسى إلى

الجزع ، أن الكأس مترعة إلى نصفها ، لا فارغة إلى نصفها، فإذا ما فعلت رأيت متاعي كفاء النعم . [كارولين . هـ . موزيس]

لا سحر في الكلمات

كنت طفلة مهملة ، ففي يوم واحد ترجحت على مقص الأشجار فكسرته ، وتسلقت شجرة ومعي دميتي الجديدة فمزقت ضفائرها حتى صارت خيوطاً ، وكسرت طبقاً جديداً وأنا أنشف الصحون. وبعد كل حادث كنت أبادر فأقول : « إني آسفة » ، وكانت هذه الجملة فيما أعتقد جواز العفو والغفران .

وفي اليوم التالي أسقطت قشدة اللبن على غطاء المائدة فقلت: « إني آسفة » ، فما كان من والدتي إلا أن جعلت على رأسي عمامة بيضاء ، وناولتني عصا من الزجاج خلعتها من حامل المناشف وقالت لي : « أنت الآن ساحرة وهذه عصاك السحرية ، فرددي الكلمة السحرية « إني آسفة » عشر مرات على بقعة القشدة هذه » فأطعت أمرها ، وظل سائر أفراد الأسرة يكتمون ضحكهم ، فلما انتهيت قالت لي : « هل زالت البقعة ؟ » .

فقلت وقد خنقتني العبرات : « لا ، إنها لن تزول حتى إذا قلت « إني آسفة » مليوناً من المرات » .

فقالت لي: « إذن، فليست كلمة سحرية؟ هذا ما أردت أن تعرفيه ، فإن كلمة « إني آسفة » لا تمحو بقعة كان يمكن تجنبها بشيء قليل من الحذر » . ولم تعد والدتي تذكر لي الإهمال ، فإذا بدا أني على وشك أن أعود إليه، وجدت المنشفة وعصا الزجاج على وسادتي عبرة لي وتذكرة » . [روث . ك . فوريناش]

بطاقات

كنا على العشاء ذات ليلة وصفحة العيش في طرف من المائدة ، ومدت أمي يدها تحت المائدة ، وبدلا من أن تقول كالمعتاد « قدم الخبز من فضلك » أبرزت بطاقة صغيرة كتب عليها « قدم الخبز من فضلك » .

وانقضت عدة ليال ، فبينا كنت أمسح الزبد على كسرة كبيرة من الخبز ، برزت أمامي بطاقة مكتوب عليها « قطع الخبز من فضلك » . وتوالى ظهور هذه البطاقات على المائدة بين حين وآخر . فكان منها : « لا تطلب قسطاً آخر من الطعام حتى يفرغ والدك من قسطه الأول » و « لا تزاحم جارك بمرفقيك » . وجلس يوماً ما ضيف غير منتظر إلى مائدتنا ، فوجد بطاقة تستقبله جاء فيها : « لا تتكلم حتى يخلو فمك من الطعام » . وكان هذا آخر العهد بالبطاقات، بيد أن دروسها بقيت راسخة في ذهني إلى اليوم . [إلن . ر . جولدبرج]



حرّاس حيوان البر

أرشيبولد روتلدج

ملخصة عن مجلة « الحقل والجدول »

وقفت ذات مرة ، تسترنى أغصان كثيفة دانية من شجرة أرْز ، أراقب غزالين من الغزلان البيض الأذناب التامّة القرون ، يرتعان فى غيضة من غياض البراريّ ، فسحرنى فى أول الأمر نبل شمائلهما ورشاقتهما ، ولكن سرعان ما تبينت غرابة ما يفعلان : فقد كانا يتناوبان المرعى . فبينا يقضم أحدهما الكلأ مسترخياً ناعماً ، يقف الآخر — تالع الجيد ، ينفض ببصره مسارب الغياض ، ويستروح أنفه الهواء — يحرسه من عدو يدهمه . ولقد ظللت أرصدهما نصف ساعة ، فما توانت فى التناوب على الحراسة لحظة واحدة .

ومرةً أخرى ، قادنى رئيس عمالى ندبّ دبيباً إلى طرف طريق فى غابة ، حيث رأيت وعْلين قد رقدا كلاهما على الجنب الأيمن متدابرين ، وبذلك نصبا وجوههما شطر اتجاهين مختلفين . وهذه طريقة محكمة يحميان بها أنفسهما من الخطر من أى وجه أقبل .

وكثير من الحيوانات البرية ، وبخاصة ما يسير منها أسراباً ، تحفظ غِرّتها بأن تتخذ من بعضها خفراء يحرسونها . ولم تقع عينى على سرب من الظباء بلا رقيب ، إلا يوم رأيت خمسة منهن فى أكمة ، غير أنها كانت ترتع سامية الأعناق ، فلم تكن بها حاجة أن يقوم لها أحدها مقام الحارس .

والثور الأمريكى، الذى يسرح فى سهول أمريكا الغربية، يتخذ أبداً حراساً ، وكذلك البقر الوحشية ، والمعزى الوحشية ، والأروايّ (كباش الجبل) ، والوعول الأمريكية ، والأيايل ، والظباء ذوات القرون المحددة الأطراف .

وحراس الطير والحيوان تتخذ ضروباً من الصراخ سرعان ما تصيح لها أخواتها ، فالأيايل تقبع (يخرج الصوت من منخريه فزعاً) ، والغراب يشوب نعيقه بصوت منذر مرتفع ، والسنجاب يخلط نباحه بهمهمة غضب .

ويقدم الدجاج الهندى طلائع تنفض له الأرض من أرجائها ، وحين يبدأ بعض السرب يأكل ، يظل بعضها حذراً ينظر ويصغى . وقد رأيت مرة ديكا رومياً رائعاً يحرس آخر يعفّر نفسه فى حفرة رمل ،

فينفش ريشه ، ثم يستلقى على جنبه وهو يرنّق بعينيه فى الشمس متثاقلا ، وساقاه الكبيرتان ممدودتان على هيئة قبيحة مضحكة .

وبعد قليل هبّ من مضجعه متمهلا ، وسوّى جسمه الفخم ، ونفض عن بدنه المـاوكى سحابة من الغبار ، واصلح ريشه بمنقاره ، ثم ذهب يضطلع بأمر الحراسة . ولم يلبث صاحبه أن بدأ يستمتع بتعفير بدنه مطمئناً إلى رقيب لا يغفل .

وأذكر أنى سألت كارل آ كلى ، الرائد الإفريقى ، عن حراسة الطـير والحيوان ، فأخـبرنى أن من دأب قطعان الجاموس الوحشى الإفريقى أن تبث أمامها الطلائع ، وأن فيـلا أو فيلين يقومان دائمـاً بحراسة سائر السرب ، وأن المرامرى (الكودو) ، وهو جنس من الظباء الكبيرة ، يرسـل ربيئة على أعلى ربوة فى الجناب ، كى يتاح لها أن تشرف على أقصى أطرافه . وقال : إن الأسرة من أسر الغورلىّ لا يزال يكالؤها أبداً فرد منها أو فردان ، كل عملهما أن ينذراها عند إقبال الخطر .

وفى أفريقية نوع معين من صغار الطير ، من جنس مالك الحزين ، يقضى أكثر وقته على ظهر الكركدن (وحيد القرن) ، وطعامها الحشرات التى تتهاوى على هـذا الحيوان الضخم . وليس يصبر على هذه الطير مضيفها البدين الجسيم ، من أجل أنها تلتهم الحشرات التى تؤذيه وحسب ، بل لأنها أيضاً تنذره باقتراب الصيادين .

وحين تمشى أسراب الظباء أو تعدو فى الغاب ، يقف أكبر الذكور سناً يحرس مؤخرتها . ويظن كثير من الناس أنّه يدع سائر السرب يتقدمه حتى يكون هو الذى يتلقى عنفوان الخطر الداهم ، ولكنى أعتقد أنها ذكرى موروثة ، مذ كان أشد الخطر من الذئاب يباغتها أبداً من المؤخرة ، ولذلك يتخذ الظبى المسن مكانه هنالك ، من فرط إشفاقه على ضعاف السرب .

وقد يهمل الحارس أحياناً فى حراسته ، فتلك الأوزّة التى تكون على رأس عصابة الأوز وهى طائرة على هيئة الثمانية « ٨ » ليس عملها أن تضبط سرعة الطير ، واتجاهها ، وارتفاعها عن الأرض ، بل هى أيضاً الرقيب الأول ، فينبغى لها أن لا تقود صواحباتها إلى غمرات الخطر . وذات يوم ، مرت من فوقى عصابة من الأوز القواطع تسير على هيئة « ٨ » ، ورأيت قائدها يسفّ بها مقترباً من ظهر زريبة ، وعندئذ أسرع إليها الفلاح ورماها برصاصة ، فما هو إلا أن ضجت العصابة ضجة عظيمة ، كأنما تؤنب قائدها العاجز ، وسرعان ما استبدل به غيره .



وأنبأني بعض الأدلاء من الهنود الحمر في كندا ، أن من دأب القنادس أن تقيم على أنفسها حراساً ، وبخاصة حين تكون في ضجة عملها وهى تقطع الأشجار وتسقطها. وكذلك تتخذ كلاب البراري ، والسناجيب الصيدنانية ، والراميط ، على أنفسها حراساً . وكثيراً ما اختبأت لكي أراقب ما تصنع ، فأرى مرموطاً يخرج من جحره ، ثم ينفض المكان بعينيه المتلألئتين النافذتين ، فإذا أشعرهن أن لا خطر خرجت تسعى إلى مرعاها، ولكن يتخلف أحدها ، على الأقل، فيختار نشزاً عالياً ليضطلع بحراستها، ويمضى سائر القطيع يرعى ما بقى الحارس ساكناً . فإذا جئت أنا فبدوت لها ، أو آنس حارسها فزعاً ، فعوى لها عواءه القصير ، تفرقت مبادرة إلى أجحارها .

سمعت يوماً ما ، وأنا في البرية ، حفيفاً خفيفاً في غابة بإزائي، فجلست لأنظر ما عسى أن يتسلل منها ، فما كانت إلا خنزيرة ضخمة مسنونة صلب الظهر ، قد دلفت إلى بقعة جرداء في غابة الصنوبر ، حيث وقفت قلقة حذرة متوجسة . وقبعت قباعاً خافتاً خرج على إثره رعيل واحد فيه تسعة خنازير صغار. ولقد استروحت الأم رائحتى ، ولكنها لم تتبين أين كان مكاني .

فلما أقبل إليها صغارها ، راقني منها أن الصغار جميعاً جعلن يقلدن أمهن في وقفة الحذر ، فلما شالت بذنبها تبعتها الخنانيص (صغار الخنازير) ، على ضآلة ما يعرضن من أذنابهن . فلما استقر رأيها أخيراً أين مكاني ، قبعت قباع التحذير ، وانفلتت هاربة تتوارى، ولحقها صغارها بعزم وجرأة .

وخفضت من سرعتها لكي تطيق الصغار أن تتبعها. وعسى يكون هلاكها في إبطائها، ومع ذلك أبطأت — إنها حارس حقٌّ من حراس البر .

● التقدير نصف الكسب .

● والتودد نصف العقل .

● وحسن طلب الحاجة نصف العلم . [الحسن البصرى]

✹ لا تسأل الله أن يخفف عبثك ، بل سله أن يشدّ متنك .

[تيودور روزفلت]

جُندى أمريكا الأول

توماس م . چونسون



الجنرال جورج كاتلت مارشال هو بحكم منصبه ووظيفته فى الذروة بين رجال الجندية الأمريكية ، وقد قام بعمل هام فى هذه الحرب ، وسيقوم بعمل أهم منه فى المستقبل .

والجيش الذى خدمه الجنرال مارشال اثنين وأربعين سنة ، يعرفه ويعتقد أنه من أقدر القواد الحربيين الذين أخرجتهم الولايات المتحدة ، ولكن الوطن والعالم لا يعلمان عنه إلا النزر اليسير ، لأنه يتحاشى الشهرة ، وهو من أجل مركزه لا يبدو إلا وقوراً مستقيم النهج ، يكاد يكون آلة مفكرة لا شخصية لها .

وأوامره الدائمة أينما حل هى أن « لا مساعدين ولا حاشية ولا استقبالات ولا أحاديث » . ولقد نعته أحد الصحفيين بأنه لا ميزة له ، ولكنه يمتاز بأشياء ، فهو امرؤ حلو البشاشة ، حسن المفاكهة ، دمث الأخلاق ، وهو يلقى الناس من جميع الطبقات والدرجات بلا اختيال ولا تعاظم .

وهو يحب معاشرة الناس ، وإن كان لا يظفر منها إلا بالقليل فى هذه الأيام . وليس هو بالرجل الذى يضرب على المكاتب بجمع يده ، أو يهدر بالأوامر . وهو هادئ الطبع ، وإن كان فى بعض المواقف ينفجر عن أشد الغضب .

وأول مرة رأيت فيها الجنرال جورج مارشال كان قد استطاره الغضب ، وكان ذلك فى أثناء الحرب السابقة . فقد ظلت بعض المدافع الفرنسية ترسل قنابلها فتسقط دون الهدف ، وتنفجر على مقربة من الجيوش الأمريكية . فكان اللوم القارص الذى وجهه مارشال إلى ضابط المدفعية المسئول لوماً فى موضعه .

وقد عين فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ — يوم بدأت الحرب فى أوربا — رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش ، واضطلع بعبء إعداد الجيوش الأمريكية وتدريبها وتجهيزها ، وأن يقرر أين تحارب ، وكيف تحارب ،

وبأى سلاح تحارب ، وأن يشرف على قتالها بوجه عام . وهو الذى اختــار القواد فى البر والجو وسلاح الخدمة ، وقواد الميادين . وقد وضع الخطط العامة للحرب ، إذ كان أكبر أعضـاء مجلس أركان الحرب المتحد — وهو المجلس المكون من كبار قواد البر والبحر والطيران من الإنجليز والأمريكيين، فكان فيه شخصية غلاّبة ، نفوذها فى زيادة مســتمرة . وهو يعرف القيمة الحيوية لتوحيد جهود الحلفاء ، وله أكبر الفضل

★ ★

لوحتان من حياة ...

— ١ —

جلس فى نزل سان جورج بالجزائر نحو ستين من المراسلين الحربيين ، نصفهم أمريكيون وسائرهم بريطانيون ، ممن صقلتهم التجارب الكثيرة فى هذه الحرب العالمية ، ينتظرون مقابلة الجنرال جورج س . مارشال .

فتح الباب فساد الصمت ، ودخل الجنرال مارشال ، وهو يدور ببصره فى أرجاء الحجرة وفى عينيه الهدوء وعلى وجهه الثبات ثم قال : « توفيراً للوقت ، سأطلب من كل واحد منكم أن يذكر لى ما يدور فى فكره من الأسئلة » وحول عينيه إلى أول مراسل وقال : « عم تريد أن تسأل ؟ » فسأله هذا سؤالا نفاذاً ، فأومأ الجنرال مارشال برأسه ثم انطلق إلى الثانى ... وهكذا راح يطوف الحجرة حتى سأله ستون مراسلا أسئلة محرجة ، تجمع بين الخطط الاستراتيجية العليا ، وتفاصيل الحرب الفنية ، فى اثنتى عشرة جبهة مختلفة .

حدق الجنرال مارشال فى الفضاء حوالى ثلاثين ثانية ، ثم مضى يتحدث أربعين دقيقة تقريباً ، فكان حديثه قصة سهلة مترابطة مشرقة أحاطت بكل شىء عن الحرب . وكانت القصة من السهولة بحيث تصلح أن تكون باباً فى كتاب ، فقد تضمنت إجابة كاملة عن كل سؤال وجهناه إليه .

وكان أعظم ما أدهشنا منه أنه حين بلغ فى قصته موضعاً يتعلق بسؤال معين حول بصره إلى الذى سأل هذا السؤال .

وقد سمعت بعد من المراسلين تعقيبات كثيرة . فبعضهم قال : إننا عرفنا اليوم أعظم عقل حربى فى التاريخ . وعجب آخرون من سعة إحاطته بالتفاصيل التى يستطيع أن يتذكرها كلها ، ولكنهم جميعاً أجمعوا على أمر واحد هو : « إن هذا هو غرة الاجتماعات الصحفية التى حضرتها أبداً طول حياتى » .

[فردريك س . باينتون]

فى نجاح تعاون الجيوش البريطانية والأمريكية.

ويقال إن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل لم يرفضا له رأياً فى مسألة من المسائل الحربية.

وقد قام الجنرال مارشال بواجباته الباهظة فى سهولة ورفق واقتدار ، وكما قال عنه أحد زملائه الأدنين « لم يحمل نفسه عنتاً فى طلب ما ليس فى طاقته » .

وقد عرفت قدرته منذ باكورة نشأته ، فقد كان ملازماً أول صغير السن يوم أكد القائم مقام « ج . فرانكلين بل »

جندى أمريكا الأول ...

— ٣ —

فى عصر يوم من أيام الآحاد فى الصيف الماضى ، خرج جماعة من المتفرجين يقودهم دليل فى نواحى ميدان موقعة جيتسبرج إحدى مواقع الحرب الأهلية الأمريكية ، وكان الدليل يلقى عليهم بذلاقة لسانه حديثاً استظهره ، عن الجنود الأبطال فى ملابسهم الزرقاء الرمادية ، وما فعلوه فى هذا المكان . وبعد قطعة مؤثرة التفت أحد رجلين ارتديا لباساً لا يستوقف النظر . . . وسأل فى هدوء : « ولكن هل وقع ذلك على أكمة سيمترى ؟ أليس صواب اسمها سيمنارى ؟ » .

فقال الدليل فى سرعة : « والآن سننتقل إلى الأثر الثانى . الآن هنا . . » وبعد لحظات سكت مرة أخرى فسأله الرجل الثانى برفق فى لهجة إنجليزية : دلنى على الصواب ، من فضلك ، أفلم يكن هجوم جيوش الجنوب يوم ٢ يولية متأخراً عن الميعاد الذى ذكرت . . عند الساعة الرابعة مثلا . .

وشاعت حمرة الخجل فى وجه الدليل وتنحنح وتأتأ ، ثم قال إنه غير واثق. وعلى هذا المنوال سار الأمر ، وكلما تدفق الدليل فى حديثه انهالت عليه أسئلة الرجلين ، وعجز عن أن يجيب ، ولكن الزائرين لم يريدا بذلك أن يتعالما بل كانا يريدان التحقق . وحين رأيا أن حيرة الدليل تزداد ، انسحبا فى هدوء مثلما قدما .

وراح جندى بين النظارة يؤدى لهما تحية عسكرية حين مرا به .

وسأل الدليل : « من عسى أن يكونا ؟ » .

فأجاب الجندى « حقاً ، إن الرجل الطويل الذى سأل أول سؤال هو الجنرال مارشال ، والآخر هو الفيلد مارشال السير جون ديل . وحين تتحدث إلى هذين عن المعارك الحربية يجب أن تحاسب نفسك على كل كلمة . »

[توماس م . جونسون]

علانيـة أن خطط مارشال وأوامره التي أصـدرها في مناورات الفيلبين كانت من أحسن ما أنتج العقل الأمريكي الحربي منذ عهد ستونول جاكسون. فلما كانت الحرب العالمية الأولى عُرف في دوائر الجيش أن نجمه سيرتفع. ولما حرك مليوناً من الجنود لأعظم المعارك، وهي الهجمات «على سنت ميهيل» و«موز أرجون»، وكل ذلك في ثلاثة أسابيع وتحت أستار الليل، دون أن يكشف ذلك الألمان، كما أكد الجنرال فون جالوتز بعد ذلك في مذكراته، أصبح من أجـل ذلك يدعى «أحسن منظمي الجيش». وقد كانت هـذه الخبرة ذات قيمة لا تقدر، حين أسند إليه أمر توجيه حركات الجيـوش على إثر هجوم اليابانيين على بيرل هاربر.

ومما أعين به على هذه القدرة الفائقة في وضع الخطط والتنظيم في حدود التسهيلات المكفولة للتموين والنقل، ذاكرته التي بلغت من القوة مبلغاً خارقاً للعادة. فهي ذاكرة تمكنه من أن يوضح غرضه لضابط صغير بأن يذكر له تفصيلات بعض حوادث سنة ١٩١٨، فيذكر له مثل هـذه التفصيلات الدقيقة: «في صباح يوم ٣ مارس كان الضابط سميث ومعه مائتا جندي من الكتيبة الأولى من فيلق المشاة التاسع، في الطريق المرتفع على مسيرة ميل ونصف من مويسى...».

وهي ذاكرة تمكنه من أن يحضر اجتماع الكونجرس فيـذكر الأرقام والتواريخ والتفصيلات المعقدة لتنظيم الجيش وأعماله، خلال ثلاث ساعات لا تنقطع فيها الأسئلة، دون أن يستعين بمساعدين أو بمذكرات.

وقد ذكر فردريك باينتون قصة عن قوة ذاكرة مارشال العجيبة في أول اجتماع صحفي في أفريقية الشمالية، وأنا أعرف أن الجنرال قد كرر ذلك مرات، ولم يفعـله تظاهراً بقدرته، إذ ليس من أهل الخيلاء والمباهاة، وإنما هي في رأيه الطريق الفعال المختصر للقيام بالعمل. وليس الجنرال بالفخور المعتز بذاكرته، وهو يصفها لك بأنها ذاكرة تقوم على رأى العين لا على السمع، فهو يرى الصفحة المطبوعة بها الأرقام، أو المنظر على طريق مويسى الأعلى، أو جميع ما يريد أن يستذكره.

وقد بلغت هذه القدرة فيه مبلغاً عظيما حتى إنه ليرى الرسالة كلها رأى العين قبل أن يملها. وقد استطاع بذلك أن ينشئ تقريره في شهر سبتمبر عن تقدم الحرب، الذي أثنى عليـه المعلقون والصحفيون لا لصراحته ووضوحه فحسب، بل لأسلوبه أيضاً. وقد تمثل بصر الجنرال مارشال الثلاثين ألف كلمة التي احتواها التقرير، قبل

أن يكتب حرفاً واحداً ، وأملاه بعد ذلك ، ولم يكد يغير سطراً واحداً حين فرغ منه الكاتب على الآلة الكاتبة .

ولكن يقابل هذا العقل الذى يفوق المألوف فى كل الأوقات ، شعوره بأن جيوشه ليست إحصاء على الورق ، أو قطعاً على رقعة الشطرنج ، وإنما هى من البشر ، فلذلك وقف قدرته على وضع الخطط ، وقوته فى التحليل ، وخبرته فى الحرب العالمية الأولى ، على أن يشترى النصر بأقل ما يستطيع من الخسارة فى الأرواح .

وموقف جورج مارشال من الكونجرس موقف معقول هادئ مستقيم . وهو يقول إن القواد قد يكسبون المعارك ، ولكن الشعب هو الذى يكسب الحرب ، ونواب الشعب من حقهم أن يعرفوا ما يقوم به جيش الشعب . وهو يرحب بالنقد الحق الصادر من المجلس لأنه يحملهم على مراجعة أعمالهم وتدبرها .

وهو فى الغالب يحصل على ما يريد ، وأعضاء المجلس يقولون : « إذا قال مارشال إنه فى حاجة إلى رجال فهو كما قال ، ونحن نستطيع أن نثق به » . وفى وشنطن الحافلة بالقيل والقال ، لا تتناوله الألسنة بالأحاديث ، إذ لم يقف أحد بعيداً كل البعد عن الأحزاب والشيع كما وقف .

وهو أنيق الملبس ، ملوّح البشرة ، منتصب القامة ، يبلغ طوله ست أقدام . وهو يحمل وزنه البالغ مائة وثمانين رطلا بخفة ورشاقة ، ويبدو عليه أنه أقل عشر سنوات من سنه التى تبلغ ٦٣ سنة . وكان والده ضابطاً من ضباط الاتحاد فى الحرب الأهلية ، وهو لا يستطيع أن يتذكر يوماً واحداً لم تكن له فيه رغبة فى أن يكون جنديا . وقد ولد فى « يونيون تاون » بنسلفانيا ، والتحق بمعهد فرجينيا الحربى ، فلم يكن إلا شاباً حيياً وحيداً من أهل الشمال فى مدرسة من مدارس أهل الجنوب، ولكنه كان عند تخرجه على رأس فرقته ، ولذلك التحق بالجيش مباشرة .

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى كان ضابطاً ، وخرج منها أميرالاى ، وأكبر مساعدى الجنرال برشنج وصاحبه المختار ، وقويت العلاقة بينهما حتى أصبحت كعلاقة الوالد بولده . وكان أول لقائهما لا يبشر بهذه العاقبة ، فقد انتقد برشنج بكل عنف أعمال الجيوش فى المناورات التى كانت فى فرنسا ، فأجابه مارشال ، ولم يكن حينذاك إلا ضابطاً ، بصراحة لا يقدم عليها غيره : ينبغى للجيوش فى مثل هذه المناورات المعقدة أن تستعد مدة أسبوعين ولا يكفى يوم واحد . فنظر إليه القائد مشدوهاً ،

لحظة ثم انطلق يقول له : «أنت على حق» .

وساعد مارشال فى وضع خطة هجوم الجيش الأمريكى فى كانتيني، وسمعت أن الهجوم سيبدأ ، فهرولت إلى هناك ، فرأيت مارشال فى مخبأ وقال لى : « سأبسط لك الخطة » ، وأخذ يوضح لى معالم خطة المعركة ، ونقلت ذلك كلمة كلمة ، فلما انتهى القتال أرسلتها إلى الجريدة التى كنت أراسلها بنصها وفصها ، ولقد كانت بياناً مفصلا لما وقع ، قد أملاه مقدماً !

وبعد الهدنة عاد مارشال إلى رتبة بكباشى ، واشتهرت قدرته على التنظيم فى دوائر الأعمال ، فعرض عليه عمل بأجر قدره عشرون ألف ريال أمريكى فى السنة ، فرفض ، لأن برشنج قال له : « واجبى أن أبحث كيف أجنب بلادنا تكرار الأخطاء المحزنة التى كلفتنا خسارة الكثير من الأرواح ، فابق وساعدنى » . وصار برشنج رئيس هيئة أركان الحرب ، وصار مارشال مساعداً له .

وكان نتيجة عملهما القيام بمشروع الدفاع الوطنى الذى رمى إلى إعداد جيش مدرب قوامه ٤٥٠٫٠٠٠ جندى . ووافق المجلس على المشروع ، ولكنه نسى المخصصات اللازمة للقيام به ، ووقف مارشال وغيره مهيضى الجناح ، ورأوا كيف يختفى الجيش الذى أرادوه .

ومرارة هذه الذكرى لا تبرح فكر مارشال ، وهى تقوى تصميمه على أن يكون هناك تعاون بين الجيش والمجلس ، وقد قال حديثاً : « إن الموقف الحديث المروع ، وما سيجر من الديون الباهظة ، كان يمكن تجنبه ، لو قبل الوضع العلمى للدفاع الوطنى الذى رمى إليه مشروع ١٩٢٠ » .

وفى سنة ١٩٣٩ عين الرئيس روزفلت مارشال رئيساً لأركان الحرب ، مع أنه كان هناك ٣٤ قائداً أسمى منه منصباً . وقام صابراً بأعباء عمله فى رياسة جيش ليس به سوى ١٧٤٫٠٠٠ جندى منظم ، ناقص العتاد قليل التدريب ، جيش يكاد يكون على الورق لقلة المال الموقوف عليه . فأخذ يتحدث ويكتب ويتعاون مع الصحافة والسينما والراديو ، ليظهر البلاد على الحقيقة المفزعة ، وهى أن لأمريكا جيشا ، ولكنه غير مهيأ للحرب بل غير مهيأ للدفاع ، وتعهد أنه لن يتكرر ثانية ما حدث سنة ١٩١٧ ، إذ أرسلت أمريكا إلى الحرب شبانا قليلى التدريب ، وقال : « هذه جريمة قتل » .

وصدرت من إدارته أوامر أدت إلى وجود جيش قوى مدرب أحسن تدريب ، طبقا لأحسن برنامج فى تاريخ أمريكا . ولما كان يكره الأوامر المعقدة والمساعدين الكثيرين

القليلى الخبرة ، فقد قسم الجيش ثلاثة أقسام متساوية تقريباً فى الكثرة والقوة . وهى القوى البرية والفرق الخاصة بالخدمة وقوى الطيران ، وعلى أنه هو نفسه من المشاة ، إلا أنه قد عرف قدر قوة الطيران من أول الأمر ، وأيد تعزيز قوى الطيران إلى أبعد حد .

والجنرال مارشال يعتقد أن الجيش يمكن أن يكون قويا ودمقراطيا معاً ، ويقول : « ليست هذه ديكتاتورية » ، ويوصى ضباطه بأن يعلموا جنودهم أسباب الحركات ودواعيها.

ولما زار مارشال جنوداً جرحى فى المستشفى، وأدرك من أسئلتهم أنهم لم يفهموا سير المعركة التى اشتركوا فيها ، أمر بإعداد نشرة توضح تفصيلات المعركة ، وسبب وضع الوحدات وعملها ، ووزع هذه النشرة على الجرحى وعلى سائر رجال الفرقة بعد ذلك .

وعلى الرغم من التبعة الجسيمة الملقاة على عاتقه ، ترى عينيه الزرقاوين صافيتين لاتنمان على همّ أو جهد ، ولا يتخلل شعره الأسود سوى شعرات من الشيب ، وهو يقوم كل يوم ، فى هدوء وسكينة ، بعمل يستنفد جهد معظم الرجال .

والوقت عنده مسألة جوهرية ، وهو رجل نظيف المكتب ، ليس على مكتبه سوى سنادة للمذكرات، وزوج من النظارات أطرافها من الصلب ، وعلبة من الخشب الكابلى لحفظ الأوراق . والمساعد الذى لا يتعلم الإيجاز فى عرض المسائل عليه لا يبقى معه طويلا . وينظر الجنرال فى التقارير الملخصة ويبت فيها سريعاً ، ويكتب عليها « نعم » أو « لا » وتحتها إمضاؤه بالحروف الأولى من اسمه .

وأصعب الأعمال التى يتولاها هى الحصول على أقدر الرجال لملء المناصب ذات التبعة ، وهو فى هذا العمل يفيد من التجربة . وهو يذكر كيف أن أقوى هجوم أمريكى ، وهو هجوم موز أرجون فى الحرب الماضية ، قد قام به قادة الكتائب الذين لم تكتشف مقدرتهم إلا بعد أشهر من الاختبار والخطأ . وكان من أهم أغراض المناورات الواسعة النطاق التى أصر عليها الجنرال مارشال ، اكتشاف الضباط القادرين على القيادة المهمة، وتدريبهم على سياسة عدد كبير من الجيوش فى الميدان . ومعظم القواد الذين اختارهم قد نجحوا ، ولكن كان عليه أن ينجد القليل ممن أخفقوا فى المعركة .

وهو يؤيد الضباط الأكفاء ، ويكلأ بعنايته هؤلاء الذين تسوء صحتهم ، ويمنحهم الأجازات أو يعطيهم عملا آخر . ووثب مرة بقائم مقام إلى رتبة فريق ، لأنه أصاب

حيث أخطأ هو . وهو يتيح الفرصة والتقدم للضباط الأكفاء الذين لا يحبهم هو نفسه ، ويبعد غير الكفء يوم يتجلى عجزه بصورة واضحة .

والجنرال يسترخى ويسترد نشاطه بسهولة، وقد حلل الهمّ، وعرف كيف يتغلب عليه ، ومتى أنجز العمل فقد انتهى منه . وحين يوصد باب مكتبه يصبح الوصول إليه متعذراً إلا فى حالات الطوارئ ، وبذلك يحتفظ بقوته .

وهناك صورة فى منزل مارشال فى فورت ماير بفرجينيا ، وهى صورة شمسية للجنود الأمريكيين يصلون فى كنيسة خربة فرنسية ، وهى تكشف عن جانب آخر من أخلاق الجنرال مارشال ، وتمثل عمق عقيدة الرجل الذى قال عن نزولنا الموفق فى أفريقية : « كانت يد الله معنا » .

وقد قورنت صفات جورج مارشال بصفات غيره من القواد العظماء ، وقد قال عنه ونستون تشرشل : « إنه رجل نسج وحده فى سمو العقل والأخلاق » . وربما قال رفقاؤه القليلون إنه شديد الرأفة بجنوده شديد الحذر ، ولكنهم قد نسوا فكه القوى الذى يسترعى النظر ، وأنفه الذى يدل على الشدة ، وأنه ، وإن يكن يستغرق وقتاً حتى يستوثق من أنه فى جانب الحق ، إلا أنه متى صح عزمه انصلت فى طريقه لا يلوى على شىء .

وهناك كلمة ذائعة على الألسنة يرددونها فى وشنطن كلما نجمت أزمة حربية : « لنعتمد على الله ثم على الجنرال مارشال » .

● إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .

[عمر بن عبد العزيز]

● املك زمام نفسك حين تزعجك صغائر الأمور ، واحتفظ بقواك لعظائمها ، فما يضنيك الجبل الذى تستقبله ، بل الحصاة تكون فى نعلك .

تشق صناعة الأطعمة المجمدة طريقها، لكى تيسر للناس جميعا ألواناً من الطعام اختصت بها المطاعم الشهيرة.

ألوان الطعام فى الغد

يزعم اليوم أصحاب مصانع أجهزة التجميد المنزلية أن الأطعمة المطبوخة إذا جمّدت، ثم نفض عنها الجمد بعد حين، ثم أعيد تسخينها، وجدتَ مذاقها هو هو كأنما طبخت لساعتها. أما الفطائر والكعك والخبز والرقاق فتصبح أرق وأجود.

وفى أمريكا قسم «للتجميد المتغلغل» تابع لشركة المنتجات الآلية، يسلم اليوم منازل شيكاجو الأطعمة المجمدة: من البطاطس الفرنسية المقلية والحساء والدجاج وأصنافاً أخرى يهيئها مطعم محلى شهير. وتتوقع هذه الشركة قيام نظام جديد لتوزيع الأطعمة فتطبخ مقادير كبيرة وألوان متباينة من الأطعمة، ثم تجمد فى مخازن عامة، ثم توزع على المنازل.

وقد تردد القول باحتمال الاتفاق مع المطاعم الشهيرة على الأصناف التى تجيدها. ويقال إن المحال التى تلبي طلبات زبائنها بالبريد تفاوض مع شركات مخازن البقالة لاقتسام العمل: فتتولى تلك المحال بيع أجهزة التجميد، وتتولى مخازن البقالة توزيع الأطعمة المجمدة.

ولقد نجحت إحدى الهيئات التعاونية فى تجميد الخبز النضيج، وتنوى جمعيات زراعية تعاونية أخرى أن تشيد مصانع للتجميد ثم تدخل سوق الأطعمة المجمدة. وكليفورد ا. كلينتون يشرف على سلسلة من المطاعم الفاخرة (كافتيريا) فى كليفورنيا الجنوبية، فأعد مشروعاً لطهى الطعام فى مطابخ مركزية، ثم يجمده ويوزعه على عدد كبير من المطاعم المنتشرة فى أرجاء القطر، فيتلافى بذلك التبذير ويضمن الاتساق.

وأخذ معمل الأبحاث الإقليمى الغربى بإحدى مدن كليفورنيا فى إنقاذ الفاكهة المنحطة حجماً وشكلا، فيصنع منها عجينة سريعة التجمد تشبه المثلجات (الدندرمة)، وهذا ينبئ عن ظهور حلوى جديدة رخيصة، غنية بأنواع الفيتامين.

وهناك مشروع يرمى إلى استعمال سفن التبريد بعد الحرب، فتنقل إلى الأسواق أنواعاً من الأطعمة قد لا توجد الآن حتى فى قوائم الطعام.

وإذن نستطيع أن نضيف إلى المستورد

من الخبز والزيت والتين و « الفواجرا » المعجون ، أصنافاً غريبة كمثل ريشستافل الهنود الشرقيين ، الذى يحوى عشرات من العناصر الغريبة ، وكمثل فاكهة المناطق الاستوائية السريعة العطب التى لا تحتمل النقل بالمراكب ، والتى يجب أن تؤكل بعد قطفها مباشرة ، وكمثل الأسماك التى لم يسمع بها إلا علماء السمك ، واللحوم والصيد والدواجن وجميع أنواع المآكل الأجنبية، تطبخ كلها أولا ثم تجمد تجميداً سريعاً ، لتكون معدة للمائدة حين ينفض عنها الجمد وتسخن . ولما كانت البلاد التى اختصت بها تستطيع أن تنتجها بنفقة يسيرة ، فلذلك يمكن استيرادها إلى شتى الأسواق ، وهى فى حالة التجمد الشديد ، فتعرض بأثمان مربحة حتى بعد توفية الضريبة الجمركية .

لغــز السّــيدة المختفـية

الكـسندر ولكوت

ملخصة عن مجـلة « النيويوركر »

نسمع يأتى بعد ذلك ما روى لى منذ سنوات، على أنه منقول نقلا من سجلات شرطة باريس السرية ، عن امرأة اختفت تمام الاختفاء على حين فجأة فى زمن المعرض العالمى بباريس .

وجرى ذلك على الوجه الآتى :

مرّت امرأة إنجليزية وابنتها الغريرة ، وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها أو نحو ذلك، بباريس. وكانت الأم وسيمة الوجه ضعيفة البنية ، وهى أرملة ضابط بريطانى كان من المرابطين فى الهند . وكانت السيدة وابنتها قادمتين من بومباى إلى بلادها .

وكانت باريس مزدحمة بالوافدين لزيارة المعرض ، حتى إن السيدة عدّت نفسها وابنتها مجدودتين لظفرها بغرفة فى فندق « كريون » . وقد ارتاحت الفتاة أشد الارتياح إذ لم تضطرّا إلى طرق البيوت بيتاً بعد بيت بحثاً عن غرفة ، فقد كانت أمها تبدو منهوكة القوى من هذا السفر الطويل بالقطار . وكان لونها يومئذ شاحباً

حتى أن أول شيء فكرت فيه الفتاة أن تستدعى طبيب الفندق ، ضارعة أن يكون ملماً بالإنجليزية ، إذ كانت هي وأمها لا تعرفان من الفرنسية حرفاً .

وجاء الطبيب ، وكان رجلا ضئيلا أغبر ، كريه الرائحة ، مغضن الوجه ، يغيب من شواربه الكثيفة في مثل الأجمة ، وفي عروة سترته ما تطمئن النفوس به ، وهو شارة « اللجيون دونور » ، وقد كان يعرف شيئاً من الإنجليزية . وبعد نظرة طويلة مغمومة ، وبعد إلقاء بعض الأسئلة على السيدة المتعبة في فراشها ، دعا الطبيب الفتاة إلى قاعة الاستقبال ، وأبلغها صراحة أن حالة أمها خطيرة ، وأنه لا سبيل لهما إلى التفكير في الرحيل إلى إنجلترا في الغد ، وأنه خير لها إذا كان الغد أن تنقل إلى المستشفى . . . إلى آخر ما قال .

وسيقوم هو بنفسه على هذا كله . وقد طلب إلى الفتاة في الوقت نفسه أن تذهب من فورها إلى داره ، وتأتى بزجاجة دواء ستعطيها لها زوجته ، وهو دواء لا يمكن الحصول عليه سريعاً من الصيدليات . ومما يؤسف له أنه يسكن في الجانب الآخر من باريس ، وليس عنده تليفون ، ومن المخاطرة الاعتماد على رسول وباريس كلها في هرج ومرج . وما من شك في أن ذهابها مزودة برقعة منه اقتصاد في الوقت وتخفيف من القلق . وفي الردهة السفلى دار بين الطبيب ومدير الفندق حديث حامى الوطيس كان من جرائه أن تولى المدير بنفسه أمرها ، وهو ظاهر العطف عليها ، وأركبها عربة ، وأرشد السائق إلى ما يجب أن يفعله .

وعندئذ بدأ عذاب الفتاة ، وقد درجت المركبة القديمة المتهدمة في الشوارع المزدحمة ، وخيل إليها أن البيت في أقصى الدنيا . وأخيراً وقفت المركبة أمامه . ولقد قرأت زوجة الطبيب الرقعة مرة بعد أخرى ، ثم أجلست الفتاة في حجرة انتظار لا هواء فيها ، وتركتها طويلا حتى أنها جعلت تبكي من شدة اليأس ، إلى أن وجدت الزوجة الدواء ، ولفته وسلمته إليها .

ولقد نهضت الفتاة أثناء هذا الانتظار مائة مرة ، وهمت إلى الباب مصممة أن لا تبقى أكثر مما بقيت . ولقد ظلت الأسابيع التعسة التالية تسخط ألف مرة على نفسها ، إذ لم تستجب لهذا الهاتف الخفي .

ثم جاءت رحلة رجوعها إلى الضفة اليمنى كابوساً آخر ، إذ كانت المركبة تزحف بها زحف القوقعة ، ولم تنته هذه الرحلة إلا حين رأت من الحوذي إصراراً كإصرار البغل العنيد على أن يذهب بها إلى فندق آخر في ميدان فندوم . فقفزت من المركبة إلى

الطريق واستغاثت ، فى ذعرها ، بفتى دلتها ثيابه الغريبة الخشنة وحذاؤه ، على أنه من أبناء جلدتها .

وكان الفتى لا يزال إلى جانبها يحرسها حين وصلت فى آخر الأمر ، بعـد خمس دقائق ، إلى فندق كريون ، ووقفت تطلب مفتاحها . فإذا بالموظف الذى ناولها القلم هذا الصباح لتسجل اسمها ، ينظر إليها نظرة من لا يعرفها ، ويسألها متلطفاً : « من تريد الآنسة ؟ » وعندئذ ملأ قلبها الخوف واستسلمت فجأة لذلك الفزع الذى غالبته واستسخفته حين طرقها فى غرفة الانتظار بمنزل الطبيب ، ذلك الفزع الذى تولد فى نفسها حين ذكرت قول الطبيب لها عرضاً أن ليس عنـده تليفون ، ثم سمعت جرس تليفون يدق دقه المزعج من وراء الباب . وها هو ذا موظف الفندق ينظر إليها الآن كأنها مخلوق به مس يريد أن يدخل غرفة ليست له .

« ولكن ، لا ، الآنسة مخطئة ولا ريب ، أتقول الآنسة أن غرفتها رقم ٣٤٢ ؟ آه ، ولكن الغرفة رقم ٣٤٢ يشغلها المسيو فلان وهو بها منذ أسبوعين أو أكثر » .

فطلبت الفتاة جذاذات التسجيل ، فإذا الجذاذة التى ملأتها ليست بينها . فلما أن جعل الموظف يلم الجذاذات ، وقع بصرها على خاتم حجر الدم المدهش الذى كانت قد لمحته فى أصبعه حين ناولها القلم هذا الصباح ، وكان الخاتم يبرق لها مؤيداً اعتقادها .

ومنذ ذلك الحين وهى لا تلقى فى وجهها إلا أبواباً موصـدة . فهذا طبيب الفندق الذى أرسلها على عجل فى هذا الشوط الذى لا طائل وراءه فى شوارع باريس — يحتج الآن بكل ما أوتى أهل فرنسا من هزّ للكتفين وإيماء باليدين ، مؤكداً أنه لم يرها فى حياته . وهذا مدير الفندق الذى عاونها على ركوب العربة ينكرها بتاتاً ، وإن كان يبدى لها فى أدب استعداده لتقديم حجرة أخرى تستجم فيها ما شاءت من الوقت ، إلى أن تسـتطيع تذكر الفندق الذى نزلت فيه حقيقة ، إذا كان . . .

ذلك أن صـوته المهذب كان فيه دائمـاً تحفظ لا يصرح به ، أن هـذه الحكاية الغريبة كلها قد تكون من اختراع عقلهـا المضطرب . ويومئـذ ، وفى الأيام المهلكة التالية ، شعرت الفتاة أشد الشعور بمراوغة الجميع لها — سواء فى ذلك موظفو الفندق ، وملحقو السفارة الانجليزية ، ومراسـلو جريدة هرالد فى باريس ، ورجال الأمن — وأنهم جميعاً بغير استـثناء يعاملونها معاملة إنسان مخبول العقل . ولقد كان يخيل إليها أحياناً أن باريس كلها تتلفت إليها وتشيعها

بأنظارها ، وأن القوم ينقرون بأصابعهم على جباههم إشارة إلى مصابها فى عقلها .

وكان سندها الوحيد وعزاؤها ، ذلك الفتى الإنجليزى ، فقد آثر تصديقها على جميع الأدلة والشواهد التى أخذت بها باريس كلها، وكان كالركن الركين فى قوته وعناده، وكان إيمانه بها لا محالة غير منطقىّ ، لأنه بدأ يزعم أن جميع هؤلاء الخلق ، لسبب لا يدركه ، متواطئون على ستر الطريقة التى تمّ بها اختفاء السيدة . وقد زاد إيمانه رسوخاً حين وفق ، بعد أن ماطلوه يوماً ، إلى إكراه القوم على السماح برؤية الغرفة رقم ٣٤٢ ، فوجد أنه لم يبق شئ من أثاثها إلا وقد تغير عما عهدته الفتاة وارتسم فى ذاكرتها .

بقى عليه أن يثبت تفاصيل تنفيذ المؤامرة ، ويحدس بالباعث الخفى عليها — وهو لا محالة باعث قوى بحيث استدعى اشتراك باريس كلها فى طى ذكر امرأة لا خطر لها ، ثم هى فوق ذلك امرأة لا عدو لها على وجه الأرض . وأخيراً وقع على عامل يلصق الأوراق على الحيطان ، وكان هو الذى قضى ليلة كاملة يعمل بهمة وعجلة فى تغيير معالم الغرفة رقم ٣٤٢ ، فلما اشترى اعترافه بالمال بدأ الخفاء يبرح واللغز ينجلى .

ولعل القارئ نفسه قد سبق ففطن إلى السر ، وهو أن الطبيب قد رأى فيما تشكو منه السيدة أنه إصابة بالطاعون أتت بها من الهند . فكان أول ما أملته عليه بديهته أن يبعد الفتاة حتى يخلو له الجو فينقلها سراً من الفندق المهدد . فلما ماتت السيدة فى عصر ذلك اليوم ، اتسع الأمر حتى صار مؤامرة من الشرطة لإخفاء هذه الوفاة — مهما نال الفتاة من ذلك — فلو تسرب خبرها لخلت باريس بين عشية وضحاها ، ولحل الخراب بمدينة قامرت بالأموال جزافاً فى سبيل معرضها العظيم الذى فتحت له أبوابها على مصاريعها .

● إنما تنتصر المرأة بالتشبث لا بالكفاح ولا بالشجاعة إنها كالإعلان تنال ما تريد بالتكرار .

[ول دورانت]

الدّياسون
أمل جديد لضحايا الطاعون الأبيض

رالف والاس — ملخصة عن مجلة « يورلايف »

يقضى السل — ذلك الداء الآثم القتّال — على ٦٠٠٠٠ أمريكي فى كل عام، ويحكم على ٢٠٠٠٠٠ من ضحاياه الجدد بالاعتلال شهوراً أو سنوات . وقد عجز الأطباء حتى اليوم عن الطب له طبًّا يحسمه، فما هى إلا الراحة والهواء الطلق، مقترنين أحياناً بضغط إحدى الرئتين، يمهدون بذلك للطبيعة أهدى سبيل للتغلب على الداء .

وها هو العقار المسمى بالدياسون — وهو أحد مركبات أسرة السلفا المنقذة للحياة — ينطوى على أمل التقدم خطوة نحو السيطرة على ذلك القاتل الرواغ . إن الخنازير الهندية مثلا يقتلها السل فى أقل من عام بلا استثناء، ومع ذلك فالاختبارات الدقيقة التى عملت بمؤسسة مايو فى روتشستر بولاية مينسوتا قد أنجلت عن آية مدهشة، فإن نسبة الوفيات إلى الإصابات كانت ٧١ فى المائة فى الخنازير التى تركت بلا علاج كضابط للاختبار، وكانت فى الخنازير التى عولجت بالدياسون ١٤ فى المائة .

وفى تجارب مبدئية على حوالى مائة مريض من البشر، ظهر التحسن على ٧٥ منهم بعد أربعة أشهر ليس إلا من هذا العلاج الكيميائى، وبارح المصحّة كثير من ضحايا السل الذى كانوا لا يستجيبون لوسائل العلاج الأخرى بالمصحات . وأمجد من هذا ما سجله الأطباء من اختفاء الآفات فى مرضى واصلوا أعمالهم بلا علاج، سوى ثلاث حبات من الدياسون فى اليوم .

والآن تجرى تجربة عظيمة شاملة، ففى عشرين من المصحات المختارة بعناية فى شتى أنحاء أمريكا، يعطى الدياسون لحوالى ١٠٠٠ مريض تحت رقابة علمية .

وكما هى العادة فى جميع الحروب ارتفعت حديثاً نسبة الإصابات بالسل ارتفاعاً شديداً، ففى إنجلترا زادت نسبة الوفيات به ١٠ فى المائة، ولا أقل من هذه الزيادة فى ألمانيا . وقد سبب هذا الارتفاع الشنيع فى إصابات الطاعون الأبيض ووفياته قلقاً

السلطات الصحية ، وفى الوقت الحاضر يشغل ضحاياه فى أمريكا ١١٠٠٠٠ سرير من أسرة المصحات .

إن تركيب الدياسون يعود فضله لأحد أساطين الكيمياء فى أمريكا ، وهو عالم من مواليد روسيا وخطه الشيب يسمى الدكتور جورج و . ريزيس مدير قسم الأبحاث فى معامل آبوت بفيلادلفيا . وفى الحرب الماضية ركب ريزيس السالفرسان — الذى أحاطت ألمانيا قبل ذلك سره بحصن منيع — بعد ستة أشهر من البحث الدائب المجيد ، واكتشف بعده الميتافين وهو من أفعل المطهرات الزئبقية المعروفة فى أمريكا .

ولما اكتشف العلماء منذ اثنى عشرة سنة البواكير الأولى لمركبات السلفوناميد ، بدأ ريزيس يجرى سلسلة طويلة من التجارب ليشتق منها مركبات أقوى وأنفذ . وفى سنة ١٩٣٨ قرأ أن العلماء الإنجليز توصلوا إلى تركيب مركب جديد هو « الداى. أمينو. داى . فينيل . سلفون » وأن هذا المركب أثبت أنه أقوى من السلفوناميد أثراً فى كفاح عدوى ميكروبات معينة ، ولكنه سامّ شديد السم ، ومع ذلك كانت تكمن فى صلبه قوة علاجية : إذ دلت الاختبارات فى مستشفى جونز هوبكنز على أن « الداى أمينو . داى . فينيل . سلفون » قد يكون له أثر مضاد للسل .

كان ريزيس يدرك أن عشرين مادة زكتها الدعايات الطنانة ، كصبغات الأنيلين ، وزيت الشولمجرا ، وأملاح الذهب والنحاس ، والجير ، والتيوبركلين ، بدأت حافلة بالأمل فى شفاء السل ، لتنتهى فيما بعد بإخفاق محزن أثناء التطبيق ، ومع ذلك فقد تابع بحثه لاشتقاق مركب قليل السم . وفى سنة ١٩٣٩ ، وبعد اكتشاف عشرات من مركبات السلفا وإهمالها ، حصل ريزيس على مادة سماها الدياسون ، وفى نفس الوقت توصل هـ . باور و س . م . روزنتال من أطباء صحة الولايات المتحدة إلى تركيب نفس المادة .

وثبت من تجارب ريزيس وزملائه المبدئية لهذه المادة على جراثيم السل ، أنها تنطوى على أمل ، وفى سنة ١٩٤٢ استرعت هذه المادة انتباه الدكتور وليم فيلدمان من أطباء مؤسسة مايو ، فبدأ تجربتها فى الخنازير الهندية على نطاق واسع .

أعدى فيلدمان بالسل ٢٨ خنزيراً سليما ، ثم شطر الخنازير المريضة شطرين ، كل منهما ١٤ خنزيراً ليظل أحدهما بلا علاج ، ويعطى الآخر الدياسون ثلاث مرات فى اليوم .

وفى الحـال بدأ معظم الخنازير المعـالجة بالدياسون فى التحسن . ويعادل هـذا فى قيمته أن العقار لم يحدث فى هذه الحيوانات أى أثر ضار . ولما انتهت التجربة بعـــد ٢٢٨ يوماً ، كان ١٢ من بين ١٤ خنزيراً عولجت بالدياسون لا تزال حية ، على حين لم يبق على قيد الحياة سوى أربعة فقط من الخنازير التى لم تعالج . وأشد من هذا توجيهاً للنظر أن رئات ٦٥ فى المائة من الخنازير المعالجـة بالدياسون لم تظهر عليها آفات على الإطلاق .

كان ريزيس متحققاً من أن عقـاره الجديد قد يخطىء إصابة الهدف فى الجسم البشرى ، أو قد يحـدث فيه بجانب أثره العلاجى رد فعل خطير ، ومن أجل ذلك يجب أن يختبر بمنتهى الحذر على يد متخصصين مدربين . واختـار ريزيس وزملاؤه لهذا الاختبـار مستشفى من أحدث مستشفيات السـل فى أمريكا ، وهو مصحة إقليم ليك فى مدينة ووكجان بولاية إيلنوى .

واستعمل الدياسون فى الربيع الماضى لأول مرة فى ووكجان . وفى ستة أشهر أعطى فى مدة ٦٠ يوماً أو أكثر لـ ٧٨ مريضاً ، فى ثلاثة أدوار مختلفة من أدوار السل الرئوى المبكر ، والوسط ، والشديد ، وفى هـذه الفـترة كان المرضى جميعاً يعالجون علاج المصحات المعتاد .

وحـدث تحسن شمـل تلاشى الآفات ، واختفـاء الجراثيم من البصاق ، وتضاؤل السعال والبلغم ، وازدياد العافية ، فى جميع الحالات المبـكرة ، وفى ٩٠ فى المائة من الحالات المتوسطة و٧٦ فى المائة من الحالات الشـديدة . ووقع شفاء مماثل فى أربع من كل خمس حالات من سل العظام ، وهو أحد المظاهر المروعة للطـاعون الأبيض . ويشبه هـذا فى عظم شأنه أن الآثار السامة المعتادة لعقاقير السلفا ، لم يك أى واحد منها مما يدعو إلى الإزعاج .

وقد فحصت حديثاً مع الدكتور تشارلس ك . بتركبير أطبـاء مصحة إقليم ليـك ، سجلات عشرين حالة من الحالات المعالجـة بالديـاســون ، وكان من بينها مهنـدس فى الخـامسة والأربعين من عمره ، دخل المستشفى فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وكان السل قد سلبه ٤٠ رطلا من هيكله المتـداعى ، وألهب جسمه بالحمى ، وأنهكه بنوبات السعال ، فكشفت الأشـعة السينية عن كهف فاغر فى يمنى رئتيه ، وعن آفات حديثة فى اليسرى ولم تنتج الراحة التامة فى السرير ثلاثة أشهر ولا الترويح الجزئى (أى ضغط الرئة لتستريح الأنسجة المعتلة) إلا تحسناً تافهاً فى الحالة .

وبدىء علاج المهندس المريض بالدياسون في شهر مارس ، وبدلا من إبقائه بالسرير في راحة تامة — وذلك ما كان يعدّ على الدوام مثلا أعلى للعلاج — شجع المريض على الرياضة الخفيفة . لقد كان هذا الامتحان امتحاناً بالغ القسوة للدياسون ، ولكنه خرج منه منشور الأعلام . ففي بحر ٩٠ يوماً زاد وزن المريض ٣٠ رطلا ، وانقلب بصاقه سلبيا ، والتأم الكهف ، وتلاشت الآفات حتى سُوّغ له مبارحة المصحة ، واليوم يستأنف المهندس عمله القديم متمتعاً بكل مظاهر الشفاء .

وهذه فتاة في الثالثة والعشرين كان في قاعدة إحدى رئتيها آفة بالغة (والآفات القاعدية أبطأ الآفات استجابة للعلاج) تصحبها آفات في الرئة الأخرى ، وبعد ستة أشهر من تعاطى الدياسون عادت إلى عملها وتلاشت هذه الآفات . وقد وفدت إلى مصحة إقليم ليك ربة منزل في حالة مرض حادّ ، بعد أن قضت سنتين طويلتين تبحث عن علاج . كانت حرارتها ١٠٢ (٣٩° سنتجراد) وفي يسرى رئتيها آفة درنيّة حديثة ، وفي التجويف البلوراوى سائل ، فبدأت تعاطى الدياسون في مارس ، وفي نوفمبر عادت إلى بيتها لتقوم بشأنه بعد برئها من الداء .

وهناك حالة مراجع الحسابات الذى كان يشكو من سل شديد في الرئة اليسرى ، والذى رفض العلاج في المستشفى فتكهّفت الإصابة في ثلاثة أشهر . وبعد تعاطى الدياسون يوميا وهو يقوم بعمله المعتاد ، التحم الكهف ، واليوم يبدو من صورة الأشعة أن الرئة سائرة في طريق الالتئام .

ومن المسلم به أن هذه النتائج لا تنطبق على جميع الحالات بلا استثناء ، فالدكتور بتر يؤكد بشدة أن الدياسون لا يشفى كل ضحايا السل ، وأنه لا يوجد حتى الآن دليل قاطع على أن هذه الحالات المدهشة بشفائها السريع ، ربما لم تكن سوى فلتات منشؤها التركيب الجسماني أو الكيميائي في المريض نفسه ، بل هناك من يتحدث بصراحة عن حالات أخفق فيها الدياسون . ففي ثلاث حالات قاضية لم يكن للدياسون تأثير ، ومات المرضى الثلاثة . وفي ٤٢ حالة متوسطة ترك الدياسون حوالى ١٠ في المائة أسوأ حالا أو تركهم على ما كانوا عليه ، وفي ٢١ حالة شديدة بقى خمس من أصحابها لم يتحسنوا أو ازدادوا سوءاً على سوء .

أما كيف يؤدى الدياسون عمله الشافي فذلك لغز فسيولوجى . وتدل التجارب على أنه ، كسواه من مشتقات عقاقير السلفوناميد ، لا يهاجم الجراثيم هجوماً مباشراً ، ولكنه

يكفّ توالدها ، ومن ثم يعين الكريات البيض فى الدم فى قتالها للغزاة . ويعقب استعماله آثاراً أخرى تشبه ما تعقبه عقاقير السلفوناميد الأخرى — أى الصداع والاضطرابات المعدية ، والخفقان ، والاضطرابات البصرية أحياناً وزرقة الجلد ، ولكن لم يحدث فى أية حالة أى أذى للكلى أو الكبد . ولم يوجد مايسوغ وقف تعاطى الدياسون لقلة احتمال المرضى له، إذ لم يضعف عن احتماله سوى أربعة منهم .

على أن هذه الاضطرابات البدنية البسيطة يقابلها فى الكفة الأخرى حقيقة واقعة هى أن بصاق ثلثى المرضى ، الذين عولجوا بالدياسون ستين يوماً أو أكثر ، صار سلبيا ، وأن ٥٩ من ٧٨ مريضاً بدا تحسن لا نزاع فيه على صورهم المأخوذة بالأشعة السينية، وهذا انتصار مجيد . وأهم منه أن الدكتور بتر يقدر أن ٧٢ من ال ٧٨ مريضاً المعالجين بالدياسون ، كان لا بد من ضغط رئاتهم على أية صورة، لولا هذا العقار المدهش. ولم تعمل مثل هذه العملية بعد بدء تعاطى العقار السلفونى الجديد إلا فى ثلاث حالات .

ومع ذلك فإن السلطات الطبية تحذر — ولها العذر — من أن يعدّ الدياسون حتى الآن إلا أنه عقار تحت التجربة . نعم إنه أحفل المركبات بالأمل فى تاريخ السل ، ولكن يحتمل أن تظهر له آثار إضافية خطيرة فى المجاميع الكبيرة من المرضى ، أو قد يثبت أنه أقل كفاية بكثير مما تدل عليه التجارب الحاضرة .

ومن أجل هذا الظل من الريب الذى تلقيه عليه سلسلة الأدوية التى كانت تعد « شافية » من السل ، ثم أخفقت فى شفائه ، يحذر الأطباء من المبالغة فى التحمس للدياسون ، حتى تثبت كفايته فوق كل نزاع بالمقياس العلمى الثابت الوحيد، وهو التجربة الطويلة على نطاق شامل .

إن الدياسون سوف لا يصبح فى متناول الجمهور ولا الأطباء فى عملهم الخاص ، ولا حتى معظم المستشفيات قبل سنة ١٩٤٥ ، وقد وقف كل ما أنتج منه فى أمريكا للعم ين مصحة من مصحات الدرن التى تختبر العقار الجديد .

سوزان أنتونى ... ممهدة الطريق

ملخصة عن صحيفة
كرستيان سيانس مونيتور

أ . ك . ارمسترنج



استطاعت مجلة « ريدرز دايجست » فى سنواتها الأخيرة ، أن تقدم إلى قرائها نخبة طيبة من المثاليين والمصلحين الاجتماعيين الذين ساعدوا على التقدم الإنسانى ، ويسرها اليوم أن تقدم إليهم قصة مؤثرة عن فتاة فضفاضة الملبس ملتهبة الذكاء ، استمر جهادها ثمانية وخمسين عاماً ، فازت فى نهايتها باعتراف المجتمع بكثير من الحقوق لبنات جنسها .

فى عام ١٨٥٤ ازدحمت قاعة معتمة فى مدينة شيكاجو برجال ذوى وجوه عابسة — بينهم قليل من النساء ، وقد اجتمعوا ليستمعوا إلى فتاة حديثة السن تحدثهم عن موضوع مثير جديد هو « تحرير النساء » .

بدأت الفتاة حديثها فى وقار وهدوء فقالت : « سيداتى وسادتى . أنا سوزان أنتونى ، جئت لأطالب بقسط أوفر من الحرية لبنات جنسى » .

عند ذلك قاطعها رجل : « وهل تريدين بذلك أن يلبس النساء السراويل ! » فضجت القاعة بالضحك . ثم صاح فيها جلف من الرجال : « ولم لا تتزوجين ؟ » ثم قذفها بطماطم أصابتها فى صدرها . وكانت هذه إشارة البدء ، فانهال عليها من جميع أرجاء القاعة وابل من البيض والخضروات الفاسدة.

ومسحت سوزان أنتونى ما أصاب وجهها وملابسها ، ثم استمرت تتكلم دون أن يبدو عليها أثر من غضب أو وجل ، وتضرعت إليهم أن ينصفوها وينصتوا إليها ، فهدأت القاعة ، ولكن أكثر الحاضرين أخذ يتسلل ، ولم يبق إلا قليل منهم لكى يناقشها بعد فراغها من خطبتها .

وقالت سوزان فيما بعد لبعض أتباعها : « كان اجتماعاً حسناً . لقد بدأنا نضئ الطريق » . ولم يكن قذفها بالبيض والخضر ليثير دهشتها ، فقد حدث ذلك خلال ست سنوات مضت ، وهى تناضل فى سبيل نصيب أوفر من الحرية للنساء ، وقد تعودت أن يقابلها المحررون والوزراء والسياسيون بكثير من عبارات التهكم والاستهزاء .

قرأت سوزان أنتونى فى سنة ١٨٤٨ ، يوم كانت مدرسة فى « هارد سكرابل » بنيويورك ، عن اجتماع برياسة السيدتين « إليزابيث كادى ستانتون ، ولكريسيا موت »

للمطالبة بحقوق المرأة السياسية والقانونية . فكان هذا الاجتماع هو أول ما حفزها ، فعاشت بعد ذلك ٥٨ سنة ، قد وهبت نفسها لهـذا الكفاح الطويل المستمر الذى لم يشهد الإصلاح الاجتماعى مثله ، فجميع رؤساء الجمهورية الأمريكية من « لنكولن » إلى « تيودور روزفلت » صافحوا هـذه المرأة التى يشتعل الإيمان فى قلبها ، وقد علت من المنابر ما لم تعل مثله امرأة فى التاريخ .

وكانت القوانين الأمريكية ، يوم بدأت سوزان ، تجعل رب الأسرة حاكما مسيطراً ، وكانت تخوّل له ملكية كل شىء ، حتى ثياب زوجه وأموالها . ولم يكن للوالدة أن تتولى الوصاية على أولادها ، وكان للزوج أن يحرمها ميراثه فيتركها فقيرة معدمة . ومنعت التقاليد المرأة من الاشتراك فى الأعمال العامة ، بل من التحدث أمام الجمهور ، وأغلقوا فى وجهها أبواب الأعمال إلا الموسيقى أو التعليم ، ولم يكن لها أن تتخطى مرحلة التعليم الابتدائى .

وحب سوزان للحرية راجع إلى أنها تنحدر من سلالة « الكويكرز » الذين كانوا يساوون بين حقوق الرجل والمرأة فى البيت . وقد ولدت سوزان فى سنة ١٨٢٠ فى بلدة « أدامز » بولاية «ماساتشوستس» ، وكان والدها « دانيل أنتونى » يعدّ متطرفاً بين جماعة « الكويكرز » ، لأنه كان يشجع بناته على الغناء وهن يغزلن ، كما كان يسمح لهن بالرقص أيضاً . وربما كان لنصحه أكبر الأثر فى تكييف مزاج ابنته سوزان إذ قال لها : « من الخير أن تفعلى ما يدلك عليه عقلك » .

وتركت سوزان عملها ، بعد لقائها للمسز « ستانتون » ، ووقفت وقتها كله على كتابة المقالات وتنظيم الاجتماعات . وكانت مسز ستانتون لا تطالب بأكثر من حق الانتخاب للمرأة ، ولكن سوزان أمكنها أن تقنع زميلاتها بأن حق الانتخاب ليس إلا جزءا من تحرير شامل يخلصهن من جميع القيود والأغلال .

وقد أعلنت بجرأة على الملأ برنامجاً حافلا: أليس على المرأة ما على غيرها من رجال الأمة ؟ أليس يجب عليهن أن يطعن القانون ويدفعن الضرائب ؟ إذن فينبغى أن يكون لهن ما لسائر رجال الأمة من الحقوق المدنية . وجعلت تطوف بالأبواب لتنبه الناس إلى ما تريد ، ولكن النساء أنفسهن كن يقابلنها بقولهن : « يا سيدتى . . . دعينى فلى زوج يعنى بأمرى ..!! »

ورفعت سوزان فى سنة ١٨٥٣

إلى مجلس النواب بولاية نيويورك أول ملتمس رفع إلى هيئة تشريعية للمطالبة بحقوق المرأة ، ولكن أحد الأعضاء الحانقين اتهمها بأنها خطر يهدد المجتمع ، وأعلن أن النساء ليس لهن من الذكاء ما يؤهلهن لفهم الأمور المدنيــة . وحمل « جيمس جوردون بنيت » فى جريدته « نيويورك هرالد » حملة عنيفة على ما سماه : « المسوخ المتنكرة فى ثياب النساء » .

ولكن سوزان لم تثبط همتها ، وظلت تطوف تحاضر الجماهير الذين كانوا ينادون بسقوطها ، فزارت فى سنة ١٨٥٤ أربعاً وخمسين مقاطعة من مقاطعات نيويورك التى تبلغ الستين ، وأنشأت فى أكثرها أندية للمطالبــة بحقوق المرأة ، وخطبت فى عشرين ولاية أخرى . وقد كتبت تقول : « إننا نخطب فى البيادر والأكواخ حيث لا توجد إلا مقاعد من الخشب وقناديل للإضاءة ، ولكن الناس يقطعون عشرين ميلا من كل حدب مقبلين علينا ليستمعوا إلينا » .

وكانت سوزان ذات شعر أشقر متموج مفروق فى وسط الرأس ، ولها فم دقيق سرعان ما يفترّ عن ابتسامة حلوة ، وكانت أنيقة الملبس ، وكان وجهها البيضاوى المستدير يكاد يضىء حين تتكلم ، وتبرق عيناها القاتمتان من حماستها المتقدة ، أما صوتها القوى الساحر ، فكان يرغم كثيرين ممن جاءوا للمشاغبة على أن يلتزموا الصمت وهم يستمعون إليها .

وانهالت عليها طلبات الزواج وأكثرها ممن يرغبون فى الشهرة ، وكانت هى نفسها تحن إلى حياة البيت ، لولا أن احتل كفاحها المكانة الأولى من نفسها

وفى سنة ١٨٥٧ وصلت الأنباء إلى « سوزان » و « مسز ستانتون » بأن مجلس النواب بولاية نيويورك سينظر فى إعداد تقرير عن حقوق المرأة ، فأسرعتا إليهــا مزوّدتين بالثقة القوية فى النجاح ، وبأحمال ثقيلة من الملتمسات ، ولكن الأعضاء أخذوا يقرأون تقريراً بذىء العبارة مثيراً للضحك ، يعلنون فيه أن النساء قد حصلن من قبل على جميع حقوقهن « فإن لهن أن يخترن مكانهن من المضاجع والأصناف المنتقاة من المآكل ، ومن أجل أرديتهن الفضفاضة أبيح لهن مكان أوسع من مكان الرجال » . واستمعت سوزان إلى ضجيج الأعضاء بالضحك ، وهى تكاد تتميز من الغيظ . وقد نصحهــا كثير من أصحابها أن تترك الجهاد فهو جهاد فى غير طائل ، فما كان جوابها إلا أن تعقد اجتماعاً قالت فيه : « كل ميئوس منه فليس بحق » . وبعد

ثلاث سنوات من يومئذ جلست مرة أخرى في شرفة مجلس النواب بنيويورك لتستمع إلى صيغة القانون الذى أباح للنساء إدارة أملاكهن، فكان ذلك أول تشريع ظفرت به.

ودبرت سوزان عند ذلك عقد اجتماعها الحافل الأول في مدينة نيويورك، وكان لا بد من حفل زاخر لتغطية النفقات فأسرفت في الإعلان، فازدحم البهو بالناس. ولكن ما كادت الخطابة تبدأ حتى أخذ جماعة من المشاغبين يقاطعون الخطيبات، وحاول جماعة من الحضور أن يمنعوهن، فنشبت بين الفريقين معركة، وأغمى على النساء حين كان الرجال يلكم بعضهم بعضاً، وهرب أكثر الحاضرين.

فلما انتهت الحرب الأهلية الأمريكية ومنحوا العبيد حقوقهم المدنية وحق الانتخاب، أرادت سوزان أن تظفر بمثل هذه الحقوق للنساء، ولكن نائب «ماساتشوستس» اعترضها بفظاظة قائلا: « إننا على ثقة من أمر العبيد في التصويت، وأما النساء فلسنا على ثقة من أمرهن ...!!»

وأصدرت سوزان عندئذ نشرة إلى زميلاتها المجاهدات قالت فيها: « أظن أنه لم يبق لنا إلا أن نستمر في نضالنا ».

واستمر النضال على أشده، وكوّنت سوزان الجمعية الوطنية لتقرير حق الانتخاب للنساء، ثم ثابرت في البقية الباقية من حياتها على أن تتقدم إلى لجان الكونجرس في كل دورة من دوراته طالبة تعديل القانون لتقرير هذا الحق لهن.

وفي سنة ١٨٦٩ ذاعت أنباء تبعث على الدهشة بأن الهيئة التشريعية الأولى لمنطقة «ويومنج» قد منحت النساء حق الانتخاب. وكانت سوزان قد خطبت في هذه المنطقة من قبل، وكان جماعة من الأعضاء قد أصغوا إلى حديثها، فوافقوا على تقرير حقوق المرأة، كما وافق غيرهم على المشروع — على سبيل المزاح — واثقين بأن الحاكم لن يعبأ به، ولكن الحاكم وافق عليه، وهنأ رجال الهيئة التشريعية بأن جعلوا ولايته أول ولاية في العالم تقرر حق الانتخاب الكامل للنساء. ولم تتورع سوزان عن الالتجاء إلى الأساليب المسرحية في نشر مطالبها، فانتهزت فرصة الانتخاب العام في سنة ١٨٧٢ وتقدمت إلى إحدى الدوائر الانتخابية تريد أن تعطى صوتها، ولكنهم أمروا بالقبض عليها وحبسها، فلما ذاعت الأنباء أحدثت ضجة عنيفة كما كانت تتوقع. وغرمت مائة دولار ولكنها تحدّت الأمر قائلة: «لن أدفع دولاراً واحداً من هذه العقوبة الجائرة» ولم يشأ القاضى أن يرفع من شأنها، فأمر بالإفراج عنها.

وانقلب الحظ شيئاً فشيئاً فى مصلحة سوزان ، فقبلوا شيئاً بعد شىء جميع الإصلاحات الاجتماعية التى اشتمل عليها برنامجها ، وكان اختراع الآلة الكاتبة سبباً فى الاستعانة بالنساء فى المكاتب والصناعات. واستبدلت المدارس العليا بالمعاهد النسائية فكان ذلك أيضاً سبباً فى انتشار « التعليم المختلط » الذى طالما دعت إليه سوزان حتى اتهمت بإفساد الأخلاق. وبدأت الهيئات التشريعية تمنح النساء حق الملك ، وفى سنة ١٨٨٧ منحتهن ولاية « كانساس » الحق فى التصويت للمجالس البلدية . ثم مرت سنوات قليلة فإذا ثلاث ولايات أخرى هى « كولورادو » و « يوتاه » و « أيداهو » تمنحهن أيضاً حق الانتخاب العام .

وكان المشيب يومئذ قد جلل رأس سوزان ، ولكنها احتفظت باعتدال قوامها وبالحماسة المتوقدة وهى تتكلم . وأولموا لها وليمة كبيرة فى مدينة وشنطن احتفالا بعيدها السبعينى ، ولكنها وصلت متأخرة عن الموعد ساعة كاملة ، ثم تقدمت إلى الهاتفين لها معتذرة : « كنت أحادث نفراً من رجال الكونجرس » .

فلما كانت سنة ١٩٠٠ كان نضالها قد عم جميع الولايات الأمريكية ، وبلاداً أجنبية أخرى . وقد خطبت فى إنجلترا جماهير زاخرة ، ودعتها الملكة فكتوريا لتناول الشاى معها . فلما كانت سنة ١٩٠٤ حضرت أول اجتماع للجمعية الدولية للنساء فى برلين — على أنها سيدة أبطال نساء الأرض . ثم أسرعت عائدة إلى أمريكا فتحادثت مع « تيودور روزفلت » وأقنعته بالموافقة على تأييد متحفظ لمنح النساء حق الانتخاب . وفى آخر مؤتمر شهدته فى « بلتيمور » فى سنة ١٩٠٦ ، وهى يومئذ فى السادسة والثمانين من عمرها ، استقبلها الجمهور بعاصفة من الحماسة والتقدير .

ثم ماتت سوزان فى نفس السنة ميتة هادئة ، ولكن جهادها لم يمت ، فأكمله غيرها حتى بلغ الذروة عند نشوب الحرب العالمية ، حينما شغلت النساء مكان الرجال فى المكاتب والحوانيت والحقول . وفى سنة ١٩٢٠ أبرم التعديل الدستورى الخاص بمنح النساء حقوق الانتخاب ، فتم بذلك تنفيذ برنامجها فى وطنها . فلما كانت سنة ١٩٤٣ أصدرت ولايات كثيرة فى أمريكا قوانين تسمح للنساء بأن يكن محلفات فى المحاكم ، فتمت بذلك لهن جميع حقوقهن المدنية .

ولو بقيت سوزان إلى اليوم لأدهشها كيف تحققت أحلامها كاملة ، ولكن من يدرى ، فربما استمرت فى جهادها . فإن طريق التقدم طريق لا نهاية لها ...!

وعـــد صادق بتحسين جـــديد فى الأرز
وهو عماد الطعام لألف مليون من البشر .

ثورة فى تحضير الأرز

جورج كنت • ملخصة عن مجلة "وشنطن پوست"

فى مخزن قديم فى هوستون بولاية تكساس الأمريكية ، أخذ رجلان حاذقان يعملان فى تحقيق فكرة قد تجلب الصحة والعافية للسواد الأعظم من سكان المعمورة . فهما ينتجان أرزاً أبيض هو غذاء كامل ، يحتفظ بنحو ٨٠ ٪ من الفيتامينات والمواد المعدنية التى فى حبوب الأرز الناضجة فى الحقل ، ولقد أطلقا عليه اسم « الأرز المحوّل » ، وله لون القشدة يتحول بعد الطهى إلى أبيض ناصع .

و « الضرب » يسلب الأرز العادى قدراً كبيراً من مواده المغذية ، فيصل إلى يد المستهلك وهو مادة نشوية خالصة على الأكثر. والذين يأكلونه غير مخلوط بالخضر الأخرى واللحم يعانون ضعفاً مزمناً ، ويعرضون أنفسهم لمرض البرى برى والبلاجرا . ولكن هذا الأرز الجديد يحول بين المرء وبين أمثال هذه الأمراض الناشئة عن نقص فى التغذية .

ونصف سكان المعمورة البالغ عـددهم ٢٠٠٠ر٢ مليون نسمة يتغذون بالأرز على الأكثر ، فبعد أن تضع الحرب أوزارها ، سيعينهم هذا الأرز على أن ينالوا صحة أتم وعمراً أطول . أما الرجلان اللذان أحدثا هذا الانقلاب فى تحضير الأرز فهما غوردون هارويل وأريك هوزنلوب ، ومصنعهما ينتج الآن حوالى ٠٠٠ر٢٠٠ رطل من الأرز المحول كل يوم ، يستنفدها جميعاً جيش الولايات المتحدة . وسيضاعف هذا الإنتاج مصنع جديد يتم إنشاؤه فى مدى أشهر ، وسيبدأ العمل حالا فى أربعة مصانع أخر يديرها ناس آخرون .

كان هارويل – من قبل – سمسار حبوب فى هوستون ، وهى مدينة من مدن الأرز الكبرى ، فأثاره ما قرأ عن نقص التغذية فى الأرز الأبيض ، وهتف فى قلبه هاتف أنه يستطيع بطريقة ما أن يستبقى فوائد الأرز إن هو طهاه على نسق خاص ، فأخذ يطهى قبضات من الأرز فى أوعية الضغط البخارى.

وحين بدا له أنه يسير على النهج القويم ، ترامى إليه خبر ما عمل هوزنلوب ، وهو كيميائى إنجليزى ، متوفر على مسائل الغذاء وكان قد قضى عشر سنوات يبحث الموضوع نفسه ، ثم أخرج للناس الأسلوب الصناعى الضرورى لتحضير الأرز . فكتب هارويل

رسالة إلى إنجلترا . ولكن هوزناوب كان منزعزع العزيمة حين وصلته الرسالة ، فلقد كان مشروعه يرمى إلى إنشاء مصانع فى الهند وفى البلاد الأخرى التى تعتمد فى غذائها على الأرز ، غير أن الحرب وقفت عقبة فى سبيله ، فما حركته كلمات هارويل ، إذ ماذا عسى تكون ستة أرطال يستهلكها الفرد الأمريكى فى السنة ، إذا قورنت بما يستهلكه الهندى الواحد وقدره ٣٥٠ رطلا!

وكتب هارويل رسالة ثم أبرق ثم اتصل بالتلفون . وأخيراً رحل الإنجليزى إلى الولايات المتحدة . ولم يكن أول همه أن يزور هارويل ، بل قضى أسابيع يزور مصانع الأرز الكبرى فما استطاع مشروعه أن يغرى أحداً ، فأخذ أهبته ــ وقد استبد به اليأس ــ ليعود إلى وطنه . وانطلق هارويل إلى المطار ليراه قبل أن يبرح . غير أن حادثاً تافهاً وقع ، فكان من الحوادث الكثيرة التى تقع لتغير مجرى حياة الإنسان : زلت قدم هوزناوب ، فانخلعت كتفه ، فحمل إلى المستشفى . وبعد أسبوع ، وقبل أن يترك الإنجليزى فراشه ، كان هارويل قد عقد معه اتفاقاً . كان ذلك فى أواخر سنة ١٩٤٢ فأقنع هارويل مجلس الإنتاج الحربى الأمريكى أن يمنحه بعض ما يحتاج إليه . فعثر على صهريج للضغط فى مخزن الآلات المستعملة بإحدى المدن ، ووجد غلاية فى مدينة أخرى . ثم سحب من البنك كل ما ادخر ، وطرق كل باب يستطيع أن يقترض منه ، وأجر مخزناً قديماً ثم أخذ يجهز آلاته ليبدأ إنتاج الأرز المحول .

وحين زرت المصنع فى هوستون منذ قليل ، ألفيت عشرات من العمال يملأون عربات الشحن بالأرز الجديد . وفى مكتب صغير راح غوردون هارويل وإريك هوزناوب يضعان تصميا لتوسع آخر فى العمل .

ولكى ندرك معنى هذا الانقلاب فى صناعة الأرز ، يجب أن نعرف شيئاً عن طريقة ضرب الأرز . فالأرز الشعير تغلفه قشرة متفككة قليلا ، ثم ثلاثة أغلفة أكثر تماسكا . وهذه الطبقات الأربع تحوى الأصول المختلفة لفيتامين ب المركب والمواد المعدنية . ورغبة الجمهور فى الحصول على طعام أبيض ، هى التى حفزت ضاربى الأرز إلى أن يزيلوا الأغلفة الأربعة ليكشفوا عن حبة لؤلؤية تشتمل ــ فى الأكثر ــ على النشا وهذه الحبة تغطى فى الخطوة الأخيرة بطبقة من التلك والجلوكوز لتكسبها رونقاً . وحين يصل الأرز إلى المطبخ تتناوله ربة الدار فتلقيه فى مصفاة وترسل عليه الماء ليزيل التلك ، وبذلك تزيل أيضاً كل أثر لما يكون عالقاً به من فيتامين ب .

وفى طريقـة هوزنلوب ينظف الأرز الشعير ويوضع فى صهاريج مفرغة من الهواء ، فيمتص الهواء من الحبوب ، ثم يدفع الماء الساخن مضغوطاً ضغطاً عالياً جدا ليملأ الفراغ الحادث فى الحبوب . وهكذا يندفع فيتامين ب ، ذائباً فى الماء ، نحو مركز الحبة ، ثم يستعمل البخار فيختم على الفيتامين فى جوفها . وحين يجف الأرز تبدأ المضارب فى إزالة القشرة والأغلفة ، تاركة حبة صلبة يميل لونها إلى الاصفرار ، لا تزول موادها الغذائية إذا ما غسلت بالماء .

وقد أثبتت التجارب الدقيقة التى أجراها الجيش ، أن الأرز المحول يقاوم التلف سنوات ، فى شتى الأحوال الجوية . أما السوس ، الذى يكلف ضاربى الأرز الملايين كل سنة ، فلا يستطيع أن يجد طريقه إلى تلك الحبوب الزجاجية القاسية . وهى تتفكك تفككا سهلا إذا ظلت على النار ما بين عشرين دقيقة وثلاثين ، وتظل محتفظة بحالتها ليلة كاملة ، إذا هى حفظت فى الثلاجة .

ولقد قرر الدكتور م . س . كيك ، كيميائى الأرز بجامعة أركنساس ، فى جريدة « رايس جورنال » أن مقدار فيتامين ب فى الأرز المحوّل ، هو ضعف مقداره فى الأرز الأبيض المصقول أو ثلاثة أضعافه . وأعلن الكولونيل رونالد . ا . إيسكر ، مدير الأبحاث بسلاح الأمداد والتموين ، أن الأرز الحديث من أهم التطورات العلمية فى الحرب العالمية الثانية . وقال الدكتور ر . ر . وليم ، عضو المجلس الأهلى للأبحاث إن تحويل الأرز هو « أفضل الأساليب العملية لزيادة قيمة الأرز الغذائية » ، ثم أعرب عن رأيه بأن هذه العملية قد تحدث تطوراً أساسياً فى طريقة ضرب الأرز فى جميع أنحاء العالم .

ويعتقد المشايعون لهذه الطريقة أنه يمكن استخدامها فى جميع أنواع الحبوب . وبها أنتج هوزنلوب قمحاً كامل الفيتامين ، وعالج بها الشعير وجريش الذرة . وهذا الأخير مهم ، لأن نقص الفيتامينات فى الذرة يحدث كثيراً من أمراض نقص التغذية بين فقراء الولايات الأمريكية الجنوبية . ولهذه الطريقة ميزة أخرى ، فبها يمكن حقن الأرز والقمح والحبوب الأخرى بفيتامينات وعناصر معدنية لا توجد فى أنواعها الطبيعية .

وقد ظل الأرز طعاماً حوالى ٥٠٠٠ سنة فلم يدخل عليه تحسن جوهرى ما ، إلا ما كان من تحسين فى أصناف غزيرة المحصول . ولعل الأرز المحوّل ينفث فى مستهلكى الأرز فى كل أمة ، حيوية جديدة تزيد شيئاً كثيراً فى ثراء العالم وسعادته .

« دافيد برجر ، رجل فرد يقوم مقام معهد فى إصلاح الصغار الذين يضلون عن سواء السبيل »



منقذ الطفولة المشردة

وب والدرث

ملخصة عن « سانت لويس پوست دسپاتس »

كنت راكباً مع دافيد برجر فى شوارع بعض أحياء سانت لويس الفقيرة المزدحمة ، وإذا برجل من رجال شرطة المرور تنبسط أساريره ويصيح به مرحباً : « مرحباً ياصغيرى ! » هكذا يسمونه جميعاً — عاملات المصاعد ، ورجال الصحافة والقضاة ، ونساء الطبقة الراقية .

ودافيد برجر قصير بدين أدعج العينين ، وهو صاحب مصنع للقمصان ، بيد أن شغله الشاغل فى الحياة هو أن يعين الصغار على أن يسلكوا سواء السبيل . وكل من فى سانت لويس يعرفون الكثير من خبره .

دخلت مرة مع برجر مكتب جيمى متشل رئيس الشرطة ، فابتدره متشل : « مرحباً ياصغيرى ! » ثم تحول إلىّ قائلا : « أتريد أن تعرف رأينا فى هذا الرجل أعنى برجر ؟ إليك إذن : فى الساعة الثالثة صباحاً من الليلة الماضية ، وجد رجلان من رجال الشرطة غلاماً فى الثامنة من عمره يتكفف الناس ويسألهم فى حانة فى أحد الأحياء الفقيرة ، فكلما والد الصبى بالتلفون فقال لهم : « لا أستطيع أن أوافيكم الآن ، وسأحضر قبل الظهيرة ، فهلا حجزتموه حتى أوافيكم ؟ » ثم كلما والدة الغلام أيضاً ، وكانت تعيش بعيدة عن أبيه ، فقالت فى حقد ومرارة : « لماذا يجب علىّ أن أعنى بشأن هذا الغلام ؟ إن والده هو المسؤول عنه » وألقت سماعة التلفون .

« تصور هذا — طفل فى الثامنة من عمره يتسكع فى مكان مريب فى الساعة الثالثة صباحاً ، ولا من يعنى بأمره من والد أو والدة ، وليس فى وسعك أن ترسل غلاماً فى الثامنة من عمره إلى معهد الإصلاح ، فما عساك تصنع به ؟ » .

« فإذا ما واجهتنا مثل هذه المعضلة أرسلنا فى طلب « الصغير » ، فإنه معهد من معاهد الإصلاح و . . . » ثم تردد رئيس الشرطة قليلا حين نطق بتلك الكلمة الرنانة وأردف قائلا : « إنه وحى الإصلاح فى هذه المدينة . فما مرّ يوم واحد حتى أنزل الغلام منزلا كريماً عند زوجين كريمين هاما بحبه » .

حدث فى صباح يوم بارد ، منذ ثلاثة

وعشرين عاماً أن وقف برجر ليشترى صحيفة فى أحد أحياء المدينة الفقيرة ، فرأى أصابع الصبي بائع الصحف بارزة من حذاءيه فقال له : « تعال يا بنى » واقتاده إلى محل أحذية . وبينا كان الحذاء يقيس الأحذية على قدم « إيدى » صاح به برجر : « إنه يحتذى مقياس ما أحتذيه . خذ ، جرب هذين » وخلع حذاء جديداً كان يعقر قدميه فجربه إيدى وصاح : « إنه يصلح لى تماما » فقال له برجر : « إذن عليك أن تليّنه لى » . فكان إيدى بعد ذلك يليّن لبرجر أحذيته ، وصار يحتذى من الجلد أحسنه .

وحدث ذات يوم أن اندفع إيدى إلى مكتب برجر جافلا مذعوراً وابتدره : « مستر برجر ، لقد قبض على أخى ستيف ، فهلا صنعت من أجله شيئاً ؟ » .

كان ستيف متعطلا فلقى صديقاً دلّه على أسلوب سهل يكسب منه بعض المال ، وكل ما كان عليه أن يعمله هو أن يسلم كتاباً إلى أحد متاجر البيع بالجملة ، ويتسلم صرة يحملها إلى رجل ينفحه بثلاثة ريالات . بيد أن ستيف حين سلم تاجر الجملة الكتاب طلب إليه التاجر أن يتريث ، فما هو إلا أن طلع عليه رجل من رجال الشرطة وساقه إلى السجن . وظاهر الكتاب أنه من متجر معروف يطلب التعجيل بإرسال سلعة من السلع مع رسول ، ولكن تاجر الجملة كان قد وقع من قبل فى شرك الرسائل المسروقة من المتاجر ، فاتصل بالتلفون بتاجر القطاعى ، فكان ستيف هو الفريسة .

وقال برجر : « إنى توسمت الصدق فى ستيف حين كلمته ، ويمكنك أن ترى ذلك فى عينيه » .

ولما قدمت قضية ستيف إلى المحكمة طلب برجر أن يطلق سراحه وأنه هو ضامنه ، فسأله القاضى : « ومن أنت ؟ » فأجابه برجر : « إنى صاحب مصنع للقمصان ، ولكنى محام أيضاً . وقد بحثت قضية هذا الغلام ، وأنا مقتنع أنه كان أداة بريئة فى يد عصابة من العيّارين (البلطجية) ، فأطلق سراحه فى ضمانى ، وسأتعهده بنفسى أن يسلك سواء السبيل » .

وقد كان لصراحة برجر ومظهر ستيف أثرها فى المحكمة فقال القاضى : « لك ما تريد ، وجرب ما تستطيع أن تصنعه بهذا الغلام » .

وهيأ برجر عملا لستيف ، وزوده بكتب يقرأها ، واصطحبه إلى المباريات الرياضية ، وكان فى كل ذلك الأخ الصادق لا الرقيب العتيد ، ونجحت التجربة وصلح حال ستيف .

وبعد أسابيع قصدته امرأة تسأله المعونة ،

فقد وقع ولدها فى براثن عصابة قبض عليها وهى تسرق إحدى محطات البنزين بتهديد السلاح . واقتنع برجر ، بعد أن رأى الغلام ، أنه كان أيضاً فريسة بريئة لتلك العصابة ، فقد قال له رفقاء السوء : «تعال معنا ، فسنلهو بعض اللهو » ولم يدر بخلده أنهم سيقترفون سرقة بالإرهاب .

ولما طلب وكيل النائب العام الحكم على جميع أفراد العصابة بالسجن اعترضه برجر : « إن أولئك الصبية الآخرين قد اعتادوا الإجرام ، أما هذا الغلام فليس كمثلهم . اعهدوا به إلىّ » .

فقال له القاضى : « إذا كنت مقتنعاً بذلك فخذه . وأنت مسؤول عنه » .

وعاد الغلام إلى المدرسة ، وحرص على أن يزور برجر مرتين فى الشهر . وقد قال برجر عنه : « كان غلاماً رضى الخلق ، فلم يتورط فى إثم بعد ذلك » .

فلما ذاعت أنباء برجر فى سانت لويس كانت القضية تجر فى ذيلها قضية أخرى ، وظل برجر « الصغير » ثلاثة وعشرين عاماً ينقذ من السجن مئات الغلمان ممن أجرموا لأول مرة ، بل لعله أنقذهم — والسجون على حالها التى نعرف — من حياة كلها فساد وإجرام . ويقول برجر إنه لم ينكث العهد الذى قطعه على نفسه إلا ثلاثة وحسب من الغلمان الذين محضهم صداقته .

ولست أدرى أترجع غاية الغايات ، التى أدركها برجر فى الإصلاح ، إلى فهمه الفذ لعقل الشباب ، أم ترجع إلى شخصيته المحبوبة ؟ بل لعله راجع إليهما معاً ، فقد كان برجر رجلا ودوداً محبباً . وقد قال غلام منهم : « ليس فى وسعى أن أرتد فأخون عهد ذلك الرجل ، فإن أفعل ذلك كنت كمن يلقى القذر على أخيه » .

ويقول برجر « ربما صدق ما أتنبأ به » ، ثم يروى قصة غلام اختفى أبوه ، وزلت أمه فى مهاوى الرذيلة ، وقد قبض عليه وهو يسرق سجاير ويبيعها ، وقد تعود السرقة مذ كان طفلا صغيراً . فأطلقت المحكمة سراحه وعهدت به إلى برجر ، فحصل له عملا فى فرع التصدير بأحد مصانع الأحذية. فقال أحد أصدقاء برجر: « يا له من مكان يغرى بالسرقة ! كيف يستطيع الغلام أن يكبح نفسه وقد اعتاد السرقة طوال حياته؟ »

وأسرّ برجر إلى الغلام أن الكثير الكثير يتوقف على وفائه بعهده : وقال عنه : « لقد صلح واستقام حتى أصبح بائعاً ثم مديراً وصار ربّ أسرة كريمة ، وبلغ دخله فى العام الماضى ثلاثة وثلاثين ألف ريال » .

رحل والد برجر من فينا إلى أمريكا منذ ستين عاماً مضت ، وكان يطوف بسلعة

من بيت إلى بيت ، فجمع بعض المال وأصبح شريكا فى مصنع للقمصان ، ثم صار إليه المصنع كله ، أما ابنه دافيد برجر فقد لقب « بالصغير » ، منذ كان بالمدرسة ، لصغر جسمه ومظهره الطاهر البرىء .

وكان مطمع دافيد أن يكون من رجال القانون، وكان يدرسه بمدرسة الحقوق بجامعة هارفرد حين قامت الحرب العالمية الأولى ، فجنّد ، وخرج من الحرب ملازماً أول ، فأتم دراسة القانون واشتغل به حقبة فى سانت لويس ، ثم سافر أخوه الأكبر إلى نيويورك ، فاستقر رأى دافيد على أنه يجب عليه أن يتولى أمور المصنع .

ولما سئل كيف يجد متسعاً من الوقت لعمله فى مساعدة الغلمان أجاب : « إنى لا أشرب الخمر ولا ألعب الورق ، ولست منتسباً فى أى ناد من أندية الريف ، وأنا فوق ذلك أعزب ، فلا يسعنى إلا أن أجد شيئاً يصرفنى عن حصر فكرى كله فى صناعة القمصان » .

والسبب الأكبر فى فساد الأولاد ، فيما يعتقد برجر ، هو انهيار الحياة المنزلية ، وكذلك الحرب ، فهى بما تقتضيه من ذهاب الأمهات إلى المصانع تؤدى إلى نفس الأخطار التى يؤدى إليها انهيار الحياة المنزلية من جراء إدمان الخمر أو السجن أو غير ذلك من الأسباب . وقد استطار الشر منذ شهور فى سانت لويس حتى ألفت إدارة الشرطة فرقة للأحداث، من رجل وامرأة ، يرتديان الملابس المدنية ، فى كل حى من أحياء المدينة ، ليبذلوا ما يسعهم من عون للأولاد والبنات . ورئيس هذه الفرقة سرجنت توم موران ، وهو ضابط حصيف العقل والرأى .

ويقول موران : « إن غرضنا هو أن نحول دون وقوف الأولاد أمام محكمة الأحداث، فإذا تورط أحدهم فى إثم ، تحدثنا إليه وإلى والديه ، وجهدنا فى إصلاح أمره من فوره قبل أن يستفحل » .

وقد استطاعت فرقة الأحداث أن تبتّ خارج المحكمة فى ثلثين من القضايا الألف التى قامت ببحثها خلال الأشهر الثلاثة الأولى . وألفت الفرقة فرقاً رياضية لألعاب كرة القدم وغيرها فى جميع أحياء المدينة ، وقد وهبت لها كثيرمن الأراضى ، أوأجرت بريال واحد فى العام . وحولت المدارس إلى منتديات للأولاد يجتمعون فيها بعد انتهاء الدراسة . ويساهم برجر فى جمع التبرعات للأدوات اللازمة ، وهو يقول فى ذلك : « إنى أفضل أن أطوف بعشرة رجال فآخذ من كل منهم ٢٥ ريالا على أن آخذ من رجل واحد ٢٥٠ ريالا ، فإن ذلك خليق أن

يفيض بين الناس الاهتمام بما نقوم به » .

وشرع برجر في السنة الماضية يذيع بين الناس كلمة مأثورة : « الشرطي صديقك ، فإذا ما وقعت في ورطة ففرّ إليه ولا تفرّ منه » . ويقول رجال الشرطة إن هذه الكلمة قد آتت ثمارها .

كانت أميلي ، وعمرها أربعة عشر عاماً ، تعيش مع أخيها الأصغر وأمها ، وهي ساقية ليلا بإحدى الحانات ، وقد هجر أبوها أسرته منذ سبع سنين . وشوهدت أميلي ترتاد مواضع الريبة في صحبة بعض الجنود . وفي ذات يوم قصدت أميلي بمحض إرادتها إلى نقطة الشرطة ، لتفضي إلى ضابط الأحداث بأمرها ، فقد علمت أن ضباط الأحداث هم أصدقاء الشباب من بنات وأولاد . وهناك قالت له : « أخشى أن أزلّ من سيء إلى أسوأ فأسألك المعونة » وأصغى الضابط إلى قصتها مشفقاً ثم تحدث إلى أمها ، واتفقا في النهاية على أن تدخل معهداً للبنات » .

ويقول أحد ضباط الشرطة : « تصور غلاماً يقصد نقطة الشرطة طائعاً مختاراً يطلب العون منها ! إن ذلك لم يكن ليحدث منذ سنوات قليلة » .

وقال برجر : « إن ضباط الأحداث على شيء عظيم من الشفقة والصبر والعقل والرقة ، وإنهم ليؤدون عملا باهراً مجيداً » .

وليس لنا إلا أن نقول إنهم إنما يحذون حذو « الصغير » برجر لا أكثر ولا أقل .

المقام الأول

إن المدنية ، وهي كلمة أسيء استعمالها كثيراً ، تمثل ما هو أعظم من التلفونات والمصابيح الكهربائية . فهي النشوة بآيات العقل ، والولوع بالجمال والشرف ، والرقة ، والأدب ، ولطف الحس ، وهي جميعاً لا تقاس بمقياس ولا توزن بميزان . ولا تبلغ المدنية ذروتها إلا حيث تظفر هذه الأشياء بالمقام الأول في الحياة . [دافيد جريسون]

* * * *

الجواب عن السؤال (صفحة ٤٣)

١ — ست ضربات . ٢ — ٢٧ مكعبا . ٣ — ولا واحد .
٤ — ٨ مكعبات . ٥ — ١٢ مكعباً . ٦ — ٦ مكعبات . ٧ — مكعب واحد .

الشعار الروسى: اعمل وادرس وتعلم

موريس هندس

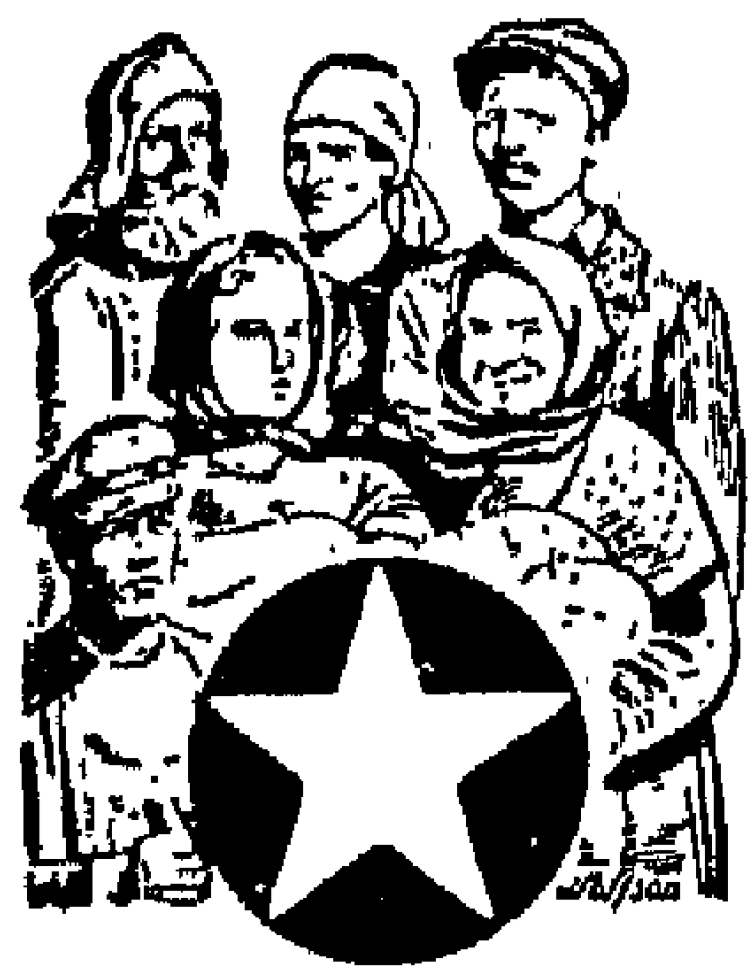
ملخصة عن مجلة " نيويورك هيرالد تريبيون "

بينما يحارب الجيش الروسى ، تكب روسيا المدنية على العمل والدرس إكباباً لا مثيل له من قبل فى تاريخها . فليس ثمة إضراب ، ولا وقف للعمل بأمر الإدارة ، ولا عطلات . وليس لأحد ، غير ذوات الأطفال الصغار ، أن يعيش عيشة فراغ ، وليس ثمة سهر للهو .

وقد أصبح العمل مدى ثمانى ساعات فى اليوم ذكرى فحسب ، إذ صارت القاعدة هى العمل إحدى عشرة ساعة فى اليوم ، منها ثلاث ساعات من العمل الإضافى الإجبارى . أما العمل الإضافى الاختيارى فقد شاع بين الناس تبرعاً للجيش المحارب .

وليست هناك ساعات عمل محددة للمديرين ، ورجال الفكر ، ورجال العلم . فجميع المديرين فى الكرملين قد ضوعفت تبعاتهم أو صارت ثلاثة أمثالها . فمثلا مدير الشئون الخارجية مولوتوف هو أيضاً رأس صناعة الدبابات ، ولافرنتى ب . بريا ، مدير الشئون الداخلية هو المشرف على إنتاج المدافع .

وأما أستاذ الكلية فلا يحاضر الطلاب فحسب ، بل هو أيضاً مستشار صناعة أو زراعة ، أو مدير مشروع ما يدخل فى نطاق تخصصه .



والكتاب يقومون بأبحاثهم ، ويسافرون خلال البلاد يحاضرون فى المصانع ، وفى المزارع الجماعية ومعسكرات الجيش .

ومما له دلالة بينة من قبل السكان المدنيين هو إقبالهم على الدرس والتعلم . فمهما يكن من أمر الكارثة التى يأتى بها خذلان حربى ، فإن هذا الإقبال الجارف لا يتمهل أبداً .

يسأل بعض الناس : كيف نجحت روسيا فى رد الجيش الألمانى عن أبواب موسكو وشوارع ستالينجراد ؟ والجواب على هذا يستكن إلى حد ما فى الإلحاح العنيف الذى لا ينقطع ، من رغبة كل إنسان فى أن يمعن فى إتقان العمل الذى بين يديه ، أيًّا كان .

وبفضل الحملة القوية للاستزادة من دراسة العلم العسكرى ، اكتسب الروس من المهارة والقدرة ما مكنهم من أن يدكوا الحصون الألمانية ، وأن يطوقوا القوات المعادية

لقد قابلت فى كييف « قائم مقام » روسيًّا استجوب أسيراً ألمانياً برتبة يوزباشى فى المدفعية . فقال الأسير : « إن الذى أزعج الضباط الألمان هى السرعة التى استطعتم بها أيها الروس أن تعرفوا أساليبنا فى القتال . إنكم تعرفون الآن كل حيلنا » .

وإذا كانت المجاعة لم تقع فى روسيا فما ذلك إلا بالمعجزة التى أتتها الزراعة الروسية ، وكان ذلك أمراً مستحيلا لولا الحملة المكتسحة التى جعلت هدفها أن يتعلم كل فلاح أساليب جديدة خيراً من أساليبه . فأصحاب الحبوب ، ومربو الخنازير ، والعاملات فى مصانع الألبان ، والبستانيون ، والنحالون ، وزارعو الفاكهة ، والقطن — جميع هؤلاء يحثون حثاً مستمراً على درس وسائل تحسين أنواع الإنتاج ومقاديرها .

لقد ذهب نصف مديرى مزارع روسيا الجماعية إلى الحرب ، وحل محلهم نساء وفتيات ، بعضهن لا يزيد عمره عن ثمانية عشر عاماً ، وتعوزهن الخبرة والتجربة . ومعدل مساحة المزرعة الجماعية حوالى ٤٠٠٠ فدان ، فيجب أن يكون مديرها صاحب خيال وعمل ، وأن يكون عالماً ومنظماً فضلا عن قدرته فى إدارة الأعمال التجارية .

ولقد نهضت النسوة والفتيات بتبعاتهن بقدرة ونشاط ، حتى صار الإنتاج الزراعى وما تقدمه أمريكا من المساعدة ، يمكن الحكومة الوطنية ، من أن تكفل طعاماً ممتازاً للملايين الكثيرة من جنودها ، وأن تغذى السكان المدنيين بما يكفيهم فى القيام بواجباتهم اليومية . ففى سنة ١٩٤٣ كانت المساحة المزروعة فى روسيا تزيد ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان على ما كانت عليه فى سنة ١٩٤١

وقد فتحت فى جميع أنحاء روسيا مدارس خاصة لرؤساء المزارع الجماعية ، ولعمال الجرارات وما شاكلها ، ولعمال منتجات الألبان ، ولزارعى البساتين ، والنحالين وغيرهم ، وفى هذه المدارس ثلاثة ملايين على الأقل من الفلاحين ، معظمهم من النساء والفتيات . وشعار هؤلاء جميعاً هو شعار كل أهل روسيا ، جنوداً وعمالا : « ادرس وتعلم ، تعلم وادرس » .

انتفع بتجاربي

— ١ —

اشتغل هونًا ما

جون ارسكين

احسبني كنت فى الرابعة عشر من عمرى وقد اهملت الحادثة بما هو معهود فى الشباب من سهولة التهاون وقلة العناية ، ولكن ما قاله لى كارل وولتر فى ذلك اليوم عاد إلى ذاكرتى بعد سنوات وصار عندى ذا قيمة لا تقدر .

وكان كارل وولتر يعلمنى البيانو ، فسألنى فى أثناء درس عن تدربى على التوقيع وما أقضى فيه من وقت ، فقلت ثلاث ساعات أو أربع ساعات فى اليوم .

فسأل : « هل تتدرب فترة طويلة — ساعة فى كل مرة مثلا ؟ » .

قلت : « إنى أحاول أن أفعل » .

قال : « إذن لا تفعل ، فإنك متى كبرت لن تجد الفراغ يطول أمامك . تدرب دقائق ليس إلا كلما سنحت لك فرصة — خمس دقائق أو عشراً قبل الذهاب إلى المدرسة ، وبعد الغداء ، وهكذا . واجعل التدرب موزعاً على مدار اليوم ، فيصبح التوقيع على البيانو جزءاً من حياتك » .

* * *

ولما توليت التدريس فى جامعة كولومبيا تاقت نفسى إلى الكتابة ، غير أن الإلقاء وإعداد الدروس ، واجتماعات اللجان استنفدت وقتى ، نهاره وليله . ومضت سنتان لم أخط فيهما حرفاً . وكان عذرى أن الوقت أضيق من أن يتسع لذلك ، ثم تذكرت ما كان كارل وولتر قد قاله لى .

وفى الأسبوع التالى قمت بتجربة ، فكنت كلما أتيح لى من الفراغ خمس دقائق أقعد وأكتب حوالى مائة كلمة .

فأدهشنى أنى وجدت عندى فى آخر الأسبوع كراسة مهيأة للمراجعة .

وقد كتبت فيما بعد قصصاً ، وجريت فى كتابتها على نفس هذا الأسلوب فى اغتنام الفرص القصيرة السانحة . ومع أن واجباتى المدرسية صارت أثقل ، إلا أنى كنت أجد فى كل يوم دقائق فارغة يمكن اقتناصها والانتفاع بها . بل لقد عمدت إلى التوقيع على البيانو أيضاً ، فقد وجدت أن هناك فترات قصيرة فى كل يوم تتيح لى وقتاً كافياً للكتابة وللبيانو جميعاً .

ومن المهم أن تعرف كيف تحسن الانتفاع بالوقت ، فعليك أن تشرع فى العمل بسرعة

لأنه إذا لم يكن أمامك غير خمس دقائق للكتابة ، فإنه لا يسعك أن تبدد أربعاً منها فى عجم القلم بأسنانك . وينبغى أن تكون قد اتخذت أهبتك العقلية من قبل وتهيأت للكتابة ، وأن تحصر خواطرك فيها متى آن أن تكتب . ومن حسن الحظ أن سرعة تركيز الخاطر أسهل مما يظن الكثيرون .

وأعترف أنى لم أتعلم قط كيف أضع القلم بسهولة متى انتهت الدقائق الخمس أو العشر المتاحة ، ولكن الحياة كفيلة بأن تجىء بأسباب التعطيل. لقد كان لكارل وولتر أثر بالغ فى حياتى . وإنى لمدين له بأن عرفت أن الفترات القصيرة جداً من الوقت ، مضافاً بعضها إلى بعض ، هى حسبى من الساعات الغامضة التى أحتاج إليها إذا عكفت على العمل بلا تلكؤ .

[جون أرسكين أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة كولومبيا منذ ١٩١٦ ، وله شعر وروايات عدة . وهو أيضاً عازف ماهر على البيانو . وقد قام برحلة للتوقيع على البيانو بمفرده ، وكان مع فرقة نيويورك سيمفونى] .

— ٢ —

"ما الداعى إلى تعلم الفرنسية ؟"

دوروثى كانفيلد فيشر

لم يكن شيئاً يذكر . كان سؤالا فضولياً تافهاً ألقته فتاة على أخرى وكنا قبل ذلك بعشر دقائق نجرب طريقة جديدة لتصفيف الشعر . وبعد ذلك بعشر دقائق كنا نرتب أمر نزهة . ولكن فى هذه الأثناء . . . .

إنى أذكر كل كلمة فى هذا الحوار الوجيز الذى دار عفواً ، لأنه كان إلى حد كبير بليغ الأثر فى مجرى حياتى كلها . والآن وقد مضت أربعون سنة ، لا أزال أستطيع أن أرى غرفة الطالبات البسيطة ، والفتاة الألمانية الجذابة الصبيحة الوجه التى كانت تشاطرنى الحياة فيها ، وكانت زميلة لى فى المدرسة حيث كنا ندرس اللغة الألمانية وآدابها .

وكنت قد تلقيت جانباً كبيراً مما تعلمت فى فرنسا ، حيث درست تاريخ الأدب الفرنسى الطويل الباهر ، ثم أرسلت إلى هانوفر لأتوفر على تحصيل اللغة الألمانية . وقد نعمت هناك زمناً بالرقص ، وركوب الدراجات ، ومشاهدة التمثيل فى المسارح ، مع طائفة من الفتيان والفتيات من الألمان

الظراف ، ولم تكن هذه البيئة بالتى يتوقع المرء فيها أن يلهم عقله شيئاً بيناً .

ولكنى كنت ذات مساء أتصفح رواية من قلم جى د . موباسان ، وكانت لويزا ترفو جورباً ، فوقعت عينها على اسم الكتاب على غلافه ، وكأنما أذكرها ذلك شيئاً كانت تريد أن تسألنى عنه ، فقالت باستخفاف : « كيف اتفق لك أن تتعلمى الفرنسية ؟ » فلم أجد لكلامها معنى ، وأعدته بغير فهم : « كيف اتفق لى أن أتعلم الفرنسية ؟ » .

فقطعت الخيطان بأسنانها وقالت : « نعم ، لماذا يعنى بأن يتعلمها أى إنسان ؟ إن قدومك إلى ألمانيا لتتعلمى الألمانية — هذا شىء أفهمه — ولكن ما الداعى إلى تعلم الفرنسية ؟ » .

فأمسكت لحظة وأنا فى دهشة ، ثم قلت مترددة : « لست أدرى ماذا تعنين ؟ » .

فضاقت صدراً ببطء فهمى وقالت : « بل أنت تعرفين — أنه يبدو من الغريب أن تتجشمى كل هذا العناء لتعلم لغة لم يكتب بها أى أدب جيد » .

فبدا لى أن هذا من أبعث ما سمعت على الضحك ، وانطلقت أقهقه قهقهة عالية « ها ها ! » — فعل من وجد ما يسليه . فامتعضت لويزا وظهر عليها الحنق ، وقالت بحدة : « إن لك ضحكة فظيعة ، فهل تعرفين ذلك ؟ » .

ولكنى كنت قد كففت عن الضحك ، وخطر لى أنها ما تكلمت كلام طفل بباعث من الجهل البرىء ، ولا بد أن يكون ما قالت هو الذى تعلمت أن تقول ، لأنها إحدى ثمرات عشرين عاماً من التدريب المتواصل المرهق . والذى علمتها إياه بلادها هو الذى تعلم كل أمة جيلها الجديد . إن ثقافة وطن المرء تفوق ما عداها بمراحل ، حتى ليصح إهمال غيرها ، بل إن الآخرين لمن الفقر والجدب بحيث يكون من الخير أن يحملوا على اتباع أسلوب الحياة الذى يجرى عليه وطن المرء .

وتذكرت مئات من العبارات كهذه ألقيت عرضاً ، وكلها مظهر للغطرسة القومية السخيفة . ولقد كنت أعلم حق العلم أن الشبان الفرنسيين حين يبلغون العشرين يكونون قد لقنوا أن ثقافتهم القومية تفوق كل ثقافة أخرى بلا شك ، فجرت فيهم هذه العقيدة مجرى الدماء . وأنا ، فى بلادى أمريكا قد اقتنعت أعمق اقتناع بأن أساليبنا الأمريكية خير ما يمكن أن يتصوره عقل . ولم أكن أؤمن بهذا فحسب ، بل كنت أعرف أنه كذلك ، شأنى فى هذا شأن لويزا تماماً .

وتذكرت نكتة لنا عن ضابط بريطانى زعموا أن أمريكياً قال له وهو يفطر: « إننا نلف على الخبز المحمر فوطة ليظل ساخناً فلماذا تضعونه أنتم معرضاً للهواء ؟ » فكان جواب الضابط الإنجليزى طبيعياً جداً، فما زاد على أن قال: «أوه ! هذه هى الطريقة الوحيدة لتقديمه على المائدة » . وقد أضحكنا يومئذ احتقاره لكل ما يخالف الأساليب الإنجليزية، ولكن الأمر لم يكن مع ذلك مضحكا .

وليس فى هذا أو ذاك ما يضحك ، إلا إذا كان من بواعث التسلية أن ترى فأساً فى يد مخبول ، وإنها لفأس فى يد مخبول . وقد رأيت للمرة الأولى الجنس الإنسانى — وكله إخوة — يحيل مادة السعادة مثاراً للصراع العظيم . وما أشبه هذا بأسرة من الموسيقيين تترك أن تتعاون على عزف صوت لبيتهوفن وتخرجه إخراجا رائعاً ، ويروح كل منها يعدّ نفسه الموسيقى الوحيد ، ويحاول أن يخرس كل آلة غير آلته . فيالها من صنيعة سخيفة ! وإنها لمأساة ، وإنه لما لا يطاق أن تترك وتظل مستمرة .

وكنت إلى ذلك الوقت كلما فكرت فى المستقبل ، لا أراه ، كغيرى من الشبان والشابات ، إلا متمثلا فى حياتى أنا ونجاحى أنا ، ولكن تحولا روحياً عميقاً حدث فى قلبى تلك اللحظة التى اتجهت فيها إلى السعى لإيجاد الاحترام بين الأمم ، فكان لهذا أثره البالغ فى حياتى . وكأنما ربت على كتفى حسن الحظ ، بل خير ما يمكن أن يلقاه المرء من حظ حسن . واهتديت إلى قضية أستطيع أن أخدمها ، وهى أولى وأحق بذلك من خدمة نفسى .

[دوروثى كانفيلد فيشر، تجمع بين شهرتها ككاتبة ممتازة ، وبين المساهمة الفعلية فى أعمال الترفيه ومساعدة اللاجئين ، فى الحرب . ومن كتبها « الغصن المثنى » و « الجدول العميق »] .

— ٣ —

قلت إنى سأكافح ـ وقد فعلت

البرت بيسون ترهيون

كانت السيارة تقطع الطريق المظلم بسرعة ٥٠ ميلا فى الساعة ، وكنت أنا أسير فى الاتجاه المضاد بسرعة أربعة أميال فى الساعة ، عائداً من نزهة المساء . وقد مضت السيارة فى سبيلها بكامل قوتها ، وأما أنا فحملت .

وعادوا بى إلى المنزل على صورة ما، فطرحونى فى سرير، وأخذ الأطباء ومن بينهم جماعة من الإخصائيين يفحصون بقاياى، وظللت راقداً جثة هامدة عاجزة بضعة أسابيع، ثم انتهى الأمر بأن حكموا علىّ الحكم الآتى :

ينبغى أن لا آمل فى العمل المنتج (إنها « صدمة القنابل* » التى يحتمل دوامها، وهى كفيلة بهذا) ولن أستطيع المشى كما كنت أفعل، وأن من الحكمة أن يبتر جزء كبير من ساقى اليمنى، وثلاثة أصابع على الأقل — بل ربما بترت اليد جميعها.

وكان هذا هو نهاية رجل كان على الدوام رياضياً نشطاً، وكاتباً وافر الإنتاج.

رأيت يوماً سكيراً ثملا يفيق من ساعته حين صفع صفعة شديدة، وضب عليه ملء جردل من الماء المثلوج. وكذلك كان هذا الحكم المشؤوم الذى حكم به الأطباء، فقد أفقت من خدر الغفوة التى بدأت تزمن.

وقلت لأولئك المتنبئين المنذرين إنهم مخطئون، فلن يكون بتر، كلا، ولن يكون عجز وعطلة أطوى بهما العمر فى السرير. ثم قلت إنى سأكافح، وإنى سأنتصر، وكذلك فعلت.

وكان أول ما فعلت أن أبيت عليهم أن يستمروا فى حقنى بالمورفين. حقاً لقد كان المورفين يخفف الألم الدائم الممض، ولكن لن يتسنى لامرىء أن يقتحم معركته الكبرى إلى الظفر وهو « مسطول ».

وبدأت الرياضة يومئذ، رياضة ما عالجت مثلها قط فى الماضى قسوة وألماً، وظللت أثنى ساقى وذراعى المشلولتين وألويهما عدة ساعات كل يوم، تتخللها فترات راحة قصيرة.

وكان هذا العمل شاقاً منهكا، وأشد ما كان يجعله كذلك أن انقضت ثلاثة أسابيع وهو لا يبشر بخير، ثم جاء وخز الآلام يبشرنى ببا كورة الشفاء، وجاءت معه المقدرة على أن أحرك العضلات الممزقة حركات بسيطة ضعيفة. وأخذت الحياة تدب دراكا يوماً بعد يوم، وطفقت آلام العافية تشتد فى الذراع والساق.

وحاولت أول ما حاولت أن أدور فى الغرفة وأنا أحجل معتمداً على عكازتين، وانجلت محاولاتى الأولى عن عثرات متتابعة وقضيت حوالى شهرين أتعلم المحافظة على بعض الاتزان، ولكنى فى النهاية أجدت السير بالعكازتين.

وفى انتقالى من العكازتين إلى عكازة واحدة قضيت فترة رياضة متعبة، ولكنها

* راجع المختار عدد يناير ١٩٤٤ « صدمة القنابل » صفحة ٤٥

أقصر أمداً ، وفى شهرين آخرين استحالت العكازة إلى عصا اتخذتها من أجل ذلك خاصة ، وعندئذ افتقدت كل الافتقاد ما كنت أجده فى العكازة من سند قوى . فكان علىّ أن أدرس فنّ السير على أسلوب يكاد يكون جديداً .

وفى النهاية جاء يوم من الأيام ، يوم رضت نفسى على أن أمشى ٣٦ قدماً ، هى طول غرفتى ، بلا سند ، حتى العصا تركتها ، وكبوت ثلاث مرات ، ولكن الكبو أخذ يقل كلما تقدمت فى التمرين .

ومارست المشى وأنا أرقب اتزانى أمام مرآة كبيرة ، فكان منظرى مدعاة للرثاء والضحك ، وكانت صورتى صورة « أبو جلمبو » وأنا أتأوّد وأتخلج ذات اليمين وذات الشمال .

على أنى اجتهدت فى تصحيح كل هفوة من هفوات القدم والبدن ، بنفس العناية التى كنت أجتهد بها فى إصلاح أخطائى فى المصارعة ، ورمى الأثقال ، والجرى والمسابقة . لقد كانت لى تجربة طويلة فى مثل هذا الموضوع كما ترى ، وفى أقل من عشرة أشهر منذ بدأت ، استطعت أن أمشى — مع ظلع خفيف — كما يمشى لداتى من أوساط الناس تقريباً .

أما من حيث « صدمة القنابل » فقد علمتنى قرينتى كيف أقمعها إذ قالت لى : « إذا كنت مصاباً بالحمى التيفودية أو بكسر فى عظمة الترقوة ، فإن هنالك آلافاً من الأطباء يستطيعون أن يبرئوك ، ولكن ما من أحد غيرك يستطيع أن يشفيك من تخاذل الأعصاب » .

وكانت هذه حكمة نادرة ، ولو أن الاستفادة منها كلفتنى أشهراً فى إجهاد دائم لقوة إرادتى ، ولعل هذا كان أشق ما فى المعركة كلها . ومع ذلك ففى العام التالى كنت — أنا الذى « لا ينبغى له أن يأمل أبداً فى عمل أدبى منتج » — أجنى للمرة الثانية فى حياتى خير الثمرات وأطيبها .

لقد كان هذا الحكم المتشائم من إجماع الأطباء أنفع ما مر بى من تجارب الحياة ، فقد جعلنى أكافح بجنون ، وكذلك أنقذنى من قضاء البقية الباقية من عمرى الطويل مقعداً بليداً فى كرسى ذى عجل .

ممرضات الطيران ينسين الجنود آلامهم

ألفريد تومبس

ملخصة عن مجلة «وومانز هوم كومبانيون»



لم تكد تمضى ساعات معدودة على غزو صقلية حتى هبطت تزمجر من سماء البحر الأبيض المتوسط طائرة نقل كبيرة ، ولما وقفت تدفق منها مدد لجنود الحلفاء. ثم برزت فتاة متسربلة برداء الطيران، وعلى شعرها الذهبي قبعة طيار قد أمالتها بدلال.

وصاح أحد رجال الخدمة الطبية : « لدينا ١٨ جريحاً على النقالات ، يا آنسة» . وهو يجتهد أن يعلو صوته على دمدمة المدافع.

وفحصت الفتاة اللوحات المعلقة على المرضى وكلتهم واحداً واحدا ، وابتسموا هم لها ابتسامة الضعيف . وأخذ حملة النقالات الأشداء ينفذون أوامرها المقتضبة ، وهم يحملون الطائرة . وقالت وهى تنظر إلى اللوحة الأولى: « إصابة فى البطن . صفّوه فى الصف الأوسط حيث يسهل علىّ الوصول إليه » .

وما مضت عشر دقائق حتى عادت الطائرة إلى الجو ، وأخذت الفتاة تتنقل من فراش إلى آخر تفحص حالاتها ، فتحقن هذا بالمورفين ، وتضع لآخر طبقة سميكة من الشاش المعقم تحت جبيرة ساقه المكسورة لتقيها الاهتزاز . وحام حرس من طائرات القتال حول الطائرة الناقلة الكبيرة ، إذ لم تكن تحمل شارة الصليب الأحمر ، فإن الطائرات المخصصة لحمل الجرحى من ميدان القتال تذهب إليه محملة بعتاد الحرب ، فلا جرم أن كانت هدفاً مباحا فى كل وقت . ولهذا يستهدف ممرضات الطيران لكل أخطار الحرب الجوية .

وبعد ساعات قليلة كان الجرحى الذين حملتهم هذه الطائرة يرقدون بين أغطية بيض نظيفة فى مستشفى أمريكى ضخم بالجزائر، على مئات الأميال من ميدان القتال ، حيث يتسنى لكل امرئ منهم أن يستعيد أسعد ذكرياته — تلك الفتاة ذات الشعر الذهبي التى تعهدته حتى وصل سالماً .

ما أكثر ممرضات الطيران اللائى ألفن أن يخاطرن بأرواحهن فى كل ميادين القتال المترامية ، حتى أتممن بنجاح أحد أعاجيب

الأعمال الطبية فى هذه الحرب ، ألا وهو حمل الجرحى من ميادين القتال ، إذ تمضى ممرضة الطيران إلى المواقع الأمامية فى الميدان حيث يكون الجرحى قد جمعوا وابتدأ علاجهم . فإذا بدأوا رحلتهم ظلوا فى الجو بضع ساعات خطرة ، ربما توقفت نجاتهن فيها على مهارة الممرضة .

وتروى أمثلة مؤثرة عما يتركه صنيع هؤلاء الممرضات فى نفوس الجنود المحاربين . وحدث فى شهر مارس الماضى أن هبطت مع الفجر على وادى الكنار طائرة نقل ضخمة ، ولما فتح الجندى بابها حملق مبهوتاً يقول : « يا إلهى ! امرأة فى الطائرة ! »

ونزلت منها ممرضة الطيران « ماى أولسون » وهى أول سيدة تراها الجزيرة منذ بدأ فيها القتال . وانتشر الخبر انتشار النار فى الهشيم ، وهرول إليها رجال طوال اللحى قد علاهم القذر ، وتهلل الجرحى بشراً حين رأوها . ولم تمض ساعة واحدة على وصول الممرضة ماى أولسون حتى تبدلت حال الجزيرة . فلما جاءت الممرضة فى المرة التالية بعد بضعة أيام بطائرة حمل الجرحى استقبلتها مناظر جديدة : جنود عليهم سمة النظافة قد حلقوا لحاهم ، يبتسمون لها ، وكلهم يغبط من سيطير من الجرحى .

وخير مثال على ما يشعر به الجنود نحو ممرضات الطيران ما رواه لى فتى فى مستشفى (والتر ريد) بوشنطن ، وقد ترقرق الدمع فى عينيه وهو يستعيد ذكرى حمله من ميدان قتال فى أفريقية ، قال وهو يشير إلى حيث كانت ساقه قبل أن تبتر : « كنت شديد الغم من أجلها ، أشعر بألم كمس النار ، والهواجس تساورنى . وحملونى إلى الطائرة فرأيت الممرضة ، وكانت فتاة حسناء رشيقة صهباء . إننى لا أعرف اسمها ، ولكنى أعرف أن ألمى سكن لساعته . ولم تكن حقنة المورفين هى السبب ، بل كانت هى وحدها السبب » .

ومن أجل هذا لا عجب أن تطيب نفوس فتيات كثيرات بتجشم كثير من المصاعب ليظفرن بلقب يفخر به هو : « ممرضة طيران » .

فى غينيا الجديدة تم حمل ٧٠٠٠ مريض وجريح من المناطق الأمامية فى بحر شهر واحد ، هذا ورحلة الطائرة تستغرق ساعة واحدة ، ولكنها كانت مرحلة تستغرق ثلاثة أسابيع على ظهور البغال . وفى حملة شمال أفريقية نقلت الطائرات ١٨٫٠٠٠ رجل لم يهلك منهم سوى رجل واحد .

ويتلقى ممرضات الطيران الأمريكيات تدريباً خاصا فى مدرسة حمل الجرحى بالجو فى بومان فيلد بولاية كنتكى ، وهى تابعة لسلاح الطيران بالجيش الأمريكى ، فيتعلمن

أن الطيران الشاهق خطر على بعض الجروح ، وأنه ينبغي أن تزاد جرعات بعض الأدوية أثناء الطيران ، وبعضها ينبغي أن يقلل . ويتعلمن معالجة أمراض غريبة خاصـة بأفريقية والشرق والمناطق القطبية. ويتعلمن أيضاً كيف يعشن في ميدان القتال ، فيأوين في خيام قد نشبت من حولها معركة وهمية ، ويكلفن مهمات في « المناطق الأمامية » عرضة لنيران القناصة المختبئين الذين يتلهون بقذف من يتخلف منهن برصاص من الورق.

ولسرعة حمل الجرحى بالجو وكفايته قيمة حربية ، إلى قيمته الإنسانية ، فإن بقاء الجرحى والمرضى في ساحات القتال يعوق الحركات الحربية ، ومن قبل كان حملهم يؤدى إلى سد الطرق الحيوية الموصلة إلى الميدان بسيارات الصليب الأحمر . وكان نقل ٥٠٠ مصاب من ميدان القتال يقتضى عشرات من عربات الإسعاف أو قطارين كاملين ، على حين تستطيع ٢١ طائرة أن تنقل ٥٠٠ رجل ، مسافة ٤٠٠٠ ميل في ٤٨ ساعة .

ولم يعد يبعث الرعب في قلوب الجرحى ما عسى أن يلاقوا في السفر الطويل من عذاب بئيس وهم محمولون عائدين إلى العمران.

يشغل تشارلز ف . كترنج كاتب فصـل « التربية تبدأ في البيت » ، منصب مدير معامل الأبحاث لشركة جنرال موترز ، وقد وهب حياته للنهوض بتقاليد الابتكار والاختراع . ولد في مزرعـة بالقرب من لندفيل في ولاية أوهيو عام ١٨٧٦ . وقد استطاع ، وهو بعد تلميذ في المدرسة ، أن يظهر مقدرته الفائقة ، بأن نصب محطة تليفون في البلدة من غير خبرة سابقة . وقد وصف نفسه بأنه عامل يشتغل بعدة النجار والحداد . ولكن وراء هذه العدة خيالا واسعاً ، وعزيمة صادقة ، تأبى أن تقر بالعجز أمام أى اعتبارات نظرية تحول دون تحقيق غاية من الغايات . وقد استطاع في الأربعين سنة الأخيرة أن يستخدم الكهرباء في آلات تحصيل النقود، وأن يدخل الاضاءة الكهربائية المستقلة إلى المزارع . وأن يصنع جهاز الابتداء الكهربائي في السيارات ، وأن يبتكر وقود البنزين المنطاير للسيارات (وهذا أدى إلى اختراع آلات للسيارات والطائرات ذوات ضغط عال جداً) كما استطاع أن يستخـدم آلات الديزل في القاطرات المنسابة ، وفي الغواصات البعيدة المدى . وفي معهـد كترنج للأبحاث الطبية أمكنه أن يرشـد إلى صنع الآلة التي ترفع حرارة الجسم ، وأن يساهم في إتقانها .

التربية تبدأ في البيت

تشارلس ف. كترنج

ملخصة عن "مجلة المدرسة والمجتمع"

[في وسع الآباء أن يصوغوا مصير العالم غداً وهذا أجل الأعمال على مر العصور].

سمعت صبياً يهتف حين مررت به صباح اليوم : « سيكون الغد يوماً جميلا » وكان واقفاً ينتظر سيارة المدرسة ، فقلت لنفسى : « لئن كان الغد يوماً جميلا ، فما ذلك إلا لأنك أنت وملايين من الأبناء مثلك ، قد جعلتموه جميلا . وبعد أن تنتهى الحرب ستضطلعون بأكبر عمل عالجه الإنسان منذ القدم ، ألا وهو إعادة بناء العالم ، وذلك بأن تضعوا أسساً أشد وأقوى يقوم عليها طريقنا فى الحياة .

كان من عادة لنكولن ستفنز أن يقول للشباب : أنْ لا شيء فى الحياة قد فرغ من عمله كما ينبغى ، وأن الدنيا مليئة بأشياء كثيرة يجب أن تصنع من جديد ، وأن تصنع بإتقان(١). وهذه العبارة ستكون أعظم صدقاً على عالم الغد .

ونحن — معشر الكبار — نعرف أننا لم نزد على أن لمسنا بأيدينا ظاهر المعرفة والكمال ، ومخترعات الغد ستجعل ما لدينا كأنه شيء بسيط مثل صناعة الدبابيس . ولكن إذا كان مقدراً لأبنائنا أن يبدّوا ما عملنا ، فلا بد أن تبدأ حياتهم بدءاً أفضل مما أتيح لنا ، وأن ييمموا شطر المستقبل وهم أقل رهبة وتخبطاً وضلالا . فإن الدنيا تفسح الطريق لشاب يعرف أين مذهبه .

وخير وسيلة نساعد بها شبابنا — نحن الذين سنخلف لهم هذا القدر الهائل من عمل لم يتم — هى أن نكون على ثقة من أننا أتحنا لهم جميع الفرص التى تربى فى نفوسهم تلك الصفات الثلاث التى هم أشد احتياجاً إليها فى طريق الفتح والابتكار ، ألا وهو : البصيرة ، والخيال ، والشجاعة . فبالبصيرة يرون الأمور على حقيقتها ، وبالخيال يستطيعون أن يحلموا بعظائم الأمور التى ينبغى أن تنال ، وبالشجاعة تدفعهم الجرأة إلى أن يحققوا تلك الأحلام .

ولكى يستطيع أطفالنا أن يجتازوا

---

(١) راجع فى المختار شهر سبتمبر ١٩٤٣ مقال « المستقبل دائماً للشباب » ص ٧١

ما يرون ، لا بد من تدريبهم على التفكير بأنفسهم، وإذا لم يبدأوا بممارسة هذا فى بيوتهم فلن يتعلموه على الوجه الصحيح . ومع ذلك يصر كثير من الآباء على أن يغرس فى أطفاله ضروباً من التمييز ، والأحكام ، وآداب السلوك ، وهى لا تقل فى رثاثتها وقدمها عن أثاث الأسرة العتيق. وليس حشو عقل الطفل بتلك المخلفات المتوارثة بالسبيل القويم لتمرينه على التفكير بنفسه أو على التفكير إطلاقاً .

وللصبي بالفطرة ، عقل منقب ، وعلى الوالدين أن يجعلا أطفالهما يمضون فى التنقيب بحيث يصبح كل حادث يحدث ، فرصة للبحث عن هذا المجهول المألوف ، ويجب أن يشجع الأطفال على أن يستنبطوا الأسباب والنتائج لكل شىء يجرى من حولهم . فإذا سقطت إحدى العجلات من آلة الإنزلاق، أو إذا لم تنضج إحدى الفطائر فى الفرن، أو إذا بطل عمل إحدى الدراجات فدعوهم يسألوا ليعرفوا : ما السبب فى هذا ؟ وكيف نستطيع أن نمنع حدوث هذا مرة أخرى ؟ فكل من استطاع بالبحث والتنقيب، من الفتيان والفتيات ، أن يستنبط بنفسه جواب هذه الأسئلة، فقد اكتسب بهذا عادة تزيد قيمتها على قيمة جميع آلات الانزلاق والفطائر ، والدراجات فى جميع الأسواق .

وفوق ذلك لا بد من أن يباح للأطفال أن يعالجوا جميع الأعمال التى تتطلب شيئاً من التصرف والابتكار ، بطريقتهم هم ، لا بطريقتنا نحن . وأنا كلما دنوت من السبعين ، تبين لى أنه ما من شىء يعمل إلا ولعمله وسيلة أخرى صالحة . فالكلب يحك جلده بخلفيتيه ، والخنزير يفعل ذلك بأن يتمسح فى جدار أو عمود، ومع ذلك فكلاهما يتقن حك جلده . وإذا كان طفلك يصر على أنه يستطيع أن يصنع أقراصاً من الطين بالماء الساخن أحسن مما يصنع بالماء البارد، فدعه يغلى شيئاً من الماء ، ويمضى فى عمله ، لكى يتحقق بنفسه أمخطئ هو أم مصيب .

وأطفالنا اليوم قد ألفوا — كما ألفنا نحن — أن يضغطوا زراً أو يديروا مفتاحاً، لكى يحصلوا على النور أو الحرارة أو الماء وغير ذلك من ضرورات الحياة ، ولكن ينبغى أن نكون على ثقة من أنهم لا يتوهمون أنها تأتى عفواً. وهم إذا نظروا إلى البر والبحر والسماء بدت لهم هذه الأشياء عظيمة جليلة ولكن يجب علينا عندئذ أن نذكرهم بقلة ما قمنا به فى إخضاع العالم لسلطاننا . فالطوفان كثيراً ما يطغى، والعواصف يشتد هبوبها ، والشمس قد يشتد إشراقها أو يقل ، فيكون من جرّاء هذا كله أن تجوع ملايين من الناس ، أو تغدو بلا مأوى ، أو يدركها الموت .

وحين ننبه الطفل إلى الأشياء التى لم تصنع بعد ، أو التى أسىء صنعها ، أو إلى مشكلة التبذير والفاقة ، التى لم تحل بعد ، أو إلى المستكشفات التى لم تتم حتى اليوم ، وإلى الأغانى التى لم تؤلف بعد — يجب علينا أن نجعله يحس أن عالم الغد سيشتمل على فرص كثيرة تتيح له أن ينهض هو بهذه الأعمال ، أو بأى عمل آخر لا يقل عنها خطراً . ولكن ينبغى أن نعلم كل العلم أن الحق الذى سيمكن الطفل من استخدام أسمى مواهبه فى تغيير العالم ، لن يكتسب إلا بإعداد قوى شامل .

إن الرجال الذين ذللوا صعاب الحياة يحاولون دائماً أن يذللوا لأطفالهم كل شىء بقدر الإمكان ، وهم بهذا يحرمون أبناءهم ذلك النظام الصارم الذى أجدى عليهم ما أجدى فى تربية أنفسهم وفى كفاحهم . وأمثال هؤلاء الآباء يذكروننى بأحد الهواة ذوى القلوب الرقيقة ، الذى كان مولعاً بتربية الفراش ، وقد بلغ تأثره لمنظر الفراشة وهى تجاهد للخروج من الشرنقة ، أن أخذته الشفقة الباطلة ، فشق الشرنقة بظفر إبهامه ، حتى يستطيع ساكنها الضعيف أن يخرج بلا مشقة ، فكانت العاقبة أن ظلت هذه الفراشة عاجزة عن الطيران .

كلما لاقى الصبى مشكلة من الطراز الأول فقهرها ازدادت بذلك أجنحته قوة ، وكلما أتيح له أن يتخذ لنفسه رأياً يمضى فى تنفيذه بجرأة وتصميم تجددت شجاعته وثقته بنفسه.

وهنالك نوعان من الشجاعة ، أحدهما اندفاع فطرى حين تثور الغرائز للقاء خطر طارىء ، أما النوع الآخر فهو الذى يثبت ويتجلد برغم الإخفاق المتكرر والصعاب المتتالية ، وهو ما يسميه الملاكمون « القلب المحارب » ، وهو العزم الصادق على النهوض بسرعة من كل سقطة . وكل مبتدىء فى أشد الحاجة إلى هذا الضرب من الشجاعة ، وشبابنا فى حاجة إلى شىء كثير منها حين ينزلون إلى عالم الغد .

لقد اعتدنا أن نضع بين أيدى أطفالنا تلك المبتكرات المتقنة التى أنتجها اجتهاد الإنسان — مثل المذياع والتليفون ، والعقاقير التى تنقذ الحياة — دون أن نذكر لهم الجهود المضنية ، التى تم بها إنتاج هذه المعجزات . وقلما نكلف أنفسنا المؤونة ، فنوضح لهم أن كل تحسين كبير فى الطيران والمواصلات ، وفى الأعمال الهندسية والصحة العامة ، لم يحدث إلا بعد إخفاق متكرر . ومن الواجب أن نؤكد لهم أن من المستحيل تقريبا أن يجىء الشىء متقناً من أول محاولة ، والإخفاق ، بل الإخفاق المتكرر ، هو بمثابة الشوى التى تهدى إلى النجاح ، وأن المرة الوحيدة التى لا يخفق المرء فيها هى المحاولة

الأخيرة التي تفضي إلى الفوز ، وأن المرء يحقق ماضياً في طريقه إلى غاية النجاح .

وكثيراً ما يكون نجاح المرء فاتحة لكفاح أشد عنفاً . فالمخترع الشهير وستنجهاوس قد ابتكر الفرامل الهوائيـة ، وهو دون الثلاثين من العمر ، ولكنه اضطر إلى أن يجاهد جهاد المستميت حتى أشرف على سن الكهولة ، قبل أن يتاح له أن يرى اعتراف الناس بأن ابتكاره هذا من أعظم المخترعات في عصره . ولا يستطيع أحد أن يحصى عدد المستكشفات التي ضاعت ، لأن أصحابهـا لم يرزقوا من قوة الإصرار ما يمكنهم من الثبات حتى يرغموا الناس على التصديق والتسليم .

ويجب أن يدرك الشـباب أن المجاهد المبتكر ، الذي استطاع بعد العناء والتفكير والإجهاد ، أن يصـنع طائرات أو منـازل أو آلات جراحية ، خيراً مما عرفه الناس ، إنمـا بدأت متاعبه الحقيقية عنـدئذ . فإذا أدركوا هذا أصبحوا أشجع قليلا ، وأشد ثباتاً وعزماً حينما يضطرون إلى الاصطدام بعقبات لا مفر منها .

وهنـالك حقيقـة أخرى لا بد من أن نوضحها لشبابنا ، فإن جميع أبنائنا وبناتنـا يبدأون حياتهم ومعهم رأس مال خطير ألا وهو الوقت الذي يستطيعون أن يتصرفوا فيه . فالطبيعة البشرية تتطلب ثماني ساعات للراحة والتغذية ، والمدرسة أو العمل تتقاضى ثماني ساعات أخرى ، ولـكن الساعات الثمانية ملك لنا ، نتصرف فيها كما نشاء . وكثير من هذا الوقت ينفق في الإنصات إلى الإذاعات أو في الرقص ، أو في السينما .

إن مجرى التاريخ البشرى كثيراً ما يتأثر أبلغ التأثر بأعمال رجال ونساء أحسـنوا اسـتخدام أوقات الفراغ . فهنالك مثـلا أنطون ليفنهوك ، وهو رجل هولندى غير متعلم ، حرفته التي يرتزق منها تنظيف دار البـلدية في بلدة دلفت ، ولكنه في أوقات فراغه كان يدرب نفسه كيف ينحت العدسات الصغيرة ويصقلها ، وبفضل هذه العدسات تم الـكشف عن ذلك العالم المدهش الهائل : ألا وهو عالم الميكروب . ولعل هـذا هو أعظم كشف في تاريخ الطب كله . ثم هنالك قصة الأخوين رايت ، وكانت حرفتهمـا ، إصلاح العجلات ، تدر عليهما رزقاً ضئيلا . ولـكنهما وقفا وقت الفراغ على ذلك الحـلم ذي الأجنحة المسمى « طائرة » . ولن يسـتطيع أطفالنـا أن يكونوا من رجال النهضة والابتكار ما لم يعلمهم آباؤهم كيف يخصصون جزءاً من نشـاطهم للاستعداد للمستقبل ، وأن يستخدموا أوقات الفراغ في أمور عملية .



أصدقاؤنا ... قانصو الرؤوس

اريك سيفاريد

قفز عشرون مسافراً من طائرة نقل أمريكية فوق برما طلباً للنجاة ، وهذا الفصل أول قصة عن مغامراتهم العجيبة فى أدغال الهمج .

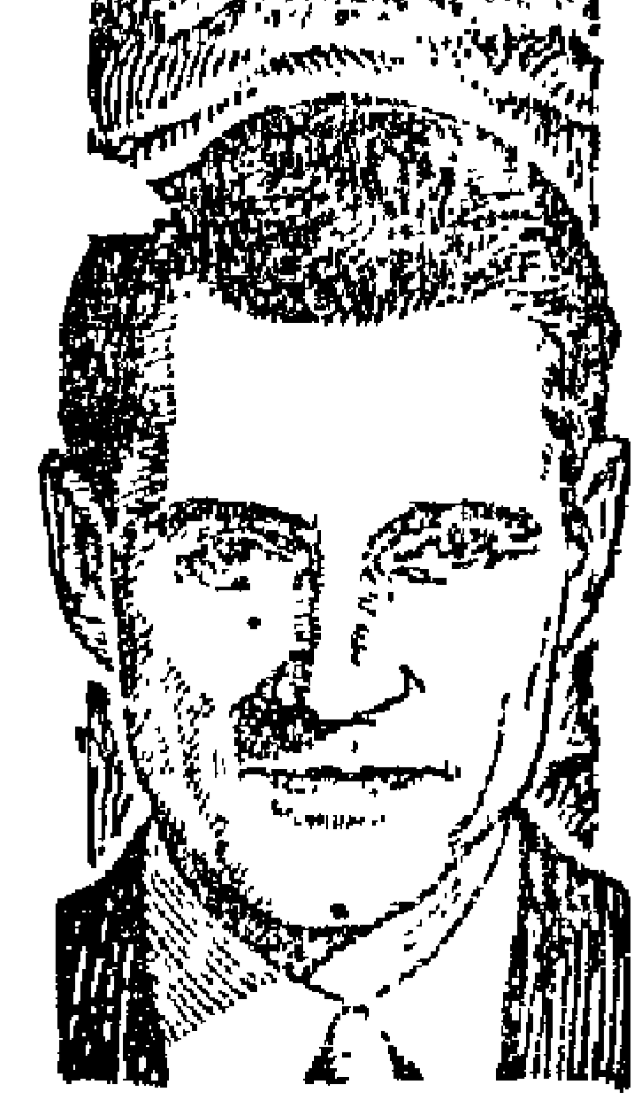
كان ذلك فى الصباح المشرق ، ثانى أغسطس الماضى ، حين قفزنا نحن العشرين بالمظلات إلى غابات الجبال ، حيث تلتقى حدود الهند وبرما والصين . وأمامى الآن ، وأنا أكتب هذا ، مايجدد ذاكرتى ، وهى مسوّدة مذكراتى خلال الشهر الذى قضيناه بين قانصى الرءوس الهمج ، والتعليمات التى كانت تلقيها الطائرات التى عثرت علينا ، من يوم إلى آخر ، وبعض ملابس أظن أنه سيتحتم علىّ أن أحرقها .

كانت الطائرة كاملة الحمولة حين تحركت للرحيل فى الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ، ولم أكن أعرف من السفْر سوى اثنين : جون ديفز السكرتير الثانى بالسفارة الأمريكية فى شونكنج ، والكابتن دنكن لى ، وهو محام سابق فى نيويورك . وتعرفت قبيل قيام الطائرة بوليم ستانتون الموظف بإدارة الاقتصاد الحربى الأمريكية ، وكانوا ثلاثتهم قد أمضوا سنوات فى الصين .

تمنطقنا بالمظلات حين ركبنا الطائرة — وتبادلنا النكات المألوفة السخيفة عن ردها إلى أصحابها إذا هى لم تصلح للعمل — وأخذت أنا فى تدوين ملاحظاتى استعداداً لمقال وعدت بأن أكتبه .

وبعد ساعة ، حين دخلنا منطقة مفعمة بالضباب ، صعد الكوربورال ستانلى وتربرى على الحقائب ، وصاح فى أذنى بارتياع يخالطه شىء من السرور ، قائلا : إننا نطير بمحرك واحد ، لأن المحرك الأيسر قد تعطل تماماً ، ومع ذلك ظللت أكتب .

فلما كانت الساعة التاسعة والربع دفع رجال الطائرة بابها على مصراعيه ، وعادت الصيحة : « ألقوا جميع أمتعة المسافرين ! » فارتعت وفزعت ثم ثار غضبى ، فقد قضيت



نال إريك سيفاريد شهادته من جامعة مينسوتا سنة ١٩٣٦ ، ورحل إلى أوربا ليدرس الاقتصاد والسياسية ، وظل هنالك ليصف التاريخ الذى رآه وهو يتخلق . وصار مراسلا صحفياً ، ثم محرر الشئون المالية فى طبعة باريس من جريدة الهرالد ، ثم محرراً فى شركة الأنباء المتحدة بباريس ، ثم مذيعا فى شركة كولومبيا للاذاعة . ولما غزا الألمان فرنسا سافر إلى لندن حيث وافى الصحف بأنباء الحرب الجوية الخاطفة سنة ١٩٤٠ . ثم سافر إلى الولايات المتحدة ليرأس مكتب شركة كولومبيا للاذاعة فى وشنطن . وفى الصيف الماضى زار الصين والهند مراسلا حربيا بالراديو . فلما عاد واصل إذاعاته من نيويورك .

الأسابيع فى جمع حوائجى، واسترداد أمثالها يقتضى تأخيراً طويلا . وركع عند الباب الجاويش نيد ميللر ، وهو من قدماء المحاربين، وراح يقذف بالصناديق والحقائب فتختفى ولا يسمع إلا صفيرها فى الهواء .

ومرت الدقائق ، واستطعت أن ألمح قمم الجبال على الجانبين ، ومن تحتنا الغابات الخضر ترى من خلال السحب المتقطعة .

وبدأ رجال الطائرة فجأة يهيئون لأنفسهم مظلات الهبوط ، فأدركت معنى ذلك ، ولكنى لم أستطع أن أصدقه ، فما كنت أتصور أن يقع هذا لى أنا . وطفق ديفز ، الذى أظهر من حضور الذهن ما بذّنا جميعاً يسأل أين نحن ؟ فلم يفز بجواب فى هذا الذعر السائد .

وكان معنا ضابطان صينيان برتبة الكولونيل . جذبنى أصغرهما واسمه « كوه لى » سن كى، وأشار إلى حلقة مظلته وكان نصفها الأعلى قد خرج من مكانه ، أما نصفها الأسفل ، وعليه المعول ، فرأيته باقياً فى مكانه ، فصحت قائلا : « كل شىء على ما يرام » . فأومأ لى برأسه .

وازدحم الباب بالواقفين ، وكل امرىء منهم يحجم عن الوثوب ، ثم قفز جون ديفز وعلى وجهه تقطيبة غريبة ، فقلت لنفسى : « وداعاً يا جون » ، فلست أتوقع أن أراه ثانية . وفضّ جون بجرأته الأغلال عن الناس ، فتبعه نفر منهم ، وإنى لأذكر بيل ستانتون وقد صاح بلهجة بريطانية خالصة : « أناشدكم الله أن تفسحوا الطريق إذا لم يكن فى نيتكم أن تثبوا » ، ونحّى رجلين جانباً ثم وثب .

ورأيت قمة خضراء تظهر تحت الطائرة مباشرة ، على مسافة لا تزيد على مائتى قدم ، فوثبت كبقية السفر ، لأول مرة فى حياتى .

وكانت الطائرة قد بدأت تنقلب ، وبابها

إلى أسفل ، ولهذا هويت ورأسى إلى الأرض ، فأغمضت عينى وأحسست بعصفة ريح هائلة ، وكنت كأنى على ثقة مما أفعل ، فانتظرت ثانية طويلة قبل أن أجذب الحلقة بكلتا يدىّ . فاعتدل جسمى برجة هائلة وصرخت صرخة عاليــة ملؤها الدهشة العظيمة : « يا رب ! إننى سأعيش ! » .

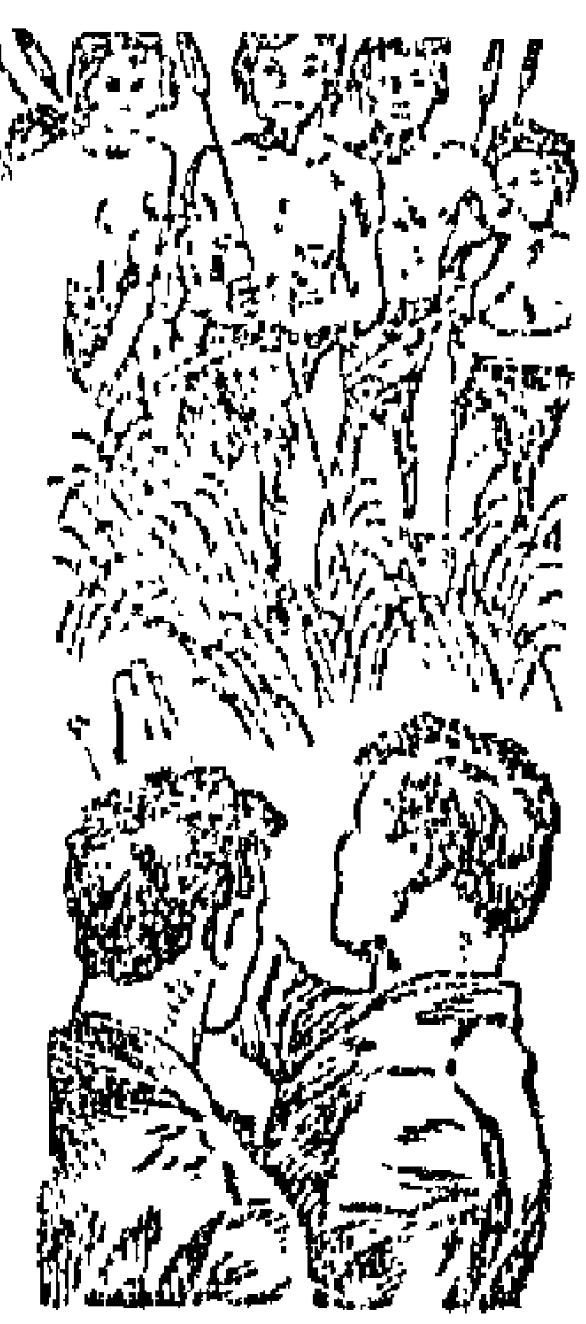
وفتحت الصدمة عينى ، فارتسم أمام ناظرى فى لحظة منظر الوادى كله : قرية تبعد نحو ميلين ، ونهر ، وكأنى أرى تحتى مباشرة ينبوعاً مخيفاً احمر اللهب ، يتفجر من جانب الجبل . ورأيت ثلاث مظلات أخرى ، إحداها تهوى مسرعة إلى اللهب ، فدعوت قائلا : « اللهم لا تتركنى أسقط فى هــذه النيران » ، لأننى أيضاً كنت مندفعاً نحو الحطام المضطرم .

ثم وجدتنى ، على حين غرة ، أتدحرج وأتدحرج خلال الغابة الكثيفة ، فلما وقفت تبينت أننى لم أصب بأذى . ولم تدم فترة الهبوط كلها سوى عشرين ثانية .

حاولت جاهداً أن أتخلص من وثاق المظلة . ولم يكن بصرى يمتــد إلى أكثر من عشر أقدام تقريباً فى وسط هذه الغابة التى تفوق فى كثافتها حــدود المعقــول . وسرعان ما ابتلت ملابسى بالماء ، وشعرت بلسع حشرات الغــابات ، ومن ذعرى تركت مظلتى ومضيت أتخلل الغابة أقصد الحطام ، محاولا أن أصيح بين نوبات الغثيان . وكانت هــذه أسوأ لحظات مرت بى فى الحياة .

لم تكن لدى أية فكرة عن المكان الذى هبطنا فيه ، ولا عن سكانه : أأصدقاء هم أم أعداء ؟ وهأنذا بلا طعام ، ولا لباس سوى ما أرتدى ، وما معى من ســلاح سوى مبراة ، وها هو الدم يقطر على سراويلى من لدغ الحشرات ، وها هى الهواجس تتزاحم فى رأسى : كيف أستطيع أن أعيش ؟ على الفاكهة البرية ؟ هل أستطيع أن أجد مخرجاً من هــذه الغابة وحدى ؟ تذكرت صبياً من ولايتنا عاش ٤٠ يوماً فى غابات غينيا الجديدة . فإذا كان هو قد استطاع ، فإنى مستطيع . كلا أنا أعلم أننى لا أستطيع . . .

وأخذت أسمع نداءاً خافتاً ، فهدأ روعى قليلا ، فمن العزاء أن أعلم أننى لن أموت وحدى . ثم فكرت فى زوجى وولدىّ التوأمين . وطغت علىّ موجة من الندم . وبينا كنت أسقط متعثراً ثم أكافح ناهضاً على قدمى مرة بعد أخرى ، جعلت أحصى مال الادّخار ومال التأمين ، وكم سنة يكفى أن يصدّ



غائلة الفقر عن أسرتى . ثم التقيت بالجاويشين ملر وفرنسيس سنيور وكلاهما هادىء رابط الجأش .

ووجدنا فى الطريق إلى الطائرة الجاويش والتر أوزوالت عامل الراديو الذى ظل فى مكانه حتى آخر لحظة ممكنة ، يعطى الإشارة عن مكاننا ، فإذا هو ممسك بأحد كعبيه وقد انكسر ، ويقول : « يا للعنة ! أضخم رجل بين الجميع يقدّر عليه أن يصاب ! » وكان وزنه ٢١٠ من الأرطال . فلففت حول كعبه قطعة من حرير المظلات ، ثم جاء قائد الطائرة يزحف ، وهو الضابط الطيار هارى نيفو ، وقد كسر أحد أضلاعه ، وتقدم ميلر يشق الطريق فى الغابة بسكين كبيرة ، وتعاونا نحن فى مساعدة أوزوالت على السير .

وجلسنا هنالك نحو ساعة لا ندرى ماذا نصنع . ثم سمعنا طائرة ، وكان يبدو من المستحيل أن يعثروا علينا بهذه السرعة ، ولكنهم فعلوا بفضل أوزوالت ، وجاءوا فوق دخان الحطام تماماً ، فلوحنا لهم بمظلاتنا متحمسين ، وأخذنا نصيح ، وجعلوا يطيرون فوقنا جيئة وذهاباً ، فقال نيفو : « إنهم سيلقون إلينا بالمؤن ، وهم يريدون منا أن نخرج إليهم فى منطقة خالية » .

وتركنا سنيور مع أوزوالت ، ثم تسلقنا التلّ فى عناء بين الأدغال ، حتى وقعنا على طريق ضيق فأسرعنا نحو القرية . فلما بلغنا منطقة خاليـة ، جاءت الطائرة وهبطت وانخفضت ، ورأيناها تلقى صرتين عثرنا على أولاهما ، وكانت تحوى بندقيتين من طراز (سبرنجفيلد) ومؤونة محفوظة ، ومقادير وافرة من الماء والسجائر والكبريت ، وسكاكين طويلة للغابات ، وأغطية . أما الصرة الثانية فلم تفتح مظلتها ، وقد استنتجنا من لونها الأصفر أنها تحمل جهازاً للراديو .

وبينما كنا نبحث عنها سمعنا صيحات الأهلين تتجاوب على الدرب ، فجريت لأدرك نيفو الذى كان يحمل مسدساً ، وانتظرنا قلقين حتى جاء الأهلون يحملون الحراب والمدى ، وكانوا قوماً غلاظ الأجسام ، على أذرعتهم وعلى ذقونهم الوشم ، يرتدون ما يستر عوراتهم ، وعليها أحزمة من الجلد فيها أغماد السكاكين . وشددت قبضتى على مديتى وانتظرت ، ونهيت نيفو همساً عن لمس مسدسه أو إظهار ما يدل على العداء أو الرهبة .

ولم يلبث الأهلون أن ركزوا حرابهم

فى الأرض وأقبلوا علينا باسمين ، وقدموا لنا جعة مصنوعة من القمح والأرز ، لها رائحة كرائحة طعام الخنازير . فتظاهرنا بشربها ، وقد جلسوا من حولنا القرفصاء ، وراحوا يجسون ملابسنا بأيديهم . وكان هارى يحمل ورقة سجلت فيها بعض مالا غنى عنه من كلمات مكتوبة ليستعين بها الهابطون بالمظلات فى تلك الجبال ، ولكن اللغة التى كتبت بها لم تكن لغة هذه القبيلة فلم يفهموا منها شيئاً .

واستطعت بالإشارة أن أجعلهم يبحثون عن الحقيبة المفقودة ذات المظلة ، وسرعان ما عثروا عليها ، فوجدنا جهاز الإرسال قد تحطم ، ولكن جهاز الاستقبال ظل سليما . ووجدنا بالحقيبة أشرطة طويلة من نسيج أبيض كى ينشر علامة للطائرات ، ومعها رسالة رمزية عن طريق استعمالها . ووجدنا ما هو خير من هذا كله رسالة بالآلة الكاتبة جاء فيها :

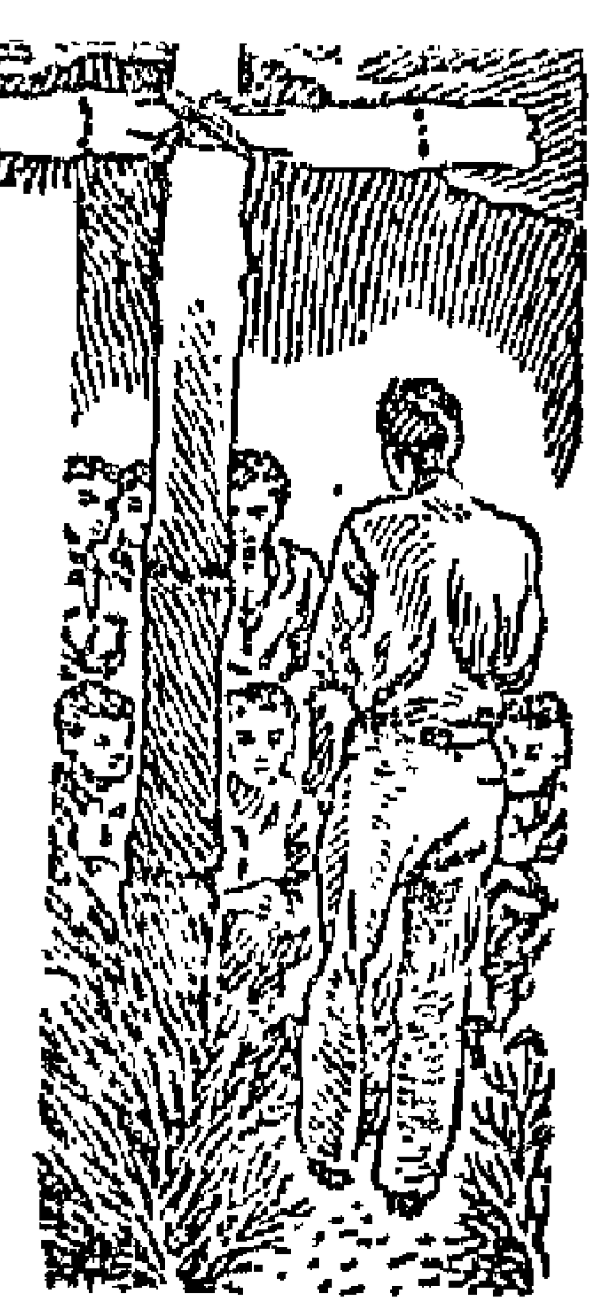
« ابقوا بجوار الحطام حتى تصل فرقة الإنقاذ . إنكم هنا مأمن من الأعداء . أعطوا الطائرات التى تبحث عنكم إشارة تدل على بقائكم أحياء ، بأن توقدوا ناراً أو تنشروا آية من المظلات الواقية . سيصلكم مزيد من المؤونة بطريق الجو غداً » .

ولم تنقض بضع دقائق حتى اختفت البقية الباقية من أسباب قلق ، إذ أقبل أحد الأهلين يعدو من الناحية المقابلة ، وناولنى مذكرة مكتوبة بالقلم الرصاص من جون ودنكان يقولان فيها : « الحقوا ببقية الجماعة فى قرية ب . . وسيدلكم عليها حامل هذه » . وكان جون قد قفز قبلنا بقليل فلا ريب فى أنه كان على بضعة أميال منا .

وعندئذ أقبل على الدرب فريق آخر من الجماعة يتصببون عرقاً ، وجاء الملازم رولند لى وهو يعرج من كسر فى أحد كعبيه ، على حين جاء الأهلون وهم يتغنون ، وقد حملوا السرجنت أوزوالت على ناقلة مصنوعة من سترتى ميدان وبعض أعواد الخيزران ، وكان قد أغمى عليه وهو سائر على الدرب .

وكتبت أنا مذكرة إلى جون قلت فيها : « هنا أحد عشر رجلا ، اثنان مصابان فى ساقيهما ، وقد ألقيت المؤن هنا . وستعود الطائرة إلى هنا ، وفرقة الإنقاذ فى طريقها . أرجو أن تحضروا إلينا . وسنكون فى قرية تبعد ميلا إلى الجنوب من حطام الطائرة . إلى اللقاء » وكافأت الرسول فأعطيته المظلة الواقية الصفراء ، فانطلق مسرعاً .

واستغرقت مهمة إحضار الجميع إلى



قريتنا ، وكانوا على مسافة ميل ، مدة طالت إلى ساعة متأخرة بعد الظهر ، وكان ستانتون والكولونيل دانج ، والجندي وليم شرانت ، ورجل أو اثنان آخران قد وصلوا فعلا . واستقبلنا شرانت وهو يمسح شفتيه ويصيح راجياً أن ندخل من فورنا ، قائلا إن الدجاج والبيض من صنف طيب . وقد نقل أوزوالت محمولا إلى (الباشا) الرئيسية ، وهي تشبه دار الضيافة ، ومن خلفه مئات من القرويين كأنهم عراة . وعندئذ سمعنا طائرة تعود إلينا ، وبعد لحظات كان معظمنا مشغولا بجمع صرر الطعام التي ألقتها ، محاولين جهدنا أن نحول دون الأهلين أن يختطفوا المظلات ويفروا . وكانوا يتقاتلون في سبيلها بكل شيء إلا السكاكين !

وعادت الطائرة مرة أخرى ، فأسقطت ثلاث صرّات ، وفتحت الثلاث ، ولكن كم كانت دهشتي حين رأيت الصرّات ، تبدو ذوات أرجل ، ثم تنقلب رجالا ! وقد هبطوا على سفح التل ، فجريت نحوهم كالأعمى — وأقول كالأعمى لأن عيني اغرورقتا بالدمع لأول مرة طوال الكارثة .

وأقبلت على أولهم لاهثاً ، فإذا هو هادئ ، يفك أربطة واقية عن ركبتيه . ثم ابتسم ومد يده قائلا : « أنا الكولونيل فليكنجر طبيب . وقد رأينا الآية التي نصبتموها قائلين إنكم تطلبون معونة طبية » .

ولم نكن نصدق أن يأتي هؤلاء الرجال بمحض إرادتهم ليقاسمونا مصيرنا ، لقد نضب ريقي ، ولم أستطع سوى أن أطرق كالأبله . إن كلمة « نبيل » كلمة عزيزة ولم أستعملها قط في حياتي ، ولكنها الكلمة التي تنطبق على تصرف الكولونيل دون فليكنجر ومساعديه السرجنت ريتشارد باسي والكوربورال وليم مكنزي . أما فليكنجر وهو من حملة وسام صليب الطيران الممتاز فلم يصدر إليه أمر بأن يلقي نفسه إلينا ، ولم يسبق للآخرين أن هبطا بالمظلة من قبل .

وفي (الباشا) التي نزلنا بها تلك الليلة جبر الكولونيل فليكنجر ، على ضوء المشاعل ، كعب أوزوالت المكسور ، ووضع عليه جبيرة من الخيزران . وقد جلس حول النار بعض رؤساء القبيلة ، يأكلون عنزة حديثة الذبح ، على حين راحت مئات الأعين ترقبهم من خلال الثقوب .

وكان يجلس من خلفى شيخ متخدد الوجه ، وقد ربط على ظهره طفلا ، وهو ينتحب بصوت خافت ، فأشار الرجل إلى خراج تحت أذن الطفل ثم أشار إلى الطبيب، وبسط يده عن بيضة جاء بها ليدفعها أجراً للطبيب ! ولما فرغ الكولونيل من اوزوالت ، أعطى الشيخ بعض الدواء، وشرح له بالإشارة طريقة العلاج . وكانت هذه فاتحة عيادة طبية يومية أعدها الكولونيل للأهلين .

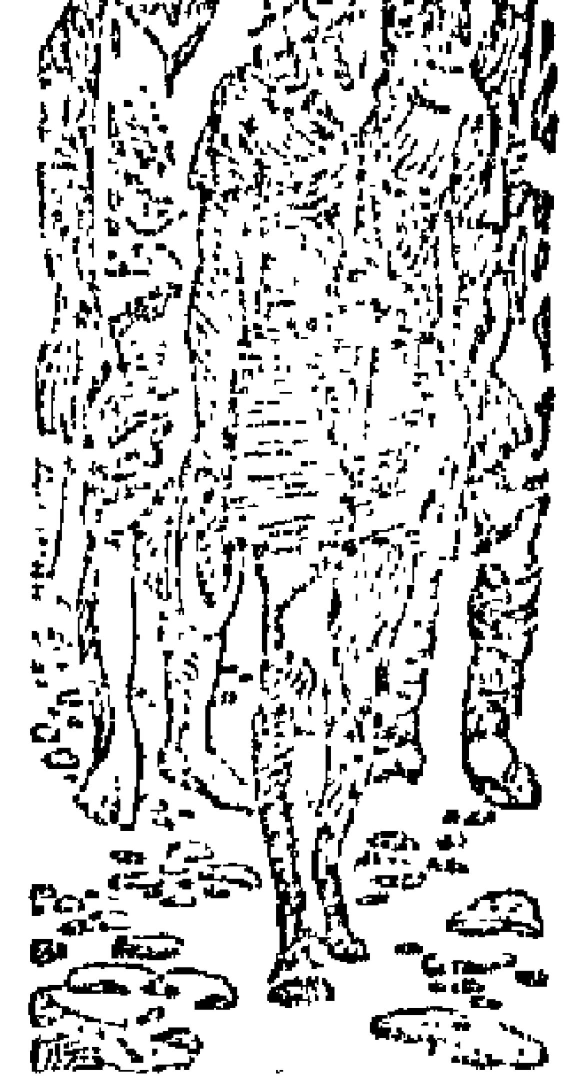
لقد كان يوماً مشهوداً، جلست بملابسى المبللة على الحصير أصغى إلى وقع المطر الهطال، فلما انتصف الليل سمعت صياحاً فى الخارج ، ورأيت من خلال الثقوب ضوء المشاعل الوهاج . ثم اقتحم (الباشا) رجلان من طراز أولئك الأهلين القاتلين الذين رأيتهم أول النهار . وارتفع بعد ذلك صوت مرح يقول : « الدكتور سفاريد على ما أظن ! » كان هذا جون ومعه دنكان وثلاثة آخرون من السفر، هم الكولونيل كوه، والسرجنت إيفان ديلور والسرجنت جوزيف جيجيور وهكذا التأم الشمل، واجتمع ركاب الطائرة كلهم إلا الطيار المساعد الملازم تشارلز فيلكس والكوربورال ليمن .

وقد روى لنا جون أن الخمسة الذين كانوا معه قد هبطوا على مقربة من قرية ب . . . على العدوة الأخرى من الربوة ، فأقبل زعيم القبيلة ومعه رجاله المحاربون . ولما كان جون خبيراً بحيل التجار وخدعهم فقد أوهمهم أنه يعلم علو مكانهم ورفيع قدرهم . وسحرت الزعيم طريقة وصولهم ، فما كان من جون إلا أن لف حوله المظلة الواقية، وراح الشيخ الوقور يرقص والمظلة تتدلى من خاصرته !

ثم جىء بعنزة صغيرة تثغو ، وسكين طويلة ثقيلة يسمونها (داه) . ويقول جون إنه ظل برهة لا يدرى أية رأس كتب عليها أن تطيح ، أرأسه هو أم رأس العنزة ! واختار الزعيم السرجنت ويلدر ليكون جزار الشرف . فأغمض عينيه وأطاح برأس العنزة ، ثم أدير جسمها ليتناوب الحاضرون شرب دمها الحار ، ويشاء الحظ الحسن أن لا يقيئه أحد من رجالنا .

ونزع جون ساعته من معصمه ولفها باحترام وإجلال على معصم الزعيم ، ثم بعث إلى برسالته ، فلما وصله ردّى رحل هو ورفاقه فى طريقهم إلينا مسيرة سبعة أميال تحت وابل من المطر المدرار . وكان الكولونيل كوه ، الذى شهد التقهقر





عن برما ، يشكو ألماً ممضا من كسر فى أحد كعبيه ، ولكنه لم يتوان أن يعين على السير أولئك الذين كانوا على وشك التخلف ، وكادوا يؤثرون النوم على قارعة الطريق .

وفى اليوم التالى أسقطت الطائرة ست صرر أخرى ، ورسالة بالآلة الكاتبة جاء فيها : « إن المندوب السياسى البريطانى معنا ، وهو يحاول أن يتبين مكانكم . وستبدأ فرقة الإنقاذ حين نعرف أين أنتم . يهمنا أن تبقوا حيث أنتم حتى نأتى إليكم . المندوب يعلم عن يقين أن من حولكم وطنيين لا يحبونكم ، ويجب أن يبت فى أمرهم قبل أن تستطيعوا المرور من بينهم آمنين . وربما استغرق الوصول إليكم أسبوعاً . أخبرونا بما تحتاجون إليه » . وكانت الرسالة بتوقيع الماجور سانت كلير ما كياواى ، ضابط الاستعلامات الجوى ، وقد كان قبل الحرب من كتاب المجلات المعروفين .

سقطت الصرر فى حقول القمح الخضر حول القرية ، وقد اعتقدنا أن هذا هو السبب فى طلب أحد الرؤساء أن ننتقل إلى مكان خال يبعد نحو نصف ميل ، فاستولى القلق على الكولونيل فليكنجر ، إذ ظن أنهم ربما أرادوا إخراجنا من القرية حتى يتسنى لهم أن يتخلصوا منا — وإن لم يذكر لنا حينئذ شيئاً من تلك المخاوف .

وبينما كنا ننقل خيامنا ، وصل أحدهم يعدو ويشير ، بما يدل على وجود رجل نائم فى الغابة ، فضرب ركبته عدة مرات بحافة يده ، فقلنا : « إنه لمين أو فيلكس ، قد كسرت ساقه » ومضيت أنا وباسى وما كنزى والسرجنت جلين كيتلسون ، ومعنا نقالة ، فلما رأيت الأهلين يتحولون عن الطريق إلى مكان الحطام أيقنت أننا سنجد جثة ميت .

لقد عثر الأهلون على الطيار المساعد فيلكس تحت الحطام . وقد فصلت ساقه عند ركبته . ويظهر بالبداهة أنه مات لساعته عند ما سقطت الطائرة ، بعد أن أدى واجبه وساعد على الاحتفاظ بالطائرة المعطوبة فى الجو حتى تجاوزنا أرض العدو . وقد قام ما كنزى وباسى بدفن فيلكس فى مظلة واقية ، ونصبا صليباً على قبره ، ووقف الأهلون ينصتون ساعة ، وراح ما كنزى يصلى عليه والدموع تفيض من عينيه . .

ولما عدنا وجدنا الأهلين قد نصبوا بضعة أكشاك من الخيزران وسعف النخيل

لميتنا ، فلما نمنا جعلنا على مقربة منا تلك البنادق الأوتوماتيكية الخفيفة التى ألقتها الطائرة إلينا . وتناوبنا الحراسة بهذه البنادق طول الليل ، وإن كنا قد حرصنا على أن لا نلوح بها أمام الأهلين تلويحاً ينم على التهديد .

* * *

وبعد بضعة أيام جاء (سانجباه) من قرية تبعد ٢٥ ميلا ، وهو مواطن فى تلك القرية يمثل البريطانيين فى المنطقة . وكان ملما بالإنجليزية ، بسيطاً ، ذكيا ، كيساً ، وكنا نلجأ إليه كلما اختلفنا حول صفقة من صفقات التبادل ، إذ كان من عادتنا أن نعطيهم علباً من الطعام المحفوظ والملابس ونأخذ منهم دجاجاً وبيضاً وخشباً للوقود ، وحصلنا بالمقايضة كذلك على بعض السكاكين والحراب المحلية ، وسرعان ما رأينا الأهلين قد اتخذوا قطع الضمادات الملطخة باليماء ، ومفاتيح علب الطعام المحفوظ ، زينة قرطوا بها آذانهم !

وراح رؤساء القبائل يأتون من مسيرة بضعة أيام ليروا أولئك الرجال البيض المدهشين الذين سقطوا من السماء ، وأكثرهم لم يكن رأى من قبل رجلا أبيض ، فكنا نعطيهم الهدايا ونسمح لهم بأن يجالسوا القرفصاء باسمين صامتين حول نارنا . وكانوا يحبون الملح على حين كانوا يلفظون السكر وقطع الحلوى الجامدة .

ووجدنا على مر الأيام شخصيات متفاوتة الطباع بين هذه الوجوه القاتمة المغولية ، فكان بينهم الكسالى وذوي الهمة والنشاط ، والشاكرون والكافرون ، إلا أنهم جميعاً كانوا أمناء فلم يسرق منا شىء قط ، على أنهم لو شاءوا لاستطاعوا أن يجردونا من ثيابنا . وكان بينهم نفر ذوو عيون جميلة ووجوه يصح أن توصف بالحسن فى شعب متحضر ، ولقد أحببنا بعضهم حبا صادقاً .

ولم يكن يباح لنسائهم أن يقتربن من معسكرنا ، وكنا نلتقى بهن عرضاً فى حقول القمح ، وبعضهن جميلات نظيفات جداً ، ممشوقات القوام معتدلات السوق ، إلا أن كعوبهن كانت نادرة صلبة . ولم يكن لهن من لباس سوى جلابيب قصيرة من النسيج القاتم اللون .

وبعد أربعة أيام من نزولنا جاء العداءون وهم فى أشد الفزع ، وأشاروا بما يفهم منه أن أحد رفاقنا محمول إلينا ، وأدركنا أنه لا بد أن يكون الكوربورال ليمن ،



فسارعنا إلى الدرب بالنقالة ، وقابلناه قادماً يترنح ، وذراعاه على كتفى رجلين من الهمج الشداد الأسر . وكان لمن قد هبط على مسافة ثلاثة أميال أو أربعة لا تزيد ، وظن أنه سقط فى منطقة يابانية ، فكان يختفى كلما لمح قادماً من الأهلين ، وانهالت عليه الحشرات تلسعه بلا رحمة ، وابتل ما معه من الكبريت ، فكان يمضغ سجائره طلباً للتنبيه ، فإذا جن الليل حاول أن يغطى نفسه بأوراق الموز ولكن المطر كان يغمره .

وأخيراً يئس وظل يزحف إلى أن بلغ كوخاً نائياً ، فلما رآه الأهلون من سكان قرية ب . . . كان الإعياء قد بلغ منه حتى لم يعد يفزع . فجلسوا من حوله وراحوا يربتون على كتفيه وأوقدوا له ناراً ، ثم جاءوا به إلينا ، وعلى الرغم من سوء ما أصاب قدميه لم يلحقه أذى خطير .

وظلت الطائرة تأتى كل يوم ما سمح الجو لها ، سواء أرادت أن تلقى شيئاً أم لم ترد ، وذلك لتذكر الأهلين بأننا لم نهمل . ولم أر قط أجرأ طياراً منهم ، إذ كان الطيارون ينقضون من خلال الضباب الذى يغطى قمم الجبال فى وادينا الضيق ، ويهبطون إلى ارتفاع لا يزيد على ٥٠ قدماً فوق رؤوسنا ، ويلقون إلينا بالطرود أو بكتل الملح للأهلين . ففى أعناقنا لهؤلاء الطيارين ديون كثيرة .

وسمعنا يوماً ما ، بعد الظهر ، صياحاً ، ثم انحدر من الجبل مئات من الأهلين يجرون ثوراً صغيراً ليذبح تكريماً لنا ، وألقوا به خارج معسكرنا . ثم جاء أحد زعماء القبائل فألقى خطاباً مستفيضاً ورمى نحره بحربة ، ثم غرسوا فى الأرض قائمة خشبية ربطوا فيها أحد حوافر الثور بفروع من الكرم . وبعد خطبة أخرى طويلة أفهم الكولونيل أن عليه أن يربط حافراً آخر فى قائمة خشبية أخرى ، ففعل ذلك مختالا . وبدا لنا أن الخطاب لا يكفى ، فجمع الكولونيل جماعتنا ورحنا نغنى إحدى الأغانى ، على حين وقف الأهلون يصغون فى سكون رهيب . وهكذا أصبحت صداقتنا صداقة موثقة .

* * *

ومضى أسبوعان متطاولان فى انتظار فرقة الإنقاذ ، كنا ننام خلالهما على فراش زكى الرائحة ــ هو خمسمائة رطل من الشاى

ألقيت إلينا لسبب لا ندركه . وكانت البراغيث تلتهمنا ونحن نيام ، إلا أن بعض الليالى مرت لطيفة ونحن حول النار نتحدث عن الطعام الطيب ونغنى كل أغنية تخطر بالبال .
وربما زحفت من الجبال القائمة طبقات من الضباب الأبيض كأنها جبال الثلج العائمة .
وقد شخصت أبصارنا ليلة عند نصف الليل ، إلى قوس قزح كامل فى ضوء القمر .

وجاء منقذونا من خلال الضباب فى ساعة متأخرة بعد ظهر أحد الأيام ، وهم فيليب أدمز الضابط السياسى البريطانى ، والملازم أندرو لابونت والسرجنت جون ديشين من سلاح الإشارة فى جيش الولايات المتحدة .
وقد وصلت إلينا الفرقة بعد أن اضطرت إلى أن تمشى خمسة أيام من مخفر بريطانى .

كان أدمز شخصية لا تنسى . وهو فتى من سسكس فى التاسعة والعشرين من العمر ، جعد الشعر أشقره ، وقد جاء مرتدياً سراويل قصيرة زرقاء ، وحذاء مكشوفاً ، وقميصاً أزرق — وقد تدلى من بين شفتيه فم سيجارة طويل . وكان رقيق الكلام ، يتشدق بلهجة فصيحة خالصة ، وفى صحبته حرس من الهمج وعشرات من العمال ، وأقراص من النعناع ، وشطرنج ، جاء وكأنه زائر يهبط ليتناول الشاى ! . وهو «صاحب م ... » الذى طالما حدثنا عنه « سانجباه » فى عبارات ملؤها الاحترام كأنه هو الملك الحقيقى لكل هذه الجبال .

وعلمنا من أدمز أن الذين أضافونا قوم غامضون فى نهاية الخطر ، فلو قرب واحد من جماعتنا واحداً منهم لكان أقرب ما يحتمل — كما يقول — أن تطير رؤوسنا جميعا .
فقد كان لتلك القرية شهرة سيئة ، إذ حدث قبل أربع سنوات أن عاقب أدمز أهلها على توغلهم فى الأراضى الواقعة تحت الحكم البريطانى ، وجرّد عليهم فرقة من الجنود وأحرقها بعد معركة شديدة ، وبعد ذلك بعام عاد وعقد معهم صلحا .

وكانت قرية ب ، التى تقع فى العدوة الأخرى من التل ، خارجة عن سلطانه ، فما من أحد يستطيع أن يسيطر على أولئك المحاربين . وقد علمنا الآن أن أحد الأهلين من أصدقاء البريطانيين قطع الطريق عدواً إلى م ... ليخبر أدمز أن فريقاً من الشبان المتهورين فى قرية ب ... يصرون على تمزيقنا ، وكان هذا أحد الأسباب التى دعت إلى إغداق الهدايا من الطائرة ، حتى يتم أدمز زحفه لإنقاذنا . وكان قد أرسل أولا ٣٠ كشافاً من الأهلين لحمايتنا ، وكانوا يختبئون





على طول الطرق المؤدية إلى معسكرنا دون أن نعلم شيئا .

وكان رئيس هؤلاء الكشافة تانج بانج ، وهو الأخ الأكبر لسانجباه ، وهم يرهبون جانبه لأنه أخبث القتلة فى أرجاء الجبال ومن دواعى فخاره ، أو عاره ، أنه قتل ١٧٥ نفساً . وقد أحببنا تانج بانج ، وهو رجل شديد البأس ، يرتدى جلد فهد ، ويتحلى بحمل ثقيل من العاج ، لا يمشى بل يثب على الطريق كالنمر ، كثير الضحك مولع بقوسه التى كان يشدها إلى ساقه ليقذف بها سهماً مسموماً يحكم رمايته إلى هدف على مسافة ٧٥ ياردة .

* * *

وبدأنا نعد العدة لرحلة مضنية تستغرق مسيرة سبعة أيام للخروج من الجبال ، وقد ألقت الطائرات أطناناً أخرى من الملح قسمها أدمز بين رؤساء القبائل ، بل إن الطائرات ألقت إلينا مظلات شمسية ، فكنا نراها عملا سخيفاً فى أول الأمر ، ولكنها كانت فى الواقع عظيمة الفائدة . ولم يدخر هؤلاء الطيارون وسعاً فى الاهتمام بأصغر الأشياء ، حتى لقد ظلوا يطوفون حولنا عصر أحد الأيام ساعة كاملة لكى يعرفوا بالإشارات مقياس حذاء كل واحد من الجماعة .

ولكن حرس أدمز المسلح ، طارد أصدقاءنا القرويين ، فأحال جو الثقة عداء وكراهية . وقد حدث ذات ليلة أن سرق اثنان من الحرس علبتين من الصفيح من الكوربورال واتربرى ، وكان هذا من ناحية المبدأ عملا خطيراً ، فما كان من أدمز الجرىء إلا أن أوقف الحرس صفوفاً ، ولما لم يتقدم المذنبان عمد بكل هدوء إلى جمع أسلحتهم جميعاً ، وأعلن أنها لن ترد إليهم حتى يسلموا إليه المذنبين ، ففعلوا فى خلال ساعة واحدة ، وأعيدت المدى إليهم جميعاً ما عدا المذنبين اللذين عوقبا بإرغامهما على نقل الأحمال كالعمال طول اليومين الأولين من سيرنا على الأقدام .

وحدث ليلة سفرنا أن تقدم أحد الأهلين فى رفق من الكولونيل فليكنجر ، وكان يعالج طفله من جرح فى رأسه ، ثم وضع تحت قدمى الكولونيل أعز ما يملك ، وهو قوس جميلة من الخشب الأحمر والعاج .

* * *

وفى ١٨ أغسطس ، تحت المطر والضباب قوضنا خيامنا ، فأصبحنا أقرب ما نكون

من الكارثة ، فقد تركنا كومة من الملابس والحبال الحريرية والعلب المحفوظة والطعام ، وحز فى نفوس الحمالين أن يأخذ القرويون هذا كله ويحرمون ، وهم الذين يعملون لنا ، فتجمعوا جماعات صغيرة تنذر بالشر ، وكثرت غمتهم ، ثم جرد أحدهم سكينه وراح يتوثب محرضاً الآخرين على الإقدام ، وكان بدء حركة كهذه نذيراً بثورة ومذبحة .

فتقدم أدمز وليس معه من سلاح سوى فم سيجارته ، ولم يظهر على وجهه أقل أثر من آثار التردد أو الوجل ، وهو يدفع السفاكين يميناً وشمالا ويجذبهم من شعر رؤوسهم، دون أقل اكتراث . وإننى لأنعى على الطبقة الحاكمة البريطانية أشياء كثيرة ليس منها شجاعتهم وقوتهم ، ومن هذا الصنف ولد أدمز ، وهو خير ممثل رأيته لهذه الطبقة . وأظن أنه لو أظهر شيئاً من الخوف لكان كل شىء قد انتهى ، ولكن الفتنة قمعت وبدأت الرحلة . وقد حمل ثمانية من الأهلين أوزوالت فى مقعد من الخيزران وراحوا ينشدون أناشيدهم وهم يسيرون ، وامتد طابورنا مسافة ميلين على طريق الغابة الملتوى ، ومعنا ٦٠ كشافاً مسلحين بالبنادق ، و ٣٦ رجلا أبيض ، وأكثر من مائة من الحمالين .

وكانت رحلتنا صعوداً وهبوطاً طيلة النهار ، فالأهلون يبنون قراهم على قمم الجبال خشية الهجوم المفاجىء ولهذا تكاد الطرق جميعها تذهب إلى أعلى ثم إلى أسفل . وقد شرب بعضنا كثيراً من الماء فمرض ، وراح آخرون مثلى يصيحون من ألم النفاطات ، وغيرهم فى مثل آلامهم آثروا الصمت . وقد أغمى على الطيار نيفو إغماءاً تاماً بعد ظهر أحد الأيام ، ولكنا بقينا أكثر الوقت على حال لا بأس بها . وكان الكولونيل فليكنجر يعنى بنا ويعالج أمرنا كل ليلة ، لا يبالى أين بلغ من الإعياء . فإذا أحس أحدنا أنه لا يستطيع أن يخطو خطوة أخرى صاح به ديفز : « إلى الأمام وإلى أعلى يا أصحاب الفنون ! يا أهل الإبداع ! » وفى أشد لحظات الألم والتعب كان يلتقط أغانى الأهلين ويصوغها بألفاظ مضحكة تطربهم وتسرى عن نفوسنا .

وفى الليلة التالية بلغنا قرية سانجباه ، فوجدناه مريضا بالحمى منذ بضعة أيام ، وجلسنا على الحصير فى داره النظيفة المنظمة، وشربنا « زو » ، وهى جعة الأرز ، قدمتها إلينا زوجه الجميلة السمراء ، على حين راح الكولونيل يعبر له عن شكرنا صنيعه بنا ،





فأبدى سانجباه أسفه أن لا يستطيع مواصلة السير معنا كما كان يريد وانتصب قائماً على قدميه فى ضعف ، ونزع عن الحائط قناعا منحوتا صغيراً من النحاس ، كان يحتفظ به تذكاراً عزيزاً عليه ، فقدمه إلى الكولونيل فليكنجر بابتسامة شاحبة ، وكادت الدموع تطفر من عيوننا جميعا .

وقد حدث ذات ليلة أن كنا نعسكر على ربوة جبلية عالية ، فألقت الطائرة حقائب فيها الملح الصخرى ، فأصابت خيامنا ثلاث مرات بثلاثة أكياس وحطمتها ، فعلا ضجيجنا . وإذا بمساعد الطيار يقول لنا بالراديو : « سنستعمل غداً مظلة مضيئة » ولكنه أضاف إلى ذلك قوله : « وبعديوم أو اثنين سنلقى عليكم مثلجات ودجاجا محمراً — وهذا جد لا مزاح ! » وقد بروا بوعدهم ، وجاءوا أيضا بجعة — جعة أمريكية حقيقية ، حملق فيها بعض الرفاق قبل أن يشربوها .

ومرت بضعة أيام ، أخذ الطريق بعدها يتسع ، وأخذ طعم جعة الأرز يحلو ، وأخذ الأهلون يبدون أصغر وأضعف ، إذ كانت الحضارة تزداد بالتدريج قرباً . واستطعنا أن نلمح سهول الهند من الممرات الجبلية التى أمامنا ، ثم رأينا ذات صباح صفا ممتداً من سيارات « الجيب » الأمريكية ، واخترقنا بطارية من عدسات التصوير ، وأُخذتُ أخذاً إلى الميكروفون لكى أتكلم فكانت تجربة أضنتنى أكثر مما أضنانى أى يوم من الأيام التى قطعناها سيراً على الأقدام.

وهكذا سرنا عشرة أيام قطعنا خلالها أكثر من ١٤٠ ميلا فى طرق وعرة وعورة لا يكاد يتصورها العقل ، فكان هذا مما استخرج الدهشة والعجب من أدمز الذى لايقهر ولايدحر ، وقد اقتضى حادثنا أن يعمل مئات من الضباط والجنود عدة أسابيع ، وكلف إنقاذنا ألوفا من الدولارات ، ولكنا نجونا ، وخرجنا أحياء .

وإنا لنذكر الذين أضافونا من أهل الجبال بالحب والتقدير ، فقد كان مما يسهل عليهم أن يتبعوا تقاليدهم المألوفة ، ويجهزوا علينا جميعا ، ولكنهم ساعدونا على أن نعيش . ولست أدرى على التحقيق ماذا كان رأيهم فينا ، ولكنهم يعرفون الجنس الأبيض الآن ، ولعلنا كفلنا بذلك لأولئك الذين يثبون من الطائرات نجاةً بأرواحهم ، ما يزيد أمنهم فى تلك الجبال النائيات . . .

النفس المعذبة

إرفنج ستون

ملخصة عن كتاب « شهوة الحياة »

[قضى أرفنج ستون — على سبيل التحضير لهذه الترجمة القوية الخيال لحياة فنسنت ڤان جوخ — أكثر من عام، وهو يقفو أثر هذا الفنان في هولندا وبلچيكا وفرنسا. فزار كل معاهد فنسنت ومسارح حياته، وحادث كل من وجد ممن كانوا يعرفونه ولو قليلا. بل بلغ من أمره أنه في ليلة الذكرى لوفاة المصور، نام على السرير الذي مات وهو راقد عليه. وفي إيتين — وهي بلدة في إقليم برابانت رسم فيها فنسنت صوره الأولى — زار المستر ستون عامل البريد الذي صوره الفنان، على حين كان أهل البلدة يخشونه لظنهم أنه مجنون. ولا يزال عامل البريد محتفظاً بصورة من آثاره أعطاه إياها.

وما زال كتاب « شهوة الحياة » يفوز، منذ نشر، برواج مستمر]

لمّا فاز فنسنت فان جوخ للمرة الأولى بالراحة الكبرى ، وهو لا يتجاوز السادسة والأربعين ، لم يمش وراء جنازته إلا سبعة رجال . ولما حدث أخيراً أن أقام أحد المتاحف بنيويورك معرضاً لصوره ، بلغ عدد الذين زاروه ليروا هذه المجموعة ١٢٣,٣٣٩ ، واضطر المتحف أن يرد أكثر من هذا العدد . ولم يتجاوز ما كسبه من عمله طول حياته ، كفنان ، مبلغاً زهيداً يقرب من ١٢٩ ريالا . وبعد موته بيعت صورة واحدة مما رسم بمبلغ ٨٥٠٠٠ ريال ، وتقدر جملة ما ارتفع إليه ثمن صوره بحوالى عشرة ملايين ريال .

وكانت صور فنسنت «عمل حياته» بالمعنى الحرفى ، ولقد قال أحد النقاد إن « فان جوخ قضى على نفسه ليرسمها » . وكان الناس يذكرون فان جوخ فيقولون عنه : « المصور الهولندى المجنون » ولكن والتر باتش يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فيقول : « إن حياته كانت انتصاراً ، وكانت ظروفها من أقسى وأمرّ ما عانى إنسان ، ولكنه ما من مصور إلا وهو يعد ذلك ثمناً هيناً ، إذا هو أعان على إكساب الألوان مثل هذه الحيوية ، وإضاءة الوجوه بمثل هذه التعبيرات ، وإفادة الضوء مثل هذا السطوع على القماش » . وقد كانت نيران « البوتقة المضطرمة » فى ذهنه ، هى التى خلقت هذه الصور الوهاجة ، وما كان لهذه النار أن تهمد إلا بعد أن تأتى على العقل نفسه .

ولا مفر فى التلخيص من الاقتصار على نواحى من الحياة التى جعل منها المستر ستون فى كتابه « شهوة الحياة » قصة مؤثرة غنية بالتفاصيل .

النفسُ المعذَّبة

"بعض الناس يواتيهم الحظ كله. انظر إلى صاحبنا هذا: عمه يملك نصف متاحف جوبيل فى باريس، وبرلين، وبروكسل، والهاى، وأمستردام، ويقال إن هذا العم الهرم ينوى أن يوصى له بما يملك. وله عم آخر يملك دكاكين كبيرة للصور فى بروكسل، وآخر يملك أكبر متجر فى هولندا. والحق أن أسرة فان جوخ هى أكبر أسرة تتجر فى الصور فى أوربا، وسيجىء يوم يسيطر فيه صاحبنا هذا ذو الشعر الأحمر على الفن فى القارة كلها».

وكان زملاء فنسنت فان جوخ الموظفون فى متحف جوبيل بلندن يقولون عنه — وهو فى الثانية والعشرين من عمره، ومرتبه خمسة جنيهات فى الشهر — إنه شاب له مستقبل حسن جدا، وإن كان على شىء من الشذوذ. ولكن فنسنت نفسه فقد فجأة كل لذة يمكن أن تستفاد من بيع الصور. فقد أحب للمرة الأولى فى حياته، وقوبل حبه بالامتهان.

وفى الليلة التى قال فيها لأورسولا، وهو يتلعثم، إنه يريد أن يتزوجها، نظرت إليه وعيناها مفتوحتان وقالت: « زوجتك! ولكن هذا مستحيل! فإنى مخطوبة، وخطيبى فى ويلز» وأرسلت يدها من يده، ودارت على عقبها وقالت بصوت خفيض كالهمس كان له فى نفسه وقع الصيحة: «ياله من أحمق أحمر الشعر!»

وأدارت هذه اللطمة رأس فنسنت، ولكن الألم — وهذا من دواعى العجب — أرهف إحساسه بالألم فى نفوس الغير، وجعله أيضاً لا يطيق النجاح الرخيص الصاخب. وكان يقول: «كيف يستطيع رجل أن يقضى حياته كلها يبيع السخفاء من الناس صوراً رديئة؟» وقل ما يبيع من الصور حتى لم يعد ذا قيمة أو نفع للمتحف. وبعد شهر أعلن فى هدوء أنه نفض كفيه من تجارة الصور.

وصار قسيساً فى مدرسة لطائفة النظاميين (ميثوديست)، وكان تلاميذها من أحياء لندن الفقيرة. وفى بيوتهم عرف فنسنت لأول مرة معنى الفاقة الحقيقية، فقد كانت الأسر تحشد كالقطيع من الماشية فى غرف باردة عارية وهى تنتفض من البرد، والسقم يطل من عيونهم ويرتسم على وجوههم. وتذكر، وهو يصغى إلى قصص بؤسهم وشقوتهم قول رينان: «إن الإنسان لم يخلق على هذه الأرض ليسعد فقط، ولا ليكون شريفاً فحسب، بل لينهض للإنسانية بمساع عظيمة، وليرتقى إلى مرتبة النبل». وخطر لفنسنت أن من الخير والنعمة أن يكون

المرء « إنجيليا » فى مثل هذا الحى .

وفى أحد أيام الآحاد ، وكل إليه أن يلقى عظة فى كنيسة مهمة على جمهور كبير مرضاته عسيرة ، فكان لغيرته ، وقوته ، وعينيه النافذتين وقع عظيم . ولما التف حوله السامعون ليصافحوه كان يحدث نفسه أن لو كان يسعه أن يحمل نجاحه هذا إلى أورسولا ويضعه عند قدميها ، ويشركها معه فيه !

وذهب يمشى تحت المطر الدافق ، فألفى بيتها مضاءً كله ، والمركبات على بابه ، ورأى أورسولا ومعها شاب نحيف مديد القامة ، واقفين عند الباب ، والناس يخرجون وهم يضحكون ويلقون عليهم الأرز . . . فعاد فنسنت أدراجه بخطى ثقيلة فى المطر المنهمر ، وحزم أمتعته ، وغادر لندن إلى غير رجعة .

وما لبث أن أدرك أن التربية الدينية لا تلائمه . وكان السؤال الذى يضنيه فى الليل والنهار هو : هل ينبغى أن يكون قسيساً محترماً بارعاً ؟ وما القول فيما ينشد من القدرة على إسداء الخير والمعونة للفقراء والمرضى والمرهقين ؟ وقال لنفسه وهو يحاورها : « إنى أريد أن أقوم بالعمل الذى يفرضه علينا الله — الآن ، لا بعد خمسة أعوام من الآن » .

وقال له صديقه : « اسمع يافنسنت ! لماذا لا تذهب إلى البوريناج ؟ إنها منطقة فحم فى بلجيكا ، والمعدنون هناك يعملون وهم أبداً فى خطر من الغاز والانفجار أو الفيضان ، وأجورهم لا تكاد تكفى لما يحفظ الرمق ، ومساكنهم أكواخ خرعة ، وأسرهم تقضى معظم السنة وهى تنتفض من البرد والحمى . فهؤلاء الناس بهم حاجة إلى رجال مثلك يافنسنت ، وما أشك فى أن اللجنة الإنجيلية تقبل أن تندبك » .

وقد ذهب فنسنت ، ولم يبق كوخ فى القرية إلا حمل إليه الطعام وزاره مواسيا ، ومرّض السقيم وصلى مع البائس . وكانت حول أكواخ المعدنين بضعة أشجار هامدة وحفر غاصة بالرماد ، وفوق هذه وتلك جميعاً تنشر المداخن الطويلة سحباً من الدخان الأسود أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم . وكان المعدنون دقاق الأبدان محنيي الظهور معروقين ، وكانوا يسمون « ذوى الأشداق السوداء » لأن الصابون كان ترفاً لا سبيل إليه ، وكانوا يعيشون ما يعيشون ثم يموتون ولا يفارق رماد الفحم وجوههم . وكانت القرية تبدو فى النهار مهجورة . وتحتها بعد نصف ميل يوجد « تيه » المدنية التى يقضى فيها السكان ساعات اليقظة ، من الطفولة إلى الممات . وما من معدّن يسعه أن يدخر عشرة فرنكات ، وكثيراً ما كان فنسنت يبذل لهم ما معه من فرنكات قليلة ،

وكان لا يخفى عليه أن هذا عبث ، فقد كان هناك مئات يتضورون جوعاً ويهرؤهم البرد فى بورنياج .

وعاد فنسنت إلى غرفته ذات يوم وهو يكاد يجن من الأسى والآلام المحيطة به ، وأجال عينه فى سريره المريح وغطائه النظيف ومخداته الوثيرة ، ونظر فى صوانه الحافل . وخطر له أن عنده من الطعام لوجبة واحدة أكثر مما عند هؤلاء المعدنين فى أسبوع . وشعر فجأة أنه كذاب منافق ، وجبان يعظ الناس ويزين لهم فضائل الفقر ، وهو يعيش فى رغد وسعة . وجمع ما تجاوز مقدار حاجته من الثياب ليخلعها على من هو أحوج إليها ، وانتقل إلى كوخ لا نافذة له ، ولا بلاط له غير الأرض ، والريح مع الثلج تغشاه وتعصف به ، وراح يعيش كما يعيش المعدنون ، ويأكل من طعامهم ، وينام على سرير كأسرتهم . بل لقد مسح وجهه بتراب الفحم ليبدو مثلهم، فصار أخيراً واحداً منهم ، واكتسب الحق فى أن يبلغهم كلمة الله !

وكان شهر فبراير من ذلك العام قاسياً ، وشغل فنسنت بجمع الفحم وإعداد الأشربة السخنة والعقاقير، واستغرقه ذلك فلم يتسع قط وقته لفتح الإنجيل ، فقد صارت « الكلمة » ترفاً لا تسمح به حال المعدنين . وما كاد البرد يقل وتخف وطأته ، حتى حلت الحمى محله ، وكان فنسنت ينفق معظم مرتبه على الآخرين ، وأضناه الإمساك إلا عن طعام العمال ، وكان يروح ويغدو وهو محموم ، وعيناه كأنهما ثقبان ناريان فى محجريهما ، وأعصابه تكاد تتمزق ، وقد تهضم وجهه وذهب لحمه ، ولكنه ظل متشدداً صحيح العزم كما كان .

ثم جاء يوم رأى فيه فنسنت أشخاصاً سوداً يعدون فارين من البناء، وهم يلغطون: « وقع حادث ! وصار قوم فى مثل الفخ ! » وأقبل الأطفال والنساء فى ذعر ، ومنهن من تبكى وتولول، ومنهن التى تحدق مفتوحة العينين ولا ترى . وظهرت جماعة يحملون ثلاثة أطفال لفت عليهم أغطية، وقد احترقت أجسامهم ، وكانوا بنتين فى نحو التاسعة وغلاماً فى العاشرة ، وكلهم غائب عن رشده ، وقد أكلت النار الجلد والشعر فيما كان غير مستور من أبدانهم ، وعلت أصوات الباكيات الحزينات الموجعات . ودخل فنسنت كوخاً ونزع الثياب عن الطفل الأول وصاح : « الزيت ! الزيت ! بسرعة ! والضمادات ! » فجاءت الأم بقليل من الزيت ثم وقفت شاخصة وتمتمت : « ليس عندنا ما يصلح أن يكون ضماداً » ، فخلع فنسنت سترته، ومزق قميصه وشعاره، وعصب البنت

من فرعها إلى قدمها ، ثم صنع مثـل ذلك بالبنت الثانية ، فلما جىء بالغلام احتاج أن يمرق سراويله ليتخذ منه ضمادات .

وصارت فرق المتطوعين تعمل ١٢ ساعة بلا توقف . ولما كان الفحم لا يخرجه أحد من جوف الأرض ، فإن العمال لم يأخـذوا أجوراً . ومع أن القرية كلها لم يكن مع أحد فيها سنتيم واحد ، فقد أضرب المعدنون . وأنفق فنسنت خمسين فرنكا كانت كل ما بقى معـه ، على الطعام ، ثم لم يبق شىء ، وقعد المعدنون ينظرون إلى ذويهم وهم يتضورون.

وفى ذلك الوقت أعلنت « اللجنة الإنجيلية » أن سلوك فنسنت « شائن وأخرق » ، وقطعت عنه مرتبه ونهته عن الوعظ . وأعلنت شركة التعدين أن المنجم سيغلق ما لم يعد العمال إلى العمل من فورهم . فأقبل لفيف منهم على فنسنت يسألونه: « ماذا نصنع ؟ إنك الرجل الوحيد الذى نثق به ، فإذا أشرت علينا بالعودة ، عدنا ، وإذا قلت جوعوا صبرنا وتشددنا » فحاول فنسنت أن يقنع مدير الشركة بإيثار الحسنى ، ولـكنه أخفق واضطر أن يقول للعمال ارجعوا . وشعر عندئذ أنه لا يستطيع أن يلقى عليهم عظة ما ، حتى لو كان مأذوناً له فى ذلك . وقد تخلى القـدر عن العمال ، وما استطاع هو أن يكون أداة اللطف فيه .

＊＊＊

وأفلس مرة ثانية ، لا عمل ولا مال ولا صحة ، وشر من ذلك أنه فقد شجاعته وقدرته على الابتداء من جديد ، وصار لا يكلم أحداً إلا فى الندرة ، ولا يدخل كوخاً ، وأحس أن الله خـذله ، وأنه هو فقد نفسه .

وبعـد شهور ، اسـتيقظ شىء فى نفس فنسنت ، وحدث نفسه أنه لابد أن يكون ذا مزية ما ، وأنه ليس بالعاجز كل العجز ، وأن فى وسعه أن يساهم فى إسداء بعض الخير إلى العالم . ولـكن أى شىء ؟ وشرع وهو جالس عنـد باب المنجم يرسم المعدنين إذ يخرجون ، وفى ذلك المساء ، وبينما كان يعيد رسم صوره ، أدرك بغتة أنه يحن إلى عالم الصور .

وعكف على العمل بعد ذلك ، وعاد إلى الأكواخ يدخلها — ومعه ورق وقلم بدلا من الإنجيل ، ورسم الأطفال وهم يلعبون على الأرض ، والزوجة وهى مائلة على القدر ، أو الأسرة وهى جالسة إلى عشائها ، وكان سعيداً . وأحس أن خدمة الـكنيسة لم تجلب له مثل هـذه النشوة التى يحدثها له الفن الإنشائى . ومر به أحد عشر يوماً وليس معه سنتيم ، وكان يعيش فى خلالها على بضعة أرغفة اقترضها ، ولـكنه لم يشـك ، ولم يتذمر ، حتى فيما بينه وبين نفسه . وما قيمة جوع بطنه ، وروحه شبعان ريان ؟

ومرت شهور أخرى ، ثم مرض ، فرقد

على سريره مكتئباً ظامئ الوجنتين ، غائر العينين من الحمى . وعلى هذه الحال وجده أخوه ، تيو ، وكان قد جاء دون أن يسبقه خبر . وكان فى الثالثة والعشرين، ولكنه كان تاجر صور ناجحاً فى باريس ، ينعم بمسرات المجتمع كلها . وكان فنسنت قذراً ، ولحيته الحمراء الشعر تغطى وجهه ، فاستفظع تيو هذا الحال الذى ألفى أخاه عليها ، وكان فنسنت عنده أهم إنسان فى العالم . والآن صارت بفنسنت حاجة إليه ، ولا بد من استنقاذه من هذا الجحر وإقامته على قدميه فقال له : « اسمع يافنسنت ! إذا كنت قد اهتديت حقا إلى العمل الذى تحسنه فلنؤلف فيما بيننا شركة . . أنت تقدم العمل، وأنا أقدم المال . وفى وسعك أن تعيش حيث تشاء ، فى باريس ، أو أمستردام ، أو الهاى ، فما أبالى ولو استغرق ذلك سنين وسنين » .

* * *

وهكذا استقر فنسنت فى الهاى ، وتتلمذ على أنطون موف وهو مصور معروف ، واستأجر استوديو بأربعة عشر فرنكا فى الشهر،وجاء إليه بمائدة وكرسيين وبطانية، وجعل ينام على الأرض . ولكن النماذج التى يحتاج إليها ليصورها كانت غالية . وكانت ربما تأخرت الفرنكات المائة التى يبعث بها إليه أخوه تيو كل شهر ، فيفلس ، وتقل حيلته . أفتراه سيظل يجوع طول عمره ؟ ألم يكتب له أن يستريح ويطمئن لحظة واحدة فى أى مكان ؟ وكان يشعر بألم الوحدة فوق ألم الجوع ، فما كان ثم أحد يتجه إليه ويرافقه ويحادثه . واتفق ذات ليلة ، وكان معه بضعة فرنكات ، أن جلس فى مقهى عمال ، وإذا بالخادم يخاطب سيدة جالسة إلى المائدة المجاورة ، بلهجة جافية ويقول لها : « أتريدين كأساً أخرى من النبيذ ؟ »

فقالت : « ليس معى مليم » .

فأدار فنسنت إليها وجهه وقال : «هل لك فى قدح معى ؟ »

وكانت لا صغيرة ولا جميلة ، بل ذاوية حزينة العينين — كأنما تخطتها الحياة — فقالت،وهى تحادثه على الشراب: «ماعملك؟»

— « أنا مصور » .

— « أوه . إن هذه جحيم أيضاً . أليست كذلك ؟ إنى غسالة إلا حين يقعد بى الضعف » .

— « وحينئذ ماذا ؟ »

— « حينئذ أخرج إلى الشوارع ، فلا بد من الطعام للأطفال » .

— « كم هم ؟ »

— « خمسة . وأنا أحمل سادسهم معى الآن ! » وأخرجت عقب سيجارة وأشعلته. وصمتا ، ثم تكلما ، ثم عادا إلى الصمت .

وأخيراً سألها فنسنت : « أتسمحين لى أن أذهب معك ؟ إنى وحيد جدا » .

ولما استيقظ فنسنت فى صباح اليوم التالى وإلى جانبه إنسان آخر ، بدا له العالم أقل جهامة، وشعر أنه مدين بالشكر لكرستين .

وبعد قليل صارت تذهب إليه كل يوم ليرسمها ، ثم صارت على الأيام تطبخ له طعامه ، وتغسل له ثيابه ، وترفو ما يتمزق ويبلى منها . وكان ينقدها على ذلك كله فرنكا فى اليوم ، ولكنها لم تكن ربة بيت صالحة ، فقد كانت كثيراً ما تثور ثائرتها وتجرى لسانها بأبذأ الألفاظ . وكثيراً ما كان يفلس ويذهب طعامه قبل أن يجيئه مال من تيو بأسبوع .

وتلقى فنسنت أول طلب لصوره من عمه كورنيليوس فان جوخ ، وهو تاجر صور غنى ، طلب منه ١٢ صورة ، كل واحدة بفرنكين ونصف ! فإذا أعجبته كلفه أن يرسم له ١٢ صورة أخرى ، كلها مناظر من امستردام ! فانتشى فنسنت بخمر النجاح !

وبعث بالصور الاثنتى عشرة ، ولكنه احتاج أن ينتظر حتى يتلقى الثلاثين فرنكا . وفى أثناء ذلك انهال عليه السخط من كل جانب: « إنك تنسى أنك من آل فان جوخ! وقد شوهدت فى أماكن غير لائقة ومعك امرأة فاجرة » ... « شىء جميل يا فان جوخ ! لقد ذاع وشاع فى البلدة أنك اتخذت خليلة — وأى خليلة ! » وتلقى من عمه كتاباً قال له فيه : « يا فنسنت ! لقد بلغنى الآن أنك تسير سيرة شائنة ، فألغ من فضلك كل ما طلبته من صورك . ك . ف . ج . »

ولم يبق له الآن معول إلا على تيو ، وقد كتب فنسنت رسائل طويلة يشرح فيها الأمر ، ويؤكد أنه ينوى أن يتزوج كرستين ويرجو من تيو أن لا يتخلى عنه . فوعده تيو فى النهاية أن يواصل معونته له ، ووافق فنسنت على إرجاء الزواج إلى أن يصبح قادراً على كسب رزقه .

وعاد فنسنت إلى العمل وفى قلبه سلام جديد . وفى البوريناج كان يخدم الله ، أما هنا فقد صار له دين جديد : صورة عامل ، أو رقعة من رملة أو من البحر أو السماء . وهى موضوعات صعبة ولكنها جميلة ، وتستحق أن يقف حياته على معالجة التعبير عما تنطوى عليه من شعر . ومضى الصيف حميداً ، وكان يغادر البيت فى بكرة الصبح فلا يعود إلا مع دخول الظلام . ولكن الشتاء جاء ، واضطره إلى العمل فى البيت فتعذر الأمر . وكان يستيقظ فى الساعة الخامسة صباحاً ليعنى بأمر البيت ، وليتفرغ بعد ذلك لتصوير كرستين ، ولكن كرستين كان لها رأى آخر ، فكانت

تغضب وتقول له : « لم أعد نموذجاً ! وهذا كل ما تريدنى من أجله ! لتقتصد ! فلست إلا خادمة لك ! » وأخيراً اضطر أن يزيد نفقاته ليستأجر النماذج ، وبذلك زاد عدد الأيام التى يقضيها بغير طعام .

وبدأ الشتاء يمضى والربيع يقبل ، فزادت أحوال فنسنت سوءاً ، وأخيراً كتب إلى تيو ينبئه أنه اعتزم أن يقطع صلته بكرستين ، فجاءه الرد فى صورة مائة فرنك إضافية مقرونة بالموافقة . ورافقته كرستين إلى المحطة لتوديعه ، ثم كتب إلى تيو فيما بعد :

« عزيزى تيو : ذهبت إلى آرل . علق بعض الصور على الجدار حتى لا تنسانى . أصافحك تخيلا . فنسنت » .

* * *

ورأى ألوان الريف الجنوبى فوضع يده على عينيه الحائرتين الزائغتين ، وراح يتساءل : أنى له أن يرسم هذه الألوان المدهشة ؟ زرقة السماء العميقة ، والشمس التى تبدو فى صفرة الليمون ، وحمرة الأرض القانية ، وزهر البساتين ؟ وكان يستيقظ كل صباح قبل الفجر ، ويعود كل مساء بصورة تم رسمها . وراحت السنون التى قضاها فى الكد تمده بفيض من النشاط الموفق . وصار كل لوح يرسمه ترجمة بارعة وهاجة للطبيعة . ولم يكن يحيا حياة شخصية ، وإنما كان أداة رسم عمياء ، تعمل لأنها لا تستطيع إلا أن تعمل . وكانت حياته شيئاً واحداً ليس إلا : القدرة على الخلق والإبداع .

ولم يلبس قبعة قط ، ولو أن الشمس الحامية كادت تعميه . وكان يشعر بالليل كأن رأسه قد وضع فى كرة من النار ، وكان أهل آرل يرونه ينطلق إلى هنا وهاهنا ورأسه عار ، وشعره أحمر كاللحم النيىء ، وعينه تومض كالمحموم ، فسموه « فورو » وكان هو يقول : « المجنون ذو الشعر الأحمر ؟ ربما ! ولكن ماذا أستطيع أن أصنع ؟ »

وجفاه النوم ليلة فقصد إلى « الميزون ده توليرانس » فتسللت فتاة إلى كرسى بجانبه وتبسمت له وقالت : « أنا راشيل » .

فنظر إليها فنسنت فرأى وجهاً ريّاناً ، وعينين واسعتين زرقاوين ، وشعراً أسود فقال : « أنت جميلة ياراشيل » .

فابتسمت وتناولت يده وقالت : « يطيب لى أن يستلطفنى الرجال ، فإن هذا أحلى ؛ أليس كذلك ؟ »

ولما هم بالانصراف لثمت أذنه وقالت : « يالها من أذن صغيرة ! كأنها أذن جرو ! تعال كل ليلة لترانى » .

فقال : « ليس كل ليلة يا راشيل ، وحسبك أنْ ليس معى المال اللازم لهذا » .

قالت : « إذن هات أذنك ، فإنى أحب

أن تكون معى لألعب بها ، فلا تنس أن تبعث بها إلىّ » .

وظل طول ذلك الصيف يرسم كأنه قاطرة بخارية حتى كاد يقتله العمل . وذهب ما معه من المال مرة أخرى وعاش أربعة أيام على ثلاثة وعشرين فنجاناً من القهوة ورغيف من الخبز . ثم قاده الحظ إلى بيت أصفر — بيته الأصفر المشهور — فاستولى على هواه ، وكان بيتاً قائماً بذاته ، وأرضه من البلاط الأحمر ، وجدرانه بيض ، وواجهته إلى الشمس ، وكل ذلك بخمسة عشر فرنكا فى الشهر ! وكان واسعاً يكفى اثنين ، فما أبدع أن يستقدم إليه صديقه الفنان جوجوين ! وينبغى أن يجىء تيو إليه دائماً ليقضى فيه إجازاته !

وأقبل جوجوين ، وكان لقاء صاخباً حاراً ، ولكنهما ما كادا يستقران فى البيت حتى بدآ يختلفان ، وإن كانا قد عكفا على العمل كأنهما شيطانان . وكانا بالنهار يتراميان بألواح الألوان ، وبالليل تتنازع وتتصارع شخصيتاهما الهوجاوان ، فلجآ إلى شراب « الأبسنت » لتسكين أعصابهما ، ولكنه هاجهما إلى ما بهما . واعتراهما مثل الكظة من الشمس والألوان فتلاحيا ، ومزق بعضهما بعضاً . وفى إحدى الليالى كانا فى مقهى ، فتناول فنسنت قدحه وقذف بها جوجوين ، فاتقاها هذا ثم حمل فنسنت إلى البيت .

فبقى هادئاً عدة أيام ، وبعد عشاء تناولاه ذات ليلة فى صمت واكتئاب ، غادر جوجوين البيت بلا كلام ، فسمع وهو خارج خطى قصيرة سريعة غير منتظمة يعرفها ، وهجم عليه فنسنت وفى يده موسى ، فدار جوجوين على عقبيه ، فوقف فنسنت يحدق ، ثم انكفأ يعدو إلى البيت . فبات جوجوين ليلته فى فندق .

وبعد ذلك بقليل ارتقى فنسنت فى التل إلى « اليزون ده توليرانس » ورأسه معصوبة بضمادات كثيرة ودعا إليه راشيل ، فأقبلت من فورها وقالت : « إنه أنت يافورو ! أصاعد أنت معى ؟ »

قال: « لا ، ولكن إليك هذا التذكار ! »

— « ما ألطفك ! ما هو ؟ »

— « افتحى وانظرى ! »

فحلت الرباط ونظرت مرتاعة إلى أذن يمنى يقطر منها الدم ! وسقطت مغشيا عليها على السلم.

ولما استيقظ فنسنت فى اليوم التالى كان تيو إلى جانب سريره ، فتناول كف فنسنت وراح يبكى بلا خجل : « تيو .. دائماً ... حين استيقظ وأحتاج إليك تكون الى جانبى » .

ولم يستطع تيو أن ينبس بحرف .

وبعد أسبوعين أذن الدكتور راى لفنسنت فى التصوير ، ولكنه حذره من

التهاون أو الإغراق . ومضت أسابيع ، ثم حدث فجأة ذات ليلة أن كان فى مقهى ، فدفع الطبق إلى الأرض ، ووثب ، وركل المائدة وصاح : «أنتم تحاولون أن تسمونى» .

وجاء اثنان من الشرط وحملاه إلى المستشفى . وما لبث الدكتور راى ، بموافقة تيو ، ان نقله إلى سنت ريمى ، فأوصدت عليه بوابة مستشفى الأمراض العقلية .

ولاحظ فنسنت فيما بعد، وهو يتدبر أمره، أن النوبات التى تعتريه دورية ، وأنها تنتابه كل ثلاثة شهور . ثم جاءته رسالة مسجلة من تيو : « أخيراً ! بيعت صورتك « الكرم الأحمر » بأربعمائة فرنك ! فأهنئك ! وأنا واثق أننا سنبيع صورك قريبا فى كل مكان بأوربا » ، وكان هذا الصك « الشيك » أكبر مبلغ كان معه فى أى وقت . فأفاده حسن حظه الصحة ، وأقبل على عمله بحماسة خرساء . غير أنه صار يتحرز بعد أن عرف مواقيت النوبات ، فكان يرقد بضعة أيام ثم ينهض مرة أخرى ويعكف على العمل .

وقبل أن تعتريه إحدى النوبات بيومين أوى إلى فراشه فى صحة جيدة ، وجاء اليوم المنتظر ، وتلاه آخر ، وكان لا يزال يشعر أن حالته عادية . ومر يوم ثالث فضحك وقال : «ألا لقد غلط الطبيب ! فقد ذهب عنى المرض وبرئت . وغداً أعود إلى العمل » .

وفى تلك الليلة ، وبينما كان كل المستشفى نائماً ، نهض من فراشه وهبط حافى القدمين إلى مخزن الفحم ولوث يديه ووجهه بترابه وجعل يقول : « ألا ترى الآن أنى منهم ؟ الآن أستطيع أن أبلغ كلمة الله إلى المعدنين » .

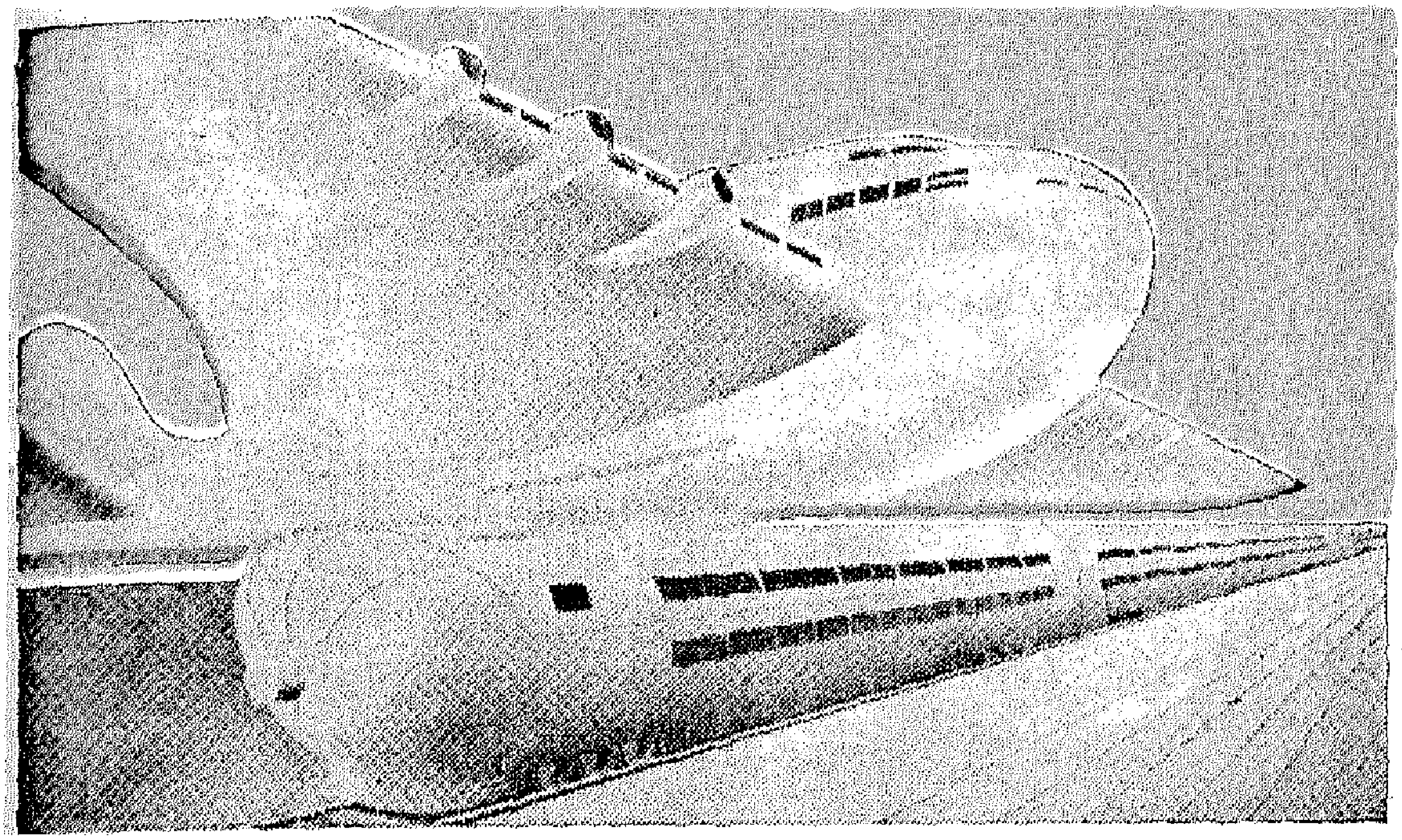
ووجده الحراس هنا فى الفجر ، يهمس بصلوات مضطربة مختلطة ، ويجيب الأصوات التى تصب فى أذنه أخباراً عجيبة . وكان الطبيب صديقاً عطوفاً ومحبا للتصوير . فقال له يوما : « أما يا فنسنت لو أننى رسمت صورة واحدة كهذه ! إنى أشفى المرضى وأبرئهم وأذهب عنهم الألم ، ولكنهم يموتون فى النهاية . أما بنات الشمس هذه من أزاهيرك ، فإنها تستل الآلام من قلوب الناس ، وتسعدهم قروناً بعد قرون . وهذا هو السبب فى أن حياتك ناجحة ، وينبغى أن تكون سعيداً » .

ولكن فنسنت كان طليحاً كليلا ، وكان عقله فى عذاب دائم ، وكان لا يزال يسأل نفسه : فلنفرض أن تيو فقد عمله ! ولنفرض أن النوبة التاليـــة تركته مجنوناً يهرف ، ولنفرض . . . ! وحمـــل عصر يوم أدوات الرسم وصعد التل إلى حقل القمح الأصفر ، ورفع وجهــة إلى الشمس ، ووضع فوهة مسدس على خاصرته وشد الزناد ! وارتمى على الأرض الخصبة ، وعادت طينته اللينـــة إلى أمها الأرض .



وحين تستتب السلام ، تصبح هذه المنتجات
فيما يلي قائمة ببعض منتجات شركة «جنرال موتورز»
في متناول الناس في جميع انحاء العالم
★ سيارات ونقالات شفرولية
★ سيارات بونتياك
★ سيارات اولدزموبيل
★ سيارات بويك
★ سيارات كاديلاك
★ اجسام السيارات صنع «فيشر»
★ محركات للطائرات صنع «اليسون»
★ القاطرات ديزل صنع «جي ام»
GM
جنرال موتورز
★ المصابيح والمرايا صنع «جايد»
★ وغير ذلك من المنتجات العديدة
شركة جنرال موتورز للشرق الادنى المساهمة
القاهرة
القطر المصري
الاسكندرية

بعد الحرب !



أين مكيف الهواء كاريير الذى كان يرطب المسارح ويضفى على البيوت والمكاتب طابع الراحة والدعة ، ويساعد على إجادة الانتاج فى المصنع والمعمل ؟ لقد ذهب إلى الحرب !

فاليوم تستخدم أجهزة كاريير لتكييف الهواء والتثليج للمساهمة فى إحراز النصر للدول المتحدة .

ففى أفران الصهر ، مثلا ، يساعد مكيف الهواء كاريير على زيادة إنتاج الصلب اللازم للبوارج والدبابات والمدافع المضادة للطائرات . وفى الغد سيستخدم هذا الصلب فى تهيئة وسائل للنقل أفضل من وسائل العهد الماضى .

وفى مصانع الطائرات والعجائن والذخائر تقوم أجهزة كاريير بضبط الحرارة والرطوبة ودورة الهـواء النظيف ، فيكون العمل أدق ، والانتاج أعظم وأسرع . وحين يتم النصر ستنفذ نتائج هـذه السرعة وهذه الدقة إلى كل بيت فى منتجات محسنة ممتازة .

وبعودة الأيام الهنية الخلية ، « بعد الحرب » ، ستعود مكيفات الهواء وثلاجات كاريير لتؤدى مألوف مهمتها فى إتاحة سبل الدعة والصحة ، وتوسيع نطاق الصناعة فى العالم .

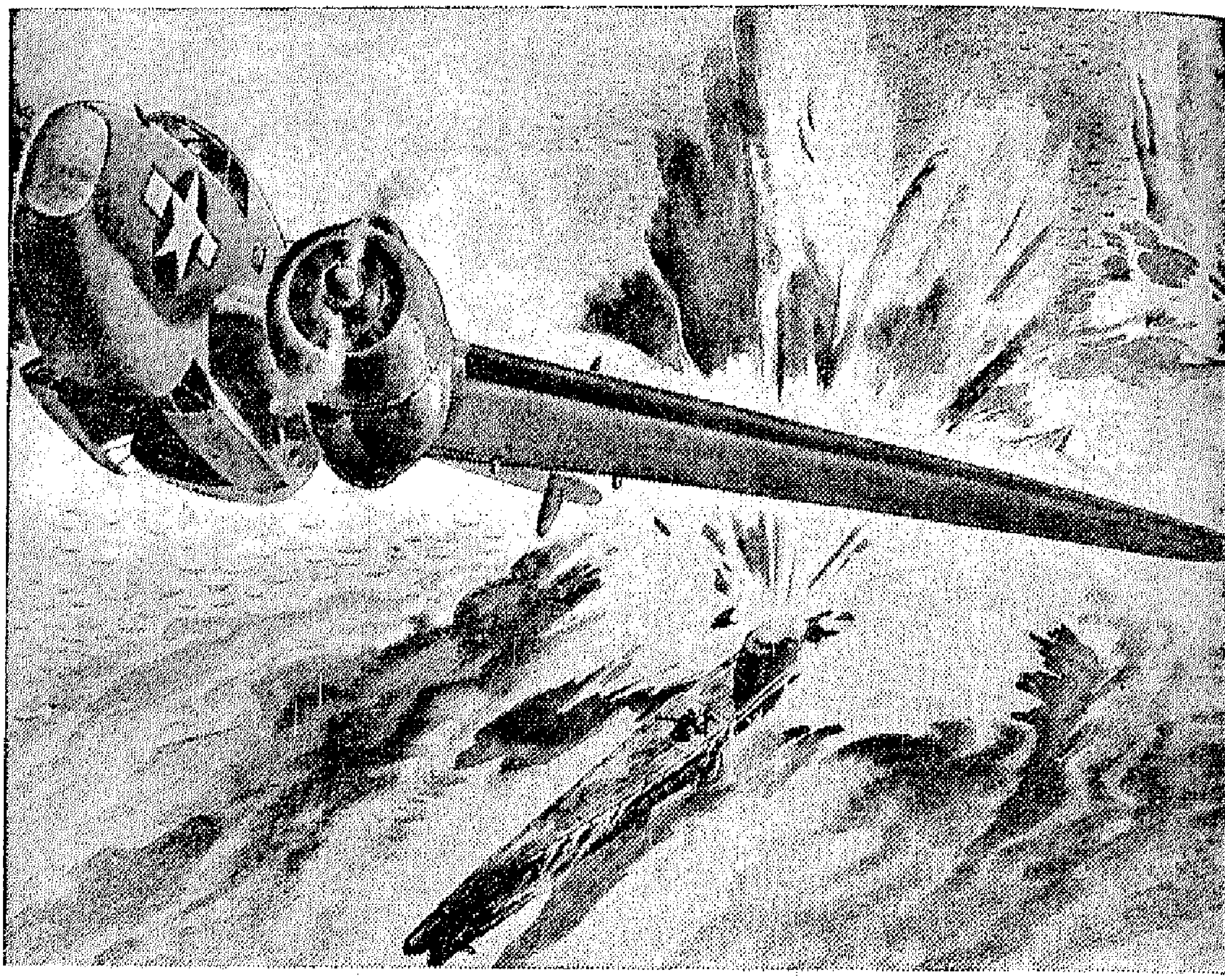
وإنتاج كاريير منقطع اليوم للمعدات الضرورية اللازمة للمجهود الحربى وبعض النواحى المدنية اللازمة للخير العام فإذا كانت لديك مشكلة بخصوص حاجتك إلى أجهزة جديدة أو بخصوص صيانة أجهزتك الحالية سواء أكان ذلك للانتاج الحربى أم لضرورات مدنية حيوية فإن موزع كاريير فى منطقتك على أتم استعداد للتعاون معك فى هذه المسألة .

ARMCO

CARRIER CORPORATION
SYRACUSE, NEW YORK, E. U. A.

Carrier

كاريير مصر ش ٣٢
القاهرة مصر
ب. ن. بيتجرو تل ابيب فلسطين ★ ا. بس وشركاه عدن
ا. ن. وس. عدس ليمتد - بغداد . العراق



في ميدان البطولة والكفاءة

انقضت الطائرة كالصاعقة . . . وسجلت إصابتها . . . وعادت في طريق متعرج . . . وعندئذ شرعت الغواصة المصابة تغوص في اليم . . . وبدا أن هذا الهجوم قد استغرق دقائق مع أنه تم في بضع ثوان .

وهذه الثواني المعدودة هي أعظم جزاء ناله رجال طائرة لوكهيد PV-1 فنتورا في استطلاع ممل ، فوق بحار لا حدود لها ، خلال ساعات مضنية بل خلال أيام وأشهر .

وهذه الثواني المعدودة جزاء أيضاً لغيرهم — ونعني بهم الرجال والنساء الذين ساهموا في بناء طائرات فنتورا بمصانع لوكهيد . إنهم قد حرصوا عند بنائهم هذه الطائرات أن يهيئوا لها السرعة ، وبعد المدى ، والقدرة على نقل الحمولة الثقيلة . . . وفوق هذا وذاك الضمان المطلق — ضمان البناء المتين الذي يعتمد عليه

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

OCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA, U.S.A.

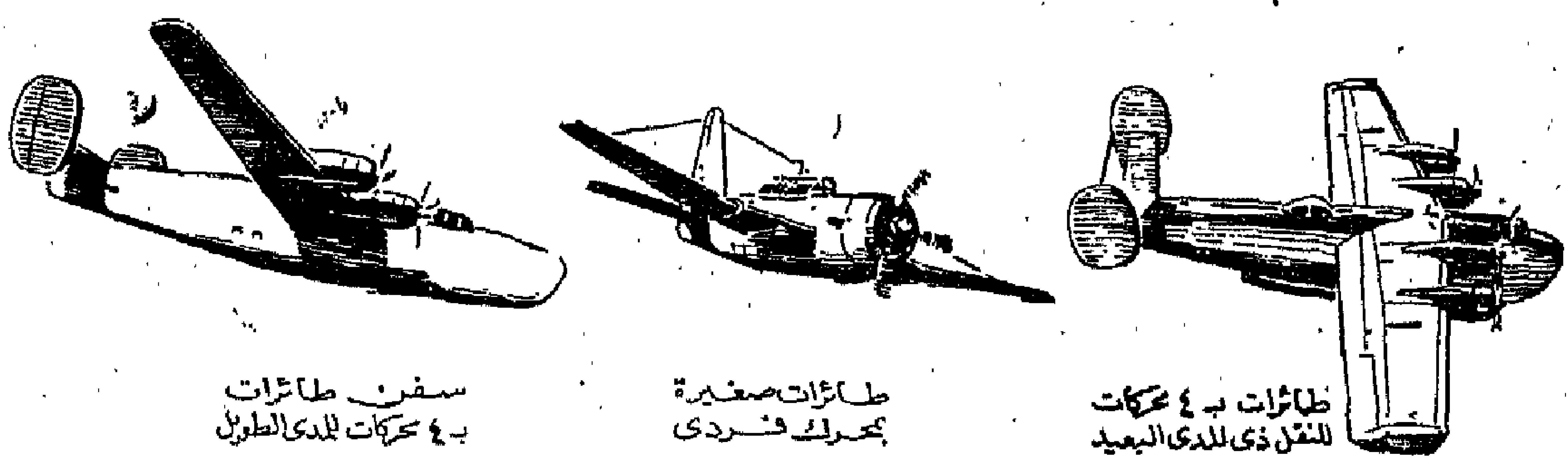

كالتكس لانتاج البترول

السلام!

حين يبزغ فجر السلام سيشرق نوره على عالم جديد ، عالم قرّبت الطائرات بين أقاصيه .

والطائرات لم تقرب بين مختلف بقاع العالم فحسب بل قربت أيضاً بين شعوب العالم .

وقد أنشأت الولايات المتحدة والأمم المتحالفة منذ بدء الحرب أكبر شبكة جوية عرفت حتى الآن ، وقد تعلمت جميع هذه الأمم — وهى تعمل معاً — كيف تتعارف وتتفاهم ، وكيف تتعاون . وبديهى أن الأشياء التى تعلمتها الأمم المتحالفة إبان الحرب لن تنساها فى زمن السلم .



طائرات بـ ٤ محركات للنقل ذى المدى البعيد

طائرات صغيرة بمحرك فردى

سفن طائرات بـ ٤ محركات للمدى الطويل

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT CORPORATION

UNITED STATES OF AMERICA


لمثل هذا أنا هنا ..
إنّ العالم اليوم فى مسيس الحاجة إلى الطعام ... وقد أدركنا الآن أنه لم يكن فى الدنيا طعام كاف فى يوم من الأيام ! فعلى كل مزارع مسئولية جديدة ... وهى إنتاج مقادير من الطعام تزيد على مر الايام .
ولكن إذا طلبنا من الأرض إعطاءنا أقصى حد من الإنتاج أصبح من الضرورى المحافظة على خصوبة التربة .. وعلى المزارع أن يخلف للأجيال القادمة أرضاً أكثر خصوبة وأوفر إنتاجاً وإلا نكون قد أجلنا فقط يوم الحساب
ولكى يبلغ المزارع هذه الأهداف ينبغى أن يعتمد على الآلات الزراعية الحديثة ، فالقوة الآلية هى التى تمكنه من القيام وحده بعمل جماعة من الرجال ، وإنجاز هذا العمل على وجه أتم . على أن الإنتاج الهائل المنشود يضع المزارع أمام مهمة ضخمة . . . بل أمام تحد لم يعرفه من قبل ! بيد أنه عندما نزن الأمور بميزانها الحق سيقول : « لمثل هذا أنا هنا » !
وسيواجه المزارع فى المستقبل شتى المشكلات وستكون شركة « مينيا پوليس — مولين » سعيدة بمعاونته على حلها . فحين تضع الحرب أوزارها ستشرع فى صنع آلات زراعية جديدة من مختلف الأنواع . خليقة بمساعدة مزارعى العالم على إنتاج مقادير أوفر من الطعام والألياف والزيوت ، بتكاليف أزهد ، وبهذه الطريقة تهيء لجميع سكان العالم الإفادة من الإنتاج الزراعى الوافر ، وتساعد المزارعين فى كل مكان على بلوغ مستوى أعلى فى الحياة . . . نعم إن آلات « مينيا پوليس — مولين » الحديثة ستساهم مساهمة فعالة فى تدعيم أسس السلام عندما يكتب لنا النصر .
MINNEAPOLIS-MOLINE
MODERN FARM MACHINERY
MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.

ذهبت اليوم ... وستعود غداً



ن - و - ر - ج

وإنها لجديرة بالانتظار !

إن مصانع « نورج » منقطعة الآن بكل قوتها ومقدرتها لكسب الحرب . . . فقد ذهبت اجهزة التثليج Rollator وأدوات الغسل والطبخ Ro-ta-tor التى تنتجها « نورج » ، بقيام الحرب .

وحين يستتب لنا النصر والسلام ستعود « نورج » من جديد وفى أقصر وقت لتأدية مألوف مهمتها ، وعندئذ ستنقلب خبرة « نورج » التى اكتسبتها فى الحرب إلى معجزات فى الأدوات المنزلية العالية الكفاية ، الشديدة الاقتصاد .

أيها التجار والموزعون ! هل سمعتم عن مشروع « نورج » لما بعد الحرب ؟ إن قسم « نورج » — وهو واحد من ٢٥ شركة صناعية يضمها اتحاد « بورج وارنر » — يهمه أن يتلقى أية استعلامات من الشركات الحالية عن مشروعه لما بعد الحرب ، والامتيازات العظيمة التى يتيحها لمن يتعامل معه .

اتصل بوكيل ثلاجات « نورج » للحصول على النصيحة السديدة والخدمة الأكيدة . إن عملنا يسره أن يضع فى خدمتك الخبرة التى اكتسبها خلال أعوام طويلة .



نورج — للأدوات المنزلية والتبريد التجارى — **NORGE**

★ احدى صناعات بورج وارنر ★



افريقيا ! جزرسليمان ! المانش !
غينيا الجديدة ! أنتو ! إيطاليا !

دائما فى
طليعة
سفن
الغزو

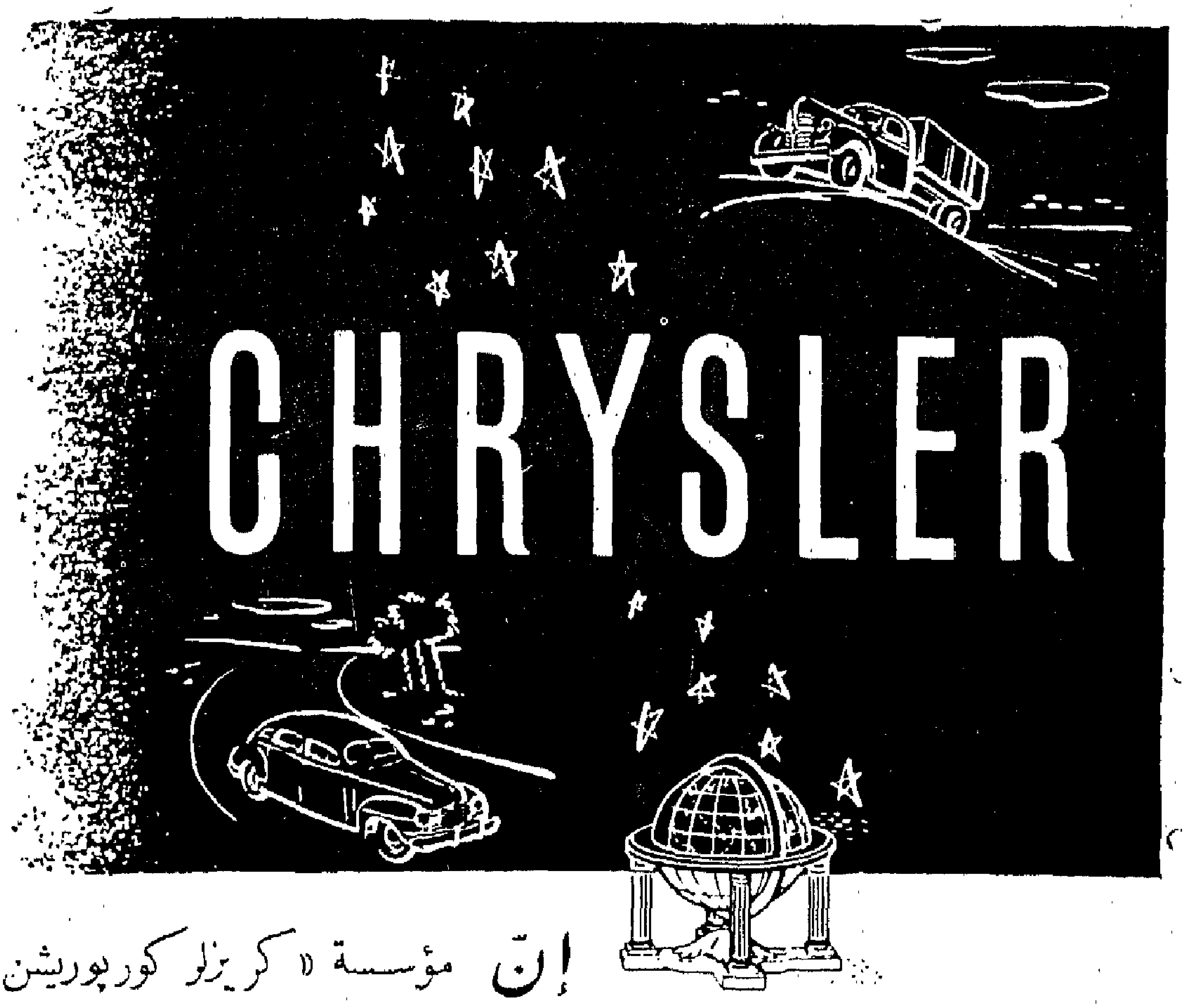
إن زوارق هيجنز التى صممت وبنيت خصيصاً لأغراض الأمم المتحدة ، يصفها المقاتلون المحنكون الذين اشتركوا فى حملات وادى الكنار وشمال أفريقيا بأنها « أحسن زوارق فى العالم على الإطلاق » . وهذه الشهادة البليغة صادرة من رجال عركوا قوة هذه الزوارق تحت وابل من النيران ، رجال تتعلق مصائرهم على مرونة هذه الزوارق ومتانتها وسرعتها وشدة مراسها ويسر تسييرها . وقد تبوأت زوارق هيجنز مكان الزعامة بلا منازع بفضل ما تصادفه من ثناء فى جميع الميادين التى يستعر فيها نار القتال ؛ وهذا التفضيل الإجماعى له مغزاه الكبير عند الذين ينوون شراء زوارق هيجنز بعد الحرب سواء للمتاجرة أو لمجرد المتعة . وصفات الكمال والاحتمال التى تمتاز بها زوارق هيجنز مسجلة ، ولا توجد فى سواها . وهذه حقائق جديرة بأن تتذكرها فى المستقبل !



Higgins
INDUSTRIES INCORPORATE

أعظم صانعى الزوارق فى العالم

مخترعى ومسجلى زوارق هيجنز أيوريكا للنزول إلى البر



إنّ مؤسسة «كريزلر كوربوريشن» هى زعيمة هذا العدد الكبير من المصانع التى ذاع صيتها فى مضمار السيارات . —

وجميع أقسام كريزلر الآن تساهم مساهمة جدية فى إنتاج شتى المعدات الحربية ، وستساعد الخبرة التى اكتسبتها هذه الأقسام إبان الحرب على تحسين السيارات ومركبات النقل التى ستنتجها أقسام كريزلر للتجارة والنقل المدنى بعد أن يكتب لنا النصر . . . كريزلر كوربوريشن ، قسم التصدير ، دترويت ميشيجان بالولايات المتحدة الأمريكية .

CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT, MICHIGAN, U S.A.

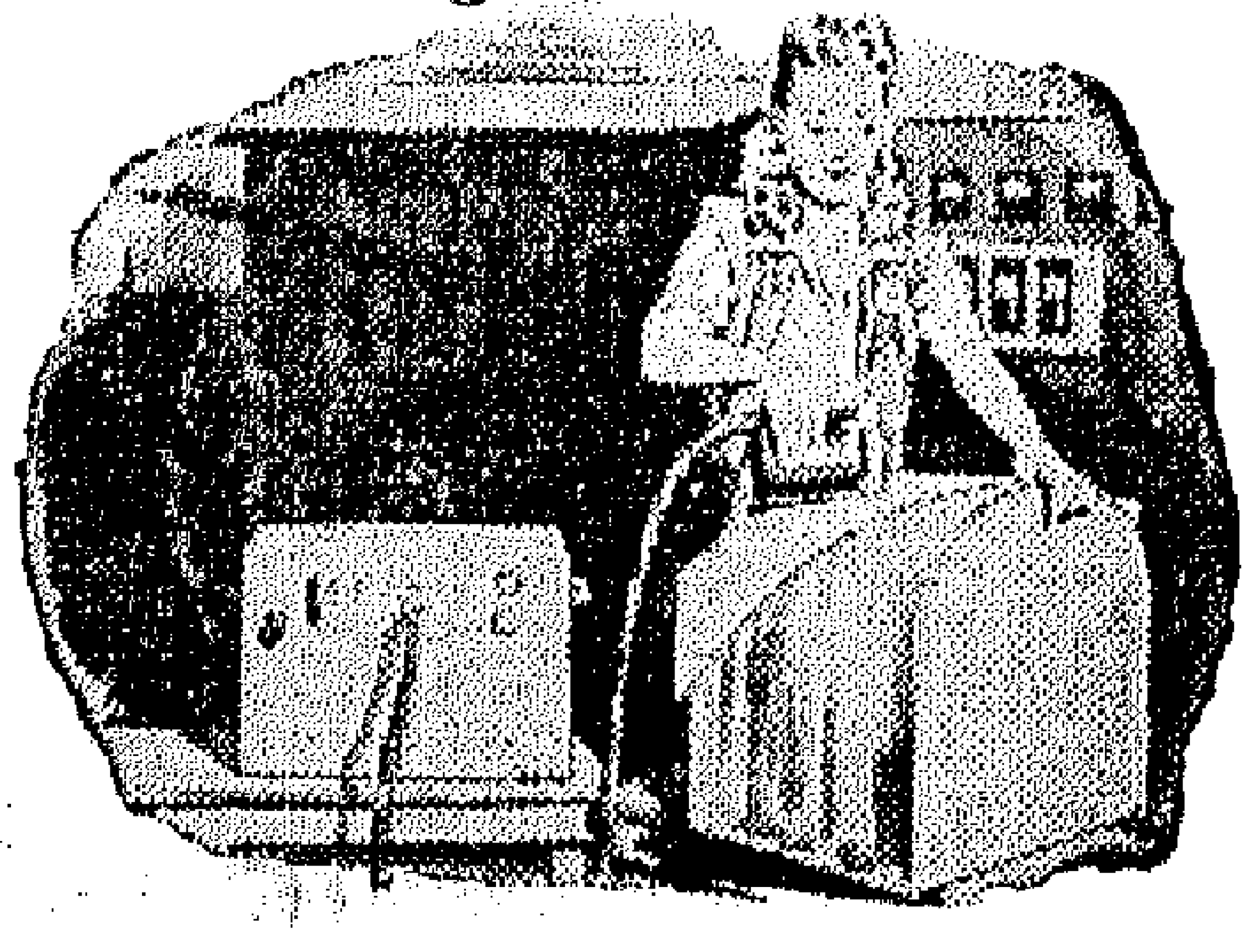
بليموث — دودج — دى سوتو — كريزلر — فارجو

RCA تقدم

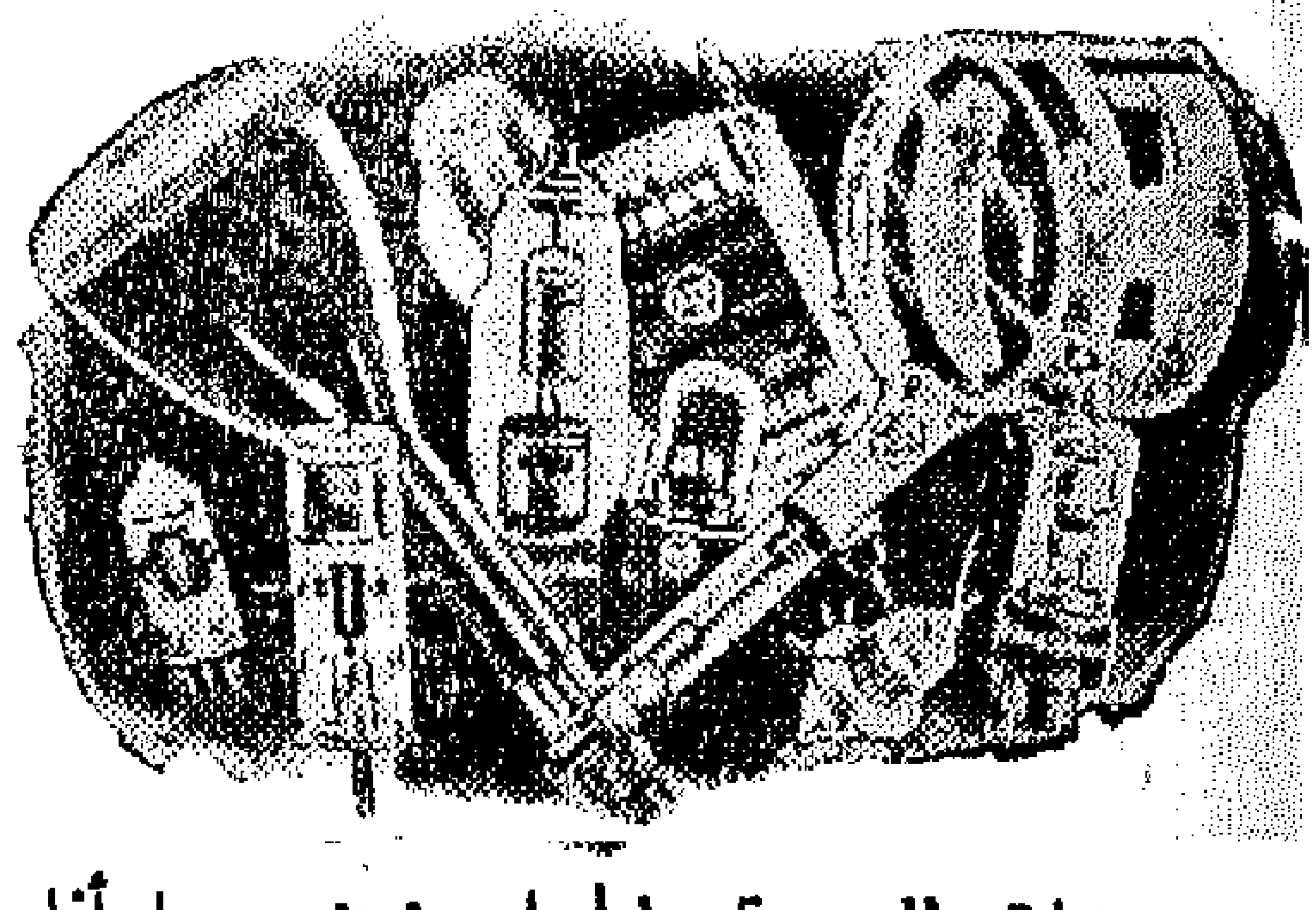
أحدث الأنباء



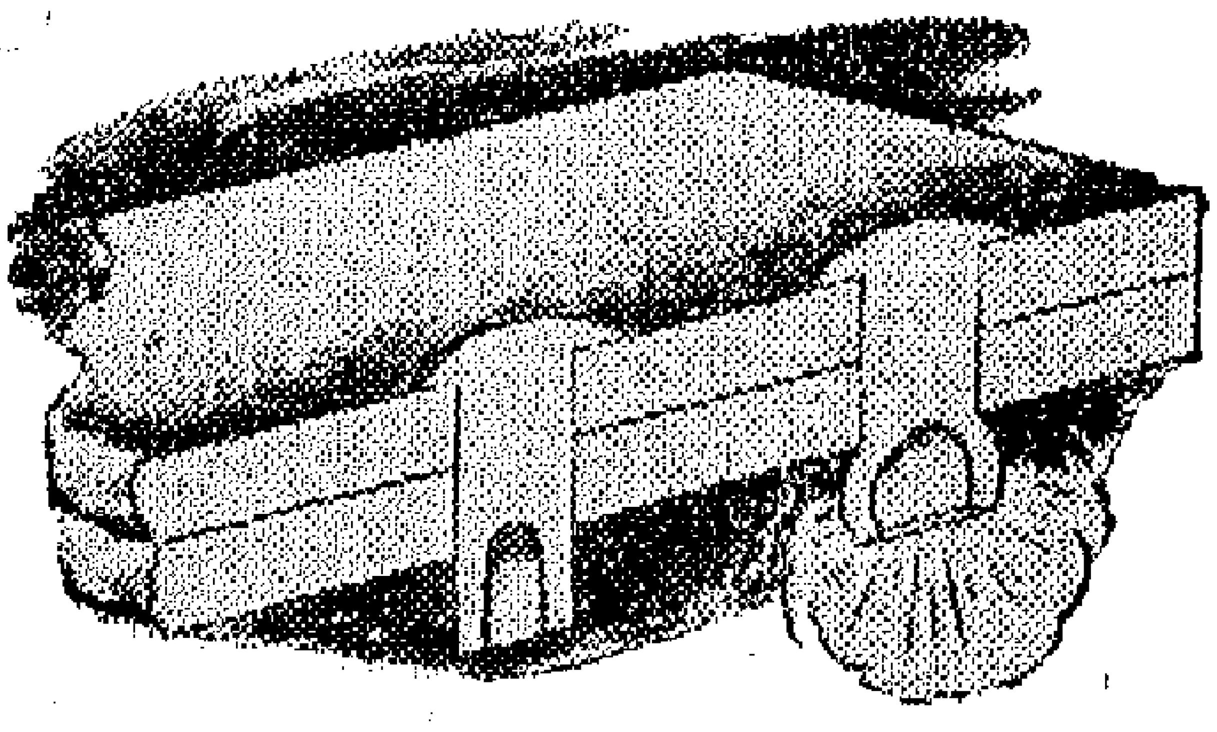
الحرارة الصناعية بوساطة قوة التذبذب اللاسلكي : إن الحرارة المتولدة من معدات جهاز RCA الأليكتروني (كمولد التذبذب نموذج B - 15 المبين هنا) من شأنها أن تبسط وتزيد سرعة إنتاج العجائن والأخشاب المرنة . وتستخدم كذلك بمنتهى النجاح في عمليات الربط والتصبيغ والتجفيف وعمليات تقسية المعادن وتليينها واللحام والتفجير .



مكواة اليكترونيه ؟ لا بل لاصق اليكتروني . أنتجته RCA يدفع الطاقة الأليكترونية بين طبقات « الأبلكاج » فيحمي الغراء ويربط طبقات الأبلكاج بعضها ببعض وهو يساعد على بناء الطائرات المصنوعة من الخشب على جناح السرعة ويهيئ شتى التسهيلات لصناعة الخشب وسائر الصناعات المتصلة بها.



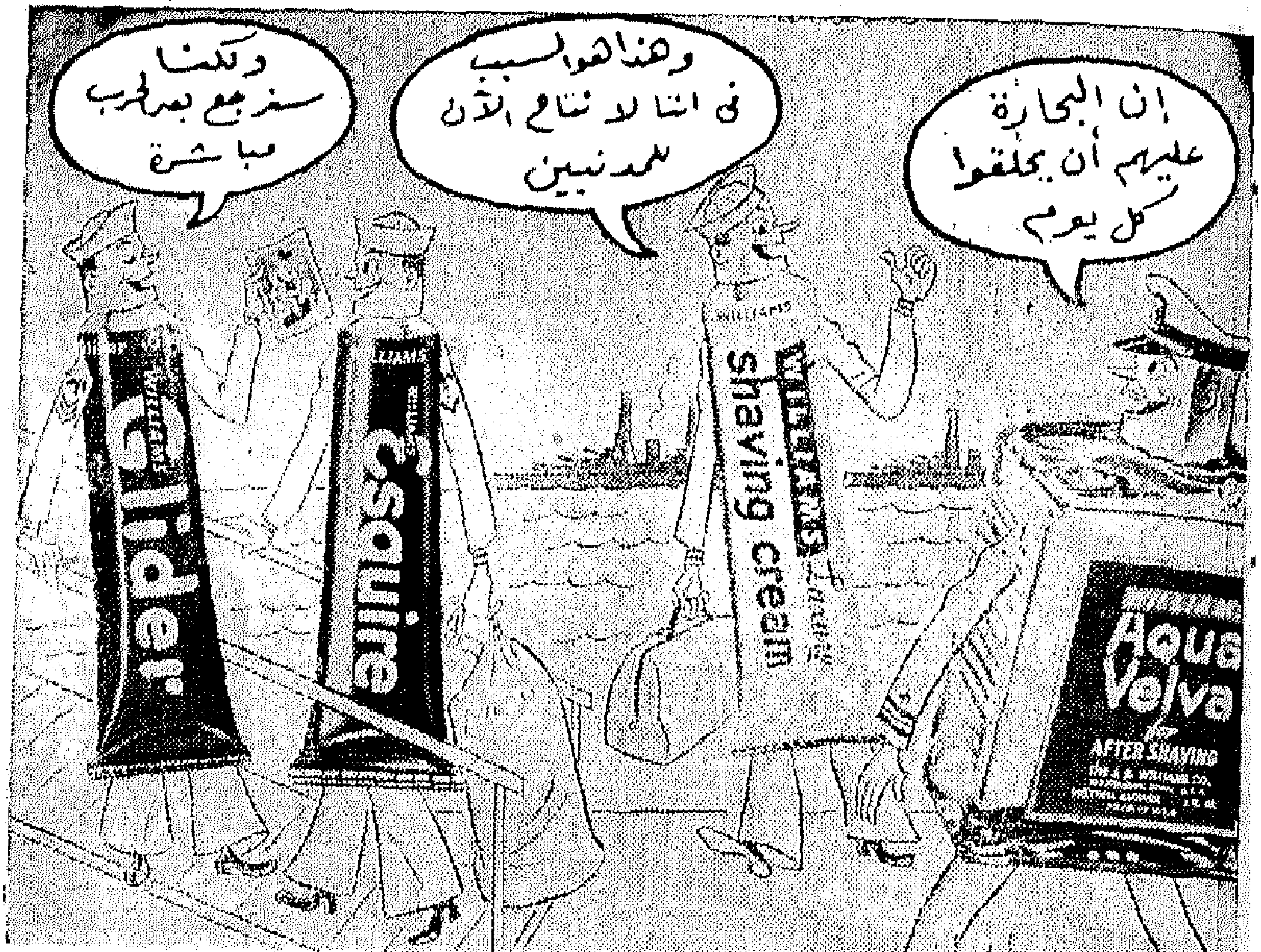
معجزات السرعة والحساب : تقوم بها أنابيب RCA الأليكترونيه التي تستطيع أن ترى وتسمع وتشم وتحس وتلمس وتذوق وتتكلم وتتذكر . . إن هذه الأنابيب قد أحدثت انقلاباً حقيقياً في الانتاج الصناعي وهناك أنبوبة اليكترونية RCA لكل غرض



تفجير البرشام بالراديو : يفجر طرف البرشام المحتوى على مادة مفرقعة بواسطة طاقة أمواج الراديو . وهذه الطريقة الجديدة تسهل الإنتاج الصناعي وتعجله .

RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.



كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكوا ڤلڤا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة فى العالم،
نقى ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوى على مادة لانولين الملطفة التى تهىء لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أى تهيج

WILLIAMS

منتج مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. ب. ويليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

ففيها معلومات شائقة تستفيد منها كل طائفة من القراء ، فى كل جهة من جهات الكرة الأرضية . وهى لا تنسى التحقيق فى سبيل الطرافة والتشويق ، ولا تقصر فى تقريب البعيد كلما كان البعد حائلا بينه وبين جمهور القراء ، سواء فى ذلك بعد المكان أو بعد المعنى . فبين الصين وأمريكا الوسطى صفحة واحدة أو بضعة سطور ، وكذلك المسافة بين عجائب المخلوقات ، وبين عظماء الرجال فى التاريخ القديم أو العصر الحديث !

ومن العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب واف من هذه المائدة العالمية المشتهاة ، لأن البلاد العربية لم تعرف من قبل الآن مجلة أو نشرة دورية يقرأها مئات الألوف من أقصاها إلى أقصاها . ويكفى أن يوجد الجمهور القارئ بهذه الكثرة فى أقطار العروبة ، ليكون ذلك بريداً سهلا للثقافة والمعارف العامة ، ولن تقتصر الفائدة فى ذلك على رواج « المختار » دون سائر المطبوعات والمقروءات .

على أن اشتراك الملايين فى نوع واحد من القراءة ، هو نفسه قرابة ذهنية تساعد على التفاهم وتقريب الأفكار ، وتقرر القواعد التى يقوم عليها اشتراك النظر والاهتمام ، كأنما هؤلاء الملايين على موعد واحد فى كل شهر للقاء والمحادثة وتبادل الأخبار والمعلومات . وهذه هى الألفة الذهنية التى تتمكن ، حيناً بعد حين ، بالتعود الذى لا عناء فيه .

ولهذا يسرنى أن أرحب « بالمختار » على أنه رسول من رسل الثقافة العربية ، ووسيلة من وسائل الألفة بين بنى الإنسان ، ومصباح من مصابيح النور التى تبدد الظلام من زوايا الكرة الأرضية .

عباس محمود العقاد

القارئ العالمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مؤلف عبقرية محمد ،
حياة ابن الرومى ، سيرة سعد زغلول ، وغيرها

« المختار من ريدرز دايجست » مثل حسن من أمثلة القراءة التى يحتاج إليها « القارئ العالمى » فى نشأة الإنسانية الجديدة .

فالظاهر المحسوس منذ الساعة أن تعاون الشعوب الديمقراطية ، فى الحرب الحاضرة ، يخطو بالكرة الأرضية خطوة واسعة فى سبيل الإهتمام بشئون العالم المشتركة ، ولا سيما فى ميدان الثقافة والمعارف العامة .

ومن هنا ينشأ « القارئ العالمى » الذى يوسّع نطاق معارفه حتى تشمل كل شئ يدخل فى عداد المعارف الإنسانية الشائعة .

ومن هنا تنشأ القراءة العالمية التى تزوّد ذلك القارئ بكل ما يحتاج إليه .

وأبسط شروطها أن تكون « أولا » متعددة النواحى منوعة العناصر ، غير مقصورة على وطن دون وطن ، ولا على فريق من الناس دون فريق .

وأن تكون « ثانياً » على الحد الوسط بين دراسات المختصين المنقطعين للعلم ، وبين التسلية الرخيصة التى لا تخلو من التحقيق والفائدة .

وأن تكون « ثالثاً » بريئة من التحيز أو العصبية المحدودة التى تعلن العداء لجنس من الأجناس أو لعقيدة من العقائد .

وهذه الشروط متوافرة فى مادة المطالعة التى تجمعها للقراء مجلة « المختار » كما ظهرت فى أعدادها الماضية .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة — ٣ قروش

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يونيه ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات.. إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ العاشر من الطبعة العربيـة . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : **فؤاد صروف**

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار

من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

السنة الاولى يونيه ١٩٤٤ المجلد ٢ العدد ١٠

اتخذ من المرض مزية

الدكتور لويس بيتش

مؤلف كتاب "احمد اضطراب الاعصاب"

كنت إلى الأمس فقط صحيحاً معافى في بدنك ، ونشيطاً خفيفاً ، وكان السقم ظلا بعيداً ، وإذا بالمرض يفجأك فتتخلخل ركبتاك ، فتتطلع إلى فراشك ، وأنت الآن طريح فى غرفة المرضى وعضو جديد ، برغمه ، فى جماعة إخوان الألم .

وتنازعك نفسك أن تسخط من فرط ضجرك على القدر ، وأن تنحى بمرارة على هذا التدخل قبل أوانه فى مجرى الحياة وتعويق تحدرها ، غير أن مرضك قد يجنيك فوائد محققة لا تقتصر على التقوى . فإن هذه الاجازة الجبرية التى تقضيها فى فراشك تقصيك بغير لوم عليك عن العالم الصاخب المكدود ، وتشحذ قواك ومدركاتك العقلية والروحية ، وتتيح لك أن ترى حياتك فى صورة أجلى وأبين . وكل مرض جدى ينبغى أن يعد فرصة لجباية أرباح ، وتوليد نشاط ، وابتعاث همات لا تستطيع الصحة أن تؤتينا إياها .

وليس كلامى على هؤلاء الزمنين من المرضى الذين يقضى عليهم السقم بأن يظلوا مثبتين ، والذين ترفعهم بطولة احتمالهم وتكييف حياتهم على مقتضى حالهم ، فوق مرتبة الأوساط العاديين ، فإن المؤرخ الأمريكى العظيم فرانسيس باركمان مثال باهر لكل من تغلبوا على الألم وقهروه . فقد كان باركمان معظم حياته ، لشدة مايعانى من الأوجاع ، لا يستطيع أن يعمل أكثر من خمس دقائق متصلة ، وكان نظره من الضعف والسوء بحيث كان لا يستطيع أن يخط إلا

بضع كلمات بحروف جليلة على رقعة . وكان في عذاب غليظ من سوء الهضم والروماتزم الحاد والصداع الأليم . وكان كل بدنه تقريباً خارجاً عن حد الصحة ، ومع ذلك وسعه أن يكتب حوالى عشرين مجلداً رائعاً من التاريخ .

على أن الذى يعنينا هنا هو الرجل العادى الذى يصيبه المرض لأول مرة . وأمثاله ممن يعرض لهم المرض قلما يتعلمون أن يفيدوا من المرض كل ما يفاد ، لأنهم يعدونه نازلة رماهم بها سوء الحظ . غير أن آلافاً قد اهتدوا إلى نفوسهم فعلا للمرة الأولى أثناء المرض . ومن هؤلاء « الطبيب المحبوب » الدكتور إدوارد لفنجستون ترودو ، فقد أرسل إلى الجبال ، وهو طبيب ناشئ ، وكان المتوقع أن يموت بالتدرن الرئوى ، ولكنه لم يمت . وكان وهو راقد فى فراشه يحلم بمستشفى كبير يعيد فيه الصحة إلى المرضى ويبنى أجسامهم بناء جديداً . وكان ، وهو طريح على سريره ، يفحص مرضى لم يتفاقم مرضهم كما تفاقم مرضه ، وجمع مالا ، وجاهد حتى تحقق حلمه . وقامت مصحته العظيمة فى سراناك ، ونفعت آلافاً من المصابين بالتدرن . وهكذا كان من فضل المرض على ترودو أن صار الطبيب الخامل الذكر طبيباً عالمى الشهرة .

والواقع أن المرض يغيرنا كما تغيرنا أية تجربة كبرى . فكيف يحدث ذلك ؟ إنه يحدث لأننا أولا نعفى إلى حين من الضغط الفظيع الحادث من معاناة العالم المندفع ، وتنحط عن كواهلنا التبعات كما يذوب الثلج فى أبريل ، فليس علينا أن ندرك قطاراً ، أو أن نعنى بأطفال ، أو أن نضبط ساعة ، وندخل فى عالم من التأمل والتحليل النفسى ، ونفكر فى روية للمرة الأولى على الأرجح فى ماضينا ومستقبلنا ، فنرى أن الأشياء قد تغيرت قيمتها ، وتبدو لنا مناهج العمل المألوفة ضعيفة أو غير حكيمة ، أو منطوية على لجاجة وعناد ، وكأن المرض يتيح لنا أندر ما فى الدنيا ، هو « فرصة ثانيــة » لا للانتفاع بالصحة وحدها ، بل بالحياة نفسها .

والمرض يطرد من رءوسنا سخافات كثيرة ، ويردنا إلى التواضع والتطامن ، ويرينا أنفسنا على حقيقتها ، وبأقدارها الصحيحة ، ويمكننا من إلقاء نور كاشف على طوايانا ، ويرينا كم مرة اعتبرنا بفشلنا وضعفنا ، أو هربنا من مواجهة المواقف الحيوية ، وانثنينا متململين ممتعضين ، وتبرز لنا أخطاؤنا فى أعمالنا وفى صلاتنا الزوجية والاجتماعية . وأبرز ما يكون الأثر النافع للمرض حين يعرونا منه جزع . وكثيراً ما أصلحت التيفودية والالتهاب الرئوى من

حال السكيرين واللصوص والكذابين والذين يعنفون بزوجاتهم إلى حد الضرب . وقد يكون من الخير أن يصيبنا مرض يقف بنا على عتبة الموت ، فإن بعض الناس لا يهتدى إلى نفسه ، ولا يعرف ربه ، ولا يفطن إلى ما خلق له من عمل فى الدنيا ، إلا حين يستقيم الطريق ويضيق الباب .

وقد استطاعت فلورنس نيتنجيل ، وهى لا تكاد تقوى على مبارحة فراشها ، أن تعيد تنظيم المستشفيات فى إنجلترا . وكان باستور وهو نصف مفلوج ، ومهدد بالشلل التام لا يمل ولا يفتر وهو يكافح المرض . ولا آخر لما يمكن إيراده من الأمثلة ، وهى كثيرة حتى من حياة من لا يرتقون إلى هذه المنازل الملحوظة . فقد فطن شاب قضى فى المستشفى أسبوعين إلى أنه كان دائماً يريد أن يكون باحثاً فى الكيمياء ، وكان إلى ذلك الحين لا يتسع وقته إلا لعمله كبائع متجول للعقاقير ، وهو اليوم رجل ناجح فى عمله الجديد . وبينما كانت إحدى السيدات فى دور النقه من الحمى القرمزية ، تغلبت وهى فى الأربعين ، على جزعها من الشيخوخة . فقالت : «لست أنوى أن أعود إلى إحساسى السابق بأنى زيادة لاخير فيها ، وقد تزوج أبنائى ففى وسعهم أن يعنوا بأنفسهم ، وسأفتح دكاناً لقبعات السيدات وما إليها . وسأجعلها بحيث تعجبهن » ، وقد فعلت ، ولا حاجة بنا إلى القول بأن السيدات قد أحببن ما عندها .

وقد دلتنى أحاديثى مع المرضى ، أثناء مقامهم فى المستشفى ، على أنهم — كما يقولون — تعلموا لأول مرة معنى الصداقة الحقيقية ، وهو ما كان يخطئونه فى العالم الحديث المعقد الصور ، ويقولون أيضاً إنهم اهتدوا إلى أعماق خفية فى تيار حياتهم . وقد كتب أحدهم يقول : « بعد أيام قليلة تقضى فى الفراش يصبح الزمن ترفاً لم نكن نتصوره . فهناك وقت للتفكير ، ووقت للاستمتاع ، ووقت للإبداع والابتكار ، وأخيراً وقت للتعبير عن خير ما فى الطبيعة الإنسانية وأعمقه . والمرض من أعظم مزايا الحياة ، وهو يهمس فى الأذن بأن مصير الإنسان مرتبط بأسمى القوى . والمرض يتحيف أطراف الحياة ويترك ما فيه الخلاصة » .

حتى الألم يمنحنا البصيرة ، وجمال النظرة ، وفلسفة حياة ، وفهماً للإنسانية وتسامحاً معها — أو باختصار يهبنا السلام فى القلب والصفاء فى النفس ، اللذين لا يستطيع أن يبلغهما ويفوز بهما السليم المعافى . والألم نار مطهرة تأتى على كثير من الخسة والتفه والقلق فيما يسمى «الصحة» وقد قال ملتون « خير الناس عملاً أكثرهم عذاباً » ،

والدليل قصيدته « الفردوس المفقود » التي نظمها بعد ذهاب بصره .

وتجد ، وأنت مريض، أن خيالك أنشط مما كان في أي وقت مضى ، وأنه لا يعوقه أو يكبحه شيء من توافه الحياة ، فتحلم وأنت مفتوح العينين ، وتبني قصوراً في الهواء ، وتعد خططاً وترسم مناهج ، وتعود إليك قوتك وصحتك ، فلا تفتر خيالاتك ، ولا تتبدد نفسك ، بل لعلها تكتسب روحاً عمليا أقوى ، فيستقر عزمك على ما ترى أن تقوم به وتنجزه بعد شفائك .

وتنمو قدرتك على تركيز عقلك وخواطرك ، وتدهشك السهولة التي تحل بها المعضلات فلماذا ؟ لأن غريزة حفظ الذات تنشط ، ولأن كل ما هو غير جوهري يذهب ويسقط ، ويعمق وقع ما ترى و تسمع في نفسك ، وتصير أحس به ، وتلفي نفسك تتذكر طائراً حط على نافذة ، وما يرتسم على وجه صديق لك ، ويبقى ذلك معك فلا تنساه ، ويرهف المرض حسك ، ولهذا قد تكون ضجوراً ، وقد تبكي لأتفه مثير ، ولكن هذا الإحساس المرهف ينبغي الانتفاع به ، وهذا هو الوقت الذي تعالج فيه نفسك حتى تقيمها على نهج خاص ، فتتوسع في القراءة أو تبتكر آراء جديدة .

والجسم السقيم على خلاف الاعتقاد الشائع لا يسقم العقل حتما ، إلا إذا كان المرء يريد أن يتخذ من المرض عذراً للكسل ومسوغاً له ، وما من أحد يحق له أن يجعل من مرضه كائناً ما كان ، مسوغاً لفشله أو عجزه .

وقد عرف الفنانون والعشاق أن الألم يفيد المرزوء جمالا مشرقاً . وهو جمال لا علاقة له بالثياب أو الأصباغ ، وإنما هو جمال من النفس يضيء الروح ويفيض نوراً على وجوه الذين تعلموا أن ينظروا إلى المرض كأنه تحد يجب أن يواجهوه بالأمل والشجاعة .

وإذا كنت لم تمرض قط ، ولم تضيع يوما واحداً على سريرك ، فإنك تكون قد فاتك شيء له قيمته . ولا تجزع حين يجيء دورك . وذكر نفسك بأن الآلام والأوجاع قد تعلمك شيئا قيما ، شيئا ما كنت لتتعلمه بغيرها ، وقد تغيرك وتجعل نهج حياتك كله خيراً وأصلح ، ولأنت والذين يحفون بك خليقون أن تكونوا أسعد إذا استطعتم أن تعدوا أي مرض يصيبكم نعمة متنكرة في زي نقمة ، وأن تجعلوا همكم أن تنتفعوا بها . وفي وسعك دائماً أن تجعل من المرض مزية .

في وقدة الحر ، وبآلات قليلة ، قام الكابتن إدورد إيلزبرج ، ومعه نفر من البحارة الأمريكيين بعمل لم يسبق له نظير في تاريخ الإنقاذ والترميم ، مما ساعد البريطانيين على الاحتفاظ بسيطرتهم على البحر المتوسط .

عصا الساحر في مصوع



هارلند مانشستر
ملخصة عن مجلة « ليبرتي »

لم يزل جو مدينة مصوع أردأ جو في العالم ، فهو خليط من حر لا يطاق ورطوبة تقارب ٩٠ ٪ ، وزوابع سافية لا تحتمل . ويعمل سكانها البيض بضع ساعات عند مطلع الفجر وعند الغروب ، أما بقية ساعات النهار فيقضونها رقوداً في الظل يلهثون ، وبأيديهم كؤوس الماء .

كانت مصوع في ربيع سنة ١٩٤٢ خراباً . وكان الإيطاليون ، يوم طردهم البريطانيون من قاعدتهم البحرية وميناءها الفخم ، يفخرون بأنهم لم يخلفوا وراءهم شيئاً ينتفع به أحد ، إذ أغرقوا الحوض الجاف بماء عمقه خمسون قدماً وعرضه نحو نصف ميل وطوله ٦٠٠ قدم . وأغرقوا حوضاً آخر أصغر منه ، وتركوا في الميناء ٢٦ سفينة مغرقة .

وقد حطم الإيطاليون بالمطارق الكبيرة كل آلة في مصنع الترميمات البحرية المجهزة بأحسن المعدات . ثم استولى البريطانيون والفرنسيون الاحرار فيما بعد على كل مايسهل حمله فلم يتركوا مفكا ولا مطرقة .

غير أن الحلفاء كانوا في أشد الحاجة إلى مصوع ، فقد كان رومل يزحف إلى القاهرة ويقذف قاعدة الإسكندرية قذفاً شديداً حتى عطلها فأصبح لزاماً على السفن البريطانية أن تبقى مسمرة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، فاضطرت ، لما غشى أسافلها من أصداف البحر ، أن تحط سرعة سيرها إلى النصف ، وأن تحتفظ بصلاحها للعمل جهد المستطاع ، لأن أقرب قاعدة للترميم هي ميناء « دربان » بأفريقية الجنوبية ، على بعد أربعة آلاف ميل .

أما مصوع فتبعد ٩٠٠ ميل عن القاهرة ولربما كان ترميم السفن في أحواضها هو الحد الفاصل بين النصر والهزيمة . وقد

اعترف البريطانيون بأنهم لا يملكون العمال ولا الأدوات اللازمة لإنجاز العمل ، فلجأوا يطلبون العون من الولايات المتحدة .

هكذا كانت الحالة فى أوائل ربيع سنة ١٩٤٢ يوم هبط من طائرته الكابتن إدورد إيلزبرج ، وهو ضابط من رديف البحرية الأمريكية ، أوفدته حكومته لترميم قاعدة مصوع . ففحص المكان ووضع خطته . وفى ٩ مايو وافاه خمسة غواصين وسبعة من العمال الميكانيكيين — وكانوا طليعة فرقة المرممين الأمريكية التى لم يزد عدد أفرادها قط على ١٤٠ رجلا . فلما كان شهر يولية كان الحوض الجاف صالحاً للعمل .

وقد جعلت تلك الفرقة الأمريكية الصغيرة تبتكر وتستنبط ، وتستخدم ما تصل إليه أيديها وتعمل تحت شمس لافحة حتى ما يطيق أحد أن يلمس الأدوات دون قفازات . هذا إلى طائفة من العمال ذوى ضراوة وشراسة ، من الأسرى الإيطاليين والأهالى ، كان عليها أن تروضهم وتسوسهم ، ومع ذلك أصلحت هذه الفرقة القاعدة البحرية ورممت ٨٠ سفينة أصبحت على أتم الأهبة للهجوم على جيش رومل فى نوفمبر من تلك السنة .

واليوم يعترف البريطانيون وهم آمنون بأن مركزهم كان يدعو إلى اليأس ، ففى الوسع أن نتحدث عن البراعة والشجاعة اللتين أنجزتا معجزة مصوع .

حين غطس الكابتن إيلزبرج يفحص الحوض الجاف المغرق رآه مؤلفاً من ثمانى غرف مسدودة سدّاً محكما لا ينفذ إليها الماء : سبع غرف منها قد حطمتها القذائف ففتحت فى قعر كل غرفة منها حفرة يبلغ طولها عشرين قدماً ، أما جدران الغرف — وكانت مجوفة ويبلغ سمكها ١٤ قدماً — فلم يلحقها أذى .

وقد قال إيلزبرج لرئيس عماله : « إن هذا الحوض يشبه جرساً هائل الحجم من أجراس الغواصين . وأرى أن لا نحاول أن نرأب الصدوع ، بل أن نحكم سد منافذ الهواء فى جدرانها ، ثم ننفخ فيها الهواء فيعوم الحوض .

ترى لماذا أهمل الإيطاليون الغرفة الثامنة ولم يحطموها ؟ خشى الكابتن إيلزبرج أن يكونوا قد وضعوا فيها قذيفة تنفجر لأقل اهتزاز إذا ما بدأ العمل .

نزل الكابتن إيلزبرج ومعه أحد الغواصين إلى الغرفة الثامنة ، فإذا فيها ، ولا ريب قذيفة تزن مئتى رطل . فترفقوا حتى لفوا عليها حبلا ورفعوها إلى سطح الماء . ثم أخذها خبراء بريطانيون إلى

مكان يبعد خمسة أميال وبجروها ، فهزت مصوع هزة الزلزلة ، وخرج الناس مذعورين يعدون فى الشوارع .

وإذا ذاك بدأ الإنقاذ . فسدّ الغواصون الثقوب حتى لا ينفذ الهواء منها أو إليها ، وكانت درجة حرارة الماء ٩٥ فهرنهيت (٣٥ مئوية) ، حتى قال الكابتن إيلزبرج : « ظننت هذا مكاناً يغنى الغواصين عما ألفوا لبسه من القمصان الصوفية الثلاث ، ولكن من العجيب أننا لم نلبث أن رأينا أن لا بد من لبس القمصان الصوفية ، وإلا فإن العرق يتصبب ، ثم إذا بزّة الغواص تكشط الجلد عن لحمه » .

وفى أثناء القيام بتلك المهمة لم يصب أحد من العمال بأى مرض من أمراض المناطق الحارة أو بالرّعن (ضربة الشمس) وذلك بفضل النظام الدقيق ، والعناية الطبية الوافية ، وتحريم الخمر ، إلا أن نحو ربع العمال لزموا المستشفى بسبب الطفح (حمو النيل) .

وكان الاعتقاد الشائع أن الأوربيين فى مصوع لا يستطيعون أن يعملوا أكثر من أربع ساعات أو خمس فى اليوم . ولكن الكابتن إيلزبرج يقول : « لم نكن لنسمح باتباع تلك العادة ، إذ كان لا بد من إعداد قاعدة مصوع البحرية فى ذلك الصيف وإلا فلا فائدة منها على الإطلاق . فلم يكن بد من العمل عشر ساعات — وأحياناً اثنتى عشرة ساعة — فى اليوم . وفقد كل عامل منا عشرين إلى ثلاثين رطلا من وزنه ، ولكنا كنا قوماً أشداء فاحتملنا » .

إن تعويم حوض مغرق بواسطة الهواء المضغوط ، عمل دقيق محفوف بالمخاطر ، إلا أن إيلزبرج ، الذى استعمل الهواء المضغوط فى سنة ١٩٢٥ لتعويم الغواصة الأمريكية رقم س ٥١ كان من أقدر أهل ذلك الفن . فبعد أن سد الغواصون الحوض الجاف سداً محكما لا ينفذ منه أو إليه ، أخذوا يملأون الغرف الثمانى هواء ، وهم يحرصون على أن يكون الضغط فى جميع الغرف متعادلا ، لئلا ينقلب الحوض على أحد جوانبه . ولو زاد الضغط فى إحدى الغرف زيادة كبيرة لنسف جدران الغرفة ، ولضاع العمل كله .

قال إيلزبرج : « لقد كان الحوض أشبه شىء بأرغن ذى أنابيب توقع عليه لحناً موسيقيا . فإذا ما بدأت الآلات الضاغطة للهواء عملها فلن تمر أربع وعشرون ساعة حتى يتم العمل . وكان العمال يسترقون الدقائق ليغفوا قليلا ، إلا أن الهواء كان ينفذ من وقت إلى آخر من فتحات صغيرة فيضطر العمال أن يغوصوا ، ليلا أو نهاراً ، ليسدوها .

وكانت الغرفة السليمة فى مؤخرة الحوض هى الجزء الذى عام أولا ، فانكشف الثقب الذى كان قد انفتح بقوة الانفجار فى الغرفة المجاورة ، وصار فى الوسع ترميمه فوق سطح الماء . وساعدت الغرفة الثانية ، التى أصبحت مسدودة سدا محكما ، على زيادة طفو الحوض بحيث ظهر الثقب التالى . واستمر العمل على هذا المنوال من مؤخر الحوض إلى مقدمه ، على صفائح بلغت درجة حرارتها أحياناً ١٦٥ فهرنهيت ، فإذا وضع العامل إحدى أدواته فى الشمس اضطر أن يلتقطها بقفاز ثم يغطسها فى ماء البحر قبل استعمالها . وكان العمال يشربون أربعين كوباً من الماء فى اليوم ، ويتعاطون قرصاً من الملح مع كل جرعة رابعة . وكانت ثيابهم عند ما تجف تظهر عليها خطوط من الملح .

وكان بعض الخبراء قد قدروا أن ترميم ثقوب الحوض وإعداده للعمل سيستغرقان عاماً من الزمن ، ولكن بفضل الخيال والاستنباط والذكاء ، والنشاط الذى لا يعرف الكلال ، تمكن ثلاثة عشر رجلا من إنجاز مهمة إنقاذ ميئوس منها ، فى تسعة أيام .

أما تعويم الحوض الأصغر فلم يتم بمثل تلك السهولة ، إذ اتضح ، بعد تعويم الجانب الأيمن منه ، أن هنالك خرقاً ينفذ منه الهواء ، فتطوع حداد يسمى أرمسترونج أن يغطس ويسد الخرق ، وغطس معه عامل أمريكى يدعى لارسن وهو لحام ، وعامل إنجليزى يدعى جونز . وما هو إلا أن تعطلت آلات ضغط الهواء حتى غاص الحوض ١٢ قدماً تحت الماء ، فأخذ الرجال يتسلقون طلباً للنجاة ، فنجوا إلا الثلاثة الذين غاصوا .

فغاص إيلزبرج ووصل عن طريق ثغرة إلى الغرفة التى غمرتها المياه ، ولمست يده جسما ليناً فأمسك به وانتشله إلى سطح الماء . فإذا هو أرمسترونج مغمى عليه . ثم غطس إيلزبرج مرة ثانية وأخرج لارسن . ثم مرة ثالثة وأخرج جونز .

وبعد قليل أفاق لارسن وجونز . أما أرمسترونج فقد بذلت محاولات كثيرة لإنعاشه ، واستمرت تلك المحاولات عشر ساعات ولكنها أخفقت ، إذ قضى المسكين نحبه . وهو الرجل الوحيد الذى هلك فى مصوع .

أما مصانع الترميم على الشاطىء فكان منظرها كمنظر معمل دمرته القنابل . وكانت الآلات والأدوات قد طلبت من الولايات المتحدة ، ولكن وصولها كان يتوقف على العقبات التى تعترض الإنتاج وعلى غواصات المحور . وكانت أمريكا قد

وعدت بإرسال عمال ميكانيكيين أيضاً ، إلا أن إيلزبرج لم يكن فى وسعه أن ينتظر الرجال أو الأدوات وقد قال : « لقد جاءنى خبر منشارين من مناشير النجارة فسرت إليهما ثمانين ميلا كى أشتريهما . وعثر بعض رجالى على بضعة محركات كهربائية وبعض آلات متروكة بين التلال البعيدة ، وكنا كلما وصلت سفينة نستعير منها مفكا أو إزميلا ».

على أن الإيطاليين لم يكونوا حيث يظن بهم من المهارة ، فإنهم لم يحطموا جميع الأجزاء المتماثلة فى المحركات الكهربائية . فلما أخذ عمال إيلزبرج يجمعون الأجزاء غير المحطمة استرجعوا ربع الآلات الأصلية، وتمكنوا أيضاً من إصلاح بضع مخارط . وباستعمال أساليب أولية قديمة تمكنوا من صنع أجزاء تحل محل الأجزاء المحطمة ، فلم ينقض شهران حتى كانت جميع العدد فى قسم الآلات أو النجارة أو صفائح الصلب، تقوم بعملها ، فلما وصلت الآلات المطلوبة من أمريكا لم تكن ثمة حاجة إليها ، فأرسلت إلى جهات أخرى .

وذهب إيلزبرج إلى معسكر الاعتقال بإريتريا وأحضر معه نحو مئة عامل ميكانيكى من الإيطاليين الراغبين فى العمل . ولم يمض زمن قليل حتى كان العمل يجرى بنظام ، وعلى كل قسم من العمل رئيس أمريكى واحد .

فلما اتسع نطاق العمل انضم إلى العمال مصريون وهنود وأحباش وصوماليون وصينيون ومالطيون ونورويجيون وعمال من جنوب أفريقية .

وفى أوائل شهر يونية وصل إلى ميناء مصوع « رفاس » صغير يسمى « إنتنت » معد لترميم المراكب وهو أصغر من معظم المراكب التى من نوعه فى ميناء نيويورك ، فقطع اثنى عشر ألف ميل فى رحلة استغرقت ستين يوما ، من بورت آرثر بولاية تكساس الأمريكية عن طريق رأس الرجاء الصالح . فعهد إيلزبورج إلى قبطانه ، أديسون براون ، وبحارته وعددهم ستة عشر رجلا ، بتعويم سفينة ألمانية تسمى « ليبنفلز » ، وحمولتها ثمانية آلاف طن كانت قد أغرقت هنالك .

وتم إنجاز المهمة فى الرابع من يولية ، واحتفالا بإنجازها رفعت الراية الأمريكية فوق راية « السواستيكا » (الصليب المعقوف) ، ثم قطرت السفينة إلى الميناء ، فأدخلها إيلزبرج ورجاله فى الحوض الجاف، وجهز قعرها بصفائح جديدة أعدها لها فى مصنع الترميم . وأكمل إصلاح جميع عددها حتى أصبحت سفينة جديدة تنقل الذخائر الحربية تحت الراية البريطانية ، فكانت أول سفينة أنقذت وتسنى للحلفاء تعويمها وترميمها

وأصبح ميناء مصوع قاعدة بحـرية للاستعمال . وفى شهر يولية — بعد وصول إيلزبرج بنحو شهرين — عرض عليـه أمـير البحر هاروود ، قائد الأسـطول الإنجليزى بالبحر الأبيض المتوسط ، مشكلة عويصة . ذلك أن طراداً إنجليزيا كان قد عاد من معركة بحـرية وفى مؤخرته ثقب كبير ، وكان الحوض الجاف أقصر من الطراد بمئة قدم . فخطرت ببال إيلزبرج إذ ذاك فكرة غريبة ، لم يجر على مثلها العمل . فإذا كان الثقب فى مؤخرة الطراد فلماذا لا ترفع المؤخرة وحدها عن سطح الماء ، ثم تصلح ؟

ووافق أمير البحر هاروود على ذلك ثم قال : « أسـألك بالله إلاّ ما حرصـت على الطراد ، فهو ربع أسطولى ! » فقد كان يخـدع قائد الأسطول الإيطالى بأربعـة طرادات فقط ، أحدها عاجز غير صالح .

ودلف الطراد فى ميناء مصوع ، ومعه فريق من عمال الترميم بالإسكندرية . فرفع الأمريكيون مؤخر الطراد واشـتغل الميكانيكيون الإنجليز ليلا ونهاراً حتى جددوا تصفيح الثقب . وكان لابد من لىّ الصفيحتين الأخيرتين حتى تطابق المؤخرة ، ولم يكن مصنع مصوع يستطيع لى مثلهما . فقال إيلزبرج : « أحموا عليها نيران مشاعل الطرق ، ثم اسـتعملوا فى ليهما المطارق الـكبيرة » . وكان هذا من الأشياء التى يستحيل أن تتم ! إلا أن إيلزبرج عرض الأمر على اثنـين من العمال الأمريكيين الأشداء ، فشرعا من فورهما فى العمل ، ولم تنقض ثلاث ساعات حتى أنجزاه ووضعا الصفيحتين فى مكانهما . وبعد اثنى عشر يوماً تسلم أمـير البحر هاروود طراده . وبعد ذلك أصلح طرادان بريطانيان آخران فى مصنع مصوع البحرى .

ولما فرغ الكابتن إيلزبرج من مهمته ، ذهب إلى الجزائر وقدم نفسه إلى الجنرال أيزنهاور ، وظل يقوم بأعمـال الإنقاذ والترميم إلى أن دخل مستشفى الجزائر . وقد عاد الآن إلى أمريكا ، ورأت بحرية الولايات المتحدة أنه قام بأعمـال عظيمة فكافأته بوسام الاستحقاق .

****

تعليم لاذع

فى حفلة بهليوود ، كانت إحدى ممثلات السينما شديدة الجفاءِ ثقيلة الوطأة على أحـد المدعوّين . فالتفت الرجل الذى صحبها إلى الحفـلة وقال معتذراً : « أرجو أن تغتفر لصديقتى سلوكها . إنها الليلة منطلقة على سجيتها » .

رجال يودعون قائدهم

ارنى پيل



عرفت في هذه الحرب كثيراً من الضباط أحبهم وأجلهم وكان تحت إمرتهم من الجنود، ولكنى لم أقف قط على رجل صغت إليه القلوب كما صغت للكابتن هنرى واسكو من أهل بلتون بولاية تكساس .

وكان الكابتن واسكو يتولى قيادة إحدى الفصائل فى الفرقة الأمريكية السادسة والثلاثين ، وهو شاب فى الخامسة والعشرين ولكنه يطوى جوانحه على إخلاص ورقة تحببان إلى الناس أن يصيروا طوع أمره .

قال لى جاويش : « إن له المنزلة الثانية فى قلبى ، بعد أبى » .

وقال أحد الجنود : « لقد كان يتعهدنا دائماً ويتعب أبداً لراحتنا » .

وكنت واقفاً فى طرف درب تسلكه الدواب ، ليلة حملوا إلينا الكابتن واسكو من الحومة قتيلا ، وكان القمر يوشك أن يكون بدراً يريك أقصى الدرب . وكانت البغال لاتزال تنحدر من الجبل طول الليل ، وقد شدت على ظهورها جثث القتلى ، مكفأة على بطونها فوق سروجها الخشبية ، قد تدلت رؤوسهم من جانبها الأيسر ، وبرزت أرجلهم اليابسة من الجانب الآخر ، تهزها خطوات البغال .

ولست أدرى من أول قتيل جاءوا به ، فإن الحى ليتضاءل فى حضرة الموتى ، ويمسك لسانه عن لغو السؤال . وبعد قليل حدروه من ظهر الدابة ، وجعلوه لحظة قائماً على قدميه ، تكاد تخاله فى الضوء الشاحب مريضاً قائماً يتوكأ على رفيقه . ثم وضعوه فى ظل الجبل ، وتركناه حيث هو بجانب الطريق ، وعدنا أدراجنا إلى السقيفة ، فاضطجعنا على التبن ، وطفقنا نتحدث ، ريثما يصل الفوج التالى من البغال . ثم دخل علينا جندى فأنبأنا أن جثثا أخرى قد وصلت ، فخرجنا إلى الطريق ، وإذا بأربعة بغال فى ضوء القمر ، وإلى جوارها الجنود الذين جاءوا بها .

وبادر أحدهم يقول : « هذا هو الكابتن واسكو » ، وحل وثاق جثته رجلان ، ووضعاها فى ظل الجبل ، وظل

آخرون ينقلون سائر الجثث . وأخيراً رأيت خمس جثث جنباً إلى جنب فى صف مستطيل ، وفى ميادين القتال لا يغطى الموتى بل يتركون هكذا فى الظل ، حتى يتقدم إليهم من يواريهم .

وانطلقت البغال إلى حدائق الزيتون ، أما الرجال فقد وقفوا فى الطريق كأنما يأبون أن يرحلوا ، ولكنى لم ألبث أن رأيتهم يمرون ، واحداً فى أثر واحد ، بجثة الكابتن واسكو . ولم يكن كل همهم فيما أظن ، أن يملأوا أعينهم منه ، بل أن يودعوه ويودعوا أنفسهم .

وجاء جندى ونظر إليه ثم رفع الصوت قائلا : « تبا لها ! » ولم يزد .

وجاء آخر فقال : « تبا لها وسحقاً ! » وظل ينظر لحظة ثم ولى وذهب .

وجاء ثالث ، وأظنه كان ضابطاً ، فقد كان من العسير أن تميز الضباط من الجنود فى الغلس ، وهم جميعاً شعث غبر . ونظر الرجل فى وجه القائد الميت ، ثم خاطبه كأنما يخاطب حيا فقال : « إنى لحزين آسف أيها الصديق ! » .

ثم أقبل جندى فوقف إلى جانب الضابط وانحنى على الجثة ، وأنشأ يخاطب قائده الهامد .

قال : « إنى لمحزون يا سيدى » ! .

وعندئذ جلس الأول القرفصاء ، وأخذ يد القائد فى يده ، ولبث عدة دقائق ، ممسكا بيده تلك اليد الباردة ، محدقاً فى وجه الميت ، وظل لم ينبس ببنت شفة .

ثم ما لبث أن أرسل ما فى يده ، وأقبل يسوى بنيقة القائد فى رفق ، وينظم أطراف ثوبه الممزق من حول جرحه ، ثم نهض ، وانطلق يمشى وحده تحت ضوء القمر .

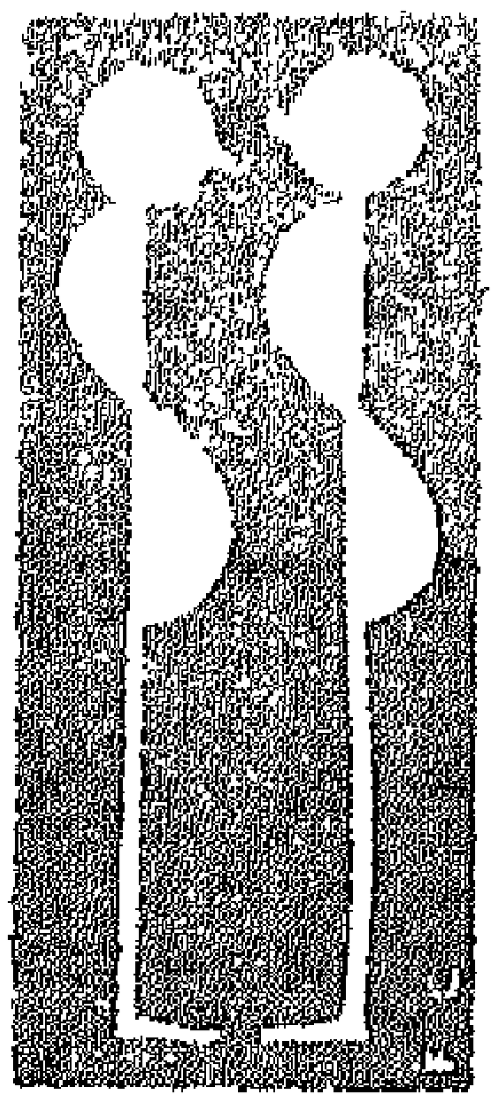
● يابنىّ — قال الوالد لولده — كن كريما أديباً فى معاملة جميع الناس ، حتى الذين يسيئون الأدب إليك ، إذ عليك أن تذكر أنك لاتتوخىّ كرم النفس مع الغير ، لأنهم سادة كرام ، بل لأنك أنت سيّد كريم .

[صحيفة التايمز بالاباما]

« يستطيع معظمنا أن يكون أحسن مما هو — فيكون أسعد مما كان »

بعض العافية لا يكفي!

بروس بارتن • ملخصة عن مجلة « يور لايف »



الصحة الجياشة ليست نعمة لامقطوعة ولا ممنوعة ، بل عطيتها ما أكثر وما أيسر ما تضاع ، ولا سيما فى سن الشيخوخة . على أن كثيراً من الكهول المجهدين (وبعض الفتيان أيضاً) قد تبين لهم أن المرء إذا اقتصد فى اتباع بضع عادات صحية بسيطة ، استطاع أن يسترد نشاطه واستمتاعه بالحياة .

كان من دأب صديقى القديم بيل براون المدرب الرياضى أن يقول : « ليس الحمل هو الذى ينقض ظهورنا ، بل طريقة حمله » وهو يريد إلى ما يبيد قوة الإنسان من اختلال هيأته وقامته . تأمل هيأة المرء يوم يقارب الكهولة : تتقوس كتفاه ، وينخسف صدره ، وتندلق بطنه ، ويقع ثقل جسمه على عقبيه ، وهى الهيأة المعروفة عند الأطباء بهيأة « الغورلىّ » . ولا عجب أن يسرع الكلال إلى مثله ، وأن يحس كأنه منفضة سجائر مثقلة بما تحمل . إن رئتيه لا تكادان تحصلان من الأكسجين على أكثر من ثلث ما يحتاج إليه ، وعموده الفقرى المقوس يقذف بأحشائه جميعاً إلى غير مواضعها ، فيعرقل هضم الطعام وإخراج الفضلات .

وقد علمنا بيل — نحن الكهول المترهلين — أن نسوى مناكبنا بأن ندير راحات أيدينا إلى الأمام ، وهى مرسلة على الجنبين ، وأن نتنفس نفساً عميقاً كأننا نشم عطراً ذكياً . وبهذه الحركات يتسع الصدر ، فيستوعب قدراً كافياً من الأكسجين . ولكى تصون الحجاب الحاجز فى موضعه ، تصور كأنما تسنده قبضتان قويتان ، وهى لعبة يتعلمها طلبة الكلية الحربية فى الولايات المتحدة فتفعل فى عضلات البطن الأعاجيب . ثم بدلا من أن تقف على عقبيك خائراً ، وأصابع قدميك متنافرة كمخالب البطريق (طائر) — ثبت قدميك فى الأرض متوازيتين ، ووزع ثقل جسمك عليهما بالتساوى . وهذه الهيأة هى هيأة العمل ، وهى تريح الأعصاب والعضلات ، لأن الهيكل العظمى يتولى حمل العبء الذى خلق لحمله ،



> كل شىء مع الصحة يكون مصدراً للحبور ، وبدونها تتعذر المتعة بشىء ما ، أياً كان . فأشد الحمق أن تضحى بالصحة للظفر بأى لون من ألوان السعادة — الكسب ، أو التقدم ، أو المعرفة ، أو الشهرة ، ناهيك بالمسرات الحسية العابرة .
>
> شوبنهور

والرياضة على هذه الهيأة أسبوعين قد قهرت عللا مستعصية هزأت بالتشخيص والعقاقير .

إن معظمنا لا يسىء الوقوف فحسب ، بل يسىء الأكل أيضاً . فنحن نسرع فى الأكل إسراع السنجاب ، ثم ندفع ثمن هذه العجلة عللا فى الهضم . وحسبنا أن نباعد بين حركات الشوكة والسكين حتى نتقى نصف ما يؤودنا من آلام عسر الهضم ، فبيكربونات الصودا لا تستطيع أن تمحو الضرر الناشىء من طعام لم نتم مضغه .

ونحن أيضاً نفرط فى الأكل ، ولاسيما من كان منا مبطن الخواصر بالشحم ، وما أحرانا أن نتبع التمرين الرياضى السحرى للمدرب آرتى ماك جوفرن ، فإذا ما أشرفت على منتصف أكلتك ، فابسط راحتيك على المائدة ، ثم ادفع كرسيك بقوة إلى الوراء : (فقد أصبت من الطعام ما يكفيك) ، وآرتى ضمين لك أن هذا التمرين ينقص الوزن رطلا على الأقل فى كل أسبوع .

فإذا تأملنا العادات الوبيلة التى يصطنعها سكان المدن ، فمن العجب أن لا يكونوا أسوأ مما هم ، فنحن نقضى ٢٣ ساعة فى اليوم تحت السقوف ، لا تكاد تمس أجسامنا الشمس أو المطر أو الرياح ، وقلما نستعمل أكثر من عشر عضلاتنا . ولكى نعوض ما يصيبنا من خمول الرئتين والكبد والجلد والجهاز الهضمى ، يلجأ أكثرنا للمسهلات والمقويات والمنعشات ، وهو عبث كان يمكن تجنبه لو قضينا ساعة واحدة كل يوم فى الهواء الطلق فى رياضة هادئة أو عمل هين .

لى صديق محام كهل ، حياته حياة جلوس دائم ، ولكنه يطوف بجيرانه وهو يحمل مقصاً ، يشذب لهم الشجر ، وأسيجة الحدائق . وليس هذا شذوذاً منه ، بل هى الحاجة إلى التقوية من رياضة الذراعين والساقين ، وهذا الجهد المعتدل يكفل له عافية البدن ، وهذا مثل باهر للحقيقة الثابتة : أن المرض قلما يجد ثغرة فى درع العافية .

وأنا نفسى لا أعبأ بالتمرينات الرياضية القديمة ما بين انثناء واستواء ، بل أنطلق إلى عملى وأعود سواء أكان صحواً أم مطراً ،



فأقوم ببعض تمرينات التنفس وشد العضلات فى الصباح والمساء . وهذه التمرينات تبسط طيات نسيج الرئة ، وتقوى الحجاب الحاجز — الذى هو بعد القلب أهم عضلات الجسد .

وكثير من الرجال يعتزل الحياة يوم يعتزل العمل ، وهذا انتحار بطىء . وقد استشار هنرى . س . لناك العالم النفسانى ، أحد رجال الأعمال اعتزل عمله وهو فى الستين ، فقال له إنه « يشعر أنه كزنبرك سرير مكسور » ، ولم يعثر الفحص الطبي على أية علة فى البدن ، ولكن التقصى النفسانى دل على أن عقل الرجل كان كغرفة خاوية ، لافكر ولا عمل ولا أمل. وقد شخص لناك انحطاطه بأنه حالة سيئة من حالات فراغ النفس ، تصير فى الجسم طائفة من الآلام الغامضة تنتشر فيه من الفرع إلى القدم . وكانت وصفة الدواء : جرع ضخمة من القراءة والصلاة ومشاهدة المسارح والنشاط الاجتماعى . فلما شغل الرجل نفسه بالفكر الصالح والعمل المفيد لم يعد للآلام مكان ترتع فيه .

وفى العام الماضى قتل ضغط الدم العالى ، وغيره من علل القلب وأمراض الدورة الدموية ، من الأمريكيين أكثر مما قتلت بنادق النازى وسوء قيادة السيارات . وكم من رجل لا يخطر بباله أن يفرط فى نفخ عجلة سيارته ، ثم تراه يلقى على قلبه وشرايينه عبئاً مستديماً تنوء به ، فتنتفخ أوعية الدم الدقيقة التى تغذى المخ ، ثم تنفجر فى النهاية تحت هذا الضغط المستمر . ونزف المخ (النقطة) وحده يقضى على أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ فى كل عام .

إن كل إنسان قد ضاعف عمله فى هذه الأيام ، ولكن مبادىء الحكمة تملى علينا أن نستريح فترات قصيرة من النهار — خمس دقائق تفصل بين الأحاديث ، وعشر دقائق قبل الغذاء ، ونصف ساعة قبل العشاء . إن للبندقية فترة كى تسكن وتبرد ، وإنى لأعرف رجلا كثير العمل عرف هذا السر منذ سنوات ، فإذا ما توالت أحاديثه دراكا قطع برنامج عمله وقال ببرود : « إنى على موعد سابق مع نفسى » .

فإذا ما ألزمت نفسك بمثل هذا الموعد ، ففك بينقتك وأربطة حذائك ، ثم ألق بقدميك على مقعد آخر ، ودع الدنيا تدور كما تشاء دقيقتين أو ثلاثاً . وإنه لعجب ما يستطيع أن يصنعه الاسترخاء حتى فى هذا الزمن القصير .

ولا مندوحة لأكثرنا عن النوم سبع ساعات أو ثمانى كل ليلة . وإنى لقليل الرثاء



لأولئك « الآبقين » الذين الفوا ان يأووا إلى مضاجعهم في الثانية بعد منتصف الليل ، ثم يعجب أحدهم كيف لا يستطيع أن يلبي نداء المائدة في الساعة السابعة والنصف صباحاً بنفس شهيته القديمة . إن ما ينقص مثل هذا الرجل هو مخ جديد . ثم هناك ذلك « الشاكى من الأرق » الذى يحمل متاعبه معه إلى الفراش ، وقد احتسى عدة فناجين من القهوة وأكثر التدخين ، ثم يكتشف أنه « لا يستطيع أن ينام » .

ومع ذلك فإن كثيراً ممن يتصرفون بحكمة ، يجدون أيضاً بعض العنت فى التماس النوم . ولدى الخبراء نصيحة لهؤلاء : لا تشترك مساء فى مناقشات عنيفة أو مسائل عقلية شاقة ! فالفكرة الأساسية هى أن تبعد الدم عن مخك ، ولن تستطيع ذلك بإجهاد نفسك فى مقعدك ، ويكفى أن تمشى ١٥ دقيقة قبل الرقاد حتى تطرد الدم إلى ساقيك . وهناك قاعدة مضمونة : فكل امرئ يستطيع أن يسحب ٥٠ فى المائة من الدم من مخه المحتقن ، إذا وضع قدميه فى الماء الساخن عشر دقائق قبل الرقاد .

ليست العافية أن تكون « غير مريض » فكثير ممن لا يشكون مرضاً فى أى عضو من الأعضاء ، يحيون تحت ظلال الكلال المزمن أنصاف أصحاء ، ومع ذلك فإن قليلا من رياضة النفس على النظام ، قادر أن يمدهم بفيض مستمر من النشاط ، وبذخيرة من المرح بهذا الإحساس العجيب ، الإحساس بالعافية تتوهج فى أعماق الجسم السليم .

في الصيف الماضى ، عنى أحد مديرى المصانع بنيويورك ، بتعليق لوحات فى مصنعه ومكتبه طبع عليها بحروف سود : « أفعله الآن ، ولا تؤجل » لكى يوحى إلى عماله ضرورة النشاط فى إنجاز ماعليهم . فلما سئل بعد أسابيع عن أثر هذه اللوحات ، هزّ رأسهُ أسفاً وقال : لا أكاد أرغب فى تذكر ماحدث . فقد فرّ الصرّاف بأربعة آلاف ريال ، وخطف رئيس المحاسبين خير سكرتيرة عرفتها فى حياتى ، وطلبت ثلاث من الكاتبات على الآلة زيادة مرتبهنّ ، وقرر عمال المصنع الإضراب ، وانضمّ صبىُّ المكتب إلى الأسطول » .



ناقلة الجنود

جون ستاينبك
مؤلف روايتي "ثمار الغضب" و"غروب القمر"

ملخصة عن صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون"

هو روائي شهير، ومراسل حربي الآن، وهنا يصف الحياة على ظهر ناقلة جنود عبر فيها المحيط إلى إنجلترا

وقفت ناقلة الجنود شامخة مشرفة على الرصيف كالعادة، فإذا أردت أن ترى الكوى أين تنتهي، والسطوح المكشوفة أين تبدأ، كان عليك أن تصعد طرفك وتلوي عنقك. وهي سفينة بغير اسم، وستظل كذلك ما دامت الحرب، ولا يعرف إلى أين تقصد إلا القليلون، ولا يعلم الطريق الذي تسلك إلا الأقلون، ولا بد أن يكون العبء الذي يحمله الذين يتولون أمرها مما يكاد يجاوز الطاقة، فإن الربان الذي يفقدها ويفقد حمولتها لن يغمض له جفن.

ويجلس الجنود بالآلاف على ما معهم فوق السطح، ولا يتكلمون إلا قليلا، ولا يغنون، حتى إذا ذهب الشفق وجاءت العتمة، لم تستطع أن تميز رجلا من رجل.

وقد قضى بعضهم يوماً، والبعض أياماً، في الوصول إلى نقطة الابتداء هذه، وهم يلبسون خوذاتهم التي تهبط إلى آذانهم وعيونهم، ويبدون فيها كأعواد النبات في حوضه.

وتفتح أربعة مدارج فينهض الرجال في تثاقل وملل إلى أقدامهم ويتحركون صفاً، ويجرّون أقدامهم على المدرج المائل.

وكل من يدخل السفينة يفحص بدقة للتثبت من أنه من ركابها، وقد وزعت الأماكن، فنصف الرجال سينامون فوق السطح ونصفهم في جوفها، وغداً يتبادلون أماكنهم، ولا يزال هذا التبادل يجري حتى يبلغوا غايتهم، ولا يخلعون ثيابهم إلا بعد أن ينزلوا إلى البر، فما هذه بسفينة يركبونها للتنزه.

وينطرح الجنود وينامون بمجرد استقرارهم في أماكنهم على السطح الذي ليس فيه سوى الأضواء المحجوبة بالطلاء الأزرق، وكثيرون منهم لا يخلعون حتى خوذاتهم، وإلى جانبهم بنادقهم، وأيديهم مطبقة عليها حتى وهم نائمون.

وعند منتصف الليل يكون آخر رجل قد صعد . وتسمع مضخات الصوت تصيح فى كل أنحاء السفينـة ، وترتد المدارج إلى جوانبها ، ويخرج من جوفها صوت تنفس خفيف ، وقد حيـل ما بين الجنود وبين وطنهم ، ونأوا عنه ، وإن لم يكن بينه وبينهم إلا أقل من مئة خطوة .

وتلقى الحبال ، وتتحرك السفينة الضخمة بحذر فى النهر ، وتكاد تملأه من شط إلى شط ، وتكون القواطر متأهبة لجرها . فلا تزال بها حتى تقيمها على سننها ، ثم ترتد إلى جانبيها كأنها صغارها وهى ماضيـة على مهل إلى البحر . ولا يرى المدينـة الخافتة الأنوار وهى تنأى سوى رجال البـوليس الحربى القائمين بالحراسـة بين النوام من الجنود .

وتفارقهـا القواطر ، فتتسلل السفينة مبتعدة عن المدينـة ـــ كتلة سوداء تشق طريقها فى الظلام ، وعلى السطوح ، وفى الممرات ، وعلى السرر ، يرقد آلاف من الرجال وقد عقد النوم أجفانهم ، ولـكن الضباط والبوليس الحربى ساهرون على هذا الرقاد الضخم ـ رقاد مجسم لأنه رقاد آلاف ـ وتملأ الخياشيم رائحة الجنود ، وهى رائحة الجيش المألوفة ـــ رائحة الصوف ، ورائحة التعب المر ، ورائحة زيت المدافع ، والجلد ، والجنود منطرحون وأنفاسهم منتظمة مسموعة .

ويفوت النائمين شىء عظيم ، كما تفوتنا الأشياء الأخيرة عادة ، فإن وطنهم الذى انتظموا فى الجندية ليدافعوا عنه ، يغيب فى الليل المغيوم ، وهم رقود والأرض التى ستلح ذكراها على خواطرهم وتكظها فى الشهور القادمة ، قد ذهبت وما رأوها . وكانت هذه ساعة العاطفة المشبوبة ، فمضت ولا سبيل إليها مرة أخرى ، لأن التعب كان قد تحلل بهم ، فهم ينامون كالأطفال الذين جاهدوا ليظلوا مفتوحى العيون حين يروا « سنتا كلوز » ثم أعياهم ذلك فناموا .

ويقبل الفجر فى سحاب مطبق ، وتمطر السماء مطراً خفيفاً ، وتبدو السفينة كتلة غائمة تخترق الغيم وتختفى وتذوب فيه ، وقد انبتّ ما بينها وبين العالم . فهى تسمع ، ولـكنها لا تتكلم ولا تنطق ، ولن يسمع بها أحد ما دامت فى رحلتها إلا إذا هوجمت ، والغواصات راصدة فى طريقها فى هذا البحر الغائم ، وكثير من جنود السفينة لم يروا المحيط من قبل ، والبحر نفسه مظلم ومخيف رائع لا تنقصه هذه الغواصات الكوامن .

ويقف على السطح اثنان من أبناء الجبال الذين يستيقظون مع الفجر ، وينظران إلى البحر العجيب دهشين . فيقول أحـدهما :

« يقال إن البحر ملح أجاج فى أعماقه » . فيقول الآخر بلهجة الواثق : « إنك تعلم أن هذا ليس كذلك ، فما فى الدنيا كلها من الملح ما يكفى لجعله كذلك . فكر فى هذا » .

ومن أصعب الأمور إطعام آلاف من الرجال فى مثل هذا النطاق الضيق . وهناك وجبتان فى اليوم بينهما عشر ساعات . ويصطف الجنود للفطور من السابعة إلى العاشرة ، ويبدأ الاصطفاف للعشاء من الخامسة بعد الظهر إلى العاشرة ليلا . ولا ينتظم الأمر فى اليوم الأول ، فيحدث التزاحم ويضيق بعض الصدور ، ويحدث مثلا حوالى الساعة العاشرة أن يشكو أحد الجنود إلى البوليس الحربى فيقول « أرجو يا سيدى أن تخرجنى من هذا الصف ، فقد أخذت ثلاث وجبات للفطور إلى الآن ، ولم أعد جائعاً . وكلما خرجت من صف دفعت إلى صف آخر » .

ويبدأ الجنود يقلقون ، لأنه لا مكان للحركة ، ولا يتيسر لهم أن يقوموا بشىء من الرياضة فى هذه الرحلة ؛ لأن السفينة غاصة بهم . فإذا أردت أن تتحرك فعلت ذلك بين الأقدام المتزاحمة ، ولا بد لك فى الليل على سفينة مطفأة الأنوار كهذه ، من أن تزحف وتتحسس طريقك بين غابة من الأرجل ، وأكثر ما يذكره المرء من سفينة لنقل الجنود هو وفرة الأرجل فيها .

وتشتد الريح ، فيخرج الجنود الذين على السطح ما يتوقونها به ، ويجعلون منها « مخابئ » ، فبعضهم يقيم منها غطاء صغيراً مفرداً بين الأعمدة والحواجز ، ويتعاون آخرون ، ويضمون أغطيتهم بعضها إلى بعض ، ويجعلون منها كهوفاً تقيهم الرياح .

والسفينة مجهزة تجهيزاً وافياً بالأسلحة ، والمدافع تبرز من كل موضع للمراقبة . وهذا يذكر الجنود بأن السفينة عرضة أبداً للهجوم عليها وتدميرها ، وهذا الخطر ماثل أبداً فى أذهانهم مهما بدا من قلة احتفالهم به ، فقد تكون الغواصة كامنة فى أى مكان ، وقد تصيب سفينتهم القذيفة فتهوى بها إلى قاع اليمّ .

ويكون نصف عقل المرء متنبهاً يصغى وينتظر طول الوقت ، وفى الليل يكون للأصوات الصغيرة وقع كبير وشأن عظيم . وهذه وطأة ثقيلة على الأعصاب تحدث ردّ فعل غريب فى النفس ، فترى المخاوف والهواجس تتحول إلى حقائق لا تزال تتكرر . فإن سفينة نقل الجنود عش إشاعات لا تنفك تطير من مقدمها إلى مؤخرها ، والإشاعات واحدة لا تختلف فى كل سفينة من هذا النوع . ويحسن أن نورد بعضها

حتى إذا انتشر بها الصوت عرفت على حقيقتها ولم يخف أنها من أساطير السفن الناقلة للجنود.

١ — شاهدتنا في هذا الصباح غواصة، فبعثت برسالة لاسلكية إلى الغواصات الأخرى. وتتجمع الآن طائفة منها لاعتراض طريقنا وإغراقنا.

٢ — في هذا الصباح صعدت إلى سطح الماء غواصة على مقربة منا، فسددنا إليها كل مدفع. فأشارت إلينا في الوقت المناسب أنها من غواصاتنا.

٣ — حدث حادث فظيع غير معروف بين الضباط (هذه الإشاعة لا تسرى إلا بين المجندين) ولم تعرف الجريمة، ولكن المعروف أن عدداً من الضباط قد زج بهم في السجن وسيحاكمون عسكرياً (قد تكون هذه الإشاعة مجرد هوى).

٤ — الجزء الأمامي من السفينة ضعيف واه ومرقوع، ولكنه لا خوف عليها إلا إذا ساء الجو، وفي هذه الحالة يحتمل أن تتفكك.

٥ — أذاع الراديو الألماني البارحة أن هذه السفينة غرقت، وسيحزن الآباء والزوجات والأصدقاء الذين يعرفون متى أبحرنا، ولا سبيل إلى إبلاغهم أننا بخير لأنه لا يسمح بإرسال رسائل.

٦ — انتشر وباء ما، في السفينة، ويقوم الضباط بدفن الموتى خفية في الليل.

وتمضى الأيام ويزداد الجنود قلقاً، ويكفون عن ألعاب التسلية وتزجية الفراغ. وفي صباح يوم ما نرى الطير فنعلم أننا دنونا من الأرض، فيتزاحم الجنود على الحاجز ويرون في كل سحابة مسفّة شاطئاً، وكثيرون منهم يبرطمون برطمة غريبة يتوهمونها إنجليزية، وهي مضحكة جداً، وتدور السفينة باستمرار، فإن هذه المياه أخطر ما مخرت.

وتقبل علينا طائرات سبتفاير خارجة من الضباب في الأفق، وتدور فوقنا كالنحل الثائرة، وتدنو منا جداً حتى لنسمع حفيف أجنحتها. وتظهر الأرض بعد الظهر، وكلما اقتربنا منها بدت لنا البيوت ووجوه الأرض منتظمة قديمة. فيشخص الجنود معجبين طربين، فإن هذه أول أرض أجنبية رآها معظمهم، وكل منهم يقول إنها تشبه مكاناً يعرفه. فواحد يقول إنها شبيهة بكاليفورنيا في موسم الأمطار، وثان يرى فيها مشابه من فرمونت.

وتدخل السفينة ميناء مزدحماً بالسفن الأخرى وتلقى مرساها. وقد تمت الرحلة على خير وجه، فلا عناء، ولا مرض، ولا هجوم عليها.

والآن يحدث شيء مدهش: تخرج إلى

السطح فرقة من الزامرين فى القرب ، ومعهم الطبول ، ويمشون متخايلين، وتشق السماء الأصوات القوية التى يرسلونها ، فإن هذه أقوى موسيقى عسكرية فى العالم ، حتى إذا وقفوا صفاً انطلق الجنود يهتفون هتافاً عنلما ، فإن قوة الموسيقى العنيفة تهزهم ، ويشعر الجنود شعوراً عميقاً بأن هذا تكريم لهم .

ويرى الجنود من الصنادل المنازل التى فقدت سقوفها والتى احترقت ، والأنقاض التى خلفتها قنابل الطائرات .

ويحملون متاعهم الثقيل على ظهورهم ، ويعلقون بنادقهم على أكتافهم ، ويخطون إلى البلاد الجديدة .

ألقى داروين وهو فى السبعين ، نظرة مستشرفة على حياته فقال : لو أتيح لى أن أحيي حياتى مرة أخرى ، لقرأت الشعر ، واستمعت إلى الموسيقى مرة كل أسبوع على الأقل . فعسى أنْ يبقى الاستعمال الحياة نابضة فى تلك الأجزاء الهامدة من مخى الآن ، فضياع هذه المتع هو ضياع السعادة .

[أوغسطس توماس : ذكرياتى]

على قبر كلب

أصيب كلب لورد بايرون الشاعر بالسعار (الكلب) فمرّضهُ الشاعر ، ثم دفنه فى أنقاض كنيسة قديمة ، وأقام على مدفنه قاعدة من الحجر نقشت عليها الكلمات التالية .

« قرب هذه البقعة ترقد رفات ، من كانت صفاته جمالا بغير غرور ، وقوة بغير صلف ، وشجاعة بغير شراسة ، وجميع فضائل الإنسان بدون نقائصه » .

[أندريه موروا فى « بايرون »]

الميل الثاني



هاري إمرسون فسدك
ملخصة من خطبة شهيرة

من أهم مايحتاج الإنسان أن يبت فيه برأى هو كيف يواجه المسائل الحتمية فى الدنيا ، وكيف يكون موقفه وروحه حين يلق مالا مفر منه ولا مهرب فى الحياة .

لقد قال المسيح إن هناك نهجاً قويماً واحداً — وذلك أن تفعل فوق ما أنت مضطر إلى فعله . قال ذلك بعبارة شعرية : من اضطرك إلى السير معه ميلا ، فسر معه ميلين .

ولا بد أن يكون قوله هذا قد راع سامعيه لأنه رفع لعيونهم صورة مادية بغيضة، وقد كان الجندى الرومانى ، بمقتضى قانونه العسكرى ، يستطيع أن يرغم يهوديا على حمل متاعه مسافة ميل — وذلك تكليف مزر . فأخلق بأن يكون قوله بأن اليهودى، طبقاً لهذا الإرغام ، ينبغى أن يكون مستعداً للسير ميلين ، قد استثار النفس اليهودية ، كما هو خليق أن يستثير النفس الأمريكية ، فإنه أشبه بالتبرع بالنزول عن حقوق الإنسانية . فيحسن بنا أن نتدبر فى هذا .

فإن كلمات المسيح إما أن تكون هراء محضا ، وإما أن تكون حكمة قدسية سماوية.

ونحن أيضاً ، حين نخبط فى الطريق الذى اخترناه ، لا نزال نلتق عند آخر كل ميل برسول يغرينا بالعمل ، فالجسم يقول « لابد » والمصلحة تقول « لابد » والحياة الاجتماعية تقول « لابد » .

ووراء كل ضرورة عملية أخرى الاضطرار الأول الذى يشعر به كاسب رزقه ، ومن الممكن مواجهة هذا الاضطرار بإحدى طريقتين : فإذا شاء الإنسان نزل على حكم هذا الاضطرار وهو نافر معاند ، وقام بألزم مايلزم على نحو آلى ، وقطع هذا الميل الأول القصير متثاقلا من النفس — وهناك آلاف يعملون على هذا النحو وعيونهم على الساعة — أو أن يرحب المرء بالضرورة التى تقضى بالعمل ، ويفطن إلى قيمة الكد الشريف وكرامته ، وبهذا الروح يقطع الميل الثانى ويقلب الواجب مزية . فإن العمل الذى يؤدى على هذا النحو المنطوى على الترحيب به ، يزول عنه تقطيب الإكراه

ويكتسب إشراق الابتسام ، ومتى عمل المرء بهذا الروح فأخلق به أن يشعر أن العمل هو طعامه وشرابه ، وخبزه وملحه ، وأن يتمنى لو كان فى اليوم الواحد أكثر من أربع وعشرين ساعة ، وأن يتصور الجنة وهو يحلم بها مكاناً يستطيع أن يعمل فيه طول الوقت فلا يدركه كلال أو ملل ، ومثل هذا الرجل لا يمكن أن يشعر بأنه فى رق من العمل .

والوسيلة لاجتناب هذا الرق الذى تجىء به الضرورة هى أن تكون من تلقاء نفسك مستعدا إذا أمكن أن تعمل فوق ما هو مطلوب منك . والميل الأول هو وحده الذى فيه العناء والجهد ، ثم تجىء المتعة والمجد مع الميل الثانى .

وثم ضرب آخر من الاضطرار يواجه الإنسان إلى حد ما ، ذلك أنه يحدث بطريقة ما ، أن تقسرنا ظروف خارجية ، أو قوانا المحدودة بطبيعتها ، على أعمال ضيقة غامضة .

والتاريخ حافل بأسماء الذين تغلبوا على محنة الحظ بروح الميل الثانى ، من أمثال ذلك الإغريقى القديم الذى عهد إليه — على سبيل المزاح — فى أن يكون كنّاس البلدة ، فسما بوظيفته إلى مرتبة من النفع جعلتها فى بلاد الأغريق كلها وظيفة شرف ، ومن أمثال هوبر الأعمى الذى صار من عظماء العلماء ، وفوسيت الأعمى الذى صار مديراً للبريد فى إنجلترا .

وهذا الروح نفسه تلقاه فى كثيرين من أوساط الناس وعامتهم ، مثال ذلك ما كتبت به شابة وهى طريحة الفراش إلى صديقةقالت : « خطر لى فى أول الأمر أن أستغل مرضى على خير وجه ، ولكنى الآن أدبر الأمر لاستغلاله إلى أقصى حد » . وهؤلاء الذين يتفوقون بوفرة الاستعداد يقطعون معنا الميل الأول من الاضطرار ، ولكنهم يفيضون جمالا على الميل الثانى .

وهناك واجبات معينة لا معدى عنها فى علاقاتنا العائلية ، وبعض الناس يؤدون منها مالا يسعهم اجتنابه ، بغير زيادة . وهذه الأسر تشبه البخيل حين يؤدى الضرائب ، ولا تعرف فيض الحب والحنو اللذين يملآن النفس فيجود بهما القلب . وأعضاء هذه الأسر يلتزمون النص الحرفى للقانون ، ويرجون مع ذلك أن يكون لهم بيت جدير بهذا الاسم .

إنما يكون البيت بيتاً حقيقياً بالألطاف غير الضرورية ، والإتحاف الذى لم يكن فى الحساب ، والحنو الذى يجىء على غير انتظار ويجاوز ما هو منشود . وهذا هو الذى يجعل هناك فرقاً بين النسل والأبناء ، وبين

ربة بيت وأم ، وبين كاسب وأب ، والميل الثاني هو الذي يتوج كل العلاقات الإنسانية ، في البيت ويترك الكأس فيه فائضة أبدا .

فالمبدأ الذي قرره المسيح يجعل سلوك الناس على نحوين ، اضطراري واختياري ، فالذي يجب أن يفعله المرء هو الميل الأول ، والذي يختار أن يفعله هو الميل الثاني .

وأنا أزيد على ذلك فأقول إنه إذا جاوز الاختيار مدى الضرورة ، وشاعت روحه فيها ، فإن الحياة تخلو من لوثة العبودية وتمتلئ بمعاني الكرامة والجلال .

ولن تجد بين أبطال العالم الروحيين واحداً من رجال الميل الأول ، فقد قطعوا جميعاً الميل الثاني بطريقة ما .

ثمرة المدنية الاسلامية في ذروتها

إن أبا العلاء المعري — وهو شاعر أعمى مثل هومر وملتون — يرى فيه العقل الغربي ثمرة ما بلغته المدنية الإسلامية في ذروتها من النضج العقلي العظيم والتنوع الهائل . وقد استطاع بفضل امتزاج الأدب العربي القديم عنده امتزاجا منقطع النظير بالثقافة العالمية ، وبما أوتي من عبقرية فذة ، أن يتحف الأدب العربي بطائفة من أنفس كنوزه الشعرية .

غير أن أفق عمله الفلسفي والديني كان أرحب جداً ، فقد كان راسخ الإيمان بالتضامن الإنساني والبرّ بين الناس قاطبة . وقد لا يشاطر غيره فخر أن كانوا من مصادر دانتي في « الكوميديا الإلهية » ، ولكنه يقف ولا شك في صف واحد مع أسمى من أنجبتهم البلدان والأديان جميعاً ، بسعيه في سبيل التسامح وحرية الفكر ، وهي الحريات الجوهرية التي صارت الآن في الميزان .

وأبو العلاء مثال العربي في نشأته ، ومثال الرجل الدولي ، كما كان الإسلام في زمانه دولياً في تناوله ومعالجته لمسائل الحياة الأبدية . فهو النموذج الخالد للنهضة الجديدة للحضارة العربية .

[الدكتور جورج دلا فيدا أستاذ الأدب العربي بجامعة بنسلفانيا]

يشرح قائد كتيبة فى جورجيا الجديدة ما هو اقتحام الغابات المعتمة فى منطقة جنوب المحيط الهادى لمحاربة يابانيين لا تراهم العين .

هذا هو قتال الغابات



وليم ل . هوايت

مؤلف " الملكات يمتن كريمات " وغيرها من قصص الحرب

شارلز «دافين» البكباشى فى سلاح المشاة بالجيش الأمريكى ، والحائز لنوط الشرف لمجلس الأمة ، شاب أغبر الشعر فى السادسة والعشرين من عمره . وقد أبلى فى قتال الغابات بلاءً كثيراً فى الأشهر الماضية بإحدى جزر المحيط الهادى . وهو يبين لك أن قتال الغابات عمل بطىء . يقول :

« حينما صدر الأمر لفرقتى من المشاة أن تذهب إلى جورجيا الجديدة ، كانت قد قاتلت من قبل فى جبهة « وادى الكنار » ، وكنا سمعنا أن وطأة القتال كانت شديدة على جنودنا ، حتى تمزقت بعض الفصائل الجديدة وأخذ سيل من الجرحى يتدفق من الميدان .

« أنزلتنا إلى الشاطىء مدمرة حاملة للجنود ، فأثار مجيئنا موجة من السرور . فلما سرنا فى طريقنا إلى الغابة أخذ الجنود على جانبي الطريق يصيحون بنا : « من أى فرقة أنتم أيها الإخوان ؟ » فنجيبهم : « من الفرقة الخامسة والعشرين » فلما أنبأناهم لم يتهكموا علينا كما يفعلون عادة بالفرق الجديدة .

« وفى تلك الليلة خيمت فرقتنا بالقرب من مهبط للمظلات الواقية — وهو مكان سقطت فيه قنبلة ضخمة تزن ألفى رطل ، فخلفت خلاء رحباً فى وسط الغابة يصلح لقذف المؤن من الجو . وفى الصباح عرفنا ما نصيب فرقتنا من القتال ، من القائمقام جورج بوش . وقد أفاق من نومه مبكراً نشيطاً ، وأتى بخرائط وأرانا مبدأ درب فى الغابات ضيق قديم . وكانوا يظنون أن هذا الدرب ينتهى إلى قرية صغيرة اسمها « زيتا » . وكانوا يظنون أيضاً أن اليابانيين المتقهقرين من موندا يقصدون الشواطىء القريبة من القرية ليستقلوا سفن الإنقاذ . فكانت مهمتنا أن ننفذ من الغابة إلى زيتا ، وأن نقطع خط الرجعة على اليابانيين . وكانت زيتا كما يتبين من الخريطة ، تبعد عنها نحو ميلين ، ومع ذلك كنا نعده من حسن الطالع لو أمكننا أن نشق الغابة ونصل إليها فى أقل من أسبوعين .

وقد بُذل لنا شيء من المعونة . ذلك أن القائمقام أصحبنا رجلا من الأهالي ملبد الشعر اسمه حو . وكان سبب إرساله معنا أنه ذهب مرة في سنة من السنين الماضية إلى زيتا وإن كان لم يذهب إليها من هذا الدرب . وكنا نضن بحو ، فجعلنا مكانه في المؤخرة حتى لا يتعرض للهلاك ، فهو وحده الذي يستطيع أن يدلنا على أننا وصلنا إلى المكان الذي يراد منا الوصول إليه .

« وكان أول ما يجب أن نتخطاه من العوائق ، تلان يعدان عنا ٥٠٠ ياردة ، وكان الدرب يعلو سفحهما . وقيل لنا إننا لن نصادف في الغالب أحداً من اليابانيين على التل . وكنت قد تعلمت في وادي الكنار ، أنك لن تفلح في محاربة اليابانيين إذا ركنت إلى الظن بأنهم لا يوجدون في جهة ما ، إذ أغلب الأمر أنك تراهم حيث لا تظن .

« ولذلك أوفدت جماعة سميتها «زيداً» لتحتل التل الأيسر، كما أوفدت جماعة أخرى سميتها « بكرا » لتدور حول التل الأيمن ، فإذا لم يصادفهما أحد من اليابانيين عرفنا أن الدرب مأمون الغوائل .

«وبطبيعة الحال كان يجب على كل جماعة موفدة أن تمد معها أسلاك التلفون . وتلفون الميدان ينقل صوتك واضحاً مسافة ثلاثة أميال من فوق الجداول وجذوع الأشجار الخاوية .

وقد بقيت عند مجمع الأسلاك لأكون على اتصال بالجماعتين ، وانتهزت فترة الانتظار وأخذت في تنقية الأرض لأهيئ قواعد للمدافع الخفيفة ، ليتيسر لنيرانها إذا اقتضى الأمر أن تبلغ صهوة التلين . وتهيئة القواعد للمدافع الخفيفة في الميدان ليس بالعمل الهين، فعليك أن تنقي الأرض من الأشجار في دائرة قطرها عدة ياردات ، إذ لو مس أنف القنبلة المنطلقة فرعاً عالياً انفجرت وقتلت مطلقها .

«ولم يمض على مبارحة الجماعتين ٤٥ دقيقة حتى سمعت طلقات البنادق على اليسار في ناحية جماعة « زيد » ، على حين كان السكون شاملا في ناحية جماعة « بكر » . ومن واجب قائد الكتيبة أن يسارع إلى مكان القتال، فمضيت من فوري واستصحبت معي عدداً كافياً من الجنـد ، فقد كنت أعتزم أمراً جدا .

« تتبعت أسلاك التلفون المتصلة بجماعة «زيد» فلما وصلت معها إلى منتصف التل ، قابلت قائدهم اليوزباشي «أولي روهولت» ، وأخبرنا أن الجناح الأيمن وقع في سيره على نفر من اليابانيين معتصمين بموقع منيع ، ولديهم أسلحة وافرة .

« فأمرت الجناح الأيسر أن يحيط بالتل لمهاجمة اليابانيين من المؤخرة ، وهي حركة لا تتم بالهجوم على العدو أو باقتحام مواقعه ،

بل بزحف بطىء ، مع الاستدلال على مكان العدو من صوت مدافعه — فإذا وجدوه أجهزوا عليه .

« وبينا نحن نتدبر تلك الخطة سمعت فرقعة بنادق عديدة تنطلق معاً من فوق التل المقابل ، فأدركت أن جماعة « بكر » لقد لقيت العدو ، وسمعت كذلك انفجاراً أقوى من انفجار القنبلة اليدوية . فناديت بالتلفون قائد فرقة « بكر » اليوزباشى بن فرجسون وسألته : « ماذا عندكم ؟ » فقال : « لقد لقيناهم — وإنهم يدحرجون علينا ألغاماً برية » .

« فطلبت منه أن يجهز على مهاجميه ، ثم يشق طريقه هابطاً من التل حتى يجتمع بجماعة زيد عند سفح التل .

« وكان جناحا جماعة زيد قد أطبقا عندئذ على العدو ، وسرعان ما قضيا عليه بالقنابل اليدوية — والتأم شملهما . وكانت جثث اليابانيين الذين عصف بهم القتال متناثرة على الأرض . وكان من دأبنا أن نغطيها بشيء من الحطام البالى منعاً لانتشار الأمراض . ولكننا لم نفعل ، إذ لم يكن لدينا متسع من الوقت .

« وفى أثناء ذلك كان اليابانيون لا ينفكون يدحرجون الألغام البرية على جماعة « بكر » ، وهى أقراص صغيرة ولكنها تنفجر فى عنف، فقتلت من جماعة « بكر » عدداً غير قليل ، وروعت ١٥ رجلا منهم ظلوا مغشيا عليهم زمنا.

« ولكن بالرغم من ذلك تمكنت جماعة بكر من إنجاز مهمتها ، وأبلغتنا أنها فى طريقها إلى سفح التل . فقلت لهم بالتلفون ألا ينقطعوا عن مناداتنا لنعلم أين هم ، ونكون نحن الصلة بينهم وبين جماعة زيد .

« وأخذت جماعة بكر فى مناداتنا وأخذنا نحن ننادى جماعة زيد، وإذا بصوت اليابانيين يدخل بيننا وينادى جماعة بكر وزيد ، فاختلطت الأصوات بعضها ببعض اختلاطاً يثير الأعصاب ، فلم يعد أحد منا يدرى أين صار زملاؤه . فلما بدأ الظلام يخيم علينا قلت لمن معى من الجنود ، إنه من الخير لنا أن نبقى حيث نحن .

« احتفرنا لأنفسنا خنادق فى قمة حصينة من التل . وهى ليست قمة فى الواقع بل هى أعلى مكان فى التل تقف عليها دون أن تنعكس صورتك على صفحة السماء . ودرت حول حلقة دفاعنا لأتحقق من أن أوكارنا ليست بينها فجوات واسعة ، ومن أن أشجار الغابة قد أزيل منها ما ينبغى لإفساح المرمى لبنادقنا السريعة ومدافعنا . واجتمع فى كل جحر أربعة من الرجال أو خمسة يتعاقبون الحراسة طول الليل وهم جاثمون خلف مدافعهم .

« سكنت نفسى إلى حسن استعدادنا ،

فزحفت إلى وكرى، ولم أستطع مغادرته حتى الفجر . وإن حراسنا لمعذورون إذا ظنوا كل نبأة صوت بين الأشجار إنما هى يابانى يتحرك . وهـذا أمر عصيب لمن انتابته الدوسنطاريا من جنودنا .

« وطبيعى أن لا يخلو وكر القـائد من آلة التلفون ، فكانت تصلنى الأنبـاء من الولايات المتحدة ، إذ كان لدى مركز قيادة الكتيبة فى المؤخرة ، سيارة بها جهاز كبير للراديو تلتقط به كل مساء نشرة الأخبار من سان فرنسسكو ، وتسمعنا إياها بتلفون الميدان فأكتبها . وفى الصباح أنبئ الجنود بما يجرى فى وطنهم .

« وأنت فى الغابة فى غنى عن جرس ساعة أو نفير ينبهك إلى طلوع الفجر ، إذ ما تكاد أشعة الفجر تتسلل من خلال الأغصان حتى يهبّ الرجال يتطلعون إلى مصدر الأصوات التى سمعوها بالليل — ثم يفتحون علب المؤونة ويأكلون ما بها بارداً . .

« وفى ذلك اليـوم بكرنا فى النزول إلى سفح التل ، ونحن نتوقع فى كل لحظة أن تصب علينا نار اليابانيين ، ولـكنهم كانوا قد انسحبوا تحت جنح الليل تاركين معسكرهم على حاله ، وهو عدد من أكواخ صغيرة أقيمت من عمد متشابكة وعليها أغصان كثيفة ، وتغطى أرضها فروع لينة ، فاحتللنا مركز قيادتهم وهو كوخ من طابقين ، واتخـذناه مقراً لقيادة الفرقة . ثم اتصلت تلفونيا بوحـدة المدفعية الثقيـلة ، وطلبت منها أن تسير فى إثرنا وتلحقنا . ثم قمت بجولة لأرى معدات اليابانيين ، ولم يخل معسكرهم من صور راقصات « الجيشا » ولم تكن هذه الصور بذات نفع كبير لجنودنا .

« بدأت أقلق على خـط تموينا . ذلك أن المسالف (وابورات الزلط) التى تسير عادة فى إثرنا لتعبـد الطريق ، لم تكن قد لحقت بنا بعد ، فكان لزاماً أن ينقل إلينا الماء والزاد محمولا .

« بكرت فى الصباح التالى وأخذت أصدر أوامرى بالتلفون ، لأعد كل ما يلزم لمواصلة التقدم . وكانت بالقرب منى حقيبة من اللبد معلقة إلى عامود وفيها مشاعل إذا أطلقت فى الجو دلت على مكان أصحابها . وفجأة دوت فرقعة فكأنما قامت القيامة ، فتخليت فى قفزة واحدة عن ذلك العرش اليابانى ، وهبطت أختبئ وراء أقرب شجرة إلىّ .

« ولما انقشع الدخان أدركنا أن أحد القنّاصة اليابانيين كان يحاول إصابتى وأنا جالس على ذلك العرش اليابانى ، فأخطأنى وأصاب حقيبة المشاعل فانفجرت . ولما لم تسدد إلينا طلقات أخرى قلت : لعل اليابانى حين رأى سحب الدخان ، ظن أن طلقته

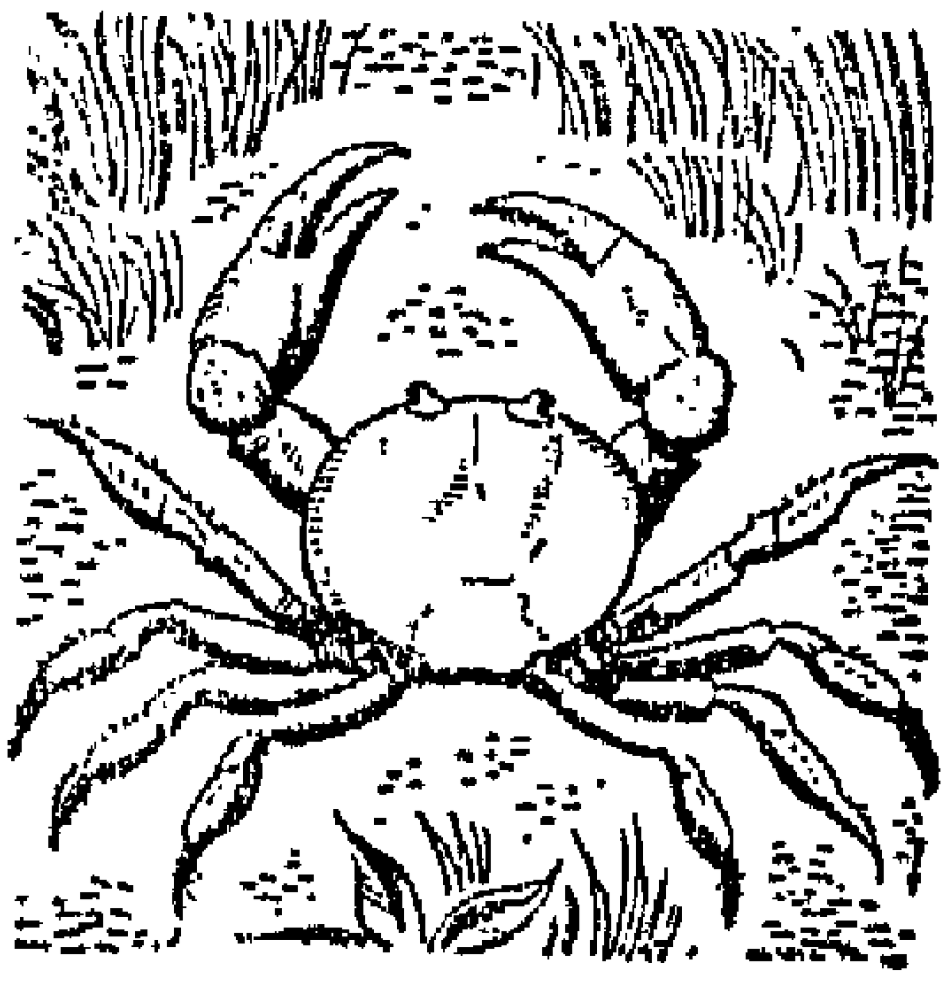
الأولى قد جاءته بأكبر غنيمـة يرجوها ليومه فلم يثنّ وانسحب .

* * *

« وسرعان ما بدأنا السير وكنا نمشى مشى السلحفاة . وبعثت فرقة استكشاف لا لتتقدم فى جوف الدرب ، بل لتنقسم قسمين يسير كل منهما على جانبى الدرب مسافة ٧٠ أو ٨٠ ياردة ، يشقان طريقهما بين الأدغال منقبين عن أوكار مدافع اليابانيين . وكنا قدأوغلنا فى الغابة ، فوجدنا أشجارها تزداد ارتفاعاً وكثافة ، وأغصانها الملتفة تحجب الشمس . وكانت فرقة الاستكشاف بمنزلة العين والأذن تقينا المفاجآت . وانقضى معظم النهار وهى لم تقطع سوى ٨٠٠ ياردة ، ثم تريثت إلى أن نلحق بها .

« ولا شك أن أشق المهمات تقع على عاتق فرقة الاستكشاف ، فإنها تكافح وتتعثر فى غابة مجهولة دون أن تعلم وراء أية شجرة يترصد العدو . وهذا جهد يرهق أعصاب الرجال . ومن أجل ذلك كنت بقدر ما أستطيع أشكل فرقة الاستكشاف بالتناوب بين الجنود .

« خيمنا وسط الغابة ورقدت فى وكرى أنصت للأصوات ، وما أكثر ما تلتقفه الأذن منها بالليل ! فأول ذلك ما تأنسه من العجيج عند المستنقعات : صرير الجنادب ونقيق الضفادع . ثم تسمع طائر الليل يصيح صيحة عالية متقطعة تهيج الأعصاب وتنهكها ، ذلك



لأن اليابانيين يلجأون فى بعض الأحيان للتخاطب رمزاً فيما بينهم بالدق على عود من الغاب دقا يشبه فى تقطعه صيحة ذلك الطائر . ثم يجثم عليك الصمت مرة أخرى ، ثم تسمع فى جوف الغابة تقصفاً فى إثر تقصف كأنما هى دبابات قادمة ، على حين أنه ينبعث من سقوط شجرة خاوية ، إلا أنك بالليل لا تستطيع أن تتبين الأمر . ثم تسمع خشخشة قريبة من الأرض ، كأنما هو كلب يجوس خلال عيدان قمح يابسة ، أو هو يابانىّ يدبّ على بطنه — وربما لم يكن إلا سرطاناً بريا حقيراً ينقب عن فريسته .

« وهذا السرطان البرى يحيى ذعرك طول الليل ، وهو حيوان حجمه كحجم قاعدة التلفون ، وله أرجل كأرجل العنكبوت ، ولونه بالنهار أخضر مغبر كلون اللحم إذا أنتن . فإذا حوّم خمسة أو ستة منه حول العسكر بالليل خلتها فرقة كاملة من اليابانيين تزحف نحوك ، وقد تغفو فيهبط إلى جحرك سرطان

منها ويمزق جلد رقبتك بإحدى كلابتيه ، فكأنما وقع عليك يابانى يتامس حلقومك بطرف خنجره ، فتهب تصرخ مذعوراً وتثب واقفاً وتتخبط فى الظلام .

« وقد يحدث أن يركب الكابوس أحد الجنود — وكثيرون منهم يكابدون الكابوس بالليل إذا اشتركوا فى قتال عنيف بالنهار — فيهب الجندى من نومه مذعوراً وهو يصرخ ، فتوقن أن الجيش اليابانى قد أطبق على الوكر ،وقد يحدث أن يهب أحدهم ويطلق ساقيه للريح وهو نائم ، وعلى زميله فى تلك الحالة أن يلقى عليه أنشوطة ثم يجذبه إلى الوكر .

« فى الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة ذاتها ، سمعت صرخة ثم أربع طلقات تجاوبت فى حوالى خمس عشرة ثانية ، ففزعت فرقتنا كلها ، وأيديهم على بنادقهم . لم يكن فى وسعى أن أقوم لأتبين الأمر ، وفى الصباح علمت أن أحد الجنود كان قد جثم عليه الكابوس، فصرخ صرخة جعلت حارساً واقفاً ببندقيته يستدير بسرعة ، وعندئذ التف على بندقيته فرع شجرة فكاد سلاحه يفلت من يده ، فأيقن الجندى أن أحد اليابانيين يهاجمه فشد بندقيته ليخلصها ، ثم أطلقها ٤ مرات على المرمى حيث توهم اليابانى . وإذا ذكرت أننا كنا من الجنود الذين بلوا القتال ، لم تعجب للجنود الجدد إذا ردوا برصاصهم على كل تقصف يسمعونه .

« وفى الصباح طلب القائمقام منا أن نتنحى حتى تمر كتيبة أخرى « الكتيبة الثانية » وتقدمنا فى الدرب . ولم تكد هذه الكتيبة تتجاوزنا بما يقرب من ٢٠٠ ياردة فحسب ، حتى سمعت أول طلقات الرصاص . ذلك أنها اصطدمت بيابانيين معتصمين بمرتفعات على جانبى الدرب ، وألزمت مكانها لا تتقدم . فتوزّعنا نحن من ورائها نحرس مؤخرتها ، وهى خطة حميدة فى قتال الغابات ، كل ذلك والكتيبة المتقدمة منهمكة فى إفناء اليابانيين . وليس هذا بالأمر الهين حيث يبلغ من كثافة الأشجار والتفاف الأغصان أن لا تكاد ترى أبعد من ١٠ ياردات .

« وفى آخر النهار كان قد أصيب خمسة وثلاثون من رجالنا ، مع أننا لم نتقدم فى الدرب ياردة واحدة . وكان من البين أن الجهد قد بلغ من جنودنا كل مبلغ ، هذا والمطر ينهمر مرتين على الأقل بالنهار أو بالليل ، حتى تشتهى النوم كثيراً ثم لا تظفر منه بالقليل .

* * *

« فى الصباح التالى أبلغنا أنه قد تقرر أن يستعان بالمدفعية فى كسر جدة العدوّ .

فرددنا فى التلفون على هـذا البلاغ . وكان مراقبو الضرب متصلين تلفونيا بمدفعياتهم وهى على خمسة أميال من ورائنا ، فتقهقرنا عن مواضعنا قليلا حتى لا نكون فى مرمى النار . وإحكام تسديد القنابل فى الغابة عمل شاق ، فمراقب الضرب الذى يبغى السلامة يسدد القنبلة الأولى بعيدا عنه : ٦٠٠ ياردة ثم ينصت حيث تقع وينبعث منهـا انفجار مكتوم ، ويهتف المراقب بتعليماته فى التلفون قائلا : « إلى اليمين درجة واحـدة ، إلى الوراء درجة واحدة » . ثم ينصت لوقع قنابل أخرى . ثم تكون القنابل التى تليها أدق وأحكم . ثم إذا بك تسمع قنبلة تصفر فوق رأسك قبـل أن تنفجر بلحظة ، ثم تصل إلى أذنك ضجة تقصف الأغصـان . ولما اقترب منا موقع انفجار القنابل إلى أن صار على بعد ١٥٠ ياردة ، استهدفنا للخطر وصارت تتطاير من حولنا أغصان الأشجار وقطع كبيرة من الصخور . وفوق هـذا فقد كان من أشد ما يحتمل أن يحدث انفجار بين الأشجار ، إذ أن أنف القنبلة قد يمس فرعاً عالياً من شجرة فتنفجر فى الهواء وتمطر علينا شظاياها .

« وقد يحـدث بين الحين والحين أن يتغير مهب الريح فتقع القنبلة فى خطوطنا . وقد حدث فى ذلك اليوم أن سقطت إحدى قنابلنا وسط فرقة من الكتيبة الثانية فقتلت عدداً من رجالها وروّعت الباقين .

« ولم تكد المدفعية تكف عن إقامة هذا السد من النيران حتى تقدمت فرقتى لمهاجمة جناح اليابانيين الأيسر ، وكان مرابطاً على تل ملىء بالغابات يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ قدماً ، فهاجمه جنودنا ، ولكن مواقع العـدوّ كانت جدّ منيعة ، فصدونا ، وأصيب عشرة من رجالنا .

« ومعـالجة الجرحى فى الغـابة أمر قائم بذاته . وقد جرى رجال الإسـعاف الطبى على أن لا يلبسوا أبداً علامة الصليب الأحمر ، ذلك لأن اليـابانيين علمونا أن هذه العلامة تهيجهم كما تهيج الثور الغـلالة الحمراء . ولم أر قط أحداً من اليابانيين يضع تلك العـلامة . وكانوا لا يحترمون علاماتنـا ، وخيراً فعلوا ، فإننا لا نسألهم شيئاً .

« ولا تقلّ إصابات رجال الإسعاف الطبى عن إصابات المشاة المحاربين . ويزحف رجل الإسعاف يجر الجرحى عائداً بهم إلى مكان مستور ، وربما اكتفى بجذع شجرة ، فإذا فعـل أخذ يرش مسحوق السلفا على أفواه الجروح ، أو يضمدها برباط ، ويحقنه بالمورفين ، ويدون أوصاف الحالة فى بيان ينوطه بالمصاب ، ثم ينادى أحد حملة النقالات .

* * *

« وهكذا كنا نظن أن اليابانيين يحتلون مواقع قليلة ، فإذا هى مواقع قد أحسنوا اختيارها ، فليس يجدى كثرة المواقع ، بل مناعتها . وأقاموا على كل موقع جنديا معه مدفع سريع ، وجنديين أو ثلاثة من حملة البنادق ليظاهروه ، إذا حاولنا أن ندب لمهاجمته من خلف . ولعل عدد اليابانيين فى ذلك الجزء من التل لم يزد على ١٥ رجلا ، ولكنهم كانوا فى تلك المواقع بمثابة ٥٠٠ فى ميدان منبسط .

« وكان الظلام قد بدأ ينتشر ، فاحتفرنا لأنفسنا الخنادق فى ذلك القسم من التل لمبيت ليلتنا . وكان يصل إلينا من أمامنا لغط اليابانيين فيما بينهم ، وهم يقطعون الأغصان لإفساح المرمى لنيران أسلحتهم . ثم سرعان ما هطل المطر المعهود فى السماء فزادت ربكتنا ومتاعبنا .

« وعند الفجر نادانى القائمقام بالتلفون وأبلغنى أنباء هامة : إننا سنعان بالدبابات ، فقد مهد الطريق إلى الخطوط المتقدمة بل لقد حدث أن أحد المهندسين كان فى مسلفته (وابور الزلط) ومعه بندقيته ، فلمح أحد اليابانيين فعاجله برصاصة من المحتمل أن تكون قد أصابته . وكان من نعم تمهيد الطريق علينا أن أخذنا نتلقى فطائر ساخنة وقهوة تحملها إلينا سيارات جيب .

« وسرعان ما بدأنا نسمع صفارات الدبابات ، وهى علامتها التى تشير بها بعضها إلى بعض بأن تنثنى يمينا أو يسارا ، وهذه الصفارة وحدها تكفى أن تقلق اليابانيين ، وأخيرا جاءت تشق طريقها تحطم الشجيرات ، أربع دبابات قد رفع غطاؤها وبرز منه رجل واقف يدل السائق كيف يتنكب الأشجار الضخمة . وكان رجالها من البحارة ، وبعد لحظة كان قائدها اليوزباشى كارلسون يقفز إلى الأرض يتأجج نشاطا ، وهو شاب وسيم طويل القامة أشقر . وبينما أخذ رجاله البحارة يألفون جنودنا ويؤاخونهم ، توليت اطلاعه على تفاصيل الميدان ومواقع اليابانيين ومقدار قوتهم . ثم وثب البحارة إلى الدبابات ، وعمدوا فى تلك المرة إلى أغطيتها فأنزلوها وأحكموا رتاجها . وتحركت بهم فى صف واحد .

« ما من شىء يثير ضجة أكبر من ضجة الدبابات تسير فى الغابة . فهذا محركها يهدر ويزأر ، وصفارتها تولول كأنها جن ثائر ، والأغصان تنخلع ، والشجيرات توطأ وتتحطم ، والأشجار تنفلق منها الشظايا وتتطاير ، وكل هذا الضجيج متداخل متشابك . لم نبال أن نتبعها وهى تزمجر ذات اليمين وذات اليسار ، وتتراجع وتنثنى تشق لها طريقا فى الغابة . وبعد ٤٥ دقيقة وصلنا

إلى المنطقة التى يقوم فيها مخيم اليابانيين ، وملأنا الزهو حين رأيناه قد عانى كثيراً من مدفعيتنا مع أن كل اعتمادنا فى تسديد الضرب كان على آذاننا ، وقد انسحب اليابانيون عند ما سمعوا الدبابات ، وخلفوا عدداً من المدافع والذخيرة والمؤونة ، وهى من الأرز والخبز الجاف .

« وعلى بعد ٧٥ ياردة صادفنا جدولا صغيراً من جداول الغابات عرضه ١٠ ياردات ، ولا يزيد عمقه على نصف قامة الرجل ، ولكنه كان كافياً لصد الدبابات فخضناه لا نبالى بالتماسيح ، وتقدمنا تاركين الدبابات . ولما جاوزنا الجدول اهتدينا إلى الدرب الموصل إلى زيتا . ومع أن النهار كان يكاد ينصرم إلا أننا طمعنا فى أن نقطع جزءاً صغيراً من المسافة فما بقى لنا من الوقت ، ولكن سرعان ما سمعنا فرقعة الرصاص وصاح الجنود : « يا للجحيم ! هاهم أولاء مرة أخرى ! »

« ترك اليابانيون حرس مقدمتنا يمر ، ثم أطلقوا النار على من جاء بعدهم . وكان الظلام يهبط بسرعة فى تلك الغابة ، فاضطررنا إلى أن نحتفر لأنفسنا الخنادق ونقاتل فى الوقت ذاته .

« أصيب اليوزباشى أولى روهولت وهو يحاول أن يتقهقر بحرس المقدمة ، وقد فتتت شظية القنبلة ذراعه ونفذت فيه ثم استقرت فى ساقه ، ولكنه استطاع أن يزحف مستعيناً بساقه وذراعه السليمتين . وأصيب كذلك ثلاثة من رجاله ولكن لم يعجز عن السير سوى رجل واحد منهم ، فحمل .

« لم تكن ليلتى هنيئة ، فقد كان الرصاص ينطلق بين الحين والحين ، وأخذت أفكر فى رجالى وأنا أستمع لتلك الطلقات . لقد ظلوا ينازلون بلاء الغابة وبلاء اليابانيين طيلة الأسبوع بغير انقطاع . ولكنى كنت واثقاً من أن لهم من معدنهم الحر ما يكفيهم فى الهجوم .

« وفى الفجر أرسلت عسساً يحملون معهم تلفوناً وساروا ببطء يتلمسون طريقهم من شجرة إلى شجرة ، وكانت كثافة الغابة فى ذلك الموضع تكاد تريك الظهر ليلا . وحيثما وليت وجهك فثمة أشجار باسقة كأنها أبنية عالية تطبق عليك ، ولا ينفك ضغطها يزيد على مر الساعات ، وأنت لا يتسنى لك أن تفلت منها إلى متسع فسيح .

« وبعد ربع ساعة من تحرك العسس طلبت بالتلفون ، وكان الصوت خافتاً كالهمس ، فعلمت أنهم على مقربة من اليابانيين ، وكان الصوت يهمس وهو جد خافت :

« يادافيز ! لقد سقطنا على مواقع للعدو أعدها من قبل . فما هى أوامرك ؟ »

« فطلبت منهم أن يعودوا أدراجهم دون أن يسترعوا إليهم انتباه العدو . فلما عادوا أخبرونا أن مواقع العـدو على ١٥٠ ياردة من جانب الدرب ، وقالوا إن لديه — فيما يبدو — معدات كثيرة .

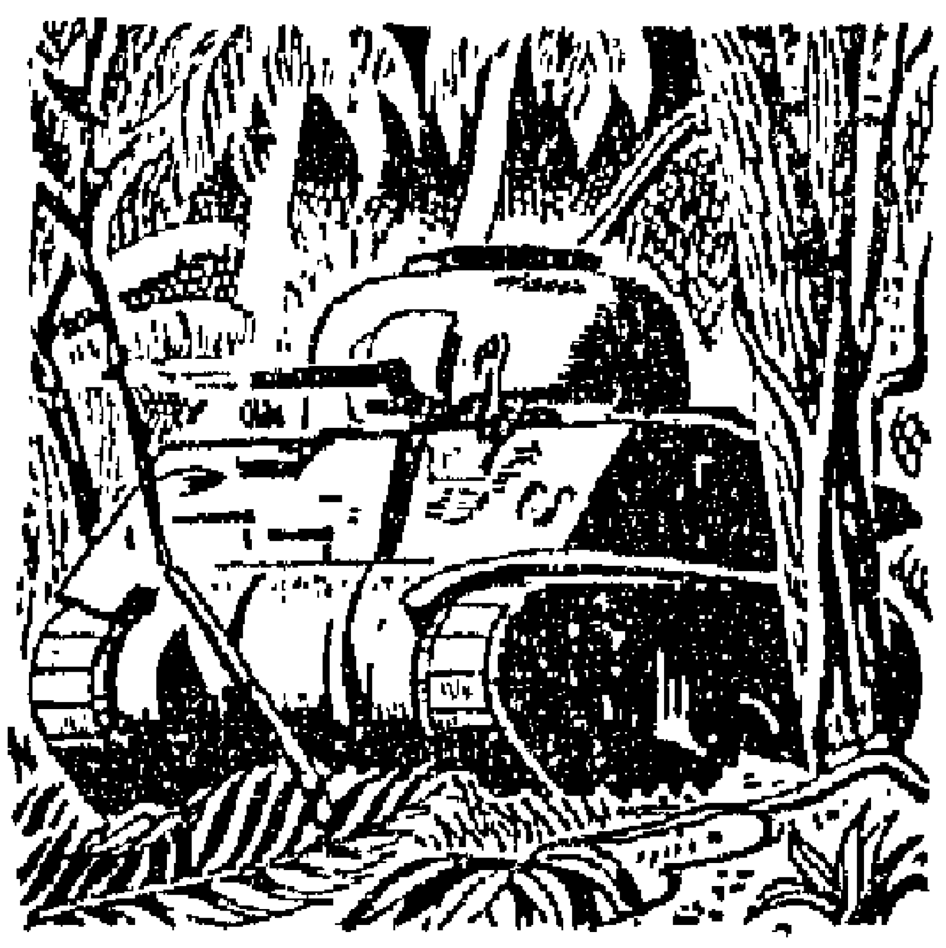
« لم يكن لنا إلا أن نواصل التقـدم ، فتركنا اليابانيون نزحف إليهم حتى إذا أصبح بيننا وبينهم ١٥ أو ٢٠ ياردة ، انهالوا علينا بالرصاص من بنادقهم جميعاً . فهاجمناهم بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، ولـكنهم كانوا يتحصنون فى خنادق من تحت جذور الأشجار الضخمة ، فكان من العسير أن نصل إليهم . مكثنا طول النهار كأنما ننطح صخرة ، وأخيراً عدنا إلى حيث كانت خنادقنا فى الليلة الماضية ، وبتنا ليلتنا أيقاظاً حذر الهجوم ، وقبيل منتصف الليل أطلقت مخافرنا الأمامية رصاصها ، ولم يسفر الأمر عن شىء ، ولـكن أحـد جنودنا وجد عنـد الفجر ، على بعد ٣ ياردات من جحره ، قتيلا يابانيا صرعته رصاصة بين عينيه .

«أصبحنا مع الفجر ونحن نكابد ما عهدنا من البرد والقذارة وقلة الراحة . وإن العرق ليتصبب غزيراً فى النهار ثم يتلوه ليل بارد ، ولم ندع حمل الأغطية إلا لأننا لا نستطيع أن نحارب ونحملها فى الوقت نفسه . وكانت الجنود قد طالت لحاهم ، إذ لم يتيسر لهم أن يستحموا أو يحلقوا ، وكانوا يفتحون علب المؤونة التى كانت — والحمد لله — تتنوع حيناً بعد حين ، ومن وجد منهم سيجارة غير مبللة دخنها . وقد انحطت قواهم المعنوية . لم يتململوا ، ولـكنهم كانوا يشعرون أنهم يهاجمون عدواً لا يرونه .

« وفى هذا النوع من القتال يظل الجنود يتقدمون باحثين عن منفذ قد تركت حراسته ، وقد يحدث أن يصاب أحد الجنود فى كتفه وهو آخذ فى الزحف من فوق جذع شجرة فيجمد زملاؤه جميعاً فى أماكنهم ، فلو تحرك فرع شجرة لأبادهم العـدو جميعاً بسيل من الرصاص . فإذا حدث هذا لفرقتك فليس لك إلا أن تسحبها ، ولـكن نجاح هـذا الانسحاب يحتاج إلى دراية فنية ، لأنك إذا بدأت الانسحاب ، وجب عليـك ان تترك شرذمة صغيرة من الجنود لحمايتها ، ويظل جندى واحد فى كل جماعة ليطلق من مدفعه الرشاش كل ذخيرته ليصد اليابانيين ، على حين ينسحب زملاؤه . ثم يلحق بهم وهم يحمونه بنيرانهم ما وسعهم أن يفعلوا . وبعـد ذلك تصدر أوامرك للمدفعية .

« وفى تلك الليلة كانت مدفعيتنا متأخرة عنا ، لا يصلنا صوت انطلاقها . فلما سمعنا سقوط القنبـلة الأولى اجتمعت برؤســاء الفرقة وتشاورنا ، وقررنا أن يستمر ضرب

اليابانيين بالقنابل ٣٠ دقيقة ، فإذا قارب الضرب نهايتــه أخذنا ندب إلى أن نصل قريباً من خطوطهم فنباغتهم بالهجوم ، من قبل أن تتاح لهم فرصــة الانسلال من مخابئهم واستكشاف ما حولهم .



«فتقدمنا ونحن نطلق كل ما لدينا من أسلحة نارية . وإن الجندى ليشعر أنه أحسن حالا إذا كان يطلق سلاحه سواء أرأى ما يرميه أم لم يره . ولكن ذلك لم يجْدِ كثيراً، وسُمّـرنا فى أماكننا مرة أخرى . وكان الجهد قد بلغ منا حينئذ كل مبلغ، حتى لكأن تلك الأشجار العالية والفروع المتشابكة تطبق علينا هى الأخرى وتقيدنا ، ومن العسير احتمال مثل هذا الشعور .

« وفى الصباح التالى كانت دلائل الخيبة بادية على وجوه الجنود ، فها نحن حيث كنا من قبل، نخرج لإنجاز ما خرجنا له بالأمس، إلا أن عدد الخارجين ينقص يوماً بعد يوم . فكنا نكره الخروج كرة أخرى ، على علمنا أن لا بد مما ليس منه بد ، فقد كانت الأوامر الصادرة إلينا جميعاً — من القائد إلى أصغر جندى — صريحة : ثابروا على الهجوم .

« قمنا بشن هجوم ، وأخذنا نستعد لهجوم ثان، حين بلغنا أن المهندسين أقاموا معبراً فوق الجدول، وأن الدبابات لا تلبث أن تقدم إلينا. يا لله ! كم أفعمت هذه الأنباء قلوبنا سروراً .

«وبعد نصف ساعة قدمت الدبابات تطأ ما تلقى ، هى بعينها الدبابات الأربع ، وقائدها هو هو ، الضابط البحرى نفسه . وكان جنودنا يتوقون إلى الحركة ليتحرروا من المكان الذى قيدهم طويلا ، فجروا جميعاً واختلطت صيحاتهم بدوى الدبابات .

« ولكننا لم نتقدم ٤٠ ياردة حتى شرع اليابانيون يصبون نيرانهم علينا ، ولكن الحال كانت قد تبدلت هذه المرة . فإن الدبابات أخـذت تدور حول الأشجار فى حركة لولبية ،وتهدم مواقع اليابانيين، وتنشر ستاراً من نيران المدافع السريعة ، ثم أطلقت مدافعها من عيار ٣٧ م . وقذيفة هذا المدفع ليست قطعة واحدة ، بل هى قنبلة محشوة إذا انفجرت مزقت الأغصـان شر ممزق . وكان لدى الدبابات أيضاً رصاص يخـترق الدروع ، فكان إذا أصاب مخابئ اليابانيين أطاح بغطائها المتخذ من شعاب المرجان مكوّمة فوق جذور الأشـجار . وزادت ضجة نيران مدافعنـا وبنادقنا السريعـة ، واستمرت المعـركة حتى هدم من معـاقل

اليابانيين أربعة أو خمسة . وكان قد وصل عندئذ إلى علم اليوزباشى بن فرجسون أن اليابانيين يشغلون مواقع أخرى أمامنا ، ولكن النهار كان قد أوشك أن ينقضى ، فقررنا أن نعود إلى أوكارنا الأولى لنقضى الليل ، ثم نبكر فى الهجوم مع الدبابات .

« فلما وصلنا إلى ميدان المعركة فى الصباح التالى لم نجد أحداً من اليابانيين ، اللهم إلا عدداً من قتلاهم مبعثرين على الأرض . وبعد أن سرنا ٢٠٠ ياردة عثرنا على مخيم أكبر قد هجره اليابانيون ، وعندئذ فهمنا الأمر ، ذلك أننا رأينا المخيم وقد خربته نيران مدافعنا تخريباً ، ومن أجل ذلك كان السدّ الذى أقامته المدفعية من أمامنا غير نافع فى هجومنا قبل مجئ الدبابات ، لأن مرماها كان قد تجاوز الموقع المقصود — موقع المعركة — بـ ٢٠٠ ياردة .

« وبعد أن سرنا ٨٠٠ ياردة وجدنا أنفسنا فى ساحة مكشوفة تقتحمها العين ، إذ كانت عدداً قليلا من أكواخ قائمة على عمد مسقوفة بالأغصان ، وبجانبها لوحة كبيرة رسمت عليها أحرف يابانية . وكان معنا جندى من قلم المخابرات السرية من أصل خليط ، أمريكى يابانى ، ولعله مولود فى كاليفورنيا أو هافانا ، فقرأ اللوحة وقال:

— هذه نهاية الدرب !

« وأقول ، إن هؤلاء الرجال المنحدرين من أصل خليط ، يابانى أمريكى ، أثبتوا أنهم جنود أكفاء مخلصون .

« ولكنى أحكى كلمة سمعتها هى التى نطق بها دليلنا « چو » إذ تلفت حواليه وأخذ يومئ برأسه ويقول : هذه هى زيتا !

« كنا الآن على بعد ٥٠٠ ياردة من الشاطئ ، فأقمنا مخفراً لمنع اليابانيين من التسلل إلى الشاطئ من جهات أخرى ، وقد جعلناه مخفراً حصيناً . ولا عجب إذا ما لبث اليابانيون أن هاجموه فى قوة كبيرة وهم يصرخون : سلموا أيها الأمريكيون ! لقد أحيط بكم !

« ولكن مجهودهم ضاع سدى . وأحصينا فيما بعد ما لا يقل عن ٣٠ قتيلا منهم .

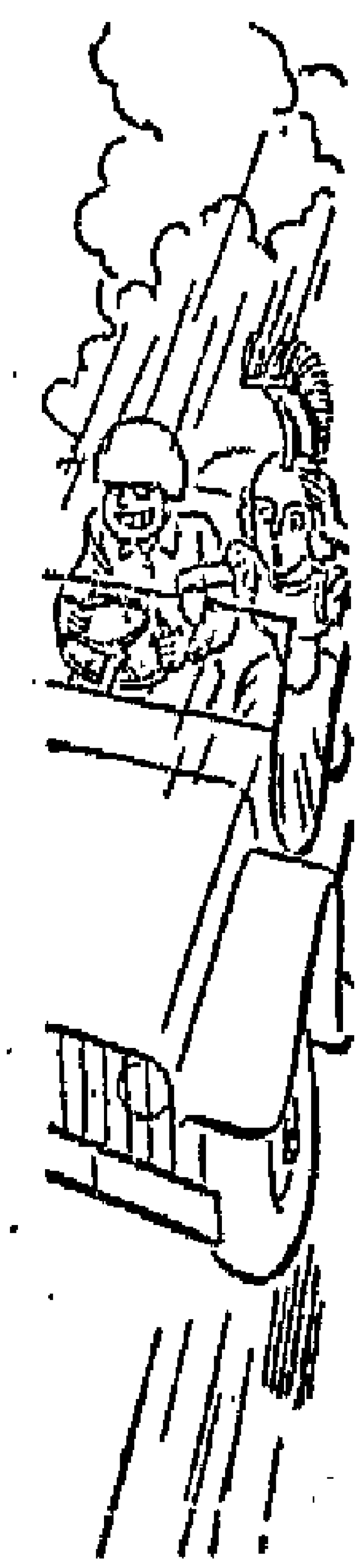
« وقد رويت هذه الواقعة لأفسر كيف صرفنا أسبوعين لكى نقطع ميلين اثنين فى جوف غابات تلك الجزيرة . ولا يزال أمامنا كثير من أمثالها » .

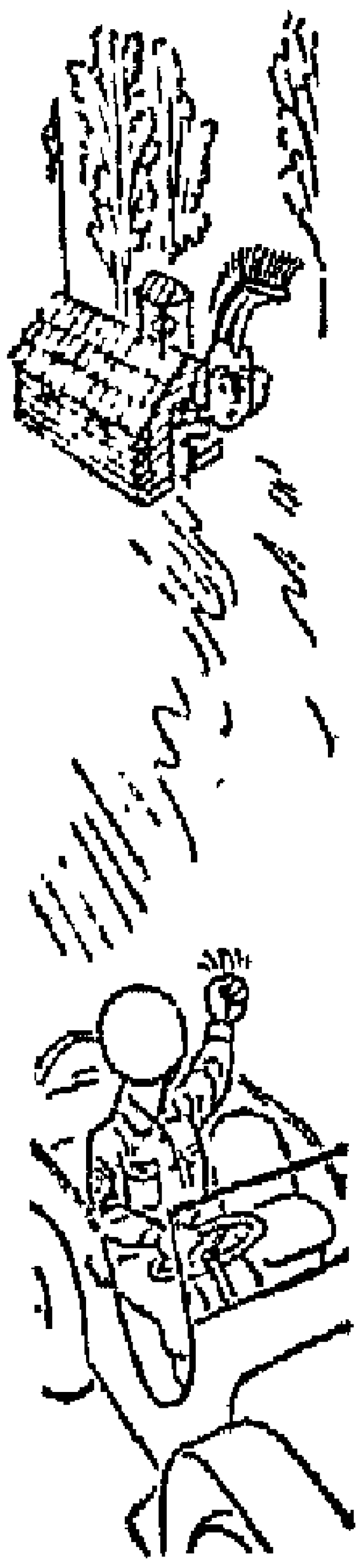


هل تستطيع المدارس أن تحذو حذو الجيش ؟

ولتر آدمز

ملخصة عن مجلة « بتر هومز آند جاردنز »





كان « فرناندز » مكسيكيا ناشئاً حيياً ، وهو من إحدى مزارع تربية الأغنام فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة . ولما اختير للجيش ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وأرسل إلى فورت ريلى بولاية كانزاس ليتلقى التدريب الأساسى ، أدنفه الحنين إلى وطنه ، وكان لا يعرف الكتابة ، وإذا جاءه كتاب لم يحسن أن يقرأه .

وفى فورت ريلى ألحق فرناندز بقسم التدريب الخاص من الجيش ، مع غيره ممن يمثلون الملايين الأربعة من الأميين فى الولايات المتحدة . وبعد ثمانية أسابيع كان فرناندز يستطيع أن يكتب اسمه فى كشف الأجور ، فكان شديد الابتهاج حتى صار يدعو الناس ويصيح بهم قائلا : « انظروا كيف أكتب اسمى » . ولما فرغ من تدريبه الأساسى ، وكان تعلمه الكتابة على هامشه ، صار يتابع الأخبار ويحرر الرسائل إلى قومه . ومثل هذا التعلم الشيطانى شىء مألوف فى الجيش الأمريكى ، والأسطول الأمريكى ، وهو مثير للاهتمام لأنه ربما دل على التغير المنتظر فى أساليب التعلم بعد الحرب .

وكثير من الأطفال يقضون ، ما بين سنتين إلى أربع سنوات ، فى تعلم الفرنسية أو الإسبانية ، أما فى الجيش فيدرسون الأسس الضرورية من اللغات فى مدة تتفاوت بين ٨ ساعات و ١٢ ساعة . فإذا أبحر الجندى فى جيش الغزو تلقى دروسه فى الطريق ، حتى إذا ما هبط الأرض ، أمكنه أن يعاشر الأهالى ويلتقط المعلومات الحربية .

واللغة اليابانية من أصعب اللغات ، وكنا نعتقد أن الإنسان لا يستطيع أن يتعلمها فى أقل من أربع سنوات من الدراسة المتصلة ، ولكن المدرسة البحرية فى بولدر بولاية كولورادو جعلت طلبتها يتكلمونها

فى ثلاثة أشهر . ولنفرض أن المدارس المدنية تنحو نحو طريقة الجيش والأسطول ، فتتجمع الفرقة حول الحاكى وتتعلم كما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه ، بالإصغاء إلى المتحدث من أهل هذه اللغة ، وتقليده ، بدلا من أن يتعلمها من مدرّسة تجاهد أن تنطقها كما تتوهم أهلها ينطقونها . وفى يد كل طالب دليل ، ليقارن بين المكتوب والمنطوق فى الحاكى ، ليتضاعف التأثير فى نفسه .

وبعد الاستماع إلى الحاكى ما بين ١٥ و ٢٠ دقيقة ، يفاجىء المدرس الطلبة بأسئلة سهلة ، وتكون جميع الأسئلة والأجوبة بهذا اللسان الأجنبى حتى فى الدرس الأول . فيتعلم الطالب الكلمات والتعبيرات الأساسية فى زمن يتراوح بين ٨ ساعات و ١٥ ساعة ، ولا يفكر خلال ذلك وهو يترجم من لغة إلى لغة ، بل يفكر باللغة نفسها .

وهذا المنهج فى تعلم اللغات هو أحد الطرق الكثيرة التى أخذت بها القوات المحاربة لتكون أسرع فى التعليم ، وهى تستعمل المناضد الرملية المعروفة فى رياض الأطفال ، والصور الهزلية ، والرسوم الكاريكاتورية ، وأشرطة السينما ، وكل ما يمكن أن يستعان به على التعليم ، يضاف إلى ذلك بذل الجهد وشدة اليقظة .

وهذه الأساليب الجديدة أصبحت شغل رجال التربية فى الولايات المتحدة ، وكثير منهم — سواء منهم من التحق بالجيش ومن ظل فى المدينة — قد ساعد فى تكوين مناهجه . فسيدنى جيمز فرنش — منظم مدرسة الإعداد للطيران الحربى يقول : « قد أظهر لى هذا العمل أن طريقة كليات الفنون الحرة فى التعليم كانت طريقة مريحة لإضاعة أربع سنوات صالحة من أعمار نابتة الطلبة » ، ويقول الدكتور صامويل ن . ستيفنز عميد كلية جرينل وهى مركز تدريب لأحد برامج الجيش الخاصة : « نحن الآن فى طريقنا إلى اكتشاف أساليب تمكننا فى شهر واحد ، من تعليم الأولاد المتفوقين تفوقاً بيّناً ، جميع الرياضيات الهامة والتاريخ والطبيعيات التى يحصلونها فى المدارس الثانوية ، وعما قريب سنعلم الطالب الموهوب فى مدى نصف سنة مدرسية ما يتلقاه عادة فى أربع سنوات بالمدارس الثانوية » .

وأشرطة السينما هى أجدى الوسائل المساعدة على التعليم . وعلماء النفس يقولون إن تسعين فى المئة من تعليمنا جميعه نظفر به عن طريق العينين ، وخمسة فى المئة عن طريق الأذنين . والذى يتعلمه الآن رجال الأسطول ، فى ١٥ دقيقة ، حين يدرسون إدارة المدافع فى السفن الحربية

ـــ وهى من الأمور المعقدة ـــ معروضة فى فلم ، أكثر مما كانوا يتعلمونه سابقاً من محاضرة تستغرق ساعتين . وقد وجد أحد قواد الجيش أن الفلم قد اختصر أربعين فى المئة من مدة التدريب فى سنة ١٩١٧ ، ولذلك ألغى الجيش محاضرة حجرة الدراسة وعدها من أردأ أساليب التعليم .

ولنفرض أنك تسللت إلى إحدى حجرات الدراسة الأمريكية التى ستكون قريباً ، حيث يكثر استخدام الأفلام ، فترى المدرس قد استدرج جون إلى أن يؤكد « أنه لو ذهب تشرشل إلى ميونخ لما نشبت الحرب » وتتبع ذلك مناقشات فى أسباب الحرب ، وبذلك يتضح للطالب ما يجب أن يعرفه قبل مشاهدة شريط ما ، أى سبب دراسته ، ومشاهدة الشريط دون أن تعرف لماذا تشاهده لا فائدة منها . وكل فرقة تشاهد الشريط عشر دقائق فحسب ، ولكن مشاهدته وحدها لا تغنى عن الجهد العقلى .

وعندما يدير المدرس الشريط الناطق تتكشف للطلبة الإجابة عن حججهم فى قصة لم تبدأ فى ميونخ ، بل فى منشوريا سنة ١٩٣١ أو أبعد من ذلك قليلا . وبعرض سريع تختلط فيه الشخصيات وتظهر الأحداث والإضرابات والأزمات وحرق الكتب وإلقاء الخطب من الشرفات واضطرام الثورات ، والجيوش ، والدسائس والاغتيال ، ترى كيف تفسد العقول إفساداً فظيعاً حتى تصبح عدواً لدوداً مخيفاً ، وبالخرائط الحية تتضح لنا المؤامرة الواسعة المنكشفة لغزو العالم . وليس ذلك دعاية ما كرة أو فلماً زائفاً من صنع هوليود ، بل هو الحق والصدق الذى يتوخاه المؤرخون ، إنه قصة مفجعة تتعلق بها الأنفاس ، وتبثّ فى تعليم التاريخ حياة نابضة .

فإذا ما فرغ المدرس من عرض الشريط فقد يوجه إلى كل طالب خمسين سؤالا سريعاً على سبيل الامتحان ، كى يحمله على التفكير ويشوقه إلى التوسع فى الدراسة .

وبعد ١٥ سنة تصبح مسألة عدد القتلى والجرحى فى كتب التاريخ مسألة لا أثر لها فى النفس : نعم ، كان عدد المصابين من جنودنا فى صقلية قليلا ، ولكن الناشئة حين ترى الجرحى وهم ينقلون إلى سفن المستشفيات ، بعضهم سائر على قدميه وبعضهم محمول فى المحفات ، قد أظلهم سكون الموت ، فيومئذ لن يكون ذكر عدد الإصابات ، ولا دراستها من الناحية الاجتماعية ، أمراً لا أثر له فى النفس .

ونستطيع بالشريط أن ندعو إلى حجرة الدراسة ذوى المواهب ، من المدرسين الأكفاء والكتاب الذين لا تحتملهم ميزانية

المدرسة ، وهو يمكننا من أن نعلم الفرقة المبتدئة موضوعات فى علم الحياة لا تدرس بغير هذه الوسيلة إلا فى العاشرة — أى يبقى تعليمها متعذراً حتى يصبح للأطفال مجموعة من الألفاظ تيسر لهم الفهم . ونستطيع كذلك أن نغوص إلى قعر المحيط ، فندرس الإسفنج والأسماك . وبالصور المتحركة نستطيع دراسة معجزة نمو النباتات ، وبالرسوم المتحركة يمكنك أن تسير فى جوف محرك الديزل وهو يدور ، أو أن تدخل جوف الجسم الإنسانى لتدرس وظيفة البلعوم ، أو المعركة بين الكريات البيض والمرض .

ولما شرعت القوى المسلحة ، تنسق تعليمها على أساس حذف الزوائد فيه ، صححت مبدأ حشد الطلبة فى فصل واحد ، بغض النظر عن استعدادهم ومواهبهم ، وهو مبدأ مشكوك فيه على طول ما لقى من الثقة والاحترام . فقد أمكن ، باتخاذ ضروب جديدة من مقاييس الذكاء تزيد على مئتين ، أن ينتخب من ١١ مليون رجل ، أحسن الناشئة التى تستطيع أن تفيد من التعليم الفنى ، فأرسلوا إلى الجامعة وأعفوا من نفقات التعليم ، وقد أرسل فريق آخر إلى المدارس الفنية وفريق إلى مدارس تخريج الضباط ، وأرسل غيرهم أمثال فرناندز إلى مدارس تدريب الجيش الخاصة . وقد يعترض على ذلك بأن قوات الجيش إنما تدرب الرجال ولكنها لا تربيهم ، وأن أهم ما تعلمه المدرسة هو أن تهذب عقول الطلبة وأن تعلمهم كيف يفكرون . وهذا حق ، ولكن أن تجعل الأشياء صعبة الفهم باتباعك أساليب تافهة فى التعليم ، ليس من شأنه أن يكون ذا قيمة فى تدريب العقل . والطالب لا يستطيع أن يحسن التفكير إلا إذا نشىء على أن يفهم الموضوع ، وأن يدرك علاقاته بالأشياء الأخرى .

ونتيجة هذه المحاولة التى تقوم بها قواتنا المحاربة قد تكون بعيدة الأثر ، ومن المنتظر أن سيحين اليوم الذى يستطيع فيه العالم الطبيعى والعالم النفسى والعالم بالطب أن يشخصوا استعداد الطفل ومقدرته، ويومئذ لن تحاول المدارس أن تجعل الفنان مهندساً بل ستجعل همها أن تشجع الصغار السريعى التعلم ، وأن تحفزهم ، لا أن تعوقهم باتباع طريقة قد روعى فيها أن يظل الطفل المتوسط الذكاء فى المدرسة ، حتى يبلغ السادسة عشرة .

والشىء الوحيد الذى نستطيع أن نؤكده : هو أن التعليم على النظام القديم ليس كافياً وأنه يجب على أمريكا أن تستبدل بهذا النظام نظاماً آخر .

« أيخرج الورق الأخضر فى الحقل مادة معجزة جديدة تعين الانسان على مكافحة العدوى »

السحر الأخضر

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن مجلة «سيفس نيوزليتر»

فى أعماق الألفة الخفية بين ضوء الشمس والنبات الأخضر ، يرجو العلم أن يجد المادة التى تدنيه من الظفر فى قديم نضاله غدوى الأجسام . وهذه المادة هى اليخضور (الكلوروفيل) ، وهى ما يسبغ على الغابة والحقل رُواء الاخضرار .

هذا البحث جديد ، وقلّ من سمع به من الأطباء ، ولكن ما ظهر حتى اليوم ، من الدليل على ما لليخضور من فائدة طبية ، شيء يحي الآمال . فالممتازون الذين توفروا على البحوث الطبية ، يروون ١٫٢٠٠ حادثة مدوّنة ، شاهدوا اليخضور فيها يكافح الالتهابات الغائرة ، ويطهر الجراح الفاغرة ، ويلطف الالتهاب المزمن فى كهوف العظام ، ويقضى على الزكام . أما كيف يفعل اليخضور فعله ، فلا يزال هذا سرا من أسرار الطبيعة .

وقد مضى زمن تمكن فيه الكيميائيون من فصل المادة الملوّنة الخضراء فى النبات النامى ، ولكن كل سعى بذل فى استكشاف جزيء اليخضور ، فيما قبل سنة ١٩١٣ ، باء بالإخفاق . وفى تلك السنة وصل الكيميائى الألمانى ، الدكتور رتشرد فلستاتر إلى استنتاج صحيح عجيب ، وهو أن معجزة الخضرة فى الطبيعة ، متصلة اتصالا وثيقاً بسر الحياة نفسها .

كل طاقة الحياة مصدرها الشمس ، ولكن النباتات الخضر هى وحدها التى تملك سر التسلط على الطاقة الشمسية ، ثم تردها على الإنسان والحيوان . تسقط شعاعة من ضوء الشمس على ورقة خضراء فتحدث المعجزة من فورها ، فتتمزق ، فى جوف النبات ، جزيئات الماء وثانى أكسيد الكربون — وهذا التمزيق نفسه آية لا يستطيعها الكيميائى إلا بشق النفس . فثمة أولا غاز وماء لا حياة فيهما ، وإذا هما فى طرفة عين مادة حية . وينطلق الأكسجين من النبات يجدد الهواء الذى نستنشقه ، وتتولد وحدات من الطاقة ، فى المواد السكرية والكربوايدراتية وتخزن فى النبات .

والإنسان يستهلك هذه الطاقة طعاماً — فى الخضر ولحوم البهائم (آكلة العشب)

ويستعملها فحماً وزيتاً وغازاً ، بعد أن كانت نباتاً أخضر طوى فى أطباق الأرض عصوراً متطاولة .

واسترعت الأنظار هذه الحقائق التى غاص إليها فلستاتر ، ولكن موالاة البحث الدقيق أسفرت عن شىء أشد تحييراً للعقول . فبين جزىء اليخضور وجزىء اليحمور (الهيموجلوبين ، وهو المادة الحمراء فى دم البشر) شبه عجيب . فالمادة الملونة الحمراء فى الدم ، نسيج من ذرات الكربون والإيدروجين والأكسجين والنتروجين يكتنف ذرة من الحديد ، والمادة الخضراء فى النبات هى أيضاً نسيج من العناصر نفسها — إلا أنها تكتنف ذرة من المغنسيوم . فمن الواضح أن لهذا الشبه مغزى ، فما هو ؟

وكذلك صارت أسرار اليخضور الكثيرة تحدياً موجهاً إلى العلماء ، ومنهم — مثل تشارلز كيترنج مدير قسم البحث فى شركة جنرال موترز — من بدأ يتلمس الأسرار الأصلية فى الورقة الخضراء — شرك الشمس — يحدوه الأمل أن يجد وسائل صناعية تقبض على طاقة الشمس . وغيرهم — مثل الدكتور هانس فيشر الألمانى الذى حاز جائزة نوبل سنة ١٩٣١ جزاء له على بحثه فى المادة الملونة الحمراء فى الدم — من بحث عما يحتمل كشفه من فوائد اليخضور فى الطب .

أنشأ كيترنج فى كلية أنتيوك سنة ١٩٣٠ مؤسسة لدراسة اليخضور والتركيب الضوئى — وهو عمل اليخضور فى الورق الأخضر — للبحث فى هذه الظاهرة من جميع نواحيها . وكان فى طليعة المسائل التى حاول البحّاث أن يجيبوا عنها ، هذه المسألة : ماذا يحدث لليخضور حين يمر فى جهاز الهضم فى الإنسان والحيوان ؟ فوجدوا أن إحدى المواد الناشئة من تحطيم جزىء اليخضور ، قريبة الشبه بالهيماتين ، وهو أحد أجزاء اليحمور . وحين تطعم الفيران هذه المادة ، بعد هضمها بعض الهضم ، تنتعش أجسامها من فورها فتولد كريات الدم الحمر .

وحوالى ذلك الوقت أعلن الدكتور فيشر أنه قد استعمل اليخضور فى علاج فقر الدم (الأنيميا) ، وأن النتائج مبشرة ، وإن لم تكن حاسمة . فحركت هذه الدلائل همم علماء الكيمياء الحيوية فى بلاد أخرى .

فكشف رجال البحث فى جامعة تمبل بفلادلفيا أمراً عجيباً ، وهو أن محاول اليخضور يبدو قادراً على تقوية جدران الخلايا فى جسم الحيوان . فأفضى بهم هذا إلى أن يسألوا : ألا يستطيع اليخضور أن يساعد الجسم على مكافحة غزاة الجسم من البكتيريا ؟ وخير المواد المطهرة كافة يشينها

هذا العيب ، وهو أن كل محلول مطهر ، إذا بلغ مبلغا من القوة يمكنه من الفتك بالجراثيم ، أتلف فى الغالب ما يمسه من أنساج الجسم . أفيستطيع اليخضور أن يمكن الجسم من الفتك بالبكتيريا ، وأن تستريح له الأنساج فى الوقت نفسه ؟

كان فعل المادة الخضراء فى معامل البحث يبعث على الحيرة ، فليس لها من ذاتها قدرة على قتل الجراثيم ، فهى تأبى أن تفعل فعلا ما فى أنبوب الاختبار ، ولكنها إذا اتصلت بالأنساج الحية ، بدت قادرة على زيادة مقاومة الخلية ، ومنع نمو البكتيريا . ويلوح أن قدرتها على تحطيم ثانى أكسيد الكربون وإطلاق الأكسجين ، جلب الدمار على البكتيريا التى لا تنمو إلا بعيدة عن الهواء فى الجراح التى اندملت . وحين استعملت مقادير كبيرة ، من هذا المحلول ، أراحت أنساج الجسم بدلا من أن تحدث فيها التهابا .

وأعد قسم الباتولوجيا التجريبية فى جامعة تمبل محاليل ومراهم من اليخضور ، تصلح للاستعمال فى ألوان شتى من التقيّح . وشرع الأطباء المختصون بمستشفى الجامعة فى معالجة المرضى تحت الرقابة الدقيقة .

وقد نشر تقريرهم فى مجلة الجراحة لأمريكية ، فوصفت المادة الملونة الخضراء برأيهم وبشهادة فريق من الأطباء الممتازين ، بأنها « عقار ناجح خطير الشأن » . وقد عولجت به ١٢٠٠ حادثة ما بين تقيح غائر ، إلى أذى يصيب البشرة ، وكان قرار الأطباء فى كل حادثة منها : « برأ المريض وانصرف » .

وكان بين هؤلاء من جئ به إلى المستشفى مصابا بزائدة منفجرة والتهاب بريتونى يتفشى ، فأجريت عمليات استئصال الزائدة ، وغمرت الجراح العميقة بمحاليل من اليخضور تجرى فى أنابيب ، أو غمست فيها الضمادات الرطبة ، أو استعملت المراهم .

وقد برئت به الدوالى (الأوردة المتورمة) المتقرحة ، والتهاب نخاع العظم ، وقرح المخ ، وأنواع شتى من القروح المتقيحة ، وحالات كثيرة كان أصحابها مصابين بذبحة الحلق (فنسنت أنجينا) وتقيح اللثة الشديد . على أن النتائج الباهرة كانت فى علاج ألف حالة من الالتهابات التى يصاب بها جهاز التنفس — مثل التهاب كهوف العظام ، والتهاب الغشاء المخاطى فى الأنف ، والزكام — وقد أشرف على هذا العلاج الاختصاصيان الدكتور روبرت ديات والدكتور ت . كارول دايفس ، فقالا : « لم تكن ثمة حالة واحدة لم تبرأ أو لم تتحسن » . وقد صنعت حشوات مشبعة

باليخضــور ووضعت فى كهوف العظم ، فجفت الصـديد ، وأزالت الاحتقان ، وأراحت المريض لساعتها . وزال احتقان الرؤوس المصابة بالزكام فى خلال أربع وعشرين ساعة .

فكيف يأتى اليخضور هذا السحر ؟ إن هؤلاء الأطباء يعترفون بأنهم لا يعلمون إلا أن اليخضور يقوّى الخلايا ، ويمنع تكاثر البكتيريا ، فيتيح لانساج الجسم فرصة للدفاع والمكافحة . وهم يقولون إن فى فعل اليخضــور أكثر مما تقدم ، ولعل عمله الحقيقى لن يدرك كنهه تماماً .

على أن جميع الخبراء الذين كفلوا اليخضور فى مرحلة البحث فى المعـامل ، شـديدو الحماسة ، وهم يتنبأون بانتشاره واستعماله استعمالا ناجعا . أما الأطباء ، وهم متحفظون فى الغـالب — وهم على حق فى تحفظهم — فيدرسون فعل اليخضور زمنا طويلا ، بعناية فائقة ، قبل أن يشيروا بتعميم استعماله . ولـكن التقارير من المستشفيات والأطباء الممارسين آخذة فى الازدياد ، وفيها جميعا أمل يتجلى ، وذلك أن الدلائل الأولى تبشر بأن « السحر الأخضر » الذى يبرئ الإنسان ويغـذيه ، سوف يبقى على طول الامتحان .

إن هــذا البحث الذى يدور اليوم على حدود الطب ، من أجدر البحوث بالاهتمام والحفاوة .

ثراء

— يجب أن يكون جارى بلومبرج ثرياً عظيما ، فهـو يوفر خمسمائة ريال كلّ يوم .

— خمسمائة ريال كلّ يوم ! كيف يستطيع ذلك ؟

— إنه يذهب إلى عمله كلّ يوم فى قطار النفق ، وهناك إنذار على جدران القطار يعلن معاقبة كلّ من يبصق بمبلغ ٥٠٠ ريال . فلا يبصق !

إسعاد الجند

— إننى أحيك شيئاً يسعد الجنود .

— آه . أتحيكين قميصاً من صوف لأحدهم ؟

— لا . إننى أحيك بذلة سباحة لى

من صميم الحياة

لويز دكنسون ريتش
مؤلفة كتاب «لجأنا إلى الغابات»

سمعت أنا وإليزابث صوت الطرْق قبل أن نرى الدار ، وكان النجارون يعملون فوق السطح الذى كان يتألق بلألاء لوح خشبي حديث القطع ذهبي اللون ، يظلل بستاناً مهجوراً يزخر بنَوْر أحمر ورد وأبيض ناصع .

وثمت رجل وامرأة قد جلسا فوق كومة ألواح فى ظل شجرة تفاح . فلما دخلت سيارتنا تلقتنا المرأة ، وكانت فارعة القوام نحيلة القدّ فى إزار (جونلة) وصديرى من الصوف .

وقد طلبت منا أم إليزابث أن نزور آل أندروز لأنهما «سيشعران بالوحشة فى نقلتهما إلى مكان جديد ناء فى الريف ، وإن كانت مسز أندروز أنبأتنى أنهما اشتريا الضيعة ليعتزلا الناس » وأم إليزابث أدنى إلى الغموض والإبهام ، ثم أردفت : «سيكون خيراً لهما أن ترى عيونهما وجوهاً حبيبة ، وإن يكن هو كفيف البصر . أجل إنه لأمر محزن أن يكون مكفوف البصر مذ كان طفلا . أما هى فقد لقيته فى إنجلترا حينما قامت برحلتها تلك منذ خمسة عشر عاما . وذلك من حسن حظها لأنه لم يكن يمر قط بخلد إنسان أنها ستتزوج. إنها مخلوق كريم ولكنها عاطلة من الحسن»

كان العطل (الخلو من الحسن) هو الوصف الدقيق الذى ينطبق على نانسى أندرو . وللدميات فى الغالب رشاقة وفتنة ، ولكنها كانت بادية الدمامة ، ذات وجه عريض مستدير ، وعينان شاحبتان ، وشعر دقيق مستقيم غير ذى لون . وكان يعوزها الدَّل وحسن السمت . وكانت أناملها — وهى تحدثنا — تلوى أزرار صديريها وكانت تبتسم ابتسامة مضطربة لا تفوت العين .

فلما قدمت إليزابث إليها نفسها قالت : « نعم لاريب ، إنك أنت ابنة بتسى فلنت ، تعالى لترى آندى » .

وفى وسعى أن أقص عليك ما اعتراها من إحساسات عديدة ساعة وقفت بجانب الأعمى ، فلم يعد صوتها مثلا — وهى تذكر اسمينا له — ذلك الصوت المعسول ، بل انقلب صوتاً خافتاً زاخراً جياشاً . وفى وسعى أن أقول إنها وصفتنا له وصفاً دقيقاً ، فلم تقتصر على وصف ما نلبس ولون عيوننا وشعرنا ، بل وصفت له كل شيء

حتى مظهرنا ، وأى طراز من الناس نحن ، لا تتردد ولا تتلجلج . وفى وسعى أن أقول إن يديها كانتا ثابتتين قويتين وهى تشد على ذراعه ، وكانت ابتسامتها وديعة حلوة . نعم ، ولكن ليس مما يدخل فى وسعى أن أجعلك تشعر كما شعرنا ، أنها انقلبت امرأة أخرى البتة — امرأة ساكنة قوية ، جعلتنا نحس لساعتنا أننا لسنا غرباء .

فجلست أنا وإليزابث فوق الخضرة وأخذنا نتحدث إلى مستر أندروز ، أما نانسى أندروز فذهبت إلى الدار لتعد الشاى . فقال مستر أندروز « أليست هذه بقعة جميلة وقعنا عليها ؟ ألم تخبركما نانسى أننا رأينا ليلة أمس وعلا وغزالين صغيرين فى الوادى عند تلك الأيكة الصغيرة ؟ إنى أبصر كما تعلمان بعينى نانسى . وإنى لأبصر بهما ولا ريب أكثر مما كنت عسى أن أبصر بعينىّ ، لأنها هى أوسع منى خيالا . أما أنا فما كنت لأرى أكثر من ثلاثة وعول تقف حيث تكون ، ولكنها جعلتنى أحس بما اعتراها من الحيرة والغمّ حينما وجدت أن هذا المكان الذى حسبته قد خلص لها ، إنما هو فى حوزة وحشين كبيرين غليظين يمشيان على رجلين » .

وبعد قليل أقبلت نانسى من الدار تحمل صينية وضعتها فوق الألواح الخشبية بجواره ، فوضع يديه فوق نهايتى الصينية ليستبين مكانه منها ، فكان بعد ذلك كأحذق ما يكون أحدنا فى صب الشاى وتقديمه . فعجبت حتى إذا ما رفعت إليزابث وعاء القشدة أبصرت دائرة صغيرة مرسومة على الصينية . وما كادت إليزابث تضع الإناء غير مكترثة فى مكان آخر ، حتى سارعت نانسى ووضعته فوق الدائرة ، وسرعان ما امتدت إليه يد زوجها دون أن تخطئه .

وجدنا فيما بعد أن بيت نانسى بأسره منظم على هذا المنوال . ولم يك بيتاً موحشاً بل بدا بيتاً مأهولا محبوباً ، ولم يك فيه شىء موضوعاً فى غير مكانه وضعاً يحار فى طلبه من لا يبصر .

ذهبنا عدة مرات فى ذلك الصيف لزيارة آل أندروز ، وكانت زياراتنا غريبة حقاً إذ كانوا أكبر منا سناً ، غير أن ذهابنا إليهم كان كذهابنا إلى مكان رحب ، ساكن جميل ، فياض بالحب والإشراق .

وفى أحد أيام سبتمبر رأينا مسز أندروز واقفة وحدها عند طرف الحديقة ، فنظرت إلينا بعينيها الشاحبتين ، ثم أخذت تبكى فقالت والعبرات تخنقها : « آمل أن لا تسيئا الفهم ، فنحن كما تعلمان نحب زيارتكما حباً لا تدركان مبلغه ، ولكنى مضطرة إلى أن أطلب منكما أن لا تعودا مرة أخرى » فبقينا

حتى استطاعت أن تتحدث فى هدوء ، ثم أخذت بعد ذلك تقص علينا ما حدث .

قالت : « إن آندى أخذ منذ سنة يسترد بصره ، وذكر الأطباء أن تلك معجزة من المعجزات لم تمر لهم بخاطر» . وقد نصحوها أن تذهب به بعيداً إلى مكان يجد فيه سكينة النفس وهدوء البال . خلال فترة المحنة العاطفية الكبرى التى تنتابه بارتداد بصره إليه ، فكان ذلك هو السبب الذى من أجله اشتريا تلك الضيعة .

قالت : « إن ذلك أعظم حدث يمكن أن يقع » وظل لون وجهها فترة بعد ذلك يتبدل ثم قالت مرة أخرى : «ولكن آندى يعتقد ، فيما أرجح ، اننى جميلة » ثم غطت وجهها بيديها واحتبس صوتها واستطردت تقول : « إننى لن أطيق أن يرانى أو أن يقارننى بأحد ، ذلك هو السبب الذى لا أريد من أجله أن تجيئا كرة أخرى ، حتى يجد فسحة من الوقت يألف فيها منتهى دمامتى ، ولن تطول هذه المدة . إنه يرى الآن معالم غامضة ، وهو لا يدرى ما جمال النساء ، فقد كف بصره وهو صغير جداً حتى لا يكاد يذكر شيئاً . وأنتما ، كلتاكما فاتنة ... » .

فقالت إليزابث : « لا تتحدثى يانانسى مثل هذا الحديث ، بل لو حاولت تصفيف شعرك تصفيفاً دائماً ، وتعلمت كيف تصلحين من زينتك ، أمكننا أن نمد إليك يد المساعدة » .

فدفعت نانسى أندروز يديها وقالت لنا فى زهو واعتداء : « حسبكما عطفاً ، فليس فى الوجود شىء يجعلنى جميلة » .

لم نر آل أندروز طيلة ذلك الشتاء ، وكنا نتحدث عنهما من آونة لأخرى متسائلين عن خبرهما ، وكنا نقول فيما نقوله : «إنها على الرغم من كل شىء عاطلة جدا ، وإنه لخليق فى النهاية أن يزول وهمه ويقع على الحقيقة السافرة » . فلما أقبل الربيع أدهشنا أن تبعث إلينا نانسى دعوة إلى حضور حفلة تقيمها ، جاء فى بطاقتها : « تكريماً لارتداد بصر آندى إليه ، أرجو أن ترتديا أجمل ثيابكما ، وأن تتجليا فى أبهى زينتكما » . فماذا حدث ، وماذا حلّ بها ؟

لم يكن فى الحفلة عدد كبير من المدعوين لأن آل أندروز لم يكونوا يعرفون كثيراً من نساء الناحية ، ولكن المدعوات لبسن ثياب سهرات الربيع الزاهية ، وكن جميعهن فرحات جميلات . أما نانسى فلم تصفف شعرها أو تصلح من زينتها ، وكان ثوبها المخمل الأدكن يزيد لون بشرتها وشعرها سمرة ، وبدا قوامها نحيلا ضامراً ، ولكنها بدت سعيدة مدلة .

وكنت أنا وإليزابث جالستين مع آندى نسائله عما يمكن أن يسائل به المرء كفيفاً ارتد إليه بصره : فهل وجـد الألوان كما ظنها ؟ والسحب كما خالهـا ؟ وهل راعه انطلاق الطيور وسبحها فى الجو ؟ وفى هذه الآونة اجتازت نانسى الغرفة فالتفت إلينا وقال هامساً فى لهجته البريطانية المتقطعة: «أنعامان، إننى أعتقد أنى أسعد فتى فى الوجود . فهل دار بخلدكما أن أعمى استطاع أن يختار بوحى نفسه امرأة جميلة كجمال زوجى هذه ؟ » .

فأجفلنا ونظرنا إليه متعجبتين . وكان من حسن حظنا ، ينظر إلى نانسى نظرة يتجلى فيها الهيام الغامر ، فأدركنا أنه كان فى وجد يذهله عن أثر ما قاله فى نفوسنا .

وفجأة أبصرنا ما كان يبصر ، فلم نر الوجه العـاطل المستدير ، والعينين الشاحبتين ، والشعر الدقيق المستقيم ، بل رأينا العذوبة كلها ، والرقة كلها ، والعطف والحب الذى عرفه وتذوقه خمسة عشر عاماً كاملة ، قبل أن يبصر وجه زوجـه . فكانت قسماتها لديه ، هى كل تلك المعانى الرفيعة متجسدة فى لحم ودم ، حتى لا يستطيع وجه امرأة أخرى أن يدانيها عذوبة وبهاء .

فتبادلت النظرات أنا وإليزابث ، وسرحنا ببصرنا فى الغـرفة نتوسم وجوه النسـاء الأخريات ، فلم نجـد بينها وجهاً ، إذا هو قورن بوجهها ، سلم من أن يكون وجهاً لا معنى فيه ولا جمال .

كيف تصلى ؟

قال صـديق مرّة : « أنا لا أصلّى كما تصلّى » . فقلت : « كيف تصلّى ؟ » فقال : « على البيانو » . [الواعظ : هارى إمرسون فزديك]

النجوم — بين الغرب والشرق

روى الكولونيل لورنس أنه جلس مرّة مع شيخ عربىّ جليل ، وأفاض فى وصف مايكشفه المرقب من عجائب الفلك. وحين انتهى التفت الشيخ إليه وقال : « أنتم أيهـا الأجانب ترون ملايين من النجوم ولا ترون شيئاً وراءها ، أما نحن العرب فلا نرى إلا نجوماً قليلة — ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم ! »

وبعد فهو ليس بالموضوع الممل كما كان يظن !

خطوط الأنابيب المثلى

جورج كنت
والفرد د. ستاكس

ملخصة عن مجلة فوربز

منذ ست سنوات عُرضت وظيفة جديدة على سدنى س. سميث ، المهندس بشركة شل ــ هى إنشاء خط أنابيب وإدارته . ولم يكن سميث يعرف شيئاً عن هذه الخطوط فصرح بذلك . ولكن رئيسه أجابه : « هذا أحسن ، فربما خطرت ببالك خواطر جديدة . ونحن نرجو أن تبدأ العمل أول الأسبوع القادم » .

كانت العاقبة أن أنشئ خط أنابيب ينقل عدة أنواع مختلفة من منتجات النفط فى وقت واحد . فقد تجرى فيه متدافعة منبع مراتب مختلفة من البنزين ومعها الجاز وزيت الوقود وعدة منتجات أخرى لا يفصل بينها فاصل . وهى تختلط قليلا حيث تلتقى ولكنه اختلاط لا يكاد يضير ، بل إن الكيميائيين يستطيعون فصل بعضها عن بعض .

ويبدأ هذا الخط من مدينة وود ريفر من ولاية إلينوى ، حيث أقامت الشركة أحد معامل التكرير الضخمة ، ثم يمتد ٣٥٠ ميلا مخترقاً ولايتى إلينوى وإنديانا إلى مدينة ليما من ولاية أوهايو ، وثمة يتصل بخطوط أخرى تزوّد شرق الولايات المتحدة. ويجرى فيه يوميا ما قدره ٢٥٠٠٠ برميل من الوقود .

وحسبُ المرء أن ينجز مثل هذا العمل . ولكن سميث وضع فى سنة ١٩٣٩ تصميم خط أنابيب متنقل ، مزود بأنواع جديدة من الأنابيب والوصلات والمضخات ، ثم عرض فكرته على الجيش الأمريكى ، فأنشئ خط تجريبى ، وأصاب من النجاح فى نقل النفط ومشتقاته ما حمل الجيش على زيادة المصنوع من هذه الأنابيب زيادة كبيرة .

وقيمة مثل هذا الخط بيّنة ، إذ أنه يغنى عن كثير من عربات نقل الزيت . التى تقوم هدفاً ظاهراً لطائرات العدوّ . فضلا عما تستهلكه هى نفسها من الوقود .

أما الخط المتنقل الذى يتفاوت قطره بين أربع بوصات وست بوصات ، فيصعب رؤيته من الجو ، وأصعب منها أن يصاب ، فإن أصيب فمن السهل إصلاحه . وهو أجزاء طول كل منها ٢٠ قدماً لا يعجز

الرجل الفرد عن حمله ، وله من المرونة ما يسمح بثنيه عند المنعطفات ، ويتسنى لغير المدربين أن يقوموا بتركيبها .

وقد جرب هذا الأنبوب المتنقل لأول مرة فى ميدان القتال فى تونس ، حيث مدّ متعرجاً خلف الجيش الأمريكى المتقدم مسافة تتفاوت بين ٢٠ و٣٠ ميلا فى اليوم الواحد . وقد كتب أحد القواد إلى سميث أنه كان عوناً كبيراً على إحراز النصر . وفى صقلية ، حمل الزيت من السفن الناقلة بواسطة خط مرن إلى محطات التموين خلف ساحة القتال مباشرة . ويوم انتهى القتال كان الخط قد قطع فى سيره المتعرج جزءاً كبيراً من الساحل حتى مدينة مسينا . ولا يعلم أحد بعد أين هو المكان الذى سيقوم فيه بمهمته القادمة ؟ ولكن الأنابيب والمضخات مهيأة كى تمد إلى حوالى ١٠٫٠٠٠ ميل .

وسميث هذا رجل فى التاسعة والأربعين ، مجدول الخلق وثيق التركيب طلق المحيَّا ، وهو يغض من قيمة عمله العظيم بقوله : « كان لابد من أن ينجزه رجل ما » . فإن يكن ذلك فلا محيص لهذا الرجل من أن يكون له ما لسميث نفسه من نشأة وخيال . فهو ابن أحد عمال النفط ، قضى صباه فى حقول البترول . ثم انطلق ، بعد تخرجه من كلية مريتّا فى ولاية أوهايو ، إلى أراضى النفط فى ولاية أوكلاهوما ، حيث تدرّب وأثبت كفاءته فى استخراج الغاز الطبيعى ، وهو أدهى أعمال النفط وأشقها .

وقبل أن يضع سميث تصميم خط « وود ريفر — ليما » لم يكن هناك سوى نوعين من خطوط الأنابيب . أحدهما ، لا يزيد فى تعقيد تركيبه عن أنابيب المياه ، يجرى فيه نوع واحد من المنتجات ، كالنفط الخام ، من مكان إلى آخر . أما النوع الآخر فهو ينقل الجاز وزيت الوقود فى نفس الأنابيب ، ولكن القائمين على العمل قلما يمكنهم أن يعرفوا أيهما الذى يمر فى مكان ما من الأنبوبة ، حتى يستخرجوا جزءاً من السائل ليتبينوه .

فأنشأ سميث خطاً زجاجيا من الأنابيب صغير الحجم وجعله صورة طبق الأصل من أنابيب نقل البترول ، حتى يستطيع أن يدرس ما يطرأ على الزيوت المختلفة حين يجرى بعضها فى إثر بعض . فتبين له أن الزيوت التى تجرى بسرعة ميل واحد فى الساعة سرعان ما تختلط معاً ، فإذا ما ضغطت ضغطاً شديداً حتى تسير بسرعة ثلاثة أميال فى الساعة فإنها لا تكاد تختلط .

وربما كان أغرب ما فى الجهاز كله دقته التى تمكنك من تحديد الموعد الذى سيصل

فيه كل نوع من أنواع الزيت إلى مصبه .
وهذه ولا ريب أروع مآثر سميث ، إذ أن مرور نوع واحد من الزيوت فى خط الأنابيب المدفون على عمق أربع أقدام فى جوف الأرض ، يتطلب مدة تختلف من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام . ومع ذلك فقد أصبح فى الإمكان تعيين مصب كل رسالة ببطارية مكونة من أجهزة لقياس الضغط والحرارة وغيرها من العوامل ، وأصبح العامل عند المصب ، حين يكلف تسلم ٥٠٠٠ برميل من بنزين الطائرات مثلا ، يعرف متى يبدأ فى سحبها ومتى يكف .

ويدير الخط دليل يقيم فى مكتب بأعلى بناية « روكفلر سنتر » فى نيويورك ، معه جهاز تلغرافى خاص يصله بجميع مراكز المضخات والمصبات على طول الطريق . فتصل إليه بهذا الجهاز درجات الضغط والحرارة ، وأنباء عن المقادير التى صبت فى أنابيب المحطة « الأم » بوود ريفر ، والمقادير التى أفرغت عند كل مصب . وفى هذا المكتب أيضاً رسم بيانى لكل ما يجرى فى الأنابيب — وهو شريط متحرك من الورق مختلف الألوان ، كل لون منها رمز لنوع من المنتجات . فكلما تحركت مواد الوقود تحرك معها الشريط ، وعليه رسم مجسم مصغر يصور التلال والأودية التى يمر بها خط الأنابيب . وهكذا يعرف الدليل دقيقة فأخرى ، وميلا فميلا ، مكان كل جالون من كل نوع من أنواع الوقود .

وقد استطاع سميث أن يجعل الجهاز كله أتوماتيكيا ، إلا أن الزوابع ربما حطمت خطوط القوة الكهربائية وعطلت المضخات ، فعندئذ يرسل الدليل إشارة الاستغاثة إلى مراكز المضخات الأخرى لتزيد ضغطها ، فإن هبوط الضغط يعين الزيوت على الاختلاط ، فكذلك تتغلب على هذا الظرف الطارئ .

وهنالك الآن خطان آخران تحت إدارة سميث : خط فى ولايات نيو إنجلاند ، والآخر من وود ريفر إلى شيكاجو .

وتنقل هذه الخطوط ، علاوة على أنواع البنزين والزيوت ، غاز البوتين الذى لا غنى عنه فى إنتاج المطاط الصناعى ، والبروبين ، الذى يعرف باسم « الغاز المعبأ » ، وذلك بأن يحولا إلى سائل قبل إفراغهما فى الأنبوب . ويشغل بال سميث الآن تفكيره فى نقل الحامض الكبريتيك والنشادر والكحول بالأنابيب ، إذ تستهلك منها مقادير وافرة توجب نقلها على هذا الأسلوب .

★ ★ ★ ★ ★ ★

« حيث تخفق الجراحة التجميلية ، ينجح الفن الذى ابتدعه هذا الرجل »

الآن يستطيعون أن يمشوا فى النور

فردريك بايستون

ملخصة عن مجلة « أمريكان ميركيوري »

كان التشويه ، ولا يزال ، هو فزع الجنود الأكبر فى جميع الحروب. ولقد رافقت المحاربين عشرة أشهر فى الميدان فسمعت المئات منهم يقولون : « أريد إما أن أعود إلى وطنى جملة كما أنا ، وإما أن لا أعود البتة » .

مع ذلك فإن اثنين فى المائة من جميع جراح المعارك جراح فى الوجه ، وكثير منها يشوه تشويهاً فظيعاً يقتضى الجراحة التجميلية والتطعيم بالجلد . وعلى الرغم من المعجزات الخارقة التى أتتها الجراحة التجميلية ، فإن مئات من المشوهين لم تنفعهم هذه الجراحة شيئاً . ومن المحاربين القدماء فى الحرب العالمية الماضية ، رجال عانوا من جراح الوجه المخيفة ما جعلهم لا يجرؤون على الظهور بين الناس ، فهم يلبسون أقنعة من الكتان ، ولا يخرجون ، إن خرجوا ، إلا بليل .

وقد حادثت اليوم رجلا فى شمال إفريقية ، فى جامعة الجزائر ، وشهدته وهو يعمل ، يهدى أملا جديداً ووجوها جديدة لأولئك المشوهين ، ذلك هو الكابتن كارل ديم كلارك بجيش الولايات المتحدة . وتبدأ قصة حياته الفريدة منذ عشر سنوات بجامعة ماريلاند ، حيث كان مساعد أستاذ للفن التطبيقى فى علم الطب . كان عمله أن يصنع من المطاط والمواد الأخرى تماثيل لأجزاء الجسم البشرى على اختلافها ، ليساعد طلبة الطب على تعلم التشريح. تعلم فى مدرسة الفنون الجميلة بييل، وفى مدرسة جنز هوبكنز للطب ، فأعانه امتزاج الثقافة الفنية والطبية على أن يصنع نماذج آية فى الإبداع لقربها من الأصل .

كان كلارك ذات ليلة يعمل فى مصنعه ، فغشيه صديق مقطوع الذراع ، فجعل يرقبه، وكان رجلا مرهف الإحساس ، يضيق صدره كلما رحمت عاهته أعين المارة ، فلم يلبث أن صاح فجأة : « آه لو استطعت أن تصنع لى ذراعاً ! » .

وقبل كلارك من فوره أن يحاول ، وبدأ يجرب شتى أنواع المطاط ، وبعد أسبوع أهدى إلى صديقه ذراعاً من المطاط كاملة بمسامها ومرونتها ولونها .

ومن يومئذ أصبح كلارك مزيف أعضاء (أى خبيراً فى تركيب الأعضاء المصنوعة) . وهو يصنع الآن تقاطيع لوجوه الجرحى من الجنود تخالها من لحم ودم ، فما يميز الزائف من الصحيح إلا الفحص الدقيق .

وهـذا الجندى البريطانى الذى أطار الرصاص أنفه ، مثل رائع ، فقـد صنع له كلارك أنفاً من المطاط النباتى يقل سمكه عن ثمن بوصة ، وحشاه بنسيج إسفنجى من المطاط حتى يمتلئ ، وبعـد أن صبغه باللون المناسب ، ثبته فى الوجه بسائل لزج مصنوع من الكحول والأثير وصمغ المصطكاء . وهذا المزيج من اللصوق بحيث يتعذر معه فصل الأنف بالشد أو اللطم ، وإنما يفصل « بالتقشير » ليس إلا ، كما يقشر البرتقال . وهو أيضاً يدرأ الخوف عن المصاب أن يقع منـه العضو الزائف لسبب من الأسباب . ودهن كلارك مكان الوصل بطلاء مكوّن من عجينة من عجائن التنكير ، أضيف إليها مسحوق معدنى ، ثم أمر الرجل أن يلبس نظارة كى يخفى إطارها خط الاتصال ، ثم عرض الجندى على عشرين ضابطاً ليفحصوه فما تبين أحد منهم أن الأنف زائف .

وأمد كلارك الجندى بثلاثة أنوف تتباين ألوانها تبايناً هيناً ، ليوائم ابيضاض الجلد فى الشتاء واسمراره فى الصيف .

ويقول كلارك : « لقد سكن روع هذا الجندى من فوره ، فقد كان يفزع من العودة إلى وطنه ، مشفقاً أن يرى أحبابه ما أصابه من تشويه ، وأصبح يعتاده الشوق إلى لقائهم . وهذه هى القيمة النفسية الحيوية لتزييف الأعضاء » .

ثم يعود فيحذر : « لكن تزييف الأعضاء لا يقوم مقام اللحم والدم ، فما هو إلا بديل يعتمد على براعة التقليد والتجميل فى خداع الجمهور .

« إن الأعضاء المزيفة تستمد قيمتها من ثلاثة أسباب : الأول أنها تعين المصاب أن يظهر فى الملأ إلى أن تفرغ الجراحة التجميلية من إصلاح عاهته إصلاحاً دائماً . وهـذا أمر مهم ، لأن الجراحة التجميلية قد تتطلب جراحات عديدة تستغرق عدة أعوام ، وبدون الأعضاء الزائفة المؤقتة يرغم المصاب أن يظل بمعزل عن الأبصار ، كما أنه يستطيع بهـذا التزييف أن يواصل العمل المفيد . والسبب الثانى أن التزييف هو الحل الوحيد لكل تشوه تعجز عن علاجه الجراحة التجميلية كحالات البتر ، أو حيث لا عظم يبنى الجراح عليه . وآخر ذلك أنى أعتقد أن التزييف خير من الجراحة التجميلية فى حالات قليلة كفقد الآذان » .

وذكر كلارك أن رجلا أسود فقد قبل الحرب معظم أذنه اليمنى، وكان شديد الوطنية، فما هو إلا أن حدث الاعتداء على « بيرل هاربور » حتى خشى أن ترده عاهته عن أداء واجبه، فأقبل على كلارك يسأله المعونة. وفي يومين صنع له كلارك أذناً وثبتها في موضعها، ثم أخذ الرجل إلى حضرة ثلاثة من كبار الضباط الأطباء.

قال لهم: « إن في هذا الرجل عيباً، فهلا شخصتموه؟ » ولمس الأطباء الأذن وهم يفحصونه، ولكنها كانت أشبه شيء باللحم حتى تعذر عليهم اكتشاف زيفها. ثم جاء ضابط آخر واشترك في الفحص ثم قال: « إن العيب الوحيد الذي أستطيع أن أراه، هو أن إحدى الأذنين يختلف لونها عن الأخرى ». وعجب كلارك، إذ لم يدرك هو ولا الضباط الآخرون هذا التباين، فسأله كلارك: «أأنت مصاب بعمى الألوان؟» فاعترف الضابط أنه كذلك.

وما فرغ كلارك من هذه القصة حتى قال لي عابساً: « إني عاجز عن صنع أذن تخدع أعمى الألوان »، ثم مضى يقول: « إن الجراحة التجميلية تستغرق وقتاً طويلا في عمل أذن، ولكن الأذن الزائفة يمكن صنعها في بضع ساعات وتعيش أعواماً ».

ولدى كلارك ملفات لصور فوتوغرافية تبدو فيها وجوه مهشمة تهشما مروعاً، أعارها التزييف محيّا حلوا مقبولا. ومنها صورة لرجل حطم الرصاص أنفه وثناياه وشفته العليا، وصورة أخرى للرجل نفسه بأعضاء زائفة، بلغ كمال زيفها بحيث عجزت آلة التصوير نفسها عن إظهار مكان اتصالها بالتحديد.

ويشعر الكابتن شعوراً قويا بأن التزييف سيستغل أكثر ما يستغل في عمل الأيدى المصنوعة وقد قال لي: « إننا لا نزال نعد جرحانا في هذه الحرب بأيد خشبية قبيحة، تغطيها قفازات من الجلد. إنها لكريهة ولا تخدع أحداً. وأنا أستطيع أن أصنع يداً لمحارب قديم في يوم واحد، وذلك بأن يغمس أحد مساعدى يد المحارب في مركب من مركبات الأجار، فتغطى بطبقة منه كالقفاز، ثم يغمسها في ماء مثلوج حتى ييبس الأجار ويصبح قالبا، فأحيطه بطبقة من المطاط كاملة المسام وخطوط البصمات، ثم أملأ القالب ببلورات الشمع الدقيقة، فيسبغ على اليد الامتلاء والمرونة، ويستطيع المصاب أن يضع أصابعه في أى وضع شاء، فهو قادر على أن يمسك بها الموسى للحلاقة، وأن يحمل بها أحمالا خفيفة.

« تأمل هذه الصورة، أتستطيع أن تفرق بين اليد الزائفة واليد الحقيقية؟ »

ولقد عجزت ، فقد اختفى المفصل تحت ساعة معصم ، وأضفى طلاء الأظافر الشفاف على الأنامل مظهر الحياة .

قال كلارك . « إن هذه اليد قد تبلى فى سنتين أو ثلاث سنوات ، ولكن يمكن صنع أخرى فى يوم على قالب من الجبس محفوظ فى ملف المصاب . إن اليد الخشبية يجب أن تلغى إلى الأبد » .

كان جندى أمريكى من جنود المدفعية يمسك بفتيل قذيفة ، فانفجرت وهشمت إبهام يده اليمنى وسبابتها ووسطاها ، وكان الرجل فى حياته المدنية يشتغل على منضّدة الحروف فى المطابع ، وبدا أن هذا الجرح قد أضاع عليه عمله إلى الأبد . فجاء إلى الكابتن كلارك فصنع له من المطاط النباتى إبهاما وأصبعين ، وكلاهما منفصل عن الآخر ، ثم وصلها باليد ، فاستطاع الرجل أن يعود بها إلى عمله على آلته بنفس حذقه القديم .

ويقوم على رأس معاونى كلارك الجاويش موريس مانسون من نيويورك ، وهو خبير معروف فى فن التنكير ، ولكن كلارك يعتقد أن كل رجل صَنَع اليد دقيق التمييز للألوان ، يستطيع أن يتعلم فن التزييف فى عام . وقد علم كثيراً من الناس ، وكتب كتابين بسط فيهما طريقته بكامل تفاصيلها .

ويقول كلارك : « إنه وحتى فى زمن السلم تمس الحاجة إلى التزييف ، ليساعد مشوهى الحوادث والسرطان والعاهات الموروثة ، ويردهم إلى الحياة السعيدة المفيدة » .

وقد طلب من كلارك أن يلقن فنه طائفة كبيرة من الأطباء أرسلوا إلى القيادة العليا فى الجزائر لهذا الغرض ، والآن يعمل هو ومساعدوه سبعة أيام فى الأسبوع ، من مطلع الفجر إلى مهبط الظلام ، لإمداد الجنود الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين بالأعضاء الزائفة .

يقول كلارك : « إن الخدمة الوحيدة التى أديتها لفن التزييف العضوى أنْ كنتُ أول من استعمل المطاط النباتى فى عمل أعضاء زائفة طويلة العمر ، قريبة الشبه بالأعضاء الطبيعية » .

ولكن هذه المقدرة ستمهد السبيل لألوف من جرحى هذه الحرب أن يمشوا فى ضوء النهار ، وأن لا يجفلوا كلما وقعت عليهم الأبصار .

اوى ، مجتمعا

— أريدك أن تعلل الأمر وأن تقول الحقيقة .

— لن تستطيع الظفر بالتعليل والحقيقة كليهما !

توم پين
مجاهد فى سبيل العقل

ماكس إيستمان • ملخصة من مجلة «ذى نيو ليدر»



ليس في تاريخ القدرة الإنسانية على البيان والإقناع ما يبز ما فعله ذلك البريطانى المغمور صانع « المشدات » الذى نزل بفيلادلفيا فى نوفمبر سنة ١٧٧٤ — وهو مجهول جاهل حتى بالنحو — فماهو إلا أن مضى عام ونصف عام ، حتى استطاع بمفرده تقريباً أن يثير الولايات الأمريكية الثلاث عشرة ويدفعها إلى إعلان حشوه الكبر والعترسة للاستقلال عن بريطانيا العظمى وملكها والملوك طرّا .

وقد قال أحد ذوى الرأى من معاصريه : « لقد فعل توم بين بقلمه مثل ما فعل وشنطون بسيفه » لإقامة الجمهورية الأمريكية وتشييد صرحها .

كان توم بين رجلا نادر المثال كما كان حكيما ، وقد استطاع أن يكون كذلك بالدءوب على الفهم . ومن قوله ذات مرة : « قلما تركت خمس دقائق من وقتى تمضى ، كائنة ما كانت الأحوال التى أكون فيها ، من غير أن أكتسب شيئاً من العلم والمعرفة » . وهذه الكلمة المدهشة هى مفتاح شخصيته ، وهى التى تفسر عبقريته فيما قام به من عمل جليل ، بعد أن جاء إلى بلاد شعر فيها بالحرية .

وقد ولد فى بلدة صغيرة تجارية تسمى ثتفورد على مسافة تسعين ميلا من لندن ، وترك المدرسة فى الثالثة عشرة من عمره وتعلم صناعة أبيه — وهى صناعة المشدات للخصور — ولكنه ضجر منها ، فعمل جابياً يقدر قيم المخزون من المشروبات لتحصل عليه الضريبة . وبعد أربع سنوات حاول عبثاً أن يرسم قسيساً فى الكنيسة الإنجليزية ، فاشتغل بتجارة الدخان زمناً ، وبالتعليم كذلك ، ثم عاد إلى الجباية ، وكان الجباة يسعون لتحسين أحوالهم ، فأوفدوه إلى لندن ومعه التماس إلى البرلمان لتقليل ساعات العمل وزيادة الأجر . وقد بلغ من قوة التماسه وبلاغته أن كان الرد عليه فصله من عمله للمرة

الثانية ! فتحول إلى لندن واتخذ مسكنه فى غرفة بسطح منزل وشرع (فى السابعة والثلاثين من عمره !) يكسب رزقه بقلمه .

وكل هذا يوصف عادة بأنه فشل وإخفاق ، ولكن توم بين نجح فيما يبدو أنه غايته التى رسم نهجه إليها عن روية وتدبر ، وذلك أن يبقى حيا بكل وسيلة شريفة، وأن يدرس فى أثناء ذلك كل ما يحتاج مفكر منتج أن يدرسه ويتعلمه .

وقد عنى بالعلوم خاصة وكان ظنه بنفسه أنه مخترع ، ولكنه كان يطيب له أن يسطع ويظهر اقتداره فى الجدل والمناقشة . وقد واظب على تثقيف عقله فى هذه الأعوام الممحلة فى ظاهر الأمر ، والتقى وهو فى لندن برجال مثل بن فرانكلين السياسى والمخترع الأمريكى العظيم ، وقد فطن فرانكلين إلى عبقريته وأشار عليه بأن يذهب إلى المستعمرات الأمريكية حيث الحياة أسلس تدفقاً .

وهكذا وصل هذا « الخائب » فى سنة ١٧٧٤ إلى أمريكا، وهو واسع الاطلاع متنوع التجربة ، وفى رأسه طائفة من الآراء نحتها لنفسه نحتاً . وما هى إلا بضعة شهور حتى صار يكتب فى جريدة جديدة تدعى « بنسلفانيا مجازين » وسرعان ما أصبح رئيس تحريرها . وقد أدلى بين وهو رئيس تحريرها برأيه فى كل قضية جاهد فى سبيلها الأحرار إلى اليوم . واستنكر الحروب ، وسخر بالمبارزة ، ووصف نظام الملوك والألقاب بأنه نظام عتيق جاوز زمنه ، وذم القسوة فى معاملة الحيوان ، ودعا إلى تحرير العبيد (وسبق أول جمعية ضد الرقيق بشهر) ، وحث على الاتحاد الدولى ، وعلى منح معاشات للشيخوخة ، ونادى بسن قانون معقول للطلاق ، وبإعطاء المرأة حقوقها ، وكان يؤمن — مثل توماس جفرسون ، بالفردية المستقلة ، ويخشى عاقبة ازدياد سلطة الدولة أو الولاية .

وقد تبين أن تيار الحياة فى المستعمرات ليس متدفقاً فقط بل إنه يغلى أيضاً . وكان الزعماء من ذوى الرأى يحتدمون سخطاً على السياسة الاستعمارية للملك جورج الثالث ، وما كاد ينقضى على هجرة توم بين أقل من خمسة شهور حتى وقع أول صدام بين أبناء المستعمرات المسلحين والقوات البريطانية النظامية .

على أنه لم يكن هناك إلى ذلك الحين أى تفكير فى ترك الولاء لبريطانيا ، وكان فرانكلين يؤكد فى لندن للبريطانيين أنه ما من أمريكى « صاح أو سكران » أعرب عن رغبته فى الانفصال . وكان جفرسون

« يتطلع بلهفة إلى عود الصفاء مع بريطانيا العظمى » .

على أن توم بين كان قد عرف أمريكا وفطن إلى حقيقة روحها فطنة سحرية سريعة ، وشعر ، كما لم يشعر ولا يستطيع أن يشعر غيره ، بالفرق بين العالم القديم والعالم الجديد . فبعد بضعة شهور أقامها فى هذه المستعمرات أدرك وغرس فى قلوب الناس فكرة دولة أمريكية جمهورية حرة مستقلة :

« إن موعد عالم جديد قد صار قريباً . وسينال جيل من الناس قد يبلغ مبلغ أوربة فى الكثرة ، نصيبه من الحرية من حوادث شهور معدودات . فينبغى ، بدلا من أن ينظر بعضنا إلى بعض نظرة الشك والتحرز ، أن يمد كل منا إلى جاره يد الصداقة القلبية والإخاء الصريح ، وأن نجمع على نهج يدفن فيه وينسى كل خلاف سابق ، وليكن كل رجل مواطناً صادقاً ، وأخاً وثيقاً صريحاً ، ومؤيداً فاضلا لحقوق الإنسانية ولولايات أمريكا الحرة المستقلة » .

وقد سمى توم بين كتابه الذى أقام به صرح الأمة : « الفهم » ونشر غفلا من اسمه فى فيلادلفيا فى ١٠ يناير سنة ١٧٧٦

وهو يفيض بإرادة الحرية والمنطق المستقيم وروح التآخى بين الناس ، ويرفع الشئون العملية الجافة إلى مرتبة الأدب السامى .

قال : « أما عن الدين ، فإنى أرى من الواجب الحتم على كل الحكومات أن تحمى كل رجاله المؤمنين به ، ولست أعرف عملا آخر للحكومة تعمله فى هذا الباب » .

وقد ساق توم بين دعوته إلى الحكمة الرحيمة مساقا جعلها قاعدة جهاد . وبيع من كتيبه خمسمائة ألف نسخة ، وكان سكان البلاد يومئذ يناهزون ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ فكأن كل خمسة كانت لهم نسخة منه — وهذا يعادل فى زمننا الحاضر ٣٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة بالنسبة إلى عدد السكان . وقد تبرع بربحه من الكتاب للمؤتمر ، فما كان همه كسب المال وإنما كان همه أن يحدث ثورة وانقلاباً .

وقرأ الضباط كتاب « الفهم » لجنودهم ، والمعلمون لتلاميذهم ، والقساوسة للمتعبدين ، وأشار جورج وشنطون « بنهوض حجته وظهورها واستعلائها » . واستجابت لدعوتها القوية البليغة كل زوجة بالغة ما بلغت من علو الشأن . وقال و . ا . وودوارد فى ترجمته البارعة له : « لم يحدث قط من قبل أن كان لكتاب من أى نوع مثل هذا الأثر العميق فى شئون الإنسان » .

وبعد ستة شهور من نشر الكتاب وقع إعلان الاستقلال ، ودخل توم بين فى الجيش مؤيداً قوله بفعله . وفى أثناء التقهقر المحزن

لقوات المستعمرات المهلهلة بعد سقوط نيويورك ، كتب — على جلدة طبلة وعلى ضوء نار المعسكر — أولى الرسائل الثلاث عشرة المسماة: « الأزمة » التي ألهبت من جديد نفوس الناس في كل مكان .

« هذه هي الأيام التي تمتحن نفوس الرجال وتسبك معادنهم . ولن ينكص عن خدمة بلاده إلا رجل لا يقاتل إلا في شمس مشرقة ، ووطني لا يجاهد إلا وهو قرير العين ينعم بالدفء والراحة » .

وقد خدم توم بين بلاده أيضاً في أحلك الساعات بعمل سياسي أداه ، فقد ذهب إلى باريس على نفقته ليفاوض في عقد قرض ، وكان في ذلك مخاطراً بحياته (لأن هذا الثائر المشهور لو كان قد أسر لأعدم) . وقد كان توفيقه مع ملك فرنسا سريعاً . فعاد لا بالمال وحده ، بل كذلك بحمولة سفينة من الذخائر والسلاح كان وشنطون في أشد الحاجة إليها .

وذهب ماله كله حين عاد ، وكان أشهر من أن ينشد عملا . وكانت شهرته أنه يحرك نفوس الناس ويثيرهم ، فالآن دنا وقت التهدئة والتسكين . ولما جاء وشنطون بعد انتصار عظيم أحرزه ، إلى فيلادلفيا ليتلقى تهنئات المؤتمر ، كان توم بين يعيش في غرفة قريبة مؤجرة ، ولم يكن يملك ثمن حذاء يتحذاه . فكتب إلى الجنرال يستعينه ، فأعطى ثمانمائة ريال في العام من اعتماد سري للحرب ليواصل جهاده بقلمه .

وقد انتهت هذه الإعانة بانتهاء الحرب في سنة ١٧٨٣ ، وفي السنة التالية وافق المؤتمر (الكونجرس) على منحه ثلاثة آلاف ريال ، وذلك دون ما أنفقه في رحلته إلى فرنسا . ووافقت جمعية بنسلفانيا على منحه خمسمائة جنيه ، ومنحته نيويورك ، داراً وضيعة مساحتها ٢٧٧ فداناً قرب نيويورك . فأجر ذلك وعاش في بيت صغير في بوردو بولاية نيوجيرسي سعيداً بأن أتيحت له فرصة التفرغ لاختراعاته .

وكان يحاول أن يبتكر نوعاً جديداً من جسر معلق ، ولكن كل ما فاز به هو أن تعين جمعية بنسلفانيا لجنة لدرس الموضوع . وأشار عليه فرانكلن بأن يجرب حظه مع أكاديمية العلوم الفرنسية .

وظل ثلاث سنوات يروح ويجيء بين باريس ولندن ، وكان الأحرار في كلا البلدين في مناصب رفيعة ، وكان وشنطون بطلهم ، وكان ذوو السلطان يحبون بتوم بين ويعظمونه ، ولكن فرنسا كانت في طريقها إلى ثورتها ، وإنجلترا في طريقها إلى النكوص العنيف . وكان توم بين بطبيعة الحال بقلبه وروحه يؤيد الثورة الفرنسية .

وإنه لكذلك وإذا بإدموند بيرك ينشر كتابه « آراء فى الثورة الفرنسية » فيحس توم بين أن رشاشاً من وابل فصاحته قد أصاب مبادئه المقدسة . وكان يعرف بيرك ، ذلك الخطيب البارع الذى كان يدعو إلى المراضاة مع المستعمرات الأمريكية ، ويعرف الثورة الفرنسية أيضاً . فنسى جسره المعلق — وقد بنى فى إقليم سندرلاند بإنجلترا وبقى ثابتاً — ونسى أيضاً نوعاً جديداً من آلة رافعة ، وشمعة لا دخان لها ، وراح يدون رأيه فى أدموند بيرك وما ينبغى أن يكون غاية كل حكومة .

فقال عن الثناء العاطر الذى أثنى به بيرك على النظام الدستورى البريطانى والحقوق التى يكفلها لأقلية ممتازة :

« إن مهزلة الأرستقراطية ذاهبة فى كل بلد فى سبيل ما غَبر من الفروسية ، وقاضية نحبها لا محالة ، والمستر بيرك يرتدى لجنازتها ثوب الحداد . فلتذهب إذن فى سكون إلى قبرها ولتلحق بالحماقات الأخرى ، وليتعزَّ المحزونون . . . ومتى أمكن أن يقال فى أى بلد فى العالم أن الفقراء سعداء ، وأنه لا فاقة بهم ولا تعاسة ، وأن السجون خاوية خالية من المسجونين ، والشوارع خالية من المتسولين ، والشيوخ لا يعانون ضنكا ، والضرائب غير مرهقة ، والعالم الرشيد كله صديق لى ، لأنى صديقه ونصير سعادته ورخائه ، متى أمكن أن يقال هذا فى بلد ما ، فإنه يحق لهذا البلد عندئذ أن يباهى بدستوره وحكومته » .

وقد امتاز هذا الكتاب الثانى « حقوق الإنسان » الذى كتبه بسرعة عظيمة ، بمثل ما امتاز به كتابه الأول « الفهم » من البيان وإشراق الديباجة ، وأثار — كما أثار ذلك — موجة عالية كالجبل الأشم من الرأى . ولقى رواجاً عظيما ، وصار من الأمهات المعدودة .

وسرعان ما صار قمع مبادىء بين الهمّ الأكبر لأولى الأمر ، فصدر قانون يحرم الكتابة التى تثير الفتنة . كان هو المقصود به ، وحوكم ناشرو كتابه ، وصودر الكتاب ، ونفى قراؤه — وحكم على أحدهم بالنفى أربعة عشر عاماً ، لأنه نصح للناس بقراءته ، ولفقت ترجمة لحياته لتشويه سمعته ، واستؤجر الناس ليصفروا ويهتفوا بسقوطه ويدفعوه ويضايقوه كلما ظهر فى مكان عام .

ففر توم بين إلى فرنسا فقوبل فى كاليه بإطلاق المدافع تحية له ، وقضت المدينة كلها يومين تحتفل بوصول هذا « المواطن الفرنسى » العظيم . فقد كان من أول أعمال الثورة أن منحت توماس بين الجنسية الفرنسية . والآن انتخب أيضاً عضواً فى

الجمعية الوطنية فدخل قاعتها بين هتافات تصم الآذان فى اليوم الذى ألغيت فيه الملكية فى فرنسا ، وهو اليوم الأول « من العام الأول للجمهورية » .

ولست أعرف منظراً فى التاريخ هو أشد تحريكا للنفس أو أعظم دلالة على العموم، من منظر هذا المجلس ، وقد وقف هذا الثائر الشهير ، والمؤلف ، وأكبر باعث لروح الجمهورية الأمريكية، وسوط العذاب المنصب على الأشراف ، ليدافع عن حياة الملك الفرنسى المخلوع . ولم يسبق له قط أن وقف يخطب ، وكان فوق ذلك لا يملك ناصية اللغة الفرنسية . ومن أجل هذا لم يزد على أن صعد المنبر ووقف صامتاً ، ضئيلا ، رائعاً — وفى عينيه ذلك البريق الذى لا ينساه أبداً من يراه — بينما كان أحد النواب الفرنسيين يتلو ترجمة خطبته :

« إن لغتى كانت دائماً لغة الحرية مقرونة بالإنسانية ، ولست أعرف شيئاً يرفع أمة كاجتماع هذين المبدأين » .

وينهض « مارا » ويصيح بالنواب الذاهلين : « إنى أقرر أن هذا ليس برأى توماس بين — إنها ترجمة غير صحيحة » .

فيجيب النائب جاران : « لقد قرأت الأصل والترجمة صحيحة » .

فيضطرب الأمر وتعم الفوضى ، ولكن بين يظل واقفاً ساكناً حتى يتسنى إتمام التلاوة .

وقد كانت زعقات مارا العنيفة ثناء طيباً على بين، وشهادة له بنفوذه وخطره، ولكنها لم تكن لازمة ، فقد كان عهد الإرهاب قد بدأ، وسرعان ما صار بين نفسه، لما ارتكب من خطيئة الرحمة المنطوية على بعد النظر ، فى السجن .

ورفض وزير أمريكا — الحاكم موريس وهو عدو لدود من زمان طويل لبين — أن يتدخل ، بل إن هناك ما يدل على أن موريس ائتمر مع الفرنسيين ليعدموا بين . وخدع روبسبير عن حقيقة موقف وشنطون . فقضى على توم بين بالإعدام بالجيلوتين (المقصلة) « لمصلحة أمريكا ولمصلحة فرنسا معاً » . ويصف بين كيف نجا بأعجوبة، فقد فتح باب سجنه إلى الخارج، وكان مفتوحاً حين جاء الجلادون ووضعوا عليه علامة تدل على من يؤخذ لينفذ فيه الحكم . ولما عادوا ليأخذوا ضحاياهم كان باب بين مغلقاً والعلامة من الداخل ، فتخطاه القدر ، وما أسرع ماأدرك روبسبير نفسه !

وكان بين فى ذلك الوقت راقداً فى سجنه وهو فى غيبوبة ، وقد كادت تقضى عليه الحمى ، غير أن موريس — وزير أمريكا — أبدل بمونرو — جيمز مونرو الذى تولى بعد ذلك رياسة الجمهورية الأمريكية. فظفر مونرو

بالإفراج عنه وحمله إلى بيته وقامت زوجته على خدمته حتى عادت إليه الصحة .

وكان بين رجلا تقياً ينظر إلى الدين نظرة شخصية، فيها جد وصرامة وعقل،فلما رأى الثورة الفرنسية تجتاح الدين ، أحس أن عليه أن ينشله من هـذا التيار الدافق فكتب يقول :

« إنى أومن بإله واحـد ، لا أكثر ، وأطمع فى السعادة بعد هذه الحياة . وأعتقد أن الواجبات التى يفرضها الدين هى إقامة العدل ، وحب الرحمة ، والسعى لإسعاد إخواننا . وعلى كل إنسان أن يقوم بفرائض دينه بنفسه » .

وقد سمى بين الكتاب الذى يبسط فيه هذه الآراء « عصر العقل » ، وليس فيه شئ يثير فى أيامنا هذه ضجة ، ولكنه كتاب قوى رنان كالمعدن الصافى ، وقد امتعض منه معظم رجال الكنيسة، ولم يكتموا رأيهم فيه ، بل جاهروا به بقوة وجلاء .

ورجع توم بين إلى وطنه فى أمريكا فى سنة ١٨٠٢، وكان يومئذ فى الخامسة والستين، وقد وهن جسمه واعتلت صحته ، فرحبت بمقدمه الصحف والمحافل والمنابر ترحيباً مدويا ،وكانت الضجة نصفها تصفيق وتحية ، ونصفها الآخر استنكار وذم .

وقضى وقتا فى ضيافة الرئيس جفرسون بالبيت الأبيض،ثم شعر أن مقامه فيه يحدث ارتباكا سياسيا ، فودع صديقه الوفى، ومضى إلى ضيعته حيث استقبلته فئة قليلة استقبال الأبطال ، وتلقاه الأكثرون بموجة متعاظمة من النقد .

وكان النقد منظما، وقد نفخ فيه الناقمون فظل متسعراً طول السنوات السبع التى عاشها توم بين ، ولم ينفعه أو يخفف من الوقدة ضـده أنه ظل ثائراً لا يثوب ولا يرعوى إلى النهاية ، وأنه أبى أن يرجع عن آرائه أو يلين فى مبادئه . وكان يوصف فى هذه السنوات الأخيرة من حياته بأنه سكير ، وغشـاش ، وداعر ، ومسـتغل للنساء والأطفال ، وزنديق ملحد ، وأنه رجل شرير فى روحه وبدنه، وأقذر من أن يطهر. ولم يسبق لهذا نظير فى تاريخ الطعن والهجو.

وقد حرم مؤسس الاستقلال الأمريكى حق التصويت بدعوى أنه ليس مواطنا أمريكيا بل حرم أن يدفن فى مقبرة ، ولم يمش وراء جنازته إلى لحدها فى الضيعة التى منحها فى نيويورك إلا صديقته وربة بيته السيدة بونفيل وولدها ، ووقفت هى عنـد طرف القبر وولدها عند الطرف الآخر وصلت عليه :

« إن ابنى يا مستر بين يقف هنا رمزاً لشكر أمريكا لك ، وأنا أمثـل فرنسا فى الاعتراف بفضلك » .

الشخصيات التي لا تنسى :

آية إنسانية

[« آية صغيرة من آيات الشخصية الانسانية » ولكن لعلها رمز لبطولة التضحية بالذات في ملايين من البيوت الفرنسية]

صوفي كير

لا تشبه في شيء تلك المرأة الفرنسية القوية التي نرى صورتها في القصة ، وعلى المسرح ، وفي السينما . فقد كان محياها دقيقاً شاحباً ورقيقاً ساهماً ، وعيناها واسعتين رماديتين ، وأنا أشك في أن وزنها جاوز في أي وقت مئة رطل ، بل لقد كانت تبدو كأن ريحاً قوية تستطيع أن تطيرها ، ولقد كادت تلوي بها عواصف المرض والحزن أكثر من مرة .

وقد بدأت معرفتي بها برسالة . ذلك أنه في سنة ١٩١٦ تولت مجلة « الحياة » تقديم أسماء الأطفال الفرنسيين الذين قتل آباؤهم في الحرب لمن يتعهد بأن يكفل يتيماً منهم مدة سنتين . وكان ذلك تدبيراً قامت به المجلة على نحو شخصي .

وبهذه الطريقة صرت أنا وإحدى صديقاتي عرابة لطفلة تدعى « أندريه » ، فتلقيت رسالة من أمها تعرب فيها عن شكرها بلغة بسيطة إلا أنها تنطوي على الوقار ، فأجبتها ، ونشأت بيننا صداقة امتدت وبقيت على الأيام .

ووقفت على قصتها شيئاً فشيئاً . وعرفت أن ماري لويز هي البنت الثانية في أسرة مكونة من خمسة ، وأن أباها بستاني يتعهد ضيعة صغيرة . وقد رأيت البيت — وفيه ثلاث غرف — والموقد الكبير ، والمائدة الطويلة ، والمقاعد المصنوعة من الخشب المصقول . ورأيت هذا الوالد الذي خيل إليّ أنه مصنوع من ساق معجرمة لشجرة تفاح ، والأم المديدة القامة المقوسة الظهر من الكد ، وقد ذهب أكبر بنيهما إلى باريس ووجد فيها عملا في شركة الغاز . ولكن ماري لويز بقيت في البيت لتعنى بالأطفال ، ثم استطاعت أن تلحق بأخيها ،

يكشف ما نشرته صوفي كير من آثار قلمها — اثنتي عشرة رواية وأكثر من ثلاث مئة أقصوصة — عن معرفة دقيقة بوجهة نظر المرأة ، وهي فطنة أولتها الاشراف على نشر ما يطبع للنساء . وقد بدأت بتحرير الصفحة النسوية في جريدة تصدر بمدينة بتسبرج ، ثم تولت الادارة والتحرير « وومانز هوم كومبانيون »

وأن تظفر بوظيفة كاتبة ، وكان المرتب قليلا وساعات العمل كثيرة مضنية ، ولكنها استطاعت أن تدخر كل أسبوع خمسة فرنكات لتبعث بها إلى أهلها على سبيل المعونة.

وأحسب أنها كان بها مسحة من الجمال الخفر ، وما أظن إلا أن تلك كانت أرخى أيامها ، وأرغدها ، وقد أفاض عليها الحب من سحره وآتاها السعادة ، فقد أغرم بها أندريه جوزيف مور زميل أخيها في عمله ، وهو فتى تنبيء صورته على أنه ساذج طيب القلب ، ذو وجه صريح ، وشاربين مرسلين وعينين رقيقتين ثابتتين ، وكتفين محنيين ، في الخامسة والعشرين من عمره ، وهو من ذلك الطراز الذي يرى المرء عشرات منه مع أسرهم في أيام الآحاد في حدائق باريس ، وهم عماد الطبقة الوسطى في فرنسا .

ولم يستطيعا أن يتزوجا إلا بعد سنوات ، فقد كانت أم ماري لويز عليلة ، وفقد أبوها عمله لما مات صاحب العمل ، ولما كان قد كبر ، فقد كان لا يظفر إلا بأعمال متقطعة وأجر زهيد ، وكان أخوها الأكبر قد تزوج امرأة سوء سليطة ، أبت عليه أن يعين أهله بشيء ، وتزوج أخ أصغر منها امرأة سقيمة ، وصار الأخ الآخر جنديا ، أما أختها الصغرى فتزوجت رجلا فقيراً لا خير فيه ، فصارت ماري لويز تقضي إجازاتها مع أمها ، وتقوم على خدمتها وتتولى تمريضها ، وصار القليل الذي وسعها أن تدخره هو الذي يتيح لأبويها ما يتبلغان به حين يتبطل أبوها .

وأخيراً تحسنت أحوال أسرتها قليلا فتزوجت ماري وجوزيف ، وكان هذا في سنة ١٩١٢ ، وقد رزقا فتاتهما أندريه في ١١ يوليه سنة ١٩١٤

وفي هذه السنوات الأولى من حياتهما العادية كان تأثير ماري غير العادي واضحاً . فما من أحد من أصدقائها أو صديقاتها احتاج إلى المواساة أو المعونة ، في نازلة أو أزمة ، إلا اتجه إلى ماري لويز . وقد قالت عنها أخت زوجها : « لقد كان قلبها دائماً أكبر من جسمها » ، ووصفها ابن عم لها مجرب بأنها «من أخوات الرحمة ولكن من غير زيهن » . على أن من الخطأ المحض أن يتوهم أحد أن ماري لويز كانت ملاك عذوبة وهدى ، لاتنفك تفعل الخير وعلى فمها ابتسامة الرضى ، فما كانت إلا ربة بيت فرنسية لا تستقر ، ولا تزال تصقل أرضية الحجرات ، وتغسل قمصان زوجها ، وتطبخ الحساء ، وتساوم في السوق وتماحك من أجل نصف سنتيم — ولكنها كانت ذات شخصية تستولى بها على القلوب .

والآن أقبل عليها شهر يوليه من

سنة ١٩١٤ ، وقد أضنتها ولادة أندريه ، ولكنها كانت قريرة العين بينتها وزوجها وبيتها . وفى الثانى من أغسطس غزت ألمانيا فرنسا ، ودعى جوزيف إلى الالتحاق بكتيبته . فلم ير ابنته بعد ذلك إلا مرة واحدة .

وكان ذلك الشتاء الأول من الحرب قاسياً فى باريس ، وكان برده قارساً زمهريراً غير مألوف . ومضت مارى لويز على سننها ولكنه كان عليها أن تتعهد بنتها ، وكان لا يبدو أنها قادرة على استعادة قوتها . وقد جند أخوان لها وزوج أختها ، وأقعد لروماتزم أباها ، وبقيت أمها لا يكاد يفارقها السقم . وكانت المعيشة كثيرة الكلفة ، والوقود نادراً ، وجاءها زوجها مرة فى يناير وقضى معها أربعة أيام . وذكرت هى زيارته هذه مرة ، فقالت : « إن بنيتنا الصغيرة لم تفارق قط ذراعيه » ، ثم عاد إلى خط القتال . وفى مقدمة الصيف من سنة ١٩١٥ مات من جراح أصابته ، وقتل أيضاً أحد أخويها ، وأصيب الثانى بالغازات السامة .

والآن صارت مارى لويز ، « السيدة مور » وهى أرملة تعول بنتاً صغيرة ، وصحتها سيئة ، ولا مورد لها . وقد منحتها فرنسا معاشاً شهرياً يعادل سبعة ريالات ونصف ريال فى الشهر ، يضاف إليه قدر يسير من أجل البنت . وليس فى هذا ما يكفى ، فصارت تزاول كل ما يتيسر لها من عمل ، فتطبخ ، وتنظف ، وتغسل . وكانت لا تزال يدركها الإعياء وتمرض ، على أن أندريه الصغيرة لم تعدم قط الكفاية من الطعام على حين كانت أمها تتضور جوعاً .

ولما أصيبت رئتاها اتصل خبرها بطريقة ما بالأمريكيات اللواتى يقمن بالأسعاف فى فرنسا ، ثم بنا ، ومن هنا صرت عرابة لأندريه ، وكانت الرسالة الأولى التى تلقيناها من مارى لويز اعترافاً بحاجتها فى غير لجاجة أو إسراف فى البيان ، وتقبلاً لصنيعنا على أن يكون إلى حين ، وشكراً منطوياً على احترام الذات . وما سمعت بعدها أحداً يصف الفرنسيين بأنهم يتهالكون على المال إلا تذكرت مارى لويز التى تنقض هذه التهمة كل النقض .

ففى كل السنوات التى عرفناها فيها ، وأعناها على تنشئة أندريه ، لم تطلب قط شيئاً ، ولا أشارت ولو من طرف خفى إلى شىء نصنعه لها أو لبنتها . وكانت كلما رتبنا أمراً — بلطف، فقد كانت حساسة أبية — تقول : « هذا أكثر مما يجب . وفى وسعنا أن ندبر الأمر تدبيراً حسناً » حتى التقينا بها، وبينا لها أننا نحب هذه البنية الظريفة حبا

صادقاً ، فصارت تتقبل القليل الذى كنا نساعدها به .

وقد رأيتها أول مرة فى سنة ١٩١٩ ، وكانت الشقة كلها — غرفة النوم ، وغرفة الجلوس والمطبخ — صغيرة ، بل أصغر من حجرة جلوس فى بيت ريفى فى أمريكا ، وكانت قطعة واحدة حسنة من الأثاث — هى عبارة عن مقعد عال نورماندى بعث به أهلها إليها — يملأ نصف الغرفة المعدة للجلوس . أما بقية الأثاث فلم تكن تساوى شيئاً . ولكن كل شىء كان نظيفاً جدا ، وكذلك كانت أندريه التى ناهزت الخامسة نظيفة حلوة ، وقد لفت عليها شملة صغيرة مثلثة ثبتت بالدبابيس ، على نحو ما تفعل العجائز ، فقد كان اليوم بارداً ولا نار فى الشقة . وامتدت يد الأم إلى بنتها عفواً لتلمسها وهى تتكلم ، وكانت على الحائط صورة شمسية للأب ، وتحتها الوسام الحربى الذى منحه . أما الأم نفسها فكانت ترتدى ثوباً أسود من أرخص وأقدم ما رأيت ، وعلى رجليها جوربان أسودان . وما استطعت قط أن أقنعها فى كل السنوات التى عرفتها فيها ، بأن تلبس خيراً من هذه الثياب .

وتبينت من الحديث أن البنية هى كل شىء فى حياة أمها ، وأنها لا تحيا إلا من أجلها ، وأنها ستظل تعمل حتى تسقط ميتة ولا تطلب عوناً ، وكان تحفظها عن إباء وأنفة ، ولكن هذا البيت العادى ، واليد التى صلبت من العمل ، وجسمها الضاوى المتضور ، وعظامه المبرية — كل ذلك كان يقص علينا خبرها . نعم ، نعم ، صارت رئتاى أحسن وأصح . بلى ، أجد عملا هنا وههنا وليس دائماً بالعمل الذى أريده ، ولكنه عمل والســـلام ! وقدمت إلينا الشاى والكعك ، محتفية بنا كأنما هى مأدبة ، ولكن نظرة أندريه إلى الكعك دلتنا على أنه شىء نادر جدا .

وبعد جهد ما استطعنا أن نرتب الأمر على نحو يجعل الحياة أسهل ، وقد اضطررنا أن نجعل ذلك فى سبيل أندريه ومن أجلها خاصة ، أما هى فأبت أن تأخذ شيئاً . وقد مرت بها أيام عصيبة ، وعادت رئتاها تخرجتا عن حد الصحة ، فاضطرت إلى الكف عن العمل زمناً ، ولكنها ما كادت ترجع إلى ما يشبه أحوال الصحة حتى رجعت إلى العمل .

وفى أول عشاء ربانى لأندريه قدمنا لها الثوب الأبيض والحذاء الأبيض ، والنقاب والمسبحة الفضية فى صندوق من فضة ، فكانت هذه نقطة تحول فى شعور مارى لويز وصرنا بعدها أشبينين حقيقيين .

وأخذت أندريه تكبر وتنمو ، وتربو وترف ، وصارت فتاة جميلة وديعة زكية ، وكانت تعكف على الدرس وتفوز بدرجات عالية فى المدرسة . ولعلها ولدت يوم أحد فقد كانت « مفراحاً ضحا كةوطيبة مرحة » ، ولم تكن تلهو كثيراً بالمعنى الذى تفهمه الفتيات الأمريكيات من اللهو ، فما كانت تذهب إلى السينما أكثر من مرة كل ثلاثة شهور ، ولكنه كان لها أصدقاء من أترابها ، وكانت تخرج للتنزه فى الحدائق ، وقامت مرة برحلة إلى شارتر وإلى لورد فى مرة أخرى .

ولما تخرجت أندريه فى المدرسة حصلت على وظيفة فى مصلحة حكومية ، وكانت ساعات العمل طويلة والمرتب يسيراً ، ولكنها حسنته بالمواظبة على الدرس ، والنجاح فى امتحانات المسابقة التى لا آخر لها فى النظام الحكومى الفرنسى .

ولما بلغت أندريه الحادية والعشرين حدث لها حادث ذو شأن — ارتدت أول ثوب للسهرة ! وكان من الحرير الأبيض الرقيق وثمنه مائة فرنك ! — وذهبت به لترقص فى حفل منزلى صغير عند صديقة لها من عهد المدرسة ، فى ضاحية فرساى . وما أحسب أن فتاة من فتيات نيويورك فى أول ظهور لها فى المجتمع ، سرت كسرور أندريه أو نعمت كنعيمها فى ليلتها تلك .

ولكن هذا الثوب ، وهذا الرقص ، ووظيفتها ، وأصدقاءها الجديدين — كل هذا كان ينأى بها شيئاً فشيئاً عن الطبقة التى خرجت منها وولدت فيها ويرفعها فوقها ، وإذا كانت أندريه لم تدرك هذا ، فقد أدركته أمها ، فأقلقها فى سريرتها ، وخاب أمل الأم لما تقدم شاب من قريتها أبواه من أصدقائها ، وخطب أندريه لنفسه فرفضته . وا أسفاه ، فقد كانت أندريه تحب شاباً يعمل معها فى المكتب وهو من طبقة أرفع من طبقتها ماليا واجتماعياً ، وقد اختارت له أسرته عروساً ذات مهر جسيم ، وبدا كأن إلحاح أهله عليه سيفعل فعله .

ثم استقر عزم الشاب على ما اختار قلبه ، فطارت اندريه فرحاً ولكن أمها فطنت إلى ما لا مهرب منه من القطيعة . ولم يتغطرس عليها الأصهار الجديدون علانية ، ولا أتوا شيئاً يعد من سوء الأدب ، ولكنهم لم يدعوا أنهم راضون عن كون أسرة أندريه من الفلاحين . وقد راضت الأم نفسها على السكون إلى ما يشبه القطيعة ، وعلى الوحدة التامة والوحشة المرة ، وعدت ذلك تضحية أخرى تبذل بأنفة ، ورأسها مرفوع وقلبها يتفطر .

وقد أهدت إلى أندريه مقعدها الجميل

العتيق، وخير ما عندها من ألبسة الكتان . وانتقلت إلى مسكن أصغر، اقتصاداً ، وحتى لا تعود ليلا إلى غرف خاوية كانت أندريه تملؤها عليها من قبل — أندريه تدرس ، أندريه تخيط ، أندريه تطرز، أندريه تطبخ العشاء ، أندريه تثرثر بما فازت به من مسرات فى يومها ، وما ترجوه فى غدها . وكان مما يكشف عما فطرت عليه أنها اختارت مسكنها الجديد فى منزل تسكن فيه أرملة أخيها لتساعدها على تربية بنتيها الصغيرتين ، حتى يتسنى لأمهما أن تعمل وتطعمهما .

والآن جاءت هذه الحرب ، فكتبت هذه السيدة تقول إنها تفكر فى سنة ١٩١٤ وتصلى دائماً من أجل السلام ومن أجل بنتها ، وأضافت إلى ذلك : « ولا يسعنى إلا الأسف لأنها لم ترزق طفلا تتعزى به كما تعزيت . فى هذه الأيام — أيام الموت — يكون الأطفال وحدهم هم معنى الحياة . ومهما يحدث فإن الطفل نعم العوض » .

ولم تحجم عن أية تجربة ، وتلقت كل ما جاءتها به الحياة ببساطة وشجاعة وضمير نقى . ولم تطلب شيئاً ولم تبخل بشىء ، ولا تزال فى أيام الموت الحاضرة ، ترى الحياة فى الأطفال ! ولا أدرى كيف تكون خاتمتها، ولكن قصتها الآن آية ولا شك من آيات الشخصية الإنسانية .

هتلر أدعى إلى العناية من التفاح

فى أثناء عاصفة ثلجية فى أحياء نيويورك الفقيرة ، سُمِع أحدهم يصيح « هتلر . هتلر . هتلر » . فهبّ الناس واحتشدوا ليعرفوا ما القصة . فوجدوا دلالًا وأمامه عربة يد ، سبب هذه الضوضاء . والتفت اليه شرطى وقال : لماذا تصيح « هتلر . هتلر ؟ » فقال الدلال لوصحت « تفاح . تفاح » لما خرج أحد فى مثل هذا الجو القارس !

غاروا على برلين وهم فى بنجهامتن

البرت ك. ميرل — ملخصة عن مجلة "حقائق الطيران"

منذ ثمانية عشر شهراً مضت ، صعدت جماعة من طيارى الجيش لم يتم بعد تدريبهم ، إلى الهيكل الضيق فى إحدى القاذفات ، وارتفعوا بها إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم ، واتجهوا إلى برلين .

وحلقوا فوق العاصمة الألمانية بعد الفجر ، ونظر المدفعى فى ميزان الانحراف ، ليحسب سرعة الريح واتجاهها ، ثم أحكم آلة التسديد تبعاً لعوامل الانحراف والحرارة والارتفاع ، وضغط على الزر . وتساقطت القنابل على هدفها الدقيق ، وارتقبت الجماعة وميض الانفجار الذى يدل على الخبر اليقين ، ثم أسرعوا فى الابتعاد . ورجع هؤلاء الطيارون الأغرار — وقد مرستهم الغارة فلن يكونوا أغرارا — سالمين إلى المطار .

والواقع أن هذه الجماعة ظلت طول الوقت فى مدينة بنجامتون من ولاية نيويورك ، أما جسم الطائرة القاذفة ، التى لم تكن لها أجنحة أو محركات ، فقد كان فى جوف برج محكم المنافذ ، وأما السماء فكانت سقفاً مقبباً ، وأما معالم الأرض الألمانية فكانت صورة ضوئية مبسوطة على الأرض .

كان هذا الجهاز أول آلة من طراز « لناك » ، للتدريب على الاهتداء بالنجوم فى الطيران . وهناك مئات منها اليوم ، تتيح لآلاف من رجال الطيران خبرة فى مهمات القذف ، تطابق الواقع أدق المطابقة .

وجهاز التدريب هذا ، مجموعة من الآلات التى تقوم على تدريب هيئة كاملة من الطيارين دفعة واحدة ، وهو آخر سلسلة من الاختراعات ابتكرها « ادوين ا. لناك » للتدريب الجوى . وكان البريطانيون أول من فكر فيه منذ أربع سنوات ووقفوا على شىء من خصائصه ، وذلك يوم كان سلاح الجو البريطانى فى حاجة إلى جهاز يدرب رجال القاذفة على تنسيق عملهم معا . ولكن خيل لهم أن إنشاءها ينطوى على صعوبات يستحيل التغلب عليها . فأحالوا هذا النصب الناصب بأجمعه على إد لناك ، وصارحوه بأنه ما من أحد يتوقع أن يتمخض هذا الأمر عن شىء ينفع — ولكن أيحب هو أن يحاول ؟ ولما عاد لناك إلى الولايات المتحدة بدأ يعمل هو ومهندسوه .

فشيدوا بالقرب من بنجهمتون بناء على هيأة البرميل ارتفاعه ٤٠ قدماً ، ورفعوا على برج فيه هيكل طائرة قاذفة ، وبنوا

فوقه بناء على هيأة السماء ، ومن تحته مجموعة معقدة من آلات السينما وستائر العرض . وتتخلل البناء كله مجموعات من الأجهزة الكهربائية يحار فيها الذهن — منها ما يحسب تغير الضغط ، والسرعة ، ومعدل الارتفاع ، وتقلب الأوضاع ورد فعل الدوران الآلى ، ومنها لوالب المغناطيس الكهربائى وتروس التغيير والصمامات والمحركات . وعلى الأرض غرفة الضابط المدرب ، للرقابة والإشراف ، ومنها يستطيع المرء أن « ينفث فى الجهاز » كله أى مزيج شاء من الأحوال التى تعرض للطيران ، ملائمة كانت أو غير ملائمة .

ويصعد طلبة قسم التدريب العالى — وهم طيار وملاح وعامل لاسلكى ومدفعى — على سلم حلزونى يفضى إلى جسم الطائرة ، فيضغط المعلم على زر فتظلم الغرفة . ويستمع الرجال ، وهم فى جوف الطائرة بالسماعات إلى المعلم يشرح لهم مهمتهم : عليهم أن يصلوا إلى مدينة « ب » بعد الفجر تماماً ، وأن يقذفوا المصنع « س » بالقنابل ثم يعودوا .

ويحرك الطيار القابض والمفاتيح والأذرع التى ترتفع بالطائرة . فإذا ما سجل مؤشر الارتفاع ١٠٠٠٠ قدم ، ظهرت الكواكب ساطعة أول الأمر ثم يزداد تألقها لتقشع السحب ، فيرصدها الملاح فى مسيره .

وتتحرك الكواكب تحت إشراف المعلم تحركا موافقاً لمرور الزمن ، ومناسباً لتغير موقع الطائرة من خطوط الطول والعرض ، كما تكون الكواكب الحقيقية تماما . ثم هنالك من صور الأرض المعروضة على الستار ، ما يمثل مئات آلاف الأميال المربعة من بلاد الحلفاء وبلاد العدو ، على ارتفاع يتدرج من ٣٫٥٠٠ إلى ٣٥٫٠٠٠ قدم . ونتيجة هذا التدريب أن القاذفات إذا ما طارت فى مهمات حقيقية ، رأى الرجال أرضاً قد ألفوها كأنما هى التى تحيط بمطارهم .

وقد قدر واضعو تصميم جهاز التدريب هذا كل ما يخطر بالبال من العوامل الجوية ، حتى إن الأضواء التى تمثل الكواكب يخبو لمعانها قليلا بعد مرور عشرين دقيقة على بدء الطيران ، ليكون ذلك فى مقابل ما زاد من تعود عيون الطيارين الرؤية فى الظلام . ويستطيع الضابط المشرف أن يطفئ الكواكب جميعها ما عدا الكواكب الكبرى ليمثل السحاب أو الضباب . ويتمايل جسم الطائرة يمنة ويسرة من تلقاء نفسه ، وتنخفض وترتفع ، حتى يضطر الطيار إلى استخدام آلات القيادة ، كأنه فى طائرة تماما .

ويستطيع المعلم المشرف أن يرسل ريحاً معترضة فتزداد مهمة قذف القنابل صعوبة ، أو يرسل ريحاً أخرى مقابلة أو مدابرة فتتغير السرعة ، ويمكنه أيضاً أن يفتعل

تجمد الماء على الطائرة . ويكاد مايعترى الطيار يطابق الواقع حتى إن أحشاءه لتتقبض إذا مال أو صعد أو انقض، كما يعتريه فى الطيران الحقيقى .

فإذا ما اقترب النهار أدار العامل المشرف على آلات إسقاط الصور على الأرض أجهزته، فيضاء الستار الموجود تحت الطائرة. ولا تظهر أول الأمر سوى السحب ، كما يكون عند الشروق ، ثم ترى الجماعة الأرض من خلال السحب المتقطعة ، فيراجع الملاح تقديرحسابه بالقياس إلى الأرض التى تتحرك من تحته . فإذا صادف علما — طريقاً أو سكة حديدية — اتجه بعد ذلك إلى غرضه معتمداً على قراءة الخرائط .

وإذا ما اقتربت الجماعة من غرضها رأى المدفعى هدفه ، كما يراه إذا حلق تحليقاً عالياً فوق أرض الأعداء ، فيصدر تعليماته إلى الطيار وتمضى الطائرة فى طريقها استعداداً للقذف ، فيضغط المدفعى على الزر ، ثم يشاهد على الأرض ضوءاً يومض بعد ٥٠ ثانية أو ٧٠ . وتنتهى المهمة ، وتنقلب الجماعة عائدة إلى قاعدتها .

وتطير الجماعة فى عودتها معتمدة على الحساب الرياضى المحض حتى تغيب فى الغيم المتلبد ، فإذا وصلوا إلى بلادهم ، طالب الملاح عامل اللاسلكى بزوايا الرصد . ويرسل المعلم المشرف على التدريب أشعة الاتجاه اللاسلكية . فيرسم الملاح خط سيرها فى اتجاهها إلى قاعدتها ، كما لو كان الضباب أو الظلام يحيط بها فعلا . وأخيراً يهبط بهم الطيار فى مطارهم الخاص .

ويستغرق ذلك من ساعتين إلى أربع ثم تهبط الجماعة المتعبة إلى غرفة المراقبة ، فيجد رجالها رسماً بيانيا — هو رسم دقيق لرحلتهم — خطه جهاز يسجل على الخريطة كل تغير فى الاتجاه لجأت إليه الطائرة .

وقد ينظر الطيارون الأحداث إلى هذا الرسم فيقولون : « فى الآلة خلل ولا بد — فغير معقول أننا درنا هذه الدورات الحمقاء » . وعندئذ يعود هؤلاء الرجال ، بعد صدمة المفاجأة الأولى ، فيقدرون آلتهم حق قدرها ويثنون بها ، فإن الخط الناطق الذى يرسمه المسجل لايدع خطأ إلا كشفه .

وتساوى كل آلة من آلات التدريب حوالى ٥٠،٠٠٠ دولار ، ولكن قيمة المئات التى تستعمل الآن لا تعد شيئاً مذكورا إذا حسبنا ما توفره من الخسارة فى الأرواح والأموال لو كان التدريب فى طائرة حقيقية. وهذه الآلة تحط ٣٥ ٪ من زمن الطيران اللازم لتدريب الطالب، فبذلك يتاح للطائرات المتدفقة من المصانع عدد من الطيارين المدربين على أعمال القاذفات ، ربما كان من المتعذر وجوده لولا هذه الآلة العجيبة .

القضاء على غازى العالم الجديد

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن مجلة « العصر الحى »

في سنة ١٩٣٠ ، يوم كان المعنيون بالدفاع عن العالم الجديد نفراً قليلا ، اجتازت المحيط من غرب إفريقية وتسللت إلى مدينة ناتال بالبرازيل ، ثلة صغيرة من سفراء الموت العطشى للدماء ، وسرعان ما انفجرت هذه السفارة المميتة عن عقباها .

عدا المرض على عشرات ثم على مئات من الناس فى ناتال ، وابيضت الوجوه أو اربدّت ، وتخاذلت الأوصال الموجعة من سُعار الحمى ، ومن الرعدة التى تقعقع العظام . فقال الأطباء : « هذه ملاريا » ، ولكنها لم تكن فصيلة الملاريا التى تعتاد المناطق الحارة وما دونها فى عالمنا الجديد . فقد كان الكرب الذى يعانيه الضحايا أطول وأشد ، وكانت نسبة الوفيات من بينهم أعلى وأخوف ، وكانت تتلو المرض آونة حمى تستفرغ الدم ، هى حمى البول الأسود ، تلك العلة الفظيعة التى ما فتئت تضلل طلاب العلم بأمراض المناطق الحارة .

وساورت نفراً قليلا من عقلاء الأطباء

« أنقذ فوز البرازيل العلمى المنقطع النظير فى إبادة بعوضة الجامبيا — دلالة الموت — كل الأمم الامريكية من وباء قتال » .

القدماء ، الذين رأوا الملاريا فى عنفوانها فى بقاع أخرى من الأرض ، آراء مفزعة لم يجرؤوا على البوح بها ، ولكن ما أسرع ما حقق صدق شكوكهم صياد من صيادى البعوض .

كان الدكتور « رايموند . س . شانون » — أحد علماء الحشرات فى مؤسسة روكفلر الملحقين بإدارة مكافحة الحمى الصفراء فى البرازيل — لا ينقطع عن فحص مايتجمع من ماء المطر فى البراميل والحفر التى على جانب الطرق ، فأصاب بعوضة غريبة . فلما فحص الدكتور شانون أسيره تحت المجهر فيما بعد غشيه الرعب ، فهذه « الجامبيا » — أقتل أنواع البعوض الناقل للملاريا ، والتى أحالت قلب إفريقية وغربها جحيما يتلظى بالمرض — قد غزت شِقّ العالم الغربى !

ولـكن كيف ؟ . . إن أقصى ما تقطعه الجامبيا فى طيرانها لا يتعدى ثلاثة أميـال ، فهل عـبرت المحيط فى زورق ؟ كلا ، فالجامبيا لا تسكن إلى منزل ، ولا تبقى تحت سقيفة أكثر من ٤٨ ساعة فى كل إقامة . لكن الطائرات التجارية التابعة للخط الجوى الفرنسى كانت نجحت حديثاً فى قطع المسافة بين داكار وناتال فى ٢١ ساعة ، وإذن ، فهذا السفير الإفريقى « للموت الحى » قد نزح عن وطنه خفية فى غفلة الرقباء !

أنذرت سائر الأمم الأمريكية ، وبسطت السلطات الصحية فى البرازيل رقابة صارمة ، فمن يومئذ فرض على جميع الطائرات المقبلة من إفريقية أن تفتش ، وترش ساعة وصولها بقاتل البعوض ، ولـكن خبراء الملاريا قالوا : « لقد نزل البلاء ! وهـذه هى الجامبيا » .

وأخذت هـذه الحشرة دلالة الموت تتكاثر تكاثراً لا يخطر على بال ، فالأنثى البالغة (وهى وحدها مصاصة الدم وحمّالة المرض) نَثُور (كثيرة النسل) ، ويتفلق بيضها فى أكثر قليلا من يوم واحـد . وبعد ثمانية أيام أو تسعة ، تعمل كل أنثى وليدة على أن تنجب لنفسها أسرة ضخمة على نفس المنوال .

وأنثى الجامبيا ، خلافاً لسائر البعوض ناقل الملاريا الذى يغتـذى على دم الحيوان ويقنع بوجبة واحدة يصيبها اتفاقاً من دم البشر ، تـكاد لا تعيش إلا على دم الإنسان وحده . وجسمها مصنع عظيم من مصانع السم ، ينتج طفيليات الملاريا بالملايين . وهذه المجموعة من الطبائع تجعل الجامبيا أخبث ناقل لأضرى أنواع الملاريا فى الأرض .

بين شهرى أبريل ويونيه من سنة ١٩٣٠ عانت مدينة ناتال أقسى وباء نزل بهذا الشق الغربى من العالم وأشيعه ، ولم يخمد الوباء فى فصل الجفاف الطويل بين يونيه وفبراير إلا ليتأجج أحرّ ضِغْناً مما كان .

وزحفت الجامبيا من مدينة ناتال زحفاً بطيئاً إلا أنه محكم ، فقد حملت الرياح العاتية سناناً من أسنة هـذا الجيش الغـازى على امتداد الساحل وأنفذته فى داخل البـلاد مسافة ١١٥ ميلا ، وأعدى المرض حوالى ٩٠ فى المـائة من السكان فى بعض المناطق ، وقضى على عشرة إلى خمسين فى المـائة من ضحاياه . كما أضنى الذين تخطاهم الموت ، تاركا كثيراً منهم أضعف من أن يقوموا بعمل ، وأشد خمولا من أن يبالوا بالحياة .

وتذكرت السلطات الصحيـة ما فعلته الملاريا فى القضاء على قدماء الإغريق والرومان ، فأخذت ترقب انتشار الجامبيا بفزع يزداد . وعاد من البرازيل العالم الأمريكى الدكتور

مارشال ا . باريو ، أخصائى الملاريا الذى طبقت شهرته الآفاق ، كى ينـذر قومه هذا النذير :

« إن الجامبيا تهدد الأمم الأمريكية بكارثة — ليس الطاعون حيالها ، ولا الحريق ولا الحرب نفسها إلا مصائب عادية يسيرة الاحتمال .

إن الجامبيا تدخل ، دخولا ، عروق المملكة وقد تبقى بها لتوبئها عدة قرون » .

ولاح للبرازيل قبس من عناية الله ، فى السنتين التاليتين ظل يلفحها قيظ محرق أنضب مواطئ الجامبيا من الأرض ، وجفف معاقلها (أماكن بيضها) ، ومنع الغزاة أن تتقدم ، وأتاحت هذه الهدنة لمكافحى الملاريا وقتاً للتفكير والتدبير .

وقد كان لدى البرازيل جيش من العلماء لمكافحة الأمراض التى ينقلها البعوض ، يحتشد فى إدارة الحمى الصفراء ، التى يرأسها الدكتور باروس باراتو المدير الأكبر للصحة العامة ، والتى هى خليقة أن تكون مفخرة الشق الغربى من الأرض بل مفخرة العالم أجمع . فعلى هدى الأصول الفذّة التى وضعها الطبيب الوقائى البرازيلى العظيم الدكتور ازوالدو كروز ، مستأصل الحمى الصفراء من ريودى جانيرو منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، استطاعت إدارة الحمى الصفراء أن تحارب بعوضة « الإيدس المصرية » الناقلة لهذه الحمى ، حرباً لا هوادة فيها ، لم تلبث أن جعلت وجود هذا النوع من البعوض ندرة فى البرازيل .

وهبّ بعض علماء الحشرات الشجعان فى هذه الهيئة ينادون : « أعدوا نظاماً كاملا واسع النطاق لكفاح الجامبيا ، وأمدّونا بالمال والرجال والعتاد ، نمحق هذا الوباء الوافد » .

لكن الكثرة من الخبراء المحافظين أعلنت أن هذا مستحيل . إنهم قطعوا دابر الحمى الصفراء « بالسيطرة » على بعوضها ، وهو عمل واف بالغرض فى كفاح معظم فصائل البعوض ، لكن فصيلة الجامبيا أوفر نسلا وأفحش فتكا من أن تجدى فى أمرها « السيطرة » ، والإبادة وحدها هى التى تجدى . وما دار فى خلد أحد قط من محاربى البعوض أن فى الإمكان إبادة فصيلة بأسرها من الكائنات الحية ، لا سيما الجامبيا ! فإن سائر فصائل البعوض تفرخ فى مواطن معروفة يسهل العثور عليها ، كالبرك والمستنقعات ، وبراميل المطر ، والسيطرة عليها إنما هى تجفيف الأرض ، وذرّ قواتل اليرقات . ولمكافحى البعوض حليف قوى من صغار السمك يتغذى مما على سطح الماء ، فيأكل بيض البعوض وصغاره ، فاحتشد

هـذا السمك فى أى ماء ، قلّ أو كثر ، ينقرض منه البعوض سريعاً .

أما تلك الجامبيا الخبيثة ، فهى تتنكب البرك والقنوات الواسعة ، وتفضل أن تضع بيضها فى الوَشَل (الماء القليل) كالذى يكون من ماء المطر فى مغرز عجلة أو حافر . وقال أحد هؤلاء المحافظين : « عليكم إذن أن تجففوا وحول الأرض جميعاً فى البرازيل الشمالية الشرقية كلما أمطرت السماء !! » .

وكذلك ناطت البرازيل آمالها بالقيظ ، فربما أصبحت الأرض التى صهرتها الشمس غير صالحة لسكنى الغزاة الإفريقيين .

فلما نزلت الأمطار فى فبراير سنة ١٩٣٤ نهضت الجامبيا تزحف زحفها الفتاك ، وقضت أربعة أعوام تقتحم شمالا وغرباً بلا رحمة ولا هوادة ، وما أوفت سنة ١٩٣٨ حتى صارت المنطقة الموبوءة ١٢٬٠٠٠ ميل مربع ، وعنَتْ مدن بأسرها للداء ، وبطلت الأعمال ، وأهملت زراعة الغلال لقلة اليد العاملة ، وكتبت مؤسسة روكفلر تقول : « إن عقبى غوائل هـذه البعوضة أن يصبح كل شخص فى هـذه المناطق الموبوءة عالة على الحكومة فى سنة ١٩٣٩ » .

وإذ ذاك بات الخطر الذى يهدد القارة الأمريكيـة بأسرها شراً وبيلا ، وأعلنت إحدى السلطات : « إذا استطاعت جيوش الجامبيا أن تنقض على الواديين الزاخرين ، وادى نهر بارناهيبا ونهر ساو فرنسسكو ، فسيكون من المستحيل دفعها عن جزء كبير من أمريكا الجنوبية والوسطى ، بل ربما استحال دفعها عن أمريكا الشمالية أيضاً » .

فلما كان شهر يناير سنة ١٩٣٩ ، أعلنت البرازيل الحرب على الجامبيا ، وتألفت إدارة كفاح الملاريا فى البرازيل الشمالية الشرقية بمرسوم ، واصطفى الدكتور بارانو لرياستها الدكتور مانويل فرير الطبيب الوقائى الممتاز ، وعبئ لهـذه الحرب أطباء برازيليون من ذوى القدرة والكفاية ، من بينهم الدكتور إيفاندرو تشاجاس عالم الملاريا المعروف ، الذى قتل حديثاً فى سقوط طائرة . واعتمدت الحكومة لهذا الغرض ٢٥٠٬٠٠٠ ريال فى المبدأ ، وتبرعت مؤسسة روكفلر بمائة ألف ريال ، وبذلك انقطع الجدل فى إمكان إبادة الجامبيـا أو استحالتها . وكانت الأوامر : « انظروا ماذا تفعلون ، ثم امضوا قُدُماً وافعلوه ! »

ولم يكن هنالك سوى وقت قصير لتدريب العمال ، ولم يكن لهذا الأمر سوابق يأتمون بها ، ولكن عنـدما بدأ وقت الأمطار فى فبراير سنة ١٩٣٩ كان الجيش الأول قد نزل إلى الميـدان فيه أكثر من ألفى طبيب من أطباء البرازيل ومن المساعدين الفنيين ،

ومن المفتشين والعمال . وظلت الجامبيا أربعة أشهر تثبت أنها عدو مخيف ، وكان المطر المدرار يزيد محاضنها زيادة لاتنتهي ، ولكن الجيش المكافح للجامبيا أسس عسساً طوّافاً يطوف بمناطق الإقليم الموبوء ، وبعث بجماعات من الكشافة فأنشأوا مخافر لطلائع الجيش على طول الحدود . فلما كان شهر يونيه أعلن المحاربون أن الجامبيا قد أحيط بها ، ويومئذ حمي وطيس الحرب .

عولج كل مكان يجوز أن يكون محضناً بأخضر باريس (مركب زرنيخي سام يقتل صغار البعوض الناقل للملاريا) ومضى العمال بالمضخات الرشاشة يقتلون البعوض البالغ ، فى المنازل ، والزرائب ، والحوانيت ، والأبنية المهجورة . ونفذ هـــذا التدبير الشامل — تدبير « الأرض المحرقة » — بلا هوادة فى كل بوصة مربعة من المنطقة التى عرف فيها الوباء ، ثم فى شقة من الأرض حولها عرضها عشرة أميال منطقةَ أمان . وعلى كل منفذ طريق فى الحدود أخذ العسس الصحى يرش قواتل البعوض فى كل مركبة قبل السماح لها بدخول المناطق الخالية من الوباء .

ولكم ابتلتهم المحن المثبطة ، فسرعان ما نفد الاعتماد ، واضطرت حكومة البرازيل أن تعتمد ٢٥٠,٠٠٠ ريال أخرى ، ومضت الحملة تتقدم فى سبيلها مستفيدة من التجارب والأخطاء . وجاءت أوقات ظن فيها أن الجامبيا تسخر من محاربى الوباء . فحين خيل إليهم أن كل شىء يسير سيرا حسناً أخذت أوبئة جديدة من الملاريا تفشى على مسافة أميال من المناطق الموبوءة فى مواضع لم يلوثها الوباء من قبل !

ووقفت فرق الكشافة الموفدة للتقصى على سر هـذا الانتشار . ففى إحـدى الحالات اجتازت سيارة طريقاً مهجورة فى غابة ، فأفلتت من الإقليم الموبوء دون أن يرش فيها قاتل البعوض . وفى حالة أخرى راغ زورق صغير من زوارق الصيد من المخافر الصحية البحرية ، فنقل البعوضة الغازية عدة أميال على طول الساحل .

على أن المحاربين لم يجزعوا ، بل حصلوا فى سنة ١٩٤٠ على ميزانية قدرها ١,١٣٠,٠٠٠ (منها هبة من مؤسسة روكفلر مقدارها ٢٣٠,٠٠٠ ريال) فزيدت القوة المكافحة إلى ٤٠٠٠ ، ونقحت الخطط ، وأعلن محاربو البعوض إعلان الواثق بما يقول أن : « هذه السنة ستكون قضاء مبرماً على الغزاة » .

أجل لقد بدأت الجامبيا العنيدة تتقهقر ! ففى أواسط زمن الأمطار — وكان أغزر مطراً مما يعهد — أخذت التقارير تنثال تترى من صقع بعد صقع : «طهرت المنطقة

لادليل على وجود بعوض أو بيض أو يرَق». لقد كان ينتظر أن يكون هذا الوقت وقتاً مباركا على الجامبيا ، ففى منطقتين لم يتخذ فيهما الإحتياط الواقى ، وتركتا لأغراض البحث العامى ولتكونا أساساً للمقارنة ، استطار شر البعوض ، ولكن حيثما دأبت فرق السموم الكيميائية على عملها ، استؤصلت شأفة العدو .

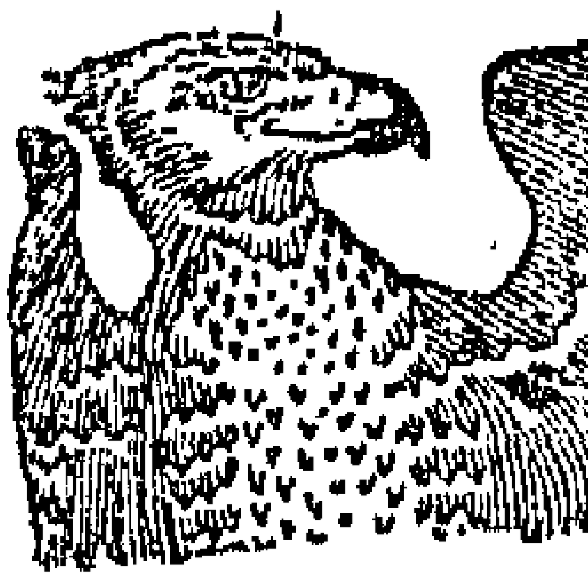
واعتزم محاربو البعوض أن يقوموا باختبار حاسم ، فما إن أعلن خبراء الميدان أن إحدى المناطق قد طهرت من العدو حتى وقفت جميع الوسائل الكيميائية المستعملة فى كفاح البعوض ، ولكنهم ضاعفوا القوة الكشافة لتكون بالمرصاد لما يمكن أن يعاود الظهور . ومرت الشهور الطويلة المقلقة ببطء ، ولم تظهر الجامبيا من جديد .

وظل محاربو البعوض يقظين قلقين ، لأنهم خبروا الجامبيا فألفوها عدوّاً غداراً شديد المراس . وقد كان ، ونزل بهم ما روعهم ، فقد عثر على مكمن ناء استكنت فيه الجامبيا على بعد حوالى ٥٠ ميلا من أقصى ما بلغته حدود الوباء ، ولم يمكن تعليل ذلك قط ، ولكنه طهر قبل أن يؤدى إلى ضرر .

وظلت هيئة كبيرة من رجال مدربين ، أكثر من سنة ، تجوس خلال البرازيل الشمالية الشرقية فلا تعثر على جامبيا واحدة . وقد أرصدت مكافآت مالية لكل من يأتى ببيضة أو يرقة أو بعوضة ، ولكن لم يعثر على شىء من ذلك . وعلى أن العلماء البرازيليين يترددون فى القطع بأن الجامبيا قد أبيدت وقطع دابرها من البرازيل ، فإن ظفرهم قد أحدث أثراً عميقاً فى نفوس كل علماء العالم ، إذ أن هذا القاتل المجنح لم ير فى البرازيل منذ نوفمبر سنة ١٩٤٠

إن البرازيل يوم محقت هذا الخطر الذى يهدّد صحة الأمريكيين جميعاً وسلامتهم ، قد علمت سائر الأمريكيين شيئاً يعسر على السلطات الصحية أن تتناساه . إن الملاريا لا تزال تستشرى فى كثير من بقاع الشق الغربى من الأرض ، فهى ما فتئت تصرع الملايين فى كل عام فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة . أجل إنها ليست من النوع الضارى كالذى جلبته الجامبيا إلى البرازيل ، كما أن بعوض الأنوفيل الذى ينقلها ، ليس كالجامبيا فى الصراع حيلة وبأساً . وهو أبسط طبيعة، والسيطرة عليه وإبادته أهون وأيسر وأقل نفقات .

لقد أثبتت البرازيل أن الملاريا مرض يمكن أن يجتثّ من أصوله ، فينبغى إذن أن تعد منذ اليوم ثكالا لا يجوز أن تكابد بطشته أمة من الأمم ، وأنها على جبين المدينة — حيثما وجدت — وصمة عار .



صورة أسرة أمريكية

ت. ا. مرحي • ملخصة عن مجلة "الغد"

في أحد الشوارع الهادئة في بلدة هرتفورد — بولاية كونكتكت — تعيش أسرة لها قصة، تبدو لأول وهلة كأنها من القصص البسيطة المألوفة . فهما رجل وزوجته ، هاجرا إلى الولايات المتحدة ، ثم أخذا نفسهما بالجد حتى يكونا أمريكيين خالصين . وقد وصلا الليل بالنهار لكي يستطيعا أن يعولا أطفالهما — وقد أصبح عددهم على مضى الزمن تسعة — ويوفرا لهم خير الطعام وخير الثياب وخير التعليم .

واليوم قد التحق ابنهم الأكبر جورج بالكتيبة الكيميائية الحادية والثمانين ، بعد أن أوشك أن يتم دراسته العليا في الكيمياء العضوية بالمعهد الهندسي في ماساشوستس . أما ابنتاها مرجريت وجلادس فقد تعلمتا التمريض . وقد تزوجت مرجريت رجلا سرياً من أصحاب المتاجر الكبيرة في شيكاجو ، وصارت جلادس عضواً ممتازاً في الهيئة الإدارية بمستشفى هرتفورد . أما كنث ، وعمره ١٨ سنة ، فقد التحق بسلاح الطيران الأمريكي ، وأما أخوه هارولد ، وعمره ١٧ ربيعاً ، فهو يجد في إتمام دراسته الطبية في جامعة شيكاجو . أما أليس فهي تتولى عملا مهما في أحد المصانع الحربية ، وأما « ماى » فتساعد أباها في عمله ، وأما الصغيران فلهما مشاركة في الصحافة ، ولم يزالا بعد في المدرسة الثانوية .

فهذه قصة تجرى مطابقة للتقاليد الأمريكية ، أما الشيء الذي يصونها أن تبلى أو تبتذل ، فهو أن هذه الأسرة كانت تواجه عقبات هائلة لابد من تذليلها ، فاسم الزوج «جون ماه» ، واسم الزوجة «ونج شي» !

منذ ثلاثين عاماً وقف جون ماه ، وهو إذ ذاك شاب في الثانية والعشرين ، ومعه زوجه الحسناء ، وعمرها تسعة عشر ربيعاً ، على سطح الباخرة منجوليا ، وهي تدخل ميناء سان فرنسسكو . وقد لاحت لهما جبال كاليفورنيا من خلال الضباب ، فضمت المرأة طفلها الصغير إلى صدرها ضما شديداً ، فقد بدت لها أمريكا شيئاً عظيما هائلا . ولكن زوجها جون ماه — الذي ولد في أمريكا وعاد إلى الصين ليتزوج — أخذ يهدئ روعها ويقول لها : « إن أمريكا مكان جميل ، وهي أرض الحرية . ويستطيع أبناؤنا أن

يبلغوا فيها الغاية التي يطمحون إليها » .

كان جون ماه على ثقة بأن زوجته ستواجه هذا العالم الجديد بجرأة وشجاعة . وقد اصطفاها من بين جميع الفتيات الفاتنات اللاتى قابلهن ، لأنه رأى عينيها يشتد بريقهما حين أخبرها أن التعليم فى أمريكا ميسر للأطفال جميعاً ، حتى البنات . ذلك أن ونج شى لم تذهب إلى مدرسة ، وهكذا كان شأن بنات الصين يومئذ ، ولكنها كانت تتحرّق شوقاً إلى الحرية والتعليم . ولقد أراد شيخ من رجال القرية أن يحذر جون ماه وينصحه ، فقال له : « إنها أبت ، حتى وهى طفلة ، أن تُكفَتَ قدماها (توضع فى قالب) . وهى تزعم أنه من السخف أن تنتظر المرأة لا تأكل حتى يفرغ زوجها من طعامه » . ولكن هذا لم يزد جون ماه إلا عزماً على أن يتزوج ونج شى . وبعد الزواج بسنة أبحرا إلى الولايات المتحدة.

اشتغل جون ماه خادماً فى منزل بسان فرنسسكو . وكانت ساعات العمل طويلة ، والأجر زهيداً ، فلم تكن الحياة أول الأمر هينة على الزوجة الشابة . وخرجت يوماً تتمشى ، وقد لبست ثيابها الصينية ، من معطف حريرى مطرز بالأزهار ، وسراويل حريرية سوداء ، فتعرض لها امرأتان أمريكيتان ، وعنفتاها على لبس هذا الزى الأجنبى ، فزلزلها ذلك زلزالا شديداً . وقد قال مستر ماه : « لقد اضطررت أن أخرج من فورى ، فأشترى لها ثوباً أمريكيا » . ومنذ ذلك اليوم لم تلبس الثياب الصينية ، واقتصدت بعض المال لتشترى آلة للخياطة ، وظلت بعد ذلك عشرين سنة تخيط الثياب لبناتها جميعاً .

وبعد قليل عزم مستر ماه على أن يرحل بأسرته إلى شرق أمريكا ، كى يغادر ذلك الحى الصينى فى سان فرنسسكو . ولم يلبث أن وجد عملا فى أحد المطاعم فى بلدة سالم بولاية ماساشوستس ، وسكنت الأسرة شقة صغيرة مؤلفة من غرفتين . ودخلت مرجريت المدرسة ، وهى أكبر الأطفال سنا . وحرصت الأم على أن تقص على أطفالها سيرة جدهم الأكبر ، وكان من كبار رجال العلم وأكبر أعيان القرية ، وأن الواجب عليهم هم أيضاً أن يصبحوا علماء .

وقد استطاعت الأسرة ، على فقرها ، أن تقتصد قليلا من المال ، ثم جاء يوم سعادتهم ، يوم صار فى ملك المستر ماه مطعم فى مدينة بسطن . وقد سماه ، والفخر يملأ صدره : « مطعم الحرية » .

كان العرف القديم فى الحى الصينى فى بسطن ، أن لا تسير امرأة مكرّمة فى الطريق وحدها ، فاستسخفت ذلك مسز ماه ،

وجعلت تخرج وحدها لتشترى حاجاتها . وكانت لاتنكف عن تقريع النساء الصينيات وإرشادهن ، وتسألهن لماذا يقضى على المرأة الصينية أن تأكل بعد زوجها ، بدلا من أن تأكل معه ؟ ولماذا يكتب عليها أن تجثم فى غرفة خانقة، وفى وسعها أن تتنزه فى الحدائق؟ واستطاعت أن تستميل جماعة منهن أن يخرجن معها إلى أكبر الحدائق العامة فى بسطن ، حيث كن يجلسن وجلات حييّات على العشب الرطب ، فأعجبهن ذلك،فلم يلبثن أن أخذن يتجولن فى الحديقة حيث شئن . فكان ذلك انتفاضاً ثم نصراً لمسز ماه .

ولكن هنالك أشياء منعت أن تكون الحيـاة فى بسطن نصراً مطرداً لمسز ماه . فإن الأحـداث المتمردين قد نغصوا عيش أطفالها ، فهم يسخرون بهم وينبزونهم بالألقاب ، ويعتدون عليهم . وليس هـذا فحسب ، فقد ساءت حالة المطعم أيضاً ، يوم افتتح بإزائه مطعم صينى أكبر منه وأفخم ، فاضطر المستر ماه أن يغلق مطعمه . فكان يوماً عصيباً ، وقال المستر ماه : « عرفنا اليـوم أن من الممكن أن يخفق المرء فى أمريكا ثم يبدأ من جديد . وعذرنا أننا لم نبن أمرنا على الثقة » .

وترك أسرته فى بسطن وانطلق إلى مدينة هرتفورد فى ولاية كونكتكت . وانقضت شهور طويلة حتى اقتصد المال الكافى لاستدعاء أسرته من بسطن . وقد رضى الأطفال عن السكن الجديد فى هرتفورد ، مع أنه لم يكن سوى شقة موحشة . وكانت الدار تجاه مركز الشرطة ، فلم يلبث رجال الشرطة أن أنسوا بهؤلاء الصغار الصينيين ، الذين كانوا دائماً على جانب عظيم من النظافة، ويفرحون بأن يقضوا لرجال الشرطة ما يكلفونهم .

وفى ليلة من ليالى عيد الميلاد دهش أفراد أسرة ماه حين سمعوا طرقاً على الباب ، وعلى أثر ذلك دخل طابور من رجال الشرطة يحملون شجرة عيد الميلاد ، وعليها النجف والهدايا لكل فرد من أفراد الأسرة . قال المستر ماه : «كان عملا من ألطف الأعمال» .

وفى مدينـة هرتفورد لم يلق الأطفال ما كانوا يلقون من التعصب والتمييز ، وكانوا جميعاً متفوقين فى مدارسهم . وقد قال أحد المدرسين مرة : « إذا كان فى فصلك فرد واحد من أسرة ماه ، ضمنت لنفسك تلميذاً يبجلك ويوقرك ، ويصغى لما تقول ، ويجنى منه ولا شك بعض الفائدة » .

ويقول المستر ماه اليوم : « من حسن الحظ أننا أخفقنا فى بسطن ، ذلك أننا لو بقينا فى الحى الصينى فى مدينة بسطن ، لحرم الأطفال فرصة التقدم التى أتيحت لهم بالعيش

فى بيئة غير صينية » .

وصار مستر ماه من الأثرياء على مر الزمن، وأصبح يملك متجراً عظيما لبيع الأغذية بالجملة . وأتمت مرجريت دراستها الثانوية والتحقت بمعهد لتدريب الممرضات . وفاز جورج بالمجانية فى كلية أوبرلن . وسعد الأب والأم سعادة عظيمة ، فقد كان أبناؤهم ماضين فى طريق النجاح .

ثم نزلت بهم كارثة جديدة ، فقد أفلس أحد المصارف ، وفقد جون ماه كل ما يملك. ولكن الضربة كانت فى هذه المرة أخف وقعاً من الأولى . وهو يفتخر ويقول : « لقد كان فى وسعى أن أستدين من أى بنك فى هرتفورد ،لأنهم يعلمون صدق كلمتى ».

ولكن مسز ماه بادرت إلى إنقاذه ، فقد كانت لا تزال تدخر مبلغاً من المال منحها إياه أبوها يوم زفافها ، فقدمته اليوم لزوجها لكى يبدأ عمله من جديد .

واليوم يمتلك جون ماه مطعماً صغيراً ناجحاً فى شارع ملبرى فى هرتفورد ، وهناك امرأة صينية حسناء تجلس هادئة وراء الخزانة ، وإذا دخلت حيتك فتاة بلسان إنجليزى فصيح . وفى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر يدخل المطعم فتيان يصيحان يطلبان الطعام ، وعندئذ تسمع ثرثرة وبهجة وضحكا كثيراً ، فإن آل ماه جميعاً أقرب الناس ضحكا، ذلك الضحك الحار الذى يصدر عن قوم يكدحون ، ويعيشون لغاية وهدف ، ويجدون لذة فى تحقيقهما .

وفى سنة ١٩٤٢ استطاعت الأسرة ، بعد أن قضت ثلاثين عاماً وهى تعيش فى ربوع وتدخر الملاليم ، أن تشترى داراً ذات ثمانى غرف ، حيث تعيش الأسرة معيشة أمريكية خالصة. وقد عدلت مسز ماه طريقة طبخها كى تلائم الأذواق الجديدة التى اكتسبها أطفالها.

ولا يزال أفراد أسرة ماه يلقون من المجتمع الأمريكى شيئاً من النفور ، وهم يتظاهرون بالضحك من هذا . ومع ذلك فإن الحياة الاجتماعية للبنات ليست أمراً سهلا فليس فى الحى شباب صينى من لداتهن، وإذا ذهبت إحداهن إلى السينما أو إلى المرقص فى صحبة فتى من البيض ، نظر الناس إليهما نظرة التعجب . ومع ذلك ، فقد قضين وقتاً سعيداً فى العام الماضى ، يوم نزلت قوة من الطيارين الصينيين الشبان فى قاعدة جوية قريبة . وقالت أليس : «إنى أظن أن بعضهم سيعود إلينا بعد الحرب » .

ومسز ماه امرأة تجمع بين القوة وخفة الروح ؛ ولها آراؤها الخاصة . ولا تتردد فى التعبير عنها بكل صراحة . وإليها يرجع الفضل فى تربية الأطفال ، فإنها تناقشهم ساعات فى أمور مستقبلهم وحياتهم .

وأفراد أسرة ماه ، على اعتزازهم بأصلهم الصينى ، أشد اعتزازاً بأنهم أمريكيون . ولعل هذا هو الذى يفسر لنا ما فعله رجال الدولة المشرفون على الترويج لسندات الحرب ، فقد بحثوا عن شخص يمثل الروح الأمريكية أحسن تمثيل ، فلم يقع اختيارهم على أحد أفراد الأسر الأمريكية القديمة ، بل وقع اختيارهم على جلادس ماه ، فاستأذنت أن تتخلف عن عملها فى قسم الجراحة فى المستشفى ، لكى تبين للأمريكيين — فى ولاية كونكتكت — أن شراء سندات الحرب أمر عظيم الخطر .

لقد كنت مع أسرة جون ماه يوم اجتمعوا حول المذياع ليستمعوا إلى جلادس . كان صوتها ، حين انبعث من بوق الإذاعة ، عذباً هادئاً ، ينم عن الفهم والذكاء ، تسرى إلى بعض كلماتها نغمة خفية من التأكيد . قالت : « إن لأمريكا فضلا كبيراً علىّ وعلى أسرتى ، إذ منحتنا الحرية ، والعدل والمساواة ، والعلم ، والمعرفة » .

ونظر جون ماه إلى زوجه وابتسم — كما ابتسم إليها منذ ثلاثين عاماً فى سان فرنسسكو — ثم قال : « أرأيت ؟ ألم أقل لك إن الحياة فى أمريكا جميلة جدا ؟ »

كل هذا والجحيم

مات أمريكىّ من الطراز القديم ، بعد حياة حافلة بالتّعب والعمل ، وكان أول من لقى فى العالم الآخر خادماً أخذ يريه حجرة ضيوف كأنها مقصورة فى قصر فخم وقال له : « هذا جناحك ياسيدى ، والقاعدة الوحيدة هنا ، هى أن تقرع الجرس فآتيك بما تريد . ما عليك إلا أن تضغط الزرّ » .

وبعد شهر جلس الأمريكى فى مقعد مريح ، تحيط به زجاجات الشراب وعلب السيجار والبنادق وأجهزة صيد السمك وراديو ، وكلّ ما يصبو إليه الرجل . ولكن عينه كانت تنفجر بالغضب . فضغط الزرّ كأنه يطعن بخنجر ، فظهر الخادم فقال : تعال يافتى . أريد شيئاً أعمله . أريد عملا . فقال الخادم : يؤسفنى يا سيدى . أننا لا نستطيع أن نلبى ، فالعمل هو الشىء الوحيد الذى لا نستطيع أن نتيحه لنزّالنا . فقال الأمريكى : ماذا تقول ؟ لا أستطيع أن أجد عملا أعمله ! ؟ إنى لأفضل أن أكون فى الجحيم

— ولكن ياسيدى أين أنت ؟ !

آخر معارك المدمرة "بورى"



جون هيرسي ... ملخصة عن مجلة "لايف"

في ليلة حالكة السواد ، عاصفة الريح ، من ليالي شهر أكتوبر كانت المدمرة الأمريكية القديمة « بورى » تمخر عباب المحيط الأطلسي مضطربة حائرة ، بسرعة ١٧ عقدة ، إذ كانت قد فرغت من إغراق إحدى الغواصات وراحت تبحث عن غواصة ثانية .

وسرت هزة كالكهرباء على ظهر المدمرة « بورى » المعتم ، عندما صرخ صارخ يعلن اتصالهم بسفينة مجهولة النسبة . وكذلك بدأت معركة من أعجب معارك البحر بين سفينة ملتحمة بسفينة .

لم يكد قبطان المدمرة « بورى » — وهو الملازم تشارلز هتشنز ، في الثلاثين من العمر — يعلم نبأ هذا الاتصال بالسفينة المجهولة حتى نكس رأسه وأرسل ذراعه بحركة اعتادها ، كمن يمسك بيده عصا يوشك أن يهوى بها على غريمه ، ثم أصدر أمره بزيادة السرعة . والمدمرات من السفن الدائمة البلل ، فلم تكد « البورى » تدرك سرعة ٢٧ عقدة حتى كان الماء يضرب أعلى أبراج السفينة . وبلغ من شدة عباب البحر أن تهشمت أربع طاقات من البرج يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدماً فوق سطح الماء .

وبعد وقت قصير انقطعت صلة « البورى » بالسفينة المجهولة على سطح البحر ، فأمر الملازم هتشنز بإدارة جهاز التسمع تحت سطح الماء ، وإذا الاتصال يتم في أسرع من اللمح ، حتى إذا أصبحت المدمرة فوق الهدف مباشرة ، أمر الملازم هتشنز بإلقاء « قنابل الأعماق » ، وإطلاق مشعل عائم لتمييز نقطة الهجوم . وأصابت قنبلة الأعماق

ولد جون هيرسي في الصين . وتلقى علومه في جامعتي ييل وكمبردج . وعلى أنه لم يبلغ الثلاثين بعد ، فقد صار مراسلا لمجلتي « تايم » و « لايف » منذ ست سنوات . وقد اشتهر بعد نشوب الحرب بتصويره الرائع للمعارك التي تقع في كلتا الجبهتين الكبيرتين .

هدفها ، وأرغمت الغواصة على الصعود إلى سطح الماء .

ونسى أول رجل شاهد الغواصة أسلوب الخطاب البحرى التقليدى وصاح : « ها هى ذى — إلى يمين الضوء ! » . ورأوها على مسافة ٤٠٠ ياردة ، ضخمة تكاد تكون بيضاء . وعندئذ أمر الملازم هتشنز بتوجيه الأنوار الكشافة نحو الهدف .

وطاشت أول طلقة ، ثم راحت جميع مدافع « البورى » تصب نيرانها وهى تسير سيراً حثيثاً إلى الغواصة ، ثم انحرفت حتى إذا أدركت العدو واجهته عن عُرُض ، وكانت مبارزة المدافع من جانب واحد . وطاحت الطلقة الثالثة من مجموع مدافع « البورى » ببرج مدفعية الغواصة وألقت به فى البحر .

ورأى قائد الغواصة أن لا قبل له بمبارزة المدافع ، فاستدار ثم سدد أنابيب الطربيد الخلفية نحو المدمرة فأخطأتها . ثم عاد الملازم هتشنز بحركة دقيقة فجعل المدمرة فى محاذاة الغواصة . وراحت مدافع «البورى» فى الدقائق التالية تدق الغواصة دقاً هائلا . ثم تعطل تيار الضرب الكهربائى فى المدفع الأمامى ، فأطلقه ضابط المدفعية كنيث رينولدز بأن شد الحبل ، ولكنه انقطع . فأخذ يدفع مسمار الإطلاق بيده ، ولكنه لم يستطع أن يبتعد فى الوقت المناسب ليتجنب ارتداده إلى الخلف مسافة ٢٥ بوصة ، فتهشم ساعده ومعصمه تهشما شديداً حتى تورما فيما بعد وصارا فى ثلاثة أمثال حجمهما .

وظلت أمواج البحر الصاخبة تهدر وتتحطم على المدفع ، وقد أدركوا بعض الرجال مرتين ، والماء يجرفهم ويكاد يلقى بهم فى الخضم .

وأدركت المدمرة الغواصة الألمانية ، وبدأت تسبقها حتى تهيأت لشطرها بالنِّطاح وطالما كان من أحلام رجال « البورى » أن يبقروا جوف غواصة . بل إن الملازم هتشنز راح قبل ذلك بثلاثة أيام فحسب ، يلهو على كوة عجلة القيادة ، أمام ممسك الدفة تماماً ، ويرسم ثلاث دوائر حول مركز واحد وخطين يمران بالمركز . وسمى هذه الكوّة : منظار التوجيه للنِّطاح .

نكس الملازم هتشنز رأسه ورفع ذراعه وصاح بممسك العجلة : « هيا يا إيكنهد ، حاذها ، وجهها للنطاح » .

فأدار إيكنهد عجلة القيادة وقال فى صوت هادىء : «حسناً . يا سيدى ، لقد أدركتها»

وكان يبدو على الألمان أنهم ماضون فى طريقهم ، كأنهم لا يدركون ما يحدق بهم من خطر ، وبدا أن صدمة محكمة توشك أن تتم . وهيأ رجال المدمرة أنفسهم للنشوة

والصدمة ، ثم استدار الألمان فجأة وكسروا إلى اليسار ، وارتفعت « بالبورى » موجة ضخمة عاتية .

وهكذا جاءت الصدمة مخيبة للآمال ، فلا رجة ولا قعقعة ، وشالت الموجة مقدم « البورى » ثم هبطت به فى رفق على ظهر الغواصة ، أمام برج الدفة تماماً . وسكنت السفينتان ، وسقط مقدم إحداهما على مقدم الأخرى فى زاوية ، واشتبكتا فى وضع رهيب على صورة حرف V .

وسرعان ما زالت خيبة الأمل ليحل محلها جنون الفرح حين رأى رجال المدمرة أنهم سمروا الغواصة الألمانية فى مكانها . وزمجر الملازم هتشنز : « النار ! النار ! أطلقوا النار ! » . ثم أخذ يصيح مرة بعد مرة . وراح البحارة على ظهر المدمرة يتعانقون ويرقصون ويتصايحون .

وغمرت الأنوار الكشافة برج القيادة ، وراحت جميع المدافع الصالحة تفتح نيرانها على مرمى نطاق ثلاثين قدماً . ولم يعدم الألمان ضروباً من الشجاعة الخارقة ، فظلوا يخرجون من برج القيادة محاولين الوصول إلى مدافعهم ، وكان منظراً مروعاً . وقد أصيب أحد الألمان إصابة مباشرة فى صدره بقذيفة قطرها ٢٠ ملليمتراً ، فطارت رأسه وكتفاه فى ناحية ، وطار سائر جسمه فى ناحية أخرى . وظل أحد رجال الغواصة واقفاً مكانه لحظة ، بلا رأس .

وكان أثر الموقف مختلفاً باختلاف الأشخاص . فضابط الأهداف كارل بانكس وهو فتى خجول وديع الطبع ، ظل يصيح « اقتلوا الأنذال ! اقتلوهم ! » . ومساعد رئيس المدفعية ريتشارد وينز لم يشأ أن يضيع وقته فى البحث عن مفتاح غرفة الأسلحة الصغيرة ، فحطم الباب بجميع يده ليحمل البنادق إلى البحارة . وفى غرفة تخطيط السير أكب الملازم فيليب براون على رسم تطور المعركة ، ثم ذهب فى إبان المعمعة إلى القبطان قائلا : « لقد أنجزت التصميم يا سيدى . سحقاً لمهمة الرسم فى هذه المعركة . إن جميع الحقائق الأساسية التى يقتضيها الرسم ، قد أصبحت تحتنا تماماً ! » وعندئذ تناول الملازم براون بندقية ، ووقف هادئاً حتى صعد إلى ظهر الغواصة أحد الألمان ، ثم رفع بندقيته كما يرفع المدرس مؤشراً على السبورة ، وقتل رجلا آخر ! .

وكان بحار المطافىء ديفيد سوثويك واقفاً على سطح المدمرة على مسافة ١٥ قدماً فقط من برج القيادة ، فجرد خنجراً طوله خمس بوصات من غمده ، ورمى به ألمانيا كان يهرول إلى أحد المدافع فأصاب بطنه

وسقط فى البحر . وتناول والتر كيرتز ، مساعد ضابط المرساة والقوارب ، صندوقاً فارغاً من صناديق القنابل طوله أربع بوصات ، وانتظر حتى رأى ألمانيا يتسلل من برج القيادة وقذفه بالصندوق ، فهوى إلى البحر . ولم يجد البحار إدوارد ماليني سلاحاً فاطلق رصاصة من رصاص الإشارات التى لاتقتل ولكن لهيبها يسبب حروقا شديدة !

ولم يكن من المستطاع إطلاق بعض المدافع الرشاشة ، لأن بينها وبين الغواصة دروعاً من الصلب، ولكن البحارة خاطروا بحياتهم وأطلقوها خلال تلك الدروع فزقوها . فاتسع المجال للمدافع ، ورأى الطاهى الزنجى كريستوفر كولومبس شبرد ، المكلف حشو المدفع رقم ٤ ، أن الذخيرة لا تصله بسرعة كما ينبغى . فجرى إلى مخزن القنابل ، وحمل قنبلة ثقيلة ووضعها فى المدفع وتسلق إلى مكان ضابط الرماية ، الذى كان قد عمى ، وأطلق القنبلة ، وهبط من مكانه ثم جرى ليحضر قنبلة ثانية ، وظل يطلق مدفعه على هذا النحو . وقد استمر هذا الصراع المتصل وجهاً لوجه عشر دقائق ثم انفصلت السفينتان

وقد بلغ عدد القتلى من الألمان ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ، ولم يقتل أحد على ظهر « البورى » ، ولكن جاء نبأ من قلب المدمرة بأن غرف الآلات أخذت تمتلىء ماء ، ولم يكن ذلك من فعل الألمان بل من فعل الجو . فإن أمواج البحر الهائج ظلت تصدم أنف السفينتين بغير انقطاع ، واستطاعت الغواصة — لأنها أعدت لمقاومة ضغط الماء الهائل تحت سطح البحر — أن تحتمل هذا الطحن دون المدمرة التى لا يزيد سمك غشائها عن ١٦ر٣ من البوصة .

وقد تسرب الماء إلى غرفة الآلات الأمامية حتى غمر البحارة إلى صدورهم . ولما كانت الآلات فى مأمن من تسرب البخار من الداخل فقد كانت كذلك آمنة من دخول الماء إليها ، ولهذا ظلت تعمل دون أن تتعطل . وكلما ترنحت السفينة وتمايلت طاح الماء بكل شىء متحرك ، وسرعان ما بدأ الماء يجترف البحارة حول الغرفة مع الألواح الأرضية وغيرها من الحطام . فأصدر كبير المهندسين الملازم موريسون براون أمره إلى الجميع بأن يغادروا الغرفة ، وبقى وحده ليعمل ما فى استطاعته .

واستمرت المباراة المدهشة فى الذكاء والحيلة ، فنشطت الغواصة إلى الأمام ثم دارت إلى الشمال لتجعل مؤخرتها مرة ثانية نحو المدمرة وترميها بالطربيد ، فدارت « البورى » أيضاً إلى اليسار . وراحت الغواصة تدور دورة صغيرة متجهة إلى اليسار ، وكذلك فعلت « البورى » .

ولكن قطر دائرة الغواصة كان أصغر من قطر المدمرة ، ولم يدر الملازم هتشنز كم دارت السفينتان قبل أن يفكر في حيلة للخروج من هذا المأزق ، فأطفأ الأنوار على أمل أن تلوذ الغواصة بالفرار .

وقد كان . فلما أضاء النور وجد العدو قد مرق بمسافة ٤٠٠ ياردة إلى الشمال ، وعندئذ أصدر أمراً ساعده على كسب المعركة ، وهو تركيب قنابل الأعماق على نحو يسير .

وعلى الرغم من إخفاق المحاولة الأولى في مصادمة الغواصة ، فإن شهوة إغراق العدو بمصادمة ظلت متحكمة في النفوس على ظهر المدمرة ، ولهذا أصدر الملازم هتشنز أمره بمصادمتها . ولكن قائد الغواصة في هذه المرة لم ينحرف ولم يفر بل عزم على أن يصادم المدمرة ، وبهذا تعرضت « البورى » بغشائها الرقيق للتحطيم .

وفي لمحة خاطفة من لمحات العبقرية في النضال ، أمر الملازم هتشنز محرك الدفة أن يدور إلى أقصى اليسار ، وأن يسكت آلات الجانب الأيمن ، مع إدارة آلات الجانب الأيسر بأقصى قوتها . وكان من جراء ذلك أن وقفت السفينة دفعة واحدة مع استدارة مؤخرتها إلى الغواصة القادمة . وفي اللحظة الملائمة تماماً صاح بضابط قنابل الأعماق لورنس كوين : « هيا يا لارى ، صب عليهم بطارية الجانب الأيمن » .

وطاحت ثلاث قذائف مستديرة في الهواء ثم سقطت على مقربة من الغواصة — اثنتان من جانب ، وواحدة من الجانب الآخر ، فطفرت الغواصة من الماء ثم هبطت تكاد تمس « البورى » . وقد قال رجال السفينة إنه لو زاد طلاء إحدى السفينتين طبقة واحدة لحدث بينهما التصادم في تلك اللحظة ! .

واستطاعت الغواصة على نحو ما أن تعود إلى النضال ، فكانت كالثور الأسباني الذي يأبى أن يسلم بأنه يعالج سكرات الموت . فتسللت نحو مؤخرة « البورى » وأطلقت نيرانها من زاوية . ثم حدث في حين غرة أن طاح برج الغواصة كله في البحر ومعه كل من فيه . بطلقة مدفع من الكابتن كنيث رينولدز ، فتدفق الماء وارتفع أنفها فوق الماء ، ثم هوت إلى الأعماق ، وسمع لها انفجار هائل تحت سطح الماء . وقد استغرقت المعركة ساعة ودقائق أربع .

وساعتئذ كانت « البورى » في محنة خطيرة ، فلم يعد يعمل من آلاتها سوى آلة واحدة . وظلت السفينة تعب الماء في مقدمتها والمولدات مكشوفة عارية . وبرغم ما بذل الملازم هتشنز من جهد اليائس حتى

تدرك السفينة موعدها فى الفجر مع سائر مدمرات القافلة ، لم تستطع أن تفعل . وفى محاولة يائسة للتخفيف من عبء السفينة ، ألقى فى البحر كل ما يمكن أن يلقى من الأشياء.

وطلع الفجر قاتماً غير أبلج ، فكان من العسير على طائرات الحاملات التى ترافق المدمرات أن تعثر على « البورى » ، ونفد الوقود من مولد الغاز الاحتياطى الذى يدير آلة الراديو ، وبذلك صمتت « البورى » ولم تستطع أن تتصل بها . وجلس الضباط حول غرفة الراديو فى حيرة ماذا يصنعون ؟ إنهم يعلمون أن « البورى » لو استطاعت أن ترسل إشارات لاسلكية لازداد الأمل فى العثور عليهم . وأخرج أحدهم سيجارة أشعلها من قداحته ، فتذكر الملازم روبرت لورد أنه رأى وقوداً للقداحات على مكتب ضابط آخر ، وأذيع عندئذ بين جميع من بالسفينة أن يرسلوا وقود قداحاتهم إلى غرفة الراديو ، وبذلك دار المولد مدة كانت كافية حتى يرسل عامل اللاسلكى هذه الرسالة : « نستطيع أن نسير ساعتين أخريين . وقد بدأنا نغرق » ، وفكر أحدهم فى استعمال الكحول الخاص بالمرضى ، وأمكن خلطه بالكيروسين لإدارة المولد بما يكفى لترديد علامة النصر V بغير انقطاع — ثلاث نقط وشرطة . فالتقطت إحدى الطائرات هذه الإشارة وعثرت على « البورى » .

فلما ظهرت سفينة الإنقاذ حوالى الظهر طلب الملازم هتشنز أن يسمح له بضع ساعات : « لأنقذ هذا الدلو إن استطعت » ولكن الحالة تطورت من سيء إلى أسوأ . فلما عادت السفينة قبيل الغسق حال هياج البحر دون محاذاتها للبورى ، ولم يسمح الوقت بنقل البحارة بعوامات الإنقاذ ، فلم يكن لهم بد من النزول إلى الماء القارس والتعلق بالأطواف .

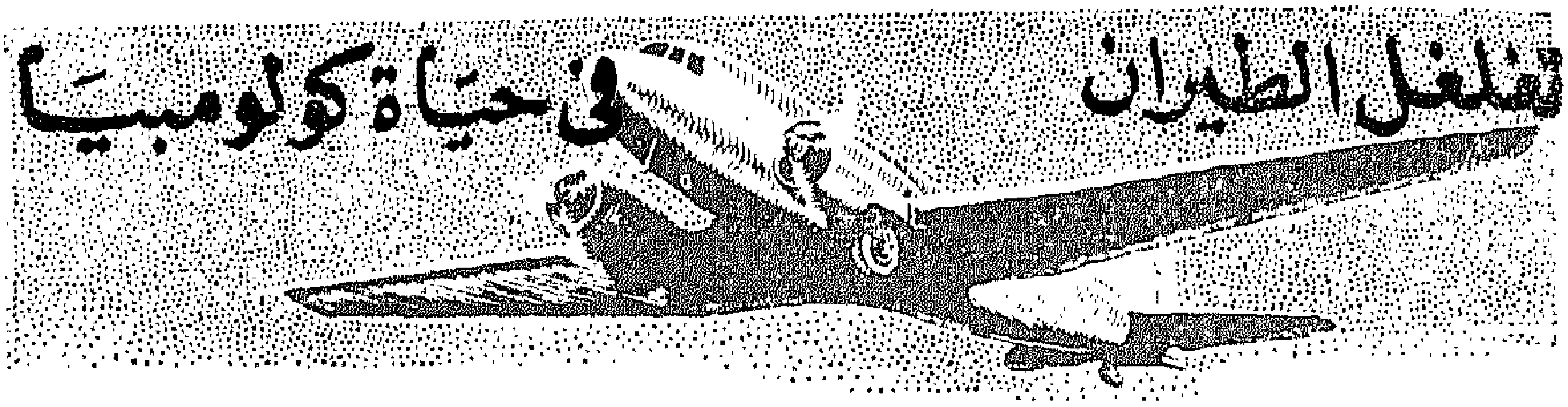
كانت حرارة الماء لا تزيد على ١٢ درجة فوق درجة التجمد ، فقضى نحبه ٢٧ رجلا وبينهم الملازمان براون ولورد . وقد ظلوا طوال المعركة الحامية التى دارت قبل ذلك بساعات قلائل لم يمسهم سوء .

وبعد أن غادر المدمرة جميع رجالها ، تناول الملازم هتشنز مشعلا وذهب ، وحيداً منقبضاً ، يتفقد مختلف الغرف المهجورة فى أول سفينة يتولى قيادتها . كان الظلام والسكون يخيمان فى كل مكان فلم يبق على ظهرها أحد سواه ، فصعد القبطان على ظهر السفينة ، متأبطا علم « البورى » ، واتجه إلى جانبها ونزل إلى الماء .

وبعد لحظة ، شاهد من برج لم يألفه ، سفينة ترفع مقدمها محتجة حانقة ثم تغوص فى أعماق المحيط .

« إحدى بلاد أمريكا اللاتينية تعرض لمحة عن مستقبل الطيران بعد الحرب »

تغلغل الطيران في حياة كولومبيا



فرنك. ج. تايلور • ملخصة عن مجلة « زي پان أميريكان »

أصبح أهل كولومبيا اليوم أكثر شعوب الأرض تشبعاً بفكرة الطيران ، لأنهم طفروا بوسائل النقل ، من العربات التي تجرها الثيران إلى الطيران ، في عشر سنوات . وقد أحدثت خطوط الجو الجديدة الباهرة انقلاباً في اقتصاديات كولومبيا ، ومهدت سبل الاتصال بالسهول الساحلية الاستوائية ، والأودية الخصبة ، والنّجاد المرتفعة . وأصبح أهل كولومبيا ، وهم ثمانية ملايين ، شعباً واحداً بعد أن فصلتهم قروناً عدة ، الجبال الهائلة ذوات السفوح الهاوية . فكولومبيا اليوم معرض لما سيكون عليه أمر الدنيا بعد الحرب ، يوم تغير الطائرات أحوال بلاد أخرى لم تزل مخلدة إلى الأرض .

لم تكن أقيانكا ، شركة خطوط الجو في تلك البلاد ، تملك سوى عشرين مطاراً منذ أربع سنوات . أما الآن فتمتد خطوطها ٨٫٠٠٠ ميل ، وتصل بانتظام إلى ٨٢ مكاناً آهلا بالسكان ، سوى عشرات أخرى تطير في رحلات خاصة . وستصل عما قريب إلى ضعف هذا العدد . ومن أبرزها مثالا بلدة مناجم تسمى أوتو ، كانت أقرب مدينة إليها على مسيرة ثلاثة أيام ، بالسكة الحديدية ثم على ظهور البغال ، أما اليوم فهي منها على ساعتين ونصف بفضل طائرة الصباح .

وتعد خطوط شركة أقيانكا الممتدة في براري تربية المواشي الفسيحة الواقعة جنوب شرق هذه البلاد ، من عوامل النشاط التي ليس لها مثيل . فإن المزارع الذي يريد السفر أو يريد شحن بضاعته ، يبسط ملاءة بيضاء على طرف مهبط للطائرات : على الطرف الشرقي إذا كان يريد الشرق ، وعلى الغربي إذا أراد الغرب . فإذا مر بها أحد طياري شركة أقيانكا فرآها ، هبط بطائرته إن كان طريقه حيث يريد هذا المسافر .

وأول من يهبط من الطائرة أحد العمال ، ليبيع التـذاكر وطوابع البريد الجوى ، ويزن البضاعة المنقولة جواً ، ريثما يختبر الطيار المساعد أجزاء الطائرة ، أما الطيار فيتولى بيع الجرائد . وهكذا أصبح أهل كولومبيا يقرأون جرائد المـدن الكبرى يوم صدورها ، بعد أن كانت الأخبار تصل إليهم على ظهور البغال .

وتقع غابات أعالى الأورينوكو فى جنوب البرارى حيث تهبط طائرات شركة أڤيانكا إلى ميادين صغيرة مهدت فى جوف الغاب ، وعلى الجزر الرملية فى مجرى الأنهار ، فتحمل المطاط وقشور شـجر الكينا وغيرهـا من المواد ذوات القيمة الحربيـة ، فتدفعها إلى سفن الملاحة النهرية فتنقلها هذه إلى المخابىء التى أعدتها الولايات المتحدة للمواد الحربية فى البحر الكاريبى . وتقوم طائرات أخرى بنقل المعادن والأسماك والفواكه والزهور والآلات من مراكز كولومبيا النائيـة جيئة وذهاباً .

وتعـد الخطة التى دبرها الكولومبيون لأمريكيون للاستيلاء على أول خطـوط كولومبيـا الجوية ، وهى شركة سكادتا التى كان يسـيطر عليها الألمـان ، من أعجب مفاجئات السنين الأخيرة ، إذ وصل شباب من « السـياح » الأمريكيين قبل تنفيذها بأسبوعين ، وظلوا يستقلون خطوط شركة سكادتا كأنهم ركاب ، غير محدثين أى إزعاج ، ملصقين وجوههم بالنوافذ . وجاء يوم فسلمت ظروف مغلقة إلى جميع الطيارين والموظفين والميكانيكيين الألمـان ، وهم يغادرون مكاتبهم أو قواعدهم الجوية ، وفى كل ظرف رسالة رقيقة تعبر عن تقدير حكومة كولومبيا . للخدمات التى أداها الألمـان فى هذا الميدان البكر ، ومعه حوالة مكافأة للاستغناء عن خدمتهم ، ومقدارها مرتب شهر عن كل سنة مضت له فى العمـل . وفى الصباح التـالى ظهر « السـياح » الأمريكيون الشبان فى بزة طيـارى شركة « بان أميركان » ، وقادوا طائرات شركة سكادتا ، لم يعقهم عائق . أما الطيارون السابقون ، وجميعهم من الضباط النازيين الاحتياطيين ، فقـد أخرجوا من البلاد على عجل . وهكذا حيل بين قناة بناما وبين تهديد نازى عظيم . وفى ليلة واحدة أدرك أهل كولومبيـا مطمحهم فى امتـلاك خط جوى قومى .

وستقسم ملـكية شركة أڤيانـكا ، تبعاً للتنظيم الجـديد ، إلى ٤٠ ٪ لحـكومة كولومبيا و ٢٠ ٪ لمساهمة أهل كولومبيا و ٤٠ ٪ لشركة خطوط « بان أميركان » ، أما الإدارة فهى فى أيدى الكولومبيين برياسة مارتن دل كوال ، وهو مهندس تخرج فى

الولايات المتحدة . ويزداد عدد الكولومبيين فى وظائف الطيران والوظائف الفنية تبعاً لسرعة تدريبهم ، أما الميكانيكيون وموظفو الحركة فجميعهم كولومبيون .

وقد صرح موظف كولومبي مسئول فقال : « إن أفيانكا من مشاريع الاستثمار الأمريكية التى نريدها ، إنها اشتراك صادق بين الكولومبيين والأمريكيين ، ونحن فى حاجة إلى المزيد من مثلها لاستغلال مواردنا » .

وعلى أن شركة أفيانكا لا تنال إعانة من الحكومة ، فهى تعطى المساهمين أرباحهم بإنتظام ، حتى يوم كانت تستبدل بالمعدات الألمانية طائرات أمريكية حديثة من صنع شركات دوجلاس ولوكهيد وبونج .

ولم تزل الطائرات الألمانية المائية تستخدم على امتداد نهر مجدلينا — وهو بمثابة مهبط فسيح ، طوله ٧٠٠ ميل ، وهناك أيضاً طائرات فورد القديمة ذوات المحركات الثلاثة لنقل المطاط . ويرتقب الكولومبيون أن يستخدموا بعد الحرب، الطائرات التى تصعد فى الجو صعوداً عمودياً ، للهبوط بها فى قرى الجبال والغابات ، وهم يرتبون اليوم أمر نقل لحم البقر المبرد من البرارى إلى المدن التى تحتاج إليها فى ست ساعات ، متبعين نفس الطريق الذى تقطعه الدواب فى ستين يوماً . ويصبح فى وسعهم أن يعرضوا فى الأسواق الأمريكية زهرة الأركيد ، التى تنبت من تلقاء نفسها فى أوديتهم ، وكل اثنتى عشرة زهرة منها تساوى عندهم قرشين ، وأن يعرضوا فيها أيضاً الأناناس الطازج والسفرجل وغيرهما من أطايب الثمرات التى لا تحتمل السفر بحراً . وهم يرجون أن تعود الطائرات محملة بالمحصولات الأمريكية، وبالأمريكيين الذين سيجدون فى جبال الأندس العالية المنيعة ، مصطافاً لا تنقطع عنه النسمات البليلة . وليس هناك ما هو أوضح فى تصوير هذا التغير من هذه الكلمات التى قالها أحد الكولومبيين :

« عندما صعدت جدة زوجى ، أول مرة ، فى نهر المجدلينا فى رحلة إلى مدينة بوجوتا ، ركبت طوفاً مسقوفاً بالقش ، واستغرقت ثلاثة شهور . فلما قامت أمها بتلك الرحلة فى سفينة ذات مجداف بخارى مستدير كالعجلة ، استغرقت ثلاثة أسابيع . فلما طارت زوجى إليها من مدينة برنكويلا ، استغرقت أقل من ثلاث ساعات » .

اختلف الناس فى نطق اسمه ولكنهم
لم يختلفوا فى أنه أمكر فصيلة الذئاب

"الكيوت" الماكر



لوس نورديك

ملخصة عن
"ناتشر مجازين"

لقد طورد الكيوت أكثر مما طورد أى حيوان أمريكى آخر ، واستخدمت فى مطاردته كل وسيلة أو خدعة يعرفها الإنسان — بمعاونة الحكومة المحليـــة وحكومات الولايات والحكومة المتحدة — فى معركة لا تنقطع لاستئصال شأفتـه ، فيقتل منـه فى كل عام ما يربى على ٥٠٠,٠٠٠ فى الولايات المتحدة . ومع ذلك فلا يزال هذا الذئب الصغير الماكر محتفظاً بمكانته ، إذ يوجد منـه اليوم عدد لا يقل عن ٢,٠٠٠,٠٠٠ وقد انتشر من موطنه الأصلى فى البرارى والجبال الغربيـة إلى مناطق كثيرة جديدة مأهولة .

ويستطيع الكيوت أن يرتد إلى البقاع الخالية فى المزارع الواسعة والأراضى البور حيث يعيش ناعم البال بعض الشىء ، ولكنه لا يرضى بمثل هـذا العيش ، فهو يحب أن يبقى بين أعـدائه يخاتلهم ويصاولهم ملتهماً طعامهم وأرزاقهم .

ولقد قال حديثاً أحـد الصيادين الذين تستخدمهم حكومة الولايات المتحدة ، يوم وجد أن الطعم قد سرق من جميع مصائده ، وهى ست وثلاثون مصـيدة : « إن الكيوت هو أرشق محتال حى » . فيوم اتخـذت بقعـة من موطنه فى ولاية تكساس لتـدريب قاذفات القنابل هجرها مؤقتاً ، ولكن سرعان ما رجع إليهـا يتحسس أحوالها ، فوجد أن الأمور ليست بالغة من السوء مبلغاً جسيما فبقى بها . وهو يقيم الآن فى منطقة التدريب تماماً ، ولكنه قليل الحفل بالقاذفات أو بالقنابل التى يرجع إليها الفضل فى إبعاد الصيادين وكلاب الصيد عنه .

والكيوت أربد اللون ، أشبه بكلب صغير من كلاب الرعاة الألمانية ، وقلما يزيد وزنه عن ثلاثين رطلا ، وهو سريع العـدو ، وقد قدرت سرعتـه فكانت ٤٠ ميـلا فى الساعة . ويعده العلماء جنساً دنىء الرتبة من فصيلة الذئاب ، ومع ذلك فله من شدة الدهاء ما جعله يكثر ويتكاثر فى بقـاع قد انقرض منها « اللوبو » الذى كان يفوقه قوة وشراسة .

لم يروَ أن الثعلب الخبيث ، الذى يتردد ذكره فى قصص الأطفال ، أتى بخدعة باهرة كالتى أتى بها « تيبى » وهو ذلك الكيوت الذى استأنسته إحدى أسر تكساس وربته فى منزلها . فقد ظل « تيبى » مولعاً بالدجاج حتى بعد استئناسه ، فجعل يسطو عليه . فسلسلوه فى ركن من أركان المنزل ، وأطعموه فتات الطعام . ولكن سرعان ما ذهب ينثر هذا الطعام على مد قيده ، ثم عاد واختفى خلف الركن . فاندفع الدجاج بحماقته يلتقط الفتات ، فتلقف « تيبى » طعامه من لحمها الغض .

ويندر أن يكون الكيوت بديناً ، فهو على وفرة ما يأكل يظل رشيق القوام ، ليكون على أهبة لما لابد له منه من عدو وقتال ، وهو فى القتال كالبرق الخاطف . ومن خبثه المنكر أن ينشب أنيابه فى جسم عدوه ثم يجريها فيه . وهو لا يقاتل إلا فى الضرورات لأنه يؤثر المكر والدهاء .

وإذا خرج أحد الرعاة يطوف بأرضه راجلا أو ممتطياً جواده ، غير مسلح ، فقد يشاهد هذه الذئاب قريبة المرمى . فيعود فى المرة التالية ومعه سلاحه ، فلا تقع عينه على ذئب ما ، ويقول الصيادون الذين يعملون فى قسم الحياة البرية بالولايات المتحدة إن الكيوت لحدة شمه يستروح رائحة البندقية . أما العالم المواليدى ستيوارت إدوارد هوايت فيخالفهم ويظن أنها ترجع إلى نوع من حاسة « قراءة الأفكار » التى لا يعرف الإنسان عنها شيئا .

ويمتاز الكيوت بالمهارة الفائقة فى أن يحصل على صيده ولم يتعب فيه تعباً . فهو يترصد زبزباً غافلا (حيوان لاحم بين الكلب والسنور) يتبش جحر حيوان صغير ، ثم ينقض على هذا القارض الذى كدح الزبزب حتى أثاره من جحره . ويرقب الطيور الجوارح ويختطف منها فريستها أو الغذاء الذى تعثر عليه ، ولكنه يعرف الحدود التى لا يتجاوزها كيلا يعرض نفسه للهلاك . ويقول الصيادون ذوو الخبرة إنهم لم يسمعوا قط أن الكيوت قد أكل من فريسة سبع الجبل

ويتقمم الكيوت طعامه من الطرق الزراعية ، فقد علم أن المسافرين ينبذون بقايا الطعام وأن السيارات تدهم القوارض والطيور فتقتلها . وهو يؤثر الدجاج والخراف وإن كان يأكل كل طعام ينتجه البشر ، وكثيراً مما يعافه الناس كالحيات والسحالى والحشرات ، فإذا وجد الفاكهة جعلها حلواه .

وقد قام فير نون بالى العالم المواليدى الخبير بقسم الحياة البرية بفحص ما تحتوى معدة ٤٥٠ كيوتاً أتى بها من ولاية أوريجون ، فوجد أن ١٧٧ منها كان غذاؤها الأرانب البرية على اختلاف أنواعها ، وأن ١٣٧ قد



التهمت أنواعاً مختلفة من القوارض الأخرى. وكانت نتيجة أبحاثه أن الكيوت «قد يكون ذا منفعة كبيرة فى الحد من تكاثر الأرانب البرية والأرانب الأمريكية، والسناجيب الأرضية، ونقار الشجر، وفيران الجبال، وفيران المراعى وسائر القوارض الصغيرة».

ويعيش الكيوت فى وجار يحفره فى سفح تل أو تحت صخرة ناتئة أو تحت جذع شجرة. وهو يتخذ فى الغالب وجارين أحدهما للأم وصغارها والآخر للأب، ويعتقد الباحثون فى قسم الحياة البرية أن الكيوت يلازم أنثاه سنة على الأقل، وقد لا يفترقا طول الحياة، فقد رأوا أزواجاً بعينها يعاشر بعضها بعضاً أزماناً طويلة. وقد رأوا أيضاً بعض حروب طاحنة قد دارت رحاها من جراء تهجم العزّاب على حياة الأسر.

والمألوف أن تجرى حرب دامية بين الخطاب من أجل استمالة الأنثى التى لم تتزوج بعد، ولا يمضى وقت طويل حتى تصاحب أحدهم وتنطلق، وينصرف سائر الخطاب. وليس من دأب الأنثى أن تستأثر بأشد المحاربين بأساً، فإنها قد تختار من تلقى منهم أوجع الضربات.

وتضع إناث الكيوت مرة واحدة فى السنة، فتنسل ما بين أربعة جراء إلى عشرة فى بطن. وللكيوت فى بيته نظام قاس، فأول درس يتلقاه الصغار أن الخطر قريب فى أية لحظة، وقد حرّم عليهم، مهما يكن من شىء، أن يتعدوا نطاقاً محدوداً يحيط بالوجار. وقد شاهد بعض علماء التاريخ الطبيعى رب أسرة يركض إلى منزله، فرآه الصغار فأسرعوا للقائه وهم يعدون يسقط بعضهم على بعض، ولكنهم يقفون عند حدّ محدود يبعد عن الوجار حوالى ٥٠ ياردة، مهما كانت المسافة التى تفصلهم عن أبيهم.

ويستغرق دور الحضانة أسبوعين، ثم يأخذ الوالد صغاره واحداً بعد واحد إلى خارج الوجار، كى يعلمه الصيد، فيبدأون بصيد الحشرات الكبيرة كالجنادب، ثم يتدرجون إلى صيد الفيران والأرانب. وبعد ذلك يرقب الوالدان هؤلاء الصغار وهم يتقاتلون، وكثيراً ما يدخلان بينهم لإرشادهم كيف ينبغى أن يكون القتال.

ويحمى الوالدان صغارهما أتم حماية حتى يبلغ عمرهم عاماً، وقد اشتدت سواعدهم. ويظهر أن الكيوت على علم ببعض المبادئ الصحية، فقد شاهد أحد رجال قسم الحياة البرية اثنين منه يمرغان صغارهما فى الرمل، فلما فرغا لم يرجعا إلى الوجار القديم، بل حفرا وجاراً جديداً غير بعيد عن الأول. فذهب يفحص الوجار المهجور فإذا هو ممتلئ بالبراغيث

وقد يرمى الذكر بنفسه على الكلاب الكاشرة ليذودها عن وجاره ، وكم زمرة من كلاب الصيد المطاردة قد تحيرت وأضناها تناوب زوجين من الكيوت فى الطراد ، فيستطرد لها أحدهما مدة من الزمن ، ثم يسكن ويستريح ، وينوب الآخر عنه فى طرادها . وهما يعدوان فى كل اتجاه ثم يخفيان أثرهما عند جداول الماء ، وكثيراً ما تنتحى كلاب الصيد ، حتى المدربة منها ، بأن تعدو فى دوائر ، على حين يهرب الكيوت ، وربما خيل إليك أحياناً أنه إنما يمتع نفسه برياضة ملؤها الجرأة .

والكلاب السلوقية المدربة هى ألد أعداء الكيوت ، فى الأراضى المنبسطة من غرب الولايات المتحدة ، وذلك لأنها تستطيع أن تقضى عليه بسرعة إذا ما رأته ، ولكن الكيوت قد تعلم شيئاً من فن التنكير ، وذلك أن د.م. بنتلى ، الذى طارد الكيوت بالكلاب السلوقية سنوات عديدة فى سهول تكساس ، قد شاهد فى الشتاء الماضى بعض هذه الذئاب تتمرغ فى الأعشاب حتى اصطبغ وبرها تماماً باللون الأخضر ، فإذا طوردت بعد ذلك توارت فى الأعشاب . وكثيراً ما ضلل هذا التنكير الكلاب السلوقية التى لا تعتمد فى صيدها على حاسة الشم . ومما يؤثر عن الكيوت أنه يثب على ظهور السيارات هرباً من الكلاب المطاردة ، فهو إذن قادر على أن يستنبط وسيلة جديدة للدفاع ، كلما استحدثت طريقة جديدة للهجوم .

هذا وللكيوت أساوبه فى تبليغ الرسائل ، إذ يعوى أحدها عواء حاداً فيتناقلونه واحداً بعد واحد ، فهل هو عواء نصر أو نداء إلف أو نذير خطر يقترب ؟ ذلك ما يفهمه الذئاب الآخرون ، أما الإنسان فليس فى استطاعته أن يحل رموز هذه الرسائل .

هنرى فورد يصحح

منذ زمن غير بعيد أسندت إلى إحدى الصحف القول التالى : « إن التقدم العلمى خلال الخمسين السنة المقبلة سيفوق التقدم العلمى خلال الألف السنة الماضية» . فلم يرقنى هذا الاقتباس لأنه محرف ، إنما قلت «خلال الخمس والعشرين السنة المقبلة » .

[هنرى فورد فى « ذى أميريكان مجازين »]

ولاية مشيجن تمهد الطريق كي يكون ..

نقل الدم في متناول الجميع

بول دى كروف
ملخصة عن مجلة " سيرفى جرافيك "



نقل فى العام الماضى عامل أصيب فى حادث سيارة إلى إحدى المستشفيات بولاية مشيجن ، وكانت حالته تتطلب السرعة فى حقنه بمصل الدم ، ولكن المستشفى ، اتباعاً للنظام المعتاد ، سأله أولا عن ضامن بوفاء الثمن ، فذكر عمدة بلدته وصاحب مصرفها . وتعذر الاتصال بكلا الرجلين بالتلفون ، وأدركت الجريح الغشية (الصدمة) ومات .

وتركت هذه المأساة أثراً عميقاً فى نفس الدكتور س . س . يونج ، مدير معامل الصحة فى ولاية مشيجن لقد أدى غلو ثمن المصل إلى حالة يمكن أن يموت فيها الناس من الغشية ريثما يتحقق مما لهم من رصيد . فكل وحدة من المصل التى تكافىء أكثر قليلا من نصف لتر من الدم الكامل ، يبلغ ثمنها فى الإنتاج التجارى خمسة جنيهات ، وقد يستدعى إنقاذ حياة واحدة ثمانى وحدات أو أكثر . وعرضها للبيع بأقل من هذا الثمن يحول دونه غلو الدم الذى يجب أن يشرى شراء من الواهبين .

ومع ذلك فقد كان الدكتور يونج يعرف أن هذا الانهيار المعروف بالغشية هو من أكبر أسباب الموت ، لا فى ألوف من الإصابات فحسب ، بل أيضاً عقب الجراحات الخطيرة التى كان يتوقع لها النجاح ، وأنه هو الذى يضرب الضربة القاتلة فى كثير من الأمراض المعدية ، ويقضى على كثير من ضحايا الحروق ، وأنه أحياناً يقتل الأمهات فى الولادة الطويلة العسرة ، وأنه يفزع الجراح وهو يكافح نزف الدم .

ومعظم الثقات متفقون على أن مرجع هذه الحالة المبهمة المخوفة المسماة بالغشية ، إلى تضاؤل مقدار الجزء السائل من الدم أى المصل . فإلى أين يذهب ؟ إن نزفاً خفيا يحدث من تلك الأنابيب الدقيقة ــ الشعريات ــ التى تصل الشرايين بالأوردة ، فيتحلب منها المصل إلى الأنسجة المجاورة ، ولا يجد القلب ما يكفيه من الدم ليقوم بعمله فى دفع الدم فى

الجسم ، فيشتد جوع الجسم للأكسجين الذى لا يزال الدم يحمله . ولو تيسر أن يعاد المصل إلى الدورة الدموية بنقله من شخص إلى آخر لتيسرت المعجزات فى إنقاذ الحياة .

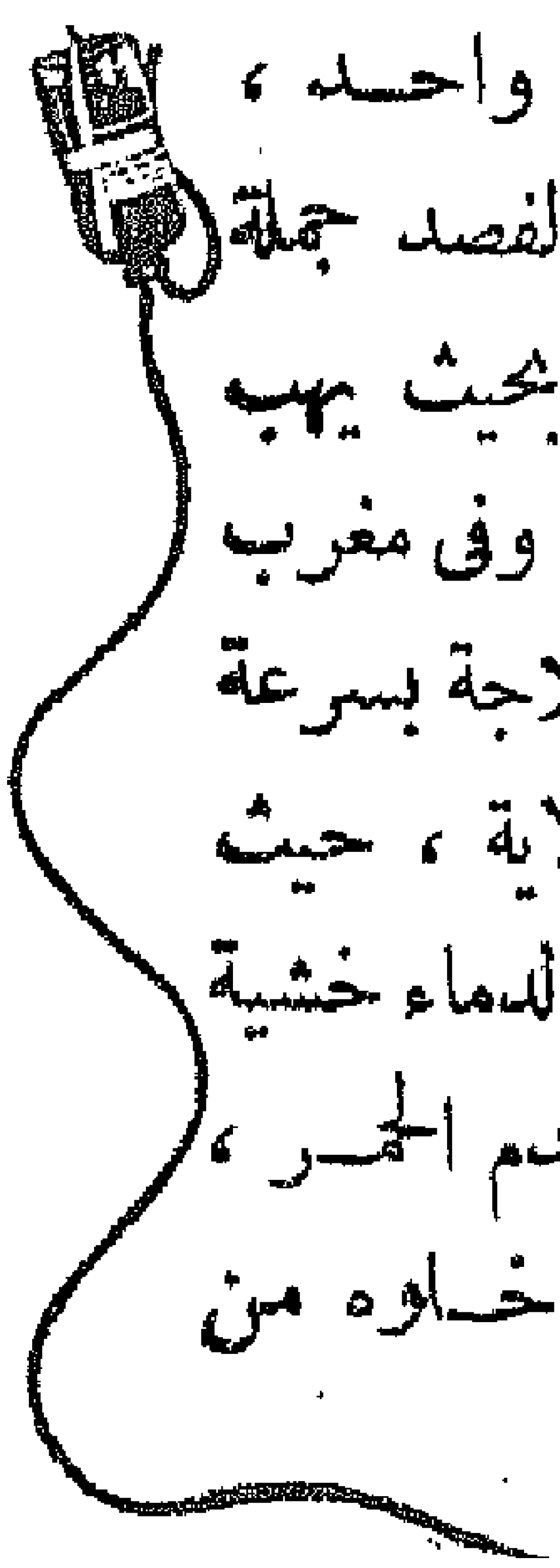
يقول الأطباء إن استعمال مصل الدم لاتقاء الغشية يمهد السبيل إلى دنيا لم تزل حرَماً ممنوعاً . وكثير من العمليات الجراحية الخطيرة فى المخ والصدر كانت مخافة الغشية تجعلها مستحيلة على الجراح ، ولكن التقدم بالمصل قد ينفث فى الدورة الدموية من القوة ما يهيئ للجريح فرصة كفاح تنجيه سالماً من الخطر .

إن سحر المصل — والفضل للصليب الأحمر ولمن وهبوا له من دمائهم — ينقذ حياة ألوف من جرحى المعارك ، وهذا ما جعل الدكتور يونج يتساءل : لم لا ييسر مثل ذلك لجمهور الناس ؟ ها هى ذى معامل مشيجن توزع سنوياً أكثر من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جرعة من المصل والطعوم وغيرها من المركبات الحيوية على الأطباء بلا ثمن ، حرصاً على أرواح سكان الولاية ، فلم لا يوزع مصل الدم مجاناً ؟ ولكن من أين يستطيع الحصول على دم يكفى معمله ليستخلص منه السائل المنقذ للحياة ؟ .

لقد كان واثقاً من أن ثمة ينبوعاً هائلا ولكنه مهمل . إن الصليب الأحمر الأمريكى فى تموينه للمحاربين بالدم يحصل على كل النصيب المفروض على ولاية مشيجن من منطقة أربعين ميلا حول ديترويت ، فهل ترضى هيئة الصليب الأحمر المحلية أن تؤسس جماعة من المتطوعين يجودون بدمائهم لسد حاجات السكان فى مشيجن ؟ . .

وشجعه الصليب الأحمر المحلى أقوى تشجيع وأيدته جمعية الولاية الطبية ، ووقف مبلغ من المال لاستخلاص المصل من الدم فى معامل الولاية ، واستجاب سكان مشيجن فى أسرع من اللمح ، ووجدت كتائب الصليب الأحمر المحلية واهبى الدم ، وسجلتهم ، وأسست عيادات للفصد فى المدارس والكنائس ، وأمدتها بمتطوعين وممرضات ومطاعم للواهبين ، ووفرت السيارات لمن هم فى حاجة إليها .

وطفق أطباء عيادة الفصد وممرضاتها يطوفون الأقاليم واحداً بعد واحد ، وينظمون فى كل مكان طريقة الفصد جملة بحيث يفصد كل أربعة معاً ، وبحيث يهب ٢٥٠ شخصاً دماءهم فى الأسبوع . وفى مغرب كل يوم يرسل الدم المحفوظ فى الثلاجة بسرعة إلى معامل لانسنج عاصمة الولاية ، حيث يبدأ العمل الفنى ، فتختبر نماذج الدماء خشية الزهرى ، وتفصل كرات الدم الحمر ، ويرشح المصل ، للوثوق من خلوه من



الجراثيم الخطرة .

ومن ثم يعبأ المصل فى قوارير ، ويؤسس فى كل إقليم جاد بدمه مصرف للمصـــل ، يساوى رصيده مقادير المصل الموهوبة من قبـله ، إلا عشرة فى المائة تدخرها إدارة الدفاع المدنى للطوارئ ، والباقى يختزن فى المستشفيات مهيأ للاستعمال فى الحال، ويصرف مجاناً لكل المحتاجين إليه بأمر من أطبائهم .

وما إن بدئ فى تنفيذ هذه الخطة حتى لاقت نجاحاً أى نجاح ، واندفع الصـناع ، وهيئات المدنيين والعمال ، وسائر سكان الولاية من أغنياء وفقراء ، والأطباء أنفسهم ، اندفع هؤلاء وهؤلاء ينافس بعضهم بعضاً على الجـود بالدماء ، وسرعان ما عجزت معامل الولاية إلا عن تجهيز بعض الدم الموهوب .

وفى الخـريف المـاضى كانت عيـادات الفصد تنتج المصل بمعدل ١٢,٠٠٠ وحدة سـنويا ، على حين يقـدر المطلوب لإنقـاذ الأرواح المشرفة فى ولاية مشيجن بخمسين ألف وحدة فى العام . وقد اقتضى تيسـير المصل للناس عامة بناء معمل آخر ، وزيادة الأجهزة والموظفين . ومن أجل ذلك لجأ قادة المشروع إلى المحافظ هارى ف . كيلى ، وقد أضاف عمله الضخم صفحة مجيـدة إلى تاريخ الصحة العامة .

وها هى الطريقة التى ينظر بها المحافظ كيلى إلى الحياة البشرية ، عندما يصبح من الضرورى أن تقـدر — كما هو الحال فى مصل الدم — بلغة المـال :

« إن ما تتطلبه الولاية من المصل يقدر بـ ٦٢,٠٠٠ جنيه فى العام الأول ، وبحوالى ٥١,٠٠٠ جنيه فى كل عام بعد ذلك . ويقدر الدكتور يونج أن منح مصل الدم مجاناً سيعنى إنقاذ ألف حياة فى كل سـنة على الأقل ، وسأدفع لكل حياة ٦٢ جنيهاً لأنقذ الجميع » .

وقد وافق مدير ميزانية ولاية مشيجن على مشروع المصل بكل تفاصيله ، كما أقرته لجان من كلا المجلسين التشريعيين .

وقد نفذ اليوم مشروع منح مصل الدم لكل محتاج إليـه فى ولاية مشيجن ، وفى نهاية هذه السنة لن يقضى نحبـه والدة ولا وليد ولا عامل ولا سائق سيارة أصيب بأذى بليغ ، ولن يقضى الموت على رجـل ولا امرأة ولا طفل ، من أجـل أن مصل الدم فاحش الثمن أو غـير متيسر . إن كل ولاية ، بل كل أمـة ، فيها ذخيرة عظيمة من الدم السليم الجـارى فى العروق ، يسر الناس أن يجودوا به إذا تحققوا من نفع هذا المشروع فى ولاية مشيجن .

بطولة الكذب

هذه حكايات وقع عليها اختيار أوتيس هاليت رئيس نادى الكذابين المشهور فى برلنجتون ، من أعمال ويسكولسن ، على أنها أحسن أقاصيص (الفشر) التى قدمت فى مسابقات النادى السنوية.

من وشنطن : رضت أحد بغال الركوب أحسن رياضة حتى أصبح يطيع كل أوامرى أحسن طاعة . وحدث ذات يوم أن ركبته وذهبت أصطاد أرنباً برياً . ولكى يفلت الأرنب منى وثب من أعلى منحدر يبلغ عمقه ألف قدم ، فانطلق البغل فى إثره بلا تردد .

وأيقنت عندئذ أن حتفى قد حان ، ولكننى تذكرت كيف دربت بغلى أحسن تدريب ، فما كان منى إلا أن ظللت فى مكانى على السرج ، حتى أصبحنا على مسافة خمس أقدام من قعر الهوة ، وعندئذ صحت به : « ها ! » فما كان منه ، على عادته دائماً فى طاعتى ، إلا أنه ثبت مكانه فى الحال وترجلت عن ظهره سليما لم أصب بسوء !

***

من البرتا ، كندا : تنكر ثلاثة من وحدة حرسنا الوطنى ، أثناء مناورات الصيف الماضى ، فى شكل أشجار ، وظلوا طول يومهم فى أحد الحقول يرجون مفاجأة « العدو » وأخذه على غرة . وقد بلغ من إتقانهم فن التنكر أن هاجم السوس أحدهم ، واكتشف الآخر أن أحد الناس نحت على ركبته قلبين متصلين وكتب تحتهما « توم يحب مارى » ، وقيل إن الثالث قد قطعه أحد الحطابين ، وهو الآن عمود تلفون فى طريق ألاسكا !!

***

من مسيسبى : أرض هذه الولاية أخصب أرض فى العالم . خذ بلدتنا مثلا ، فالأرض خصبة ، حتى أننا حين نلقى بحبات القمح للدجاج ، فإما أن يلتقطه وهو فى الهواء ، وإلا أكلته فى سنابله !

من بنسلفانيا : كان جدى يملك أقدم ساعة فى هذه البلاد . والحق أنها بلغت من القدم مبلغاً بعيداً حتى أن ظل البندول أبلى ظهر صندوقها فثقبه !

***

من تكساس : بينما كنت أصطاد فى أحد الأنهار رأيت بطة عائمة ، فوضعت خرطوشة وأطلقتها ، فغاصت البطة من فورها ونجت . وحاولت مرة أخرى ، فكانت العاقبة لا تختلف . وعندئذ أسندت البندقية إلى شجرة ، وجلست ، وحشوت غليونى أدرس الموقف .

فلما أطلقت أول نفس من الدخان غاصت البطة الخبيثة مرة أخرى تحت الماء ، وظنت أن الدخان خارج من البندقية ، فغاصت لتتفادى الطلقة . فعولت على أن أخدعها ، وجلست ودخنت حشو غليونى ست مرات . وبذلك أغرقت البطة اللعينة !

***

من ويسكونسن : وجدت فى الشتاء الماضى عملا فى قطع الأخشاب ، فى يوم هبطت فيه درجة الحرارة إلى ثلاثين تحت الصفر . ولما وصلت إلى الغابة كان دمى قد تجمد من شدة الزمهرير ، ولكى أحس بالدفء أخذت أقطع الخشب بسرعة جعلت فأسى تحمى . ولا يكاد حدها يستقر . فاستعرت فأساً أخرى ، وفتحت ثغرة فى الجليد على مقربة منى وواصلت عملى أبرد فأسا فى الثغرة ، وأشتغل بالأخرى . فلما كان الظهر اضطررت إلى أن أترك عملى . لأن ماء الثغرة أصبح فى ذلك الوقت ساخناً لا يصلح لتبريد الفأس . ثم إن البقاء فى الغابة بعد ذلك لم يعد مأموناً . لأن شظايا الخشب التى تطايرت من فأسى بدأت تتساقط من السماء !

« قصة لقطة مباركة وما فعلت فى نفس شاب خجول »

ورقـــة بألفـــ دولار

مانويل كومروف

ملخصة عن مجلة « كوزموبليتان »

فيرفيو مدينة صغيرة نظيفة حسـنة التنسيق ، غير أنها ظلت حتى الأسبوع الماضى مستغرقة فى سبات عميق ، وقد هبت اليوم صاخبة بالنشاط لأن الشاب هنرى أرمسترونج عثر على ورقة مالية قيمتها ألف دولار .

كان هـنرى سائراً فى طريقه إلى عمـله حينما التقطها من الأرض ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، لأن أعمال شركة فرنش وجونز للتأمين كانت فى كساد ، فاستغنت فى الشهر الماضى عن عدة موظفين . وكان هنرى يشـعر بأن منصبه فيها لم يكن منصباً يطمأن إليه كل الاطمئنان .

مانويل كومروف قصصى بارع دقيـق فى وصفه وتحليله . وقد اكتسب شهرته ١٩٢٩ بروايته التاريخيـة « كورونيت » التى قرأها مليون قارىء . وهو أديب ذو مواهب متباينة . فقد كان ناقداً فنياً ومعقباً سينمائيـاً ومحرراً ، ثم رئيساً للتحرير . واليوم ، وهو فى الخمسين من عمره ، يغذى المجلات الرئيسية بمقالاته .

وإننى لعلى يقين أنه عند ما يكتب سجل للأمراض الحديثة سيجد الناس بينها نوعاً من تأكل العقـل الناشىء عن الحـيرة ، فالحـيرة تحمل المرء على الخوف وعدم الثقة بنفسه وبغيره . هى حمض ينخر فى جوهر الإنسان ويجعـله إنساناً آخر لا ينبغى أن يكون . وقد صنع ذلك بهـنرى ، فكان خجولا عزوفاً عن الناس يفزعه ظله .

أما الآن وفى جيبـه الورقة المالية ذات الألف دولار ، فهو يسـير شامخ الأنف جرىء الخطوات . فلما وصل إلى المـكتب تهادى فى أرجائه كأنه أصبح ملـكا له . ولما وجد أن المدير لم يصل بعد صاح آمراً : « أخبروا مستر فرنش بأنى سأعود حالا ، وأن لى كلمة معه » .

ثم انطلق مسرعاً إلى صحيفـة « فيرفيو كرونيكل » حيث كتب إعلاناً عن عثوره على الورقة المـالية وقال فى ختامه : « وعلى صاحبها أن يتفضل بالاتصال بهنرى أرمسـترونج » . وكانت أجرة الإعلان

دولاراً و ٦٠ سنتاً . ولم يكن مع هنرى حتى هذا المبلغ الضئيل ، فأراد أن يؤجل الدفع . وكان على الموظف المختص أن يرجع إلى مستر يونج صاحب الصحيفة ورئيس تحريرها .

قال مستر يونج : « هل عثر على ورقة بألف دولار ؟ سأتحدث إليه » .

ثم ذهب إلى هنرى وقال له : « أصغ إلىّ أيها الشاب ، إذا ذكرت لنا تفاصيل الحادث فسأنشرها فى صفحة الأخبار ، فلا تكلف نفسك مشقة الإعلان . هل وجدت الورقة فى حافظة للنقود ؟ » .

قال هنرى : « كلا . ولم أعثر على شيء يهدى إلى حقيقة صاحبها . سأطلعك على الورقة المالية يا مستر فرنش » .

فقال له رئيس التحرير على الفور : « لا أريد أن أراها ، فلا سبيل إلى الاهتداء إليها إلا برقمها المسلسل . ونصيحتى لك ألا تعرضها على أحد ، لأن أى إنسان يستطيع أن يحفظ رقمها فى ذاكرته ، ثم يرسل إليك من يدعى أنه صاحبها . وأين عثرت عليها ؟ » .

« فى شارع مين . ولعلها طارت من سيارة عابرة » .

« وماذا ستصنع بهذه النقود إذا لم يطالب بها أحد ؟ » .

« سأتزوج الآنسة دوللى سامرز . لقد صبرنا زمناً ، ولكننا نستطيع الآن أن نشرع فى الزواج » .

قال مستر يونج : « إنها لقصة طريفة — وهل ولدت فى فيرفيو ؟ » .

« أجل ، ولكننى لا أريد أن أضيع عمرى هنا » .

« وما يسوءك من فيرفيو ؟ » .

« إنها مدينة الشيوخ ، ويدير شئونها مجلس من أصحاب الآراء العتيقة الذين يظنون أن كل ما يفعلونه هو عين الصواب . ولكننا نحن الشبان لنا تفكير آخر . ولن يبقى أحد منا هنا إذا استطعنا أن نهاجر إلى مكان يفسح المجال للأعمال النافعة » .

« وما ذا تعنى بالأعمال النافعة ؟ » .

« حسن . إن جريدة الكرونيكل نفسها لا تشجع الأعمال النافعة . فإذا قلت لك إنه ينبغى عليك أن لا تطلق سيارات صحيفتك فى الطرق دون أن تؤمن عليها ، لقلت إننى أحاول أن أخدعك لأعقد صفقة رابحة ، ولكنك مخطىء فى تركك هذه السيارات تجرى دون أن تؤمن عليها جميعاً » .

« ومن أين تعلم أن سياراتنا غير مؤمن عليها » .

« لأن مكتبنا — أعنى شركة فرنش وجونز للتأمين — عرضت عليك ذلك

مراراً ، وكان جوابك دائماً أنك تعلم كيف تصونها » .

فقال رئيس التحرير : « أتظن هـذا صحيحاً أيها الفتى » .

« كنت أعلم أن كلامى لن يرضيـك ، ولـكنك أنت الذى طلبت أن تسمعه » . ثم ما هو إلا أن ولى عنه وانصرف .

وخطر بباله أن يفاجىء دوللى بالخبر ، فانطلق إليها وروى لها القصة مسرعاً حتى إنها لم تستطع أن تدرك ماذا حدث، ولم تملك إلا أن صاحت فى دهشة : « ماذا ألمَّ بك ؟ لم أرك فى مثل هذه الحال أبداً » .

« إنك لم تعامى شيئاً بعـد يا حبيبتى ، فحين أعود إلى المـكتب سأتحدث إلى مستر فرنش . لقد آن الأوان ليعلم حقيقة الأمر . وأنا ذاهب لأخبره » .

« هنرى ! ستفقد وظيفتك ! » .

« إن وظيفتى أتفه من أن تفقـد ، إلى اللقاء يا دوللى » .

ولما بلغ هـنرى مكتبـه اندفع إلى غرفة المدير .

قال : « اسمع يا مستر فرنش لقد أتيت لأخبرك أنى لم أعد بعد أعمل فى خدمتك ، فقد عثرت هذا الصباح على ورقة مالية قيمتها ألف دولار ، وسأبحث عن عمـل آخر أفضل من عملى هذا . إنى لا أطيق أن أظل هنا على هذه الحال من الحيرة . وبودى أن أشرح لك ما يعانيـه أمثالى هنـا فى عملهم إذا كان يعنيك أن تعلم » .

فقال مستر فرنش : « تحدث يا أرمسترونج إنه ليروقنى أن أصغى إلى ما تنطق به ، ورقة فيها ألف دولار » .

« إننا هنا جميعاً نعيش ونحن نترقب ، أسبوعاً بعد أسبوع ، أينا الذى حل وقت فصله . وهـذا التوجس يورثنا الخوف والحياء ، مما يضر بعملك ضرراً بالغاً . إن جميع موظفيك يعيشون بأعصاب متوترة ، وعملاؤنا يدركون ذلك ، وأنت نفسـك ثائر منزعج من هول الخسارة ، ولـكنك مع ذلك لا تبالى أن تروج أعمالنـا ، وإن أعمالنا لتلاقى نجاحاً إذا شعر كل واحد هنا بالاطمئنان التام » .

« هذه هى قصتى يا مستر فرنش ، فاغفر لى صراحتى ، ولك الشكر على ما أسبغت علىّ من فضل ، وأرجو أن لا تحقد علىّ » .

فقال المدير : « فلتجلس يا هنرى لحظة » .

وعندئذ دق التليفون وكان رئيس تحرير « الـكرونيكل » يسأل عن هنرى فقال له : « مسـتر أرمسترونج ، أريد أن أذكرك فى المقالة التى أكتبها الآن بعنوان (فيرفيو مدينة الشيوخ) فهل لك أن تتناول معى الغداء ؟ » .

« نعم ولك الشكر سأقابلك فى الساعة ١٢ : ٣٠ » ثم قال رئيس التحرير شيئاً نأجابه هنرى بقوله : «أجل إن مستر فرنش يسره أن يبعث إليك بعقود التأمين » .

ثم وضع السماعة والتفت إلى مسترفرنش: « حين ذهبت لكتابة الإعلان عن الألف دولار التى وجدتها ، أطلعت مستر يونج على رأيى فى سياراتهم التى لم يؤمن عليها . وإنه ليسره أن ترسل إليه بعقود التأمين» .

« وهل لك أن تأخذها معك اليوم؟ » .

« ألا فلتعلم يا مستر فرنش انى لا أعمل لحسابك منذ اليوم ، ولكن يسرنى أن أفعل ما تريد » .

فقال له مستر فرنش : « إذا مضيت يا هنرى بهذه الثقة التى كشفت لى عنها هذا الصباح ، فسأتعاقد معك ثلاثة أعوام ، ولك جُعل كامل على كل صفقة تعقدها للشركة وسأمنحك علاوة قدرها ٢٥ دولاراً من الآن ، وعلاوة مثلها كل عام » .

أخذ هنرى يفكر لحظة ثم قال : « أشكرك يا مستر فرنش ، لقد قبلت » .

وفى اليوم التالى نشر فى الصفحة الأولى من صحيفة « الكرونيكل » قصة الألف دولار وفى وسطها إطار جاء فيه: «مايسوءنى فى مدينة فيرفيو ؟ نقد صريح يتطلب رداً انظر ص ٥ » .

وفى ذلك المساء عقد مجلس المدينة جلسة دعى إليها هنرى ليبسط آمال شبان مدينة فيرفيو ، ثم نشرت صحيفة الكرونيكل يوم الاثنين أقوال هنرى ومعها كلمة من المحرر تثنى على هذا الشاب ، وتزكيه ليعين عضواً فى مجلس المدينة .

وكان لهذه الدعاية أثر فى نجاح أعمال هنرى وشركة فرنش وجونز . وأقبل على هنرى بعض الأهالى الذين لم تقع عينه عليهم منذ سنة أو سنتين يطلبون مقابلته ، وأخذ نجاحه يطرد . وفى يوم الجمعة ، بعد مضى أسبوع على عثور هنرى على الورقة ذات الألف دولار ، حدث حين كان هنرى ودوللى يعدان قائمة بأثاث المنزل الذى وضع تصميمه ليقضيا حياتهما فيه ، أن أخرج هنرى الورقة المالية من حافظته ، وقال : « أظن أننا سنضطر أن ننفق من هذه الورقة المباركة ، ولكن كان من الخير أن نحتفظ بها » ، وأخذ ينظر بإمعان لأول مرة فى الورقة المالية .

ثم صاح قائلا : « انظرى يا دوللى ! ههنا شىء غريب ! إن هذه الخيوط التى فى الورقة ليست حريرية ، إن هى إلا خطوط حمر مطبوعة » ، ثم أخرج ورقة قيمتها دولار ، وجعل يقابلها بدقة بالورقة ذات الألف دولار . لم يكن ثمة شك فى أن

الورقة التي عثر عليها هنري كانت مزيفة .

جلس هنري ونظر إلى الورقة ثم ابتسم بعد هنيهة وقال: « لقد انطلت علينا الخدعة، يجب أن نمزق قائمة الأثاث الذي نعده للمنزل . لقد كان من الخير لنا يا دوللي أننا لم نصرف الورقة وإلا أصبحنا أضحوكة المدينة» .

فقالت دوللي : « إنني مسرورة يا هنري لأن الورقة مزيفة ، فلن يطالب بها أحد ، ويمكننا أن نحفظها في إطار لتكون لنا خيراً وبركة . صحيحة كانت أم مزيفة ، ما الفرق ؟ إن هذه القصاصة من الورق جعلتك تعتدّ بنفسك ، ومهدت لك السبيل إلى مستقبل حقيقي ، فقد حصلت على علاوة وقمت لشركتك بخدمات جليلة لم ينجز مثلها أحد في أسبوع ، وربحت شهرة تزيد قيمتها على آلاف الدولارات ، وأصبح لك كرسي في مجلس المدينة — بل أنت أصغر عضو في تاريخ مدينة فيرفيو . وفوق ذلك ، لقد أيقظت قصتك المدينة بأسرها . ألا ترى ؟ إن الورقة المالية قد حققت غايتها كما لو كانت صحيحة » .

فجلس هنري صامتاً وهو يحدق في أرض الغرفة ثم قال في النهاية : « أنت على صواب يا دوللي . لنمض في إعداد قائمة الأثاث ، وعليك أن لا تنسى أن يكون فيها إطار لورقة الألف دولار ! » .

هرج

في الصيف ، أرسل الكاتب بوب ديفس زوجَهُ إلى الريف ، وأقام هو في نيويورك منقطعاً إلى عمله . وفي إحدى الأمسيات القائظة عاد إلى داره ومعه رزمة من المخطوطات ، وعمد ، لثقته بأن أحداً لن يقطع عليه عزلته ، إلى نزع ملابسه جميعاً إلا خفّيْه ، ووضع مصباحاً كهربائياً على مائدة الطعام ، يعلوهُ غطاء يمنع ضوءه عن كل مافي الغرفة إلا عن البقعة التي جلس بوب أمامها لينصرف إلى عمله . وكان بوب قد نسي أن هذا اليوم هو عيد ميلاده ، ولكن زوجُهُ لم تنسَ ، فأعطت مفتاح الشقة لفريق من أصدقائهما ، فأقبلوا يحملون الطعام المبرد والشمبانيا وتسللوا إلى الدار ، وإذا بوب ... !

[اليس وليمسون : الطريق المعتم]

باب الكتب

أيها الرّواد!

هيلارى سنت چورج سوندرز
ملخصة عن كتاب وشيك الظهور

اختير هيلارى سنت چورج سوندرز لكتابة ستة من كتب الحرب الرسمية لوزارة الأخبار البريطانية. وقد أصابت كتبه « معركة بريطانيا » و « قيادة القاذفات » و « العمليات المشتركة » رواجاً منقطع النظير فى إنجلترا .

وعلى أثر ذلك قام المؤلف بأول زيارة للولايات المتحدة ، فاطلع على ما فى أمريكا بإعجاب وحماسة ، وقد استطاع أن يحتفظ لنا بسحرما رأى لأول مرة.

فهذه أمريكا فى زمن الحرب كما يراها زائر إنجليزى، بما فيها من عواطف ودية، ومواطن ضعف إنسانى ، وجرأة إنشائية ، وقوة لا حد لها . وقد اقتبس عنوان كتابه من أبيات للشاعر والت ويتمان

كل الأيام الباهرة ، وجميع الليالى الغامضة ،
العامرة بالأحلام
أيها الرواد



أيها السواد!

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلا حين هبطت على المعبر المظلم للسفينة ، وألفيت نفسى فى سقيفة كبيرة ليس فيها ضوء كاف . فأين أنوار نيويورك التى كنا نسمع بها ؟

وقلت للحمال الذى أخذ حقيبتى : « لقد كنت أحسب أن نيويورك ستكون أبهى وأضوأ » .

فقال بلهجة المزهو : « إنه إظلام » وأضاف إلى ذلك : « تدريب ليس إلا » وخيل إلى أن فى صوته ما ينبئ بالتفكير .

وليس للإظلام قيمة عندى بعد أربع سنوات من الحياة فى لندن ، ولكن صدرى انشرح لما أضيئت الأنوار ، وأقبل التاكسى .

وسألنى السائق : « إلى أين ؟ » وقبل أن أجيبه قال : « أنت انجليزى ؟ » .

فهززت رأسى أن نعم ، ولم أزد ، فقد كنت أنظر إلى الأنوار ، ووقعت عينى على بناء عظيم غير واضح المعالم يبلغ عشرة أضعاف أكبر ما رأيت فى أوربا .

وقال السائق : « أحسب أنك لا تريد أن تنفق أكثر مما يجب ، وسأمضى بك إلى فندق لا يتقاضونك فيه أكثر من خمسة ريالات . وأظنك تستطيع أن تدفع هذا القدر » .

قال هذا وهو يلقى نظرة على البذلة الحسنة الوحيدة التى عندى ، والتى ارتديتها إكراماً لأمريكا .

فوافقت ، ومضينا فى طريقنا ونحن نتحدث ، وكان يتخلل الحديث من جانبه وصف لحياته المنزلية ، وهى على ما يظهر رضية جدا ، وأسئلة عما أعمل لكسب رزقى ، ولما قلت له إنى كاتب طلب منى أحد مؤلفاتى ، فبعثت به إليه فى اليوم التالى .

وذكر لى أسماء الشوارع التى اجتزناها ، وسرعان ما تبينت أنه فخور بأنه ابن مدينة ليست بالضئيلة الشأن . وقد عرجنا على فندقين قبل أن يقتنع بأنه وجد الفندق الذى يحسن أن أنزل به . وقال « ستكون مرتاحاً هنا » فأنقدته أجره — وأبى أن يأخذ أكثر من حقه — وتصافحنا ثم

مضى . وكان هذا أول صديق استفدته في أمريكا .

* * *

وما كدت أستيقظ في الصباح حتى تناولت التلفون وطلبت أن يبعثوا إلى بجريدة ، فوصلونى بالموظف الموكل بالمهمات ، وهو موظف ذو شأن في جميع الفنادق الأمريكية ، صرت أثناء رحلاتى وأسفارى وثيق الصلة بطبقته من الناس . وهو « طير » زاهى الريش ، إلا أن ألوانه تتفاوت وتختلف جداً تبعاً للمناخ والعادات . وقد لقيت من هذا الفريق من يرتدى ثياباً زرقاً مذهبة ، أو ذات ألوان قرمزية وخضراء ، أو رمادية ذات خطوط مفضضة ، أو سوداء وحمراء . وهذا الموظف البراق الثياب تحت إمرته جيش من الفتيان ، غير أن أمريكا الآن قد دخلت في الحرب واحتاجت إلى كل فتى من أبنائها ، فصار هذا الجيش من الأطفال أو الشيوخ .

وظللت راقداً أنتظر الجريدة ، ثم دق الباب دقا شديداً ، ولبث هذا الدق يتوالى بعد فترات حتى ألهمت أن أنهض عن فراشى وأفتح الباب . والعادة في أمريكا أن لا يدخل عمال الفندق غرفتك ، بل عليك أنت أن تفتح لهم الباب . وقد فعلت ، فرأيت عاملا يناهز السبعين واقفاً وعلى يده الممدودة ما خيل إلى أنه « دليل تليفون » ضخم ، وما كان الذى معه إلا نسخة من جريدة « نيويورك هرالد تريبون » وفيها من الورق ما يكفى إحدى صحفنا اللندنية التى تباع ببنى (نصف قرش) شهراً كاملا على الأقل بحجمها الحالى . وقد قرأت فقرات منها على فترات وأنا أرتدى ثيابى ، وسرعان ما تبينت أن من أمتع ما فيها ما يوافيها به الكتاب النقاد المعقبون .

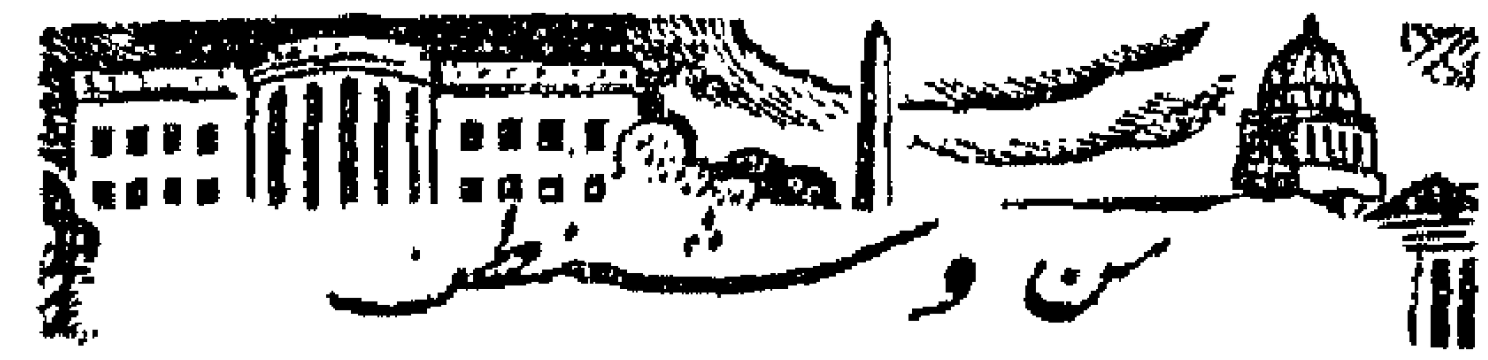
ويؤدى هؤلاء النقاد — أو هكذا خيل إلىّ — مع الذين يذيعون التعليقات بالراديو ، إحدى الوظائف التى يؤديها أعضاء البرلمان في إنجلترا . وهذه الوظيفة هى توجيه الأسئلة إلى الحكومة عن المسائل المهمة ، فليس في الكونجرس وقت معين للأسئلة ، لأنه ليس ثم وزراء مسئولون مباشرة أمامه . ومن هنا صار المعقبون والمعلقون يتولون توجيه الأسئلة إلى الحكومة ، إما في الاجتماعات الصحفية الشهيرة التى يعقدها الرئيس ، وإما في الأعمدة التى يكتبونها في الصحف ، أو الكلمات التى يذيعونها بالراديو .

وهذه المهمة التى يتولونها هى إحدى الأسباب الرئيسية التى تجعل من المستحيل على أىّ رجل عام في أمريكا أن يهمل

الصحافة أو يستهين بها ، فإن هؤلاء المعقبين والمعلقين — الذين ارتفعوا بالرغبة الطبيعية فى الاطلاع ، إلى مرتبة الفن — يسألون من شاءوا عما شاءوا ، ولا بد من أن تكون ملماً بموضوعك ليتسنى لك أن تجيبهم ، فإنهم محيطون بامور كثيرة « ليست للنشر » ، ومطلعون كأعضاء الوزارة على البواطن والخفايا ، والذين رأيتهم منهم جادّون مستقيمون جداً .

وللمعلقين فى الراديو عادة ثقيلة هى أن يلقوا عليك الأسئلة ارتجالا أمام جهاز الإذاعة ، فإذا أعجب المعلق أسلوبك فى الجواب أشرق وجهه ، ورفع يديه وبسط راحتيه وحركهما بسرعة من تحت إلى فوق ، أما إذا ترددت وكنت فاتراً أو كليلا ، فإن وجهه تغشيه سحابة من خيبة الأمل ويلقى عليك سؤالا آخر .

وثم نقطة أخرى لها محل وشأن . فقبل أن يبدأ هذا الامتحان يقول المذيع بصوته السريع ، للعالم المستمع إن هذا البرنامج إنما أتيح بفضل « كلوكس كاندى » أو « لولو المسهل اللطيف » ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وما استطعت قط أن أعتاد هذه البرامج التى تتولاها وتكفلها الشركات ورجال الأعمال .



قضيت عدة أيام فى وشنطون . وهى مدينة غريبة أقيمت لسبب ما ، على أرض غمقة ، وقد سمعت من يصفها بأنها جميلة طويّةً ، وهذا الوصف ليس إلا من الحسد ، فإن جمالها مجلوب ، فقد خططت وبنيت ، وقد كان وقعها فى نفسى أنها ذات سنى متجمد إلا أنه عظيم ، والأمريكيون يحبون السعة والرحابة ، فإذا لم يتح لهم ذلك ، كما هو الحال فى نيويورك ، فإنهم يستخدمون الهواء ويتوسعون عموديا ، أما إذا رحبت الأرض كما فى وشنطون ، وفى لوس أنجلس ، فإنهم ينتفعون بالسعة غير مبالين بالامتداد .

وجلست فى الكابيتول ساعة فى شرفة الأجانب أشهد مناقشة دائرة فى مجلس النواب ، فبدا لى أن ما يؤثر الأمريكيون من الحرية والبساطة لا يمكن أن يتجاوز هذا المدى ، فقد رأيت أعضاء الكونجرس الذين كانوا فى المجلس ، قاعدين على كراسى مريحة ، وقد عددت منهم سبعة يدخنون ويقرأون فى الصحف ، فكأنما كانوا فى غرفة التدخين بناديهم يسترون وجوههم بالصحف عن عضو ممل ، ينوب عنه ويمثله فى هذا المجلس العضو الذى كانت له الكلمة .

وكان الخطيب يتكلم باقتناع عظيم أمام الميكروفون ، وقدامه رجل عاكف على ورق أمامه يدون فيه ما يسمع ، وهناك عدة غلمان يعدون من مكان إلى مكان ومعهم رسائل ، وفى الجانب الآخر من المجلس ، بعيداً منى كانت كلير لوس — وهى من أعضاء الكونجرس — ترفع رأسها الجميل عن بعض الأوراق فى يدها ، ثم تتحدث إلى لفيف من زملائها. وكان الرئيس المستر سام ريبورن على منصته المشرفة على المجلس ، مرتدياً ثيابه العادية وفى يده مطرقة يعبث بها، وكان الجو إذا قورن بجو مجلس العموم، عجيباً فى خلوه من الطقوس والرسميات ، ولعل هذا كان مقصوداً .



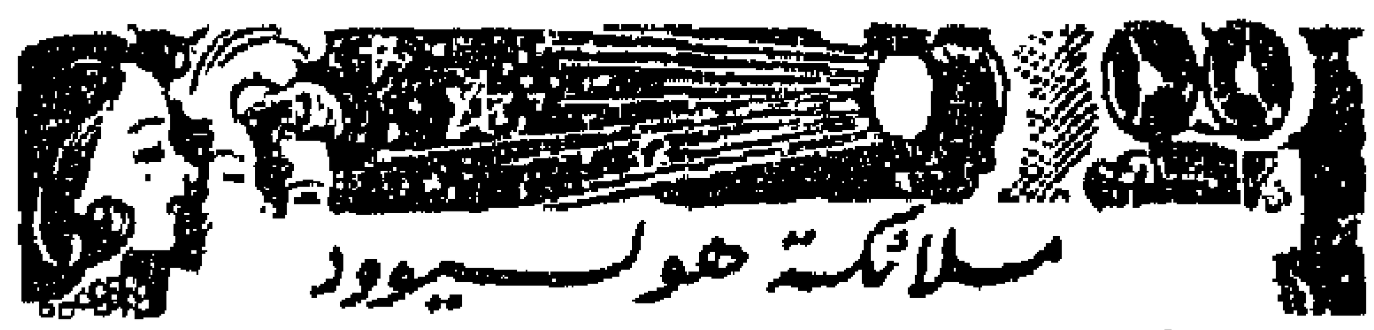
وكانت هناك عاصفة وأنا أتخلع فى طريق إلى شيكاجو ، وهى محطة فى الخط الجوى عبر القارة الأمريكية إلى لوس أنجلس ، وكنت أقصد إليها ، وقد أفاضت الفتاة الموكلة بالمسافرين فى الطائرة — فما أدرى كيف أسميها — من جمالها وفتنتها على الرحلة . ولما وجدت راكباً إنجليزيا قد أضمره الإعياء حتى لا يستطيع أن يأكل شيئاً من الطعام الشهى الذى وزعته على الأمريكيين الأشداء، سقتنى عصير البرتقال والحديث الحلو ، وقد استطعت بما بقى لى من عقل أن أدرك أن هذا بعض ما تؤديه من الواجبات المنوطة بها ، وإن كان قد بلغ من حذقها وبراعتها فى أدائه أنه كان يخيل إلىّ أحياناً أن موقفها حيالى عسى أن يكون بفضل من الله أكثر من المعونة المألوفة والترويح العادى عن الركاب الذين يوشك أن يصيبهم دوار الجو. ثم وقعت عينى على خاتم الخطبة على أصبعها ، فحييتها فى سرى، وأكبرت تمثيلها البارع المقنع.

وفى مطار شيكاجو أنزل الركاب المدنيون جميعاً ، فذهبوا إلى فندق ، على حساب شركة الطيران على ما يظهر — إلا أنا فقد كانت لى أولية وتقديم ، وقد جاهدت عبثاً أن أنزل عن حقى فى ذلك ، فقد كنت متعباً ، وكنت أتلهف على حمام أنعم بالاغتسال فيه ، وسرير أرقد عليه ، غير أن موظفى الخط الجوى كانوا غاية فى اللطف والرقة ، وغاية فى الصلابة . وصحيح أن الجو كان رديئاً ، ولكنه كانت هناك طائرة ذاهبة إلى مدينة « صولت ليك » وفيها مكان لى .

وكانت الصحراء ونحن نطير فوقها ، تبدو هائلة رائعة فى وحشتها ، وسكينتها ، وجمالها ، ولم يسبق لى قط أن أطير ساعات فوق أرض عراء خواء كهذه لا تعرف

الإنسان ولا تعبأ به شيئاً . فألقيت على هذه السمكة الفضية البراقة التى تمرق فى الجو بسرعة مئتى ميل فى الساعة ، نظرة احتقار رصين للجنس الإنسانى كله .

وكان للصحراء روعة مستكرهة فى نفسى ، ثم جاءت الأرض المعشاب فخففت من الدوار ، وكنت إلى ذلك الوقت قد قضيت أربع عشرة ساعة فى الجو ، مع فترات وقوف فى المحطات ، فتعبت ، واحتجت إلى كل ما لى من إرادة وقدرة على ضبط النفس ، والمعونة واللطف والابتسام من موظفة أخرى جميلة ، لأخرج من الرحلة بسلام . وقد بلغت لوس أنجلس وأنا أفهق قليلا ، ولكن « كل ما فى معدتى بقى فيها » كما قال رفيق مسافر .



وفى لوس أنجلس وضاحيتها هوليوود لقيت من الحفاوة والإكرام « ما يليق بأمير » كما كانت عمتى نل تقول . أما المدينة نفسها فلا أنيقة ولا حسنة النظام ، وكل ما فيها يبدو عليه أنه لم يتم ، وهناك عمائر برمتها خالية أو مخصصة لإعلانات عن « الكوكا كولا » أو « ببسى كولا » وغير ذلك من السلع التى يظهر أنه لا غنى عنها للسعادة فى الحياة . وكانت وجوه الأطفال الصبيحة أو الفتيات الحسان – مكبرة خمسين مرة – تحدجنى بعيونها ونحن نجتاز الطريق خطفاً ، وفى أفواهها الموز تأكله ، أو فى أيديها علب السمك المحفوظ أو أنابيب لتنظيف الأسنان . وهذه الصور تمثل إيثار أهل المدينة للضخامة والجسامة فى كل شىء . وقد أخبرنى مدير الفندق أن الشارع الرئيسى فى هذه المدينة يبلغ من الطول ٤٨ ميلا ، وقد ألفيتنى ميالا إلى تصديقه بعد أن قطعت منه خمسة عشر ميلا ، وكان كل شىء يبدو لى على هذا النحو من العظم .

ولم يبلغ الجسم الإنسانى – للذكور والإناث – من الكمال والاستواء فى الخلق فى أى مكان مبلغه فى هوليوود ، إلا على الأرجح فى أثينا على أيام براكستليز . والجمال الناصع ، فى الشارة والقد شائع عادى كالمليون فى شهر مايو . والحسن من الكثرة حتى ليخيل إلى المرء أن « كل ثلاثة بقرش » . وجمال الأمريكيات هو إحدى المفاجآت السارة – وقد كدت أقول المسكرة – التى يلقاها الأوربى فى زيارته لأمريكا ، فمهما تكن سنهن أو طبقتهن فإنهن يحتفظن بمسحة من الجمال كأنه فيهن طباع ، وهو على أصفى صوره فى هوليوود . ولا عجب فإن له هناك لسوقا ؟

وفى هوليوود عدد من الممثلين الإنجليز والممثلات ، وهؤلاء يقومون بعمل نافع ويحاولون أن يقدموا للسينما صورة صحيحة من الحياة الإنجليزية ، غير أن هذه المساعى كثيراً ما يحبطها من يزعمون أنهم خبراء ، وينحلون أنفسهم هذه الصفة ، وهم نفر محبوبون تختارهم وتعينهم الشركات الكبيرة ، وكثير من هؤلاء الخبراء ذوو معرفة واسعة بالحياة الإنجليزية والمناظر الإنجليزية — إلى سنة ١٩٣٧ أو حوالى ذلك ، ولكنهم لم يزوروا إنجلترا بعد هذا التاريخ . ولهذا لا يزالون ماضين على سننهم يعرضون سيارات الرولزرويس والقصور القديمة بمن فيها من الخدم والحشم !

ولو كان هؤلاء الخبراء قد رأوا إنجلترا عن كثب فى الأعوام الأربعة الأخيرة ، لارتدت السيدة مينيفر مثلا ثياباً أخرى ، ولسارت فى حياتها على نسق مختلف ، ولما ظهر الفدائيون وهم يقومون بعملهم ليلا دون أن يدهنوا وجوههم بالسواد .

وسأظل أذكر كثيرين من الذين لقيتهم فى هوليوود ، وأولهم « ولت دزنى » الذى لا يسعنى إلا أن أطلق عليه ذلك الوصف العتيق المبتذل — أعنى العبقرية — وهو يفيض على صناعة السينما فتنة وسحراً ، ويخلق فنا قوامه الحركة واللون والصوت ، ليس لاحتمالاته آخر يعرف . ولست أرى ما يدعو إلى الشك فى أن ولت دزنى قد يستطيع فى عالم الصور المتحركة أن يبلغ ما بلغه شكسبير على المسرح ، فإن كلا الرجلين يستطيع ، حين يشاء ، أن ينقل الإنسان وروحه إلى عوالم مجهولة وأرض سحرية .

ويختلف عنه — وإن كانوا لا يقلون عنه اقتداراً — أولئك الذين يمثلون عالم السينما العادى ، وهم رجال عمل وأهل حصافة وحذق ، مطلبهم الثروة والشهرة ، وإن كنت لا أدرى لماذا يعد هذا الطموح من عيوبهم أو ذنوبهم ؟ فليس النجاح مما يعاب فى عالم المسرح . فلماذا إذن يحتقر السادة لويس ماير ، وسام جولدوين ، وبن جويتز ، وسيسيل دى ميل ، لأنهم أثروا فى السينما ؟ وإنهم لصريحون فى هذا الموضوع ، ولهم الحق ، قال لى بن جويتز : « إن آخر ما أفكر فيه هو المال » ولمعت عينه وهو يضيف إلى ذلك : « قبل أن أنام ! »

حتى فى أيام الحرب يرى الأمريكى أنه الريال رمز للتقدم الشخصى ، لا وسيلة إلى غاية ، وهو لهذا سخى فى آرائه وفى سيرته ، ويعد ما يملك مظهراً محسوساً لرغده يراه ويشاركه فيه الجميع . وهو يحب منك أن تبدى إعجابك ببيته وأثاثه وفخامة ناديه ، وقد اشتهر دائماً بكرمه ، وعلى الرغم من ثقله

ضرائب الحرب ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، والخوف الحقيقى من هبوط قيمة العملة ، فإن مظاهر كرمه مما لم أر له مثيلا فى أوربا . ولما كان يعيش على هذا النحو فإنه يتوقع من غيره حين يكونون فى بلاده أن يحذوا حذوه — وهذه هى الصعوبة .

وقد تحدث معى بن جويتز فى موضوع الأفلام حديثاً صريحاً منعشاً ، فقال إن من الممكن تربية الجمهور وتثقيفه ، ولكن من الخطل والقسوة أيضاً محاولة التعجيل بذلك والإسراع فيه بلا موجب . وقال عن إدخال عنصر الحب فى قصة محبوكة الأطراف ، إن عنصر الحب ضرورى لمن لها صديق ، أو له صديقة ، ولمن ليس له على السواء ، وكلا الفريقين يستمتع بذلك ، أما كلمة « الأفلاطونى » فإن كل ما ينبغى أن يكون لها من معنى ، هو اللهو للفتى وإنعاش النفس للفتاة .

وتجتاز صناعة الأفلام فى هوليوود إحدى أزماتها العديدة الدورية ، فقد حملت عليها الصحافة بعنف لأنها فى رأيها تعيش فى عالم وحدها ، عالم من الخيال والأحلام والأوهام . إذ لماذا — مثلا — لا تخرج أفلاماً حربية جادة ؟ على أنى أوثر أن تظل هوليوود ماضية فى نهجها الحالى وهى فرحة مرحة ، فإن الترفيه عمن يقوم بعمل تقتضيه الحرب ، وعن الجندى المقاتل على الخصوص ، لازم لزوم الطعام والسلاح . وما عليك إلا أن تذهب إلى أية محطة بحرية منعزلة ، أو أى معسكر ، أو أى مركز للقوات الجوية ، حيث يعيش كثيرون من الشبان عيشة تقرب من الرهبانية ، وانظر أى ضرب من الأفلام يؤثر هؤلاء . إن القصص الفكاهية والهزلية هى التى يطلبونها ويحبونها ، وهم يبغون أن يروا وجوه حياة تكون أبعد ما يمكن عن حياتهم ، ولا سبيل إلى هذا الفرار الوقتى الضرورى من بيئتهم وتناسيها قليلا إلى حين إلا بواسطة الأفلام .



غادرت لوس أنجلس عصر يوم مشمس من أيام مايو ، وقصدت إلى المطار مجتازاً طريقاً بديعاً يعد نموذجاً للطراز الأمريكى فى تعبيد الطرق ، والأمريكيون يشبهون الرومانيين فيما يتعلق بالطرق ، فإنهم يستخدمون لتمهيدها أحسن المواد الميسورة ، ويتوخون فى تخطيطها أن يمكنوا الناس من الانتقال من مكان إلى مكان فى أوجز وقت . ولا بد من أن يرى المرء الطرق الأمريكية ليقدر ذلك قدره ، فإنها

لا تدور وتلف كما هو الحال فى كثير من طرق أوربا . وعلى مقربة من هوليوود مثلا ، يوجد واد ضيق هو أحد الشّعاب الرئيسية فى سلسلة الجبال الساحلية ، وقد شق السابقون إلى استيطان هذه الرقعة طريقاً يتلوى ويتعرج فى الوادى ، فلما جاء عهد السيارة رفع بناة الطرق أرض الوادى عدة أقدام ، وعبدوا عليها طريقين للسيارات . ومن الأساليب الأمريكية المألوفة أن يأخذ القوم من القمم العالية ليملأوا الأودية .

وبلغت سان فرنسسكو عند دخول الظلام ، وبينما كانت الطائرة تدور لتهبط نظرت من النافذة فرأيت ما خيل إلىّ أول الأمر أنه سحابة كثيفة من الدخان تحجب جانباً كبيراً من المدينة ، أفترى شبت فيها مرة أخرى نار كالتى دمرتها وأتت عليها بعد الزلزلة فى سنة ١٩٠٦ ؟ ثم تبينت أن هذه السحابة الدخانية ليست إلا ضباباً يجىء من المحيط الهادى فيحجب رقعاً كبيرة من المدينة ، على حين يبقى سائرها مشمساً أو مقمراً . وهذه الظاهرة الطبيعية تكسب سان فرنسسكو منظر المسرح المهيأ . ويخيل إليك وأنت تنظر إلى المدينة من الجو أنها وشيكة الزوال ، أو أنها مزيج من الأحلام والخيال والسحر .

وتساءلت أترى هنا أحد يعمل عملا ؟

وتلقيت الجواب فى اليوم التالى ، فقد ألفيت نفسى قبل الغسق بساعة على منصة خشبية صغيرة ، وأمامى عدد كبير من الرجال والنساء فى ثياب العمل المتنية الملوثة ، ومن ورائهم هيا كل ضخمة لسفن تبنى ، وكانت لا تزال على الاسناد ، ولكن مقامها هذا لن يطول . وكانت الساعة وقتئذ السابعة مساء ولكن هذه على ما يظهر كانت ساعة الغداء وستنتهى بانطلاق صفارة بخارية . وهؤلاء العمال هم النوبة الوسطى فى مصانع كيزر للسفن بأوكلاند بولاية كاليفورنيا .

واستولت الرهبة على نفسى وأنا أتكلم ، وخفت أن لا أستطيع أن أقول لهؤلاء العمال ماهم واقفون هناك ليتعلموه فى ساعتهم القصيرة — كيف تدور الحرب ؟ وما هى الوسائل الكفيلة بإحراز النصر ؟

وسواء أوفقت أم لم أوفق ، فإن الذى أريد بيانه هو أنهم كانوا صامتين وعلى وجوههم أمارات الجد والاهتمام والعزم الصادق . فليت هتلر يراهم ، أو الأميرال دوينتز ... ولم يحدثوا صوتاً ، ولما فرغت تنهدوا ، ثم انطلقت الصفارة تدعوهم إلى العمل كرة أخرى .

الأمريكيون يعالجون بناء السفن فى يسر وبغير ضجة ، وهو عندهم ليس ثمرة تقاليد طويلة تلقاها جيل عن جيل من مهرة

البنائين وحذاقهم ، وإنما هو وسيلة مهمة إلى النصر . وقد استعانوا فيها بالعقول التى أنتجت السيارات بالجملة ، ولما كان اللحام أسرع من البرشمة فإن اللحام أولى بالاتباع فى البناء ، وإذا كان أى جزء من السفينة — مثل غرف الربان والضباط — أكبر من أن يضم بسهولة إلى هيكل السفينة ، فإن هذا الجزء يقسم بمشعل الإسيتيلين إلى أجزاء أصغر ثم يعاد تركيبه على ظهر السفينة ، ومعظم السفينة يبنى مقلوباً ليكون العمل أسهل وأسرع . ولما كانت التصميمات المرسومة على الورق الأزرق لا يفهمها إلا الأقلون ، فإنهم يتخذون نماذج مجسدة للسفن إذا نظر إليها العامل عرف الجزء الذى هو موكل به وأدرك شكله وشأنه ومكانه من السفينة ووظيفته فيها .

ولا ينقطع العمل أو يتوقف فى دور الصنعة ، والعمال يتخذون مساكنهم على مقربة من هذه الدور ليجرى العمل مجراه بلا عائق ، ومن أجل هذا بنى « كيزر » مدينة بقرب دور الصنعة — مدينة كبيرة بيوتها من خشب وشوارعها واسعة نظيفة يلعب فيها الأطفال وتغرس صغار الأشجار ، ولم يصده عن ذلك أو يعقه أن الأرض المجاورة لدور الصنعة كانت غمقة ، وكان يشرف عليها تل مجدب . وأقول « كان » فقد عملت فيه الجارف الآلية ونقل ترابه وردمت به الأرض السبخة ، فارتفع السطح العام للأرض مقدار قامة رجل .

وقد حادثت كثيرين فى سان فرنسسكو — عمال سفن ، وبحارة ، وجنوداً وصحفيين ورجال أعمال وغيرهم ، ووجدتهم على العموم يلهجون بالاعتذار والأسف ، ذلك أن بعدهم عن الحرب فى أوربا وعدم معاناتهم متاعبها الثانوية مثل الإظلام والجراية الدقيقة ، ومراقبة الحرائق وما إلى ذلك — هذا كله أورثهم شعوراً ثقيل الوطأة على النفس ، واعتقاداً مخلصاً بأنهم لا يبذلون جهداً كافياً لكسب النصر ، لا لشىء سوى أنهم لا يقاسون ما يقاسى غيرهم فى أوربا . وقد لفتنى هذا الشعور خاصة بين أهل سان فرنسسكو والأقاليم الغربية على العموم — خجلهم من أن حياتهم رضية منتظمة والراحة فيها متوفرة ، وإدراكهم أن الطريق إلى اليابان يمر بألمانيا . وهذا موقف مشجع جداً للإنجليزى الذى كان يتوقع العكس .

وهــذه اللهفة على مشاطرتنا متاعب الحرب راجعة إلى ذلك العنصر القوى الصافى فى معدن الشخصية الأمريكية التى جعلت من الأمريكيين أعظم الرواد فى العالم ، وهذا العنصر أقوى من كل المؤثرات السيئة التى

تهاجمه كل يوم . وعلى رأسها وفى مقدمتها صحافة هرست وهى ذات قوة عظيمة فى تلك البلاد المشمسة . ولا يزال هـذا الشيخ الهـرم الذى يقيم فى واد عال من أودية كاليفورنيا يصل إليه المرء بخط حديدى خاص ، ينفخ فى بوق العزلة بقوة لا يكاد يوهنها ما يحمل من عبء السنين .

وقد تغير نسق النغمات ولكن اللحن بقى كما كان على الجملة فى الحرب الماضية ، وفى أثناء مؤتمر الصلح ، وفى زمن عصبة الأمم التى كانت حياتها قصيرة شقية . والنغمة الرئيسية هى أمريكا أولا وآخراً وفى كل وقت، والعودات الجديدة التى تتوالى عليه الآن هى أن الخطة فى الحرب الحاليـة خطأ فى خطأ ، وأن الأمريكيين يضيعون وقتهم سدى فى أوربا ، وأن الواجب عليهم هو أن يحصروا همهم فى القضاء العاجل على اليابان .

ومتى تمّ ذلك فإن على أمريكا أن تتراجع إلى ما وراء أبوابها ، وتنظر من حصونها التى صارت ممتنعة بسحق العدو الوحيد الذى يعنيها ، إلى بقية العالم الذى لا يزال يخبط فى الحمأة التى أوجدها . أما ماذا يخول المستر هرست الحق فى مناقشة خطة هذه الحرب ، فلا يزال يحتاج إلى بيان ، ولكن صوته من العلو والقوة بحيث يكون من الحماقة تجاهله . على أن المستر هرست ليس من نزاهة الغاية بالقـدر الذى يكفى لإقناع المواطنين الذين يقفون لحظة ليفكروا ، والذين يجدون عوناً كبيراً على هذا التفكير من المعلقين فى الراديو بسان فرنسسكو ولوس أنجلس . وهؤلاء يقومون بمهمة نافعة لأنهم منصفون ومطلعون ، ولا تفتر لهم همـة . وللراديو فى حياة الأمريكيين أكثر مما له فى حياتنا من الأثر ، فإن هذه الشباك العظيمة الحادة التنافس، لا يقتصر عملها على الترفيه والتسلية، بل يتجاوز ذلك إلى التعليم والتثقيف . وفى هـذا الميدان يستطيع المعلق فى الراديو أن ينافس الصحفى بنجاح فى توجيه الرأى العام وصوغه .



وبارحت سان فرنسسكو كما دخلتها ، فى أول الليل . ونظرت ، والطائرة تصعد فى الجو ، إلى آلاف الأنوار اللامعة ، ومن ورائها إلى وهج بعيد خافت كان قبل نصف ساعة ساطعاً يغمر البوابة الذهبيـة . وبعد أربع عشرة ساعة كنت فى شيكاجو ، وسناها العظيم الصاخب .

وكان التوقيت يقضى بأن تصل الطائرة إلى شيكاجو فى الساعة ٣ والدقيقة ٤٤ بعد الظهر . ففى هـذ الوقت تماماً — لا فى

الدقيقة ٤٣ أو ٤٥ — وقفت الطائرة أمام مبانى الإدارة فى المطار ، وقد قطعت بها الليل وبعض الصباح التالى ، وهبطنا فى مواضع شتى فى الطريق ، ومن بينها دِنفر حيث كان الفجر مسفراً يغمر نوره أرض المطار العظيم ، فأحسست بالسعة إحساساً زاده وقواه الهواء الصافى المنعش ، وخيل إلى أنى واقف على سطح ناطحة سحاب هائلة ، وأن قمم الجبال الصخرية البعيدة المتوجة بالثلج هى شرفاتها .

ولم يخامرنى مثل هذا الشعور فى شيكاجو حيث كان الهواء المرطوب يحف بالبنى الشامخة، ويركد حول المساكن القذرة الفظيعة وراءها ، ثم هبت الرياح من جانب البحيرة فنظفت الجو ولطفته مرة أخرى ساعة أو نحوها . وجو شيكاجو جهم كالح — فى الصيف على الأقل ، وقد أيد ذلك ما كنت قد ذهبت إليه من رأى ، وهو أن الأمريكيين فى الصيف يعيشون معظم الوقت فى جو استوائى ، وهم لا يدرون ، أو هم يؤثرون أن يتجاهلوه .

والأمريكى يتلقى الحرب بالبشر ، أما الأوربى فيتعذب ، فإذا أردت أن تشعر بشىء من الراحة فإن عليك أن تغير قميصك ثلاث مرات أو أربعاً فى اليوم ، وليس هذا بالهين لى من كان مثلى يطوف فى أمريكا وليس فى حقيبته ما يزن أكثر من أربعين رطلا . وأخلق بهذه الثياب فى حر الصيف وعرقه أن يصبح غسلها مشكلة كالكابوس . فالذين يشتغلون بغسل الثياب كانوا أعظم الجميع إقبالا على الالتحاق بالجيش .

ولقد لقيت فى شيكاجو كثيراً من الرجال والنساء لا يريدون أن يواجهوا ما يحتمل من أن تنزل بالجيش الأمريكى خسائر عظيمة قبل أن يتسنى كسب الحرب . ولعل من الأسباب التى تجعل أهل شيكاجو لا يبدون كأنهم لا يحسون بدواعى العجلة فى هذه الحرب ، أنهم على مسافة كبيرة منها ، ولا بد من مجهود عظيم للخيال ليستطيع المرء أن يتصور المنطقة المخربة حول كنيسة القديس بولس فى لندن أو المساكن المدمرة فى بليموث ، إذا كان لا يرى بعينيه إلا جلال واجهة شيكاجو المشرفة على البحيرة .

وشيكاجو أكثر تناقض من أى مدينة أخرى زرتها ، ففيها شوارع رحيبة ، وعمائر شامخة من المكاتب على شاطىء البحيرة لا تمتد إلى الداخل إلا مسافة قصيرة ، ثم تجىء أميال مربعة من المساكن الزرية ، وهى كأسوأ ما يرى فى حى إيست إند بلندن ، أو حى ڤيليت بباريس ، أو منطقة موابيت ببرلين . فلا عجب إذا كانت ضاحية سيسرو بشيكاجو قد « أنجبت » كل هؤلاء

الأشرار الذين يعملون فى العصابات . وإنى لآنس من نفسى استعداداً لارتكاب جريمة كبيرة لأخرج من هذه البيئة .

ويبدو رونق العمارة فى شيكاجو وتعاستها أيضاً فى روح الأهالى ومزاجهم ، فما سمعت فى مكان آخر مثل هذا الثناء المسرف على الرئيس روزفلت ، أو مثل هذا الذم له والطعن عليه . ولم أر شبيهاً بهذا الاهتمام بالحرب والجدل حولها ، ولا لتجاهلها وإهمالها كأنها غير دائرة الأرحاء . ولم أر فى مدينة غيرها أعظم من هذا الإكبار لإنجلترا أو أشد من الاحتقار لها والزراية بها.

ولقيت فى مأدبة عشاء كثيرين من محررى جريدة « شيكاجو تريبون » — وهى جريدة الكولونيل ماك كورميك — غير أن الكولونيل الشهم لم يحضر المأدبة . وقد كنت أحب أن أقابل الرجل الذى اقترح أن تبتغى إنجلترا الوسيلة إلى الأمن والحكم الصالح بأن تتخلى عن ملكها وتصبح الولاية التاسعة والأربعين من « الاتحاد الأمريكى » .

وفى خلال المأدبة تحدث مساعدو الكولونيل بحرية وطلاقة فى كل شأن غير ذى شأن . وقد اتقينا الموضوعات التى تثير الجدل والخلاف ، وكنا ظرفاء مهذبين ، بل كنا نفيض مودة . ولم يحدث سوى مرة واحدة أن لمح أحدهم إلى ما يدور فى نفوسهم ، وذلك حين عرض ذكر مطعم يمكن الحصول فيه على طعام ألمانى فقال أحدهم : « لو ذقته لأحببته ، لو كنت تستطيع أن تطيق شيئا له صلة بألمانيا » . ولم تكن للألفاظ ذاتها قيمة ، ولكن اللهجة التى قيلت بها كانت ذات معنى ، فكأنه قال : « أيها الأوربيون السخفاء ، لماذا تحاربون بلاداً متمدينة رائعة مثل ألمانيا ؟ »

وقضيت فى شيكاجو صباحاً فى زيارة مصنع كبير لتعبئة اللحوم وحفظها ، فرأيت ما يكفى لإدراك مبلغ ما نحن مدينون به لأمريكا فيما يتعلق باللحوم المحفوظة التى هى جزء كبير من طعام القوات المسلحة ، والتى تساعد على زيادة جراية المدنيين . ويا له من منظر دموى عميق الوقع فى النفس ! فقد رأيت خنازير مشدودة إلى عجلة تنتقل منها إلى حزام تحويل ، فتتدلى ورءوسها إلى أسفل ، وهى تصرخ ، ثم تطعن فى حلوقها وتموت ، كما يموت كل ما يؤكل لحمه ، فى نهر من الدم يجرى إلى خزانات حيث تستخدم كل قطرة من الدم للإخصاب . وبعد أن تموت الخنازير تدخل فى مكان صغير مصخود حيث تغمس فى حوض من الراتينج المغلى ، ثم تخرج وعليها طبقة سوداء تكسو سطحها كله ، وهى طبقة تجف بسرعة

فينزعها رجال يلبسون قفازات من الجلد ، فينزع معها الشعر ، وتبـدو الخنازير عارية شاحبة مهيأة للتقطيع الذى يجرى فى حجرة مجاورة. ولن أنسى بسهولة منظر هذه الأجسام السود التى تحولها إلى بياض الجثـة أيدى عمال مهرة بسامين لا يحفلون ما يصنعون .

وكأن الذى وقع من نفسى على وجه الخصوص هو هذا البشر فى كل ناحيـة . وكان كل واحد من ، المدير فنازلا ، يعرف كل واحد آخر ، ويعرف اسمـه الأول ، وكان عدد كبير من العمال — حتى فى الأقسام الدموية — من النساء ، وكن ذوات عزم وحزم وراضيات على ما بدا لى عن حظهن ووجهن إلىّ أسئلة عن الحرب — معظمها يدور على الطعام . هل طعام العمال الإنجليز طيب أو ردئ ؟ وهل صحيح أنه ليس فى إنجلترا طعام يسمح بأكثر من وجبة واحدة فى اليوم ؟ ولما أخبرتهن أن الأمر على النقيض وأن ثمانين فى المئة من السكان أعربوا حديثاً عن استعدادهم لتقبل نظام الجراية بعد الحرب ، حتى يطعم المتضورون من أهل أوربا — لما قلت لهن ذلك تأثرن وتعجبن وقلن : « سنزودكم ونزودهم أيضاً بما تحتاجون إليه جميعاً » وما أشك فى أنهن يعنين ما يقلن .

ولم أر شيئاً يذكر من صناعات الحرب فى شيكاجو ، فإن هذه يطوف بها صديق لى هو الكولونل ماك ألبين الذى قاد الوحدة السادسـة من الفـدائيين البريطانيين والأمريكيين معاً فى شمال أفريقية . وهو رجل مديد القامة له سمت ، يرتدى الزى الأسكتلندى ويجيد الخطابة . ولست أعرف من أمر الفـدائيين إلا ما يحكى عنهم ، أما هو فمنهم وقد قادهم فى الميـدان . وقد زار أحد مصانع الصلب وكان العمال ، وعدتهم إثنا عشر ألفاً ، قد أضربوا قبل حضورى بساعة . ولم يكن يعـلم ذلك حين وقف يخطب جمهوراً كبيراً منهم ، ولـكن ما كاد ينتهى من خطبتـه التى وصف فيها عمل الفدائيين فى الجزائر وبون ، حتى هتفوا له وعادوا إلى العمل جميعاً . ولم استغرب هذا حين سمعته ، فقـد كان الذى تبينته فى كل مكان ذهبت إليـه هو أن العامل الأمريكى إنما يحتاج أن يعرف على أى وجه تستخدم الأسلحة التى يصنعها ، وما ذا يصنع بها الجنود فى سبيله ، ليضاعف جهوده .

وسهرت ليلة بديعة فى شيكاجو مع اثنين من زعمـاء العمال : فى مقتبل العمر ، وقد تقابلنا فى منتصف الساعة التاسعة ، فائتلفنا ونادى بعضنا بعضاً باسمـه الأول قبل أن تنتصف الساعة العاشرة ، وافترقنا أخيـراً والفجر يطلع ويسفر على المدينة النائمة الرائعة.

وهما شابان إلا أن كلا منهما قد جاهد عشر سنين فى سبيل اتحادات العمال فى أمريكا ، وعملا فى مصنع بعد مصنع ليبثا فى نفوس زملائهما العمال روح الاتحاد والإيمان بفائدته وحريته ، وما أكثر ما أوسعهما زملاؤهما العمال ، أو وكلاء أصحاب الأعمال ، ضرباً ، وما أكثر ما جاعا وتناهى بهما سوء الحال .

ولم أر قط من قبل مثلهما رجلين لم يوهن عزمهما عثرات الحظ وضربات القدر ، فقد كانا فرديين وعلى جانب عظيم من الصلابة وشدة المراس وقوة القلب ، وكانت القضية التى يجاهدان فى سبيلها مقدسة فى نظرهما . وعسى أن يكون هذا العنصر — عنصر الفردية القوى الذى هو من خصائص الشخصية الأمريكية — هو الذى يجعل النمو الرشيد لاتحادات العمال صعباً . فإن كثيرين جداً من الأمريكيين الذين لقيتهم كانوا كأنما يعملون بالمبدأ القائل « كل رجل لنفسه » ويعدونه غير قابل للجدل أو النقض ، ويرون أنه عمود الحياة الأمريكية ، وأن نقضه مؤداه الفناء .

وقد تطوع هذان الزعيمان ليريانى المدينة كما ينبغى وينتظر أن يراها رجل من القوات المسلحة فى إجازة اثنتى عشرة ساعة . وما لبثنا أن ذهبنا نقطع بالسيارة شارعاً رئيسيا تسطع فيه الأنوار من أوله إلى آخره ،

وكانت أنوار « نيون » الحمراء والصفراء تستطير عند زاوية كل عمارة ، ونوافذ الدكاكين شعلة من النور ، وما رأيت من قبل حتى ولا فى زمن السلم فى بيكاديللى أو باريس — مدينة النور — ما يشبه هذا الضياء أو يقاربه .

ثم وقفت أمام مسرح هزلى علقت على جدرانه صور ملونة للفنانات ، وهن فيما يبدو للعين وسيمات ومطواعات أيضاً ، فلما دخلنا وجدنا المكان غاصّا بالرجال وأكثرهم فى الزى العسكرى .

واشتريت من بائعة السجاير علبة من سجاير شسترفيلد ، ففضحتنى لهجتى الإنجليزية ، فأقبلت تسألنى باهتمام عن الحياة الليلية فى لندن أثناء الحرب ، فوصفت لها لحظة كنت أجتاز فيها بيكاديللى فى ظلام دامس تشقه وتثخن فيه سيوف من ومضات القنابل المنطلقة ، فسمعت انفجار القنبلة التى قتلت كثيراً ممن كانوا يرقصون فى مقهى بشارع كوفنترى . ففهقت ولكنها لم تقل شيئاً ، وبعد هنيهة ضغطت كفى ومضت عنى تبيع السجاير .

وتلفت حولى فسمعت نوتيا ورائى يقول إن الآنسة فلانة — تلك الراقصة اللبقة الرشيقة من بنات سنسناتى — يوشك أن تظهر . وانطلقت جوقة الموسيقى تعزف لحناً

عالياً ظلت تعيده بعد فترات كلما آن أن تظهر فتاة على المسرح .

وبعد حوالى ثلاثين أو أربعين دقيقة قال رفيقاى إنى رأيت بعض ما تستطيع الفنانات البيض أن يصنعن ، فيحسن أن نرى السوداوات . فركبنا إلى مقهى ساطع الأنوار صاخت آذاننا لما اقتربنا منه موسيقى الرقص ، وجلسنا إلى مائدة على مقربة من فرقة موسيقية حزينة الأصوات صاخبتها مؤلفة من ٣٥ عازفاً ، وكان تسعة أعشار الحضور من السود ، وتسعة أعشار هؤلاء يرقصون . ولا يستطيع من لم ير هذا الرقص يؤديه الزنوج تحت تأثير موسيقاهم أن يتصور كيف يكون — ولعل أقرب ما يشبهه رقصات القبائل فى « الساحل الذهبى » أو « الكونغو » . وكانت وجوه الراقصين تلمع ، وقد ارتسمت فى عيونهم وعلى أفواههم ابتسامة ثابتة كأنها بعض ما يقتضيه الرقص ، وكان المنظر كله عبارة عن حركة سريعة مرنحة ، فى مكان مزدحم حار ، على أنغام موجات من الأصوات تعلو وتهبط ولا تخفت أو تنقطع أبدا .

ولم يكن هناك رئيس للفرقة ولكن الإيقاع كان مضبوطاً إلى حد لا أعرف له مثيلا ، وكان أحد الضاربين بالصنج أو الزامرين ، ربما وثب إلى قدميه ، وعيناه تدوران ، وذهب يطرّب بكلمات من وحى الساعة وفيض الخاطر ، وكان صوته ربما علا كالصراخ فوق جملة الأصوات المنتظمة . وكان يخيل إلىّ أحياناً أن كل واحد يعزف على هواه ، ولكن الجملة كانت مزيجاً من أنغام مفردة تؤلف فيما بينها لحناً متناسقاً .

وبدا لى أن لهذه الموسيقى فعل السحر فى نفوس سامعيها جميعاً . وإنى لا أعرف من ذات نفسى أنى ، على بدانتى وكهولتى ، لو بقيت أستمع إليها لحظة أخرى — لحظة قصيرة جداً — لنهضت وجذبت واحدة من هؤلاء الفتيات ، وحاولت أن أرقص هذه الرقصة المعقدة ، ولكن ردنى إلى عالم الحقيقة صوت شاب طيار يجلس مع فتاته إلى منضدة مجاورة ، وكانت عيناه، وعيناها، تومض جداً ، وكان هو يقول : « زمى شفتيك يا حلوة ، فإنى آتٍ إليك على شعاع من النور — والنار » ثم قبلها قبلة حارة !



وزرت ذات مساء مصانع هنرى فورد المقامة على ١٣٠٠ فدان فى « ويلو رن »*. وتبعد « ويلو رن » أربعة آلاف ميل على الأقل من أقرب قاعدة جوية ألمانية ، فلا حاجة إلى نظام الإظلام . وهذا التحرر من

مثل هذا القيد المعطل للإنتاج هو أحد الأسباب التى يسرت للمصانع الأمريكية أن تنتج كثيراً فى وقت وجيز . والعمل فى ويلو رن يجرى تحت الأنوار الساطعة بالليل كما يجرى بانتظام واطراد بالنهار ، فلا ريث ولا عجل ولا تردد .

وقدموا لى سيارة كهربائية أطوف بها مكان «التجميع» ، ولكنهم قالوا لى إن اطلاعى على العمل يكون أوسع وأشمل إذا مشيت ، فنزلت على رأيهم . ولن أحاول وصف الأثر الذى تركته الزيارة فى نفسى عند ما انتهت . ولقد قلت وأنا أنظر إلى القاذفات الضخمة وهى تخرج واحدة فى إثر واحدة إلى المطار : « أترى هذا الصف سيمتد إلى يوم الساعة ؟ » فقال عامل يتكلم بنبرة تشيكية واضحة : « نعم ، إلى ساعة هتلر ! » .

ولا يسعنى إلا أن أعتقد — بعد الذى شاهدته فى ويلو رن — أن ساعة هتلر لن تتأخر كثيرا . وظل هذا هو رأيى وأنا أطوف بالمصانع الأخرى فى ديترويت حيث تصنع سيارات جيب والدبابات والمحركات . وقد رأيت هنا قدرة الأمريكيين على معالجة المسائل المعقدة المرتبطة بتنظيم المصانع وتدريب العمال غير الحاذقين ، فقد رأيت النساء ، ومعظمهن فتيات ، يقمن بغاية المهارة والاطمئنان « بتجميع » أعقد محركات الطائرات ، وما مضى على أكثرهن فى هذا العمل أكثر من ستة أشهر . ومع ذلك جاز إنتاجهن اليومى أدق الاختبارات ، بغير خطأ ، أو بغير خطأ ذى قيمة .

وقد تحولت صناعة السيارات إلى خدمة الحرب ، وتم هذا التحويل على ما أعتقد بعد كلام طويل وضجة كبيرة ولكن هذه هى الطريقة الأمريكية ، وهى تزيد الكفاءة فى العمل ولا تنقص منها . وقد احتجت إلى وقت حتى أدرك هذا ، ولكنى أقتنعت به بعد إتمام طوافى ، فإن الأمريكيين لا يحجبون نورهم تحت المكيال كما يقول المثل ، فإذا اعتقدوا أنهم قاموا بعمل حسن ، قالوا ذلك ، ويسمع أندادهم قولهم فإذا وافقوا عليه صفقوا . فليس ثم تواضع كاذب ولا شىء من ذلك الحياء الذى لا يزال يوجد فى إنجلترا الحديثة .



ولما كنت فى طريقى إلى شيكاجو من سان فرنسسكو ، طرت طول الصباح فوق سهل شاسع كله حقول مزروعة . فههنا تحتى توجد المنطقة الزراعية الأمريكية الهائلة — ميل بعد ميل من الخصب المنظم — وفيها فلاح الغرب الأوسط الذى

سمعت فى لندن ونيويورك الكثير عن عزلته وضيق نظرته وأنانيته .

واشتهيت أن أرى عن كثب هذا الشخص الذى يكاد يكون خرافيا ، فهل يكون معقود اللسان أو جافياً ، أو يكون شراً من ذلك — متكلفاً اللطف والبشر ؟ لذلك كان من دواعى اغتباطى أنى قضيت الصباح فى مزرعة قرب « دى موين » ، وكانت الحقول الواسعة على كل جانب من جوانب البيت الخشبى النظيف المرتب ، تمتد وتترامى — وهى أكبر من الحقول الإنجليزية — وفى بعضها محصول وافر من البرسيم ، وفى البعض الآخر نبات البسلى .

وكان المسترموريس وزوجته فى السبعين من عمرهما . وهما ، بمعاونة ابنهما الذى يناهز الثلاثين ، يقومان بأمر هذه المزرعة التى تبلغ مساحتها ٢٤٠ فداناً ، وليس ثم غيرهؤلاء فقد ذهب الآخرون إلى الحرب .

ولقد لبثت ثلاث ساعات أستمع للوالد والولد وهما يتحدثان . وكثير مما قالاه عن الخصب والإنتاج فى هذه الأرض التى يباهى أهلها بأنها جديدة ، سمعته من المستأجرين فى قريتى بإقليم سسكس ، ويرجع عهد آبائهم باستئجار هذه الأرض إلى القرن الخامس عشر ، فإن فلاحة الأرض وتربية الماشية أقدم بما لا يحصى من السنين ، من بناء السفن وصناعة الطائرات .

واستمعت باهتمام خاص إلى مناقشة بينهما فى طريقة جديدة للحرث . فاما الإبن فنال درجة فى الزراعة من جامعة ولاية « أيووا » فهو يعرف هذا الأمر حق معرفته ، وأما الأب فقد زاول الزراعة — على حد قوله — « جيلين » . وكانت الزوجة الهرمة الكريمة كما يقولون فى أمريكا « ذات إبهام أخضر » ، وقد غرست الأزهار الإنجليزية الطويلة السوق أمام بابها ، وقد قطفت لى بعضها بينما كانت المناقشة تحمى وتفتر بين الولد وأبيه ، وصافحت أذنى من الجملة الأخيرة ، وكان الذى قالها هو الأب : « إذا كانت طريقتك أكفل بأن تكسبنا الحرب .... »

وما كنت لأستطيع أن أنطق بكلمة فى تلك اللحظة ، فإن كلمة « الحرب » على لسان هذا الشيخ الكريم الوقور كانت كأنها الكفر على لسان قسيس . فإن من السهل أن يفكر الإنسان فى هذا المكان فى سخافة الحرب . وكثيراً ما أنحيت على الحظ والمقادير لأنى ولدت فى زمن كتب فيه على الإنسان أن يشهد حربين ، ولأنى رزقت أطفالا سيقضون حياتهم فى إصلاح ما أفسده آباؤهم وأجدادهم . وقد تزاحمت هذه الخواطر فى ذهنى مرة أخرى وأنا أرى هذا الفلاح الهرم الحكيم يتقبل الرأى الجديد

ى سكينة وهدوء . وأحسبه قد فطن إلى
ما يدور فى نفسى فقد التفت إلىّ وقال
ببساطة : «سماء صافية ، ومطر كاف ، وأرض
طيبة — لو أن كل إنسان أوتى هذا —
لكان خليقاً أن يبيت قانعاً » .

وقد غادرت هذه المزرعة وأنا أشعر كأنى
كنت أتحدث إلى أشخاص منتزعين من
كتاب « العهد القديم » ، وقد قوى هذا
الشعور بعد ذلك حين تحدثت إلى والد
الأومباشى كونز وأمه ، وهو أول جندى
فى جيش الولايات المتحدة قتل ألمانياً فى هذه
الحرب . وأبواه فخوران بهذا ، ولكن
فخرها أعظم بأنهما ما زالا قادرين على
النهوض للعمل فى الخامسة صباحاً ، والقيام
على خدمة المزرعة التى سيعود إليها ابنهما .

وكان المستر كونز وزوجته يبدوان
غريبين فى ردهة الفندق الكبير الذى لقيتهما
فيه ، وقد جاءا من « مدينة سوى » التى
يصفها المستر كونز بأنها « أصغر من أن تعد
مدينة » فإن سكانها سبعمائة ، وقد جىء بهما
لمقابلتى لأنى رأيت ابنهما وحادثته بعد أن
قاتل العدو لأول مرة .

وجلسنا مرتبكين قليلا إلى مائدة فى
حجرة الطعام ، وزادنا ارتباكا نشاط أحد
المصورين وما يلقيه علينا من الضوء ليصورنا ،
وسرى عنا لحم الخنزير والبيض وقلت شيئاً
عن اللذة المستفادة من أكل طعام يكاد
يتعذر الحصول عليه فى لندن إلا مجففاً ،
ففتحت السيدة كونز عينيها جدا وقالت :
« إنى أجمع من البيض كل يوم ملء ثلاث
سلال ، وأحلب البقرات أيضاً ، فلست
أوافق على حلبها بالآلات » .

وقد ولدت هذه السيدة الجميلة الوجه
لزوجها ستة أحدهم « فرانكلين كونز »
وسرعان ما استطردنا إلى الكلام عن أعماله
فى دييب . وقد كان فرانكلين أومباشيا ،
وهو الآن شاويش ، وقد قلده اللورد لويس
مونتباتن بيده نوطاً جزاء له على ما أبدى
من شجاعة فى تلك الغارة ، وأرانى أبوه
صورة للاحتفال بتقليده النوط . ولكن
ماذا فعل على وجه الدقة ؟ هذا ما سألتنى عنه
أمه ، لا أبوه الذى قال ، لما سمعها تسأله ، إن
ابنهما اعتاد الإيجاز وعدم الإبانة فى رسائله .

فوصفت لهما الغارة على قدر ما أستطيع ،
وحمست ، فرسمت الشاطىء على غطاء المائدة
بدلا من الورق ، فأدهش السيدة عملى هذا
فليس يجوز لى أن أسىء استعمال غطاء
نظيف وأوسخه ، ولكنها كانت تتلهف على
سماع أخبار ابنها وما فعله ، وألحت علىّ
فرسمت الصورة مرة أخرى على رقعة ،
وأخبرتها أن فرانكلين تلقى أمراً بأن يقنص
رجال الدفعية فى بطارية ألمانية ، فاستتر

لهذا الغرض فى إسطبل بمزرعة ، وجعل يطلق النار على الألمان من ثقب فوق المذود ، وبذلت كل ما فى طاقتى لأصور لهما المنظر كما صوره لى ابنهما لما قص علىّ الحكاية فى مساء يوم كالح من أيام أغسطس على رصيف ميناء جنوبى ، وحولنا جنود سود الوجوه يروحون ويجيئون .

وكان المستر كونز وزوجته يصغيان بعناية وفى صمت تام ، ولما فرغت لم تقل السيدة كونز شيئاً ، ووجه الرجل إلىّ سؤالا واحداً : « هل كانت الخيل قد أخرجت من الإسطبل قبل أن يستخدمه فرانكلين ؟ » فقلت إنى لا أدرى ، ففكر لحظة ثم قال : « لابد أن تكون قد أخرجت ، فقد كان الفجر قد طلع منذ ساعة » .

وقبل أن نفرغ من الغداء كنا نتكلم فى غير تكلف عن تربة « أيوا » وعن مدارس الأطفال وما يأكلون ، وعن حاجة إنجلترا الشديدة إلى اللبن ووفرته فى الولايات المتحدة ، أما الحرب فكان رأى المستر كونز فيها حاسماً فقد قال قبل أن نفترق : « إن العالم يدلف إلى الكهولة والحجى فلا محل فيه للحرب ومثلها من السخافات . ويجب أن يوضع لها حد فى هذه المرة . وأمثال ابنى من الشبان هم الذين سيضعون هذا الحد . وقد عرفنا معنى السلم هنا ، ولكنى أحسب أننا لن نفوز به فوزاً ثابتاً إلا إذا عرفتم فى أوربا معناه » فسألت الله مخلصاً أن يكون على صواب .

وقد تكون هذه الآراء مصدرها روح العزلة ، ولكنى مقتنع بأن تفسيرها على هذا الوجه ليس فيه إنصاف لأمثال المستر موريس وزوجته ، والمستر كونز وزوجته ، والفلاحين فى الغرب الأوسط على العموم . ويخيل إلىّ أنهم يتهمون بالأنانية وضيق النظرة لا لسبب سوى أنهم يختصرون أمور الحياة ويقصرونها على الجوهرى ، فليس عندهم تعقيدات نفسانية أو ما يجرى مجراها مما تجىء به المدنية ، وهم ينظرون إلى الحياة كما ينظر إليها زراع الأرض ويعدونها جهاداً ضد الجفاف والثلج والرياح والمطر والآفات وكل ما تحشده الطبيعة ضدهم ، ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا يعادى الناس أبناء جنسهم أيضاً ، « فإن هذه ليست سوى سخافة صرف » ومع ذلك بعثوا بأبنائهم بعشرات الآلاف ليقاتلوا الألمان واليابانيين الذين لا يشبهون بقوات الشر ، بل هم قوات الشر نفسها .

وقد خرج آباء هؤلاء الفلاحين وأجدادهم من أوربا لسبب بسيط ، هو أنها كثيراً ما تصبح ساحة حرب . وقد عقدوا الآن العزم على إقامة عالم جديد بعد أن تضع الحرب

أوزارها ويضمر أوربا الإعيـاء . وهم لا يدرون كيف يتسنى إقامة هذا العالم ، ولكن إذا عجز زعماء الأمم المتحدة وأخفقوا فى السلم ، بعد أن ينجحوا فى الحرب ، فإن فلاحى الغرب الأوسط خليقون أن يصبحوا فيما أرى دعاة عزلة إلى حد لم يحلم به حتى الكولونيل ماك كورميك . أما الآن فإنهم يخوضون الحرب ، وفى عزمهم ، على قدر ما تبينت ، أن يشهدوها إلى ختامها .



ركبت القطار من سنت لويس إلى نيوأورلينز قبل أن يقوم بنصف دقيقة . وأرى أن مهندسى الولايات المتحدة قد أطلقوا لخيالهم وعقولهم العنان فيما يتعلق بمحطات السكك الحديدية ، فإنها عناوين تقدم وآيات جلال . ومحطات نيويورك شاسعة وجوانب منها تحت الأرض ، وليست محطات المدن الأخرى ولا سيما شيكاجو وديترويت ، بأقل منها . وكلها غاصة بأمكنة للتذاكر والصحف والمجلات والسجائر والفول ، والمركبات الكهربائية التى تحمل أمتعة الناس جميعاً . وفى كل منها لوحات هائلة تدعو هؤلاء المسافرين المسرعين ، أن يشتروا سندات الحرب ، وليس فى محطة منها علامة ترى وتدل المرء على مكان القطار .

وليست محطة سنت لويس بشذوذ عن هذه القاعدة . ولم يكن المسافرون أوفر عددا فقط منهم فى غيرها ، بل كانوا أيضاً قد صفوا صفوفاً متلاحمة تتحرك حولى ببطء ، وأخيراً استطعت بعد العناء وبعد أن تصببت عرقاً من الحر والزحام أن أصل إلى مكانى وهو مجهز بما يبرد الهواء ، وذهبت أنظر من النافذة إلى نهر المسيسبى وهو يتدفق .

وقبل أن يصل القطار نيو أورليـنز فى صباح اليوم التالى بزمن طويل ، استيقظت ونظرت من النافذة ، فإذا الريف الأخضر الحافل بالشجر قد حل محله سهل منبسط شاسع ، أرضه حمراء وتتخلله جداول لا يأخذها عد ، وكانت هناك غابات كثيرة ولكنها متوشجة متشابكة هائجة . وكانت الأشجار فى أرض سبخة ذات ملح ونز ، وأغصانها متهدلة ، فكأنها جمع حاشد من الشيوخ يمشون خلف جنازة . وهذا الهدب الذى يتدلى ويسترسل من كل فرع تحت سماء زرقاء صافية لا يوائم مناظر هذه الأرض الجميلة الكثيرة الألوان والشيات .

وكان رسول المستر هيجنز الجبار ينتظرنى فى المحطة فمضى بى إلى فندق «سنت تشارلز» وأقنعنى ، وأنا قاعد على سريرى وفوقى مروحة بطيئة ، أن أتحدث إليه ثلاث من

الصحفيات ، ثم أمهلنى نحـو عشر دقائق لتناول فطور متأخر ، وكانت هذه فاتحة البرنامج الدقيق الذى لا تهمل فيـه ثانية واحدة ، والذى تحكم فى كل حركة لى ، بل فى كل نفس من أنفاسى حتى موعد العشاء .

والمستر أندرو جاكسون هيجنز يصنع زوارق الطربيد على مسافة قصيرة من المدينة ، وقد استخدمت زوارقه فى الغارات من النرويج إلى جزر سليمان ، ومن الصعب أن أصف هذا الرجل العجيب ، وهو أبرز من رأيت فى أمريكا . وقد وقف أمام مكتبه لا يطرف ولا يتكلم . ومن الجلى أن عبارات المجاملة وإشاراتها التقليدية تعد من الفضول فى رأيه . وخير ما أستطيع أن أصفه به تلك العبارة المألوفة : « إنه يشع نشاطاً » .

قلت له لأقطع الصمت : « لقد صنعت بعض الزوارق التى استخدمها الفدائيون فى دييب » .

قال : « نعم ، وسأريك كيف صنعتها — بعد أن تتحدث إلى عمالى . فعرفهم من فضلك كيف تستخدم هذه الزوارق » .

وبعد عشر دقائق كنت واقفاً فى شرفة تعلو مقدار خمسين قدماً عن مستوى هذه الزوارق الصغيرة السريعة التى يعمل فيها مئات من البيض والسود ، وقد تعرى كثيرون منهم إلى الوسط . وكان معى ضابط أمريكى شاب عاد أخيراً من « وادى الكنار » وقد أفضى إلىّ ، فى جمل وجيزة مفككة بوصف للحياة ، وللموت ، ومقاتلة اليابانيين — على تلك الجزيرة الكالحة ، وكان يحمل نوطاً سامياً لشجاعته . ولا أستطيع أن أدوّن ما قاله لى ، فما أجرؤ على ذلك . وما من ناشر يمكن أن يطبعه ، وما من رقيب يمكن أن يأذن فى طبعه .

وألفينا أنفسنا على الشرفة نطل على جمهور من العمال من الجنسين يقفون صامتين تحت هذه الشمس الرائعة . وكنت أعرف أن هناك آلافاً آخرين عند الزوارق التى لم يتم صنعها ينتظرون — فى ساعة غدائهم القصيرة — أن يسمعوا من مضخمات الصوت ما سأقوله .

فرويت لهم قصة الغارتين على دييب وسنت نازير ، فأصغوا وهم صامتون ساكنون فى الأغلب ، إلا مرة أو مرتين حين تنهدوا كما تنهد بناة السفن فى أوكلاند .

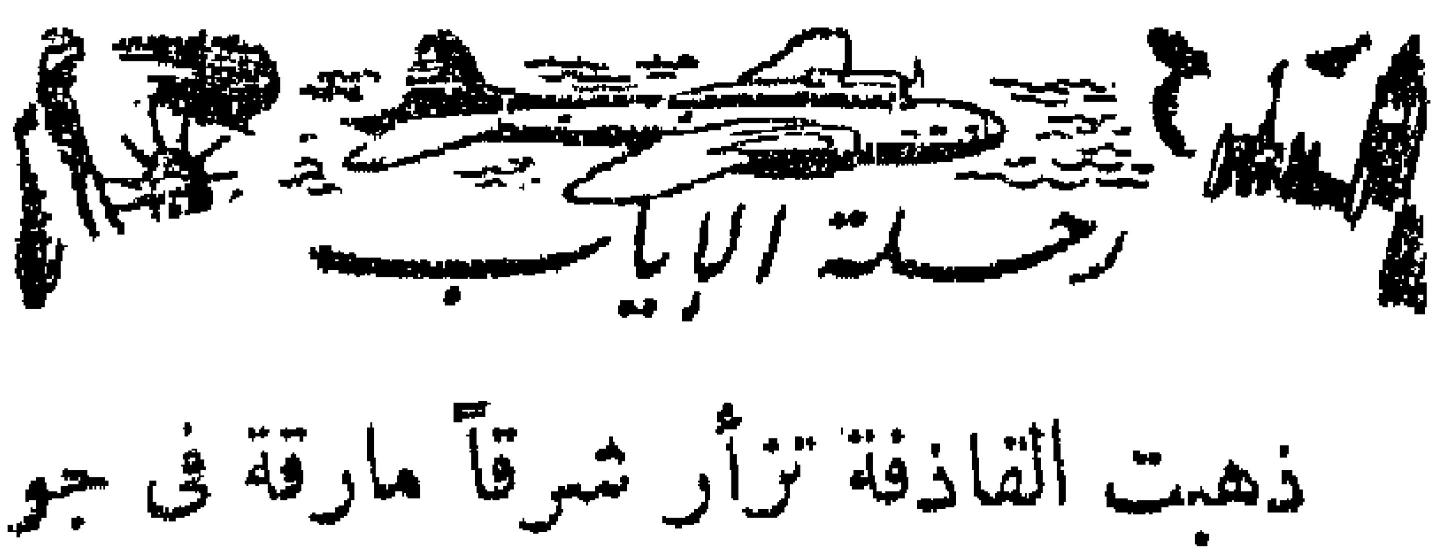
وبعد ساعة من الحديث الذى أفضيت به إليهم أقبل زعماؤهم على المستر هيجنز يعرضون أن يعملوا نصف ساعة أخرى زيادة على ما يعملون ، طول مدة الحرب ، على أن يبذل الأجر عن هذه الزيادة لبعض الخدمات . فههنا رجال ونساء لا يحتاجون إلى أكثر من أن يعرفوا كيف يستخدم الجنود الزوارق التى صنعوها بكدّهم ،

ليقرروا من تلقاء أنفسهم أن يضاعفوا جهودهم . وصحيح أني علمت ، أنه بعد أسبوع أو نحوه تدخلت اتحادات العمال في الأمر ووقفت هذا المشروع ، ولكن هذا لا يغض من شأن العمال أنفسهم ، وإنما هو عيب نظام دون نظامنا فيما يختص بالعلاقات بين رأس المال والعمل .

وقد ازددت معرفة بالمستر هيجنز فازددت إعجاباً به وحسنَ رأي فيه . وهو لا يحترم أشخاصاً ، ويقول أي شيء لأي إنسان ، وليس هو من أبناء نيو أورلينز ، فإنه على ما أعتقد من نبراسكا ، ولكنه أثار هذا الجنوب الراقد وبث فيه نشاطاً هائلا . ولست أحسبهم يحبونه حبا جما من أجل هذا ، ولكنهم يعملون كما لم يعملوا قط منذ شبت الحرب الأهلية بين الولايات الأمريكية .

وقابلت المستر هيجنز مرة أخرى في تلك الليلة في بيته ، وكان الجو حارا ، وكانت الأبواب والنوافذ كلها مفتوحة ، وكان هو جالساً وعليه قميص قصير الكمين ، في غرفة الطعام مع زوجته وبعض الضيوف ، فحيوني جميعاً وحادثوني بتلك الرقة والظرف المعهودين في المجتمع الأمريكي . وكان المستر هيجنز — بعد يوم قضاه في عمل شاق — قد آثر أن يرسل نفسه على السجية ، فذهب يطرفنا بالحكايات ويقصها علينا بحماسة وبراعة ، ويبرز كل شخصية على حدة ، ويقلد اللهجات تقليداً محكما . وقد تجشم في ذلك مجهوداً مضنياً ، يزيد في قيمته أن الرجل ظل يعمل طول نهاره مدة أربع عشرة ساعة بأقصى ما فيه من قوة ، وأنه سيعود إلى العمل بعد ست ساعات .

وقمت في بكرة الصباح التالي مع الطير ، وقضيت مع المستر هيجنز ثلاث ساعات أخرى فألفيته خفيفاً نشيطاً واسع الحيلة كالعهد به دائماً . وعكفنا على تصميمات ورسوم لمشروعات جديدة كثير منها سيزعج العدو قريباً — ولا سيما اليابانيين . ولقد قابلت كثيرين من رجال الأعمال ، وطائفة غير قليلة من زعماء الصناعة في أمريكا ، وهم جميعاً يمتازون بالإقدام ، وكثير منهم ذوو بصيرة ، وبعضهم عباقرة ، ولكن المستر هيجنز يمتاز بذلك كله .



ذهبت القاذفة تزأر شرقاً مارقة في جو لا يزال به شيء من الشفق ، وإن كانت الشمس قد غربت من وقت غير قصير . فانطرحت على مرتبة على الأرض بين أستاذ في الزراعة وجنرال أقطعني جانباً غير يسير

من معدات نومه . وكنت محتاجاً إلى ذلك فقد كان الإرتفاع عظيما ، فلم تغن فى اتقاء البرد وإفادة الدفء ، الخوذة المبطنة بالمخمل والبذلة المطرّفة بالفرو ، والحذاء المبطن بالصوف . وكان جهاز الأوكسيجين رطباً مبتلا على أنفى وفمى ، ولكن التنفس كان سهلا وطبيعياً . وكنت أرى من النافذة موكباً بطيئاً من النجوم . وكانت أمريكا ورائى ، فإنى فى طريقى إلى وطنى . وكان علىّ أن أفكر فى أمور كثيرة ، وهذه أول فرصة من السراح والرواح أتيحت لى.

وفكرت أول ما فكرت وأنا ألف الغطاء حولى ، فى السؤال الذى أعرف أن أصدقائى سيوجهونه إلى حين أراهم : كيف رأيت الأمريكيين ؟ ألا إنهم ، فى نظر الإنجليزى ، لشعب أجنبى ، وأعتقد أن أقل من خمسين فى المئة منهم يجرى فى دمائهم دم إنجليزى . أما كونهم يتكلمون لغتنا ، أو على الأصح لهجة قوية منها ، كلها نار وألوان ، فليس معناه أنهم يستعملونها ليعربوا بها عن رأينا نحن فى الحياة . والأمر على نقيض ذلك ، فإنه يبدو لى أنهم يحيون حياة أرحب وأكثر امتلاءً من حياتنا ، وخليق بالإنجليزى أن يرى أنهم وهبوا حظاً جزيلا من الحيوية والقوة .

وطلعتهم شديدة ، وهى راجعة إلى فرط شعورهم بالحياة والتذاذهم لها . وهذا الروح هو إلى حد ما ، الذى يجعل من المستحيل على الأمريكى العادى أن يتصور أنه قد يخيب ، فإذا أخفق أحدهم فى عمل فى مينيا بوليس ، فإنه يذهب إلى شيكاجو ، فإذا لم ينجح هنا ، جرب سان فرنسسكو أو سنت لويس ، أو ديترويت . ولا قيمة للمكان لأنه مقتنع فى أعمق أعماق سريرته أنه لا بد ناجح ، وهذا الاقتناع هو الذى يثمر النجاح ، فطلعتهم وروح الرواد فيهم مرتبطان أوثق الارتباط .

على أن الأمريكيين شديدو الوطأة على أنفسهم بالنقد ، وهم يكتبون ويقولون — بعضهم عن بعض — ما كان خليقاً أن يترك كل محكمة فى البلاد دائمة الانعقاد ، لو كان عندهم ما فى إنجلترا من قوانين السب والقذف . وقد كانت هذه الخصائص القومية هى التى دفعت الصحفيين منهم إلى كلام فى غاية الشدة عن هزائمنا العسكرية الأولى — وهو كلام كان له وقع مر أليم فى إنجلترا . فلما دخلت أمريكا فى الحرب كتب الصحفيون أنفسهم عن ميناء بيرل مثل ما كتبوا عنا ، ذلك أنهم يضربون ضربات قوية ويتوقعون أن يتلقوا مثلها . . . .

وقد عدت وأنا مقتنع اقتناعاً عميقاً بأن العلاقات بين أمريكا وبريطانيا على أعظم

جانب من الأهمية لسلام العالم ورخائه ، فماذا نستطيع نحن المواطنين العاديين أن نفعل لتحسين التفاهم المتبادل بيننا وبين أمريكا ؟

وأول شيء وأولاه بالتقديم أن لا نكون عاطفيين فيما يتعلق بالأمريكيين وأن لا نشجعهم على أن يكونوا كذلك معنا ، ولتكن الصراحة أساس التفاهم ، وقد وجدت أن أخلص أصدقاء بريطانيا الذين لقيتهم فى أمريكا هم أصرحهم ، وينبغى أن يكون العكس صحيحاً أيضاً . فإن الألفاظ الشديدة لا تكسر عظاماً بل هى أحرى بأن تمنع الكسر ، وليس معنى هذا أن يذهب المرء يلهج بالأقذاء ، أو حتى بالخشبات ، التى فى أعين غيره ، وإنما معناه أن يكون له رأى نزيه فيدلى به فى نزاهة .

وينبغى أيضاً أن نبين بجلاء فى كل وقت أن جماعة الأمم البريطانية تقف إلى جانب أمريكا ، ومعها فى صفها لا فى هذه الحرب فحسب ، بل فى السلام الذى يعقبها كذلك . وقد كان للعهد الذى قطعه المستر تشرشل بأن يحول كل قواتنا إلى قتال اليابان بعد هزيمة ألمانيا وقع عميق فى الولايات المتحدة .

ولا يسع إنجليزياً يجتاز المحيط الأطلسى فى طائرة أمريكية ، بعد أن قام برحلة شاهد فيها كل أنواع المواد الحربية تتدفق ليلا ونهاراً من المصانع الأمريكية ، إلا أن يستعظم مزايا التعاون البريطانى الأمريكى ، فهل ترى تبدو هذه المزايا عظيمة أيضاً للذى يطير من إنجلترا إلى بلاده ؟ أظن أن هذا ممكن ، غير أنه ينبغى أن نتذكر أن أمريكا لم تدخل هذه الحرب إلا بعد أن تعرضت لعدوان وحشى لا مسوغ له .

وأمريكا بلد جديد على التحقيق ، وكذلك الأمريكيون شعب جديد ، وهم يشعرون أن الحاضر والمستقبل لهم ، أما الماضى فيمكن تركه وشأنه . وقد كانت الحياة فى تلك الأيام البعيدة معناها المتاعب والشقاء ، والاضطهاد والعوز لآبائهم لما كانوا يعيشون فى قارة قديمة قاسية بالية ملآى بالحروب وإشاعات الحروب . فلما استطاعوا آخر الأمر أن يخرجوا منها ، وأن يصلوا إلى أمريكا ، أداروا ظهورهم إلى الأبد إلى تلك القارة ، واستدبروا طريقة حياتهم السابقة فيها ، والآن لا يرى أبناؤهم وأحفادهم فى ذلك الماضى سوى حلم سيء غامض .

وهل جاهد الرواد هذا الجهاد الحافل بالرجولة القوية إلا ليهيئوا حياة أطيب ؟ أو لم يرفعوا قواعد حياة عجيبة واسعة خصيبة فى أقل من مئتى عام — حياة يحق لكل فرد فى البلاد أن يزهى بها ويفخر ؟ إن الجواب بالإيجاب المحتوم . والأمريكى العادى حين يجيب به ، يرفض العالم القديم سواء أكان

مدركا لذلك أم غير مدرك ، ولا يحب أن يذكره بوجوده مذكر .

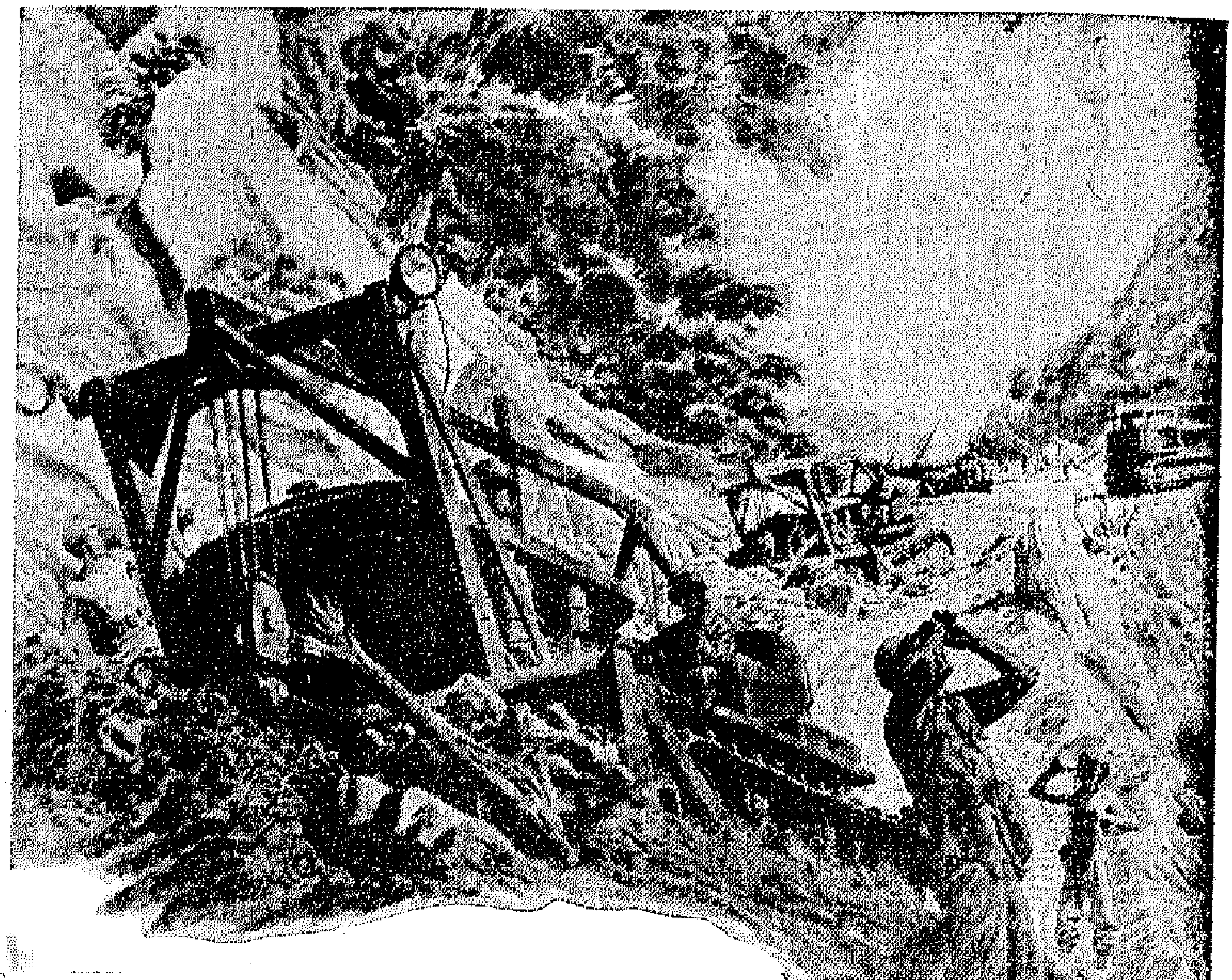
وهذه حالة نفسية كان لا بد أن تنشأ فى شعب النمس كثيرون من آبائه ما وصفه زعماؤه الحاليون بأنه « الحريات الأربع » فظفروا به فى أرض واقعة فيما وراء البحار . ومن سوء الحظ أن أوربا لا يمكن إغفال وجودها ، وقد حدث مرتين أن أراق الأمريكيون دماءهم فى الحرب ، لأن أوربا ما زالت فى مكانها .

ومن أجل هذا صارت أوربا مبعث نقمة وسخط لكثيرين من الأمريكيين ، ومن العسير أن لا يعطف المرء على وجهة نظرهم ، فإن مما يثير النفس ولا شك أن يضطروا إلى التدخل — مع احتمال عناء كبير وتكاليف عظيمة — فى شئون قارة تعمد أجدادهم وآباؤهم أن يهجروها ويخرجوا منها ، لينجوا من اضطرابها وحروبها . وعندى أنه يحسن بنا أن نتذكر هذا حين تحدثنا أنفسنا بأن نذم دعاة العزلة فى أمريكا.

وهذا أحد جانبى الصورة . أما الجانب الآخر فإنه ، من وجهة نظرنا ، أبعث على التشجيع . فهناك أولا أنه لا يسع المرء ، حتى ولو كانت نظرته سطحية مثلى ، إلا أن نلاحظ عظم اهتمام الأمريكيين بالعلاقات الخارجية . وقد ظهر هذا من استفتاءات معهد جالوب ، وغير ذلك من الوسائل التى يسبر بها غور الرأى العام ، ومن الرواج الذى لقيه كتاب المستر ويلكى « عالم واحد » . وقد تبينت من ملاحظاتى الخاصة أن الأمريكيين يألفون شيئاً فشيئاً فكرة التعاون ، لا لأسباب خيالية أو مثالية ، بل لأنها سياسة عملية .

ولعل الآراء السياسية التى يذهب إليها الجنود العائدون إلى أوطانهم ، سيكون لها أثر حاسم فى أى مشروع بعد الحرب . وقد رأيت ما فيه الكفاية من القوات المسلحة للولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وبريطانيا ، لإقناعى بأن هؤلاء المقاتلة مصممون على أن يترجم ميثاق الأطلسى إلى شىء حاسم مادى محسوس — إلى حياة — يتسنى فيها للشبان أن يتزوجوا وأن يثقوا بأن أبناءهم سيستطيعون أن يكبروا ويعيشوا فى سلام .

وهم يريدون أن يقيموا عالماً يكون فيه للمساعى الفردية مجال رحيب واف ، وأعتقد أنهم يتطلعون إلى نظام يسمح بأن تلقى سيرتهم وجهودهم الخاصة عوناً من الدولة دون أن تسيطر عليها . وهذا هو الاتجاه فى أمريكا على التحقيق .



تمهد الطريق الوعر . . . للجيش

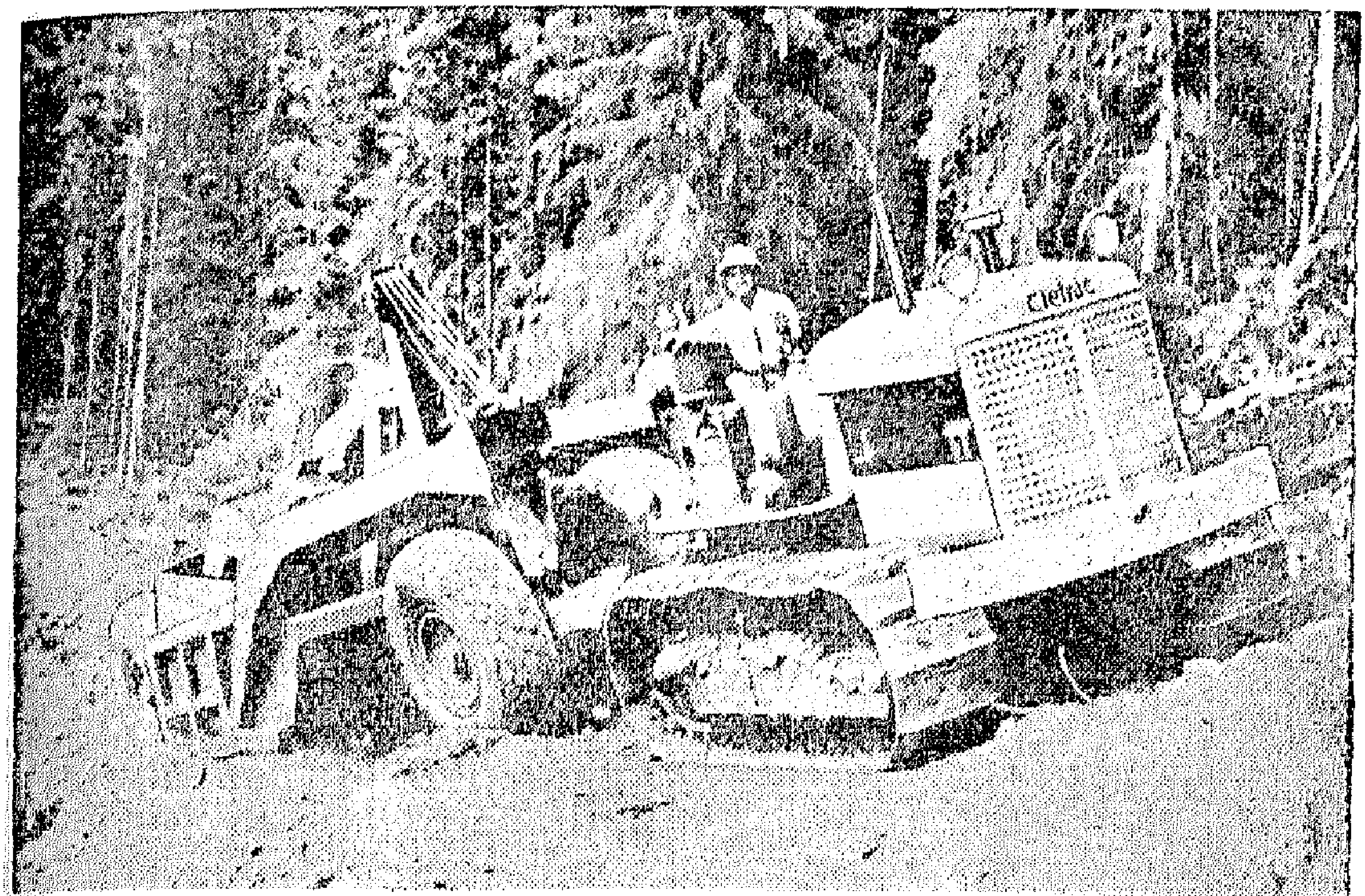
عندما بدأت القوات الأمريكية زحفها من كابتزى لاحتلال راندازو خلال حملة صقلية ، لم تلبث ن واجهت حاجزاً طبيعياً مخيفاً لم يسبق لأى جيش مهاجم واجهته من قبل . فى هذه المسافة القصيرة كان ثلاثة عشر يلا وعدة أنهر . . وكان الألمان واثقين بأنه ليس فى استطاعة ى جيش اجتياز هذه المنطقة فى أقل من شهر .

يد أن سلاح المهندسين الحربى كان يملك سلاحاً لم يقدره لعدو حق قدره — ذلك هو جرارات « كاتربيلار ديزل » . قد استطاعت هذه الجرارات التى يهيمن عليها جنود مدربون شديدو البأس إزاحة الصخور وقطع جوانب التلال الصخرية وإنشاء الجسور فلم تمض ثلاثة أيام حتى كان الطريق معبداً فأخذت سيارات النقل الحربى تسير فى أماكن لم يرتدها من قبل غير قطعان الماعز .

واليوم تعد الجرارات والرافعات والآلات والأجهزة الكهربائية التى تنتجها « كاتربيلار ديزل » من المعدات الحربية ولكنها ستكون على أتم استعداد للقيام بمهام السلم عند ما يبزغ فجر النصر وتستطيع مصانع « كاتربيلار » أن تولى من جديد اهتمامها لحاجات المدنيين .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار ـ بيوريا ، إلينوى



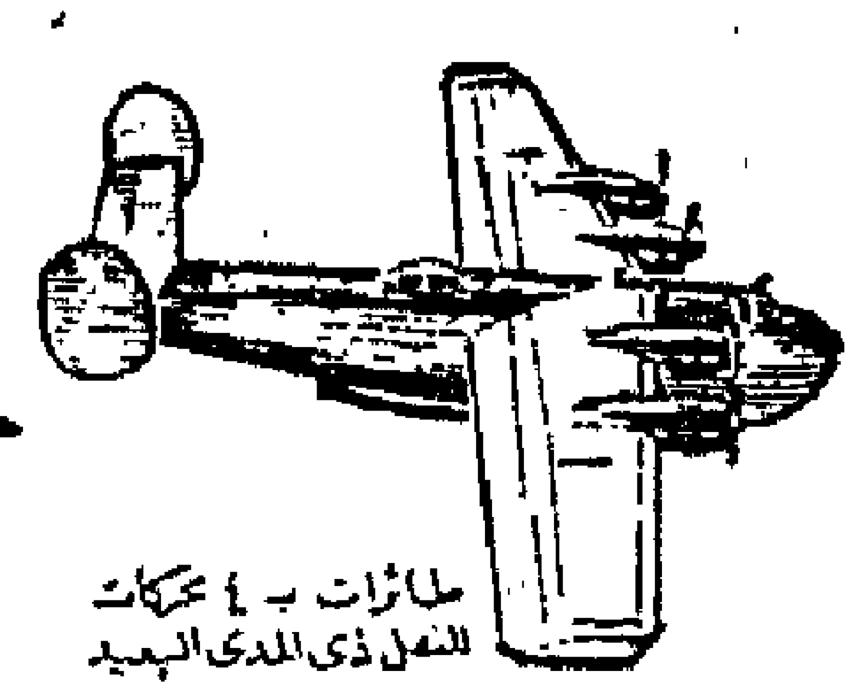

أمس ... واليوم ... وغداً ...
أعلى مثال للإطارات المتقنة في العالم
شركة جنرال تير أند رابر اكسبورت
اكرون ، اوهايو ، الولايات المتحدة
تلغرافيا : جنتيروكو اكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال
"... تذكر هذه المرة أنه هنا إطار جنرال !"
The GENERAL TIRE

عالم الـ ٦٠ ساعة

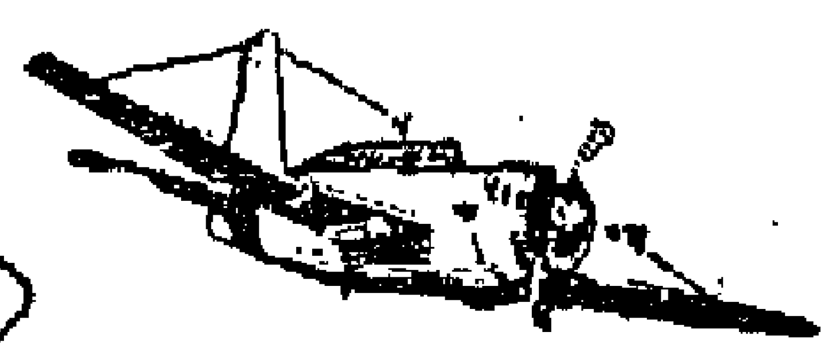
إنّ الطائرات بعيدة المدى قد قرّبت بين أجزاء العالم الذى نعيش فيه فاليوم لم يعد فى الدنيا مكان يبعد أكثر من ٦٠ ساعة بالطائرة من أقرب مكان إليك .

وهكذا أصبحت بقاع العالم الآن أقرب بعضها من بعض عما كانت فى أى وقت مضى . وينطبق ذلك على شعوب العالم أيضاً ولا بد أن تزداد قرباً بعد الحرب .

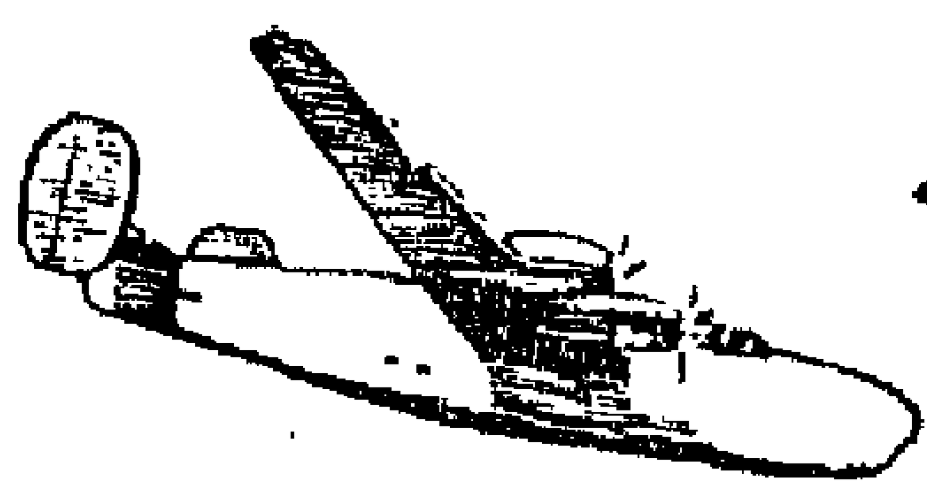
وعند ما يعود السلام ستعد شركة **CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT** الأمريكية عدتها لبناء طائرات تجارية فائقة السرعة تمد بها خطوط الملاحة الجوية فى جميع البلدان.



طائرات بـ ٤ محركات
للنقل ذى المدى البعيد



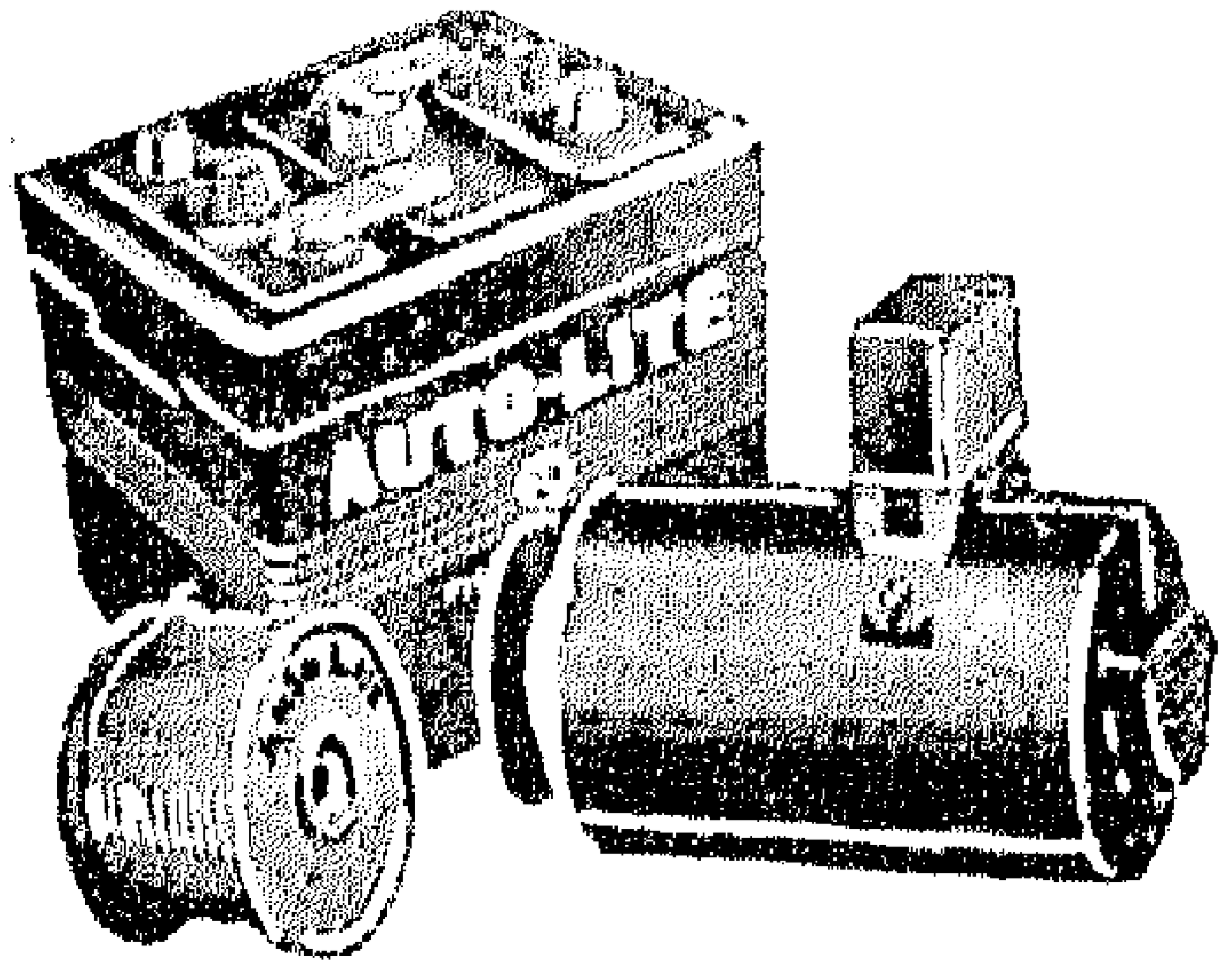
طائرات صغيرة
بمحرك فردى



سفن طائرات
بـ ٤ محركات للمدى الطويل

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT CORPORATION

UNITED STATES OF AMERICA



ضمن منتجات

أوتو-ليت

الحربيّة



AUTO-LITE

لو أنك استعرضت نواحي الإنتاج فى الـ ٢٦ قسما من أقسام «أوتو-ليت» العظيمة لرأيت العجب العجاب ، فهنا أجهزة قيادة الطائرات الأوتوماتيكية وهنا آلات أورليكون لمد البنادق بالرصاص وهنا أظرف الرصاص المصنوعة من الصلب وهنا قذائف ومعدات ضبط الأهداف وغيرها من المنتجات الحربية .

ومع ذلك سترى أيضاً شموع الشرارة للسيارات والبطاريات والأسلاك وأجهزة القيام والإضاءة والإشعال وهى حقاً من منتجات السلم ولكنها تقوم بدور حيوى فى السير إلى النصر .

وفى الحرب كما فى السلم ، تتمتع منتجات « أوتو-ليت » بشهرة ذائعة لما عرف عنها من صفات الضمان والإمتياز الفنى ، تلك الصفات التى تدعمها خبرة ٣٢ عاماً فى تاريخ الصناعة .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., E. U. A.

شموع • بطاريات شحن • اسلاك
اجهزة للقيام والاضاءة والاشعال



إنّ إنتاج الحبوب الجيدة بمقادير وفيرة وأنواع مختلفة تكفى لسد حاجة العالم الجائع إلى الطعام ، لهو تحد عظيم تواجهه الزراعة للآن . . . وهذا التحدى لا يمكن مجابهته إلا باستعمال الآلات الزراعية الحديثة .

وحصادة « اليس — شالمرز » لجميع المحاصيل هى إحدى هذه الآلات العصرية التى تضاعف القدرة البشرية على الإنتاج . وهى عدة تقطع وتدرس وتنظف وتعبئ فى عملية واحدة أكثر من ١٥٠ محصولا مختلفاً كالغلال . والحبوب التى تحفظ خصوبة الأرض ، والخضروات والأعشاب ولا تتطلب للاشراف عليها إلا رجلين أحدهما السائق . وهى فوق ذلك تقلل نفقات الإنتاج وتحول دون التبذير ، ثم إنها تتيح الحصول على حبوب نظيفة ممتازة بخلاف أية وسيلة أخرى من وسائل الحصاد الآلى .

أضف إلى ذلك أن شركة « أليس — شالمرز » تصنع الآن أنواعاً كثيرة من الجرارات الزاحفة والسائرة على عجلات وأدوات الزراعة ومعداتها القائمة على جرارات وأجهزة الحرث والزرع من كافة الأشكال والأحجام . . . وأغلبها يصلح تماماً لحالة الزراعة فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ونحن نرحب بجميع الاستعلامات التى يوجهها إلينا من يقدر الفرص الفريدة التى تتيحها بيع وتوزيع هذه الآلات .

ALLIS-CHALMERS

DEPT. AD 644, TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U. S. A.

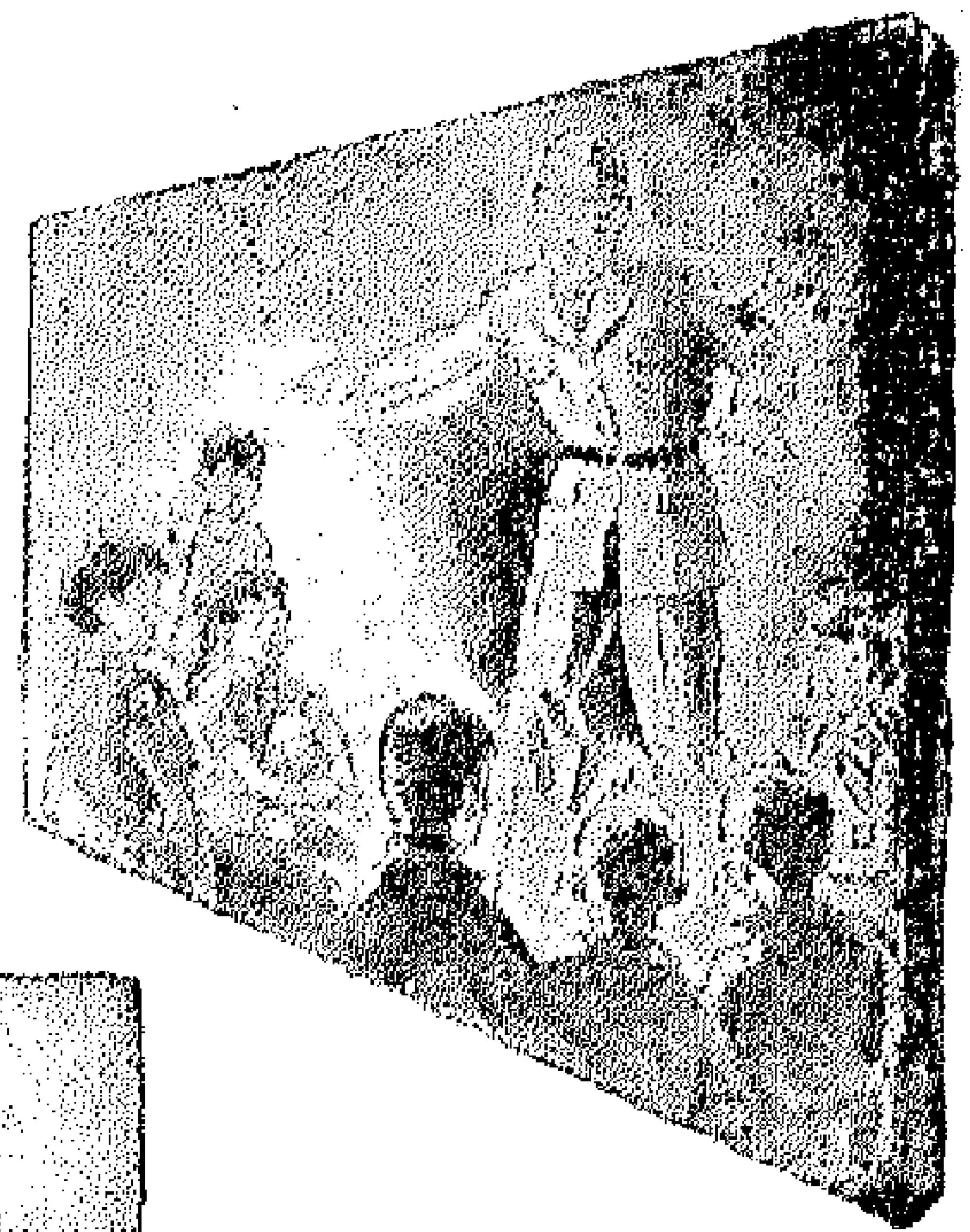
أليس - شالمرز

منتجو آلات مضمونة منذ سنة ١٨٤٦



لطبع
ه قلمها هو
إركر
إن النخبة الممتازة فى جميع نواحى الحياة
يعتزون بأقلام الحبر « باركر »
ويتخذون من جمالها سبباً للمباهاة والفخر .
انظر كيف أن التصميم الفذ الذى يتمتع به
قلم « باركر » فاكوماتيك ذو الحلقات
يجعل منه قلماً مميزاً فريداً .
أما خزان المداد الشفاف الكبير الحجم
ففيه من المزايا والتيسير ما فيه ناهيك بريشته
ذات الطرف الحريرى الناعم الذى يجعل يدك
« تطير » فى الكتابة .
إن شهرة هذه الأدوات الكتابية
البديعة قد ذاعت اليوم فى جميع أنحاء العالم
وتستطيع أن تعاين عند موردك قلم حبر
فاكوماتيك فى ٥ ألوان جذابة طريفة
ولا تنس الماسة الزرقاء على مشبكه فهى
ضمان منا أن يخدمك طول الحياة !
The Parker Pen Company
Janesville, Wisconsin
U. S. A.
PARKER

«لقد غزونا السّواحل بقوارب هيجنز»





افريقيا
جزرسليمان
المانش
جزيرة اتو
صقلية
سالرنو

«لولا زوارق هيجنز لما كان من المستطاع تنفيذ عمليات الغزو المشتركة»

— لورد مونتباتن

«تمتاز زوارق «هيجنز» بقوة مراس تجعلها ترسو على السواحل الصخرية رأساً فتنزل الجنود والدبابات والعتاد الحربى بغير أن يبللها الماء وتنسحب بعد ذلك بفضل قوتها الفائقة وهى سريعة جداً فى الهجوم كما أنها فائقة المرونة فى الدوران وتنساب بحركة متعرجة لتفادى المتاعب ولم أر أحدها قط ينقلب فى اليم».

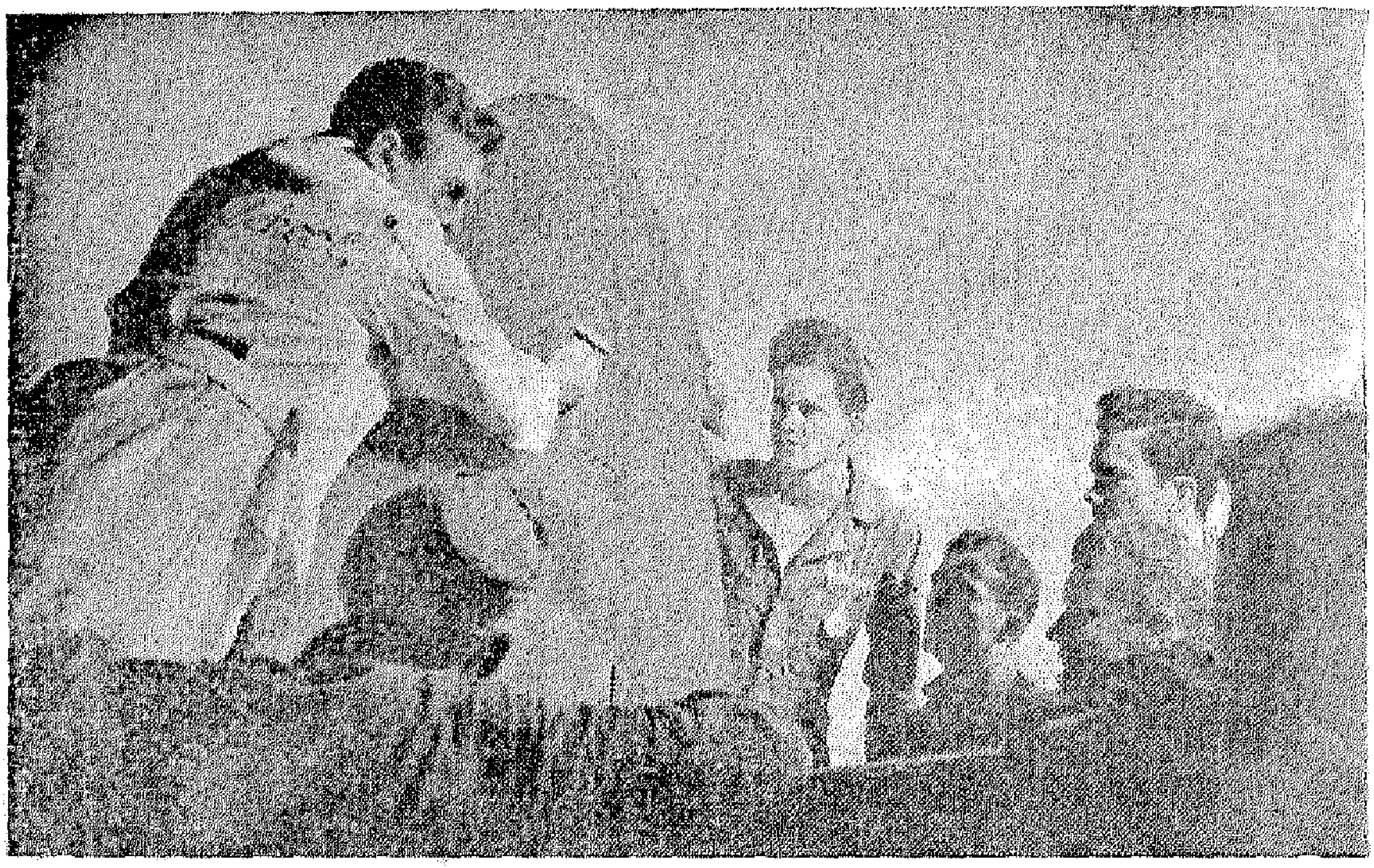
إن زوارق «هيجنز» التى صممت وبنيت خصيصاً للأمم المتحدة يصفها المقاتلون المحنكون الذين اشتركوا فى حملات وادى الكنار وشمال أفريقيا بأنها «أحسن زوارق فى العالم على الإطلاق». وهذا الثناء البليغ صادر عن رجال عركوا قوة هذه الزوارق تحت وابل من النيران، رجال تتوقف مصائرهم على مرونة هذه الزوارق ومتانتها وسرعتها ويسر تسييرها.

واليوم تجد مصانع «هيجنز» فى بناء الزوارق والطائرات وغيرها لمجابهة المطالب السريعة المتغيرة للأمم المحاربة. وهذه القدرة على الابتكار وتبين مطالب الغد هى التى تجعل منه «هيجنز» الاسم الذى يستحق أن تترقبه فى المستقبل!

Higgins
INDUSTRIES

شركة صناعات هيجنز
نيوأورليانس الولايات المتحدة
حوز الفارتين الأمريكيين اعظم بناة الزوارق فى العالم

أكبر بناة الزوارق فى العالم

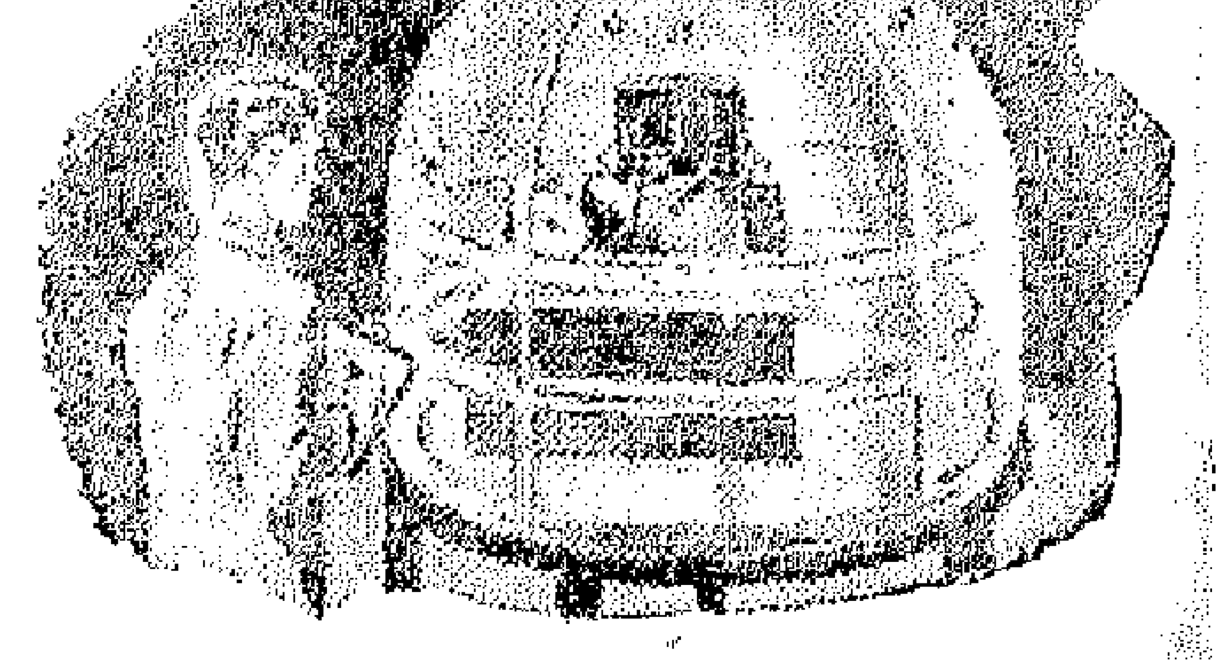




جنرال موتورز
محركات ديزل
GM
جنرال موتورز
محركات ديزل
تمد محركات ديزل صنع جنرال موتورز
قوة فعالة قليلة النفقة للدبابات
وسيارات النقل والجرارات وزوارق
والغواصات وكاسحات
الألغام ومطاردات الغواصات وزوارق
الدوريات ومولدات القوى الصناعية
وغيرها من الأدوات والأجهزة
وهذه المحركات القليلة النفقة
التي تتراوح قوتها بين ١٥ و ٢٠٠٠ حصان
ما كانت مستطاعة الإنتاج لولا تطبيق شركة
جنرال موتورز تطبيقا موفقا لسياسة
"الدورتين" على صنع محركاتها ديزل
ان قدرة مصانع جنرال موتورز على صنع
محركات ديزل منصرفة الآن الى امداد
القوات المسلحة وستكون محركات ديزل
بعد الحرب في متناول الجميع فتمد بقوة
فعالة زهيدة النفقة للسيارات
والتجارة والصناعة والمواصلات
شركة جنرال موتورز للشرق الأدنى المساهمة
القاهرة
القطر المصري
الإسكندرية

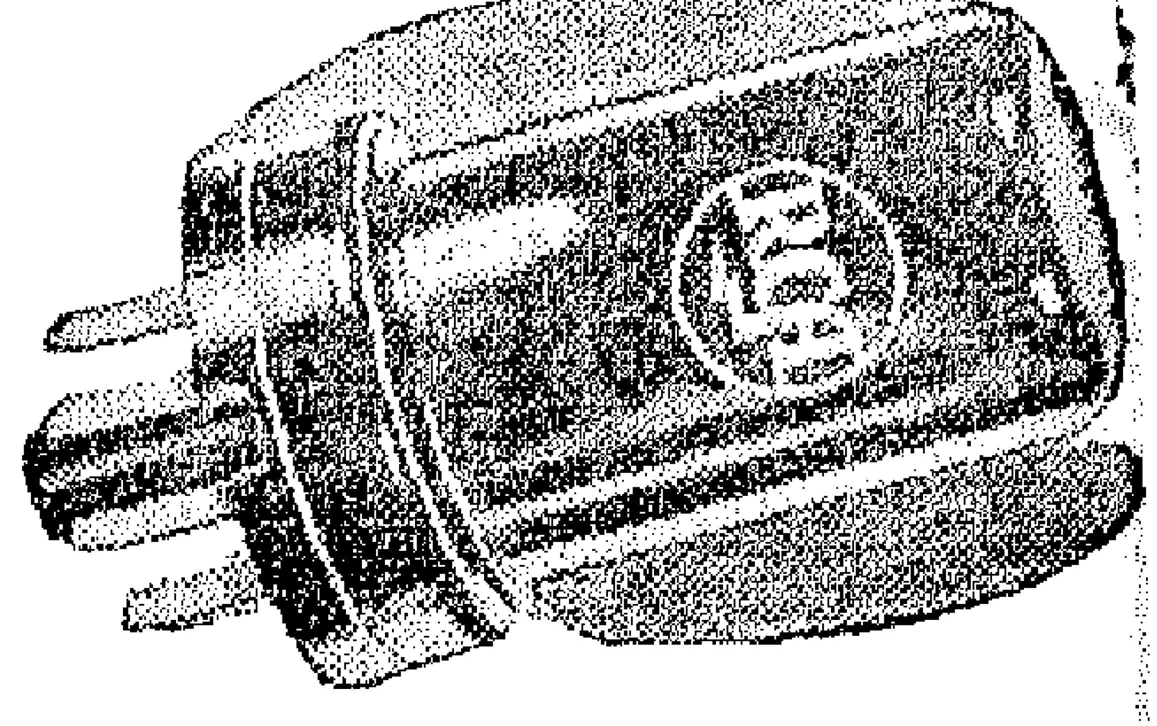
RCA تقدم

أحدث مبتكراتها

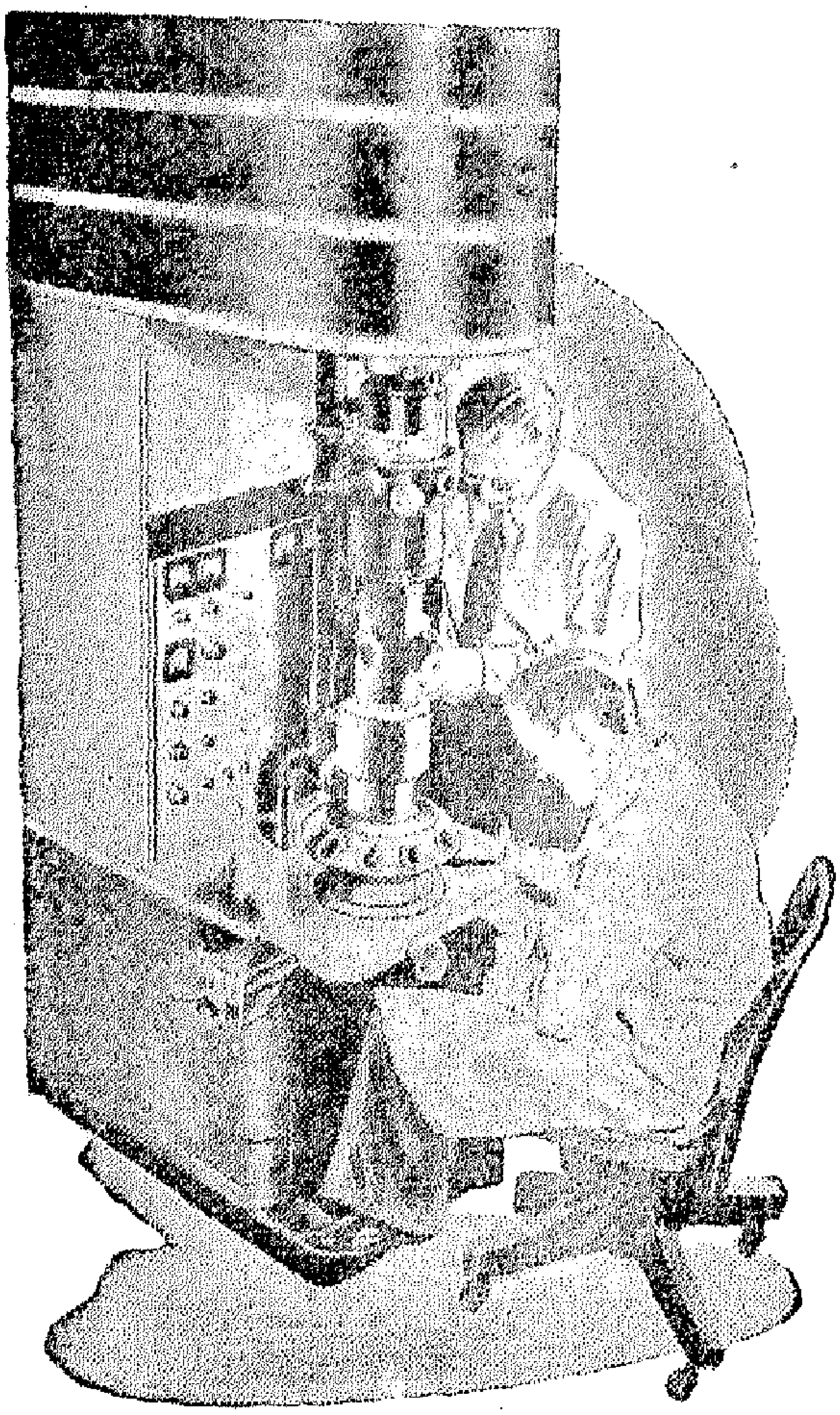


٨ أميال فوق مستوى سطح البحر

لكي يتاح دراسة لاسلكي الطيران دراسة دقيقة على مختلف الأبعاد فوق سطح البحر أتقنت شركة R C A حجرة دعتها « حجرة التحليق » وهي حجرة يتمثل في داخلها ما تكون عليه حالة الضغط الجوي على ارتفاع ٤٠ ألف قدم .



مفتاح الانباء في أجهزة الاستقبال المنزلية ، وفي الأجهزة اللاسلكية وفي التليفزيون — يستعمل هذا الصمام الأليكتروني الذي يضم كل ما اشتهرت به منتجات شركة R C A من إتقان وكمال .



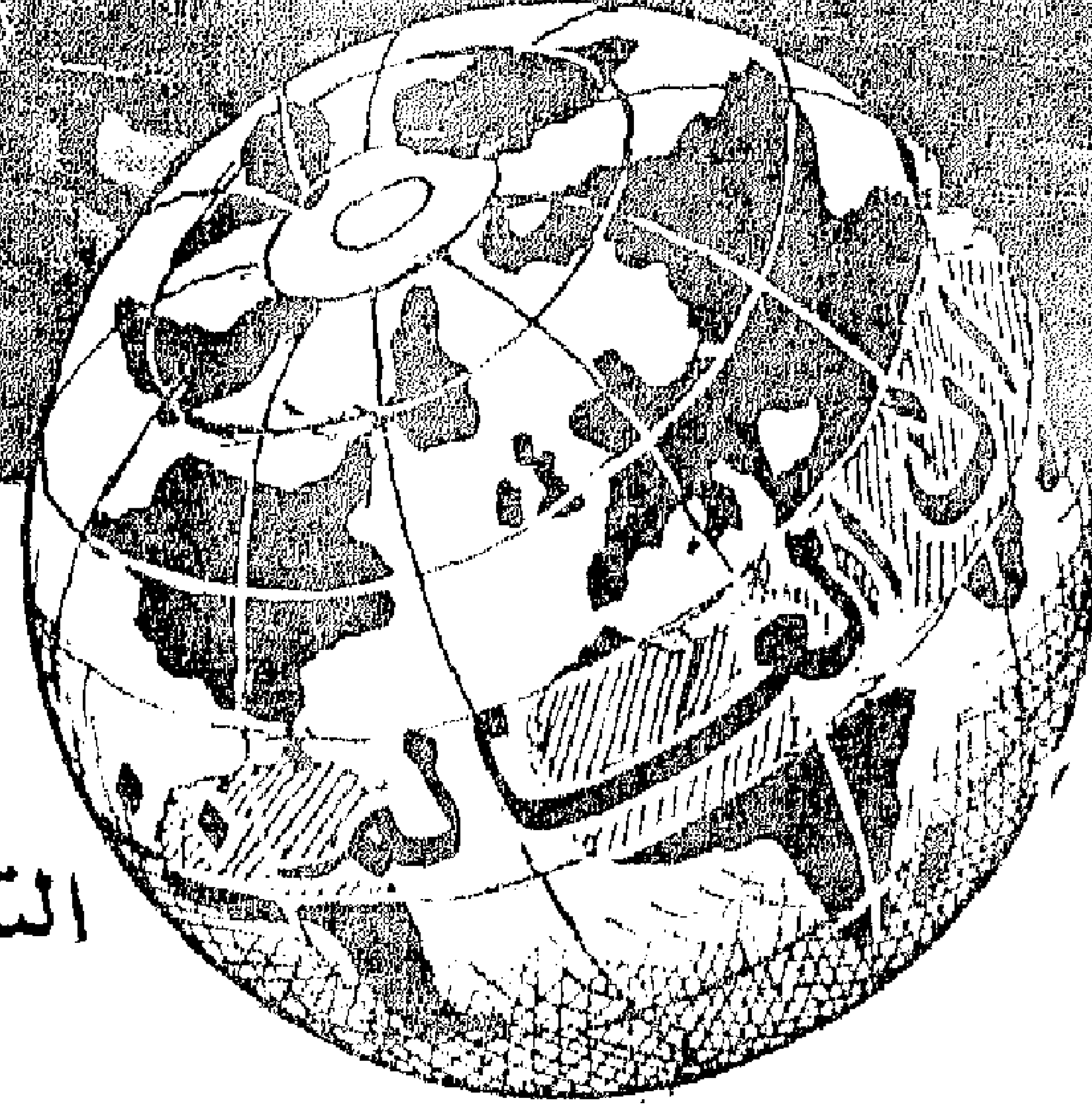
اكتشاف العالم غير المنظور ! إن مجهر R C A الأليكتروني أقوي بمعدل ٥٠ مرة من أحسن ميكروسكوب طبي فهو يكبر الأشياء ١٠٠٫٠٠٠ مرة أو أكثر ويبشر بفوائد كبيرة في مكافحة الأمراض ! وشركة R C A التي انقطعت الآن لخدمة حاجات الأمم المتحدة الحربية ، تنتظر اليوم الذي يتسنى لها فيه أن تقدم منتجات أكثر كمالا — عند ما يستتب السلام !

RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.


موبيلتوكس
الممتاز
الجديد
موت سريع محقق لجميع الحشرات
يباع الآن بمحطات بنزين
شركة سوكوني - فاكوم





تفيض سحرها علينا حين يفتح صاحبها شفتيه ، وإن كان وجهه عادياً مألوفاً .
فمن هاتين الشفتين تخرج الأقوال الدالة على عقـــل ثقفته المطالعـة وصقلته
مشاهدة الحياة ، ففكر فى شئونها وتأمل ، وبقى على صلة بأحداثها وتياراتها ،
فغدا له نظرة خاصة به ، يعرضها ويجيد عرضها . إنّ أقواله تحفز سامعيه ،
وتظفر بإعجابهم واحـترامهم .

وهذا فيما أرى ، هو ما عناه الشاعر الصينى حين أشار إلى « طعم الحديث » .
وهو يأتى من نوع القراءة التى تتيحها ريدرز دايجست — والمختار . هى
قراءة فيها تنوُّع بغير ابتذال ، وترفق بغير كسل ، وتفكير محـكم بغير صلابة ،
ولمعات من الذكاء بغير تصنّـع. إن قراءة «ريدرز دايجست» و «المختار» تنشىء
فى القارىء رغبة صادقة فى الاستطلاع المفيد ، وإدراك شئون العالم الحديث .
وهذه الحالة النفسية ، تتجلى فى علاقاته مع سائر الناس ، فالرجل الذى أحسن
القراءة ، يظفر بالإعجاب لأنه يحفز غيره إلى الاهتمام ، لما يبدو من اهتمامه
بما يجرى حواليه وبما يقال . ولن يكون أحد كليلا أو باعثاً على الكلل والسآمة،
إلا إذا اعتقد أنه يعيش فى عالم غير جـدير بعناية أحد . وكل من يقرأ خير
ما ينشر فى هذا العصر ، لن يضجره هذا العالم الحافل بالأعاجيب .

فإذا كنت يقظاً متحفزاً ، بأن ذلك فى وجهك ، وإذا كنت ضجراً ملولاً
بأن ذلك فى وجهك كذلك . فالشاعر هوانج شانكو أصاب : إن المطالعة
مفتاح الشخصية ، وسرُّ طابعها .

القراءة - مفتاح الشخصيّة

لن يوتانج
الفيلسوف الصيني المعاصر

أعرف نوعين من القراءة ، أما الأول فالقراءة التى يفرضها العمل ، وأما الثانى فالقراءة من أجل المتعة . وليس للأول صلة بألطاف الثقافة ، وأما الثانى ، فلون من الامتياز ، يضيف إلى الحياة ثروة لاتقاس بمقياس ولا تكال بمكيال . إنه ساعة من الرضى ، تقرّ بها نفساً وتفرّ خلالها من سجن البيئة الطبيعية القاسر ، إلى عالم التأمل ، فتصيب نشوة كالنشوة الخفية التى تغمر النفس أحياناً . إنه أدنى إلى التنزه فى غابة منه إلى السير فى سوق ، وأنت لا تعود من الغابة بسلّ فيه علب من الطماطم المحفوظ ، بل تعود بوجه نضّره الخلاء ، ورئتين ملأهما الهواء المنعش النقى .

وهذا النوع من القراءة ، يسبغ على القارئ نفسه سحراً خفياً . وقد قال الشاعر الصينى هوانج شانكو : « إن الأديب الذى يقضى ثلاثة أيام بغير أن يقرأ شيئاً ، يحس أن حديثه غدا تافها ، ووجهه كريهاً لا يطيق أن يراه فى المرآة » .

ما أغرب ما تصنعه القراءة بالمرء ! وعلى أن القراءة ليست من المطرّيات ، فإنها تسبغ من الجمال ما تعجز عنه مخازن المجمّلين . وكم من وجه جميل ، يبدو لنا قبيحاً لا معنى فيه بعد خمس دقائق من الحديث ، وكم من « شخصية »

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية